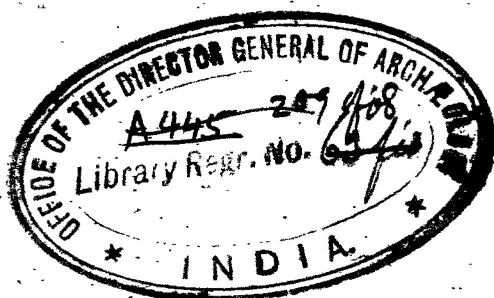

OFFICE OF THE DIRECTOR GENERAL OF ARCHAEOLOGY
A445
Library Regr. No.
INDIA

المشرق

سنة جديدة

قد مرَّ على مجلَّتنا سنتان وهي بأيده تعالى لا تزال تخدم الدين والعلم خدمةً نصوحًا قدّرها ذوو البصيرة حقّ قدرها ولم ينكرها غير افراد قليلين ممّن حدانا حبُّ الحقيقة الى تزييف آرائهم المموّهة او ألجأتنا الذمّة الى معاكسة مبادئهم الفاسدة الّا انّنا في هذه المجادلات لم نخرج عن الخطَّة التي تحرّيناها ونتحرَّاها ان شاء الله في كل آن وهي مراعاة آداب الجدال فنفنّد المزاعم الباطلة ونقطع النظر عن الاشخاص

هـذا وقد امكن القرّاء ان يتحقَّقوا بانفسهم ان المشرق لم يستثنِ من ابحاثهِ علمًا ايًّا كان كما تشهد على ذلك مقالاتهُ في اللاهوت والفلسفة والعلوم البيانية واللغة والشعر والتاريخ واحوال الامم والطوائف والآثار القديمة والطبيعيَّات والطبّ والهندسة والموسيقى . كما انهُ لم يتحاشَ المواضيع التي يتباحث فيها اصحاب النوادي الادبية وارباب الدوائر السياسيَّة وكتَبة المجلَّات الفنّية كمسألة مؤتمر السلم والبويرس والترنسفال والزّراعة والتجارة غير اننا لا نعتبر في مثل هذه المطالب سوى وجهها العلميّ لئلَّا تُصبح المجلة من الصُّحف الاخباريَّة كالجرائد العمومية

ثم انّنا في اختيار موادّنا نؤثر الابحاث التي تزيد القراء معرفة ببلادنا

كورنيليوس: « انّ المنشأ الوحيد الذي منهُ نبعت الهرطقات وتولّدت الانشقاقات هو عدم الطاعة لحبر الله وإباء الاعتراف في الوقت نفسهِ بحبرٍ واحد وقاضٍ واحد ينوب مناب المسيح في الكنيسة »

ولمّا كان بعض اصحاب الغايات صوّبوا سهام الملامة الى اقاويل الحبر الاعظم ونسبوا ظلماً الى الاحبار الرومانيين ارتياحهم الى العظمة والرئاسة كانهم حصلوا على رتبتهم بالدسائس فاستبدُّوا بسلطان لم يُعطَ لهم احببنا ان نرجع الى قرون الكنيسة الاولى حيث كان مَعين التعاليم الربّية صافياً لم يَشُبْهُ شيءٌ من المزاعم الباطلة فنستقري آثار تلك الاعصار لعلّنا نقف على معتقد المسيحيين الاولين في الكنائس الشرقيَّة نفسها. فان اقرَّ معاصرو الرسل او خلفهم الأَدنون بسلطان الكرسي الروماني فإنَّ ذلك الّا صدى التعاليم الرسوليَّة او بالاحرى صدى صوت المسيح الذي قال لتلاميذهِ (متى ٢٨ : ١٩): « اذهبوا وبشِّروا كلَّ الامم وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم بهِ »

على انَّ هذه الآثر القديمة كانت بقيت قروناً عديدة مدفونة في جوف الارض او في خبايا المكاتب حتى قام علماء عصرنا هذا وطافوا البلدان وبذلوا الدرهم عن نفس سخيَّة فجاءت مساعيهم مكلَّلةً بالنجاح وأَحرزوا فُوق النضال. وفي عداد هؤلاء الجهابذة قوم ممن لا ينقادون الى سلطان الكنيسة او ينبذون رِبقة كلّ دين فاضحى ما وجدوهُ من الشواهد الناطقة بسيادة خلفاء بطرس الصفاة كآيات باهرة لا يُستطاع ردّ قوَّتها القاهرة

وفي مقالتنا هذه نقتصر على ذكر الشواهد التي تبيّن صريحًا انَّ كنائس الشرق الاولى كانت تعترف جهارًا بان الحبر الروماني راعي الرعاة وان كنيستهُ امُّ الكنائس جمعاء لها السيطرة والسيادة عليها. وهذه الدلائل مع قلّتها لبعد العهد كافيةٌ لترضي العقول المنزَّهة عن الهوى والاغراض وتُقنع من يطلب الحقّ بحثاً صرفًا لوجه الله

☆

واول اللوائح المُسفرة والحجج النيّرة المثبتة لهذه الحقيقة التاريخيَّة الرسالة الاولى التي انفذها البابا اكليميس تلميذ بطرس الصفا وخلفهُ على كرسيّهِ الاعلى الى اهل كورنتس فانَّ لهذه الرسالة شأنًا لا يُبلغ شأوُهُ ويُدرك مداه. وان استثنينا الكتب المُنزلة والاسفار الالهيَّة لا نجد في الاعصار الاولى اثرًا اثبت عهدًا واصدق دليلًا من

الشرقية على ما سواها لعلمنا ان احوال الوطن وتواريخهُ ومشاهير رجالهِ لا تزال كمثل كنز دفين لا يُعرف منه الّا النزر القليل . وفي هذه السنة ان شاء الله نتوسَّع في هذه الابحاث الوطنية ونبعث منها ما هو مسجّى في اكفان النسيان قبل ان تأخذهُ يد الضياع ونحن نأمل من لطف قرائنا ان يؤَازرونا على هذا العمل الخطير الذي لا يتمّ بغير التكاتف واجتماع القوى

ونختم بالدعاء اليه تعالى ان يشملنا وكلّ اصحاب الخير بنعمه الغزيرة في هذه السنة الجديدة تحت ظلّ اريكة متبوعنا الاعظم وسلطاننا الافخم بمنّهِ وكرمهِ

رئاسة

الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق

في القرن الاول للنصرانيَّة

للاب يوحنا راي اليسوعي

انَّ الرب لذكرهِ المجد في صلاتهِ الاخيرة الى ابيهِ السماوي (يو ١٧ : ٢١) طلب منهُ بالحاح ان يجمع قلوب تلامذتهِ بالوحدة والوفاق « ليكونوا باجمعهم واحدًا » وضرب مثلًا لهذه الوحدة ناهيك بهِ من مثل حيث قال: « كما انك انت فيَّ وانا فيك فليكونوا هم ايضًا واحدًا فينا » ثمَّ بيَّن انَّ هذه الوحدة هي سمةُ كنيستهِ الخاصَّة وعلامةٌ يستدلُّ بها الناس على صحَّة رسالتهِ « حتى يعلم العالم انك انت ارسلتني »

بيد انهُ لمن المستحيل ان تقوم هذه الوحدة بغير وحدة الايمان ووحدة الرئاسة كما اثبت ذلك باصدق البراهين العقليَّة والشواهد النقليَّة قداسة الحبر الاعظم ابينا البابا لاون الثالث عشر في رسالتهِ البديعة التي وجَّهها منذ اربع سنوات الى العالم الكاثوليكي وحدة الكنيسة . ولا وحدة البتَّة في الايمان والرئاسة خارجًا عن كرسيّ رومة كما قال اوبتاتوس الميلاوي من كتبَة القرن الرابع : « في هذا الكرسي الوحيد يتعيَّن على الكلّ ان يحفظوا الوحدة » . وكان القديس قبريانوس الشهيد سبق في رسالتهِ الى البابا

المسيح ان تقولوا جميعكم قولًا واحدًا وألَّا يكون بينكم شقاق بل تكونوا ملتئمين بفكر واحد ورأي واحد ». فتمكَّن رسول الامم من كبح جماح الفتنة بسطوتهِ واخمد ضرامها الى حين

ولكن ما لبث بولس الرسول ان فاز مع بطرس باكليل الاستشهاد في رومة امّ المدائن. فظنَّ اصحاب الفتن انَّ الجوَّ خلا لهم فيمكنهم ان يزرعوا في قلوب الكورنتيين بذور آرائهم الباطلة فضرب الشيطان ثانيةً قبابهُ بين نصارى كورنتس. فثارت ثوائر القوم وتعدَّدت الاحزاب وتضاربت الآراء وحدث من جرَّاء ذلك شقاق لم يستطع اسقف المدينة ان يُرتج بابهُ الَّا بالالتجاء الى رئيس تُذعن اليهِ رعيَّتهُ وتنقاد الى قولهِ لما خُوّل من السيادة والسلطة. وما كان هذا الرئيس الاعلى سوى اسقف رومة وهو وقتئذٍ اكليميس ثالث خلفاء بطرس الرسول فرفع اليهِ اسقف كورنتس امر كنيستهِ وطلب منهُ ان يحسم هذا الداء بسلطانهِ السامي قبل ان يستشري الفساد ويتَّسع الخرق. فاسرع اكليميس وارسل الى اهل عاصمة اخائيَّة الرسالة التي نحن الان بصددها فكانت هذه البراءة الرسوليَّة الاولى التي اصدرها الاحبار الرومانيون وبها عادت الراحة والسكينة الى كنيسة كورنتس بعد الهيجان والبلبال

وهنا يجدر بنا ان نعتبر هذا الامر الجسيم ونسبر غور معناهُ فنقول مع اسقف أنجه السيد فريبل (Freppel): « تُرى لماذا اسرع زعيم كنيسة كورنتس ففزع الى رومة وطلب من راعيها النجدة في بلائهِ ؟ أَلعلَّهُ لم يجد بجوارهِ كنائس اخرى انشأَها الرُسل ؟ أَما كانت بيَع فيلبي وتسالونيكية وبيراي اقرب من كورنتس وفيها عدد من الاساقفة الافاضل الذين كانوا من جنس الكورنتيين يتكلَّمون بلسانهم وهم يتخرَّجون بآدابهم فماذا حمل راعي كنيسة رسوليَّة الى ان يعدل عن الأَقربين ويجتاز البحار ليستغيث بكرسيّ رومة البعيد ؟ وما لهُ لم يلتجئ الى كنائس ازمير وافسوس وآسية الصغرى ومنها كانت مياه النصرانيَّة جرت اوَّلًا الى كورنتس ؟ أَفما كان الاحرى بالابنة ان ترفع امرها الى امّها التي غذتها بافاويق الايمان ؟ وزد على ذلك انَّ التلميذ الحبيب يوحنَّا الرسول كان وقتئذٍ في قيد الحياة يسوس هذه الكنائس بخبرة وحكمة ليس لهما مثيل فما بال اسقف كورنتس لم يحتفل بكل هذه الاعتبارات ووجَّه نظرهُ الى رومة وحبرها لو لم يعرف ان هناك مركز السلطة وان لكرسي رومة وحدهُ ان يحلَّ المشاكل ويبتَّ الحكم الفصل. ولولا ان هذا

هذه الكتابة الجليلة التي لم يجسر احدٌ من أنداد كنيسة الله واخصامها على ان ينكروا صحتها. قال الاب كلميت البنديكتي الشهير نقلاً عن اوسابيوس المؤرّخ : «كانت رسالة اكليميس البابا تُقرأ علانيةً في الكنائس وتُعتبر لدى المؤمنين بمثابة الاسفار القانونيَّة. وقد نعتها بارونيوس المؤرخ بالرسالة العظمى البديعة»

وافاض الدكتور الانكليكاني پالاي (Paley) بوصف هذه الطرفة ومدحها وأسند قولهُ الى شهادات الاباء الاولين كايرينـاوس تلميذ الاسقف پوليكرپ تلميذ يوحنَّا الحبيب الذي يفحم الهراطقة بمضمون هذه الرسالة وكديونيسيوس اسقف كورنتس الذي يشهد «نحو سنة ١٧٠ م اي نحو ٨٠ سنة فقط بعد تأليف هذه الرسالة «انَّها كانت تُتلى في كنيستهِ منذ زمن قديم»

وان اضفنا الى هذه الشواهد اقوال العلماء الاباحيين كبَوْر (Baur) واشياعهِ ثمَّ الحقناها بشواهد الكنائس الشرقيَّة كلها علمنا ان هذا الاثر من أَصدق ما خطَّهُ قلم الآباء الاوّلين لا يختلف في صحتهِ اثنان

وكأَني بالقارئ يستحثُّنا فيقول: ترى ماذا تتضمَّن هذه الرسالة وباي شيء تثبت رئاسة حبر الاحبار على الكنائس الشرقيَّة ؟

لبَّيك ايها القـارئ العزيز ودونك الجواب. اعلم ان كورنتس كانت اضحت حاضرة بلاد اخائية او بالاحرى عاصمة الاقطار اليونانيَّة جمعاء مذ كانت خربت اَقيديمون وذهب جاه أَثينة العظمى. وكان اهلهـا يتباهون بثروتهم وسموّ مداركهم ومعارفهم الادبيَّة وعلومهم الفلسفيَّة. على انَّ رذائل التمدُّن الوثني افسدت اخلاق كثيرين منهم واظلمت عقولهم والقتهم في مهامهِ الجهل والضلال. وكان لليهود في كورنتس البـاع الطولى في المعاملات والمتاجرات. وهم يبالغون في المحافظة على سُنن الفريسيين فضلاً عن شرائع موسى

فلمَّا دخل بولس الرسول هذه المدينة وبشَّر فيها بالمسيح تنصَّر على يدهِ كثيرون فانشأَ في كورنتس كنيسةً زها اعضاؤها بالفضل والفضيلة. بيد ان شيطان الفتنة استفزَّ بعد ابتعاد الاناء المصطفى قلوبَ بعض المرتدّين من اليهود فسوَّل لهم ان يحدثوا شقاقاً بين جمهور المسيحيين فاضطرَّ بولس الى ان يكتب لهم رسالتين يوّنب فيهمـا اصحاب الشغب والخصومات ومن قولهِ (١كو ١ : ١٠) : «اسأَلكم ايها الاخوة باسم ربّنا يسوع

يشرع القديس بوصف نظام الكهنوت الذي « انشأَهُ المسيح المُرسل من الله بملء السلطان وقد اجاز المسيح سلطانهُ الى رسلهِ الابرار وارسلهم الى العالم كلهِ ليبشّروا بملكوت الله. فلبّوا الى امر سيّدهم وانتشروا في البلاد كلها وانارو الشعوب بأنوار الايمان القويم » (رسالة اكليمس الاولى الى اهل كورنتس الفصل ٤٣)

لكنَّ رسل المسيح علموا حقّ العلم انَّ الايمان لا تثبت دعائمهُ في القلوب إلّم يقيموا رُعاةً ينوبون عنهم في الروحيّات ولذلك «جعلوا لكلّ الكنائس اساقفة وشمامسة قلّدوهم الحكم على المؤمنين ليحافظوا على وديعة الايمان ويجدُّوا في تنصير اهل الشرك. ولا غرو ايها الاخوة فان موسى كليم الله فوّض الى رؤساء الاسباط الاثني عشر شيئًا من سلطانهِ وهكذا رسل المسيح فانّهم لمّا سبقوا فعلموا ان ستقوم بعدهم الشقاقات والخصومات بسبب الرتبة الاسقفيَّة تداركوا ذلك ووضعوا في الكنيسة قوانين ثابتة لاختيار خلفائهم الذين يتولون بعدهم شؤون الكنائس. فاذا جرى هذا الانتخاب الشرعي وصادقت عليهِ الكنيسة العامَّة ثبت واستقرّ. . ولا يجوز لنا بدون اثمٍ ان نعزل هؤلاء الرعاة الشرعيين اللهمَّ اذا قاموا بمهنتهم قيامًا حسنًا ورعوا بنشاط قطيعَ المسيح » (١

ولهذه الرسالة ختامٌ حريٌّ بالنظر يزيد برهاننا قوَّةً وكان هذا الختام سقط من الاصل اليوناني ولم يزل مجهولًا الى يومنا حتى اكتشف عليهِ في خزانة كتب الفنار في الاستانة العليَّة فيلوتاوس بريَنيوس احد اساقفة الروم الارثذكس فنشرهُ بالطبع واتّفق كلّ العلماء على صحتهِ . ففي هذا الختام يقول اكليميس الى اهل كورنتس (الفصل ٥٩ من طبعة ليبسيك): « هذا هو حكمنا فانْ أطعتم امرنا فنعمًا امّا اذا ردّ بعضكم ما فاه بهِ المسيح عن لساننا فليعلموا انهم يتهوَّرون في خطر عظيم ونكون نحن ابرياء من اثمهم ». وكذلك في الفصل ٦٣ يقول: « انكم تفعمون قلبنا سرورًا ان امتثلتم لاوامرنا هذه (ὑπήκοοι γενόμενοι τοῖς ὑφ'ἡμῶν γεγραμμένοις) المخطوطة بالهام الروح القدس واستأصلتم اصول البغض والشحناء بموجب السلام والوفاق الذي وصفناهُ في رسالتنا هذه . . . وقد أرسلنا اليكم رجالًا ابرارًا ليكون شهودًا بيننا وبينكم ويسعوا بامر السِلم قريبًا بين الخصوم وذلك لتعلموا غيرتنا على صلاحكم »

١) راجع اعمال آباء اليونان (مين الجزء الاول ص ٢٩٣ ف ٤٤)

الامر كان ثابتًا عند اهل كورنتس لكانوا نبذوا ظهريًا حكم الحبر الروماني بدلًا من ان يتلقَّوهُ بالطاعة والاذعان كما فعلوا. فرَفْعُ دعوى الاسقف الى رومة وطاعة الكورنتيين دليلان ساطعان على ان المؤمنين الاوَّلين كانوا يعتبرون كنيسة رومة كالكنيسة الاولى التي يحقُّ لها الحلّ والعقد والامر والنهي وما لذلك داعٍ آخر الّا لان الحبر الروماني كان خليفةً لبطرس الذي عُهدت اليهِ رعاية الكنيسة جمعاء بقول الرب لهُ المجد: «ارعَ خرافي... ارعَ نعاجي»

☆

هذا وان في مضمون الرسالة المنوَّه بهـا برهانًا آخر على الحقيقة التي نريد بيانها فانَّ كلام صاحبها ينبئ بمقامهِ فتراهُ ينبِه ويحذّر ويرشد ويزجر كما يفعل من قُلّد مِلءَ السلطان

وقد افتتح اكليميس رسالتهُ بوصف حالة الكورنتيين في زمن وفاقهم وطاعتهم الى رؤسائهم «اذ كانوا يعيشون بالحبّ والوداد سائرين بموجب وصايا الرب يسوع وممتثلين لاوامر الرسل وكهنة الله المقـامين لتدبيرهم. فكانوا اذ ذاك مثالًا لجميع الكنائس وقدوةً للمؤمنين وغير المؤمنين. يباشرون المبرّات ويتسابقون الى عمل الصالحات»

ثمَّ يتخلَّص البابا اكليميس الى ذكر الخصومات والانشقاقات التي دخلت بين اهل كورنتس فحطَّت من شأن هذه الكنيسة وصارت كصخرة عثار لمن يراهم. ثمَّ يبحث عن سبب هذه الشرور المتفاقمة فلا يجد سببًا آخر غير عصيانهم على رؤوسائهم الروحيين وانكارهم عليهم الطاعة

واذ وجد اكليميس اصل الداء تراهُ في رسالتهِ كأبٍ حنون وطبيب حاذق يطلب للعلّة علاجًا شافيًا يتلافى بهِ المرض وينجّي العليل من سوء العقبى. وهذا الدواء المطلوب هو اعتبار نظام الكهنوت العجيب الذي رتَّبهُ الله نفسهُ في كنيستهِ. «فكما انَّ الربَّ اقام في العهد العتيق عظيم الاحبار وجعلهُ في رتبة خاصَّة ثمَّ جعل تحت امرهِ الكهنة واللاويين وعيَّن لكل منهم خدمةً معلومة وجعل في الرتبة السفـلى لفيف الشعب هكذا يُقتضى عليكم ايها الاخوة ان تحافظوا جميعكم على مراتبكم ولا يتعدّى احد طورهُ بل يتمِم كلُّ واحد بنشاط خدمتهُ التي اصطفاهُ الرب لانجازها»

ثم بعد ذكر الذبائح والقرابين التي كانت تُقدَّم للرب في العهد القديم في اورشليم

ترأس (προκάθηται) في عاصمة بلاد الرومانيين الخليقة بالله (θεοπρεπής) المستحقَّة الشرف الجديرة بان تُدعى مطوَّبة الحرِّية بالثناء المتقدمة (προκαθημένη) على جماعة المحبــة المشرَّفة باسم يسوع المسيح ابن الاب سلام . . . »

أَفلا يرى القارئ لاوَّل وهلة ما في مطلع هذه الرسالة من الشهادة لتقدُّم كنيسة رومة ورئاستها على جميع الكنائس ؟ فانهُ لم يكتفِ بان ينعت الكنيسة الرومانيَّــة بنعوت وصفات جليلة لا شبه لها في رسالاتهِ الى بقيَّة الكنائس بل وصفها بالرئاسة على جماعة المؤمنين المشتركين بمحبَّة الرب . وقد اختار للدلالة على هذه الرئاسة لفظة لا تعني فقط التقدُّم والشرف والمقــام بل تدلُّ على السيادة والامر فان لفظة (προκάθημαι) وردت ما خلا هذا المكان في موضعين آخرين فقط من رسائل اغناطيوس وذلك في كتابهِ الى اهل مغنيسيَة وفي كلا المكانين تدلُّ على رئاسة الامر لا على الشرف فانَّهُ هناك يحضُّ المؤمنين بان يطيعوا « الاسقف المتقدّم نيابةً عن الله » وان يعيشوا بالاتحاد مع اسقفهم والمتقدّمين عليهم » فينتج من ذلك انَّ القديس اراد ايضًا بكلامهِ عن كنيسة رومة ليس التصدُّر فقط بل السلطة والرئاسة . ويظهر ذلك جليًا اذا قوبل بمطلع رسائلهِ الى بقيَّة الكنائس فانَّهُ لا يكتب الى تلك الكنائس انها « متقدّمة على افسس » او « على ازمير » بل يكتب « من اغناطيوس الى الكنيسة التي هي (τῇ οὔσῃ) في افسس » او « هي في ازمير » . وزد على ذلك انَّ هذا الشهيد العظيم في اثناء رسالتهِ يقرُّ بعظمة كنيسة رومة حيث يقول للرومانيين : « ليس لكم ما تحسدون بهِ غيركم البتَّة فانكم انتم الذين تعلّمون الآخرين وانا أُثبت واقرّر ما تعلّمون وما تأْمرون بهِ » . فللهِ درُّها من شهادة نفيسة لا تترك في النفوس ريبًا عن تقدُّم كنيسة رومة بالسلطان وحسن المعتقد وتعليم الكنائس . وفي هذا كفاية لبيان ما قصدنا هذه المرَّة . وان شاء الله نورد في مقالةٍ أُخرى ما لدينا من الشَّواهد عن الرئاسة البابويَّة على كنائس الشرق في القرن الثاني

ميخائيل البحري الرومي الملكي الشاعر واولادهُ

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

كنَّا وعدنا في ما سبق والحرُّ ينجز الوعد باننا نواصــل البحث في مشاهير رجال المشرق ممَّن شادوا لهم في زمانهم من العلوم صرحًا منيعًا . او اصابوا بسموّ مداركهم

فهذه هي الرسالة البديعة التي بعث بها اكليميس البابا الى المؤمنين في كورنتس ولولا ضيق المكان لاثبتنا منها فصولاً كثيرة تنطق كلها بما استعر بهِ قلب اكليميس من المحبة لهذه الكنيسة المُبتلاة بالشقاق والخصام. فلعمري أهكذا يكون كلام رجل ليس لهُ شيء من السلطة ؟ او كيف يستطيع ان يزجر المنشقين وينذرهم بالبلاء والاخطار ان لم يرعوا فيطيعوا رؤساءهم؟ بل كيف يجسر اكليميس ان يطلب الطاعة لنفسهِ كما للمسيح ان كان لم ينل بحقّ الخلافة البطرسية السلطان الكامل لرعاية الكنائس كلها ؟ أَفيقال ان اكليميس نسب الى نفسهِ سلطةً مختلسة وهو من مشاهير القديسين الشهداء تكرّمهُ الكنائس الغربيَّة والشرقيَّة معًا ؟ وكيف رضي بوساطتهِ اهلُ كورنتس لو علموا انهُ لا سلطة لهُ عليهم ؟ بل كيف اعتبرت كنائس الشرق هذه الرسالة اعتبارها للكتب المنزلة كما شهد اوسابيوس المؤرخ (ك ٢ ص ١٦) اذ قال انَّ هذه الرسالة كانت شائعة في كنائس آسيَّة تُقرأُ فيها ايَّام الآحاد كما تُقرأُ رسائل بولس الرسول

وزد على ذلك ان اكليميس لم يكتفِ هذه المرَّة بمكاتبة اهل كورنتس. فان كنيستهم بعد رجوعها الى الهدوء والطاعة بقيت مدَّة راتعة في بحابح السلام وهي تنمو وتزداد عددًا وفضلًا حتى هجمت عليها ذئاب خاطفة وهم قوم من هراطقة الابيونيين والدوقيتيّين والبراتيين. فلمَّا بلغ الخبر مسامع اكليميس بادر فكتب نحو سنة ٩٨م رسالةً ثانية أقرَّ بصحَّتها ابيفانيوس (في كتاب الهرطقات ه ٧٧ ع ٦) وفوطيوس (في مكتبتهِ ع ١٢٦) ليثبّت المؤمنين في الايمان ويرشق اصحاب الشيع بسهام الملامة والتقريع. واظهر بذلك انَّهُ الراعي الصالح الساهر على القطيع الذي وكلهُ اليهِ الرب وانهُ معلم الكنائس كلها والمفوَّض اليهِ ملء السلطان عليها

☆

ومن الشهادات اللاحقة بالقرن الاول على رئاسة خلفاء بطرس شهادة نيّرة لذلك القديس العجيب المدعو حامل الله (θεόφόρος) نعني بهِ اسقف انطاكية الشهيد اغناطيوس (+ ١٠٧) فانهُ صدَّر رسالتهُ التي وجَّهها من ازمير الى الرومانيين بكلام يُشعر باعتقادهِ في رئاسة الكنيسة الرومانية وهذا قولهُ بالحرف (مجموع آباء الكنيسة اليونانيَّة ٥ : ٦٨٦) : « اغناطيوس المدعو حامل الله الى الكنيسة التي نالت رحمةً من لدن الرب لآب العلي وابنهِ الوحيد يسوع المسيح وهي الكنيسة العزيزة المنوَّرة بمشيئتهِ تعالى التي

الشيوخ القيسيين المتاولة كان ولّاهُ عليها الامراء الشهابيون فخدمهم مدّة الى ان مات الامير بشير الشهابي الاول فطمع في الاستبداد ولم يزل يحارب من ناواهُ او تعرَّض لهُ في تحقيق امانيهِ الى ان ثبَّت ملكهُ على عكّا وضواحيها واتخذ لهُ نوّابًا في يافا وحيفا وصور وصيداء ونابلس وصفد واستفحل امرهُ . وفي سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) طلب ابو ظاهر العمر لهُ رجلًا اديبًا يقلدهُ تدبير امورهِ ويسلِّمهُ ديوان الكتابة فلم يجد رجلًا اجدر بذلك من احد نصارى عكّا من طائفة الروم الملكيين اسمهُ ابرهيم الصبَّاغ فألقى على عاتقهِ زمام التدبير وجعلهُ من اخصّ اصحابهِ وكان لا يتعاطى شيئًا دون رضاه ويجنح الى آرائهِ . وكان ابراهيم يناظر اموالهُ وايراداتهِ ويقوم بمصروفهِ ومصروف اولادهِ وحريمه

فسمع ميخائيل بما صار لابراهيم الصبَّاغ من الشهرة ونفوذ الكلمة فسار الى عكا ودخل في ديوان الكتابة تحت تدبير ابراهيم المذكور واظهر من البراعة في الانشاء ونظم الشعر ما حبَّبهُ الى وليّ نعمهِ . وكان الصباغ يرشدهُ ويتولّى تهذيبهُ ويشدّ ازرهُ حتى اصبح ميخائيل متقدّمًا في ديوان الكتابة

ولمَّا كانت السنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) ارسلت الدولة العليَّة حسن باشا قپودان الجزائري امير البحر ليجمع الاموال الاميريَّة في بلاد الشام فطلب من الشيخ ظاهر العُمَر ما للدولة العليَّة عليهِ من المال واستنهضهُ لدفعهِ . فاستشار الشيخ صاحب ديوانهِ فتبرَّم الصبَّاغ بدفع المال واجاب انهُ ليس في يدهِ ما يقضي بهِ المال المطلوب . فردَّ الشيخ ظاهر رُسل حسن باشا خائبين فغضب لذلك امير البحر وحاصر عكا واخذها عنوةً وقُتل الشيخ ظاهر بيد بعض المغاربة وكان ذلك في اوائل سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) . ثم دخل حسن باشا المدينة وضبط خزائن ظاهر العُمَر واستصفى جميع اموالهِ . واما ابراهيم الصبَّاغ فقبض عليه الشيخ عليّ الدرويش وكان نزيلهُ فارسلهُ الى حسن باشا فاعتقلهُ مدَّة وامر بتنكيلهِ ثم شنقهُ في صاري مركبهِ

٢

فلمَّا توفّي الصبَّاغ تشتَّت شمل عمَّالهِ . فسار ميخائيل البحري الى الامير يوسف الشهابيّ فخدمهُ مدَّةً وأُرسل لبعض شؤونهِ الى احمد باشا الجزَّار والي مدينة عكا فجعلهُ الجزَّار في ديوانهِ مع قوم من النصارى من جملتهم المعلم ميخائيل السكروج وابراهيم ابو قالوش ويوسف مارون والمعلِّم الياس ادّه . الَّا انَّ الجزَّار لما كان مطبوعًا عليهِ من شراسة

مقامًا رفيعًا. فنالوا لدى الخاصّة الحظوى والاعتبار. واستلفتوا اليهم كلَّ الابصار. على انّنا نوثّر بينهم من قرنوا الفضل بالفضيلة. واتصفوا بالصفات الفريدة الجميلة. ليتأرّج اهل الوطن بعبير شمائلهم العاطرة. ويأتسوا بمحامدهم الفاخرة

فما كلُّ ازهار الرياض أريجة ٌ وما كلُّ اطيار الفلا تترنَّمُ

هذا وبينما كنّا نجدُّ في البحث والتنقير عن ترجمة الشاعر الياس اده الذي اوردنا فصولًا من نظمهِ في سنتنا المنصرمة اذ وقفنا على اخبار رجل آخر عاش في عصرهِ. وحلب مثلهُ اشطر دهرهِ. فذاق من حلوهِ ومرّهِ. نريد شاعرًا مفلقًا يدعى ميخائيل البحري الذي نال في زمانهِ من الشهرة ما دعانا الى اثبات اسمهِ على صفحات هذه النشرة

١

وُلد ميخائيل بن عبُّود البحري في اواسط القرن الثامن عشر في حمص من أُسرة فاضلة لا يزال منها بقايا الى يومنا في مدن كثيرة كحمص ودمشق ومصر. امَّا ملّتهُ الاصليَّة فالغالب على ظنّنا انّها كانت ملَّة الروم الارثذكس وُلد فيها ونشأ على عقائدها ودليلنا على صحّة هذا القول انَّ قسمًا من بيت البحري الذين يسكنون الى عهدنا هذا مدينة حمص يُعدُّون فيها من وجهاء طائفة الروم الارثذكس

ولمَّا دخل ميخائيل في ريعة الشباب آنس من نفسهِ ميلًا الى الآداب والعلوم فأحرز منها ما امكنهُ في وطنهِ بدرسهِ الخاص واجتمع باهل الادب واخذ عنهم شيئًا كثيرًا. ورزقهُ الله ثلاثة اولاد سيأتي ذكرهم في آخر هذه المقالة. ثمَّ اضطرَّتهُ الاحوال الى ان يرحل الى دمشق فتوطَّنها مدَّة وعاشر افاضلها وتفرَّغ فيها للنظم وكان لهُ من جود القريحة ما لم يكن لنصارى عصرهِ فقصَّد القصائد ومدح اصحاب الفضل واحرز لهُ اسمًا بين الادباء

والمرَّجح عندنا انهُ في اثناء اقامتهِ في دمشق اجتمع بقوم من ملة الروم الملكيين فرأى من فضلهم وحسن صفاتهم وصبرهم على الشدائد ما حدا بهِ الى الانتظام بسلكهم والتشبُّث بعرى ايمانهم على عهد البطريرك ثاضوسيوس دهَّان. نحو سنة ١٧٧٠ فاخذ مذ ذاك الحين يسعى في تعزيز مذهب الكثلكة ويفرغ كنانة الجهد ليردّ الى الايمان القويم ابناء جلدتهِ

وفي ذلك العهد كان يتولى على عكَّا رجلٌ اسمهُ ظاهر العُمر الزيداني من

حيِّ ذاك الحيَّ يا ريح الصبا — وأَهيــلَ الحيّ عني والصبا
انَّ قلبي هــام فيهم وصبا — فمتى يسمح دهري باللقا

يا بريقاً في الدياجي لمعا — هيَّج المحزون حتى اوجعا
يا سقى الله الحمى ثمّ رعى — يا رعى الله الحمى ثم سقى

حبَّذا حمصُ وهاتيك الربوعْ — وكرامٌ اشرقوا مثل الشموعْ
يا لعمري هل اليهــا من رجوعْ — اين اين الربع ثمَّ الملتقى

نسجت ازهارَها ايدي الربيعْ — رصَّعتها السُّحب بالدرّ البديعْ
نسمةٌ احيت بذيَّاك البقيعْ — ميتَ حبٍّ من شذاهــا نشقا

حبذا عيشٌ مضى في ظلّها — وزمان قد حلا مع اهلها
اضمر الشوق الغضــا من اجلها — في فؤادٍ جفَّ حتى احترقا

كم ولجتُ في ثغورٍ وبلادْ — وجبال جئتُها مع كلّ وادْ
لستُ القى مَن بهِ نيلُ المرادْ — لا ولا قد نالني الَّا الشقا

حبذا العاصي وذيَّاك النسيمْ — وغصونٌ ظلُّها ظلّ النعيمْ
حبذا اكناف واديهِ الوسيمْ — قد نشقنا عرفهُ مذ عبقا

حبَّذا الدولاب(١) ان ابدى الانينْ — دائرًا في حيرةٍ مثل الحزينْ
هيَّج الاشواق مني كلَّ حينْ — دمعهُ لمَّا غدا مُترقرقا(٢)

مرَّت الارياح في تلك الغصونْ — حرَّكت اعطافها بعد السكونْ
باكرت زهر الحمى سُحبُ الهتونْ — ذخرت عنها لشاماً فتقا

كيف يحلو عيش من امسى كئيبْ — اذ نأى عن قومــهِ ثمَّ الحبيبْ
يا زماناً طَرْفـــهُ مثل الرقيبْ — لا رعاهُ الله طرفاً رمقا

خانني دهري بتبديد العهودْ — وغدت ايَّامنا الغرَّاء سودْ
لم اجد في غربتي خِلًّا ودودْ — لا ولا مولى سوى ربّ التقى

١) يشير الى نواعير حمص ٢) اسكن التاء لضرورة الشعر

الاخلاق وسوء الطباع كان يتغيَّر سريعًا على عمَّالهِ فيزجهم في السجون ويقتل بعضهم ويمثِّل بغيرهم

وكان ميخائيل البحري من جملة الكتبة الذين اخلصوا الخدمة للجزَّار فخدمهُ بنشاط وغيرة بيد انَّ مولاهُ اساء فيهِ النيَّة وامر بهِ فأُلقي في السجن وبقي مدَّة في اسوإ حال. على انَّهُ كان يتحمَّل اوجاعهُ بصبر وقد نظم في السجن قصيدة اودعها شرح حالهِ ذكر منها بعض ابيات الامير حيدر الشهابي في كتابهِ «حوادث الزمان» في تاريخ سنة ١٢٠٣ ه (١٧٨٨م). وهذه الابيات مسخها الكاتب بالنسخ فلم يُستخرج لها بيت مضبوط

وفي آخر سنة ١٢٠٣ ه (١٧٨٩م) اطلق الجزَّار سبيل اسيرهِ البحريّ لكنَّهُ ابى الَّا ان يترك في جسمهِ أَثر همجيَّتهِ فقطع آذانهُ وانفهُ ثمَّ سرَّح عنهُ. فما صدَّق البحريُّ ان خرج من سجن الجزَّار حتى آلى على نفسهِ ان لا يدخل دار ولايةٍ ولا يقابل صاحب امر فمضى الى بيروت واتخذ لهُ مكانًا فيها وعاش في عزلتهِ وهو منقطع الى العبادة وتدبير امور بيتهِ الى ان ادركتهُ الوفاة نحو سنة ١٢١٨ ه (١٨٠٣ م)

٣

وكان المعلم ميخائيل البحري رجلًا اديبًا متوقّد الفهم حسن الذوق. وتعاطى نظم الشعر ولهُ فيهِ ديوان ضاع اكثرهُ وبقي منهُ بعض شذرات نوردها ليعلم القرَّاء علوّ مقامهِ. وممَّا يزيدهُ فضلًا انهُ بلغ هذه المرتبة بدرسهِ الخاص اذ لم يكن في تلك الايام مدارس منظَّمة يأخذ فيها الطلبة مبادئ العلوم عن اساتذة يتفرَّغون للتدريس. فمن جملة قصائدهِ ابيات قالها في الاب الفاضل الخوري يواكيم المطران مدبّر مجمع رهبان مار يوحنَّا الشوير القانونيّين وكان من اهل العلم والفضل لهُ عدَّة مصنَّفات طُبع منها بعضها فلمَّا توفي سنة ١٧٦٧ م [١] قال ميخائيل البحري يرثيه:

عرَّى الزمان سماءً كنت فرقدها سجَّى القتام لارضٍ كنت أَوحدها

وهي طويلة لكنَّ الركاكة فيها ظاهرة ولعلَّها من اوَّل نظمهِ. ومن اقوالهِ الحسنة موشَّح يذكر بهِ الزمان ويتذكَّر اوطانهُ واحبَّاءهُ ويمدح السيد احمد البربير من مدينة بيروت وكان في زمانهِ عالمًا معروفًا وشاعرًا موصوفًا. وقد انتخبنا منهُ بعض الادوار :

---

١) كذا وجدنا في مجموع صغير يحتوي بعض قصائد ميخائيل البحري. وفي تاريخ طائفة الروم الملكيين (ص ٥٦) انَّ القس يوريا كيم هذا توفي سنة ١٧٧٣ في عكا

كم بيانٍ من معانيهِ بديعْ قد رفعناهُ على نظم البديعْ
في مبانٍ مثل ازهار الربيعْ ناظرًا تسبيك او منتشقا
فطنٌ من بعدهِ العاصي بكى وباصوات النواعير شكا
ودجت حمصٌ وكانت فلكا لمحيَّاهُ فعادت غسقا

حازم لم يثنِ شخصٌ عقدهُ ناظمٌ تبغي العذارى عقدهُ
لم تلد امُّ المعالي بعدهُ فطنًا نال العلى مستبقا

دام في الصحَّة والعيش الهني بالغًا كلَّ مرادٍ حسنِ
ما شدت صادحة في فَنَنِ فاطارتٍ كلَّ قلبٍ خفقا

وممَّا نظمهُ المعلِّم ميخائيل قولهُ يمدح السيد احمد البربير وقد اقترحها عليهِ المعلّم مسعد في بيروت:

يا فاضلًا اضحى بهِ خبَرُ الافاضل مبتدا
يا مشرق الاوصاف يا علَم الفضائل والهدى
يا بحر علم جاد في درِّ البيان منضَّدا
يا روض آدابٍ زها وردا تكلّل بالندى
يا شمس فضلٍ اطلعت بسما المعالي فرقدا
يا كعبةً خرَّت لها اهلُ البلاغة سجَّدا
يا من بهِ ايَّامنا كادت تنادي معبدا
يا من بهِ بيروت قد رقَّت وراقت موردا
مذ اشرقت اوصافكم فيها ففاقت سؤددا
وغدت تباهي جلّقًا فيما حوت باحمدا
فكأَنَّ هذا الشكل من ذاك الشفيع تولَّدا
لولاك ما مرَّ الصبا بربوعها متردّدا
وكذا عُبَيدك لم يكن لولا رضاكم مسعدا
يا احمد البربير يا علَمًا تخصَّص بالندى
عاملتموني بالصدو د فما الذي منَّا بدا
أَبدلتموني بالسِوَى فاعطف عليَّ مؤكدا
أشمتَّ عذّالي وقد فرِحت فينا الحسَّدا

احمد البربير من انشا الادبْ وعلومًا بين عُجمٍ وعربْ
وحوى فخرًا سما اسمى الرتبْ قدرهُ ثمَّ السماكين ارتقى

فاق فضلًا في الورى حتى ابانْ شرح تلخيص المعاني والبيان
وكذا نظمًا حكى نظمَ الجمانْ زانهُ حسن القوافي رونقا

ذو خلالٍ قد صفت مثل الزلالْ وكمالٍ دونهُ كلُّ كمالْ
من يرُم من كفّهِ فيض النوالْ نال حتى في عطاهُ غرقا

يا ربى بيروت حيَّاكِ الندا ورعاكِ الله من طرف العدى
حبَّذا عيشٌ مضى مع احمدا وزمان في حماكِ سبقا

بلّغيهِ الشوق مني كلّما أنَّ مشتاقٌ الى ذاك الحمى
او دعا داعٍ غدا مُترنّما في دوام العمر مع طول البقا

فاجابهُ الشيخ احمد البربير المشار اليه يمدحهُ بهذا الموشّح ويسلّيهِ على اكدار الزمان :

طُبع الدهرُ على عكس الاملْ وعلى رفع الذُّنابى والسفلْ
ما ترى البدر عن النجم نزلْ والبَرَى كيف على الهام رقا

من يرُم منهُ سرورًا وهنا فاساس العقل منهُ وهنا
كم ارى الطرفَ لبيبًا فطنا ماهرًا في لجةٍ قد غرقا

فهو كالميزان يعلي من نقصْ او كقردٍ عضَّ الّا من رقصْ
وهو للبلبل سجن وقفصْ وبهِ البوم غدا منطلقا

سنَّة للناس قدمًا سنَّها وسيوفٌ سلّها مذ سنَّها
فاذا راعتك فاصبر انَّها هي والدهر كطيفٍ طرقا

انما الناس كما صحَّ نيامْ والفتى المختار منهم والامامْ
ليس يرتاع لاحلام المنامْ لو رأى الجوَّ عليهِ انطبقا

انما المرء بنطقٍ وفؤادْ فاذا فات الفتى كان الجمادْ
والحجى اشرف رزق للعبادْ اذ هو الراحة والمال شقا

ولعمري ليس ذو الفضل غريبْ بل نراهُ اينما حلَّ حبيبْ
انما الغربة للفدم القريبْ وهو بالاوطان بين الرفقا

ودليلي غربة البحري الشَّعورْ الذي تحلو بذكراهُ الثغور
شاعرٌ في صدرهِ ضمَّ البحورْ مثل ضمّ البحرُ درًّا يققا

واذا القلوب تألّفت قويت وان بعد المدى
يا من غدا حالي لديهِ اذا نعتُّ مؤكدا
هذه عجالة من بنى فيك الرجاء وشيّدا
من كلّ بيتٍ مثل بيـ ت العنكبوت اذا بدا
فاسلم ودُم وارقَ على رغم الحواسد والعدى
ما امَّ بابك شاعرٌ امسى لمدحك منشدا
او ما غدا البربير من كلّ الورى لك احمدا

وقال البحري مادحاً احمد البربير :

لولا فضائل احمدٍ قُصَّت لنا فيها وفي آياتها الاخبارُ
وكذاك لولا المعجزات فلم تكن حجّت لكعبة فضلهِ الافكارُ

فاجابهُ احمد البربير :

ارى الفاضل البحريَّ احيا بفضلهِ معالم ابياتٍ درسنَ من الشعرِ
ولا غرو ان حاز الفنون باسرها على المثل المشهور حدّث عن البحرِ

وقال ايضاً :

لقد انس البحريّ برّي واهلهُ فاسمعتهُ عذري ولم اهدِهِ شعري
فان لم يكن درًّا فذاك نقيصةٌ وان كان درًّا كيف يُهدى الى البحرِ

وبعث السيد عبد اللطيف بن علي افندي المفتي الحنفي المكنى فتح الله وكان من تلامذة احمد البربير الى ميخائيل البحري يمدحهُ بهذين البيتين:

ولمَّا اتى البحريُّ بيروتَ زائرًا الينا فكم اهدى عقودًا من الشعرِ
فلا بدعَ ان اهدى لنا الدرّ ناظمًا فناهيك انّ الدرَّ يبدو من البحرِ

فاجاب البحري بهذه الابيات يمدح بها احمد البربير :

ولستُ بمنسوبٍ لبحرٍ ترونهُ فايُّ افتخارٍ لي بذاك وما قدري
ولكني مذ شاهدتُ بحرَ فضائل غرقت بهِ حتى نُسبت الى البحرِ
ولا تعجبوا مني لعشقي فكم صبا لاحمدَ من زيدٍ سوايَ ومن عمرِو

وقال ايضاً يمدحهُ ويمدح تلميذهُ السيد عبد اللطيف:

ولمَّا اتاني الشعر يا غايةَ المُنى من الدرّ منظومًا لقد حرتُ في امري

فكأنكم ملتم سما عًا نحو افواه العدى
او انَّ دهري خانني فمحا العهود وبدَّدا
يا سيدي بالله لي أَعد الوصال تودُّدا
فاربط يدي ولغيركم وابيك لن اتعهَّدا
وارحم لداعٍ لم يزل يرجو لوصلك موعدا
واذا رجوتُ لقاءكم ارجوهُ يومي لا غدا
فاسلم ودُم لا زلت في عيشٍ هنيءٍ ارغدا
ما بات يُروى عنكمُ حديث فضلٍ مسندا

فاجابهُ احمد البربير :

نَحْرُ الصباح تقلَّدا عقد النجوم تنضَّدا
ام اعين الالفاظ منـ ـها سِحر بابل قد بدا
ام خمرةٌ دارت على فكر اللبيب فعربدا
ام روضةٌ غنَّاء لم يبرح يباكرها الندى
ام تلك بكر بلاغةٍ عذراء تسبي الخرَّدا
لبست من النسج البديـ ـع ثيابها لا عن سدا
وشدت فما صوتُ الهزا ر على الغصون اذا شدا
واتت بقانونٍ لدى العشاق يطرب معبدا
ورقيق عتبٍ كان كالـ ـماء الزلال على الصدى
اذ كان عن ودٍّ صحيـ ـحٍ لا يمازجهُ صدا
فحواهُ اني بتُّ عن ذاك الحبيب مشرَّدا
فطفقت اقسم بالذي منح القلوب تودُّدا
اني اودُّ دنوَّهُ مني يكون مؤبَّدا
ويودُّ حظّي كلَّ يو مٍ ان يقارن مسعدا
والفاضل البحريَّ مَن لبس المكارم وارتدى
فهما لديَّ النيِّرا نِ اذا فقدت الفرقدا
لكنَّهُ طبع الزما ن على عنادي واعتدى

ووَدُّ قلبي قديمٌ لا تغيرهُ حوادث من صروف الدهر لم تدُمِ
فخذ ثناءك من ثغر الزهور فقد عجزتُ عن ان اؤدي حقَّهُ بفمي
واسلم ودم في نعيمٍ غير منصرم ما طاب ذكرك في بدءٍ ومختتمِ

ومن نظم ميخائيل البحري قولهُ يمدح ابا بكر اغا ميري زاده في حلب سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) وهي طويلة اقتطفنا منها ما يلي :

ماست بقدٍّ كالغصون تَميَّدُ ورنت بطرفٍ كالظباء تَغيَّدُ
خودٌ غزت منَّا القلوب لحاظُها فكأنَّها ضمن القلوبِ مهنَّدُ
حازت جمالًا ثمَّ حسنًا مثلما حاز السنا والحمد منَّا الامجدُ
ذو المجد والعزّ الذي ساد الورى قدرًا وخُصَّ بهِ الندى والسؤددُ
ربُّ المحامد والمفاخر والبها الماجد ابنُ الاريحيّ السيّدُ
بحرٌ سريعٌ بالعطايا وافرٌ عَذُبت مناهلهُ وطاب الموردُ
لو قيس في مزن الغمام نوالهُ لرأيتهُ من كفهِ يتعوَّدُ
مولًى رقى اسمى العلاء منازلًا ومحلُّهُ فوق السماك مشيَّدُ
مولًى لهُ البأس الشديد وهمَّةٌ تعلو ورأيٌ بالامور مسدَّدُ
يزري بسحبان البلاغة منطقًا ولهُ ابن اوس بالفصاحة يشهدُ
لو ان تجسَّم لفظهُ لوجدتهُ دررًا باجياد الحسان يُقلَّدُ
مولى تهلَّل وجههُ متبسّمًا ان أمَّ وفدٌ او اتى مستنجدُ
ذو سطوةٍ عبسيَّةٍ ومكارمٍ طائيَّة قد ضاق منها الفدفدُ
ورث الكرامة والدًا عن والدٍ ثمَّ الفخار وكلَّ فعل يُحمدُ
احيا ربيع الفضل فيض سخائهِ مذ سحَّ من سحب اليدين العسجدُ
واعاد ذكر الاكرمين كأنَّما اضحى نداهُ مخبرًا ما السُّؤددُ
كرمت بهِ الايام ثمَّ بمثلهِ ضنَّت لذاك نظيرهُ لا يوجدُ
قل للذي قد رام حَصْر صفاتهِ يفنى الزمان ولا تزال تُعدَّدُ
من معشرٍ نسجت لهم ايدي الزما ن من المكارم حلَّةً تتجدَّدُ
يتسابقون الى النوال وأيُّهم شاهدتهُ ذاك السبوق الاجودُ
افعالهم صحَّت فليس يعيبها ابدًا بنقص واعتلال مفسدُ

وفاح لنا نشر المعاني كأنَّنا ... سرت من صبا نجدٍ بهِ نفحة النشرِ
فحلَّيتُ فيهِ جيد فكري لانني ... ارى العبد حلَّى عاطل الجيد بالدرِّ
وهمتُ بمعنى جئت فيهِ ملخَّصاً ... لنا حسن ما ابديتَ من رقَّة الفكرِ
وقلت اذا الرحمنُ خصَّص عبدهُ ... بألطافهِ أجلى لهُ خافيَ السرِّ
صبوتُ لكم مذ شمتُ بارق فضلكم ... وما ملتُ قلباً نحو زيدٍ ولا عمرِو
وحسبك مجداً مع فخارٍ بما اكتنى ... ابوك بهِ من آية الفتح والنصرِ
وما نال من سرّ الامام وقدرهِ ... بنسبتهِ فيهِ وما فيهِ من برِّ
ومن أروت العزَّاء اصلَ فروعهِ ... فكم اثمرت تلك الفروع من الفخرِ
وكم نلتَ بالبربير اسمى فضيلة ... وفضلٍ وآدابٍ وكم حزتَ من قدرِ
امام ولم يبدُ الزمان مضارعاً ... لهُ لا ولا القى كاحمد في دهري
جنيت ثمار الفضل من دوح علمهِ ... فجاء بمنظوم الفرائد والنثرِ
واسكرني رشف الحميَّا بلفظهِ ... وحقّك حتى الدهر لم أَصحُ من سكري
فيا لك تلميذاً حوى الفضل والتقى ... بشيخٍ حوى التفضيل بالحمدِ والشكرِ

وقال ميخائيل معاتباً للسيد احمد وكان اعتذر بالمطر عن مواجهتهِ:

ما لي وللغيث ان سحَّت سحائبهُ ... يوماً وأحيا ربيع الارض بالديمِ
ولم اجد منك اوقات الوصال ولم ... افُزْ بدرِّ حديث منك منتظمِ
أَما علمتَ بوجدي فيك مع سقمي ... فهل ترى الصبر محموداً مع السقمِ
او ما كفى سيدي ما نلتُ في زمني ... من صرم ودٍّ ونقض العهد بالذممِ
فيا غياثي ويا سؤلي ويا املي ... ويا شفائي ويا ذخري ويا نعمي
أَعد عليَّ اللقا حتى اذا نظرت ... عيني اليك نجا جسمي من الالمِ
كانَّ وصلك رضواني نَعِمت بهِ ... والهجر لي مالكٌ افضى الى الضرمِ

فاجابهُ احمد البربير بهذه الابيات:

إِلَّم أَزُرك فلي في البعد معذرةٌ ... مَن يقرب البحر في الانواء والديمِ
وحقّ عقد ولاءٍ انهُ قسمٌ ... اذا حلفت بهِ من اعظم القسمِ
ان غبتَ عن ناظري لم تنأَ عن فكري ... او غبتَ عن يقظتي لم تنأَ في الحلُمِ
وان ذكرتكَ في انس تتابع او ... في عابسٍ من وجوه الدهر مُحتدمِ

الشام وخدم عبد الله باشا العظم فتقدَّم عندهُ وصار من اخصّ اصدقائهِ. امَّا اخوهُ جرمانوس فخدم سليمان باشا في صيداء ودخل معهُ عكاء الى ان فُصل عن خدمتهِ بسعي المعلم حاييم فارحي اليهودي الذي كان من ألدّ اعداء بيت البحري. وبقي المعلّم عبُّود في ديوان الكتابة عند عبد الله باشا وزادت لديهِ كرامتهُ فاعلى مرتبتهُ وجعلهُ دفتردارًا «ديوان افنديسي» واستخدم اخويهِ جرمانوس وحنَّا وكلَّ من وجد من عائلتهِ. وكانت سكنى بيت البحري في بيت قوتلي الحالي بقرب جامع صلاح الدين ومن اعمال عبُّود المشكورة انَّهُ سعى في تلك الاثناء مع اخيهِ حنَّا في بناء كنيسة دمشق لاهل ملَّتهِ فنال مرغوبهُ

وفي سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨) صارت ايالة الشام الى يوسف أغا الكنج الكرديّ فحفظ المعلّم عبود البحري في رتبتهِ واحبَّهُ حبًّا شديدًا. وبلغ بهِ حبُّهُ نحوهُ الى ان عرض عليهِ الاسلام فأَبى عبُّود ثمَّ خاف على دينهِ ففرَّ هاربًا من وجه الباشا. قال الامير حيدر: «والتجأ الى جبل الدروز مع اخوتهِ بجوار الامير بشير». وقال المعلم ابراهيم عورا في تاريخ سليمان باشا: «انهُ هرب الى زحلة واستقام هناك وحرَّر عَرْضًا الى الامير بشير وعرَّفهُ سبب هربهِ والتمس منهُ استجلاب عائلتهِ واخوتهِ». وختم معروضهُ بقولهِ:

وكنتُ أُطالبُ الدنيا بوقتٍ فكان الوقتُ وقتَك والسلامُ

فاجاب الامير الى سؤلهِ. امَّا يوسف باشا فلمَّا بلغهُ فرار المعلّم عبُّود تأَسَّف على ما فعل وارسل الى الامير بشير رُسُلًا يطلبون منهُ صاحب ديوانهِ ويطمّنون خاطر المعلِّم عبود ففوَّض الامير بشير الامر الى مَن التجأَ الى حمايتهِ. فأَبى عبُّود ولزم مكانهُ وعاد الرسل خائبين. ولمَّا اخذت امور يوسف باشا تتضعضع بسبب غياب صاحب ديوانهِ ارسل ثانيةً اليهِ وفدًا يتعهَّد لهُ بالامان التامّ ان رجع الى الشام. وكفل لهُ بذلك كاخية الباشا والامير حسن اغا فقام ورجع الى سيّدهِ فرحَّب بهِ الباشا والبسهُ فروًا فاخرًا وردَّهُ الى مقامهِ الاول هو واخوتهُ

هذا وانَّ المعلم عبود البحري بعد عودهِ الى خدمة يوسف باشا الكنج لم يدم في رتبتهِ زمنًا طويلًا بل انتقل الى مصر بعد سنةٍ وحظي عند امرائها وصار كاتبًا في ديوان الوزراء (١٢٢٤ — ١٨٠٩) ودليلنا على ذلك موشَّح صنَّفهُ الشاعر نيقولا الترك في هذه السَنة وارسلهُ الى بعض اصحابهِ في مصر كان من جملتهم عبود البحري والياس

يا ابن الكرام اذا ذُكِرتْ صفاتكم ضاع الشذا من روضة تتأوَّدُ
مولاي دونك بنت بحرٍ كامل بكرًا تشنّف سمعنا اذ تُنشدُ
وافت لتمهرها قبولك انما منك القبول اجلّ مهرٍ ينقدُ
لا زلت تسمو بالسعود وقدركم لا زال يخترق الغمام ويصعدُ
ما فاح مسكُ ختامها من مبتدٍ اضحى بمدح صفاتكم يتردّدُ

ولهُ تاريخ بميلاد خليل نجل الاغا الموما اليهِ سنة ١٢٠٥ ﻫ (١٧٩١ م)

بشراك بابنٍ بدا نجم السعود بهِ بديع حسنٍ زها بالحسن والفطره
باسم الخليل دعي كيما يكون لهُ حرزًا يقيهِ من الاسواء والعثره
طفلٌ حكى البدر اشراقًا وطرف ظبي الست تنظر منهُ الجفن والفَتْره
كانهُ في محيا العزّ شامتُهُ او منزل السعد مذ ارَّختهُ غرَّه

٤

هذا ما امكننا جمعهُ من اخبار ميخائيل البحري وشعرهِ المطبوع فعسى ان يسعد الحظّ احد ابناء طائفتهِ الملكيَّة او أُسرتهِ الفاضلة على ان يكتشف بقيَّة ديوانهِ المفقود ويزيدنا علمًا من اخبارهِ السارَّة

وكان لميخائيل ثلاثة اولاد عبُّود وجرمانوس وحنَّا وكلهم اشتهروا بعد ابيهم لكنَّهُ لم يبلغ احد منهم ما بلغهُ عبود. قال الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ عنهُ: «كان عبُّود من الكتبَة العظام ذا فطنةٍ وفهمٍ تامّ وقد خدم الوزراء في ايامهِ. وارتقى الى أَعلى رتبةٍ من مقامهِ. وكان ذا خطّ مليح (١. وبيان فصيح. حتى فاق مَن تقدّمهُ من كتَّاب الدواوين في الحساب والانشاء وكان يكتب في لغات كثيرة باحسن نصّ واقرب عبارة وقد فاق اباهُ بجميع الصفات. الّا انَّ اباهُ كان اجود قريحة في فنّ الشعر والنظم »

وخدم المعلّم عبُّود اوَّلًا ابرهيم باشا اوزون قطر اغاسي حلب لمَّا حضر الى الشام وتولى ايالة صيداء بمدَّة حصار عكَّا. واخذهُ ابراهيم باشا بصحبتهِ الى الاوردي وبقي عندهُ الى ان رجع الى حلب وخلفهُ سليمان باشا في ايالة صيداء. فرحل المعلم عبُّود الى

١) وممَّا افادنا سيادة الحبر المفضال المطران ملاتيوس فكَّاك انَّ المعلم عبود اكتسب شهرة عظيمة بالخط حتَّى ضُرب المثل بخطّهِ فقيل: خطّ عبّوديّ. وقرأنا في تاريخ سليمان باشا للمعلّم ابراهيم عورا ان احد علماء الاستانة حضر دمشق وطلب المعلم عبُّود البحري فلمّا عرفهُ وتثبَّت خطَّهُ قال لهُ: احتفظ على خطّك فان ادباء الاستانة يتقلّدون كتابتك

العجلات المتحركة او الاوتوموبيل

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

الاوتوموبيل لفظة حديثة اعجميَّة يُراد بها العجلات التي لا تحرّكها قوّة خارجة عنها كالخيل مثلًا بل يدفعها جهاز داخلي من البخار او غيرهِ وهي تسير في الطرق العموميَّة لا تحتاج لسيرها الى اسلاك الحديد

ما كاد المحدثون يقفون على سرّ البخار وعجيب قوّتهِ حتى فكَّر ارباب الصنائع في إبدال عمل الانسان واشغال الحيوان الشاقّة بالقوى التي اودعها الله في الكائنات واكتشفها علماء الطبيعيَّات والكيميا. وكان من جملة اختباراتهم ان اتّخذوا المركبات المتحرّكة لنقل الاثقال وقد رأينا بالعيان منذ نحو ثلاثين سنة بعضاً من هذه العجلات جارية في الشوارع وهي تجرّ وراءها غيرها من المركبات المحمّلة. لكنَّ هذه الآلات لحدوث نشأتها كانت وقتئذٍ ضخمة بطيئة السير تخدُّ الارض وتفسد الطرق حيثما جرت

امَّا اليوم فقد بالغ مجهّزو هذه العجلات في تحسينها بل عُقدت لذلك الجمعيَّات وأُنشئت الشركات وجرت السباقات واقيمت المعارض وخُطَّت الصحائف وتعدَّدت الآلات والموادّ المولّدة للحركة. ولاستيفاء الموضوع ها نحن نقسم كلامنا في العجلات المتحركة الى قسمين نبحث في الاول عن المحرّك وفي الثاني عن العجلة المتحرّكة

١ محرّك الاوتوموبيل

لا بدَّ لكلّ متحرك من مُحرّكٍ يدفعهُ. ويُقتضى في الاوتوموبيل ان تكون الحركة المتولّدة فيهِ نظاميَّة في ذهابها وايابها بحيث يمكن إبدالها بحركة استداريَّة لدفع دواليب العجلة. والحركة النظاميَّة المذكورة يُمكن الحصول عليها بتخلخل البخار او احد الغازات المائعة او بالاهتزازات الكهربائيَّة جذبًا ودفعًا. وينبغي علاوةً على ذلك ان يكون الجهاز المولد للحركة خفيفًا لطيفًا سهل التدبير تخلو مزاولتهُ من الخطر

١ً تحريك الاوتوموبيل بالبخار . من خواصّ بخار الماء انَّهُ يولّد حركة متساوية وانَّهُ خلوٌ من كل خطر . وهو مع ذلك شديد القوَّة كما تشهد عليهِ الادوات البخاريَّة المستعملة في سكك الحديد والسُّفن الكبرى. لكنَّ الجهاز البخاري كثير اللبكة لا بُدَّ لهُ من فحم وماء وعامل لتدبيرهِ. ولذلك لا يحبّ اصحاب العجلات

صبّاغ الطبيب وميخائيل كحيل الطبيب. وفي هذا الموشّح يقول في مدح عبُّود:

كم تباهت دررُ البحري على كلّ ذي نظمٍ بديعٍ وثنا
وشدت من فوق اعلى الصُّحْف لا يُنبتُ الدرَّ السني الّا البحارْ
زُمَرُ الكتّاب طرًّا والملا من أُولي الالباب توليهِ الوقارْ
كم تراهُ جاذبًا ان رقما معدن الارواح مثل المغنطيسْ
بل وكم يسبي عقولًا حينما يُظهرُ الآيات من فوق الطروسْ

واستمرَّ في منصبهِ هذا زمنًا طويلًا فخدم محمَّدًا عليًا وابنهُ ابراهيم باشا وصحب ابراهيم في حربهِ الشاميَّة (سنة ١٨٣٢—١٨٤٠) ورجع معهُ الى مصر وفيها توفي نحو سنة ١٨٤٥ م

وقد شاد المعلم عبود البحريّ لذرّيَّتهِ ذكرًا مخلَّدًا حتى اضحى بيت البحري موردًا للَّهيف ومقصدًا لكلّ عانٍ وضعيف. واليهِ التجأ سنة ١٨٤٠ نصر الله الطرابلسي الشاعر الحلبي الذي سنفرد لهُ ان شاء الله مقالةً خصوصيَّة. وقد نال عبود قبل وفاتهِ لقب بك هو واخوهُ حنَّا. ولهُ انشاءات حسنة تدلُّ على براعتهِ وتفنُّنهِ في الكتابة. لدينا منها بعض رسائل كتبها باسم سليمان باشا. ولولا ضيق المكان لاثبتنا منها شيئًا

امَّا حنَّا بك البحري فدونك ما أَفادناهُ عنهُ سيادة المطران الجليل ملاتيوس فكَّاك قال جزاهُ الله خيرًا: « ولد حنَّا في حمص واقام في مصر وجاء الشام مع ابرهيم باشا وعاد معهُ الى الديار المصريَّة. وكان متوسّط القامة ذا عمامة بيضاء ولم يكن بين النصارى من يتعمَّم بهذه العمامة غيرهُ وكان لهُ وجاهة عند حكَّام مصر. وقد اظهر غيرة عظيمة لخير طائفتهِ لهُ في ذلك الايادي البيض فانهُ بواسطتهِ وبسعيهِ حصلت الطائفة على قطعة ارض من حارة القرائين لليهود في دمشق. وبعنايتهِ بُنيت الكنيسة الكاتدرائيَّة في المحلة المذكورة. وقد وهب للكنيسة بيتهُ الذي كان لهُ في حمص وهو اليوم انطوش الروم الكاثوليك فيها (١. وقد خلَّف في مصر اولادًا كثيرين اسماؤهم ميخائيل وسليم (والد احد الكهنة الافاضل في البلدة) وقسطنطين ونائلة وزبيدة ووردة وكتّوب وهي لا تزال في قيد الحياة. امَّا جرمانوس اخو عبُّود بك وحبيب بك فانهُ ولد حبيبًا البحريّ. وولد حبيب عبُّودًا (٢ » انتهى

١) راجع الصفحة ١٧٦ من تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين. وهو الذي ابتنى لطائفتهِ انطوشًا في طرابلس

٢) توفي عبود هذا السنة الماضية

مستصعب او غير متواصل فتختلف سرعة العجلات وربّما توقّفت في وسط الطرق ولا تعود الى سيرها دون ان يُكتشف الخلل فيُتدارك. ويكثر اهتزاز هذه العجلات فتزعج راكبها ما لم يُتقن صنعها. وهذه النقائص يجدُّ اصحاب الاوتوموبيل في اصلاحها. وعلى كل حال فانَّ سيرها حثيث تقطع في بعض الاحيان نحو خمسين كيلومترًا ليس في السكك المستقيمة فقط بل في الطرق المتصاعدة ايضًا

٥ً المحرّك الكهربائي . يختلف هذا المحرّك عن كل الآلات السابق وصفها. وتجهيزهُ مبنيّ على مبدإٍ شائع في الطبيعيَّات وهو «انّهُ في الآلات المولّدة للكهرباء بحركتها (dynamos) اذا دارت ملفَّات الاسلاك المندرجة (bobines de fil induit) في وسط ملفَّات أُخر تشملها (bobines de fil inducteur) نجم فيها مجرًى كهربائي بمجرد دورانها. وبعكس ذلك اذا جرى مجرًى كهربائيّ في اللفَّات الشاملة رأيت ملفَّات الاسلاك المندرجة تدور وتقوم بدورانها مقام المحرّك. وعلى هـذا النمط يجوز ان تجعل هذه الآلات كلها كمحركات كهربائيَّة. ولكن اذا اتُّخذت لهذه الغاية لا بُدَّ ان يُراعي فيها مصطنعها بعض الشروط وفقًا للمقصود. فمن ذلك ان يُجعل للخوذي مِقبض او مِفتاح يحرّكهُ بيدهِ فيجمع بين الملفَّات او يفصل بينها كما شاء ليزيد سرعة العجلة او يخفّفها. فممَّا تقدَّم يلوح انَّ جهـاز المحرك للاوتوموبيل الكهربائي يتركَّب من بطاريَّة ذات خوازن كهربائيَّة (accumulateurs) ومن آلة صغيرة من المحركات الكهربائيَّة الموصوفة آنفًا تجري فيها الحركة من محور ملفّها المندرج الى دواليب العجلات

وللمحرك الكهربائي الموصوف فضلٌ كبير على ما سواهُ فبهِ تلين حركة العجلات عند مباشرة السير ويسهل تنظيم سرعتها وضبط اعنَّتها ومنع جعجعتها وزد على ذلك انهُ لا يستنشق من هذه العجلات رائحة كريهة وانَّ سرعتها تبلغ فوق المئة كيلومتر في الساعة. على ان الادوات الخازنة للكهرباء وصحائفها الرصاصيَّة ثقيلة يبلغ وزنهـا ٤٠٠ كيلوغرام للعجلة الواحدة. واذا خلَت كهربائيَّتهـا لا بدَّ من آلة مولّدة للكهرباء لتعبيتها وتحريك الاوتوموبيل وهذا امرٌ شاقٌّ في بعض البلاد تندر فيها هذه الآلات الديناميَّة

هذا ما يختصُّ بالمحرك الكهربائي. والخوذي هو الذي يتولَّى تدبير المحرّك وذلك بمفاتيح (manettes) يبرمها فيدير حركة عجلته كما يشاء و يوقفها عند اللزوم بلا عناء

المتحرّكة استعمالهُ وانّما يقتصرون على اتخاذهِ في بعض الاحيان فقط

٢ً تحريك الاوتوموبيل بالهواء المضغوط · وذلك بان يُضغط الهواء في بعض المعامل ويُجعل في اوعية اسطوانيَّة الشكل يأخذها اصحاب العجلات · فاذا ارادوا تحريك مركبتهم أجروا الهواء المضغوط في قساطل تنتهي الى مدكّ يدفع العجلة غير انّ النتائج الاقتصاديّة الناجمة عن هذه الادوات لم تكن مرضيةً وزد على ذلك انها مالبكة تشغل مكانًا واسعًا · وفي هذه المدَّة الاخيرة عاد الاميركيون الى استعمالها

٣ً التحريك بالغازات المنفجرة · اخصُّ هذه الغازات الكُحول والاسيتيلين والپترول فاذا اخذت منها مزيجًا مناسبًا كبخار الپترول والهواء مثلًا ووضعتهُ في اسطوانة مفرغة ذات مدكّ انفجر المزيج انفجارًا خفيفًا ونتج من اتّقادهِ تخلخل يضغط المدكّ ويحركه. هذا وان الاختبارات لا تزال جاريةً لتحسين هذه المحرّكات الغازيَّة · واستعمال الاسيتيلين لا يخلو من الخطر امّا الكحول فهو غالي الثمن · ولعلَّ المستقبل يفضي الى نتائج راضية من هذا القبيل كما ترى في المحرّك التالي

٤ً التحريك بالپترول · للپترول مزايا حسنة تشفع في بعض خللهِ · ولذلك قد شاع الآن استعمالهُ في الاوتوموبيل · والمحرّك منهُ يتركَّب من جهاز صغير يُدعى وعاء الكربور (carburateur) يمتزج فيهِ الهواء بكميَّة من بخار الپترول وذلك بنظام معلوم يسهل ادراكهُ لانَّ الپترول اذا كان قليلًا غير وافٍ بالغاية لم يحصل الانفجار واذا زادت كميّتهُ تأخر انفجارهُ اتّسخت الاسطوانة وكثر الدخان · ثمَّ يُنفذ المزيج السابق ذكره في الاسطوانة مجتازًا بلَهاة او مصراع (soupape) ويوقد المزيج في الاسطوانة بشرارة كهربائيَّة او حديدة مُحماة فينفجر الغاز ويدفع المصراع فتتّقد شرارة ثانية وهلمَّ جرًّا · ولكن هذه الانفجارات المتوالية تُحمي الاسطوانة وتوسعها فلا بدَّ لتدارك هذا الخلل من دَهنها بالزيت وتبريدها بجارٍ من الهواء او الماء · وفي هذه الآلة كما في غيرها يتحرّك قضيب المدكّ ذهابًا وايابًا وتُبدل هذه الحركة بحركة مستديرة تُجاز الى دواليب العجلة

وادوات الپترول المحركة رشيقة خفيفة ومنها ما لا يتجاوز ثقلهُ ٢٥ كيلوغرامًا · وهي لا تحتاج الى كثير من الپترول · فانَّ بعضها لا تفني في الساعة ازيد من لترٍ واحد (اقلّ من ثمنية) · بيد انهُ يسمع لهذا الجهاز صوت كالتفتفة فدُعيت لذلك عجلاتهُ بالتُفتف (teuf-teuf) · ومن معايبهِ انَّ دخانهُ كريه الرائحة وايقادهُ في بعض الأحيان

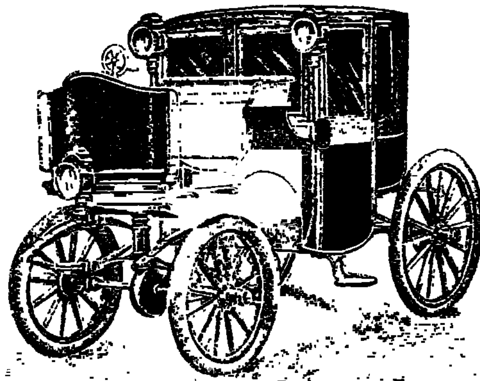
للمتنزّهات ومنها للمتاجرات ومنها حوافل(omnibus) تتخذها كلُّ عائلة لحسابها. وفي بدء السنة المنصرمة عمّ استعمالها فصار الحوذيون انفسهم ينقلون الركاب في باريس على عجلات الاوتوموبيل المجهَّزة بمحرّك كهربائي. وقد عُقدت في باريس شركة لذلك فبنى اصحابها مصنعاً كبيرًا لتوليد الكهرباء وتعبئة خوازن كهربائيَّة (accumulateurs) لمائتي عجلة. وللحوذيين قرب هذا المصنع مضمارٌ يتمرَّنون فيهِ على تسيير عجلاتهم قبل ان يباشروا مهنتهم في السكك العموميَّة ولا يُسمح لهم ان يتجاوزوا سرعة ١٦ كيلومترًا في الساعة. وفي الميدان المذكور وهاد ولَفتات وطلَعات ليعتاد الحوذيون غلب كلّ الموانع

٤ً عجلات الاحمال. تُتخَذ لها ايضًا محركاتٌ من الهواء المضغوط او الكهرباء فتجدي لاصحابها منافع ادوات البخار في السكك الحديدية بل ويجوز ان تُعدّ ادوات السكك الحديديَّة نفسها في جملة الاوتوموبيل

٥ً عجلات الاوتوموبيل الحربيَّة. قد اتُّخذت هذه العجلات اقتصادًا للخيل وهي تصحب العساكر وتنقل لهم اثقالهم ومؤنهم بسرعة تفوق سرعة الخيل

٦ً المراكب البحريَّة. ليست المراكب البحريَّة غير عجلات الاوتوموبيل مبنيَّة وفقًا لمبدإها بيد انها تمخُر البحار ويُسيّرها البخار في عباب المياه. وقد حاول البعض ان يتَّخذوا البترول بدلًا من الفحم ولعلّهم يفلحون في اختباراتهم. ويجوز ان يُلحَق باوتوموبيل البحر القوارب البخاريَّة والسُّفن الصغرى المتحركة بالبترول او الكهرباء

فممَّا تقدم يظهر لكل العيان ان فنّ الاوتوموبيل اتَّسع في ايَّامنا اتساعًا بليغًا. ولا نشك في ان اهل بلادنا السوريَّة يستعينون في اشغالهم الخاصَّة ولوازمهم العموميَّة بهذه الوسائل الجديدة التي تكرَّم بها الخالق نحو عبادهِ تسهيلًا لامورهم وتوفيرًا لاوقاتهم اذ يمكّن التجَّار مثلًا ان يقطعوا بساعتين على عجلة من الاوتوموبيل المسافة الفاصلة بيروت من دمشق فيسبقوا السكَّة الحديدية بخمس ساعات. وهذه لعمري فائدة كبرى تضاف الى فوائد اخرى لا حاجة الى تعدادها. على اننا لا ننكر ان ركوب الجياد المطهَّمة والسير في عجلات يجرُّها الاصيل من الخيل احسن وقعًا في الخواطر وابهى منظرًا من مركبة تجري بمحرّك باطن ولكن اليوم صار الفضل للسابق ولا سبق لمن لا يتَّخذ اسرع الوسائل واخفّها



٢ عجلات الاوتوموبيل

كلُّ العجلات على اختلاف صورها وهيئاتها سواء كانت بدولابين او اكثر تصلح لان تُجعل من الاوتوموبيل. وذلك بوضع جهاز من المحركات الموصوفة سابقًا لتنظيم كلّ ضروب المركبات

١ً الدراجات ذات الدولابين. قد اتخذوا لها البترول محركًا. فاذا اراد الراكب ان يستريح حتى في الاماكن المنحنية ضغط مدكًا يُجعل تحت مقعدهِ فتنتظم بذلك حركة الدرَّاجة او تتوقّف على حسب مرادهِ على انَّ الحاذقين من ركَّاب الدرَّاجات يأبون استعمال هذا المحرّك ويزعمون انَّهُ يزيد ثقل الدرَّاجة دون طائل كبير. امَّا غيرهم فيثنون على استعمالهِ وسرعة الدراجة المجهَّزة بهِ وهوادة سعرهِ الذي لا يبلغ الف فرنك

٢ً الدرَّاجة المثلَّثة الدواليب. لهـذه الدراجات مقعد او مقعدان وتجهيزها بمحرّك البترول شائع لهُ فوائد ظاهرة. وربَّما أُلحقت هذه الدرَّاجات بعجلة صغيرة ذات دولابين يجلس فيها الراكب اذا اراد فيسوق كحوذيّ مركبتهُ بيد انَّ روائح البترول تجعل هذا المقعد مزعجًا. فلتلافي هذا الخلَل قد جعلوا هذه العجلة نفسها من الاوتوموبيل. وهي عبارة عن مركبة صغرى رشيقة البناء جميلة المنظر يُجعل لها دولابان الى اربعـة دواليب وسعرها من الفَين الى ثلاثة آلاف فرنك يحسُن التنزُّه بها

٣ً عجلات السير. هذه العجلات عديدة الاشكال ولها اسماء شتى فمنهـا

وجيزة اجريناها مجرى الامثال. وفصولًا قصيرة لاجل الفضل والكمال. وقصدنا فيما ألّفناهُ وجه الاختصار. وكُنه الاقتصار. ليقلّ لفظهُ. ويسهل حفظهُ. واستعنّا بالله في ما صنّفناهُ وهو حسبنا ونعم الوكيل. وهذا ثبت الابواب. التي يشتمل عليها الكتاب. وهي ثمانية: (الباب الاوّل) في ما يستعان بهِ على العقل والعلم. (الباب الثاني) في ما يُستعان بهِ على الزهد والعبادة. (الباب الثالث) في ما يُستعان بهِ على ادب اللسان. (الباب الرابع) في الاستعانة على ادب النفس. (الباب الخامس) في الاستعانة على مكارم الاخلاق. (البـاب السادس) في الاستعانة على حسن السيرة. (الباب السابع) في الاستعانة على حسن السياسة. (الباب الثامن) في الاستعانة على حسن البلاغة

☆ الباب الاول في ما يُستعان بهِ على العقل والعلم ☆

العلم احسن حِلْيَة. والعقل افضل قِنية: العلم أَفضل خلَف. والعملُ بهِ اكمل شرفٌ: لا سمير كالعلم. ولا ظهير كالحلم: لا سيف كالحقّ. ولا عون كالصدق: عالم معاند. خير من جاهل مساعد: اذا قلّت العقول. كثرت الفضول: لا سائس مثل العقـل. ولا حارس مثل الفضل. ولا حافظ مثل العدل: الجاهل يطلب المال. والعاقل يطلب الكمال: نظر العاقل بقلبهِ وخاطرهِ. ونظر الجاهل بعينهِ وناظرهِ: العلم كنزٌ عظيم لا يفنى. والعقل ثوبٌ جديد لا يبلى: كلُّ خير يُنال بالطلب. ويُزاد بالادب: كم من عزيز اذلّهُ جهلهُ. وكم من ذليل اعزّهُ عقلهُ. العلم بغير عمل ضلال. والعمل بغير علم وبال: الادب مال. واستعمالهُ كمال: عداوة العاقل. خير من صداقة الجاهل: منع الكريم. افضل من بذل اللئيم: بالحلم يُقطع كلُّ شرّ: وبالعلم يُصلح كلُّ امر: العاقل من عقلهُ في إرشاد. ورأيهُ في إِنداد. فقولهُ شديد. وفعلهُ حميد: والجاهل مَن جهلهُ في اغواء. ومن هواهُ في اغراء. فقولهُ سقيم. وفعلهُ ذميم (٥٨٧)

☆ الباب الثاني في الاستعانة على الزهد والعبادة ☆

مَن قنع بالرزق. استغنى عن الخلق: ومَن رضي بالمقدور. قنع بالميسور: من رضي بالقضاء. صبر على البلاء: مَن عمّر دنياهُ ضيّع مالهُ. ومَن عمّر آخرتهُ بلغ آمالـهُ: مَن حاسب نفسهُ سلم. ومَن حفظ دينـهُ غنم: الصبر يُعزُّ الفقير. والطمع يذلُّ الامير: مَن اتّقى الله وقاهُ. ومن اعتصم بهِ نجّاهُ: القناعة عزّ المُعسر. والصدقة كنز الموسر: مَن صبر نال المُنى. ومن شكر حصّن النُّعمى. قوّة اليقين. من صحة الدين: الرّضا بالكفاف.

كتاب مكارم الاخلاق

لابي منصور الثعالبيّ برّد الله مضجعهُ
تولّى نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

انَّ بين كتب مكتبتنا الشرقية مجموعاً نفيساً يرتقي عهدهُ الى القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للمسيح وهو يشتمل على ثماني عشرة رسالة منها فلسفية لابن سيناء والفارابي وابن الايلاقي ومنها مذهبية لابن العربيّ او ادبية للامام عليّ وللثعالبي فاخترنا من هذا المجموع رسالة قصيرة لم تُنشر بعد بالطبع وهي لابي منصور عبد الملك بن اسمعيل الثعالبي النيسابوري صاحب فقه اللغة المشهور (١ المتوفَّى سنة ٤٢٩ ﻫ (١٠٣٧ م)

والرسالة المذكورة تدعى: «مكارم الاخلاق» لم نجد لها ذكرًا في كتاب كشف الظنون للحاج خليفة ولا في احد فهارس المكاتب الاوربية. فزادنا ذلك رغبةً في نشرها لئلَّا تأخذها يد الضياع. وهي عبارة عن ثمانية أبواب قصيرة اودعها صاحبها حكماً بليغة مسجَّعة في حسن سياسة النفس فنزفُّها الى قرَّائنا في بدء هذه السنة كريمةً يجتلون معانيها ويستمرئون مجانيها

بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين

امَّا بعد فان احقَّ كلامٍ نطق بهِ لسان. وأعرب بهِ بيان. وانطوى عليهِ كتاب. وانتهى اليهِ خطاب. ما زاد قوَّة البصيرة. وعاد بصحَّة السريرة. فطرَّق طرائقَ العدل. وبيَّن حقائق الفضل. فصار تذكرةً للاخيار. ومزجرةً للاشرار. وإماماً للعمَّال. وقواماً لاكثر الاعمال. ترجع اليهِ السياسة. وتُبنى عليهِ الرئاسة. وتنتظم بهِ الاسباب. وتجتمع بهِ الآداب. فان الادب ادبان ادب شريعة وأدب سياسة فأدب الشريعة ما أدَّى الى قضاء الفرض. وأدبُ السياسة ما اعان على عمارة الارض. وكلاهما يرجعان الى العدل الذي بهِ سلامة السلطان. وعمارة البلدان. وصلاح الرعيَّة. وكمال المزيَّة. لان من ترك الفرض ظلم نفسهُ ومن ظلم نفسهُ كان لغيرهِ اظلم ومن خرب الارض ظلم غيرهُ. قال الحكيم: بالعدل ثبات الاشياء وبالجور زوالها. وقال ايضاً: من ظلم نفسهُ كان لغيرهِ أظلم. ومن هدم دينهُ كان لمجدهِ اهدم. وقال ابن المقفَّع: خير الادب ما حصل لك نفعهُ. وظهر عليك اثرهُ. وقد جمعنا في كتابنا (58r *) هذا الفاظاً

١) راجع ترجمتهُ في صدر فقه اللغة المطبوع في مطبعتنا (ص ٥)   * صفحة كتابنا المخطوط

اصطناع الارذال (الأَراذل) : ما عزّ من ذلّ جيرانهُ . وما سعد من شقي اخوانهُ : من أعزّ فلسهُ . اذلّ نفسهُ : من ادام الشكر . استدام البرّ : اجلُّ النوال . ما حصل قبل السؤال : احسن المقال . ما صدّق حسن الفعال : من منع العطاء . مُنع الشفــاء : اخلاص التوبة تُسقط العقوبة . واحسان النيَّة توجب المثوبة : مَن منَّ بمعروفهِ سقط شكرهُ . ومن أُعجب بفعلهِ . حبط اجرهُ . من بخل على نفسهِ بخيرهِ . لم يَجُدْ بهِ على غيرهِ

☆ الباب السادس في الاستعانة على حسن السيرة ☆

بالراعي تُصلح الرعيَّــة . وبالعدل تملك البريَّة : مَن عدل في سلطانهِ . استغنى عن اخوانهِ . أَقرب الاشياء صرعة الظلوم . وانفذ السهام دعوة المظلوم : من ساءت سيرتهُ لم يأمن ابدًا . ومن حسنت طريقتهُ لم يخف ابدًا : من انتقم اجتلب البلاء : ومن احتسب اكتسب الثناء : من احسن فبنفسهِ بدا . ومَن اساء فعلى نفسهِ جفا : مَن طال تعدّيهِ . كثر اعاديهِ : مَن حفر حَفْرًا لاخيهِ . كان حتفهُ فيهِ : مَن جار حكمهُ . اهلكهُ ظلمهُ : من خادع الله خُدع . ومَن صارع الحقّ صُرع : مَن احبَّ نفسهُ فليحبَّ الانام . ومن رحم وِلْدتهُ فليرحم الايتام (59[٧])

☆ الباب السابع في الاستعانة على حسن السياسة ☆

آفة الرعيَّة مفارقة الطاعة . وآفة الزعماء ضعف السياسة . وآفة العلماء حبُّ الرئاسة وآفة القضاة شدَّة الطمع . وآفة العدول قلَّة الورع . وآفة العدل مَيْل الولاة . وآفة المذنب سوء الظنّ : من سالم النــاس سلم . ومن قدَّم الخير غنم : من لزم الرقاد . مُنع المراد : من دام كسلهُ . خاب املهُ : من فعل ما شاء . لَقي ما ساء . من استعــان بذوي العقول . فاز بنيل المراد : من استشار ذوي الالباب . سلك سبيل الصواب

☆ الباب الثامن في الاستعانة على حسن البلاغة ☆

من وثق بالله اغناهُ وتمَّت معرفتهُ . ومن توكل على الله كفاهُ وبهِ قلَّت مخافتــهُ : الصدق رأس الدين . والزهد اساس اليقين . والتقوى خير زاد . والدين اقوى عماد : الطاعة اوفى حِرْز . والقناعة ابقى عزّ : اذا حلَّت المقادير . ضلَّت التدابير : الكلام المهذَّب . كالحسام المذرَّب : الجوع . خيرٌ من الخنوع : ذكر السلطان نار . وذمُّ الاخوان عــار : اذا ملك الاراذل . هلك الافاضل . اذا تغافل اهل التفضُّل . هلك اهــل التجمُّل : من عجز عن الاحسان . ثقُل على الاخوان — تمَّ مكارم الاخلاق والحمد لله والصلاة على رسولهِ محمَّد وآلهِ وحسبنا الله ونعم المعين

يؤدّي الى العفاف: من عاد الى ذنبهِ . اجترأ على ربّهِ: درهمٌ ينفع . خير من دينار يُضيع: مَن سرَّهُ الفساد . ساءهُ المعاد: السعيد من اعتبر بامسهِ . واستظهر لنفسهِ . والشقي مَن جمع لغيرهِ وبخل على نفسهِ: الهوى مطيّة الفتنة . والدنيا دارُ المحنة . فاعرض عن الهوى تسلم . واعرض عن الدنيا تغنم

☆ الباب الثالث في الاستعانة على ادب اللسان ☆

إلزم الصمت تُعَد في نفسك فاضلًا . وفي جهلك عاقلًا . وفي قدرتك حكيمًا . وفي عجزك حليمًا: واياك وفضول الكلام فانّهُ يُظهر من عيوبك ما بطن . ويُحرّك من عدوّك ما سكن: كلام المرء بيان فضلهِ . وترجمان عقلهِ . فاقصر منهُ على الجميل . واقتصر منهُ على القليل: اياك وما يُسخط سلطانك . ويوحش اخوانك . فمن اسخط سلطانهُ تعرّض للمنيّة . ومن اوحش اخوانهُ تعدّى بالحرّيّة: ومن كفَّ عن عرض اخيهِ دامت سلامتهُ . وقلّت ندامتهُ: ومَن قال ما لا ينبغي . سمع ما لا يشتهي: لكلّ قول جواب . ولكلّ فعل ثواب او عقاب: رُبَّ حرفٍ . أدنى الى حتف: لا تأسف على ما لم يُقَل . ولا تُجب عمّا لا تُسأَل: صمتٌ يعقبك التدامة . خيرٌ من نطق يسلبك السلامة: اذا سكتَّ عن الجاهل فقد اوسعتهُ جوابًا . او اوجعتهُ عذابًا

☆ الباب الرابع في الاستعانة على ادب النفس ☆

لا تستخفَّ بشريف . ولا تميلنَّ الى سخيف . فمن استخفَّ بشريفٍ دلَّ على لؤم اصلهِ . ومن مال الى سخيف ابان عن ضعف عقلهِ . كلُّ امرئٍ يهرب عن ضدّهِ (59r) . ويرغب في مثلهِ . ينزع الى ارومتهِ . ويعمل على شاكلتهِ: لا تستبدّ على(؟) تدبيرك . ولا تستخفّ باميرك: فمن استبدّ بتدبيرهِ ضلَّ . ومن استخفَّ باميرهِ ذلَّ: اعصِ نفسك في طاعة سلطانك واجعل لدينك من دنياك نصيبًا . وكن من نفسك على نفسك رقيبًا: واذا جالستَ سادةً فالزم الصمت . واخفض الصوت . واستعمل الوقار . واحفظ الاسرار: ولا تحملنَّك مباسطتهم لك ومخاطبتهم اياك على ازالة الحشمة . واضاعة الحرمة . فانَّ زوال الحشمة يورث الغضب والإنكار . واضاعة الحرمة توجب الغضب او النفار

☆ الباب الخامس في الاستعانة على مكارم الاخلاق ☆

خير الامور ما استرقّ حرًّا . وخير الاموال ما استحقَّ شكرًا . من انبسطت يدهُ بالإنعام . صارت نعمتهُ على الدوام: رأس الفضائل . اصطناع الافاضل . ورأس الرذائل .

ولم تبطل دولتهم الّا في اواخر ذلك القرن . فيكون اذًا ابو الحسين من بقايا هذه الدولة في جبل لبنان . وان صحَّ استنتاجنا هذا فهو شاهد مفيدٌ على ما طرأ على قوم لبنان الجنوبي من اختلاط الدماء في ممرّ الدهور

امَّا الغلط الواقع في السطر الثامن « ابو » عِوَض « ابي » فمن يد الناقش ومثل هذه الاغلاط ليست بنادرة في الكتابات العربيَّة فضلًا عن الكتب الخطيَّة (١

ولهذه الكتابة اهميَّة معتبرة في ضبط تاريخ الخطّ العربي فانها لحسن الحظ مؤرخة لا شك في زمن نقشها . واليك ايضاح الامر على غاية ما نجد الى الاختصار سبيلًا فنقول: ان العلامة ڤان بركم جامع الكتابات العربيَّة المشهور لم يعثر حتى سنة ١٨٩٧ على كتابة بخطّ كوفي مذيَّل(٢ ككتابتنا هذه يرتقي عهدها الى ما فوق اوائل القرن الرابع للهجرة . ومن ثمَّ اثبت في عدَّة مواضع من تآليفه انّ الكوفيَّ المذيَّل لم يظهر في بلاد

صورة الكتابة الاولى

١) مثال ذلك : « ابي » عِوَضًا عن « ابو » وهو كثير الورود (راجع مجموع الكتابات العربيَّة للعلّامة ڤان بركم CIA (Corpus Inscriptionum Arabicarum) n^os 13,100,45. وفي تأليف المركيز دي ڤوكويه Syrie Centrale, pl. XVIII : « اللهمَّ اغفر لحمَّد بن الوليد وادخلهُ برحمتك في عبادك « الصالحون » . وايضًا « لم يخشا » عِوَضًا عن « لم يخشَ » (في كتابتنا الثانية) و « النجى واَعلَا » والصواب « النجا واَعلى » (CIA, n^os 41, 32) وكذلك « في سنة تسعة » (N° 41) و « في سنة احد » (n° 92) الخ

٢) قد قسم العلّامة المذكور الخطوط العربيَّة الواردة في الكتابات (لا في الصحف) الى اقسام شتَّى فسمَّى اولها Coufique simple اي الكوفي البسيط الذي لا زينة لهُ . والثاني C. fleuri (carmatique) اي الكوفي المزهر ونحن نسمّيهِ « المُذَيَّل » . والثالث C. décoratif اي المزيّن ونحن نسمّيهِ « المزدان » . والرابع النسخي وهو يتفرَّع الى نسخي ايوبي ومملوكي وعثماني الخ (راجع CIA, p. 8)

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزفال اليسوعي

وردت الينا من جهات مختلفة بعض كتابات شرقية معظمها عربيَّة فبادرنا الى نشر قسم منها في هذه المجالة نتحف بها قراءنا الافاضل فلعلّهم يدركون منها فوائد تاريخيَّة وادبيَّة فضلًا عمَّا يجدونهُ من ارتياض الذهن وتفكّه الخاطر ولا بدَّ لنا قبل المباشرة من قضاء فروض الشكران الجميل لحضرات مرسليها فان لتلك الآثار بعض اهميَّة كما سترى وفي نشرها خدمة للوطن والعلم

الكتابة الاولى (راجع الصورة ١)

هي اقدم الكتابات التي نريد نشرها في هذه المقالة . وقد اتتنا منذ بضعة ايام من قِبل حضرة سليم افندي الطحيني وكيل سراية بيت الدين من اهالي دير القمر . ورسمها مأخوذ (١ عن حجر ضريح (طولهُ نحو ٩٦ سنتيمترًا في عرض ٤١ س) وهو موجود الآن في دار مركز متصرفيَّة لبنان الجليلة . فالظاهر ان الحجر نُقل الى بيت الدين من جوار البلدة . ومع ذلك لم يقدر احد ان يدلّنا على مكانها الاصلي (٢ . ومضمون الكتابة كما يلي جعلنا فيها ارقامًا للدلالة على ترتيب الاسطر الاصليَّة :

١ً بسم الله الرحمن ٢ً الرحيم قل هو ٣ً الله احد الله ٤ً الصمد لم يلد ٥ً ولم يولد ولم ٦ً يكن لهُ كفوءًا ا ٧ً حدٌ (٣ هذا قبر ٨ً ابو (كذا) الحسين بن با ٩ً سماك (؟) رحمهُ ١٠ً الله توفي سنة ١١ً ثلثمائة

فترى ان لا صعوبة في قراءة هذه الكتابة اللهمَّ الَّا في آخر السطر الثامن وافتتاح السطر التاسع حيث ورد اسم ابي المتوفى . فلذا لم نتجاسر على وضع نقط احرفهِ (٤ . بيد ان المرجح ان هذا الاسم غير عربي بل تركي فتكون صورتهُ مثل باشماك او باشماد او باسماك او ما يشبه ذلك (٥ ولا غرو فان بني طولون وهم اتراك الاصل قد احتلوا الشام في مطاوي القرن الثالث للهجرة

---

١) اعلم ان هذا الرسم وان لم يكن من النوع الذي يقال لهُ في لسان الفرنج (estampage) (اي طَبْع او خَتْم وسيأتي الكلام على ذلك) بل كان مأخوذًا رأسًا عن الحجر بعد تسويدهِ بالحبر فهو مع ذلك جيّد مُتْقن . فنهنئ جناب المرسل بما بذل من الاعتناء في اخذه

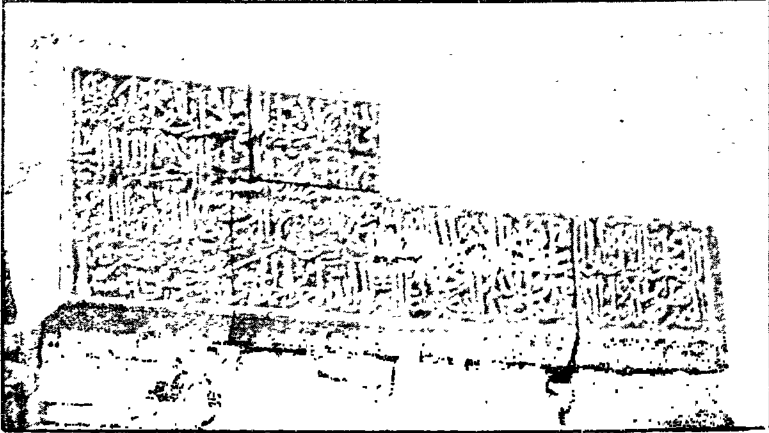
٢) وهذا ممَّا يؤسف له وان كانت الكتابة كاملة الاحرف وواضحة المعنى . ففي المستقبل نرجو من مراسلينا الكرام ألَّا يألوا جهدًا في معرفة كل ما يؤول الى تعيين خواصّ الكتابات التي يتكرّمون بارسالها الينا

٣) سورة الاخلاص بتمامها

٤) وهذا يكون دأبنا فيما بعد كلما عثرنا على لفظةٍ لم يسعدنا الحظ على استخراج معناها

٥) قابل صورة اسماء بايكباك . بابندر . بايزيد . باشباي . بشتاك وغيرها

هذه الكتابة اصلًا على ثمانية حجار فُقد منهـا حجران. بيد ان مضمونهما سهل القرآءة(١ ودونك النصّ الكامل:



صورة الكتابة الثانية عن رسم شمسيّ

١ً [بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن با] لله واليوم الآخر واقام الصـلاة واتى الزكاة ولم يخشـا (كذا) ٢ً [الَّا الله فعسى اولائك ان يكونوا من المهتـدين (٢ امر بعمارة هذا الجا] مع المبارك مولانا السلطان الاعظم الملك العـادل ٣ً ل الغازي المجاهد المرابط سلطان الاسلام والمسلمين قامع الخوارج والمتمرّدين صاحب القبلتين خادم الحرمين ٤ً الشريفين زين الدنيا والدين كتبغا بن عبد الله المنصوري في نظر الفقـير الى الله احمد بن الحمد الحنفي في شهور سنة خمس وتسعين وستمائة

ملاحظات: (سطر ١ و ٢). ما تراهُ بين معكّفين غير وارد في الكتابة لذهاب حجرين الَّا ان وجوده قبـلًا حقيقة لا شكّ فيها (٣. وهنـا ايضاً غلط وهو « ولم يخشا » وقد مرّت الاشارة اليهِ. وانما فضّلنا لفظة « عمارة » على لفظتَيْ « انشاء » و « تجديد » لان السلطان كتبغا لم

---

١) ممّا يزيد هذا الاثر اهمّيّةً ان الكتابات التاريخية على المحاريب عزيزة الوجود فان العلّامة ڤان بركم لم يعثر الَّا على واحدة منها في القاهرة (CIA, n° 12). واعلم ان موسيو دوسو (Dussaud) قد اخذ هو ايضاً كتابتنـا هذه (طالع Triparadisos, extr., 1898, p. 8) فارسل رسمها الشمسي الى العلّامة المذكور. الَّا انهُ لم ينشرها بعدُ على ما نظنّ. وعلى كل حال ففي اشهار الكتابات من جهتين مختلفتين فائدة بيّنة لاتقان قراءتها

٢) سورة التوبة : ٩

٣) راجع CIA, n° 10, 11. واعلم انّنا تبعاً لعادة المستشرقين في مثـل هذه الظروف قد استعملنـا هذه العلامة [ ] كلّما استنتجنا قراءةً ما استنتاجاً اكيداً رغماً عن سقوطها من

مصر والشام وغيرها الّا في ممرّ القرن الرابع(١٠ على ان كتابتنا تضطرنا اليوم الى القول بان الكوفيّ المذيَّل الشامي يرتقي زمن اختراعهِ حتى الى منتصف القرن الثالث للهجرة لما في هذه الكتابة الجليلة من حسن الخطّ واتقان النقش. وهذا كما لا يخفى يدلُّ صريحًا على طول مزاولة ارباب الصناعة للخط الذي نحن بصددهِ

وعلاوةً على ذلك قد ارتأى ايضًا العلامة نفسهُ (٢ ان الكوفي المذيَّل دخل مصر من جهة الغرب اي من بلاد تونس التي منها خرج الفاطميون. ولكن أفيجوز اليوم مثل هذا القول دون زيادة ولا تفسير بعد اكتشاف كتابتنا في لبنان ؟ وما ادراك ما على قمم هذا الجبل او في بقاع سوريَة من الآثار المخفيَّة المدفونة التي لا بُدَّ للعالِم من معرفتها قبل الاتيان بمثل هذه الاستنتاجات العامَّة ؟ وما يزيدنا ثقــةً في انَّ موسيو ڤان بركم يغيّر رأيهُ بعض التغيير ما نعرفهُ يقينًا من دخول الخطّ النسخي الايوبي في بلادِ مصر. فان هذا الخط قد ظهر في سوريَّة قبل ان يمتدّ الى الاصقاع المصريَّة في القرن السادس للهجرة (٣ فتأمل

الكتابة الثانية (راجع الصورة ٢ وهي رسم شمسيّ)

قد اهداها الينا حضرة الاب لامنس اليسوعي بعد سفرهِ الى جهات حمص. ولهُ في قراءتها وتفسيرها بعض ملاحظات مفيدة ادرجناها في هذه النبذة. وحضرتهُ اخذ هذه الكتابة بالرسم الشمسي في قرية جوسية التي موقعهــا جنوبي شرقي حمص على ست ساعات منها ونحو نصف الساعة من ربَلة على شاطئ نهر العاصي. وسنرجع الى اخبار جوسية بعد تفسيرنا للكتابة. وفي هــذه القرية بقايا جامع قد طمسهُ الدهر اللهم الّا مأذنتهُ المربَّعة الشكل ومحرابهُ(٤. وفوق المحراب الكتابة وهي ذات اربعة اسطر بخط نسخي مملوكي جيد النقش حسن المنظر يبلغ كبر حروفهِ الناتئة نحو ١٠ سنتيمترات وكانت

١) طالع (J. A., 1891² p. 72-3) و CIA, pp. 8, 85,39,

٢) طالع النصوص المشار اليها آنفًا و J. A. 1891² p. 73

٣) راجع (Van Berchem : *Inscript. arab. de Syrie*, p. 450) ولسنا ندوّن هذه الاعتراضات وغيرها رغبةً في حطّ شأن ذلك العلَّامة الفائق الشهرة في كل مــا يختصّ بالكتابات العربيَّة بل لمجرَّد اظهار الحقيقة وتحريض مواطنينا على بذل المجهود وراء هذه الابحــاث العلميَّة التي لم تبلغ في بلادنا الدرجة التي ادركتها في الديار الاوربيَّة

٤) و بين البقايا بعض طنول دارسة تدلّ على ان الجامع قد بُني على كنيسة مهدومة

وغلاء الاسعار (١ وكثرة الوباء في الناس الخ ... وقال ابو الفداء في تاريخه (٢: ٣٥): «وفيها (اي سنة ٦٩٥) في شوال خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصريّة وسار الى الشام ووصل الى دمشق... ثمّ سار من دمشق الى جهة حمص وسار الى البرّيّة متصيّدًا ووصل الى حمص وقدم الى جوسية وهي قرية على درب بعلبك من حمص (٣ وكانت خرابًا فاشتراها و «عمرها» فوصل اليها ورآها ثمّ عاد الى دمشق الخ(٤».ولم يستمر كتبغا على سرير الملك زمنًا طويلًا بل « قام عليهِ نائبهُ الامير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء في يوم الاثنين ٢٨ محرّم سنة ٦٩٦ ففرّ الى دمشق واستولى لاجين على الامر فكانت مدّتهُ سنتين و ١٧ يومًا (٤ »

ولا حاجة بعد تدوين هذه الاخبار الى تنبيه افكار قرّائنا الافاضل على عظم اهمّيّة الكتابات القديمة في اثبات حقيقة نقل المؤرخين وممّا يزيد كتابة جوسية فائدةً

ابن يحيى (ص ١٧٤) يعلم القراء ان ابا الفداء اقدم عهدًا من المقريزي (راجع مجاني الادب ٥ ص ٢٩٤-٢٩٥) وانهُ معاصر كتبغا

١) راجع ايضًا خطط المقريزي ٢: ٢٦٦ عند كلامهِ على سبب ضياع كتب المدرسة الفاضلية في القاهرة

٢) راجع ايضًا تقويم البلدان لابي الفداء (طبعة رينو ص ٤٩) ومعجم البلدان لياقوت ٢: ١٥٤

٣) وجوسية هذه غير جوسية الخراب او القديمة التي ترى بقاياها جنوبي شرقي جوسية الجديدة. قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٤٥) دير باعنتل من جوسية على اقلّ من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلةٍ منها من طريق دمشق وهو (اي الدير) على يسار القاصد لدمشق وفيهِ عجائب منها آزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقرّ عليهِ القدم وصورة مريم في حائط منتصبة كلما ملت الى ناحية كانت عينها اليك». ولا شك ان موقع دير باعنتل يوافق موافقةً تامّةً موقع جوسية الخراب الحاليّة اذ يعاين فيها المسافر بقايا كنيسة او دير قديم. وكنّا قد الّفنا مقالة مطوّلة في هذا الموضوع اذ اشار الينا حضرة الاب لامنس الى نبذة مسيو دوسو المارّ ذكرها. والمؤلف قد سبقنا واثبت فيها ان مدينة Paradisos او Triparadisos المشهورة في تواريخ خلفاء الاسكندر انما هي جوسية الجديدة لا جوسية القديمة ولا ربله. (راجع Guy le Strange : *Palestine under the Moslems* ومع ذلك قال Palmer, PEFQ 1871, 113 و Furrer, ZDPV, 1885, 16 و Van Kasteren, S.J.:*La Frontière Septentrionale de la Terre promise*, 1895, 11-12

٤) عن المقريزي (خطط ٢: ٢٣٩). طالع تاريخ المماليك للمؤلف نفسه (Quatremère II, 239...) وفيهِ تفاصيل مطوّلة في ملك كتبغا وكذا في تاريخ ابي الفداء (٤: ٣٥-٥١) وقد اسهب المقال في اخبار كتبغا بعد خلعهِ ووصف الحروب التي سار اليها بصحبتهِ

عِلك وقتاً كافياً لبناء جامع كامل كما سيأتي . ومماً ينفي ايضاً معنى الانشاء ان كلمة « جامع » لا مرية في قراءتها في السطر الثاني والحال ان اسم الجامع لم يأتِ في القرن الذي عاش فيهِ كتبغا الَّا دلالةً على البنايات الكبرى بينما كانت لفظة « مسجد » مقصورة على الاشارة الى المصلّيات الصُّغرى(١ = (سطر ٢ و ٣) كل هذه الصفات السلطانية معروفة من عدَّة كتابات مملوكيَّة أُخرى . ومعنى « المجاهد والمرابط » مأخوذ من القرآن . والمراد « بالقبلتين » قبلتا مكَّة والقدس و « بالحرمين » حرما المدينة ومكَّة . ولا حاجة الى الاسهاب في تفسير هذه المعاني الواضحة لقرَّائنا الشرقيين (٢ . = (سطر ٤) لم يسعدنا الحظ بمعرفة اخبار احمد بن الحمد المذكور بعد السلطان . والمرجَّح عندنا انهُ لم يكن من عظماء الدولة بل من الامراء الصغار او قاضياً من القضاة او ناظر املاك جوسية الذي تولَّى عمارة الجامع(٣

وامَّا السلطان كتبغا فهو مشهور في تواريخ المماليك ولا بدَّ لنا من ايراد مختصر اخباره لبيان اهميَّة كتابتنا . قال المقريزي في الخطط (٢ : ٢٣٩) عند كلامهِ على السلطان الملك الناصر محمَّد بن قلاون (٤ : « اقيم هذا السلطان بعد اخيهِ وعمرهُ سبع سنين وقام الامير زين الدين كتبغا بتدبيرهِ ثمَّ خلعهُ بعد سنة تنقص ثلاثة ايَّام وقام من بعدهِ (السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا (٥ احد مماليك المنصور قلاون(٦ وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الاربعاء حادي عشر المحرم سنة اربع وتسعين [وستمائة] (٧ وتلقب بالملك العادل فكانت ايامهُ شرَّ ايام لما فيها من قصور مدّ النيل

١) طالع CIA, pp. 29, 172 و Inscript. Arab. Syr. p. 504 الكتابة التي بين ايدينا

٢) راجع CIA, n^os 82, 46 وفيهِ تجد ايضاً ان عبارة « الدنيا والدين » في الكتابات المملوكيَّة انما اقتُصر استعمالها على السلاطين الاعظمين

٣) لا نجهل ان قولنا هذا لا يوافق تماماً راي العلَّامة ڤان بركَم وقد اراد ان يبرهن انَّ بين عبارة « في نظر » و « على يَد او يَدَي » فرقاً معتبرًا في الاصطلاحات الديوانيَّة وان العبارة الاولى اعلى درجةٍ من الثانية . (راجع CIA, pp. 84, 134) . غير ان ما يصحّ قولهُ في اصطلاحات الدولة الايوبيَّة وغيرها ربَّما لم يصحّ تماماً في اصطلاحات دولة المماليك لا سيما في كتابات الشام . (قابل CIA n° 20, 53 وتأمَّل) . وعلى كلّ حال فمثل هذه الاستنتاجات لا تُقبل كقواعد مطَّردة ما دام مجهولًا القسم الاكبر من الكتابات الشاميَّة والعراقيَّة

٤) او قلاوون كما ورد مرارًا في الكتابات المصريَّة وفي تاريخ ابي الفداء (طبعة القسطنطينية)

٥) وفي كتابتنا « زين الدنيا والدين» وقد مرَّ بيانهُ . وفيها ايضاً ان كتبغا هو ابن عبد الله. لكن ذلك ليس بدليل قطعيّ على ان اسم ابيهِ كان عبد الله فان المماليك كثيرًا ما تسمَّوا بهذه التسمية لعدم معرفتهم بنسبهم (طالع CIA, p. 84) ٦) هو السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩ هـ ١٢٧٩ – ١٢٩٠ م) (طالع تاريخ ابي الفداء ٤ : ٥١) وبهِ تلقَّب كتبغا بالمنصوريّ ٧) راجع ايضاً ابا الفداء ٤ : ٣٢–٣٣ وتاريخ بيروت لصالح

ملاحظات: الحروف كما ترى ناتئة وكوفيّة مذيّلة او مزدانة لانها مزخرفة للغاية وفي خلال الاسطر نقوش غيرها تختلط بالاحرف حتى انهُ لولا رسم الطبع المذكور لما قدرنا على استخراج معاني الكتابة. — قراءة « حسين الخ » اكيدة الّا الكلمة التالية. ورأينا انها ايضاً اسم لا فعل. فانّهُ لمّا كانت هذه الكتابة ضريحيّة كالاولى نظن انها كانت تبتدئ بمثل هذه العبارة: « (البسملة... تُوفي . . . . حسين بن علي الخ . — وما السنة (اي ٤٧٧) فلا شك فيها لان صورة حروف السين في التاريخ كغيرها من سينات الكتابة فلا يجوز ان تقرأ سنة تسع وتسعين (١

وليس لهذه الكتابة من اهميّةٍ سوى تاريخها وتنميق نقشها (ستأتي البقية)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

القسم الثالث

في الكفّارة

الفصل الاول

في سان ميشل

من زار مصبَّ نهر يوكون يشاهد بلدة صغيرة وحقيرة تدعى سان ميشل بناها بالاخشاب تجار الفراء الذين كانوا يقصدون تلك النواحي لصيد كلاب الماء والقاقم والسمُّور. فهناك صنعت يد الطبيعة مرفأً طبيعيًّا ملقيةً في وسط اليمّ المحيط جزيرة من المقذوفات البركانيَّة مساحتها ٣٠٠ كيلومتر مربَّع تحبس الطين والصلصال الذي تجرّهُ مياه النهر دائمًا الى البحر وتقف في الوقت نفسهِ حاجزًا دون الارياح الآتية من العباب وقد تكوَّن كما تقدَّم ذكرهُ مرسىً واسع من افضل المراسي التي تحطّ فيها السفن الكبيرة حتى انَّ الجغرافيين يشبّهونهُ بمرسى الاسكندريَّة ولكنهُ اذا حاكاهُ في امنهِ ورحبهِ فمن اين لهُ ان يماثلهُ في ما يتوارد اليهِ من البضائع والسلع

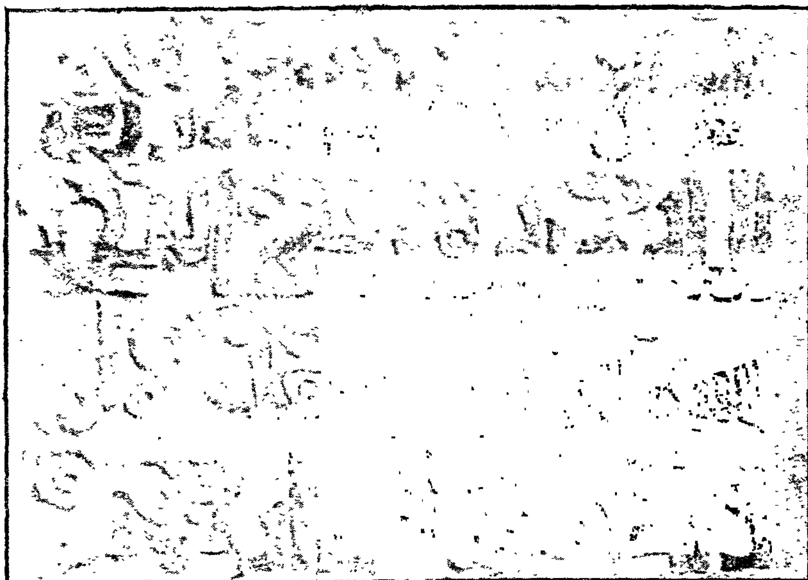
---

١) وهذا بيّن ايضاً من وجه اخر فان صورة الاحرف من الطرز الكوفي الفاطمي وورود اسمي حسين وعلي دليل واضح على مذهب المتوفّى. واما وجود الالف في كلمة « ابن » في بعض الكتابات فامر مشهور

ان السلطان كتبغا (على ما نظنّ) لم يُبقِ في القاهرة آثارًا تُذكر سوى قسمٍ من بناء المدرسة الناصريَّة (١

الكتابة الثالثة (راجع الصورة ٣)

هي ايضًا من هدايا حضرة الاب لامنس وقد دلَّهُ عليها في بعلبكَّ سيادة الحبر الجليل اغابيوس معلوف مطران بعلبك الجزيل الاحترام وهي على قطعة حجرٍ (٢ فلم يقتصر الاب الهمام على اخذها بالرسم الشمسي بل اضاف اليهِ صورتها الطبيعيَّة (estampage) على الورق النشاف. وهذه الكتابة غير سهلة القراءة في بعض المواضع فضلًا عن انَّها غير كاملة. واليك ما امكنَّا ان نقرأ فيها واعلم ان صورتنا الثالثة مأخوذة عن الطبع لا عن الرسم الشمسيّ :



صورة الكتابة الثالثة

١ً حسين ابن عليّ . . . (؟) رضي ٢ً الله عنـهُ في ذي الحجّ[ة] ٣ً سنة سبع وسبعين وار[بعمائة] ٤ً ربِّ اغفر لهُ وارحم

١) راجع المقريزي خطط٢ : ٣٨٢ والقلقشندي (Wüstenfeld. p. 138) وCIA, n° 100 وقد طالعنا تواريخ ابن اياس وكتاب الانتصار لابن دقاق (٤ و ٥) فلم نجد في تآليفهما شيئًا يدلنا على ان كتبغا بنى غير المدرسة الناصرية ٢) طول الكتابة ٢٢ س وعرضها نحو ٣٠ س

بلاد الذهب. ولذلك لم يكونوا لينتبهوا الى منظر هذا الغريب الذي استأجرهم. بل غاية ما يشتهون هو ان يدفع لهم المبلغ المتَّفق عليهِ مقابل اتعابهم في نقلهِ. امَّا اسم فاضل او نسيب فلم يطرق قط آذانهم. وانما كان همُّهم نقْل اثقال الغرباء على مجرى نهر يوكون او تستأجرهم الاقفال كادلَّاء. ومن ثمَّ لم يعلموا من امور المعدّنين شيئًا فلم يبحثوا عمَّا طرأ على المسافر المذكور وما سبب خوفهِ. امَّا اهل مدينة داقسون فما كانوا ليهتمُّوا بذ ت احد الفعَلة وهم يرون كلَّ يوم الوفًا من المعدّنين يدخلون بلدتهم رغبةً في الاصفر الرنان فمنهم من يفلح ومنهم يكدح دون جدوى او يموت مجهولًا فيدفن تحت الجمد لا يرثي لحالهِ بشر ولا يبكيهِ صديق او يقيم كاهن على قبرهِ الصلاة

وليس في تلك البلاد القاصية حكومة منتظمةٌ وانَّما ينتقم كلُّ شخص لنفسهِ اذا ما ظلمهُ احد نعم ان الولايات المتحدة قد جعلت منذ سنوات قليلة بعض مناظرين يتولون تدبير الامور لكنَّ عدد الشرط لا يفي بالامر فيغضُّون النظر عمَّا يقع هناك من الآثام والفظائع

وعليهِ فان فاضــلًا تخوَّف ممَّا كان لنسيب من السطوة والنفوذ لدى المعدّنين فلم يأمن على نفسهِ من الموت شنقًا ومن ذهاب دمــهِ هدرًا فاسرع وسبق عدوَّهُ واذاق نسيبًا حسَوات المنون. ثمَّ اخذ يبحث عن وسائل النجــاة لئلا يشتهر امرهُ ويأخذ احد اصحاب نسيب بثأر صديقهِ

فخرج في الليلة نفسها منسابًا بين اكواخ المعدّنين متسترًا بالظلمة الدامسة غير انَّ ضميرهُ كان يزجرهُ ويوبّنهُ عن فعلهِ الذميم ويتوعَّدهُ بالعقاب العاجل

فلمَّا بلغ نهر يوكون ركب طوفًا وجدهُ على وشك السير في مياه النهر وتباعد بعد قليل عن تلك الاراضي الملعونة التي لم يشاهد فيهــا غير المحن والآثام. وكان الطوف يجري جريًا حثيثًا لشدَّة سورة المياه فيصدم تارةً الصخور الناتئة ويلقى تارةً جذور الاشجار او اغصانها المتحطِّمة. وفي بعض الاحيان كانت تموُّجات النهر تدور بالطوف وتقلبهُ فيضطرُّ الركاب الى النزول الى ضفَّة النهر ليتداركوا حالهم ويصلحوا مركبهم

وبعد تسع ساعات من اتعاب ومشقات كثــيرة بلغ الهنود بطوفهم الى الرأس المعروف برأس القنافذ (Porcupine) وهناك النهر اتسع اتّساعًا عظيمًا فيمرُّ بين صخور وجُزُر صغيرة جميلة المنظر لولا انها كثيرة المعاطب. فمرَّ الهنود بين هذه العوائق بحذاقة عجيبة طُبعوا عليها من صغرهم

على ان هذه البلدة الحقيرة التي لم يكن يعرفها غير تجار الفراء وصيادي الحيتان ما عتمت ان صارت الى حالة جديدة فأخذت تحط فيها يومياً بواخر كثيرة ناقلةً اليها عدداً وافراً من المسافرين الذين بلغ من تسابقهم اليها انهم كانوا يبتاعون ورقة السفر بمبلغ الفٍ وخمسمائة دولار مع انها لا تكلف عادةً اكثر من مئة وخمسين دولاراً. وهذا ما حمل البعض على القول بان هذه البلدة ستكتسب في مستقبل الايام تقدُّماً عظيماً

ومهما يكن من قولهم هـذا فان المسألة التي اصبحت اليوم شغل الافكار هي وسائط الاتصال بين الشاطئ وتلك الاراضي البعيدة التي يُستخرج منها الذهب. لانهُ اذا كانت الطريق من مضيق « شيلكوت » اقرب من سواها فهي مع ذلك محفوفة بالمخاطر والمصاعب الكثيرة نظراً لما فيها من المعابر الشاقة السلوك والمهاوي العميقة التي لا يدرك لها قرار

واماَّ الطريق من سان ميشل صعوداً في نهر يوكون (الذي يُحسب من اعظم انهر الدنيا لان مسافة مجراه تزيد على ٣٢٩٠ كيلومتراً كما انهُ يصبّ في البحر نحواً من ٢٣ الف متر مكعَّب) فهي طويلة ولا تخلو ايضاً من المخاطر اوّلًا لانهُ لا يمكن سلوكهـا الَّا في فصل الصيف الذي يزول فيـهِ الجمد من النهر وثانياً لانهُ اذا كان صالحاً لسير السفن في قسمهِ الأَدنى فهو لا يصلح لذلك في القسم الاعلى ولذلك يتعيَّن على المسافرين ان يتركوهُ ويعانوا السفر الطويل في البرّ

ولقد طالما جال بافكار الكثيرين ان ينشئوا هناك سكَّة حديديَّة توصل الى بلاد الذهب وقام في أفكار آخرين ان يصنعوا مناطيد سهلة الانقياد تنقل طلَّاب المعدن الثمين الى حيث يرومون دون تعرُّض للاخطار. لكن بين الفكر والعمل بوناً بعيـداً وعلى كل حال سيرينا المستقبل اي شيء يتمّ من هذه الافكار

وكانت في اليوم السابق قد أُنزلت في نهر يوكون قوارب عديدة حقيرة يتولى قيادتها جماعة من الهنود وكان في القارب الاخير منها رجل ممتقع اللون عريض الكتفين مستوي القفا. وكان منظرهُ يدلّ على ان الافكار تنازعتهُ والهموم ركبتهُ وقد لحظ فيهِ الهنود الجاذفون انَّهُ كان يرتعد خوفاً كلَّما حدثت حركة قويَّة في القارب وبعد ذلك يعود الى نفسهِ متفرّساً فيهم ليعلم هل دروا بما بدا منهُ

على انَّ الهنود كانوا قد شاهدوا قوماً كثيرين مختلفي اللغات والبلدان ممَّن يقصدون

كتاب التحفة الادبيَّة في القراءة العربيَّة

جمعهُ القس بطرس الجديدي الانطونياني (ص ٨٤)

تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة كتب القراءة لفائدة الاحداث وهذا دليل على نموّ المدارس وعدد الدارسين. ومن مزايا هذا المجموع الجديد انَ صاحبهُ الفاضل اودعهُ في ابوابٍ ثلاثة وفصول عديدة شيئاً كثيرًا ممَّا يُقتضى على الصغار معرفتهُ لاداء واجباتهم نحو الخالق عزَّ وجلَّ ثمَّ نحو القريب وآخرًا نحو نفوسهم. والكتاب مضبوط بالشكل الكامل وقف على ضبطهِ المعلم البارع رشيد افندي الشرتوني. وقد وقع في طبعهِ بعض اغلاط يسهل اصلاحها على القارئ اللبيب وهو مع ذلك يحتاج الى فهرسٍ في آخرهِ

درجات الانشاء

الدرجة الثانية. كتاب التلميذ (ص ١٨٦) كتاب المعلّم (ص ٢٧٦)

للمعلّم نجيب افندي حبيقه مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف

سبق في المشرق (٢ : ٨١٢) وصف الدرجة الاولى من هذا الكتاب الذي توخَّى فيهِ صاحبهُ الاديب طريقة جديدة لتمرين الاحداث على اساليب الانشاء. وفي هذه الدرجة الثانية ابواب عديدة تمكّن الطلبة على انتقاء الالفاظ واستعمال المرادفات واشتقاق المفردات وضمّها الى ما يناسبها مع ما يقتضيهِ تنقيح الجمل وترتيبها. وكلُّ ذلك على نمطٍ يُوفّر للتلامذة اسباب الفائدة بطريقة اللذَّة. وقد استحسنَّا غاية الاستحسان ابوابهُ الاخيرة الثلاثة في الروايات والرسائل والتعريب لكثرة عوائدها وحسن انتخاب مواضيعها وتمهيدها لاحداث الطلبة مسالك الكتابة

شَذَرَاتٌ

اخطأت الضياء الحفرة ❊ اخطأتها مرَّة اولى لمَّا نصب صاحبها نفسهُ لانتقاد ائمة اللغة كالحارث بن حلزَّة وعدي بن زيد والحريري ولسان الدين بن الخطيب بدعوى الغيرة على اللغة وتنزيهها من الفساد على ان انتقادهُ لم يكن الَّا تطاولًا على مشاهير الشُّعراء والكتَبة. ولمَّا تصدَّى لاقاويل الشيخ قومٌ من الادباء الأثبات خام عن ترآهم او ردَّ ما اسندوا اليهِ قولهم من الشَّواهد البيّنة والنصوص الواضحة لتخطئة مزاعمهِ لانها تخالف ما قرَّرهُ. ولولا ضيق المكان لاثبتنا شيئاً من مماحكات الشيخ

ثمَّ يعود النهر فيجري في مضايق من الصخور مزبدًا ويسمع لخريرهِ صوت يصم الآذان وهناك يزيد الخطر على الاطواف لانَّ تيَّار المياه يتلاعب بها ويميل بها الآذان ذات اليمين وذات الشمال ويغرّقها مرةً ويقلبها أُخرى. وكم تلف في هذا المضيق من النفوس وتحطَّم من المراكب ألَّا انَّ الحظ اسعد الهنود هذه المرة فتمكَّنوا بحذقهم من سورة النهر وقطعوا ذلك المعبر الخطر ووصلوا الى بطائح خضراء ذات اشجار باسقة ورياض بهجة وثمار يانعة يتلطَّف فيها البرد وتحسن بها السكنى

فتنفَّس فاضل عند وصولهِ الى تلك النواحي كأنَّهُ سُرّي عنهُ وأُرخي خناقهُ ولم تمرّ عليهِ بضع ساعات حتى رأى مدينة سان ميشل فهنَّأَ نفسهُ بالخلاص.. كيف لا وهنا لا احد يعرفهُ ولا يرى في يديهِ آثار دم خصمهِ نسيب.. ولا تدركهُ حكومةٌ بشريَّة.. وها هوذا سيسعى بنشاط جديد وينكبُّ على التجارة لعلَّهُ يحصل من المال ما حالت الاقدار دون بلوغهِ في داوسون... غير ان وَخز ضميرهِ كان لم يزل يبكّتهُ ويريهِ إلهًا عادلًا لا يترك الاثم بلا عقاب (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

النبراس لسامع القدّاس
بحسب الطقس اليونانيّ

وضعهُ وعُني بطبعهِ خليل افندي البدوي صاحب جريدة الاحوال (ص ٣٥٠)

غاية المؤلف في وضع هذا الكتاب ان يسهّل على المؤمنين من الطقس اليوناني الاشتراك مع الكاهن في وقت الذبيحة الالهيَّة ويقرّب اليهم ادراك الصلوات والطلبات التي تتلى في الحفلات البيعيَّة ولذلك ضمَّن مجموعهُ ما خلا قداسي يوحنَّا فم الذهب وباسيليوس وخدمة البروجيَّازمانات توابع عديدة لخدمة القداس وصلوات شتى تقويَّة للآباء القديسين. ولهذا الكتاب قسمٌ آخر بالفرنسيَّة يشتمل على ترجمة القداس للخوري نيراي (Néret) يليها عدَّة صلوات لاقتبال الاسرار المواظبة على الحياة التقويَّة وفي صدر هذا القسم مقدَّمة افرنسيَّة لم نستصوب بعض مزاعمها. ومع هذا فاننا نحضّ المؤمنين من الروم الكاثوليك الملكيين بل كلّ من يُعنى بمعرفة الطقوس الشرقيَّة على اقتناء هذا الكتاب واقتباس فوائدهِ الجمَّة

الحصى يحصبنا بهِ. وكان معظم خوفنا ان يجد خطأً في رسمنا لتلك البلاد او روايتنا لاحوال البويرس وتواريخهم القديمة لكنَّهُ لمَّا رأى العجز في اصلاح الامور الجوهريَّة صرف ذهنهُ الى الانتقادات اللفظيَّة وشرع يُناقش على الكلمات والحركات فوجد ١ انَّنا اسأْنا باستعمال « فاز قصبة السبق » لان فعل « فاز » يتعدَّى بالباء. (جوابنا) انَّ فاز اتت ايضاً متعديَّة بنفسها في كتاب الرحلة المغربيَّة لابي محمَّد العبدري (ص ٤٦): حيث قال: « امَّا القوت فيُتسبَّب فيهِ اذا كان صحيحاً وقلَّ ما يفوزهُ التسبُّب لكثرة الخلق ». وهب ان الأَولى « فاز بالشيء » لا « فازهُ » أفلم يأْتِ النصب بنزع الخافض في العربيَّة ؟ أَو لم يقولوا « تمرّون الديار ولم تعوجوا. . واودعوهُ اللحدَ. . ودخل البيتَ ؟ ولماذا حضرة الشيخ كتب في العدد الاخير من ضيائهِ (ص ٢٠٧): « وهو آخر ما أُشير في صدر التأليف » فبناءً على ايّ مسوّغ حذف المشار اليهِ ؟. ٢ بكَّتنا في استعمال « آنات » كجمع لآن وقال: « انهُ لم يُسمع لهذا اللفظ جمعٌ فضلًا عن ان يجمع بالالف والتاء ». (جوابنا) انَّ قوماً من الثقات (كحضرة العلامة الشيخ محمَّد عبده وهو حجَّة في الكتابة) سبقونا الى استعمال هذا الجمع. وأَحرِ بلفظةٍ لم يُسمع لها جمعٌ ان تُجمع بالالف والتاء. ولو فتشنا في كلام الشيخ لوجدنا كثيرًا من الجموع التي لم ترد في اللغة واستعملها المولَّدون. وحسبك ان سيبويه جمع « اوان » على « اوانات » قالوا جمعهُ بالتاء حين لم يكسَّر » فاذا جاز جمع « اوان » على « اوانات » فلماذا لا يجوز جمع آن على هذه الصورة ؟. ام يُحتم على سيبويه ان يأْخذ اجازةً من صاحب الضياء في العربيَّة ؟ ٤ وخطَّأَنا باستعمال « وديان » كجمع « وادٍ ». (جوابنا) انَّ الصرفيين ذكروا بين جموع « فاعل » وزن « فُعلان » كحائط حيطان. وان لم تكفِ الشيخ هذه القاعدة العموميَّة فليسمع قول ابن ابي خلوف الاندلسي من شعراء القرن التاسع للهجرة:

ودنوتُ أَلثم كفَّهُ فرأَيت كيـ ـف تفجّر الخلجانُ والوديانُ

وعليهِ فقد اصاب المطران فرحات في قاموسهِ لمَّا اثبت « وديان » بين جموع وادٍ القياسيَّة. ٥ وخطأَنا في قولنا « وحطَّت الحرب عن اوزارها ». (جوابنا) انَّ « عن » كثيرًا ما تأْتي بمعنى « من » فاذا قيل « حطَّت عن اوزارها » او « من اوزارها » عاد المعنى الى قولهم حطَّت اوزارها. ٦ اما قولنا « يربي على الالف الف » (فجوابنا) ان مرتّب الحروف قدَّم كلمةً على اخرى فصفَّ سهوًا « الالف الف » عوضاً عن « الف

ليرى القرّاء انَّ خطتهُ اليوم في المناقشات كخطّتهِ سابقًا في معارضة الشدياق والشَّيخ يوسف الاسير والشَّيخ ابرهيم الاحدب وحضرة الامير شكيب افندي ارسلان وجناب الكاتب البارع رشيد افندي الشَّرتوني

ثمَّ أخطأَت الضياء الحفرة ثانيةً اذ رأَى صاحبها انَّ براهين أخصامهِ كصرحٍ منيع لا تعمل فيهِ مجانيق حججهِ فعدل عنهم وخصَّ ضعتنا بانتقادهِ السامي ونوَّر اسمنا الحقير باثباتهِ في ضيائهِ اللامعة . فأَخذ ينقّر في مجموعنا مجاني الادب ليُشهر على رأس الملإِ اغلاطنا الفاحشة . ويا ليتهُ اخذ طبعاتنا الاخيرة لأَفادنا بذلك واكتسب شكرنا الَّا انهُ كالذباب الذي لا يحطُّ على غير الجروح يسكت عن الحسنات ويتتبَّع المزَّلات لينكأَ ما نَدِب منها فوجد بعد اللتيَّا والتي نحوًا من عشرين تصحيفًا او غلطة طبع فاستكبر وعاذ بالله ونادى بالويل والثبور ولعمري لو عثر على عشرة اضعاف هذه الاغلاط لكان قليلًا بالنسبة الى كتاب يشتمل على اربعة آلاف صفحة جمعناهُ من نيِّفٍ وثلاثمائة تأليف بين مخطوط ومطبوع واكثرها سقيم الطبع مُبهم الخطّ . وعليهِ فقد غضَّ الادباء عمَّا وقع فيهِ من الاغلاط القليلة لكثرة فوائدهِ ولو سردنا اسماء كلّ من استحسنوا هذا المجموع لطال بنا الكلام وانَّما نكتفي بذكر الامير عبد القادر الجزائري والسيد الجليل محمود حمزة مفتي الشَّام . هذا وكنَّا أنفنا من ايراد هذا الثناء على تآليفنا ونحن لم نطلب في تصنيفها غير وجه الله وخدمة المدارس لو لم يحوجنا الى ذلك الشيخ المنتقد علينا . قال الشاعر :

وعين الرضى عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما انَّ عين السخط تبدي المساويا

وزد على ذلك انَّنا بيَّنا للشَّيخ بالبرهان انهُ هو المخطئ في كثير من اصلاحاتهِ فلم يُجب حتى الآن على ردودنا لانَّ من فنونهِ في الجدال ان يضرب ويهرب

وأخطأَت الضياء الحفرة ثالثةً اذ سعى صاحبها باصلاح كتابٍ آخر من تآليفنا وهو « علم الادب » الذي عمَّ اليوم استعمالهُ في المدارس بدلًا من الكتب الشَّائعة قبلهُ . فوجد الشَّيخ ثلاثة اغلاط في طبعتنا الاولى كأَنَّهُ لا يعلم ان لهذا الكتاب اربع طبعات مصحَّحة موسَّعة فكفى بهذا التجاهل عارًا . ولا يبقى من ثمَّ حاجةٌ الى المناقشة . ويا ليت الشَّيخ عانى نشر قسمٍ صغيرٍ من مثل هذه التآليف لننظر درجة عصمتهِ من الغلط

بل اخطأَت الضياء الحفرة رابعةً اذ نقَّر صاحبها في احدى مقالاتنا الاخيرة (المشرق ٢ : ١٠٠٩) عن البوريس والترنسفال فاجالها في غربالهِ لعلَّهُ يلقى فيها شيئًا من

من كلّ سجلّات القديسين التي في يدنا وعرف من امر هذا القديس « انّ الملك كلوفيس وضع باسمهِ وساماً يزعم الفرنسويُّون انه اقدم وسامٍ » وغاية ما كنّا نعلم عن « القديس امبول » (la sainte ampoule) سوى كونها « قارورة الدهن » الذي بهِ مُسح الملك كلوفيس فدُعيت بالمقدَّسة لانَّ الفرنسويين يزعمون ان حمامةً اتت بها من السماء لمَّا احتاج القديس رامي (Remi) الى دهن ليمسح الملك المتنصّر

✡ مؤتمر للآثار النصرانية القديمة ✡ سيُعقد هذا المؤتمر في رومية في عيد الفصح القادم. وقد كتب البشير في عدده الاخير (٣٠ ك ١) مقالة في هذا الشأن نستلفت اليها انظار القرّاء

أسئلة وأجوبة

س سألنا كثيرون من افاضل البلدة عن السنة ١٩٠٠ أهي بدء القرن العشرين

بدء القرن العشرين

ج انّ القرن العشرين لا يبتدئ الّا في بدء السنة ١٩٠١ امّا السنة ١٩٠٠ فهي فقط ختام القرن التاسع عشر والدليل على ذلك انّ المئات والالوف كالعقود التي لا تتمّ الّا بعدد العشرات. فالعشرة الثانية مثلًا لا تبتدئ بالعدد ١٠ بل بالعدد ١١ وكذلك المئات فلا تبتدئ المئة الثانية الّا بعدد ١٠١ وعليهِ فان المئة التاسعة عشرة تنتهي في ٣١ ك ١ من السنة ١٩٠٠ ويكون بدء القرن العشرين في ١ ك٢ سنة ١٩٠١

س وسألنا من البترون جناب اسكندر اسطفان المزرعاني كيف امكن تلك المرأة التي قدم اليها شاول ليستشيرها (١ملوك ٢٨ : ٧—٢٥) ان تُحضر بواسطة السحر صموئيل النبيّ ليقوم في وجه الملك وهل يمكنهُ تعالى ان يسمح للأبالسة خزاهم الله ان يُحضروا من يشاؤُوا من القديسين ؟

حضور صموئيل النبي على يد ساحرة اندور

ج نجيب على هذا المشكل الكتابيّ انَّ السحرة لا يمكنهم بدون اذن الله ان يحضروا نفوس الابرار وان فعلوا فليس فعلهم سوى تصاوير خياليَّة لا حقيقة لها يصوّرها الشَّيْطان في مخيّلة الناظرين. امّا حضور صموئيل فلم يكن كذلك وانّما كان باذنهِ تعالى لينذر شاول بالشّرّ القريب عقاباً لعصيانهِ عليهِ عزَّ وجلّ ل. ش

اصلاح بعض اغلاط : ورد في المشرق (٢ : ٩٧٩) س ١ (وبعد) س ٣ (حدس) س ٤ (ربق) س ٥ (سجل) س ١٠ (قرق) س ١٥ الحذق .. وجمعها. والصواب : بَعْر وحَرْس ورَبو وسَحل وقرو والخرق . . . وجمعهما = ص ٩٨٢ س ٦ (بَذْر) و ٩٨٣ س ١٥ و ١٦ (اخراب وانجاع) والصواب : بَزْر واضراب وانخاخ = ص ٩٨٥ س ١ (بمعنى التَلَم) والصواب تَلَم

الالف » ومثل هذا الغلط في الطبع كثير. وفي العدد السادس من الضياء جرى تشويش كهذا نبَّه عليهِ الشيخ في عددهِ التالي . ٧ً وخطأ قولنا « بلغ السنّ الشرعيّ » (فجوابنا) انَّ السنّ وردت بمعنى العمر والعرب كثيرًا ما يذكرون او يؤنثون الاسماء اعتبارًا بالرديف كما بيّن ذلك الشيخ عبد الرحمن افندي سلام في ردودهِ على مزاعم صاحب الضياء. ٨ً وانكر علينا استعمال « استملك » بدلًا من « تملك » مع ان الاستملاك من الالفاظ الشائعة والاوزان القياسيَّة. وقد طُبع كتاب باسم « قانون الاستملاك ». ٩ً اما انتقاده على قولنا « ويجمعون هذا الطائر عددا كبيرًا ولا يصرفون عليها ». فجوابنا ان الضمير المؤنث عائد الى العدد الكبير الذي هو بمعنى الجماعة او الطير وكلّ منهما مؤَّنث. ١٠ً وتزييفهُ في ردنا ضمير العاقل لغير العاقل باطلٌ لان ذلك من الامور التي نبه على جوازها الثعالبي في اسرار العربية . فضلًا عن انهُ ورد في كلام الذين هم افصح من الشيخ. ١١ً ولم يصب في تخطئة قولنا « وهاكِ اليوم قد قامت الحرب » اذ لا مانع ان تكون « هاكِ » اسم فعل بمعنى « خذ » ومفعولها مضمر اي خذ هذا الامر الجليل وهو قيام الحرب . ١٢ً اما « فشول » فهي جمع فَشَل لا مفرد كما وهم الشيخ

هذه هي انتقادات « العلامة المحقق واللغوي المدقق » على مقالتنا . فايمُ الحق ما كنَّا نظن ان بضاعة الشيخ خفيفة الى هذا الحدّ . فانهُ بانتقادهِ الباطل ابان لكل ذي بصر انَّ للطبل رنَّةً ولكن لا شحم فيهِ ولا دسم. هذا ونشير على صاحب الضياء ان يُبقي على عرضهِ ويدع هذه السفاسف ويشغل قرَّاءه بما هو اهمّ وأفيد فيتطلب لهم المقالات المفيدة بدلًا من « الرجال المراضع » و« اسرار الكفّ » و« عقل الحيوان » و « السحر » وما شاكلها . وفي الختام نذكر صاحب الضياء بنصيحة كتبها العلامة الشهير والكاتب النحرير الشيخ ابراهيم اليازجيّ في احدى خطبهِ (ص٤) : « واحذركم الدعوى فانها آفة الفضل ومحلّ النكير ولو كانت حقًّا وقد اعتادت النفوس ان تنفر منها وتبخس صاحبها من حقهِ (كذا) حتى لو كانت لهُ عشرة وادَّعى عشرة اجتهدوا ان يجعلوها لهُ تسعة فما الظن بمن كانت لهُ عشرة وادَّعى خمسين » . نعم القول وحبذا القائل . وهذا آخر كلامنا مع الضياء لئلا نُضيع وقتنا مع رجل يدّعي العصمة في كلّ ما يقول.

☆ قديس جديد ☆ هو القديس أمبول اكتشفهُ صاحب الهلال (ص ٥٢) في سجلَّات اوسع

المشرق

طائفة الارمن الكاثوليك

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

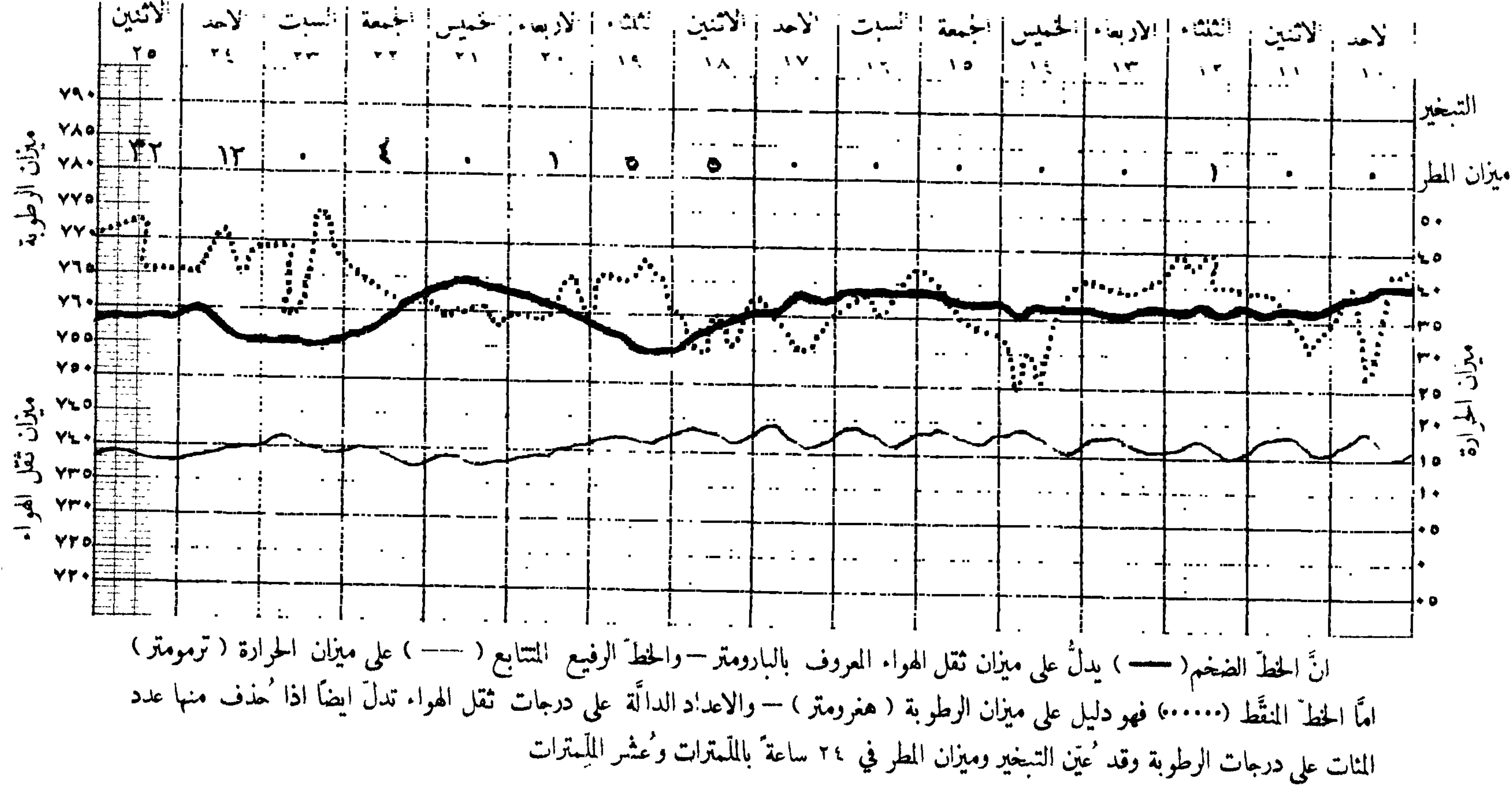
أُصيبت الطائفــة الارمنيَّة الكاثوليكيَّة في غرَّة ايَّار الماضي بمن كان لأُمتهِ فخرًا وعضدًا. وللوطن العزيز عزًّا ومجدًا. المثلَّث الرحمة السيد اسطفان بطرس عازاريان. صاحب السجايا الفريدة والصفات الحســان . فبفقدهِ انسجمت العبرات. وتصاعدت الزفرات. لكنَّ الله برحمتهِ اسرع فاقام لكنيسة الارمن الكاثوليك المترمّلة ابًا ورأسًا. يكون لخرافــهِ الامينة راعيًا وللنعــاج الضالَّة نبراسًا. ألا وهو السيّد الجليل العالم العامل. ذو الغبطة والفضــل الكامل. البطريرك بوغوص عمَّانويليان. الذي قام أَولى خلَف لخير سلف فاحرز لهُ باقرب آن . مع حبّ ابنــاء ملَّتهِ رضى امام الاحبار وثقة مولانا السلطان. فرأينا ان ننتهز هذه الفرصة اللائقة. لنطلع قرَّاءنا على بعض اخبار كاثوليك الارمن الشائقة

١

انَّ للشعب الارمني تواريخ عديدة يرتقي عهد بعضهــا الى القرن الرابع للمسيح صنَّفهــا قوم من مشاهير الكتبة في اليونانيَّة اوَّلًا ثمَّ في الارمنيَّة وقد نُشر اكثرها بالطبع في عواصم اوربَّة خصوصًا فينَّة والبندقيَّة وباريس

فمن اجال النظر في هذه التآليف القديمــة وجد انَّ الله عزَّ وجلَّ اختصَّ الارمن بمناقب جليلةٍ قدرُها خطير. ومحلها في النفوس اثير. تحمل اصحابهــا على عظائم الامور فمن ذلك عقلهم الثاقب ونشاطهم على العمل وحزمهم في ادراك الغايات وصبرهم على المشقَّات والعناء الى غير ذلك من الخلال الطيّبة التي طُبع عليها كبار الشعوب

قائمة للآثار الجوّية من ١٠ الى ٢٥ كانون الاول ١٨٩٩ .



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملّمترات



غبطة السيد الجليل بولس بطرس الحادي عشر عمَّانويليان

بطريرك قيليقية الكلي الطوبى

وفي العشر الثاني من القرن الرابع قيَّض الله احد اوليائهِ القديسين وهو غريغوريوس اسقف قيسارِيَّة فجعلهُ للارمن رسولًا يدعوهم الى سبيل الايمان فلبّوا دعاءَهُ ولم يعاندوا الحقّ بل تقاطروا زرافات الى حجر الكنيسة يتقدَّمهم ملكهم دَرْطاد بعد جموحهِ

ومذ ذاكِ الحين تقلّص عن رؤوسهم ظلّ الايهام وانحلّت عن قوائم عقولهم عُقُل الاوهام. وما مرَّ على الارمن نصف قرن حتى زهت النصرانية في ظهرانيهم وصارت حبَّة الخردل في تلك التربة الجيِّدة كشجرة باسقة الاغصان سامقة الافنان تفيَّأت بظلّها طيور السماء. وكان القديس غريغوريوس المنوِّر ثبَّت الكنيسة الارمنية على الصفاة البطرسيَّة لئلا تثور عليها ثوائر الانواء وتنقض اركانها سيولُ الاضاليل

وقام بعد القديس غريغوريوس قدّيسون افاضل من سُلالتهِ استووا على كرسيّهِ البطريركيّ ورصُّوا دعائم الايمان الصحيح. وقد اشتهر منهم القديس نرسيس (٣٧٠-٤٠٤) والقديس اسحق (٤١٦ — ٤٦٧) وكلاهما يُعرف بالكبير. فانهما نصبا راية الفضائل وقاوما الهراطقة والمشركين وجاهدا الجهاد الحسن في سبيل الحقّ الى ان أرتعا شعب الرب في مراعي الخلاص الخصبة وبلّغا بهِ الى احسن حالة من الحضارة والتمدُّن

وفي ايام القديس اسحاق المذكور اخذ الارمن بتدوين لغتهم باحرف خصوصيَّة وضعها لهم القديس مسروپ الشهير فعمَّ استعمالُها بامر الملك بهرام سابور كلَّ بلاد الارمن. واخذ مشاهير الكتبة منهم ينقلون من اللغات اليونانيَّة والسريانيَّة والفارسيَّة كتبًا كثيرة انتشرت بين الارمن فقوَّت في قلوبهم شعائر الايمان وانارت مَن بقي من عَبدة الاصنام بضياء الحقّ اللامعة

ولم تزل الكنيسة الارمنيَّة في نماءٍ وازدهار تسرّ قلب الله بثمارها اليانعة يترأس عليها البطاركة الفضلاء المرتبطون مع امام الاحبار وخليفة بطرس بوحدة الايمان ووثاق الطاعة حتى قام البطريرك الحادي والعشرون سنة ٥٥٠ للمسيح وهو نرسيس أشدارغستي فاستحوذ عليهِ شيطان الضلال فورَّطهُ في الغرور وحال بينهُ وبين الانابة. فاتَّبع شيعة اوطيخا وأنكر انَّ في المسيح طبيعتين كاملتين غير ممتزجتين وخلع ربقة الطاعة للمجمع الخلقيدوني ولرئيس الكنيسة الاعظم الحبر الروماني. ولم يكتفِ ان يضلَّ عن سواء السبيل بل استمال شعبهُ واستغوى الارمن فتبعوهُ في تشيُّعهِ وامتدَّ عليهم رواق الفساد

والجهل كما هو شأن الكنائس المنفصلة عن البيعة الرومانيَّة امّ الكنائس ومعلّمتها جميعاً ·
وقد عاقب الله بطاركة الارمن بعد انفصالهم عن الكنيسة بان اقام لهم من يناويهم في
سلطتهم فانقسمت البطريركيّة الى خمسة اقسام يتولى امر كلّ قسم بطريرك مستقلّ ·
وهذه اسماء البطركيَّات المنوَّه بها : اچمياطين في روسيَّة ولبطريركها رتبة الشرف ثم
الاستانة ثم القدس الشريف ثم سيس في قيليقيَة ثمَّ اغتمار عند بُحيرة وان

٢

ألّا انَّ الله لم يهمل الارمن تماماً وانَّما استبقى لهُ بينهم في كل آن قوماً لم يحنوا
ركبهم امام البعل · بل ربَّما تحفَّز بطاركة الارمن انفسهم فحاولوا في توالي الاعصار
الانضمام الى الكنيسة البطرسيَّة · فانهُ لم يمرّ على انشقاقهم ثمانون سنة حتى ارعوى
بطريركهم عزرا عن غيّ الاضاليل اليعقوبيَّة بعد انتصار هرقل على الفرس

ثمَّ عاد بطاركة الارمن بعد مئة سنة قضوها في الاعتقاد المستقيم الى مزاعم اليعاقبة
رماهم في لججها البطرك الدخيل (١ حنّاً ادزنتسي (٧١٨ — ٧٢٩) فبقي الشعب
الارمني متسكّعاً في ظلام الهرطقة الى اواسط القرن التاسع فاتَّحدوا ثانيةً مع الكرسي
الرسولي · وتقلَّبت بعد ذلك الاحوال بالارمن فكان بطاركتهم حيناً بعد حين ينقادون
الى الضلال ثمَّ ينتبهون للحقّ فيتعقَّبون آثار اجدادهم القديسين وينضون الى كنيسة
رومية نخصُّ منهم بالذكر بطاركة القرن الثاني عشر والثالث عشر على عهد الصليبيّين

وممَّا ساعد على حفظ وديعة الايمان في قسم كبير من امَّة الارمن دخول الرهبان
الفرنسيسيّين والدومينيكيّين في بلاد قيليقية وفلاحتهم لكرم الربّ بغيرة ونشاط · وبلغ
الاسقف الدومينيكي برتلمي الى ان ينشئ بين الارمن سنة ١٣٣٣ رهبانيَّةً كان
اعضاؤها يتبعون رسوم القديس دومينيك وهم يحافظون على الطقوس الارمنيَّة · فكان
لهؤلاء الرهبان فضلٌ كبير في نشر الايمان القويم بين الشعب الارمنيّ · ثمَّ توثَّقت بعدئذٍ
عرى الوحدة بين الارمن والكنيسة الرومانيَّة في المجمع الفلورنتيني (١٤٣٩)

وكأنَّ الشيطان أبى الَّا ان يزرع الزوان في الكنيسة الارمنيَّة ليفصلها عن مركز
الرئاسة فانَّهُ خزاهُ الله اضرم نار الفتن في قلوب بعض الاساقفة فانفصلوا عن بطاركتهم

١) راجع تاريخ بطاركة الارمن بالفرنسيَّة لحضرة الاب الفاضل ع · فرنيه اليسوعي (ص
١٨٧-١٩١)

لاحبارها فسُرَّ لما وجدهُ في ابراهيم من التعلُّق بالكرسيّ الرسولي. ولمَّا ترمَّلت كنيسة حلب بوفاة اسقفها الارمني سنة ١٧١٠ اسرع البطريرك وسقَّف ابراهيم عليها بملء رضى الاكليروس والشعب معاً وتمَّت حفلة تنصيبهِ في الشهباء بأَبَّهة عظيمة رفعت شأن الديانة الكاثوليكيَّة في اعين كل الحضور. وما لبث ابراهيم ان حقَّق آمال البطريرك فيهِ فانَّهُ بعد ان ثبَّت رعيَّتهُ في الايمان القويم شرع يجِدُّ ويجتهد في ردّ الضالّين فكان لكلامهِ احسن وقع في قلوبهم وعاد كثيرون على يدهِ الى سبيل الهُدى حتى صار اسمهُ مُرادفًا لنصير الايمان الكاثوليكي

الّا انَّ البطريرك افرام السابق ذكرهُ امتعض ايَّ امتعاض لمَّا وقف على نجاح الكاثوليك فسعى بهلاكهم واضطرَّ البطريركَ بطرسَ بيساغ الى ان يسير الى بلاد العجم سنة ١٧١٢. امَّا مطران حلب فنالتهُ محن وبلايا يطول شرحها. لكنَّهُ امكنهُ في آخر الامر ان يرجع الى ابرشيَّتهِ وبشَّر بالايمان في طريقهِ باماكن عديدة وجذب الى الكثلكة قوماً من جلَّة الارمن بينهم اساقفة وكهنة وشيَّد كنائس كثيرة. وعاد الى حلب فاستقبلهُ الشعب بفرح عظيم فصار يرعى ثانيةً شعبهُ بكل همَّة الى ان قام عليهِ اخصامهُ ثانيةً فنُفي من حلب الى جزيرة ارواد بقرب طرابلس حيث بقي الى سنة ١٧٢٢. ثمَّ سعى سفير ملك فرنسة لدى الصدارة العظمى وتمكَّن من تبرئة ساحة ابراهيم ولكن لم يُسمح لهُ بالعود الى حلب. فلاذ الطَّريد بحماية حاكم كسروان الشيخ ابي نادر ظاهر الخازن. فرحَّب الشيخ المذكور وبطرك الموارنة وكلُّ اهل لبنان بنصير الايمان الكاثوليكيّ واكرموا مثواهُ حيثما نزل وبنى لهُ الشيخ ابو نادر ديرًا على اسم المخلِّص بجوار قرية غسطا في محلّ يعرف بالكُرَيم ووهبهُ اياهُ مع املاكٍ واسعة اوقفها على الدير وبقي هناك مع بعض الكهنة الامناء الى سنة ١٧٤٠ وهو راخي البال حليف الدعة والطمأنينة يكاتب اهل الايمان ويثبتهم برسالاتهِ

وكان كثيرون من الارمن يقدمون عليهِ ليستشيروهُ ويستنيروا بتعاليمهِ ومنهم من سكنوا معهُ بعد ان جحدوا بين يديهِ اضاليل الهرطقة كالسيّد اسطفان الحلبي اسقف دمشق والسيّد سرجيوس القسطنطيني وغيرهما. حتى بلغ عدد تلامذة المطران ابراهيم في سنة ١٧٢٨ خمسة وثلاثين شخصاً وكانوا يعيشون في دير الكريم عيشة النسَّاك

الشرعيين وجعلوا لهم بطركًا مستبدًا ثمّ تعدَّدت بعدئذٍ البطركيَّات حتى بلغت الخمس عدًّا كما ذكرنا وكان ذلك من اقوى الوسائل لنشر الشقاق واستفحال التشيُّع . على انَّ نور الحقّ لم ينطفئ في اعين هؤلاء ارباب الدين وزعماء الطوائف كما تشهد على ذلك دساتير ايمان كثيرين منهم ارسلوها الى رومة وهي مفعمة من الثناء على كنيسة بطرس يقرُّ اصحابها بملء سلطان الاحبار الرومانيّين على كنائس الدنيا قاطبةً . غير انَّ البابوات ملُّوا اخيرًا من هذا التقلُّب الدائم والتنقُّل بين المسيح والبعل بين اليقين والباطل ففصلوا كرسي البطركيَّة الكاثوليكي عن بقيَّة الكراسي المنفصلة فدخلت مذ ذاك الحين الكنيسة الارمنيَّة في طور جديد وصارت احدى الطوائف الشرقيَّة المتحدة التي تبهج بيعة الله باثمارها الصالحة واعمالها المبرورة

٣

وكان بدء هذه الحركة في اوائل القرن الثامن عشر . وذلك انَّ بطريرك القسطنطينيَّة الارمني المدعو افرام اذ رأى ما حازتهُ الكثلكة من النجاح على يد المرسلين اللاتينيّين في جهات المشرق وبين ابناء جلدتهِ اثار عليهم حربًا عوانًا كادت تكون الضربة القاضية على الكثلكة لولا انَّ الله نجّى اصفياءهُ من ايدي مغتصبيهم واقام لخلاصهم رجلًا زيَّنهُ بكل الصفات الحسنة والمناقب الفريدة وهو ابراهيم ارزيڤيان اوّل بطاركة قيليقية على الارمن الكاثوليك بعد انفصالهم عن الغريغوريّين

وُلد ابراهيم المذكور (١ في مدينة عينتاب سنة ١٦٧٩ من والدين كاثوليكيَّين وانكبَّ منذ نعومة أظفارهِ على درس العقائد الدينيَّة ورحل الى ماردين ليأخذ عن اسقفها الشهير ملكون طازباز تلميذ المدرسة الاربانيَّة وشهيد الايمان علمَ اللاهوت . فلمَّا اتقنهُ وتخرَّج بجميع الآداب الكنسيَّة رجع بعد ستّ سنوات الى بلدهِ فاختارهُ بطرس بيساغ بطريرك سيس على الارمن ككاتمٍ لاسرارهِ ورسمهُ كاهنًا سنة ١٧٠٦ . ثمَّ لقي في ابراهيم من التقى وحسن التدبير ما حملهُ على تقليدهِ رتبة وَرْتبيت المناسبة لمنصب الخورفسقفوس في غير الكنيسة الارمنيَّة فأظهر من الغيرة المضطرمة في خلاص النفوس ما حبَّبهُ الى جميع المؤمنين . وكان البطريرك بطرس منتميًا الى رومية مطيعًا

١) راجع ترجمتهُ المطبوعة في القاهرة بالايطالية سنة ١٨٦١ (S. Davidian ; *Biografia di Abramo Pietro* I)

بنديكتس الرابع عشر بما لا مزيد عليهِ من الحفاوة والسرور وقلّدهُ في ٨ كانون الاول من السنة ذاتها درع الرئاسة . وسلّطهُ على كلّ كاثوليك المشرق الّا ارمن الاستانة فانهُ وكل امرهم الى قصّادهِ الرسوليين ودعا البطريرك ابراهيم بطريرك قيلقية والارمن . فاراد ابراهيم ان يُعلن بشكرهِ الحميم لامام الاحبار فتسمّى حينئذٍ ببطرس الاول وحتم بان يتخذ خلفاؤهُ هذا الاسم بعدهُ ليكون ضامناً لخلوص ايمانهم وعربونًا عن تعلّقهم بكرسي هامــة الرُسل . ثم اعطى الحبرُ الروماني البطريركَ الجديد رسالات لسفارات الدول في الاستانة ليعضدوهُ في مساعيهِ لدى الباب العالي

وكان البطريرك ابراهيم في مدّة اقامتهِ في المدينة المقدّسة تعرّف بالكردينال بيلوكا (Beluca) وقت مرضهِ الاخير فكتب هذا في وصيتهِ ان تُعطى للبطركية صورةٌ جميلة من نقش المصوّر الشهير رافائيل كانت تمثِل العذراء امّ الاحزان وكان الكردينال يعدّها كاعظم كنوز بلاطهِ ويكرّمها اكراماً جزيلًا هو وحاشيتهُ بل كان اهل رومــة يلتجئون الى حمايتها في بلاياهم . فتسلّمها البطريرك بعد موت الكردينــال من يد البابا بنديكتس لتكون لهُ عونًا وملاذًا في صروف الدهر . وهي الصــورة العجائبية التي يكرّمها اليوم اهل لبنان في دير السيّدة في بزمّار وسنعود ان شاء الله الى ذكرها

ولمّا قفــل ابراهيم بطرس راجعاً الى الشرق (في نيسان ١٧٤٣) ليضبط عنان تدبير كنيستهِ في سيس سمع انَّ اعداءهُ اغتنموا فرصة غيبتهِ ليختــاروا بطريركاً آخر دخيلًا ولّوهُ عليهم . فسعى ابراهيم على قدر طاقتهِ ليعيــد الكرسيّ الى صاحبهِ الشرعي فذهبت مساعيهِ ادراج الرياح ولم يبقَ لهُ الّا ان يعود الى لبنــان فسكن دير السيّدة في الكُرَيم وجعل الصورة التي مرّ ذكرها في كنيسة هذا المقام وتعبّد لها باقي حياتهِ تعبُّدًا كلياً

وقضى البطريرك ابراهيم ستّ سنين في دير الكُرَيم تفرَّغ فيها لممارسة كلّ الفضائل المسيحيَّة مع الرهبان الانطونيّين ومات موت الابرار في غرّة تشرين الاول سنة ١٧٤٩ ودُفن في الكريم بابّهة لم يعهد اللبنانيون بمثلها

ومن الاعمال الخطيرة التي سعى البطريرك المذكور بنجاحها تثبيت الجمعيَّــة المكيتاريَّة التي انشأها أحد الارمن الكاثوليك المدعوّ مكيتار . وُلد المذكور في سيواس



دير السيدة العذراء للارمن الكاثوليك في بزمّار

ويتّبعون قانون القديس انطونيوس الكبير. وهكذا ابتدأت الرهبانيّة الانطونيّة عند الارمن الكاثوليك

وفي تلك الاثناء التأم اساقفة الطائفة المارونية في دير اللويزة وتمَّ المجمع اللبناني الشهير فحضره المطران ابراهيم وامضى قوانينهُ ورسومهُ بيدهِ (١

ولمَّا كانت اواخر سنة ١٧٣٩ خمدت نيران الاضطهاد فتمكّن السيّد ابراهيم من الرجوع الى كرسيّهِ في حلب فنال بعودهِ من الاكرام ما انساهُ اوجاعهُ السابقة وذاع صيت فضائلهِ في كلّ الجهات. ولمَّا توفي لوقا بطريرك الارمن في سيس اجتمع الاساقفة فاختاروا مطران حلب ليقوم مقامهُ في كرسي البطركيَّة وسقَّفوا على حلب يعقوب تلميذ ابراهيم ورفيقهُ في جهادهِ عن الايمان

فكان اول شيء فكّر فيهِ البطريرك المختار ان يرحل الى امّ المدائن ليقدّم للاحبار الرومانيين فروض الطاعة فدخل رومة في منتصف آب سنة ١٧٤٢ وتلقَّاهُ

١) راجع المجمع اللبناني الصفحة ٣٤٢ من الطبعة اللاتينيَّة

يتيمة ابن المقفع

لحضرة الامير شكيب ارسلان احد اعضاء الجمعية الاسيوية

ورد في المجلة العلمية الشَّرقية الالمانيـــة (ZDMG) عدد ٢ من السنة المنصرمة كلام يختصّ برسالة الدرَّة اليتيمة لعبـــد الله بن المقفَّع الكاتب المشهور بقلم الاستاذ بروكلمن (Brockelmann) معلّم العربي في مدرسة برسلو الجامعة نلخّصهُ فيما يأتي قال:

« انَّ حضرة الامير شكيب ارسلان طبع من الدرة اليتيمة لابن المقفع طبعتين احداهما في سنة ١٨٩٣ والاخرى سنة ١٨٩٧ . ويظن انَّ الرسالة التي نشرها هي كتاب الآداب لابن المقفع المذكور في فهرست ابن النديم وان اسم « الدرة اليتيمة » انَّما اعطاهُ بعض النسَّاخ هذا الكتاب فيما بعد

« (قال) والدليل على ذلك ان الفهرست عند كلامهِ على « اليتيمة » يلحقها بقولهِ « في الرسائل » اذًا اليتيمة تأليف آخر غير الذي طبعهُ حضرة الامـــير اذ هذا ليس في الرسائل . ثمَّ انَّ ابن قتيبة في المجلد الاول من « عيون الاخبـــار » يذكر قطعة من « اليتيمة » لا توجد في الرسالة التي طبعناها وهو دليل آخر على كونها ليست هي هي . نعم ان ابن قتيبة نفسهُ يذكر في اربعة مواضع مختلفة وتحت عنوان « من كتاب ابن المقفع » او « من آداب ابن المقفع » جُمـــلًا تشابهُ في المعنى فقط بعض مواضع الرسالة التي نشرها حضرة الامير على ان استشهاد ابن قتيبة الثاني يُظهر كونهُ من محلّ واحد حال كون ما يقابلهُ من التأليف الذي طبعهُ هو من مظانَّ مختلفة وهذا الشاهد عينهُ كما اوردهُ ابن قتيبة يحتوي ثمانية اسطر لا توجد في الكتاب الذي طُبــع في بيروت

« ثم ان الفهرست تكلّم عن تأليفين تحت عنوان « الآداب » لابن المقفع احدهما كبير والآخر صغير » . انتهى كلام العالم الالماني ملخَّصًا وهو يجتهد ان يبرهن ان رسالة الدرة اليتيمة التي طبعناها لم يكن اسمها كذلك وانما هو اسم اضافهُ النسَّاخ لكتاب بهذا الشكل من انشاء ابن المقفع اسمهُ « الآداب »

وقد شكرنا العـــالم الالماني على تحقيقهِ ودقّة نظرهِ كما لا نزال نشكر امثالهُ من مستشرقي الغرب على جزيل عنايتهم بلغتنا وآدابها . امَّا ما ذهب اليهِ من امر الدرة اليتيمة

سنة ١٦٧٦ واجتمع وهو حديث السنّ بالآباء اليسوعيين فتعلّم منهم عقائد الديانة الكاثوليكية ونبذ عندهم اضاليل اجدادهِ . ولمَّا بلغ اشدَّهُ جعل يطلب لهُ شبَّانًا من ابناء جلدتهِ ليتفرَّغ معهم الى العيشة النسكيَّة فساعدهُ الله على عملهِ الصالح

وكان البطريرك ابراهيم وقتئذٍ مطرانًا على حلب فعرف بقصد مكيتار ونشَّطهُ على تحقيق نيَّاتهِ الخيريَّة . ولمَّا رحل الى رومة لزيارة نائب المسيح طلب من الاب الاقدس تثبيت جمعيَّتهِ فثبَّتها الكرسي الرسوليّ بسلطانهِ واعطى المكيتاريين في البندقية دير القديس لاعازر (١٧١٧). ولهذه الجمعيَّة فضل كبير في تعزيز الكثلكة بين الارمن لاسيَّما بمطبوعاتها المعتبرة في البندقيَّة وڤينَّة. وقد اشتهر منها قومٌ من العلماء لا يسعنا هنا ذكرهم

وفي مدَّة فروغ الكرسي البطريركي اجتمع خمسة مطارنة لانتخاب خلفٍ لابراهيم المتوفَّى . فطلب اليهم الكهنة الذين كانوا بصحبة البطريرك السابق ان يُقتنى لهم محلٌّ يسكنون فيهِ ويتعاطون امور مهنتهم دون ان يرتبطوا بالنذور الرهبانيَّة كالانطونيّين. فلبَّى الاساقفة الى دعائهم وتملَّكوا محلًّا آخر فوق دير الشرفة يعرف ببزمَّار (اطلب صورتهُ ص ٥٤). والعلماء يشتقُّون اسم هذا المكان من « بيت زُمَر » اي بيت الزُّمَّارة . قيل انَّ فيهِ اقام الفينيقيُّون في الاعصار الغابرة هيكلًا لتضحية الضحايا وتقديم البخور والترمير اكرامًا لمعبودهم العظيم تموز (Adonis)

ولمَّا قرَّ انتخاب الاساقفة على البطريرك يعقوب بطرس الثاني في ١٤ تشرين الاول شرع في تأسيس دير بزمَّار وانتقل اليهِ هو والكهنة غير القانونيّين وسكنهُ معهم وفيهِ توفّي سنة ١٧٥٣ لكنَّهُ دُفن في الكريم

امَّا الرهبان الانطُونيُّون فبقوا في ديرهم القديم مدَّة ثم استبدلوهُ بدير بيت خشبو قرب غزير ولم يزالوا قاطنيهِ الى سنة ١٨٨٥ فعاد الرهبان الى الاستانة

(ستأتي البقيَّة)



وليس باليتيمة بل اصغر منهـا. واتّما رأى العلامة المشار اليهِ كتاباً في دمياط لابن المقفع اسمهُ « الادب الجامع » هو اليتيمة بعينهـا اي التي طبعناها. قال استاذنا : « ومن هذا يتبيّن انّ لهُ كتابين الادب والادب الجامع والاول غير اليتيمة والثـاني هو هي » انتهى

فانت تنظر مقدار الصعوبة في حصر اليتيمة ومعرفة ايّ كتاب من كتب الرجل هي فانّ النسخة التي وجدناها في مكتبة شيخ الاسلام عاشر افندي في دار الخلافة كان عنوانها « الدرة اليتيمة » ويظهر انهُ يوجد نسخة مثلها في دار التحف البريطانية وهي التي يقول عنها ريو: « لا يوجد كتاب يقرب منها غير يتيمة ابن المقفع المذكورة في الفهرست. لكن الاشكال في قولهِ « في الرسـائل » وهذه لا رسائل فيها ولا هي في الرسائل ». ومنها نسخةٌ حديثة في المكتبة الشرقيَّة للآباء اليسوعيين في بيروت نُقلت عن نسخة قديمـة في المكتبة الواتيكانيَّة في رومة

وابن قتيبة تحت عنوان « آداب ابن المقفع » اتى بما يُشبه الكتاب الذي طبعناهُ وبما يختلف عنهُ فوجد انَّ هناك اختلافًا في النسخ

وصاحب الفهرست ابن النديم يجعل لابن المقفع كتابين في الادب كبيرًا وصغيرًا عدا اليتيمة التي هي بزعمهِ في الرسائل

وحجِّي خليفة يجعل « الدرة اليتيمة » اثني عشر فصـلًا وانها مشتملة على اخبار السادة الصالحين وان بعض المتصوّفة لخَّصها بكتاب سمَّاهُ عظة الالباب الخ. وهذا ولا شك غير « درتنا » اذ ليست هذه مرتبة على اثني عشر فصلًا ولا محتوية شيئًا من اخبار المتصوفة وانما هي في معاشرة الملوك والولاة والصديق

وحضرة الشيخ محمد عبده يقول ان الذي يطابقهـا نصًّا انما هو كتاب « الادب الجامع» لابن المقفع هكذا رأى بعينهِ. وهذه نغمة جديدة ايضًا وان كان لا شبهة فيها

وفي رواية ابن النديم ما يخالف قول ريو ولا ينطبق تمـام الانطباق على قول ابن قتيبة كما ان رواية حضرة الاستاذ الشيخ محمد تفيد غير القولين ولا مانع من ان يكون بعض النسَّاخ نقلوا « اسم الدرة اليتيمة » عن ذلك الكتاب المرتب على ١٢ فصلًا الى الكتاب الذي هو الادب الجامع جهلًا منهم. وربَّما تكون حصلت اضافة « الجامع » فيما بعد وأَصلهُ « الادب » فقط واذا كان كذلك فيكون هو الكبـير من « الادبين »

فهو وان كان غير بعيد عن الصواب لا يمكن الجزم بهِ لما سيأتيك من اختلاف اسماء تآليف ابن المقفع وتبـاين نسختين من بعض كتبهِ في نصِهما واتفاقهما في الاسم او اتحادهمـا في النصّ واختلافهما في الاسم ممَّا يحيّر الفكر في هذه القضيَّة وان كان يرَّجح ان النسَّاخ هم مصدر هذا الاختلاف

لا شكَّ انَّ لعبد الله بن المقفع الكاتب الفارسي المشهور صاحب التآليف بالعربيَّة كتاباً اسمهُ « اليتيمة » بدليل اتفاق مترجميهِ على ذلك وبقَول ابي تمام الطائي:

« وابن المقفع في اليتيمة يسهبُ »

فاذا قرأت كتاب الفهرست تجد ابا الفرج بن اسحق المعروف بابن النديم يقول في الصفحة ١١٨ في ترجمة ابن المقفع ان لهُ من الكتب« كتاب الآداب الكبير وكتاب الادب الصغير وكتاب اليتيمة في الرسائل »

واذا بحثت في فهرس الكتب العربيَّـة في دار التحف البريطانية للدكتور ريو (Rieu) تجـدهُ يقول عن كتاب مخطوط (عددهُ ٣٠٠٣) في مجموعة تحتوي خمسة تآليف وهو الرابع منها « انهُ لا يوجد كتاب يقرب من هذا الكتاب بين تآليف ابن المقفع سوى كتاب اليتيمة في الرسائل مذكور في الفهرست في الصفحة ١١٨ لكن ذكر الرسائل يدلّ على انهُ ليس هو نفس الكتاب

ثمَّ انَّ حجّي خليفة في كتابهِ كشف الظنون (طبعة اكسفورد ج ٣ ص ٢١٢) يقول:« الدرة اليتيمـة والجوهرة الثمينة لعبد الله بن المقفع الاديب وهو كتاب لم يصنَّف في فنّهِ مثلهُ لخَّصهُ بعض المتصوّفة وسمَّاهُ عظة الالبـاب وذخيرة الاكتساب وهو مرتب على اثني عشَر فصلًا ومشتمل على الحقائق والمعاني واخبار السادة الصالحين ولهُ مختصر يُسمَّى باليتيمة »

ثمَّ اخبرني الاستاذ الفاضل الشيخ طاهر الجزائري في الشام ان لابن المقفع كتاباً اسمهُ كتاب الادب منهُ نسخـة في المكتبة الخديويَّة بمصر تابعة مجموعةٍ عددها ١١٩ اوَّلهُ:« عمل البرّ خير صاحب »

فكتبنا الى حضرة صاحب السماحة العـلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريَّة نسألهُ ان يتفضَّل بالاستعلام لنا عن ذلك الكتاب وافادتنا عنهُ فورد علينـا الجواب بان كتاب الادب الذي في الكتبخـانة الخديويَّة لابن المقفع حكمٌ منثورة

الصخر لكنّها متراكمة فوق بعضها بغير نظام وعلى اسوإ حال

وأمام الهيكل ساحة رحبة الجوانب طولها ٣٨ مترًا في عرض ٣٠ يُحدق بقسم منها الصخر المنتصب فوقها عموديًا . وكان سابقًا في مقدّمة هذه الساحة رواق يستند الى عمد والشاهد على ذلك ما ترى هناك من الاعمدة المحطّمة . وكانت عادة الفينيقيين ان يبنوا هياكلهم في وسط باحة رحبة كما يظهر الامر في هيكل بعلبك وهيكل حصن سليمان في بلاد النصيريّة . غير ان موقع فقرا لم يسمح بذلك لما يحيط بالمكان من الصخور العالية فجعلوا باحتهم بازاء الهيكل

وما يقضي بالعجب عند مرأى هذا الهيكل العظيم انّهُ بُني على قمّة الجبال حيث لا ترى اثرًا للقرى فان أقرب الضياع المسكونة اليوم هي اسفل من هذا المكان بنيف وثلثمائة متر

٢ البرج . وفي شمالي الهيكل برجٌ عظيم مربّع الشكل والمرجّح انّهُ كان ينتهي سابقًا ببناء مخروط على هيئة الاهرام . ومن جال في داخلهِ وجد عدّة دهاليز واسراب ودرجًا يُصعد منهُ الى اعلى البرج المذكور (١ . وعلى جوانبهِ كتابتان يونانيّتان يأتي ذكرهما . امّا الغاية من تشييد هذا البناء فمبهمة ولا نعلم أهو مرقب لرصد الاعداء في وقت الحرب ومن فحص البناء لا يُستدلُّ على شيءٍ من ذلك . ولعلّهُ قبرٌ لبعض الملوك لانَّ الخاصّة لم يتأنّقوا عادةً هذا التأنُّق في بناء قبورهم . وزد على ذلك انَّ الكتابات المذكورة تنفي هذا الاقتراض لانَّ الواحدة تذكر القيصر الروماني كلاوديوس وتعلمنا الثانية ان مشيّد هذا الأثر هو احد سدنة الهيكل ابتناهُ « على نفقة خزانة الاله العظيم » وعلى ظنّنا انّهُ مشهدٌ اقيم كقبر لتموز اله الفينيقيّين ولا يعتاص علينا في تقرير هذا الامر غير الدهاليز المجاورة لهُ ولكن من المُحتمل انَّ هذه الاسراب احتُفرت لغاية دينيّة او بالاحرى ليتستَّر فيها ارباب تلك الديانة في بعض حفلاتهم الدنسة كما مرَّ بك في ذكر هيكل أفقة . وكانت هذه الفواحش تجري غالبًا بجوار المعابد الدينيّة المخصّصة لذكر تموز

١) وقد وصف هذا البرج وصفًا مطولاً هنري عويس (Guys) في كتاب الفرنسوي المعنون (Relation d'un séjour à Beyrouth et dans le Liban II, 8) والسيّاح سيتزن (Seetzen) في كتاب اسفارهِ المكتوب في بدء عصرنا هذا (Reisen I, 248)

اللذين اشار اليهما ابن النديم في الفهرست ونحن قد طبعنـا كما وجدنا بدون تحريف فالذي طبعناهُ وجدناهُ معنونًا بالاسم المذكور وهو « الدرة اليتيمة » والنقل امانة وكفى بهذا القدر تحقيقًا عن اسم كتاب

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٥ قلعة فقرا

ان سرت صاعدًا من مزرعة كفر ديبـان مُيمّمًا شمالها الشّرقي على مسافة ساعة ونصف منها وجدت في منتصف الطريق المؤدّية الى ميروبا على جنوبها ربوةً قريبةً من جسر الحجر ورأس نبع اللبن يبلغ علوها فوق سطح البحر ١٦٠٠ متر . وعلى هذه الربوة اخربة تفوق بسعتها كلّ آثار لبنان لا يماثلها بامتدادها الّا أخربة عين عقريم المعروفة بالناووس في مقاطعة الكورة على انَّ عين عقريم مع سعتها دون قلعة فقرا . هذا واننا لا نرى حاجةً الى تعداد هذه الاطلال كلها وانّما نكتفي باهمها وهي اربعة

١ الهيكل . هو من الآثار الجليلة . ومن خواصهِ انَّ بُناتهُ نحتوا باديَ بدءٍ في نفس الصخر مساحةً كبرى جعلوها كاساس الهيكل واتخذوا الحجـارة المنحوتة في الصخر كموادّ لبنائهم فاقتصدوا بذلك في نفقة نقل الحجارة ولعلّهم قصدوا غير ذلك . وما لا ريب فيهِ ان الفينيقيين اتّخذوا هذه الطريقة ديدنًا وجروا عليها في ابنيتهم المختلفة . وقد بلغ الفينيقيّون في نحت الحجارة مبلغًا بعيد الشأو حتى يخال للمعتبر ان الصخور صارت طوع ايديهم يقطعونها كما ارادوا

هذا ولم يتخذوا كجـدار الهيكل ما مَثَلَ من الصخور لان الجدران لا تلاصق الصخر بينها وبينهُ دهليز يفصلهما . والهيكل طولهُ ٣٤ مترًا في عرض ١٤ مترًا . وحجارة البناء متوسّطة الكبر غير انّ افريز الهيكل والمراقي التي بها كان يصعد الزوّار والسواري الماثلة في مدخل المعبد كانت فاخمةً عظيمة الشان يعمل منظرها في عين الجمهور . وبقايا هذه الاخربة تنبئ بضخامتها فانَّ هنـاك اركانًا وقطعًا من العمد منحوتة في قلب

بلقب العظيم (μέγιστος) ولقب الاكبر (ὕψιστος) ومن ثمَّ يجوز القول انَّ هيكل قفرا كان احد المعابد المشيَّدة لاكرامهِ . ويستنتج من لقبهِ بالكبير او الاكبر انَّ الفينيقيّين كانوا يعظّمون في جملة آلهتهم إلهًا سما عزًّا وفاق فضلًا على سواهُ ولعلّهُ كان في اول الامر معبودهم الوحيد ففسدت ديانتهم بعدئذٍ وتعدَّدت آلهتهم

فممَّا تقدَّم يظهر انَّ بناء البرج حدث في السنة ٤٣ للمسيح . امَّا تاريخ الهيكل فاننا لا نعلم شيئًا من امرهِ . نعم ان رينان جزم بانَّ هندستهُ تشبه هندسة البرج فاستنتج من ذلك انَّهما بُنيا في زمن واحد . لكنَّنا نحن لا نرى في قول رينان برهانًا كافيًا لتقرير هذا الامر كما انَّنا لم نجد بينهما شبهًا ظاهرًا . امَّا الآثار الباقية الموجودة في قفرا فعلى رأينا انها من اعصار شتى والله اعلم (ستأتي البقية)

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

(تابع مادَّة الجرّيث) ومن العرب ولغويّيهم من ميَّز بين الجرّيث والجرّي ومنهم من جعلهما سمكًا واحدًا . ومنهم من ميَّز بينهما تارةً وخلطهما اخرى . والاصحّ الفصل بينهما وفقًا لمبادئ علم المواليد (Histoire naturelle) واليك الشواهد على ذلك كلّهِ

قال في التاج: « الجرّيث كسكّيت: سمكٌ معروف ويُقال لهُ الجرّيّ . رُوي انَّ ابن عباس سُئل عن الجرّي فقال: لا باس . انما هو شيء حرَّمهُ اليهود . ورُوي عن عمَّار: لا تأكلوا الصلّور والانقليس . قال احمد بن الحريش: قال النضر: الصلور الجرّيث . والانقليس المارماهي . ورُوي عن عليّ رضي الله عنهُ انهُ اباح اكل الجرّيث . وفي روايةٍ انهُ كان ينهى عنهُ . وهو نوع من السمك يُشبهُ الحيَّات . ويُقال لهُ بالفارسيَّة المارماهي » اه بحرفهِ . وقال في الجرّي: « . . . وفي حديث عليّ كرَّم الله وجههُ انهُ كان ينهى عن اكل الجرّي والجرّيث . ويُقال: الجرّي لغة في الجرّيث . . . » اه بحرفهِ . فانت ترى وتتحقّق بذاتك انَّهُ كلَّما ذُكر اسم الصلّور ذُكر معهُ اسم الانقليس وكلما ذُكر اسم الجرّيّ ذُكر معهُ اسم الجرّيث . وهذا يدلّك على ان الواحد ليس بالآخر . ولنا دليل آخر على ذلك وهو ان الصلور معرَّب عن الحرف اليوناني σίλουρος . وقد مرَّ بك ايضًا

٣ً البناية المربعة ·وبازاء الهيكل الموصوف بقايا حسنة من بناية مربعة يظهر من شكلها انها كانت مشهدًا او قبرًا وهذه البناية محكمة العمل وحجارتها ضخمة

٤ً البناء المستطيل ·وعلى مسافة نحو مائة قدم من الهيكل من جهة الجنوب اثرٌ آخر لا نعلم من غاية بنائهِ شيئًا ·وهو على شكل مستطيل ذي جوانب متوازية وتراهُ منقسمًا الى قسمين كبيرين او ردهتين لهما باب يصل بينهما من داخلهما · ايكون هذا البناء هيكلًا او كنيسةً كما زعم رينان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٣٧) ذلك امرٌ لا يمكن الجزم بهِ فانَّ هندسة هذا الأثر تخالف هيئة الهياكل القديمة والكنائس المسيحيَّة وزد على ذلك انَّ باب الكنائس كان يوجَّه في القرون الماضية الى الغرب بخلاف باب هذا البناء · وقد استولى الخراب على آثارهِ فطمس محاسنهُ وذهب برونقهِ فتراهُ في حال اسوأ من بقيَّة الاخربة المجاورة لهُ

هذا وقد سبق القول انَّ على مشارف ققرا غير هذه الآثار فمن ذلك اطلال بيوتٍ دارسة ومعاصر وقبور منحوتة في الصخر وهلمَّ جرًّا·وكلّ هذه المباني تشهد على انَّ هذا الموضع كان عامرًا في الاعصار الخالية وانَّ قومًا من السكَّان كان يقطنون بجوار الهيكل محدقين بهِ

ولسائل ان يسأل الى ايّ عهدٍ يرتقي تاريخ هذا الهيكل جوابنا انّ الامر مبهمٌ اذ لم يجد احد من العلماء كتابةً تنبئ بقدم هذا البناء· ·الَّا انَّ البرج الذي مرَّ وصفهُ مزدان بكتابتين الاولى على لجاف الباب والثانية على احدى زوايا البرج·والكتابة الاولى مطموسة لا يكاد يُقرأ منها سوى سطرها الاول يستفاد منها انَّ البرج شُيِّد اجلالًا للقيصر كلاوديوس الذي جلس على منصَّة الملك من سنة ٤١ الى ٤٥ بعد المسيح· امَّا الثانية فيُؤخذ منها ان تاريخ البناء وقع سنة ٣٥٥ لليونان (١ اعني ٤٣ بعد المسيح وانهُ بُني « على نفقة الاله العظيم » (ἐκ τῶν τοῦ μεγίστου Θεοῦ) فتُرى من هو الاله المذكور ؟ على رأينا انَّهُ هو تموز بنفسهِ وقد ورد اسمهُ في كتابات جُبيل مصحوبًا

١) هذا التاريخ مكتوب بالحروف الابجدية E N T وقد رُسم فوقها خُطَيط دلالةً على انَّها اسفارٌ عددية لا حروف عاديَّة . وكان السائح سيتزن لاحظ ذلك في غضون زيارتهِ لهذا الاثر وقد تحقَّقنا نحن ايضًا الامر بنفسنا في تشرين الماضي لمَّا تفقَّدنا هذه الآثار . بيد ان وجدنا للنون اللاتينية (N) هيئةً غريبة تقرّبها الى الميم M

دفين مآثرها الحسناء كما يتضح لمن يطالع عددًا من اعدادها ويتتبَّع بحثًا من مباحثها

هذا ولا باس من ان نورد هنا بقيَّـــة اسماء الجرّي والجرّيث اتمامًا للفائدة وذلك اخذًا عن اللغويين الائمة. فيقال للجرّي الصلَّور والسِلَّور والقُرموط. قال صاحب التاج: « القُرموط بالضمّ نوع من السمك ». قال صاحب محيط (في مادَّة ج ر ي): « وربَّما كان (اي الجرّي) هو المعروف بالقرموط والسلّور » اه. قلنا وكلامهُ صحيح لان اهل الشيعة عندنا يعرفون الجري بهذا الاسم ايضًا. ولا نعلم كيف اتَّصـل صاحب محيط المحيط الى ذلك وهو لم يذكر القرموط بهذا المعنى في مظنَّة اللفظة. وعليـهِ فكلامهُ موافق لما هو معهود عندنا فاحفظهُ

ويقال للجرّيث: الأَنكَلَيسَ والإِنقَلِيسُ (بفتح الهمزة واللام او بكسرهما. عن اللغويين) (وهو الخنـكَليس عند العامـــة وبعضهم يقول العَنكَليس) والمارماهي والمارماهيـج والنون والسليناج وذكرها الدميريّ: (الصِلنباج) بصادٍ في الاول وتقديم النون على الباء الموحدة التحتيَّة وبجيم في الآخر. والصلنباح بحاءٍ في الاخر عوضًا عن الجيم (اللغويون ومعهم الاب لامنس ع ١٠٥٤). ونظنُّ انَّ الاصل في هذه اللغات هو الصلنباح فصحّفت ويشهد على ذلك ما عدا نصّ اللغويين كلام اهل بغداد الى يومنا هذا. فانَّ اهل البادية منهم يسمُّون بالصلنبــاح فرخ نقَّاب السفن (وهو المارماهيج عندهم) واهل الحضر منهم يسمون بالسَّلَنبوح نوعًا من الدود يشبه صغير المارماهيج يخرج من بطن الانسان وهو المسمَّى عنــد الافرنج Ascarides lombricoïdes وهو الدُّوَّاد بالعربيَّة

٥٨ً (الحُفش) ذكرهُ صاحب محيط المحيط قائلًا: « نوع من السمك كبير » وهو معروف عند اهل البحرين بهــذا الاسم وبمعنى ما يقابلهُ عند الافرنج حرف إِسْتُرجون esturgeon واللفظة العربيَّة تعريب اليونانيَّة ἔλοψ بمعناهُ. فجُرّدت منها « ال » كما مر بك ذكر أمثالها. ثمَّ عُرّبت οψ فقيل فيها حفش[1]. وقد ذكر البستاني الحفش في دائرة المعارف باسمِ الافرنجي وقد كتبها: « استورجيون »

٥٩ً (ابو مَرِينا) تعريب μύραινα بمعناهُ وهو بالفرنسيَّة murène *et* lamproie وبالروميَّة muræna

١) في هذا الاشتقاق شيء من الغرابة ه. ل

في صدر هذه الترجمة ان الانقليس دخيل يوناني. والحال ان اليونان يميّزون بين الصلَّور والانقليس كما ان العرب المحقّقين يميّزون بين الجرّي والجرّيث. وعليهِ فخلط بعضهم لهاتين الكلمتين و إنزالهما منزلة واحدة لا يُعتدُّ بهِ ولا يُلتفت اليهِ

ومن الذين ميّزوا بين الاثنين ابن البيطار. قال في مادَّة السِلَّوْر: «هو الجرّيّ» (قلتُ: والمطبوع الجربي وهو غلط طبع ظاهر لانهُ يقول: وقد تقدَّم ذكرهُ في حرف الجيم. وهو لم يتقدَّم ذكرهُ هناك الَّا في مادة جرّيّ). وفي كلامهِ عن الجرّيّ ذكر اسماء جماعة من العلماء يقولون انّ السِلَّور هو الجرّي. وذكر في مادة مارماهيج ما نصُّهُ: «هو السليناج المعروف بالنُون وهو حوت طويل كالحيَّات مشهور». ولم يذكر انهُ الجرّي. فتأمل بعين سليمة صحيحة

امَّا الذين لم يميّزوا بين الجرّي والجرّيث او بين الصلور والانقليس فمنهم الدميريّ قال: «الجِرّيث بكسر الجيم والراء المهملة والثاء المثلَّثة هو هذا السمك الذي يُشبه الثعبان وجمعهُ جَراثي ويُقال لهُ ايضًا الجرّي بالكسر والتشديد وهو نوع من السمك يشبه الحيَّة ويُسمَّى بالفارسيَّة مارماهي. وقد تقدَّم في باب الهمزة انهُ الانكليس. قال الجاحظ: انهُ يأكل الجرذان وهو حيَّة الماء» اه. قلتُ: ولو لم يقل: «ويُقال لهُ الجرّي» لكان كلامهُ كلهُ النهاية في التحقيق والتدقيق لكنَّهُ مشابهةً في اللفظ ظنَّ انَّهما لغة كما توهَّمها جماعةٌ فخلط الاسمين. غير ان الدميريّ نفسهُ ميّز بين الاثنين في كلامهِ عن السمك عند تعداد انواعهِ وذكر خواصّ كلّ فريق منهُ قال (ج ٢ ص ٢٨): «والسلور هو الجرّي كثير الغذاء والفضول ويُصفي الصوت. والمارماهي يزيد في المني وشحم الكلى» اه. فلو كان المارماهي هو الجرّي كما ذكرهُ في مادة الجرّيث لذكر ذلك هنا ايضًا. ولَمَا فصل ذكر المارماهي عن ذكر الجرّيّ ولَمَا ميّز بين خواصّ كلّ منهما.

وقد وقع في هذا الوهم كثير من المحدثين منهم: صاحب محيط المحيط وصاحب اقرب الموارد في جرّيّ مادّة (ج ر ر) وصاحب مجلة الضياء ١: ٣٠٦ وكرَّر ذلك الاب لامنس في الفروق. قال «الصِلَّور الجريّ اي الانكليس وهو اكبر منهُ» فقد جعل الصلور للكبير من الانكليس. وقد أشبعنا هذه المادّة كلامًا تمحيصًا للحقيقة وتخليصًا للُغة من شوائب الابهام والايهام ولانَّ مجلة المشرق موقوفة لهذه الغاية ولمثل هذا المرام وقد آتاها الله من الآلاء ما تُحيي بها رميم هذه اللغة الغراء وتنشر بها

المتأكِل بالتغرغر بماء أُغلي فيه ولوجع الاذن والطحال والصداع المرنّ والنزلات وغيرها» اه بحرفهِ.— وقال صاحب محيط المحيط هو :« الخندوقى او يَرْبَطو وهو نبات...الخ.
وقال ابن البيطار :« العرفضيان (بفاء بعدها ضاد. كذا) وعرنفصان (بفاء بعدها صاد مهملة) وعرنفصانة ايضاً زعم قوم انهُ الدواء المسمَّى بعجميَّة الاندلس يريطوره (كذا بياءين تحتيتين قبل الراء والطاء وبهاء في الآخر) وقد ذكرتهُ بالياء في آخر الكتاب.
وقال ابو حنيفة: هو الخندقوقا (كذا) وقد ذُكر في الحاء المهملة » اه. وفي باب الياء يريطوره مذكورة يربطوره (بباء قبل الطاء) وقال في ترجمتها ما حرفهُ:« يربطوره » اسم لطيني وهي اعجمية وباليونانيـــة قوقادابن (كذا والاصح فوقادانن πευκέδανον).
ديسقوريدس في الثالثـــة هو نبات لهُ ساق رقيق يشبه ساق النبات الذي يقال لهُ حارانقون (كذا والاصح: ماراثْرُن μάραθρον) وهو الرازيانج »

تحقّقتَ الان ما قلتهُ لك مرارًا عديدة ان العرب يتصرَّفون بتصحيف الالفـــاظ وتحريفها وبتحويل المعاني عن امهاتها كيفما يشاؤون. فليس من مِصداقٍ لقولي مثـــل الشواهد التي اوردتها لك اذ رأيتَ العرنقصان واليربطوره زادتا ونقصتا احرفًا ولا اثم لهما سوى انهما اعجميَّتان. وقد رأيت ايضاً ان قوماً منهم فسَّروا العرنقصان بالخندقوقى اي lotus وان فريقًا آخر فسَّرهـــا باليَرْبطوره اي herba turea, *ou* queue-de pourceau وهو بالحقيقة ليس بواحد منهما بل هو نبـــات يُشابه اليربطوره بعض المشابهة في الظاهر والخاصّيَّة. والمشابهة بين الشيئين لا تُوحّدهما. واذا حفظت كل ذلك فاعلم هداك الله وايانا ان العرنقصان هو نفس النبات المسمَّى بالقِرْصعنة وهذه مقلوبة عن تلك وهو باللاتينيَّـــة eryngium وبالفرنسية panicaut وهو اسم جنس ينطوي تحتـــهُ انبتة عديدة ذكرها ابن البيطار في ترجمـــة قرصعنة اشهرها القرصعنة البيضاء panicaut des champs, chardon roland *ou* roulant et chardon à cent têtes (eryngium campestre) والقِرصعنَة السـاحليـــة : panicaut maritime والقرصعنة الجبلية p. des Alpes والقرصعنة الزرقاء p. améthyste

٦٩ً (القِرصعنة) قد مرَّ بك انها عن العرَنقصان

٧٠ً (الأُصطُبَّة والأُسْطُبَّة) تعريب اليونانية στύπη او στύππη وهي بالروميَّة stuppa *ou* stupa وبالفرنسية étoupe

٦٠ (ابو مِصقار) تعريب σκαρός بمعناهُ وهو بالفرنسيَّة scare وباللاتينيَّة scarus

٦١ (اللَّبيس) سمك معروف بسوريَّة تعريب λεβίας وبالروميَّة cyprinus niloticus

٦٢ (الخُرْص) بمعنى الحَلْقة من الفضة والذهب. والاصل فيها الحلقة من الذهب فعُمِّمَت وهي تعريب χρυσός بمعناها

٦٣ (الكُرُنب) نوع من السلق تعريب κράμβη بمعناهُ (راجع الفروق ص٣١٦)

٦٤ (الأُلُوَّة والأَلوة وسائر لغاتها) بمعنى العود والصبر تعريب ἀλόη معنًى ومبنًى

٦٥ (عُفُرَّة الحرّ وعَفَرَتهُ) لغة في (أُفُرَّة الحرّ) اي شدَّتهُ تعريب πυρετός بمعناها

٦٦ (القُرّ) بمعنى شدَّة البرد تعريب κρύος بمعناهُ

٦٧ (المُرَيطاء): «جلدةٌ رقيقة بين السُرَّة والعانة يمينًا وشمالًا حيث تمرْط الشعر الى الرفغين» (عن ابن دريد بحرفهِ). والظاهر من كلام العربَ ان اللفظة مشتقة من المَرَط. قلنا: والاصح انها معرَّبة عن περιτόναιον وباللاتينيَّة peritonæum وبالفرنسيَّة péritoine. واشتقاقهُ من المرط غير صحيح لان المراد بها جلدة رقيقة بين السرَّة والعانة من الداخل لا من الخارج اذ ليس ثمَّ من الخارج جلدة رقيقة. لكن لمَّا توهَّم العرب انها مشتقة من المَرَط ذكروا ما ذكروا وفرَّعوا لها معاني كما هو من ديدنهم في الالفاظ الدخيلة. امَّا وقوع الابدال بين الباء والميم فكثير انْ في المعرَّبات وان في العربيَّات. فانك تقول مثلًا الظأب والظأم وسَبَدَ شعرهُ وسمدهُ (المزهر ١: ٢٢٣) والنُبَح والمُنح (التاج). وقد اوردنا شاهدًا على ابدال هذا الحرف في الآخر والحشو والصدر. ولولا ضيق المقام لذكرنا اكثر من مائة من هذا النوع. وامَّا ابدال οναιον من المدّ فهذا من تصرُّفهم بالالفاظ. ومثلهُ الكلمة الآتية

٦٨ (العُرْقُصاء والعُرَيقصاء والعُرَيقِصانة والعَرَنقُصان والعَرَقَصان والعُرْقُص والعُرَقص) كلها معرَّبة عن ὄρυγγος او ἤρυγγος. جاء في التاج: قال الدينوري: «العرقصاء الحندقوق او يربطو. هكذا في سائر النسخ وهو الذُرَق. قالوا هو نبات ساقهُ كساق الرازيانج وجمَّتهُ وافرة متكاثفة عظيم النفع في جميع انواع الوباء ولوجع السنّ

٨٠ً (القَين) بمعنى الحداد مقطوعة من καμινεύς ومعنــاهُ الحداد وكل عامل يعمل امام مَوْقد او بقرب قمين او اتون (١

٨١ً (القِلّية) بمعنى شبه الصومعة تعريب καλιά ومعناها الكوخ والبيت الصغير والصومعة اي البيعة الصغيرة Petite chapelle en bois ومنـهُ قول عمر لنصارى الشام لمَّا صالحهم: «ان لا يحدثوا كنيسة ولا قِلِّية» (٢ (ستأتي البقيَّة)

نبذة في مصدر العلم ومحورهِ

للخورفسقفوس جرجس شلحت الحلبيّ السريانيّ

مقتطفة من كتابهِ المعَنْون بالنجوى في الصناعة والعلم والدين

مصـدرُ العِلم

الاستقراء في الجزئيَّات

إنَّما الحِـكْمةُ بِنتُ ٱلاختبارْ تَـقْتَنيها النَّفسُ بعد ٱلإعتبارْ
بَرَأَ الكـونَ إلٰهٌ واحدٌ خَيِّرٌ حَقٌّ جميلٌ ذو ٱقتِـدارْ
إذْ تُجيلُ الطَّرْفَ فيهِ تجتَلي جامِداتٍ سائلاتٍ وبُخارْ
معدنًا من كلّ صِنفٍ شائقٍ كـنحاسٍ ولُجَينٍ ونُضـارْ
وميـاهًا جارياتٍ أنْهرًا وضَبابًا وغيومًا وأوارْ
وبُروقًا ورُعودًا وحَيًا ودَياجِيرَ ليـالٍ ونَهارْ
وشتـاءً وربيعًا رائعًا وخريفًا قَبْلَـهُ فَصْلُ ٱلسُّعارْ
وسماء بالدَّراري رُصِعت ثابتٌ بعضٌ وبعضٌ في مَدارْ
وذُرورًا وغُروبًا وضِيا وكُسُوفًا وخُسُوفًا وسَرارْ

---

١) لا يبعد هذا الاشتقاق عن الصواب لانَّ العرب كانوا يحتقرون القيون وكان اكثرهم من الغرباء. راجع ديوان الاخطل (ص٢٢٣) والاغاني (٥: ١٦٩) ومقالتنا في «شاعر بني اميَّة» (Chantre des Omiades, p. 172) هـ. ل

٢) انَّنا نفضّل اشتقاق هذه اللفظة من اللاتينيَّة cella وهي بمعناها. والدليل على ذلك انَّ اللام في العربية مشدَّدة هـ. ل

٧١ (العُرَيقِطَة والعُرَيقصَة والعُرَيقِطان والعَرقصان والعَرَنقصان والعُرَيضة) عن التاج في مظانّهـا · دوَيبة كالجعل وهي تعريب لليونانيَّة ὀρυκτή بمعناهُ بالفرنسية orycte

٧٢ (الزّفر) حجر او خشب بارز عن الحائط ليُعلَّق عليهِ قنطرة او كشك او نحو ذلك · سوريَّة · وهي معرَّبة عن ζωοφόρος بمعناها

٧٣ (المَرسين) قال التاج: « المرسين ريحان القبور وهو الآس · لغة مصريَّة » اه · وهو تعريب μυρσίνη

٧٤ (الصُّفرق) نبت ولم يزيدوا عليهِ وهو تعريب σπαργάνιον وبلسان النباتيين sparganium وبالفرنسية rubanier

٧٥ (السُّندس) ضرب من الثياب · تعريب σάνδυξ بمعناهُ (١

٧٦ (القِلزّ) وصحفت عند بعض اللغويين الفِلزّ (بفاء موحَّدة فوقية) تعريب χαλκός او χαλκίς ومعناهُ النحاس والصفر والشَّبه (البُرُنز)

٧٧ (الغَلينة) الهدوْ والسكون في البحر · سوريَّة · تعريب γαλήνη زنةً ومعنى

٧٨ (الفُلْك) بمعنى السفينة يونانيَّتها φάλκης او φάλκις ومعناهُ جزء من جسم السفينة وسُميت هذه بهِ من باب تسمية الكل باسم الجزء

٧٩ (السُّنْبُوك والسُّنْبُوق) قال في التاج في شرح كلمة السنبوك هي « السفينة الصغيرة حكاهُ الزمخشري في الكشَّاف وهي لغة الحجاز نقلهُ الخفاجي في شفاء الغليل وقال انهُ ليس من الكلام القديم وحملهُ على المجاز من سنبك الدابة » · اه بحرفهِ · وقال في ترجمة السنبوق: « زورق سَفَر يُعمل في سواحل البحر وهي لغة جميع اهل سواحل بحر اليمن » اه · قلنا والكلمتان لغتان معرَّبتان وهما بمعنى واحد σαμβύκη وهو نوع من العُود كانت تصنع هذه السفن على هيئتهِ فسُمّيت بهِ · وهذا النوع من العود يسمَّى بالفرنسية sambuque او psaltérion

---

١) قد اثبتنا في كتاب الفروق (ص ٩٣ الحاشية ١) انَّ اصل السندس σινδών ولعلَّ هذا اقرب الى الصواب من σάνδυξ التي معناهـا الثوب الاحمر . — ونضيف هنا الى السندس كلمة اخرى بمعناهـا وهي « السَّرق » نشتقُّها من σεριχόν خلافًا لما زعم ابن دريد في الاشتقاق انَّ اصلها من الفارسية وكنَّا استندنا اليهِ سابقًا نحن ايضًا في الفروق (ص٩٢) ه · ل

أَكسَبَ الدنيا فُنونًا جِلّةً تفتنُ العقلَ وتُكسيهِ انبهارْ
فيُنادي قائلًا في صَدرِها إنّما الحِكمةُ بِنتُ الإختبارْ

مِحْوَرُ العِلْم

الإستدلال في الكليّات

نَرى مَطلَبًا بعدَ الطَّبيعة في العَدِّ يجلُّ عن الإطراءِ والوَصفِ والحَدِّ
هو المطلَبُ الأعلى الذي عزَّ نَيلُهُ وأعجزَ عَقلَ الفيلسوفِ النُّهى الفَردِ
فَطيرُ النُّهى إنْ حلّقت قصدَ وَصلِهِ تُغلُّ جناحاها بقَيْدٍ مِنَ القِدِّ
فكم قد وعى في جُرمِهِ من مَسائلٍ جليلةِ معنًى عَذْبةِ الصَّدرِ والوِرْدِ.
ألا وهي كُليّاتُ فِكرٍ بسيطةٌ حَقيقٌ بها التَّقديمُ في البحث والجِدِّ
أَجلْ إنّما الجزئيُّ فَرعٌ لهَونِهِ يُصدَّرُ بالإقراء في مكتَبِ الوُلْدِ
ولكنَّهُ الكليُّ قطبٌ ومِحوَرٌ يدورُ عليهِ العِلمُ في الفحصِ والنَّقدِ
لَئن كان كُلٌّ من فُنونِ الورى بَدَتْ ثَناياهُ بأستقراءِ عَقلِ فتى الجَهدِ
لقد شِيدَ صَرحُ العِلمِ واتضحِ الهُدى بفَلسَفةٍ نورُ المبادي لها يَهدي
على أنَّ نفسَ الباحثِ الشَّهمِ تعتَلي حَقائِقَ أُولى ثُمَّ تأخذُ أن تُبدي
وهاءنذا يا نفسِ أرقى الى ذُرى مباحثَ أولى أنْ تُقدَّمَ في السَّردِ
وأشرعُ في نجواكِ شرحًا لِصَدرِنا وما بُغيَتي إلّا التَّمجُّدُ في الخُلدِ
ألا فأصيخي لي هُديتِ مَسامعًا ودُمتِ إلى ما شاءَ ربُّكِ في سَعدِ

وللمؤلّف الفاضل بعد هذا مبحث طويل في علم ما وراء الطبيعة تثبت منهُ شيئًا عند سنوح الفرصة (المشرق)

التربة الزراعيّة

للشاب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر مفتّش الزراعة في لبنان

اعلم ان اجتماع بعض انواع المعادن على صفة معيَّنة يتكوَّن عنهُ ما يسمَّى نوعًا حجريًا او صخرًا. وعلى هذا فانَّ الصوان المحبَّب او المانع (granit) يدعى صخرًا

وحياةً في غَـذاءٍ ونَما   مِنْ نباتٍ ذي زُهاءٍ وازْهرارْ
عَرْعَرٍ رَنْدٍ وورْدٍ وبُهارْ   أُقحوانٍ زَعْفرانٍ وعَرارْ
وزُروعٍ دانيـاتِ ٱلمُجتَنَى   رازحاتٍ تحتَ أَعباءِ الثِّمارْ
حَيَوانًا فُصِّلت أَنواعُـهُ   أُسَراتٍ في سجاياها تُحـارْ
فوحوشٌ هائِماتٌ في ٱلعَرا   ومواشٍ داجنـاتٌ بالديارْ
وطيورٌ حائمـاتٌ في الهوا   وسِماكٌ عائماتٌ في ٱلبحـارْ
ثمَّ انسانًا حوى في ذاتـهِ   من صِفاتِ ٱلحيِّ أَعلاها نُجارْ
عنهُ يَمتازُ بعقْـلٍ نَـيِّرٍ   وجَبينٍ ذي سُمُوٍّ ووقارْ (١
أَبدعَتْـهُ أَنمُلُ الباري على   شبهِهِ (٢ خَلْقًا بديعًا في السِّيارْ
فبِروحٍ وبجسمٍ قد حَكَى م   ٱلملأَ ٱلأَعلى وعجماءَ القِفارْ (٣
هو في الدنيا مليكٌ مُطلَقٌ   وعليهِ نِعْمَةُ ٱللهِ شِعـارْ
كلُّ ما في ٱلكونِ يعنو خاشعًا   لِجاهُ في صَغارٍ وٱنكسارْ
فإِذا النَّفسُ رأَتْ ما في الدُّنى   حاولتْ مِنهُ عجومًا واستبـارْ
وغدت تَبحثُ عن أَحوالهِ   وهيَ تسعى في ٱختراعٍ وٱختيارْ
واكتشافِ حادثٍ يُجدي على   عَقْرِها جَدْوى فَلاحٍ وٱنتصار
ولقــد أَولَت عُلومًا جَمَّةً   هي للعِلمِ الطبيعيِّ إِطار
والصِّناعاتُ بدت بين الورَى   إِثْرَ حَومِ النَّفسِ حَولَ ٱلابتكارْ
فإِلى بعضٍ دعاها ٱلاضطرارْ   ولبعضٍ حسنُ ذَوْقٍ وخِيارْ
حُبُّها التَّمثيـلَ في عالَمِهـا   لجمالِ ٱلخَلْقِ آتاها ٱلفَخـارْ

---

١) قال أُويديوس الشاعر اللاتينيّ ما تعريبهُ: «الله آتى الانسان جبينًا ساميًا وأمرهُ أن ينظرَ الى السماء». وفي كتابي الموسوم «بالمَقصورة الرَّوحيَّة في السِّيرة الروحيَّة» نظمتهُ فقلتُ:

أَقهُ آتانا جبينًا قد سَما   وأَشارَ أَنْ نَرنو الى وجهِ السَّما

٢) سفر التكوين ١: ٢٦ و ٢٧

٣) قال القديس غريغوريوس في عُرض خطبتهِ في الصعود ما نصُّهُ: «انَّ الانسان يُشاركُ العجماوات في الحسّ والملائكةَ في التعقّل» طالع الخلاصة اللّاهوتية ق ١ مب ٥٤ ف ٥

٢ في اصل التربة الزراعيَّة

كيفية تكوُّن الصخور — اعلم انَّ ارضنا ما هي سوى شمس منطفئة لان العناصر التي تتألَّف منها ما كانت توجد في الاطوار الاولى لكيانها الَّا بصفة ابخرة او غازات نظرًا لما كان وقتئذٍ من شدَّة درجة الحرارة. ثم ان هـذه الابخرة والغازات بعد ان طافت في الفضاء دهرًا طويلًا اخذت تبرد بالتدريج وكانت كلما خفَّت حرارتها ذاب بعض الجواهر وجمد البعض الآخر فما كان بينهُ تقارب اتحد وكوَّن موادَّ مركَّبة. وعن اقدم هذه الموادّ الصخريَّة تكوَّنت القشرة الاولى التي جمـدت بالبرودة على سطح كرتنا الذائبة وقتئذٍ. امَّا سائر الصخور التي وجدت بعـد ذاك فقد انقذفت من البراكين الى الخارج لان قلب الارض المصهور بالحرارة قد كان احيانًا يخرق القشرة المتجمدة قاذفًا الى ما فوقها سيولًا من الموادّ الذائبة التي كانت تتجمَّد بعد ذاك. ولهذا يذكر الجيولوجيون نوعين من الصخور اي الصخور الاصليَّة والصخور الراسبة

وبينما كانت الامور جاريةً على ما تقدَّم ذكرهُ اخذت البرودة في تكثيف الابخرة والغازات التي كانت حائمة حول الكوكب الحديث الانطفاء وهكذا اتحد الهيدروجين والاوكسيجن حالما انخفضت الحرارة الى درجة كافية وتكوَّن عنهما الماء الذي تساقط بالتدريج مطرًا فغطَّى كل سطح الكرة ما خلا اعالي الجبال. وامَّا سائر الصخور فانها صارت الى قلب المياه على طبقات مختلفة الحجم ولهذا فانَّ اصلها الماء ومن ثمَّ تدعى منضَّدة (roches stratifiées) او رسوبيَّة (sédimentaires)

وليس الصخور من عمل النار او الماء فقط. وانما قامت بتركيبها ولا تزال ربواتٌ من الحييوينات الصغـيرة التي تسكن قلب الارض. ومن فحص طبقات الصخور وجد فيها غالبًا بقايا الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في وسطها يوم رسوبها. وهذه البقايا تدعى آليَّات متحجِّرة (fossiles)

فبعد هذه المقدَّمات في تعريف تركيب الحجارة يمكننا الآن ان نشرع في البحث عن التربة لاسيما مـا يصلح منها للفلاحة اذ ليست التربة سوى نتيجة تفتُّت الصخور وانحلالها

في بيان انتقاض الصخور وتفتّتها — انهُ لمن الامور غير المنكرة ان الصخور تنتقض وتتحلَّل شيئًا فشيئًا بتوالي الاعصار اذا ما عملت فيها العوامل الطبيعيَّة. فمن جملة هذه

لأَنهُ متكون بصفة قانونيَّة من ثلاثة انواع من المعادن وهي الكوارتز والفلدسپات والميكا

والارض في اصطلاح اهل الزراعة عبارة عن مجموع من الصخور يقابل مدة معيَّنة من الازمنة الجيولوجية . امَّا التربة في عرفهم فهي تفكُّك الصخور وانحلال عناصرها خاصَّةً بقوة العوامل الطبيعيَّة والكيماويَّة

١ تعريف التربة الزراعية

ان المراد بالتربة الزراعيــة هو الطبقة الترابيَّة التي يتولَّد فيها النبات وتقف عند اقصى العمق الذي تتناولهُ آلات الفلاحة . وللجزء المستتر منها شان عظيم في تغذية النبات فقد ثبت بالمراقبــات العديدة ان اصول النبات تغوص في التراب الى حدّ عميق جدًّا حتى ان بعضها تبلغ مترًا ونصف متر ومنها ما ينفذ الى عمق مترين بنيف

وبين ظاهر التربة والخفي منهــا في الاراضي المفلوحة حدّ معلوم يدلّ عليهِ تغيير اللون ولون الظاهر يكون بوجه الاجمــال مشبعًا اكثر من لون الخفي . و يوجد هذا الحدّ عادةً على عمق ثلاثين سنتيمترًا

ثمَّ انَّ التربة الصالحة للزراعة هي عضــد النبات بل مخزن قسم من غذائهِ بل هي ثروة الفلَّاح الذي يستطيع ان يتَّخذ منها حاصلات مختلفةً بحسب تركيبهــا وأَوصافها . لانهُ متى عرف العلَل التي تجعلها مُغلَّةً او غير مغلَّة موافِقةً لنوع من المزروعات او غير موافقة لنوع آخر علم ايضاً كيف يتخذ منها ثمرةً لاتعابهِ

ولا ريب انَّ علائق التربة الزراعيَّة مع الفــلاحة هي قويَّة وكثيرة فان التركيب المعدني في الظاهر والخفي من التربة وخواص الرطوبة واليبوسة في الصخور وقبولهــا للترشُّح او عدم قبولها كل ذلك لهُ تأْثير عظيم في النبــات . لأَنهُ من المسلَّم ان الفلَّاح الذي يعرف خواصّ التربة والصخور التي تحملهــا يعلم انواع السماد المناسبة لها والطرق التي يتمكَّن بها من تحسينها . ومن ثمَّ فاوَّل شيء يجب عليــهِ هو درس احوالها درساً مدقَّقاً حتى يتمكَّن من ان يجتني منها كل النفع اللازم . ومن المؤَكد ان الخبرة والتجربة لا تكفيان للوصول الى المعلومات اللازمة بل ربَّما ادَّتا ايضاً الى الغلط

locale) امَّا اذا جرفت السيولُ هذه الاجسام المعدنية فرسب منهـا قسمها الغليظ قيل للموادّ المعدنيَّة المجروفة الى امكنة شتى تربة نقلية (terrain de transport)· واذا كانت هذه الرواسب حديثة التركيب قيل لها تربة جرفيَّة (terrain d'alluvion) او طين (limon)·وفي مثل هذه التُّرَب موادّ مغذية كثيرة الخصب

فان حفظت ذلك فهمتَ ما هو اصل التربة الزراعية القديمة وكيفيَّة تركُّبها· والاسباب المذكورة سابقًا لا تزال دائبةً تعمل حتى اليوم وان كان عملها محصورًا بعض الحصر

واعلم ايضًا انَّ في التربة الزراعية ما خلا قسمها المعدني شيئًا من الاجسام الآلية تتأَتَّى فيها من تحلُّل النبات وتفكُّك هياكل الحيوانات

٣ العناصر الداخلة في تركيب التربة الزراعية

في التربة الزراعية اربعـة عناصر جوهريَّة وهي الصلصال والمادَّة الآلية والرمل والكلس نذكرها فردًا فردًا

١ الصلصال · يتركَّب الصلصال الخالص من السليس (silice) والالومـين يُضاف اليهما قسم من الماء يبلغ من سبعة اجزاء الى ٢٥ جزءًا في المئة·وهو ناجمٌ من انحـلال الصخور السّلسيَّة لاسيما الفِلدسپاث بواسطة العوامل الطبيعية التى سبق ذكرها · ويدخل في تركيب هذه الصخور عناصر اخرى كالكلس والپوطاسا والقلى وهـذه الاجسام تتحلَّل بالماء اذا امتزج بِهِ الحامض الكربونيك فتجرفهـا المياه على هيئة البيكَرْبونات ويبقى سليكات الأُلومين وهذا سليكات الالومين اذا أُشبع ماءً صار صلصالًا

ومن خواصّ الصَّلصال انهُ ينحلّ بالماء فيصير معهُ كعجون يختلف في تماسُكهِ وذاك هو الفخَّار·فاذا يبس تقلَّص وتشقَّق·واذا مسَّ اللسانَ لصق بهِ لتعطُّشهِ الى الماء··ومن منافع الصلصال انَّهُ يُتَّخذ للآنية الخزفيَّة والقرميد والآجرّ· امَّا الصلصال الذي يدخل في التربة الزراعيَّة فانَّهُ ليس بخالص·والصلصال الخالص يكون ابيض ويُدعى كاولين (kaolin)·والصلصـال الارضيّ يدخلهُ اكسيد الحديد وشيء من الكلس والمغنيسيا فيتلَّون بالوان هذه الاجسام

الدواعي ما كان طبيعياً او ميكانيكياً ومنها ما ينجم عن عوامل كيموية

١ العوامل الطبيعيَّة والميكانيكيـة — اوَّل هذه العوامل الماء لما يطرأ عليهِ من التجمُّد او السيلان . وذلك انَّ الماء ينساب في مسامّ الصخور النخرة فاذا اصابهُ برد قارس يتجمَّد في قلب الصخرة ويزيد حجمهُ بتجمُّدهِ فيشقق بذلك الصخورَ ويفتتها

ومن هذه الاسباب ايضاً احتكاك الاجسام المعدنيَّة فان السيول والانهار تجرفها فتصدمها اجسامٌ اقوى منها وتفتتها . وكذا تفعل المياه بالحصى التي تقتلعها عند جريها . وربَّما اصطكَّت هذه الحجارة ببعضها فتنعَّمت وتفتَّتت وحصلت من انحلال اجزائها ذرَّات التربة . وللمثالج المتجمدة مثل فعل المياه في تحطيم الصخور وتنعيم اقسامها وان كان عملها ابطأ واخفّ

ومن العوامل الطبيعيَّة ايضاً التي تقوى على دكّ الصخور وسَحقها زلازل الارض والرياح الشديدة والاعاصير وانقضاض الصواعق وتغيُّر احوال الجوّ لما يصيب الصخور من جرَّاء ذلك من التقلُّص والتخلخل المتواليَين . وزد على هذه العوامل الحُممَ المصهورة التي تقذفها البراكين المضطرمة فانَّ هذه الاجسام لا يمرُّ عليها عشر سنوات حتى تتحوَّل الى تربة حسنة تصلح للزراعة

٢ العوامل الكيمويَّة — هي كثيرة وعملها في الصخور متداوم . فمن ذلك الحامض الكربونيك والاكسيجين المختلطان بالهواء فانهما مع مساعدة الماء يفتكان باغلب الصخور فتكاً ذريعاً . ففي التربة الزراعيَّة مثلًا شيء كثير من الصَّلصال (argile) والصلصال لا يحصل من تفتُّت الصخور بل من تحليلها الكيمويّ . وذلك انَّ الفِلدسپات مركَّب من موادّ صوّانيَّة كالسليس والألومين والپوطاسا فاذا مسَّهُ الهواء تركَّب الحامض الكربونيك والپوطاسا فيبقى السليس والالومين ومنهما الصلصال

وممَّا يزيد ايضاً في التربة الزراعيَّة الصخور المنضَّدة المعروفة بالشِسْت (schiste) فانَّ اقسامها قليلة الانضمام سريعة التفتُّت في الهواء . وكذلك الحجار الكلسيَّة تتسلَّط عليها العوامل الطبيعيَّة والكيمويَّة معاً فتقسم اجزاءها

فعلى هذا المنوال دخلت الاجسام المعدنيَّة في التربة وأنمتها . وربَّما تجمَّعت هذه التربة في موضعها بما نالتهُ من تحطُّم الصخور السفلى . ولذلك تدعى هذه التربة بالمحلّية (terre

يحوّل الازوت (الذي لا يغذي بنفسهِ النبات) الى مادَّة مركَّبة من النطرون والپوطاسا تصلح للنبات ايّ اصلاح وتغذيهِ غذاء حسناً

فممّا سبق ترى ما للتربة الثروّية من الشأن العظيم في تحسين التربة لانها هي مصدر غذاء النبات. ولهذا ايضاً فعلٌ آخر فانّها تجهز كميّة وافرة من الحامض الكربونيك وبذلك يتركّب كربونات الكلس الذي يدخل في عنصر النبات

ومن منافع التربة الثروّية انّ لها ميلاً طبيعياً الى الموادّ المعدنية فتقوى بذلك على ضبط عناصر كثيرة تصلح لغذاء النبات ولولا ذلك لفُقدت هذه الموادّ ونفذت في الارض السفلى دون فائدة. وزد عليهِ انّ لهذه الموادّ النباتية عملاً طبيعياً في تحسين التربة الزراعيّة لانها هي التي تضمّ العناصر الرملية وتبدل تركيب الصلصال وتنقّيهِ. وبعملها هذا تعطي الارض حاجتها من الهواء وتصون رطوبتها وتهيّئها للزراعة

٣ الرمل. هو من حيث كميّتهِ اكبر العناصر شأناً. وخاصّتهُ العظمى المميّزة لهُ في تركيب التربة انّهُ لا تماسُكَ بين اقسامهِ. ومن هذا القبيل عملُهُ ضدّ عمل الصلصال والموادّ الآلية لأنّهُ هو المسهّل لشقّ الارض وفلاحتها. والتربة التي يكثر فيها الرمل يقال لها خفيفة (terres légères) يُراد بذلك انّ آلات الفلاحة تخدُّها دون عناء. وخفَّة التربة هذه تأتيها خصوصاً من الرمل السليسيّ او الصوّاني الذي لا يدخلهُ موادّ كلسية. والرمل المتركّب من السليس لا يصيبهُ في عنصرهِ تغيير ولا فعل لهُ سوى كونهِ عاملاً لتخديد الارض. امّا اذا دخل تركيبهُ الفلدسپاث او غير معادن قابلة التحليل صار لهُ فعل كيمويّ في التربة. ومن منافع الرمل في الارض الزراعية انّهُ يمكّن اقسام التربة من اختلاط بعضها ببعضها ويهيّئها للزراعة ويحفظ فيها الحرارة اللازمة لذلك

٤ الموادّ الكلسيَّة. الكلس من انفع العوامل لنمو النبات. فاذا امتزج بالحامض الكربونيك حصل من امتزاجهما كربونات الكلس وهي حجارة الكلس وهذه الحجارة الكلسيّة يعمل فيها الماء والحامض الكربونيك معاً فيحوّلانها الى البيكروبونات الذي يتحلّل شيئاً فشيئاً ويذوب وفقاً لناموس طبيعي مقرَّر اثبتهُ العلامة شلوزنغ بما تعريبهُ: « انّ بين القوة الامتداديّة التي يملكها الغاز الكربونيك و (بين) ثقل كربونات الكلس المتحلّل على هيئة البيكربونات تناسباً تامّاً حتى انّهُ يمكن تعريف النقص

والصلصال كثير في الطبيعة قلّما تخلو منـــهُ ارض . وصلصال الطرق والشوارع يتركَّب من اصناف صلصاليَّـــة عديدة كالصلصال الرملي والصلصال اللزج (argile colloïdale) ومن هذا الصنف ينال الصلصالُ كثيرًا من خواصّهِ مع انَّ كميّتهُ قليلة لا تتجاوز الاثنين في المئـــة . فيقال للصلصال انّهُ ضعيف او متوسّط او دسِمٌ بالنسبة الى ما يدخلهُ من الصلصال اللزج . ومن خواصّهِ في الارض انهُ يزيدها صلابةً ونداوةً

٢ المادَّة الآلية . انَّ هذه المادَّة كثيرًا ما تختلط بالتربة الزراعيَّة وهي تدعى التربة الثرويَّة (terreau,humus) وتتكوَّن من اخلاط الاجسام الآلية سواءٌ كانت من الحيوان او من النبات بعـــد فساد انتظامها بقوَّة الاكسيجين والرطوبة والجراثيم الصغرى . ومن هذا التحليل الطبيعيّ يحصل الحامض الكربونيك والحامض الازوتيـــك وشيء من الماء . بيدَ انَّ هذه الموادّ الآلية لا تنحلُّ كلها بالسهولة نفسها فمنها ما يُستخلَص عنها الكربون اذا حُرقت دون عناء كدقيق العظام وزبل الطيور الداجنة والسمادات . منها ما يقتضي تحليلُـــهُ بعضَ المشقة كالجلود . واصعب الموادّ تحليلًا نشارةُ الخشب والنبات المتفحّم (tourbe) فانَّ الميكروب يشرع بتحليل اقسامها الليّنة ثمَّ ينتقل الى الاقسام الصلبة التي لا يقوى عليها الّا بالعناء الطويل . ومن هذه الاقســـام تتكوَّن المادَّة الآلية الصالحة للحراثة . وممَّا لاحظهُ ارباب الفلاحة انَّ السماد النـــاضج وهو الذي عملت فيهِ الميكروبات يتحلّل ببطء بخلاف السماد الحديث . والارض النباتيـــة نفسها لا تخلو من بعض الاختمار والاحتراق وان كان ذلك بطيئًا والمادَّة الباقية من هذا الاحتراق اشدّ صلابةً واصعب تحليـــلًا ايضًا . ولهـــذا السبب ترى المواد الآلية المطمورة تحت الارض ابطأ احتراقًا من الموادّ المكشوفة فوق الارض لانَّ تلك الموادّ احترقت مرةً اولى لمَّا كانت سابقًا في التربة الزراعية . وقد بيَّن ذلك بالبرهان الزراعيُّ الشهير شلوزنغ (Schlœsing)

والاحتراق في هذه الموادّ لا ينال فقط الكربون والهيدروجين بل ترى الاكسيجين يتعدَّى ايضًا الى الازوت فيحلّلهُ ويحوّلهُ الى حامضٍ أزوتي . وهذا الحامض يتركَّب مع بعض الاركان المعدنيَّة فتحصل من هذا التركيب اخلاط ازوتية (azotates) او نطرونية (nitrates) ولذلك يقال لهذا التحليل تَنطُرُن (nitrification) . وهو تركيب كيمويّ

اتخذوا الخشب بدلًا من الآجرّ وطبعوا الكتب بالحبر على هذه الاخشــاب البارزة الحروف . وقد رأينا في دار التحف البريطانيّة التآليف الصينيّة التي طبعت على هذه الصورة طبعًا حسنًا منذ القرن الثالث عشر للمسيح وطبعها على الورق الصيني الرقيق

ومن الاكتشافات التي وقف عليهــا المستشرق هامر برغشتال (١ ان عرب بلاد الاندلس لم يجهلوا فنّ الطباعة ولعلّهم اهتدوا اليهِ بعد فتوحهم لقسم من بلاد الهندستان ودخولهم في الصين. ومّما يشهد على ذلك ما ورد في كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة سنة ٧٧٦ ه‍ (١٣٧٥م) في ترجمة ابي بكر القلوسي الاندلسي قال: « والّف كتاب الدرة المكنونة في محــاسن اسطبونة (Estepone) ... ورفع للوزير الحكيم كتاباً في الخواصّ (خواصّ) وصنعــة الأمدَّة وآلة طبع الكتاب غريبٌ في معناهُ ». وجاء ايضًا في كتاب الحلّة السيرَّاء لابن الاثير (ص ١٣٧ من طبعة دوزي) عن بَدْر مولى الامير عبد الله انَّهُ كان « يكتب السجلات في دارهِ ثمَّ يبعثها للمطبع فتُطبع وتخرج اليهِ فتبعث في العمَّال » . وهذا دليلٌ على ان العرب كانوا يعلمون فنَّ الطباعة على الحجر. وكانوا يحفرون ايضًا الخشب للطبع يؤيد ذلك طابعٌ كان اصحاب القيساريَّة في مدينة المِريَة في الاندلس يرسمون بهِ البضائع يرتقي عهده الى سنة ٧٥٠ ه‍ (١٣٥٠) (انظر صورتهُ في الصفحة ٨١) وهو كما رسمهُ العلامة المذكور آنفًا

بيد انّ هذا الفنّ كان صعب المزاولة يقتضي زمنًا طويلًا وعناءً شاقًا. فألهم الله في اواسط القرن الخامس عشر رجلًا يُدعى حنًّا غوتنبرغ وَضعَ الحروف المنفردة يصفُّها المرتبون كما يشاؤون ثم يفرّقونها بعد الطبع لتصنيف كُتب جديدة. فاتخذ اوّلًا غوتنبرغ حروفًا من الخشب ثم بدلها بالرصاص وساعدهُ في عملهِ رجلان اسم احدهما حنًّا فوست من اغنياء مَيَنز (Mayence) وبطرس شوفر من حذَّاق العمَلة فتوصَّلوا الى ان ينشروا بالطبع سنة ١٤٥٠ كتاب التوراة باللاتينيَّة. فما لبث ان شاع هذا الاختراع في الاقطار الاوربيَّة وانتشر هذا الفنّ الجليل في كلّ انحــاء المعمور. وما زادهُ شيوعًا انَّ شوفر شريك غوتنبرغ توصَّل الى وضع الأمَّهات لسكب الحروف وصبِّها

١) راجع المجلة الاسيويَّة الفرنسية سنة ١٨٥٢ ص ٢٥٢ (J. A., 4e Série, XX, 252)

الحاصل في ثقل الكربونات بشرط ان تُعرف كميّـةُ الماء الذي سقى الارض في وقت معلوم وكميّة الغاز الكربونيك الموجود في هذه الارض نفسها »

هذا وان الموادّ الكلسية كثيرًا ما تحتوي على الحامض الفسفوري وهي التي تنظِّم ما يحصل في التربة من الاعمال الطبيعيّة والكيموِيّة. فمن ذلك ان كربونات الكلس يمتزج بالصلصال فيلطِّف قوّتهُ الماسكة فيجعلهُ قابلًا للنفوذ وبذلك تصبح الاراضي الزراعيّـة سهلة الفلاحة. وبخـلاف ذلك اذا كانت كمية الرمل زائدة امتزج الكربونات بالرمل وانالهُ ما يحتاج اليهِ من التماسك اللازم لحمل النبات وتقويتهِ

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

كان صاحب الهلال منـذ ثلاث سنوات ادرج في مجلّتهِ (٦ : ٢٤٩) مقالةً في اختراع الطباعة وتاريخها في اوربّة ختمها بذكر تاريخ الطباعة العربيّة. وهذه النبذة في المطبوعات العربية مع فوائدها لا تتجـاوز ثلاث صفحات ولا تكاد تفي بالموضوع فضلًا عن انّ كاتبها الاديب جمع فيها الغثّ والسمين. فرأينا ان نعود الى هذا البحث ونثبت كلّ ما امكننا جمعهُ من تاريخ الطباعة الشرقيّة

اصول فن الطباعة

واول ما يحقُّ لاهل المشرق ان يفتخروا بهِ ان فنّ الطباعة في بلادهم اقدم منهُ في بلاد اوربّة. وقد اكتشف علماء العاديّات في بابل قوالب ناتئة الحروف كان ملوك الكلدان يتخذونها لطبع نسخٍ من اوامرهم الرسميّة نحو الف سنـة قبل المسيح. فكان العمَلة يجعلون هذه القوالب على الآجرّ قبل طبخـهِ فتتمثّل الحروف محفورةً. وقد شاع مثل هذا الفن عند الصينيين بعد المسيح بنحو ستمائة سنة. بيد ان الصينيين

موسى الماردينيّ . ونخصّ ايضاً بالذكر الكتب الطقسيّة للكنيسة المارونيّة التي طُبعت في رومية بامر البابا وَين غريغوريوس الثالث عشر وبولس الخامس في مطبعة دومينيك باسا اوّلها صلوات الكنيسة المارونيّة السبع بالكرشوني سنة ١٥٨٤ . ثمّ نشر بالسريانيّة كتاب الجنّاز الماروني سنة ١٥٨٥



رسم طابع عربيّ قديم (اطلب ص ٧٩)

غير انَّ الكتب العربيّة نالت في اوربّة النصيب الاعظم في الطبع وحازت مطابع رومية السهم المعلَّى . ففي سنة ١٥٦٦ اهتمّ الاب حنا اليان اليسوعي في ترجمة كتاب « اعتقاد الامانة الارثذكسية في كنيسة رومية » ثمّ طبعهُ في مطبعة المدرسة الرومانيَّة للآباء اليسوعيين . ولهُ ايضاً كتاب جدال في صحّة الدين المسيحيّ دعاهُ « مصاحبة روحانيَّة بين عالمين » وطبعهُ في المدرسة عينها (١ . وفي سنة ١٥٨٤ نشر دومينيك باسا السابق ذكرهُ بالحروف العربيَّة اوّل كتابٍ علميّ طُبع في لغتنا وهو كتاب البستان في عجائب الارض والبلدان لسلامش بن كندغدي الصالحيّ

ومن المطابع الرومانيّة الشهيرة مطبعة آل ميديسيس (Médicis) التي سعى بانشائها الدوق فرديننْدس الاول وكان وكل الى احد الطبَّاعين الحذقاء اسمهُ روبرت غرانيون (Granion) بحفر حروف عربية فاحكم العمل وحفر اربعة اجناس من الحروف طبع بها آلُ ميديسيس كتباً عديدة نفيسة اولها كتاب الاناجيل المقدَّسة سنة ١٥٩١ بحرف مشرق وتصاوير جميلة على الخشب نقشها تمپستا (Tempesta) من اشهر نقَّاشي ذلك العصر . وقد طُبعت هذه الاناجيل طبعةً أُخرى في السنة عينها مع ترجمة لاتينيَّة حرفيَّة مدرجة في المتن العربي . وفي السنة التالية نشرت المطبعة المذكورة كتاب مبادئ اللغة العربية ليوحنّا ريمُندي ثمّ كتاب الكافيَة وكتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق لابي عبد الله محمَّد المعروف بالشريف الادريسي وقد نقل هذا الكتاب الى

١) راجع قائمة كتب العلّامة دي ساسي (١ : ٨٧) وقائمة شنورر (ص ٢٣٦)

مبادئ طباعة اللغات الشرقية في اورَّبة

لم يمرّ على اختراع فنّ الطباعة بالحروف المنفردة خمس سنوات حتى فكَّر العلماء في وضع حروف لطبع اللغات الشرقيَّة . واللغة العبرانيَّة هي اول لغة شرقيَّة نُشرت بالطبع ففي سنة ١٤٥٥ طُبعت التوراة العبرانية في فرَاري (١ . وفي سنة ١٤٧٦ طبع ابرهيم ابن حاييم اليودي فيها كتاب ארבע טורים واشتهرت بعدئذٍ سنة ١٤٨٠ مطبعة مدينة سونسينو (Soncino) من اعمال دوقيَّة ميلانو (٢ حتى كثر طبع كتب العبرانيَّة في ايطالية واشتهر بين النصارى في هذا الامر الطبَّاع بُمبرغ (Bomberg) في البندقيَّة وبعده غيليوم پوستل (G. Postel) وروبرت اسطفان(R. Etienne) في باريس

وللغة العربيَّة المقام الثاني في تاريخ الطباعة . فانَّ اوَّل كتاب طُبع بلغتنا الشريفة نُشر بالطبع في فانو (Fano) في ١٢ ايلول سنة ١٥١٤ لا كما زعم الهلال (٦ : ٢٥٢) سنة ١٥١٦ . وهو كتاب صلاة السواعي (٣ حسب طقس كنيسة الاسكندريَّة . وهذه المطبعة العربيَّة كان سعى بانشائها البابا يوليوس الثاني في اوائل القرن السادس عشر ووكل امرها الى الطبَّاع غريغوريوس جرجس البندقيّ . امَّا الكتاب فصفحاتهُ ٢١١ بقطع الثمن (in-8) . وظهر بعد هذا الكتاب بسنتين (١٥١٦) التأليف الذي ذكرهُ صاحب الهلال وهو سفر الزبور باربع لغات وهي العبرانيَّة واليونانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة ولكلّ هذ اللغات ترجمة لاتينيَّة مطابقة لاصلها . وهذا الكتاب كبير القطع طُبع في جنوة بهمَّة بطرس پورُوس (Porrus) في مطبعة نيقولا بولس جوستينياني لملك فرنسة فرنسيس الاول . ثمّ نشر الطبَّاع پوستل في باريس مبادئ اثنتي عشرة لغة شرقيَّة سنة ١٥٣٨ بحروف هذه اللغات الاصليَّة ومن جملتها السامريَّة والسريانيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة والكرجيَّة والارمنيَّة . فانتشرت بعد ذلك بزمن قليل حروف كلّ هذه اللغات في اورَّبة . ومن الطبعات القديمة الحريَّة بالذكر الاناجيل الاربعة بالسريانيَّة في ڤيِنَّة عاصمة النمسة سنة ١٥٥٥ نقلًا عن نسخةٍ ارسلها البطريرك اغناطيوس الانطاكيّ على يد القس

١) راجع De Rossi : *De typogr. hebræo-ferrariensi*, p. 40

٢) راجع Notices et Extraits, I, 1787, p. *liv*

٣) راجع قائمة مكتبة دي ساسي (١ : ٢٩٠) . وقائمة المطبوعات العربية للعلامة شنورر (Schnurrer) ص ٢٣٥

معاً. ومما طُبع في رومية في غير مطبعة انتشار الايمان اعمال المجمع الخلقيدوني بالعربية (١٦٩٤) وترجمة اخرى للكتب المقدسة سعى بها رافائيل الطوخي الاسقف القبطي (١٧٥٢) وهو الذي نشر كتب كنيسته الطقسية بالقبطية (راجع المشرق ٢ : ٨١٧) واعمال مار افرام بستة مجلدات (١٧٣٧) نشرها الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني وأتمها السمعاني. وكتاب الكمال المسيحي لرودريكوس(١٧٦٧)وقد سها عن ذكره شنورر

ومن المطابع القديمة التي شاع اسمها في اوربة بكثرة مطبوعاتها الشرقية مطبعة لَيدن من اعمال هولندة انشأها العلامة الشهير توما اربنيوس (Erpennius) سنة ١٥٩٥ وخدمت العلوم خدمةً جليلة. ومن مطبوعاتها امثال لقمان (١٦١٥) والعهد الجديد عن نسخة ترتقي الى سنة ١٢٤٣ (١٦١٦) وقصة يوسف البار من القرآن وهو اول كتاب ضُبط بالشكل الكامل والآجرومية (١٦١٧) وكتاب توراة موسى (١٦٢٢) وتاريخ جرجس المكين المعروف بابن العميد (١٦٢٥) ومجموع امثال علي بن ابي طالب (١٦٢٩) وعجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عربشاه (١٦٣٦) وسيرة السيد المسيح بالفارسية للاب ايرونيم كسافاريوس اليسوعي (١٦٣٩) ولغز قابس(١٦٤٠) وقاموس غوليوس (Golius) (١٦٥٣) وقسم من مقامات الحريري (١٧٤٠) ومعلّقة طرفة (١٧٤٢) وديوان الامام علي (١٧٤٥) ولامية كعب بن زهير (١٧٤٨) وسيرة صلاح الدين الايوبي لابن شدّاد (١٧٥٥) وقصيدة البُردة (١٧٦١) وكليلة ودمنة (١٧٨٥) وتاريخ الحبش للمقريزي (١٧٩٠) ونخبة من امثال الميداني (١٧٩٥) وتآليف غير هذه لم يسعنا ذكرها. وقد نالت اليوم مطبعة ليدن المقام الاول بكثرة مطبوعاتها وفيها من العلماء المستشرقين قومٌ مبرّزون يتقدّمهم العلامة دي كُوي (de Goeje) الشهير الذي رأينا من انسهِ وفضلهِ اكثر مما سمعنا

ومن المطابع الشهيرة في اوربة بطبع التآليف الشرقية مطبعة باريس الملكية وحروفها هي الحروف التي هم بحفرها ساڤاري واسطفان پولينوس السابق ذكرهما. واول كتاب طُبع في عاصمة فرنسة كتاب « في صناعة النحو » للقس جبرائيل الصهيوني والشمّاس يوحنّا الحصروني سنة ١٦١٣ وكتاب الزبور بالسريانية واللاتينية (١٦٢٥) وقصيدة ابن العبري في الحكمة الالهية (١٦٢٨) ومعجم ارمني لاتيني (١٦٣٣) وكتاب التعليم المسيحي للكردينال ده ريشليو (de Richelieu) عرّبهُ الاب ده بوواز

اللاتينيَّة سنة ١٦١٩ العالمان المارونيَّان جبرائيل الصهيوني ويوحنَّا الحصروني ثم ترجمهُ الى الايطاليَّة سنة ١٦٣٢ الاب دومينيك ماكري اليسوعي. وفي السنة ١٥٩٣ نشرت المطبعة الميدسيَّة قانون ابن سينا وفي آخرهِ كتاب النجاة وهو مختصر الشفاء. وفي ١٥٩٥ طبعت كتاب تحرير اصول اوقليدس من تآليف نصير الدين الطوسي وكتبًا غير هذه

ومن المطابع الشهيرة في رومة مطبعة العلامة ساڤاري دي براف (Savary de Brèves). وكان هذا في اول امرهِ سفيرًا لدى الباب العالي في عهد هنريكس الرابع وكان مُغرًى بالعلوم الشرقيَّة فحفر في باريس امَّهات للحروف العربيَّة ابدع من حروف مطبعة الميديسيس واتى بها الى رومة فطبع بعض كتب كالتعليم المسيحي للكردينال بلرمين سنة ١٦١٣ وكتاب المزامير (١٦١٤) وقف على طبعهِ المارونيَّان الشهيران جبرائيل الصهيوني ومنصور شالاق العاقوريّ. وبهذه الحروف نفسها نشر الطبَّاع اسطفان بولينوس كتبًا اخرى في رومة منها معجمٌ سريانيّ لاتينيّ للاب يوحنا فرَّاري اليسوعي ومبادئ اللغة العربيَّة لمنصور شالاق المذكور سنة ١٦٢٢ ثمَّ نحو اللغة العربيَّة لبطرس المطوشي اليسوعي الماروني (١٦٢٤) وكتاب الايساغوجي في المنطق (١٦٢٥)

وفي هذا الزمان اخذت جمعيّة انتشار الايمان في رومة تسعى بنشر الكتب المفيدة وقد نالت بين المطابع الاوربيَّة شهرة عظيمة حتى فاقت بطبع اللغات الشرقيَّة ما سواها. واول كتاب عربي عُنيت بطبعهِ التفسير الواسع على تعليم الكردينال بلرمين نقلهُ الى العربيَّة حنا الحصروني فطُبع سنة ١٦٢٧ بامر البابا اوربانس الثامن. ثم نشرت كتاب مرآة الحقّ للاب بوناونتورا ملڤازيا الفرنسيسي سنة ١٦٢٨ ثم الابجديَّة والآجروميَّة سنة ١٦٣٣ ثمَّ قاموسًا عربيًا ايطاليًا للراهب الفرنسيسي دومينيك جرمانوس السيلزيّ سنة ١٦٣٧. ومن كتب هذه المطبعة مختصر التاريخ الكنسي لبارونيوس (١٦٥٣) وكتاب الاقتداء بالمسيح (١٦٦٣) والاناجيل المقدَّسة بالعبرانيَّة والعربية (١٦٦٨) وترجمة الاسفار الالهية لتلامذة المدرسة المارونية (١٦٧١) والعهد الجديد بالسريانية والعربية (١٧٠٣) وقوانين القديس باسيليوس (١٧٤٥) والمتعبد لمريم للاب سنيري (١٧٦٥) وكتب اخرى كثيرة لا تزال تنشرها الى يومنا هذا بلغات عديدة كالكلدانية والارمنية والقبطية والهنديَّة والكرجية والفارسية والكردية ممَّا اكسب هذه المطبعة سُمعةً طيّبة في الخافقين والفضل في ذلك عائد الى احبار الكنيسة الرومانية نُصراء الدين والعلوم

العجائب لابن الوردي في أُبسالا (١٧٥٧) ورسالة ابن زيدون في ليبسيك (١٧٥٥) ومنتخبات من شعر المتنبي فيها (١٧٦٥) ووصف الشام لابي الفداء فيها (١٧٦٦) ومقصورة ابن دريد في هردرڤيغ (١٧٦٨ و ١٧٨٦) ولاميَّة الطغرائي في فرنكفورت (١٧٦٩) ووصف مصر لابي الفداء في غوتا (١٧٧٦) وتاريخ ابي الفداء في كوپنهاغ (١٧٨٩) وكتاب عبد اللطيف في الامور المشاهدة بمصر في توبنغ (١٧٨٩) واكسفرد (١٨٠٠) وآثار العرب في صقلّية لغريغوريوس روزاري في بالرمة (١٧٩٠) ومنتخبات من تقويم البلدان لابي الفداء في ليبسيك (١٧٩١) ومعلقة زهير فيها (١٧٩٢) والنقود الاسلامية للمقريزي في رُسْتك (١٧٩٧) وفي سنة ١٨٠٥ طبع العلامة دي ساسي في باريس منتَخباتِهِ النفيسة التي دعاها «الدليل المفيد للطالب المستفيد» في ثلاثة اجزاء ضخمة. ومذ ذاك الحين دخلت المطبوعات الشَّرقيَّة لاسيا العربية في طور جديد بحيث صار عددها يُربي في أُوربَّة على المئات ونحن نقف عند هذا الحدّ لنقصر النظر على المطابع الشرقية في بلاد الشَّرق ونُرجئ تتمَّة مقالتنا الى الاعداد الآتية (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني

السفر على سفينة كلِقلند

— متى يقلع المركب كلقلند من سان ميشل ؟

— بعد ثمانية ايام

— ثمانية ايام.. يا لله ! او ليس سفينة أُخرى تسافر قبلهُ ؟

— كلاَّ يا سيدي

فما سمع فاضل (وما كان السائل غيرهُ) حتى ضرب الارض برجلهِ وصار يمشي ذهابًا وايابًا على ضفَّة النهر كرجل ضُرب في ساعدهِ ونالهُ بلاء عظيم

وكيف لا يضطرب.. فان الساعات للخائف المذنب تُعدّ اطول من الاجيال...

(de Boise) رئيس الكبوشيين في بغداد(١٦٤٠)ومقاصد الحكم لفلاسفة العَرب نشرها ابراهيم الحاقلاني (١٦٤١)٠ولكن اسم هــذه المطبعة طبّق المعمور لمَّا نشر الخوري له جاي (Le Jay) بعشرة مجلدات ضخمة الكتاب المقدَّس في اللغات العبرانيَّة والسامريَّة والكلدانية والسريانية والعربية واليونانيَّة واللاتينية (١٦٣٢—١٦٤٥) وهذا التأليف احسن ما طُبع في القرون الماضية من حيث نضارة الحروف وكمال الطبع

ومن المطابع الشرقيَّة في اوربَّة التي احرزت لها ذكرًا حسنًا مطبعة لندرة ومطبعة أكسفرد٠واهمّ منشورات الاولى تاريخ الدولة الخوارزمية لابي الفداء (١٦٥٠) والتوراة المقدَّسة بتسع لغات نشرها قَلْتون بستة مجلّدات ضخمة سنة ١٦٥٧ وزاد على طبعة باريس الترجمتين الحبشيَّة والفارسية وصدَّر طبعتهُ بمقدمة مفيدة جدًّا في الاسفار الالهية والعاديَّات العبرانية وقد اضاف العــلامة كاستلي (Castelli) عليها قسمين كبيرين كمعجمٍ للكتاب المقدس٠غير ان هذه الطبعة مع فوائدها دون الطبعة البــاريسية من حيث جمال حروفها وحسن طبعها٠ومن مطبوعات لندرة ايضًا رسائل طِبّيَّة للرازي (١٧٦٦) وكتاب الجراحة لابي القاسم (١٧٧٨) والمعلّقات (١٧٨٣)

امَّا مطبعة اوكسفرد فانشئت في اواسط القرن السابع عشر اهتمَّ بانشائها العلَّامة پوكوك (E. Pocock) ومن مطبوعاتها نبذة في تاريخ العرب (١٦٥١) ومقــالات لموسى بن ميمون (١٦٥٥) وتاريخ سعيد بن بطريق (١٦٥٨) وحقيقــة الديانة المسيحية لغروتيوس (١٦٦٠) ولاميَّة الطغرائي (١٦٦١) وتاريخ ابي الفرج المعروف بابن العبري (١٦٦٣) ورسالة حيّ بن يقظان (١٦٧١) والسيرة النبويَّة من تاريخ ابي الفداء (١٧٤٣)

هذا وكان بودّنا قبل ان نباشر بتاريخ فنّ الطباعة بالشرق ان نتتبَّع كل المطابع الاوربيَّة التي جدَّت مدَّة الثلاثة القرون الماضية في نشر الكتب الشرقيَّة لولا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الاسهاب المملّ لكنَّنا نسرد هنا اسماء بعض الكتب النفيسة التي طُبعت في ذلك العهد وفي معرفة الامر افادة لا تُنكر٠فمن ذلك القرآن طُبع في البندقيــة (١٥٣٠) ومعجم جيجيوس (Giggeius) باربع لغــات طُبع في ميلانو (١٦٣٢) وتفاسير القرآن للبيضوي والزمخشري والسيوطي مع مقدَّمة نشرهــا لويس ماراچي (Maracci) في بادوا (١٦٩٨) وتعليم المتعلّم للزرنوجي في ماستريخ(١٧٠٩) وخريدة

العجائب لابن الوردي في أُبسالا (١٧٥٧) ورسالة ابن زيدون في ليبسيك (١٧٥٥) ومنتخبات من شعر المتنبي فيها (١٧٦٥) ووصف الشام لابي الفداء فيها (١٧٦٦) ومقصورة ابن دريد في هردرفيغ (١٧٦٨ و ١٧٨٦) ولاميَّة الطغرائي في فرنكفورت (١٧٦٩) ووصف مصر لابي الفداء في غوتا (١٧٧٦) وتاريخ ابي الفداء في كوپنهاغ (١٧٨٩) وكتاب عبد اللطيف في الامور المشاهدة بمصر في توبنغ (١٧٨٩) واكسفرد (١٨٠٠) وآثار العرب في صقلّية لغريغوريوس روزاري في بالرمة (١٧٩٠) ومنتخبات من تقويم البلدان لابي الفداء في ليبسيك (١٧٩١) ومعلقة زهير فيها (١٧٩٢) والنقود الاسلامية للمقريزي في رُسْتك (١٧٩٧) وفي سنة ١٨٠٥ طبع العلامة دي ساسي في باريس منتَخباتهِ النفيسة التي دعاها «الدليل المفيد للطالب المستفيد» في ثلاثة اجزاء ضخمة. ومذ ذاك الحين دخلت المطبوعات الشَّرقيَّة لاسيما العربية في طور جديد بحيث صار عددها يُربي في أُوربَّة على المئات ونحن نقف عند هذا الحدّ لنقصر النظر على المطابع الشرقية في بلاد الشَّرق ونُرجئ تتمَّة مقالتنا الى الاعداد الآتية (ستأتي البقيَّة)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني

السفر على سفينة كلِقلند

— متى يقلع المركب كلقلند من سان ميشل ؟

— بعد ثمانية ايام

— ثمانية ايام.. يا الله! او ليس سفينة أُخرى تسافر قبلهُ ؟

— كلاَّ يا سيدي

فما سمع فاضل (وما كان السائل غيرهُ) حتى ضرب الارض برجلهِ وصار يمشي ذهابًا وايابًا على ضفَّة النهر كرجل ضُرب في ساعدهِ ونالهُ بلاء عظيم وكيف لا يضطرب.. فان الساعات للخائف المذنب تُعدّ اطول من الاجيال...

(de Boise) رئيس الكبوشيين في بغداد(١٦٤٠)ومقاصد الحكم لفلاسفة العَرب نشرها ابراهيم الحاقلاني (١٦٤١). ولكن اسم هـذه المطبعة طبّق المعمور لمّا نشر الخوري له جاي (Le Jay) بعشرة مجلدات ضخمة الكتاب المقدَّس في اللغات العبرانيَّة والسامريَّة والكلدانية والسريانية والعربية واليونانيَّة واللاتينية (١٦٣٢—١٦٤٥) وهذا التأليف احسن ما طُبع في القرون الماضية من حيث نضارة الحروف وكمال الطبع

ومن المطابع الشرقيَّة في اوربَّة التي احرزت لها ذكرًا حسنًا مطبعة لندرة ومطبعة أكسفرد. واهمّ منشورات الاولى تاريخ الدولة الخوارزمية لابي الفداء (١٦٥٠) والتوراة المقدَّسة بتسع لغات نشرها ڤَلْتون بستة مجلَّدات ضخمة سنة ١٦٥٧ وزاد على طبعة باريس الترجمتين الحبشيَّة والفارسية وصدَّر طبعتهُ بمقدمة مفيدة جدًّا في الاسفار الالهية والعاديَّات العبرانية وقد اضاف العلامة كاستلي (Castelli) عليها قسمين كبيرين كمعجم للكتاب المقدس. غير ان هذه الطبعة مع فوائدها دون الطبعة البـاريسية من حيث جمال حروفها وحسن طبعها. ومن مطبوعات لندرة ايضًا رسائل طبّيَّة للرازي (١٧٦٦) وكتاب الجراحة لابي القاسم (١٧٧٨) والمعلّقات (١٧٨٣)

امَّا مطبعة اوكسفرد فانشئت في اواسط القرن السابع عشر اهتمَّ بانشائها العلاَّمة پوكوك (E. Pocock) ومن مطبوعاتها نبذة في تاريخ العرب (١٦٥١) ومقـالات لموسى بن ميمون (١٦٥٥) وتاريخ سعيد بن بطريق (١٦٥٨) وحقيقـة الديانة المسيحية لغروتيوس (١٦٦٠) ولاميَّة الطغرائي (١٦٦١) وتاريخ ابي الفرج المعروف بابن العبري (١٦٦٣) ورسالة حيّ بن يقظان (١٦٧١) والسيرة النبويَّة من تاريخ ابي الفداء (١٧٤٣)

هذا وكان بودّنا قبل ان نباشر بتاريخ فنّ الطباعة بالشرق ان نتتبَّع كل المطابع الاوربيَّة التي جدَّت مدَّة الثلاثة القرون الماضية في نشر الكتب الشرقيَّة لولا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الاسهاب المملّ لكنَّنا نسرد هنا اسماء بعض الكتب النفيسة التي طُبعت في ذلك العهد وفي معرفة الامر افادة لا تُنكر. فمن ذلك القرآن طُبع في البندقيـة (١٥٣٠) ومعجم جيجيوس (Giggeius) باربع لغـات طُبع في ميلانو (١٦٣٢) وتفاسير القرآن للبيضوي والزمخشري والسيوطي مع مقدَّمة نشرهـا لويس ماراچي (Maracci) في بادوا (١٦٩٨) وتعليم المتعلّم للزرنوجي في ماستريخ(١٧٠٩) وخريدة

مسامعهِ: « ويحك ماذا صنعت بنسيب ؟ أبشر بالبلاء القريب.. فانَّ دم مواطنك لا يذهب هدرًا

وبينما كانت الهواجس تخالج قلب فاضل وتتنازعهُ الافكار وهو لا يعلم كيف يقضي ثمانية ايام في هذه الحالة التعيسة اذ رأى دخانًا يتصاعد الى عنان السماء من احدى سفن المرسى فحدجها بنظرهِ وعرف انها سفينة صغيرة انكليزيَّة معدَّة لشحن الفحم. فسأل من ساعتهِ نوتيًا مرَّ بقربهِ: « اترى انَّ هذه السفينة على وشك السفر ؟ »

— هذه سفينتنا واليوم مساءً ان شاء الله نُقلع راجعين الى الولايات المتحدة

— اليوم ؟.. في هذا المساء ؟.. اواه ما اعظم شوقي الى السفر معكم... وهل من وسيلة الى مخابرة الربَّان في هذا الشان ؟

— انتظرهُ هنا فانَّهُ في البرّ وسيعود الى سفينتهِ بعد ساعةٍ من الزمان

— أتظنّ ان الربَّان يمنّ عليَّ فيقبلني في سفينتهِ ؟

فلمَّا سمع النوتي هذا الكلام اخذ يقهقه بصوتٍ عالٍ حتى استغرب في الضحك. ثمَّ عاد الى سكينتهِ وقال لفاضل:

اراك تبتاع البلاء رخصًا. أَلا تعلم ان من يركب سفينةً كسفينتنا يعود بعد ساعات قلائل اسود كالفحم ؟ ولولا ضنك العيش لما وطئتها قدمنا.. ولكن لا بأْس فانا اعضدك عند الربَّان بشرط ان تدفع لنا حقَّ السفر

قال النوتي ذلك وسار في طريقهِ ضاحكًا. امَّا فاضل فشعر بالاهانة وورَّدت حمرةُ الخجل خدَّيهِ لاسيما اذ رأى انَّ السابلة سمعوا ما دار بينهُ وبين البحَّار من الكلام فجعلوا يضحكون منهُ

على انّ فاضلًا مكث في مكانهِ يترقَّب رجوع الربَّان الى سفينتهِ وهو يغضي على الضيم ساكتًا واجمًا. فلمَّا ازفت الشمس الى المغيب رأى رجلًا كبير القامة رحب المنكبين اشقر الشعر طويلهُ كثّ اللحية ضخم المنخرين يقترب من الميناء فللحال اتاهُ قارب من سفينة الفحم يقلّهُ الى المركب. ففهم فاضل انَّهُ الربَّان. فاسرع اليهِ وسألهُ بصوت خانع:

أَلا تريد يا سيّدي ان تقبلني في سفينتك ؟

— في سفينتي ؟.. ومن انت ؟..

فقلق فاضل لدى استماعهِ هذا السؤَال لكنَّهُ ضبط نفسهُ وتجلّد. ثم اردف الربَّان:

وما زاد فاضلًا هلعًا انَّهُ سمع في احد مطاعم سان ميشل قومًا يتكلّمون عن تواري رجل في داڤسون يدعى مستر سين (وهو الاسم الذي اتّخذهُ نسيب اولري بعد قتل حميه) فانخلع قلب فاضل هلعًا واسرع بعد اكلهِ لقمتين وخرج من المطعم ممتقع اللون. لكنَّهُ لم يتجاوز عتبة الباب حتى بلغ مسامعهُ صوت الحضور المقهقهين الضاحكين منهُ وميَّز صوت احدهم يقول: « ما اشبه هذا الانسان برجل خائف على دمهِ »

فخرج واخذ يطوف الساحات وجعل لهُ قبعةً كبيرة كان يستر بها وجههُ اذا سار في الشوارع لئلا يعرفهُ احد وكان ضحكُ فعَلة المطعم المذكور آنفًا يطنّ في آذانهِ لا يدع لقلبهِ راحةً. اما الليل فكان يقضيهِ وهو يتململ على فراشهِ فلا يزور الكرى جفنهُ. وكان اذا صادف في نهارهِ احدًا يخال لهُ انهُ يريد سبر غورهِ ليعرف حقيقة حالهِ ويشهر امرهُ للشُرط. فكان هذا الفكر يملأ لبَّهُ رعبًا حتى انَّ عرقًا باردًا كان يبلّل جسمهُ وينهك قواهُ فيضطرّ ان يرمي بنفسهِ في بعض زوايا المدينة وهو يردّد في قلبهِ:

« نعم ان نسيبًا كان من المجرمين الكبار اذ قتل حماهُ وها قد اذاقهُ الله كأسًا اشربها غيرهُ قبلًا.. ولكن من جعل فاضلًا نصيرًا للقتيل كي يأخذ بثأرهِ... او ليس فاضل من الاوباش وكم اجترح اثمًا منذ وطئت رجلهُ ارض اميركة لاسيما في متاجراتهِ بالربى في شيكاغو وتركهِ بروسبر اولري في مضايق شيلكوت في وسط الثلوج والجمد بعد ان احسن اليهِ ونجّاهُ من سكَرات الموت.. أفيترك ربٌ عادلٌ في السماء مثل هذه القبائح الشنيعة دون عقاب ؟ »

كلاَّ ثمَّ كلاّ فان الله كان اعدّ لفاضل سَوط غضبهِ ليضربهُ بهِ آجلًا

وبينما كان فاضل يطلب بفروغ الصبر من يهديهِ الى مركب تُقلع بهِ من سان ميشل اذ سمع ساعة البلد تدقُّ الساعة الثانية بعد الظهر فاخذ يهيم حائرًا في الشوارع حتى بلغ وهو سكران من الهمّ مربط السفن فوقف بازاء البحر وعينهُ شاخصة الى الأُفق كأنَّهُ يرقب على بعد مجيءَ باخرة يلقى فيها النجاة

فبقي على هذه الحالة نحو ساعة من الزمن بانت لهُ اطول من سنة وكان يودُّ لو تسيخ الارض بهِ فيتوارى عن منظر الجمهور لئلا يقف احد منهم على حقيقة امرهِ ويسلّمهُ الى ايدي الشرط. وكان صوت ضميرهِ لا يزال يدوي في آذانهِ ويردّد على

مهماز ضميرهِ فكانت الافكار تتناوبهُ وتزعجهُ كأنَّهُ البحر العجّاج المتلاطم بالامواج

وبينما كان فاضل المسكين يردّد في عقلهِ هذه الافكار المحزنة وعينهُ لا تكتحل بسهاد اذ أُتيح لهُ ان يعاين مشهدًا جميلًا لم يحظَ بمثلهِ في بلدهِ سوريَّة بل قلّما يحدث في غير الاصقاع الشماليَّة نعني بذلك الشفق القطبي المعروف ايضًا بالفجر الشمالي

فانَّهُ رأى اولًا في الأُفق من جهة الشمال ضياءً خفيفةً كأنَّها بُلجة الفجر. ثم نظر غمامةً كثيفة قاتمة اللون اعترضت في عنان السماء على شكل قطعة دائرة مظلمة ولم يلبث ان رأى قوسًا من النور كأنَّهُ القنطرة من احد جانبي السماء الى الجانب الآخر فوق الابخرة المتكاثفة. وكان لون هذه القوس المنيرة ابيض ضاربًا الى الصفرة واخذ نورها ينصع ويشتدُّ دون ان يمحق اضواء الكواكب التي تُستشفّ من ورائهِ. وكان هذا النور يتموَّج وينتقل كأنَّهُ اللهيب تتلاعب بهِ الرياح. وكان في بعض الاحيان يتقسَّم حزمًا منتظمة واعمدة نيّرة كأنَّها رواقٌ من النار لبناء عجيب حُجب عن الابصار

وبينما كان فاضل يشخص الى هذا المرأى الغريب اذ انتصبت من الاقواس الناريَّة امواج من النور مختلفة الالوان تصاعدت الى سَمْت السماء وكان لونها اخضر في اسفلها واصفر ذهبي في وسطها واحمر ارجواني في طرفها وكان من ينظر اليها يعدُّها كسهام ناريَّة وقذائف ملوَّنة تخترق السماء وتمتدُّ في كلّ جوانب الافق منها بيضاء لامعة ومنها خضراء كالزمرد او حمراء كالدم او صفراء ذهبية الى غير ذلك من الالوان البهيَّة. وكان لهذا المنظر ادوار متوالية فتزول الضياء حينًا وتمّحي الرسوم ثمَّ تعود الى بهائها الاوّل بل تزيد حسنًا ورونقًا حتى جلّلت كلّ خوافق الأُفق واصبحت كأنَّهما اكليل من النور ينتهي في اعلاهُ بقبَّة من الارجوان

فبهت فاضل لدى هذا المنظر الباهر ووقف واجمًا متحيّرًا لا ينطق ببنت شفة بل كان يشعر في غضون هذا الاثر الجوّي بقوتهِ تعالى الذي يتصرَّف بخلائقهِ كيف يشاء

امَّا الملاحون فكان اسرعوا فاجتمعوا على ظهر السفينة ليعاينوا هذا الفجر الشمالي فوجدوهُ ابهى من كلّ الآثار الجوّيّة التي أَلِفوها سابقًا. وكان فاضل يسمعهم يقولون انَّ سبب هذا المشهد الجليل هو السائل المغناطيسيّ المتراكم في جهات القطب الشمالي. ومنهم من يزعم انهُ ناشيءٌ من قذائف الجبال الناريَّة الشماليَّة الى غير ذلك من الاقاويل التى كانوا قرأُوها في الجرائد. امَّا هو فلم يدرِ من امر هذا الاثر شيئًا

لا جرم انك احد المعدّنين المفلسين تبغي ركوب سفينتي مجانًا . . كلّا لا ارضى
— سيّدي انني ادفع لك حقّ السفر . . . وانا في حاجة الى الرحيل باقرب وقت
قال ذلك واخرج من جيبهِ كيس دراهم اراها القبطان كدليل واضح على صدق مقالهِ
فتبسّم القبطان وتقدَّم الى البحّارين بان يدعوا المسافر يركب قاربهم

ولم يمرّ على فاضل بضع دقائق حتى وطئت قدمهُ سفينة كلڤلند . فرقي السلّم على عجلةٍ كرجل لا يرى النجاة الّا في وسط السفينة

ثمّ ادخلهُ الرّبان في حجرتهِ واستقضاهُ حقَّ السفر تمامًا ثمَّ عيَّن لهُ كوخًا صغيرًا في موءخر السفينة يحتلُّهُ في اثناء الرحلة الى الولايات المتحدة

امَّا السفينة كلڤلند فكانت صغيرة حالكة اللون قذرة الجوانب يمكنها شحن ٣٠٠ طنّ من الفحم . وكان لها صاريان قصيران اشبه بدَقَلين ومدخنة كبيرة مدهونة بالاحمر . امَّا جهاز السفينة فكان كلهُ مناسبًا لوَسْق الفحم لم ترَ محلًا خلوًا منهُ اللهمَّ الّا حجرة الرّبان ومقام البحّارين وبعض اكواخ ضيّقــة في زوايا السفينة . ففي احد هذه المساكن الحرجة اسكن الرّبان فاضلًا مدَّة السفر الذي لا يقلّ عن خمسة عشر يومًا

ولمَّا رأى البحّارون لاوَّل مرَّة هــذا الراكب الجديد اخذوا يتهامسون ويتوشوشون ويتقوَّلون في امرهِ الاقاويل الشتى لكنَّ صفــير الرّبان دعاهم بعد قليل الى اعمالهم فشُغلوا عن فاضل . وكانوا لحرج السفينة يدفعونهُ ذات اليمين وذات الشمال في ذهابهم وايابهم حتى اصبحت بعد زمن قليــل ثيابهُ البيض سودًا بل لصق ذَرور الفحم بجسمهِ فصار وجههُ واطرافهُ كلون الفحم

بيد انَّ فاضل لم يعبأْ بهذه الامور المكدّرة وكان كلّ فكرهِ ان ينجو قريبًا من ايدي الحكومة . ولمَّا اخذت السفينة في المسير شعر كانَّ حملًا باهظًا سقط عن اكتافهِ وألقى نظرهُ الاخير الى اراضي الذهب فلعن بختــهُ المشؤوم الذي قادهُ من جبلهِ لبنان حيث كان حليف الدعة والسكينة الى هذه البلاد القاصية التي جرَّعتهُ الغُصص ألوانًا

ولمَّا توارت الارض عن العيان وامتدَّت ستائر الظلام على غمر البحار جلس فاضل في موءخر السفينة ليأخذ نصيبًا من الراحة قبل ان يأوي الى كوخهِ القــذر ذي الروائح الكريهة . وكانت السماء وقتئذٍ مغبرَّةً والجوّ قاتمًا والطبيعة كلها في سكينة لا يبلبلها سوى صوت السفينة الماخرة المياه الّا انَّ سكون الطبيعة لم يكن ليلطِّف جلَبة قلبهِ ويدفع

من هذه القصائد العامرة الابيات مع شروح عديدة لقدماء اللغويين فجدَّدنا طبع هذا الديوان على طرز جديد وقع لدى الجميع موقع الاستحسان. واخذ المستشرقون يعنون النظر في هذا الشعر القديم ليقتبسوا من فوائدهِ ما امكنهم. واحبّ الدكتور غبرئيلي ان يؤلف في ذلك كتاباً مطوَّلًا بالايطالية بحث فيهِ بدقَّة نظر وعلم واسع عن الخنساء وزمانها وترجمة حياتها واشعارها حتى لم يدع بعد كلامهِ مجالًا لكاتب. فجاء هذا التأليف احسن تاريخ لعصر الخنساء واحوال العرب في اواخر الجاهلية. فنشكر للدكتور غبرئيلي باسم العلوم الشرقيـة هذه المأثرة الجليلة ونبلّغهُ باسمنا الخاصّ شكرنا الحميم لما افاض بهِ من المدح على شخصنا الحقير ونحن نعيد هذا الثناء اليهِ تعالى مورد كلّ الخيرات ومصدر كلّ النعم

روزنامة الاراضي المقدّسة لسنة ١٩٠٠

قد اثنينا في سنتنا الماضيـة (المشرق ٢ : ٩١) على هذا التقويم السنويّ وبيَّنَّا ما يمتاز بهِ من وفرة الموادّ ونضارة الحرف وحسن الطبع. وروزنامة هذه السنة تشبه اختها في كلّ خواصّها الحميدة وفوائدها العميمة. فلا زالت مطبعـة حضرات الآباء الفرنسيسيين القدسيين زاهرة زاهية لمجد الله والكنيسة ولفائدة العلوم والوطن

الروزنامة العثمانية

لجامعها خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة

تتضمن هذه الروزنامة باللغتين الافرنسية والعربية تقويم الاشهر والايام بموجب الحساب الغربي والشرقي والهجري مع تعيين اوقات الشروق والغروب. وفي ظهر كل ورقة يوميَّة قصص واعلانات

رواية الروضة النضيرة في ايَّام بمباي الاخيرة

لمؤلفها اللورد ليتن — وهي معرَّبة بقلم السيدة فريدة عطيَّة

طُبعت في مطبعة الهلال بمصر (ص ٣٠٤)

بمباي (Pompéi) مدينة شهيرة في جوار نابولي صبَّ عليها بركان ڤازوڤ حُمَمًا مصهورة سنة ٧٩ للمسيح فدفنها تحت موادّهِ البركانية وقد اكتُشفت آثارها الجليلة في ايَّامنا. فأراد اللورد ليتن الانكليزي ان يسرد اخبار هذه المدينة المشؤومة على شكل رواية تاريخية تمثِّل احوالها قبل طموسها بأيَّامٍ قليلة. فشاعت روايتـهُ ونُقلت الى لغاتٍ

سوى انّهُ غاية في الغرابة والجمال وابدع من بهاء الفجر ومظاهر شفق الافق عند غياب الشمس التي طالما كان ابتهج بها في لبنان مساء صباح. فبات محدقاً بابصارهِ الى هذا المرأى العجيب حتى سمع بصوت قوي كأنّهُ هبوب ريح شديدة او انقضاض بيت عالٍ فبرقت السماء وتوارى بغتةً مشهد ذلك الفجر النيّر. ورأى فاضل بضوء ذلك البرق الاخير ملاحاً صغيراً كان بقربهِ رسم على صدرهِ سمة الصليب قائلاً: ما اجمل اعمال الله وابدع صنعهُ (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

INSCRIPTIONS MANDAÏTES DES COUPES DE KHOUABIR

كتابات للمندائين او الصابئة مخطوطة على اقداح خوابير. القسم الثالث

par H. Pognon Consul de France á Alep

3e *partie pp.* 233-328, *Paris*, *Imprimerie Nationale*, 1899

سبق لنا في المشرق (٢: ١١٠٠) وصف القسمين الاوّلين من هذا الكتاب النفيس حيث بيّنّا ما في نشر كتابات خوابير من الخطر والشأن. وها قد نجز اليوم القسم الثالث من هذا التأليف وهو يحتوي على ملحقين مفيدين لتعريف طائفة الصابئة واصول معتقداتها الباطلة. والحقُّ يقال ان الشواهد التي استند اليها سعادة مؤلف هذا الكتاب هنري پونيون قنصل الدولة الفرنسويّة في حلب تميط جانباً من الحجاب الذي كان يحول دون معرفة هذه الشيعة المجهولة. وما يزيد هذا القسم الاخير قيمةً انّهُ يشتمل على معجم مطوّل لشرح المفردات المندائية التي وردت في الكتابات السابق نشرها. وهذه بلا شك خدمةٌ جديدة احرز بها سعادة القنصل ثناء المستشرقين

I TEMPI, LA VITA E IL CANZONIERE
DELLA POETA ARABA AL-HANSA'

الخنساء وزمانها وترجمتها وديوانها باللغة الايطالية

Saggio di Studio da Giuseppe Gabrieli

Firenze, 1899, in-4 ,pp. 285

يعرف قراؤنا ما لمراثي الخنساء من الشهرة والشأن الخطير. وذلك ما حدانا الى ان ننشر ديوانها بالطبع مرّةً اولى سنة ١٨٨٨ بعد ان وقفنا على نسخة منهُ في حلب الشهباء. ثمَّ تجوّلنا في عواصم اوربّة ونواحي العراق فاسعدنا الحظ على جمع خمس نسخ

القديمة والحديثة بين تركية وعربية وفارسية وفرنسوية وانكليزيَّة والمانية فلا يرجع من يقصدها الَّا بالفائدة التي كان يطلبها . . . وجملة القول اننا في حاجة عظمى الى تأسيس مكتبة عمومية جامعة لكافة الوسائل التسهيليَّة لاستفادة العموم منها ولهذا نستلفت انظار نظارة المعارف ونتمنى عليها ان تهتمّ بمثل هذا المشروع العظيم وتتمّهُ بوقت قريب »

(قلنا) ونحن ايضاً في بيروت في حاجة ماسَّة الى مكتبة عمومية كيف لا وقد بلغت مدينتنا من التقدُّم ما بلغت وفيها من المدارس والمطابع ما قلّ وجود مثلهِ في غيرها . فان نقصتها مكتبة شاملة يرجع اليها الادباء في مشكلاتهم وطلبة المدارس في دروسهم واصحاب الجرائد والمجلات في ابحاثهم كانت اشغالهم قاصرة عاجزة . فنستلفت نحن ايضاً انظار ادارة المعارف السنيَّة ودولة ملجأ الولاية الى هذا الامر الخطير ونتمنى ان يجد دعاؤنا اذنًا سامعةً . والله السميع المجيب

❋ مسئلة حسابية للاخ الفاضل ديدكوس سنان الفرنسيسي الحلبيّ ❋ نزل خمسة اشخاص الى السوق فوجدوا عقدًا ذهبياً يُباع فسألوا عن كميَّة ثمنهِ فقيل لهم : اذا أُخذ ٣/١ ما مع الاول منكم و ٧/١ ما مع الثاني و ٨/١ ما مع الثالث و ٩/١ ما مع الرابع و ١٠/١ ما مع الخامس لتمَّ بهِ ثمن العقد . واذا أُخذ ٧/٢ ما مع الثاني و ٦/١ ما مع الاول و ٨/١ ما مع الثالث و ٩/١ ما مع الرابع و ١٠/١ ما مع الخامس لتمَّ بهِ ثمن العقد ايضاً . واذا أُخذ ٢/١ ما مع الثالث و ٦/١ ما مع الاول و ٧/١ ما مع الثاني و ٩/١ ما مع الرابع و ١٠/١ ما مع الخامس لتمَّ بهِ ثمن هذا العقد ايضاً . واذا أُخذ ٩/٥ ما مع الرابع و ٦/١ ما مع الاول و ٧/١ ما مع الثاني و ٨/١ ما مع الثالث و ١٠/١ ما مع الخامس لتم بهِ ثمن العقد ايضاً . واذا أُخذ ٥/٢ ما مع الخامس و ٦/١ ما مع الاول و ٧/١ ما مع الثاني و ٨/١ ما مع الثالث و ٩/١ ما مع الرابع لتمَّ بهِ ثمن العقد ايضاً . فالمطلوب كم غرشاً كان مع كلّ واحد من الاشخاص الخمسة . وكم غرشاً كان ثمن العقد اذا طُرح من ثمنهِ ٩٠ غرشاً وقُسم الباقي الى قسمين . ومجموع القسم الاول مع ثلث القسم الثاني يساوي ٧٥٩٠ غرشاً . ومجموع القسم الثاني مع ربع القسم الاول يساوي ٧٥٩٠ غرشاً ايضاً . ويُطلب حلّ المسألة بالطريقة الحسابية

أسئلة وأجوبة

سألنا الخواجا ي . ب . م . من ادباء بيروت : جاء في سفر التكوين (٦ : ٦) : انهُ تعالى ندم على خلقهِ الانسان بسبب ما اجترح من الكبائر . فان كان الامر كذلك فلماذا خلقهُ أَلعلَّهُ لم يكن عارفًا من قبل بان الانسان سوف يخالف وصاياهُ عزَّ وجلَّ ؟

لماذا خلق الله الانسان مع علمهِ بانهُ مزمع ان يخطئ

ج انَّ الله تعالى كان عالمًا بسقوط آدم وخطايا الانسان علمًا تامًّا لا ريب فيهِ

عديدة فاحبّت السيدة فريدة عطيَّة ان تعرّبها تفكهةً لألباب الشرقيين فاجادت ل٠ش

شذرات

الاساطيل الانكليزيَّة في العالم — بلغ في آخر سنة ١٨٩٩ مجموع سفن الاساطيل الانكليزيَّة ٤٨٤ سفينة يبلغ ثمنها ١١٨ مليونًا من الليرات الاسترلينية٠منها ٦٤ سفينة حربيَّة ثمنها ٥٢ مليونا٠و ١٥ سفينة لحفظ الثغور ثمنها ٣,١٠٠,٠٠٠ ٠ ثم ٢٢ دارعة بثمن ١١,٣٢٧,٠٠٠ ٠ ثم ١٣٥ طرَّادًا قيمتها ٣١,٢٧٣,٠٠٠٠ثم ١٢٨ نسَّافة ثمنها ١٤,٣٠٠,٠٠٠ و ١٢٠ سفينة معاكسة للنسَّافات بثمن ٦,٠٠٠,٠٠٠٠واذا اضيف الى هذه السفن ٢٧ سفينة حربيَّة أُخرى تُصطنع الآن في المصانع البحريَّة ثمنها ١٧ مليونًا بلغ ثمن الاساطيل الانكليزيَّة ١٣٥ مليونًا استرلينيًا اعني ٣.٣٧٥,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات

المكاتب العموميَّة قرأْنا في العدد ١٥٤ من المعلومات فصلًا حسنًا في وجوب تأْسيس مكتبة في دار السعادة نقتطف منهُ بعض عباراتهِ المفيدة:

« لا يخفى ان في دار السعادة بعض مكتبات (كتبخانات) عامرة بالآثار النادرة والمؤلفات المفيدة كمكتبة ايا صوفيا ومكتبة السلطان بايزيد وغيرها ممَّا تفتخر بهِ هذه العاصمة وينتفع منهُ الخاصّ والعام٠٠٠غير ان ذلك لا يزيل الاحتياج الى مكتبة عمومية كما في عواصم اوربَّا يكون قيامها لاستفادة طلابها سهلًا ومفيدًا بحسب ما تلجئ اليهِ الحاجة ويحتمهُ الزمان٠ نعم ان في دار السعادة كثيرًا من المكتبات المعتبرة ولكن كلها مكتبات خصوصية انشئت باسم حضرات سلاطين آل عثمان العظام وقيّدت بادارات خصوصية لم تتبدَّل على مرور الزمن ودواعي العصر وهي اليوم لا تغنينا عن المكتبة العمومية٠٠٠وهي ما يجمع جميع المؤلفات الممكن جمعها من قديم وحديث وهي تكون تحت شروط اقلّ كلفةً ومشقَّةً على قاصديها وارتب وقتًا وانظم حالًا واعمّ نفعًا٠واماَّ ان تكون اقلّ كلفةً ومشقَّةً فهي انَّها يجب ان تكون في محلّ يسهل على قاصديها الدوام اليها واماَّ ترتيب الوقت فهو ان تفتح للاستفادة طول النهار حتى لا يخيب من اراد الاستفادة من المؤلفات التي فيها٠واماَّ نظام الحال فهو ان تكون مرتبة على نسق حديث٠٠واماَّ تعمُّم النفع فيتمّ بالاعتناء في تكثير المؤلفات والجرائد

وهذه الرواية اصحّ من الرواية السابقة وهي من الرمل لا الهزج والالف في « كما » مختلسة في كلتا الروايتين كما ترى بالتقطيع وفي روايتنا اختُلست الف « كذا » ايضاً ل . ش

س سأَلنا خليل افندي بيدس: ١ً ما هو آل التعريف في اللغة العبرانية ؟ اهو « غا » ٢ً ما هي الكتابة الصوابية للسواقي والانهر التي يتأَلَّف منها اليرموك: الزدي (في ضواحي البصرة) والاخرير والآلان والرقاد . ٣ً ما هي المقاطعة المدعوَّة « اڤستيديا » ولعلَّها ارض عوص حيث كان قاطناً ايوب البارّ . فهل هذه الكلمة يونانية ام لاتينيَّة وما هو صوابها . ٤ً وما رأيكم بهذه العبارة التي عثرتُ عليها في بعض الكتب الافرنجية: « امَّا التسمية الحديثة لنهر يُبوق فهي نهر الزرقاء وتفيد معنى النهر العميق » فما الداعي لتسمية نهر يُبوق بنهر الزرقاء . وهل تفيد اللفظة العبرانية المعنى المنوَّه بهِ . ٥ً وما الصواب في تعريب قولهِ: « انَّ نهر ارنون (وادي المعجب او وادي المجيب ؟) يتأَلف من اربعة جداول وهي: اللجوم فالخَّاراس (او المحَّاراس) فالبلوى فالنجدان » أَهذه هي الكتابة الصوابيَّة لهذه الاسماء . . . وللكاتب الاديب اسئلة غير هذه سنوردها مرَّة أُخرى

أَل التعريف في اللغة العبرانيَّة وكتابة بعض اسماء جغرافية

ج نجيب: على (الاول) ان أَل التعريف بالعبرانيَّــة هو حرف הַ (ه) يقدّمونهُ على الاسماء . وعلى (الثــاني) انَّ الصواب « الزيديّ » وهو نهر ينشأُ لا في ضواحي البصرة (والصواب بصرى) بل في جبل الدروز في شمالي صلخد . ثمَّ الاخرير والآلانِ تصحيف الهُرَير وعلّان . كما بيَّن ذلك الدكتور شوماخر (Schumacher) في رحلة حديثةٍ الى تلك النواحي . وقد كتب بُول (Buhl): احرير . امَّا كتابة الرقَّاد فهي حسنة . وعلى (الثالث) انَّ اسم « اڤستيديا » لم يعرفهُ الرومان ولا اليونان ولعلَّ بعض المحدثين ركَّبهُ باللغات الفرنجيَّة من العبرانية « عوص » فقال Afsitide . وعلى (الرابع) ان اشتقاق اسم يُبوق (יבק) ليس بامرٍ واضح . وبعض العلماء يشتقونهُ من בקק اي جرى وانصبّ . امَّا تسميتهُ بالزرقاء فلا علاقة لها مع الاسم العبرانيّ ولعلَّهُ سُمِّي بذلك لزرقة مياههِ لكنَّنا لم نلحظ فيهِ زرقة شديدةً . وعلاوة عن ذلك انّ في فلسطين نهران آخران يدعيان بالزرقاء . وعلى (الخامس) ان القراءة الصوابيَّة هي: وادي موجب ووادي لجون . امَّا « مخارَّاس » فــلا علم لنا بهِ . ولعلّ « البلوى » تصحيف « وادي واله » او « وادي وعله » ومن المحتمل ان « النجدان » تصحيف « وادي هيدان » ه . ل

مطلقاً . امّا السبب الذى حملهُ تعالى على خلق الانسان مع علمهِ السابق بتعدّيهِ لوصاياهُ فلانّهُ عزَّ اسمهُ لمّا كان يمكنهُ ان يخلق انساناً معصوماً من الخطإِ فضَّل جنسنا البشَري كما نراهُ اليوم لاسباب صوابيَّة: ١ً لانَّ الانسان بما يملكهُ من الحرّيَّة في اختيار الخير او الشرّ يمجّد الله بمجدٍ اعظم من المجد الذي كان اداهُ لهُ عزَّ وجلّ لو كانت نزعتهُ الى الخير فقط. ٢ً لانَّ الانسان ينال بذلك من الثواب ما لم ينلهُ لو كان مطبوعاً على الخير فقط. ٣ً لانَّ الله يظهر قدرتهُ بنوعٍ عجيب اذ يسمح بالخطيئة لانَّهُ ينتزع من الشرّ خيراً. فلولا وجود الشرّ مثلًا لما تجسَّد ابن الله وتمَّ سرّ الفداء الذي اكسبهُ تعالى من المجد اكثر ممَّا لحق بعزّتهِ من الاهانة حتى انَّ الكنيسة طوَّبت خطيئة الابوَين الاولين (ô felix culpa) لاجل الخير العظيم الذي حصل بسببها . امَّا قول الكتاب « انَّ الله ندم على خلقهِ الانسان » فكلمة « ندم » مجازيَّة كالفاظ كثيرة مثلها تنسب الى الله الشعائر البشريَّة لتقرّب الينا إدراك الصفات الالهية بنوع حسّي

س وسأل ايضاً عن قولهِ تعالى لابراهيم الخليل (تك ٢٢ : ١٢) عند ما ردَّهُ عن قتل ابنهِ اسحاق: « الان عرفت انك مُتَّقٍ لله » العلَّ الله كان يحتاج الى هذه الشهادة ليعرف طاعة ابراهيم ؟

شرح قولهِ تعالى لابراهيم « الان عرفت انك متَّقٍ لله »

ج كلاَّ انَّ الله لم يحتج لهذه الشهادة الحسّية ليعرف ايمان ابراهيم. وانّما اراد ان يجعل فعلهُ مثلًا لكلّ المؤمنين يأتسون بهِ الى منتهى الاجيال. فقولهُ تعالى « الان عرفت » يعني انك اظهرتَ الآن امامي وامام العالم بالفعل ما قد عرفتهُ سابقًا من ايمانك الثابت

س وسُئلنا عن بيتين لعديّ بن زيد ذكرناهما في شعراء النصرانيَّة (ص٤٤٢) أهما من بحر الرمل كما قلنا او من بحر الهزج كما صحّح البعض . والبيتان المذكوران كما ترى:

ايها الركب المخبُّو نَ على الارض المجدُّونا
كما كنتم كذا كنَّا كما نحن تكونونا

ج انَّ هذين البيتين من الرمل لا من الهزج مهما زعم الزاعم. والدليل على ذلك انهما وردا في الكتب القديمة على صور مختلفة تراها كلها تنطبق مع الرمل دون الهزج فكتاب الاغاني مثلًا (٢ : ١٨) رواهما :

ايها الركب المخبّو نَ على الارض المجدُّون
فكما كنتمُ كنَّا وكما نحن تكونون

المشرق

رجل الخير المرحوم بشاره الخوري

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قال بعض مشاهير الكتبة: « قد اتَّسمت النصرانيَّة في كل عصر بسمة خاصَّة انالتها من العزّ بردًا قشيبًا رفع قدرها في اعين الشعوب. وسِمتُها المميّزة لها في القرن التاسع عشر انَّما كانت محبَّة القريب لاسيما ذوي البأساء منهُ مع بذل الذات في سبيل المشروعات الخيريَّة ». قال هذا وايَّد قولهُ بشواهد عديدة قصرها على اسماء كبار المحسنين في اوربَّة واميركة ممن شرَّفوا زمانهم وبلادهم بسخاء ذات يدهم

(قلنا) ان ما قرَّرهُ هذا الكاتب عن اهل الخير في الاصقاع الاجنبيَّة لم يحرمنا الله منظرهُ في اقطارنا الشرقيَّة. فانَّ اصحاب الفضل والكرم توفّر بيننا عدادهم فصاروا جمًّا غفيرًا بعد ان كانوا رهطًا قليلين لا يتجاوزون عدد الانامل. على انَّهُ قد امتاز بين هؤلاء المحسنين رجلٌ طالما أُشير اليهِ بالبنان. ولم يختلف الى يومنا في سبقهِ اثنان. نشير الى فقيد الدين والدنيا ومثال الخير والتقوى المرحوم بشاره الخوري الذي صدق فيهِ قول الشاعر:

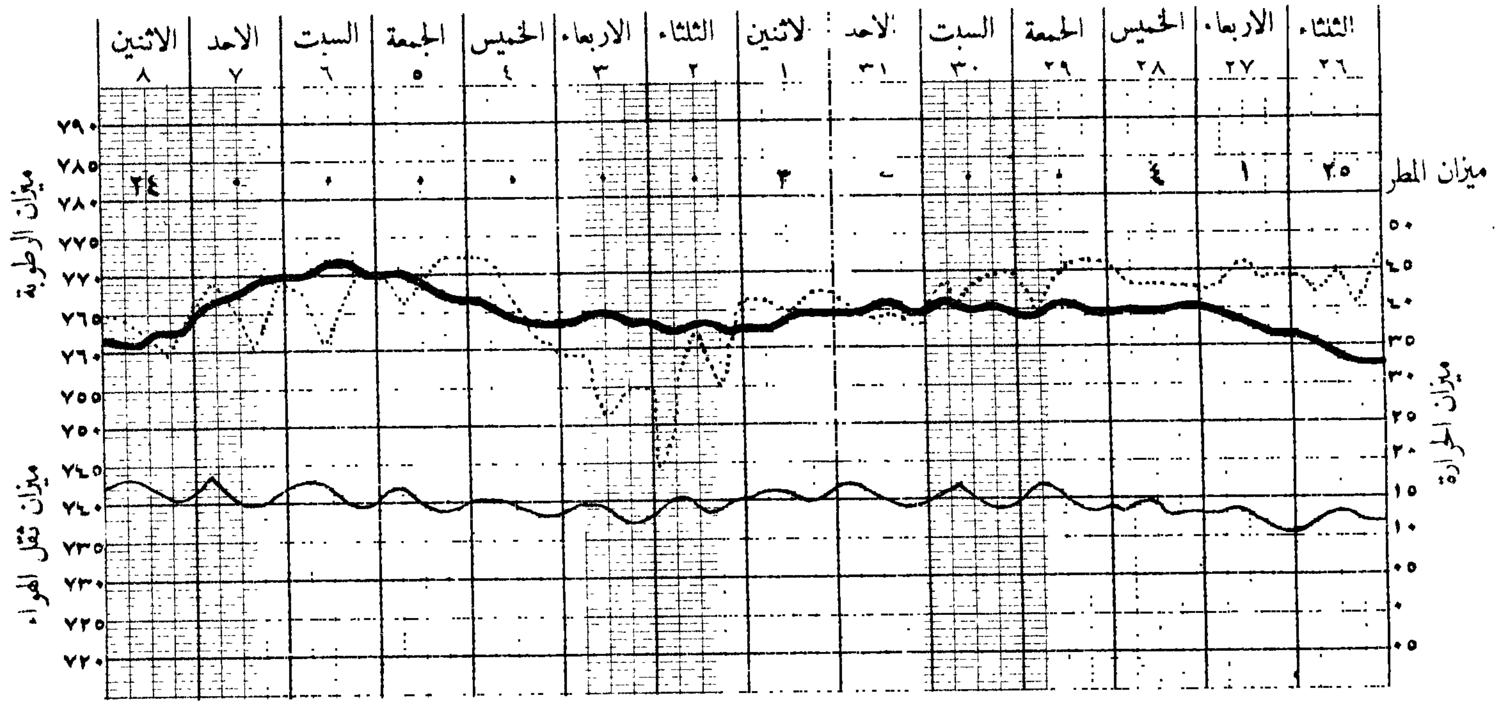
لولا عجائبُ صُنع الله ما نبتتْ　　تلك الفضائل في لحمٍ ولا عصبِ

وها قد مرَّ نحو سنتين منذ استأثرت بشخصهِ الكريم رحمة الله ولا يزال ذكرهُ مرسومًا على صفحات القلوب تترطَّب أَلسنة الجميع بالثناء على مكارمهِ

ما عاش من عاش مذمومًا خصائلهُ　　ولم يمت من يكن بالخير مذكورَا

بيد انَّنا سرَّحنا الطرف في الجرائد التي اتت بذكرهِ عند وفاتهِ فلم نجد فيها ما وفَّاهُ حقهُ من الثناء فاحببنا ان نثبت في مجلَّتنا ما امكن جمعهُ من اخبارهِ ليجد

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٦ كانون الاول ١٨٩٩   الى ٨ كانون الثاني ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



رجل الخير المرحوم بشاره الخوري

رئيس شركة مار منصور دي پول في بيروت

قرَّاؤنا في هذا النبذة الموجزة تذكاراً لاعمالهِ الخطيرة ومثالًا يأتسون بهِ فيكتسبون سعادة الدارين كما قيل:

من يَصنع الخير لا يعدم جوائزهُ لا يذهبُ العرفُ بين الله والنَّاسِ

١

ترجمة الفقيد

وُلد المرحوم بشاره الخوري سنة ١٨٣٨ في مدينة صور (لا في عكَّا كما زعم الهلال ٦: ٦٢٦) من ابوين اشتهرا بالفضل والتقى من طائفة الروم الكاثوليك الملكيين. واسم امّهِ صوفيًا ابنة نيقولا منسًا. امَّا ابوهُ فكان يدعى ابراهيم مولدهُ عكَّا من ابٍ كاهن اسمهُ انطون عُرف بتقواهُ وغيرتهِ في خدمة النفوس وأُقيم راعياً على كنيسة عكَّا في ايَّام احمد باشا الجزَّار اذ لم يكن وقتئذٍ فيها للروم الكاثوليك اسقف يهتمّ بشؤونها الروحيَّة. وكان الخوري انطون رخيم الصوت حسن الغناء فنما خبرهُ الى الجزَّار فاحبَّ ان يسمع صوتهُ فما أَصغى اليهِ حتى أُعجب بهِ وجعلهُ من اصحابهِ. ونال الخوري الغيور بهذه الوسيلة نعماً جزيلة افاد بها ابناء طائفتهِ. ولمَّا قدم نابوليون بونابرت الى محاصرة عكَّا سنة ١٧٩٩ كان الخوري انطون ممَّن اجتمعوا بهذا القائد العظيم فاكرمهُ نابوليون وتحفَّى بهِ. ونشأَ ابنهُ ابراهيم على صفات والدهِ ولا غرو فانَّ

الابنَ ينشا على ما كان والدهُ انَّ العروقَ عليها ينبت الشجرُ

وممَّا امتاز بهِ ابراهيم رسوخهُ في الدين فكانت عيشتهُ اشبه بعيشة النسَّاك وقد بلغ بهِ تعبُّدهُ الى ان كان يتلو كلَّ يوم فروض الرهبان القانونيَّة في اوقاتها المعيَّنة ويقضي نصف ساعة في التأمُّلات الروحيَّة ويثابر على الاسرار الطاهرة. ولمَّا بارك الله اقترانهُ بصوفيًا السابق ذكرها رُزق عدَّة اولاد سعى في تربيتهم في خشية الله وارشادهم الى طريق الصلاح. ومن عاداتهِ الحميدة انهُ كان يجمعهم صباح مساء لتلاوة الصلاة مع لفيف العائلة وكان يتوجَّه معهم كلَّ يوم الى الكنيسة لحضور الذبيحة المقدَّسة

وكان ابراهيم انتقل من عكَّا بعد وفاة والدهِ لكثرة ما وقع في هذه المدينة من الفتن والحروب فتوطَّن صور وفيها اولد ابنهُ بشاره كما مرَّ. وفي سنة ١٨٤٣ خرج ابوهُ من صور وقدم صيداء مع عائلة عديلهِ المرحوم ايوب العكَّاويّ والد حضرة الاب الفاضل الغيور انطون عكَّاوي العازاريّ. لكنَّهم لم يجدوا في هذه المدينة ما بنوا عليهِ آمالهم

واضطروا الى ان يبارحوهـا فيسافروا الى القطر المصريّ سنة ١٨٤٥ فاقاموا اوَّلًا في دمياط خمس سنوات ثم شخص ابراهيم الى الاسكندريَّة وسكنها مع اولادهِ الى وفاتهِ سنة ١٨٥٢. وكان موتهُ فجأَةً الّا انهُ كان مستعدًا منذ أَمدٍ مديد للاقاة ربّهِ بعيشته الصالحة وسيرتهِ التقويَّة. ولمَّا كان بشاره مطبوعًا على الحب الصادق البنوي نحو والدهِ اصابهُ من جرَّاء وفاتهِ أَلم شديد لاسيما اذ رأَى ان اعباء ادارة البيت مع الاهتمام بشؤون اخوتهِ الصغار قد عادت اليهِ وهو وقتئذٍ في ريعة الشباب لم يبلغ من السنّ فوق الاربع عشرة سنة. لكنَّهُ القى بمقاليد امرهِ على الربّ الذي لا يهمل من اتّقاهُ ووضع عليهِ اتّكالهُ

وكان بشاره ذا فهم متوقد وذكاء غريزيّ تلوح على وجهـهِ ملامح النجابة فأَدَّى بهِ ذلك الى ان اتقن بوقت قليـل مبادئ اللغة العربيَّة. ولمَّا دخل ابوهُ الاسكندريَّة سلَّمهُ لحضرات الاباء العازاريين ثم لاخوة المدارس المسيحيَّة ليتخرَّج عندهم بآداب اللغة الفرنسيَّة. وقد شهد لهُ استاذهُ العازاريّ الاخ كلاري بانهُ كان قدوة لكلّ اقرانهِ بتقواهُ وسلوكهِ الحسن واجتهادهِ في تحصيل العلوم. ثمَّ تفرَّغ في بيت ابيهِ لبعض دروس خصوصيَّة على استاذٍ احضرهُ لهُ والدهُ. ومَّما حصل عليـهِ بالممارسة دون معلّم يرشدهُ مبادئ اللغتين الانكليزيَّة والايطاليَّة حفظ منهما ما كفاهُ لمزاولة اشغالهِ واستعان بهما في اسفارهِ الى انكلترة وايطاليَّة

ثمَّ مات والدهُ كما سبق فاضطرّ بشاره الى معاناة الامور التجاريّة. ودخل في اوَّل الامر بصفة كاتب في مصرف (بنك) الكونت ميخائيـل دي دبَّانة احد تجار الاسكندريَّة المعتبرين. ثم خدم في فرع المحلّ الذي انشأَهُ في الاسكندريَّة هنري مارس الروسيّ المثري الشهير فسرَّ بهِ اصحاب المحـلّ وقدَّروا نشاطهُ وقدّموهُ بين عمَّالهم. وفي سنة ١٨٥٧ اخذ المحلّ المذكور بالتصفية وقدَّم مديرهُ استعفاءَهُ فلم يجـد هنري مارس رجلًا اجدر بان يقوم بادارة الاشغال من بشاره الخوري وهو اذ ذاك في مقتبـل الشباب فعهد اليهِ بالامر لما كان يعرف من نزاهتهِ وغيرتهِ على مصالح اربابهِ

بيد انَّهُ لم يلبث فقيدنا ان رأَى في يدهِ رأس مالٍ كافٍ ليتعاطى التجـارة على حسابهِ الخاصّ ففتح لهُ محلًا واخذ يخابر التجار ويجدّ في معاملتهم بغاية ما امكنهُ من اللطف والاستقامة. قال رحمـهُ الله: « لمَّا رأَى الناس انني صادق اللهجة حسن الطويّة

فيها الاسفار من سنة ١٨٥٩ الى سنة ١٨٦٤ وتعرَّف بكثيرين من اصحاب المحلات الكبرى فابرم معهم معاهدات تجاريَّة اكسبتهم واياهُ مكاسب بالغة وقد رأوا في اعمالهِ من الدراية وحسن التدبير ومحض الامانة ما زادهم رغبةً في معاملتهِ وقد ثبتوا معهُ بتبادل الاشغال الى آخر حياتهِ

وبعد رجوعهِ من اوربَّة الى القطر المصري اقترن سنة ١٨٦٥ بماري كريمة الفاضل التقيّ يوسف دبانة قنصل نابولي المُثري في ذلك الوقت في مدينة صيداء(١. فكان هذا القران حليف اليمن والدعة مصحوبًا بالرفإ والبنين. ومن جملة اولادهِ هؤلاء بكرهُ الفاضل الخواجا ابراهيم والمرحوم اميل الذي اهتصرت المنون غصن شبابهِ رطبًا سنة ١٨٩٥

ولمَّا دخلت سنة ١٨٧٢ رأى انَّ في اقامتهِ في القطر المصري مخاطر عديدة تداهم التجَّار عمومًا فتعرّضهم الى الخسائر الجسيمة وترنّق صفاء عيشهم بهموم متواصلة. فترك القطر المصريّ وجاء بيروت فتوطنها وزاول فيها اعمال الصرافة موءثرًا الربح القليل على التهور في المتاجرات الخطرة رغمًا عمَّا كان عليهِ من الحنكة التي كانت تمكّنهُ من جمع ثروة عظيمة. فما لبث ان صار محلُّهُ معدودًا بين المصارف الاولى لدربة صاحبهِ في الامور واستقامتهِ في المعاملات. وكانت المصارف الاوربيَّة تعتمد عليهِ اعتمادها على المحلات العامرة التي لا تزعزعها عواصف الدهر وصروفهُ. وقد اقرَّ بذلك علانيةً سنة ١٨٩٥ زعيم تجار مرسيلية في نادٍ اجتمع فيهِ اكبر مديري المصارف حفاوةً بصاحب الترجمة يوم مرَّ في هذه المدينة فاستقبلهُ بقولهِ: « اننا نرحب بزميلنا الخواجا بشاره الخوري ونصدّرهُ في مجلسنا اقرارًا بفضلهِ لانَّهُ حقيقةً مرآة الشرف والاستقامة في الاقطار السوريَّة بل قدوة الفضل والكمال لكلّ اصقاع المعمور

وفي مدَّة تجوُّلهِ في اوربَّة ابتلاهُ الله كما يبتلي عبيدهُ الابرار بوفاة قرينتهِ العزيزة فتوفَّاها الله في ٢٤ ايَّار سنة ١٨٨٠ تاركةً لهُ ولدين واربع بنات. فلمَّا علم بهذا المصاب العظيم قبَّل اليد التي ضربتهُ وخضع تمامًا لاحكامهِ تعالى. وفي منتصف حزيران من السنة ١٨٨١ تزوَّج بملكة كريمة صاحب الفضل والتُّقى حبيب عبد الله الموصلي. وواصل اشغالهُ بثباتهِ وهمَّتهِ المألوفة الى سنة وفاتهِ

ولمَّا كانت غاية تشرين الثاني من سنة ١٨٩٠ انتخبهُ اعضاء جمعيَّة مار منصور

١) وأُمّها آسين بنت المرحوم يوسف خلاط

ثابت الكلام لا انكث عهدًا ولا أَفِرُ في خدمتهم جهدًا اخذوا يتواردون عليَّ زرافاتٍ وتوفرت اشغالي. وكنتُ علاوةً على ذلك لا اطلب الارباح الفاحشة التي لا يُحصل عليهـا الّا بالمخاطرة برأس المال وارضى بما يسوقهُ الله اليَّ من الرزق القريب فصدق فيَّ قول القائل:

وجدتُ القناعة اصل الغنى فصرتُ باذيالها ممتسكْ

فما عتَّمت الدنيا ان جاءتني صاغرةً فاخذتُ منها ما اهدتني وماء وجهي موفور وديني مصون »

وممَّا ساعدهُ على المكاسب الطائلة معاهدات عقدها مع الحكومة المصريَّة ثمَّ مع الحكومة الانكليزيَّة باثناء حرب السودان وكان اخذ على نفسهِ ان يقدّم للحكومتين ما تحتـاج اليهِ جيوشهما من اللوازم فقام بهـذه المهمَّات احسَن قيام وآنس القوَّادُ منهُ رجلًا شريف النفس ساميَ الهمَّة لا يشترط على نفسهِ شرطًا الّا قام باكثر ممَّا وعد. وقد عرفت لهُ الحكومة الانكليزيَّة هذه الخدمات الجليـلة واثبتت في سجلَّاتها تذكارًا حسنًا ينطق بشهامة المرحوم وشرف اخلاقهِ

ولمَّا جرت في مصر الحركة العرابيَّـة في سنة ١٨٨٢ ذكرت الحكومة الانكليزيَّة عميلَها وما وجدت فيهِ من سلامة الطويَّة وسموّ المدارك فارسلت وخابرتهُ في بيروت لتعرض عليهِ ثانيةً عقدًا جديدًا في تهيئة المؤَن والذخائر لجيشها فابى الاجابة الى سؤلها خوفًا منهُ أَلّا يسمح لهُ الوقت باتمام هذه المهمَّة فيرتبـك بشغل شاغل دون ان ينهض باعبائهِ حقَّ النهوض. وكان مع ذلك يأمل من هذه المعاملة ربحًا وافرًا فآثر خسارتها على المخاطرة بعرضهِ وذمَّتهِ. ولعلَّ الله جازاهُ عن نزاهتهِ هذه عاجلًا لمَّا التهمت النار في آخر الثورة العرابيَّة حيَّ الاسكندريَّة الذي فيهِ كانت مخازنهُ فذهبت كلُّ الابنية المجاورة لهُ ولم تصب النار مخازنهُ باذًى فعدَّ الناس ذلك نعمةً خصوصيَّة

ومن خصائلهِ الطيّبـة ايضًا التي اعانتهُ على جمع الثروة انهُ كان يُحسن النظام في كلّ اشغالهِ ويضبط دفاترهُ ضبطًا مدققًا فلا يؤخر الى الغد ما يمكنهُ انجازهُ في نهارهِ. وكان يطلب من عمَّالهِ الطاعة التامَّة في اتمام اوامرهِ حتى في الامور الطفيفة. فاكتسب بذلك ثقة الجميع وصارت كلمة واحدة من فيهِ تُعتبر اكثر من الصكوك والحجج المسجَّلة

وممَّا رفع شأنهُ وزاد في علوّ مقـامهِ انَّـهُ رحل مرارًا الى الاصقاع الاوربيَّة وداوم

وكان من ينظر هذا المشهد الاثير يخال لهُ انَّ بيروت كلها اجتمعت لتشيّع المرحوم الى دارهِ الاخيرة اسيفةً على فقد من كان غياثاً للفقراء وثمالًا للايتام والارامل وسندًا لكلّ الاعمال المبرورة وفخرًا لآلهِ الكرام وطائفتهِ الجليلة ووطنهِ العزيز وللنصرانيَّة باجمعها. وصلّى عليهِ تسعة مطارنة في مقدَّمتهم سيادة الحبر الجليل كرلوس دوڤال القاصد الرسولي وصاحب الغبطة السيد المفضال البطريرك بطرس الجريجيري الذي ابَّنهُ في الكنيسة بخطاب انيق استنزف بهِ دموع الحضور مدرارةً واضرم في القلوب لوعةً على الفقيد لم يُخمد لظاها حتى الآن. وممَّن ابَّنهُ على شفا تربتهِ حضرة الڤيكونت فيليب دي طرَّازي الذي خلفهُ في رئاسة جمعيَّة القديس منصور وغيرهُ من الافاضل

وقد اشتركت حكومتنا السنيَّة بهذا الخطب الجلل فاظهرت ما تكنّهُ صدور اهل الدولة من الاعتبار السامي لشخص الفقيد فانَّ صاحب الدولة نعوم باشا متصرّف جبل لبنان نزل من مركزهِ في بعبدا الى بيروت لحضور المأتم وتعزية أُسرة المرحوم. وارسلت قناصل الدول العظمى وفدًا من ارباب المناصب ليمثّلوها في هذه الحفلة. كما ان دولتلو والي ولاية سوريَّة ناظم باشا بعث من يقدّم لعائلة الفقيد واجبات التعزية. وكنتَ ترى اكلَّة الزهور متراكمة فوق النعش منضَّدةً على احسن هيئة. واشترك بمظاهر الحزن على الفقيد الروم الارثذكس والبروتستنت فكانت اجراسهم تقرع عند مسير المأتم. وفي الاجمال يصحُّ القول انَّ هذا المأتم لم ترَ لهُ بيروت مثيلًا من ذي قبل ولعلَّها لن ترى امدٍ الى بعيد

٢

٢ فضائل الفقيد

انَّنا في قسمنا السابق لم نذكر الّا النزر القليل من حميد سجايا المرحوم بشاره الخوري. وقد اجَّلنا الى هذا القسم اشياء كثيرة تنبئ على سموّ فضلهِ وأغلب هذه الاعمال لم تنظرها اعين الناس وهي لذلك اجدر بان تسطَّر في بطون الصفحات وذكرها اوقع في النفوس من المآثر الظاهرة التي يستعظمها الجمهور عادةً

واوّل ما يحسن بنا ذكرهُ في هذا الباب ايمان الفقيد وتُقاهُ فانهُ رحمهُ الله كان قد تشرَّب روح الدين منذ نعومة اظفارهِ حتى صار فيهِ كغريزةٍ راسخة في سويداء قلبهِ. ولذلك لم يكتفِ بتتميم كلّ فرائضهِ الدينيَّة كما هو شأن المسيحيّ الصادق الايمان بل

دي بول رئيساً عامّاً ليخلف في هذه الوظيفة رجل البرّ والتُّقى بطرس ديشان. فلبّى الى دعاء الاعضاء بكل طيب قلب. وهذه هي الرتبة الوحيدة التي احبَّ مباشرتها في حياتهِ لما كانت تقتضيهِ منهُ من بذل الذات ومواصلة الحسنات نحو المكروبين. فادار هذه الجمعيَّة بنشاط لا يوصف وامدَّها بحسنات لا يعرفها الّا الله. هذا فضلاً عمَّا تبرَّع عليها من المال الوافر منذ انضوائهِ الى هذه الشركة في ١٤ تموز سنة ١٨٧٣ واَيَّام نيابتهِ لرئيسها العام سنة ١٨٧٧. وكان ايضاً رئيساً للجمعيَّة الخيريَّة للروم الكاثوليك

وفي آخر عمرهِ اصابتهُ اوجاع وبلايا عظيمة لاسيا وفاة نجليهِ العزيزين اميل وهنري فتوالى عليهِ الرزء مرَّة بعد أُخرى فتضعضعت قواهُ وتعاظمت عليهِ اعراض الامراض فكنت تراهُ كالذهب الابريز يمحصهُ الله بنار المحن ليزيد نفسهُ بهاءً ويجزل ثوابهُ في دار البقاء. وكانت الكهنة من اصحابهِ يتردَّدون عليهِ فيعودونهُ في علّتهِ ويثبتون عزمهُ على احتمال الصليب بصبرٍ مسيحيّ فكان يأنس بخطابهم ويشكر لهم فضلهم ويريهم من ايمانهِ عجائب. ولمَّا شعر نسيبهُ الغيور الفاضل الاب انطون عكَّاوي بقرب حلول اجلهِ استدعى لهُ كاهن الرعيَّة الاب باديكتوس الذي كان يلازمهُ في مرضهِ فزوّدهُ بكل اسرار الكنيسة وقلبهُ مفعم سروراً لملاقاة الاله الذي اخلص خدمتهُ مدَّة حياتهِ بلا انقطاع ولا فتور. وكانت الشركات الخيريَّة والجمعيَّات الرهبانيَّة وكلّ اصحاب الخير يقيمون اذ ذاك الصلاة الحارَّة لبقاء هذا الرجل الصالح. غير انَّ الربّ وجدهُ كثمرة يانعة آن وقت قطفها لينقلها الى جنَّة الخلد. فكانت وفاة المرحوم في ٢٨ آذار سنة ١٨٩٨

فما طار منعاهُ في انحاء البلدة حتى عمَّ الحزن والاسف قلوب جميع معارفهِ واصدقائهِ والحق يقال انَّهُ لم يكن لهذا الرجل البارّ غير اصدقاء واصحاب لما كان مفطوراً عليهِ من الخلال الفريدة التي قيَّدت لهُ القلوب بإِسار الحبّ والاعتبار. وقد ظهر ذلك في حفلة جنازتهِ اذ تبع نعشهُ زهاء عشرين الف نسمة يتقدَّمهم فرقة من الضابطة ويسقجيَّة الدول وطلبة مدارس جمعيَّة مار منصور دي بول ومكتب الروم الكاثوليك ومأوى اليتامى وكلُّهم يحملون الشموع والمشاعل وينشدون الاناشيد الشجيَّة وعلى وجوههم امارات الحزن. وحضر هذا المأتم عدد غفير من اكليروس جميع الطوائف ورؤساء الرهبانيَّات واعيان البلدة ووجوهها واعضاء كلّ الجمعيَّات الخيريَّة

اتمام بغيتهِ وارسل كأساً من الفضَّة للمعبد الذي يحتشد فيهِ المتروّضون

ومن شعائرهِ الدينيَّة محبّتهُ لكنيسة الله وائمة احبارها وانتشار الدين المسيحيّ. وقد ساقهُ عظم تعلّقهِ بالسدَّة البطرسيَّة الى ان يقصد رومة العظمى مرَّتين ليحظى بالمثول امام الاحبار الرومانيين فباركهُ السعيد الذكر البابا بيوس التاسع وقداسة الحبر الجليل لاون الثالث عشر المالك سعيداً. ومن ذلك ايضاً المال الوافر الذي صرفهُ لبناء الكنائس. نخصُّ منها بالذكر كنيسة البشارة في المصيطبة وكنائس عديدة ساعد على تشييدها الاب يوسف برنيه اليسوعيّ في جهات حمص وعكَّار جعل لهُ مبلغاً معلوماً لكلّ كنيسة يبتنيها في تلك النواحي. واليهِ يعود الفضل خصوصاً في تشييد كنيسة جميلة في قرية عاليه. وكان اتَّخذ لهُ ديدناً ان لا يجزل العطاء فقط على الكنائس بل يعدُّ ذلك نعمةً فيشكر فضل الذين يستلفتون انظارهُ الى مثل هذه الاعمال المبرورة التي تكسبهُ اجراً عند الله

وكانت غيرتهُ على النفوس مضطرمة يسعى غاية جهدهِ في خلاصها. وكان اوَّل همّهِ ان يطبع في قلوب اولادهِ حبّ الفضيلة ويصونهم عن كل ما من شأنهِ ان يدنس ضمائرهم ولو بالذنوب الخفيفة فيكرّر على مسامعهم قول الملكة بلنش دي كاستيل لابنها القديس لويس ملك فرنسة «انَّهُ معحبتهِ لهم يؤثر ان يراهم امواتاً من ان يغيظوا الله بخطيئة واحدة». ولاجل غيرتهِ هذه على خلاص النفوس كان يبذل الدراهم عن يد سخيَّة لانشاء المدارس وتثقيف الاحداث على المبادئ الدينيَّة والآداب الحسنة

وكان المرحوم يحبّ طائفتهُ حبّاً عظيماً ويرتاح الى حضور طقوسها الجليلة ويفرغ الوسع في تقدُّمها ونجاحها ويكرم رعاتها النبلاء بيد انَّ ذلك ما كان لينسيهُ انهُ ابن كنيسة منتشرة في الخافقين. ومن ثمَّ كنتَ تراهُ مجتهداً في تعزيز الكثلكة عموماً يتردَّد على رؤساء جميع الطوائف والرهبانيَّات ويبدي لجميعهم الاكرام اللائق ويتوق الى روية الوفاق والاتّحاد بين الطوائف المتفرّقة. ولم يقبل رئاسة جمعيَّة مار منصور الَّا لما وجدهُ فيها من الحبّ العامّ الشامل لكلّ الطقوس الكاثوليكيَّة. ولمَّا عرف ان انطون ابن خالتهِ ايّوب العكَّاوي يقصد الترهُّب في جمعيَّة الآباء العازريين فعارضهُ كثيرون في تتميم قصدهِ اخذ المرحوم يدافع عنهُ وساعدهُ على تحقيق امانيهِ

ولا تنسى الرهبانيَّة اليسوعيَّة فضلهُ لما استنفدهُ من الوسع مع بعض الادباء في

كان يفرض على نفسهِ صلوات عديدة ينجزها بما امكنهُ من النشاط والغيرة. وكان على مثال والدهِ يصلّي الفرض الرهبـاني القانوني بتمامهِ ويتلو مع عائلتهِ واولادهِ صلاة الصبح والمساء ويثابر على حضور القداس الالهي كلّ يوم بل كان يشارك كهنة طائفتهِ في صلواتهم الجهاريَّة كالخدمة وتلاوة الرسائل دون حياء بشري. وكان اذا صدَّهُ المرض عن الذهاب الى الكنيسة يستدعي باذن الرؤساء كاهناً يقيم الذبيحة الطاهرة في بيتهِ. وكان محافظاً باشدّ الحرص على القطاعات والصيامات الكنسيَّة اللهمَّ الَّا في وقت المرض وبرخصة مرشد ضميرهِ. وقد بلغت بهِ وصيَّة حفظ الآحاد والاعيـاد الى ان يمتنع في تلك الأيَّام عن فضّ تحارير البريد ويقضي اذ ذاك صلب نهـارهِ في مناجاة الله وقراءة الكتب الروحيَّة والتفرُّغ لجميع الاعمال المبرورة

وكان قلبـهُ كلفاً بسرّ القربان الاقدس فيتقرَّب من المائدة السمويَّة في السبوت والاعياد بايمان حيّ وورع عجيب. وكان كلَّ يوم مساءً يزور القربان لا سيَّما في كنيسة المصيطبة فصار بذلك قدوةً لاهلهِ وبعض اصحابهِ الذين اخذوا عنهُ هذه العادة الحميدة ولا يزالون يداومون عليها. وقد حملهُ حبُّـهُ لسرّ هيا كلنا ان يشترك باخويَّة قلب يسوع الاقدس ويبثُّ بين اهلهِ وخدَّامهِ ومعارفهِ التعبُّد لقلب ابن الله ويقيم في بيتهِ رتبة شهر حزيران المخصَّص لاكرامهِ

امَّا محبَّتهُ لوالدة الله فكانت اشبه بحبّ الابن نحو والدتهِ لا يدع يوماً يجتاز عليهِ دون ان يحيّيها ببعض الصلوات ويبدي لها الاكرام البنويّ. وكان مشتركاً بثوب سيدة الكرمل ويتقرَّب الى الاسرار المقدَّسة في اعياد البتول الطاهرة وسبوتها

ومن الشواهد العديدة الدالَّة على تديُّنهِ انَّهُ كان يختلي كلّ سنة في بعض الاديرة ايَّاماً معلومة يصرفها في الرياضات الروحيَّة بارشاد بعض الكهنة الافاضل وكان اذ ذاك يحفظ السكوت التام في بيتهِ مع ذويهِ وقد شاهدناهُ مراراً في كليَّتنا يتفرَّغ لهذه الرياضات فيعيش بيننا عيشة الرهبان وكان حضرة الاب ميشال جوليان يتولى ارشادهُ وهو معلّم ضميرهِ وعنهُ اخذنا بعض هذه الافادات التي دوَّنَّاها في نبذتنا. وكان عند ما يقضي فصل القيظ في مصيفهِ بكفين يحبّ الاختلاء في دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين. ولمَّا كان الصوم الكبير من سنة وفاتهِ استدعاهُ رئيس كليَّتنا الى رياضـة أُقيمت لبعض اعيان البلدة في جنينة المدرسة فلبَّى دعاءهُ ولكن حال المرضُ الاخير دون

وجمع للشركة من ماله ٢٠,٠٠٠ الف فرنك لمساعدة المهاجرين في ضنكهم وتمكينهم من العود الى بلدهم بعد خمود الفتنة. على ان جمعيَّة مار منصور لم تكن لتذهل عن معرفة الجميل فقد اقامت لراحة نفسهِ جنَّازين احدهما بعد وفاتهِ والآخر في تذكار موتهِ السنويّ

وكان يدفع سنويًّا مبالغ وافرة لراهبات المحبَّة لتعليم الايتام واليتامى ويرسل اليهنَّ خفيةً طحينًا من الصنف الافضل وكان يقول: «انَّ للفقراء حقًّا ان يأكلوا من احسن جنس». ومن اعمالهِ المشكورة انَّهُ كان شديد الاهتمام في تسهيل زواج البنات على اختلاف طوائفهنَّ من العائلات المتستّرة اللواتي اخنى عليهنَّ الدهر فيدفع لهنَّ ما يحتجنهُ لجهازهنَّ. ومن ذلك ايضًا انَّهُ افرز منذ سنة ١٨٨٤ عشرة آلاف ليرة يتصدَّق بريعها كلَّ سنة على الفقراء. ولم تخلُ مدينة من بلاد الشام من دلائل كرمهِ الحاتميّ فكان كلَّ سنة يرسل مبالغ الى الشام وزحلة ويبرود وصور وصيداء وعكَّا وحيفا ويافا منها صدقات للمحتاجين ومنها حسنة قداسات للكهنة. وكان خصَّص سنويًّا مبالغ أُخرى لفقراء الاسكندريَّة ومصر ولجمعيَّتي مار منصور دي بول في ليفربول ولندرة. وصدقات عديدة وافرة للجمعيَّات والرهبانيَّات في انكلترة وللكردينال رئيس اساقفة لندرة. وفي ١٨٩٥ بلَّغ الحكومة المصريَّة ١٨ الف فرنك لتنفقها في المستشفيات المصريَّة فارسل نوبار باشا يشكر لهُ هذه الهبة الحاتميَّة. هذا فضلًا عن ٥٠٠ ليرة أُخرى تبرَّع بها في القطر المصري ومبرَّات وافرة كان يحسن بها كلَّ يوم الى المحتاجين بقطع النظر عن طوائفهم لا يستثني احدًا من البائسين بل يقتصد في معاشهِ ليزيد في مبرَّاتهِ

وممَّا يُخبر عنهُ انَّ بعض اهل الثروة اوعز اليهِ يومًا بان يحيي في بيتهِ ليلةً راقصة يدعو اليها وجوه البلدة. فسأل المرحوم: وكم يقتضي ذلك من المصروف؟. قال: نحو خمسة آلاف فرنك. فاستدعى الخواجا بشاره من ساعتهِ احد عملائهِ وتقدَّم اليهِ بان يفرز لهُ المبلغ المذكور ليوزّعهُ في غد ذاك النهار على الفقراء فيدّخر لهُ بذلك ثوابًا افضل من احياء الليالي الساهرة في المسرات والملاهي. وقد بلغت وصيَّتهُ للفقراء ٧٥٠٠ ليرة

ولا حاجة الى القول انَّ الفقيد لم يبخل بمالهِ لينفق في المشروعات المدنيَّة الآئلة للخير العمومي ونشر العلم. فانهُ كان اوَّل من يكتتب لانجاز هذه الاعمال النافعة. وفي متحف العاديَّات الذي في كليَّتنا شاهد على سخائهِ. وهو ناووس من الرصاص عليهِ نقوش وتصاوير جميلة يرتقي عهدهُ الى الفينيقيين وجدهُ سنة ١٨٨٧ عند حفر اساس احد بساتينهِ

سنة ١٨٧٦ ليفتح لابناء القديس اغناطيوس رسالةً في القطر المصري وكتب في ذلك الى المجمع المقدَّس في رومة وارسل المعاريض الممضاة باسماء كثيرين من الافاضل فاجاب المجمع الرسولي الى سؤلهِ بعد قليل

ومن صفات الفقيد تواضعهُ العجيب فانَّهُ كان يسيء في نفسهِ الظنّ ويحبّ ان ينقاد الى مشورة غيرهِ حتى في الامور الصغيرة واكثر ما كان يظهر منهُ ذلك لدى مرشد ضميرهِ فانهُ كان امامهُ كطفل يعرض عليهِ بسذاجة خفايا قلبهِ ولا يأتي امرًا الّا بمشورتهِ

وكان تواضعهُ هـذا يزيد الناس اعتبارًا لشخصهِ الاثيل. فمن ذلك انَّ جلالة اللندغراف دي هاس (de Hesse) الالماني الشهير كان يجلّهُ ويعظّمهُ مذ تعرَّف بهِ في احدى سياحاتهِ الى الأَقصُر (تيبة) ثمَّ مرَّ البرنس ببيروت بعد سنين فاوقف سفينتهُ ساعتين ليتمكَّن من زيارتهِ في بيتهِ وترك لهُ صورتهُ تذكارًا. ولمَّا قدم دون بدرو ملك البرازيل الى سوريَّة للتجوُّل فيها لم يرضَ رفيقًا غير صاحب الترجمة لما بلغهُ من دماثة اخلاقهِ ورقّة طباعهِ وكان المرحوم وقتئذٍ نائبًا لقنصل البرازيل

ومن دلائل تواضعهِ العجيب انَّهُ كان يحب الاعتزال عن الرتب العليا والمناصب الجليلة والامتيازات الفاخرة. فمن ذلك ان السعيد الذكر البطريرك غريغوريوس الحَّ عليهِ من امدٍ مديد بان يقبل رتبة الكُنتيَّة الرومانية الخطيرة فأَبى قبولها. وقد نال خفيةً عنهُ وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كافليار والوسامين العثماني الثالث والمجيدي الرابع. وكان اصدقاؤهُ يحضُّونهُ على ان يرشّح نفسهُ ليكون عضوًا في ادارة الولاية ليمثّل فيهِ طائفتهُ وبيَّن لهُ دولة والي بيروت ارتياحهُ الى اقتبالهِ هذه المهنة لكنَّ الفقيد ابى ذلك مطلقًا خوفًا منهُ أَلَّا يحسن القيام باعباء مهنتهِ

وكان لشدَّة تواضعهِ يتجنَّب كل عمل يكسبهُ لدى الناس مجدًا باطلًا فكان يصنع المبرَّات متسترًا يودّ على موجب قول الرب الّا تعلم شمالهُ ما تعطي يمينهُ

بيد انَّ ما امتاز بهِ هذا الرجل العظيم انما هو كرمهُ وحسناتهُ الوافرة للفقراء والمحتاجين. فمن ذلك انَّهُ تصدَّق الى جمعية مار منصور بنحو مئة الف غرش وترك لها بموجب صك وصيَّتهِ اربعة آلاف فرنك. ولمَّا انشأَت الشركة في سنة ١٨٧٧ مدرستين مجَّانيتين في حيّ رأس بيروت وحيّ الرُّميلة لتعليم الفقراء قام الفقيد باكثر نفقاتهما. ولمَّا حدثت الفتنة العربيَّة سنة ١٨٨٢ ولجأَ كثيرون من المصريين الى القطر السوريّ تبرَّع

التماثيل المتحرّكة او الناطقة (Les Automates)

لاحد ادباء العراق

طالعتُ في مجلة الضياء (٢ : ١١٣) مقالةً مترجمة بهذا العنوان وهي من قلم احد الافاضل في العاصمة يقول في بعض صدرها: « وانا أرجو من افاضل قومنا وارباب الاطلاع منهم ان يوافوا المجلات بما يعلمونهُ من هذه الشواهد من هذا القبيل وغيرهِ احياء لذكر السلف. فقد اعتادت الجرائد والكتاب الاستشهاد بافاضل الافرنج وأقوالهم واعمالهم لسهولة الأخذ والنقل واهملوا شأن اجدادهم العرب الكرام كأنهم لم يكونوا شيئًا مذكورًا »

قلتُ: وقد قرأتُ قبل ذلك شيئًا من هذا الباب في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميريّ في موضعين ولم اتذكَّر الآن الّا موضعاً واحدًا وهو ما جاء في ترجمة الزاغ (٢ : ٢ من الطبعة المصريّة). قال « : رأيت في المنتقى من انتخاب الحافظ السِّلَفي وفي آخر ورقة من عجائب المخلوقات عن محمَّد بن اسمعيل السعدي انهُ قال : وجَّه اليَّ يحيى بن اكثم فتوجَّهت اليهِ فلمَّا دخلتُ عليهِ اذا عن يمينهِ قِمطر فاجلسني وامر ان يُفتح فاذا شيء خرج منهُ رأسهُ كرأس انسان ومن أسفلهِ الى سُرَّتهِ على هيئة زاغ (corneille) وفي صدرهِ وظهرهِ سلعتان (deux petites bosses) (قال) : ففزعتُ منهُ ويحيى يضحك. فقلتُ لهُ: ما هذا اصلحك الله ؟ فقال لي: سل عنهُ منهُ. فقلت لهُ: ما انت ؟ فنهض وأنشد بلسان فصيح:

انا الزاغ ابو عجوة (١   انا ابنُ الليث واللبوهْ
أُحبُّ الراح والريحا   نَ والقهوة والنشوهْ
فلا عَدْوى يدي تُخشى   ولا يُحذر لي سطوهْ
ولي اشياء تُستظرَ   فُ يوم العرس والدعوهْ
فمنها سلعةٌ في الظهـ   ـرِ لا تسترها الفَروهْ
وامَّا السلعة الاخرى   فلو كان لها عُروهْ
لما شكَّ جميع النا   س فيها انَّها ركوهْ

ثمَّ صاح ومدَّ صوتهُ: « زاغ زاغ » وانطرح في القمطر . فقلتُ: اعزَّ الله القاضي. وعاشق ايضاً ؟ فقال: هو ما ترى لا علمَ لي بامرهِ. الّا انهُ حُمل الى امير المؤمنين مع

١) العَجوة من اجود التمر في المدينة وفيهِ اشارة الى ما على عنقهِ من السلعة

فلمَّا اكتشفهُ جاد بهِ على مدرستنا الكليَّة جازاهُ الله خيرًا

وما كان المرحوم ليكتفي بدفع هذه المبالغ الجسيمة للفقراء والمساكين بل كان يحبُّ ان يزور بنفسهِ اكواخهم ويحمل اليهم بيدهِ المساعدات اللازمة وكان يعود المرضى ويعزّيهم بكلامهِ المتدفق رقَّةً ولطفًا

وقد اخبرنا صديقهُ الفاضل الخواجا نقولا قاطي (ومنهُ استفدنا تفاصيل كثيرة من هذه الترجمة) انهُ عاد وايَّاهُ في ٣٠ تموز سنة ١٨٧٤ مريضًا في مكّين من اصحاب الثروة كان قلب لهُ الدهر المجنّ فاخذ المرحوم يطلب لهُ وسائل التعزية والسلوان وذكَّرهُ بمثل طوبيَّا البارّ وبقول الملاك لهُ انّ الله يبتلي اولياءهُ بالمحن ويختبرهم بالبلايا. ثمَّ ركب عجلةً تقلُّهُ مع قرينتهِ وجناب الراوي من مكّين الى عاليه فجمحت الخيل في طريقها بقرب وهدةٍ عميقة وانقلبت العجلة بالركَّاب. فنجا المسيو نيقولا وقرينة المرحوم امَّا صاحب الترجمة والحوذي فسقطا في الهاوية ولم يشك احد في موتهما الَّا انَّهما سلما بنعمةٍ من الله باهرة. امَّا المرحوم فانسلخ جلد رأسهِ وانكسرت رجلهُ وترضَّضت اعضاؤهُ لكنّهُ اظهر من الثبات والجلد ما قضى بالعجب ونسي نفسهُ ليسأل عن امرأتهِ وصديقهِ. ولم يُسمع من فيهِ وقتئذٍ غير اسماء يسوع ومريم ويوسف والتسليم الى ارادتهِ تعالى وطلب الرحمة منهُ. ولمَّا عاد الى مكّين وهو على آخر رمق استدعى كاهنًا واعترف بخطاياهُ ثمَّ قال: «قد اتممنا الآن الامر الجوهريّ فلا بأس من العرض». وبقي زمنًا طويلًا طريح الفراش حتى شفاهُ الله تامًّا

على انَّ هذه المحنة لم تكن المصيبة الوحيدة التي اصابتهُ والاحرى ان يقال انَّ حياتهُ كانت كسلسلة من المصائب احدقت بهِ فاذاقتهُ العذاب أَلوانًا فمن ذلك داء الحصاة الذي ابتُلي بهِ فاستلزم عمليَّات جراحيَّة مؤلمة جدًّا احتملها بصبر عجيب. ومن ذلك ايضًا فقد قرينتهِ واولادهِ وأَحبابهِ كما مرَّ. ولم يجد في هذه الرزايا سلوانًا الَّا في صبرهِ الجميل وفضيلتهِ السامية التي ظهرت في تلك الاثناء كالشمس في رابعة النهار. ولدينا مكاتيب افرنسية كتبها في اثناء هذه المصائب تنطق بصدق ايمانهِ وباعتصامهِ بحبل الله

هذه عجالة كتبناها في رجل المبرَّات المشهورة والحسنات المشكورة الذي متَّع الله بلادنا السوريَّة بفضائلهِ وخصائلهِ الفريدة فلعلَّها تكون كمثالٍ يقتدي بهِ الكبراء وسلوانٍ يبرّد لوعة آلهِ الفضلاء وشاهد حيّ على قول الكتاب في سفر الامثال (١٩: ١٧): من يرحم الفقير يُقرض الرب فيجزيهِ بصنيعهِ

الناس عن المدارك الصناعيَّة. وكذلك ما نقلهُ ابن اياس من وصف الشمعدان المذكور هنــا فانهُ لم يحكِ فيهِ الّا كلاماً مبتوراً لا يكاد يستفاد منهُ تصوُّر شيءٍ من امرهِ ولاسيما مع غرابة الخبر وبعدهِ عن المدارك البديهيَّة حتى يتخيَّل السامع انَّهُ اختلاق » اه بحرفهِ

قلتُ: كيف يقول صاحب الضياء هذا القول وهو في كلامهِ عن التماثيل المتحركة في الجزء الثاني لم يذكر الّا اسماء بدون وصف. اما كان الاجدر بهِ ان يقرّ مثلاً أنهُ لم يعثر على شيء من هذا القبيل عند العرب. وانهُ يسأل القرَّاء ان يفيدوهُ بما يقعون عليهِ من هذا الباب ؟. ولكن قد رأينا الشيخ غير مرَّة يستصعب مثل هذا الاعتراض ويعدّهُ نقصاً بمقامهِ الرفيع. والحقيقة انَّ هذا الاقرار يُعلي كعبهُ ويرفع شأنهُ وان ليس من عالم او عارف الّا ويصدق ان يقال فيهِ :

قل للذي يدَّعي في العلم معرفةً عرفتَ شيئاً وغابت عنك اشياء

الى الغد

نقلًا عن اللغة الافرنسية

للشاب الاديب جرجي عطيَّه احد تلامذة مدرستنا الكليَّة

كان الشاعر الافرنسي ميلفوا (Millevoye) شديد الميــل الى ترويح نفسهِ في حديقة ڤنسان (Vincennes) الغضَّة فكان يلجأُ اليها في غالب احيانهِ مطلقاً لجيــاد افكارهِ عنان التصوّرات تحت ظلال الاشجار الكثيفة. وكان لخاطرهِ بهذه العزلة راحةٌ لا يشعر بها بين ضوضاء العالم ولا تُقاس بها مسرَّات الالفة فقد تزايدت عليهِ الاشجان وما من خليل يلقى عندهُ عزاء وثقلت عليهِ اعباء المجتمع حتى لا يرى في سوى الانفراد لذَّةً وهناء. ففي صباح يومٍ من ايام الربيع بينما الشمس ترتفع في الافق مرسلةً اشعَّتها كسهام من التبر تخترق كبد الفضاء ومكلّلةً بانوارها رؤوس الأدواح الغيباء كان هذا الشاعر يجوب بقدمٍ طروب أنحــاء الغاب الذي احبَّهُ فؤادهُ منذ كان صبياً. فلمح في احدى جهاتهِ غادةً جالسةً الى جذع احدى الاشجــار تستذري بظلِّها وهي في روعة الشبيبة وقد اكتست باثواب الحداد. فقرأ على غضون وجهها الاصفر الضئيــل والحاظ عينيها الغائرتين وهيئة اجفانها الذابلة آيات حزن مفجع قد اضطرمت نيرانهُ بين احشائها.

كتابٍ مختوم فيهِ ذكر حالهِ لم اقف عليهِ . انتهى . وهـذا الخبر قد رواهُ الحافظ ابو طاهر السَّلَفي على غير هذهِ الطريقة . وهو ما اخبر بهِ موسى الرضا . قال : قال ابو الحسن عليّ بن محمّد دخلت على احمد بن ابي دؤاد وعن يمينهِ قمطر فقال لي : اكشف وانظر العجب فكشفت فخرج عليَّ رجلٌ طولهُ شبر من وسطهِ الى أعلاهُ رَجُلٌ ومن وسطهِ الى اسفلهِ صورة زاغ ذَنبًا ورجلًا . فقال لي : من انت ؟ . فانتسبتُ لهُ . ثمَّ سألتهُ عن اسمهِ فقال :

انا الزاغ ابو العجوهْ حليف الخمر والقهوهْ
ولي اشياء لا تُذكَـ ـرُ في القصف وفي الدعوهْ
فمنهـا سلعة في الظَهْـ ـرِ لا تسترها الفروهْ
ومنها سلعة في الصد رِ لو كان لها عروهْ
لما شكَّ جميع النا س حقًّا انّها ركوهْ

ثمَّ قال : أنشِدني شيئًا في الغزل (وفي الاصل : العزل) فانشدتهُ :

وليلٍ في جوانبهِ فضول من الاظلام اطلس غيهبانِ
كانَّ نجومهُ دمعٌ حبيسٌ ترقرق بين اجفان الغواني

فصاح : وا أَبي وا أمّي . ورجع الى القمطر وستر نفسهُ . فقال ابن ابي دؤاد : وعاشق ايضاً ؟ » . اه . قلتُ وقد جاء ذكر هذه العجيبة في الصفحة ٣٤٢ من ذلك الجزء لكن في الهامش مع اختلاف في الرواية فلتراجع هناك

قلتُ ثانيًا : وهذا النوع من التماثيل يُسمى عند الافرنج Bilboquet بمعنـاهُ الثاني (١ ويصحُّ ان يُطلق عليهِ بالعربيَّة اسم التمثال الشَّبوب . وهو مأخوذ من الفرس الذي يقوم على رجليهِ ويرفع يديه (فقه اللغة للثعالبي)

وبعد ان كتبت هـذه الاسطر اتممت قراءة تلك المقالة فرأيت صاحب الضياء يُعقب على المراسل بما نصهُ :

« ان اكثر كتَّابنـا قلّما كانوا يهتمُّون بوصف المصنوعات والكشف عن اسرارها على ما سبق لنا الالماع اليهِ في غير هذا الموضع وذلك فضلًا عن ان اكثر المؤرخين عندنا لم يكونوا من اهل هـذه الشؤون . وانظر ما وصف بهِ ابن جُبير الساعة المائيَّة التي كانت في دمشق ترَ العجب من ذلك البيان الذي دلَّ على انَّ الرجل كان من ابعـد

(١) على انّنا كنّا نودّ لو افادنا الدميريّ شيئًا من تركيب هذه الآلة وكيف لقّنها اصحابها هذه الابيات . ولعلّها كانت تشبه الآلة الناطقة التي نعرفها اليوم بالفونوغراف

« الى الغد » وهنالك تبقى جاثيةً ساعاتٍ برمّتها تناجي رميم ابنها المحبوب. فهذا الخبر هاج عواطف ميلقوا واثّر في فؤادهِ الرقيق ومن لا يتأثّر لمثل هذا الحزن الذي يصدع الجماد ؟

ففي الغد عند ما ذهبت الام المسكينة تزور قبر ابنها بحسب مألوفها وجدت ورقة مطوية بين الازهار التي كانت غطتهُ بها مساء امس فتناولتها بلهفةٍ وقرأت فيها باضطراب لا يوصف ما يلي:

تحت ذي الازهار بل تحت الحجرْ حيث تأتينَ اذا لاح السحرْ
انا اصغي سامعًا منكِ الزفَرْ وصلاةً ودعاءً قد ظهرْ
آه وا لهفي وما لي من نظرْ

آه لو تقوينَ يا امي على غلبة الحزن الذي قد حصلا
من فراقي عند ما الدهر ابتلى فتنامين فابدو عجلا
لكِ في الحلم وتروين البصرْ

قرأتْ البارونة هذه الابيات والعجب قد اخذ منها كلّ مأخذ ففكّرت لعلّها تعرف اليد التي كتبتها. على انّ الشطرين الاخيرين انطبعا على لوح ذاكرتها بما فيهما من الوعد الذي تحنّ اليهِ وهما:

فتنامين فابدو عجلا لكِ في الحلم وتروين البصرْ

فسبّبا لها فرحًا جزيلًا ضاء بهِ محيّاها استبشارًا ومنذ تلك الساعة اخذت تطلب الى النوم سبيلًا وما كاد الليل يقبل جارًّا ذيول دياجيهِ حتى غاصت الوالدة المسكينة في لجج المنام فرأت — وما الاحلام في الحقيقة الّا آثار بعض أفكار تدور في الخاطر نهارًا او امور تنصرف نحوها جلّ اهتمامات الانسان — ولدَها الوحيد أُفرِد بين جمهور من الملائك مبتسمين تتدفّق من وجوههم انوار النعمة. فاعتنقتهُ بذراعيها واقبلت عليهِ تقبّلهُ وتروي غليل فؤادها الظمآن من زلال ثغرهِ، وقد كان يتملّص منها احيانًا ثم يعود فيطير حول جبينها باجنحتهِ اللامعة. فيا لهُ من ليلٍ سارّ قضتهُ هذه الامّ متنعّمةً بهذه الرؤيا. وسطوة النوم اللذيذ ابقتها في السرير برهةً طويلة بعد الوقت الذي كانت تزور فيهِ الضريح. فحالما استيقظت لبست اثوابها ثم اسرعت الى قبر ولدها ولكنّها لم تتمكّن من البقاء هنالك الّا بضع دقائق لانهُ كان نهار احد وجمهور المسيحيّين اقبل مزدحمًا حواليها ملبيًا نداء الجرس الذي دعا المؤمنين الى الكنيسة المجاورة

على انهُ على وقع اقدامهِ رفعت السيدة رأسها وقد ظهرت عليها لوائح الاضطراب لهذه المفاجــأة ثمَّ نهضت وابتعدت مسرعةً الى وجهة معلومة. عندئذٍ تقدَّم ميلقوا الى حيث كانت جالسةً فوجد هنالك كتاباً لها نسيتهُ سهوًا فاذا بهِ نسخة من احد مجاميع اشعارهِ. وكان مفتوحاً في صفحةٍ منهُ قد تركت عليهــا الانامل آثارًا بيّنة تنبئ بكثرة تقليب الايدي لها وهذه الصفحة تحتوي على القصيدة التي وصف بها هذا الشاعر محبَّة الوالدات مصوّرًا عادات مؤثرة لامم بلاد كنَدا في فقد اولادهم قال منها:

يا لعادات أُمَّــةٍ ووفاءِ	عندهم لا يحكيهِ منا الوفاءُ
فلَـكَم جانِبَ النهورِ اقاموا	حيث تجري دموعهم والدماءُ
تغتذي نفسهم ببرّح حزنٍ	وحرامٌ لها سواهُ غذاءُ
يألفون القبور يُجرون دوماً	فوقها دمعاً دونهُ الانواءُ
واذا مرَّ العام يبعث ذكرى	خطبهم جدَّ في القلوب البلاءُ
فيجيئونها حيارى بصمتٍ	منهُ كادت تُفطَّر الاحشاءُ
فابٌ يلثمُ التراب ويهمي	صوبَ دمعٍ تُسقى بهِ الغبراءُ
يندب ابناً لهُ ضجيعَ ضريحٍ	قد سباهُ من راحتيهِ القضاءُ
وينادي الضريحَ وهو يُرجي	انَّهُ يستجاب ذاك النداءُ
ثم اذ لا يفوز بالقصد يدعو	آهِ والهفتاهُ خاب الرجاءُ
وكذا الام ترفع الطرف حزناً	لسماءٍ واين منها السماءُ
ترسل الجفن بعد دمعٍ وتبكي	فلذة القلب ليس يجدي البكاءُ
ثم اذ تلفظ اسم مَن ثكلتهُ	حيث تُنهى صلاتها والدعاءُ
تغسل القبر من حشاها دماءٌ	فيهِ لابنها الفقيد ثواءُ

فتأثرت عواطف هذا الشاعر ودفعهُ الفضول وحاسَّةٌ من العجب الى اقتفــاء آثار هذه السيدة والاطلاع على دخيــلة امرها. فحثَّ خطاهُ وادركها داخلةً الى القلعة التي على التل مقابل قرية فونتاني. فشرع هنالك يسأَل الاهلين عنها وعن احوالها الحاضرة فعرف انها البارونة ب... ارملة ضابط من الجيش أُصيب في الحرب. وانها فقدت منذ بضعة اشهر ولدها الوحيد البالغ من العمر ستَّ سنين ويظهر ان هذه الفاجعة التي المَّت بها قد وقعت من نفسها موقعاً شديدًا حتى اضاعت رُشدها فانهم كانوا يشاهدونها بعض الاوقات في حديقتها واقفة على انفراد لا تبدي حراكاً وعيناها جامدتان محدقتان الى الامام. ويُقال انها لم تذق سِنَة الكرى من بعد موت ابنهــا فهي تذهب كلَّ يوم الساعة السابعة صباحاً وهي الساعة التي قضى فيها نحبَهُ الى مدفنهِ الذي كتبتْ عليهِ

عليهِ ومعنا كرديَّان مسلَّحان لدلالتنا على الطَّريق ولوقايتنا فيهِ لانَهُ كان خطِرًا . وكان أَحدهم تلوح عليهِ سِمات الوقاحة والجسارة. واماَّ الآخر فكان ذا اخلاق راضية وعواطف ليّنة. وكان الجوّ قد تغطّى بجلباب من الغيوم فخفّفت عنّا لظى الحرّ غير انَّها أَصبحت تتوعّدنا بالغيث. وبعد مسيرة ساعة ونصف انتهينا الى منبع النفط. وموقعهُ في ذيل جُبيل قد خرقهُ لِهبٌ فيهِ مسيل ماء. فينحدر النفط ويختلط في الماء فيتلمّع سوادًا. وللنفط ثمّت ينابيع كثيرة بعضها على وجه الارض وهي قليلة وبعضها مبورة وهي كثيرة. ففي نحر كلّ يوم ينطلق عملةٌ فيستقون ما تجمّع من النفط في أزقاقٍ ويحملونهُ الى كركوك. وكان الاهالي قبل عشرين سنة يضعون النفط في سُرج فيشعلونهُ للانارة لكنهُ كان يسوّد الجدران ويبعث برائحة كريهة. اماَّ الان فاخذوا يصفُّونهُ ويعتاضون بهِ عن زيت البترول

وبينما كنت أُسرّح الابصار في بدائع الخالق اتاني واحد من العمَلة وفي حضنهِ قليل من التراب مشيرًا اليّ ان اذوقهُ. فاستغربت ذلك. فقال واحد من رفقائي ضاحكًا: هذا تراب بابا كوركور وهو حامض. وقد يؤخذ منهُ الى كركوك فيبتاعهُ الاولاد ويأكلونهُ. حتى انّ البعض يعتاضونهُ في الطعام عن السمّاق. فحينئذٍ ذقتُ التراب وكان شديد الحموضة. (وهوذا قد أَرسلتُ منهُ الى إدارة المشرق ليُحلَّل فتعرَف ماهيَّتهُ (١) ثم قال لي ذلك العامل: هذا مزار لا يخيّب من يقصدهُ من المرضى. وكثير منهم يأتون هنا فيدلكون اجسامهم بهذا التراب. ثم يذهبون ويغتسلون بعين ماء هناك فينالون الشفاء بشفاعة بابا كوركور

فبعد مروز ساعة ذهبنا ميمّمين بابا كوركور. وكانت الغيوم قد اخذت تمطرنا رذاذًا. فما عتمنا ان لاحت لنا من بعيد بقعة مسطّحة من الارض كانّها قطعة من النار. فوقفت هنيهةً من الزمان متفرّجًا متعجبًا. ثمَّ استأنفت المسير حتى انتهيت اليها. وكانت السماء لا تني ترشّ واللهيب لا يزداد الّا اشتدادًا. فتزلَّفتُ الى النيران وجلست

---

١) قد حلّل استاذ الكيميا هذا التراب في مكتبنا الطبي فوجد انَهُ مسحوق زبل الطيور المعروف بالغوانو (guano) يدلُّ على ذلك الحامضُ الاوريك (acide urique) ورواسبهُ المتجمّدة الموجودة فيهِ. ويدخلهُ ايضًا بعض موادَّ كبريتيَّة سريعة الالتهاب. ولعلَّ بائعيهِ يخلطون فيهِ شيئًا من الحموضات (المشرق)

هو بعينهِ. ليس الّا ناظم « محبة الوالدات » يقدر ان يجلب مثل هذه التعزية للنفوس المثقلة باعباء الحزن

فلبث ميلقوا مظهرًا العجب كأنهُ لا يفهم شيئًا مماً يُقال وطلب ان يُكشف لهُ ستر هذا السرّ. فكان جواب البارونة أن قدّمت لهُ الورقات الثلاث سائلةً أليست يدهُ التي سطّرتها ؟. اجاب ميلقوا : « كيف يمكنك ايتها السيدة ان تنسبيها اليَّ حال كونهِ ما من دليل على ان هذا خطّي ؟ » قال الضابط :

انَّ تحقيق المسألة سهل ثم تقدم وتناول الدفتر الذي تحت إبط ميلقوا وشرع يقابل الكتابة من الجهتين وما لبث ان صرخ بسرور : « هذا خطٌّ واحد يا سيدتي البارونة فاهنإي اننا قد اهتدينا الى (الجاني) مخلّصك »

فاراد ميلقوا الدفاع عن نفسهِ ايضاً والإصرار على الانكار لكنَّهُ وجد نفسهُ بين ثلاثة اصدقاء يظهرون لهُ شديد محبتهم واحترامهم فأقرَّ بالحقيقة . عندئذٍ اخذتهُ البارونة بيدهِ وسارت بهِ الى الضريح حيث قطفت وردة من الوردات التي تظلِّلهُ فقدَّمتها لهُ ثم كتبت على الحجر ما يأتي:« هنا ناظم (محبة الوالدات) خلّص حياة والدةٍ مسكينة من اليأس والقنوط. فالفخر للآداب وطوبى للذي يستعملها لخدمة الانسانيَّة والشهامة »

منبع النفط في بابا كوركور

لحضرة القس ادّي ابرهينا صليبا الكلداني

في شمالي غربي كركوك على مسافة ساعة ونصف منبع يخرج منهُ النفط وبقربهِ موضع مشهور يُقال لهُ بابا كوركور. فكنتُ اسمع مرارًا ان ثمت نارًا وان كثيرًا من الاهالي يذهبون الى زيارتهِ ومعهم كل ادوات الطبخ فيضعون القدر على تلك النار فينضج الطعام فيأكلون. ومن خرافاتهم انَّهم يحثون التراب في تلك البقعة عاقدين في قلوبهم مرامًا ما. فاذا اشتعلت النار من تلقاء ذاتها في المكان المحثوّ زعموا ان المرام قد نيل والّا فلا. فكنتُ منذ زمان مديد أُريد مشاهدة ذلك المكان الغريب ولم تسنح لي الفرصة في ٩ تشرين الاول قمنا باكرًا جدًّا قبل ان يتنفَّس الصبح قاصدين بابا كوركور للتفرّج

العَقْد

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي

١ً (تعريفهـا ومرادفاتها) انَّ للعرب نوعاً من الحساب يكون باصابع اليدين يُقال لهُ: « العُقُود او العَقْد او حساب اليد. وهو المسمَّى عند علماء الافرنج: Dactylonomie

٢ً (لُغويَّة لفظة العُقَد) قد ذكر النحويون لفظة العُقَد في كتبهم عند كلامهم عن تعريف اللفظ بقولهم: « فيُحترز باللفظ عن الدوالّ الاربع: الاشارة والكتابة والعُقَد والنُّصَب اذ كلّ منها مفيد وليس بلفظ ». غير ان اغلبهم لم يشرحوا معنى العُقَد هنا وإنْ شرحهُ غيرهم من الادباء في مظانّ هذه اللفظة. وقد قضينا العجب بوقتهِ ممَّا طالعناهُ في مجلة البيان (١ : ٨٨ الخ) حينما سُئلت عن ضبط اللفظة ومعناهـا اذ خاضت في الكلام ولم تُجب عن السوءال الّا بعباراتٍ لا تخلو من مغامز. ولا بُدَّ من ايراد شيء من نصّ هذه المجلة ليطَّلع القراء على ما هناكَ من العَسْف والتعسُّف. قالت ما حرفهُ:

« امَّا ضبطهما (اي لفظتي العُقَد والنُصَب) فكل من سمعناهُ يرويها من اهل المُصطلَح ينطق بها بضمّ ففتح كما ذكرتم ولا وجه لهُ الّا ان يكونا جمع عُقدة ونُصبة بالضمّ فيهما. بل جاء في الكُتُب في مكان النصب « النصبة » مصرّحاً فيهِ بالتاء. وحينئذٍ فاقرب ما تُفسَّر بهِ العقدة في هذا الموضع انها اسمٌ لموضع العَقْد أُخذت من عقدة الحبل ونحوهِ كما أُخذ الفعل ممَّا سيجيء وان لم يصرّح اللغويون باستعمالهـا في هذا المعنى. واماَّ النُصبة فلم ترد في كُتُب اللغة الّا بمعنى السارية وهي العمود فلا تنطبق على المقصود الّا بتكلُّف. وقد سألنا بعض اكابر اهل العلم عن ضبط هذين اللفظين ومعناها فلم يكن عندهم في ذلك غناء ولم يزيدوا على قولهم: « هذا امرٌ قد انتهى الينا على هذا الوجه وغابت عنَّا اصولهُ ». ولعلَّ الاشبه في ضبطهما ان يكونا بفتح فسكون على انهما مصدران بمنزلة الخطّ والاشارة. واما معناهما فالاظهر ان المراد بالنُّصَب اقامة ما يستدلّ بهِ من المنار والحدود واشباه ذلك ممَّا يجري في هذا السبيل. واماَّ العُقَد فلا شكّ انَّهُ الحساب بالاصابع بان يشار بعقدها الى العدد على جهة التواطوء على هيئات معلومة وقد اضرب المصنّفون والشرَّاح عن بيان ذلك في كُتبهم كما سكت علماء اللغة باجمعهم عن الكلام فيهِ مع ورود كثيرٍ منهُ في مصنَّفات اهل الادب وبناء بعض المتـداول من كلام العرب عليهِ وهو من العجب بمكان. ولقد تفقَّدنا كتب اللغة في هذا الموضع فلم نجد الّا قول صاحب القاموس « وَعقَد الحاسب حسَب » لم يزد عليهِ ولا تعرَّض الشارح لشيء فيهِ واغفل صاحب الصحاح وصاحب لسان العرب هذا المعنى من اصلهِ ». (الى هنا انتهى كلام البيان)

والشمسيَّة على رأسي متفرّساً فيها مستبدعاً ذا الامر العجاب. واماً رفقائي فعقد كلّ واحد منهم في قلبهِ مراماً وجعل يحثو تراباً حيث لم تكن النار تشتعل بغية ان تتضرَّم فاذا كانت تستعر كان الحاثي يعدُّ نفسهُ فائزاً بطلبهِ. فالكردي الليّن العواطف كان مرامهُ الفرار من الحكومة. واماً الآخر الذي كان شرّيراً فطلبهُ كان ان يترأس على عشرين من الاشرار فيسير بهم الى السلب والنهب. فسبحان الله انَّ الاوَّل كلما كان يحثو التراب كانت النار تلتهب فكان يجذل. واماً الثاني فلم تلتهب النار ابداً على يده. فمضّ من ذلك (١

هذا وان العامَّة تحسب ذلك المكان مقدساً وتعدّ بابا كوركور من الاولياء: ففي موسم الربيع في كلّ اربعاء يألب اليهِ جمّ وافر لا يحصى من الناس تيمُّناً بهِ ولاسيما الروافض من قرى تسعين وداقوق وبشير وغيرها وهم يُريقون ثمَّت دم الذبائح اكراماً لهُ ويطبخون اللحوم على تلك النيران ويأكلون ويقسّمون ما فضل على الفقراء. ومن مزاعمهم ان بابا كوركور جاء في سالف الزمان ذلك الموضع ونصب فيهِ سرادقهُ. ولماّ اراد الطبخ لم يكن لهُ الى النار سبيل. فطفق يتضرَّع الى الله تعالى ولم يقم من صلاتهِ حتى اشتعلت النار ولم تزل تتلظَّى منذ ذاك الحين الى الساعة. هذا وانَّ بابا كوركور ليس الّا بركاناً تنبعث منهُ النيران صيفاً وشتاء ليلًا ونهاراً. غير انَّ محلَّهُ بقعة من الارض لا جبل. وتراب تلك الارض شديد الحموضة

وبعد زيارة بابا كركور يذهبون يستحمُّون في عين ماء قريبة اليهِ وهي كبريتيَّة مفيدة لازالة الامراض الجلديَّة. فان شفي احد المصابين بهذه الامراض باستحمامهِ في تلك المياه تعدّ العامَّة ذلك من المعجزات ناسبةً اياهُ الى شفاعة بابا كوركور



١) التهاب هذا التراب يتأتَّى مماَّ فيهِ من الموادّ النفطيَّة التي تجري بقربهِ. واماَّ كون بعضهِ يلتهب وبعضهُ الآخر لا يستعر ضراماً فذلك ناتج عن اسباب طبيعيَّة شتَّى كطريقة حثو التراب او السوائل المنبثة من يدي حاثيهِ الى غير ذلك مماَّ لا يمكن الجزم بهِ الَّا بالمشاهدة (المشرق)

الى البائع بعقد الاصابع فاذا لم يعجبهُ الثمن قال: لا. واذا قال لهُ: بعتُك. فلا يعلم الحاضرون كم مقدار الثمن. ولكن غاية العدد بالعَقْد ان ينتهي الى تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة آلاف فقط. هذا الحساب مستعمل ايضاً في زماننا الحاضر في البلاد الحجازيَّة والهنديَّة (راجع كتاب الشرح الجليّ ص ٨١ و ٨٢)

ومن المؤلفات التي صرّحت بهذا الحساب مطولًا كتاب الشَرح الجليّ على بيتي الموصليّ للشيخ احمد البربير وقد طُبع في بيروت بالمطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٢ ه والمادة مذكورة في الصفحة ٨٥ وما يليها وهو كلام ضافي الذيل لو اورده البيان برمَّتهِ لكفاهُ مؤونة التنقيب والتعريب ويوخذ من كلامهِ ان معنى العُقْدَة من قولهِ: «او سبعة (اي انهم اذا ارادوا سبعة) طووا العقدة السفلى من البنصر ....» هو كلّ مفصل من مفاصل الاصابع وعظامها. وقد اشار ايضاً الى هذا المعنى جمهور اللغويين في شرح لفظة الانملة اذ قالوا: «الانملة من الاصابع العُقْدَة»

ومن الكتب التي اوضحت شرح هذه المادَّة خزانة الادب. قال صاحبها في الصفحة ١٤٧ من الجزء الثالث ما نصّهُ: «اعلم ان العُقُود او العُقَد نوع من الحساب يكون باصابع اليدين يقال لهُ: «حساب اليد». وقد ورد منهُ في الحديث: «وعقَدَ عَقْدَ تسعين» وقد ألَّفوا فيهِ كُتباً واراجيز منها ارجوزة ابي الحسن عليّ الشهير بابن المغربي. وقد شرحها عبد القادر ابن عليّ بن شعبان العوفي ومنها في عُقَد الثلاثين:

واَضممهما عند الثلاثين ترى كقابض الابرة من فوق الثرى

قال شارحها: «اشار الى ان الثلاثين تحصل بوضع ابهامك الى طرف السبَّابة اي جمع طرفيهما كقابض الابرة» اه (اطلب صورتها في الصفحة التالية كما رسمها البيان)

قلتُ: امَّا هذه الكتب وهذه الاراجيز التي وضعت لهذا الحساب فانها لا شكّ مخفية عند هذا وذاك من مُحبّي العلم والحرصاء على مستودعاتهِ ولذلك أصبحت أعزّ من الغراب الاعصم. ولمَّا رأى صاحب الفضل والفضيلة الامام المروَّع والعلامة المُتَتبع الذي لم يرث العلم كلالةً بل اجتهاداً وسُلالةً الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي ما تبذلهُ مجلة المشرق من السعي وراء الحصول على مثل هذه الآثار العربيَّة لنشرها من عالم الانحلال والاضمحلال الى عالم التماثُل والرجوع الى احسن الاحوال دفع اليَّ قصيدةً في هذا المعنى من نظم الشيخ الامام شمس الدين محمَّد بن احمد الموصليّ

قلنا: امَّا ضبط العُقَد فهو بضمّ ففتح على انها جمع عُقدَة. جاء في حواشي الشيخ يس على التصريح ما نصّهُ: « قولهُ العقد بضمّ العين المهملة وفتح القاف جمع عُقدَة وهو حساب بالاصابع يستعملهُ التجّار » اه. قلتُ: وهذه العبارة ساقطة من نسخ الطبع لكنَّها موجودة في نسخة قديمة صحيحة نُسخت في ايام مؤلفها وموجودة عند الامام اللغويّ الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي ببغداد. وفيها مخالفات كثيرة للمطبوعة

امَّا النُّصَب فهي بضمٍ وفتح ايضًا وهي جمع نُصبة وهي: « السارية المنصوبة لمعرفة علامة الطريق » (التاج). وبهذا المعنى هي من الدوالّ الاربع وتنطبق على المقصود بدون ادنى تكلُّف بخلاف ما صرَّح بهِ البيان

امَّا قولهُ: « وقد اضرب المصنِّفون والشرّاح عن بيان ذلك في كتبهم ». قلنا: ان العقد هي من الالفاظ الاصطلاحيَّة وكثيرًا ما أَعرض اللغويون عن ذكر المصطلحات فلا عجب إذن ان لم يذكروا معنى هذه اللفظة ايضًا. لكنَّنا رأينا شرحها في كُتب أُخرى في معالمها ومظانّها منها: كتاب كشف الظنون. قد قال في كلامهِ عن انواع الحساب ما يأتي:

« ومنها علم حساب العُقُود اي عقود الاصابع. وقد وضعوا كلًّا منها بازاء أعداد مخصوصة ثمَّ رتبوا لاوضاع الاصابع آحادًا وعشراتٍ ومئاتٍ والوفًا ووضعوا قواعد يتعرَّف بها حساب الالوف فما فوقها. وهذا عظيم النفع للتجَّار سيَّما عند استعجام كل من المتبايعَيْن لسانَ الآخر وعند فقد آلات الكتابة. والعصمة عن الخطإِ في هذا العلم اكثر من حساب الهواء (calcul mental) وكان هذا العلم يستعملهُ الصحابة (رضه) كما وقع في الحديث في كيفيَّة وضع اليد على الفخذ في التشهُّد « انهُ عقد خمسًا وخمسين » يعني ان النبي صلعم عقد اصابع اليد غير السبابة والابهام وحلَّق الابهام معها. وهذا الشكل في العلم المذكور دالّ على العدد المرقوم. فالراوي ذكر المدلول واراد الدالّ. وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم. وفي هذا العلم ارجوزة لابن الحرب اورد فيها مقدار الحاجة ورسالة لشرف الدين اليزدي اورد فيها قدر الكفاية » اه

قلتُ: انَّ التجار عندنا يستعملون الى يومنا هذا الحساب بالاصابع عند بيع او شراء شيءٍ ثمين او مهمّ بعددهِ. وذلك انهُ اذا وقعت المساومة بين البائع والمشتري وضع المشتري يدهُ في يد البائع ثم يجعلان فوق يديهما ساترًا كمنديل ومحرمةٍ ثم يشير المشتري

الخارجة فمن اراد معرفتها فليرجع الى الاوقيانوس» ثم تنفَّس الصعداء وقال: « اه والحمد لله. وهذا تعريب عبارة عاصم مع بعض تصرُّفٍ وايضاح وتصحيح ما فرط فيهِ من السهو قال: « الخارجة المساهمة بالاصابع ومثلها المناهدة وذلك ان العرب الاوَّلين لم يكونوا يعرفون الكتابة فكانوا اذا ارادوا قسمة شيءٍ بينهم قسموهُ بحساب الاصابع وكذلك كانوا يفعلون في الضرب » اه

قلنا: كنَّا نودُّ ان يورد البيان تعريب نصّ الاوقيانوس دون زيادة ولا نقصان وبدون « بعض تصرُّف وايضاح وتصحيح ما فرط فيـهِ من السهو » لانَّ ما خُيِّل اليهِ انَّهُ كذلك أوقع الإبهام والايهام. والخطأ في تحصيل المرام. لمعنى الخارجة التي يدور عليها الكلام ولذلك جئتُ بما يرفع اللثام. عن محيَّا اللُّبس والشبهة في الافهام. مورداً ما اخذتهُ عن الامام النطاسي. الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي. وعن غيرهِ من الائمَّة الاعلام. المشهورين في دار السلام (ستأتي البقيَّة)

فوائد لغوية

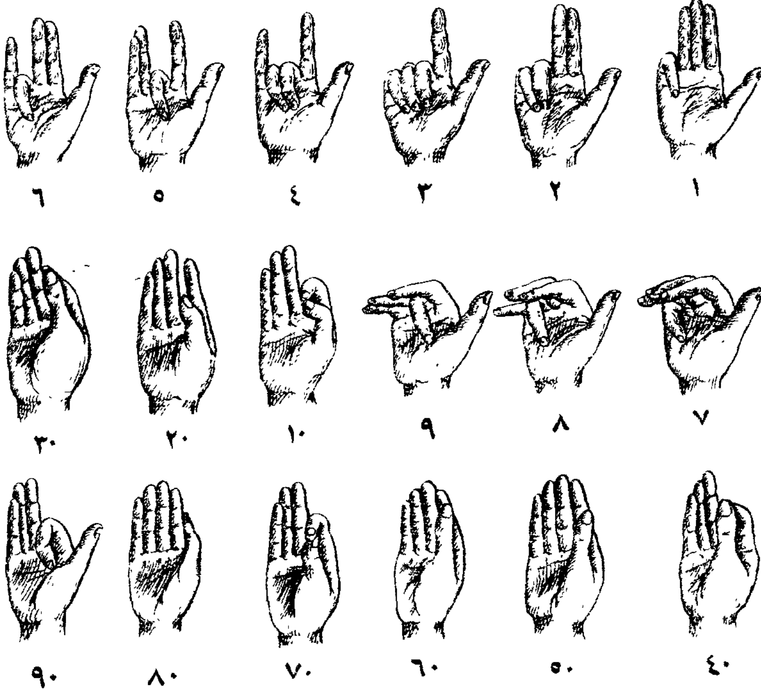
لحضرة الامير شكيب ارسلان احد اعضاء الجمعية الاسيوية

قال لنا الفاضل الذي اجبناهُ على اسئلتهِ الواردة في العدد الثالث والعشرين من هذه المجلة: قد فهمنا كلامك في « النوادي » وانها ممَّا ورد في اقوال المتقدّمين والمتأخرين ولم يخلُ منهُ كلام الجاهليين فضلًا عن كون القياس يؤيد هذا الجمع. امَّا « استأسر » فلم تورد لنا عليها سوى شاهد ابن الاثير صاحب التاريخ وابن الاثير هذا مولّد ويجوز ان يسقط فيما سقط فيـهِ غيرهُ مهما كان من علوّ طبقتهِ ورفعة قدرهِ فهل يا ترى اذا ذهب قوم الى ان « استأسر » الواردة في حديث المطرّزي هي تحريف يمكنـك ان تأتينا بشاهد ينفي عنها هذه الشبهة ويؤكد ان الحديث مرويٌّ بلفظهِ ولا دخل فيهِ؟

(قلتُ) اذا لم يقنعك الامام المطرّزي بروايتهِ وابن الاثير في درايتهِ جئتك بابي الطيب المتنبيْ الذي كان فوق طبقتهِ في الشعر اماماً بل امَّةً وحدهُ في علم اللغة وذلك حيث لا يحتمل وقوع التحريف قال:

تقنص الخيلَ خيلهُ قنصَ الوحـشِ ويستأسرُ الخميسَ الرعيلُ

الحنبلي . ووعَز اليَّ ان أُفسِرها بعبارة وجيزة جليَّة تعميماً للفائدة . فحقَّقت مُناه ولَّيت دعواهُ غير انَّهُ يحسن بي قبل ذكر هذه المنظومة الغرَّاء ان أُبيّن تتمَّة ما يتعلَّق بهذا الباب من البحث فاقول :



صورة العُقَد اي الحساب باصابع اليد

ومِمَّا يندرج تحت مطاوي هذا الموضوع (الخارجة) . وقد افرغ البيان كنانة جهدهِ لشرح هذه اللفظة فرجع بخُفَّي حنين وان ظنَّ في نفسهِ انهُ جاء بفصل الخطاب وحقَّ ان يُقال بعد كلامهِ : قطعت جَهيزة قول كل خطيب . وقد افتتح كلامهُ في هذا الصدد بما يلحمهُ بالتفاصيل التي اوردناها بحرفها فقال : « على انهم كانوا يستعملون فنونًا من الحساب يبنونها على عقد الاصابع اشهرها ما يُعرف عندهم بالخارجة . وهذه ايضاً لم ينقلوا في تفسيرها ما فيهِ غناءٌ » اه . ثم سرد نصوص اللغويين الائمَّة وبيَّن انها قاصرة عن تأدية المعنى المطلوب . وبعد ذلك تطرَّق الى تطبيب حلّ المعضلة بمسك الختام فقال : « لكن جاء في هامش تاج العروس بازاء ذكر الخارجة ما نصُّهُ : قد ذكر عاصم كيفيَّة

العاميّ والفصيح ولا يفرق بين الهجين والصريح فمن ذا الذي يميّز بعدهما ؟ أما وانّهُ عندنا شاهد اعلى. ما تقول في ابن دريد ؟ قال: هذا علَم اللغة المُفرد والقائم مقام الخليل بن احمد والذي يوم موتهِ قيل: مات علم اللغة. (قلتُ): فهو الذي يقول في مقصورتهِ الشهيرة :

من ظلَم الناس تحاموا ظلمهُ وعزَّ عنهم جانباهُ واحتمى
وهم لمنْ لان لهم جانبهُ أَلذعُ من حيَّات أنباث السفا

قلت لهُ: بديهيّ ان « احتمى » هنا لا يتضمن معنى الامتناع عن الطعام. قال: فهل لك ان تريني النص ؟ فاريتهُ ايَّاهُ فنظر في المتن والشرح وقال: لم يبقَ من شبهة في ان ابن هانئ وابن الاثير وغيرهما لم يستعملوا هذا الفعل بهذا المعنى الّا وهم على ثقة من معناهُ

(قال) ذكرت لنا انَّ « بارح » جاءت بمعنى « برح » واوردتَّ شاهدًا من شعر اعرابيّ رواهُ صاحب العقد الفريد وقيل انَّ الامام عمر رضي الله عنهُ نطق بها فلماذا لم ترد هذه اللفظة في مطوّلات اللغة مثل لسان العرب وغيره ؟

(قلتُ) امَّا كون عدم ورود اللفظة في بعض متون اللغة مانعًا من التسليم بصحَّتها مع قيام الدليل على ذلك من كلام العرب فممَّا لا نسلّم بهِ. لقد وردت الفاظ كثيرة في اشعار العرب وكلام الجاهليين واقوال الصحابة كنهج البلاغة مثلًا وهي لا توجد في تلك الكتب. وقالوا لا يحيط بلسان العرب الّا نبيّ. وممّا يؤيد عدم الاحاطة ورود لفظةٍ في هذا المتن وهي غير واردة في غيرهِ بل ورود كلمة في محلّ وهي اذا فتَّشت عنها في مادَّتها من نفس الكتاب لم تجدها وجلَّ من لا يسهو ولا يعزب عنهُ شيء. فاذا قلنا انَّ « بارح » مثلًا ممنوعة لكوننا لم نجدها في القاموس وجاءت في شعر جاهليّ ورواها من هو اوثق من الفيروزاباديّ لزمنا ان نرجع عن قولنا حالًا خصوصًا وقد تبيَّن لك ان كلًّا منهم جاء بشيء لم يجئ بهِ الآخر بل انَّ اصحاب المختصرات قد ذكروا الفاظًا لم ترد في المطوّلات وكلُّهُ يدلُّ على الفوت والسهو بحسب البشريَّة ويوجب عدم الاقتناع بهذه النصوص حجةً باللغة لاسيما عندما تكون بازاء الشواهد الصريحة

على انَّهُ من قال لك ان « بارح » لم ترد في لسان العرب ؟ نعم انها لم ترد في مادَّة (برح) لكنَّها وردت في مادَّة (زيل) فانهُ يقول: « زايلهُ مزايلةً وزيالًا بارحهُ » ويقول

وقال في محلّ آخر :

يستأسرُ البطلَ الكميَّ بنظرةٍ ويجول بين فؤادهِ وعزائهِ

قال صاحبنا ما بعد هذا من مقنع والله انني لأخجل ان ارتاب في لغة المتنبئ واتهم في العربيّة من سألهُ يوماً ابو عليّ الفارسيّ صاحب الايضاح والتكملة: «كم لنا من الجموع على وزن فَعْلى ؟ فقال: في الحال حَجْلى وظربى. قال الشيخ ابو علي: فطالعتُ كتب اللغة ثلاث ليالٍ على ان أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم اجد. قال ابن خلِكان: وحسبك من يقول في حقهِ ابو علي هذه المقالة. وكان المتنبئ من المكثرين من نقل اللغة المُطَّلعين على غريبها وحوشيّها ولا يُسأل عن شيء الّا واستشهد فيهِ بكلام العرب. فحاشا للمتنبئ ان يكون قد استعمل لفظة « استأسر » بمعنى اسر متابعة او على غير بيّنة

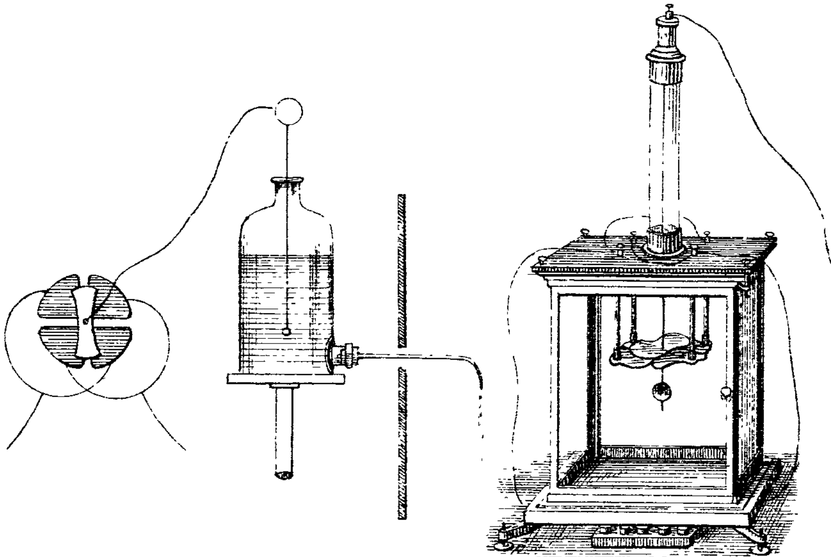
(قلتُ) وقد حدّثني من أَثِق بهِ انهُ رأى هذه اللفظة بهذا المعنى في ديوان البحتريّ ايضاً. امّا احتمال تحريفها في رواية الحديث لاسيّما وانهم اجروا رواية الاحاديث بالمعنى احياناً فهذا بعيدٌ جدّاً اوّلاً لكون استعمال هؤلاء الفحول الذين هم اساطين العربيّة لهذه اللفظة بمعناها هذا دليلًا على كونها هكذا وردت في الحديث المذكور. ثانياً لكون رواية الحديث بالمعنى انما تقع احياناً اذا كان المقصود استنباط حكم شرعيّ او استخراج نكتة فقهيّة. فامّا ان يكون المقام مقام لغةٍ او نحو او صرفٍ ويُروى الحديث بمعناهُ فلا اذ يفوت بذلك محلّ الاستشهاد. ثالثاً قد اجازوا رواية الحديث بالمعنى لكن ليس لكلّ الناس انما حصروها في طبقتين هما الصحابة والتابعون رضوان الله على الجميع فالصحابة كأبي بكر وعُمر وعليّ واصحاب هذه المرتبة والتابعون كالاوزاعي وسعيد بن المسيب المخزوميّ وسعيد بن جُبير الاسديّ واشباههم وذلك لان مثل هؤلاء كيفَ روى الكلامَ فكلامهُ حجّة وهو ينزّل ما يقولهُ بمنزلة ما يرويهِ

(قال) امّا برهانك على لفظة « احتمى » بمعنى امتنع باستعمال ابن الاثير لها وورودها في شعر ابن هانئ فابن الاثير كما قدّمنا وابن هانئ وان لقّبوهُ بمتنبئ الغرب يجوز ان يُدخل عليهِ وان يتناول من لغة العامّة . فنحبّ ان تأْتي لنا بشاهد اعلى من كلامهما

(قلتُ) اذا كان ابن هانئ متنبئ الغرب بعد متنبئ الشرق اصبح لا يميّز بين

بحيث لا تمسّ الارض على قاعدة لا تؤثر فيها الكهرباء فترى للحال ورقتي الذهب تنفصلان عن بعضهما (انظر الشكل ١) وما لانفصالهما سبب آخر غير الكهرباء الجويّة العاملة في الاسطوانة المعدنيّة والمنتشرة منها اليهما. فيتقرّر بذلك ان الكهرباء منبثّة في الجوّ يتكوّن منها موجات كهربائيّة تبلغ الى طبقات الهواء العليا. وان بحثنا عن نوعيّة هذه الكهرباء وجدنا انها من النوع المعروف بالموجب (électricité positive)

فاذا تقرّر وجود الكهرباء في الجوّ لا بدّ من معرفة شدّتها في نقطة معلومة منهُ اي معرفة ما لكُرَةٍ صغيرة معدنيّة من القوّة الكهربائيّة لو أُفردت في هذه النقطة. ولذلك ترى في المراصد الفلكيّة مقاييس يُستدلُّ بها على شدّة الكهرباء فضلًا عن مقاييس الحرارة وضغط الهواء والرطوبة. وهذه المقاييس عبارة عن قوس مجزّأة تدور عليها ابرة راقمة (enregistreur) غاية في الضبط تدعى إلكترومتر اي مقاييس الكهرباء واشهرها مقياس تُمسون الذي حسّنهُ برَنلي يُدعى مقياس الأرباع électromètre à quadrants) ولا حاجة الى وصف تركيب هذا المقياس (انظر الشكلين ٢ و ٣). ومن خواصّه انّ ابرتهُ تدور بحيث يحصل بينها وبين النقطة الجويّة الجاري عنها البحث موازنة كهربائيّة بواسطة خيط قابل للكهرباء مع كمّيّة من الماء تجري جريًا



الشكل ٢. إلكترومتر تُمسون وبرَنلي

الشكل ٣. بيان ادواتهِ الجوهريّة

في مادَّة (حفر): « فكانوا لا يبارحون من اشتراها » فكيف يقال بعد هذا انها لم ترد في المتون لا ريب ان الاستقراء يوئِّمنا في كثيرٍ من الظنون

(قال) قلتَ لا يخطئ من يقول « سعى في نوال الامتياز الفلاني » واستشهدتَ ببيت الحماسة الذي يقول فيهِ « ربيعي الذي ارجو نوال وصالكِ » فالنوال لا يفيد معنى الاخذ لكن يفيد معنى الاعطاء. كما ورد في كتب اللغة نلتهُ انولهُ نولًا و نوالًا اي اعطيتهُ ولعلَّ هذا هو مقصود الشاعر ؟. (قلتُ) فما المانع ان يكون مقصود الكاتب ايضًا في قولهِ « سعى في نوال الامتياز » ؟ ولماذا يُعدّ هذا الاستعمال غلطًا ويُشدَّد فيهِ النكير ولا موجب لهذا اصلًا ؟ وكما يجوز ان يسعى الانسان في نَيل شيء يصحّ ان يقال انهُ سعى في اعطاء الآخرين اياهُ اذ المرجَّح واحد وليس هذا من التخريجات البعيدة والتآويل المتكلّفة لنعدّهُ في حكم الغلط

(قال) فاحبُّ ان تنشر ما دار بيننا ايضًا هذه المرة لا تجهيلًا لاحد ولا تعريضًا بمنتقد ولكن حرصًا على فوائد اللغة ونفاسةً بمقام كبار الكتَّاب والفصحاء ان يظنّ كونهم لم يعلموا ماذا قالوا وانها قد ظهرت فرطاتهم لمتأخري هذا العصر

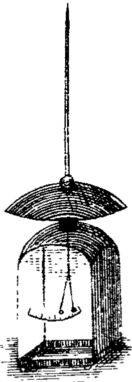
الصاعقة والقضيب الواقي منها

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

رغب الينا بعض القرَّاء ان نكتب لهم نبذةً في الصاعقة وطريقة الوقاية منها. فلبَّينا الى دعائهم بطيب الخاطر لاسيما وان فصل الشتاء وحدوث الصواعق في هذه الاشهر من انسب الدواعي للبحث عن هذا الامر

١ تعريف الكهرباء الجوّيَّة

قد ثبت بالاختبار ان الكهرباء منتشرة في الجوّ وذلك ليس فقط في وقت الانواء والظواهر الجوّيَّة بل في كلّ فصول السنة. ولبيان الامر آلات تدعى دليل الكهرباء او إلكتروسكوب (électroscope) . وان اردت ان تختبر الامر فخذ اسطوانة معدنيَّةً محدَّدة في طرفها الاعلى منتهيةً في طرفها الاسفل بورقتين رقيقتين من الذهب المطرَّق. ثم علّق الاسطوانة المذكورة عموديًّا



الشكل ١ إلكترسكوب

وقت واحد فينتشر نورها في الافق على مسافة طويلة باشكال وخطوط شتى. امَّا الرعد فهو زفير هذه الشرار الملتهبة في الجوّ. وما يزيد في صوت الرعد هزيم الصدى الحاصل بين الغيوم او دويّ في الجبال والوديان (١ فيسمع لهذا الزفير دويٌّ يمتدُّ وينتشر برهةً في الجوّ. واذا اتّقدت الشرارة بين سحابةٍ وسطح ارضنا لحصول التجاذب بين كهربائيّتيهما المتباينتين قيل لذلك صاعقة

٣ مفاعيل الصاعقة

اعلم انّ الصاعقة اذا ما انقضَّت على الارض احدثت فيها احداثًا شتى تكون غاية في الغرابة. فدونك بعض مفاعيلها :

١ مفاعيل ناريَّة — يمكن الصاعقة ان تضرم النار في البيوت فتذهب الابنيَّة فريستها واذا أَصابت مخازن البارود انفجر البارود كما حدث في جزيرة رودس. وتحلُّ بالمعادن وبالاسلاك المعدنيَّة والجنازير فتذيبها وتسوّد اطرافها المسنَّنة المطليَّة بالذهب

٢ مفاعيل ميكانيكيَّة — متى اصابت الصاعقة معدنًا غليظًا جيِّد القيادة للكهرباء تبعتهُ منقادةً دون ان تسبّب شيئًا من الضرر ولكن اذا بلغت الى طرف هذا المعدن فاصابت جرمًا سيّئ القيادة للمجرى الكهربائي نتج من فعلها الميكانيكي اضرارٌ لا تُحصى فانها تخرق الجدران وتدكُّ الابنية دكًّا وتحطِم الاخشاب وتحرقها وربَّما نقلت اجرامًا غاية في الثقل الى مسافات بعيدة

٣ مفاعيل كيمويَّة — كما ان الطبيعيين في مُختبراتهم يتَّخذون الكهرباء كعامل لتركيب الاجسام وتحليلها هكذا ترى لكهرباء الجوّ مفاعيل كيمويَّة شديدة بانقضاض الصاعقة. فمثال ذلك انَّك ترى الحامض الازوتيك يتكوَّن مع الامطار المنهملة في وقت الانواء والزوابع

٤ مفاعيل مغناطيسيَّة — انَّ الملَّاحين لاحظوا في وقت انقضاض الصاعقة على سفنهم تبلبلًا تامًّا في وجهة ابرة المغناطيس. وكثيرًا ما يتمغنط الفولاذ بقوَّة شديدة عند حدوث الصاعقة

٥ مفاعيل نوريَّة — اذا حدثت الانواء ترى الاسنَّة والاطراف المحدَّدة الرؤوس تنبعث منها الانوار وتحدق ببعض الاجسام ضياءٌ خفيفة فمن ذلك انَّ سواري المراكب

١) أُنكر علينا استعمال الوديان كجمع لوادٍ مع انَّها وردت في التاج في مستدرك مادَّة « ودى »

خفيفًا ويجوز ابدال الماء بجرى من الغـازات الحامية . والماء او الغاز المذكوران يقومان مقام الطرف المسنَّن او الاسطوانة المحدَّدة السابق ذكرها

وفي معرفة الكهرباء الجويَّة فوائد ليس فقط للوقوف على المآثر الجويّة الحادثة في ارضنـا بل ايضاً لتحسين الزراعة . لان الكهرباء تمكّن الازوت من الاختلاط بالموادّ الآليّة دون تحليل كيمويّ

وهنا بحثان آخران يتعلّقان بوجود الكهربائيّة الموجبة المتداومة في الجوّ . تُرى اين مركز هذه الكهرباء وما اصلها ؟ فجوابنا على الاول انَّ مركزها الخصوصيّ في اعالي الجوّ حيث تتكوَّن غيوم غاية في الرقة والعلوّ تُدعى الغيوم العلويّة او الجلديَّة (cirrus) . وهذه الغيوم ربَّما خفيت عن العيان لارتفاعها وخفّتها وهي تتركّب من دقائق الجليد . امّا السؤال الثـاني فنجيب عنهُ ان آراء العلماء متضاربة في تعريف اصل هذه الكهرباء وسبب كونها موجبةً لا سلبيَّة . فالبعض ينسبون ذلك الى احتكاك الابخرة المنبثة في الجوّ والبعض يعزون الامر الى مجاري الكهرباء الثانويّة الناتجة عن دوران الكرة الارضيَّة ومنهم من ينسبها الى الاشعَّة الواقعة ما وراء الشعاع البنفسجي في الطيف الشمسيّ ومن خواصّ هذه الاشعّة توليد الكهرباء الموجبة ونفي الكهرباء السلبيَّة . والله اعلم

٢ الانواء والزوابع

ان صعُب تعيين العلل المولّدة للكهرباء في صفاء الجوّ وصحوهِ فليس الامر كذلك في بيان اسباب الكهرباء في الانواء الشديدة . وذلك انَّ الماء الذي يحيط بالارض ربَّما تبخَّر وبتبخُّرهِ يتكوَّن الغيم . والغيم المذكور لا يلبث ان تؤثّر فيهِ طبقات الجوّ العليا المتكهربة فللحال ترى القسم الاعلى يتكهرب بالكهرباء السلبيَّة والقسم الاسفـل بالكهرباء الموجبة . واذا مسَّ هـذا القسم الاسفل جبلًا ما او اتّصل بالارض بانهمار مطرهِ سالت كل كهربائيَّتهِ الموجبة فلا يبقى فيهِ غير الكهربائيَّة السلبيَّة كما يثبت ذلك الطَبيعيُّون وفقًا لمبدإِ النفوذ والتأثير

ولكنهُ من المقرَّر ايضًا انَّ السحابة المتكهربة سلبيًّا تستطيع ان تعمل في سحابة اخرى مجاورة لها فتبدل كهربائيَّتها السلبيَّة بكهرباء موجبـة . فينتج من ذلك في الجوّ سُحُب متضادَّة التكهرُب . وهذه السحب المتباينة تميل الى الانضمام والاجتماع فاذا اختلطت تطايرت منها الشرر وذلك هو البرق بعينهِ . ولعلَّ هذه الشرر تتعدَّد وتبرق في

الكيميا ما تعريبهُ : « وكانت الصاعقة في عهد الاسكندر تسقط مرارًا عديدة في بعض البلاد فتتلف ما اصابتهُ من غلأت الارض وتهلك المواشي والناس حتى قلَّ عدد البشر. فلمَّا بلغ الامر مسامع الاسكندر تمعَّض من ذلك وبحث عن طريقة واقية من بلاء الصواعق فالهمهُ الله ان يصنع خلطاً من الذهب والفضَّة دعاهُ لذلك مزيجًا ἤλεκτρον او كهربًا. وكان كلُّ من يتَّخذ هذا المزيج ينجو من الصاعقة كالاسكندر . ومذ ذاك الزمان اتَّخذ الاسكندر اصنافًا من النقود المسكوكة من الذهب والفضَّة وألقاها في الارض المصابة بضربات الصواعق ثم امر بحراثة تلك الارض فلم تَعد الصاعقة تمتحنها ببلاء »

هذا وانَّ الله أرشد علماء زماننا الى طريقتين هما أَصدق فعلًا لوقاية البشر من مزيج الاسكندر المزعوم اعني قضيب الصاعقة والحاجز الواقي منها

وتجهيز هذا القضيب مبنيٌّ على مبدإٍ مقرَّر في الطبيعيَّات وهو انَّ الاطراف المسنَّنة تنبعث منها الكهرباء فاذا اخذتَ سلكًا معدنيًّا يتَّصل احد طرفيهِ بالارض ويكون الآخر محدَّدًا نجا البناء من اذى الصاعقة . وذلك انَّ الغيم المجتاز فوق البناء يحلِّل الكهرباء المشتركة التي تخرج من القضيب فيدفع عنهُ الكهرباء المجانسة لكهربائيَّتهِ ويجتذب الكهرباء المباينة لها فاذا اجتمعتا بطل مفعول الكهربائيَّة الجوّيَّة . والدليل على ذلك انك ترى في ليالي الزوابع انوارًا خفيفةً تنبعث من اطراف قضبان الصاعقة الى الجوّ . وربَّما ازدادت هذه الأنوار التهابًا حتى تذيب رأس قضيب الصاعقة وتتلفهُ

وسيلان الكهرباء من هذه الاطراف المحدَّدة يكون عادةً متواصلًا خفيًّا . وفي بعض الاحيان تشتدُّ قوَّة الكهرباء حتى تقدح شررًا فتسقط عليها الصاعقة ولكن دون ان تُلحق ضررًا بالابنية لان الطرف المحدَّد يتَّصل بسلسلة معدنيَّة غير منفصمة فتنقاد الصاعقة الى هذه السلسلة وتتبعها الى ان تغور في الارض

ولعلَّ القارئ يسأل ما هو مدى وقاية قضيب الصاعقة ؟ نقول انَّ تعيين المسافة المحميَّة بقضيب الصاعقة ليس بامر سهل . وانَّما يتَّفق العلماء اجمالًا على انَّ قوَّتهُ الدافعة تبلغ ضعف ارتفاعهِ من كل جوانبهِ . ولا بُدَّ لهذا القضيب ان يكون حسن التجهيز ولولا ذلك لأضرَّ عوضًا عن ان ينفع . وهو يُتَّخذ من الحديد الَّا طرفهُ الاعلى فانَّهُ يُجعل من الپلاتين او النحاس المطلي بالذهب لئلا يصيبهُ صدأ . وينبغي لارباب البيوت ان يتفقَّدوهُ من وقت الى آخر لاسيَّما بعد الانواء الشديدة لئلا يكلَّ طرف

يظهر عليها شهبٌ ناريَّة تدعى « نار القديس إلم » (le feu S^t Elme) . ومن الحوادث الغريبة التي يجوز الحاقها بهذا الباب ان الصاعقة ربَّما ظهرت على شكل كُرة من النار تدور دوراناً بطيئاً على سطح الارض ثمَّ تنفجر الكُرَة انفجار القنابل الحربيَّة فتحطِم كلَّ ما مسَّتهُ ولا يعود من ثمَّ يبدو لها اثر . وهذا الحادث الغريب لم يُحسن الطبيعيُّون حتى الآن وصفهُ وبيان اسبابهِ . بيد انَّهُ قد توصَّل بعضهم الى ان يمثِّلوا هذا الحادث في قاعات المُختبرات بان اجروا مجرًى قويًّا من الكهرباء الى مزيج من بخار الماء والغاز فنجم عن ذلك كُرِيٌّ ناريَّة كما تُرى في بعض الصواعق

٦ مفاعيل فيزيولوجيَّة — اذا أَصابت الصاعقة احدًا من البشر او الحيوانات اثَّرت فيهِ تأثيرًا بليغًا ولعلَّهُ يُصعق فيموت . ومن الاعراض المتواترة انقطاع بعض الشرايين وكسر بعض الاعضاء واحتقان الدم وحروق شتى وانواع الفالج . امَّا الموت فهو ناتج عن الاختناق وذلك لجمود حركة الدم عند شعور الاعصاب بهزَّة الكهرباء . وهذه الاعراض لا تختلف البتَّة عن اعراض الموت التي تحدث في المعامل الكبرى عند مسيس بعض الآلات الكهربائيَّة الشديدة الفعل

٤ قضيب الصاعقة (١) والحاجز الواقي منها

قد ورد في تآليف علماء الطبيعة انَّ مخترع القضيب الواقي من الصاعقة انَّما هو الاميركيَّ فرَنكلين . أَجَل انَّ هذا العلامة الشهير ارشد الجمهور الى الطريقة المُثلى لاتقاء عواقب الصاعقة لكن الناس قبلهُ كانوا اهتدوا الى وسائل عديدة من شأْنها ان تدفع عنهم شيئًا ما هذه الجائحة . فمن ذلك ان البعض كانوا يأْوون الى الاسراب تحت البيوت . ومنهم من كان يلتجئ الى مآوٍ تحت احواض الماء . وممَّا ذكر الدوق دي سان سيمون في ترجمة احوالهِ ومذاكراتهِ متهكّمًا انَّ المركيزة دي سنت هيريم (de S^t Herem) كانت تختفي وقت الانواء تحت تخوت ديوانها وتُجلس فوقها خدم بيتها . وجاء عن ڤولتير انَّهُ كان يخاف انقضاض الصاعقة خوفًا عظيمًا فاتَّخذ لهُ جرسًا من الزجاج كان يتستَّر بهِ

ومن الفكاهات المرويَّة في ترجمة سريانيَّة لكتاب أَلَّفهُ زوزيم المؤلّف اليوناني في

(١) اخترع صاحب الضياء لفظةً لقضيب الصاعقة فدعاها « الشاري » قال : « لانَّ الشاري هو الذي يقاتل في مقدَّم القوم وهذا يدافع عن البيت » . بيد انَّنا نتحاشى هذه اللفظة ربَّما تصيب قبولاً لدى اهل الادب لاسيما وانَّ هذه الاستعارة غريبة في بابها

في الاماكن البارزة منهُ أَسنَّة صغرى محــدَّدة لئلَّا تتوفَّر الكهرباء على المشبَّك المعدني (انظر الشكل ٤). وهذه الطريقة لوقاية البيوت اقوى عملًا وارخص ثمنًا من السابقة

٥ ضحايا الصاعقة

انَّ عدد المصعوقين يختلف على اختلاف البلاد. ومعدَّل المصابين بالصاعقة في فرنسة وحدها سنويًّا يتجاوز مئة شخص. والرجال يُصعقون اكثر من النساء الاولاد. والخطر في الارياف والقرى خمس مرَّات اعظم منهُ في المدن. واذا نالك نوءٌ في طريقك فايَّاك ان تأوِ الى الاشجار او الى ذرى الابنيــة الشاهقة. ولا تقترب من الآلات المعدنيَّة. امَّا البيوت والغُرَف فالخطر في وسط البيت اقلُّ منــهُ في الزوايا او بجوار الشبابيك المفتوحة

واذا أَصعقت السماء احدًا فلا تيأَس من شفائهِ وطريقة معالجتهِ كمعالجة المُبتلين بالخناق. وعليهِ فيقتضي انفاذ الهواءِ في رئة المخنوق وجذب لسانهِ بانتظام وذلك على مدَّة طويلة. وقد لحظ الاطبَّاء انَّ كثيرين من المصابين بكهرباء الصاعقــة او كهرباء المعامل الكبرى اذا أُحكمت معالجتهم عادوا الى الحياة ولو بعد برهة من الزمن. وللحكومة الفرنسويَّة قانون يقضي بمداواة المصعوقين مع بيان طريقة العلاج السابق

السفر العَجب الى بلاد الذهب

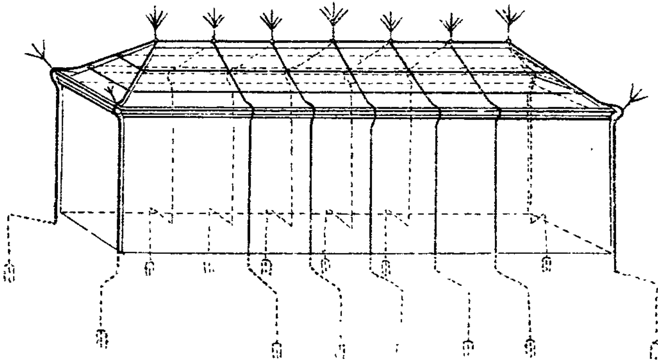
للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث

في الزوبعة

بعد ان مضى يوم على سفر الباخرة كلقلند من مرفإِ سان ميشل هبط الميزان فجــأَةً مع ان السماءَ كانت نقيَّة الاديم لا يشوبهــا شيءٌ من الغيوم وأَخذ الربَّان يتمشَّى على ظهرها مهمهمًا ومدمدمًا. وبينما هو كذلك جاءَهُ فاضل يريد سؤَالهُ عن بعض الشؤُون فقابلهُ بوجه كالح وكلمات قارصة فعاد فاضل خجلًا مستاءً والتقى اذ ذاك بالملَّاح الصغير الذي رآهُ يرسم اشارة الصليب في آخر الشفق الشمالي وكان ارلنديًّا فقصَّ عليهِ ما جرى لهُ مع الربَّان. فقال الملاح: اذا كان الربَّان كما تقول فلا بدَّ من ان يكون خائفًا من تغيُّر

القضيب فتبطل قوَّتهُ. امَّا الاسلاك التي توصل بين الارض والقضيب فانَّهـا تناط في اسفلهِ وتمتدّ من ثمَّ مجتازةً على جانب الدار منحـدرة الى عمق الارض او منتهية الى حوض ماء. ولكي يكون مسيس هذا الطرف بالارض او الماء تامًّا يُجعـل لهُ صفائح تنتشر فيها الكهرباء وتتلاشى. وهذا امرٌ حريٌّ بالاعتبار ولا يكفي لذلك بئر او صهريج. ومِمَّا يحسن استلفات النظر اليهِ انَّهُ يحتم على اهل البيت أَلَّا يقتربوا من هذه الاسلاك في وقت الانواء والزوابع. كما انَّهُ لمن الامور الخطرة ان يلعب الاولاد حينئذٍ بالطيَّارات وخصوصًا اذا كان الهواء رطبًا فان ذلك مجلبة للصاعقة



الشكل ٤ . الحاجز او القفص الواقي من الصاعقة

على انَّهُ قد شاع الآن في اوربَّة طريقة للاتّقاء من الصاعقة تُعرف بطريقة ملسنس (Melsens) وهي مبنيَّـة على ناموسٍ توصَّل اليهِ فاراداي (Faraday) هذا منطوقهُ: اذا جُعل لبناءٍ غلافٌ ناقل للكهرباء ومتَّصل بالارض حال الغلاف المذكور بين الكهربائيَّة الخارجة والكهربائيَّة الداخلة. وقد اجرى العلماء امتحانًا لبيـان ذلك فوضعوا مقياس الالكترسكوب في علبةٍ نحاسيَّة بقرب آلة تجري فيها الكهرباء فلحظوا انَّ المقياس يبقى على حالتهِ ولا يتأثَّر من كهربائيَّة الآلة القريبة منهُ لوجودهِ في غلاف النحاس . ولا يقتضي للغلاف ان يكون متواصلًا بل يكفي ان يكون على صفـة مشبَّك متَّسع الزرد او قفص متباعد الجُرَز. واذا اردتَ استعمالهُ لوقاية البيوت فجهّـز لذلك اسلاكًا معدنيَّة ناقلة للكهرباءِ في أطنـاف البيوت وخطوطهِ الكبرى بحيث تكون الاسلاك متَّصلة ببعضها وتنتهي في اسفلها الى الارض. ثم اجعل فوق اعالي الدار

تأخر عن ميعادهِ لاسباب لا تعرفها ولكنَّهُ لا بدَّ من رجوعهِ

وجاء المساء التالي وجلسنا الى الطعام ولم يكن قد أَتى فقلتُ لها: « قد حان لابي ان يرجع فلماذا تأَخر كل هذا التأَخُر »

فما قلتُ هذه الكلمات حتى حوَّلت وجهها ولم تجب بشيء ففهمت حينئذٍ ماذا تقصد بالتمنُّع عن الجواب

— أما كانت والدتك تعتني بك وتسهر عليك ؟

— آه ما احبَّ تذكار هذه الوالدة الحنون وما امرَّهُ لقلبي. اني رأَيتها ذات يوم ترتجف مرتعدةً فقلت لها: ما بالك هل انت تعبانة ؟ فاجابت بكلمات لم استطع سمعها ثم جسستُ يدها فاذا هي سخنة من الحمى الشديدة. فشعرت حينئذٍ بالخطر على حياتها فجعلتُ أَجري في الحجرة كالمجنون. ولكن لم اكن قادرًا على عمل شيء لاني كنت صغيرًا ولاسيما وان وفاة والدي خلَّفتنا في أَقصى درجات الذلّ والفاقة. وعرفت اذ ذاك ان والدتي لم يكن عندها شيء من الخبز لتقوتنا بهِ وان الحزن والأَسهار المديدة قد انهكت صحَّتها النحيفة وجرَّت اليها المرض

« وكان الى جانب منزلنا جيران من محبّي الخير فمدُّوا الينا يد المساعدة في هذه الظروف الحرجة. وكنت انا لا افارق أُمي بل أُقيم دائمًا الى جانبها اسليّها واعزّيها ففي مساء بينما كان القمر مشرقًا نظرتْ اليَّ نظرةً ما زال تأْثيرها عظيمًا في قلبي ثمَّ نهضتْ بمشقَّة واشارت الى صورة قديمة للبتول القديسة معلَّقة في الحائط وبعد ان لفظت هذه الكلمة الوحيدة قائلةً « يا مريم » سقطت على فراشها وقد اصفرَّ لونها فناديتها: «يا أُمي يا امي » فما احارت جوابًا

ثم جاء الناس الى منزلنا واخذوا والدتي وانا لا أَزال من ذاك الوقت ابكي تلك التي كنتُ أُحبها جدًا. وقضت عليَّ الاحوال أَن أُغادر المنزل فحملتُ تلك الصورة التي استغاثت بها والدتي وما برحت أُحافظ عليها

قال هذه الكلمات وأَخرج من ملابسهِ المسوَّدة بالفحم ورقة بالية ترى عليها صورة السيدة من حولها الملائكة فقبَّلها بينما كانت الدموع تتساقط بغزارة من عينيهِ الزرقاوين

وكان فاضل قبالتهُ منحني الرأس وهو يتستَّر بقبعتهِ ويحاول دفع الحركة التي اهتزَّت لها نفسهُ. وكان قد شعر بمثل دبيب حنوّ سرى في داخلهِ كما جرى لهُ ذلك لما

يحدث في الجوّ ولعلّهُ لا يمضي زمن قصير دون أن تثور علينا زوبعة

قال فاضل: عجباً كيف ترعم بقرب ثوران زوبعة وأنت ترى الجوّ نقيًّا صافياً. ام تريد ان تستهزئ بي ؟

— لا علم لي بشيءٍ من اسرار الغيب ولكني عرفت من طول مراقبتي لحركات الربّان انّهُ لا يتمشّى على ظهر السفينة وهو يدمدم ويتذمّر الّا متى كان يتوقع حركةً في الجوّ

امّا فاضل فذُعر من هذا الجواب وسرى فيهِ الخوف الشديد لاسيّما لمّا تذكّر تلك الزوبعة الخفيفــة التي ثارت في البحر المتوسّط يوم اقلعت بهِ باخرة المساجرى المدعوة « كونغو » من مرفإٍ بيروت قاصدةً مرسيلية. غير انّهُ كان كلما نظر الى الجوّ وصفاءهُ يجتهد في ان يغالط ما انبأهُ بهِ الملاح وأخيرًا التفت الى الملاح قائلًا:

— هل سبقت لك مشاهدة الزوابع ؟

— لا ريب انّهُ اذا حدثت اليوم زوبعة فلا تكون اول زوبعة اراها

— وهل مضى لك زمن طويل تعاني فيهِ مهنة الملاحة الشاقّة ؟

— مضى لي اربع سنوات اتسلّق فيها السواري وامشي على الحبال

— اربع سنوات فكم عمرك اذًا ؟

— عمري اربع عشرة سنة

— فاذًا بدأتَ تتعاطى مهنتك في سنّ العاشرة. ولكن كيف تركك ابواك بهذا السنّ ؟

وما كاد يقول هذه الالفاظ حتى حنى الملّاح رأسهُ وكادت تتناثر الدموع من عينيهِ

— يا لك ولدًا مسكيناً. فهل تيتّمت من زمن مديد ؟

— كان ابي صيّادًا على شواطئ البحر الكبير في بلاد كثـيرة الصخور متوعّرة المسالك فسار يوماً في قاربهِ حاملًا شباكهُ ولمّا كان المساء (وهنا تحوّل صوت الولد الى زفير وشهيق) انتظرناهُ فلم يَعُد

— وكم كان عمرك وقتئذٍ ؟

— تسع سنوات. ولمّا استيقظت صباح اليوم التالي من رقادي وسألت والدتي عنهُ جمّتني الى صدرها بحنوّ فائق وبكت فبكيتُ لبكائها وسألتها عن والدي فقالت: انّهُ

والدتهِ وهي تدعو عليهِ وتلعنهُ. واحياناً يشاهد طيف الراهبة ماري جانّ التي عالجتهُ في مستشفى داڤسون او طيف النوتي ألريك الذي كان محافظاً على صورة السيدة التي اعطتهُ اياها والدتهُ. وكان يقول في نفسهِ: «ليتني حافظت على نقاوة الروح والبساطة وليتني لم أغادر لبنان ولا فارقت قريتي وليتني على الاقلّ سمعتُ تلك النصائح الحكيمة التي بذلتها لي الراهبة ماري جانّ عند ما كانت تداويني في داڤسون. ولكن ما العمل وكان الطمع في تحصيل الذهب قد اعمى بصيرتي وحملني على التجوُّل في الآفاق والخبط في بلاد الله الى ان تنتهي حياتي أخيرًا بالغرق المهول ويذهب جسدي فريسة الميـاه حيث تتقاذفهُ الامواج وتقلِبهُ على الصخور ولا يعود احد يسمع لي ذكرًا بل لا يجد أحد لقبري اثرًا لانهُ يدفن في الاوقيانوس الذي لا حدّ لهُ. فماذا ينفعني تحت هذا الكفن المائع ذاك الذهب الذي اكتسبتهُ بالمشقَّات العظيمة والقلق البليغ ؟»

وكان يجتهد ان يُبعد عنهُ هذه الافكار المزعجة ويُحدّث نفسهُ قائلًا: «ما انت ولدًا وما انت بسيطاً ساذجاً كما كنت عند سفرك الاول الى اميركة فكيف تترك المخاوف تستولي على ذهنك وتبلبـل روحك وانت انت الذي عركك الزمان وعركتهُ وقلّبك وقلَّبتهُ. أما انت المستر لاضف التاجر الشهير بجذقهِ ودهائهِ كيف تخاف زوبعة ستنقضي في بضع ساعات». ومع كل هذا لم يكن يتمالك نفسهُ عن الارتعاش لان قرقعة الصواري التي كانت الريح تكسرها كانت تحملهُ على الرجفـة. وحينئذٍ تطلع في غرفتهِ الصغيرة فرأى شقًّا فألصق بهِ بصرهُ لكي يشاهد ما هو جارٍ دون ان يجسر على فتح البـاب. وحينئذٍ لمح النوتي ألريك وبيدهِ فاس وكان المذكور يركض بشجاعة دون مبالاة بالخطر ويلقي واحدًا بعد واحد في الميـاه ما كان قد تكسَّر من الصواري وبقي متعلِقًا بجانب السفينة. وقبل الاقدام على هذا العمل الذي يقتضي بأسًا شديدًا رسم اشارة الصليب على وجههِ وأخرج صورة البتول من صدرهِ وقبَّلها ولمَّا اكمل مهنتهُ اقبلت موجة عظيمة فغمرت السفينة وغاب ألريك في وسطها. فعند هذا المشهد صاح فاضل من داخـل صيحة الحزين وانتظر قلقاً: ولكن ذهبت الموجة وظهر ألريك من تحتها سالمًا لأنهُ كان متشبثًا بالخشب بقوة ثمَّ انهُ دون حيـاء بشريّ جثا بين النوتية وان كانوا جميعًا من البروتستان المتعصِّبين وشكر العذراء التي انقذتـهُ (ستأتي البقيَّة)

خاطبتهُ الراهبة ماري جانّ في مستشفى داڤسون وهي واقفة عند فراشهِ ابّان مرضهِ

ثم انَّ الملاح التفت اليهِ قائلًا بغاية البساطة : وأنت ايضاً أما تحب العذراء القديسة ؟

فحينئذٍ حوّل فاضل وجهــهُ حتى لا يرى الفتى ما تلألأَ في عينيهِ من الدمع . ثمَّ انهُ تباعد عنهُ بسرعة كما لو كان شاغل مهمّ يستدعيهِ . وهكذا ترك الملاح متعجبًا من حركاتهِ

وما كاد يفارقهُ حتى هبَّت الريح بغتةً من الشمال وهاج البحر وتعاظمت الامواج فأَخذت الباخرة تتقلَّب في اليمّ تصعد جبلًا وتهبط واديًا . امَّا الربَّان فبادر الى سكَّان السفينــة وجعل يديرها محاذرًا من ان تلطم الامواج جنبَها لانهُ كان عارفًا بان اخشابها قديمة لا تقوى على مقاومة الزوبعة

ولمَّا كان المساء هدأَت الريح بعض الهدو فاستبشر الربَّان بالفرح غير انهُ لمَّا تقدَّم الليل زاد البحر اضطرابًا واخذ يقلب الباخرةَ كالكرة الصغيرة بين يدي اللاعب تارةً تعلو وتارةً تسفل . وكانت الامواج تتعالى على ظهرها كالجبال فما كان احد يجترئ على القيام هناك خوفًا من ان تسحبــهُ الى البحر فتغرقهُ وكثيرًا ما كانت تقفز حول المراجل وتنفذ من ثمَّ الى المدخنة بحيث خاف الربَّان كثيرًا من ان يحدث انفجار غير منتظر

وكانت الريح شديدةً للغـــاية فكانت تدفع السفينة بقوة عظيمة حتى تعذَّر على الربَّان ادارتها وكانت آلتها ايضًا عاجزةً عن مقاومة وجهة الريح . وقد انضاف الى هول الزوبعة ومخاوفها قتامُ الجوّ وسقوط المطر سيولًا بين سوف البرق واصوات الرعد

ثم ان ثورة الريح اشتدَّت بغتةً فوق ما كانت وسُمع وقتئذٍ دويّ عظيم تلتهُ صدمة هائلة وكان ان أَعلى الصاري انكسر وسقط على ظهر السفينة ثمَّ تلاهُ الجزء الباقي منهُ فسقط جارًّا معهُ كثيرًا من العمد والحبال . وحينئذٍ صرخ الربان صرخةً عظيمة فما سمعها البحَّارة حتى بادروا بالرغم عن شدّة الزوبعة والفؤوس في ايديهم . وكانت البـــاخرة قد مالت الى جانب وكاد الماء يدخلها فبذل النوتية غاية الجهد دون مبالاة بما يتهدَّدهم من الاخطار حتى القوا الصواري والعمد والحبال في البحر

امَّا فاضل فانَّهُ كان ينظر حائرًا مبهوتًا الى كل ما يجري وهو لا يعلم متى وكيف تنتهي الزوبعة . وكانت تجول في ذهنهِ افكار كثيرة مقلقة فكان تارةً يتخيَّل ان السفينة ستغرق في تلك اللجج وتارةً تنتصب امام عينيهِ خيالات نسيب وبروسپر اولري ومريم

خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول

في بيروت عن سنة ١٨٩٩ وهي السنة الاربعون لعهد تأسيسها

قد اطلنا بغاية المسرَّة على البرنامج السنويّ فوجدنا فيهِ شاهدًا ناطقًا عن فضل اهل بيروت وارتياحهم الى الاعمال الخيريَّة. فانَّ واردات الجمعيَّة بلغت في هذه السنة ما لم تبلغهُ من ذي قبل فانّ رصيدها بعد كلّ المصارفات التي دفعتها في سبيل الخير بلغ في غاية تشرين الثاني من السنة المنصرمة ٣٣٣١١ غرشًا وهذا اعني نحو عشرة الاف غرش بالزيادة عن السنة الماضية. فنهنئ الجمعيَّة على هذا النجاح ونتمنى لها الترقي الدائم لمجد الله وخير القريب

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ً الاربعة الاعداد الاولى من الاسد المرقسيّ. وهي مجلة كاثوليكيَّة علمية تصدر مرَّتين في الشهر وتطبع في المطبعة المرقسيَّة بالقاهرة وصفحاتها ثمانية نتمنى لها كلَّ نجاح

٢ً العدد الاوَّل من الرئيس وهي مجلة طبِيَّة جراحية علمية ادبية تاريخية تصدر موقَّتًا مرَّة في الشهر لصاحب امتيازها ومحرر مقالاتها الطبية لويس افندي الخازن ولمحرّر مقالاتها العلمية ابراهيم افندي الحوراني. تُطبع في مطبعة الارز وصفحاتها ٣٢

وقد أُهديت الينا رسالة ابن سينا في القدر ويوميّة الاحوال وتاريخ جيل القديم سنتكلم عنها في العدد القادم

شَذَرَاتٌ

اعتذار وردنا من القراء جوابان للمدافعة عن مقالتنا في البوير والترنسفال الّا اننا لم نرَ حاجة الى اثباتهما بعد ان أقفلنا باب المجادلة مع صاحب الضياء. وفي ما سبق كفاية. فنشكر لفضل الكاتبين ونستميح منهما عذرًا

درونيَّة المقتطف أُعجب صاحب المقتطف بالآراء الدرونيَّة فتراهُ لا يترك من مجلَّتهِ عددًا دون ان يدسّ في بعض مقالاتهِ شيئًا من هذا السمّ الذعاف وذلك حتى في المقالات التي لا تستدعي الخوض في هذا البحث. ففي عددهِ الاخير مثلًا افتتح مقالتهُ في « اعظم الآلات الفلكيَّة » (يناير ص ١) بقولهِ: « انَّ جماعة من العلماء (يريد الدروينيين مثلهُ) يذهبون الى انَّ عين الانسان... وجدت في

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ سوريَّة

المجلَّد الرابع وهو يتضمَّن اخبار سوريَّة منذ اوائل القرن الثالث الى تاريخ الهجرة

لمؤلفهِ السيد الجليل والعالم المفضال يوسف الياس الدبس مطران بيروت الماروني

طُبع في بيروت سنة ١٨٩٩ عدد صفحاتهِ ٥٩٥

لم تمرّ السنة التامَّة على تقريظنا للمجلد الثالث من هذا الكتاب النفيس (المشرق ٢ : ٣٣١) حتى انجز سيادة مؤلفهِ المؤرخ العلامة هذا المجلد الرابع بنحو عشرة اشهر . على اننا لم نستعظم فقط سرعة العمل بل وجدنا فيهِ من الفوائد التاريخيَّة وطلاوة الانشاء وحسن التقسيم ودقَّة النظر في كثير من المطالب العويصة ما لم نعتدهُ في تآليف عديدة انتشرت حديثًا في الاصقاع الشرقيَّة . ومن خواصّ هذا القسم الجديد انهُ يحتوي على اخبار الكراسي البطريركيَّة الاولى في المشرق وعلى تفاصيل المجامع الكبرى والمجامع الخاصَّة وتراجم كثيرين من اولياء الله ومشاهير الكتبة الكنسيّين مع لُمع من تواريخ الرومان وملوك بوزنطية واخبار العرب ومآثرهم في سوريَّة والانحاء المجاورة لها ونُبَذ من شعراء العرب النصارى شرَّفنا سيادتهُ بتلخيصها من كتابنا المعنون شعراء النصرانيَّة الى غير ذلك ممَّا يطول ايراد ابوابهِ في هذه العجالة ونحضُّ جميع القرَّاء على مطالعتهِ واقتباس فرائدهِ من معينهِ الرائق صان الله صاحبهُ السيّد الهُمام ومتَّعنا زمنًا طويلًا بعلومهِ واعمالهِ

التجارة

بقلم عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأموري معية ولاية بيروت الجليلة

هي المقالة المستحسنة التي نشرها جناب الكاتب الاديب تباعًا في اعداد المشرق في اثناء السنة المنصرمة . فأَحبَّ ان يجمعها في كرّاسٍ واحد ليقرب منالها فتتوفَّر الفائدة من مطالعتها . وقد ألحقها بمقالة أُخرى من قلمهِ في الحرب ومؤتمر السلام اثنى عليها جمهور القرَّاء يوم ادرجناها في مجلّتنا واستحسنتها روضة المعارف فنقلتها عن المشرق . فنشكر لصاحبها شكرًا طيّبًا ونتمنى لها رواجًا . وهي تطلب من مطبعتنا ومكاتب الثغر

الامر القديس يوحنا فم الذهب في عظاته مرَّتين قال سنة ٣٨٥ (مين ج ٤٩ ص ٣٥١) لم يمرّ علينا عشر سنوات منذ شاع بيننا عيد ميـلاد الربّ . . . امَّا الرومانيون فكانوا يعرفونهُ منذ زمن مديد استنادًا الى تقليد قديم ومنهم اتتنا معرفتهُ » . امَّا كون عيـد الغطاس كان شائعاً في المغرب في اوائل النصرانيَّة فدليلنا عليهِ كلام اميان مرقلّان الذي استشهد بهِ المنار إجمالًا دون ايراد النصّ بحرفهِ ولو كان راجعهُ في الاصل لفهم انَّ هذه الشهادة تقرّر بنوع واضح قدم هذا العيد في كنائس الغرب قال مرقلّان في تاريخ سنة ٣٦١ (لا سنة ٣٦٠) عن الملك يليانوس الجاحد انهُ دخل في كنيسة ڤيَنّة من اعمال فرنسة « فصلَّى مع المسيحيـين في شهر كانون الثاني في يوم العيـد الشائع عندهم بظهور الربّ » (feriarum die quem celebrantes mense Januario Christiani Epiphania dictitant) فيظهر من هذا الكلام : اوَّلًا انَّ عيد الغطاس كان شائعاً بين نصارى تلك البلاد عموماً . ثانياً انهُ من الاعياد الحافلة التي يجتمع فيها النصارى بأُبهة عظيمة حتى ان يليانوس مع كفرهِ اضطرّ الى حضور العيـد لئلا يرميهُ القوم بالزندقة . ثالثًا انَّ هذا العيد كان يدعى مذ ذاك كما تدعوهُ اليوم الكنائس الغربيَّة لا كما يدعى في كنائس اليونان . رابعاً انَّ هذا العيد كان واقعاً في كانون الثاني فمن هذا يتَّضح ليس فقط انَّ اثر هذا العيد ظهر سنة ٣٦١ بل بخلاف ذلك انَّ كنائس الغرب كانت تقيم حفلتهُ منذ زمن قديم . وزد على ذلك انَّ الكنائس الغربيَّة تذكر في هذا النهار ليس غطاس الرب فقط كما يفعل الشرقيون بل ظهورهُ المثلَّث اولًا للامم بسجود المجوس وثانياً لليهود بغطاسهِ وثالثًا لتلاميذهِ بتحويل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل

☆ حلّ المسئلة الحسابية ☆ ورد علينا جواب المسئلة الحسابية المدرجة في عددنا السابق (ص٩٣) بقلم حضرة الرياضي البارع الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة العامرة . قال :

يجب ان نجـد اوَّلًا ثمن العقد فنستنتجهُ من الشروط الاخيرة في المسأَلة اذ نلاحظ ان الثلاثة الارباع التي حُذفت في الشرط الثاني من القسم الاولى التزمنا ان نعوض عنها بثلثي القسم الثاني ليبقى المجموع مساوياً على الحالين ٧٥٩٠

فاذا كان $\frac{٣}{٤}$ القسم الاول يساوي $\frac{٢}{٣}$ القسم الثـاني يكون ربع الاول مساوياً $\frac{٢}{٣×٣}$ القسم الثاني و $\frac{٤}{٤}$ الاول اي القسم الاول كلهُ مساوياً $\frac{٢×٤}{٣×٣}$ القسم الثـاني اي $\frac{٨}{٩}$ وعليهِ فان العدد ٧٥٩٠ يحتوي على ($\frac{٨}{٩}+\frac{١}{٣}$) القسم الثـاني اي $\frac{١١}{٩}$

بدء امرها بسيطة الشكل قليلة التركيب لا تقضي الّا يسيرًا ممّا تفعلهُ الآن ثم ما زالت ترتقي حتى بلغت من الكمال الدرجة التي نراها فيها . . . » . واين هذا القول من زعم صاحب الهلال (المشرق ٢ : ١١٠٣) انَّ الانسان كان ينظر سابقًا بثلاثة عيون ثم فقد احداها وعمّا قريب سيصبح ذا عين واحدة . والمقتطف يدَّعي بخلاف ذلك انَّ العين « سوف ترتقي فتبلغ مبلغًا لا يخطر الآن ببال فترى ما لا تراهُ الّا بالمقرّبات والمكبّرات » . فنسأل الهلال والمقتطف ان يتَّفقا في امر نسبهُ كلاهما الى العلماء فايّ العلماء نصدّق أعلماء المقتطف او علماء الهلال ؟ . ثمَّ وصف المقتطف في مقالتهِ عن « ادراك الحيوان الاعجم » (ص ١٧) كلبًا كاد يمثلهُ لنا اعقل من الناطق . ومن قرأ هذا الوصف لا يشكّ في ان صاحب المقتطف يفضّل هذا الحيوان على كثيرين من البشر بل ربَّما نسب اليهِ الفكر والنطق كأن الكلب اوحى اليهِ بخفايا اسرارهِ كقولهِ مثلًا عن فتاة من الهنود كانت تخدم في البيت حيث كان الكلب الموصوف انَّها غسلت المطبخ (ص ١٩) « فرأى الكلب ذلك فقال هي فرصةٌ للاخذ بالثار منها » وكقولهِ عن ابن صاحب الكلب انهُ « دخل اليهِ وامسك باذنهِ وخاطبهُ كما يخاطب رجلًا عاقلًا وامرهُ ان يخرج من المطبخ ولا يدخلهُ بعد ذلك فاطاعهُ . . » واشياء كثيرة من هذا النمط يخدع بها المقتطف قراءهُ . ولعلَّهُ يظنّ انَّ اعتبار المصريين لعلمهِ يمكّنهم من قبول كلّ هذه السفاسف التي لو عُرضت على الثكلى لاضحكتها وعلى الصبيان لاستقبلوها بالهزء والسخريّة

عيد الغطاس ورد فصلٌ في تاريخ هذا العيد لجناب غطاس بطرس قندلفت اثبتهُ في المنار (ص ٢٦٣) وممّا قالهُ في اثناء كلامهِ انَّ هذا العيد « لم يكن معروفًا في الغرب في بادئ الامر بل انتقل اليها من الشرق وربَّما كان انتقالهُ بواسطة المواصلات التي كانت بين مدن اسيا الصغرى وبلاد فرنسا قديمًا ونلاحظ آثارهُ في الغرب لاوّل مرَّة ... في احدى مدن فرنسة سنة ٣٦٠ » . (قلنا) انَّ في هذا الكلام لشططًا والصواب انَّ كنائس الغرب كانت منذ بدء النصرانيَّة تعيّد هذا العيد مثل كنائس الشرق بيد ان الشرقيين كانوا يحتفلون بهِ في اليوم السادس من كانون الثاني ويجمعون بين عيدَي ميلاد الرب وغطاسهِ . امّا الكنائس الغربيَّة فانَّها كانت تعيّد عيد الميلاد في ٢٥ كانون الاول وتبقي عيد الغطاس لليوم السادس من ك ٢ . ثمَّ اخذت كنائس الشرق تتبَّع الكنيسة الرومانيَّة وتعيد عيدًا خاصًّا لعيد الميلاد . وقد ذكر

العاديَّة القريبة المنال وعليهِ يمكن ان يكون المثري قنوعاً

س وسألنا احد افاضل كهنة الروم الكاثوليك عن قول متَّى في المسيح (٢: ٢٣): « وسكُن في الناصرة ليتمَّ المقول بالانبياء انهُ يدعى ناصريًّا» اين ورد هذا القول في الانبياء ؟

شرح آية متى في سكون المسيح الناصرة واستشهاد الانجيلي بالانبياء

ج الجواب ان هذه الآية لم ترد بلفظها في نبوة احد الانبياء بل فيها اشارة واضحة الى ما كتبهُ اشعياء عن المسيح في الفصل الحادي عشر حيث يقول: «ويخرج قضيب من جذر يسَّى وينمي فرعٌ من اصولهِ » فانَّ لفظة الفرع هناك بالعبرانيَّة « نصر » (נֵצֶר). فاراد القديس متَّى انَّ المسيح بسكناهُ في الناصرة حقَّق نبوة اشعيا حيث يقول انهُ هو « النَّصر » اي الفرع النامي من صلب يسَّى ابي داود. وللآباء شرحٌ آخر حسنٌ فانَّهم يقولون ان الناصري هو المقدَّس والمخصَّص بالله وكثيرًا ما اشار الانبياء الى قداسة المسيح في نبواتهم عنهُ (راجع مثلًا اشعياء ١٢: ٦) ل. ش

س (تتمَّة اسئلة خليل افندي بيدس) ٦ً وكتب جنابهُ: « انَّ مرج ابن عامر او سهل يزرعيل قد وُسم منذ القدم باسماء عديدة منها ازدرايلا وستراديلا وسهل الجيون (Robinson: *Phys. Geog.* 130) » فما هي كتابة هذه الاسماء وما معناها ؟ ٧ً هل لبحر القلزم خليج يدعى اكاب ؟. ٨ً ما الصواب في اطلاق العبرانيين اسم « اراف » واطلاق اليونان والرومان اسم « اقلون » على وادي الاردن. ٩ً ما صواب كتابة « عين الدوك » للعين النابعة في واحة اريحا وما معناها ؟ وكتابة وادي « الكالت او الكَلْت او القَلْت » للوادي القريب من اريحا ؟

حلّ مشاكل جغرافية

ج نجيب على السؤَال (السادس): ان « يزرعيل » هو الاسم الصحيح ويدعى ايضاً « سهل لجون ». ولجُون قرية هناك معروفة الى يومنا دعيت بذلك لنزول فرقة رومانيَّة (Légion) فيها سابقاً. امَّا « ازدرايلا وستراديلا » فمن التصحيفات القطيعة. وعلى (السابع) انَّ الخليج المذكور هو عقَبة الشهير. وعلى (الثامن) اننا لا نعرف اسم « اراف » او « اقلون ». وعلى (التاسع) ان كتابة « عين الدوك » صوابية. امَّا معناها فلعلَّهُ مشتقٌ من اسم الاله داجون Δαγων وهو اسم هذه العين باليونانية. وعلى (العاشر) انَّ الصواب « وادي القَلْت » ه. ل

فالتسع يكون $\frac{٧٥٩٠}{١١}$ و ٩/٩ تساوي $\frac{٩ \times ٧٥٩٠}{١١}$ = ٦٢١٠ والقسم الاول يساوي $\frac{٨ \times ٦٢١٠}{٩}$ = ٥٥٢٠ فيكون ثمن العقد اذًا ٦٢١٠+٥٥٢٠ + ٩٠ = ١١٨٢٠ غرشًا

امَّا ما كان مع كل من الخمسة فنتوصَّل الى معرفتهِ بمثل التعليل الذي توصَّلنا بهِ الى معرفة ثمن العقد اذ نلاحظ ان ما حذفناهُ في الشرط الثاني من مال الاول في الشرط الاول التزمنا ان نعوّض عنهُ بالزيادة في القسم الثاني حفظاً للمعادلة والحال اننا حذفنا من الاول ١/٦ مال الاول وعوضنا عنهُ بـ ٢/٧ مال الثاني اذًا مال الاول يساوي $\frac{٢ \times ٦}{٧}$ مال الثاني اي ١٢/٧ . واذا قابلنا على هذه الطريقة نفسها كلًّا من الشرط الثالث والرابع والخامس بالاول نستنتج تباعًا ان مال الاول يساوي ١٢/٧ مال الثاني او ٩/٤ مال الثالث او ٨/٣ مال الرابع او ٣ مرّات مال الخامس واذا عوَّضنا عنهُ اقسام الاربعة في الشرط الاول بما يساويها من اقسام مال الاول استنتاجًا ممَّا رأينا من العلاقة بين الاموال يتحوَّل الشرط الاول الى هـذه الصورة الآتية: ($\frac{١}{٣} + \frac{١}{١٢} + \frac{١}{١٨} + \frac{٣}{٧٢} + \frac{١}{٣٠}$) القسم الاول يساوي ١١٨٢٠ وبجمع الكسور يصير $\frac{١١٨٢}{٢١٦٠}$ من مال الاول يساوي ١١٨٢٠ فيكون مالهُ $\frac{١١٨٢٠ \times ٢١٦٠}{١١٨٢}$ = ٢١٦٠٠ وممَّا تقدَّم من العلاقات يكون مال الثاني $\frac{٢١٦٠٠ \times ٧}{١٢}$ = ١٢٦٠٠ ومال الثالث $\frac{٢١٦٠٠ \times ٤}{٩}$ = ٩٦٠٠ ومال الرابع $\frac{٢١٦٠٠ \times ٣}{٨}$ = ٨١٠٠ ومال الخامس $\frac{٢١٦٠٠}{٣}$ = ٧٢٠٠ والامتحان هين

(المشرق) ونستغنم هذه الفرصة لابداء فروض الشكر لحضرة الكاتب الذي ارسل الينا بعض ملاحظات مفيدة عن المسئلة الميكانيكيَّة الواردة في المشرق (٢ : ١١٢٣) فحال ضيق المكان عن ذكرها

أسئلة واجوبة

س سألنا من حمَّانا جناب الاديب ص. حاتم هل القناعة لا تقوم الَّا بلزوم الرجل للحالة التي وُلد فيها وعدم معاطاتهِ للاشغال وتنفي اهتمام المرء بتحسين امورهِ ؟

تعريف القناعة

ج الجواب على السؤال السابق يؤخذ من تعريف القناعة كما حدَّها الفلاسفة قالوا انَّ القناعة هي الاقتصار على ما سَنَحَ من العيش والرضى بما قرب منالهُ من المعاش مع ترك الحرص المفرط على اكتساب الاموال وطلب المراتب العليا والاكتفاء باليسير على انَّ ذلك لا يمنع ان المرء يهتمّ بامورهِ اهتمامًا معتدلًا ويطلب تحسين حالهِ بالوسائل

المشرق

لمعة في اصل تاريخ المسكوكات

لحضرة الاب الفاضل الخوري بطرس شبلي الدفوني

قال ارسطو في كتاب السياسة (ب ١ ف ٦): « انَّ الضرورة ارشدت المرء الى وضع النقود. وكان النـاس في بادئ امرهم يتخذون في المبادلات مادَّة ما ذات قيمةٍ اصطلحوا عليها فاستخدموها في لوازم عيشهم كالحديد والفضَّة وغيرهما ووضعوا لها قياساً ووزنًا. ثمَّ بعد ذلك رسموا عليها علامةً تدلُّ على قيمتها وتغني صاحبهـا عن وزنها في كلّ حين » اه

(قلنا) ان الفيلسوف قد استوعب في هذه الاسطر الوجيزة تاريخ السكَّة والمسكوكات فبـيَّن الاطوار التي مرَّ بها البشر قبل ان يتَّخذوا النقود المضروبة كما هي اليوم

١ الطور الاول . في مساومات البشر في بدء المجتمع ومصطلح نقودهم

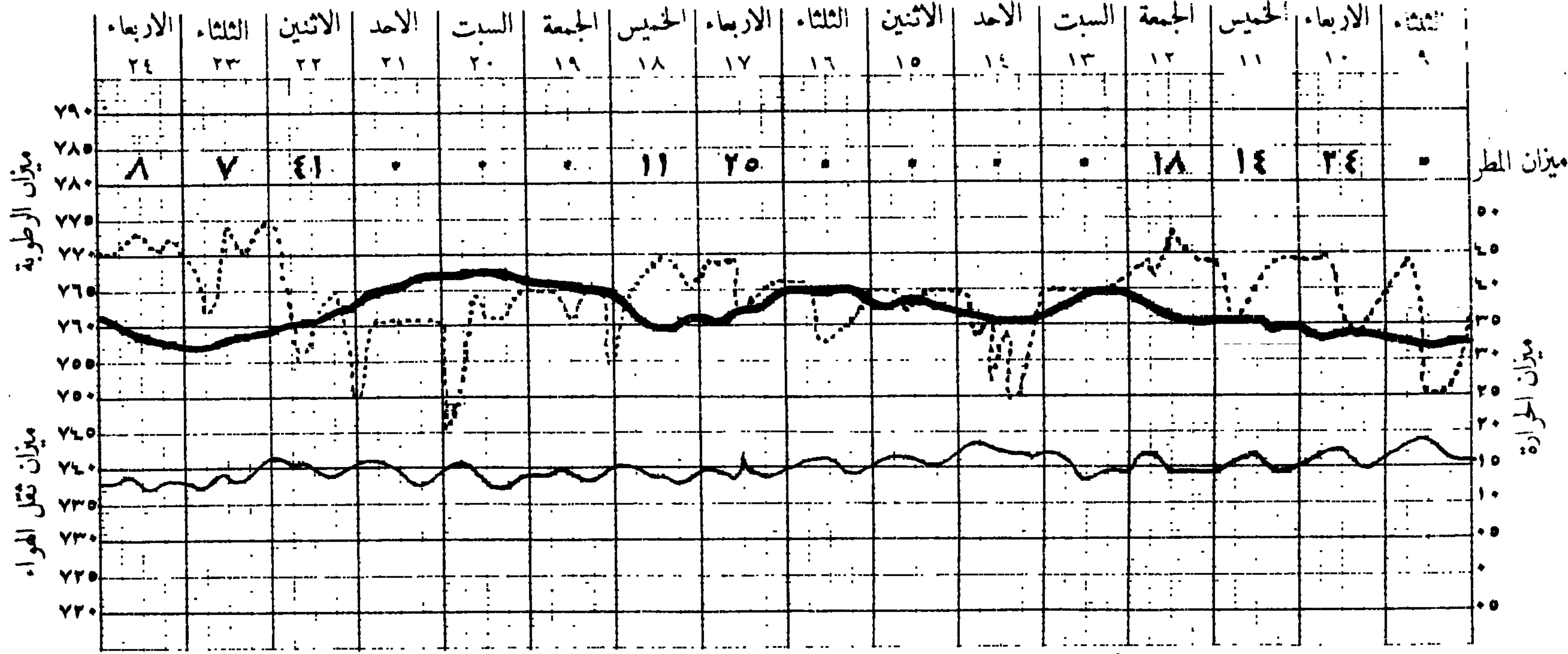
انَّهُ لامرٌ طبيعي للانسان ان يُعطي ما بيدهِ ليقتني بهِ ما يملك غيرهُ كما نرى ذلك جاريًا بين الشعوب في اوائل تاريخهم وقبل رسوخ قدمهم في المدنيَّة وهم اذ ذاك اشبه بالاولاد في تصوُّراتهم واعمالهم وتدرُّجهم الى العلوم والتمدُّن

قال احد فقهاء الرومان (١ : « اصل الشراءِ والبيع المبادلة لانهُ لم يكن في الاعصر القديمة للدراهم وجود. بل كان كلُّ انسان يُعطي لسدّ حاجتهِ ما لا يحتاج اليهِ ويأْخذ ما ينتفع منهُ لانَّ اشياء كثيرة كانت تتوفَّر عند الواحد ويعزُّ وجودها لدى غيرهِ »

الَّا انهُ اذا اراد ان يعطي شيئًا بدلًا ممَّا تتوق اليهِ نفسهُ يبدأُ بتخمين اي تثمين

١) راجع الفقه القديم Julius Paulus: *Pandectes*, XVIII, 1

قائمة للآثار الجوّيّة من ٩ الى ٢٤ كانون الثاني ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات

٢) الطور الثاني في تاريخ المسكوكات . وهو اتخاذ المعادن غير المضروبة

غير انَّ البشر وجدوا بكرور الاعصار خللًا كبيرًا في اتخاذ هذه القواعد الاصطلاحيَّة في المساومات لعدم امكان ضبطها . ولمَّا كان الانسان ذا عقل ابدعهُ فيهِ الخالق ليتخطَّى بنورهِ الى كلّ جديد مفيد (وما التمدُّن سوى ثمرة هذا الغرس الكريم وادراك ما لم يخطر في بال السالفين) جعل الاقدمون يبحثون عن طريقة تكون اقرب منالًا في المعاملات . والفينيقيون اجدادنا سبقوا غيرهم من الامم الى هذا الاختراع فانهم لمَّا جالوا في البلاد قاصيها ودانيها واطلعوا على ما فيها من الكنوز المدفونة والمعادن المجهولة طفقوا يشغلون السكَّان باستخراجها ويستبدلونها ببضاعتهم اي بالملابس الفاخرة والمنسوجات والحليّ وآنية الزجاج . وربَّما استعملوا المعادن كالذهب والفضَّة والرصاص والحديد دون سبكها كما يجدونهـا في معادنها او بحكّ برادتها وانَّما كانوا يتعاملون بالمعادن وزنًا فقط كما هو جارٍ في ايامنا في بلاد الصين اذ لم يضربوا قطّ نقودًا من الذهب والفضة

والذي حملهم على استعمال هذه المعادن وتفضيلها على ما سواها خواصُّها الجوهرية وصلاحيَّتها لمتاجراتهم . ومن هذه الخواصّ انَّ كريمهـا لا يتغيَّر ولا يفسد ويبقى طويلًا دون ان تنقص قيمتها ثمَّ انها لا تتحطَّم ويسهل نقلها ولا يُقتضى لحفظها كبير عناء . ومنها ما يصلح للزراعة والزينة والعُدد الحربيَّة . ولذلك شاع استعمالها وبطلت المتاجرات بالمواشي والغلات فتبادلوها وتناقلوها تارةً مسحوقة كالذرور وتارةً بهيئة السبائك او على شكل آلات كالقسيّ والُمدى والحليّ والاساور . وقد اختصر القزويني اوصاف الذهب في المتاجرات فقال: « الذهب لا يبلى في التراب ولا يصدأ على طول الزمان وهو ليّن اصفر برّاق ثقيل رزين . . فهو اشرف نعمة الله على عبادهِ اذ بهِ قوام امور الدنيا ونظام احوال الخلق لاضطرارهم اليهِ في حاجاتهم . فانَّ كلّ انسان محتاج الى اعيان كثيرة من مطعمهِ وملبسهِ ومسكنهِ وسائر حاجاتهِ ولعلَّهُ يملك ما يستغني عنهُ كمن يملك الثياب وهو محتاج الى البرّ ولعلّ صاحب البرّ لا يحتاج الى الثياب فلا بُدَّ من متوسّط يرغب فيهِ كلُّ احد فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير متوسّطَين بين الاشياء حتى يُبذلا

١) راجع مجاني الادب ٣ : ٢٦٦

ماله ومال غيره ليعرف قيمة كليهما فلا تكون صفقتهُ خاسرة. ولا بدَّ لهذا التثمين من قاعدة ثابتة او قياس اصطلاحي مقرَّر يرجع القوم اليه في كلّ آن. ويُقتضى ان يكون هذا القياس بسيطاً لا يتجاوز ادراك العامّة ليصيب لديهم قبولًا ويكون التخمين على طرُق مختلفة كالعدد والقياس والوزن. وهذه القياسات تجد اكثرها في الهيكل البشري في القامة والذراع والاصبع والقدم والخطوة الخ

ولطالما حاول الاقدمون استعمال وسائط عديدة لتسهيل المتاجرة قبل ان يخترعوا النقود بعد طويل الزمان وتوالي الامتحان شأن البشر في داني الملتمس من الامور. واكثر ما كانوا يختارون لذلك ما توفَّر عندهم وجوده وجعلوهُ قياساً وقاعدةً في البيع والمبادلة يُنزلونهُ بمنزلة الدراهم في ايّامنا. فكان اهل البدو مثلًا يعدّلون قيمة الاشياء نسبةً الى الخروف او البعير والناقة وبقي ذلك زمناً طويلًا. قال المقريزيّ في مقالته عن النقود الاسلاميَّة (ص ١٨): «وكانت الامم في الاسلام وقبلهُ لهم اشياء يتعاملون بها بدل الفلوس كالبيض والكسر من الخبز والورق ولحى الشجر والودع الذي يُستخرج من البحر ويقال لها الكَوذة وغير ذلك». وكان اهل الحراثة يرجعون الى شيء من الحنطة او غيرها من الحبوب

ثم ان الدول الكبرى نفسها اصطلحت على اصناف من الموادّ والادوات وترى الشواهد على ذلك لا تُحصى. فانَّ من اعتبر العاديّات المصريَّة وجد في النقوش والصور التي رُسمت على جدران معابدها ومدافنها اناساً بايديهم اداةٌ كالحذاء او قارورة طيب او قطَع من العاج او صدف ثمين. وإنْ هؤلاء غيرُ مساومين يطوفون الاسواق فاذا عثروا على مطلوبهم سالوا عن ثمنهِ واتّفقوا مع صاحبهِ وبادلوهُ بما لديهم (١. وكذا ترى في الآثار الاشوريَّة. وهي الطريقة التي شاعت اوَّلًا عند اليونان كما روى هوميروس الشاعر (٢. وكثير من هذه المساومات البسيطة لا تزال جارية الى يومنا في الانحاء التي فيها يعزّ وجود النقود كبعض قبائل البادية وقسم من الحبش وبعض شعوب افريقية وقد شهد على ذلك كثيرون من السيّاح (٣

١) راجع تاريخ الامم الشرقيَّة القديمة لماسپرو (Maspéro) في المجلد ١ ص ٣٢٣

٢) راجع الالياذة (ك ٧ الشعر ٤٧٢ وما يليهِ) والاوديسي (ك ١٦ ش ٤١٥–٤٦٣

٣) راجع كتاب بابلون Babelon : *Les Origines de la Monnaie*, pp. 8 *et* 55

آسيَّة الصغرى ترى على قفـاها علامةً كما سبق وعلى الوجه صورةً نُقشت على السكَّة باعتناء كلي. وكان ظهورها في بحر المائة السابعة قبـل المسيح (١ ومن ذلك الحين جرت العادة ان يُطبع على النقود صورةٌ ما بدلًا من العـلامات التي صار استعمالها سابقا. وهذه الصورة على الاكثر صورة بعض الحيوانات او الرموز وتختلف من مدينة الى اخرى

واوَّل ما قُرئ عليهِ شيء من التاريخ دراهم وُجدت في مدينة هاليكرنَس وهي مدينة في آسيَّة الصغرى من اعمال كاريا (Carie) القديمة وعليها صورة أَيَلٍ مُحنٍ رأسهُ نحو الارض ليرعى وتعلوهُ هذه الكتابة اليونانيَّة واحرفها مرسومة من اليمين الى الشمال (ΑΜΗΣ ΙΜΕ ΣΟΝΝΑΦ) Φάννος ἐμὶ σῆμα اي: اني علامـة فانُس. والايل رمز لمدينة افسس حُفر على سكَّتها اكرامًا لالهة المقام ارطميس (ويسمّيها اللاتينيون ديانا وهي إلهة الصيد). واذ لم يتولَّ على هذه المدينة احد باسم فانُس قال العـلامة بابلون وكثيرون من علماء العاديَّات (٢ ان فانُس هذا من كبار التجَّار الذين استثمروا معادن البلاد وكنوزها في تلك الايام

ولم يضع احد من الملوك اسمهُ على السكَّة قبل القرن الخامس ق م. واستمرَّ التجَّار وذوو الاموال يضربون السكَّة باسمهم الى ان قلَّت ثقـة الناس بهم فخلفهم الملوك في ذلك وجعلوا السكة من القاب الدولة والسلطان. ومع ذلك ما برح التجَّار يضربون علامتهم على نقود الملوك لدفع الريب واتّقاء الغشّ

وقد ظهرت السكة في بلادنا السوريَّة على عهد ملوك الفرس قبل قدوم الاسكندر الكبير واليونان اليها. ثم بعد موت الاسكندر وانقسام المملكة ضُربت السكة لخلفائهِ في كلّ المدن السوريَّة. وطرأ عليهـا ما ليس بوسعنا ان نبحث عنهُ في هذا المكان. وفي ما سبق كفاية لتعريف مبادئ النقود والله اعلم

---

١) اخطأت مجلة الضياء بقولها في عدد ١٥ نوفمبر ١٨٩٩ ص ١٣٩ : «واقدم سكَّة وجدت في العاديات لا تتعدى الى ما وراء القرن السادس ق م »

٢) في تأليفهِ المذكور ص ١١٨-١١٩

في مقابلة كلّ شيء. ويُبذل في مقابلتهما كلّ شيء. وهما كالقاضيين بين جميع الناس يقضيان حوائج كلّ من لقيهما »

وجرى قدماء المصريين على طريقة الفينيقيين فانهم استعملوا المعادن دون ان يضربوها ومن هذه المعادن ما وجدهُ الفراعنة في بلادهم كالذهب فانّ مناجمهُ كانت في بلاد الحبش الخاضعة لهم ومنها ما كان يُدفع للفراعنة كجزيةٍ فانّ سوريّة مثلًا كانت تقدّم كجزية للفراعنة الذهب والفضة(١. وكانوا يتعاملون بهذه المعادن وزنًا. الّا انهم بعد حين تعقّبوا آثار الفينيقيين فجعلوا المعادن قطعًا صغيرةً بثقل معلوم فقامت مقام النقود الصغيرة التي نعرفها اليوم باسم القراطة (٢. ومثلهم الاشوريون

وقد شاع عند سائر الامم الناطقة باللغات الساميّة اطلاق لفظة שקל بمعنى وَزَن ودفع المال . وكان العبرانيون ايضًا يعطون بالوزن ثمن ما يشترونهُ كما يشهد بذلك الكتاب في اماكن عديدة (٣. وقد عثرنا غير مرّة في كتب العرب بلفظة وزن المال. بل لفظة الدرهم والدراهم لا تزال تؤخذ عيارًا ونكرة للنقود والمال. وقد سمّى اليهود ככר (كَكَرًا) اي حلقة المثقال الذي عُرف عند اليونان والرومان باسم talentum

٣ الطور الثالث. وهو تاريخ النقود المضروبة

وجرى الاقدمون على هذا المنوال قرونًا عديدة حتى الامم المتمدّنة منهم كاليونان والفرس الى ان وُجدت السكّة. وكان ذلك كما يأتي: وهو انّ بعض تجار اليونان وضعوا قطعًا معدنيّة ثابتة الوزن وطبعوا عليها اشكال هندسيّة وعلامات شتى فكان لكلّ منهم علامة وهي كالامضاء الذي يوقّعهُ معاصرونا على الاوراق التجاريّة. واقدم ما حُفظ منها واعتمد عليهِ اهل التاريخ سبائك صغيرة الحجم ضُربت بالمطارق عليها اشكال مختلفة وليس عليها صورة (٤

واقدم ما ضُرب من المسكوكات التي لا يُنكر عليها هذا الاسم وُجدت في بلاد

---

١) راجع Lepsius : *Les Métaux dans les inscript. égyptiennes*, p. 16

٢) Lepsius : *Denkmäler*, t. III, 10 a, 39 a, etc.

٣) اطلب سفر التكوين ٢٣ : ١٦ عدد ٧ : ١٣-٢٥ خروج ٢١ : ٣٢ احبار ٢٧ : ٣ الخ

٤) بابلون *Les Orig. de la Monnaie*, p. 107



صورة سيّدة الاحزان

المعروفة بسيّـدة الصاعقة في بزمّار

(للمصوّر الايطاليّ الشهير رافائيل)

طائفة الارمن الكاثوليك

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

٤

قد احسن الارمن الكاثوليك بانتقالهم من وادي الكرَيم الى بزمّار . فانَّ لديرهم هذا موقعًا نعمًا تراهُ على قنَّة جبل وهو يجمع بين صفاء الهواء وحسن المنظر ومأمن السكن بجوار قرًى عامرة تحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر. واوَّل من زيَّن هذا المقام بفضائلهِ السامية البطريرك يعقوب بطرس الثاني خلَف البطريرك ابراهيم ارزيڤيان الذي لخَّصنا في مقالتنا السابقة اعمالهُ العجيبة . وكان يعقوب كفوءًا لان يسوس طائفتهُ ويصونها من المخاطر المحدقة بها وكانت الايَّام قد حنَّكتهُ فصبر على بلايا الدهر وانتصر على كلّ اعدائهِ بشهامة نفسهِ وثقتهِ بالله . فانهُ ما رُقي الى درجة الكهنوت في مدينة سيس حتى اخذ يطوف بلاد الارمن ليهدي الضالّين ويقوّي المؤمنين في الايمان فاصابتهُ محن وبلايا بيَّنت سموّ فضلهِ . ولمَّا تولى على كرسي حلب زادت غـيرتهُ المستعرة لخلاص الاخوة المنفصلين فأرجع منهم بمواعظهِ وكتاباتهِ عددًا غفيرًا الى حظيرة الايمان من جملتهم اسقف انقرة . وكان ارتقاؤُهُ للسدَّة البطريركية ضامنًا لحسن مستقبل طائفة الارمن الكاثوليـك وتقدّمها في معارج الفلاح وُسرَّ البابا بنديكتوس الرابع عشر بانتخابهِ وارسل لهُ براءة التثبيت في ١٣ ايلول سنة ١٧٥٠ غير انَّ الله لم يمتّع بهِ الارمن الاَّ اربع سنوات فمات ميتة الابرار في ١٥ ايارسنة ١٧٥٣ وعمرهُ ٦٤ سنة

ومن اعمالهِ المشكورة انهُ ثبَّت قوانين الرهبنــة الانطونيَّة (١ وحبس عليها اوقافًا كافية لمعاش رهبانهـــا . ومنها ايضًا انهُ ارسل كهنةً الى جهات الارمن لينشروا فيها الايمان الكاثوليكيّ فلم تخب آمالهُ ونما قطيعهُ عددًا وفضلًا

ولمَّا انتهى في سنة ١٧٥٢ بناء دير بزمَّار انتقل اليهِ وسكنهُ ودعاهُ باسم السيدة

---

١) قرأنا في تاريخ الرهبنة الانطونيَّة للقس عمانويل البعداتي (ص ٢١ و ٢٢) انَّ هــذه الرهبنة تأسَّست سنة ١٧١٦ بواسطة اربعة انفار قدموا من مدينة حلب سنة ١٧٠٧ حبًّا بالعيشة النسكيَّة واسماؤهم يعقوب وميناس ويوحنَّا وابراهيم . وترهَّب اثنان منهما اي يوحنا وابرهيم في دير قزحيًا امَّا الآخران فاظهرا قصدهما للشيخ صخر الخازن ابن ابي قانصوه فاعطاهما محلّ دير الكريم . اه . قلنا ومن هذه الرهبنة الانطونيَّة كان البطريركان بطرس الثالث وبطرس الرابع

الطاهرة لعظم عبادتهِ للبتول والدة الاله واخذ معهُ صورة سيدة الاحزان العجائبيَّة التي اتى بها سلفهُ من رومة وجعلها في مصلاَّهُ ولم تكن وقتئذٍ بُنيت الكنيسة الحاليَّة

وقام بتدبير الكنيسة الارمنيَّة بعد يعقوب بطرس الثاني البطريركُ ميخائيل بطرس الثالث في ٢٣ حزيران سنة ١٧٥٣ وكان سابقًا مطرانًا على حلب كسلفهِ ابراهيم ويعقوب. ثبَّتهُ البابا بنديكتوس الرابع عشر في ٦ آذار ١٧٥٤. وفي ايَّامهِ زاد عدد الارمن الكاثوليك في جهات ما بين النهرين وفي طوقات وبركنيك فقلَّدهُ البابا وان اكليميس الثالث عشر (سنة ١٧٦٠) واكليميس الرابع عشر (سنة ١٧٦٩) تدبير شؤون هذه الكنائس الجديدة. وكان اليسوعيون في ذلك العهد لم يألوا جهدهم في نشر العقائد الكاثوليكيَّة في بلاد الارمن وممَّا كتبهُ الكافاليار دي سان پرست (Le Chev. de S[t] Priest) في اواخر سنة ١٧٧٣ في حقّهم « انهم أقنعوا بطريرك اجميازين بان يجحد الاضاليل اليعقوبيَّة وانَّ ستَّةً من الاساقفة مع عشرة آلاف عائلة ارمنيَّة اقتفوا بآثار راعيهم (١ لكنَّ كثيرًا منهم لم يثبتوا بعد إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة

وسافر البطريرك ميخائيل الى رومة لزيارة الاعتاب الرسوليَّة فاحسن الحبر الروماني وفادتهُ ومنحهُ درع الرئاسة. وعند رجوعهِ الى لبنان اخذ في بناءِ كنيسة بزَّمار فساعدهُ الله على اتمامها وهي من اجمل كنائس تلك النواحي وزيَّنها بالتصاوير المُتقَنة الصُّنع وذخائر الشهداء والقديسين (٢ وجعل في هذه الكنيسة الصورة العجائبيَّة السابق ذكرها. وضعها فوق الكرسي الرسولي البطريركي الذي كان يجلس عليهِ من عن يمين الهيكل الكبير متَّجهة نحو الشعب. وكانت وفاة ميخائيل في ٥ تشرين الثاني سنة ١٧٨٠

٥

وفي غرَّة كانون الاوَّل سنة ١٧٨٠ وقع الاختيار القانوني على اسقف آدنة (٣

---

١) راجع Chrétineau-Joly : *Clément XIII et Clément XIV*, I, 297 et 298

٢) وكان من جملة هذه الذخائر الثمينة والتصاوير التقويَّة تمثال من العاج يمثِل سيّدة الحبل بلا دنس كان يُعدّ من الاعمال الصناعيَّة الدقيقة اهداهُ البابا بنديكتوس الرابع عشر الى البطريرك ابراهيم. ومنها ذخيرة عود الصليب وذخائر اخرى للرسل الاطهار والشهداء كلها مصونة الى اليوم في كنيسة بزمَّار. وعلى جانبي الهيكل الكبير صورتان اخريان نال المؤمنون بالالتجاء اليهما كرامات عديدة لا يسعنا هنا ذكرها

٣) كذا ورد في تاريخ الدرّ المنظوم (ص ٧١٠). وفي تاريخ بطاركة الارمن لحضرة الاب ڤرنيه اليسوعي (ص ٣٠٥) انهُ كان اسقفاً على اماسية

الصورة العجائبيَّة بحفلة عظيمة الى مقام الوفاهة (sacristie) وأُقيم لها هيكل بديع

وفي السنة التالية (١٨٠٣) ظهرت شفاعة سيدة الصاعقــة على نوع اعجب وابهر فبينا كان غبطة البطريرك ولفيف الكهنة مع زمرة التلامذة مجتمعين كلهم في الكنيسة لتلاوة الفرض القانوني اذ اكفهرَّت السماء ولمعت بالبروق وقصفت الرعود وانهملت الامطار كالقرب واذا بالصاعقة انقضَّت ثانيةً على القبَّة الخشبيَّة الموَقتة فتكسَّرت الاخشاب وسقطت بجلبة لا توصف. امَّا الحضور فطارت قلوبهم شعاعاً وظنُّوا انهم مائتون او مصعوقون لا محالة. فيا للعجب العجاب لم ينل احداً منهم ادنى ضرر. وكان احد الكهنة المدعو توما يقرّب الذبيحة الالهية على مذبح القديس يوسف فرأى الخُشب متساقطة على رأسهِ ولم يسمح لهُ الوقت الَّا ان يرفع بنظرهِ الى احدى صور العــذراء ملتجئاً الى حمايتها فنظر البتول تمدّ ذراعيها اليهِ لتحميهُ فنجا من هذا الخطر العظيم ولم تمسهُ الاخشاب البتَّة. لكنَّ الانقاض تحوَّلت الى شمال الهيكل الكبير وسقطت هنالك. وكان اسقف دمشق اسطفان كتِه يقدّس كلّ يوم في مثل تلك الساعة على المذبح الشمالي الَّا انهُ في ذلك النهـــار دعتهُ حاجة ماسَّة الى تأخير الذبيحة ولولا ذلك لاهلكتهُ الاخشاب المتناقضة. فانتشر ذكر هذه العجائب في لبنـــان وصار الشعب يلتجئ في الصاعقة الى سيّدة بزمَّار واقام البطريرك عيداً خصوصياً لذكر الصورة العجائبيَّة في اليوم الثاني من شباط فاخذ اهل تلك النواحي يتواردون مذ ذاك الى كنيسة سيّدة الصاعقة ويكرمونها باحتفال عظيم (انظر صورتها). وللعذراء هناك كرامات يضيق المكان عن ذكرها

وتولَّى الامر بعد غريغوريوس الاوَّل خلَفهُ مطران مرعش غريغوريوس الثاني بطرس السادس رُقي الى رتبة البطاركة في ٢٣ حزيران ١٨١٢ ولم يأتهِ التثبيت من البابا بيوس السابع الَّا في ١٩ ايلول ١٨١٤ لِما اصاب الكرسي الرسولي في ذلك العهــد من المحن العديدة التي شغلت الاحبار الرومانيين عن تدبير الكنائس البعيدة. وطالت مدَّة هذا البطريرك الى ٢٢ ايلول سنة ١٨٤٠ (١

وغريغوريوس المذكور من اجلّ بطاركة الارمن واعظمهم فضــلًا واوسعهم علماً وارسخهم قدماً بالفضيلة لا يزال يتذكَّرهُ بالحسنى كلّ من عرفهُ. وفي ايَّامهِ توالت المحن

١) هذه التواريخ اخذناها عن اصدق المصادر. وفي مختصر تواريخ الارمن (ص ٣٣٣) ما يخالف ذلك مخالفةً عظيمة ولا نطلع على ايّ شواهد يستند صاحبهُ حضرة القسّ انطون خانجي

باسيليوس بطرس الرابع وثبَّتهُ بيوس السادس في ٢٢ حزيران سنة ١٧٨١. وقد امتاز المذكور بحسن سياستهِ ولهُ إصلاحات مفيدة وقوانين مفعمة بروح الحكمة

ولمَّا تُوفّي باسيليوس المذكور في ٦ شباط سنة ١٧٨٨ خلفهُ في ١١ أيَّار من السنة عينها غريغوريوس بطرس الخامس مطران آدنة ووردت اليهِ براءة التثبيت في ١٠ ك ١ منها وجَّهها اليهِ البابا بيوس السادس. وجلس على الكرسيّ البطريركي الى وفاتهِ في ١٧ حزيران ١٨١٢. ولهذا الحبر الجليل اعمال خطيرة كان باشر بها منذ زمن اسقفيَّتهِ فانَّ رؤساء الكنيسة كانوا عهدوا اليهِ بامور مهمَّة قام بها احسن قيام في جهات الارمن ولمَّا صار اليهِ تدبير طائفته العام حاول باعلاء شؤونها وتوسيع نطاقها. ولم يجد لتحقيق آمالهِ هذه واسطةً افضل من انشاء مدرسة اكليريكيَّة في دير بزمَّار فوسَّع لذلك ابنيتهُ القديمة وجمع من انحاء المملكة العثمانيَّة شبَّانًا من ذوي التقى والعقل الثاقب فهذَّبهم كما يليق بالكهنة الافاضل وجعلهم على هيئة اخويَّة لتبشير الايمان بين اخوتهم المنفصلين وهكذا أُنشئت جمعيَّة بزمَّار التي خدمت ولا تزال تخدم طائفة الارمن خدمةً نصوحًا منذ نحو مئة سنة جازاها الله خيرًا وزاد اعضاءها فضيلةً وفضلًا

وكان هذا البطريرك كثير التعبد لوالدة الاله يقضي امام صورتها العجائبيَّة ساعات من نهارهِ في الصلاة فجازتهُ البتول عن صنعهِ بآية عجيبة ظهرت في اوائل سنة ١٨٠٢ (١). وذلك انَّ دير بزمَّار لموقعهِ على قنَّة الجبل كثيرًا ما يكون عرضةً للرعود والصواعق ففي احدى ليالي شهر شباط ثارت زوبعة هائلة واخذت السماء تبرق وترعد فدوت الجبال لصوتها. ثمَّ انقضَّت الصاعقة بغتةً على قبَّة الكنيسة فهدمتها وسُمع لسقوطها ضوضاء عظيمة حتى لم يشك احدٌ ان البيعة كلها خربت تمامًا. فلمَّا كان الصبح وجاء البطريرك والكهنة ليتبيَّنوا الامر وجدوا القبَّة ساقطةً امَّا الكرسيّ البطريركيّ الذي كان تحتها فانهُ لم يُصب باذًى وكانت صورة العذراء لم تزل منتصبةً فوقهُ لم تتشوَّه مطلقًا بأنقاض القبَّة وحجارتها الضخمة. فطفحت قلوبهم سرورًا لدى هذا المنظر وتيقَّنوا ان ملكة السماء تصونهم بحماها غير المنتهك. ومذ ذاك الحين دُعيت صورة بزمَّار باسمها الشائع الى يومنا وهو سيّدة الصاعقة. ثمَّ بُنيت قبَّة أُخرى موقَّتةً من الخشب ونُقلت

١) راجع الكتاب الخطّي المُعَنون « معابد العذراء في لبنان » للاب بطرس مرتين اليسوعي

بكل دراية وكلَّ تقى الى سنة وفاته ٨ ك ٢ سنة ١٨٦٦. ومن مساعيهِ المشكورة انهُ عقد مجمعاً لطائفتهِ سنة ١٨٥١ واهتمَّ في نماء مدرسة بزمَّار ونجاحها ونظَّم جمعية كهنتها على الهيئة التي نعهدها اليوم وقد نال هؤلاء الكهنة شهرة كبيرة بغيرتهم وتقاهم · وارسل بعض التلامذة الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ليتخرَّجوا بالدروس اللغويَّة والادبيَّة واللاهوتيَّة اشتهر منهم في خدمة كنيستهم ثلاثة اساقفة وكهنة افاضل

٦

وبعد وفاة البطريرك المذكور اجتمع المطارنة في كنيسة دير بزمَّار في ١٤ ايلول سنة ١٨٦٦ تحت رئاسة الطيِّب الذكر القاصد الرسوليّ والبطريرك الاورشليمي السيد يوسف ڤالركا فانتخبوا السيد انطون حسُّون جاثليق القسطنطينيَّة بطريركاً · فثبَّتهُ البابا بيوس التاسع بملء سلطانهِ وجمع جاثليقيَّة الاستانة وحقوق البطريركية في شخصهِ وأذن لهُ ان يسكن في دار السعادة بدلًا من دير بزمَّار وذلك بموجب براءة حبريَّة بدؤها « Reversurus » امضاها في رومة العظمى جميع مطارنة الطائفة سنة ١٨٦٧ ومنحتهُ الدولة العليَّة فرمانها الشريف · غير انَّ بعض اصحاب الفتن لم يرضوا بانتخابهِ وخلعوا نير الطاعة وجاهروا بالشقاق وغصبوا الكاثوليك الامناء حقوقهم في كنائسهم · وانضمَّ الى هؤلاء الخوارج بعض المطارنة والكهنة القانونيين وغيرهم فاستفحل الامر وانتشر الشغب مدَّة بضع سنوات حتى خمدت نارهُ وكبا سعيرهُ في هذه السنين الاخيرة ولم يبقَ لهُ والحمد لله من اثر في ايامنا

ولمَّا كانت السنة ١٨٨٠ اراد البابا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا ان يتعطَّف على الطائفة الارمنيَّة بنعمة لم يُسبق لهُ بمثيل في الشرق منذ اربعة قرون فرقَّى السيد البطريرك انطون حسُّون الى المنصب الكردينالي · فتنازل غبطتهُ عن حقوق البطريركيَّة في ٣ ك ١ ١٨٨٠ وجاء رومة فقطنها مع امراء الكنيسة الرومانيَّة · وفي السنة التابعة انتخب الاساقفة كخلَف لهُ في رتبتهِ السيد اسطفان عازاريان فدُعي بطرس العاشر (٤ آب ١٨٨١) وساس بيعتهُ احسن سياسة وحَظي عند مولانا السلطان فنالهُ الامتيازات السامية وكان الحبر الروماني يكرمهُ ويعتبر صفاتهِ الفريدة · توفي رحمهُ الله واجزل ثوابهُ في ٢ ايار سنة ١٨٩٩ · وقد ضمَّد تعالى جرح الكنيسة الارمنيَّة ونشَّف دموعها السائلة على فقيد الطائفة والوطن بانتخاب غبطة السيد عمَّانوئيليان وهو بطرس الحادي عشر ·

على طائفة الارمن الكاثوليك فاكرهَ اعداؤهم ثلاثين الفًا منهم على مهاجرة بلادهم. فتبدَّدوا في كلّ الانحاء. لكنَّ الله لم يهملهم في البلاء وكانوا في المنفى كحبَّة الزرع تدفعها العواصف الى البعيد لتأتي بغلّة اوفر. وفي ٦ كانون الثاني من سنة ١٨٣٠ كفَّت الدولة العليَّة يد المفترين بخط شريف ثم اولَت الارمن الكاثوليك كلَّ الحقوق الدينيَّة التي كان استبدَّ بها اخصامهم الغريغوريون. فكان ذلك داعيًا لرجوع كثيرين منهم الى حجر الكنيسة

وفي سنة ١٨٣١ عيَّن البابا نائبًا بطريركيًّا للارمن في الاستانة العليَّة السيد انطون نوريديان ودعاهُ جاثليقًا ووكل اليهِ تدبير الكاثوليك في الاستانة وجهات الارمن. وكان الجاثليق تحت حكم الحبر الروماني رأسًا

وقد رأى غريغوريوس الثاني من أَلطاف البتول العذراء شواهد جديدة زادتهُ ثقةً بها. فمن ذلك انَّهُ حدث في لبنان زلزلة قويَّة في سنة ١٨٣٦ فخرج كلّ تلامذة دير بزمّار والكهنة مذعورين لمَّا شعروا باهتزاز الجدران وتداعيها وكانوا يخافون من سقوط الابنية كلها. امَّا البطريك ففكَّر من ساعتهِ في شفاعة البتول ودخل الكنيسة وانطرح عند اقدام الصورة العجائبيَّة وتلا بكلّ حرارة الصلاة المعروفة «السلام عليكِ يا ملكة الرحمة» فما انتهى من تلاوتها حتى بطل الزلزال وعادت السكينة في القلوب (١. وامر غبطة البطريك بان يُوقد امام الصورة ليلًا مع نهار قنديل زيت شكرًا لنعم البتول واستدرارًا لبركاتها. واراد في ساعة نزاعهِ ان توضع الصورة بازاء عينيهِ

ولمَّا توفي غريغوريوس اجتمع الاساقفة في دير بزمار وانتخبوا في ٣٠ حزيران سنة ١٨٤١ يعقوب الثاني الوكيل البطريركي ومطران اماسية فدعي بطرس السابع وثبَّتهُ غريغوريوس السادس عشر في ٢٧ ك ٢ سنة ١٨٤٢ وكان رجلًا فاضلًا بيد انَّهُ طاعن في السنّ فتوفّي لسنتين من بطريركيَّتهِ في ٦ شباط ١٨٤٣ . قال البطريك العلامة بولس مسعد في الدرّ المنظوم (ص ١٠٧) : ان يعقوب هو اوَّل من استعمل الصليب الصدريّ عند الارمن

وخلفَهُ مطران قيساريَّة غريغوريوس الثالث في ٧ تموز ١٨٤٣وعُرف ببطرس الثامن ثبَّتهُ غريغوريوس السادس عشر في ٢٣ كانون الاوَّل من السنة. فرعى الكنيسة الارمنيَّة

١) راجع S. Davidian : *Biografia di Abramo Pietro* I, p. 133

الايمان المستقيم ففي السنين الاخيرة اخذ الغريغوريون يوجّهون انظارهم الى كنيسة رومة التي من موردها استقى القديس غريغوريوس المنوّر مياه الايمان العذبة واليها اسند اساس الكنيسة الارمنيَّة. ولتحقيق آمالنا هذه لوائح عديدة نطلب الى الله ألَّا تحبط وتخيب. لاسيا اننا نرى عددًا غفيرًا من افاضل الاكليروس الارمني يسعون بلا ملل وراء هذه الغاية الحميدة يساعدهم على ذلك كثيرون من المرسلين اللاتينيين كحضرات الآباء الدومينيكان في وان وسعرت وحضرات الآباء الكبوشيين في طرابزون وارزروم وصمصون وملطية وخربوط واورفة وحضرات الآباء الفرنسيسيين في عينتاب ومرعش ويني قلعة والآباء اليسوعيين في آدنة واماسية وقيسريَّة ومرسيڤان وسيواس وطوقات واخوة المدارس المسيحية في انقرة وارزروم وطرابزون هذا الى مئين من الراهبات يبذلنَ الوسع في تهذيب الفتيات ومباشرة الاعمال الخيرية . فيا ليتنا نرى عمَّا قليل الارمن جميعًا (١ متحدين بوحدة الايمان كاجدادهم فتكون لهم كاخوانهم الكاثوليك حظيرة واحدة وراعٍ واحد آمين

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزڤال اليسوعي (تابع لما في العدد الاول(٢)

كتابات تدمريَّة

– توطئة – هذه الكتابات وغيرها التي سننشرها تباعًا في اعداد مجلَّتنا موجودة كلها في مدينة حمص وقد اخذ رسوبها الطبيعيَّة حضرة الاب لامنس اليسوعي عن تماثيل ضريحية منقولة من تدمر او جوارها ومجهولة الى هذه الغاية وهي اليوم محفوظة في بيوت بعض اعيان البلدة. والرسوم المومأ اليها غاية في الاحكام حتى انَّنا اكتفينا لتصويرها الشمسي بمجرَّد تسويد جوف الاحرف. ولا حاجة هنا الى تكرار ما قد ابديناهُ من اسداء الشكر والتهنئة الى اصحاب هذه الآثار

ومن خواصّ هذه الكتابات انَّها غير مؤرخة وقصيرة المضمون لا ترى فيها سوى اسماء اعلام وذكر انسابٍ شأن معظم الكتابات القبريَّة المكتشفة في بلاد تدمر. وهي مع ذلك ليست خالية من الفائدة بل لعلَّها تتضمَّن بعض اسماء جديدة كما سترى. وانَّما قلنا « لعلَّ » لانَّنا لا نملك كل

١) عدد الارمن الغريغوريين يبلغ نحو ثلاثة آلاف الف. منهم في الدولة العثمانية نحو ١٧٣٩٠٠٠

٢) اجَّلنا الى عدد آخر استئناف قراءة الكتابات العربيَّة

ولد غبطتهُ في ١٨ ك ٢ سنة ١٨٢٩ في بلدة تلّ ارمن بجوار ماردين من أُسرة فاضلة تعدّ الايمان من افضل كنوزها وتخرَّج بالعلوم والآداب الكنسيَّة في مدرسة بزمّار وانجز دروسهُ في مدرسة رومة المشهورة بانتشار الايمان وحاز شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت. ولهُ تصانيف جليلة دينيَّة وطقسيَّة وأدبيَّة في كلتا اللغتين الارمنيَّة والتركيَّة. ثمَّ تفرَّغ لكلّ الاعمال الرسوليَّة حتى سُقِّف على قيصريَّة قپادوق في ٢٥ آب سنة ١٨٨١ وقد اشتهر مدَّة اسقفيَّتهِ بحكمتهِ السامية ومداركهِ العالية واعمالهِ المبرورة فاكتسب رضى الجميع وذلك ما حمل اخوتهُ المطارنة على ان يسلّموهُ زمام امر كنيستهم في ١٦ آب سنة ١٨٩٩ وقلَّدهُ امام الاحبار درع الرئاسة في ١٤ ك ١ من السنة حفظهُ الله زمنًا طويلًا لخير طائفتهِ وفخر اوطاننا العزيزة

والارمن الكاثوليك الخاضعون لبطاركة قيليقية ينيفون اليوم على مئة الف واكثرهم في ولايات الدولة العليَّة لهم فيها اربعة رؤساء اساقفة كراسيهم في القسطنطينيَّة (وهو كرسي نائب البطريرك) وحلب وديار بكر وماردين وثلاثة عشر اسقفًا يقطنون آدنة وانقرة وبروسة وقيساريَّة قبادوقية وارزروم ومرعش وموش وسيواس وطوقات وطرابزون وخرپوط وملطية والاسكندريَّة . وللارمن الكاثوليك ايضًا مطران في اصبهان من عواصم العجم ولهم ايضًا اسقف في بلاد روسية في مدينة ارتوين

وفي بلاد النمسة اسقف للارمن تحت حكمهِ نحو سبعة آلاف ارمنيّ كاثوليكيّ وهو يسكن ڤينَّة في دير الآباء الميكاتاريين وليس لبطريرك قيليقية عليهِ امرٌ كما ان سلطة غبطتهِ لا تمتدّ الى ٢٤٠٠٠ الف ارمني كاثوليكيّ توطَّنوا مقاطعة تيراسپول (Tiraspol) في الروسيَّة

وللارمن الكاثوليك مطبعتان شهيرتان في البندقيَّة وڤينَّة ابرزتا كتبًا عديدة دينيَّة وعلميَّة وكلتاهما تحت ادارة الآباء الميكاتاريين ولهؤلاء الرهبان فضلٌ عظيم في نشر لواء الاداب والعلوم الارمنيَّة. وقد اسعدنا الحظّ بان نجتمع ببعض هؤلاء الافاضل العلماء ونزور في ڤينّة مطبعتهم الكبرى فرأيناها كاملة الاهبة تامَّة الادوات لا ينقصها شيء من الاكتشافات الحديثة حتى صار اسمها شائعًا في كلّ البلاد وفيها مسكب حروف مختلفة هي غاية في الجودة والكمال ومنها ابتاعت مطبعتنا حروفها الارمنيَّة

وممَّا يزيد الارمن الكاثوليك فرحًا انهم يجدون في اخوانهم المنفصلين تقرُّبًا الى

سميناها العربية تشمل عربية الكتابات القديمة والعربية المعهودة والحميريَّة الخ. والفرقة الثانية اي الكنعانيَّة متركّبة من كنعانيَّة كتابات تلّ العارنة والفونيقية والعبرانيَّة ولغة موآب. والفرقة الثالثة وهي الآراميَّة تعمّ عدَّة لغات شاعت في الشام والجزيرة والعراق اشهرها السريانيَّة والارامية البابلية والمندائيَّة الخ ثم آراميَّة الكتب المقدَّسة والتدمريَّة ولهجة الكتابات النبطيَّة واللسان الفلسطيني والسامريَّة الخ

ولهذا الجدول الذي سنشير اليهِ اكثر من مرَّة فائدة عظيمة لمعرفة مطابقة الاحرف في صور الكلمات. فمن حفظهُ جيدًا يسهل عليهِ عادةً ردّ الالفاظ التي يعثر عليها في الكتابات الى اي لغة اراد من الفروع الثلاثة المنوَّه اليها. ولولا ضيق المكان لاتينا على ذلك ببعض الشواهد. إلَّا اننا استغنينا عنها بما نعرضهُ من الشروح في هذه النبذة وما سيجيءُ في غيرها ان شاء الله

وان امعنتَ النظر في الجدولين وقابلتَ بينهما ادركتَ دون صعوبة السبب الذي من اجلهِ اعتاد المستشرقون استعمال الاحرف العبرانيَّة لتدوين الكتابات التدمريَّة وغيرها. ولا بدَّ لنا من احتذاء حذوهم. غير اننا لمزيد الافادة ندوّن ايضاً كتاباتنا بالاحرف العربية مضيفين اليها صورتها الافرنسيَّة او السريانية كلما عثرنا على حركةٍ لا وجود لها في العربية المكتوبة

الكتابة الاولى

(عن تمثال امرأةٍ موجود في بيت الدكتور س. خ. وعلى الكتابة أثر لون ضارب الى الاحمر)

עתי	عَتَيْ او عَثَيْ (١) (او عَتِي)
ברת	بَرْت
מעני	معَنَّيْ
חבל	خَبَل

ليس في هذه الكتابة من كلمة جديدة. فانّ «עתי» علَم موءنث قد اتى في مجموع المركيز دي ڤوكويه (de Vogüé: *Syr. Centr. Inscriptions sémitiques*, n°45)(٢ قابل «Ἀταργάτις و ܥܬܐ وعتي». وهذا الاخير اسم احد الرواة وهو وارد في كتاب المعارف لابن قتيبة (طبعة القاهرة ص ٧). وبَرْت اي ابنة عين كلمة ܒܪܬ السريانيَّة. واسم معنَّيْ كثير الورود في كتابات تدمر وهو علَم مذكَّر يطابقهُ تماماً ܡܥܢܐ السرياني. وصورتهُ غير صورة مَعْن العلَم العربي المعروف والموجود ايضاً في عدَّة كتابات نبطيَّة (٣

---

١) راجع الجدول المقدَّم ولا تنسَ ان لغة اهل تدمر من الفرع الآرامي

٢) اشارتنا الى هذا التأليف تكون كما في مقالتنا على الرباء بمجرَّد حرف V وكذلك ندلّ بحرف W على مجموع ڤادنكتون Waddington : *Inscript. grec. et lat. de la Syrie*

٣) توافق صورة مَعن العربية اسم ܡܥܢܐ السرياني والنبطيّ. قابل ايضاً مَعْنُ الله و ܡܥܢܐ

المجموعات التدمريَّة التي نشرها علماء اوربَّة فلذا نلتمس من قرائنا الاوربيين غضَّ النظر عمَّا يجدون في هذه النبذة من القصور او الخطإ . فجلّ ما نتمنى من اشهارها بيان ما لدينا من الغيرة في صيانة كلّ ما يختصّ بآثار المشرق القديمة وترغيب مواطنينا الافاضل الى ولوج هذه الابواب الادبيَّة الفائقة الشان في معرفة احوال بلادنا العزيزة . ولنفس هذه الغاية قد ادرجنا في مجلَّتنا (سنة ١) مقالة مطوَّلة في اخبار زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر وفيها ايضاً رسمنا جدولاً لبعض خطوط قديمة منها الخطّ التدمري(١ فالمرجو من قرائنا الشرقيين ان يراجعوا هذا الجدول اذا ما ارادوا فهم الاسطر التالية

الفرقة الآراميَّة	الفرقة الكنعانية	الفرقة العربيَّة	الفرقة الآراميَّة	الفرقة الكنعانيَّة	الفرقة العربيَّة
ܐ	א	ا	ܡ	מ	م
ܒ	ב	ب	ܢ	נ	ن
ܓ	ג	ج	ܣ	ס	(حميري) X [س]
ܕ (٢)	ד	د	ܥ	ע	ع
ܕ	ד̇	ذ	ܥ	ע̇	غ
ܗ	ה	ه	ܦ	פ	ف
ܘ	ו	و	ܨ	צ	ص
ܙ	ז	ز	ܨ (٤)	צ̇	ض
ܚ	ח	ح	ܩ	ק	ق
ܚ	ח̇	خ	ܪ	ר	ر
ܛ	ט	ط	ܫ (٥)	שׂ	(حميري) ≥ ش
ܛ (٣)	צ	ظ	ܫ	שׁ	(حميري) ⊓ س
ܝ	י	ي	ܬ	ת	ت
ܟ	כ	ك	ܬ (٦)	שׁ	ث
ܠ	ל	ل			

ولمزيد الايضاح رأينا من اللائق بل من الضروري (٧ ان نضع هنا الجدول المتقدّم لمقابلة الاحرف الشرقيَّة في اصول ثلاث فِرَق من اللغات السامية المشهورة . واعلم ان الفرقة الاولى وقد

١) قد طُبعت هذه المقالة منفردة مع الجدول المذكور وعدَّة صور وخريطة جيّدة وفوائد جديدة وبعض تحسينات واصلاحات . والكراسة تُباع في مطبعتنا

٢) و ا في اقدم الكتابات ٣) و ܛ في الكتابات القديمة

٤) ان نسبة ض الى ܨ والى ܨ اكثر شيوعاً من نسبتها الى ܨ والى ܛ (و ܫ) الواردة في بعض الكتابات ٥) و ܫ في كتابات قديمة

٦) و ܫ في بعض الكتابات القديمة

٧) ليس في قولنا « من الضروري » ادنى مبالغة فان علم مقابلة اللغات الساميَّة في هذه الديار امر لم ينتبه اليهِ سوى القليلين من العلماء الذين لا تفوق جملتهم عدد الانامل

معناهُ الصرَّاخ او ما يشبه ذلك. وان فضَّل احدٌ اشتقاق زجوج من زَجَ يَزْجُ بمعنى طعنهُ بالزُجّ (والزُجّ لهُ معانٍ منها نَصل السهم) فلعلَّ ذلك غير بعيد عن الصواب لشهرة التدمريين في رَمي السهام كما اوردناهُ في اخبار ملكة تدمر. طالع ايضًا Fraenkel : *Die aramäisch. Fremdw. in Arab.* في مادَّة «الزجاج»

الكتابة الثالثة

(عن تمثال عجوز. عند الخواجا س. ش)

אמתא	أَمتا
ברת	بنت
והבלת	وَهبلَّات

من خواصّ هذه الكتابة شكل احرفها الغريب لاسيما الالف في بدء السطر الاول والواو واللام في الثالث. وليس فيها اسم جديد فان أَمتا علَم مؤنث وارد في بعض الكتابات (راجع V. n^os^ 53, 45 وغيره) ومعناهُ أَمَةٌ (אמה = ܐܡܬܐ). واما وَهْبلَّات اي هِبة اللات او الإلهة فكثير الورود في العاديَّات التدمريَّة وغيرها ولا حاجة الى الاتيان بشاهدٍ عليهِ. (قابل ܡܘܗܒ ܐܠܗܐ و ܗܘܡܘܗܒ وعطاء الله=Adeodatus)

الكتابة الرابعة

(عن تمثال شابٍّ على كتفهِ الحُلَّة الرومانية (toge). عند الدكتور س. خ)

יר(?)ייבל בר	يَر(?)يعبَل بن
מזבכא	مزَبَّكا
ברוקא	(بن) بَارُوقَا (?) — ܚܘܩܐ
חבל	خبل

نظن ان في هذه الكتابة اسمين جديدين اعني بهما الثاني والثالث. امَّا الاول فمعروف وانما وضعنا علامة الشكّ على الريش (٦) لان هذا الحرف يُشبه كثيرًا الدَالَت

فاعول (ܡܗܡܘܢ). قابل ايضًا شكُّوم (JA. 1898², p. 102) و הדודן (ʻΑδδουδάνης = حدُّودان: V. n° 96 و Sachau, *ibid.*, p. 742 و הגודא حجُّوها (Jaussen : *Revue biblique*, 1897, p. 555) وغيرها

وامّا الكلمة الاخيرة فقلّما تخلو منها كتابة تدمريّة من الكتابات المختصة بذكر الاموات وهي للندبة ومعناها آه (φεῦ = hélas!)

الكتابة الثانية

(عن تمثال امرأةٍ في يدها زهرةٌ ووراءها ولد. في البيت نفسهِ)

?בי כרת	ـبّي بنت
ירחי בר	يَرحَي بَرْ (اي ابن = ܒܪ)
זגוג חבל	زجوج خبَل

اول حرف الكتابة لم يأتِ بكاملهِ في رسم الطبع. على ان بعض آثارهِ باقية وهي تشبه اللام او النون التدمريّتين. فان كانت نونًا فالعلَم معروف من كتابة اشهرها العلامة حضرة الاب شابو (Chabot) (١ وهو נבי اي نَبِّيْ او ܢܒܝ (Nabhai) بتركيخ الباء. ولعلَّ اصلهُ نبأَ يَنْبَأُ

ירחי علَم مذكَّر وارد في عدّة كتابات (طالع V : n^so 16, 90, 91 ، pp. 68-9 الخ) وصورتهُ اليونانيَّة Ἰαραῖος واصلهُ ירח (القمر). قابل في السريانيَّة اسم ܝܪܚܐ الذي معنــاهُ الشهر (القمريّ). وقد مرَّ بنا في مقالتنا على الزبّاء ان التدمريين كانوا يعبدون آلهةً عديدةً من اعظمها الشمس والقمر

امّا علَم זגוג فلم نعثر على ذكرهِ في الكتب التي بين ايدينـا. والمرجَّح انهُ ظاهر هنا لاوّل مرّة. لكنَّ معنــاهُ يعسر الاستدلال عليهِ. فان كان وزنهُ « فَعُّول » بتشديد العين على ما نظنّ(٢. فلعلّهُ مشتقّ من اصل ܙܓ الآرامي بمعنى صرَخ او طنَّ فيكون

ܢܒܝ (طالع .C I S [Corpus Inscript. Semiticarum] II n^os 118, 249, 252, etc). والبرهان على وجوب تشديد النون في « معني » صور هذا العلم في اليونانية وهي اربع اي Μαενᾶς , Με(ν)ναῖος , Μαεναῖος , Μαννaῖος. قيــل انهُ مشتق من לענה بمعنى اجاب الى دعاءٍ

١) J. A. 1897², p. 136

٢) انَّ الاعلام على وزن فَعُّول (ܩܗܘܠ) وان كانت نادرة الوجود في عاديَّات تدمر التي اتَّصلت الينا فهي مع ذلك واردة في بعضها (راجع V : n^os 15, 127, 128 ثمّ Sachau : ZDMG, 1881. p. 743 و Mordtmann : *Neue Beitr. z. Kund. Palmyr.* 1875. p. 18-20 في اسم נשום [Νασσούμ(ου)] و נצור [Νασσώρ(ου)] او Νασώρ(ου) على وزن

واماَّ العَلم الثالث اي ברוקא فلعلَّهُ جديد ايضًا وفي وجه اشتقاقهِ بعض الصعوبة لاننا لا نعرف يقينًا أهو عَلَم مركَّب من « بر » (ابن) و « وقا » او اسم مشتقٌّ من مادَّة « ب ر ق » . على اننا نفضِّل الوجه الثاني لوجود أعلام مذكَّرة متألفة من « ب ر ق » في التدمريَّة (مثلًا ברק W. 2016 Βορχαῖος, V. n° 76 (١) والعبرانية ברק بَارَاق (سفر القضاة ٤ : ٦ ,٨ الخ — ٥ : ١ ,١٢ الخ) (٢ . ولمعترض ان يقول : لا يجوز هذا الوجه لان لفظة « بن » لازمة في هذا المكان اذ قد ترجمنا الكتابة « يريعبل بن مزبكا (بن) باروقا » . جوابنا ان ذلك ليس ببرهانٍ . ففي اواخر الكتابات التدمريَّة كثيرًا ما ترى اسماء السلَف دون ذكر النسب . وهذه العادة اخذها التدمريُّون عن اليونان الذين يستغنون عن ذكر لفظة υἱός بتصريف العلَم المضاف اليها (٣ . وممَّا يصدّنا عن ردّهِ

Μεζαββάνας ومن غريب الامر ان מזבנא (مَزْبِنَا ؟) علَم مُؤنَّث ايضًا (راجع V.n° 105 و Simonsen : *Sculpt. et inscript. de Palmyre* (*Rev.* و ZDMG. 1885 p. 353 (Lagrange : *Rev. Bibl.* 1893 . قابل ايضًا מזבדא الذي لا شكَّ في قراءتهِ *Bibl. p.*, 118) p. 117) و « مزبد او مزبل او مزبر » (Mordtmann, p. 50 - 1)

١) ان اصل هذا العَلم نبطي او آراميّ لا ريب فيهِ . وهو مرسوم على كتابة موجودة في عُرمان من اعمال حوران

٢) لا نشكّ في ان لفظ العلَم التدمري (V. n° 76) هو عين لفظ ܒܪܩ (باراق) الوارد في البسيطة في المواضع المذكورة . ولا يخفى ان التدمريين كغيرهم من الآراميين لم يكونوا يرسمون علامة الفتحة المشبعة او المدّ في بطون الكلمات الَّا نادرًا . وهذه الملاحظة جديرة بان تحفظ لفهم كلامنا على هذا الاسم وغيرهِ

٣) ومع ذلك فلا ينكر ان عَلَمًا تابعًا لعَلَم آخر قد يكون لقبًا او كنية (طالع V. passim و Chabot, JA. 1897[2], p. 313) ولا محلّ هنا للقبِ . وان احبَّ احدٌ ان يحسب ברוקא كنيةً فعليهِ ان يفرض لها اصلًا نبطيًّا اي و ق ق وهو موجود في العربيَّة بلا مراء . فتكون صورة التركيب بر (ابن) وَقَّا او وَقَّان حسب لفظ النبطيين (قابل اسم ملكه צדק = ܨܕܩ CIS II. n° 156) غير ان كل ذلك يصعب التسليم بهِ لندرة الالقاب او الكنايات في كتابات تدمر وان وُجد شيءٌ منها فتعيينهُ مقيَّد بشروطٍ منها ترجمة الكتابة الى اليونانية او علامة أُخرى معنويَّة تدلّ صريحًا على ان الاسم لقب او كنية لا عَلَم محض . فنطلب الى علماء العاديَّات ان يفحصوا جميع الاسماء التدمريَّة فحصًا دقيقًا ليستخرجوا منهُ قاعدة عموميَّة تساعد على تمييز الأَعلام من سواها . وربَّما قد طرق هذا الباب العلَّامة ليدران Ledrain في كتابهِ المعنون Dictionnaire des n. pr. palmyr. غير انَّنا لسوء الحظ لم نقدر حتَّى الآن على مطالعة هذا التأليف الذي لا يزال مفيدًا مع قِدَم عهدهِ

(٦) في الخطّ التدمري. ولا يفرق بينهما عادةً الّا نقطة تُرسم احيانًا على الريش. وفي كتابتنا هذه نقطة فوق ٦ لفظة بَرْ (بن). على ان ذلك لا يكفي للجزم بان الحرف الثاني في السطر الاول هو ٦ لا ٦ لانَّ ريش السطر الثالث غُفلٌ منهُ ولا شبهة في قراءتها. بيد ان القراءة تصحّ على الوجهين (١ فان قرأتَ يَدِيعْبل (Ἰεδείβαλος) فمعناهُ: «الذي يعرفهُ (ܡܕܥ) الالهُ بَعل» (ܒܥܠܐ = ܒܠ = Bol الخ) (٢. امَّا معنى «يَريعبل» فمُبهم مع ورودهِ في بعض الكتابات. قال المركيز دي ڤوكويه (V.p.20) ان معناهُ Bel sectatus est اي «ادركَ بعل» ولكن لا ندري على اي سند بنى مزعمهُ

قلنا ان العَلَم الثاني جديد وزد على ذلك انهُ غريب للغاية. فان مادَّة «ز ب ك» عديمة الوجود في المعجمات الآراميَّة والعبرانية والعربيَّة التي في ايدينا. وانَّما ضبطناهُ «مَزَّبكا» (٣ لشبههِ باسم علَم آخر مذكَّر وهو Μεζαββανας (٤ الذي صورتهُ الارامية ܡܙܒܢܐ بتشديد البيت وتقشيتهِ ومعناهُ «المبيع او البائع» وهو اسم يليق بقوم تجار كالتدمريّين. وقائل يقول ان علَم كتابتنا هو هو ܡܙܒܢܐ. جوابنا على ذلك اننا ايضًا ارتأينا مثل هذا الرأي باديءَ البدء غير انَّ الرسم الذي في يدنا لا يسمح بذلك ما لم يُنسب الخطأ لناقش هذه الكتابة وذلك امرٌ مُحتمل فيكون من ثمَّ اسم ܡܙܒܢܐ قد ورد هنا لثاني مرة على صورتهِ الآراميَّة المذكَّرة (٥

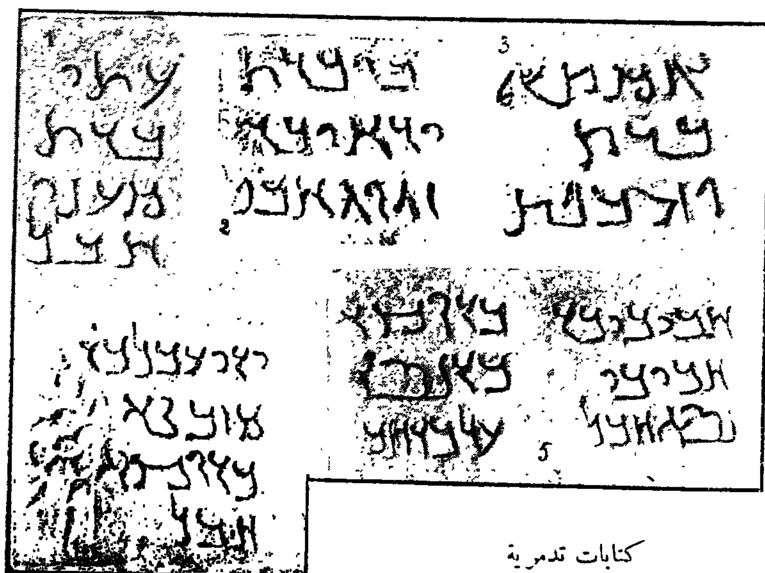
١) لا نظنّ ان حضرة الاب شابو قد اصاب بقولهِ ان يريعبل غير اكيد ومجهول الى سنة ١٨٩٧. فانَّ العلَّامة شرودر (Schröder) وهو قنصل المانية العام في بيروت قد برهن بادلَّة حسّيَّة ان هذه الصورة واردة حقًّا في كتابتين نشرها سنة ١٨٨٥ (ZDMG, p. 354-5, Taf. 4, 9,)

٢) ومثل هذا التركيب شيءٌ كثير في كتابات تدمر. قابل ايضًا בלידע (بَلْيَدَع) اي بَعْل يعرف او يُورِّق (JA. 1897². p. 332)

٣) لا شكَّ في انَّ هذا العلَم والعلَم الثالث يُختمان بحرف א مع شبههِ بحرف ה في الخطّ التدمري. ومن المعلوم ان استعمال الالف في اواخر الكلمات التدمريَّة اكثر شيوعًا من الهاء التي هي بلا مراء مأخوذة عندهم عن العبرانية

٤) الارجح ان توضع حركة هذا العَلَم قبل حرف β كما في Μεζάβανας الوارد في تاريخ زوناراس. فان هذه الصورة مع حذف التشديد فيها شأنَ تصرُّف الغربيين من السريان ولفظهم اقرب مشابهةً لِوَزن العَلَم الآرامي

٥) طالع Chabot, JA. 1897², p. 317-8 وهو مع ذلك يكتب Mezabana =



كتابات تدمرية

وِحنيان (222) وحَيَّان (227) وسِلْمان (294, 302) وهذا الاخير وارد في كتابات تدمر ايضًا الخ . وقابل حدُّودان المارّ ذكرهُ و אבר־עלבון (ابيغلبون) علَم عربي او نبطي (سفر الملوك الثاني ٢٣ : ٣١) و עלובו في كتابة نبطيَّة (ZDMG, 1860, p. 411)

(القسم الثاني) ليس فيهِ اسم جديد. فان « حبيبي » معروف من بعض كتابات وهو علَم نبطي الاصل (١. واما نسًا او نسا فقد مرَّ ذكرهُ مع شرحهِ

(ستأتي البقيَّة)

---

١) طالع Euting : *Epigr. Misc.* n° 40 . JA., 1898². p. 110 . ولفظ هذا العَلَم ليس « حَبِيْ » كما ظنَّ البعض بل حَبيبِي HABIBI كما ورد في كتابة لاتينية مكتشفة في رومية. وان فكَّرتَ في ورود اسم حبيبي مرَّتين متواليتين في كتابتنا رأيت انهُ لا تطابق تماماً رأي العلَّامة كلرمون غَنُّو (Clermont - Ganneau) الواسع المعرفة في عاديَّات الشرقيين. وقد ارتأى في مجموعهِ المشهور (Recueil d'archéol. orient. p. 211, 385) رأيًا عرضهُ على سبيل التخمين فقال انَّ الاعلام النبطيَّة المنتهية بالواو وهي عديدة كانت واوها تُلفظ ياءً في حالة الجرّ كمُقيمُو في الرَّفع ومُقِيمِي في الجرّ على مثال عمرٌو وعمرٍو. فكيفما كان واقع الامر عند النبطيين لا نرى صحَّةً لهذا الارتياء في ما يختصُّ بلفظ التدمريّين للاعلام النبطيَّة

الى « و ق ا » او « و ق ق » نُدرة الاصول الآرامية المبتدئة بالواو . وزد على ذلك انّ الالف في الالفاظ التدمريّة هي عين الف الاطلاق الآرامية . وما يُزيل اخيرًا هذا الافتراض ان اسم ברוקא ورد في بدء الكتابة التالية وهو هناك علَم شخصي محض

وامّا صورة هذا الاسم فالارجح عندنا انها على وزن ܦܳܥܽܘܠܳܐ (فاعول) الشائع في الآراميّة . وان صحّ ذلك فمعنى العلَم يكون « البارِق او البَرِيق » . ويجوز ايضًا برُّوقا على وزن ܦܰܥܽܘܠܳܐ الّا انهُ اقلّ ورودًا من الاول في السريانيّـــة (طالع حاشيتنا في وزن زجوج)

الكتابة الخامسة ولها قسمان

(عن تمثال شآبين محفوظ عند الخواجا ن . خ رأس البنائين او معلّم السلطان)

ברוקא	بارُوقَا		חבי־בי בר	حَبي ـ ي بن
בר נסא	بن نَسأ (او نَسا) (١		חבי־בי	حبيي
עלבן חבל	(بن) غلبان خبل		נסא חבל	(بن ؟) نَسَأ خبل

(القسم الاول) قد مر تفسير العلَم الاول . والثـاني معروف ولهُ صورتان נשא و נסא (١ (Reckendorf, ZDMG. 1888, p. 93 و V. n° 51 etc. وغيرهما) كما في كتابتنا وفي تأليف العلّامة اوتنك (Euting : *Epigraph. Misc.* 1885. n° Chabot, JA. 1898², p. 91-2 و 103) وهو علَم مذكّر معناهُ بالتقريب « رفع (الله) » . ومثل هذه التراكيب عددٌ وافر في الاسفار الكريمة . وامّا العلَم الثالث ونظنّهُ جديدًا فيمكن ان نحسبهُ لقبًا او علَمًا قُدّرت قبلهُ لفظة « ابن » على ما مرّ ولا نشكّ في ان اصلهُ غ ل ب وهو موجود في الفرع الآرامي كما في العربي (٣ والراجح عندنا ان صورة هـــذا العلَم نبطيّة اي « غِلْبان » على مثال عِمران ومَعنان او معنّان = ܡܥܢܢ (CIS, II, n° 114) وعلان وسبعان (ibid. n° 113) وكَهلان ووأدان (n° 206) (٤

١) قابل Νέσας (W. n° 2578) او Νέσης (n° 2589)

٢) ولفظهُ نَسَأ بالتقريب . راجع الجدول في افتتاح المقالة

٣) لا تَنْسَ ان حرف ע يمكن ان يناسب حرف غ (راجع الجدول)

٤) قابل بين وأدان و ודדא (وَايْدَا) عَلَم مذكّر تدمري Chabot, JA. 1897² p. 316

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(ص ٢٩) اخبرني الشيخ المهذب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك السلميّ الرّقي قراءة عليهِ بمدينة السلام في سنة ٥٥٣ (١١٥٩م) فاقرَّ بهِ. قال اخبرني الشيخ ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي قراءة عليهِ يوم الخميس لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من سنة ٥٣٢ (١١٣٨ م) فاقرَّ بهِ. قال: اخبرنا الرئيس ابو علي محمَّد بن سعيد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب بقراءتي عليهِ فاقرَّ بهِ في ٤٩١ (١٠٩٨م). قال اخبرنا الرئيس ابو الحسين هلال بن الحسن الكاتب قراءة عليهِ وانا اسمع فاقرَّ بهِ في صفر ٣٢٥ (٩٣٧ م). قال اخبرنا ابو بكر محمَّد بن السريّ السرَّاج النحوي قال اخبرنا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكّري قال اخبرنا ابو الحاتم سَهل بن محمد السّجستاني وابو الفضل العبَّاس بن الفرَج الرياشي قالا: قال ابو زيد سعيد بن اوس الانصاري:

صفة اللبأ واللبن

العرب تقول في صفة اللّبإِ (مهموز مقصور): (اللِّبَأ (١) ولَبَأْتُ الناقةَ(٢ واكثر ما يكون ثلاث حلَبات واقلُّهُ حلبة". (والمُفصِح) يقال: أَفصَحَتِ الناقةُ وافصح اللبنُ إِفصاحًا اذا انقطع وأخلص. وهي (الرُّمْثة)(٣ تنزل في الضرع بعد الحلب. يقال أرمثتُ ورمَّشتُ في ضرعها رُمثةً والجمع الرُّمَث. وقال بعضهم (العُفافة) ان تُترك الناقة على الفصيل بعد ما ينقص ما في ضرعها فيجتمع لهُ من اللبن فواقًا خفيفًا. (والعُلالة) ان تكون الناقة تُحلب في اول النهار وآخرِهِ فيحلبها في وسط النهار فتلك الوُسْطى هي العلالة وقد يُدعينَ كلهنَّ علالة. (والدَّوْق) اللبن الكثير. قال ابو حاتم: لعلَّهُ فارسي معرَّب يريد الدَّوْغ. لم يعرف الرياشي الدَّوْق. (والإِدْل) الخاثر الشديد الحموضة. (والكَثْء) فَعْل (مهموز اللام) اللبن. ويقال للحلب غُدوةً صَبوح (ص ٣٠) وعشيَّةً غَبوق. ويقال للّبن اذا حفل في الضَّرع (صرًى) ولا يُدعى صَرًى الَّا وهو في الضرع. الرياشي: صَرًى وصِرًى لُغتان. اخبرني ابو عبيدة عن يونس (الفَواق والفُواق) الدرَّة بعد الحلب حُلبت على درَّتها وان لم تُحلب فربَّما عجّلت وربَّما أخرت. (والفِيقة)

١) اللّبأ اول اللبن في النتاج ٢) اي احتلبتُ لِبأها
٣) الرُّمْثة بقيَّة في الضَّرع

كتاب اللّبأ واللّبن

تأليف ابي زيد سعيد ابن اوس الانصاري

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

المقدمة

لابي زيد بين اللغويين مرتبةٌ عليا شوَّقت ادباء عصرنا الى البحث عن مآثرهِ اللسانيَّة. وهذا ما حدا جناب اللغويّ البارع المعلم سعيد افندي الشرتوني على نشر كتاب نوادر ذلك الامام في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٩٤ عن نسخةٍ وجدها عند القانوني الشهير جرجس افندي صفا فعرف المستشرقون هذه الخدمة الجليلة وقدّروها حقّ قدرها

وقد اطَّلعنا منذ سنتين في المكتبة الخديويَّة على اثر آخر لأَبي زيد وهو سفر صغير لا يتجاوز الصفحتين يُدعى «كتاب اللبأ واللبن» وجدناهُ في المجموع (١ الذي نقل عنهُ الدكتور اوغست هفنر كتابين سبق نشرهما في المشرق(١: ٣٤ و ٤٠٦ الخ) وهما كتاب الدارات وكتاب النبات والشجر للامام الاصمعي. والمجموع المذكور يحتوي على عدة فصول لغويَّة جليلة منها كتاب الشاء الذي قام بطبعهِ في ڤينَّة الدكتور المذكور وكتاب المُداخَل لابي عمر المعروف بغلام ثعلب وكتاب البئر لابن الاعرابي وكتاب الأشربة لابن قتيبة وكتاب التشابه للامام ابي منصور الثعالبي بيد انَّ الاصل مشوَّه باغلاط عديدة لا بُدَّ لاصلاحها من نسخ اخرى حسنة الضبط. امَّا كتاب اللبأ واللبن الذي نتولَّى اليوم نشرهُ فهو الفصل الرابع من هذه المجموعة (ص ٢٩ — ٣١) وقد راجعناهُ على المعجمات الكبرى لئلَّا تذهب فائدتهُ بما وقع من السهو في النسخة الاصليَّة. سبحان من لم يَشِنْ كمالهُ نقص ولا خلَل

---

١) راجع الجزء السابع من فهرست الكتبخانة الخديويَّة ص ٦٥١ المجموعة ١٦٦

قد خثَر خثورًا. (والهَجِيمَة) الخاثر من ألبان الشاء. (والدُّوَايَة) تكون على ظهر اللبن شبه الخِرْقة قال:

أَينْ لي يا كَعابُ اذا كُعوبٌ اصمّ قناتهُ فيها ذبولُ
أَحبُّ اليك ام عُسٌّ مُدَوّ نشافهُ اذا جنح الاصيلُ

(والشَّهاب) مثلُ (السَّمار) ومثلهُ (الأَوْرَق). (والنَّهيدة) الزُّبدة العظيمة. (والصريف) الحلب الطريّ الذي يصرف عن ضرع الناقة الى المنزل. وقالوا (الرائب) الذي قد مُخض وأُخرجت زبدتهُ. وهو (المظلوم) وانمَّا سُمّي مظلوماً لانهُ يخرج قبل ان تخرج زبدتهُ ويُشرب ويُؤكل قال : [واهون مظلوم سقاءٌ مروَّبُ] وقال :

لا يعلم الوطب لابن العمّ يصحبهُ ويظلم العمّ وابن العمّ والخالا

ومن اللبن (الفاثئ) مهموز وهو الذي يُغلى حتى يرتفع لهُ زبد وينقطع عن التغيير وقد فثأَ يفثأُ فَثأً. (والبَثْنِيَة) الزبدة. تمَّت صفات اللبأ واللبن لابي زيد والحمد لله تعالى

العُقَد

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تتمَّة لِما سبق)

١ً (الُخارجة) هي ان يُخرج هذا من اصابعهِ ما شاء والآخر مثل ذلك اشارةً الى عددٍ يُريد كلّ منهما التصريح بهِ على خطَر يتوقّع احدهما الحصول عليهِ. امَّا كيفيَّة إجراء هذا الحساب فهي ان تُجمع الاعداد التي اشار اليها كلٌّ من المتخارجَين وان يأخذ احدهما بان يُلقي الأَفذاذ من الاعداد الى مَن تمَّ الاتفاق ان تُلقى اليهِ والمزدوجةَ الى الآخر. والذي ينتهي عندهُ العدد يحقّ لهُ ان يأخذ الرهن. مثال ذلك: وضع زيدٌ عشرين درهمًا وعمرو مثل ذلك المبلغ ثمَّ وقع الاتفاق بينهما على ان تُلقى الاعداد الفذَّة الى زيدٍ والمزدوجة الى عمرٍو. وعلى إثر هذا العَقْد تخارجا في هُنيهةٍ واحدة فاخرج زيدٌ من اصابعهِ ما يُشير الى ٦ واخرج عمرو منها ما يشير الى ٣ ثمَّ جُمعت الكميَّتان فجاء عنها ٩ ولمَّا كانت الأَفذاذ لزيد والمزدوجات لعمرو فلا غرو ان العدد يفنى عند زيد الذي يقع عليهِ الخسا الاخير. وعليهِ فهو الذي يأخذ الرهن. هذا ولا تقع الخارجة بين اثنين فقط بل بين كثيرين. وحينئذٍ بعد ان تجمع الاعداد تُقسم على مجموع اللاعبين ثم تُلقى الفضلة على كلّ منهم والذي ينتهي عندهُ

ايضاً والفُواق قدر ما بين المغرب الى العشاءِ . ومن اللبن (الحَلَب) وهو المَخض وهو ما لم يُخالطهُ ماء . ومنهُ (الصَّريح) وهو ما ذهبت رغوتهُ . وهي (الجُفالة والثُّمالة) للرغوة . قال اعشى بني عُكل :

وان لم تقدّر خُمْرةً من ثُمالها فانَّك عن ألبانها سوف تسمنُ

ومنهُ (النَّسْء) مهموز على تقدير الفعل وقد مدَّها بعضهم . وهو الحليب يخلطهُ الماء ويقال (نَسَأْتُ) اللبنَ أنسأهُ نَسْأً وهو (المَذيق والسَّمارُ والضَّيح والخَضَارُ والسَّجاج) . (والفَضح) الذي قد ذهبت رُغوتهُ . ومنهُ (الغَريض) وهو مثل الحليب في السقاء . ومنهُ (السَّامط) وهو الذي يصوّت في السقاء من طراءَتهِ وخُثورتهِ وخَثْرهِ ايضاً . (والخامط) الطيّب الريح . يُقال : ما اطيب خَمْطَتهُ . (والقَارص المُطَعِم) الذي قد اخذ طعم السقاء . (والماضِرُ) الذي بين المُمَحَّل والقارص وهو (المَضِير) . ومنهُ (المُمحَّل والسَّمَلَّج) وهو ما حُقن في السقاء ولم يأخذ طعماً . وهو (العُماهج) ايضاً . ومنهُ (العُكَلِط والعَثْلِط) وهو (الخاثر) وقد خثَر يخثُر خُثوراً . ومن اللبن (الرَّثيئَة) وهو ان يحلب على الحامض فيخثر . وهو (الهُدَبِد) ايضاً . وهو (المُوتَلِخ) واتَّلخ اتّلاخاً . ومنهُ (المُثْمِر والمَغِير) الشديد الحموضة الى المرارة . (والصَّقْرة) مثلهُ . ثمَّ الحامض هو (الحازِر) ثمَّ (الحازِر) وهو اشدّ حمضاً من الحامض . (والعاتك) مثل الحازر . (والعَرِق) الخبيث الحمض . (والقاطع والحاذق) مثلهُ . (والباسل) مثلهُ . (والصَّرَب) مثل العَرِق ايضاً . ويُقال : قد (خَثَر) اللبن (وامْذَقَرّ واخْتلفَ وتفلّق) وذلك اذا تقطّع من الحموضة . (والحَقِين) ما أُدخل في السّقاء اذا كان حليباً وحامضاً . (والضَّريب) ما حُلب من عدَّة لقاح ثمَّ خُلط وضُرب بعضهُ ببعض . ولا يقال ضريب لأقلّ من لبن ثلاث أينُق . ويقال ضريب ايضاً اذا حُلب من الليل ثمَّ حلب عليهِ من الغد فيضربهُ . (والضَّهْل) ما ضهَلَ اي تجمَّع في السقاء او الضَّرع من اللبن ضَهَل يَضهَلُ ضهولاً . (والعَكِيس) أن يُخلط اللبن بإهالةٍ او مرق . وما يُحلب من اللبن على التمر ثم يُمارث بهِ فهو (الصِقَعْل) . ويُقال للبن المَذيق (ضَيحٌ) . و (الخَضَار والثُّمال) الذي ماؤهُ اكثر من حليبهِ . (والقَطِيبة) ان يُخلط لبن المعز بلبن الضأن وهي (النَّخيسة) ايضاً تدعى النخيسة اذا حمضت . وكلّ ممزوجٍ قطيبٌ . ويقال : رحيق قطيبة . والخاثر المُفلّق

٤ً امّا (المناهدة) فهي كذلك الّا انها مخصوصة بما يُخرجهُ السفر من النفقات عند الغزو أو الزحف على العدوّ او لايّ غاية كانت. وهذه الحروف كلها وان كانت مفيدة بعض المعاني فانها كثيرًا ما تحلّ من هذا القَيد فتُطلق على كلّ ما يقرب من معناها من باب التوسُّع ولهذا تترادف وتتعاقب

امّا اذا سألت: ولِمَ اهمل اللغويون شرح هذه المادَّة شرحًا وافيًا؟ — قلنا: انهم اكتفوا بالتلميح عن التصريح وبالشهرة عن التوضيح. وهم كثيرًا ما يفعلون هذا الفعل في الالفاظ المشهورة المألوفة. فيجتزئون بقولهم «معروف» عن ذكر التفصيل. ولمّا كانت هذه اللفظة مشهورة الاستعمال في زمان المؤلفين عند الحضر واهل الوَبَر والمدر اضربوا عن شرحها او اشاروا الى معناها من طرفٍ خفيّ

واذ قد وَثَّرنا ذلك جاز لنا الانتقال الى ذكر قصيدة العُقد. وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

العُقَد

قال الشيخ الامام شمس الدين محمَّد بن أحمد الموصلي الحنبلي ناظمًا ما اصطلح عليهِ القُبْطيون في بيان العدد بوضع الانامل على كيفيَّاتٍ مخصوصةٍ واستعملتهُ العرب ايضًا:

بحمدك يا ربَّاهُ ابدأُ اوّلا	فما زلتَ اهلًا للمحامد مُفضلا
وأُتبع حمدي بالصلاة على الرضا	ابي القاسم المهديّ خير من أُرسلا
ومن بعد هذا ايها السائل استمعْ	حساب اليدِ اذ عنهُ سَلتَ مفصّلا
ففي عدد الآحاد يا صاح أفردنْ	ليمنى يديك أعلم وايَّاك تجهلا (١
(فللواحد) اقبضْ خِنصرًا ثمّ بنصرًا	(للاثنين) والوسطى كذاك التكمّلا (٢

١) اي اعلم باديءَ بدءٍ انهم افردوا اليد اليمنى للدلالة على الآحاد

٢) اي اذا اردتَ ان تدلّ على (الواحد) فابسط جميع اصابع اليد اليمنى وضمّ طرف الخنصر الى الداخل. واذا اردتَ ان تدلّ على (الاثنين) فضمّ طرف البنصر وضمّ طرف الوسطى ايضًا ان اردتَ ان تدلّ على (الثلاثة)

العدد يأخذ الخطر . والمخارجة هي كما ترى نوع من القامرة ولهـذا يُسمّيها اهل البادية عندنا بالمقامرة ايضاً

وقد رأيتُ بعضاً من ولدان اهل البادية يتخارجون على طريقة أُخرى وهي: يقف اثنان كل واحد بازاء صاحبهِ ويدهُ اليمنى وراء ظهرهِ او تحت ابطهِ او امام صدرهِ ثمَّ يظهرانها في وقتٍ واحدٍ وقد أَخرج كلّ منهما طائفة من الاصابع لا تتجاوز العشرة من الاعداد . وبذاك الوقت عينهِ يصرخان معاً بعــددٍ من الاعداد يدلُّ على مجموع الكمّيّتين والصائب يأخذ الرهن . وهذا النوع من المخارجة يكون ايضاً بين جمـاعة عديدةٍ من اللاعبين . وهذه الطريقة معروفة من عهد المصريين القدماء . وقد وُجد نقشٌ على احد القبور يُمثّل مصريَّين يتخارجان . وكذلك كان يعرفها قدماء الرومان واليونان والفعل « تخارج » يقابلهُ عند الفرنسيين: jouer à la mourre وعند الرومان micare (s. e. digitis) ومنهُ الكلام المأثور عن شيشرون dignus est, quicumque in tenebris mices ومعنـاهُ : انهُ لجدير ان تخارجهُ في الظلمة . ومحصل المعنى : انهُ مشهور بالاستقامة والقسط

والمخارجة على هذا الوجه شائعة في يومنا هـذا في بلاد ايطالية كلها وبالاخصّ في نابولي . وكذلك في بعض انحاء العراق وجزيرة العرب . وامَّا على الوجه الاوَّل فانها فاشية في جميع بلاد العرب وفي كافَّة العراق والجزيرة

٢ً امَّا (المُقارعة) عندهم قديمًا وحديثًا فهي كالمخارجة الَّا انَّ غايتها الاقتراع على حصص مختلفة الجنس او الكمّيَّة او المقدار وهي معروفة بهذا الاسم عندنا الى يومنا هذا . وذلك مثلًا اذا دخل جماعةٌ من الفلّاحين بستانًا جديدًا ركض كلٌّ منهم الى ما يحتاج اليهِ من الادوات غير انَّهُ يتّفق انَّ ما يريدهُ هذا يريدهُ ايضًا اثنان او ثلاثة او اربعة فيقع الخصام بينهم وحسمًا للمسأَلة يلجأُون الى المقارعة . وبعـد ذلك لا يجوز لاحد ان يستأنف اللَّدَد لانهم يعتبرون المقارعة بمنزلة واسطة ينطق بها الله عزَّ وجلَّ . ولا يحقُّ لاحدٍ ان يختصم بعد ذلك والّا عوقب اشدّ العقاب او ربَّما قُتل غيـلةً عند سنوح الفرصة

٣ً امَّا (المُساهمة) فهي نفس المُقارعة لكنَّها مخصوصة باقتسام الحصص في تركةٍ او ارثٍ او شركةٍ او نحو ذلك

وفي (التسعة) الوسطى اضمُمَنْ معها وفي جميع الآحاد افعلن ذا وان علا (١
وفي (عشرةٍ) مع عَقْدِ الابهام فاستمع تُحلّق رأسًا للمسبِّحة أفعلا (٢
وللظفر من ابهامك اجعلهُ بين اصبعيك هي (العشرون) فاعامهُ واعملا (٣
وما بين رأس للمسبِّحة أجمعنْ ورأسٍ للابهام (الثلاثون) حُصِّلا (٤
وان تركب الابهام يا صاح فاحتفظ لسبَّابةٍ (للاربعين) مُكمَّلا (٥
وإبهامَك أجعلْ تحت سبَّابةٍ اذا تعمَّدتَ (للخمسين) فاحفظ تكملا (٦
وتُركِب الابهام المسبِّحة استمع كقابض سهم وهي (ستون) أحملا (٧
وعدّك (للسبعين) في بطن ثالث لسبَّابةٍ ابهامك اعقلهُ تحملا (٨
والابهام من تحت المسبّحة اجعلن بنا نًا على ظفرَيْ (ثمانين) أكملا (٩
وفي عدّ (تسعين) المسبّحةَ اقبضنْ لما بين إبهام وما بينها أجتلى
وإبهامك اجعل فوقها مثل حيَّةٍ تروم وثوبًا (١٠ (والمئِين) ألا أجعلا

---

١) اي وكذلك تفعل لعدّ (التسعة) الَّا انك تبدل البنصر بالوسطى

٢) معنى تُحلّق تُدير كالحلقة. ومعنى المسبّحة السبَّابة اي الاصبع التي تلي الابهام. وسُمّيت كذلك لانَّ المسبّح يُشير بها وهي من اصطلاح المولّدين. ومحصّل البيت هو: ان اردت ان تُشير الى (العشرة) فأدِر كالحلقة رأس السبَّابة مع طرف الابهام وأطلق سائر الاصابع

٣) اي ويُشار الى (العشرين) بان تُدخل الابهام بين السبَّابة والوسطى بحيث يكون ظُفر الابهام ما بين العقدتين من وسط السبابة

٤) اي ويُدلّ على (الثلاثين) بان يجعل ما بين باطن طرف الابهام فوق باطن طرف السبَّابة بحيث يكون بين ظفريها بُعدٌ لئلا تشتبه بالعشرة

٥) اي ان اردتَ ان تُشير الى (الاربعين) ألوِ الابهام حتى تضع باطن طرفها على ظهر طرف السبابة

٦) اي (للخمسين) تجمع الابهام تحت السبابة لا غير

٧) اي يُشار الى (الستين) بان تبسط الابهام والسبابة وتضمّ باطن احداهما الى باطن الاخرى كقابض سهمٍ

٨) اي وتُعدّ (السبعين) بان يُجعل طرف ظفر الابهام بين العُقدتين من باطن وسط السبَّابة ويُلوى طرف السبَّابة عليها

٩) اي ويُدلّ على (الثمانين) بان تُلصق الابهام بالسبَّابة من تحتها

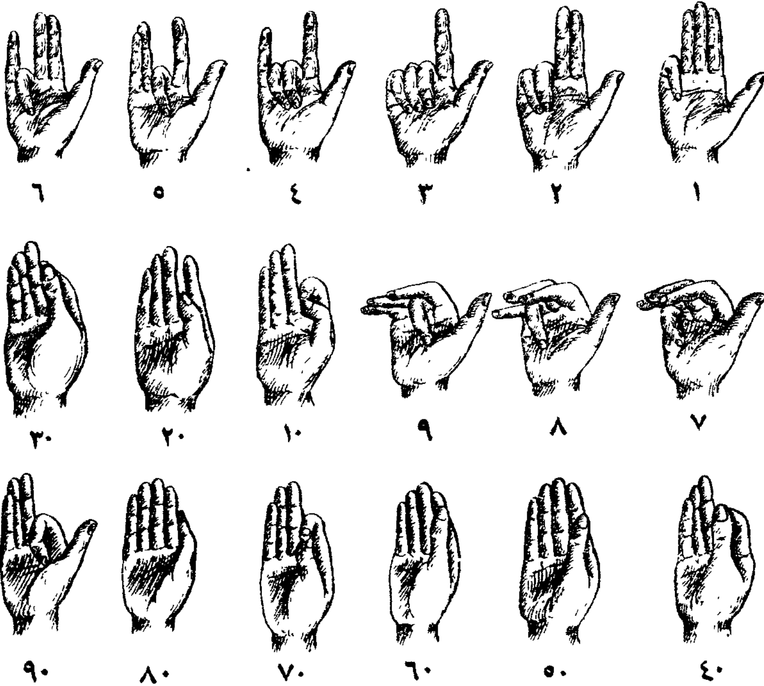
١٠) اي وتُعدّ (التسعون) بان يُضم طرف المسبّحة الى اصلها ضمًّا محكمًا حتى تنطوي العقدتان اللتان فيها وتصير هيئتها هيئة حيَّة تروم الوثوب

بعدَ (ثلاثٍ) ثمَّ للخنصر أرفعا (باربعةٍ) والبنصر (الخمسة) أكملا(١

وفي (الستَّة) اقبضْ بنصرًا دون كلها على طرفٍ للراحة اسمعهُ وانقلا (٢

وفي(السبعة)اقبضْ تحتَ الإبهامِ خنصرًا وفي طرفٍ للراحة القبضَ فاجعلا

وللبنصر ارفع ثم في (الثامن) اضممنْ الى خنصر في القبض للبنصر اعقلا (٣



صورة العُقَد اي الحساب باصابع اليد

١) اي ان شئت ان تعدّ (الاربعة) فارفع الخنصر والبنصر وأَبقِ الوسطى والبنصر مضمومتين. وان اردتَ (الخمسة) فارفع الخنصر والبنصر وأَبقِ الوسطى وحدها مضمومة

٢) اي ان احببتَ ان تُشير الى (الستة) فاقبض البنصر دون كلّ الاصابع على طرف الراحة اي ضمَّهُ وحدهُ

٣) اي وفي عدّ (السبعة) اطوِ العقدة السفلى من الخنصر وحدها حتى يصل طرفها الى الضرَّة وهي اللحمة التي تحت الابهام ومدّ اطراف الثلاث الى الداخل مع اطلاق الابهام . وكذلك افعل في عدّ (الثمانية) الّا انك ترفع الخنصر وتعقل عوضهُ البنصر

فيهِ رعاياهُ عن اتخاذ المطبوعات (١ وجدَّد السلطان الغـازي سليم الاوَّل امر ابيهِ سنة ١٥١٥. على انَّ هـذا الحكم لم يكن الَّا موقَّتًا وانتشرت الطباعة في دار السعادة برخصة أُولي الامر

وكان اوَّل من سعى بانشاء مطبعة في الاستانة العليَّـة يهوديٌّ عالم يدعى الرَّبي اسحق جرسون قدم الشرق لينشر بين اهل مِلَّتِهِ الكتب المطبوعة ويغنيهم عن المخطوطات التي لم يُحصل عليها الَّا بالمشقَّة لندرتها. وتاريخ هذه المطبعة يرتقي الى اواخر القرن الخامس عشر. وكانت حروفها عبرانيَّة وقد طبع اصحابها بعض الكتب العربيَّة بالحرف العبراني

وهذه المطبعة الاولى في الشرق ادَّت للآداب العبرانيَّة خدمةً جليـلة مدَّة ثلثمائة سنة ولو اردنا إثبات قائمة الكتب العبرانيَّة التي نُشرت في الاستانة لطال بنـا الكلام واورث ذلك سأمًا للقرَّاء. فانَّ عددها ينيف على مئة كتاب في جميع الفنون لكنَّ الاغلب عليها العلوم الكتابيَّة وشروح الاسفار الالهيَّة وهي كلها لعلماء الربانيـين من قدماء ومحدثين. وممَّا ساعد على ترقّي هذه المطبعة في الاستانة نفوذ بعض اليهود عند ذوي المنـاصب وكان بينهم نُطُس الاطبَّاء وعظام التجَّار. واوَّل كتاب طبعهُ الرَّبي جرسون في دار السعادة يرتقي عهـدهُ الى سنة ١٤٩٠ م وهو ملخَّص تاريخ اليهود ليوسيفوس بن كريون (٢. ثمَّ تعدَّدت هذه المطبوعات العبرانيَّـة وانتشرت بين العلماء ودونك بعض اسمائها بالعربيَّة مع تاريخ طبعها: شرح سفر استير لاسحاق جرسون (نحو ١٤٩٥). كتاب رأس الايمان للعلامة اسحق ابرابنيل (١٥٠٥) مجموع امثـال قديمة بالشعر لاسحاق صهلة (١٥٠٦). التلمود الصغير لاسحاق بن يعقوب الفاسي (١٥٠٩). مختصر الشرائع لاسحاق بن كربيل (١٥١٠). مُعجم ناتان بن يحئيل (١٥١١). ومعجم داود كمخي (١٥١٣). ومجموع شروح للرَّبانيين(ר״ב״ת) على اسفار التوراة (١٥١٢). وقد طُبع في الاستانة نحو خمسة عشر شرحًا على التوراة كلُّها لمشاهير علماء اليهود كشروح يعقوب بن اشر (١٥١٤) وابراهيم صبـا الاشبوني (١٥١٤) وشرح ابراهيم بن يهوذا المتطبب (١٥٢٧) وكتاب المشنة لموسى بن ميمون الكاتب الشهير (١٥٠٩). هـذا

(١ راجع Notices et Extraits des Mss, I, 1787 p. XXVIII

(٢ راجع معجم الدكتور روسي D^er G. B. de Rossi: *Dizionario degli Autori Ebrei* I, 149

بيسراك كالآحاد يا ذا العـلوم من ... عينك فاحفظهُ واياك تعدلا (١
كذا العشَرات من عينك انها ... بيسراك يا هذا (أُلوفٌ) على الولا (٢
(وعشرة آلافٍ) لابهامك اجمعن ... وذلك مع سبَّابةٍ يا أَخا العلا
بيسراك وأمهدْهُ كحلقةٍ أستمع ... اذا طُويتَ والرأس فاجعلهُ أسفلا (٣
وقد نجزت والحمد لله وحدهُ ... مُيسّرةً تَبغي اخاً مُتفضِّلا
يُسامحها فيما يرى من عيوبها ... فما احدٌ عن ذاك يا صاح قد خلا
فخذها عروساً قد سمت شمس ضحوة ... وبدر دياجٍ قد بدا متهلّلا
فان تمتنع كالبكر عند امتناعها ... على بعلها عند الزفاف تدلُّلا
فصفّ لها ذهناً غزيرًا مجوّدًا ... وغُص في بحار الفكر ثمَّ تأمَّلا
ترى لمعانيها بزوغاً ككوكبٍ ... ويأتيك منها العلم والفضل مُقبلا

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الاستانة العلية

ذكرنا في مقالتنا السابقة (المشرق ٣: ٧٨) تاريخ اكتشاف الطباعة وانتشار هذا الفنّ في اوربّة وألمعنا الى ما طبعهُ العلماء المستشرقون من التآليف الشرقيَّة الجليلة لاسيما العربيَّة الى اوائل القرن التاسع عشر. واليوم نستأنف الكلام في هذا الموضوع المفيد ونبحث عن دخول الطباعة في المشرق فنقول:

انَّ القسطنطينيَّة سبقت غيرها من عواصم الشرق الى هذه الصناعة الشريفة. لكنَّ سلاطين آل عثمان العظام لم ينظروا في اوّل الامر الى المطبوعات بعين الرضى وانّما كانوا يخافون ان يعمد اصحاب الغايات الى الكتب الدينيَّة فيحرّفوها ويشوّهوها بالتزوير. وذلك ما حمل السلطان بايزيد الثاني سنة ١٤٨٥ على ابراز حكم عالٍ نهى

١) اي كما ان اليد اليُمنى موقوفة للآحاد فاليُسرى موقوفة (للمئين)

٢) اي انَّ ما يدلّ على العشرات في اليد اليمنى فهو يدلُّ على (الالوف) في اليد اليسرى والعَقْد في الاصابع واحد

٣) اي ويشار الى (عشرة آلاف) بان تجمع ابهامك الى سبَّابتك من اليد اليسرى بحيث يتألّف منهما شكل حلقةٍ

انّ الطباعة العبرانيّة لم تنحصر في الاستانة بل نقل اليهود هذا الفنّ الى غيرها من المدن لاسيما سالونيك فانّنا نجد فيها مطبعة عبرانيّة في اوائل القرن السادس عشر. ومنها برزت كتب دينية وعلمية منها خطب مدينا بن صموئيل سنة ١٥٢٠ ومجموع في الطب سنة ١٥٩٦ وغير ذلك

امّا الطباعة بالحروف العربيّة فقد ظهرت في دار السعادة على عهد السلطان الغازي احمد الثالث في العشر الثاني من القرن الثامن عشر والفضل في ذلك عائد الى محمد افندي چلبي المعروف بالثامن والعشرين (يكرمي سكز) والى ابنه سعيد افندي وكان كلاهما من ذوي المدارك السامية والهمم القعساء اطّلعا في باريس ايّام سفارة محمد افندي على منافع الطباعة فاحبّا ان يتحفا بها دار الخلافة. فلمّا عاد سعيد افندي الى الاستانة اخذ يسعى في إخراج مشروعهِ الى حيز الوجود فتذاكر مع ارباب الدولة واجتذب الى رأيهِ اصحاب المعارف والفنون واجتمع بالصدر الاعظم ابراهيم باشا صهر الذات الشاهانية من مشاهير رجال ذلك العصر فصادق على نيّاتهِ وساعدهُ على تحقيق امانيهِ. ثمّ كتب سعيد افندي تقريرًا رفعهُ الصدر الاعظم الى الباب العالي فلم يلبث ان يصدر الفرمان الشريف مرخّصًا بطبع كلّ الكتب اللهمّ الّا كتب التفسير والحديث والفقه والكلام. وكان سبق شيخ الاسلام عبد الله افندي فافتى باجراء ذلك (١ سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٢ م)

ولقي سعيد افندي في الاستانة رجلًا مجريّ المولد والمنشأ نصرانيّ الدين كان اسلم وتخصّص بخدمة الدولة العثمانيّة يدعى ابراهيم اغا (٢ وهو من اصحاب الذكاء والتفنن عارفًا بالفنون والصنائع ماهرًا بالطباعة. فخابرهُ سعيد افندي وبذل كلاهما جهدهما في تأسيس المطبعة وجلب آلاتها وسكب قوالب حروفها

فلمّا اصبحت المطبعة تامّة الاهبة كاملة الادوات اخذ اصحابها في نشر الكتب التي كان العلماء في حاجة ماسّة اليها. واوّل كتاب طُبع في هذه المطبعة هو صحاح

١) راجع المجلد الاول من تاريخ جودت ترجمة صاحب السعادة عبد القادر افندي الدنا (ص ٨١–٨٤). وتاريخ الدولة العثمانيّة لهامر پرغشتال Hammer — Purgstall : *Hist. de l'Empire Ottoman* XIV, 197

٢) ويعرف ايضًا بابراهيم متفرّقه لراتب نالهُ (متفرقه دركاه عالى) من الدولة

فضلًا عن شروح مفردة لكل سفر من الاسفار الالهيَّة كشرح سفر ايوب لاسحاق كوهن (١٥٤٥) وشرح الجامعة لصمويل اربول (١٥٨٦).وشرح المزامير لابراهيم حانيم (١٧٥٠) . ومن مطبوعات القسطنطينية التي حازت شهرةً عظيمة كتاب التوراة العبرانيَّة مع شروح الربّي انكلوس (Onkelos) الشهير والترجمة العربيَّة لسعدي (او سعيد) الفيومي من ادباء القرن العاشر للمسيح والترجمة الفارسية للطوسي. وكلُّ هذه النصوص الاربعة بالحرف العبراني طُبعت في الاستانة سنة ١٥٥١

وقد ابرز يهود الاستانة كتبًا اخرى ادبية كديوان ابن ازرع بالعبرانيَّة ومقامات يهوذا الحريزي من كتبة القرن الثالث عشر اتّبع فيها طريقة الحريري (١٥٤٠). وديوان ابن جبرول (١٥٤٥) وهو الفيلسوف الشاعر الشهير المتوفّى سنة ١٠٧٠ م. وديوان عمّانويل بن سليمان (١٥٣٥) وكتاب מרפה לשון اي مقوّم اللسان في اللغة العبرانيَّة لحبيب موسى (نحو ١٥٠٨). هذا الى تآليف مختلفة في الفقه والتاريخ والطب والجدل نضرب عن ذكرها صفحًا. وما لا مِرْية فيهِ انَّ هذه المطبعة العبرانيَّة لم تزل تغني الآداب بمنشوراتها الى اواخر القرن الثامن عشر . وقد طبعت شيئًا قليلًا من تآليف الموسويين بالعربيَّة كبعض رسالات لابن ميمون وترجمة التوراة للفيومي كما مرَّ لكن هذه المصنَّفات لم تُطبع بحرف عربي. وعليهِ ترى انَّ ما كتبهُ صاحب الهلال (٦: ٢٥٢) عن اوائل الطباعة العربيَّة في الاستانة لا يكاد يُشتمّ منهُ رائحة الحقّ حيث يقول:

« ويظهر انَّ الطباعة العربية انتقلت الى الاستانة اولاً والدليل على ذلك انَّ التوارة العربية طُبعت طبعتها الاولى في الاستانة عام ١٥٥١ طبعها بعض الاسرائيليين وهي ترجمة سعيد الفيومي المشهورة . ونُسخ هذه الطبعة نادرةً جدًّا غير انَّ المطبعة التي طبعتها انطمس خبرها من ذلك الحين ولم نعد نسمع بمطبعة في الاستانة الى اوائل القرن الثامن عشر »

والصواب ما قلنا سابقًا. وسترى انَّ المطبوعات العربيَّة بالحرف العربي لم تظهر في الشرق الّا في اوائل القرن الثامن عشر في حلب الشهباء قبل القسطنطينية

وقبل ذكر هذه المطبوعات الحلبيَّة رأينا ان نلخّص تاريخ الطباعة في الاستانة ليكون القراء على بصيرة من احوالها فنقول:

خانه وطبع فيها من الكتب المفيدة نحو من خمسة واربعين كتاباً وانشئت مطابع جديدة أخرى وبلغت الصناعة المذكورة بالتدريج في دار السعادة الى الدرجة التي نشاهدها الآن » اه

هذا واكثر التآليف التي نُشرت بالطبع في دار السعادة في القرن الثامن عشر كانت باللغة التركيَّة. وقليل منها بالفارسيَّة والعربيَّة. ولمَّا عادت الطباعة القسطنطينية الى رونقها الاول في غرَّة هذا العصر تعدَّدت المطبوعات العربيَّة واجاز ذوو الامر طبع الكتب الدينيَّة فنُشر منها شيء كثير (١ وهذه اهمّ المطبوعات العربيَّة التي ظهرت في الاستانة مع ذكر تاريخها: كتاب تحرير اصول الحكيم اوقليدس لنصير الدين الطوسي (١٢١٦—١٨٠١) اظهار الاسرار للبركوي (١٢١٩—١٨٠٥) تهذيب المنطق للكلنبويّ (١٢٣٣—١٨١٩) رسالة الامكان لهُ (١٢٦٣—١٨٤٧) فقه الكدوسي (١٢٣٧—١٨٢١) شرح الرسالة الشمسيَّة في القواعد المنطقيَّة (١٢٣٨—١٨٢٢) وشرح القاموس لعاصم افندي (١٢٥٠—١٨٣٤) ملتقى الابحر لابراهيم الحلبي (١٢٥٨—١٨٤٢) شرحهُ «مجمع الانهر» لعبد الرحمان المدعو شيخ زاده (١٢٩٢—١٨٧٥) شرح غرر الاحكام لمحمَّد بن فراموز وتفسير البيضويّ (١٢٨٥ — ١٨٦٨) وشرح مقاصد عضد الدين الايجي للسيد الشريف الجرجاني (١٢٨٦—١٨٧٠) ومفتاح التفاسير لمحمَّد شريف الحافظ (١٢٨٩—١٨٧٣) وشمائل النبي للشيخ محمد الترمذي (١٢٦٤—١٨٤٨) تعليقات السيلكوني على شرح العقائد (١٢٣٥—١٨٢٠). وقد طُبع في هذه الاعوام الاخيرة كتب كثيرة كالطراز الانفس في شعر الاخرس وديوان مهيار بن مرزويه الديلمي وسرّ الليال في القلب والابدال (١٢٨٤—١٨٦٨) وتاريخ ابي الفداء طبع في المطبعة السلطانية (١٢٨٥—١٨٧٠) وشرح قراح الارواح في الصرف وكتاب انيس الجليس وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

---

١) قال جودت باشا في تاريخهِ ترجمة صاحب السعادة عبد القادر افندي الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت (ص٨٤) ما حرفهُ: « لم يرَ علماء اصول الفقه من بأس بطبع الكتب الشرعية وان كان فيهِ اعمال تخلّ بتعظيمها وذلك استنادًا على القضية المسلمة عندهم وهي « الامور بمقاصدها » فانهم بناء على هذه القضية اجازوا تجليد القرآن الكريم خوفًا من شتات اوراقه وضياعها مع ان في التجليد امورًا تخلّ بالتعظيم اكثر من الطبع مثل الرضّ بالمطارق والتضييق بالملازم وللمقاصد الخيرية في تكثير الكتب نوعوا طبعها تعميماً لمنافع الطلبة فاستفاد من ذلك جميع اصحاب الفنون »

الجوهري المنقول الى التركيَّة بهمَّة وانقولي سنة ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م لا سنة ١٧٣٠ كما زعم الهلال). ثم تاريخ الحاجّ خليفة «تحفة الكبار في اسفار الابحار» في السنة عينها. وفي العام التالي (١٧٢٩) طبعت اربعة كتب تركية وهي: تاريخ تيمور لنك لابن عر بشاه (تاريخى تيمورجرجان) نقلهُ نظمي زاده. وتاريخ مصر لسهيل. وتاريخى هندي غربي وتاريخى سيَّاح. ويحتوي هذا الكتابان الاخيران تاريخ اميركا وتاريخ حرب الافغان في سنة ١٧٣٠ وكان نقلهما الى التركيَّة الاب اليسوعي كروزنسكي (Krusinski) من علماء ذلك العصر واحد اصدقاء ابراهيم اغا. سكن اوَّلًا اصفهان ونشر الدين الكاثوليكي بين الارمن واتقن الفارسيَّة والتركية فعهد اليهِ الاحبار الرومانيون مهمَّات عديدة وخدم الآداب التركيَّة خدمات جليلة. وفي السنة الثالثة لانشاء هذه المطبعة برز منها تاريخ (حديقة) الخلفاء (كلشن خلفا) لنظمي زاده (١١٤٣—١٧٣٠) ثمَّ طبع سنة ١١٤٤ كتاب ابراهيم افندي في الابرة المغناطيسيَّة (فيوضات مغناطيسيَّه) وبعض تواريخ تركيَّة كتقويم التواريخ وتاريخ نعيما وتاريخ راشد وتاريخ عمر افندي

قال المؤرخ الضليع جودت باشا في تاريخهِ (ج ١: ٨٣): «وعدا عن ذلك فقد حفر ابرهيم افندي حروفًا فرنسويَّة وطبع خريطتي البحرين الاسود والخزر باللغتين التركيَّة والفرنسويَّة. ثم توفي سنة ١١٥٨ (١٧٤٥) وخلفهُ ابراهيم افندي القاضي فطبع قاموس وانقولي مرَّة ثانية وكتبًا أُخرى الَّا انَّهُ وُجد في طبع هذه الكتب كثير من الغلط والسهو مع رداءة الحروف

«ثمَّ توفي ابراهيم افندي حينما كانت الدولة العليَّة مشغولة بمشاغل كلّيَّة فلم يكن لها وقت ان تأْذن في العمل من بعدهِ لاحد فبقيت المطبعة المذكورة معطَّلة مدّة مديدة ثمَّ فتحت في سنة ١١٩٨ (١٧٨٣ م) فطبع فيها تاريخا صبحي وغربي وكتاب اصول المعارف في ترتيب العسكر وكتاب اعراب الكافية ورسالتان في فن الانغام والحرب للمرشال وبان (Vauban) وترجمة قوانين الملاحة للمسيو تروكه (Troquet) واصول المعارف في ترتيب الاساطيل. وهذه الكتب لم تطبع خالية من الغلط كالكتب التي طبعها ابراهيم متفرقه

«ثمَّ صُبَّت حروف جديدة بنظارة عبد الرحيم افندي عند ما اشتدَّت الرغبة في رواج الامور النافعة ايَّام الدور السليمي فأُسّست مطابع جديدة في اسكدار وقبره

المياه لو دخلت خطر لهُ ان يحوّل سفينتهُ الى مرفإٍ يأمن فيهِ عليها غير انَّها كانت بعيدة وقتئذٍ عن المرافئ والريح تسوقها الى جهة معاكسة لجهة اميركة

وكان فاضل في تلك الاثناء منهوك القوى لما أصابهُ من الدوار والهدام فلمَّا سكن البحر قليلاً خرج الى ظهر السفينة وكانت ثيابهُ مبلّلة بما وصل من رشاش الامواج الى محلّ خلوتهِ. فشاهدهُ اولريك وابتدرهُ بالكلام قائلاً: « قد صدق ظني وأُصبنا بزوبعة ويا لها من زوبعة »

— أما خفت؟

— كيف اخاف. أما نحن جميعًا بين يديهِ تعالى ويدي أُم حنون تحبُّنا جدًّا؟

— ولمَّا تعالت الامواج واوشكت ان تبتلعك أما ارتجفتَ؟

— بادرتُ حالًا فتلوت فعل الندامة الحقيقيَّة طالبًا من الله تعالى صفحًا اذا كنت قد ارتكبتُ ما يهينهُ. ثمَّ ناديت مستغيثًا بالبتول المدعوّة كوكب البحر واغمضت عيني وحينئذٍ غمرني الموج وانتظرت الموت وكنت اتذكَّر وقتئذٍ والدي المنكود ووالدتي المسكينة واقول في نفسي اني ساجتمع معهما في السماء. غير ان العذراء القديسة أَبت ان اموت

— ألا تخشى الموت ايضًا؟

— ولماذا اخشى الموت وقد افهمتني والدتي اني اذا حافظت على طهارة القلب والنيَّة فانَّ الله يأخذني الى السماء. أَما ترى السماء كم هي جميلة؟

— من اين تعلم انها جميلة؟

فنظر اليهِ النوتي الصغير نظر المتعجب من كلامهِ ثم سكت حشمةً وحياءً

فقال فاضل: أَلا ترى انَّ مهنتك شاقّة كثيرًا ومع ذلك فربحك منها يسير. وشحوب وجهك يدلُّني على انك تقاسي منها اشدّ المرارة

— نعم ان مهنتي شاقّة ولكن النوتي خُلق لمثل هذه المشقَّة. ولقد علَّمتني امي ان أُقدّس الاتعاب التي أُعانيها كلّ يوم واقدّمها لله لعلمي انها ستكون لي اكليلًا في المنزل العلويّ كما كانت اكليلًا لابي. وتقول « ان ربحي قليل » وهو كما ترى غير انَّهُ كافٍ لاعطاء حسنة قدَّاس على نيَّة والدتي متى تهيَّأَ لي النزول الى البرّ

— يظهر انك لا تفتكر في المستقبل

ومن المطابع التي اشتهرت في الاستانة منذ نحو اربعين سنة مطبعة الجوائب نُشرت فيها تآليف جليلة كالجاسوس على القاموس وديوان البحتري وديوان الطغرائي وديوان العباس بن الاحنف ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ورسائل الخوارزمي والهمذاني والموازنة بين ابي تمَّام والبحتري ومقامات السيوطي وامثال العرب للضبّي ونثار الازهار في الليل والنهار ودرَّة الغوَّاص للحريريّ مع شرحها للخفاجي ونزهة الطرف في علم الصرف للميداني وادب الدنيا والدين للماورديّ ورسائل شتى لابن سينا والثعالبي والمقريزي وغيرهما وكلُّها بحرف مُشرق جلي وورق صفيق

هذه لمعة في تاريخ طباعة الاستانة اثبتناها بغاية ما امكن من الايجاز. ويلحق بها تاريخ المطابع التي أُنشئت في اوائل القرن التاسع عشر في اسكدار وازمير وقهبره خانه غير انَّ المطبوعات التي خرجت منها قليلة وهي كلُّها تركيَّة واكثرها دينيَّة. واذا اضفتَ الى هذه المنشورات عددًا كبيرًا من الجرائد التي اخذت في الشيوع منذ ستين سنة فهمت ما اصابتهُ الاستانة العليَّة من الترقّي والنجاح الادبي في ظلّ السلاطين العظام ثبَّت الله اركان دولتهم مدى الاعوام (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الرابع

في الغرق

وبعد مضيّ اربع وعشرين ساعة خمد هياج الزوبعة قليلًا وسكن ثائر الامواج وهدأت الريح بعض الهدوء وزال ذلك الاضطراب الشديد الذي كان يتلاعب بالسفينة ويوشك ان يكسرها ويصيرها حطامًا. غير انَّ امائر القلق بدت على وجه الربَّان لانَّهُ رأى انَّ السكَّان (الدفَّة) قد اختلَّ فلم يعد يطيع الحركة التي يحرّكهُ بها وشاهد انَّ الجزء الاسفل من السفينة قد ضعف جدًّا فصار يتوقَّع من دقيقة الى اخرى حدوث ثقب تدخل منهُ المياه. وبما انهُ لم يكن في السفينة سوى مضخَّة صغيرة لا تقوى على استخراج

« لمَّا كان الرَّبان قد التقطك ايها الرديُّ لزمني ان أُعنى بتهذيبك وتقويمك. ويا ليتهُ لم يفعل وتركك تموت على قبر امّك. واذا فار غضبي عليك فاعلم ان عذراءك القديسة لا تخلِّصك من بين يدي »

قال هذا التجديف وانقضَّ عليهِ ليضربهُ

امَّا فاضل الذي كان يرى ويسمع فهجم من فورهِ وقام بين ذاك الرجل الوحشي والنوتي اولريك والتفت الى هاريس قائلًا: « ايَّاك ان تمدَّ اليهِ يدًا »

فتعجب هاريس في بادئ الامر من تعرُّض فاضل لهُ وسألهُ ببرودة: « من تكون انت » ؟

فقال فاضل: « لا يعنيك ان تعرف من انا ولكن ايَّاك ان تمدّ الى الولد يدًا »

— الا تعلم ان هذا الولد في حوزتي وتحت سلطتي ؟

— كلَّا انهُ ليس تحت سلطة احد

— بماذا احسن اليك حتى تدافع عنهُ ؟

— وبماذا اساءَ اليك حتى تعاملهُ بهذه القسوة ؟

— انّ اساءتهُ لي عظيمة جدًّا. فقد وشى عليَّ لدى الرَّبان اني كذّاب وسرَّاق

فعندها صرخ اولريك قائلًا: « اني لم انطق بشيء من هذا اصلًا »

— أتنكر ؟ فسوف نرى من هو المحقّ منَّا

ثمَّ وثب عليهِ ليضربهُ فحال بينهما فاضل قائلًا:

— حذَّرتك من ان تمدَّ يدك الى هذا الولد

— من كان مثلك لا يمنعني عنهُ

قال هذا ودفع فاضلًا دفعةً قويَّةً فألقاهُ على الارض وانقضَّ على اولريك يضربهُ ويرفسه حتى صرخ صرخة عظيمة

وكان النوتية متفرّقين وكلّ واحد منهم مهتمّ بعملهِ فلمَّا سمعوا الصيحة تجمَّعوا ليروا ما يكون فشاهدوا رئيسهم يضرب اولريك ضربًا وحشيًّا غير انهم لمَّا كانوا متعودين ان يروا منهُ كل يوم مثل هذه الفظاعات اخذوا يقهقهون ضحكًا على اولريك وفاضل الذي اراد الدفاع عنهُ. وسبب ذلك ان الجميع كانوا يهابون هاريس ويتخوَّفون بطشهُ ويعرفون انَّ الويل يحلّ بمن لا يطيعهُ. هذا فضلًا عن انهم كانوا قد اشمأزُّوا من التفات الرَّبان

أجاب النوتي قائلًا: هل يُوثق بالمستقبل فانّنا نحن النوتيَّة قد تعلَّمنا في البحر ان لا نعوّل على الغد. وفي كل دقيقة وساعة يمكن سقوطنا من ساريةٍ او حبل ولاسيا اننا نصعد اليها حفاة الارجل وتكون السفينة وقت اضطراب البحر تتقلّب الى كلّ جهة وصوب. وكلّما ارتقيتُ الى حبل اقول في نفسي: « انك يا الله عالم بسريرتي فاشفق عليَّ وانتِ ايتها الام الحنون اكتنفيني تحت ذيل حمايتك حتى اذا متُّ اذهب توًّا الى السماء فاشاهد هناك والدي ووالدتي »

قال هذا ثمَّ اردف: « والآن لا بدَّ لي من مفارقتك لان رئيس النوتيَّة ضربني ذاك اليوم لمَّا رآني وقفت اتكلّم معك »

— فاذًا هو قاسٍ في معاملتك ؟

— نعم لا يخلو من القسوة. وما يزيدني حزنًا انهُ لا يحب العذراء القديسة كما احبُّها انا لانَهُ بروتستاني المذهب وفوق هذا كلّهِ هو رديُّ القلب خبيث النيَّة

والحقيقة انَّ النوتي الصغير كان مُضطهدًا من كلّ من في السفينة لانهُ وحدهُ كان كاثوليكيًّا بين جماعة كلّهم من اللوتريين المتعصبين. ولم يكن يدافع عنهُ الّا الربّان فهذا كان بالرغم عن جفاء طبعهِ وجهومة وجههِ يميل اليهِ ويودّهُ ودًّا حقيقيًّا. امَّا رئيس النوتية فكان بعكس ذلك يبغضهُ بغضًا ما عليهِ مزيد. الّا ان اولريك كان يحتمل قسوتهُ بصبر عجيب. وكان هذا الرئيس الذي يدعى هاريس (Harris) كثيرًا ما يحرمهُ الاكل واذا سمح لهُ بشيء يعطيهِ فضلات الآخرين ونفاية مأكولهم. ولم يكن يمرّ يوم دون ان يغلظ لهُ التوبيخ او يضربهُ ضربًا شديدًا. امَّا اولريك فكان يبكي سرًّا مقبِّلًا صورة العذراء ومقدّمًا اوجاعهُ واهاناتهِ لهداية مضطهدهِ

وبينما فاضل يهمُّ بالدخول الى حجرتهِ وهو آسف على مغادرة صديقهِ الجديد سمع صوتًا مختنقًا يصخب ثمَّ ظهر رجل طويل القامة عريض الاكتاف متين البنية محمرّ الوجه من كثرة شرب المسكرات فمشى على ظهر السفينة وعيناهُ تقدحان الشَّرر فنادى اولريك بصوت أبحّ قائلًا: « لقد كنتُ ظننت اني اتخلّص منك ايها اللعين » واردف هذه الالفاظ بكثير من التجاديف المنكرة التي لا ينطق بها الّا فمٌ متدنّس

امَّا اولريك فما تجاسر على الجواب

ثمَّ استتبع هاريس كلامهُ قائلًا:

– هي دعوى كاذبة لاني مع طول عشرتي لاولريك لم يكلّمني عنهُ قطعاً. ولكن بما اني رددتُ كيدهُ في نحرهِ ولم يكن قادرًا عليّ اراد ان يتشفّى من رجل بارّ. ثم انّ لي عينين أبصر بهما ولا احتمل ان يخدعني احد. ولكنهُ متى اشمأزّ الانسان من آخر ونفر منهُ فبالطبع يسوء فيهِ ظنّهُ وتخبث عليهِ نيّاتهُ. آه يا ليتهُ يعلم اني إجابةً لطلب اولريك والحاحهِ أبقيتهُ في باخرتي ولكني أعدك باني لا ابقيهِ عندي زمنًا طويلًا

– ومع كلّ هذا فقد حامى اولريك عنهُ ؟

« نعم فانهُ امس واليوم ما زال يبتهل اليّ للعفو عن جريمتهِ وتأخير طردهِ الى وقت وصول السفينة لمحلّ قريب من وطنهِ. وهو يقول لي: ماذا يحلّ بهذا المسكين اذا تُرِك وحدهُ في هذه النواحي المتجمّدة وليس بين يديهِ فلس وكل شيء فيها غالٍ. فانهُ لا شك يموت من الجوع والشقاء. ثمّ انّ لهُ والدةً يتفطّر قلبها حزنًا وأسفًا اذا علمت بشيء من ذلك

« ولقد ادهشني هذا الكلام الذي سمعتهُ من فم ولدٍ لاسيما واني عالم بان هاريس يبغضهُ ويمقتهُ كثيرًا. ولذلك اثّر كلامهُ في قلبي مليّنًا صلابتهُ ورغبت في مشاهدة ما سيجري لأرى هل تلين فظاظة هريس بازاء رقة ولطف اولريك لاسيما واني كنت محتاجًا الى هاريس في شؤون السفينة لما هو عليهِ من الذكاء وشدّة الساعد مع درايتهِ باحوال البحر. ثم ان مَن عندنا من النوتية هو دون العدد اللازم لنا للقيام بالاشغال كلها. وبناءً عليهِ احتفظت بهاريس وقد رأيتَ انهُ في اثناء الزوبعة كان لنا نعم العون »

قال فاضل: الا ترى ايها الربّان ان الريح ستسكن واننا سنصل قريبًا بحمد الله احد الموانى فنأمن ؟

– لست حتى الآن آمنًا عواقب الزوبعة فان الريح صدمت سفينتنا صدمة قويّة اضرّت بها ولا تزال تعاكس مسيرنا وتحولنا الى غير الجهة التي نقصدها. وما ادراك اذا كان في البحر هنا مجرًى تحت الماء يسوقنا الى بلاد مجهولة

ثم انّ الربّان دعا فاضلًا لمرافقتهِ الى المرقب فرقي معهُ السلم ولكن بعناء لاضطراب البحر فلمّا بلغ قمّتهُ وقعت عينهُ على مشهد بديع فبانت لهُ السفينة كالقلند مثل جوزة صغيرة ملقاة في وسط اليمّ وهي تتقلّب في وسط بحر عجّاج يتلاطم بالامواج لا تظهر لهُ نهاية معلومة ولا حدود محصورة. وكانت السفينة مع انكسار ساريتها تشق

الى الغلام المذكور ولذلك وقفوا ينتظرون نهاية الامر دون ان يتوسَّطوا فيهِ

غير انَّ الرّبان كان واقفاً في تلك الساعة في اعلى السفينة فشاهد كلّ ما جرى ورأى كيف حال فاضل بين رئيس النوتيَّة والغلام وكيف دفعهُ هاريس تلك الدفعة المؤلمة والقاهُ على سطح المركب متوجّعاً

وكان الرّبان يعتبر فاضلًا لانهُ كان ينمّ عن سعةٍ ولهذا عظم عليهِ ان يتحمَّل اهانة كهذه من بحّارٍ اطار الشراب لبَّهُ

ففي الحال بادر الى النزول وشاهد الغلام اولريك وقد صبغ الدم وجههُ . فصفر فجاء اليهِ اربعة من النوتية فامرهم ان يقبضوا على هاريس ويكبلوهُ بالاغلال

وحينئذٍ دارت بينهم وبين هاريس معركة هائلة غير انهم كانوا اقوياء واشداء فغلبوهُ وقيَّدوا يديهِ ورجليهِ وحملوهُ الى داخل السفينة

حينئذٍ التفت الرّبان الى الغلام اولريك قائلًا: ارى الدم يقطر بكثرة من انفك ؟

فقال اولريك: « انهُ شيء لا يُذكر وقليل من الماء البارد يقطعهُ ». ثم انهُ برقّة تسحر العقول اتبع ذلك بهذه الكلمات :

« انَّ هاريس تعب كثيرًا بينما كانت سفينتنا في خطر فاراد ان يجدّد قواهُ غير ان الشراب خانهُ وعليهِ فليس هو مسؤولًا بكلّ ما عملهُ . وفضلًا عن كل هذا ترى انهُ لم يُلحق بي اذًى »

فقال الرّبان: يا لك من غلام صالح النيَّة لا يغيّر صلاحهُ شيء ثم التفت الى فاضل فرأى الدمع يترقرق في عينيهِ فخاطبهُ بقولهِ :« لو كان النوتية دائمًا نظير هذا النوتي لكنتُ اسعد الناس عيشةً »

كنت قد قبلتُ اولريك شفقةً عليهِ في باخرتي التي كنتُ اسافر عليها في سواحل ارلندة ومذ ذاك لحق بي في جميع اسفاري وكنتُ كلّما عاشرتهُ وخبرتُ اخلاقهُ ازيد محبَّةً لهُ وانعطافًا اليهِ بالرغم عن جفاء طبعي الذي لا يقبل التليين بسهولة »

قال فاضل : انَّ اولريك ايها القبطان قصَّ عليَّ خبر وفاة والدتهِ فذهب كلامهُ من قلبي كلَّ مذهب ولهذا وثبتُ للدفاع عنهُ لمَّا رأيتهُ على وشك السقوط بين يدي هاريس

— هاريس خالٍ من القلب ومجرَّد من كلّ عاطفة فيكذب ويسرق دون خجل

— كان يتشكّى من اولريك انهُ يغتابهُ ويطعن في حقّهِ

مطبوعات شرقية جديدة

TRAITÉS MYSTIQUES D'AVICENNE

رسائل الشيخ الرئيس الشهير بابن سينا في اسرار الحكمة المشرقية

publiés par le Dr M. A. F. Mehren

IV Fascicule. Traité sur le Destin, Leyde, 1899

رسالة القدر

الدكتور « ميكائل بن يحيي المهرني » من مشاهير اساتذة اللغات الساميَّة في كليَّة كوبنهاغ يُعمل النظر منذ امد مديد في دراسة فلسفة العرب ولهُ في ذلك تآليف شهيرة ومقالات مسهبة ادرجها في المجلات العلميَّة . ومنذ بضع سنين تفرَّغ للبحث عن رسائل ابن سينا المعروفة باسرار الحكمة الشرقية فنشر منها في ثلاثة اجزاء رسالة حيّ بن يقظان مع شرحها لابن زيلع تلميذ ابن سينا والثلاثة الانماط الاخيرة من الاشارات مع شرح مختار لنصير الدين الطوسي ورسالة الطير ورسالة العشق ورسالة ماهيَّة الصلاة وكتاب في معنى الزيارة وتأثيرها ورسالة في دفع الغمّ من الموت (١. ولكلّ هذه الرسائل ترجمة افرنسيَّة وتذييلات مفيدة . واليوم قد بلغنا القسم الرابع من هذه الرسائل ومضمونهُ رسالة ابن سينا في القَدَر « صنَّفها (على زعم الجوزجاني) في طريق اصفهان عند خلاصهِ وهربهِ » . وغاية الشيخ الرئيس فيها ان يبيّن ما لله من الاحكام في خلائقهِ يتصرَّف فيها كيف يشاء فيعزّي نفسهُ بذلك في الضيق والمحن . وهذه الرسالة منقولة الى الافرنسيَّة وعليها تعليقات وشروح . فنشكر الدكتور المتولي طبع هذه التحفة الادبيَّة همَّتهُ القعساء ونتمنى ان ينشر عمَّا قليل الآثار الدفينة التي اكتشفها في زوايا المكاتب الاوربيَّة

GÉBAL-BYBLOS

Son Histoire dans l'Antiquité et sa Nécropole phénicienne

par le Dr J. Rouvier.

تاريخ جُبيل القديم ومدفنها الفينيقي

انَّ في سواحل فينيقية لكنوزًا مطمورةً يجدُّ العلماء في استخراجها من قلب

(١) نفيد حضرة الدكتور مهرن انَّ في خزانة كتبنا الشرقيَّة مجموعًا قديمًا حسن الخطّ يحتوي على قسم من هذه الرسالات منها رسالة حيّ بن يقظان مع شرحين مطوَّلين عليها ورسالة الطير ورسالة اثبات النبوَّة وشرح عينيَّة ابن سينا . ولعلَّنا ننشر في المشرق شيئًا من هذه الرسائل ان شاء الله

الامواج والريح لا تزال تصفر صفيرًا هائلًا من جهة الغرب وتتلاعب بما بقي من قلوس السفينة التي كانت تمشي زائغـــة عن خطّ مسيرها بسرعة لا تقلّ عن عشرة اميال في الساعة

امَّا فاضل فوجم ساكتًا امام هذا المشهد المخيف ثم سأل الرّبان قائلًا: اتظنّ اننا ما زلنا بعيدين عن البرّ ؟

ففتح الرّبان خارطةً بحريّة كبيرة وانكبَّ عليها. فقال فاضل: اين نحن الان ؟

— لا ادري بالتمام وها قد مضى عليّ يومان دون ان اتمكّن من رصد ارتفـــاع الشمس لعدم ظهورها. امَّا الابرة المغنطيسيَّة فقد كانت حركتها حائرةً في وقت الزوبعة حتى اني لم استطع تصديقها. وقد كان سفرنا من سان ميشل يوم الاثنين والآن نحن في يوم الخميس وعلى ظني اننا على خط الدرجة الخمسين من الطول الشمالي. واذا استمرّ المجرى في قوّتهِ لا بُدَّ لنا ان نبلغ الى برّ آسيَّة

وبينما القبطان يقول ذلك سمع صوت النوتي المكلّف بالمراقبة يصرخ: «البرّ البرّ». فاهتزَّ فاضل طربًا لدى سماع الصوت وشخص ببصرهِ الى الأُفق لكنَّهُ لم يرَ شيئًا

— أترى البرَّ ايُّها السيّد الربّان فاني مع تحديقي لا ارى غير سماء وماء ؟

— لستَ معتادًا على الرصد يا فاضل فخذ هذه النظارة وابصر

فنظر فاضل واذا بشاطئ كثير الرؤوس والصخور لاح لهُ من جهة الغرب فسرَّ بهذا المنظر ثم ناول النظـــارة الى الرّبان فتعرف الارض واذا هي جزيرة كانت الريح تسوق اليها السفينة كلقلند

وكانوا كلَّما اقتربوا يزيد البرّ ظهورًا وقد لاح لهم خليج على الشـــاطئ الشرقي غير انّ الرّبان كان يوجس خوفًا لما يرى من شدَّة الريح وقوَّة مجرى الميـــاه. وخصوصًا لما يشاهد من الصخور البـــارزة فوق وجه الماء فاخذ يفكر في الطريقة التي يستطيع بها التخلُّص من اصطدام السفينة بها. ومع بليغ اجتهادهِ لم يقدر على ضبط سيرها لان السكَّان لم يكن يطاوعهُ فأمر بتخفيف النار. فسارت السفينة ببعض الهدوء مارَّةً بين رأسين يشبهان مرفأً طبيعيًا حتى اذا ادركوا وسط الخليج سُمع لها صوت قرقعة هائل. وقبل ان يسمح لهم الوقت بمداركة الامر توارت السفينة عن العيان غائصةً في اللجة

(ستأتي البقيَّة)

امّا الحرارة في منزل الدود فكانت مرتّبة بضبط بين ١٨ و ٢٢ درجة وقد وُزن الدود والفيالج والفراش ثم البزر ايضاً. وكانت النتيجة الحاصلة عن تأثير النور كما يأتي:

انّ الدود الذي وُضع تحت الزجاج الخالي من اللون اعطى اعظم كمّيّة من الفيالج ويليهِ الدود الموضوع تحت الزجاج البنفسجي الزاهر. والذي وضع تحت الزجاج الاخضر المشبع اعطى اقل كمّيّة منها امّا الذي تحت الهواء المطلق فاعطى اردى كمّيّة

وقد تبيّن انّ الالوان المختلفة تؤثر في نوع الدود فكانت الاناث ٥٦ في المائة تحت الزجاج العادم اللون و٣٧ فقط تحت الزجاج الاخضر الزاهر. وان أحسن الاناث هي التي كانت تحت الزجاج البنفسجي الارجواني ثم البرتقالي ثم الخالي من اللون فانها تكون أشدّ حركةً ونشاطاً من التي تعيش تحت اللون الاخضر

وظهر انّ للنور ايضاً فعلاً عظيماً في وزن البزر لانّ بزر الدود الموضوع تحت اللون البنفسجيّ الارجواني يزيد وزنهُ ضعفاً على وزن بزر الدود الموضوع تحت اللون الاخضر. فقد ظهر ممّا تقدَّم بيانهُ ان لهذه الامتحانات شأناً كبيراً لانهُ لا يبعد التوصُّل بواسطتها الى تحسين جنس الدود وتكثير ما يعطيه من غلّة الحرير

رأي الهلال في الارتقاء قرأنا في العدد الاخير من الهلال مقالة لصاحبهِ الاديب تشكّى فيها ما يلقاهُ الكاتب الشرقي دون الغربي من المشقّات وما يعترضهُ من العقبات لارضاء قرّائهِ على اختلاف نزعاتهم وتفرُّق كلمتهم في المذاهب وتباعد اخلاقهم وتباين اذواقهم الى ان قال (ص ٢٣١):

« واذا كان الكاتب من كتّاب الطبيعيات ذكر اكتشافاً او اختراعاً او رأياً جديداً اتهمهُ بعضهم بالكفر وسخروا باقوالهِ وشاركهم في النقمة عليهِ فئة من جمهور العامّة وهم جماعة كبيرة لا يزال بعضهم حتى اليوم.. لا يفهمون معنى ناموس الارتقاء ولا لوم عليهم وبين زعمائهم من لا يفرق بين الدين والعلم »

(قلنا) لقد اساء الهلال الظنّ باهل الشرق اذ نسب اليهم تعصُّباً اعمى يحملهم على تكفير من يعرض عليهم الاختراعات والاكتشافات. وها جريدتنا البشير ومجلّتنا المشرق توقفان الجمهور على ترقي العلوم وانواع الاكتشافات فلم نسمع احداً يرمي اصحابهما بالزندقة. وكذلك يقبل القرّاء الشرقيون باقاويل كلّ المجلات العلميّة اذا اسند كتبتها رواياتهم الى اسانيد موثوقة وحجج مقنعة. وان انكر بعض الجهلة هذه الامور فليس اعتماد الكاتب على الجهلة. — ولكن ألا يحقُّ للقرّاء ان يفحصوا قول الكتبة

الارض. ولعلَّ جبيل اغنى من سواها بهذه العاديَّات لقدم عهدها وتوالي الدول الغابرة عليها. فذاك ما دعا الدكتور جول روڤيه احد اساتذة مكتبنا الطبي على جمع اخبارها ووصف احوالها منذ القرون الخالية بُعيد الطوفان وفي ايَّام الفراعنة ثمَّ الاشوريين ثمَّ الفرس ثمَّ اليونان ثمَّ الرومان. وفي هذه النبذة النفيسة مطالب جليلة وابحاث عديدة عن مسكوكات جبيل ومغاورها ومدافنها كلُّها فوائد اثاب الله كاتبها وانساً في اجلهِ خدمةً للعلم والوطن

يوميَّة الاحوال لسنة ١٩٠٠

هي الهدية التي بها اتحف صاحب جريدة الاحوال جناب الاديب خليل افندي البدوي قرَّاءهُ في رأس العام الجديد بدلًا من الروايات التي كان يهديها اليهم سابقًا تذكارًا لاشتراكهم. وقد اجاد في تفضيلهِ هذه الهدية على سواها لانَّ لهذه اليوميَّة عائدةً كبرى وهي تشتمل على تقويم السنة واعلانات شتى يقف بها التجار على امور عديدة تجديهم نفعًا كبيرًا لمعاملاتهم ثمَّ جداول يوميَّة لضبط الصندوق وتدوين المقبوضات والمدفوعات وكلُّ ذلك على طريقة مستحدثة في بلادنا لكنَّها شائعة في امَّهات المدن الاوربيَّة. فنتمنى لهذه اليوميَّة كلَّ اقبال ل. ش

شذرات

تأْثير النور في الحيوان — سبق لنا في المشرق ما لألوان الطيف الشمسي من التأْثير في نماء النبات ونصوعة الوانهِ. ومن مرويَّات البشير (٢٢ ك٢ ع ١٤٢٠) انَّ الطبيعيين من العلماء اخذوا يستعملون الانوار الملوَّنة في الحيوان واوَّل حيوان خطر لهم ان يجرّبوا فيهِ تأْثير النور هو دودة الحرير فاتَّخذوا منها سبعمائة دودة مضى على نقفها ستَّة ايَّام ووضعوها في اثنتي عشرة خزانة صغيرة وعلى كل خزانة لوح من الزجاج ملوَّن بلون يختلف عن الآخر ثمَّ شرعوا في اطعامها من ورق التوت. وكانت الالواح الزجاجيَّة على الترتيب الآتي اي اللوح الاول عادم اللون والبقيَّة احمر مُشبَع واحمر زاهر وبرتقالي واخضر ناصع واخضر مشبع وازرق زاهر وازرق مشبع وبَنفسجي زاهر وبنفسجي مشبع وتُرِكَ بعض الدود في الهواء المطلق بدون غطاء

نفسها فجل كثير مثلها بل اكبر منها على اشكال مختلفة وقيل ان احداها زاد ثقلها على ٩ اقّات. اما تربتها ففيها سماد قديم لم تُحرث منذ زمن مديد يسقيها ماء نهر الكلب

انقضاض الصاعقة على مرصد المدرسة الاميركانيَّة — بينا كان حضرة الاب م. كولنجت ينشر مقالتهُ في الصاعقة والقضيب الواقي منها اذ صُعق مرصد المدرسة الاميركانيَّة في رأس بيروت في ١٧ ك ٢ غير انَّ الآلات الفلكيَّة الكبرى لم تُصب باذًى بحولهِ تعالى. وقد فصَّل جناب شكري افندي معلوف في آخر عدد مجلة الطبيب خبر انقضاض الصاعقة على المرصد المذكور مع وصف مفاعيلها الغريبة

حلّ المشكل الحسابي الوارد في عددنا الثاني — اتانا حلُّهُ بعد طبع عددنا الاخير لحضرة الخوري انطون رومانوس احد اساتذة مدرسة مار يوحنَّا مارون ولجناب سليم افندي الخوري

أسئلة وأجوبة

س سالناً بعض افاضل البلدة هل للتشاؤم بعدد ١٣ اثر عند العرب

التشاؤم بعدد ١٣

ج تصفَّحنا كثيرًا من كتب الشرقيين لنتبيَّن صحَّة الامر فلم نجد لهذه الخرافة اثرًا عند العرب. وانما اخذها اهل بلادنا عن الفرنج كعادات أُخرى مرذولة وكانوا عنها في غنًى سامحهم الله

س سألنا من حلب حضرة الاب م.ا. هل كانت السنة على عهد آدم شمسيَّة كسنتنا اي مركَّبة من ٣٦٥ يومًا

السنة على عهد آدم

ج قد اجبنا على هذا السؤال في المشرق (٢ : ١٩٠) فليُراجع ل. ش

* تصحيح بعض الاغلاط * ص ٤٧ س ٢ و ٣ « غاية ما كنا. . . سوى كونها » والصواب « غاية ما كنَّا. . . كونهُ » = ص ٧٩ س ١١ « الحلَّة السريَّة لابن الاثير » والصواب « الحلَّة السيراء لابن الابَّار » = وفيها س ١٥ « المرية » والصواب « المريَة » = ص ٨٠ س ٥ « اليودي » والصواب « اليهودي » = ص ٩٥ س ٢ « والالف مختلسة في كلتا الروايتين » والصواب « في احداها فقط » = ص ١٢٤ س ٥ « على وزن فعلى مثل حَجْلى » والصواب « فِعْلى وحِجْلى » = ص ١٢٦ س ٩ « والمرَّجح » والصواب « والمرجع » = ص ١٣٩ س ٣ « قد اطلنا » والصواب « اَّطلعنا » وفيها س ٦ « وهذا » فلتحذف

ليتبيّنوا صحّة قولهم لاسيّما بعد ان رأيناهم غير مرّة ينسبون الى العلم ما كان العلم براء منهُ. أفما قال لنا الهلال مثلاً (راجع المشرق ٢ : ١١٥٢) : « انّ العلماء وجدوا بالجاثهم الاخيرة في الانسان انّ اسنانهُ كانت اكثر عدداً واعظم جرماً ممّا هي عليهِ اليوم. وانهُ كان يستخدمها للدفاع عن نفسهِ كالحيوانات... وانّ الانسان كان لهُ سابقاً ثلاثة عيون » وغير ذلك من السفاسف التي فنّدناها في اوقاتها دون أن يجسر الهلال ان يدافع عنها ؟ او ليس المقتطف ينسب الى العلم آراء كثيرة واهنة بينها وبين العلم الصادق بونٌ عظيم. فنعم ما يصنع اذاً القراء اذ يطالبون الكتبة عن صحّة اقوالهم ولا يقبلون دون انتقاد وتمييز مزاعمهم كأنّها الكلام المنزل

امّا ما زادهُ الهلال انّ البعض ينكرون ناموس الارتقاء فهو دليل جديد على حسن ذوق القراء الشرقيين ورسوخ قدمهم في الدين والعلم معاً. وان كان صاحب الهلال يزعم أنّنا لا نفهم ناموس الارتقاء (لاننا على يقين أنّهُ لم يصوب سهمهُ على غير مجلّتنا التي تصدّت للرأي الدرويني وخطّأتهُ مراراً) فما لهُ لم يثبت جهلنا ويكشف القناع عن الحقيقة فاننا نعدهُ الوعد الصادق اننا لا نتأخر عن اتباع رأيهِ اذا ما اقام عليهِ البيّنة ولا نطلب منهُ غير برهان واحد قطعي

وبئس ما ختم بهِ الهلال قولهُ عن زعماء الدين اذ قال: « وبين زعمائهم من لا يفرق بين الدين والعلم » أجل ايها الصديق اننا نفرق بين الدين والعلم ونقدّر كلًّا منهما قدرهُ. ولكن أعلم انّ الدين والعلم اخوان توأمان يرتبطان برباط غير منفصم والاثيم من حاول فصلهما او زعم ان بينهما اختلافاً وتضادّاً لاننا نعلم انهما يصدران من مصدر واحد هو الله عزّ وجلّ. فانّهُ تعالى نور ليس فيهِ ظلمة البتة (وهذا شعار مجلّتنا) فهو ربُّ الدين كما هو ربُّ العلم ولا يمكن ان يوجد مطلقاً اختلاف بينهما. وتزيد الهلال ان كلّ دين ينافي حقيقةً واحدةً علميَّة تناقض تعاليمهُ الاصليَّة هو دين فاسد لا يجوز للانسان ان يتّبعهُ

فجلةٌ غريبة رأينا منذ اسبوع فجلةً من الفجل البلدي اقتلعها من جنينتهِ جناب ن. افندي الغرزوزي فذكّرتنا بخصب ارض الميعاد. وطول الفجلة اربع قبضات (نحو ٤٥ سنتيمتراً) وضخمها كضخم ساق الرجل او اضخم يتفرّع منها تسعة فروع وبلغ وزنها رطلين وثمانية اواقٍ. وقيل لنا انّ في الجنينة

المشرق

كتاب الذهب

او القرن المئوي للجمعية العامية المصريَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

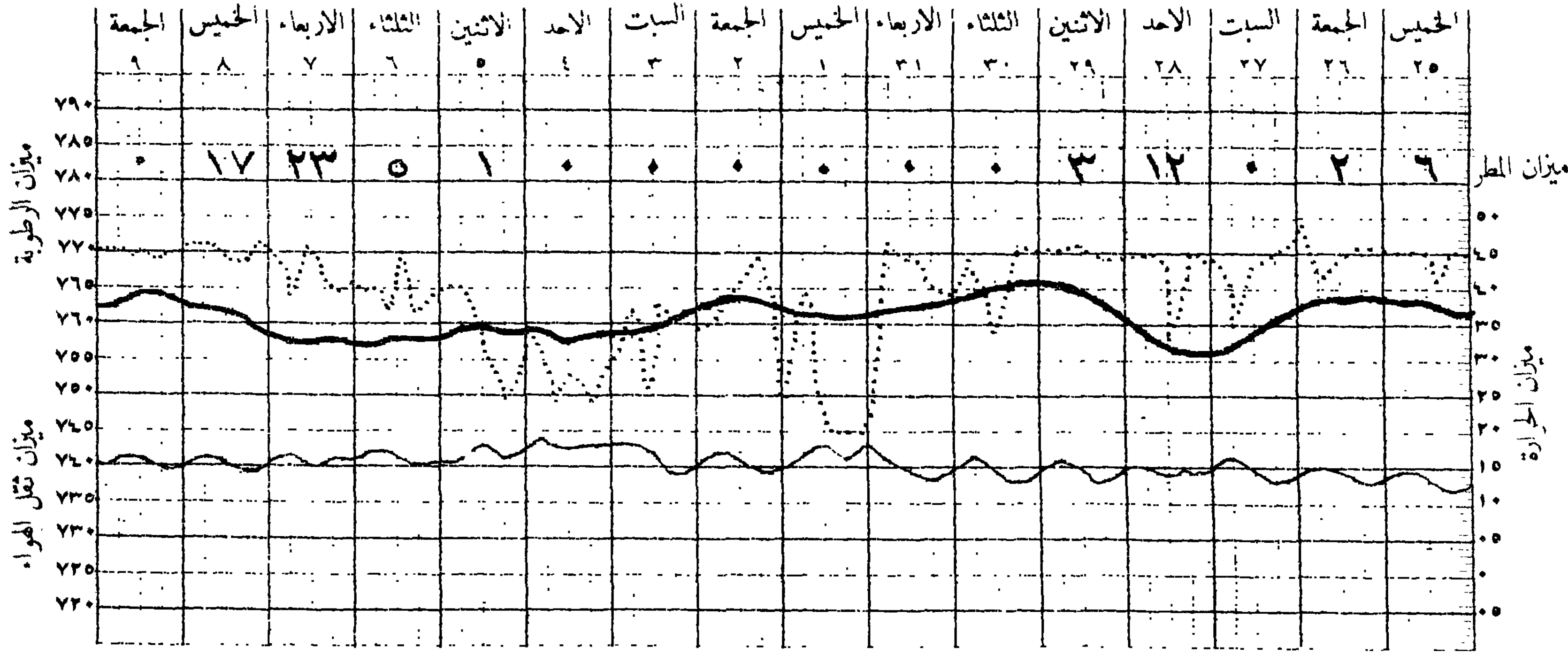
في ٢ كـ ١ من السنة ١٨٩٨ عقد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة في مصر حفلة شائقة حضرها عدد غفير من اعيان القاهرة وادبائها الوطنيين والاجانب. وذلك بنسبة مرور قرنٍ تامّ على انشاء نابوليون لجمعيَّة مصر (l' Institut d' Egypte). وكان لهذه الحفلة وقعٌ طيّب في قلوب كلّ من يهمُّهم نجاح القطر المصريّ واحياء مآثرهِ

على انّ اعضاء الجمعيَّة الحالية لم يشاؤُوا ان يبرح تذكار ذلك اليوم المشهود من قلوب الحضور فاتّفقوا على ان يخلِّدوا ذكرهُ بوضع كتابٍ يدوّنون فيهِ ملخَّص اعمال جمعيَّتهم منذ نشأتها الى هذه الغاية. واليوم قد خرج هذا المشروع الى حيز الفعل فأُهدينا نسخةً من الكتاب المذكور وعنوانهُ «كتاب الذهب الذي قام بنشرهِ اعضاء الجمعيَّة العلميَّة المصريَّة بنسبة القرن المئوي لانشاء مكتب مصر» (١)

وهذا الاثر الجليل قد طُبع باللغة الافرنسيَّة وهو عبارة عن ١٩٠ صفحة يُقسم الى فصول عديدة اهمُّها الخطب التي القاها تسعة من اعضاء المجمع العلمي يوم الحفلة العموميَّة ثمَّ يليها جدول اسماء آل المجمع منذ نشأتهِ مع قائمة مفصلة وضعها المسيو ڤيدال (Vidal) بيَّن فيها كلّ المآثر الادبيَّة التي ابرزها علماء الجمعيَّة المذكورة سواءٌ نُشرت في

(١) Le Livre d'Or de l'Institut égyptien, *publié à l'occasion du Centenaire de la fondation de l'Institut d'Egypte*, Le Mans, 1899

قائمة للآثار الجوّية من ٢٥ كانون الثاني الى ٩ شباط ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المتفرّقة في مدّة ثلاث سنوات. وما الاثر المذكور الّا كتاب « وصف مصر » وهو التأليف الذي فتح للعلماء عالماً جديداً لم يخطر من ذي قبل على بال أحدهم. وهو عبارة عن عدّة مجلّدات ضخمة تتضمّن آثار مصر في كلّ الفنون والمعارف كالتاريخ والسياسة والصنائع والآداب والزراعة والهندسة حتى انّ الحيرة تأخذ القارئ لدى اطلاعهِ على هذه المآثر العجيبة التي استثارها هؤلاء العلماء من مدافن النسيان. ونجز طبع هذا التأليف الجليل سنة ١٨٠٩ فخلّد ذكر اصحابهِ الذين لم يدّخروا وسعاً ليجعلوهُ اهلاً بعصر جديد وبامّة عظمى تُحسن القيام بالاعمال الشريفة (١. ولا تزال اسماء هؤلاء المشاهير ترنُّ في نوادي العلوم والآداب منهم مُنج (Monge) وله پار (Lepère) وبِرتوله (Berthollet) وجفرو سنت هيلار (Geoffroy St Hilaire) وجومار

لكنّ هذه الجمعيّة بعد انجاز عملها انقطع سلك نظامها ولم يعد العلماء يهتمّون بالمشروعات العظمى التي تقتضي ضمّ قوى الافراد وجمع كلمتهم. وانّما كان بعض العلماء يواصلون ابحاثهم عن العاديات المصريّة وينشرونها عند سنوح الفرصة

وبقيت هذه الحالة الى عهد اوّل امراء مصر محمد علي باشا. فلمّا ضبط هذا الرجل السامي الهمّة عنان التدبير صرف نظرهُ الى كلّ الاعمال الجليلة. وفي ايامهِ زهت العلوم وخفقت ألوية المعارف فنشّط كلّ المشروعات التي وجد فيها ضامناً لترقّي مصر ونجاحها. وبايعازهِ نشأت جمعيّة جديدة دُعيت مباشرةً بالجمعيّة الشرقية ثمّ تسمّت بجمعيّة مصر وكانت غايتها درس الفنون الشرقيّة لاسيما اللغة والآثار. ومن جملة الخدم التي ادّتها هذه الجمعيّة للقطر المصري إنشاؤها لخزانة كتبٍ واسعة كانت تجمع كلّ التآليف المعروفة ان خطّيّة وان مطبوعة التي جري فيها البحث عن مصر واحوالها منذ القرون الخالية الى عهدنا. وقد دال الدهر على هذه الجمعيّة فتبدّد شملها ونُقلت كتبها الى الكتبخانة الخديويّة الشهيرة التي تضاهي اليوم اعظم مكاتب العواصم الاوربيّة بمخطوطاتها الشرقيّة

على انّ هذه الجمعيّات كلها مع ما افادت بهِ العلوم المصريّة لم تَعِشْ زمناً طويلاً لِما طرأ عليها من صروف الزمان. لكنّها كانت كفئات مهّدت السبيل للجمعيّة الحالية ولاعمالها الخطيرة

---

١) وقد جُدّد طبع هذا التأليف الجليل سنة ١٨٢١ في باريس باربعة وعشرين مجلّداً ضخماً

مجلَّتها او لم تُنشر فاحببنا ان نستلخص لقرَّاء مجلَّتنا لُباب فوائدها ونحن على يقين انهم يتلقَّون هذه اللمعة بمزيد السرور ولعلَّها تحرِّك في قلوب ادباء الشام غيرة المنافسة ليتقصَّوا في بلادهم آثار اخوتهم المصريين مع ما في القطر السوري من المآثر الجليلة التي لا تقلّ شأناً عن مجمل المآثر المصريَّة. كيف لا وقد ابقى الشعوب الاقدمين في اصقاعنا آثاراً يعزّ وجود مثلها في غيرها من الاقطار كآثار الاشوريين والفينيقيين والحثيين واليونان والرومان والعرب واكثرها لا يزال مطموراً في اعماق الارض وهو ينتظر يداً نشيطة على العمل تنشرهُ الى عالم الاحياء

وقد قسمنا هذه النبذة الى قسمين نذكر في الاول خلاصة تاريخ المجمع العلمي المصريّ وفي الثاني الخدم الجليلة التي ادَّاها اعضاؤهُ لتقدُّم العلوم وترقّي الوطن

١

خلاصة تاريخ المجمع العلمي المصريّ

كانت مصر القديمة مع ما فيها من بقايا الدوَل العظمى التي استولت عليها في القرون الخالية مضَّجعةً في زوايا الخمول لا يعرف العلماء من امرها غير ما اطلعتهم عليهِ بعض اسفار الرَّحالين الذين كانوا يدخلون هذا القطر فيكتفون بذكر بعض مدنهِ وآثارهِ الظاهرة لكل العيان كالاهرام وعمود السواري في الاسكندريَّة والمسلاَّت الشهيرة ولا تكاد تجد خلاف ذلك في كتبهم. وكثيراً ما كانوا ينقلون عن قدماء اليونان ما كتبوهُ دون ان يتحقَّقوا صحَّة اقوالهم ويفرزوا الغثَّ من السمين واذا صوَّروا شيئاً من آثار المصريين طمسوا محاسنهُ واذهبوا رونقهُ حتى انهم لم يُبقوا من خواصّهِ العجيبة ذرَّةً

هذا ولمَّا دخل نابوليون بونبارت بعساكرهِ في ارض الفراعنة كان استصحب معهُ قوماً من العلماء الفرنسيين فوكل اليهم ان يطوفوا القطر المصريّ ويصفوا وصفاً مدقَّقاً كلَّ ما يجدونهُ من الآثار والعاديَّات مع رسم صورها. وهذه الجمعيَّة الاولى عقدها نابوليون في ٢٢ آب سنة ١٧٩٨ ودعاها باسم المكتب المصري (l'Institut d'Egypte) وهي التي ينتمي اليها اعضاء الجمعيَّة العلميَّة المصريَّة الحاليَّة

والحقُّ يقال انَّ هذه الجمعيَّة الاولى قامت بالشؤون الموكولة اليها احسن قيام وافرغ اعضاؤها ما لديهم من الوسائل المتعدّدة ليشيدوا للعلوم صرحاً عالياً جمعوا موادَّهُ

وجدنا انَّ ترقّي مصر في اسباب الحضارة والعمران كان في عصرنا من جملة اعمال هذه الجمعيَّة. فان العلماء الذين اشتهروا منها منذ مئة سنة هم الذين وطَّدوا للحكومة كلَّ السُّبل لنشر التمدُّن الماديّ والادبيّ

وذلك انَّ ناپوليون يوم وطئت قدمهُ ارض الفراعنة فهم ان حياة القطر المصري تتوقَّف على وَفرة مياه النيل وحسن سقي الاراضي. فعهد الى مهندسين بارعين ان يبحثوا بحثًا مدقَّقًا عن خواصّ هذا النهر العظيم واقرب طريقة لينتفع بهِ المصريُّون لاسيما الفلاحون منهم. وقد امتاز منهم مهندسان اعربا عن معرفة واسعة وذكاء غريب اسمهما مَرتين ولهپار. فمن اعمل النظر في درس ما كتبهُ هذان العالمان بهذا الخصوص وجد انهما وضعا نواميس سقي الاراضي التي اجراها اليوم بالعمل ارباب مصر فانجلت عن احسن النتائج. ومما سبق الى ذكرهِ لهپار ما قام بعملهِ بعدئذٍ دي لسپس وهو الجمع بين بحر القلزم والبحر المتوسّط وقد بيَّن في كتابهِ انَّ هذه القناة كانت موجودة في ايَّام الفراعنة وانَّ النيل كان يتَّصل بقنيّ عديدة بالقلزم. ومن مشروعات هؤلاء المهندسين خارطة عجيبة لكلّ التخوم المصريَّة طولها احد عشر مترًا في عرض ستَّة امتار و ٤٠ سنتيمترًا. هذا فضلًا عن خمس خارطات لاقسام بلاد الشام ورسوم مدن مصر الكبرى. وعلى هذه الخارطات كان معوَّل وزارة النافعة والاشغال العموميَّة

ومما يلحق بآثار المهندسين من اعضاء الجمعيَّة المصريَّة ما انشأهُ علماؤها من الاعمال الفنيَّة والصناعيَّة. وكان عدد من وكل اليهم نابوليون هذا الامر الخطير خمسة وعشرين رجلًا. فاقتسموا بينهم نواحي مصر وتفرَّغوا لكلّ الابحاث التي تختصّ بالصنائع والفنون فطافوا الصعيد والفيُّوم ووادي بحيرات نطرون وبلغوا الى شبه جزيرة سينا. وهم في اثناء ذلك يراقبون كل الاراضي ويناظرون اعمال الفلاحة وادواتها وطرائقها ويعاينون المعامل الصناعيَّة كلها فردًا فردًا مع محصولاتها. فلمَّا عادوا كتب كلٌّ منهم مقالةً مطوَّلة في ما شاهدهُ ثمَّ بسطوا الكلام في الوسائل التي يمكن بها تحسين هذه الصنائع والفنون وفتحوا ابوابًا عديدة لتجارة مصر وترقيها الصناعي. ولمَّا صار الامر الى محمد علي باشا جعل جلَّ همّهِ ان يسلك المحجَّة التي نهجها هؤلاء العلماء بابحاثهم. واليهم يعود الفضل في استلفات النظر الى زراعة حبوب ونباتات كثيرة لم تُزرع في مصر قبلًا وهم الذين وسَّعوا نطاق مزارع القطن وقصب السكر والكتان ومعامل الزجاج وسعوا في تحسين

والفضل في ذلك عائد الى محمد سعيد باشا الشهير وكان بعض العلماء في مقدَّمتهم كونيغ بك (Kœnig Bey) واوغست ماريت عرضوا على سموّهِ ما ينجم من العوائد الجمّة من انشاء جمعيَّة تتفرَّغ الى البحث في كلّ فنون الآداب المصريَّة والعلوم الوطنيَّة . فاجاب سعيد باشا الى سؤلهم بطيب الخاطر وانعم على اعضائها بانعامات وامتيازات استوجبت شكرهم ولذلك صدَّروا بصورتهِ الشريفة مُلحقًا أَلحقوهُ بكتاب الذهب وجمعوا فيهِ صور رؤساء الجمعية

وكان استئناف هذه الفئة الجديدة في ٦ اَيار سنة ١٨٦٩ وعُرفت « بالمكتب المصريّ ». وكان اعضاؤها من جنسيَّات مختلفة بيد انهم اتخذوا اللغة الفرنسية للمذاكرة ولنشر اعمالهم التي لم تزل مذ ذاك الحين تبرز في اوقات معلومة . وقد آثرت هذه الجمعية لها شعارًا ضامنًا لتقدُّمها ونجاحها وهو : « الاتحاد والترقّي ». وها قد مرَّ على تجديد هذه الجمعيَّة اربعون سنة وهي لا تزال باتّفاق كلمة اعضائها ومساعيهم المشكورة تصعد في معارج التقدُّم وتُعلي منار العلوم الوطنيَّة

وقد ترأَّس هذه الجمعيَّة منذ سنة ١٨٥٩ الى يومنا تسعة رجال تنطق اسماؤهم بسموّ فضلهم وهم كونيغ بك ثمَّ تُوربورن (Thurburn) ثمَّ ماريت باشا (وترأَّس ثلاث مرَّات) ثمَّ دي شمبور (de Chambure) ثمَّ كولوچي بك(Colucci Bey) ثم غليردو بك ثمَّ مسپرو ثم الدكتور شوينفرت (Schweinfurth) ثمَّ يعقوب ارتين باشا المتقدّم الحالي . وقد دخل في الجمعيَّة منذ ذلك العهد نيّف ومئتا عضو اشتهر بينهم بجميع العلوم كثيرون ممَّن يطول بنا ذكر اسمائهم وقد استلفت غيرهم انظار الجمهور بمناصبهم الرفيعة وتآليفهم المفيدة . هذا فضلًا عن قوم من جلَّة العلماء الذين آزروا اعمال الجمعيَّة ورضوا بان تدرج اسماؤهم في قائمة اعضائها الشرَفيين او كَتبتها المراسلين

امَّا مركز الجمعيَّة فكان اولًا في الاسكندريَّة لتوسُّطها بين اوربَّة وآسية وافريقية ولسهولة اجتماع العلماء فيها . وقد نُقل الى القاهرة سنة ١٨٨٠ لوَفرة اسباب الشغل في عاصمة مصر ولكثرة متاحفها وخزائن كتبها وتوارد العلماء اليها

٢

اعمال جمعية العلماء المصريَّة

اذا تخطَّينا بعد هذه اللمعة الموجزة الى ذكر شيء من اعمال جمعيَّة العلماء المصريَّة

الامراض والعلل الشائعة في مصر مع تشخيص اعراضها وبيان ادويتها. وقد برّز منهم الدكتور ديجنيت (Desgenettes) والجراحي لاري (Larrey). ومن جملة كتب هذا الاخير مقالتهُ في جراحة المصريين وطبهم. وبحث برويان (Bruant) عن الطاعون وامراض العين في القطر المصريّ. هذا ولا يزال الى يومنا كثيرون من العلماء يشرّفون الجمعيَّة المصريَّة بتآليفهم العديدة في جميع الفنون الطبيَّة

وليست اعمال الجمعيَّة المذكورة اقلّ شأناً في الرياضيات وعلم الهيئة. واول من اشتهر من اعضائها في ذلك العلامة مُنج (Monge) مخترع علم المساحة الوصفيَّة لمعرفة صور الاجرام الفلكيَّة واوضاعها في الفضاء. ومن تآليفهِ لمَّا اصطب بونابرت كتابهُ في السراب الذي يستند اليهِ كلُّ الطبيعيين. ومنهم ڤيدال باشا الذي صنَّف مقالات عديدة في المباحث الجبريَّة والانساب والمساحة واكثرها لم تُنشر بالطبع حتى الآن ومنهم ايضاً ڤنتر باشا (Ventre pacha) سر مهندس الدائرة السنيَّة. ومنهم الطبيعيّ فوريار (Fourier) والكيمويّ برتوله ولكلّ هولاء اعمال اثيرة في العلوم الرياضية والطبيعيَّة نشرت في مجلة الجمعيَّة في هذه السنين الاخيرة

وقد اشتهر منهم في الهيئة نواي (Nouet) وجاكوتين (Jacotin) وجومارد (Jomard) ورميراج (Remi-Raige) وكلهم في عهد نابوليون الاول اشتهروا بارصادهم الفلكيَّة وتعريف أعراض البلاد واطوالها ومواقع المدن وبيَّنوا اقيسة قدماء المصريين وازياجهم وتواريخهم السنويَّة. الّا ان مقدَّمهم نواي وَهَمَ في تعريف عهد بعض الابنية كتحديد زمن منطقة البروج في دندره اذ نسبها الى سنة ٢٠٥٣ قبل المسيح مع انها وُضعت في ايَّام كلاوبترة كما اصلح ذلك ڤنتر باشا وبيَّن غلَت حساب نواي

والجمعيَّة الحاليَّة تفتخر اليوم بكثيرين من العلماء الذين يقتفون آثار اسلافهم في الدروس الفلكيَّة نخصُّ بالذكر منهم الدكتور شناپ (Schnepp) ولينان دي بَلفون (Linant de Bellefonds) ودي ابَّادي (d'Abbadie) وابَّات باشا (Abbate pacha) وارتين باشا ومحمود باشا الفلكيّ واسماعيل باشا الفلكي وصابر بك صبري وشفيق بك منصور وڤيتو (Vito)

هذا واننا نعدّ كلَّ هذه الخدم مع عظم خطرها وعلوّ شأنها قليلةً بالمناسبة الى خدمات

كثير من الصنائع كعمل الصابون وتصفية السكّر واستخراج الزيت وشغل الجلود وصنع الآنية الخزفيّة . ومنهم من دلّ اصحاب الامر على زرع الاشجار المختلفة . ومنهم مَن قصر نظرهُ على فحص التربة وتسميدها وسقيها والانتفاع بكلّ اقسامها دون ان يُفقد منها ذراع . وكلّ هذه الابحاث التي لا تزال تشغل اعضاء الجمعيَّة المصريَّة ادَّت بعد مئة سنة الى تغيير هيئة مصر حتى صارت الآن اخصب بلاد الله واوسعها تجارةً واكثرها ربحًا . فان صادرات مصر في سنة ١٧٩٨ لم يكد يُعبأ بها . وهي في سنة ١٨٩٨ قد بلغت ٩١٩,٨١٧ طنًّا بيعت بنحو ٣٧٠ مليونًا من الفرنكات

ومن اعمال الجمعيَّة تآليف عديدة لاعضائها في علم النبات فانَّ ده‌ليل (Delille) كتب كتابًا واسعًا في نبات مصر . وقد احسن في وصفهِ لخواصّ نبات الصحاري . ثمَّ تعقَّب آثارهُ كثيرون من اعضاء الجمعيَّة العلمية كفيغاري (Figari Bey) وڤلكنس (Wolkens) . وقد الَّف الدكتور شوينفرت كتابًا في وصف النبات المصريّ على عهد القراعنة وبيَّن ما كان يتخذهُ المصريُّون كنبات مقدَّس يقرّبونهُ لآلهتهم . وبحث ايضًا المؤلف نفسهُ عن النبات المصري في ايَّام العرب وعن اصل الاشجار المثمرة وقد استنتج من ابحاثهِ هذه انَّ مصر كانت سابقًا اغنى بضروب النبات منها في ايامنا

وممَّا وصفهُ اعضاء الجمعيَّة العلميَّة ضروب الحيوانات المصريَّة . فان جوفروا سَنت هيلار وساڤيني (Savigny) صنَّفا في ذلك تصانيف غريبة لم يُسبق اليها . وفي المجموع المعنون بوصف مصر ترى نيِّفًا والف وخمسمائة صنف من الحيوان جمعها هذان العالمان ورسما صورها بالوانها الطبيعيَّة

واشتهر بين المحدثين في الجيولوجيا فيغاري بك وهو الذي رسم خارطات لعلم طبقات الارض . وتأثرهُ في هذه الابحاث المهمة غاستينل بك والدكتور غليردو بك (Gaillardot Bey) وفورتو (Fourteau) من مشاهير المهندسين لهم كتابات معتبرة امَّا ڤلتر وسيكنبرجر (Sickenberger) وغيرهما فانهما انكبَّا بثبات على دروس العاديَّات القديمة في بطن الارض التي تعرف بالآثار السابقة للتاريخ (paléontologie). ولماريت باشا والعلامة رَيل تآليف في علم الانسان وخواصّ تركيبهِ (anthropologie)

وقد اكتسبت الجمعيَّة المصريَّة ثناء الجمهور بمباحثها الطبيَّة ومذ عهد ناپوليون اشتهر في مصر قوم من نُطُس اطبائها بتآليف نفيسة وضعوها في وصف اصناف

من الكتابات المتعلقة بالموتى ثم اخرج من تحت الردم هيكل الأَقصُر ونفذ في مخبَّأة دير البحري فوجد فيهـا اجسام فراعنة مصر المحنَّطة (راجع المشرق ١ : ٨٨٠). ثم وليهُ موسيو غريبو (Grébaut) وواصل التفتيش في دير البحريّ الى ان اكتشف نواويس عظماء كهنة الاله امُّون ووجد في جوار ثيبة آثار مدينة « ابو » العظيمة الشــأن. وفي عهدهِ نُقلت عاديَات متحف بولاق الى قصر الجيزة لضيق معاهد بولاق

وتولّى امر العاديَّات المصريَّة الموسيو دي مرغــان الذائع الصيت ولهُ اكتشافات شهيرة منها هيكل فتاح في مَنف وهيكل كوم امبو وهيكل كرنك ونواويس مره وكابين وابوصير. ومنها آثار داشور العجيبة وفيها الحلي والاواني الدقيقة الصنع المحكمة الاتقان. ومن التآليف الخطيرة التي نشرها في ذلك: قائمة آثار الصعيد وكتاب البحث في اصول مصر (مجلدان) وهو فريد في بابهِ

ولمَّا انتدبت الحكومة الفرنسويَّة دى مرغان الى بعثة علمية في بلاد العجم عُهد بامر العاديات المصريَّة الى ڤيكتور لوره فهداهُ الله الى اكتشاف جثث بعض الفراعنــة مع غير ذلك من الآثار العلميَّة التي سبق وصفهــا في المشرق (١ : ٥٨٠ و ٨٨١). وقد استُدعي العلاَّمة مسپرو ثانيةً الى نظارة العاديَّات منذ زمن قليل فسُرّ الجميع بعودهِ

ومن مكتشفي الآثار القديمة في مصر ممن زانوا الجمعيَّة المصريَّة الدكتور شوينفرت وهنري بروغش باشا (Brugsch Pacha) وبروغش بك محافظ متحف الجيزة ودارسي (Daressy) وبوريان (Bouriant) ولوغرين (Legrain) وفلنــدرس پتري (Fl. Petrie) ووليم غروف (Groff) ولكلِّهم اليــد الطولى في البحث عن العاديات المصريَّة

ونحن نضيف تهانئنا الى تهانئ كلّ العلماء ونتمنى للجمعيَّة المصريَّة ان يزيد الله اعضاءها فضلًا وشأنًا فيبلغهم جلّ امانيهم باحياء ما بقي من دفائن الآثار المصريَّة

الموادّ الكلسيَّة في التربة الزراعيَّة

للشاب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر مفتّش الزراعة في لبنان

ذكرنا في مقالتنا السابقة (المشرق ٣ : ٧٥ — ٧٧) ان من جملة الموادّ الجوهرية الداخلة في التربة الكلس والعناصر المتركبة منهُ. وقد رأينــا ان نفرد للبحث عن هذا

اجلّ واسمى ادَّتها اعضاء الجمعيَّة العلميَّة للعالم كلهِ نعني بذلك الاكتشافات المصريَّة العجيبة التي توصَّل اليها اصحاب هذه الجمعيَّة منذ مئـة سنة. وممن ساعدوا على رفع منار علم الآثار المصرية شمپوليون الشهير وهو اوَّل من حلَّ الغـاز الكتابة المصريَّة وشرح ما كان العرب يدعونهُ بالقلم المجهول سنة ١٨٢٢ وتمكَّن من ذلك بواسطة كتابة وُجدت في رشيد بثلاث لغات

فمذ ذاك الحين دخلت علوم الآثار المصريَّة في طور جديد وانتصب امام الدنيا عالَم عجيب بقي مطموراً في قلب الارض مدَّة الفي سنة بنيف. فقرئت كلُّ الكتابات العديدة التي كانت على الهياكل المصريَّة والمسلات والمدافن ونُبذ التاريخ المصريّ القـديم المأخوذ عن اليونان والرومان وقام مقامهُ تاريخ جديد يستند الى اقوال قدماء المصريين انفسهم

ولم يكفِ علماء الجمعيَّة المصريَّة ان يطلعوا على اسرار الكتابة المصريَّة بل حاولوا ان ينزلوا الى اعماق الارض ليهتكوا القناع عن كنوزها العلميَّة. وايَّدهم في ذلك اصحاب الامر الاعظمون منذ محمد علي باشا الى سموّ جلال الخديوي الحالي الامـير عبَّاس باشا حلمي الثاني ولهم الفضل في انشاء لجنة مصر لبحث العاديات

والذين اشتهروا مبـاشرةً باكتشاف الآثار المصريَّة العلماء الآتي ذكرهم سلت (Salt) وميمو (Mimaut) ودروڤتي (Drovetti) وپاسالَكوا (Passalacqua) وكليو (Caillaud) وتـڤنا دوڤان (Thévenat-Duvent) مع رؤساء بعثات علميَّة مختلفة لاسيا شمپوليون وروزلّيني ولپسيوس ورُوجه (Rougé). فاصاب كلُّهم من الآثار الجليلة ما اغنوا بهِ دور المتاحف في عواصم اوربَّة جمعاء

وممن تأثَّر آثار هؤلاء وفاز بقصبة السبق ماريت (Mariette) الذي انشأَ متحف بولاق وجدَّد جمعيَّة العلما المصريَّة. فانَّ هـذا الرجل الهمام بعد ان اكتشف هيكل سيرابيس (Sérapéum) في مَنف دعاهُ سعيد باشا ووكل اليهِ حفر العاديَّات المصريَّة فقام هذا العالم بهمَّتهِ احسن قيام مدَّة ٢٣ سنة فاكتشف الاكتشافات العجيبة التي ترنُّ اسماء مواقعها في الآذان فتشنِّفها باحلى الانغام. فمن ذلك عاديَّات سقَّاره وكتاباتها ومنها هياكل ادفو ودندره ومدافن ابيدس ومآثر تانيس وثبة

ثم خلفهُ العلامة مسپرو (١٨٨١—١٨٨٥) ففتح اهرام سقَّاره ونشر ما وجد فيها

يسهل تمييزها عن التربة الخالوة منها وذلك بان تسكب على الارض شيئاً من الحوامض ولو مُشبعاً بالماء فترى لوقتك الحامض الكربونيك ينبعث من الارض. ومن الدلائل ايضاً على وجود الكلس في التربة توفُّر الاعشاب النابتة فيها من تلقاء ذاتها لاسيما البقول كالبرسم والقَتّ والبرجيس والسدر. وبعكس ذلك تستدلّ على قلّة الكلس اذا انبتت الارض الاقحوان والحَمض والخنشار والرَّتم

ولمعرفة كميَّة الكلس في الارض مقياسٌ يدعى مقياس الكلس (calcimètre) ومقاييس الكلس عديدة كمقياس مُندزير (Mondésir) وبَرْنار ولوبلان وشَيْبلر وكلمنسو وكأُّها مبنيّة على هذا المبدإِ الوحيد وهو تحليل الكلس بواسطة الحامض الكلوردريك. فتأخذ لذلك وزناً معلوماً من تراب الارض المطلوب فحصها فتنخلهُ بمنخل ناعم ثمَّ تصبُّ عليهِ مزيجاً مشبعاً من الحامض المذكور فيتخلَّص للحال الحامض الكربونيك الباقي في التراب وهو يُجمع في اسطوانة من الزجاج ذات مقياس مجزَّإٍ. ومن وزن حجمهِ يُستدلُّ على ثقل الجصّ الذي منهُ انبعث. لانهُ من المقرَّر ان مئة غرام من التربة الكلسيَّة يحتوي ٤٤ غراماً من الحامض الكربونيك و٥٦ غراماً من الكلس امَّا الليتر من الحامض الكربونيك فثقلهُ غرامان على التقريب (و بالتدقيق ١,٩٧٧). فاذا عرفت حجم الحامض الكربونيك تيسر لك معرفة ثقل الكلس المناسب

فلنفترض مثلاً انَّ غراماً من التراب الناعم الناشف بعد مزجه بالحامض الكلوردريك بعث ٣٤ سنتيمترًا مكعَّبًا من الحامض الكربونيك فتحصل النسبة الآتية:

لانَّ ثقل الليتر (اي الف سنتيمتر مكعَّب) غرامان فينتج ان سنتيمترًا مكعَّبًا يكون ثقلهُ ١٠٠٠/٢ او ٠,٠٠٢ فيكون ثقل ٣٤ سنتيمترًا ٠,٠٠٢×٣٤= ٠,٠٦٨ هذا ونعرف انَّ ٤٤ غراماً من الحامض الكربونيك توازي ١٠٠ غرام من الكلس فانَّ دللنا على المجهول بحرف ك قلنا:

$$ك = \frac{١٠٠ \times ٠,٠٦٨}{٤٤} ٠,١٥٤$$

اعني انَّ غراماً من التربة المذكورة يتضمَّن ٠,١٥٤ ملغراماً من الكلس ومئة غرام منها تتضمَّن ١٥ غراماً و ١٠٠/٤ من الكلس. وعادةً يكفي ان يجمع المحصول بعدد ٠,٤ وهو ما ينبعث تقريباً من الحامض الكربونيك من غرامٍ واحدٍ كما مرَّ

وبين المقاييس الكلسية المذكورة امتاز مقياس برنار وهو مدير مُختبَر كلوني

العنصر بابًا خصوصيًا لعظم شأنهِ في التربة الزراعية. والحقُّ يقال ان للكلس عملًا مشكورًا وان كانت كميَّتهُ في التربة الجيدة لا تتجاوز من الخمسة الى العشرة في المئة

واعلم انَّ الكلس اذا ما كان في التربة على هيئة حجارة او رمل مختلط بالحصباء لا فعل لهُ في تحسين الارض الزراعيَّة كما لا تحسّنها بقيَّة الحجار من الصوَّان او الرمل المتحجّر (grès). ولكن اذا عملت فيهِ العوامل وتحوَّل الى تراب واختلط ببقيَّة العناصر اثَّر في التربة تأثيرًا حسنًا وأجدى خواصّها الطبيعيَّة منافع شتى

فمن ذلك انَّ المواد الكلسيَّة المنعّمة هي من شروط التَّنَطْرُن (nitrification) والتنطرن عبارة عن تحوُّل المواد الازوتيَّة الآليَّة من حالتها الجامدة الى حالة معدنيَّة تصلح لغذاء النبات. لانَّ الازوت هو قوام حياة النبات لكنهُ على كثرة وجودهِ في الطبيعة ودخولهِ في نفاية الاجسام الآليّة النباتية والحيوانيَّة كالسَّماد ورذالة النبات لا يمكنهُ ان يفيد الزراعة شيئًا ما لم يتحوَّل باختلاطهِ مع الاركان المعدنيَّة الى مركَّبات نطرونيَّة (nitrates) فيحصل بذلك التَّنَطْرُنُ الذي لا بُدَّ منهُ لتغذية النبات (راجع المشرق ٣: ٧٦). وهذه الأخلاط المركّبة تشبه نيترات الصودا. امَّا علّة هذا التحوُّل الجوهريّ فهو ميكروب خصوصي لا يقوم بعملهِ الَّا بشروط: اوَّلها الهواء. ثانيها بعض الرطوبة. ثالثها حرارة تختلف بين ٥ درجات الى ٣٥ درجة والافضل ان تبلغ ٢٠ الى ٣٧ درجة من المقياس المئويّ. رابعها ان يدخل في التربة موادّ قلويّة. خامسها ان يدخل الكلس في تركيب الحامض النطريّ فيتكوَّن منهما نيترات الكلس الذي يصلح بذاتهِ توًّا لغذاء النبات

والموادّ الكلسيَّة فضلًا عن كونها تهيّئ القوت للنبات هي ايضًا نعم السماد لها فانَّ النبات يمتصُّ منها قسمًا فيحوّلهُ الى جوهرهِ. ولها ما عدا ذلك فعلٌ ثالث وهو على ما بيَّنهُ شلوسنغ (Schlœsing) ان تُجمّد الصلصال في التربة وتجعلهُ خفيفًا مناسبًا للزراعة

هذا وانَّ ارباب الزراعة يهمُّهم ان يعرفوا أتكون التربة غنيَّةً بالكلس او هي خلوٌّ منهُ واذا خلت هل هي من الحوامض او لا. فانَّ معرفة هذه الخواصّ تصلح ايَّ صلاح لتوفير الغلَّات واختيار انواع السماد. واعلم انَّ التربة الغنيَّة بالموادّ الكلسيَّة

الاعاجم عن الغرض قد حاد. ولذا ما زلتُ أُنضي رِكابَ البحث طالباً الرشاد. حتى بان لي ان الله هداني الى ضالّتي بعد جهدٍ ليس وراءه مستزاد. فاحببتُ ان أُكاشف بها قرّاء المشرق الكرام ليكونوا على هُدًى ممّا يقرأون. ولكي لا يصحّ ان يُقال فيهم: « تَزْوُ القُرارِ استجهلَ القُرارا »

قال صاحب التاج وقد جمع في كلامهِ خلاصة أقوال المؤرخين من العرب ما نصُّهُ: « اللّان بلاد واسعة وأُمّة في طرف أرمينية وهي مملكة صاحب السرير وهي ثمانية عشر الف قرية. قال ياقوت: « بلادهم متاخمة للدرَبَند في جبال القَبْق ومنهم المسلمون والغالب عليهم النصرانيَّة. وفيهم غِلَظ وقساوة. وملكهم يُقال لهُ كنداج. (قلتُ: وفي مروج الذهب المطبوع في هامش نفح الطيب ١ : ٢٤١ يُروى: كركنداج. وكذا رُوي ايضاً في هامش الكامل لابن الاثير ٢ : ٢٦) وبين مملكة اللان وجبل القَبْق قلعة وقنطرة على وادٍ عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللّان. وهي على صخرة صمّاء لا سبيل الى الوصول اليها إلّا باذن مَن بها. ولها عينُ ماء عذبة وكان مسلمة بن عبد الملك وصل اليها وفتحها ورتّب فيها رجالًا من العرب يحرسونها. بينها وبين تفليس مسيرة ايَّام. وعَلّان بالعين من لحن العامَّة (وكذا رواها ابو الفداء). قلبوا الالف عيناً ». اه

قلت: قد اتّضح لك كالشمس في رائعة النهار: ١ً ان بلاد اللان متاخمة للدربند Derbend ٢ً وانها فى جبال القَبْق Les monts Caucase ٣ً وبين جبل القَبْق وجبل اللان قلعة وقنطرة على وادٍ عظيم يقال لهذه القلعة باب اللان. وقد زاد المسعودي على ذلك كلاماً طويلًا منهُ ما قال: « وبينهُ (اي بين ملك اللّان) وبين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت (وقت المسعودي) وقد تزوَّج كلّ واحدٍ منهما باخت الآخر. وقد كانت ملوك اللّان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العبَّاسية اعتقدوا دين النصرانيَّة. وكانوا قبل ذلك جاهليَّة. فلمَّا كان بعد العشرين والثلثمائة (اي سنة ٩٣٣م) رجعوا عمَّا كانوا عليهِ من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان انفذهم اليهم ملك الروم » اه. والحال ليس شيء من هذا الكلام ينطبق على اليولونيين بل ولم يُوجد هؤلاء قطّ في جبال القبق فى القُرون المذكورة هنا. ثمَّ ان اليولونيين لم يسلموا ابدًا. الى آخر ما هناك من الاختلافات العظيمة بين اللّان

(Cluny) وهو عبارة عن اسطوانة مجزَّأة الى مئة سنتيمتر مكعَّب ونصف السنتيمتر. ثمَّ قنينتين مخروطتين ثمَّ كرَة تنتهي برأس محدَّد تعلَّق على سند

فاذا اردتَ ان تستعمل المقياس المذكور فعليك ان تملأ الكرة ماء بحيث يعلو في الاسطوانة الى درجة الصفر ثمَّ تأخذ غراماً من التربة المَنويّ فحصها بعد نخلها فتضعها في قنينة ثمَّ تأخذ كميَّة من مزيج الحامض الكلوردريك فتصبُّهُ في القنينة بواسطة اسطوانة اختباريَّة صغرى مجزَّأة. ثمَّ توازن بين ماء الاسطوانة المجزَّأة وماء القنينة وتسكب مزيج الاسطوانة في القنينة فينبعث للحال الحامض الكربونيك ويعلو فوق سطح الماء فيخفضهُ. وفي اثناء ذلك يمسك المختبر بيدهِ الشماليَّة قنينة الماء فيجتهد الَّا يضغط الماء غير الحامض الكربونيك. واذا هدأ الماء بعد انخفاضهِ يُقرأ على المقياس عدد السنتيمترات المكعَّبة ويضرب بعدد ٤ ثمَّ يُقسم بعشرة فتعرف بذلك كميَّة الكلس

اللَّان والبُرْجَان

لحضرة الاب انستاس الكرملي الحافي البغدادي

قد استقصيتُ البحث عن هاتين اللفظتين في الكتب فرأيتُ الافرنج قد اعجموا اللَّان بكلمة Polonais وبلادهم بلفظة Pologne . ونقلوا البُرْجان الى حرف Bulgares وبلادهم الى Bulgarie وقد رَكِب متن هذا الشطط جميع الذين نقلوا الى لغتهم مؤلفات تواريخ العرب التي فيها يُذكر هذان الاسمان كمترجمي كتب خريدة العجائب ومروج الذهب وتاريخ مختصر الدول وتاريخ ابي الفداء ونحوها من الأسفار الكثيرة العدد (١. غير اني لمَّا رجعتُ الى أُمَّهات كتب العرب رأيتُ انَّ بين القولين بونًا عظيمًا وان الكلمة العربية في وادٍ والكلمة الافرنجية في وادٍ. فاستنتجتُ ان سهم

---

(١) قد تأثرهم شارح مجاني الادب ص ٣٥٧ اذ قال: « اللَّان ويُقال لهم اللاه هم سكَّان بولونية وموقع بلادهم اليوم في بلاد الرُّوس وشرقي جرمانية وشمالي اوستريا وجنوبي بحر البلتيك. قال الادريسيّ: وبولونية ... الخ. » وقال في كتابهِ المترجم بالمتخبات العربيَّة Chrestomathia arabica ص ٣٥٣ في الحاشية: « اللَّان Poloni » وذكر: « البرجان » باسم « Bulgari » وأحالَ النظر في المجلَّة الاسيويَّة في حزيران سنة ١٨٤٩ ص ٤٦٥ و ٤٧٦

المشابهة هي هي التي استدرجت بعض المحدثين الى هذا الوهم. وانما دُعي البولونيون بهذا الاسم لان قبيلةً من الصقالبة واسمها « اللاَّه » (وبالفرنسيَّة Lèches والحرفان ch في هذه الكلمة يلفظهما اصحاب تلك اللغة حرفًا واحدًا بين الحاء والهاء لا كالشين) انضمَّت الى قبيلة اخرى اسمها « اللَّطُّونة » (وبالفرنسية Lettones) وشنَّتا غارةً شعواء على سكَّان تلك البلاد الاصليين ودوَّختاهم فتسمَّت تلك الاصقاع منذ ذاك الحين بلاد « صقالبة السهل » وبلسانهم پولان بالامالة اي Polènes او پولوني Polonais. ودخلت النصرانيَّة اوَّل دخولها تلك البلاد سنة ٩٦٥ م في عهد الملك مياسَسْلاس الاوَّل ودخلت بلاد اللَّان دخولها الاوَّل نحو السنة ٣٣٥ في عهد قسطنطين الكبير كما ذكرهُ ابن العبريّ ولم تعمّ اللان جميعهم الَّا في بدء خلافة العباسيين. وبين هذين الدخولين فرق يُذكر ويُؤيدهُ قول مؤرخي العرب. هذا وكلما اردنا ان نتتبَّع الى آخر ما هنالك من الروايات التاريخيَّة نراها لا تنطبق الَّا على اللّان بل وتقع عليها وقوع الحافر على الحافر ولا تبتعد الَّا عن اللاَّه او البولونيين فاحفظ وَعِ

امَّا البُرجان فليسوا بالبلغار على ما ظهر لنا وان كان بين الكلمتين بعض الشبه. وسبب كونهم ليسوا بذلك ان العرب يُميّزون كلّ التمييز بين الجيلين وكل مؤرخ منهم لم يذكر الواحد بدل الآخر. ألا ترى مثلًا ابن الورديّ يقول في كتاب خريدة العجائب ص ٤٦ عن ارض البُرجان ما نصُّهُ: « هي ارضٌ عظيمة واسعة بها من البُرجان أُمم لا تُحصى وهي امة طاغية قاسية بلادهم واغلةٌ في الشمال » وهو يقول عن ارض البلغار ص ٤٨ ما حرفهُ: « هي ارض واسعة ينتهي قصر النهار عند البلغار والروس (وفي الاصل المطبوع والروؤس بهمزة على الواو وهو خطأ ظاهر) في الشتاء الى ثلاث ساعات ونصف ساعة. قال الجواليقي: « ولقد شهدتُ ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم مقدار ما أُصلّي اربع صلوات كل صلاة في عقيب الاخرى مع الاذان وركعات قلائل الاقامة والتسبيح. وعماراتها متَّصلة بعمارة الروم. وهم امم عظيمة ومدينتهم تسمَّى بلغار وهي مدينة عظيمة يخرج واصفها الى حدّ التكذيب » اه. وكذلك ميَّز بين الجيلين المسعودي وابو الفرج وابن الاثير والطبري وابن المكرَّم وياقوت وغيرهم واجتزأنا بالتلميح عن التصريح خوف الاطالة على غير جدوى. فاذا كان البُرْجان والبلغار او البلغر (كما يكتبها المسعوديّ) جيلين متميّزين فلا يجوز البتَّة تسميتهما باسم واحد بل البُرجان هم الـ (Varègues)

والپولونيين(١. وعليهِ فاللّان ليسوا بالپولونيين بل هم الذين يسمّيهم الافرنج les Alains وقد اخذ العرب هذه التسمية عن اليونان وهي بلسانهم Ἀλανοί وتسمَّى بلادهم عندهم Ἀλανία او عن الرومان وهي عندهم Alani وبلادهم Alania. اما باب اللان فيسمّيهِ الروم Pylæ Caspiæ او P. Caucasiæ وسمَّاهُ الافرنج porte des Alains ويُسمَّى اليوم باب دريال (porte de Dariel). وقد مرَّ بك في المشرق(٢ : ٧٢٥) ان الجبال التي يُسمّيها بعض تراجمة العرب في يومنا هذا «جبال قوقاس» هي معروفة باسم «كوه قاف» اي جبل قاف وقد صحّفهُ العرب «قِيقا (بياء بين قافين والاولى مكسورة) وقَيقا (كذلك لكن بفتح القاف الاولى) وفِيقا (بفاء مكسورة في الاول) وصحّفوهُ اليوم: بقَبْق (بباء ساكنة بين قافين والاولى مفتوحة) وجبل الفتح ايضًا (راجع مروج الذهب فصل: «ذكر جبل الفتح») والفتح تعريب «قاف» او «كاف» المشتقَّة من «كافتن» الفارسيَّة ومعناها: «الشقّ والصدع والفتح(٢ وسُمّي بجبل الفتح لكثرة الشقوق والصدوع فيهِ

وقد اعتبر العرب في لفظة «اللّان» ان «ال» هنا زائدة للتعريف. والحال انها اصليَّة وهي فيها همزة قطع لا همزة وصل وكان يجب ان يُقال عند ادخال ال التعريف عليها «آلألّان». وعليهِ فان رواية العامَّة لهذا الاسم اي «علّان» هي اصحُّ من الرواية المعتبرة فصيحة اي «لان» لانَّ الاولى تُبقي عدد الحروف على اصلهِ مع ابدال الهمزة عينًا وذلك كثير الوقوع في العربيَّة كما سبق الالماع اليهِ في المشرق غير مرَّة. واما «لان» فهو من تصرُّفهم بالالفاظ الاعجميَّة كما فعلوا في «مينا وقطرب واسكندر وقاوند وجريث وزرنيخ» وغيرها بحذف اللام او «ال». ومع كل ذلك فالاحسن ابقاء اللان على الحالة التي ذكرتها العرب لانهُ قيل في مثل هذا الباب: «الغلط المشهور خيرٌ من الصواب المهجور» وان كان يجوز لك ان ترجع الى الاصل او ان تقول علّان

امَّا البولونيون فقد سمَّاهم العرب باللّاه بهاء مهملة في الآخر لا بنون. ولعلَّ هذه

---

١) قال في شرح مجاني الادب: «موقع بلادهم «اليوم» في بلاد الروس...» تخلُّصًا من الاعتراضات والعقبات

٢) لم يتّصل الافرنج الى حلّ معنى هذه اللفظة. راجع الكتاب المسمى Le Caucase, la Perse et la Turquie d'Asie, par le baron Ernouf, p. 21 et 22

كثيرًا منهم ترحوا الى الديار الاميركيَّة تحصيلًا للمال فنجحت مساعيهم وبعد عودتهم بنوا فيها الدور الانيقة وشيَّدوا تحت سمائها المنازل الفسيحة

ومن ابنية غزير التي تستوقف النظر بقدمها اكثر من سواها دير الكبوشيين الذي كان دارًا للامراء من آل عسَّاف وسيفا وشهاب فسكنوها مئات من الاعوام وكانوا ولاة الاحكام في غزير وكل المقاطعة الكسروانيَّة لذلك العهد. والحق يقال ان موقع هذا البناء هو من احسن مواقع غزير وأبهجها للنظر

غير ان هذا الدير كان قد بنى معظمهُ سنة ١٥٧٢ م احد الامراء المسلمين العسافيين (١ المشار اليهم وهو الامير منصور عسَّاف الذي جاء غزير من الزوق (قرب جونية) لمَّا ان صدرت الارادة السلطانيَّة بمدّ ولايتهِ من نهر الكلب الى حماة وفُوّض اليهِ ان يعيّن « مقدّمين » او حكَّامًا في كلّ قرية. فجعلهُ دارًا لسكناهُ وللقضاء (٢. ولعنايتهِ بتوطيدهِ وتمكينهِ امر بان يعقد بالحجارة الكبيرة وان يُجعل عرض جدرانهِ نحوًا من ذراعين كما هو باقٍ الى الآن. غير ان كرور الاعوام قد انزل بهِ بعض الوهن رغمًا عن متانتهِ فرمَّمهُ الآباء الكبوشيُّون ووطدوه منذ بضع سنين مخافة السقوط. وهم الذين شادوا فوقهُ (لا آل سيفا المسلمون كما يزعم البعض) طابقًا علويًّا وامامهُ كنيسة ذات قبَّة لا يفترق كلّ منهما في الهندسة والاحكام عن البنيان القديم

وبنى ايضًا الامير منصور المومأ اليهِ بالقرب من الدار المذكورة برجًا اقام فيهِ حينًا احد أبناء عمّهِ المدعو منعمًا وقد جُعل هذا البرج فيما بعد كنيسة تُعرف عندنا « بسيدة الابراج ». وقد جدَّد بناءها الخوري اسطفان حبيش سنة ١٨٤٧ وخصَّها ببعض أُسرتهِ

وبنى ايضًا على مقربة منهُ حيث ينتهي السوق المعروف عندنا الان « بسوق الجامع » جامعًا فسيحًا لهُ مأذنة تنطح الغمام (٣. ومات الامير منصور في غزير ودُفن في

١) ولي الامراء العسافيون غزيرًا والمقاطعة الكسروانية مدَّة ٢٨٣ سنة (١٣٠٦-١٥٩٠م) وآخر من تولى القضاء منهم الامير محمد الذي قُتل بين البترون والمسيلحة وبهِ انقرضت سليلة آل عسَّاف كما سترى

٢) يذهب كثير من مواطنيَّ الى انَّهُ قد بنى ايضًا قسمًا من الطابق الاسفل من البيت الذي يملكهُ الان ورثة المرحوم الياس باخوس المجاور لمنزلهِ المذكور وجعلهُ تابعًا لهُ وبنوا قولهم هذا على الشبه الموجود بين البنائين في الهندسة وصنعة البناء

٣) قيل انَّ الجامع المذكور كان مبنيًا في الموضع المشيَّد فيهِ الان معمل الحرير الجاري في ملك خليل افندي باخوس

وكما انَّ العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الثاء الفارسيَّة المثلَّثة الفوقيَّة باء موحَّدة تحتيَّة اي Βαργοι سَهُل سبب تعاقب الثاء والباء والكلمة هي في الاصل Warg بمعنى المنفيّ فقال العرب فيها « بَرج » ثمَّ توهموا فيها الافراد فجمعوها على فُعلان فقالوا فيها « بُرجانًا » كما قالوا في جمع ظهر ظهرانًا (١. واذ قد علمت ذلك فارجع الآن الى مؤرخي العرب وقابل كلامهم بما ذكر الافرنج عن الـ Varègues فانك لا تتمالك عن ان تقول عنَّا :

اذا قالت حذام فصدّقوها فانَّ القول ما قالت حذام

(المشرق) اننا نشكر حضرة الاب انستاس على هذه النبذة النفيسة لاسيما ما كتبهُ عن اللان واللاه والفرق بينهما. امَّا قولهُ عن البرجان فمع تسليمنا بصحَّتهِ في مواقع كثيرة لا نظنُّ انَّهُ قطعيٌّ فانَّ المستشرق الشهير دي كاترمير اورد في تاريخ المغول (١ : ٤٠٨) شواهد لا تنطبق على غير بلغار نهر الطونة منها قول المسعوديّ عن يوستنيان الثاني الاخرم انَّهُ لاذ بتاوفيل ملك البرجان. والكتبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلغار ل. ش

غزير

موقعها وابنيتها القديمة

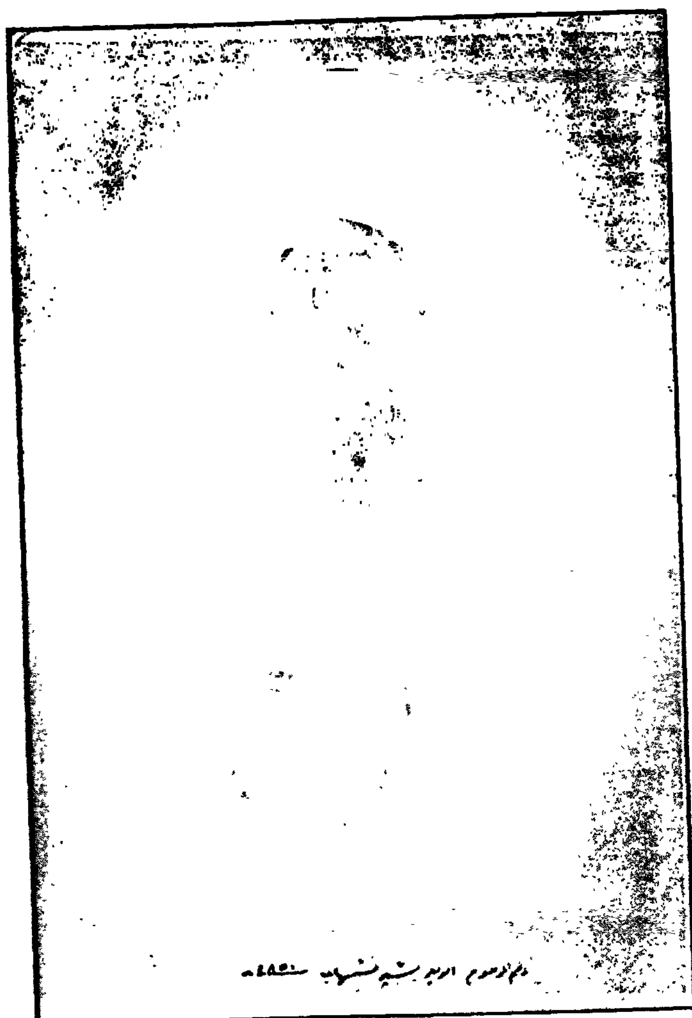
بقلم جناب نجيب افندي فارس باخوس الغزيري

غزير لفظة سريانيَّة (٢ معناها « مقطوع » وهي كذلك لانها مفصولة من كل ناحية عمَّا يجاورها من القرى باودية وهضاب. وقيل انها لفظة عربيَّة معناها « كثير » لغزارة مياهها وهو قول بمكان من الضعف. وهي مبنيّة على منحدر رابية منبسطة وبيوتها منضَّدة بعضها فوق بعض على شكل نصف دائرة (amphithéâtre). بحيث يستطيع الناظر اينما وقف ان ينعم النظر ببهجة المناظر الطبيعيَّة التي خصَّها بها الخالق. ولا جرم انها من اعظم قرى لبنان اتّساعًا واخصبها تربةً واطيبها هواء واغزرها ماء ترتفع عن سطح البحر زهاء ٣٥٠ مترًا. امَّا عدد سكَّانها فيبلغ ستة آلاف الَّا انَّ

---

١) ولعلَّ العرب اشتقُّوا اسم البُرجان من اسمٍ آخر شائع لهم هو Warangiens او Warngues

٢) ܓܙܝܪܐ. اسم مفعول اي مقطوع. وقد وهم صاحب جغرافية سوريَّة وفلسطين بظنّهِ ان معناها قطيع الغنم (راجع المشرق ٢ : ٤٧٥)



القبّة (١. التي كان قد خصّصها العسّافيون بدفن موتاهم. وكانت مدّة ولايتهِ ثمانية واربعين سنة (١٥٣٢—١٥٨٠ م) كان فيها مظهراً للعدل والحزم. ومن الراهن الثابت انّ غزير قد سكنها كثير من المسلمين كما يشهد بذلك بقاء اسم الحي المعروف عندنا الان « بحي المسلمين (٢ »

ثم خلفهُ في الحكم ولدهُ الامير محمد وكان هذا احضر معهُ من الاستانة بنّائين ماهرين لإتقان الدار والجامع المذكورَين واحكام بنيانهما على الطريقة المستحدثة في ذلك الحين. ويقول العلامة المؤرخ البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخهِ: « ان الدار المذكورة كانت من اجمل دور هذه البلاد وانهُ بلغت نفقة بنيانها زهاء ١٤ الف غرش » وتلك نفقة معتبرة عند ابناء ذلك العصر

وفي سنة ١٥٩٠ حشد الامير محمد عسكرًا وسار بهِ لمحاربة يوسف باشا والي طرابلس لخصومةٍ وقعت بينهما في المال الاميري فكمَن لمحمَّد في الطريق بعض اعدائهِ وقتلوهُ عند اجتيازهِ بين البترون والمسيلحة وبهِ كان انقراض بني عسّاف

ثم ولي الحكم بعدهم سنين طويلة امراء سيفا المسلمون (١٥٩٣) واقاموا ايضاً بالدار المار ذكرها ولم يغادروا غزير الّا بعد احتراقها وذلك في اواخر سنة ١٧١١ ولحق بهم ايضاً اذ ذاك كل المسلمين الذين كانوا مقيمين في غزير. وحُرقت غزير على يد محمد باشا ابي هرموش الحاكم الذي كان مقيماً في دير القمر فقيل في تاريخ حريقها: « ندمت غزير »: سنة ١٧١١. وكان السبب في ذلك انهُ لمّا اراد الدخول الى غزير بعسكرهِ منعهُ سكّانها فبقي سبعة ايام يحاول ذلك وهو لا يتمكّن من القرية حتى تضايق الغزيريون ووهنَت قواهم فبعثوا اليهِ يطلبون الصلح فقبل بشرط ان يدخل الى غزير ويسقي حصانه من جرن النبع المعروف عندنا الان « بنبع القنا » (وهو في اول « السوق الاعلى ») فلمّا دخل مكر بهم وامر بحرقها وقطع اشجارها ولم يبقَ فيها سوى بعض اشجار ميس مغروسة في الموضع المشيَّد فيهِ حاليًا دير الآباء اليسوعيين مع شجرة توت بالقرب من النبع المذكور كان قد رُبط فيها حصان محمد باشا المومأ اليهِ. وكانت بيوت

١) وهذه القبّة اتّخذها بعد آل عسّاف امراء شهاب لدفن موتاهم ولم تزل قائمة الى الآن في الحيّ الذي يعرف عندنا باسمها « حي القبة » جنوبي غزير

٢) وهو في الجهة المتاوحة للابنية التي مرّ الكلام عليها

غزير لذلك العهد لا تزيد على سبعين بيتاً

امَّا المرسلون الكبوشيون فقد جاؤوا غزير من مدينة طرابلس سنة ١٥٨٣ وطلبوا من مشايخ آل حبيش ان يبيعوهم الدير المعروف الان بدير مار الياس للرهبان الانطونيين فأبوا لكنَّهم سمحوا لهم ان يقيموا بهِ فسكنوهُ ٣٥ سنة. وهذا الدير لم يكن في بادئ امرهِ سوى كنيسة حقيرة عريقة في القِدم لا يُعرف اسم بانيها ثم رُمّمَت سنة ١٦٦٦ وُبني بجانبها بعض غُرف صغيرة الى ان جدَّد موءَخَّرًا بناء هذا الدير رهبان مار اشعيا. ولم يقم الاباء الكبوشيون في ديرهم المعروف بهم الآن الَّا سنة ١٧١٢ اي بعد ان غادره آل سيفا المسلمون. الَّا انهم كانوا يهجرونهُ تارةً ويقيمون بهِ أُخرى

وفي ٦ كـ٢ سنة ١٧٦٧ وُلد في قاعة هذا الدير المعدَّة الآن لاستقبال الزائرين الامير بشير قاسم(١ عمر شهاب الشهير الملقَّب«بالكبير» الذي حكم لبنان مدة اثنتين وخمسين سنة واشتهر بباسهِ وعدالتهِ فعمَّدهُ احد الرهبان الكبوشيين. وفي السنة التي ولد فيها توفي والدهُ ولهُ من العمر اربعون سنة. فتزوَّجت والدتهُ بعد بضع سنين باحد الامراء الشهابيين واصبح الامير بشير يتيماً وحُرم ميراث ابيهِ. ولمَّا بلغ الثالثة عشرة من عمرهِ ترك غزير وخرج مسترزقًا لا يملك سوى فراشهِ وبعض ادوات لا قيمة لها حملها على ناقة يسوقها بنفسهِ وتوجَّه الى عمّهِ الامير يوسف شهاب المقيم في حدث بيروت وقد تبعتهُ جارية سوداء كانت قد عُنيت بتربيتهِ طفلًا

ولمَّا أُقيم حاكمًا على جبل لبنان واضطرَّ ان يُسافر بعدئذٍ الى مالطة (٢ سنة ١٨٤٠ ومنها الى الاستانة حيث قضى نحبهُ منسيًا (١٨٤٩)(٣ رافقهُ في اسفارهِ الاب الورع المأسوف عليهِ الخوري اسطفان حبيش الغزيري احد تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومة وكان كل يوم يقدّم الذبيحة الالهيَّة في منزل الامير المشار اليهِ

ومن بنايات غزير دير الآباء اليسوعيين الحالي وقد كان دارًا للامير حسن شهاب شقيق الامير بشير المشار اليهِ. بناها الامير حسن المذكور لمَّا كان حاكماً على كسروان وجلب اليها قسماً من ماء نبع المغارة في اعلى غزير وجعلها لاقامتهِ وللقضاء فيها. وكان الفراغ من بنائها سنَة ١٨٠٥. وامام هذه الدار ساحة فسيحة تُعرف « بالميدان »

١) يريد ابن قاسم (المشرق) ٢) ولذلك يعرف عند الكثيرين « بالمالطي »
٣) توفي الامير بشير في ٢٩ ك ١ سنة ١٨٥٠ (المشرق)

جنَّة في الكون اضحت عن حماها لا اسيرُ
ماؤها ماءٌ زلالٌ حولهُ مرجٌ نضيرُ
قاطنوها وبنوها صانهم ربٌّ قديرُ

وفي سنة ١٨٧٥ نقل الاباء اليسوعيُّون مدرستهم الى بيروت فوسَّعوا نطاقها وجعلوها كليَّة فاستأجر مدرستهم في غزير رستم باشا متصرف جبل لبنان ونقل اليهـا مركز المتصرفيَّة في ١٥ ت ١ سنة ١٨٧٥ واستمرَّ الى نهاية شهر ايلول (١٨٧٦)

ثمَّ ان الاباء اليسوعيين عادوا الى ديرهم وزادوا في بنائهِ وتحسينهِ ثم بنوا فيهِ مؤخرًا كنيسة فسيحة الجوانب ذات قبَّة مرتفعة مربعة الشكل

ومنها مدرسة مار لويس في غزير المعروفة بالمزار (١ وقد كانت دارًا بناها الامير بشير الشهير لابن اخيهِ الامير عبد الله وجرَّ اليهـا ايضًا قسمًا من ماء نبع المغارة بقناة خصوصيَّة وفي سنة ١٨٧٩ اشتراها منـهُ ومن بعض الامراء الشهابيين الذين كانوا قد استولوا على بعضها المأسوفُ عليهِ الخوري لويس زوَين وجعلها مدرسة داخليَّة سنة ١٨٨٠

وفي الجهة الجنوبيَّة من غزير دير مار انطونيوس لرهبان الارمن الكاثوليـك المعروف « بيت خشبو » وهو مشيَّد على سندِ يفاعٍ بينهُ وبين غزير وادٍ مستفيض شجرًا وتاريخ بنائهِ يرتقي الى سنة ١٧١٨ .وفي سنة ١٨٢٧ رمَّمهُ رهبانهُ وبنوا فيهِ سنَة ١٨٢٩ كنيسة تُعدُّ في بلادنا الى الآن من اجمل واعظم الكنائس . وقد اقاموا فيـهِ مدَّة ثمَّ هجروهُ ولم يُبقوا فيهِ سوى راهب قضى فيـهِ سنين طويلة ثم آجروهُ سنة ١٨٩٢ رهبانَ الكبوشيين الافرنسيين الذين غادروهُ في منتصف السنة الماضية واقاموا في القُرَيَّة حيث بنوا لهم ديرًا هنالك

وفي اعلى غزير منتزه عمومي يُعرف « بنبع المغارة » ينتـابهُ الغزيريون لاسيا في ايَّام الصيف ترويحًا للقلوب وشرحًا للصـدور . وان هو الَّا عبارة عن مسيل ماءٍ يتدفَّق ويتموَّج قليلًا في مغارة صغيرة حُجز مدخلها باسلاك حديديَّة ثم يتوزَّع في انحاء القصبة فيستقي منهُ الجميع

واوَّل من جاب الى غزير مياهها التي كانت تسير فتصبّ في طبرجا الاميرُ منصور

---

١) انما دُعي هذا الوضع بالمزار لان المسلمين اذ كانوا مقيمين في غزير بنوا فيهِ مدفنًا لولي عندهم يعرف « بالوليّ خليل » كانوا يزورونهُ غالبًا فدُعي لذلك بالمزار

لانها كانت ميداناً لسباق الخيـل ومباراة الفرسان. ثم مرض الامير حسن فعاده اخوه الامير بشير سنة ١٨٠٨ واقام عنده اياماً. ولمَّا ابلَّ من مرضه توجَّه واياه الى جبيـل فعاوده المرض فتوفي هنالك في الثالثة والاربعين من عمره. فأُتي بجثته التي رافقها الامير بشير الى غزير واحتفل بمأتمه احتفالاً عظيماً ودُفن حيث دُفن والده في القبَّة التي شيَّدها الامراء العسافيون. ثم وليهُ في الحكم ولدهُ الامير عبد الله وكان حديث السن فاقام لهُ عمُّهُ الامير بشير وصيًّا ومدبّرًا لجميع اعماله ابا انطون يوسف باخوس فشيَّد الامير عبد الله بالقرب من الدار التي بناها والدهُ محلًّا للتجارة يسمَّى « قيساريَّة » وهو المحل الذي تسكنهُ الان راهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي تحت عناية وادارة الاباء اليسوعيين وقد نُقش على مدخلها تاريخٌ نظمهُ الشاعر المرحوم نيقولا الترك وهو :

امرَ الاميرُ الشبلُ عبد الله في بنيان ما فيهِ يليق المتجرُ
واشاد « قيساريَّةً » تاريخها حاط الامان بها فبيعوا واشتروا

وفي سنة ١٨٤٤ ابتاع الاباء اليسوعيُّون تلك الدار مع القيساريَّة من الامير عبد الله على يد المرحوم جرجس يوسف باخوس بمبلغ ٢٠٠ الف غرش فاتخذوهما ديرًا لهم بعد ان رمَّموهما وزادوا عليهما كثيرًا ثم جعلوا هذا الدير مدرسة داخليَّة نشروا فيها لواء الدين والآداب في ديارنا الشرقيَّة فبعُد صيتها وخرج منها تلامذة اشتهروا بعلومهم ومعارفهم. فمنهم من عرَّبوا فأفادوا وكتبوا فاجادوا ومنهم من تقلدوا مناصب خطيرة وارتقوا الى درجات عالية نكتفي بالالماع الى كوكبي هذه الديار وفخر هذه الامصـار غبطة السيد الملفان الياس الحويّك بطريرك الطائفة المارونيَّة وغبطة السيد بطرس الرابع الجريجيري بطريرك طائفة الروم الكاثوليك اللذين قضيا في هذه المدرسة اعواماً واللذين تتباهى بهما غزير وتتنافس

وفي السنة الماضية زار غبطة بطريرك الموارنة المشار اليهِ دير الاباء اليسوعيين فبات فيهِ ليلتين وسرَّ كثيرًا برأى ما ذكَّرهُ بصباهُ الفائت. وبالاجمال فان جميع تلامذتها السابقين يحفظون لها في قلوبهم اجلَّ تذكار

وقال في غزير احد تلامذتها السابقين الخوري يوسف الهاني الغزيريّ في « مقالته الغزيريَّة » (١٨٧٢)

مسقط الرأس غزيرُ وألهنا فيها غزيرُ
وانا منهوك حبٍّ في هواها واسيرُ

امَّا اصل البلدة فالمرجَّح انهُ يرتقي الى اوائل القرن الرابع عشر. وذلك انَّ جيوش آقوش الافرم نائب الشام من قبل الملك الناصر (١ لمَّا دخلت كسروان وتغلَّبت على اهلها الروافض (٢ استقطنت تلك النواحي. قال صالح بن يحيي (المشرق ١ : ٢٧٦) : « واقطعوها التركمان فادركوا موانئ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمروا الى وقتنا هذا وشُهروا بتركمان كسروان وعُرفوا بهِ »

واشتهر بين زعماء التركمان المذكورين رجلٌ اسمهُ سليمان بن عراب التركمانيّ (٣ فاخذ في تحصين نواحي كسروان ووجد جهة غزير من احسن المراكز لدفع هجمات العدوّ مع توسّطها بين مشارف لبنان وساحل البحر فبنى حصناً صغيرًا دعاهُ البرج وانزل فيهِ جنـدهُ وذلك عند كنيسة سيّدة الابراج الحاليّة. امَّا اسم غزير فلم يَشِع الَّا بعد ذلك بمدَّة

ولمَّا فتح السلطان الغازي سليم خان الاوَّل بلاد الشام في سنة ١٥١٦ بطل حكم ملوك مصر في لبنـان. لكنَّ الامراء التركمان ولاة كسروان نالوا من السلاطين العظام ان يبقوا في امرتهم لما اظهروا من الولاء للدولة العثمانيَّة. وكان زعيم التركمان وقتئـذٍ الامير عسَّاف فولَّاهُ السلطان سليم بلاد كسروان وجُبيـل وامرهُ بحسن سياسة قومهِ والسعي وراء عمران بلدهِ ورتَّب عليهِ مالًا يسيرًا وجعـل على بلاد كسروان سبعمائة سلطانيّ فقط وكان مقدار السلطاني ثلثي القرش الاسدي واعطاهُ بذلك خطًّا شريفًا (٤. وكان الامير عسَّاف يقيم اوَّلًا عند عين شقيق وكان ينزل في الشتاء في عـين طورا فلمَّا شملتهُ الطاف السلطان سليم انتقل الى قرية غزير وجعل سكناهُ فيها. وتوفي سنة ١٥١٨ ودُفن في غزير

١) راجع المشرق ١ : ٢٧٥

٢) ليس هؤلاء الروافض من الموارنة كما زعم البعض. بل كانوا قوماً من النُّصيريّة والخوارج كما يصرّح بالامر ابو الفداء في تاريخ سنة ٧٠٥ ه (١٣٠٤)

٣) جاء في تاريخ الطائفة المارونية (ص١٢٥) ما حرفهُ: « وقيل انَّ جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقي غزير وسمّي جسر المعاملتين لانهُ بين برج قصيب وبرج جونية » على انَّ حضرة الاب لامنس اثبت في المشرق (٢ : ٤٣٩) ان جسر المعاملتين من الاثار الرومانيَّة ولعلَّ التركمان اصلحوهُ فقط. امَّا معراب فهي اثر روماني بلا مراء (راجع المشرق ٢ : ٥٩٥)

٤) راجع تاريخ الموارنة للدويهي ص١٥٢

عسّاف الذى مرَّ الكلام عنهُ بواسطة قنوات بُنيت بالكلس والتراب. ولمّا اراد الغزيريون مؤخرًا استبدال هذه القَنَوات الترابيَّة التي كان قد مرَّ عليها نحو من ٤٠٠ سنة بقساطل حديدية عجبوا من صلابتها ومتانتها فكان العامل اذا ضرب عليها بالمعول كأنّهُ يضرب على الصخر الاصمّ. وبالقرب من النبع المذكور جسر يُعرَف بجسر «الزلّاقات» بناهُ ايضًا الامير منصور المشار اليهِ

وفي سنة ١٨٦٣ رغب داود باشا المتصرف الاول على لبنان ان يمدّ طريق العربات الى غزير دون ان يدفع ابناؤها غرشًا واحدًا فابى وقتئذٍ الغزيريون وسكّان القرى المجاورة. ثم لم يلبثوا ان التمسوا الطريق المذكورة في عهد متصرفيَّة رستم باشا فأُجيب ملتمسهم وشرعوا في تخطيطها فأُعيد مرارًا حتى انفقوا عليها مبلغًا وفيرًا لم يشاركهم في شيء منهُ سكّان القرى المجاورة المنتفعة بهِ

فهذا ما ثبت عندي صدقهُ وبان لي امرهُ بعد البحث والاستطلاع فذكرتهُ في هذه اللمحة التاريخيَّة. وقد تجنَّبتُ كلَّ ما يلوح عليهِ شبه الريب والله من وراء الهداية

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

احببنا تتمَّةً للفائدة ان نضيف الى المقالة السابقة ما عثرنا عليهِ من اخبار غزير فنقول:

لم نجد اثرًا لغزير في التواريخ القديمة على عهد الرومان وملوك القسطنطينيَّة. ولعلَّ اسمها السرياني (ܓܙܝܪ اي المكان المنقطع) كان يدلّ اوّلًا على الناحية التي بُنيت بعدئذٍ فيها غزير (١. ويظنّ الاب مرتين اليسوعي صاحب تاريخ لبنان انَّ جهات غزير وما يليها كانت في الزمن القديم غاباتٍ كبرى يغلب عليها شجر السنوبر والسنديان كما ترى حتى الآن في الامكنة المجاورة لها ويدلّ عليهِ اسم بيت خشبو (ومعناهُ الغابة) القريب من غزير

١) ويزعم بعض المحدثين ومن جملتهم الاب مرتين اليسوعي انَّ اسمها عربي فيهِ اشارة الى خصب تربتها. والله اعلم

حبيش الى توسيع افناء المعبد ثمَّ ارسلوا الى الاستانة وطلبوا فرماناً من الباب العالي لابتناء كنيسة كبرى في اعلى الضيعة فصدرت الارادة السنيَّة تؤذن لهم بذلك فبنوا الكنيسة الرعويَّة وجعلوها ايضاً على اسم السيدة

وخلَف آلَ سيفا في ولاية كسروان الامراء الشهابيون وفي ايامهم تكاثر عدد النصارى في غزير وسكنها بعض شيوخ آل خازن وابتنى لهم الامراء الشهابيون فيها دورًا رحبة. امَّا المسلمون فكانوا يهاجرون الى المدن الساحليَّة وقلَّ عددهم حتى انهُ لم يبقَ منهم في بدء القرن التاسع عشر سوى بيتين. وفي سنة ١٨٢٠ لم يُرَ بين اهلها غير الموارنة

وفي غزير ولد الامير بشير بن قاسم الشهابي المعروف بالكبير كما صرَّح بذلك جناب الاديب نجيب باخوس. وُلد سنة ١٧٦٨ (١ في قصر جدّهِ الامير عبد الله والي كسروان وهو القصر الذي اقتناهُ الاباء اليسوعيون (٢ سنة ١٨٤٤ فجعلوهُ مدرسة خرج منها قوم اجلاء من مشاهير رجال عصرنا منهم ثلاثة بطاركة وخمسة عشر اسقفاً وعدد غفير من الكهنة والرهبان والكتبة واصحاب السياسة.. وعمّد الامير بشير في كنيسة سيدة الابراج كاخيهِ حسن وقد حافظ كلاهما على ذكر هذه الكنيسة الى وفاتهما. وفي وصيَّة الامير بشير الاخيرة التي كتبها في الاستانة قبل وفاتهِ سنة ١٨٥٢ هبة لسيدة الابراج تبلغ ثلاثين الف غرش

والحقُّ يقال انَّ سيّدة الابراج اولت الامراء الشهابيين نعماً جزيلة من جملتها نجاة الامير حسن عمر الشهابي والي جبيل فانهُ لمَّا اعتقلهُ الجزَّار في عكا وكان يريد قتلهُ التجأ الى حماية سيّدة غزير ووعد ان يرمّم معبدها ويزيّنهُ اذا نجَّتهُ من هذا البلاء ففي الليلة نفسها ظهرت لهُ البتول في حبسهِ وبشَّرتهُ بالخلاص. وفي صباح ذلك اليوم غيَّر الجزَّار افكارهُ واطلق سبيل الامير. فلمَّا عاد السجين الى غزير وفيها كانت سكناهُ اسرع الى القيام بوعدهِ

---

١) هذا تاريخ مولدهِ كما ورد في تاريخ لبنان للاب بطرس مرتين اليسوعي وفي اخبار الاعيان للشيخ طنوس شدياق (ص ٣٨٤)

٢) ونظن ان هذا اصحّ ممَّا رواهُ جناب الاديب نجيب افندي باخوس انهُ ولد في دار الكبوشيين وروايتنا تستند الى تواريخ رهبنتنا وقد دوَّن ذلك السيّد ميسابين في رحلتهِ

وفي عهـد الامير عسَّاف قدم الى غزير جدّ الشيوخ الحبيشيَّة الشيخ حبيش بن موسى بن عبد الله بن مخائيل انتقل من يانوح الى غزير لِما وجد في كسروان من الامن والطمأنينة. وكان اهل غزير سابقاً كلهم مسلمين فلمَّا دخل بينهم الشيخ حبيش ولقي عندهم حظوةً اقتدى بمثلهِ غيرهُ من الموارنة فاتوا كسروان من جهات طرابلس لكن عدد المسلمين لم يزل اوفر من عدد النصارى. وفي سنة ١٥٤٦ اتى بنو كميد الى قاطع غزير

ثمَّ تعاقب على ولاية كسروان ابناء الامير عسَّاف السابق الذكر وهم لم يزالوا يجدُّون في تحسين غزير مركزهم. واشتهر بينهم الامير منصور (١٥٢٣—١٥٨٠) وقد امتدَّت ولايتهُ من نهر الكلب الى حماة. قال الشيخ طنوس الشدياق في اخبار الاعيـان (ص ٣٤٨): «وقد بنى سراية في بيروت وسراية في جُبيل وسراية في غزير وانشأ بقربها جامعاً ومأذنة وحمَّاماً وجنينة كبيرة واجرى لها ماء من نبع المغارة». وفي ايامهِ زاد نفوذ الشيوخ من بني حبيش واتِّلهم الامير منصور البرج الذي ابتناهُ الامـير عسَّاف وكان هو كبَّرهُ وزيَّنهُ فجعلهُ كقصرٍ لهُ ثم قدَّم بني حبيش واستعملهم في مهمَّاتهِ واتَّخـذ منهم يوسف وسليمان لتدبير امورهِ فخوَّلهما رتبة كاخية. وكانت وفاة الامـير منصور سنة ١٥٨٠. فخلفهُ ابنهُ الامير محمد وتولَّى الامر عشر سنين ثمَّ قُتل غيلةً قتلهُ يوسف باشا ابن سيفا والي طرابلس واستولى على املاكهِ. ثمَّ جرت حروب طويلة بين فخر الدين المعني وبين يوسف باشا انجلت عن استملاك بني سيفا على كسروان وكان منزلهم طرابلس يحكّمون امراء من قبلهم على كسروان

وفي ايام بني سيفا خسرت غزير شيئاً من رونقها الذي اصابتـهُ في ايام الامير منصور. وكان لآل حبيش التقدّم على نصارى البلدة يسكنون البرج السابق ذكرهُ. وكان الامراء المعنيُّون اهدوهم اياهُ بعد انقراض الامراء العسَّافيين

وفي وسط هذا البرج اقام آل حبيش معبدًا صغيرًا جعلوا فيهِ صورة العذراء مريم. ويزعم اهل غزير انَّ الامر اوحي اليهم بمعجزة خاصَّـة اذ ظهرت انوار عجيبة فوق البرج مدَّة ليالٍ عديدة. فاخذ نصارى البـلدة يجتمعون في هذا المقام للصلاة ويكرمون الصورة اكراماً خصوصياً. ومذ ذاك اشتهرت في لبنان العبـادة لسيدة الابراج. فكان الموارنة يأتونها من كلّ أوْب ويقفون عليهـا الاوقاف وينذرون النذور حتى اضطرَّ آل

ايها المؤمنين ان الله تقدّس اسمهُ لمّا ابدع الأكوان. وجمع تفصيل الوجود في صورة الانسان. خلقهُ من إسطَقِسّات متضادّة الاركان. وميّزهُ بالنفس الناطقة عن سائر الحيوان. ألحفهُ مطارف الجود والإنعام. وألحقهُ بلطائف العزّ والاكرام. أنزلهُ بُجبوحة اقليمهِ. واجلسهُ في فردوس نعيمهِ. حذّرهُ من الاقتراب من شجرة المعرفة لئلا يموت بالخطايا. ورغّبهُ عن ترك التمرُّد والطغيان في نيل اسنى المواهب والعطايا. فنكب عن جَدَد الامر المطاع. وأصرَّ بهواهُ على شهوات الطباع. وتهجّم بالادلال والاقتدار. واكل من الشجرة المذكورة طيّب الثمار. فاعترضتهُ الشبهة في باب الهداية. واعرضت في الحال عنهُ العناية. فسقط من ذات الكرامة. وهبط من أَوج الفرح الى حضيض الندامة. وطُرد منهُ وهو يَعثر باذيال الوَجل. مبرقعاً وجههُ بلثام الحياء والخجل. وخرَج الى ارض الاشواك محلّ الشقاء. وأعياهُ داء الخطيَّة حتى لم يقبل البرء بالدواء. فمكث تحت ظلّ المخالفة وطيّ المعاصي. الى ان ايَدتهُ العناية بورود الناموس القِصاصي. فبرزت أنوار نهار الشرع المؤنقة. وازهرت اشجار اغصانه المورقة. وأُرسلت لموسى بكر الانبياء. والمبشِّر بورود بكر النساء. فكفَّ الجسمَ عن تبسُّطهِ في الشهوات وادَّبهُ. وثقّفهُ بالاوامر والنواهي وهذّبهُ. ليبقى في نور العقل والسرّ. مُحاطاً بسور العدل والبرّ. ولا يترجّح الى عالم الظلمة تارةً. واخرى الى عالم الإنارة. الى ان كمل زمان التعذيب. فلمع شعاع القدرة على احسن النظام والترتيب. وانحدر كنز الاسرار الازليّة. عن السُّدّات العليّة. قُطب اقطاب الوجود. وفاطر العالم المشهود والغير المشهود. مُطهِر البُرص والأوضحين. ومُنهض الزَّمْنَى والمُقعَدين. باعث الاموات الى النشور. ومعيد اعين العميان من ظُلم الديجور. مُقيم آدم من سقطتهِ. ومُنقذ الجنس البشري من غوايتهِ. موضح الايمان الصحيح. سيدنا والهنا يسوع المسيح. فقرَّر القضايا والاحكام. وغفر الخطايا والآثام. ووَعد بالحظاظ النَّعيميَّة لمن اطاعهُ. وأوعد بالظلمات الجحيميَّة لمن اهملهُ وأضاعهُ. واوضح من رموز القيامة أسرار المعاد. مما طوتهُ العناية الالهيَّة عن افكار العباد. وثبَّت في دساتير القلوب بقيامتهِ قيامة اجساد الانام. ورفع في دواوين النفوس النَّقيَّة فضل يوم الاحد على سائر الايام. لانَّ فيهِ برز جبَّار العالم من الثغور والأعماق. ملتحفاً برداءِ النور والإشراق. وفيهِ خلق الله الخلائق. وعرفت الملائكة المقرَّبون اسرارَ الحقائق. فيهِ تكون قيامة المائتين. ويَقظة الغافلين. فيهِ تسكن الاعمال والحركات. ويرقى المُطهَّرون باقدام الطاعة الى أفضل الدرجات

امَّا شيوخ غزير الحبيشيون الذي كانت اليهم وكالة المعبد فقد نالوا من ألطاف البتول سوابغ النعم نخصُّ منهم بالذكر الخوري اسطفان حبيش الذي نجا من غرق اكيد اذ كان مسافرًا الى الاستانة بشفاعة سيّدة الابراج. وهو الذي ابتنى الكنيسة الحاليَّة باشر بها سنة ١٨٣٥ لكنَّها لم تتمّ الَّا بعد ذلك بمدَّة طويلة بهمَّة الخوري يوسف حبيش. واهل غزير يحتفلون بعيد سيّدة الابراج في ٩ آب. وقد دُوّن ذكرها في سنكسار الكنيسة المارونيَّة مع ذكر القديسة فيلومينة

ترجام

يقال في اوَّل احد من الصوم المقدَّس

لفطرك المشرق اليَّا الثالث ابن الحديثيّ المعروف بابي حليم

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

ابن الحديثي المعروف بابي حليم من مشاهير بطاركة النساطرة تولّى كرسي المشرق على الكلدان من سنة ١١٧٦ الى سنة ١١٩٠. وقد ذكرنا في مجاني الادب (٤: ٢٩٧) شيئًا من ترجمة حياتهِ. ولهذا الرجل تصانيف عديدة بعضها بالكلدانية وبعضها بالعربيَّة. ومن جملة هذه خطب بيعيَّة بليغة المعاني رشيقة الالفاظ دعاها التراجم السنيَّة للاعياد المارانية نشر منها قسمًا كبيرًا حضرة القسّ الفاضل يعقوب الكلداني الموصلي في مطبعة حضرات الاباء الدومينيكيين في الموصل سنة ١٨٧٣. وقد اسعدنا الحظّ على اكتشاف عشرين عظة أُخرى لم تُنشر بالطبع منها هذه الخطبة التي احيينا اليوم ان نتحف بها القراء بنسبة الصوم المقدَّس. وعلى الله الاتّكال ل. ش

الحمد لله المتعالي بوحدانيَّة ذاتهِ عن مماثلة الآحاد. والمتميّز بتثليث صفاتهِ عن مشاكلة ضمّ الاعداد. المُسبَّح بالالسنة المختلفة وسائر اللغات. والمتخصّص باعلى المراتب الازليَّة واشرف الصفات. الذي أَطلع نجوم الاهتداء في سماء قلوب العلماء. وأروى أفهام الحكماء. بماء الحياة الابديّة النابع من قلب قَليب مَعين الذكاء. وهدانا باوامرهِ الفضليَّة الى رحاب حظائر الملكوت. ودعانا بفضل شرعهِ الاختصاصي الى جنان سرادق الجبَروت. نحمدهُ حمد الراضين بنزارة المِيَر والاقوات. ونشكرهُ شكر الخماص الصابرين على ممرّ الساعات والاوقات

المُخلص الراجي. لاسيما اذا توكل عليهِ. وفوَّض امرهُ اليهِ. واذا واجه الانسان مشرقَ الانوار. أشرق قلبهُ واستنار. وفكَّر في تدبير الله العجيب. واشتاق الى الفردوس الذي هو نُصب عينهِ وفاز باوفر نصيب. لانَّ منهُ تشرق الشمس والقمر وسائر الانوار. واليهِ صلَّى السيد يسوع بناسوتهِ ولم يزل قِبلةً لآدم وذُرّيتهِ الابرار. ويجب عليكم ان تطلبوا الصلاة والتضرُّع وتجتهدوا فيها كلَّ الاجتهاد. فقد صرَّح المخلّص في انجيلهِ المقدّس الهادي الى أنهج الجوادّ. قائلًا لتلاميذهِ: فاذا قضى الانسان على هذه الصفة واجب صلاتهِ. فانهُ انما قضى دينًا من ديون الله اللازمة لذاتهِ. وواجبٌ عليهِ ان لا يكون من المُتبجّحين المختالين. بل يقول انني من جملة العبيد البطّالين. لانَّهُ لو خرَّ لله ساجدًا طول عمرهِ على الارض. لما قضى بعض ما يجب عليهِ من وظائف أداء الفرض. الصلاة عُنوان النِعمة. ومفتاح الرحمة. بالصلاة تنجح المقاصد. ويذلُّ الشيطان المعاند. الصلاة تُسهِل الامور الصعاب. وتحصّل المباغي والآراب. والجسدُ المذوب بالسهَر والصلاة. هو الذي يُنعم عليهِ بالتشريف والصّلات. الصلاة تُزيل النِقمة. الصلاة تعدّ النعمة. بالصلاة تستنير حنادس القلوب. وتطهر الاجسام من الخطايا والذنوب. فكونوا لصلاتكم ملازمين. وبأهدابها متمسّكين. فانَّ بها تتطهَّر اجسادكم. وتَنجلي عقولكم وتصفوا اذهانكم. وتدرُّ ارزاقكم وتطول اعماركم وآجالكم. وبها تصحُّ اجسادكم من الأوصاب والعلَل. وتأمن نفوسكم من الوقوع في الخطإ والخلَل. واقرنوا الصلاة بالصوم. وأيقظوا نفوسكم من سِنَة الغفلة والنوم

اعلموا انَّ حدَّ الصوم امتناع الانسان من الاغذية والأشربة ابتغاء لجزيل الثواب. ليصير حصنًا منيعًا للنفس والجسد من أليم العذاب. وهو ايضًا عبارة عن رياضتها وتذلُّلها واستكانتها ليتعاونا ويتعاضدا. ويتشاركا ويتساعدا. في دفع الرزايا الموبقات. والقبائح المُهلكات. امَّا النفس فانها تنفطم من رديء الافكار. وامَّا الجسد فيمتنع من التفسيح في الملاذّ الليلَ والنهار. ليضعف ويذلَّ وينتهك. ويرتبط بطاعة العقل ويشترك

وبعدُ فانَّ الصوم جعلهُ تعالى سببًا لإحراز رضاه. وامتحن بهِ قلوب عبادهِ لتقواه. وليتجنَّب الانسان فيهِ المحارم. كاجتنابهِ المشارب والمطاعم. ولتُفطم جوارحهُ من الذنوب. كما يصوم فوهُ من المأكول والمشروب. وأن يشمّر عن ساق الاجتهاد ويترك الوُنيَّة. ويلازم نفسهُ في ضبطها عن الشهوات الرديَّة. ويَرحض النفس والجسد من أدران الخطيَّة. حتى تصير

فانظروا ايها المؤمنون بعيون بصائركم وابصاركم. وتأَهَّبوا للقيامة وارفضوا حِرَفكم وأسعاركم. وحدّقوا اليهِ بعين الاعتبار. وارمقوا مناقب هذه الاسرار. فانهُ يومٌ تدرُّ فيهِ البركات. وتتضاعف فيهِ الخيرات. وتُقضى فيهِ الحاجات. فكونوا على صلاتكم دائمين. ولاوقاتها المفروضة ملازمين وعليها محافظين. واعلموا انَّ الشرائع الالهيَّة أمطت الناس مطايا التكليف. ونقلتهم عن معرّة الخطايا الى محلّ الاكرام والتشريف. ولم تقصد باتعاب الاجسام ومشقَّات الصلوات والصيام. الَّا أنْ تُعِدَّ لها بذلك اجرًا او ذُخرًا. وتُوصلها الى محلّ الراحات في النشاءت الاخرى

وحدُّ الصلاة انّها عبارة لفظيَّة يؤديهـا اللسان. تتضمَّن الاعتراف بالله والوفاء لهُ بالضمان. وهي ايضًا تضرُّعٌ وموعظةٌ كاملة. تحت التدبيرات الفـاضلة. ومن شروطها صفُّ الأقدام بين يديه. وإفاضة الافكار العقلية لدَيه. بالعلوم الالهيَّة الحقيقية. والنهوض بوظائف الخدمة النفسانيَّة. والمُسارعة الى إشهار الفُرَص الروحانيَّة. والمُخاطبة لهُ بالخضوع. والإفراط في الابتهال بالتذلُّل والخشوع. واستدامة الشكر لله تعالى والثناء عليهِ. وتجريد النفس والجسد للوصول اليهِ. والتقرُّب من جنابهِ المقـدَّس الطاهر. لانهُ اذا استحكم الأُنس. زال الانقباض في الإِنس. واذا حَلَت الثمرة. خُدِمت الشجرة. وكما انَّ الانسان اذا كان من جملة عبيد الملك المختصِّين بحضرتهِ. والقائمين بمصالح خدمتهِ. يلازم خدمة بابهِ. ويُعفِر خدَّهُ على ثرى أعتابهِ. حتى يتقاضاهُ البوَّاب بالدخول. وينتهز الفرصة عند الادب لهُ بالمثول. واذا حصل في مقرّ مجلسهِ. لا يتهجَّم عليهِ بالمخاطبة لهُ في امرٍ من اموره المختصَّة بنفسهِ. ولا يَدلُّ عليهِ بخدمةٍ سالفةٍ. ويَمُنُّ بجرمةٍ آنفةٍ. حتى يصير من جمـلة عبيده المختصِّين. واوليائهِ المخلصـين. كذلك يجب عليكم أن لا تتجاوزوا حدَّ الآداب. ولا تُشرعوا الى الاقدام في الخطاب. ليكن وقوفكم بازائهِ كأنَّهُ وقوف الملائكة الاطهار. لتشاركوهم في الاطّلاع على مكنون الاسرار. لانكم لا تصـلون الى مرادكم ومآربكم الَّا بالاجتهاد في العبادة. والخدمة المتَّصفـة بالزيادة في الزهادة. وليكن وقوفكم بين يديه بقلوبٍ واجفة. ودموع جاريةٍ واكفة. فاذا حضر وقت الصلاة فبادروا اليها. وانعكفوا بكليتكم عليها. فانَّ الفروض لا تُوَخَّر عن اوقاتها. الّا عن امورٍ ضروريَّةٍ توَّجل اوان ميقاتها. لانَّ الصلاة لها مواقيت خُصَّت بالقبول. والمُحافظة عليها والمبادرة اليها من اعظم الاشياء في إدراك المأمول. والله تعالى يجيب دعوة المُصرّ المنـاجي. ولا يُخيب أمل

النعيم. ومُنع من الوصول الى محلّ الخير المُقيم. وبالصوم قهر السيدُ المسيح الشيطانَ. ودحرهُ فقهقر مدبرًا بغير سلطان. وبالصوم خاطب الله موسى الكليم. وأنزل على يدهِ الالواح المتضمّنة كلامهُ العظيم. وبالصوم منع يشوع بن نون (١ الشمس حين جنحت للغروب. ووقفت طالعةً مشرقةً حتى تخلّصت القلوب المكروبة من أرداء الحروب. وبالصوم رُقي اليّا النبي الى المرتبة العالية. وورث البقاء الابدي في دار باقية. وبالصوم وطئ الثلاثة الفتية على إجاج النار. وأُطفئت امام الاعداء وتخلّصوا من الأئمة الكفّار. بالصوم خلص دانيال النبي من افواه الأُسد الضارية. وأبعد الشكَّ واللّبس عن القلوب الطاغية. وبالصوم خلّص الله اهل نينوى من السخط الحالّ بساحتهم. وانقذهم من الهلاك والبلاء عند استغاثتهم اليهِ في شدَّتهم. فعاد برحمتهِ اليهم. وادركتهم شفقتهُ عليهم. فادخلهم الى حظائرهِ القدسيَّة وآنسهم. بعد ما كان من رحمتهِ آيسهم. ومحا قبائح الاوزار والآثام. وتجاوز عن سائر الذنوب والاجرام. بالصوم رفع ما كان قد استحسَّ بهِ اهل البصرة بواسطة يوحنًا الازرق (٢. وبتضرُّعهِ وطلباتهِ الى الله انكشف ما نزل بهم من الاختبار واتَّضح الغسق. الصوم يخضع الابدان ويُخشع القلوب. ويستر العيوب ويمحق الذنوب. بالصوم تتجوهر الاجسام. وتستنير الانفس في الظلام. بالصوم تصفو الافكار. وتضيء العقول والابصار. نعم الوسيلة الصوم فانهُ اذا دام ألحق الكثيف باللطيف. ورفعهُ الى مقامٍ شريف. وألحقهُ بطبقة الانبياء والابرار. ومزجهُ بزمرة القديسين الاخيار. اعتصموا بالصوم وواظبوا عليهِ. وتمسَّكوا بهِ وادلجوا اليهِ. الصوم منزلتهُ عظيمة. وحرمتهُ جسيمة. الحسنة فيهِ جزيلٌ اجرها. والسيِّئة فيهِ ثقيل وِزرها. الصوم لا يُردُّ فيهِ سائل. ولا يضيع فيهِ امَل آمل. الصوم يُوقظ الاحسان من السِنَة. فبادروا اليهِ شكرًا لله ولا تفتر منكم الألسنة. الجسد المتعوب بالصوم. هو الذي يُلقي الارواح في الراحة في ذلك اليوم. البدن الخالي من الطعام. يجعل النفس مجرَّدةً من الآثام. بالصوم تنفطم النفس عن هواها. ويصحُّ لها تقواها. وتتشبَّه باوصاف الملائكة. لتستحقَّ معهم

---

١) لم يذكر الكتاب الكريم انقطاع الاسرائيليين عن الاكل في عهد يشوع بن نون. ولعلَّ المؤلّف يريد امر شاول بذلك عند محاربتهِ الفلسطينيين (١ ملوك ١٤: ٢٤)

٢) هو احد زعماء الرهبان ابتنى ديرًا في جهات البصرة وكان سابقًا نجّى اهلها من جائحة نزلت بهم فاودت بحياة كثيرين منهم. عاش في اواخر القرن السابع للمسيح وصار اسقفًا على الحيرة

مُشرقة كالمرآة العريَة من الردى. المجرَّدة عن الاكدار والصدإ. لتتزكّى وتتطهَّر. وتشفى وتتجوهر. فتكون استحقَّت سرعة الدخول. وصارت اهلًا للسؤل ونيل غاية المأمول

وكما انَّ الملك اذا اراد ان ينظر حقيقة بلدتهِ. ويطوف في مدينتهِ. ويتفقّد احوال رعيّتهِ. ويختبر شأن سكَّانها. وينظر الى كيفيَّة أهلها وقطَّانها. سارعوا الى تنظيف اسواقها وشوارعها. وتطهير أزقَّتها ومواضعها. ممَّا يُطرح فيها من النجاسات. المهلكة لسائر السبل والطرقات. وضعوا الأفاويه الاريجة على نار المباخر. وتسربلوا من الملابس بالحلَل الفواخر. مترقّبين جيئتهُ اليهم. وقدومهُ عليهم. فعندما يحضر المدينة. يلمح على محيَّاهم الوقار والسكينة. فينكفئ عنهم فرِحًا ومسرورًا. وبما شاهد من طاعتهم لهُ مستبشرًا محبورًا. فكذلك يجب على الانسان اذا صدقت عزيمتهُ. وتحقَّقت على الصوم نيَّتهُ. أن يزجر نفسهُ عن فعل القبائح الذميمة. المُكسبة لهُ الآثام والاوزار. ويمنعها عن ارتكاب الفواحش ويتطهَّر من الاوضار والاقذار. ويجتهد في تلطيف حواسّهِ الكثيفة. وتهذيب افكارهِ السخيفة. فانّ شرف العطيَّة. مَنوط بحسن النيَّة. واماَّ امتناعنا في الصوم نهارًا عن المآكل والمشارب. ففيهِ عدَّة فضائل ومناقب. منها ان نعرف حدّ الجوع وقدر صعوبتهِ. وتألُّم الجسد عند انقطاع مادَّتهِ. وان تحلَّ الرحمة في قلوبنا التَّواسي لاخوتنا المساكين. ونُساهم من فاضل اقواتنا ومُقتنَياتنا الفقراء المحتاجين. ليصير المعروف خالصًا لله. والفعل مواقفًا لرضاه. ومنها ان يقوى فكرنا في فعل الخير وطلَب الاجر والثواب. المرجو نَيلهُ مع وجود شرائط الاخلاص من لدن ربّ الارباب. ومنها ان نتشبَّه ونقتدي بالسيد المسيح. الذي هو فريدة عِقد الايمان الصحيح. لأنّهُ صام من غير حاجة لهُ اليهِ. ولا ضرورةٍ لازَّةٍ عليهِ. وكيف يحتاج قابل الاصوام الى الصوم والجوع. وهو المؤيّد وعليهِ التكلان واليهِ المعاد والرجوع. ونتشبَّه ايضًا بالانبياء المُنتخبين. وسائر الآباء والسّليحين

وكما انَّ الملك اذا رام أخذ مدينةٍ من المدائن. والاستيلاء عليها وعلى ما حوَتهُ من الخزائن. واختار قهر اهلها وادخالهم في طاعتهِ. تقدَّم الى ارباب دولتهِ. والذابّين عن حرمتهِ. والحافظين لحوزتهِ. والمؤثرين امضاء مصالحهِ ومناصحتهِ. بقطع الاقوات والمِيَر والموادّ. الواردة اليها من جميع الاصقاع والبلاد. حتى يُسلموها اليهِ بالغصب كارهين. وباختيارهم طائعين. كذلك يتمُّ لنا اذا رُمنا الاستيلاء على شهوات الاجساد. فنقطع عنها جميع ما يُمِدّها ويُعصيها من سائر الموادّ. لانَّ بالاكل والشَّرَه خرج آدم من فردوس

وانَّ القلاية البطريركيَّة المقدّسة قد أغمدت برحمتها ما جرَّدت. وعادت بشفقتها الابويَّة عمَّا كانت اضمرت. واعتذرت عنكم كون اكثركم لا يعرف التفسير. ولا يصل فيهِ الى ما يقال من الزجر والتحذير. فهي الآن تعرّفكم ان كلَّ ما يقولهُ الشماس خاصَّةً من القوانين. يتضمَّن الامر معلماً بان لا تتحدَّثوا في صلاة الرازين (١. بل قفوا باقدام الطاعة القلبيَّة. على ابواب المذابح المسيحيَّة. واختبروا انفسكم قبل تناول الاسرار المَصونة. والمواهب المقدَّسة المكنونة. وتناولوها بقلوبٍ متَّحدةٍ مؤتلفة. ونفوس الى مصاعد الخيرات منعطفة. واشكروا الله شكر الارض لهمل الامطار. واثنوا عليهِ ثناء العبيد المخلصين للسادة الاحرار. وارجعوا الى بيوتكم وانتم منطبعون بسكَّة الثالوث. وعلى صفحات وجوهكم ومحيَّاكم آثار بركة الطيبوث (٢. نزع الله عن افئدتكم قناع ظلمة الضلال. واسدل عليكم وارف الاهتداء والظلال. بشفاعة الآباء المنتخبين. والانبياء المختارين آمين

اصول الحساب السنوي

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

جعل الله عزَّ وجلَّ حياة الانسان على الارض اطوارًا تتناوب عليها اوقات الشغل وآونة الراحة يستعيد بها المرء قواهُ المتضعضعة. ولذلك اراد تعالى ان ترسل الشمس علينا انوارها الساطعة في ساعات معلومة ثم يُسبل الليل ستارهُ فتسودُ ظلمةٌ لا ينفي حُلكتها غير اشعَّة الكواكب ونور القمر

وعليهِ فانَّ تعاقُب النهار والليل تقسيمٌ مبنيٌّ على الطبيعة نفسها. ولو كان الانسان يمكنهُ ان يقصر نظرهُ على يومهِ الحاضر لكان هذا التقسيم كافياً لحاجاتهِ. لكنَّ الامر ليس كذلك فانَّ للمرء اياماً عاش بها سابقًا يحتاج الى تذكار احوالها وتعيين زمن وقوعها

---

١) هي كلمة سريانية معناها الاسرار اراد بها القداس ٢) هي بالسريانية النعمة اراد بها القربان الاقدس

المشاركة . فلنتخذ الاغذية . على سبيل الادوية . فانَّ الادوية يُنتفع منها بالنزر اليسير . ويتضرَّر بالمقدار الكثير . وانَّ دواءً تستبشعونهُ وفيهِ شفاؤكم . خيرٌ من غذاء تلتذُّون بهِ وفيهِ اذاكم . واوصيكم احبَّائي اذا تحققت عزائمكم على الحضور في البيعة . والمشاركة للجماعة في الاطّلاع على اسرار الشريعة . ان تتسربلوا بالملابس الطاهرة . وتتجلببوا بالاثواب الفاخرة . وكونوا لأوقات الصلاة مراقبين . ولمراتبكم ملازمين . وتلقَّوا موارد الصليب . بقلبٍ في الامانة صليب . لانهُ قبلة الساجدين . ومحراب المتهجدين . واذا تُليت كتب اخبار السليحين الاطهار . والانبياء المُنتخبين الابرار . اجلسوا عند اجتماعها . وانصتوا عند القرآة لاستماعها . لانها متضمّنة سائر الوصايا . وما انذرت بهِ الانبياء على ظهور مخلّص البرايا . فاذا تلا الشماس رسائل بولس السليح . فقابلوها بالتهليل والتسبيح . وانظروا الى من كان للرعايا المسيحيَّة مضطهدًا . وفي خراب البيع المقدَّسة مجتهدًا . فصار من بعد ذلك عماد الدين . ومنارًا يشرق اضواء كلامهِ في قلوب المؤمنين . فكونوا لصلاتكم سامعين . ولاوامرها طائعين . واذا خرج الكاهن بالانجيل . فتلقوهُ بالاكرام والتبجيل . لا بل بالتمجيد والتهليل . والتسبيح والترتيل . لانهُ ديوان مفيد الحياة . وآية الخلاص والنجاة . وروضة آداب الحقائق . ونُزهة ألباب الخلائق . ومنبر الاسرار والحكم . ومعين الاخيار على أحسن الخلال والشيم . من زواخر بجورهِ تُقتنَص موارد الفرائد سرًّا . ومن بواطن اصدافهِ تستخرج الاذهان السليمة عقيانًا ودُرًّا . فكونوا بالزواجر مغتبطين . وباوامر الكتب الالهيَّة متحفظين . أجهروا الاقرار بالامانة الارثوذكسيَّة . التي قرَّرها الآباء الاطهار بمدينة نيقيَّة . فهي التي وقع عليها الاعتماد . وعليها صحّ الاعتقاد . اجتمعوا عند تقديس الاسرار الالهيَّة . وأصغوا الى ما رتَّبتهُ الاباء من القوانين السليحيَّة . انظروا الى الكهنة خدمة المذابح . يستغفرون لكم الخطايا والقبائح . لتكونوا في الجسد البيعيّ اعضاء رئيسيَّة غير محذوفة . وانوارًا مشرقةً غير مكسوفة . لتمتزجوا مع زمرة الاطهار في عالم الملكوت . وتبتهجوا بسواطع الانوار المشرقة في شعاع اللاهوت . اقرأُوا السلام على بعضكم بعضًا بمحبة اتحاد القلوب والاجساد . وتواهبوا الإحن القديمة والضغائن المهلكة وسائر الاحقاد . ولا تمزجوا صلاتكم بالاحاديث والخرافات . التي تجلب عليكم البلايا والآفات . فالقلاية البطريركيَّة منكرةٌ ذلك عليكُم . ومجرّدةٌ سيف حدّها لديكُم . كونوا مُهملين هذه المعاني العجيبة . التي قد ألبستكم المسبَّة عند باقي المذاهب الغريبة .

القمريّة وذلك ١١ مرّة في كلّ ٣٠ سنة . ومن خلل التقويم القمري انّهُ يقطع النظر عن فصول السنة الاربعة فيقع الشهر الواحد في الشتاء حيناً وفي الصيف حيناً آخر . وقد استدركت بعض الامم هذا الامر بان وضعت لها تقويماً يؤلف بين السنة الشمسيّة والسنة القمريّة . فهي تستند الى القمر ووجوهِ لتحديد الوقت لكنّ اصحابها يتّخذون سبع مرّات في كلّ ١٩سنة شهراً اضافياً يزيدونهُ بعد آذار ويدعونهُ آذار الثاني (ואדר) يتركّب من ٢٩ يوماً . والسنة الحاليّة عند الاسرائيليين هي السنة ٥٦٦٠ وشهورها ١٣ لزيادة شهر آذار الثاني عليها وهو يبتدئ في اليوم الثاني من آذار الشمسي

هذا وللسماء ما خلا القمر حركةٌ منتظمة لا تخفى علي بصر احد نعني بذلك حركة النجوم الثابتة في الرقيع فاذا رصدتَ مثلاً نجماً من النجوم يمرُّ في ساعة معلومة على هاجرة بيروت وعدتَ الى رصدهِ ثاني يوم في الساعة نفسها وجدت النجم ذاتهُ يمرُّ في الهاجرة فاذا قسمت مدَّة الوقت الثابت الذي مرَّ بين الرصدين الى ٢٤ قسماً نلتَ بذلك ما يدعوهُ اهل الهيئة يوماً نجمياً غايةً في الضبط . على انَّ الناس عادةً يرجعون في اشغالهم الى دوران الشمس لا الى الكواكب . وبين اليوم الشمسي واليوم النجمي اختلاف لانَّ اليوم الشمسي اطول من النجميّ . فاذا رصدتَ مثلاً الشمس وكوكباً ثابتاً عند مرور كليهما في هاجرة بيروت في ساعةٍ معلومة ترى في اليوم التّالي انَّ الشمس تأخرت عن مرور الكوكب نحو ٤ دقائق ولا يزال هذا التأخُّر يتزايد حتى انَّ الكوكب المذكور والشمس لا يعودان الى مرورهما في الهاجرة ذاتها في وقت واحد الّا بعد ٣٦٦ يوماً وربع يوم . ومن ثمَّ ينتج ان اليوم النجميّ يبتدئ تارةً في النهار وتارةً في الليل فلا يُمكن الركون اليهِ في المعاملات العاديّة . وفي الاجمال ترى الناس جميعاً يرجعون الى الشمس ودورانها مع ما يظهر في حركاتها من الاختلاف . ولذلك اخذوا الشمس كقاعدة لقياس الوقت كما انّها قياس طبيعيّ للشغل اذ هي تفصل بين النهار والليل

قلنا انَّ اليوم الشمسيّ اطول من النجميّ بيد انَّ هذا الاختلاف ليس بثابت اعني انَّ الشمس لا تمرّ في هاجرة مكانٍ واحدٍ بسرعةٍ متساوية اي ليس لليوم الشمسيّ طولٌ مقرَّر . ولا نتكلّم هنا عن طول الساعات التي بها تنيرنا الشمس بل عن اليوم الشمسيّ الحقيقيّ من ظهر يوم الى ظُهر يوم آخر حتى انّنا لو ضبطنا اليوم

كما انَّ المستقبل يهمُّهُ فيستدعي التفاتهُ. وكلنا نودُّ ان نقف على حوادث التاريخ الماضي ونقصد المقاصد التي لا تتمّ الَّا بتوالي الايام ولا بُدَّ لتعريف كلا الزمنين من طريقة سهلة غير حساب الايام التي لا تفي بالمرغوب لارتباكها ووَفرة اعدادها التي يصعب حفظها. فان قلتَ مثلًا انَّ جدّي احتلَّ دمشق فتوطَّنها منذ ١٠٩٥٧ يومًا وانَّ نابوليون الاول فتح مصر منذ ٣٦٦٨٩٨ يومًا لكان ذلك مجلبةً للاوهام والسأم

وعليهِ فقد اقتُضي على الانسان منذ اوَّل عهدهِ ان يخترع لهُ طريقةً حسابيَّة يجمع فيها الايام فيجعلها اطوارًا محدودةً متوسّطةً بين الطول والقصر تتعلّق على قدر الامكان باوضاع مشهورة خارجة عن ارادة البشر فلم يجدوا لذلك انسب من الظواهر الفلكيَّة فاسندوا اليها تواريخهم

ولمَّا كانت الحركات الفلكيَّة متنوّعة نتج عن ذلك اختلاف في التواريخ فمنها ما ينوط بدوران الشمس ومنها ما يرجع الى حركة القمر او سير النجوم في افلاكها. ويجوز ان يُقاس تاريخ الزمان بايّ حركة كانت بشرط ان تكون منظَّمة كحركة الرقَّاص مثلًا ذهابًا وايابًا لكنَّ الآلات البشريَّة مهما بلغت من الكمال لا تلبث ان تخفَّ حركتها الى ان تخمد تمامًا. والحركة المتداومة من الامور المستحيلة في ارضنا. امَّا الاجرام السمويَّة التي تدور في السماء دون ان يلطِّف سيرَها المنتظم احتكاكُ بعضها ببعض فانها نعم المقياس للزمان لثبات حركتها

ومن التواريخ التي شاعت بين البشر تاريخ السنة القمريَّة ولمَّا كان للقمر حركات مختلفة اتَّخذ بعض الشعوب حركتهُ الشهريَّة كقاعدةٍ لتاريخهم وذلك منذ بدء إهلالهِ حتى انتهاء وجوههِ وعودهِ الى رأس الهلال. ومن خواصّ القمر انَّ حركاتهِ سهلة المراقبة اللهمَّ الَّا في الساعات الاولى التي تسبق ظهورهُ هلالًا. فيُلتجأ حينئذٍ الى الاعمال الحسابيَّة لتعيين هذه الساعات. وقد وضع العرب ازياجًا لذلك. منها كتاب تلخيص الاعمال في رؤية الهلال لابي حسن علي

ودوران القمر الشهري بتسعة وعشرين يومًا و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة وثانيتين و ٩/٦٠ من الثانية. والسنة القمريَّة تتركَّب من ١٢ شهرًا ستَّة منها ايَّامها ٢٩ يومًا وستَّة ٣٠ لكنَّ مجموع هذه الشهور لا يوافق عددًا تامًّا من الايَّام بل هو بين ٣٥٤ و ٣٥٥ يومًا. ولتلافي هذا الاختلاف يضاف يومٌ الى الشهر الاخير في بعض السنين

لسبب مبادرة الاعتدالين المدعوَّة ايضاً بالـكَبْو (la précession des équinoxes) وهي انتقال تقاطُع دائرة البروج وخطّ الاستواء شيئاً فشيئاً من الشرق الى الغرب

هذا ولا بُدَّ من تعيين مدقّق لعدد ايّام هذه السنة بقياس الزمن المتوسّط لانهُ اذا دخل في هذا الحساب غلَطٌ صغير زاد الغلط بتوالي الاعوام حتى انهُ يضحي فاحشاً بمرور الاجيال. وهذا ما جرى في التقاويم القديمة فانّ اصحابها لم يبالوا بكسور الاعداد كالساعات والدقائق فاقتضى تغافُلهم اصلاح الحساب مراراً عديدة

ومن تصفَّح تاريخ المصريين الذين بنوا حساب سنتهم على دوران الشمس وجد خللًا كبيرًا في حسابهم وكان عدد ايّام سنتهم ٣٦٠ يوماً فقط دون زيادة ولا كَبس فنتج من ذلك انَّ بدء سنتهم اختلف اختلافاً كبيرًا

فلمَّا صار الامر الى يوليوس قيصر تأثَّر من جرَّاء هذا النقص وسعى مع احد مشاهير الفلكيين من يونان الاسكندريَّة اسمهُ سوسيجان (Sosigène) باصلاح هذا الحساب وجعل ايّام السنة ٣٦٥ يوماً وربعاً وفقاً لحساب الفيلسوف هيپرْخس. اما السنة المدنيَّة فابقى عدد ايّامها ٣٦٥ يوماً. ثمَّ اضاف ربع اليوم الزائد الى ثلاثة ارباع أُخر فصار من ذلك يومٌ تامٌّ كان يُزاد في آخر شهر شباط كلَّ اربع سنوات فيصير ٢٩ يوماً بدلًا من ٢٨ وهي السنة الكبيسة

ولمَّا تنصَّر العالم الرومانيّ على عهد قسطنطين الكبير اتخذت الكنيسة في مجمعها الاوَّل العامّ الملتئم في نيقية حسابَ يوليوس قيصر على علَّاتهِ. الَّا انَّ اليوم الاضافيّ في كلّ اربع سنين كان يُزاد بين ٢٣ و ٢٤ شباط لا في آخرهِ. ولمَّا كان اليوم ٢٤ يدعى عند الرومان اليوم السادس قبل دخول آذار (Sexto Calendas Martii) دُعي اليوم الاضافي «السادس الثاني» (bis Sexto) ومنهُ اخذت الكنيسة اللاتينيَّة اسم السنة الكبيسة (bissextilis)

وبقي الحساب على ذلك نحو ١٢٥٠ سنة الى اواخر القرن السادس عشر فوجدوا انَّ الحساب اليوليّ لا يخلو من العيب وانَّهُ لا يوافق دوران الشمس وفصولها. ولا غرو لانَّ السنة اليوليَّة تحسب السنة ٣٦٥ يوماً وربع يوم مع انَّها في الحقيقة تنقص عن ربع اليوم ١١ دقيقة و ٣٩ ثانية فهذه الدقائق اذا جُمعت حصل منها يومٌ كامل في كلّ ١٢٩ سنة. وكان الخطأ بين الحسابين يبلغ عشرة ايام سنة ١٥٨٢ حين تمَّ اصلاح

ساعتنا على الظُّهر الحقيقيّ لا نجدها غدًا توافق ظُهر الشمس. ولهذا الاختلاف سببان الاوَّل عدم مساواة حركة الشمس الظاهرة في سيرها على دائرة البروج. والسبب الثاني ميل سطح دائرة البروج على سطح دائرة خطّ الاستواء بقَدْر ٢٣°٢٧′ . امَّا الهواجر فخطوطها عموديَّة بالنسبة الى خطّ الاستواء وعلى هذا الخطّ تُقاس أقواس صُعود الشمس المستقيم. ومن ثمَّ فانَّ هذه الاقواس ليست نَفس الاقواس التي ترسمها الشمس بل انعكاس هذه الاقواس على خطّ الاستواء . والانعكاس المذكور يختلف كلّ يوم كما لا يخفى

ولاستدراك هذا الخلل اخترع الفلكيُّون يومًا وهميًّا يدعونهُ اليوم المتوسّط بدلًا من اليوم الحقيقيّ الذي لا يمكن قياس الوقت عليهِ. وذلك انَّهم توهَّموا ان الشمس تسير لا على دائرة البروج كما تجري في الواقع بل على خطّ الاستواء بسرعة متساوية واستنتجوا من هذه المقابلة انَّ اليوم الحقيقيّ يختلف عن اليوم المتوسّط بنحو ربع الساعة امَّا زيادةً وامَّا نقصًا. وهذا ما يدعونهُ نسبة الوقت وعلى هذا الزمن المتوسّط بنوا قياس الوقت. ولا تدلُّ الساعات المضبوطة على غيرهِ. امَّا المِزْوَلة اي الساعة الشمسيَّة (cadran solaire) فانَّها تدلُّ على الوقت الحقيقيّ فان اردتَ ان تضبط ساعتك عليها فلا بدَّ ان تضيف اليها نسبة الوقت او تخصمها لتستدلّ على الوقت المتوسّط

ولكن لا يكفي للحساب السنويّ ان يُحدِّد اليوم بل يُقتضى عليهِ ايضًا تحديد السنة واقسامها الشهريَّة. فاختاروا للدلالة على السنة المدَّة التي تقضيها الشمس منذ سيرها من احدى نقط الاعتدال الربيعيّ الى زمن رجوعها الى هذه النقطة عينها (١. وهذه السنة تدعى سنة دائرة الانقلاب (année tropique) وهي اقصر من السنة النجميَّة

١) اعلم انَّ السنة المدنية لا تبتدئ في الاعتدال الربيعي كسنة دائرة الانقلاب فلَّا تقع مثلًا في سنتنا الحاليَّة ١٩٠٠ في ٢١ آذار الساعة الاولى والدقيقة ٤٨ بل كثيرًا ما اختلف وقوعها. فالبعض جعلوا بدء سنتهم في ١ آذار والبعض في ٢٥ ك١ يوم عيد ميلاد الرب والبعض في ٢٥ اذار يوم عيد البشارة. لكن كرلس التاسع ملك فرنسة قرَّر لمملكتهِ سنة ١٥٦٤ ان يكون بدء السنة في ١ ك ٢ فجرت بقيَّة الدول على هذه العادة فعمَّت اليوم كلَّ البلاد. امَّا تقسيم الشهور وعدد ايَّامها فذلك يرتقي الى عهد يوليوس قيصر

غائصاً في اللجّة بقوّة دوران المياه من جراء غرق السفينة فظنّ وقتئذٍ انّ ساعتهُ قد دنت. غير انّهُ تشدّد باذلًا منتهى الوسع والمقدرة حتى تمكّن من الصعود الى وجه الماء. ثم سبح الى رأس صغير قريب من هناك وقد قاسى عذاباً عظيماً قبل الصعود اليهِ من الصخور المائيّة التي مزّقت يديه ورجليهِ تمزيقاً بنتوآتها المحدّدة. ولمّا نجح اخيرًا بالصعود الى البرّ جثا على ركبتيهِ وهو شاخص ببصرهِ الى البحر وشكر الله تعالى لكونهِ خلّصهُ هذه المرّة ايضاً من بين انياب الخطر. وحينئذٍ خطرت على بالهِ نصائح ذاك المرسل الذي رآهُ في داڤسون وتذكّر اقوال الراهبة ماري جانّ وأُلريك فاخذ يذرف الدمع السخين ندماً وحزناً على ما فات

وبعد ان بكى طويلًا وسكن ما جاش فيهِ من التأثير حدّق ببصرهِ في الافق ليرى هل تيسّرت النجاة لاحد من ركّاب سفينتهِ. وبالغ في النظر الى البحر فلم يشاهد شيئاً فقال في نفسهِ: انّ البحارة لا بدّ ان يكونوا قد نجوا بانفسهم وصعدوا الى احد الشواطئ. وعزم انهُ متى نشفت ثيابهُ ووجد لهُ مأوًى يذهب للبحث عنهم وريثما يتسنّى لهُ ذلك أقام وحدهُ في ذاك الشاطئ المقفر حيث لا أَنيس ولا جليس فوراءهُ سلسلة من الجبال ممتدّة نحو الشرق والشمال الشرقي وتجاههُ تلك الصخور المائيّة التي جرّحت جسمهُ وذاك الخليج الكريه الذي فيهِ غرقت السفينة كلقلند. وبما انهُ لم يكن يعرف للجزيرة اسماً سمّاها باسم السفينة التي غرقت عند ساحلها ومدّ نظرهُ الى بعيد فلم يشاهد اقلّ اثر للعمران ولا دليلًا على سكنى الانسان فشقّ عليهِ ذلك جدّاً وحزن حزناً بليغاً واخذ يقول في نفسهِ: «ان نوتيّة كلقلند هم جميعاً من مهَرة السبّاحين ويمكنهم ان ينجوا من الخطر سباحةً ولكن من يدريني هل استطاعوا ان يخرجوا من قلب السفينة قبل غرقها حتى يتمكّنوا من النجاة لاسيما وان الحادث قد جرى فجأةً على غير انتظار؟. ويا ليت شعري اذا كانوا قد غرقوا ولم ينجُ منهم احد فكيف استطيع ان اقضي الايام في هذا السجن الذي لا ينتهي الّا بنهاية الحياة دون جليس أُقاسمهُ احزاني وأَفراحي وابوح لهُ باسراري وافكاري وأُشاطرهُ غموم عزلتي وانفرادي. ولا اظنّ ان البواخر تمرّ تجاه هذا الشاطئ اصلًا واذا مرّت فهل تلحظ ان فيهِ انساناً يطلب نجدتها. ثم اني اذا بقيت منفردًا فمن اين لي ان أُحصّل اقواتي وليس معي سوى مدية ضعيفة قد علاها الصدأ في جيبي؟»

الحساب المعروف بالغربي وهو يُدعى ايضاً الحساب الغريغوريّ لانَّ الذي قام بهذا المشروع الجليل هو البابا غريغوريوس الثالث عشر بمساعدة كثيرين من العلماء من جملتهم الاب كلافيوس اليسوعي الفلكيّ الشهير . فحكم الحبر الرومانيين ان يُسقط عشرة ايام من تلك السنة من شهر تشرين الاوَّل فحسبوا اليوم الخامس منهُ اليوم الخامس عشر فكان عدد ايَّام ذلك الشهر ٢١ يوماً فقط

ولتلافي الخطأ في المستقبل اتخذت هذه القاعدة وهي ألَّا تُكبس السنون ثلاث مرَّات في كلّ اربعمائة سنة وعليهِ فانَّ السنين ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ليست بسنين كبيسة امَّا السَّنة ٢٠٠٠ فتُكبَس كما كُبست سنة ١٦٠٠ . وهذا الاصلاح مع ضبطهِ لا يخلو من خطاٍ صغير يبلغ كلَّ ٤٠٠ سنة بعض دقائق ويصير يوماً كاملاً بعد ٤٠٠٠ سنة . وهو خطأ لا يُعبأ بهِ ويصلحهُ اخلافنا بعد اربعين قرناً

واصلاح الحساب على المذهب الغريغوريّ دخل فرنسة في ١٠ ك ١ من سنة ١٥٨٢ . وجرت عليهِ دول المانية الكاثوليكيَّة سنة ١٥٨٤ ودولها البروتستانيَّة سنة ١٦٠٠ واقتبلتهُ انكلترة سنة ١٧٥٢ . وفي السَّنة الماضية قد اقام قيصر الروسيَّة لجنةً من علماء الجمعيَّة العلميَّة في بطرسبرج وكل اليها ان تسعى ببدل الحساب الشرقيّ واتخاذ الحساب الغريغوريّ . وليس لذلك سبب آخر الَّا كون الفرق بين السَّنة الشمسيَّة والحساب اليوليّ لا يزال يزداد يوماً فيوماً . وبعد ان كان وصل الى عشرة ايَّام على عهد البابا غريغوريوس ها قد بلغ في غاية شباط من سنتنا الحاليَّة ١٣ يوماً لان سنتنا هذه هي كبيسة في الحساب اليوليّ ولا كَبْس فيها في الحساب الغريغوريّ وغاية ما نتمنَّاهُ انَّ يبطل الحساب القديم وتتَّفق كلّ الممالك والدول النصرانيَّة في وحدة الحساب ويضحي اتفاقهم هذا في المباحث العلميَّة ضامناً لاتفاقهم في الدين وائتلاف قلوبهم آمين

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الخامس

في جزيرة كلقلند

وكان فاضل واقفاً مع القبطان على ظهر الباخرة فلمَّا مالت الى جنبها سقط في اليم

الى ذاك النوتي الفتى يعانقهُ ويضمُّهُ الى صدرهِ وفرح كثيرًا برؤية مخلوق حي في صحبتهِ لاسيما ذاك الغلام الذى انس بعشرتهِ في السفينة

فقال ألريك: « يا لغزارة رأفة العذراء القديسة فانها استجابت طلبتي. وقد تذكَّرتُك وسألتها من اجلك. ألا ترى انها خلَّصتنا كلينا معًا فحقَّ علينا ان نشكرها ». ثم جثا الاثنان واخذ فاضل يصلّي بتأنٍّ وخشوعٍ زائد كما لو كانت العذراء حاضرةً امامهُ. فلمَّا فرغا من الصلاة قال ألريك لفاضل هلمَّ اتبعني لاني محتاج الى مساعدتك وعونك

فلحق فاضل بألريك دون ان يتمكَّن من سؤالهِ عن السبب لان ألريك كان يقفز كالغزال على الصخور. فبعد مسيرِ ربع ساعة تقريبًا شاهد ألريكَ قد وقف فاسرع للحاق بهِ فاذا بهاريس نفسهِ ملقىً على الرمل لا حراك بهِ ولا حسَّ. فانحنى ألريك في الحال واضعًا أذنيهِ على صدرهِ ثم صاح بفرحٍ قائلًا: « انهُ لم يزل حيًّا ولعلّي بمعاونتك يا فاضل استطيع ان أنقذهُ »

امَّا فاضل فما كاد يصدّق عينيهِ وتعجَّب من ألريك كيف يظهر هذه العناية بمن كان يضطهدهُ. ثمَّ اخذ يتفكَّر في كيف وُجد هاريس متمددًا على الشاطئ أقذفتهُ الامواج الى هناك ام جاء سباحةً ثم خارت منهُ القوى فأُغمي عليهِ وكيف استطاع ألريك ان يصادفهُ

وبينما فاضل يتفكَّر في هذه الامور كلها اقبل ألريك يفرك هاريس بقوَّةٍ ليردَّ اليهِ الحرارة فلمَّا رآهُ يفعل اقبل اليهِ يعاونهُ وفيما كان كلاهما يجتهدان في اعادة الدورة الدمويَّة اليهِ التفت ألريك فقال دون ان ينقطع عن العمل: « اني لمَّا شعرتُ بصدمة السفينة افتكرت في هاريس وقلتُ انهُ سيغرق لا محالة لكونهِ مكبَّلًا بالقيود. فبادرت من ثمَّ الى الربَّان لكي يأمر بفكّهِ شفقةً عليهِ ويسلّمهُ مفاتيح الاغلال. غير اني بعد ذلك لم اعرف ماذا جرى سوى اني وجدت نفسي سابحًا وانا اعضد هاريس هذا الذي كان اصفرَّ لونهُ كالزعفران وعجز عن السباحة. ولا شكَّ اني لم اكن اقدر على اسعافهِ وايصالهِ الى البرّ لو لم يكن متمنطقًا بمنطقة من الفلّين. امَّا كيف قدرت على الخروج من السفينة وكيف امكنني اخراجهُ منها وكيف منطقتُهُ بهذه المنطقة فلا استطيع ان اعرف كيف تمَّ ذلك كلُّهُ وغاية ما اقول ان العذراء القديسة شفقت عليَّ وهذا كلّ ما اعرفهُ »

وبينما هو يحدث نفسهُ بهذه الافكار سرى الفشل في اعضائهِ كما يسري الخمر في عروق الشارب وشعر بخَوْر القوة ووهن العزيمة. ولا ريب انَّ ذلك كان عقاباً على ذنوبهِ الكثيرة ولكنَّهُ ابى ان يفهم ذلك

وبالنظر الى ما حلَّ بهِ من التعب تمدَّد على صخر عالٍ واخذ يتفكَّر في نحس طالعهِ وشؤم حظِّهِ ثم اخذهُ النعاس فرقد ولمَّا استيقظ شعر بجوع شديد فذهب الى الشاطئ واخذ ينتزع من الصخور اصدافاً كالبطليموس تعلَّقت بها ويأكلها بنهَمٍ. وكان البحر وقتئذٍ قد هدأ وتراجعت المياه الى حالها فشاهد في وسط الخليج طرفاً من حيزوم السفينة كلفلند قد تفكَّك وطاف على وجه الماء فجدَّد فيهِ هذا المشهد تذكار احزانهِ المرَّة

وبعد ان أشبع جوعهُ ممَّا يلتقطهُ من الصدف عاد حزيناً من الشاطئ الذي كانت مياه البحر قد اخذت تقذف اليهِ بعض حطام السفينة وجلس على الصخر وفاضت الدموع من عينيهِ سخينةً مدرارةً. وتمثَّلت لهُ جميع ادوار حياتهِ من وقت نزولهِ الى بيروت ووداع والدتهِ للمرَّة الاولى حتى هذا اليوم الذي فيهِ اصبح في جزيرة قفراء ينتظر حلول المنيَّة. وكان يتذكر قرية الوادي التي ولد فيها ثم ما جرى لهُ على ظهر باخرة المسَّاجري يوم سفرهِ الى مرسيلية وما اصابهُ في نيويرك وسان فرنسيسكو ومناجم كاليفورنية وتلك الليلة التي ثارت فيها الزوبعة وهربهُ من شيكاغو وغناهُ والتقاءهُ ببروسبر اولري ورحيلهُ الى الاسكا ومضايق شيلكوت وموت بروسبر اولري. ثم مدينة داڤسون وتداويه في مستشفاها وعزيمتهُ على التوبة وتجدُّد طمعهِ في الذهب وقتلهُ نسيباً واخيراً سان ميشل والسفينة كلفلند وأُلريك والغرق

وبينما هو كذلك اخذ بسائقة الطبع يبتهل الى البتول القديسة تالياً بالعربيَّة ما كان قد تعوَّد تلاوتهُ في صغرهِ من الصلوات لسيدة الوادي

وما كاد يفرغ من صلاتهِ حتى سمع ما بين الصخور وقع اقدام فظنَّ ان ذلك وهمٌ وقال في نفسهِ: «انَّ هذا حجر يتدحرج على الصخور او صدمة من امواج البحر». غير انَّهُ نهض من محلِّهِ وتطلَّع حولهُ فلم يرَ شيئاً فعاد الى مقرِّهِ وما كاد يجلس حتى ظهرت لهُ من وراء الصخر صورة يعرفها فصرخ حالًا بأعلى الصوت: «أُلريك أُلريك» واسرع

أَذهب متجوّلًا في هذه الارض لعلّي اجد جدولًا او ساقية تصبُّ في البحر فآتيهُ بشربة ماءٍ. والآن ما لنا الّا ان نبلّل صدغيهِ بماء البحر »

قال هذا واخذ منديلًا ممزّقًا كان معهُ وبلّهُ بمياه البحر ووضعهُ على جبين هاريس فلمّا شعر هاريس بالبرودة صرخ قائلًا: « ماذا تصنع بي ؟ »

فاجاب أُلريك: « اريد تخفيف ما بك وتلطيفهُ ويا ليتني اقدر على صنع ما هو اكثر من هذا. ولكن الشاطئ الذي نحن فيهِ مقفر لا شيء فيهِ »

وكان هاريس ينظر اليهِ نظر الغضوب الحاقد. غير انّ أُلريك لم يبالِ بشيءٍ من ذلك بل استمرّ يرطّب جبينهُ بماء البحر بعناية عظيمة ولا عناية الام بابنها. وكان فاضل واقفًا على مسافة بعض خطىً وهو يتأمّل هذا المشهد المؤثّر. ثمّ قال هاريس: « اني عطشان »

فقال أُلريك: « لقد صدق ظني فدعني اذهب على الشاطئ لعلّي اجد ماءً عذبًا فاعود اليهِ بشربة تلطّف ما بهِ من الحرارة »

فقال فاضل: « بل دعني انا اذهب مكانك »

فاجاب أُلريك: « بل انا اذهب لاني شاب خفيف وقد طالما تعوّدتُ تسلّق الصخور والمشي الطويل امّا انت فهذا يتعبك فابقَ هنا واعتنِ بهاريس الى حين رجوعي »

فاذعن فاضل وبقي عند هاريس. امّا هاريس فلمّا رأى أُلريك راكضًا بسرعةٍ جعل يتطلّع فيهِ حتى غاب عن بصرهِ ثمّ قال لفاضل: « الى اين يذهب هذا اللعين ؟ »

فاجاب فاضل: « انهُ يذهب ليأتيك بماء ليروي غليلك »

— هو ؟

— نعم هو نفسهُ

ثمّ انّ فاضلًا اخذ يقصّ عليهِ ما بذل أُلريك من العناية بهِ لاجل انعاشهِ واعادتهِ الى الحياة. وكان كلّما تقدّم في الخبر تظهر على هاريس علامات التأثّر فما انتهى من كلامهِ حتى اغرورقت عينا هاريس بالدموع

غير انّ الريك اطال غيابهُ كثيرًا وشقّ انتظارهُ جدًّا على كلٍّ من فاضل وهاريس وبقيا يتوقّعان رجوعهُ ساعاتٍ طوالًا فما عاد فتكاثرت ظنونهما وارتباكاتهما وقدّرا انّ أُلريك امّا ان يكون جرى لهُ حادث ذهب بحياتهِ او انّهُ ضلّ مكانهما لدى عودتهِ ولم

فاذ ذاك صرخ فاضل: « يا لك من فتًى شريف الخصال عبثًا تحاول كتم صنيعك العظيم فانّك لم تتأخّر عن التفاني في سبيل نجاة مضطهدك. وقد كنتَ تعلم حقَّ العلم ان إخراجهُ من سجنهِ يعرّض حياتك للخطر ومع ذلك لم تنكص عن ذلك رغبةً في ان تصنع خيرًا مع عدوك. فما اعظم قلبك الذي ذلّل امامك كل الموانع

« انك فتًى ضعيف لا تقدر على شيء. ومع هذا قدرت على كلّ شيء لنجاة من كان مبغضًا لك. فاذا عاش فلا ريب انهُ يكون مديونًا بحياتهِ لك. وانا الان أُعظّم حنانك وشفقتك كما سيعظّمها هو متى عرف اخلاصك

« وانا ايضًا ايها العزيز قد غمرتني بفضلك ومعروفك فان الايمان كان قد مات في قلبي الّا ان كلماتك قد انعشتهُ فيَّ تدريجًا. ثم ان الانموذج الصالح الذي قدَّمتهُ لي غيَّر قلبي بالتمام والكمال وسأروي لك فيما بعد قصّتي ومنها تعلم مقدار فضلك عليَّ »

امَّا أُلريك فلم يدرِ ما يجيب لانهُ كان معتقدًا انهُ لم يفعل سوى الواجب المفروض عليهِ بتخليص هاريس ولذلك اكتفى بان قال لفاضل وهو مبتسم: « أَليس ما فعلتهُ من واجبات المسيحيين جميعًا ؟ »

الفصل السادس

في هاريس

لمَّا نجا أُلريك من الغرق سائقًا امامهُ هاريس حتى اوصلهُ الى الشاطئ اقبل يفركهُ فركًا شديدًا حتى عادت اليهِ الحياة تدريجًا واخذ قلبهُ ينبض ورئتاهُ تتنفَّسان. فحاول بعد ذاك ان يوقظهُ من اغمائهِ فلم يفلح فتركهُ وجعل يتجوَّل في الجزيرة فالتقى في تجوالهِ بفاضل على ماتقدَّم الخبر وبمعاونتهِ امكنهُ ان يعيد المذكور الى الحياة. غير ان الله تعالى كانت لهُ مقاصد اخرى اي هداية ذاك المهاجر اللبنانيّ من قرية الوادي

وما كان غير قليل حتى سرت رجفةٌ خفيفة في جسم هاريس وعلى اثرها فتح عينيهِ ببطء فوقع بصرهُ على أُلريك الذي يبغضهُ فوثب قائمًا غير انَّ قواهُ خانتهُ فخرَّ على الارض مغمىً عليهِ. وحينئذٍ ضاعف أُلريك وفاضل عنايتهما بهِ واجتهدا في فركهِ الى ان عاد اليهِ رشادهُ وكانت اول كلمة نطق بها شتيمةٌ قذف بها مخلّصهُ أُلريك

فلمَّا سمع فاضل كلامهُ ارتعش غضبًا فقال الريك: « لا تغضب فان الحمَّى تؤلمهُ ويا ليت لنا قليلًا من الماء البارد لنسقيهُ ونخفّف ما بهِ من الحرارة. ومتى تحسَّنت حالهُ

الذي اكسب صاحبهُ الاديب جائزة المستشرقين المجتمعين في « استوقهولم » . والحقُّ يقال انهُ كتابٌ جامع لما ورد من اخبار العرب المتفرّقة في تصانيف كثيرين من ائمَّة الكتَّاب الاقدمين . ومدار هذا الجزء الثاني على عادات العرب في مناكحهم وحروبهم واخبار مشاهير فرسانهم وتاريخ ملوكهم في اليمن والشام والحيرة وطُرَف من اخبار اديانهم وعباداتهم مع فصول عديدة في وصف احوالهم وخرافاتهم الى غير ذلك من المطالب المفيدة والمباحث الجليلة التي تدلُّ على سعة علم المؤلّف بامور العرب وكثرة مطالعاتهِ لتآليفهم . ولا شكَّ انَّ هذا الاثر الخطير كان زاد فائدةً وعظم شأنًا لو اشار مؤلفهُ البارع الى الكتب الطبعيَّة او المخطوطات التي نقل عنها ما دوَّنهُ في تأليفهِ مع الدلالة على صفحاتها ليسهل الرجوع الى الاصل . ونجدّد ابداء الامل في ان يُختم الجزء الاخير من بلوغ الارب بفهرس عامّ يقرّب من الادباء الانتفاع بنفائسهِ الغرَّاء

الروضة الروحية للعيال المسيحية

لحضرة الاب فرنسيس ماريًا فرَّا الحلبي القرنسيسي

طبع في القدس بمطبعة الاراضي المقدَّسة للآباء الفرنسيسيين (ق ١٦ ص ٨٥٤)

قد خصَّص حضرة مؤلف هذا الكتاب قلمهُ لتصنيف التآليف الدينية الآئلة الى هداية النفوس وخلاصها . وهي لعمري نعم الغاية يتوخَّاها دُعاة الدين ورُعاة الشعوب لانَّ الدين اسُّ كلّ عمران بل حياة كلّ انسان وركن كلّ سلطان . وقد طالعنا كتاب الروضة الروحية فوجدناهُ من احسن ما وُضع الى يومنا هذا لانعاش روح التقوى في النفوس وارشاد المسيحيين الى مناجاة الله والتردُّد معهُ تعالى في الصلاة والرياضات الروحيَّة . هذا فضلًا عن وفرة مادّتهِ ونضارة طبعتهِ وتهذيب عبارتهِ اجزل الله ثواب صاحبهِ

رياضة ثلاثة عشر يومًا

اكرامًا للقديس العجائبي انطونيوس البادويّ

لحضرة الاب المذكور في المطبعة عينها (ق ١٦ ص ١٨٤)

انَّ اسم القديس انطونيوس البادويّ قد تعدّى البحار مع الرهبنة الفرنسيسيَّة وانتشر في كلّ انحاء المعمور ونالت اقطارنا الشرقيَّة نصيبًا وافيًا من التعبُّد لهذا القديس

يعرف كيف يرجع اليـهِ

وبينما هما يتقلّبان على جمر الانتظار واجمَين ساكتَين طلع فاضل على صخرٍ عالٍ ليرى فشاهد أُلريك آتياً يقفز ومعهُ شخص آخر فسرّي الوجل عن الاثنين. ولمّا قرب منهما اذا بيدهِ ورقة كبيرة من ورق الشجر مملوءة ماء وخلفهُ ربّان السفينة كالقلند

فاذ ذاك صرخ هاريس قائلًا: « اندرسون. الربّان اندرسون »

فقال أُلريك انهُ نجا والحمد لله وفرح الاربعة بالنجاة فرحًا ما عليهِ مزيد

ثم انَّ أُلريك لمّا قدَّم الماء الى هاريس ليشرب لم يتمالك هــذا من ان يقبض على يدهِ مقبّلًا وسائلًا اياهُ صفحًا وعفوًا عمّا اذاقهُ من المعاملات السيّئة

غــير انَّ الريك لمزيد حشمتهِ وادبهِ وروحهِ المسيحي اجاب قائلًا: « اشرب الآن وبالعكس ينبغي لي انا ان اسألك صفحًا لاني اطلت الغيبة في طلب الماء »

وحينئذٍ اخذ القبطان يخبر قصّتــهُ كيف انهُ اخذ في السباحة عند غرق السفينة وكيف انّهُ وصل الى شاطئٍ يبعد بضعة اميال عن الراس الذي ساقت الاقدار اليهِ أُلريك. وانهُ اهتمَّ لدى وصولهِ الى البرّ بالاطّــلاع على حالة الجزيرة فرأَى في بادئ الامر نهرًا فاقام عند ضفّتهِ حتى قيّضت العناية الالهيَّة وصول أُلريك اليهِ

ثم انَّ الاربعة جثوا على ركبهم وتلا أُلريك صلاة الشكر للباري تعالى على نجاتهم وذلك بعد ان اخرج صورة البتول القديسة من صدرهِ ودعا الجميع ليقبّلوها ففعلوا بغاية الاحترام مع ان اندرسون وهاريس كانا بروتستانيين

ثم ان الاربعة بعد ان تبادلوا الاخبار عمّا جرى لكل احد منهم قرَّروا انهم ينتقلون الى ضفّة النهر بعد ان تشتدّ قوى هاريس (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

بلوغ الارب في احوال العرب

للسيد العلامة محمود شكري آلوسي زاده

الجزء الثاني طبع في مطبعة دار السلام في بغداد عدد صفحاتهِ ٤١٦

سبق لنــا ذكر الجزء الاول (راجع المشرق ٢: ٥٢٣) من هذا التأليف النفيس

الواقع عيد حافل. فاخذ نصارى الشرق يظهرون فرحهم بايقاد النيران على قُنن الجبال. واماَّ اضرام النار يوم عيد مار يوحنَّا فكان جاريًا في بدء النصرانيَّة في كثير من الكنائس. وذلك اشارة الى فرح اهل القديس عند مولدهِ والى قول الرب عن يوحنَّا المعمدان (يوحنا ٥:٣٥) انهُ كان السراج الموقد المنير. وقيل انَّ النصارى اوقدوا النيران في ذلك اليوم ليبطلوا عادة الوثنيين الذين كانوا يفعلون ذلك في اليوم نفسهِ ذكرًا بانقلاب الشمس الصيفيّ

ونجيب على (الثاني) انَّ اصل «ولا» ويقال «ولك» من قولهم «ويلًا لك». اماَّ «بسملّي» فاصلها من «بسم الله» راجع المشرق (٢:٦٨٢). اماَّ «قديش» فاصلها: «قدر ايّ شيء»

س وسأَل جناب الاديب ملحم الخوري عن سبب عدم كبس شباط في سنتنا هذه

لاي سبب لم يُكبس شهر شباط في هذه السنة في التاريخ الغربي

ج فلتراجع مقالة حضرة الاب كولنجت عن اصول الحساب السنويّ الواردة في عددنا هذا

س وسأَل حضرة الخوري ميخائيل عيسى الخوري من قصبة بشرّي ما المقصود بقصّ شعر المجرمين في اوربَّة قبل ان يُنفذ فيهم حكم الموت كما يذكر عن لويس السادس عشر وغيرهِ كثيرين. هل هذه كانت شريعة عموميَّة ؟

لاي سبب يُقصّ شعر المحكوم عليهم

ج قصّ شعر المجرمين ليس بشريعة جارية في الممالك وانَّما يجرون ذلك في مَن يُحكم عليهم بقطع الرأس او الشنق لئلا يُعيق الشعر انفاذ الحكم ويزيد أَلم المجرمين

س وسأَل جناب انطون افندي جلَّاد من يافا في ايّ يوم من الاسبوع وُلد المسيح

يوم ميلاد المسيح

ج قد بيَّنا سابقًا (مشرق ١:٣٣٣) انَّ الرأي الارجح في يوم ميلاد المسيح انَّما هو ٢٥ ك ١ . اماَّ يوم الاسبوع الذي وقع فيهِ هذا الامر الجليل فهو يوم الاربعاء (راجع شروح الاب بتريزي على الاناجيل ج ٣ ص ٢٤٢) ل.ش

(اصلاح غلط) وقع تشويش في صفّ الكتابة التدمريَّة الاولى الواردة في الصفحة **١٥٩** من العدد السابق فطُبعت רתיע הרב רגרמ والصواب : נתיר ברת מינר = ص **٢١٩** س **١** «ايها المومنين» والصواب: ايها المؤمنون

العظيم تشهد على ذلك صورهُ وتماثيلهُ في اكثر الكنائس . فلتمكين هذه العبادة في القلوب جمع حضرة الاب فرنسيس فرَّا الحلبي هذه الرياضة التقويَّة وترجمها الى العربيَّة ليتَّخذها المؤمنون كاستعداد لعيد وليّ الله ذي الكرامات العديدة والمعجزات الباهرة . ومن اراد الوقوف على حياة هذا القديس فعليهِ بكتاب آخر نفيس وضعهُ سنة ١٨٩٥ حضرة الاب لاونردس النحو الفرنسيسي ووسمهُ بمناط الرغائب في تاريخ قديس العجائب

شذرات

اكتشاف معتبر افادنا الاسد المرقسي ان الأُمة القبطيَّة توصَّلت بهمَّة غبطة بطريركها الهمام الى اكتشاف السيزاريوم (Cæsareum) وهو الهيكل القيصريّ الذي كان من ابدع هياكل الاسكندريَّة وحوَّلهُ قسطنطين الملك الى معبد مسيحيّ ثمَّ اصبح مقرًّا لبطاركة الاسكندريَّة . فنهنئ القبط الكاثوليك عن هذا الاكتشاف الخطير الذي ضاعف افراحهم في السنة عينها التي حقَّقت رغائبهم بتجديد الكرسي البطريركيّ الكاثوليكي

عين ثالثة للانسان كانَّ صاحب الهلال ندم على ما كتبهُ ففنَّدناهُ (المشرق ٢ : ١١٠٢) بخصوص الانسان واعينهِ الثلاث وانيابهِ واظافرهِ البهيميَّة فعاد الى ذلك في العدد الاخير (ص٣١٢) مصرّحًا انَّ هذا من اقوال اصحاب الارتقاء وانهُ لم يتجاوز حدّ الظنّ . فما لهُ اذن نسب الامر الى العلم وهو محضُ ظنّ او بالاحرى كذب او نقول عنَّا بعدئذٍ اننا ندافع عن الدين مدافعة عمياء فلا نفرق بين الدين والعلم ؟

اسئلة واجوبة

س سألنا جناب يوسف افرام الشبابي : ١ً ما هو اصل العادة الجارية في لبنان ان تُضرم نار (قبّيلة) يوم عيد ارتفاع الصليب وفي عيد مار يوحنَّا . ٢ً ما اصل هذه الالفاظ العامّيَّة : ولا . وبسملّي . وقدّيش

سبب ايقاد النار في لبنان يوم عيد الصليب وفي عيد مار يوحنَّا

ج نجيب على (الاول) انَّ ايقاد النار يوم عيد ارتفاع الصليب يرتقي عهدهُ الى ايَّام هرقل الملك لمَّا استرجع الصليب المقدَّس من ايدي الفرس فامر بان يقام لذكر هذا

المشرق

قوس قُزَح

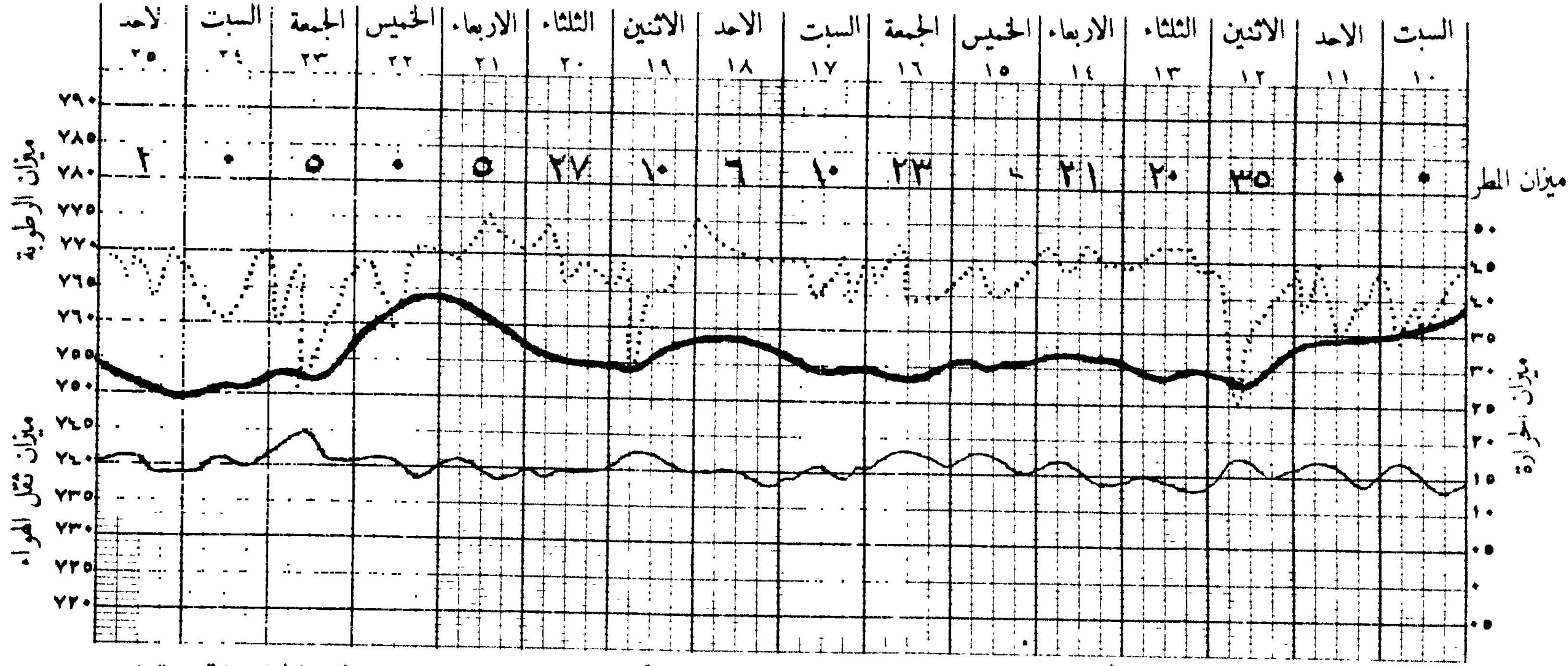
للاب الكيس مالون اليسوعي

من ابهى ما تقرّ بهِ العين من الظواهر الجوّيّة في هذا الفصل من السنة قوس قُزَح (١ فان هذه القوس اذا استدارت فوق جبالنا بالوانها الساطعة وجلّلتها باكليل من النور كان لمنظرها احسن وقع في قلوب الناظرين لا يتمالكون عند رؤياها من شكر الخالق على ما ابدع في خليقتهِ من العجائب ويتذكّرون قول الاسفار الالهيّة (سفر يشوع بن سيراخ ٤٣ : ١و ١٣) : « الجَلَدُ الطاهر فخرُ العلاء ومنظر السماء مرأى المجد... انظر الى قوس الغمام وبارك صانعها انّ رونقها في غاية الجمال تُنطِق السماء منطقةَ مجدٍ ويدا العلي مدّانها »

على انّ هذه الآية الجوّية لم يفقه البشر معناها ولم يعرفوا سببها مدّة قرون طويلة. والعلماء ينسبون شرح هذا الحادث الجوّي الى العلّامة الطبيعي الشهير نيوتُن في اواخر القرن السابع عشر. وكان العرب سبقوا فبيّنوا شيئاً من خواصهِ قبل ذلك بزمن مديد. قال القزويني (٦٨٢—١٢٨٤) في كتاب عجائب المخلوقات (ص ١٠٠) : « يكون قوس قُزح اذا حدث في خلاف جهة الشمس اجزاء مائيّة شفّافة صافية من نزول المطر او حدوث البخار وكانت الشمس مكشوفة قريبة من الأُفق المقابل ووراء تلك الاجزاء

١) اختلف العرب في اصل هذه الكلمة فبعضهم يقول انّ قزح اسم شيطان كان يعبدهُ العرب في الجاهلية فنسبوا اليهِ قوس الغمام. وقيل قُزح اسم ملاك وكل الله اليهِ امرَ هذه القوس فعُرفت بهِ. وقيل بل قُزَح تصحيف قُزع بالعين ومعناها السحاب. والله اعلم. ويقال ايضاً لقوس قُزح قوس قَزيع وقوس السماء وقوس المُزن وقوس الله. ومن اسمائها ايضاً قُسطان وقُسطانة وقسطلاني وقسطلانية

قائمة للآثار الجويّة من ١٠ الى ٢٥ شباط ١٩٠٠

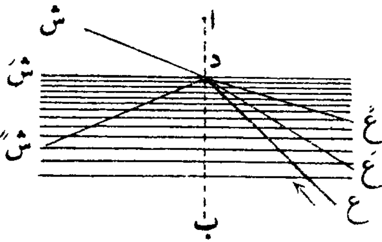


انَّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المِلمترات

وهو انَّ النور اذا اجتاز من وسط شفَّاف الى وسط آخر مثلهِ اشدّ كثافـة انحرف على طريقة ثابتة مائلًا الى جهة الخطّ القائم د ب

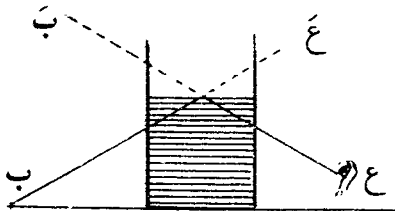
واذا عكسنا هـذا الاختبار فاجزنا شعاعًا من وسط شفَّاف اكثف الى وسط ألطف انعكس ايضًا انحراف الشعاع فابتعد عن القائم. مثـال ذلك في الشكل الاول ع د المارّ بالماء فاذا خرج الى الهواء انحرف فمال عن العمود القائم د ا الى د ش وحصلت النسبة الآتية $\frac{\text{جيب ك}}{\text{جيب ر}}$ = ن وهي عكس النسبة السابقة

ثمَّ اعلم انَّ الاشعَّة المنـيرة اذا جازت من وسط الطف الى وسط اكثف كانت زاوية الانكسار اصغر من زاوية الوقوع ولذلك لا بدَّ ان ينعكس شيء من النور مهما كان انحراف الشعاع عنـد وقوعهِ على سطح الوسط الكثيف. وليس الامر كذلك اذا جاز الشعاع من وسط اكثف الى وسط ألطف (كما ترى في الشكل الثاني) فانَّ زاوية الانكسار حينئذٍ اكبر من زاوية الوقوع. واذا بلغ الشعاع ع د سطح الوسط اللطيف انكسر الى د ش. ولكن اذا زاد انحرافهُ فصار الى عَ د زاد ايضًا انكسـارهُ الى د شَ وهي معظم زاويتـهِ. فاذا زاد الانحراف وكانت زاوية الوقوع في عً د انعكس الشعاع تمامًا الى د شً ولا يُرى منهُ شيء فوق سطح الماء



(الشكل الثاني)

واختبار ذلك سهل. خذ اناء زجاجيًّا ز واملأهُ ماء ثم ضع بازائهِ ابرةً ب وانظر في الزجاجة عند ع فترى الابرة في الهواء فـوق الموضع الذي جعلتهـا فيهِ عند بَ. امَّا اذا عاينت الابرة من فوق الاناء عند عَ فلا ترى لها اثرًا



(الشكل الثالث)

وبالاجمال يجوز القول ان جزء النور المنعكس يزيد بقدر كبر

جسم كثيف مثل جبل او سحاب مظلم فاذا استدبر الناظر الشمس ونظر الى تلك الاجزاء صارت الشمس في خلاف جهة الناظر فانعكس شعاع البصر من تلك الاجزاء الى الشمس لكونها صقيلة فادَّت ضوء الشمس دون الشكل لكونها اجزاء صغيرة كل واحد يؤدي ضوء الشمس دون شكلها ... وتختلف الوان القوس بحسب تركيب لون المرآة ولون الشمس ...» وللقزويني بعد هذا شروح أخرى تدلُّ كلُّها على حصافة عقلهِ ودقّة فهمهِ في الابحاث الطبيعيَّة

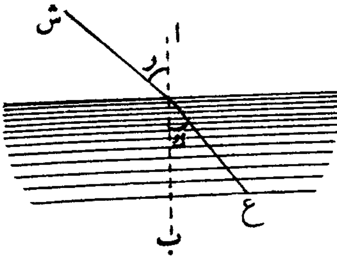
ونحن في مقالتنا هذه نلخّص مُجمل ما بلغ اليهِ العلماء في بيان حقيقة هذه القوس وكيفيَّة حدوثها. ولكن لا بدَّ ان نصدّر نبذتنا ببعض ملاحظات من شأنها ان تقرّب الى العقول فهم هذا الحادث الجوي فنقول:

١

لمَّا كانت قوس قُزَح من الظواهر النوريَّة لا بُدَّ لكشف اسرارها المكنونة من تقديم شرح بعض نواميس النور وطريقة انتشاره

اعلم ان النور ينعكس ضوؤهُ اذا ما وقع على سطح جسم صقيل وراءهُ جسمٌ كثيف كالمرآة مثلًا. امَّا اذا وقع على جسم شفَّاف كالزجاج او الماء فينفذ شعاعهُ في الجسم المذكور ويخرج منهُ على مقتضى نواميس مقرَّرة. فان كان الشعاع يجتاز من جسم شفَّاف الى مثلهِ كاجتيازهِ من الهواء الى الماء وكان وقوعهُ عموديًّا مرَّ بالجسم المذكور على خطّ مستقيم لعدم وجود سببٍ يقضي بانحرافهِ ذات اليمين او الشمال

امَّا اذا وقع الشعاع على الجسم الشفَّاف المذكور منحرفًا فيصيبهُ بعض الزَّيغان في مسيرهِ وذلك ما يدعوهُ الطبيعيون انكسار النور (réfraction)



(الشكل الاول)

مثال ذلك الشعاع ش ع الساقط منحرفًا على سطح الماء د (الشكل الاوَّل) فبنفوذهِ في الماء ينكسر ويميل الى الخط العموديّ ا ب. ولكنَّهُ يوجد نسبة بين زاوية الوقوع ا د ش وزاوية الانكسار ع د ب وهاتان الزاويتان ترتبطان بنسبة جيبَيهما ارتباطاً ثابتاً فتحصل هذه المساواة $\frac{\text{جيب ر}}{\text{جيب ك}}$ = ن وهي تدعى نسبة الانكسار وعليهِ فيجوز وضع هذا الناموس العام

٢٥٥) ان يعلّلوا نورَ الفجر والشفق بانعكاس اشعَّة الشمس لكنَّهم قد وهموا بذلك لانَّ لضوء الفجر والشَّفق علةً غير هذه وهي النور المنبثّ في طبقات الجوّ العليا صباح مساء وذلك انّ الشمس تنير هذه الطبقات قبل الطبقات السفلى فاذا استنارت بثَّت هذا النور في كل الجهات لانها اضحت مشعَّةً بنفسها وليس ذلك ناتجًا عن انكسار اشعَّة الشمس . و يزيد طول الشفق والفجر بقدر رطوبة الهواء وابخرته المُتكاثفة . ولذلك لا يطول الشفق والفجر في الشرق كطولهِ في البلاد القريبة من القطب الشمالي . فانَّ الشفق في فرنسة وانكلترة وايسلندة يبقى طويلًا بعد غروب الشمس لانَّ هواء تلك البلاد مشبَع بالابخرة المتجمّدة . وفي بعض ايام الصيف ربَّما اتَّصل الشفق بالفجر

٢

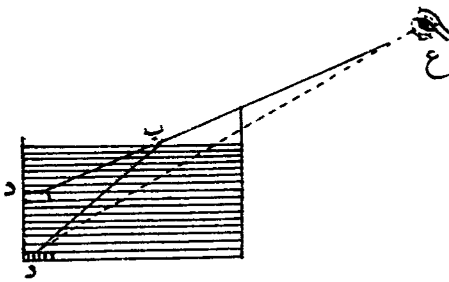
ومن المظاهر الجليلة التي تلحق بهذا الفصل وتُعلَّل بانكسار اشعَّة النور مظهرٌ لا يُرى في غير الاقاليم الحارَّة نعني بذلك السراب وهو حادث جوّي اكثر ما يحدث في البادية والصحاري في جزيرة العرب وصحراء افريقية ومصر وهو يمثّل لاعين السائر صور اشجار ونباتات كانَّها منعكسة عن مياه بحيرة راكدة . فيبشر المسافر لورود الماء فاذا اقترب توارى كلُّ شيء . وذهبت آمالهُ ادراج الرياح

وان اردتَ فهم هذه الظواهر الجوّية تصوَّرْ مفازة واسعة من الرمل . فاذا اشتدَّت الهاجرة حميت طبقة الهواء السفلى المماسَّة للارض فتخلخلت وحاولت الصعود الى طبقة الجوّ التي فوقها . لكنَّ هذه الطبقة الثانية قد حميت ايضًا لاتّصالها بالطبقة السفلى وان كانت سخونتها اقلّ منها . وعليهِ فلا يمكن الطبقة السفلى ان تتصاعد لكنها تمتزج شيئًا فشيئًا بالطبقة التي فوقها . وهكذا قُلْ عن طبقة ثالثة بالنسبة الى الطبقتين السُّفلَيين وهلمَّ جرًّا فتتكوَّن طبقات جوّيَة تتناقص كثافتها من علُ الى اسفل

فاذا افترضت حينئذٍ انَّهُ يوجد على بعدٍ رُبى مرتفعة يعلوها اشجار من النخل ن او بيوت او غير ذلك فصور هذه المرئيَّات تتمثَّل في طبقة الجوّ العليا القريبة منها . ولمَّا كانت هذه الطبقة اشدّ كثافةً تنكسر صورتها عند نفوذها في طبقة اسفل وألطف هواءً ويزيد انكسار هذا الرسم من طبقة الى أُخرى حتى يبلغ الى حضيض الارض ح فينعكس متصاعدًا ويجتاز من طبقة أَلطف الى طبقة اكثف حتى يلاقي عين المسافر في ع . فيرى صورة الاشجار عند جهة آخر انكسار اشعَّتها اعني انَّهُ يراها مقلوبة كانَّها

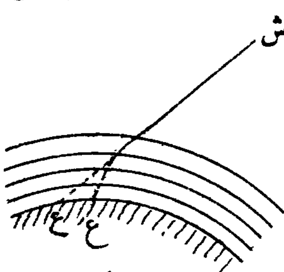
زاوية الوقوع. وهذا يصحُّ ايضاً في الاشعَّة التي تجوز من وسط الطف الى وسط اكثف. مثـال ذلك ان تقوم خارج الدار وتوجّه بنظرك منحرفًا الى زجاج شبَّاك ردهةٍ مظلمة فترى كلَّ الصور الخارجيَّة تتمثَّل على الزجاج كما في المرآة. وهكذا المساء اذا انتشر الظلام واوقدتَ في الدار مصباحاً يضحي زجاج النوافذ كمرآة ينظر فيها الناظر صورتهُ وصورة أثاث البيت. وهذا الانعكاس يحدث ايضاً في النهـار لكنَّ عيننا لا تشعر اذ ذاك الَّا بالاشعَّة الشديدة النور

هذا وانَّ انكسار اشعَّة النور يسبّب للبصر بعض الظواهر الغريبة الخارقة التي تُدعى اوهاماً نظريَّة (illusions d'optique). منهـا ان تغمس في الماء عصاً فتراها كأنَّها معوجَّة مكسورة وما ذلك الَّا لانحراف صورتهِ بنفوذها في وسط اكثف من الهواء. وكذلك اذا جعلت في اناء قطعةً من الدراهم ووضعتهُ بازائك ع بحيث لا ترى غير طرف الدرهم د (انظر الشكل الرابع) ثم صببت ماء في الوعاء ظهر لك الدرهم تماماً مرتفعاً عند دَ. وكذا اذا غمست يدك في الماء ترى كانَّ اليد والاصابع قد قصرت بدخولها في الماء



(الشكل الرابع)

وهذه الاوهام النظريَّة ربَّما تخدع الباصرة دون ان نلحظ الامر لنحكم ببطلانهِ. ألا نرى مثلاً كلَّ يوم الشمس تشرق من وراء لبنان مع انها في الحقيقة لم تطلع بعد وانَّما نرى اشعتها لانكسارها عنـد نفوذها في طبقات الجو السفلى التي هي اكثف من الطبقات العليا. وعلى هذا المنوال ترى الشمس في عَ ولولا الانكسار لما رأيتها الَّا في ع (انظر الشكل ٥). وهذا ايضاً يحدث عند الغروب فانَّ قرص الشمس يظهر للبصر بعد غيابها تماماً لانكسار اشعَّتها



(الشكل الخامس)

وقد حاول البعض (ومنهم صاحب الفلسفة الطبيعيَّة المطبوعة عند الاميركان ص

البحر . وكذا شاهد الانكليز سواحل كالي و بولوني . وكلّ ذلك سببهُ انكسار الاشعَّة في بعض احوال الجوّ . وهكذا يُفسّر العلماء ايضًا ما رواهُ مؤرخو القرون المتوسّطة عن مدنٍ وعساكر وملاحم حربيَّة نظر الناس صورها في الهواء . وفي ايلول من سنة ١٨٣٥ نظر الانكليز في جزيرتهم مدَّة ايام متوالية صور فرسان كانوا يتجوَّلون في الهواء وكان الجوّ اذ ذاك قاتمًا كثير الابخرة المتكاثفة . وفي كل هذه الحوادث قد اصاب اشعةَ المرئيَّات انكساراتٍ مختلفة وانعكاسات شتى يصعب ضبطها وتعيين كيفيَّاتها

٣

وممَّا يساعد على فهم ظاهرة قوس قُزَح ادراك خاصَّة اخرى عجيبة يمتاز بها النور . وذلك انّ النور اذا اجتاز في اجسام شفَّافة كالزجاج او اناء ماءٍ لا تنكسر فقط اشعَّتهُ كما سبق بل يتحلَّل لونهُ الى ألوان مختلفة . وهذه الخاصَّة قد بحث فيها العلامة نيوتُن ويسهل تحقيقها باختبار هيّن . أَقفلْ نوافذ غرفة بحيث يظلم داخلها ثم ادخلْ شعاعًا من الشمس من خُرق صغير ترَ الشعاع على الجدار بصورة نورٍ مستدير . فاذا اخذت موشورًا (١ وجعلتهُ بين الشعاع والحائط انحلَّ النور باجتيازهِ في الموشور الى سبعة اضواء ملوَّنة بالوان مختلفة على الترتيب المذكور في الشكل السابع وهذا ما يدعى بالطيف الشمسيّ (spectre solaire) وقد نظم المعلم اسعد الشدوديّ ما يتركَّب منهُ من الانوار على حسب نظامها فقال :

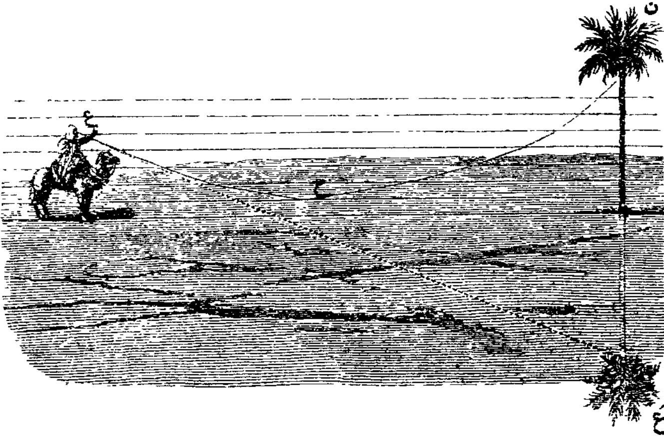
(الشكل السابع)

أَلوان طيف الشمس سبعةٌ يُرى ترتيبها فيها كما سيُذكَرُ
بنفسجيٌ ثمَّ نيليٌ يلي وازرقٌ يليهِ ثم الاخضرُ
واصفرٌ وبرتقانيٌ كذا وفي ختام الكلّ يأْتي الاحمرُ

وترتيب هذه الالوان الطبيعي مبني على قوَّة انكسارها وهي ليست تشغل في الطيف مكانًا متساويًا فالبنفسجيّ اوسع ممَّا سواهُ والبرتقاني اقلّ الاضواء سعةً . ومن هذا الاختبار ينتج (اوَّلًا) انّ النور الطبيعي ليس ببسيط بل انهُ مركَّب من اشعَّة كثيرة

١) الموشور او المنشور ما يدعوهُ الفرنج (prisme)

انعكست عن ماء راكد عند عَ تحت الحضيض (انظر الشكل السادس)



(الشكل السادس. السراب)

وتعليل السراب قد بيّنهُ العلامة مُنج الفرنسوي لاوَّل مرَّة لمَّا دخل مصر مع بونابرت. ويمكن اختبار السراب صناعياً بان تعمد الى صندوق من الحديد المصفَّح فتبالغ في إسخانهِ امَّا بان تحميهُ في الشمس واماَّ بان تملأهُ من جمر النار ثم تضع على احد طرفيهِ امتعةً صغيرة فتراها من الطرف الآخر معكوسة ان وضعتَ عينك على علوِّ سطح الصندوق. وهكذا اذا أَحمت الشمس جدارًا امكن الناظر ان يرى فوقهُ صور المرئيَّات مقلوبة

ويحدث السراب في البحر ايضاً لاسيما غدوةً عند طلوع الشمس في البلاد الباردة اذا ما كانت طبقة الهواء اللامسة للبحر ابرد من مياههِ. فيرى الملاحون حينئذٍ صور السواحل والسفن البعيدة مقلوبة في عمق المياه. وتعليل ذلك كتعليل المرئيَّات في السراب البرّي اعني انكسار اشعة المرئيَّات لاجتيازها من وسط اكثف الى وسط أَلطف. ومن غريب الظَّواهر انَّ هذه الصور شُوهدت في الجوّ معكوسةً كانَّ السفن تسير في الفضاء وسواريها مقلوبة فوق البحر. وعلة ذلك انَّ البحر يكون اذ ذاك ابرد من الهواء اللامس لهُ وتكون الطبقات الهوائيَّة السفلى اكثف من الطبقات العليا لمماسَّتها للبحر بحيث تنقص القوَّة الكاسرة للاشعة بتصاعدها من اسفل الى علُ

وقد رُئيت ايضاً بعض صور المنظورات مستقيمةً في الهواء. فمن ذلك ان سكَّان سواحل فرنسة عند بوغاص المَنش عاينوا سواحل انكلترة مع انها محجوبة عنهم بحدبة

الصوم والطب

للدكتور فيليب افندي بركات طبيب المستشفى الفرنسي في بيت لحم

جاء في قول الحكماء. « المعدة بيت الداء والحِمية رأس كل دواء ». وقد اقبل الصوم وعابدو بطونهم يهزأون بواضعي شرائعهِ والجهلاء يسخرون بقواعدهِ. لكن اهل الفريقين تائهون فلا ندعهم في ضلالهم يعمهون

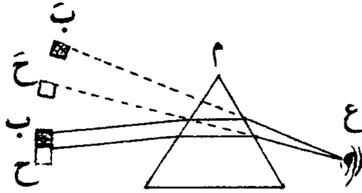
يقولون ويا ليتهم يفقهون ما الصوم الّا عادة قديمة تقيّد الحرّيّة البشريّة وتعاكس الصحّة العموميّة. في ابطالها الفائدة وفي اتّباعها عارٌ على قوم بالتمدّن يدّعون

ما قولك يا دكتور ؟ أليس كلامنا صوابًا ؟

مهلًا سادتي واصحابي. لا أُوافقكم رأيًا في هذا: انَّ في الشراهة إثمًا. وفي القناعة فضيلةً وعلمًا. وان استزدتموني ايضاحًا قلتُ: انَّ الآمر بالصوم حكيمٌ وطبيبٌ واقتصاديٌّ عظيم. ومن صام كان ايضًا كذلك. امَّا الحكمة في الصوم فظاهرة لانَّ من قمع نفسهُ وامرها بالخير عُدَّ الرجل العاقل الفاضل القادر على عظائم الامور. اليكم التاريخ وهو اكبر شاهد اذ يقول: من جهل كيف يكبح جماح امياله فهو فاقد القوى الادبيّة. واعلم انَّ الجسم المغذّى المرفَّه المنعَّم يتسلَّط على النفس وهي امّارة بالسوء فكرًا وقولًا وفعلًا. ولم يشهد التاريخ على حال الاشخاص فقط بل اثبت ايضًا ما فعلتهُ البطنة في الشعوب. فهو انبأنا بان سقوط الدول العظيمة كالدولة الرومانيَّة ما حدث الَّا بعد فساد اخلاقها وعوائدها لان الروماني الساقط كان اذا اكل وشبع عمد الى مقيّئ وعاد يأكل ويتلذَّذ بالطعام والشراب. واي شيء هو فساد الاخلاق الَّا تسلُّط الجسم على النفس وتغلُّب المادَّة على الجوهر العقلي والاهواء على الارادة الحرَّة. اوَ ليس ذاك انقلابًا في النظام الطبيعي ؟ والصوم غايتهُ ارجاع كلّ شيء الى نظامهِ (اي إخضاع الجسد للنفس). وقد قال الحكيم: الشعب الذي لا يعرف الصوم يُقهر ويُستعبد. ولعمري ايُّ قوَّة ادبيَّة في شعب لا يتحمَّل مضض الصبر وينغمس في الشهوات ويأبى احتمال الجوع والعطش وايّ امَلٍ يُعقد على امَّةٍ لا ترضى الَّا باللذة ولا تعمل الَّا لها. انَّ الوطن عندها حيث لا شقاء ولا تعب وسيَّان عندها الاستقلال او شرف الوطن وانها لتهزأُ من العدل والحرّيّة

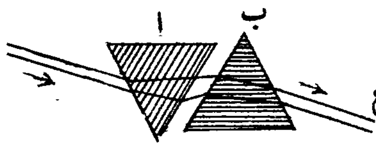
التلوُّن. (ثانيًا) ان الاضواء المختلفة ليست متساوية في الانكسار فاللون الاخضر مثلًا اكثر انكسارًا من الاحمر. وليس هذا الاختلاف ناتجًا عن الموشور وهو واحدٌ للونين بل ذلك يتأَتى من طبيعة الاشعَّة نفسها. وقد اثبت العلامة نيوتن هذه الخاصَّة الثانية باختبارات عديدة نكتفي بذكر احداها لسهولة امتحانها

خذ ورقةً ب ح نصفها ملوَّن بلون بنفسجيّ والنصف الآخر بلون احمر (راجع الشكل الثامن) وانظر اليها من وراء موشور م ترَ اللونين ابتعدا عن بعضهما فصارا في بَ حَ. فذلك دليل على انَّ الشعاع البنفسجي وصل الى عين الناظر بعد ان انحرف انحرافًا اعظم من اللون الاحمر. واذا اعدت هذا الاختبار على الوان اخرى ترى افتراق الالوان يزيد على قدر ابتعادهما في الطيف الشمسي. فينتج من ذلك انَّ الاشعَّة الملوَّنة تختلف في انكسارها وانَّ هذا الانكسار يزيد من الاحمر الى البنفسجي. (وثالثًا) ان ألوان الطيف الشمسيّ بسيطة لانك اذا اجزت كلًّا منها في موشور لا تراهُ ينحلّ الى الوان اخرى



(الشكل الثامن)

ويمكن عكس هذا الاختبار بجمع الالوان السبعة الى لون واحد وذلك بان يؤْخذ موشوران ا ب ويُجعلا كما ترى في الشكل التاسع فاذا بلغ شعاع من الشمس الى الاول فاجتازهُ انحلَّ النور كما سبق ولكن عند مرورهِ في الموشور الثاني المنعكس اجتمعت الانوار ثانيةً وصارت لونًا ابيض كما كانت قبل دخولها في الموشور الاول. ويمكن تركيب اللون الابيض من بعض هذه الالوان فقط وذلك بأَن تجمع جمعًا مناسبًا كجمع الاحمر والاخضر والازرق والاصفر او جمع الاحمر والبنفسجيّ والاخضر. ولذلك يقال لهذه الالوان انها أَلوان متوافقة مكمِّلة لبعضها



(الشكل التاسع)

وبعد هذه المقدمات اضحى بيان قوس قُزح اقرب الى الفهم وسنشرحهُ ان شاء الله في عدد آخر

(ستأتي البقيَّة)

وثانيه ارضاء الفم. وثالثهُ استعداد للامراض المستقبلة. وقد قيل: في المعدة مستودع داء النقطة الفجائي — وللصوم اوقات معيَّنة في السنة تجيءُ غالبًا في فصل الربيع فهو يُريح المعدة من اشغالها ويخفِّف احمالها ويطهِّر فسادها وبعد الصوم تقوى شهوة الطعام وتسهل الافعال الهضميَّة وتشتدُّ الصحَّة العموميَّة. والخلاصة انَّ من اكل فهضم عاش عيشة هنيئةً

امَّا كون الصوم فائدة اقتصاديَّة فذلك امر اوضح من النهار. او ليس من القواعد المقرَّرة ان الاقتصاد والتوفير هما اصل الغنى الحقيقي المتين سواء كان عند الاشخاص الافراد او عند الشعوب. والحال ان الاقتصاد والتوفير يستوجبان القناعة والتقتير وبالتالي الصوم. افلا ترى مثلًا كيف غلت في بلادنا اسعار اللحوم بعد ان كانت رخيصةً بخسة الاثمان وما ذلك الَّا لتوفُّر عدد آكلي اللحوم. و يا ليت الصحَّة بذلك تحسَّنت. بل ترى بعكس الامر اهل الجبل الذين يقلُّون من اكل اللحوم اقوى بنيةً واشدَّ صحَّةً وهم يكتفون بالقليل لا تكاد ترى فيهم فقيرًا مدقعًا

والنتيجة من جميع ما ذكرنا ان القواعد الدينيَّة في الصوم تقرَّرت وغايتها الصالحُ العمومي الصحي والاقتصادي والقصد منها تقدُّم الشعوب الدينيّ والمادّي والادبي ومن اتَّبعها اتبع الهدى

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام

١ قزحيَا

(مُجمَل تاريخيّ في قزحيّا) قزحيًا من اشهر اديرة لبنان واقدمها عهدًا. موقعهُ جنوبيّ طرابلس وشمالي اهدن على مسافة ساعتين منها. بُني على اسم القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان. وهو يشرف على وادٍ عميق تسيلُ اليهِ المياه المزبدة من اعالي الجبال يُدعى وادي قاديشا اي وادي الابرار القديسين. ولا غرو فان هذا الوادي اصلح ما يكون

تلك العواطف الشريفة التي يهتزُّ لها طرباً كلُّ كريم فانَّ الهمم العالية والنخوة والانفة كلُّها صفات لا يعرفهـا النهم بل هو يقوّض اركان السلطة ويخرب عمران الممالك لانَّ البطنة كما قيل تُذهب الفطنة

قد ثبت ممَّا مرَّ انَّ في الصوم لحكمةً وفضيلةً يقدّرها الفيلسوف قدرها ويعرف مقامَهما الاديبُ الكامل. وها الآن ما يرتأي الطب عن الصوم. قالت الاطبَّاء: انَّ اكثر العلل تتولَّد من فضول الطعام لان البطنة تدعو الى البشمِ والبشم يدعو الى السَّقَم والسقم يدعو الى الموت ومن مات هذه الميتة مات ميتةً لئيمةً لانَهُ قاتل نفسهِ وقاتل نفسهِ ألأم من قاتل غيرهِ. وقد قيل ان افضل الدواء ان يرفع المرء يدهُ عن الطعام وهو يشتهيهِ. ولا مراء انهُ اذا ما اختلَّ نظام المعدة او ضعفت حركتها واعتلَّت اعصابها تولَّد عسر الهضم فتعجز المعدة عن امتصاص الاطعمة وهضم ما يرسب منها. ومهما اختلفت العلل التي تستولي على المعدة فانَّ نتائجهـا سيّئة لانهُ اذا عسر الهضم تأَثرت المعى والتهبت التهاباً خطرًا يتأَتى عنهُ الصداع وأَلم الكلى والخاصرة بل يليهِ انحطاطٌ في الجسم يشمل البدن كلهُ. ونحن الاطبَّاء نعلم ان الموت يحدث في النهمين اكثر عن الصائمين وندرَ من يموت جوعًا. واول امر نلقِّنـهُ العليل الحِمْية في الحمّيات لان كثرة الاكل تزيد في الحرارة. واكثر الناقهين من الامراض لا ينتكسون الَّا لإقبالهم على الاكل قبل الاوان المضروب لهم. وقد قال مونتسكيو: «يميت العشاء في باريس نصفَ اهاليها والغداء النصف الباقي». وهذا القول مع ما فيهِ من الغلوّ الظاهر اذا صحَّ في بلاد اوربَّة مع احتياج اهلها الى اطعمة حارة لبرد هوائها فما القول عن اقطارنا الشرقيَّة مع حرارة هوائها ؟

ومن المحقَّق انَّهُ اذا بطلت الشراهة من الناس تصبح ايام الاطبَّاء والصيـادلة أعيادًا. وليس من صالحنا معاشر الاطباء نشر هذه الفوائد انَّما الحقيقة تُلجئنا الى هذا القول وفيهِ صلاح الجمهور

واذكر هنا حادثةَ طبيبٍ كان عيَّن لجسمهِ مقدارًا معلومًا من المأكول والمشروب وكان اذا اكل جلس على مقعد في ميزانٍ ومتى وصلت ابرَتهُ العلامةَ التي قرَّرها لنفسهِ رفع يده عن الطعام شبع ام لم يشبع. وليس الغرض من سَرد هذه القصَّة المضحكة الَّا فائدتها الادبيَّة الصحيَّة وانَّما الطبيب المذكور «زاد في الرقـة حتى انخرقا»

وقد قسم احد نطس الاطبَّاء وقت الاكل ثلاثة اقسام قال: اوَّلهُ إنهاض القوى

وحضرت بعد ذلك عيلةٌ من بكفيا يقـال لهم بيت حبقوق وسكنوا مع الشركاء في العربة ثمَّ دفعـوا الى بيت السمراني اثني عشر كيساً لمقابلة اتعابهم في قزحيًّا واخذوهُ منهم وسكنوا عوضهم ونصبوا وعمَّروا في رزق الدير واستقاموا مدَّة سنـين. وارتسم منهم مطران على الدير اسمهُ المطران عبدالله حبقوق وقضى حياتهُ في الدير. وقام بعدهُ من عيلتهِ المطران يوحنَّا حبقوق وسكن في الدير بعض سنين الى ان حضر الرهبـان اللبنانيُّون وعمَّروا اديرة في الجبَّة وغيرها. ولمَّا رأى المطران يوحنَّا اجتهاد الرهبـان في عمارة الاديرة وعبادتهم وسلوكهم الحسن سلَّمهم دير قزحيَّا فسكنوا فيهِ سنة ١٧٠٨ وابتدأُوا يعمِّرون الدير وانشأُوا لهُ جملة ارزاق في الجبَّة وذاع صيت عجائبهِ حتى صارت تتقاطر اليهِ جميع المنكوبين بالاوجاع الصعبة من كافة الاقطار والامم من مؤمنـين وغير مؤمنين من برّ الشام وحلب ومصر حتى البلدان الشاسعة البعيـدة وتعاظمت ارزاقهُ واملاكهُ ومواشيهِ في الجبَّة والزاوية والكورة وصار لهُ مداخيل وأُهبـة. ومن كثرة الزوَّار صار عليهِ مصاريف زائدة توازي مدخولهُ. وفي هذه المدَّة (اي سنة ١٨١٩) يسكنهُ رهبان جليلو الشأن لا سيما الروساء الذين يقيمون فيهِ (١ وكانوا جميعاً قدوة صالحة لمن يراهم وكانت دائماً القداديس والصلوات لا تنقطع عندهم ليـلاً ونهاراً وعمَّروا محبسة في رأس كرم جبتا تسكنها الحبساء. وكان ثلثة منهم يقيمون فيهـا ويقضون ايامهم في التقشُّف والنسك والسيرة الملَكيَّة. وتعاظم شأن هذا الدير المبـارك وتفاضلت سكَّانهُ في النموّ والعبادة الى يومنا هذا وتدوم بعناية الله وتزيد ولا تنقص. رزقنا الله شفاعة هذا الدير المبارك ودعاء سكَّانهِ الصالح امين »

(مطبعة قزحيَّا) اوَّل مطبعة دخلت بلاد الشام مطبعة قزحيَّا في اوائل القرن السابع عشر الَّا انَّ اخبارها مجهولة لا يعرف من امرها شيئاً رهبان الدير الذين طلبنا

---

١) ومن الروساء الاقدمين الذين اهتمُّوا ببنا دير قزحيَّا جبرائيل بن ستيتة الاهدني قال الدويهي في حقّهِ في تاريخ سنة ١٥٤٤ انَّهُ « اقتنى املاكاً كثيرة لدير قزحيَّا واكمل بناء القبو والدهليز والمجلس والطاحون التي على النهر . ثم همَّ في توسيع الكنيسة التي في داخل الشقيف ولكنَّهُ استصعب قطع الصخر فتراءى لهُ معلَّمهُ الحبيس يونان وامرهُ ان ينشر الصخر من غير خشيـة وان يقيم ثلاثة مذابح على اسم السيدة واسم مار انطونيوس واسم مار مقاريوس قاطع الحبيس واتمَّ العمل سنة ١٥٤٥

للعزلة والانفراد يحمل الزهّاد على نبذ الشواغل السفلية ويدعوهم الى الهذيذ في الامور العلويّة. ولمّا انتشرت العيشة الرهبانيّة في مصر ثمّ انتقل تلامذة القديس انطونيوس زعيم السيّاح الى انحاء الشرق استلفت لبنان انظارهم فأووا اليهِ وكثرت فيهِ بعد حين الاديرة والمناسك. وممّا يدلّ على ان وادي قاديشا صار مسكنًا للرهبان الاقدمين كثرةُ مغاورهِ ومحابسهِ المنقورة بالصخر بايدي الزهّاد في قديم الزمن

وكان قزحيًا من جملة هذه المحابس التي نزل فيها السيّاح قديمًا. ويقول المحدثون انّ اسمهُ يدلّ على اصلهِ هذا المقدّس فاشتقّوهُ من السريانيّة (ܟܢܙܐ ܚܝܐ) اي الكنز الحيّ. لكنّنا لم نجد لهذا الاشتقاق ركنًا متينًا لا سيا وان هذا العلَم يُكتب بالسريانيّة قوزحيًّا (ܩܘܙܚܝܐ) وقيزحيًّا (ܩܝܙܚܝܐ) ومعنى (ܩܙܚܐ) بالسريانيّة التِمْس ولا نعلم أيوجد بين هذا المكان وحيوان التِمْس علاقة ما. وقال الاب مرتين اليسوعي ان قزحيًّا مشتقّة من (ܩܨ ܚܝܐ) اي سأم الحياة دلالة على نفور الزهّاد من عيشة الدنيا. واوّل شهادة وردت فيهِ ذكرها الدويهي في تاريخ سنة ١٤٩١ قال (١: «وفيها كانت وفاة الخوري جرجس الاهدني رئيس دير مار انطونيوس قزحيًا. وخلفهُ تلميذهُ القس يونان ابن القس موسى المتريتي فانتقل من دار مار يعقوب بجانب متريت الى دير قزحيًا». وفي تاريخ سنة ١٤٩٥ ذكر «ان القس بركات البقوفاني بنى محبسة مار ميخائيل بقرب قزحيا وكانت سابقًا مراحًا للمعزى فانفرد بها الى نهاية حياتهِ الطاهرة»

وزاد على ذلك الشمّاس انطونيوس ابن الشيخ ابي خطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور في تاريخ لهُ مخطوط يُحفظ في خزانة كتبنا الشرقية (ص ١١١) ما حرفهُ:

وكانت الفة بين القس بركات وبين رهبان قزحيًا اوقاتًا. واوقاتًا يصير نزاع. وسكن هذه المحبسة حبساء من بيت الرزّ من بقوفا وغيرهم واستقام الحال ماشيًا الى ان خربت البلاد وخرب قزحيًا والمحبسة مدةً ما وبعد ذلك حضر ناس من قرية سمَر جبيل وسكن العوامّ منهم شركاء في العربة (٢ والكهنة منهم سكنوا الدير وارتسم منهم ثلثة مطارين مطران بعد آخر في قزحيًا واقتنوا لهُ ارزاقًا واستقاموا فيهِ مدّة سنين.

١) وقد ارتأى الاب مرتين اليسوعي ان اوّل رهبان قزحيًا اتوا من فنّوبين فسكنوا هذه المحبسة في القرن الخامس عشر

٢) العربة قرية قريبة من قزحيًا

حرفان لاتينيّان .S. N (Salus Nostra اي خلاصنا) ويجري عند جـذع الارزة جدول ماء تلميحاً الى فردوس عدن (اهدن) وعلى جانبيهـا سنبلتان دلالة على الخصب . وقد كُتب حول هذه الصورة الرمزيّة اسم المطران سركيس باللاتينيّـة وفوق الشعار صليبٌ مربّع وقبعـة الاساقفة اللاتينيين . وعلى جانبي هذا الشعار ما حرفهُ :

ارزة بلبنان لطول الدهر تعلينا * وبنهر انعام من الشرق تملينا * في حضنها غيهب والدم يسقينا * من صدرهِ الحيـاة وبجياهِ يبقينا * عندهُ شفيعةٌ لنا بالديق (بالضيق) تناغينا * اذا استغثنا . ومن الديق (الضيق) تنجّينا * انظر مثالي واتأمّل (وتأمّل) معانينا * واجعل بهِ رجاك رجاء البحر والمينا

وفي اسفل الصفحة هذه الالفاظ :

بالحبس المكرَّم الكائن في وادي قوزحيّاً في جبل لبنـان المبارك على يد المعلّم بسكالي الي (Pascali Eli) وعلى يد الحقير يوسف ابن (بن) عميمـة الكرمسدّاني باسم شمّاس في تاريخ سنة ا س ي (١٦١٠) ربّاً (نية)

وفي ختام آخر صفحة ما يلي :

انا الحقير بين المطارين المطران جرجس ابن (بن) عميره الهدنانيّ نظرت وقريت (وقرأت) هؤلاء (هذه) المزامير وما وجدت فيهم (فيها) شيئاً يضادد (يضادّ) الارثدوكسيّة لكن نافعين (كذا) لخلاص نفس من يقرأ فيهم (فيها)

قد اطلنا الكلام في هذا الكتاب (١ لعزّة وجودهِ واهمّيّتهِ لتاريخ الطباعـة الشرقيّة . وحروفهُ السريانيّة كبيرة مُشرقة محكمة السبك مضبوطة بالحركات لم نجد من جنسها في المطبوعات الاوربيّة القديمة . امّا الحرف الكرشونيّ فهو عين الحرف المستعمل سابقاً في مطبعة انتشار الايمان في رومية . ولعلّ الطبّاع بسكالي الي المذكور في صـدر الكتاب هو الذي جلبهُ من رومية ولا يبعد ايضاً القول بانّهُ هو الذي صبَّ الحروف السريانيّة

هذا وقد ذكر المطران اسطفان عوّاد السمعانيّ (٢ في قائمة المكتبة اللورنتيّـة

---

١) والنسخة التي بيدنا تخصُّ جناب الاديب موسى صفير صاحب مكتبة المعارف

٢) راجع كتاب المطبوعات العربيّة لشنورر Schnurrer : *Biblioth. arabica*, p,341

منهم الافادات اللازمة. امَّا وجود المطبعة في قزحيَّا منـذ ذلك العهد القديم فمما لا شبهة فيهِ وكانت حروف هذه المطبعة سريانيَّة وطُبعت فيها اللغة العربيَّة بالكرشوني. على انَّنا لا نعرف لهذه المطبعة الَّا كتابًا واحدًا طُبع في قزحيَّا سنة ١٦١٠ وهو كتاب المزامير طُبع على قطع كبير بعمودين سريانيّ فعربيّ عـدد صفحاتهِ ٢٦٠. وفي آخر المزامير الشائعة مزمورٌ خارج عن العدد وهو الـ ١٥١ لا وجود لهُ في التراجم الشائعة اليوم فلم تقبلهُ الكنيسة وانَّما ذُكر في الترجمة السبعينيَّة ونُقل منها الى السريانيَّة والحبشيَّة والعربيَّة وقبلهُ بعض الآباء وهذا حرفهُ كما ورد في الاصل مع اغلاطهِ الطبعيّة :

ܡܙܡܘܪܐ ܗܢܐ ܕܝܚܝܕܝܐ ܠܕܘܝܕ

ܠܒܪ ܡܢ ܡܢܝܢܐ ܐܬܟܬܒ : ܟܕ
ܒܠܚܘܕܘܗܝ ܐܬܟܬܫ ܥܡ ܓܘܠܝܕ :
ܘܩܛܠܗ ܘܗܘ ܐܡܪܗ:
ܙܥܘܪܐ ܐܝܬܝ ܗܘܝܬ ܒܝܢܝ ܐܚܝ : ܘܛܠܝܐ
ܒܒܝܬܗ ܕܐܒܝ :. ܪܥܝܐ ܗܘܝܬ ܥܢܐ ܕܐܒܝ.
ܐܝܕܝ ܥܒܕܝ ܐܪܓܢܘܢ : ܘܨܒܥܬܗܝ
ܟܢܪܐ ܕܩܝܬܪܐ . ܘܡܢܘ ܡܚܘܐ ܠܡܪܝ
ܗܘ ܡܪܝ ܗܘ ܐܠܗܐ ܕܝܠܝ . ܗܘ ܫܠܚ
ܠܡܠܐܟܗ . ܘܐܫܩܠܢܝ ܡܢ ܥܢܐ ܕܐܒܝ .
ܘܡܫܚܢܝ ܒܡܫܚܐ ܕܡܫܝܚܘܬܗ. ܐܚܝ ܫܦܝܪܐ
ܘܪܘܪܒܐ . ܘܠܐ ܐܨܛܒܝ ܒܗܘܢ ܡܪܝܐ .
ܢܦܩܬ ܠܐܘܪܥܗ ܕܦܠܫܬܝܐ . ܘܠܛܢܝ
ܒܦܬܟܪܘ̈ܗܝ. ܐܢܐ ܕܝܢ ܫܡܛܬ ܣܝܦܗ
ܦܣܩܬ ܪܫܗ ܘܐܥܒܪܬ ܚܣܕܐ ܡܢ ܒܢܝܐ
ܕܐܝܣܪܝܠ

هذا المزمور هو لداود خصوصيًّا
دون عدد المزامير عـندما انهُ حارب
وحدهُ مع جلياد وقطلهُ (كذا) حينئذٍ قالهُ
صغـير (صغيرًا) كنتُ في اخوتي
حدثًا في بيت ابي وراعيًا لغنمـهِ. يداي
صنعتا الارغن واصابيعي عملتـا (عملت)
الكينار. من الآن اختـارني الربّ وارسل
ملاكهُ واختارني من غنم ابي ومسحني
بدهن مسحتهِ. اخوتي حسنين (حسان)
واكبر مني لم يُسَرَّ بهم خرجتُ ملتقيًا
للفلسطينيّ الغريب الجبَّار فادعا (فدعا)
عليَّ بأوثانهِ. انا استـأسلت (استللتُ)
سيفهُ وقطعتُ رأسهُ ونزعتُ العار من
بنو (بني) اسرائيل

وبعد هذا المزمور التسابيح المشهورة وفي آخرها بالسريانيَّة صلاة مار افرام التي بدؤها: ظهر نورٌ للصديقين وفرح لمستقيمي القلب (ܢܘܗܪܐ ܕܢܚ ܠܙܕܝܩܐ ܘܚܕܘܬܐ ܠܬܪܝܨܝ ܠܒܐ)

وفي صدر هذا الكتاب صفحة حروفها سريانيَّـة بلونين احمر واسود يحدق بها اطاران في وسطهما نقوش ناعمة. وفي اعلى الصفحة بحرف كبير البسملة وعنوان كتاب المزامير يليهِ شرحهُ بالعربيَّة. وتحت ذلك شعارُ المطران سركيس الرزّي زعيم اساقفة دمشق على الموارنة وهو يمثّل ارزة كبيرة يستظلّ تحتها طير كالعنقاء وعند جناحيـهِ

بعد المراجعات الكثيرة والافادات التي تكرَّم علينا بها حضرة القسين الفاضلَين نعمة الله الكفري وبطرس ثابت وقد ذكرناها على ترتيب موادّها :

١ً كتاب القداس الالهي بالسرياني والكرشوني (طُبع اربع مرَّات نعرف منهُ الطبعة الثانية سنة ١٨٣٨ والثالثة ١٨٥٥ والرابعة ١٨٧٢. وهو الكتاب الذي طُبع اوَّلاً في رومية بامر البابا اقليميس الثامن في مطبعة آل مديسيس سنة ١٥٩٤ ثم جُدّد طبعهُ في مطبعة انتشار الايمان فطُبع مرَّتين سنة ١٧١٦ و ١٧٦٢. وفي طبعات قزحيَّا ترجمتهُ العربيَّة للسيد جرمانوس فرحات مع فصول الاناجيل لايام السنة) = ٢ً كتاب الشحيم (طُبع ١٨ مرَّة نعرف تاريخ طبعتهِ الخامسة سنة ١٨٥٥ والاخيرة في ١٨٩٧ وكان طُبع قبلًا في رومية العظمى كاملًا سنة ١٦٢٥ بامر البابا بولس الخامس بعد ان عُني بفحصهِ كثيرون منهم الكردينال بلّرمين والاب بطرس المطوشي المارونيّ اليسوعيان. ثم طُبع منهُ فرض الكهنة بحرف صغير في ايام البابوات اينوكنت العاشر و بيوس السادس (١٧٩٧) و بيوس الثامن (١٨٣٠) و بيوس التاسع (١٨٦٣) = ٣ً كتاب خدمة القداس بالسرياني والكرشوني (طُبع ١١ مرَّة نعرف منهُ طبعتهُ السابعة سنة ١٨٥٤ والاخيرة ١٨٩٦. واول طبعاتهِ في رومية سنة ١٥٩٦ في مطبعة يعقوب لونا ثم سنة ١٧٣٦ في مطبعة بطرس فرّي (١ = ٤ً كتاب صلوات نهاريَّة وليلية المعروف بالشبية (طُبع سبع مرَّات طبعتهُ الاولى سنة ١٨٠٨ والثالثة سنة ١٨٣٠ والاخيرة سنة ١٨٨٨. وهذا الكتاب طُبع اولًا في رومية سنة ١٥٨٤ في مطبعة دومينيك باسا. ثم في مطبعة المدرسة المارونية سنة ١٦٢٤ ثم في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٦٩٣ و ١٧٢٥) = ٥ً كتاب الرسائل من تعريب المطران جرمانوس فرحات (طُبع اربع مرَّات طبعتهُ الثالثة سنة ١٨٥٤ والرابعة ١٨٦٤) = ٦ً كتاب قراءات (ريش قريان) من الكتاب المقدس تُتلى ايَّام الاحاد والاعياد سنة ١٨٤١ = ٧ً التعليم المسيحي (طبع مرارًا ولا نعرف من تاريخهِ شيئًا) = ٨ً شرح معاني القداس (مثلهُ) = ٩ً كتاب نيقولاوس تيرزاغو اسقف نارني في سرّ التوبة (طُبع سنة ١٨٢٩. صفحاتهُ ٢٥٢ قطع ربع) = ١٠ً كتاب زيارة القربان المقدس للقديس الفنس ليكوري (١٨٣٩) = ١١ً كتاب مرشد الكاهن للاب بولس سنيري اليسوعي (١٨٣٩). وطبع قبل ذلك في الشوير سنة ١٧٦٠ = ١٢ً رتبة تساعية مار انطونيوس الكبير (١٨٧٤) = ١٣ً الكرَّاسة اي مبادئ القراءة السريانية (طُبعت ١٧ مرَّة آخر طبعاتها سنة ١٨٨٨) = ١٤ً مورد التحقيق في اصول الغراماطيق للقس نعمة الله الكفري (طُبع سنة ١٨٧٣ و ١٨٩٦). هذا الى بعض اوراق متفرّقة للتصريف بخدمة سرّ التوبة وفرائض بعض مجامع الرهبانية اللبنانية

فممَّا تقدَّم يظهر انَّ اول كتاب طُبع بالمطبعة المستحدثة في قزحيَّا كان سنة ١٨٠٨ والاخير سنة ١٨٩٧. وقد صار في ادوات المطبعة المذكورة تحسينات منذ سنة ١٨٧٥. ولنا الامل ان الرهبانيَّة اللبنانيَّة لا تزال تخدم الكنيسة والوطن بمواصلة طبعاتها المفيدة رغمًا عن انتشار فنّ الطباعة في بلادنا (ستأتي البقية)

١) راجع قائمة مكتبة دي ساسي (الجزء الاول ص ٢٨٢)

لآل مديسيس (ص٧١) انَّ المزامير طُبعت في دير قزحيًا بالسريانيَّة والكرشونيَّة سنة ١٥٨٥ ترجمها من السريانيَّة الى العربيَّة جرجس مطران نيقوسية المارونيّ وطُبعت بهمَّة البطريرك سركيس الرزّي (١٥٨١—١٥٩٦) ويوسف كاثري (Katheri) من بيت السمعاني . وكرَّر هذا الخبر سمعان السمعانيّ في كتاب قائمة المخطوطات الشرقيَّة المحفوظة في المكتبة النانيَّة (Bibl. Naniana, p. 8)

على انَّ العلماء لا يعرفون شيئًا من امر هذه الطبعة القديمة ولعلَّ اسطفان عواد السمعاني نسب الى السنة ١٥٨٥ الطبعة التي وصفناها سابقًا فشُبّهت عليهِ . وعلى كل حال لا نعرف احدًا اطَّلع على هذه الطبعة القديمة او سمع بوجودها في احدى المكاتب . لاسيا انَّ الاب دنديني اليسوعي يذكر في رحلتهِ الى لبنان سنة ١٥٩٥ (ص ٩٥) ان الموارنة ليس عندهم مطبعة ينشرون فيها كتبهم الطقسيَّة . فكيف امكنهُ ان يقول ذلك لو وجدت مطبعة قزحيا في عهدهِ لا سيَّما انَّ الشماس يوسف كاثري الذي ذكرهُ السمعاني كان يصحبهُ في رحلتهِ . والله اعلم

امَّا ما جرى لمطبعة قزحيًا القديمة وكيف تضعضعت حروفها ولم يُطبع بها غير كتاب المزامير فذلك امر غريب لم يفدنا عنهُ احدٌ شيئًا . وما لا مرية فيهِ انَّ المطبعة الحالية هي غير المطبعة القديمة وحروف هذه غير حروف تلك

والمطبعة التي اشتهرت في عصرنا هذا في دير قزحيًا اخذت في نشر الكتب في اوائل القرن التاسع عشر والذي اهتمَّ بتجديدها الاخ الفاضل سيرافيم حوقا (والفرنج يدعونهُ سوسن) البيروتيّ . وقد كتب لنا حضرة القسّ نعمة الله الكفريّ انَّ سيرافيم المذكور لمَّا استحضر المطبعة برسم دير قزحيًا جعلها اولًا في دير مار موسى الدوَّار ريثما يُعمَّر لها محلّ . وهناك طبع كتاب الشحيم الكامل كلهُ بالحرف الاسود . ثمَّ نقلها الى دير قزحيًا

وكانت حروف هذه المطبعة سريانيَّة عُني بصبّها مديرها الهمام . وكان يريد ان يصبّ لها احرفًا عربية لكنهُ لم يتيسَّر لهُ سكبها ولم يُطبع بها شيء (١

امَّا الكتب التي طُبعت في مطبعة قزحيًا الجديدة فهذه قائمة ما حصلنا عليهِ منها

١) ومن هنا يتضح غلط صاحب الهلال في ما كتبهُ عن تاريخ مطبعة قزحيا (٦ : ٣٥٢) حيث قال : ان حروفها كانت اولاً سريانية ثمَّ صارت عربيَّة

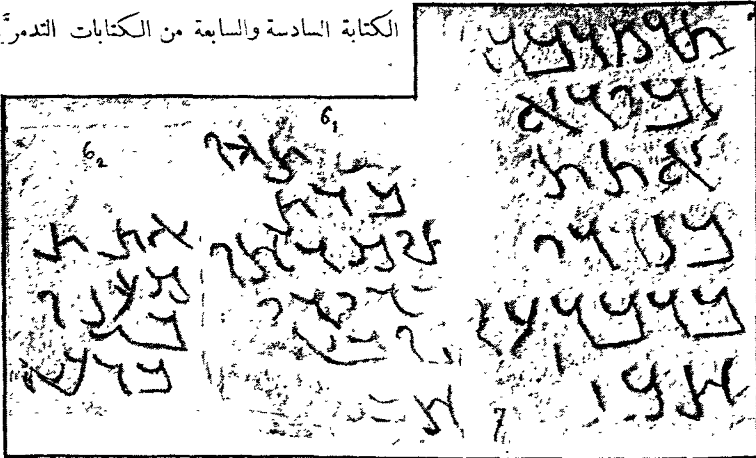
1897, p. 594) وهو آتٍ ايضاً في كتابتنا السابعة حيث تراهُ على صورة نبطيّة « برْعو ». فالمظنون عندنا ان هذا العلَم غير آرامي بل نبطيّ مع وروده في المكتبة الشرقيّة للسمعاني على صورة آراميّة ܒܪܥܘ (١ وان صحّ قولنا فمعنى العلَم الاصليّ يكون نحو الأبرع على حدّ قول ابي ذُؤَيب:

فكبا كما يكبو فَنيقٌ تارزٌ بالخبت الّا انّهُ هو أَبْرَعُ

ومعنى الأَبرَع هنا الاضخم او الاشدّ وفي المجاز الاعظم براعةً

واماّ العلَم الذي في السطر الثاني فلا نتردَّد في قراءتهِ מעני مَعنُو رغماً عن غرابة صورة الحرف الثاني. فانَّ ذلك من يد الناقش ولا نظنَّهُ اراد رسم حرف ה (ه) الذي يختلف عن נ (ن) اختلافاً غير زهيد. وقد مرَّ بيان اسم مَعنُو في الكتابة الاولى

الكتابة السادسة والسابعة من الكتابات التدمريّة



١) راجع B. O. II, p. 58. وقابل ايضاً ܒܪܥܘܬܐ، وهو علَم مذكَّر (Ibid. I, p. 243) ولسوء الحظّ لم نحصل على تأليف العلامة كارمون غانو المشهور المسمّى *Etudes d'Archéologie orientale*. وقد اشهر فيهِ (t. I, p. 107, 110) كتابتين تحتويان هذا العلَم ولعلَّهُ اتى عليهِ ببعض الشروح المُنيرة. ولا نعلم من اي اصلٍ أُخترع لهُ معنى « الهداية » في مجلّة PEFQS : 1891, p. 312. قابل ايضاً اسم احد ملوك سدوم في سفر التكوين ١٤ : ٢ وهو ברשע وفي السفر الاول من الاخبار ٧ : ٢٣ בריעה

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزڤال اليسوعي (تابع لما في العدد الرابع)

الكتابة السادسة ولها قسمان ايضاً

(عن تمثال امرأة محفوظ عند ج.ج.)

.?. תהו	.. ? تهو	אתת	امرأة
ברת	بنت	מענו	مَعنُو
תימרצו	تَيمَرصُو	בר	بن
בר ידי	بن يَدَّي	בריא	برعا
.?... ובא	(بن ?) .?. وبا		
חבל	خبل		

(القسم الاول) لسوء الحظّ لا نعرف أكان العَلَم الاول مقصورًا على الحروف المرسومة ام هو اطول. وما يزيدنا اسفًا ان مثل هذه الاعلام المؤنّثة نادرة في عاديّات تدمر (١. وكذا قل عن العلَم المذكّر الاخير. وامّا اسما تَيمَرصُو ويَدَّيْ فشائعان في الكتابات التدمريّة. والاوّل مركّب من تَيم اي عبد ورضو (٢ او رُضَى او رُضَاء وهو صَنَم من أصنام عرب الجاهليّة (٣ . والثاني (Ἰαδδαῖος) معناهُ المحبوب قابل יְדִי و ידיד اسم علَم عبراني ووَدَّ يَوَدُّ واسم الاله وَدّ (Wellhaus. p. 17)

(القسم الثاني) אתת اسم آرامي محض وعين كلمة ܐܢܬܬ السريانيَّة في صيغة الجزم و « برعا » معروف من عدَّة كتابات (J. A. 1868², p, 111 و *Revue biblique*

١) ومع ذلك قابل العَلَم النبطيّ תהו (ZDMG 1863, p. 589) و תהו الاسم العبراني الذي معناهُ البلقعة والخلاء ٢) طالع الحاشية الثالثة من الجدول (ص ١٥٨)

٣) قال ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٥٦): قال ابن اسحاق وكانت رُضَاء بيتًا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ولها يقول المستَوْغر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة حين هدمها في الاسلام:

ولقد شدَدتُ على رُضاءِ شدَّةً فتركتُها قفرًا بقاعٍ أسحَما

طالع ايضًا Wellhausen : *Reste arab. Heid.*² p. 58 و CIS, II n° 208 و Cl. - Gan., *Rec.III* p. 165 و Hoffmann : *Auszüge... Note* 159

تدمر من الشان في ترويد القوافل(١٠ ويجوز ايضاً ان تحلّل الكلمة الى قسمين اعني بهما בנ وهو عين كلمة בר اي ابن وكلاهما مستعمل في كتابات تدمر (V. n° 30) ودري او ذري (٢ الذي عربيّتهُ واضحة (قابل ذَرَى وذراء بن عدي ;Wüst. 5,20 Regist. 159) ودَراي وهي امرأة من الفرس (ياقوت ١ : ٨٦٣)

(السطر الخامس) « برعو » قد مرّ ذكرهُ وشرحهُ في الكتابة السادسة

(السطر الاوّل) ولنورد الان طرفة من اخبار العرب توطئةً لشرح كلمة תדמר وهي علم مؤنث كما رأيت. قال ياقوت في معجم البلدان (١ : ٨٢٩) ما حرفهُ: « تَدْمُر بالفتح ثمّ السكون وضمّ الميم مدينة قديمة مشهورة في بريّة الشام... قيل سميت بتدمر بنت حسّان بن أُذينة بن السميذع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عمّ... (٣ وعن اسماعيل بن محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ قال: كنتُ مع مروان بن محمّد آخر ملوك بني اميّة حين هُدم حائط تدمر وكانوا خالفوا عليهِ فقتلهم وفرّق الخيل عليهم تدوسهم وهم قتلى فطارت لحومهم وعظامهم في سنابك الخيل وهدم حائط المدينة فافضى بهِ الهدم الى جُرف عظيم فكشفوا عنهُ صخرة فاذا بيت مُجصَّص كانّ اليد رُفعت عنهُ تلك الساعة واذا فيهِ سرير عليهِ امرأة مستلقية على ظهرها وعليها سبعون حلّة واذا لها سبع غدائر مشدودة بخلخالها. (قال) فذرعتُ قدمها فاذا ذراعٌ من غير الاصابع. واذا في بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب « باسمك اللهمّ

١) طالع فهرست ياقوت في مادّة بُنْدار (ص ٣٥٢) وهو علَم شائع في بلاد الفرس

٢) راجع الجدول

٣) قال ابو العبّاس احمد القلقشندي في صُبح الاعشى (الفصل السادس من المقالة الثانية في المملكة الشامية) : « تَدْمُر بفتح التاء المثناة فوق وسكون الدال المهملة وضمّ الميم وراء مهملة في الاخر كذا ضبطهُ السمعاني في الانساب والجاري على ألسنة الناس ضمّ اولها. . . قال صاحب حماة وغالب ارضها سباخ وبها نخيل وزيتون وبها آثار عظيمة ازليّة. . . . قال في المطار : وهي سُمِيت بتدمر بنت حسّان بن اذينة وفيها قبرها وانما سكنها سليمان عليهِ السلام بعدها » (عن نسخة محفوظة في مكتبتنا ص ١١٥٢)

وان اردتَ كامل نسب تدمر بنت حسّان اليك بمراجعة مقالة العلامة Blau ZDMG 1873, p. 354 وفيها تتيقّن ان تدمر هذه لم تعِش قبل سليمان بل بعد المسيح باكثر من خمسين سنة. وهنا نذكّر ان تدمر بنت حسّان احدى حوافد الزبّاء وقد مرّ بيان ذلك في نبذتنا على ملكة تدمر

الكتابة السابعة

(عن تمثال امرأةٍ متبرّجةٍ بجانبها ولدٌ. والكتابة مرسومة بينهما. في البيت نفسهِ)

رأينا انَّ لهذه الكتابة فائدةً اعظم ممَّا سواها . فانها تأتي باسمٍ طالما حاول اصحاب العاديَّات ومعلّمو اللغات ومؤلفو التواريخ ان يقفوا على اصلهِ ومعناه وما يزيدنا ثقةً في انها لم تُنشر الى الآن ان صاحبها الفاضل اكَّد لحضرة الاب لامنس ان لا احد سبقهُ في اخذ رسمها الطّبعي. واليك نصّ الكتابة :

תדמר ברת	تدمور (او تدمر) بنت
זבידא	زبيدا
אתת	امرأة
בנדרי	بندري
ברעו	(بن) برعو
חבל	خبل

(السطر الثاني) « زبيدا » Ζεβείδος او Ζεβείδας (١ علَم مذكَّر شائع في كتابات تدمر فضلًا عن الكتب السريانيَّة ومعناهُ المُعطى او المُهدَى (من الله). ولفظـهُ في الاصحّ كلفظهِ السرياني اي ܙܒܝܕܐ (٢ طالع ايضاً في اول سفر المكابيين ١٢ : ٣١ اسم قومٍ Ζαβεδαῖοι = ܙܒܝܕܝܐ

(السطر الرابع) لم نعثر على هذا العلَم في كتبنا والمظنون انهُ جديد كغيرهِ من الاعلام المارّ ذكرها. وليس لنا دلالة اكيدة على لفظهِ ولعلّهُ من اصل فارسيّ اي بَنْدَر وهو الشيء المُحكم والمَرسى او من بُنْدار الذي معناهُ الحافظ او التاجر الذي يخزن البضائع للغلاء. والمعنى الثاني يوافق ما نعرفهُ من اخبار تجارة التدمريين وما كان لموقع

١) من الغرائب التي اشرنا اليها في مقالتنا على الرِّبَّاء ان التدمريين رأوا وفاقًا لفظيًّا بين Ζηνόβιος و ܙܒܝܕܐ . (راجع V. 123 a ; Oxon. III وغيرها). ألا يستحقّ هذا الامر فحصاً مدقّقًا يجدينا نفعاً في معرفة خواصّ الاعلام التدمرية

٢) طالع Nöldeke : ZDMG 1870, p. 88 و Cl. - Gan. *Rec. III*, p. 158. ومثل هذه الملاحظات مفيدة لمعرفة لفظ يونان سوريَّة في اوائل النصرانيَّة. فانَّهم كانوا يلفظون تركيب ει كما يلفظهُ معاصرونا من اليونان اي نحو i ممدودة

التي افتتح بها ياقوت روايتهُ « باسمك اللهمَّ » هي من الادعية التي يكثر ورودها في كتابات تدمر امَّا بالتدمريَّة او باليونانيَّة نحو Διὶ ὑψίστῳ الخ (W. n° 2628 ? V. p. 32)
وكيفما كان الامر ففي ما مرَّ بيانهُ برهان جديد على اهميَّة مطالعة اخبار العرب والتنقيب عن رواياتهم . بيد انَّ هذا يقتضي عادةً ضلاعة لغويَّة وتاريخيَّة وذهنًا ثاقبًا لتمييز صحيح النقول من القصص الملفَّقة

ومن الرواية اللطيفة التي اوردها ياقوت نستنتج نتيجة مهمَّة وهي ان عرب الجاهليَّة عرفوا علمًا موءَنثًا صورتهُ « تَدْمُر » وهو عين كتابتهم لاسم مدينة تَدمُر . وانَّهم يوافقون بذلك التدمريين في استعمالهم نفس الكلمة إمَّا دلالةً على حاضرتهم او تسميةً لبعض نسائهم . وليس بينهم فرق الَّا كتابة תדמור التي ترد احيانًا في العاديَّات عِوَض תדמר . غير انَّ هذا الفرق معتبر والمرجح عندنا ان قدماء التدمريين كانوا يلفظون هذا الاسم نحو ܬܕܡܘܪ (Tedmór) كما ألمع اليهِ العلامة نولدك ZDMG) p. 92) وكما هو بيِّن من صورة Θεδμόρ (او Θεδμόρ او ايضًا Θεδμώρ) الواردة في الترجمة السبعينيَّة و Θεδμωρ عند اوسابيوس المؤرخ . ولا يخفى ان الحركة اليونانيَّة تدلُّ هنا على وجود حركة مشبعة في الكلمة الساميَّة . ولا يقاومنا ما نراهُ من كتابة بعضهم Θαδάμορα (يوسيفوس Antiq. VIII, 6, 1) عِوَض Θαδαμόρα فانَّ هذا الاخير على رأينا هو الاصحّ . وقد ارتأى مثلنا العلَّامة ركندورف (ZDMG 1888, p. 402) ١)

وممَّا يدلُّ على ان حركة الميم كانت اصلًا مُشبعة ما نجدهُ في آثار تدمر وكُتُب قدماء اليونان من كتابة لفظة Παλμύρα ٢) للتعبير عن اسم תדמר او תדמור .

١) قابل لفظ اللبنانيين والموارنة وجملةً اغلب اغربيين للكلمات التي تنتهي بحرف ساكن قبلهُ حركة . مثال ذلك ܡܪܢ فتُلفظ morán و ܩܛܠܬ فتُلفظ qetlát و ܐܬܛܘܝܬ فتُلفظ echtaudít (راجع كتاب اللمعة الشهية في اللغة السريانية للسيد العلامة يوسف داود الطيب الذكر ص ٢٥١)

٢) اعلم ان لفظة Παλμυρα قد تضاربت بها ايدي النسَّاخ والكتَّاب فتراها مكتوبة تارةً Πάλμυρα واخرى Παλμύρα واخرى Παλμυρά . والاصح عندنا الوجه الثاني للسبب المدوَّن في المتن . طالع Pape : *W. d. Griesch. Eig.* حيث تجد اسم تدمر مكتوبًا Πάλμυρα وقابل ايضًا بين Δαμοῦρας (Polyb. 5, 68.) و Ταμύρας (Strab. 16, 2, 22) وكلاها

انا تدمُر بنت حسَّان ادخل الله الذلَّ على من يدخل بيتي هذا ». فامر مروان بالجوْف فأُعيد كما كان ولم ياخذ ممَّا كان عليها من الحلي شيئًا »

(قلنا) لا نشكّ في ان تلك المراة المستلقية على ظهرها تمثالٌ من التماثيل العديدة التي نصبها قدماء التدمريين في مقابرهم. وهــذا ظاهر بيّن ممَّا اردف بهِ المؤلف قصَّة تدمر بنت حسَّان اذ قال: « ومن جملة التصاوير التي بتدمر صورة جاريتين من حجارة من بقيَّة صور كانت هناك فمرَّ بها اوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر اوس الذي في البصرة فنظر الى الصورتين فاستحسنهما فقال:

فتاتَيْ اهل تَدمر خبراني ... أَلمَّا تسأَما طول القيامِ
قيامكما على غير الحشايا ... على جبل اصمَّ من الرُّخامِ
فكم قد مرَّ من عدد الليالي ... لعصركما وعامٌ بعد عامِ
وانَّكما على مرّ الليالي ... لابقى من فروعِ ابنَي شمامِ الخ (١

ومن عجيب الامر ان الناس الذين صحبوا مروان الملك قدروا على قراءة الكتابة المرسومة في « احدى غدائر المرأة ». وهي بلا مراء بالخطّ التــدمري او اليوناني او بكليهما. بيد اننا مع غرابة الرواية ورغمًا عن اختلاط الغث بالسمين فيهـا نرتأي ان احد هؤلاء الرجال كان عارفًا لليونانية او بالحري للسريانيَّة او للعبرانيَّــة فتوصَّل الى قراءة الكتابة التدمريَّة لشبه حروفها بخطوط تلك اللغات وبالقلم الكوفي البسيط الشائع في عهد بني اميَّة وكل ذلك مُحتمل من اوجهٍ. وما يؤيد قولنا بعض التأييد ان العلامة ديكوردمنش (Decourdemanche) قد اشهر في المجلة الاسيويَّة البــاريسيَّة (1899[2], p. 267) نوعًا من الخطوط الشرقيَّة السرّية المجهول زمن وضعها وسبب تسميتها يقال لهُ « الخط التدمري » وهو دون ريبٍ يُشبه الخطّ التدمري الوارد في الآثار القديمة شبهًا معتبرًا وان كان اقرب الى الخطّ العـبراني المربَّع الشكل. أفلا يجوز لنا القول ان ذلك الخط التدمري السرّيَّ ينتمي حقيقَةً الى التدمري القــديم فكفى بذلك اشارةً الى محبي العاديَّات

واما مضمون الكتابة التي اكتشفوها في ضريح تدمر بنت حسَّان فنظنّ انهم لم يفهموا معناهُ بالتمام او بالاحرى انَّ الرواة لم ينقلوا الينا صحيح قراءتها. ان العبــارة

١) وفي هاتين الجاريتين اشعار عديدة جميلة ضربنا عنها خوف الاستطراد الممل

لانهُ لا شيء يفرق فيها بين ד و ר. نجيب (اولًا) انَّ امكانيَّة الشيء ليست ببرهان قاطع على حقيقة وقوعهِ . (ثانياً) ان اصل דמר وان كان موجودًا في العربية فلا اثر لهُ في الآراميَّة . أفمن الواجب كلما عثرنا على كلمةٍ تدمريَّة ان نتخيَّل لها اصلًا اجنبيًّا لاسيما اذا وُجد في اللغة الارامية اصل مشهورٌ يطابق مظاهر الكلمة المرسومة في الكتابة التي بين ايدينا . (وثالثًا) انَّنا لسنا نؤكّد قراءة תדמר كلَّ التأكيد . غير ان ما نعرفهُ يقينًا من عادة الساميين قاطبةً في تسمية الناس والاماكن بكلمة واحدة وورود اسم تدمر في عدَّة كتابات تدمريَّة يؤيد قولنا تأييدًا لا يكاد يبقى معهُ ادنى شبهةٍ في صحَّة قراءتنا

والحاصل من كل هذا البحث الطويل ان كلمة تدمر او تدمور مشتقَّة من اصل سامي لا من اصل هندي كما زعم هِتزيك في المجلة الاسويَّة الالمانيَّة ZDMG 1854 p. 222 ومن تحزَّب لرأيهِ . فبكلّ حقّ اذًا كتب العلامة Blau في المجلة نفسها ان الدكتور هتزيك قد جاوز حدَّ التخمين في ما ابدعهُ من اشتقاق اسم تدمر (١

وان سُئلنا والى اي فرعٍ من فروع اللغات الساميَّة ينتمي اسم تدمر اجبنا بترجيح اشتقاقهِ من اصل آرامي كما مرَّ . ولا يبعد ذلك عن التصديق لوقوع المدينة في النواحي التي عمَرها الآراميون منذ ازمان تتوغَّل في القِدَم . ومن العلماء من اشتقَّهُ من كلمة ܬܕܡܘܪܬܐ (اي اعجوبة او معجزة) رغمًا عن عدم ورود هذه الكلمة بصيغة الجزم المذكَّر في اكثر كتب الآراميين وقواميسهم . ومن جملة من يذهبون هذا المذهب (وهم قليلون جدًّا) حضرة القَس جبرائيل كرياكوزه من افاضل كهنة بغداد الكلدان . وقد بيَّنا لهُ في جوابنا على سؤالهِ (المشرق ٢ : ٨١٤) الاسباب التي تصدّنا عن القول برأيه مع ما فيهِ من ظاهر الصحَّة . ولا حاجة الى تكرار الامر هنا . بيد اننا نزيد عليهِ ملاحظةً جديرة بالاعتبار وهي اننا عند كلامنا عن اصل « د م ر » يجب ان نميّز بين المعاني المختلفة التي تسردها كتب اللغة في بابهِ . والحال ان للاصل الذي نحن بصددهِ معنيين في الآراميَّة (٢ . اولهُ العجب مع المعاني اللاحقة بهِ وهو المشهور واما الثاني وهو اقلّ ورودًا فلم يُبقِ من اثر

---

١) In seiner Art mehr als kühn behandelt Hitzig die Etymologie von Tadmor. ZDMG 1871. p. 542, n. 1

٢) نضرب صفحًا عن ذكر المعاني العديد المضاربة التي ترد بامهات العربية في مادة د م ر

فان لفظ ו في القرون الاولى للنصرانيّة لم يزل على ما هو معروف عند العلماء من كونهِ قريباً الى لفظ الرومان لحرف u (ou الافرنج) . واتّما قلنا « اصلًا » لانَّ التـدمريين كغيرهم من الآراميّين معاصريهم كانوا احياناً يقصّرون بعض التقصير الحركات المشبعة في أواخر الكلمات . فكانوا اذًا يلفظون תדמר او תדמור نحو Tádmor بنبرة خفيفة على المقطع الاول . وان سُلّم بذلك وهو غير بعيـد عن الصواب فلا عجب من تصرُّف العرب بكلمة تَدْمور وتصييرهم ايّاها تدمُر باطباق الحركة الاخيرة فكما انّهم مدُّوا مدًّا مخرج اسم זבי (وهو اسم ملكة تدمر تتقدّمهُ لفظـة בת) فقالوا « الزَّبَّاء » ساكبين هذا العَلَم الاجنبيّ في قالبٍ من قوالب لسانهم ولفظهم الخاص كذلك فعلوا في « تدمور » التدمريين فرأوا لها وَزن تَفْعُل الشائع عندهم لا سيَّا في تسمية الاماكن مثال ذلك في النساء والقبائل : تَخْمُر (عن ابن هشام) (١ وتَرْخُم (وهي قبيلة قديمة قاطنة بديار حمص) (٢ وتَعْمُرُ (CIS *II*, n° 173) وغيرها وفي الاماكن : تَرْخُم وتَعْمُر وتَسْتُر وتَنْعُم وتَنْبُغ وتَنْصُب وتَلْقُم وتَخْتُم الخ . وأضف اليها تَضْرُع التي ترد ايضاً في صورة تَضْرُوع كما في تدمر وتدمور وكذلك تكرور (عن ياقوت) . وقابل ايضاً اسماء الاشخاص او المدن التي اوزانها تَفعِل او تَفعَل او تُفعَل كتَغلِب وتَرمِذ وترعَب وتَمَّر وتُصلَب وتُبنَى وغيرها التي لا تُحصى . ولا حاجة الى ايراد شيء من الاعلام العديدة الآتية على وزن يَفعِل (٣

بيد انهُ لا بُدَّ لنا من ردّ اعتراض ربَّما خطر على بال من فكَّر في « تَرْمِذ المارّ ذكرها وهو ان اوّل اسم كتابتنا يمكن ان يُقرأ תרמד عوض תדמר كما رسمناهُ

اسم واحد لنهر الدامور المنصبّ بين بيروت وصيداء . ومن الواجب علينا في هذا المقام القول بان هذا العلَم انما هو صورة تدمر بتحريف حرفين اذ من المقرَّر ان ليس في Παλμύρα ريحٌ من النخل كما زعم البعض اعتمادًا على ان اسم المدينة مشتق من « تَمَر » باقحام الدال . وممّا يؤيد ذلك اننا نجد لهذه الكلمة صورة متوسّطة Ταλμύρα (طالع Blau : ZDMG 1871, p. 542 و Hommel : ZDMG 1890, p. 547)

١) قابل ايضاً يَخْمُر ويَخْمُور

٢) Wüstenf : *Register*, p. 445

٣) طالع مقالة مفيدة للعلّامة نولديك على الاعلام العبرانية والعربيّة ZDMG 1861, p. 806) الّا انّهُ فاتهُ ذكر تدمر كما اشار اليهِ الدكتور بلو Blau في المجلة نفسها 1871. p. 542 note 1)

ولسنا لنختم هذا الباب دون ان نستلفت ثانيةً انظار قرائنا الافاضل الى اهميَّة تعلُّم اللغات الساميَّة ومقابلتها بعضها لبعض. ففي ما مرَّ من الشروح مثال جلي على ذلك مع اقرارنا بقصورنا وليس الكمال الَّا لله (ستأتي البقيَّة)

الروم الملكيون

نبذة في اصلهم وجنسيتهم

للاب هنري لامنس اليسوعي

قد اطَّلعنا في العدد الاخير من جريدة المنار (١٠ شباط) على مقالة عنونها صاحبها الاديب امين ظاهر خير الله «باصل الروم الارثوذكس في سوريَّا» وفيها يفنِّد ما اعترض عليهِ بهِ بعض المنتقدين لمقالة كتبها سابقًا بيَّن فيها انَّ روم الشام الارثوذكس ليسوا من اصل يوناني بل هم سوريُّون جنسًا

(قلنا) انَّ لهذا البحث من الخطر والشان ما استدعانا الى ابداء رأينا في هذا الخصوص. ودفعًا للشبهة في حقيقة ما توخَّينا اثباتهُ نفيد قرَّاءنا اننا ندعو هنا باسم الملكيين (١ كلَّ النصارى السوريين الذين يتبعون الطقس اليوناني سواءٌ كانوا من الكاثوليك او الارثوذكس. وهو اسم لعمري جليل أُطلق عليهم جميعًا منذ قرون عديدة يفرزهم عمَّن سواهم من الطوائف النصرانيَّة. وكان الاولى بالروم الارثوذكس في بلادنا ان يحافظوا عليهِ كما فعل الروم الكاثوليك ولا ينبذوهُ ظهريًّا ليُحدثوا لهم اسمًا جديدًا على مثال اخوتهم الروسيين لاسيما وان اسم ارثوذكس اي المستقيم الايمان تدَّعيهِ كلُّ الطوائف بلا استثناء. الا ترى مثلًا ان الارمن الغريغوريين واقباط مصر يلقّبون انفسهم بالارثوذكس مع انَّ الروم يعدُّونهم من الهراطقة اليعقوبيَّة

١) انَّ اسم الملكيين قديم العهد عند كتبة العرب وهو قد ورد في تآليف القرن التاسع. يروونهُ على صور شتَّى كالملكيَّة وهو الاسم الشائع بينهم والملكانية كما رواهُ القلقشندي والملكانيَّة على رواية البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٨٨ الخ) وقد ذكر القلقشندي في الجزء الرابع من كتاب الصبح الاعشى انَّ بين اسماء بابا رومية اسم بطريرك الملكيَّة

الّا في كلمة ܝܚܝܕܝܐ التي مفهومها الوحدة والخلوة والانقطاع. وهذا المعنى الاخير مع ندوره في لسان الآراميين لا يحقّ لنا ان نهملهُ في بحثنا هذا فانهُ شاهد بيّن على ان اصل « د م ر » كيفما كانت صورتهُ الاوليّة كان لهُ في قديم الزمان معنى الوحدة. وان ثبت ذلك فليس من المستحيل بل من المحتمل ان هذا المعنى هو الذي استُخرجت عنهُ تسمية تدمر لما هو معلوم من موقع المدينة في وسط بادية الشام « كريفٍ مخصب او واشٍ طيب او زبرجدٍ تحدق بهِ الرمال كقلادة ذهبيّة » على ما مرَّ وصفهُ في نبذتنا على الزبّاء. فرأينا اذًا ان علَم تدمر مشتق من اصل « ܕܡܪ » بمعنى الخلوة وانَّ صورتهُ فعليّة لا اسميّة اي ܐܬܕܡܪ على مثال ܬܚܒܠ و ܐܬܚܒܠ. وان سُلّم بذلك وكان بقي شيء من الصحة في زعم الذين يشتقون اسم تدمر من ܐܬܕܡܪܬܐ التي معناها اعجوبة كما مرَّ فالاحرى ان تخصّص هذه التسمية الاخيرة بنساء التدمريين دون مدينتهم. فان مثل هذه الصفة تليق بهنَّ اكثر منها بعاصمة البراري. وترى اننا نوافق العرب في ردّهم لفظة تدمر الى وزن « تَفعُل » اذ لا يخفى ان « ܐܬܚܒܠ » و « تَفعُل » صورتان لوزن فعلي واحد. بيد انّنا لا نصوّب قول الذين اشتقوا تدمر من « دَمَر يدمرُ » بمعنى هلك وقد سبقهم اليهِ المتنبي منشدًا:

وليس بغيرِ تَدْمَرَ مستغاثٌ وتدمرُ كاسمها لهم دمارُ

ومثلنا ارتأى العلامة Blau (ZDMG 1871, p. 541-2) قائلًا انهُ عثر على اسم قبيلة من القبائل التي سرد اسماءها پلينيوس تُدعى « الدمر او الدمري » وهي قاطنة بجوار تدمر في قديم الزمان. غير انهُ لم يأتِ على شيء من التفصيل في شرح معنى هذا الاسم. ويجوز ايضًا اشتقاق تدمر من « ذَمر » وهو اصل مُماتٌ في الآراميّة المعهودة. ويجوز غير ذلك الى ما لا نهاية لهُ. فان للتوهم في اشتقاق الاسماء مجالًا واسعًا كلّما كان البحث عن مدن عريقة في القدم. ولا عجب من ذلك لاسباب منها: (اولًا) لان لفظ هذه الاعلام قد تلاعبت بهِ افواه الاقوام. (ثانيًا) لان اللغات القديمة فقدت بعض اوزانها في كرور الدهور. (ثالثًا) لان تلك اللغات فقدت ايضًا بعض اصولها. (رابعًا) واخيرًا (وهو السبب الاقوى) لاننا لا نستطيع دائمًا الوقوف على بواعث تسمية القدماء للاماكن لاسيا اذا حُرمنا التفاصيل التاريخيّة اللازمة معرفتها وكذا قُل عن كثير من اسماء الاشخاص

المعلم الشهير في المئة الثانية للميلاد حيث يقول (١: « لو شاء يونانيٌّ ان يعلم السوريين تعليمًا مفيدًا لكان اولى بهِ ان يدرس لغتهم من ان يباحثهم باليونانية بلا منفعة ». ومن ذلك ايضاً ما كتبهُ القديس يوحنّا فم الذهب (٢ وذلك بعد مرور سبعمائة سنة على ابتناء مدينة انطاكية « انهُ يتأسَّف لعدم معرفتهِ للغة الوفِ من سكَّان القرى الذين تقاطروا الى انطاكية لحضور الحفلات الدينيَّة. وهو يشهد في محلّ آخر (٣: « ان جهل اهل القرى باللغة اليونانيَّة من الاسباب التي تجعل اهل المدن افقه من القرويين بالتعاليم الدينيَّة ». وكان اسقف اورشليم في ذلك العهد اذا خطب باليونانيَّة ينقل الترجمان خطبتهُ الى السريانيَّة ليفهمها الشعب (٤. وكذلك كان في كنائس مدن الشام قومٌ عُهد اليهم نقل المواعظ والصلوات الى السريانيَّة (٥. وفي سيرة القديس هيلاريون السائح شهادة صريحة للقديس هيرونيموس بان اهل فلسطين كانوا يتكلمون بالسريانيَّة ومما ورد في اعمال سمعان المعروف بسالوس انَّ السريانية هي لغة اهل سواحل الشام. وكان بوسعنا ان نعدّد هذه الشواهد لولا خوفنا من الاسهاب المملّ. وفي الشواهد السابقة دليل واضح على ما اردنا بيانهُ من حصر اللغة اليونانية في بعض الاماكن المعتبرة

وزد على ذلك ملاحظةً اخرى يشهد التاريخ بصحّتها وهي انَّ اللغة العربيَّة لم تنتشر في غير البلاد التي كان اهلها يتكلّمون بلسان يشبه العربيَّة كالسريانيَّة والكلدانيَّة والفينيقيَّة والحميريَّة او احدى اللغات الساميَّة. ألا ترى مثلًا بلاد الاندلس التي تولّى عليها العرب نيفًا وثمانمائة سنة فانَّ اهلها الاصليين حافظوا على لغتهم اللاتينيَّة او فرعٍ منها ولم يأخذوا من العربيَّة الّا بعض مفردات (٦. وكذا اهل صقلية واهل الهند وفارس فانّ العربيَّة لم تعمّ القوم فيها لتباين لغات اهلها من العربيَّة

والامر بخلاف ذلك في سوريَّة فانّ اللغة العربيَّة اضحت اللغة الشائعة عند الخاصّ

---

١) في كتاب ردّهِ على سلسيوس (contra Celsam, V*II*. c. 9)

٢) في ميمرهِ التاسع عشر الى اهل انطاكية

٣) ميمرهُ في الشهداء (ed. Monfaucon; T. *II*, n° 1, p. 951)

٤) راجع رحلة القديسة سيلفيا (Peregrinatio Sylviæ, 107)

٥) (Duchêne: *Antinomies ecclesiastiques*, p.50)

٦) قد ذكرنا عدّة من هذه الالفاظ في كتابنا المنون Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, *Beyrouth*, 1890

١

وقبل الخوض في هذا البحث يحسن بنا ان نذكّر القرّاء ان اهل سورّية قبل فتوح الاسكندر لبلاد الشام كانوا سوريّين ينتمون الى الآراميين ويتكلّمون بلغات شتى مرجعها كلّها الى اللغات الساميّة التي امتاز بينها اللغة السريانيّة واللغة العبرانيّة

هذا ولا ننكر ان بين هؤلاء سكّان سوريّة كان قومٌ من الاجانب ممّن ابقاهم الاشوريّون والمصريّون والحثيون والفرس بعد فتحهم لبلاد الشام ولا ريب في انّ العرب كانوا احتلوا في سوريّة الشرقيّة وجعلوا لهم فيها المستعمرات العديدة. على انّ هذه الاخلاط الغريبة لم تقوَ على الاهلين الاصليين فبقي السهم المعلّى للآراميين

ولم يغيّر فتح الاسكندر احوال اهل سوريّة تغييرًا يُذكر. فانّ ذا القرنين كان اذا امتلك بلدًا أمّن اهلهُ وجعل عليهم عمّالًا من اصحابهِ مع عددٍ كافٍ من الجند لردّ هجمات الاعداء ثمّ كان يسير بجيشهِ الى اقطار جديدة ليستولي عليها. وهذا ما فعلهُ بعد فتح الشام فانّهُ أقام فيها الحكّام وبعض فِرَق من الجند لا يتجاوز عددهم بضعة أُلوف. وكان ذلك كافيًا لكبح جماح العصاة لاسيا وان كلمة السوريّين كانت متفرّقةً وهم قد اعتادوا الخضوع للدوَل الظافرة فكان سواءً عندهم ان يطيعوا لحكم الاشوريين او ينقادوا لامر المصريين او اليونان وكلّهم لديهم غرباء قاهرون لحرّيتهم

وزد على ذلك ان اليونان كانوا في بلادهم القاحلة قومًا قليلين فكيف يقبل العقل ان الاسكندر اخرجهم من اوطانهم ليسكنهم في بلاد غريبة. وغاية ما يقال ان جالية اليونان سكنوا بعض امّهات المدن كانطاكية او بعض الحواضر الساحلية

ولقائل ان يقول ان انتشار اللغة اليونانيّة في بلاد الشام دليل واضح على انّ السوريين من اليونان. (جوابنا) ان هذه اللغة مع شيوعها في الاقطار الشاميّة لم تتجاوز المدن الكبرى. ولمّا كانت اليونانيّة هي اللغة الرسميّة في الدوائر السياسيّة والمعاملات التجاريّة اقبل السوريّون عليها فاتقنوها بما طُبعوا عليهِ من الحذق والدراية كما يُقبلون اليوم على درس الفرنسيّة او التركيّة. لكن اهل القرى والمدَر لم يغيّروا لسانهم الاصلي وداوموا على التكلّم بالآراميّة. وما لي اقول اهل المدَر فان جمهور الشعب في نفس المدن لم يزل محافظًا على لسانهِ القديم (١. ولنا في ذلك شاهد صادق في قول اوريجانس

١) راجع كتاب القصارى للطيب الذكر المطران اقليميس داود (ص١١)

المستشرقين (١. منها شهادة البطريرك الانطاكي تاودورس بلسمون من الدّ اعداء اللغة السريانيَّة. فهذا البطريرك يرخص في احدى رسالاتهِ للملكيّين الذين يجهلون اللغة اليونانيَّة ان يحافظوا في طقسهم على لغتهم الاصليَّة(٢ يريد السريانية لان كتب الطقوس لم يعرّبها الملكيون الّا بعد ذلك بامدٍ مديد

وممَّا يزيل كل شبهة بهذا الخصوص ما المع اليهِ جناب الاديب خير الله من وجود كتب عديدة للملكيين فيها بالسريانيَّة او الكرشونيَّة طقوس كنيستهم. وهذه المخطوطات لا تكاد مكتبة من عواصم اوربَّة الكبرى تخلو منها لاسيَّا رومية وباريس ولندن. ولا يزال منها في الشرق بعض كتب. ففي كنيسة الحيثة في بكفيَّا انجيل قديم بالكلدانيَّة كان يُقرأ في كل ايام السنة عند الملكيين. وفي خزانة كتبنا الشرقيَّة كتاب رتب الملكيين وصلواتهم بالعربيَّة والكلدانيَّة خُطَّ منذ نحو ٣٠٠ سنة. وفي مكتبة دير الشرفة كتاب بالسريانية فيهِ الحان طقس الملكيين مع العلامات الموسيقيَّة (٣. وقد افادنا الاديب حبيب افندي الزيَّات (المشرق ٢: ١٨٩٩) انَّ في مكتبة دير الروم في صيدنايا كانت عدَّة مخطوطات سريانيَّة حرقها اصحابها جهلًا وغباوةً. هذا الى شهادات أُخرى كثيرة عدَّدها السيد الجليل المطران يوسف الدبس في نبذتهِ التاريخيَّة في الفروض البيعية (ص ١٨ — ٢٩). وفي جملة ما نقل سيادتهُ (ص ٧٤) شهادة البطريرك مكاريوس سنة ١٦٧١ يقول فيها: « نحن نصلّي في كنائسنا وبيوتنا باليونانية والسريانية »

وممَّا يؤيد قولنا السابق ان السريانية لا تزال دارجة الى يومنا في معلولا وما يجاورها واهل تلك النواحي ليسوا بموارنة او يعاقبة بل هم ملكيُّون قسمٌ منهم كاثوليك وقسم اورثوذكس

ثمَّ اذا تصفَّحنا التاريخ وجدنا ان الملكيين السوريّين كانوا يجهلون في الغالب اللغة اليونانية (٤. ففي المجمع الذي عُقد مثلًا في القسطنطينيَّة سنة ٨٩٦ يُخبر عن مطران

١) راجع ما روينا عنهم في مجلة الابحاث (Etudes, 15 Fev. 1895, p. 291)

٢) راجع مجموع اعمال الاباء اليونانيين (Migne, T, 137 col. 958)

٣) راجع مجلة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient chrétien *IV*, p. 153)

٤) راجع مقالتنا السابق ذكرها في مجلة الابحاث

والعام بعد ميئتي سنة فقط اللهمَّ الّا بعض الاماكن المعتزلة او الجبليَّة كمشارف لبنان مثلًا حيث دامت اللغة السريانيَّة قرونًا عديدة. فلو كانت لغة اهل سوريَّة هي اليونانيَّة لما غلبت عليها العربيَّة لتباين اللغتين والفرق العظيم الذي بينهما

ولنا برهان آخر على حقيقة هذا القول وهي اسماء مدن الشام فانَّ اليونان اطلقوا على اكثر مدن سوريَّة اسماء يونانية فدعوا بعلبك «هيليوبوليس» وتدمر «پلمير» وحلب «بيروا» وجبيل «بيبلوس» وبترون «بوتريس» وعكَّة «بطولومايس» الخ فما كاد العرب يفتحون سوريَّة حتى توارت الاسماء اليونانيَّة وظهرت الاسماء الاصليَّة وفي ذلك بيّنةٌ على ان اهل البلد لم يفقدوا لسانهم القديم وانهم حافظوا على اسماء هذه المدن. وان قيل انَّ عدَّة مدن تُعرَف الى يومنا باسماء يونانيَّة كطرابلس واللاذقيَّة وبانياس أَجبنا انَّ هذه المدن كان بُناتها اليونان فدُعيت لذلك باسماء يونانيَّة وبعضها لم يشتهر الّا في عهد اليونان فشاعت اسماؤها اليونانيَّة الى اليوم (١

٢

فثبت اذن ممَّا سبق ان اللغة الشائعة في سوريَّة بين الاهلين لم تكن اللغة اليونانيَّة بل بعض اللغات الساميَّة لاسيا الاراميَّة

امَّا كون الملكيين كانوا يتكلَّمون بهذه اللغة الارامية او السريانيَّة فلنا على ذلك ادلَّة باهرة اولها اسم الملكيين الذين نحن في صددهم فانهُ لامرٌ مقرَّر ان كلمة الملكيين سريانيَّة (تشبهها العربية). فكيف يا تُرى يجوز القول بان قومًا من اليونان دُعوا باسم اجنبيّ لا علاقة لهُ مع اللغة التي يتكلَّمون بها هو اسمٌ تنفر منهُ لغة هومير وافلاطون وارسطو. وفي تواريخ الفرنج المعروفين بالصليبيين يطلق عادةً اسم السوريّين على الملكيين وهم يُشعرون بانَّ لغتهم الطقسيَّة هي السريانيَّة ويفرزونهم عن يونان الجزائر الذين يدعونهم غريفون (Griffons)

هذا ولنا برهان آخر على كون الملكيين سوريّين وهو استعمالهم للُغة السريانية في طقسهم كما اجاد في بيانهِ صاحب مقالة المنار (ص٣٢٨) جناب امين خيرالله. وهو لعمري امرٌ لا يمكن انكارهُ يستند الى شواهد تاريخيَّة عديدة فضلًا عن اقوال ائمَّة

١) راجع مقالة الطيب الذكر المطران اقليميس داود في اللغة الشائعة في سوريَّة قبل الهجرة (المشرق ١ : ٣٤٨)

الاورثودكس من اليونان (راجع المنار ص ٣٢٧) فان مثل هذه الاعتراضات لا طائل تحتها ولا تستحقُ جواباً

٣

هذا ويبقى الردّ على زعم آخر استند اليهِ البعض لينفوا قول من يقول باصل الملكيين الآرامي . وهو انَّ الملكيين عربٌ جنساً . واقوى براهينهم على ذلك انتشار اللغة العربية في ظهرانيهم منذ مئين من السنين . لكننا قد بيَّنا سابقاً ان لانتشار اللغة العربية بين السوريين سبباً آخر فلا حاجة الى التكرار

ثمَّ لا ننكر ان قوماً من قدماء العرب النصارى دخلوا في عداد الملكيين كما دخلوا ايضاً بين الطوائف الاخرى من نصارى الشرق . ولم نكُ لنجهل ان قبائل العرب كانت متاخمةً لبلاد الشام وانها تجاوزت حدودها مراراً فاختلطت باهل سوريَّة لاسيَّما في ناحية غور الاردنّ وبلاد حوران ونواحي حمص . ولكن لا طاقة الى القول بان عدد هؤلاء العرب بلغ الى ان يتغلَّب على العنصر الآرامى الاصلي في بلاد الشام

امَّا قول القائل (المنار ٣٢٦) : عن « استيلاء الغسَّانيين على دمشق وجهاتها قبل الاسلام وانبساط ظلّهم في البلاد حتى امسوا العنصر الغالب » فليس بصحيح من وجوهٍ منها ان الغسَّانيين لم يملكوا قطّ على دمشق وانَّما تولَّوا على قسم من حوران وبادية الشام الممتدَّة بين دمشق وتدمر . ثمَّ انَّ المذهب الغالب على الغسَّانيين كان مذهب اليعاقبة فلم يزيدوا عدد الملكيين زيادةً تُذكر . ولمَّا ظهر الاسلام دخل قسم منهم في الدين المحمديّ وهجر القسم الآخر بلاد الشام

هذا ما بدا لنا ذكرهُ عند مطالعتنا الجدال الواقع بين الخواجا خير الله وخصمهِ . ونظنُّ ان روايتهُ عن آراميَّة اهل سوريَّة الملكيّين هي الصحيحة وانَّ السريانيَّة كانت لغتهم الدارجة بل اللغة الطقسيَّة الى ان القت البطريركيَّة القسطنطينيَّة سطوتها على بلاد الشام . والله اعلم

البصر وبعض عيوبه

للدكتور اسبيريدون ابي الروس معاون اسبق في المستشفى الافرنسي

في العين جهازان الواحد منها طبيعي (فيزيكيّ) يصوّر المرئيات والآخر حيويّ يتلقّى صورها

صور الملكيّ انهُ لم يحسن التكلُّم باليونانيَّة . فاذا كان هذا امر احد الاساقفة فما القول عن الكهنة والرعيَّة . وفي سنة ١٠٥٤ طلب بطرس البطريرك الانطاكي في مدينتهِ رجلًا قادرًا على نقل رسالة البابا لاون التاسع الى اليونانية فلم يجد . واخبر المؤرخ زغمالاس (Zygmalas) ان ميخائيل بطريرك انطاكية لم يتقن اليونانيَّة مع ضلاعتـهِ باللغتين السريانية والعربية . ولا نظنّ انَّ الشعب كان ادرى باليونانية من رعاتهِ

ولعلَّ معترضًا يعترض بذكر « اتفاق الكنيسة الانطاكية مع اختها الكنيسة القسطنطينيَّة بالطقوس (راجع المنار ص٣٣٥) » . فنجيب ان وحدة الطقوس لا تثبت وحدة اللغة الدارجة . ألا ترى انَّ طقس فرنسة هو الطقس اللاتيني مع ان الشعب لا يتكلَّم باللاتينية . ثم هذه الوحدة الطقسية نفسها ليست بقديمة (١ لان كنيسة انطاكية كانت تستعمل في قداسها ليتورجية القديس يعقوب الى القرن الثاني عشر فبدل البطريرك ثاودورس بلسمون وكان اصلهُ من القسطنطينيَّة هـذه الليتورجية القديمة بليتورجية القديسين يوحنَّا فم الذهب وباسيليوس الكبير محتجًا بانهُ يُقتضى على كل الكنائس ان تتبع الكنيسة القسطنطينية في طقسها (٢ . وكان ابدال الطقس في كنيسة انطاكية من اقوى عوامل انحطاطها وتسلُّط البطاركة القسطنطينيين عليها . ولم تزل مذ ذاك هذه السطوة تتزايد وتقوى الى يومنا

ويحتجُّ علينا المعترض بحجة اخرى وهي تآليف الآباء السوريين باليونانية كالقديسين يوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي وصفرونيوس . والجواب على هـذا الاعتراض مع ما فيهِ من الصحة ليس بصعب وهو ان اللغة اليونانية كانت في القُرون كاللغة الرسمية في الكنيسة فكان الكتبة يفضلون الكتابة فيهـا فلا ينتج من ذلك ان الجمهور كان يتكلَّم بها . كما ان اللاتينية بقيت مدَّة اعصار متوالية لغة العلماء دون ان تكون اللغة الدارجة بين الشعب . واليوم نرى في الجزائر الاكليروس يتكلَّم ويكتب بالفرنسية فمن يقول ان هذه اللغة هي لغة اهل الجزائر

هذا ونضرب صفحًا عن بعض اعتراضات أُخرى اتى بهـا من حاول دحض مقالة الخواجا خير الله كتشابه اخلاق السوريين واليونان وبعض العـادات التي اتَّخذها الروم

١) راجع القصارى (٤٩–٥٠) ٢) راجع اعمال الاباء اليونان لمين (المجلد ١٣٧ ص ٩٥٤) . وفي هذا الجزء ترجمة البطريرك بلسمون (ص١٠–٢٠)

النوعي اصغر ابتعدت عن العمود. والاقتراب والابتعاد يكونان على نسبة التكسير النوعي لكلّ من الوسطَين (١

ولنلتفت الآن الى العين فنرى انها مؤلفة من ثلاثة اجسام مكسِّرة للنور ومختلفة في مقدار تكسيرها لهُ وهي سائلان شفَّافان احدهما في مقدَّم العين يقال لهُ الرطوبة المائية (او البيضيَّة) والآخر في مؤخرها يقال لهُ الرطوبة الزجاجية. وبين السائلين جسم جامد صافٍ كالجليد على شكل عدسة ثخينة محدَّبة من سطحَيها يسمَّى البلوريَّة (او الجليديَّة). فاذا حسبنا انكسار النور في الهواء واحدًا فمقدار انكساره في الرطوبتين ١,٣٣ وفي الجليديَّة ١,٤٣ فعلى هذا يمكن بصريًّا تمثيل العين بمجموعٍ سائلٍ تكسيرهُ النوعي ١,٣٣ وفي وسطهِ بلورة ثخينة محدَّبة من وجهيها تكسيرها النوعي ١,٤٤

وهذه الاجسام الثلاثة مفصولة عن بعضها البعض بثلاثة سطوح منحنية اي محدَّبة وهي القرنية واقعة قدام الرطوبة المائية وفاصلةً لها عن الهواء الخارجي. وسطح البلوريَّة الامامي يفصل هذه الرطوبة عن البلوريَّة. وسطحها الخلفي يفصل البلوريَّة عن الرطوبة الزجاجيَّة

فاذا كان الديوپتر (dioptre) حسب تعريف «مونويه» كل سطحٍ منحنٍ يفرق بين وسطَين مختلفين في تكسيرهما النوعي تكون القرنيَّة ديوپترًا وكل من سطحَي البلوريَّة ديوپترًا كذلك فيكون في العين ثلاثة ديوپترات

بقي ان نعلم أتكون هذه الديوپترات او الاجزاء المكسِّرة مجمّعةً لاشعَّة النور او مفرّقة لها. فمن النظر الى اتجاه تحدبها ومراجعة ناموس الانكسار الذي مرَّ بنا اثباتهُ ينتج ان هذه الاجزاء تجمع الاشعَّة لان تحدُّبها متَّجه الى الوسط الذي تكسيرهُ النوعي اقلّ. فان تحدب القرنية متَّجه الى الهواء الخارجي الذي هو اقلّ تكسيرًا من الرطوبة المائية. وتحدُّب سطح البلوريَّة الامامي متَّجه ايضًا الى هذه الرطوبة التي هي اقلّ تكسيرًا من البلوريَّة. وتحدُّب سطح هذه البلوريَّة متجه كذلك الى الرطوبة الزجاجيَّة التي هي اقلّ تكسيرًا من البلوريَّة

فاشعَّة النور بواسطة هذه الديوپترات الثلاثة تجتمع في مؤخر العين بحيث يتكوَّن

١) راجع ما جاء عن الانكسار في مقالة قوس قزح (ص ٢٤٣-٢٤٥)

وينفعل منها. والاوَّل مؤلف من اجزاء شفَّافة وظيفتها جمع اشعَّة النور في نقطة واحدة بحيث يتكوَّن منها صورة واضحة. والثاني صفيحة عصبيَّـة حسَّاسة اسمها الشبكيَّة (rétine) مؤلفة من فروع عصبيَّـة دقيقة مشتبكة بعضها ببعض ترتسم عليها تلك الصورة وتنتقل منها الى المراكز البصريَّة في الدماغ حيث يحصل الشعور بها. وسأقتصر في هذه المقالة على البحث في الجهاز الفيزيكي ووظيفتهِ وبعض العيوب التي تعتريه

وغير خافٍ ان البحث في البصر من هذه الحيثيَّة يجب فيهِ الرجوع الى النواميس والحقائق المقرَّرة في علم البصريَّات (optique) احد فروع الفلسفة الطَّبيعيَّة (physi-que) ولاسيَّما الى الفصل المتعلّق بانكسار النور والمسمى ديوپتريك (dioptrique). ويجمل بي هنا قبل الشروع في البحث التنويه بعامٍ جديد نفيس نشأ عن استخدام الفلسفة الطَّبيعيّة لتحقيق المعارف الحيويَّة واسمهُ الطبيعيات الحيويَّة (physique biologique). وقد ادركت المدارس الطبِّية قيمتهُ وشدَّة لزومهِ للاطباء فأقرَّت في نظامها الحديث على تدريسهِ وجوبًا سنتين كاملتين والموضوع الذي طرقتُهُ اليوم سيكون اقربَ مثالٍ لايضاح ذلك

من الحقائق الثابتة في الفلسفة الطبيعيّة ان النور المنتشر في مادَّة واحدة كالهواء او الماء او البلُّور تسير اشعَّتهُ على خطٍّ مستقيم. ولكن اذا نفذ في مادَّتين مختلفتين كأن ينتقل من الهواء الى الماء او البلور فانَّ اشعَّتهُ عند دخولها في المادَّة الثانية تنحرف عن خطَّتها الاولى وهذا الانحراف هو ما يسمُّونهُ بانكسار النور (réfraction) والنور لا ينكسر على مقدار واحد في سائر الموادّ بل كل مادة تكسرهُ على درجة معيَّنـة خاصَّة بها وهذا ما اصطلحوا ايضًا على تسميتهِ بالتكسير النوعي (indice de ré-fraction) وقد عيَّن علماء الطبيعة التكسير النوعي لاكثر المواد المعروفة وتوصَّلوا الى ذلك بانهم اخذوا شعاعًا من النور واوقعوهُ على المادَّة المراد تعيين تكسيرهـا وقاسوا جيب زاوية وقوعهِ عليها وجيب زاوية انكسارهِ فيها وبقسمة الاول على الثاني استخرجوا التكسير النوعي للمادَّة المذكورة وذلك بالنسبة الى الهواء (راجع ص ٢٤٢)

ولانكسار النور ناموس لا بدَّ لي من اثباتهِ هنـا تقريرًا لما سيأتي وهي ان اشعة النور اذا نفـذت من وسطٍ (اي مادة او جسم) الى آخر تكسيرهُ النوعي اعظم اقتربت من العمود القائم على نقطة الوقوع. واذا نفذت من وسط الى آخر تكسيرهُ

البؤرة مترين كانت القوَّة الديوپتريَّة نصف ديوپتري (اي ٢/١) . وان كان بعدها نصف متر فالقوَّة ديوپتريان (اي ١٥٠/١) وقس عليهِ

فالديوپتري اذًا قوَّة جهـاز بصري (كعدسة بلوريَّة مثلًا) بعدُ بؤْرتهِ مترٌ واحد وبعبارة اخرى يجمع اشعَّة النور على بعد متر

قلتُ آنفًا ان الجهاز الطبيعيّ المركَّب في العين يجمع اشعَّة النور الواصلة اليها على الشبكية فيتكوَّن من اجتماعها هناك صورة حقيقية واضحة . وقلتُ ايضًا ان الحسابات المدقَّقة برهنت ان هـذه الصورة تتكوَّن على بعد ٢٣ مليمترًا ونصف (او ٢٢,٨) خلف القرنية وذلك اذا كانت العين في حالة الراحة والاشعة الواقعة عليها متوازية اي آتية من مسافة خمسة امتار على اقلّ

فالعين التي تجتمع فيها الاشعة على الشبكية في حالة الراحة تسمى معتدلة البصر او امتروپ (emmétrope) . فان خلت العين عن هذا الشرط قيل ان بها عيبًا بصريًا او انكسارًا وبكلمة واحدة امتروپيا (amétropie) . فان التقت الاشعة قبل الشبكيَّة فاسم العيب ميوپيا او قصر البصر (myopie) وان التقت وراءها فذلك هو الهيپرمتروپيا او طول البصر (hypermétropie) وان لم تلتقِ كلهـا في نقطة واحدة فهو الاستيغميا (astigmie) . وبقي هناك عيب آخر يتولد في العين مع تقدُّم السن ويقال لهُ پريسبيتيا (Presbytie) وللعين المصابة بهِ پريسبيت

١ الامتروپيا او البصر المعتدل

من صفات العين المعتدلة البصر (الأمتروپ) انها مخلوقة للنظر الى الاشياء البعيدة ويعبرون عن ذلك بقولهم انها للنظر الى اللانهاية . ولكنها ترى الاشياء القريبة ايضًا . وهذه الخاصَّة اي قدرة العين على رؤية المنظورات البعيدة والقريبة تدعى وظيفة التوقيع (accomodation) ومعناها ان العين تتكيَّف من تلقاء نفسها على حسب المسافة بحيث تجتمع الاشعة دائمًا على الشبكية وتكون الصورة بالتالي واضحة . ومعـلوم ان بؤْرة جهاز بصري (بلورة مثلًا) لا تبقى على بعد واحد بل تبتعد عنهُ كلما اقترب منهُ الشبح مصدر الاشعَّة . فلو كانت العين بلورة جامدة لا حياة فيها ومجرَّدة عن قوة التوقيع المشـار اليها لفاتتهـا رؤْية الاشياء القريبة منها لان صورها تتكوَّن حينئذٍ خلف الشبكية فلا تتكوَّن واضحة . ولكنهـا عضو حي يتصرَّف في تصوير المرئيَّات على

من اجتماعها صورة واضحة. والنقطة التي تجتمع فيها يقال لها بؤرة العين (foyer)

ولكن ما هو بعد هذه البؤرة وبعبارة اخرى ما هي المسافة التي تفصلها عن القرنية الواقعة في اول العين ؟ ان العلماء (منهم هلمولتز) قد قاسوا درجة تحدُّب كل واحد من تلك السطوح المكسرة وحسبوا ايضاً تكسيرها النوعي. ومن هذه المعلومات حسبوا مواقع بؤَراتها ثم بواسطة الحسابات المختصة بما يسمونهُ في الطبيعيات بالمجاميع المتراكزة (systèmes centrés) توصَّلوا اخيرًا الى تعيين بُعد بؤرَتي العين بكاملها. والمجموع المتراكز عبارة عن مجتمع ديوپترات اي سطوح مكسرة محاورُها الرئيسيَّة واقعة على خط واحد مستقيم يسمَّى محور المجموع. وبالواقع فان العين يمكن عمليًّا اعتبارها كمجموع متراكز مركَّب من ديوپتر وهو القرنية وبلُّورة ثخينة وهي الجليدية فيصدق عليها والحالة هذه جميع الحسابات المتعلقة بالمجاميع المتراكزة التي من هذا القبيل

ومن هذه الحسابات التي لا فائدة من ايرادها واقامة البرهان عليها هنا ينتج انَّ للعين بؤرَتين بؤرة اماميّة واقعة قدام العين وتبعد عن القرنية مسافة ١٤مليمترًا (١٣ ٣/٤ على حساب بورديه (Bordier) وهذه البؤرَة لا اهمية لها في البحث الذي نحن بصددهِ. وبؤرَة خلفيّة وهي المهم تعيينها هنا واقعة في مؤخر العين على بعد ٢٣ مليمترًا ونصف عن القرنية (٢٢,٨ المليمتر على حساب بورديه)

فالصوَر التي تتكوَّن من اجتماع اشعَّة النور الواقعة على العين ترتسم على بعد ٢٣ مليمترًا ونصف المليمتر عن القرنية

والصوَر لا تكون واضحة جلية الَّا اذا انطبعت على الشبكية اي على تلك الصحيفة العصبيَّة الحساسَّة التي تنتقل منها الصوَر الى الدماغ. وبناءً عليهِ اقتضت الحكمة ان تكون الشبكية واقعة على بعد ٢٣ مليمترًا ونصف ايضًا بحيث تكون هي بؤرة العين نفسها تلتقي عليها الاشعَّة وتتكوَّن الصوَر. فالشبكية وبؤرة العين الخلفية في العيون السليمة البصر شيء واحد من حيث الفلسفة الطبيعية

فاذا علمنا ذلك هان علينا فهم ما يسمونهُ بالقوَّة الديوپتريَّة وهي عبارة عن مقلوب بُعد البؤرة اي عن قسمة الواحد على هذا البعد. فاذا كان الديوپتر بُعد بؤرتهِ متر واحد كانت قوَّتهُ الديوپتريَّة واحدًا كذلك. وقد اصطلح البَصريُّون على تسمية هذا الواحد ديوپتري (dioptrie) واتخذوا هذه اللفظة وحدة القوَّات البَصريَّة. وان كان بعد

واقصيري البصر اوهام كثيرة فاسدة فيزعمون ان قصر البصر عاهة بسيطة خالية من الضرر وانها تُشفى بتقدمهم في العمر وغير ذلك من المزاعم والاماني القارغة المريحة لبالهم. ولكنهم سيرون في عددٍ قادم من هذه المجلة فساد هذه المعتقدات ويوقنون ان الميوپيا احياناً مرض من الامراض المخيفة التي تستوجب انتباه المصابين بهِ بصورة خصوصية منعاً لتزايدهِ وللاختلاطات المؤذية التي يجرها وراءهُ

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السابع

في العيشة في الجزيرة

عرفتَ ممَّا تقدَّم ان الجزيرة التي غرقت بقربها السفينة كلفلند اصبحت من ذاك الوقت تُسمى باسم السفينة المذكورة. ثم ان الاربعة الذين نجوا منها اطلقوا اسم أُلريك على الرأس الذي طلع عندهُ أُلريك من البحر. واسم اندرسون على الراس الذي وصل اليهِ اندرسون. وكذا اسم هاريس على النهر الذي وقف عندهُ اندرسون بعد صعُودهِ الى البر

وقد سبق ان الاربعة الموما اليهم بعد ان تبادلوا الاخبار عمَّا جرى لكل واحد منهم عزموا على الانتقال الى ضفَّة النهر الموما اليهِ حتى تكون اقامتهم بقرب المياه الضروريَّة للحياة فضلًا عن انهُ يوجد بقرب النهر اشجار ربَّما استطاعوا أن يتخذوا منها اخشاباً ويصنعوا منها مأوًى لمبيتهم ورقادهم. الَّا انهم قبل إِخراج العزم الى حيّز العمل رأوا من الضرورة ان يسعوا في تحصيل القوت. فنزل الريك الى الشاطئ للبحث عن الاصداف ولحق بهِ القبطان فشاهدا ما كان قد شاهدهُ فاضل وهو انَّ مياه البحر كانت قد تراجعت الى الوراء تراجعاً محسوساً ورأَيا في وسط الخليج حيزوم سفينتهم مع جزء كبير من جانبيها. فزفر القبطان حينئذٍ زفرة الاسف على خسارة سفينتهِ

ثم ان أُلريك بعد ان تأَمَّل حيناً قال ارى انَّ البحر يجزر اي يعُود الى خلف فهل تظنّ انهُ يتعذَّر علينا الوصول الى السفينة فنجد فيها دون ريب اشياء كثيرة تفيدنا كل الفائدة. واذا كنت لا ترى مانعاً من ذلك فانا لا اتأَخر عن النزول اليها

حسب بعدها عنها ففي النظر الى الاشياء البعيدة تكون قوة جمعها للنور ضعيفةً اضعف ما يكون فترتسم صور تلك الاشياء على الشبكيَّة عفوًا بدون ان تتطلَّب من العين عملًا ما لانها موضوعة للنظر البعيد كما تقدَّم فيقال لها حينئذٍ انها مستريحة او في حالة الراحة (statique) اما في حين النظر الى الموجودات القريبة فلكي لا تتعدى الصورُ حدَّ الشبكيَّة يزيد تحدُّب البلوريَّة فتزيد قوَّة العين الجامعة للنور بحيث تلتقي اشعتهُ على الشبكيَّة نفسها فيقال لها حينئذٍ انها عاملة او في حالة العمل (dynamique) . فالعين اذًا تستريح في النظر الى الاشباح البعيدة وتتعب من النظر الى الاشباح القريبة منها

وللبصر مجال محدود اذا تجاوزهُ لم يعد واضحًا . وحدّهُ الأَبعد يسمى النقطة البعيدة (punctum remotum) وحدّهُ الأَقرب النقطة القريبة (punctum proximum) فالعين المعتدلة البصر هي ما كانت نقطتها البعيدة واقعة على اللانهاية اي ما كان مدى بصرها بعيدًا . ولا بأْس هنا من تكرار القول بان طول متوسّط العيون المعتدلة البصر ٢٢ مليمترًا وثمانية اعشار المليمتر من لدن القرنيَّة الى الشبكيَّة . فاذا اضفنا الى ذلك ثخن بقيَّة الاجزاء الواقعة وراء الشبكيَّة يكون طول جميع العين من مقدَّمها الى مؤخرها ٢٤ مليمترًا على التقريب

٢ الميوپيا او قصر البصر

الميوپيا عيبٌ بصريّ تكون العين بسببهِ عاجزة عن تمييز المنظورات البعيدة . والعين القصيرة البصر ترى الاشياء القريبة وتستريح منها وتعجز عن استجلاء الاشياء البعيدة وتتعب بها فهي على عكس العين المعتدلة البصر ولذلك يجوز اعتبارها من شواذّ الخلقة الخارجة عن القياس . وهذا العيب فاشٍ بين كثير من شبَّان هذه الديار فهم محرومون نعمة البصر الجليّ لا تخزن عيونهم من الموجودات البهجة المحيطة بهم سوى صور مشوَّشة مظلمة تنغِّص عليهم لذة الوجود . وكأَن الطبيعة احبَّت الهزء ببعض الناس فركَّبت في وجوههم عيونًا لا تبصر كالعيون الاصطناعية . فالمصاب بهذا الداء اشبه باعمى في صورة « مفتَّح » يحمل في اعلاه عينين — جاحظتين غالبًا — ولا ينتفع بهما فهو

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ

وهذا منتهى التهكُّم

بصخر قريب من وجه الماء وان اكثر اجزاء باطنها محفوظة لم تدخلها المياه وانهُ من الضروري صنع قارب اكبر من القارب الذي صنعهُ لكي ينقلوا عليهِ منها كل ما بقي مصونًا فيها

وبعد ذلك فتحوا صندوقة البقسماط فوجدوها سالمة فاكلوا منها وفرحوا وجددوا الشكر لأُلريك على مروءَتهُ ومهزَّتهُ للمعروف. ثم انهم اقبلوا على العمل بجدّ ونشاط فصنعوا من القلع والامراس التي جاء بها أُلريك مأوًى لهم موقّتًا وذهب بعد ذاك أُلريك واندرسون الى الغاب القريب من النهر وكان بيد كلّ منهما فأس فقطعا منهُ بعض الاشجار الموافقة لقصدهما. وبينما هما يجرّانهما بعناء ومشقَّة ذهب فاضل فعاونهما على ايصالها وبعد ان قطعا جذوعها وشدَّاها شدًّا محكمًا بالامراس التي جاء بها أُلريك دفعا القارب الاول الى البحر

وفي اليوم التالي عند جَزر المياه ركبا القارب الجديد وساقاه الى السفينة فانتهيا اليها براحة وحمّلا قاربهما كلّ ما يستطيع حمله من صناديق واقوات واتيا بالابرة المغناطيسيَّة (البوصلة) وكانت معطلة وببارودة وشيء من البارود لم يمسّهُ الماء واضافا الى ذلك كلهُ ما بقي من القلوع والامراس والادوات حتى انهما ايضًا اقتلعا بعض المسامير على امل ان يجتنيا منها نفعًا في ما بعد. وربطا كذلك بالقارب بعض العوارض الخشبيَّة وبعض قطع السواري وعادا نحو المساء الى رأس اندرسون حيث اشتغلا بتفريغ القارب. وما طلع صبح اليوم التالي حتى رجعا ايضًا الى كلفلند لكي يأتيا منها بكل ما يستطيعان الاتيان بهِ

وسبب ذلك انهما كانا قد عزما على ان يبنيا مأوًى اقوى واثبت من تلك الخيمة الموقتة اتقاءً لما يمكن حدوثهُ من الامطار والعواصف

ومن ثمّ فانهما اختارا محلًّا طولهُ ستة امتار في عرض اربعة وحفرا في زواياه الاربع على عمق متر وغرزا في كل زاوية عمودًا قويًّا من خشب السواري بعلو مترين. ثم اتيا بالعوارض فنصباها فوق الاعمدة وجعلا السقف من الواح السفينة التي سمَّراها بما تهيَّأَ من المسامير

وكان فاضل وهاريس قد تقوَّيا وقتئذٍ فساعدا رفيقيهما على اكمال العمل بجدّ ونشاط. وبعد التعب والعناء تمّ الكوخ الجديد

فقال القبطان: « كلّا اني لا اسمح بنزولك الان لان البحر لم يزل هائجًا فاخشى عليك الغرق وأوفق من كل شيء الانتظار لعلَّ الله والعذراء القديسة — قال هذا باسمًا — يفتحان لنا باب الفرج »

امَّا هاريس فبما انهُ كان ضعيفًا خائر القوى لم يصل الى النهر السابق ذكرهُ الّا بعد المشقّة والعناء

وكان أُلريك في هذه المدة يتنقَّل على الشواطئ بخفّة الغزال ويأتي رفاقهُ بما يتهيَّأ لهُ من الاصداف لقوتهم مع شيء من الماء العذب لشربهم. ولمّا انتهوا اخيرًا الى المكان المقصود بعد معاناة التعب الشديد والضنك الذي ما عليهِ مزيد اختاروا مكانًا موافقًا على شاطئ النهر فنزلوا فيهِ. وكانوا يودُّون لو وجدوا هناك مغارة بنتها يد الطبيعة لتقيهم تأثيرات الجوّ غير انهم بعد البحث الطويل لم يتوفّقوا الى مبتغاهم

ولمَّا رأوا انهم لا يستطيعون ان يجدوا لهم قوتًا في تلك الجزيرة غير الاصداف التافهة وانهم اذا داموا على هذه الحال مدّة هلكوا جميعًا جزموا بارسال أُلريك الى السفينة لعلهُ يجد فيها ما يكون بهِ حفظ لحياتهم. واخذ القبطان اندرسون يرقب البحر فلمَّا رأى الفرصة مناسبةً اوعز الى أُلريك ان يخوض المياه سباحةً حتى يصل الى السفينة. فودَّع أُلريك رفقاءهُ واندفع الى الشاطئ ثم خاض المياه الخفيفة ماشيًا حتى انتهى الى العمق فعلِق يسبح بقوَّة

وكان رفقاؤهُ ينظرون اليهِ من الشاطئ بقلق وانزعاج نفس لانهُ كان يسير ببطء نظرًا لاضطرارهِ الى مغالبة الامواج العظيمة. وما كان غير قليل حتى غاب عن ابصارهم فاضطربوا غير انهُ ظهر لهم اخيرًا في موَّخر السفينة منتصرًا غالبًا قوة المياه فسُرّي عنهم ورأوا أُلريك يشير اليهم رافعًا بيديه الى السماء ليشاركوهُ بالشكر لله

ثم انهُ نزل في طبقات السفينة واخذ في البحث عمَّا بقي محفوظًا فيها فعثر على فأس فخطر لهُ ان يصنع قاربًا صغيرًا فجمع بعض الالواح التي رآها في السفينة وشدَّها بالامراس والحبال ووضع عليها قلعًا وبعد ان اودعها الفأس وسائر الادوات التي وجدها مع صندوقة من البقسماط انزلها الى البحر ثم نزل هو واخذ يسبح ويدفعها بيديه

فلمَّا شاهدهُ رفقاؤهُ قابلوهُ بالفرح والثناء على مروءتهِ وهمتهِ

ثمَّ انهُ اخبر القبطان عمَّا رأى في السفينة قائلًا ان غرقها مسبب عن اصطدامها

ثمَّ انَّ فاضلًا مرض بسبب اجتهاده في الشغل وكان قد قصَّ على ألريك كل الاطوار التي تقلَّبت على حياتهِ فكان ألريك يجلس الى جانبهِ وبكلام عذب يفهمهُ انَّ الاموال خيور خدَّاعة زائلة ومهما تكاثرت على صاحبها لا يجب ان يتعلَّق قلبهُ بها لان من يثق بغناه يسقط. وزد على ذلك انَّ المال يحمل صاحبهُ على طلب المطالب المضرَّة للآخرين ويقتلع اصول الخير من قلبهِ ويورّطهُ في مهاوي الشرّ والفساد

وكان فاضل قد امتحن بنفسهِ كل هذه الامور فانهُ من حين شاهد الحوالة الواردة من اميركة الى قريتهِ « الوادي » ذاق هنـــاك هنيهةً من الزمان الفرح الحقيقي واللذة الخالصة. غير انَّ الطمع في الذهب ما لبث ان احرق قلبـهُ وعذَّبهُ دون ان يترك لهُ دقيقة راحة. وكانت كل حياته الماضية تظهر لهُ وقتئذٍ كالحلم فكم قاسى فيهـا من الاوجاع والآلام وخيبة الآمال ووَخز الضمير وكل ذلك من اجل قبضـة من الذهب ابتلعتها الميـاه غير انها لم تقوَ على ابتلاع صوت ضميرهِ الذي ما سكن عن توبيخهِ وتونيبهِ

ولا بدعَ في ذلك لان فاضلًا كان اذ تذكَّر الاحوال والظروف التي اتصفت بها حياتهُ يتولَّد فيهِ كَرَه نفسهِ وخشيتها. كيف لا وقد كان العهد بهِ تقيًا ورعًا ايام اقامتهِ في قرية الوادي بلبنان حيث كان اذا ذهب الى الكنيسة يجثو راكعًا ويصلّي بخشوع وانسحاق قلب. امَّا الان فانقلب سرَّاقًا ماكرًا وقاتـلًا مغتالًا. وانما ساقهُ الى ذلك كله طمعهُ في احراز الغنى والثروة ولهذا كانت كلمات ألريك تخرق قلبهُ كالسهم الراشق وهي وحدها كانت في اثناء حزنهِ العظيم وخجلهِ المفرط قادرةً على تعزيتهِ وتنشيطهِ

وبناءً عليهِ كان يلتذّ باعادتها وتكرارها فكان كلما خرج هاريس واندرسون اثناء النهار للعمل او لطلب القوت ينادي ألريك ويحادثهُ ويكشف لهُ دخيلة قلبهِ

غير انَّ حالة فاضل لم يعرض لها تحسُّن وكان رفقاؤُهُ قد ظنوا في بادئ الامر انَّ انحرافهُ عبارة عن تعب بسيط يزول بعد بضعة ايام. غير انهُ بعكس آمالهم اشتد مرضهُ وزاد انحطاطهُ وقويت عليهِ وطأة الحمَّى حتى خافوا عليهِ الموت وانقلب الفرح بنجاتهم من الغرق الى حزن وأسف

وكان اندرسون وهاريس قد جابا الجزيرة كلها علَّهما يجدان انسانًا فخابت مساعيهما ولم يقفا على اثر فيها للاحياء. وفي ذات يومٍ ركبا القارب الذي كانا قد توفَّقا الى اتقانهِ

ولمّا جاء المساء جلس الاربعة في مقامهم الجديد فرحين واخذوا يتبادلون الاخبار عمّا جرى لكل واحد منهم من النوائب والاخطار

وكان الجذل قد ولج قلوبهم وحلَّ فيها الرجاء والامل فعلقوا يتكلّمون في الامور المستقبلة قائلين اننا قد تمكنّا الان من صنع مأوًى يقينا الحرّ والبرد واذا صبرنا وثبتنا فلا بدَّ ان تُتيح لنا الايام تحسينهُ وتجهيزهُ بكل ما هو ضروري ومفيد للمعيشة. وبعد ان تحدَّثوا ذاك المساء ساعات طويلة في ما يفتقرون اليه لتأثيث كوخهم وكان كلٌّ منهم يقدم رأيًا شعروا بثقل جفونهم فسألوا أُلريك ان يُنشدهم بعض الترانيم التقويَّة التي علّمتهُ اياها والدتهُ فاجاب سؤالهم وما كاد ينتهي حتى تمدَّدوا جميعًا على التراب فناموا

فلمّا طلع عليهم الصباح عادوا الى العمل بنشاط وجدّ كاليوم السابق واتخذوا صندوقًا كانوا قد استخرجوهُ من السفينة وجعلوهُ مائدةً ووضعوا فوق المائدة آلة الكرونومتر وغيره من آلات الملاحة التي كانت في كلقلند. ثم اقاموا في زاوية الكوخ مدخنةً لانَّ أُلريك وجد في تجوالهِ على ضفاف النهر حجارة من الصوّان وجمع بعض الهشيم الذي وجدهُ في طريقهِ فاشعلهُ ثم اقبل عليهم وبيده عود من الصنوبر ملتهب ففرحوا وضجّوا واخذوا يجمعون الحطب واقاموا نارًا كبيرة استبشارًا بهذا الاكتشاف

وكيف لا يفرحون وقد رأوا ان قوتهم لا يقتصر على الاصداف البحريَّة بل يمكنهم ان يصطادوا بعض كلاب البحر ويأكلونها مشويةً. كيف لا يفرحون وقد اصبحوا من الان وصاعدًا لا يرهبون الجوع الذي كانوا يعدّونهُ حتى ذاك الوقت اكبر اعداء مستقبلهم

وبناء على ذلك صنعوا موقدةً وكان فاضل يجتهد في العمل كل الاجتهاد ويريد ان يكون اول الجميع وآخرهم في العناء حاسبًا نفسهُ خادمًا لرفقائهِ. واماَّ هاريس والقبطان اندرسون فكانا يتقوّيان كل يوم بزيادة عن آخر ويشعران بمزيد ميل الى ديانة أُلريك وكثيرًا ما كانا يتكلّمان عند المساء على امور تقويَّة

وكان أُلريك يعرف ان يسوق الحديث بمهارة الى مثل هذه الامور لانهُ مع سذاجة حالهِ كان يضطرم غيرة على هداية النفوس وبما انهُ وجد الفرصة مناسبة والزمان مؤاتيًا ورفقاءهُ يسمعون لهُ باصغاء كان يشرح لهم حقائق دينهِ كما تعلّمهُ من والدتهِ الفاضلة التقيَّة فكان كلامهُ يفعل فيهم كثيرًا ويحبّب اليهم التعلُّق بالديانة

على دارا منذ القرن الرابع والثالث قبل المسيح. وفي ضرب هذه النقود دلائل كافية تفرزها عن غيرها من المسكوكات التي ليس فيها هذا التاريخ المذكور

السنة السابعة عشرة

للشركة الخيريَّة لطائفة الروم الكاثوليك في بيروت (١٨٩٩)

ان هذه الجمعيَّة الخيريَّة اصبحت اليوم دوحةً باسقة الافنان بعد ان نصبها غرسةً صغيرةً مع بعض محبي الاحسان ذلك الهمام الفاضل المرحوم بشاره الخوري الذي روينا في المشرق (٣: ٩٧) ترجمة حياتهِ وسردنا ذكر مبرَّاتهِ وهو ترأَسها ١٥ عاماً. وليس بدليل انطق على تقدُّم هذه الشركة من بيان ما جمعتهُ هذه السنة من الحسنات لتنفقها لوجه الله الكريم على الفقراء والبائسين. فانَّ ما ورد على صندوق الجمعية بلغ ١١٧٢٩٠ قرشاً صرفت منها ١٠٣٦٤٢ قرشاً. هذا الى اعمال أُخرى ومشروعاتٍ خيريَّة قام بتكاليفها اعضاء الشركة كالمدارس ودفن الموتى. فاجزل الله ثواب هؤلاء المحسنين واخذ بيدهم في ما يأتونهُ من اعمال الخير ل. ش

شذرات

واردات الحكومة المصريَّة — بلغت في آخر سنة ١٨٩٩ نحو ١١,٤١٥,٠٠٠ ليرة انكليزيَّة واذا طُرح من هذا المبلغ الجسيم ما صرفتهُ الحكومة على اشغالها الخصوصيَّة كان الفاضل ١,١٦١,٠٠٠ ليرة. أُعطي منها للخزينة الخديويَّة ٤٠٢,٠٠٠ ليرة وضمَّ الباقي الى صندوق الاحتياط

حيَّة بحريَّة هائلة — اقتنصت باخرة انكليزيَّة قريباً من سيدناي حيَّة بحريَّة رمت بها الانواء الى تلك الجهات فاذا بطولها يبلغ ١٨ متراً وثقلها ٦٠ طناً (٦٠٠٠٠ كيلو) وهي من غرائب البحر

آلات التجليد — نشر المسيو ريشار في احدى المجلات الصناعية مقالة ذات شأن تكلم فيها على آلات التبريد او التجليد وكيفيَّة استعمالها لحفظ الاقوات الى مدة طويلة قائلًا انها اصبحت شائعة في معامل الصناعة بانكلترة واميركة واوسترالية وزيلندة الجديدة ثم اوضح ما صار لها من الاهمية والمكانة في التجارة فقال: انَّ صناعة تجليد اللحوم في انكلترة مع كونها لم تبتدئ الَّا من عهد خمس عشرة سنة

الى الضَّفَّة الاخرى من الخليج ثمَّ صعدا في الجبل حتى وصلا الى اعلى قمَّتـهِ واشرفا منهُ على الجزيرة كلها وجميع مواطنها غير انَّهما لم يشاهدا لا منزلًا ولا كوخًا غير الكوخ الذي اقاماه مع رفيقيهما فاضل وأُليك. فعادا من ثمَّ حزينين كئيبين ثمَّ خطر لهما ان يذهبا بقاربهما الى ابعد رأس هناك وفيهِ غرزا عمودًا من الخشب ووضعا في اعلاه قطعةً من القلوع على امل انَّهُ اذا مرَّت سفينة من تلك الجهات ورأت هذه العلامة تعلم ان في الجزيرة قومًا يستنجدونها ويطلبون معونتها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

فهرست المكتبة الملوكية

في حيدر آباد (دقن في الهند)

اهدتنا ادارة المكتبة الملوكيَّة في حيدر آباد من معاملة دقن في الهند فهرس خزانة كتبها المطبوعة والمخطوطة وهو عبارة عن ١٥٠ صفحة تتضمَّن اسماء نحو ٢٠٠٠ كتاب مع تعريف مصنِّفيها وتاريخ وفاة بعضهم وبيان اللغة التي كُتبت بها. وكثير من هذه الكتب بالفارسيَّة وقسمٌ منها خطّ بينها بعض مؤلفات نفيسة. لكنَّ هذا الفهرس مع فوائدهِ بعيدٌ عن طريقة المستشرقين في تصنيف الفهارس المتقنة الجليلة الشأن

L'Ère d'Alexandre le Grand en Phénicie

Par, le Dr Jules Rouvier.

(Extrait de la Revue des Etudes Grecques, *Paris*, 1899)

تاريخ اسكندر ذي القرنين في فينيقية

لا شيء اصعب من تعريف تواريخ المسكوكات الفينيقية التي ضُربت في بلادنا قبل عهد المسيح. لان كثيرًا من المدن الشاميَّة اتَّخذت لها تواريخ خصوصيَّة جرت عليها مدةً ثم بدلتها بتاريخ الاسكندر. لكن هذا التاريخ نفسهُ يختلف اختلافًا كبيرًا في النقود القديمة. ففي بعضها يدلُّ على سنة اليونان الموافقة لسنة ٣١٢ ق م وفي غيرها على احدى انتصارات الاسكندر الشهيرة. ولذلك تضاربت آراء العلماء في تحديد هذه التواريخ فقصد المسيو روڤيه ان يبيّن في بحثهِ هذا اولًا ان تاريخ اليونان (سنة ٣١٢ ق م) كان اول دخولهِ في فينيقية على عهد انطيوخوس الثالث في بدء القرن الثاني قبل المسيح. ثانيًا انَّ مدينتي عكَّا وصور ارَّختا بعام ٣٣٣ ق م وهي سنة انتصار الاسكندر

نار خفيفة فينفصل الى قسمين احدهما صافٍ وسائل والثاني اشبه بالجلاتين المذوَّب. وحينئذٍ يجمع هذا الجلاتين الكاذب ويُضاف اليهِ بالنسبة التي مرَّ ذكرها ٥٠٠ غرام محلولة في لتر ونصف ماء من الملح المعدني مثل الزاج. وعند ذلك ينجم عن هذا الخليط انفصال جديد اي انهُ يصير هناك جسم سائل فينزع بالتصفية ثم جسم جامد رخو فيفرغ في القوالب تحت الضغط الشديد قبل ان يتهيَّأ لهُ الوقت ليتصلَّب. هذه هي طريقة العاج الصناعي فعسى ان تخمد في الناس ميلهم الى قتل الافيال (نقلًا عن البشير)

أسئلة وأجوبة

س سألنا من دير القصير حضرة الخوري جبرائيل زين عمَّا ورد في ايضاح التعليم المسيحي المطبوع في مطبعتنا (ص ٤٤٠) «بانَّ الوثنيين اخرجوا من جسد القديس اغناطيوس الشهيد الانطاكي قلبهُ وشقُّوهُ نصفين فوجدوا اسم يسوع محرَّرًا على الوجهين باحرف ذهبيَّة». فكيف يوافق ذلك ما جاء عنهُ انَّ الوحوش افترستهُ ولم تترك منهُ الَّا بعض عظامٍ جمعها المسيحيُّون كذخائر ثمينة

قلب القديس اغناطيوس الانطاكي

ج هذه الرواية التي نقلت في ايضاح التعليم المسيحي وردت في سنكسار قديم كتبهُ القديس ادون (Adon) مطران ڤينَّة (فرنسا) في اواسط القرن التاسع (Bolland., T, I de Fév. 29) ولا نعلم الى اي شهادة استند في روايتهِ هذه. امَّا ترجمة القديس واعمال استشهادهِ التي يرتقي عهدها الى اوائل القرن الثاني فانَّها لم تذكر شيئًا من ذلك وانَّما اخبرت فقط عن القديس انهُ قال لترايانس الملك: «اني احمل المسيح في قلبي». ولذلك كان يدعى «ثاوفورس» اي حامل الله. وهذا ما ذكرهُ ايضًا القديس يوحنَّا فم الذهب في ميمرهِ عن القديس اغناطيوس ل. ش

اقتراح سؤال على قرَّائنا

نطلب من الادباء ان يبدوا رأيهم في اصل الباء التي تدخلها العامَّة على المضارع نحو «بيكتب بيأكل» ويُؤيّدوا قولهم بالادلَّة المقنعة ويعلمونا عن استعمالها خارجًا عن برّ الشام

---

* اصلاح غلط * ص ٢١١ س ٣ «سنة ١٥٨٣» والصواب «١٦٨٣» = ص ٢١٢ س ١٣ «٢٠٠ الف» والصواب «٣٠٠ الف» = ص ٢١٦ س ٨ «١٥٢٣» والصواب «١٥٣٢» = ص ٢٢٦ س ٣٤ «٩/٦٠» والصواب «٩/١٠»

اصبحت لهذه البلاد ضروريّة جدًّا وصار اصحاب المقطوعيّة لا يمكنهم الاستغناء عنها
ثم تكلم على احسن طرق التجليد وعن افضل الانابيب للمستودعات والمركبات والبواخر التجليديّة. وقد مدح بالخصوص الانبوب المنسوب الى بريتين من زيلندة الجديدة لان المذكور قد توصّل باختراعهِ الى تجليد قطع كبيرة من اللحم ولو كانت نصف ثور في اسرع ما يمكن من الزمن وبواسطتها ينحفظ اللحم لمدَّة طويلة ولا تقوى الحرارة على افساده مهما طالت مدة السفر

وكيفيَّة ذلك ان يُغرز في اللحم الذي يريد تجليدهُ ابرة طويلة في جهة واحدة او جهات متعدّدة بحسب كبرهِ ويصبّ فيهِ سائلًا مبردًا يذهب في كل انحائهِ. وبما ان اللحم يتقلّص وقتئذٍ كثيرًا بحيث يصير استخراج الابرة صعبًا يُرسل بدلًا من السائل المبرّد مجرًى من الماء السخن وهكذا يُستخرج الانبوب بسهولة. واما اللحم فاذا وُضع في باخرة او مستودع تجليدي فيمكن حفظهُ اذ ذاك لمدة طويلة جدًّا

وتكلم المسيو ريشار بعد ذلك على طريقة حفظ البيض بالتجليد ومثل عليها بمستودع البيض في بليتمور فقال ان فيهِ الوف الوف من البيض توضع في قاعات فسيحة فتبرد حتى الدرجة السابعة تحت الصفر بواسطة انابيب يجري فيها الامونياك المنتشر

وعندهم ايضًا قاعات اخرى يجلدون فيها الاسمان والاسماك على الدرجة ٢٨ تحت الصفر وحينئذٍ تصير الاسماك صلبة كقطعة من حجر وتبقى هكذا سبعة او ثمانية اشهر ومتى أُريد اكلها يُزال تجليدها بسرعة وهكذا يمكن تناولها كانها خارجة جديدًا من مياه البحر ولكن لا بد من المبادرة الى ذلك بالعجلة لان التجليد الطويل يتعبها جدًّا

العاج الصناعي لا يخفى ان الاوربيين خاصّةً يذهبون الى افريقية ويسعون في صيد الافيال بلا رحمة ولا شفقة قصد الاتجار بعظمها الثمين ولذلك فكَّر البعض في ان يخترعوا عاجًا صناعيًّا حتى يحولوا الميّالين الى العاج الطبيعي عن مطاردة هذا الحيوان حيث هو آمن في براريه وآجامهِ. وقد وضع الكيماوي الشهير اوسبيتاليه طريقةً لصنع العاج الصناعي يكون اللبن اساسها وهي كما يلي:

يُجمَّد اللبن مثل تجميدهِ اذا أُريد اتخاذ الجبن منهُ ثم يُفصل المتجمّد عن المصل بواسطة الضغط وبعد هذا يُمزج مع البورق اي ان كل خمسة كيلوغرامات منهُ تُخلط مع كيلوغرام ونصف من البورق المحلول في ثلاثة لترات ماء. ثم يُحمى هذا المزيج على

المشرق

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي　(تابع لما سبق)

١٦ الساحل بين جونية وجبيل

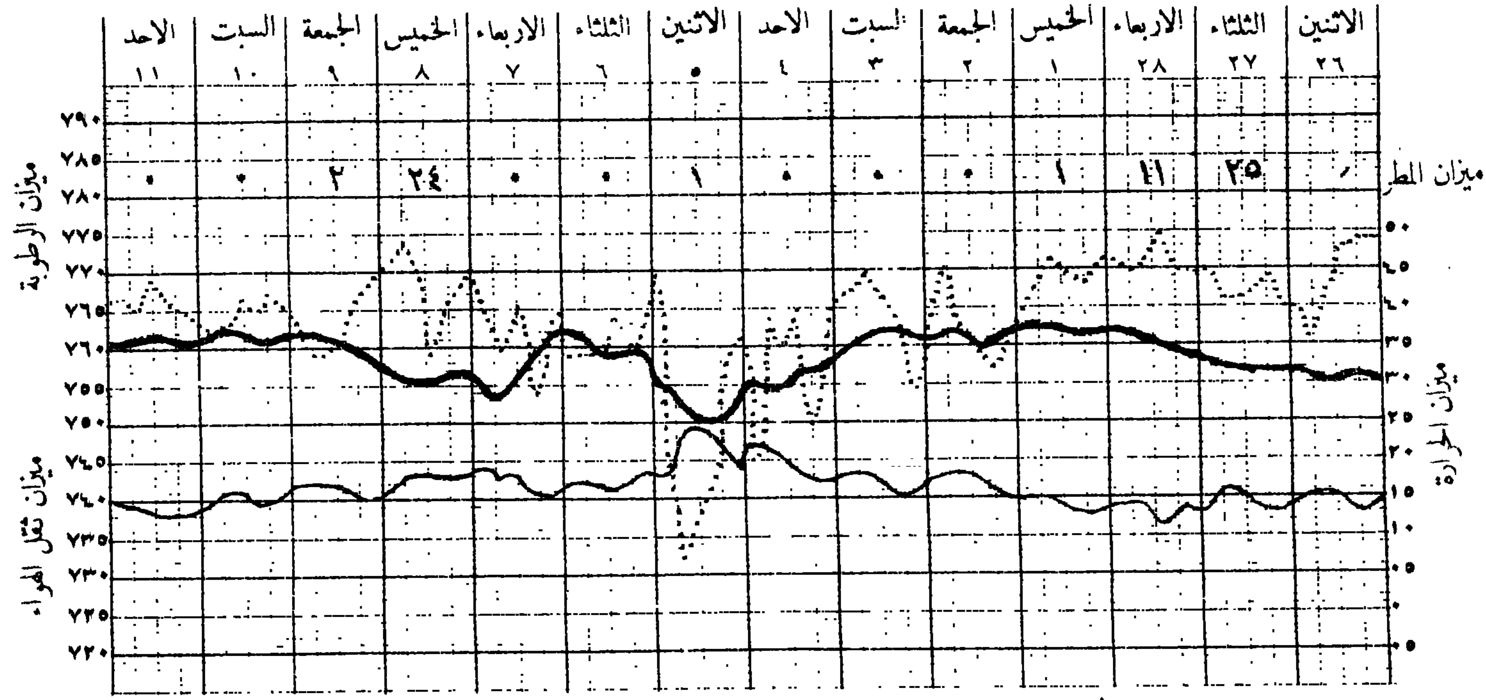
(برجا وعين ماحوز ونهر ابراهيم)

قد حان لنا بعد ذكر الآثار القديمة الموجودة في مشارف كسروان ان نعود الى الساحل فنواصل سيرنا من جسر المعاملتين شمالي خَور جونية الى جبيل . ومن سلك هذه الطريق وجد عدَّة ابراج ينسبها العامَّة الى القديسة هيلانة الملكة . وهي في الحقيقة اقرب منّا عهداً قد ابتناها اصحابها بعد عهد الفرنج المعروفين بالصليبيين لمراقبة الساحل

وممَّا يستلفت انظار ابناء السبيل مرسًى صغير يُدعى برجا او بالاحرى طبرجا مشتقٌ من لفظة يونانيَّة (τοπαρχία) يُراد بها قصبة المُعاملة او المديريَّة . وكان لبرجا في سابق الزمان اسمٌ آخر فينيقيٌ مُمات كانت تنسب اليهِ القصبة فيقال « طبرجا المحل الفلاني » (τοπαρχία X) كما نقول مديريَّة كذا . فلم يبقَ اليوم سوى الاسم الدالّ على رتبة البلدة ومقامها . وهذا الامر يصحُّ ايضاً عن قرية أُخرى تدعى باسم برجا (او طبرجا) موقعها جنوبي بيروت عند خان النبي يونس

ويُستدلُّ من اسم برجا المذكور على انَّها كانت على عهد ملوك القسطنطينيَّة . بل لنا دلائل على انَّها وجدت قبلهم بزمان . ألا وهي المغاور والاسراب والمدافن العديدة

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٦ شباط الى ١١ اذار ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالباروستر — والخطّ الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المنظر يُدرك من رآهُ كَلَف الفينيقيين باختلاق الخرافات المتعلّقة بهِ. وفي فصل الشتاء بعد الامطار كانت المياهُ تطمو فيضحي لونها كمدًا ضاربًا الى الحمرة فكان الاهلون يزعمون انَّ ذاك هو دم تموز المسفوك فينوحون عليهِ

١٧ جُبَيل

ليس من شأننا ان نسرد هنا اخبار هذه المدينة الشهيرة او نلخّص تاريخ احوالها فان ذلك يقتضي كلامًا مطوّلًا يخرج بنا عن الحدود التي افترضناها على انفسنا في مقالتنا (١ وانّما نكتفي بان نذكر فقط آثارها الجليلة التي صبرت على ممرّ الزمان

كانت جبيل مدينة الفينيقيّين المقدَّسة يحجُّون اليها كما يُحجُّ الى المزارات الشهيرة. امَّا موقع المدينة القديمة فان جمهور العلماء لا يرونهُ مختلفًا عن مكان البلدة الحديثة. وقد ورد ذكر جُبيل منذ القرن السادس عشر قبل المسيح في الرسالات التي اكتُشفت حديثًا في تلّ العمارنة. وممّا جاء هناك من الافادات التاريخيَّة انّها كانت على سِيف البحر ولها عمارة بحريَّة وانَّ اهلها كانوا من حذّاق الملّاحين. وفي نبوءة حزقيال (ف ٢٧) وتواريخ الاقدمين ما يؤيد تقرير هذه الكتابات الجليلة الشأن كما اوضحهُ الدكتور جول روفيه. وكلُّ هذه الشواهد تنطبق على موقع المدينة الحديثة

بيد انَّ جبيل القديمة كانت رحبة الجوانب واسعة الارجاء تمتدّ اكثر من المدينة الحاليَّة امتدادًا بالغًا. ولنا على ذلك البيّنات الواضحة منها قِطع عديدة من العواميد وبقايا ابنية فخيمة تراها في خارج سور جبيل الحديثة. ثم ان السور الحالي ليس بقديم وهو لا يتجاوز عهد الصليبيين بل هو من اعمالهم. فوجود الآثار القديمة في خارجهِ لا يدلُّ على انها في الاعصار السالفة لم تكن متّصلة بالبلدة. ولمّا استولى الفرنج على المدن الساحليَّة في القرون المتوسّطة وجدوا جبيل في حالة من الخراب يُرثى لها. فاخذوا في ترميمها

١) ومن اراد الوقوف على تاريخ جبيل فعليهِ بالخُلاصة التي صنَّفها الدكتور جول روفيه فقرأها على مسامع نخبة من اهالي بيروت في حفلةٍ عُقدت السنة الماضية في مرسح كليّتنا. ثم نشرها بالطبع في المجلّة الكتابيَّة (Revue biblique) بهذا العنوان: Gébal-Byblos, son histoire dans l'antiquité et sa nécropole phénicienne

٢) راجع المقالة المذكورة (ص ٢)

التي يُشاهدها القوم على مقربة من مرساها الصغير فوق الرُّبى المحدقة بالقرية على جانبيها . وهذه المدافن القديمة تشغل مكانًا متَّسعًا قلَّما تجد مثلهُ سعةً في غيرها . ولا شطط ان وكَّدنا في القول انَّهُ كان ثمَّت للفينيقيّين مدينةٌ صغرى

ومرسى برجا حرج قليل الاتساع وهو شبه جونٍ تراهُ في الغالب بمأمن من سورة الرياح . ولا بدع في ان السفن الفينيقيَّة كانت تأوي اليهِ في الانواء

وممَّا ينبئ بشأن برجا في السنين الغابرة بقايا قناتها التي بها كانت تجري المياه منحدرةً اليها من الاودية المشرفة على غزير

وان سرت من برجا ليس بعيدًا عنها وجدت بئرًا او عينًا يدعوها اهل تلك النواحي عين ماحوز . وقد ذُكرت في التواريخ الصليبيَّة مصحَّفةً بموْس (Maus(١ . ولعلَّ اصلها يرتقي الى ايَّام الفينيقيّين . وهذه العين من الاعمال القديمة الخطيرة يُنزل اليها بدرج محكم الاتقان نُقر في الصخر . وكان بقرب هذه البئر في القرون المتوسّطة حصن كما يشهد على ذلك الشريف الادريسي (٢

وفي شمالي عين ماحوز بقرب قريتَيْ بوَّار وصَفْرة مدافن متسعة منقورة في الصخر . لها مداخل عديدة في جوانب تلك الوديان . وهذه القبور تدلُّ على وجود قرية قديمة هناك ما لم يُقَلْ انَّ بلدة برجا كانت تمتدّ الى تلك النواحي وتتَّصل بها

وان تابعت المسير بلغت نهر ابراهيم . وهنا مُشكل في تعريف اصل هذا الاسم الذي ورد ذكرهُ اوَّلًا في جغرافيَّتي الادريسي والدمشقي (٣ . والتقاليد المحليَّة تزعم انَّ ابراهيم الذي نُسب اليهِ النهر كان اميرًا على المَردة . وما لا شبهة فيهِ انَّ الاسم القديم كان ادونيس (تموز) . وقد مرَّ لنا في المشرق (٢ : ٧٠٢) انهُ اسم احد آلهة الفينيقيين يقيم لذكرهِ اهل جبيل عيدًا سنويًّا يدعونهُ ادوني (Adonies) . ومصبّ هذا النهر جميل

---

١) راجع غليلموس الصوري ك ٧ ف ٢٢

٢) وصف الشام ص ١٧ (ed. Gildmeister) . واعلم انَّ الادريسي يذكر بين جونية وماحوز مكانًا يدعوهُ « عطفة سلام » يقول عنهُ انَّهُ « جون كبير يبعد عن جونية عشرة اميال »

٣) طبعة بطرسبرج (ص١٠٧)

يلاشيها التمدُّن الحديث فيصبح لها بمثابة نوائب الحدثان ومصائب الزمان بل اوخم عاقبةً منها كما بيَّن ذلك الدكتور جول روڤيه

واذا زدنا على هذه عوامل الخراب الزلازل التي تلاعبت بكثير من آثار جبيل (١ فهمنا كيف انَّ هذه المدينة امّ المستعمرات الفينيقيَّة لم تُبقِ للخلَف من مآثرها السابقة الَّا النزر القليل

هذا ونبقي لعددٍ قادم وصف الآثار التي لم تَقوَ عليها صروف الدهر فتُشاهد أطلالها في جُبيل حتى يومنا (ستأتي البقيَّة)

المالوش*

للشاب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر مفتِّش الزراعة في لبنان

من الامثال الشائعة بين الالمان قولهم: « ان عثرت ايها السائر في طريقك على مالوش لا تتجاوز مكانك حتى تُتلف هذه الدوَيبة الضارَّة » . فهو لعمري كلامٌ ينبئ بما يأتيه المالوش من الاضرار العديدة في تلك البلاد السحيقة. وليست اقطارنا بمعزل عن هذه الآفة المجحفة. فما من زارع بيننا الَّا يعرفها ويتخوَّف اذاها في بستانهِ ويبحث عن اعمل الوسائل لاتلافها

١ وصف المالوش

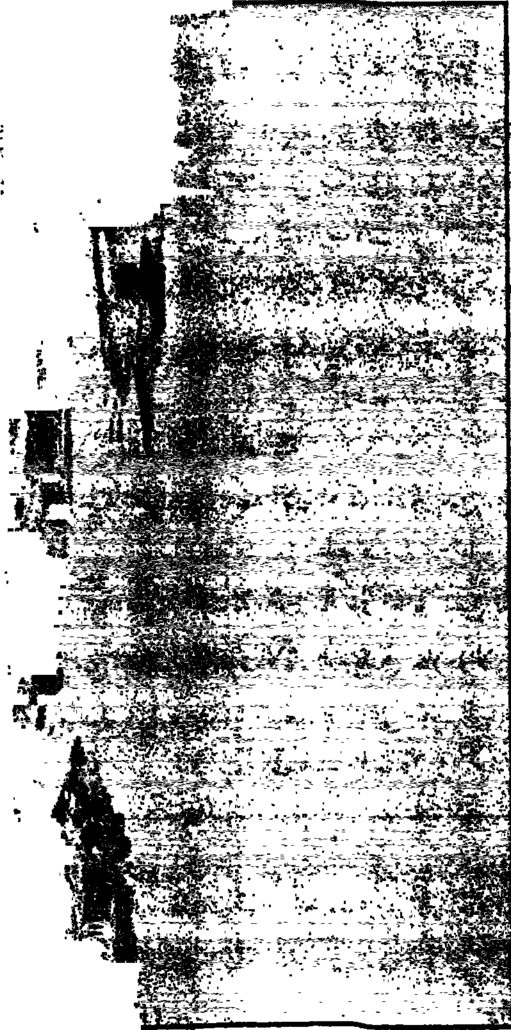
المالوش هامَّةٌ من رتبة الحشرات ذات الجناح المتساوي (orthoptères) تدخل في صنف الصراصر المدعوَّة في لسان النباتيين (gryllotalpa vulgaris Latreille) والفرنج يسمونهُ (courtilière) لهُ جسمٌ مستطيل كمِد اللون وجوفٌ واسع اسطواني الشكل يجرّهُ على وجه الارض وهو ينتهي بشبه خيطين مستدقَّي الطرفين. ورأسهُ مخروط وخَطمُهُ كفنطيسة الخنزير يعلوهُ ابرتان طويلتان. وصدرهُ متحدّب على شكل

* استدنا في مقالتنا هذه الى الكتابين الآتيين P. Brocchi : *Traité de Zoologie*, و Valery Mayet : *Le progrès agricole et viticole*

---

١) راجع المشرق ٢ : ٩٧٠

واستعانوا لتشديد المدينة وتحصينها بموادّ أخربة البنايات القديمة التي وجدوها قريبة دانيةً . ولعلّ ندرة وجود الآثار القديمة في جبيل مسبَّبة من اتخاذها للابنية المستحدثة . وفي عصرنا هذا تلف كثير منها في ابنية قرية عمشيت فكان اهلها ينقلون من جبيل كل ما يصلح لبناء مساكنهم . وهذا لعمري ممَّا يوجب الاسف لان بقايا ترقّي الاقدمين وتمدّنهم



صورة برجا

من هوامّ ونبات كما هو دأب اغلب الصراصير (١. وقد ثبت بالاختبار انها تلتهم حتى نفاية النباتات. امّا السماد فهو اصلح ما يكون لنموّها لاسيما روث الخيل

وممّا يزيد في ضرر المالوش انهُ لا يجتزئ باكل جراثيم النبات واصول القلقاس والبطاطا بل يُكثر ايضًا من حفر الاسراب فيقطع كلّ ما يلقاهُ من الجذور

واسراب المالوش على ثلاثة ضروب. (السّرب الاول) هو وكرهُ يأوي اليهِ في النهار وهو على شكل حفرة ينزل اليها عموديًّا وعمقها بعض سنتيمترات وعند قعرها كدهليز ينتهي الى شبه بئر واسعة عمقها بين ٢٥ سنتيمترًا الى ٣٠. (الضرب الثاني) هو عشّ المالوش يحفرهُ منحرفًا. وهذا العش تبتنيهِ الانثى لبيضها في حزيران او تموز في عمق ٥ الى ١٥ سنتيمترًا وهو عبارة عن مربَّع مستطيل طولهُ اربعة او خمسة سنتيمترات وقطرهُ نحو ثلاثة س. وجوانبهُ ملساء محكمة الصنع تجعل فيهِ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بيضة كبر البيضة كحبَّة الخردل امّا لونها فابيض قاتم ثمّ تصفرّ الى الخضرة. وهذا العشّ يتّصل بوجه الارض بدهليز اسطوانيّ معوجّ تقفلهُ الانثى ليومين من وَضعها اقفالًا محكمًا. (والضَّرب الثالث) هي الاسراب التي يحفرها المالوش في كلّ صوب في اثناء طلبهِ لرزقهِ. وهذه الأنفاق قريبة من وجه الارض يرى الزّراع اثرها عيانًا. وهي كثيرة الضرر لانها تهلك غالبًا البذور وفسائل النبات. والمالوش يؤثر اصول القروع والبطيخ وما كان من النوع القرعي (cucurbitacées) على سواها

والمالوش يعيش نحو ثلاث سنوات وفي سنتيهِ الأُوليين يكون على هيئة دودة امّا السنة الثالثة فيبلغ فيها كمالهُ. واوان ازدواجهِ في احد شهري ايار او حزيران. والانثى تسرئ بيضها في حزيران او تموز ولا يمضي على تسرئتها خمسة عشر يومًا حتى تفقّص صغارها وتكون الصغار على شبه ولون الكبار الّا انّها بلا اجنحة. وكان كرتيس (Curtis) الكاتب الانكليزي ذكر انّ المالوش يأكل من صغارهِ ٩٠ في المئة. وقد بيَّن المسيو ديكو (Decaux) انّ هذه الهمجيَّة طُبع عليها الذكر امّا الانثى فهي براءٌ منها

والمالوش يقرض النبات المتداني بعد نقفهِ بقليل ولا يمرّ عليهِ ١٥ يومًا حتى يسلخ سَلخهُ الاول فيأخذ في حفر الاسراب لنفسهِ. ولا يبلغ المالوش تمام كيانهِ الّا في آخر سنتهِ الثانية بعد السلخ الرابع فيصير مجنَّحًا قويًّا على التوليد

(١ راجع Decaux : Journ. le Naturaliste, *Janv.* 1894

قصعة السلحفاة وهو متين لا يؤذيه الضغط المعتدل. وجناحاهُ الاعليان قصيران لا يستران من بطن الذكر الّا نصفهُ او ثلثيهِ ومن الانثى الّا ثلثهُ وهما اذا سكن المالوش ينطويان على بعضهما. امّا الجناحان الاسفلان فهما طويلان يتجاوزان طرف بطن الذكر ولا يبلغانهِ في الانثى. ويُسمع لاجنحة المالوش صوت اذا طار. وممّا يمتاز بهِ هذا الحيوان قائمتاهُ وهما غاية في المتانة تنتهيان باظافير هائلة كاظافير الخُلد (taupe) او اشدّ. قال في وصفهما استاذي الفاضل ڤالري مايه (Valery Mayet) مدرّس الزراعة في مكتب منپليار: «للمالوش في فخذهِ الدسمة مُدية كأنّها سِنّة المحراث محدَّدة الطرف اقفيًا. وهذه المُدية تُصبح كالجلَمين اذا اتّصلت بساق الدويبة وهذه الساق مجهَّزة باربعة مخالب يتمكّن المالوش بواسطتها ان يخدّ الارض ويقطع اصول النبات. وفوق هذه المخالب يدور كما على محور مقدّم رجل المالوش وفيهِ مخلبان آخران. فيكون بذلك مجموع مخالبها ستّة تخضد بها النبات خضدًا». وللمالوش قوائم شديدة صلبة يدور بها كيف شاء ويمكنهُ ان يمدّها يمينًا وشمالًا على شكل صليب فيستطيع بذلك ان يطرح عنهُ النفايات ويرصّ جوانب وكرهِ (انظر صورتهُ في الصفحة ٢٩٦)

٢ طباع المالوش ومضرّاتهِ

اكثر ما يوجد المالوش في التُّرَب الخفيفة الكثيرة الرمل ذات الرطوبة فتتوطّنها هذه الدويبة وتجد فيها ما يلائم طباعها. وسواءٌ عندها أيكون ندى الارض من الماء الحلو او الماء المالح فان الحقول الواقعة في سهل بيروت كلها مصابة بهذه الآفة مع انَّ بعضها يسقيهِ ماء العديبيّة الأُجاج وبعضها يُسقى بمياه نهر الكلب العذبة او بمياه النواعير. وفي الحقيقة انَّ المالوش يجد في هذه الحقول كلّ اسباب الهناء الكافلة بنموّهِ لان تربتها الجرفيّة قد استحالت بهمّة الفلاح الى تربة زراعيّة غنيّة بالسماد منقّاة من الحجارة حسنة السقي. وهذه الشروط تناسب عيشة المالوش ايّ مناسبة ولذلك توفّر عددهُ وزادت مضرّاتهُ

ومن طباع المالوش انّهُ يخرج في الليل من وكرهِ فيسيح على وجه الارض ليتصيّد الهوامّ والحشرات. والذكور منهُ تستعين اذ ذاك باجنحتها للطيران. وقد زعم بعض الكتبة انَّ المالوش من الجوارح لا يأكل اصول النبات وانّما يقرضها في طريقهِ لانها تعيق سيرهُ في طلب الديدان والحشرات. والصواب ان هذه الدويبة تأكل كلّ ما تصيب

٣ الوسائل لاتلاف المالوش

قد همَّ ارباب الزراعة بايجاد وسائل شتى لاتلاف هـذه الداهية . لكنَّ الوسائل المعروفة لا تجدي نفعاً كبيرًا في الاملاك الواسعة . وانَّما تقوى فقط على حصر عدد هذه الهوام وتقليلها . امَّا المزارع الصغرى فيمكن الزراع ان ينجو فيها بالتمام من هذه الآفة . ولذلك طريقتان احداهما تقي من شرّهِ والاخرى تعمل توًّا في هلاكهِ

والطريقة الواقية بان تجعل في وجه المالوش حواجز تصدُّهُ عن حفر اسرابهِ وذلك بان تخدَّ في الارض بعض الاخاديد عمقها نحو ٨٠ سنتيمترًا تملأُها حجارةً او فحماً حجريًّا والبعض يصونون مربَّعات الزراعة بقطع من (الآجر القرميد) يركزونها في دائرتها . فالمالوش لا يتمكَّن بذلك من تعدّي هذه الحواجز الموضوعة في وجههِ وتبقى المزروعات في مأمن من مخالبهِ القاطعة

امَّا الطريقة الاخرى التي من شأنها اهلاك المالوش فهي مبنيَّة على طبع هـذا الحيوان . قلنا سابقًا انهُ يرتاح الى نفايات النبات والسماد وروث الخيل . فاجعل شيئاً من ذلك في بستانك ترَ في صباح النهار ثقباً يُشعرك بمأواهُ فاتَّبع الثقب باصبعك حتى تبلغ الى وكر الحيوان فاسكب هناك مزيجاً من عشرة اقسام ماء وقسم من الزيت او غاز البترول فيغرق المالوش او يموت خنقًا لانَّ الزيت الطافي فوق الماء يسدُّ منافسهُ . وهذه الوسيلة حسنة في الاملاك الصغرى . امَّا المزدرعات الكبرى فالاولى ان يُصبَّ ماء غالٍ في قمع يُدخَل طرفهُ الضيّق في وكر المالوش . وهذه الأكار لا يصعب الوقوف عليها لانَّ مدخلها دائمًا في مركز النَّفق يدلُّ عليها ارتفـاع خفيف من التراب فوق سطح الارض ويُعرف ايضًا بالعشب اليابس الذي تجدهُ بعد السقي او انهمال المطر . وعلى هذا المنوال تتلف الهامَّة مع صغارها وبيضها . ويحسن ايضًا لاهلاك المالوش ان تُخدَّ التربة وتُحرث حرثًا يبلغ نحو ١٥ سنتيمترًا في شهر حزيران وتموز فذاك ممَّا يكشف اعشاش المالوش . فعليـك حينئذٍ ان تتلف البيض او تسرع الى الصغار فتقتلها قبل ان تغرز في الارض ثانيةً

ومن الوسائل العامَّة على هلاك المالوش ان تنقطع عن سقي الارض مـدَّةً ثمَّ تجعل على وجه الارض آنية تملأُها ماءً الى نصفهـا . فالمالوش لكثرة حاجتهِ الى الماء ينزو فوق الآنية فيغرق في مائها . والأقحاف التي يستعملها العامَّة للزهور تصلح لذلك بعد

واذا اشتدَّ البرد على المالوش بالغ في حفر وكرهِ الى نحو ٣٠ و ٤٠ سنتيمترًا فبقي فيهِ لاطيًا جامدًا الى آخر الشتاء ولا يُرى اذ ذاك اثر للمالوش على سطح الارض حتى دخول فصل الربيع في اوائل نيسان. فيعود حينئذٍ الى حفر انفاقهِ المعهودة



صورة المالوش الذكر ووكره بعد تسرئة الانثى

وذكر لي احد المواطنين انَّهُ اقام زمنًا طويلًا في الهند ورأى اهلها يتَّخذون عصير البَندورة للتخلُّص من آفة المالوش

ومن الوسائط التي نشير الى استعمالها ان تجعل في البساتين العلاجيمُ او الضفادع المعروفة بالسامَّة (crapauds) فانها تأكل المالوش اكلًا ذريعًا في الليل عند خروجهِ من اوكارهِ

فهذه وسائل عديدة يُمكن الالتجاء اليها عند الحاجة وحسب الظروف والاحوال. وعلى الله الاتكال

قوس قُزَح

للاب الكسيس مالون اليسوعي (تتمَّة)

٤

قوس قزح ظاهرة جوّيَّة مبنيَّة على نواميس انعكاس النور وانكسارهِ التي ذكرناها في العدد السابق. فان انعكاس النور فيها ظاهر لأنها تحدث في الجهة الموازية للشمس. امَّا انكسار النور فيرى من انحلال الاشعَّة الى سبعة ألوان الطيف كما مرَّ

ولكن في ايّ وسط يحدث للاشعَّة مثل هذه التحوُّلات ألعلَّ في السماء موشورًا يجتاز فيهِ النور فينحلّ مثل هذا الانحلال ? أجل انَّ في الجوّ ما يقوم مقام الموشور ألا وهي نقط المطر التى منها يتكوَّن السحاب. والدليل على ذلك انَّ قوس الغمام لا تظهر الَّا في وقت تدوم السماء او يكون الجوّ غائمًا. فانَّ الاشعة تنفذ في نقط المطر على زاوية معلومة تتمّ بها نواميس الانكسار والانعكاس. وما يؤيد ذلك انَّك ترى أَلوان قوس السحاب في المياه الفوَّارة والشلاَّلات اذا قابلت الشمس

ولعلَّ سائلًا يسأل ما هو سبب استدارة قوس قزح ? ولماذا يظهر لها قوس ثانية فرعيَّة ? وهل يمكن ان يكون اكثر من قوسين ? وما هي علة اختلاف ترتيب الألوان بين القوس العليا والقوس الفرعية ? كلُّ هذه الاسئلة سينجلي امرها ان شاء الله في ما يأتي من الشرح على هذه الحادثة الطبيعية

فلنعتبرنَّ اشعَّة من الشمس ش شَ شً تنفذ في نقطةٍ كرويَّة من المطر عند

سدّ ثقبها الاسفل. وكذلك يحسن اتخاذ قِطَع من الميازيب المصنوعة بالتوتيا او التنك فتجد في صباح اليوم الثاني شيئاً كثيرًا من غرقى المالوش. والمسيو فينو (١ يشير الى وسيلة اخرى مبنيَّة ايضاً على ارتياح المالوش الى الماء قال: « اذا كان النهار شديد الحرارة يابساً اسقِ الامكنة التي يكثر فيها المالوش ثم ضع فوقها حُصُرًا مبلَّلةً. فاذا صارت الشمس في كبد السماء اكشف الحصر ترَ تحتها كثيرًا من المالوش تستَّر تحتها حبًّا بطراءتها فاقتلهُ » (٢

امَّا شهوة المالوش لروث الخيل فيمكن ايضاً التوسُّل اليها لهلاكهِ. وذلك ان تأْخذ زبل الفرس فتجعلهُ بين مربَّعتين من المزروعات فتدوسهُ كي يلصق ببعضهِ وتدعهُ خمسة او ستَّة ايام ثمَّ تنثرهُ عند طلوع الشمس فترى للحال عددًا وافرًا من المالوش تجمَّع في وسطهِ فتقتلهُ. ثمَّ تكوِّم السواد المنثور ثانيةً وتسقيهِ بالماء وتدوسهُ كالمرَّة الاولى وتنثرهُ في اليوم التالي وتصيد ما تجمَّع فيهِ من المالوش وهلمَّ جرًّا حتى يتلف جميعهُ. وقد زاد فيبوريار (Féburier) في تحسين هذه الطريقة (٣ قال: « واذا رفعت روث الخيل ساوِ وجه الارض وعدّلْ سطحَها دون ان ترصّها فترى مداخل أَسراب المالوش فصُبَّ فيها سطلين او ثلاثة سطول ماء ممزوج بقدح من الزيت فينفذ الماء في مأوى المالوش ويسدُّ الزيت منافسهُ فيضطرّ الى الخروج من وكرهِ ويُقتل »

وروث الخيل يستعمل ايضاً لاصطياد المالوش في شهرَي ايلول وتشرين قبل البرد بان تضع منهُ اكواماً ضخمة عند اختمارهِ في الاماكن المصابة بعد حفرها قليلًا (نحو ١٠ سنتيمترات). فالمالوش يتقاطر الى السماد لما فيهِ من الحرارة والرطوبة ووفرة المأكل من الديدان والحشرات المغذية. وتدع هذا الزبل اكداساً على حالهِ الى شهر كانون الثاني اذ يضحي البرد قارساً ويتخدّر جسم المالوش بالقرّ. فتقلب حينئذٍ كُوَم السماد وتقتل ما فيها منهُ

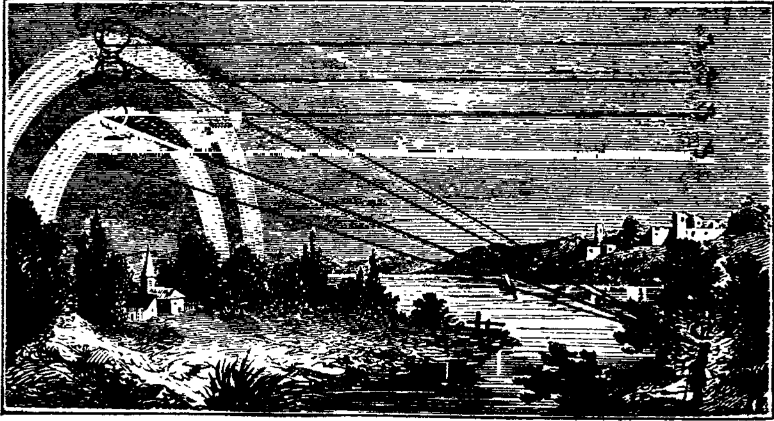
ولا بأْس من اتخاذ زبل الخنازير لصيد هذه الدويبة. وقد سمعنا انَّ بعضاً من اهل بلادنا نالوا بذلك مرغوبهم وأَفنوا المالوش في مزارعهم

١) راجع Finot : *Insectes orthoptères*

٢) راجع مُعجم الزراعة للخوري روزيار (Abbé Rosier : *Dict. de l'Agriculture*)

٣) راجع كتابهُ (Nouveau cours complet d'Agriculture)

وممّا تقدم يمكننا ان نفهم ليس فقط سبب حدوث قوس قزح واستدارتها لكن ايضاً سبب وقوع قوسين في وقت واحد تركبُ احداهما الاخرى كما ترى في الشكل الحادي عشر. وتدعى القوس الداخليّة قوساً اصليّة والقوس الخارجة العليا قوساً فرعيّة

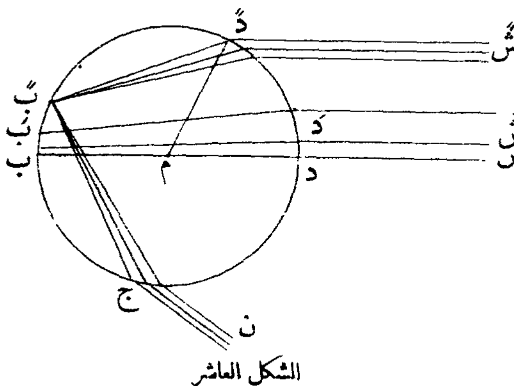


الشكل الحادي عشر

وتعليل القوس الاصليّة محمول على ناموس انعكاس النور انعكاسةً واحدةً عن باطن نُقط المطر المنبثّة في الجوّ. ولمّا كانت هذه النقط تلحق بعضها فيمكن اعتبارها كأنّها نُقط ثابتة. واذا افترضنا ان الشمس ترسل شعاعين ش شَ من اشعّتها الى نقطتين من المطر ن نَ فينكسر الشعاعان عند نفوذهما في النقطتين وينعكسان الى عين الناظر ع فبانكسار الشعاعين تبدو ألوان الطيف الشمسيّ. ولمّا كان الاحمر اكثر انكساراً من بقيّة الألوان فتراهُ العين أعلى منها في النقطة ن امّا البنفسجيّ فتراهُ في النقطة نَ لأنّهُ اقلّ انكساراً منها وترى بقيّة الألوان بين النقطتين على مقتضى دليل انكسارها

امّا القوس الفرعيّة فانّها تُعلّل بانعكاس الاشعّة عن باطن النقطة انعكاسين كما ترى في الشكل الحادي عشر. وذلك بان يقع شعاعان شً شَ في نقطتين نً نَ فتنفذ الشعاعة من اسفلهما فتنكسر منعكسة الى فوق ثمّ تنعكس ثانية عن اعلاهما وتخرج فاذا خرجت منهما انكسرت الى اسفل حتى تصيب عين الناظر ع فترى الألوان من جرّاء الانكسارين بخلاف ترتيبها في القوس الاصليّة اعني انّها ترى البنفسجي فوق

د دَ دً فالشعاعة ش لسيرها على خطّ مستقيم لا يصيبهـا انكسار (راجع المشرق ٢٤٣) وانّما ينعكس بعضها عن سطح النقطة عند بلوغها الى د وينفذ البـاقي. واذا ما بلغت الى ب ينعكس ايضاً بعضها ويخرج الباقي لكنّ الناظر ن لا يرى منها شيئاً لانّ ما نفذ منها وخرج سار الى الغرب وما انعكس عاد الى جهـة الشمس. وكذا الشعاعة شَ دَ فانها لا تنكسر الّا قليلًا عند نفوذها في النقطة وعند خروجها منها في بَ بحيث لا يصل منها شيء الى عين النـاظر. وهكذا الاشعَّة الواقعة بين شَ و شً مع زيادة انكسارها لا تصيب عين النـاظر. امَّا الشعاعة شً دً البعيدة عن ش د نحو ستين درجة من الدائرة فانها تنكسر وتجتمع عند



الشكل العاشر

بً فينعكس بعضها الى ج اذ تكون زاوية الوقوع مساوية لزاوية الانعكاس. ثم تنكسر ثانية عند خروجها من الكرة في ج وينحلُّ النور الى ألوانه السبعة اسفلُها الاحمر واعلاها البنفسجي لان دليل انكسار الاحمر اقلّ من البنفسجي. والاشعَّـة التي تبلغ الى عين الناظر تُدعى الاشعة الفعَّالة. وليست كلُّها فعَّالة وانّمـا فعلها منوط بامرَين احدهما مقام الناظر بالنسبة الى الاشعَّة المنعكسة والثاني بارتفـاع الشمس فوق الأُفق. فاذا كانت الشمس مرتفعة فوق الأُفق باكثر من نصف قطر القوس فلا يرى الناظر قوس قزح واذا كانت عند الأُفق رأى القوس على شكل نصف دائرة واذا كانت الشمس بين هذين الحدَّين لم تبلغ القوس تمام نصف الدائرة. ولو ارتقى الناظر الى الجوّ لامكنهُ ان يشاهد قوس قزح على شكل دائرة كاملة

هذا ويدلُّ الحساب على انَّ اللونين البنفسجي والاحمر لا يؤثران في عين الناظر ما لم تكن زاوية انكسار البنفسجي في الانعكاس الاول ٤٠° و ١٧َ وفي الانعكاس الثاني ٥٤° ٩َ وزاوية انعكاس الاحمر في الانعكاس الاوَّل ٤٢° ١َ وفي الانعكاس الثاني ٥٠° ٥٨َ . امَّا بقيَّة ألوان الطيف فتتردَّد بين الدرجات المذكورة

غبراء. ومنها الطُّفاوة وهي دائرة للشمس بمنزلة الهالة للقمر ويدعوها العرب ايضاً اياةً تكتنف الشمس اذا مرّت اشعّتها في دقائق سحابيَّة متبلّورة توجد في طبقات السماء العليا وربَّما ظهر دائرتان معاً قطر الكبرى الخارجيّة ٤٦° والصغرى ٢٣° وهذه الطفاوة تكون ملوَّنة بالوان الطيف يكون الاحمر في الداخل والبنفسجيّ في الخارج

وعند حدوث هذه الطفاوة حول الشمس تحصل آثار اخرى جوّيَّة بهيَّة المنظر كتعدُّد الدارات على اشكال هندسيَّة غاية في الجمال. وربَّما ظهرت شموس كاذبة على قطر بعض هذه الدارات خارجاً عنها. لكنَّ هذه الحوادث الجوّيَّة قد خصَّ الله بها بعض البلاد القريبة من القطبين لا نرى في اقطارنا الشرقيَّة منها شيئاً فاكتفينا بذكرها ليعلم قرَّاؤنا ما ابدعهُ الله في ارضنا من عجائب المخلوقات. وغرائب المصنوعات. فيزيد شكرهم لباريء الكائنات سبحانهُ وتعالى تبارك اسمهُ في اقاصي الارض واعالي السماوات

تناقض الدين والعلم

بحث فلسفي للاب لويس شيخو اليسوعي

قال الفيلسوف باكون: قلّة العلم تُبعِد من الله وكثرتهُ تقرّب اليه

ما كنّا لنظنّ انّ صاحب الهلال يجول في ميدان ليس هو من فرسانهِ. فانَّهُ سامحهُ الله كان قرَّف في مجلتهِ (ص ٦٢١) مرَّةً اولى زعماء الدين بانهم لا يفرقون بين الدين والعلم وذلك لانَّهم أنفوا من المصادقة على قولهِ الباطل في ناموس الارتقاء وما شابه ذلك من الآراء الواهنة التي دافع عنها باسم العلم والعلمُ منها مناط الثريا

فاجبنا كاتب الهلال في المشرق (٣: ١٩٠) انَّهُ على ضلال مبين وانَّ زعماء الدين اعرف من غيرهم بقَدر العلم وخواصّهِ التي تفرق بينهُ وبين الدين ولكنَّنا انكرنا عليهِ الفصل بينهما لانَّهما شعبتا أصل واحد وسليلا ابوّةٍ هو الله عزَّ وجلَّ ربّ العلم وربّ الدين معاً فلا يمكن وجود تضادّ بينهما البتة. وختمنا ذلك بقولنا « ان كلّ دين ينافي حقيقةً واحدةً علمية تناقض تعاليمهُ الاصلية هو دينٌ فاسد لا يجوز للانسان ان يتَّبعهُ » وكان بوسعنا ان نقلب هذه القضيَّة فنقول « انّ كل علم يناقض تعاليم الدين المستقيم

الاحمر والاحمر في اسفل الطيف و بينهما بقيّة الالوان

هذا وان القوس الفرعية المذكورة اعرض من القوس الاصليَّة لان عرضها ٣° ٤١َ اما الاصليَّة فعرضها ٢° ١٥َ فقط . لكنَّ القوس الفرعية اقلّ اشراقًا من الاصلية لان النور فيها ينعكس مرَّتين كما سبق فيضعف بذلك . وهي تتوارى عن العيان اذا بلغ ارتفاع الشمس فوق الافق ٥٩° ٩َ . اما اذا كان ارتفاعها لا يتجاوز ٤٢° ١َ فالقوس الاصليَّة لا تظهر بل تبقى تحت الأُفق . ومن هـذا يتَّضح سبب ظهور قوس الغمام صباحًا ومساء فقط لان محور النظر ينحدر بقدر ارتفاع الشمس . ويتضح ايضًا ممَّا تقدَّم ان هذا الأثر العلويّ هو حادث مكاني فاذا نظر اليهِ شخصان وجدا بعض الاختلاف في حالتهِ لاسيا اذا ابتعدا عن بعضهما قليلًا فان كل واحد يرى طرَفي القوس في امكنة مختلفة وان جرى الناظر سائرًا رأى القَوس تنتقل من مكان الى آخر

٥

هذا وللقَمَر ايضًا قوس قزح تظهر ليلًا في بعض الاحيان . ولمَّا كان نور القَمَر مستعارًا من نور الشمس لا ترى أَلوانهُ السبعة ناصعة بل كمدة رمداء . وقد ذكر المشرق (٢ : ١٣١) حادثين يثبتان حقيقة ظهور قوس قزح قمري وفي العام الماضي ظهر في بيروت في ٢٨ آذار بعد غروب الشمس بساعتين ودام نحو ثُلث الساعة . وكان الاقدمون راقبوا ذلك سابقًا وذكرهُ ارسطو في كتاب الظواهر الجوّيَة لكنهُ قرَّر انَّ حدوثهُ نادر لعدم استيفاء شروط ظهور قوس قزح ليلًا لاسيا لاختلاف وجوه القمر

وان كانت الأَقواس القمريَّة قليلة الحدوث فكثيرًا ما يحيط بالقمر عند ما يمرّ عليهِ غمام خفيف دوائر متراكزة من النور يدعونها اكليلًا او نُدأَةً . وهذا الاكليل يحدق ايضًا بالشمس لكنَّهُ لا يُرى في الغالب لشدَّة نورها الباهر . امَّا سببهُ فانعكاس الاشعة التي تصدر من هذين النيّرين عند مرورهما في خلايا صغيرة من دقائق الابخرة المتكاثفة في السحاب والمتوسّطة بيننا وبين هذين النيّرين . والاكليل المذكور يكون ابيض اللون حول القمر امَّا حول الشمس فهو متلوّن بالوان قوس قزَح بحيث يكون اللون الاحمر خارجًا والبنفسجي باطنًا . وقطر الاكليل يختلف بين درجةٍ الى ٤ درجات

ومن المناظر العلويَة التي تحدث في الجوّ دارات مختلفة تحدق بالقمر او الشمس منها الهالة وهي حلقة حول القمر اوسع قطرًا من الاكليل فيها أَلوان الطيف الَّا انهـا كمدة

العلوم الدينية والطبيعية كقول الحكيم (امثال ١١ : ٩) : « بالعلم يتخلّص الصديقون » . وكقولهِ (١٩ : ٢) : « النفس من دون علم غير صالحة » . وتارةً تبكّت الجاهل على جهلهِ وتفضيلهِ الغنى والملذات على العلم (راجع ارميا ١٠ : ١٤ امثال ١٧ : ١٦) . وحيناً تشهد بان الله يعلم بكل علم ويُوزّع العلم على من يحبهُ (ابن سيراخ ٣٨ : ٦ و ٤١ : ١٩) . وطوراً تحمل دعاة الدين على العلم « لانَ شفتي الكاهن تحفظان العلم » (ملاخي ٢ : ٧) وتنكر عليهم الجهل كقول الرب على لسان هوشع (٤ : ٦) : « رذلتَ المعرفة فانا ارذلك فلا تكون لي كاهناً » . وآونةً تبيّن رضى الله عن شعبهِ اذ « يعطيهم رعاةً على وفق قلبهِ يرعونهم بعلم وعقل » (ارميا ٣ : ١٥) . وربّما صرّحت هذه النصوص باتفاق العلم والدين وبأنَّ العلم بلا دين فاسد كقول صاحب الحكمة (١٣ : ١ و ٩) عن بعض الحكماء الذين جهلوا الدين : « ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى . . . لانهم ان كانوا قد بلغوا من العلم أَن استطاعوا إدراك كنه الدهر فكيف لم يكونوا اسرع إدراكاً لربّ الدهر » . وكقول الرسول (١ كور ١٣ : ٢) انهُ لو حصل على كلّ علم دون المحبّة (واليها مرجع الدين) ليس هو بشيء » وكقول ابن سيراخ (٣٩ : ١ الخ) ان الذي يتأمل في شريعة العلي يبحث عن حكمة جميع المتقدّمين بل يجول الارض ليجمع اصناف العلوم

فنطلب من صاحب الهلال ان كان العلم والدين يتناقضان كما زعم فكيف يستطيع الكتاب الكريم ان يحرّض الناس على اقتنائهما معاً وان يثبت بنصوص عديدة ان لا علم صحيح بلا دين وان الدين يحتاج الى العلم في امور كثيرة . أفيمكنهُ تعالى ان يحمل على إحراز العلوم اذا كانت هذه العلوم تُبطل ما يوحي الينا بهِ من الاسرار وعقائد الدين . فليتأمّل العاقل الى اي شطط بلغ صاحب الهلال

وليست الاسفار المنزلة وحدها تقرّر بصراحة انَّ الدين والعلم متّفقان متعاضدان كاخوَين توأمين بل يشهد على ذلك ايضاً العقل الصائب فاذا استفتيناهُ افتانا بمطابقة الدين للعلم . وهاك البرهان على قولنا نلخّصهُ عن اعظم الفلاسفة : « لا يُنكر انَّ في العزّة الالهيّة لا يوجد ادنى تضادّ او اختلاف لانهُ تعالى هو الحقّ بالذات ولو كان فيهِ نَقص لبطل كيانهُ . والحال لو اوحى الله بحقيقة دينيّة تنافي بعض الحقائق العلميّة الراهنة لوجد فيهِ سبحانهُ وتعالى اختلاف او تضادّ لانَّ العقل البشري والوحي يصدران

(وليس من شأننا هنا البحث عن هذا الدين) هو علم باطل لا يمكن الاستناد اليهِ. وكلا المبدأين عين الصواب كما سترى

غير انَّ الهلال ابى الَّا المكابرة فانتهز ليرمينا من وراء قترةٍ فرصةَ ردّهِ على احد « ادباء فرشوط » (راجع الهلال ص ٢٢٩) حاول ان ينفي بعض أقوال الهلال مستنداً الى آيات اوردها من الكتاب المقدَّس. وليس من شأننا هنا ان نحكم بصحة مزعم الاديب المذكور او بفسادهِ (١ وانّما نكتفي بتفنيد ما وجَّهُ الهلال الى مجلّتنا من الملام حيث قال:

« وكانَّ حضرة المعترض يرى وجوب مطابقة العلم والدين فما كان منهُ مخالفاً لآيات الكتاب نُبذ ظهريّاً. ولكن هناك جماعة آخرين يرون وجوب مطابقة الدين للعلم ويقولون ان « كلّ دين ينافي حقيقةً واحدة علميَّة تناقض تعاليمهُ الاصلية هو دين فاسد لا يجوز للانسان ان يتَّبعهُ » والحال ان في كل دين من الاديان الالهيَّة (اليهودية والنصرانية والاسلام) تعاليم عديدة تناقض الحقائق الطبيعيَّة على خط مستقيم يكفينا منها المعجزات التي لا يخلو منها دين. ناهيك عن كثير من الاعتقادات المشهورة عند بعض الطوائف اليوم كالاستحالة والتثليث ونحوها. فهذه كلها تخالف الحقائق العلميَّة فهل نعدُّ تلك الاديان فاسدة ? واذا جاز لنا ذلك هان علينا القول بفساد اكثر الاديان المشهورة وهو ضلال مبين. واذا اتبعنا قول حضرة الكاتب بوجوب مطابقة العلم للدين نقضنا كثيراً من الحقائق العلمية الثابتة وهو جهل صريح. فالاولى بنا اعتبار كل من العلم والدين مستقلّاً بنفسهِ نستعين بالواحد على الدنيا وبالآخر على الآخرة. وفوق كل ذي علم عليم »

هذا ما وجدهُ صاحب الهلال في علمهِ السامي ليزّيف قولنا في مطابقة العلم للدين ولكن يسوءنا ان نقول لجنابهِ انهُ شطَّ في زعمهِ ايَّ شطط ولعلَّهُ استنار بضوء هلالهِ الضعيف فغلط ولو عقل لرجع الى نور شمس الايمان الساطع او شخص بصرهُ الى نور عقلهِ اللامع فاستدلَّ بهما على القول الصواب والحكم القاطع

والحقُّ يُقال انَّ النصوص الدينيَّة والبراهين العقليَّة والشواهد التاريخيَّة كلها لسان واحد على ائتلاف الدين والعلم وانهُ لا يمكن ان يوجد بينهما تناقض البتَّة

امَّا النصوص الدينيَّة فاكثر من ان تُعدّ فترى الاسفار المنزلة تارةً تحرّض على احراز

---

١) ان الكتب الالهيَّة قد اوحى الله بها الى اوليائهِ القديسين وانبيائهِ الصالحين ليرشد بها البشر الى جادَّة الخلاص وينكّب بهم عن سبيل الضلال وليست هي كتب علميَّة لتوقف الناس على الحقائق الطبيعية. ولكن اذا جاء فيها آية صريحة تثبت شيئاً من العلوم لا بدَّ من القول بصحَّة الآية ولا يمكن العلم الصحيح ان يبطل ما ورد في هذه النصوص الدينية

فناشدتك الله يا صاحب الهلال لو صحَّ قولك في تناقض الدين والعلم ألم ينبذ مثل هؤلاء المشاهير التعاليم الدينيَّة نبذ النواة. فان ثبتوا على دينهم او عادوا اليهِ بعد الضلال فما ذلك الَّا لعلمهم العلم الحقّ بان المطابقة بين العلم والدين تامَّةٌ تستند الى اوثق الاركان

وعليهِ فلم يزل احبار الكنيسة الرومانية ينشرون في كلّ الاصقاع ألوية العلوم لا يثبّط في ذلك مساعيهم شيء من الاتعاب او النفقات البالغة لانهم يعرفون انَّ الدين يستمدّ من العلم قوَّة وثباتًا بدلًا من ان تتقوَّض بذلك دعائمهُ كما يظنّ من يزعم انَّ بينهما تناقُضًا. وهاك الرهبانيَّة اليسوعية وهي اعظم نصير للدين فانها لا تزال رافعة أعلام العلوم جمعاء حتى انَّ عدد مصنَّفات ابنائها العلميَّة (ما خلا الدينيَّة) بلغت منذ نشأتها نحو ١٢٠٠٠٠. فلو كان بين العلم والدين التنافر الذي زعمهُ الهلال لاستحالت هذه الجمعيَّة الى جمعيَّة دينيَّة صرفة لا تعرف من العلم شيئًا او اصبحت جمعيَّة علميَّة محضة لا تُبالي بهِ وكلا الامرَين باطل

واذ قد تقرَّر لجناب منشئ الهلال انَّ المنـاقضة التي توهَّمها بين العلم والدين لا صحَّة لها كان بوسعنا ان نقف عند هذا الحدّ لكنَّنا نُلحق ببراهيننا السابقة تخطئة ما كتبهُ جنابهُ جملةً جملةً لئلا يظنّ ان في اعتراضاتهِ كبير امر

قال الهلال اناره الله « انَّ في كلّ دين من الاديان الالهيَّة (اليهوديَّة والنصرانيَّة والاسـلام) تعاليم عديدة تناقض الحقائق الطبيعيَّة على خطّ مستقيم يكفينـا منها المعجزات التي لا يخلو منها دين »

قبل جوابنا على هذا القول فليسمح لنا صاحب الهلال ان نسألهُ من ايّ دين هو لنعرف كيف نجيبهُ على قولهِ. وعهدنا بهِ انهُ نصراني من الروم الارثوذكس. ولكن انَّى استجاز القول بان اليهودية والنصرانية والاسلام كلها اديان الهيَّة ؟ او كيف استطاع ان يقول عن ديانتهِ انها تعلّمهُ تعاليم عديدة تناقض الحقائق الطبيعية ؟ او يرضى احد من الروم الارثوذكس بمثل هذا الكلام ؟ مالي اقول الروم الارثوذكس هل يرتضي احد من النصارى او اليهود او المسلمين بمثل هذه الاقوال وليس بينهم واحد الَّا ويعتقد صحَّة ديانتهِ وبطلان دين غيرهِ. ولو قال احد منهم قول صاحب الهلال لعُدَّ كافرًا في ملّتهِ. اذ ليس بكفر اعظم من مساواة كل الاديان ونسبتها مع تناقضها في العقائد الى الحقّ

كلاهما منهُ عزَّ وجلّ وما هما سوى شعاعين من شمس واحدة كلها نور دون ظلام البتَّة او جدولين يخرجان من نبع واحد لا يكدّرهُ قذًى. فاذا علّمنا اذن الدين قضيَّة من القضايا الالهيَّة تنافي حقيقةً علميَّة لا بُدَّ من احد قولين او ان هـذا الدين هو باطل فيجب على الانسان ان ينبذهُ ويطلب غيرهُ او انَّ ما نُسب الى الدين ليس بصادق وانّما هو محض اختلاق ووَهم قال القديس توما اللاهوتي شمس المدارس (في شرحهِ على مقالة بويثيوس في الثالوث س٢) « ان وُجد في أَقوال الفلاسفة شيء ينفي تعليم الايمان القويم فذلك ليس من الفلسفة بل من السفسطة ويمكن حلّهُ بالمبادئ الفلسفة الراهنة. فثبت اذًا انَّ العقل السليم يُفتي بوجوب الاتّفاق بين العلم والدين

هذا وتزيد على البرهانين السابقين شواهد التاريخ والاختبار اليومي فنقول:

ان كان الدين والعلم في تناقض لوجب ان ينقص الدين بنموّ العلم كما تضمحل الظلمة عند ظهور النور. والامر على خلاف ذلك فانّا اذا تصفَّحنا التاريخ وجدنا ان كبار العلماء وائمَّة الحكماء كانوا أَرسخ قدماً في الدين. ولا حاجة لي الى ايراد اسماء مشاهير معلّمي الكنيسة الذين نبغوا في كلّ الفنون والعلوم الدينيَّة والدنيويَّة معاً كالقديس اوغسطينوس والقديس ايرونيموس واوريجانس والقديس توما اللاهوتي وغيرهم كثيرين. وحسبي ذكر المكتشفين العظام وزعماء العلوم الطبيعيَّة الشائعة في ايَّامنا. فانّك اذا وقفت على تراجم حياتهم وجدتهم معتصمين بحبال الدين لا يبخسونهُ حقَّهُ ذرَّةً مثل كپلر وديكَرْت ونيوتن وغليلاي ولبنيس وليناي (Linné) وكوڤيار (Cuvier) وامپار (Ampère) وكوشي (Cauchy) والكيمويّان دوماس وشڤرول (Chevreul) وپستور ولونرمان (Fr. Lenormant) وأُلوف مثلهم. بل ترى انّ عدداً غفيرًا من هؤلاء العلماء كانوا من الكهنة مثل روجار باكون وكوپرنيك وكِرْشر وماريوت وماي وسِكّي. فكيف امكن علماء بلغوا هذه الدرجة من العلم ان يحافظوا على مبادئ الدين لو وجدوا فيها ما يناقض عقلهم. وقد قال احدهم بخلاف ذلك وهو الفيلسوف باكون: « انَّ قلَّة العلم تبعد من الله والدين وانَّ الترقي في العلوم يقرّب اليهِ تعالى ويزيد الانسان تديُّناً ». وقد رأينا في عصرنا كثيرين من جهابذة العلم كانوا في حياتهم لم يبالوا بالدين فلمَّا حانت ساعة وفاتهم ارعووا عن غيّهم وتابوا متأسّفين على ضلالهم منهم الشهير ليتراي (Littré) والعالم بالعاديَّات المصريَّة الشهير ماريت باشا.

كونها لا تناقض الحقائق فظاهر لانَّ التناقض يصير بايجاب الشيء وسلبه كقولنا ان الله واحد بجوهرهِ وانَّهُ ثلاثة بجوهرهِ . امَّا ان نقول ان الله واحد بالذات والجوهر ومثلَّث بالاقانيم فاين التناقض (راجع مقالة بولس الراهب في المشرق ١ : ٨٤٠) ما لم يثبت صاحب الهلال ان تثليث الاقانيم يوجب تثليث الذات وهو امرٌ لم يقوَ عليهِ فلاسفة أوسع علماً واذكى عقلاً من جنابهِ لاسيما انَّ هذا السرّ لم نخترعهُ نحن بل اخذناهُ من الوَحي . فليبيّن الكاتب الاديب انَّ هذا السرّ لم يُوحِ بهِ ابن الله في انجيلهِ الطاهر ان امكنهُ او انهُ تعالى لا يستطيع ان يوحي الى البشر سرًّا يعلو إدراكهم (راجع مقالة الاب لويس معلوف اليسوعي عن الوحي في المشرق ٢ : ١٠٩ و ١٩٨)

وما قلناهُ في التثليث يصحُّ في الاستحالة التي ورد ذكرها صريحًا في خبر العشاء السرّي . وان اعترض صاحب الهلال انهُ لم يدرك مثل هذه الاسرار أفحمناهُ بقول الغزَّالي لمن نكر الاسرار لعدم فهمها :

ثَمَّ سرٌّ غامضٌ من دونهِ	ضُربت بالسيف اعناقُ الفحولْ
انت لا تعرف اياك ولم	تدرِ من انتَ ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ ركّبت	فيك حارت في خفاياها العقولْ
اين منك الروح في جوهرها	هل تراها او ترى كيف تجولْ
انت اكل الخبز لا تعرفهُ	كيف يجري فيك ام كيف يؤولْ (١

واضفنا الى ذلك قول احد كبار الفلاسفة : « ان كان عقلي يدرك كلّ اسرار الله لم يَعد الله الهاً اذ يحيط علمي القصير بالذات الالهية غير المتناهية »

وعليهِ فلا معنى للنتيجة الاخيرة التي ختم بها الهلال كلامهُ حيث قال : « فالاولى بنا اعتبار كلٍّ من العلم والدين مستقلًا بنفسهِ نستعين بالواحد على الدنيا وبالآخر على الآخرة » كانَّ جنابهُ يقول : « ان النفس والجسد مبدأان مستقلَّان فهما اذًا متناقضان ولنفصلهما لنستعين بالواحد على المحسوسات وبالآخر على المعقولات » . فزِهْ زِهْ لعالم بارع يخبط مثل هذا الخبط ويغوي الناس بمثل هذا اللّغط

---

١) اعلم انَّ استحالة الخبز والمآكل الى جسم الانسان من اسرار الطبيعة التي لم يُحسن العلماء شرحها الى يومنا هذا . أَفيصعب على الله عزَّ وجلَّ ان يفعل بكلمة من فيهِ الالهي ما تصنعهُ فينا الطبيعة كل يوم فيغير ابن الله جوهر الخبز الى جوهر جسدهِ الطاهر مع بقاء اعراض الخبز ؟

سبحانهُ وتعالى . فليراجع ما كتبهُ كمال الدين الافغاني في يقين كل ذي دين بانَّ امَّتهُ اشرف الامم وكلّ مخالف لهُ فعلى ضلال مبين. (رسالتهُ في ابطال مذهب الدهريّين ترجمة الشيخ محمَّد عبده ص ١٤ و ١٧) . ولعلَّ صاحب الهلال كتب ما كتب ليصيب قولهُ حظًّا عند قرّائهِ غير النصارى ولكن ساء ما ظنَّ فانّ كلامهُ المذكور يثير بالاحرى شحناء النصارى واليهود والمسلمين عليهِ اذ يتحقّقون انهُ يعاملهم معاملةً واحدة من الصدق او الكذب اعني انَّهُ يسخر بهم جميعًا . كيف لا وقد زاد انَّ هذه الاديان « تعلّم تعاليم عديدة تناقض الحقائق الطبيعيَّة » فمن منهم يسلّم لهُ بذلك وترى علماء الاديان المذكورة قد أَلَّفوا التآليف الجمَّة ليبيّنوا انَّ تعاليمهم كلها صادقة تطابق العقل ليس فيها شيء يخالف الصواب

وزاد صاحب الهلال ضغثًا على ابَّالة لمَّا ذكر المعجزات في جملة الامور التي تناقض الحقائق العقليَّة . فناشدتك الله ايها الفيلسوف النحرير تُرى اي مناقضة تجدها بين المعجزات والحقائق العقلية ؟ وما هي هذه الحقائق العقلية التي تنقضها المعجزات ؟ . فان المعجزة هي حادث تعجز عنهُ القوى البشريَّة ولكن أليس فوق القوى البشريَّة قوَّة اخرى تستطيع عمل ما يقصر عنهُ البشر ؟ وماذا يمنع هذه القوَّة العليا ان تفعل في بعض الاحيان لاسباب صوابيَّة ما لا تستطيع قوى الطبيعة العاديَّة ؟ أَلعلَّ صاحب الهلال يقول ان الله ليس بحرّ في إجراء هذه الاعمال الخارقة او انَّهُ ليس قادرًا عليها ؟ . لا نخالهُ يتجاسر على احد هذين القولين . وان زعم ان المعجزة تنفي الحقيقة العقلية سألناهُ ماذا ينتفي منها ؟ . أيبطل كون النار محرقةً اذا شاء الله عزَّ وجل ان يصدَّ فعلها عن بعض اوليائهِ كما فعل للفتيان الثلاثة في بابل ؟ أَو يزعم احد ان البكم يتكلَّمون والعميان ينظرون لان المسيح لذكرهِ السجود أَعاد النطق لبعضٍ منهم وفتح أعين غيرهم ؟ فاي حقيقة عقليَّة تبطل في كلّ هذه الحوادث وغيرها ؟ . فسقطت اذًا حجة صاحب الهلال ليس فقط بازاء النصارى لكن ايضًا عند كلّ ذوي الاديان

ثمَّ وجَّه جنابهُ سهمًا طائشًا الى ديانتهِ النصرانيَّة فقال : « ناهيك عن كثير من الاعتقادات المشهورة عند بعض الطوائف كالاستحالة والتثليث ونحوها فهذه كلها تخالف الحقائق العلمية » . فللّه درّهُ من نصراني اديب يجهل ما يعرفهُ صغار مدارسنا وهو انَّ الاسرار كالاستحالة والتثليث لا تناقض الحقائق العقلية وان كانت تفوق عقلنا . امَّا

قيل لهُ ان الملوك لا يقرأون كتاباً غير مختوم فاتخذ خاتماً من ورق وجعل نقشهُ « محمَّد رسول الله » . فلمَّا توفي صلى الله عليهِ وسلم لبسهُ ابو بكر بعدهُ ثمَّ لبسهُ عمر بعد ابي بكر ثم لبسهُ عثمان بعد عمر فوقع منهُ في بئر فلم يقدر عليهِ واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيم لكل خاتم نقش يخصهُ وبقي الامر على ذلك الى انقراض الخلافة في بغداد

البُرْدة — هي بردة النبي صلى الله عليهِ وسلم التي كان الخليفة يلبسها في المواكب . قال ابن الاثير: وهي شملة مخطَّطة وقيل كساء اسود مربَّع فيهِ صُفر وقد اختُلف في وصولها الى الخلفاء . فحكى الماوردي في الاحكام السلطانيَّة عن أَبان بن ثعلب: ان النبي صلى الله عليهِ وسلم كان وهبها لكعب بن زهير حين امتدحهُ بقصيدتهِ « بانت سعاد » فاشتراها منهُ معاوية. والذي ذكر غيرهُ ان كعباً لم يسمح ببيعها لمعاوية وقال: «لم اكن لأُوثر بثوب رسول الله احداً . فلمَّا مات كعب اشتراها معاوية من ورثتهِ بعشرة آلاف درهم . وحكى الماوردي ايضاً عن حمزة بن ربيعة ان هذه البردة كانت اعطيت لاهل أَيلة اماناً لهم فاخذها عبد الله بن خالد بن ابي اوفى وهو عامل عليهم من قبل مروان بن محمد آخر خلفاء بني اميَّة وبعث بها اليهِ وكانت في خزانتهِ حتى أُخذت بعد موتهِ . وقيل اشتراها ابو العبَّاس السفَّاح اول خلفاء بني العبَّاس بثلثمائة دينار

القضيب — وهو عود كان النبي صلى الله عليهِ وسلَّم يأْخذهُ بيدهِ . قال الماوردي: وهو من تركة النبي صلى الله عليهِ وسلَّم التي هي صدقةٌ . (قلتُ) وكان القضيب والبُرْدة المتقدّما الذكر عند خلفاء بني العبَّاس ببغداد الى ان انتزعها السلطان سنجر السلجوقي من المسترشد بالله ثمَّ اعادها الى المقتفي عند ولايتهِ في سنة خمس وثلثين وخمس مائة (١١٤١ م) . والذي يظهر انها بقيت عندهم الى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة (١٢٥٨م) فان مقدار ما بينهما مائة واحدى وعشرون سنة وهي مدَّة قريبة بالنسبة الى ما تقدَّم من مدَّتها

ثياب الملوك (١ — وقد ذكر السلطان عماد الدين (ابو الفداء) صاحب حماة في تاريخهِ في الكلام على ترجمة الملك السعيد اسمعيل احد ملوك بني ايوب باليمن انهُ ادَّعى انهُ من بني اميَّة ولبس ثياب الخلافة . ثمَّ

١) راجع ما كتبهُ ابن خلدون في المقدّمة في طراز الملوك (ج ٢ : ٥٧ من طبعة باريس)

شعار المالك الاسلامية

نقلًا عن كتاب صبح الاعشى للقَلْقَشندي

عُني بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

اقتطفنا هذه النبذة المستملحة من كتاب عزيز الوجود يتضمَّن خلاصة الفنون الادبية والعلوم العربيَّة يدعى صبح الاعشى في كتابة الانشاء . ومؤلف هذا الكتاب النفيس هو الامام شهاب الدين ابو العبَّاس احمد بن علي بن احمد . ولد في قَلْقَشند وهي قرية من عمل قَليوب في مصر ونزل القاهرة وكان شافعياً يكتب في ديوان انشاء القاهرة لملوك مصر المعروفين بالشراكسة . وكانت وفاتهُ سنة ٨٢١ ﻫ (١٤١٨م) . وقد ذكر لهُ الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون (طبعة لندرة) كتابين متشابهين اسماً ومعنًى . احدهما نهاية الادب في معرفة قبائل العرب والثاني نهاية الارب في معرفة انساب العرب امَّا كتاب صبح الاعشى فهو من اجزل الكتب العربية نفعاً اودعهُ صاحبهُ فوائد لا تحصى . قال الحاج خليفة : « هو على سبعة اجزاء كلٌّ منها مجلد كبير في صناعة الانشاء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الَّا ذكرها وجعل باباً مخصوصاً بعلم الخطّ وادواتهِ » . وهذا الكتاب مع كثرة منافعهِ لا يوجد منهُ نسخة كاملة . ومنهُ اجزاء متفرقة في بعض المكاتب الاوربيَّة وفي الكتبخانة الخديويَّة (٤:٢٧٨) . وفي مكتبتنا الشرقية نسخة تحتوي على اكثر اقسامهِ نقلها بيدهِ المرحوم رزق الله حسون وهي غاية في الاتقان . والعلَّامة المستشرق ڤوستنفلد قد نقل الى اللغة الجرمانيَّة مختصر وصف القلقشندي لبلاد مصر فنشرهُ بالطبع في غوتا سنة ١٨٧٩ م ل . ش

فصلٌ في شعار المالك الأُولى (١

الخاتم (٢ والاصل فيهِ ما ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليهِ وسلم

١) ورد هذا الفصل في الباب الثاني من المقالة الثانية من كتاب صبح الاعشى (ج٢ ص٩٠٠ من نسخة مكتبتنا) . ومدار هذا الباب على « الخلافة وما انطوت عليهِ من الملك في القديم وما كانت عليهِ من الترتيب » . وقد قدَّم القلقشندي على هذا الفصل نبذةً بيَّن فيها انَّ الخلافة لابتداء الامر كانت جارية على السذاجة والقرب من الناس واطّراح الجبلاء واحوال الملوك الى زمن معاوية فاقتضى الحال في زمانهِ اقامة شعار الملك واظهار أُبَّهة الخلافة فجرى بنو اميَّة على مثال معاوية واقتفى بنو العباس ببني اميَّة . وكذا جرى في الدول الاسلامية في مصر وغيرها

٢) راجع في ذكر الخاتم واصلهِ وتقلُّب احوالهِ ما ورد في مقدمة ابن خلدون (ج ٢ ص ٥٣ من طبعة باريس) وهي طرفة حسنةٌ كثيرة الفوائد

الوقار . وهو تاجٌ يركب بهِ الخليفة في المواكب العظام وفيهِ جوهرة عظيمة تُعرف باليتيمة زنتها سبعة دراهم ولا يقوم عليها (كذا) لنفاستها وحولها جواهر اخرى دونها . يلبس الخليفة هذا التاج في المواكب العظام مكان العمامة

قضيب الملك — وهو عود طولهُ شبر ونصف ملبَّس بالذهب المرَّصع بالدر والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام

السيف الخاصّ — الذي يحمل مع الخليفة في المواكب يقال انهُ كان من صاعقة وقعت وحصل الظفر بها فعُمل منها هذا السيف . وحليتهُ من ذهب مرصع بالجواهر وهو في خريطةٍ مرقومة بالذهب لا يظهر الَّا رأسهُ . ولهُ امير من اعظم الامراء يحملهُ عند ركوب الخليفة في المواكب

الدَّواة — وهي دواة مُتَّخـذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان على صلابتهِ ومناعتهِ تُلفُّ في منديل شرب (١ ابيض ويحملها شخص من الاستاذين في الموكب امام الخليفة تكون بينهُ وبين السرج ثم جُعل حملهـا لعِدلٍ من العدول المعتبرين

الرمح — وهو رمح لطيف في غلاف منظوم باللؤلؤ ولهُ سنان مخصَّر بحلية الذهب ولهُ شخص مختصّ بحملهِ

الدرقة (٢ — وهي درقة كبيرة بكوابج (٣ من ذهب يقولون انها درقة حمزة عمّ النبي صلى الله عليهِ وسلم وعليها غشاء من حرير ويحملها في الموكب امير من اكابر الامراء لهُ عندهم جلالة

الحافر — وهي قطعة ياقوت احمر في شكل الهلال زنتها احد عشر مثقالًا ليس لها نظير في الدنيا تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير وبدائرها قصب زمرد ذبابيّ (٤ عظيم الشان يجعل في وجه فرس الخليفة عند ركوبهِ في المواكب

١) الشَّرْب (مولَّدة) هو الحرير ٢) الدرقة الترس من الجلود بلا خشب او هي الدرع

٣) الكوابج جمع كوبج وهي السيّور اصلها من التركيَّة قوبچيه

٤) قال التيفاشي في وصفهِ : « ان الزمرُّد الذبابي اعلى صناف الزمرُّد واثمنها وافضلها في جميع الخواص وهو اخضر مغلوق اللون جدًّا لا يشوب خضرتهُ شيء آخر من الالوان حسن الصبغ جيّد المائية . وانَّما سمّي الذبابي لتشبهِ الذباب الذي يوجد في الربيع في الورد وهو احسن ما يكون في الخضرة »

قال : « وكان طول الكم يومئذٍ عشرين شبرًا » فيحتمل انهُ اراد زمن بني اميَّة او انَّهُ اراد زمن بني ايوب

اللون في الاعلام والخلع ونحوها (١ وكان شعار بني اميَّة من الألوان الخضر . فقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد المتقدّم ذكرهُ انهُ حين ادَّعى الخلافة وانهُ من بني اميَّة لبس الخضرة وهذا صريح انهُ شعارهم . امَّا بنو العبَّاس فشعارهم السواد وقد اختُلف في سبب اختيارهم السواد فذكر القاضي الماوردي في كتابهِ الحاوي الكبير في الفقه ان السبب في ذلك انَّ النبي صلى الله عليهِ وسلم في يوم حنين ويوم الفتح عقد لعمّهِ العبَّاس رض راية سوداء . وحكى ابو هلال العسكري في كتابهِ الاوائل ان سبب ذلك ان مروان بن محمد آخر خلفاء بني اميَّة حين اراد حرب ابراهيم ابن محمد العبَّاسي اول القائمين من بني العبَّاس بطلب الخلافة قال لشيعتهِ : لا يهولنَّكم موتي فاذا تمكنتم من امركم فاستخلفوا عليكم ابا العبَّاس » يعني السفَّاح . فلمَّا تغلَّب لبس شيعتهُ عليهِ السواد فلزمهم ذلك وصار شعارًا لهم

ومن غريب ما وقع ممَّا يتعلَّق بذلك ما حكاهُ ابن سعيد في المغرب انَّ الظافر الفاطمي احد خلفاء مصر لمَّا مات بعث نساء الخليفة شعورهنَّ طيَّ الكتب الى الصالح طلائع بن زريك وهو يومئذٍ والٍ بمنية بني خصيب فحضر اليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح واقام الرايات السود اظهارًا للحزن على الظافر ودخل القاهرة على ذلك . فكان ذلك من الفال العجيب وهو ان مصر انتقلت الى بني العبَّاس بعد خمس عشرة سنة ورُفعت راياتهم السود بها

فصل في الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام (٢

التاج وكان يُنعت عندهم بالتاج الشريف ويعرف بشدة

---

١) قال الحسن بن عبد الله في كتاب آثار الاوَل في ترتيب الدول (ص١٠٢) : « وكانت للنبي صلى الله عليهِ وسلَّم راية من صوف اسود وكانت لهُ راية سوداء تسمَّى العُقاب يروى انَّها ركزت على جبل دمشق على الثنيَّة فسُمّيت بها وهي ثنيَّة العُقاب . وكان لهُ عم ألوية بيض وكانت اعلام بني اميَّة حُمر وكلّ من دعا الى الدولة العلويَّة فعلَمهُ ابيض ومن دعا الى بني العبَّاس فعلَمهُ اسود وكذلك الخلفاء والملوك » راجع ايضًا ما كتبهُ ابن خلدون في الروايات في مقدَّمتهِ (ج٢ص٤٢)

٢) هذا الفصل ورد في الصفحة ١٠٣١ من الجزء الثاني من نسختنا . والمؤلف قد خصَّ هذه الآلات الملوكية بزمن الخلفاء الفاطميين بمصر . وقال فيها انَّها اصناف متعدّدة فذكر منها ما ذكر

راية يحملها احد وعشرون فارسًا من صبيان الخليفة وحاملها ابدًا راكبٌ بغلةً

المذبّتان (١ وهما مذبّتان عظيمتان كالنخلتين ملويّتان محمولتين على راس فرس الخليفة في الركوب

السلاح الذي يحملهُ الركابيّة حول الخليفة وهو صماصم (٢ مصقولة ودبابيس ملبسة بالكيمُخْت (٣ الاحمر والاسود ورؤوسهما مدوّرة ولتوت (٤ حديد كذلك ورؤوسها مستطيلة وهي عُمد حديد طول ذراعين مربّعات الاشكال بمقابض مدوَّرة بعدّة معلومة من كل صنف وستمائة حربة باسنَّة مصقولة تحتها جِلب الفضة وثلثمائة درقة بكوابج فضّة. يحمل ذلك في الموكب ثلثُمائة عبد اسود كلّ عبد حربتان ودرقة واحدة وستون رمحًا طول كل واحد منهم سبع اذرع برأسها طلعة وعقبها من حديد يحملها قوم يقال لهم السريريّة يفتلونها بايديهم اليمنى فتلًا متدارك الدوران ومائة درقة لطيفة ومائة سيف بيد مائة رجل كل واحد درقة وسيف يسيرون رجّالة في الموكب وعشرة سيوف في خرائط ديباج احمر واصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم تكون في اعقاب الموكب برسم ضرب الاعناق اذا اراد الخليفة قتل احد. وذلك كله خارج عمّا يخرج عن خزانة التجمُّـل برسم الوزير واكابر الامراء وارباب الرتب وازمّة العساكر لتجمُّلهم في الموكب وهي نحو اربعمائة راية مرقومة الاطراف وباعلاها رمامين (٥ الفضة والمذهّبة وعدّة من العمّاريّات (٦ وهي شبه الكبخاوات ملبسة بالحرير الاحمر والاصفر والقرمزي وغير ذلك وعليها كواسج الفضة المذهّبة لكل امير من اصحاب منها عماريّة ويختص لواءان على رمحـين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان امامهُ في الموكب. الى غير ذلك من الآلات التي يطول ذكرها ويعسر استيعابها

النقّارات (وهي الطبول) وكانت عشرين بغلًا على كلّ بغل ثلث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات تسير في الموكب

الخيام والفساطيط (٧ وكان من اعظم خيمهم خيمـة

١) المذبّة كالمروحة يُطرد بها الذباب ٢) الصماصم السيوف ٣) هو نوع من الجلد
٤) اللّتّ جمعهُ لتوت الحُرزة والعود ٥) الرمامين جمع رمّانة ٦) العمّاريّة شبه الهودج
٧) قال القلقشندي في وصفها (ص ١٠٧٩): «هي خيام عظيمة الشان مختلفة المقادير والصنعة من القطن الشامي الملوّن بالابيض والاحمر والازرق وغيرها وكذلك من الجوخ المختلف الالوان ممّا يدهش بحسنهِ العقول لينوب مناب قصورهم في الاقامة» (راجع المقريزي الخطط والآثار ١: ٤٧٧)

المظلّة (١ التي تُحمل على رأس الخليفة عند ركوبهِ وهي قبّة على هيئة خيمة على رأس عمود كالمظلة التي يركب بها السلطان الآن وكانت اثني عشر شوزكًا (٢ كل شوزك شبر وطولهُ ثلاثة اذرع وثلث وآخرهُ من اعلاهُ دقيق للغاية بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكًا في رأس عمود بدائرهِ وعمودها قنطاريّة من الراب(٣ ملبسة بانابيب الذهب.وفي آخر انبوبة ثلثي رأس العمود ملكةٌ (كذا) بارزةٌ مقدار عرض ابهام تشدّ آخر الشوازك في حلقة من ذهب وتنزل في رأس الرمح ولها عندهم مكانة جليلة لعلوّ راس الخليفة. وحاملها من اكبر الامراء: قال ابن الطوير: وكان من شرطها عندهم ان تكون على لون الثياب التي يلبسها الخليفة في ذلك الموكب لا يخالف ذلك

الاعلام (٤ واعلاهما اللواءان المعروفان بلوائَي الحمد وهما رمحان طويلان ملبَّسان بانابيب من ذهب الى حد اسنتهما وباعلاهما رايتان من الحرير الابيض المرقوم بالذهب ملفوفًا على الرمحين غير منشورين يخرجان لخروج المظلة الى اميرين معدَّين لحملهما ودونهما رمحان برؤسهما اهلّة من ذهب صامتة في كل واحد منهما سَبُعٌ من ديباج احمر واصفر وفي فمهِ طارة مستديرة يُدخل فيهما الرمح فيفتحان فيظهر شكلهما يحملهما فارسان من صبيان الخاصّة. ووراءهما رايات لطاف ملوّنة من الحرير مرقوم عليها « نصرٌ من الله وفتحٌ قريب » طول كل راية منهما ذراعان في عرض ذراع ونصف في كلّ واحدة ثلاث طرازات على رماح من القنا عدتها ابدًا احدى وعشرون

١) تُدعى ايضًا جِترًا او شِترًا. وصفها القلقشندي في محل آخر (ص ١٠٧١) بقولهِ: « هي قبّة من حرير اصفر مزركش بالذهب وعلى اعلاها طائر من فضّة مطلاة بالذهب تُحمل على رأس السلطان في العيدَين (عيد الفطر وعيد الاضحى) ». قال صاحب آثار الاوّل (ص ١٠٣): « الجتر كالقبّة الصغيرة مرتفع في الهواء على رمح يحملهُ من يسير قريب الملك بحيث يظلّهُ من الشمس ويكون من الديباج والحرير

٢) الشوزك لفظة اعجمية يُراد بها الحَرْبة والسارية

٣) القنطاريّة (Κοντάριον) الوتد وقناة الرمح. والراب صنف من الخشب

٤) وصفها القلقشندي في باب آخر قال (ص ١٠٧٩): « هي عدّة رايات منها عظيمة من حرير اصفر مطرّزة بالذهب عليها القاب السلطان واسمهُ وتسمّى العصابة. ومنها راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمّى الجاليش. ورايات صفر صغار تسمّى السناجق. وكان اول من حمل السناجق على رأسهِ من الملوك غازي بن زنكي اخو السلطان نور الدين صاحب الشام »

وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين بني اميّة وبني العبّاس حين كانت الخلافة قائمة

الغاشية — وهي غاشية سَرج من اديم مخرّزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تُحمل بين يديهِ عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والاعياد ونحوها يحملها الركابداري رافعها على يديهِ يلفتها يمينًا وشمالًا وهي من خواصّ هذه المملكة

الرَّقبة — وهي رقبة من اطلس اصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الاطلس لتراكم الذهب عليها تُجعل على رقبة الفرس في العيدين والميادين من تحت اذني الفرس الى نهاية عُرْفِهِ وهي من خواص هذه المملكة

الجفتة (١ — وهما اثنان من اوشاقيّة (٢ اصطبلهِ قريبان في السنّ عليهما قباوان اصفران من حرير بطراز مزركش وعلى رأسيهما قبعان من زركش وتحتهما فرسان اشهبان برقبتين وعدّة نظير ما السلطان راكب بهِ كأنّهما معدّان لان يركبها. يركبان امامهُ في اوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك وهما من خواصّ هذه المملكة

الطبلخاناة — وهي طبول متعدّدة معها ابواق وزمر يختلف اصواتها على ايقاع مخصوص تُدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب في الاسفار والحروب وهي من الآلات العامّة لجميع الملوك . ويُقال انّ الاسكندر كان معهُ اربعين حملًا طبلخاناة . وقد كتب ارسطو في كتاب السياسة الذي كتبهُ للاسكندر انّ السرَّ في ذلك إرهاب العدوّ في الحرب . والذي ذهب اليهِ بعض المحقّقين انَّ السرّ في ذلك ان في اصواتها تهييج للنفس عند الحرب وتقوية الجاش كما تفعل الابل بالحداء ونحو ذلك

الكوسات — وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يُدقُّ باحدها على الآخر بايقاع مخصوص. ومع ذلك طبول وشبَّابة يُدق بها مرّتين في القلعة في كلّ ليلة ويُدار بها في جوانبها مرَّة بعد العشاء الاخرة ومرَّة قبل التسبيح على المآذن وتسمَّى الدورة بذلك في القلعة (كذا) واذا كان السلطان في السفر يدور حول خيامهِ

١) من الفارسيّة جفت اي مضاعف ٢) الاوشاقيّ ويُقال اوجاقيّ هو خادم السلطان وهي تركيَّة

تُعرف بالقاتول طول عمودها سبعون ذراعاً باعلاهُ سفرة فضة تسع راوية ماء وسعتها ما يزيد على فدّانين في التدوير وسمِيت بالقاتول لان فرّاشًا سقط من اعلاها فمات

(قلتُ) ولعمري ان هذه لاثرة عظيمة تدلُّ على عظيم مملكة وقوَّة قدرة وانّى يتأَتى مثل هذه الخيمة لملك من الملوك وان جلَّ قدرهُ وعظُم شأْنهُ

فصل في ذكر رسوم الملك وآلاته (١

بعضها عام في الملوك او اكثرهم وبعضها خاصّ بهذه المملكة (يريد السراكسة)

﴿ سرير المُلك ﴾ ويقال لهُ تخت المُلك وهو من الامور العامَّة للملوك. وقد تقدَّم ان اول من اتخذ مرتبة للجلوس عليها في الاسلام معاوية رض حين بَدَنَ. ثمَّ تنافس الخلفاء والملوك بعده في الاسلام في ذلك حتى اتخذوا الاسرَّة وكانت اسرَّة خلفاء بني العبَّاس ببغداد يبلغ علوّها نحو سبع اذرع. وهو في هذه المملكة منبر من رخام بصدر ايوان السلطان الذي يجلس فيهِ وهو على هيئة منابر الجوامع الَّا انَّهُ مستند الى الحائط وهذا المنبر يجلس عليهِ السلطان في يوم مهمّ كقدوم رسل عليهِ ونحو ذلك وفي سائر الايام يجلس على كرسي من خشب مغشًّى بالحرير اذا ارخى رجليهِ كادتا تلحقا الارض وفي داخل قصورهِ يجلس على كرسي صغير من حديد يُحمل معهُ الى حيث يجلس

﴿ المقصورة (٢ ﴾ للصلاة في الجامع وقد تقدَّم في الكلام على ترتيب الخلافة انَّ اول من اتخذهـا في الاسلام معاوية وقد صارت سنَّة لملوك الاسلام بعد ذلك تميزًا للسلطان عن غيرهِ من الرعيَّة. وهي في هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر متخذة من شبَّاك حديد محكمة الصنعة يصلي فيها السلطان ومن معهُ في اخصاَّء خاصكيَّتهِ (اي حاشيتهِ) يوم الجمعة

﴿ نقش اسم السلطان ﴾ على مـا يُنسج ويُرقم من الكسوة والطُرُز المتخذة من الحرير او الذهب بلون مخالف للون القماش او لتصير الثياب والطرز السلطانيَّة مميّزة عن غيرها تنويهاً بقدر لابسها من السلطان ومن يشرّفهُ بلبسها عند ولاية وظيفة او انعام او غير ذلك. ولذلك دارٌ مفردة بعملهِ بالاسكندريَّة تُعرف بدار الطراز

١) هذا الفصـل ورد في الجزء الثاني من نسختنا (ص ١٠٧٧). وقد ضربنا عن ذكر «المظلَّة» و«الاعلام» و«الخيام» لمرورها في الفصل السابق

٢) المقصورة غرفة صغيرة في داخل الجامع كان يصلّي فيها السلطان ويسمع الخطبة

ولا نرى ابدًا رأيَ العرب في ما ابتدعتهُ مخيَّلتهم المتقدة المتوهّجة في ان الشقائق مضافة الى النُّعمان بن المنذر ملك العراق لانهُ مرَّ بمكان قد انفرش فيهِ هذا الزهر فقال: « ما احسن هذه الشقائق » وامر بحمايتها فنُسبت اليهِ. ولا نرى رأي قوم اخرين منهم الذين زعموا ان المُرادَ هنا بالنُعمان الدمُ تشبيهاً لها بهِ لحمرتها. فهذه كلها من تحكُّماتهم وغرائب اشتقاقهم بعضًا من الحروف لا غير. واننا نُنزل مثل هـذا الاشتقاق منزلة اشتقاق الفُرس لكلمة: « الشاهِسْفَرَم ». التي ذكر عنها الفرس انها سُمّيت بهذا الاسم تلميحًا الى مرض كسرى انوشروان وشفائهِ باستنشاقهِ هذا النبات على ما هدتهُ الى معرفـة خواصّهِ احدى الحيَّات. ومذ ذاك الحين عُرف باسم « شاه إسپَرْغم او إسفَرْغم » اي ريحان الملك او الرَّيحان الملكيّ. امَّا الحقيقة فهي ان الكلمة معرَّبة تعريبًا معنويًّا للفظة βασιλική وسُمّي كذلك لسموّ رائحتـهِ على سائر الرياحين. هذا ولا يغرب على ذهن العاقل ان العرب والفرس اخذوا أسامي كثيرة من اليونان. فمنها ما عرَّبوها معنًى ومنها ما أبقوها على لفظها مع بعض تصحيح. ومعنى النُّعمان باليونانية « المتناثر عند هبوب الريح » وانت تعلم أحسن العلم موافقة هذه التسمية لهذه الشقائق اذ ان شرفاتها تتناثر عنـد أدنى هبوب الريح

٨٦ (العِلَّوْش) قال المجد: العلّوش كسنَّوْر ابن آوى والذئب ودوّيبة وضربٌ من السباع اه. قال ابن فارس: العين واللام والشين ليس بشيء على انهم يقولون العلوش الذئب. قال: « وليس قياسهُ صحيحًا لان الشين لا تكون بعد لام » اه. قلنا: الكلمة يونانيـة معرَّبة عن ἐλλός ومعناهُ الخشف او الرَّشأ وهو الظبي الصغير. ولعلّ المراد بالدوّيبة هذا الولد من الحيوان

٨٧ (الأَرْخُ بالفتح والإِرْخُ بالكسر والأُرْخيُّ بالضمّ والأُرْخيَّةُ بضمّ في الاول وهاء في الآخر والإِراخُ بكسر ففتح والإِرْزَخُ) كلهـا بمعنى واحد « في الاصل ». ثمَّ جاءت اللغات من كسر وفتح وضمّ فبعثتهم الى ان يتوهَّموا فيها فصولًا وفروقًا فأوَّلوها ما اولوها. قال في القاموس: الأَرْخ ويُكسر: الذكر من البقر. والأُرخي بالضمّ: الفتيُّ منهُ. او الإراخ ككتاب: بقر الوحش. والارخية ولد الثَّيْتَل. والأَرْخ (بالزاي المنقوطة الساكنة) لغة في الإرخ اه. قلنا: والكلمة غير عربية بل يونانية معرَّبة عن ὄρυξ ونادرًا ὄρυς وقد حار الافرنج نفسهم في نقلها الى لغتهم وفي تقييد معناهـا. فقد ذهبوا في

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

٨٢ً (القَيْصُومُ) نظنُّ ان هذه اللفظة من اصل يونانيّ وهو Χρυσόμορφος ومعناهُ : « ذو هيئةٍ ذهبيَّة » فنُقل الى اسم هذا النبات المعروف لما في نَورهِ من اللون الذهبي ومنهُ اسمهُ الفرنسيّ aurone اي الذهبيّ . فحُذفت من الاصل احرفٌ لتوزن الكلمة بميزان عربي (١

٨٣ً (الخُرْشقلَّا) ذكر الدميريّ الخرشقلّا (بقـافٍ مثنّاة لا بفاء موحدة) في مظنَّتها . واماً في ترجمة مادة « السمك » فقد ذُكِرت هناك مصحَّفةً بفاءٍ موحَّدة (٢ . ونظنّ ان الرواية الاولى هي الفصحى وانّ الثانية هي من أغلاط هذا الكتاب العديدة . والخرشقلَّا بضمّ فسكون فضمّ ففتح وقافٍ مثنّاة فوقية قبل الكلام . وقال الدميري : ان الخرشقلَّا هو السمك البلطي . والكلمة من اصـل يونانيّ Χρυσοκόλλητος ومعناهُ : « المُلبس ذهباً » وهو عند اليونان اسم السمك البلطي (٣ الذي لون جانبهِ السمرة او الصفرة الذهبيَّة . وهو النوع المسمَّى باللاتينية ما معناهُ : « البلطي الاكبر » rhombus maximus وبالفرنسيَّة ما معناهُ : « البلطي الحقيقي » turbot proprement dit

٨٤ً (الرَّيحان) نذهب في اصلهِ مذهباً يخالف آراء لغويّي العرب قاطبة اذ انهم رأي واحد في ان اسم الرّيحان عربي محض امَّا نحن فنقول انهُ معرَّب عن ὀρίγανος او ὀρίγανον بمعناهُ . فحُذفت الهمزة في الاول كما حذفت في رُزّ واصلها : أَرُزّ . وفي غاريقون واصلها أغاريقون . ومِلّيسيّ واصلها امليسي . وغير ذلك من الامثـال التي اوردناها لك سابقاً والتي نورد لك منها ايضاً ان شئت

٨٥ً (شقائق النعمان) نقول ان النعمان تعريب ἀνεμωνη ومعناها الشقائق .

١) في هذا الاشتقاق تعسُّف ظاهر (ه . ل)

٢) وكذا رواها صاحب مجاني الادب (٧ : ٣٢٥) وضبطها خِرْشَفْلا . وقد عدّها من نوع الضبّ وارتأى انّها ما يدعوهُ الفرنج dragonneau مع ذكرهِ قول الدميري انّها السمك البلطي

٣) لم نجد في المعجمات اليونانية ان هذه اللفظة يُراد بها السمك البلطي . وانما معناها الملبس ذهباً . ومنها الخرشقلّا والخرسوقلّا التي ذكرها ابن بيطار في المفردات وقال انّها لحام الذهب (ه . ل)

مهما كان جنسها. وقلبوا $\varkappa$ في الاول حاء كما قالوا في $\varkappa\alpha\mu\alpha\varkappa\acute{\iota}\alpha\varsigma$ قمحاً وابقوها في الثانية قافاً

٩١ (القِيطُس) ٩٢ (والقاطوس) كلاهما معرَّب عن $\varkappa\tilde{\eta}\tau o\varsigma$ غير ان العرب اطلقوا الكلمة الاولى على صورةٍ من صور النجوم في السماء وأبقوا الكلمة الثانية لهذا الحوت الهائل العظيم الذي يسمُّونهُ ايضاً: «حوت الحيض». قال الدميري: (١ : ٢٤٤) قال ابن زهر: قال لي من رآهُ: «انهُ دابَّة عظيمة في البحر تمنع المراكب الكبار عن السير فاذا أشرف اهل السفينة على العطب رموا لهُ بخرق الحيض فيهرب ولا يقربهم فهي معدَّة معهم لذلك. وهذا الحوت اسمهُ: «الفاطوس». (قال) ومن عجيب أمر هذا الحيوان انهُ لا يقرب مركبًا فيهِ امرأة حائض» اه. — قلتُ. واماَّ القزويني فقد سمَّى هذا الحوت (بالقاطوس) (١ : ٢٢١) بقافٍ مثناة فوقية بدلًا من الفاء كما قال اللغويون «القرزوم» في الفرزوم. وبعكس ذلك قالوا في القِلزّ (بقافٍ مثنَّاةٍ) الفِلزّ (بفاءٍ موحَّدة). وقد رأيت فوَيق هذا ان القاطوس لفظ يُراد بهِ «كلّ صوتٍ عظيمٍ مهما كان جنسهُ او نوعهُ» غير ان العرب خصصوا هذه اللفظة لنوع من هذه الانواع العديدة وهو المسمى اليوم عند الافرنج rorqual, fausse baleine, balei- noptère *et* baleine à ventre plissé وباللاتينية rorqualus وقد استدللنا على ذلك: ١ً من انهم خصَّصوا حرف القطَّا للحوت الحقيقي baleine franche *ou* B. proprement dite وبلسان العلم Balana كما يؤخذ صريحًا من كلامهم عنهُ وتعريفهم اياهُ. ٢ً من العادة الجارية الى يومنا هذا من تعليق خرق الحيض على السفن الشراعية العربية التي تُسافر في بحر الهند وقد رأيت ذلك على ثلث سفن كانت قد رَسَت بقرب البصرة. ورأيت سفينة رابعةً قد صوّر عليها تصاوير مختلفة منقوشة بالحنَّاء عوضًا من هذه الخرق وكان من جملة هذه النقوش صورةُ حوت يريد ابتلاع قمر ورسمُ الكفّ اليمنى في جهات كثيرة من السفينة. وقد استفسرت عن سبب ذلك فقيل لي ان سببهُ الخوف من حوت هائل اوصافهُ كذا وكذا. فعلمتُ من هذه الاوصاف انهُ الحوت المسمَّى عند الافرنج ما معناهُ الحوت الكاذب. وهو حوت الحيض او القاطوس او الفاطوس. وهو كثير الوجود في بحر الهند وخليج فارس. غير ان احد الربابين العقلاء من العرب. قال لي: اننا لا نتخذ شيئًا من هذه الأحراز الخرافية لان العرب انما سموا

تأويلهـا مذاهب لا تقلّ عددًا عن مذاهب العرب . فان منهم من نقلوها في لغتهم بصورة oryx وعرفهُ احدهم محصّلًا فيهِ رأي الأَقدمين قال ما معرَّبهُ : « الأَرخ (oryx) سمَّى القدماء بهذا الاسم حيوانًا من حيوانات افريقيـة لا يعرفون من امرهِ الَّا شيئًا تزرًا وقد ذهبوا فيهِ الى انهُ هو الحيوان الخرافي المعروف باسم الحَريش (licorne) وما هو بالحقيقة الَّا الغزال الافريقي (algazel) . امَّا علماء الحيوان في يومنا هذا فانهم يُطلقون اسم الأَرخ على نوع من بقر الوحش اسمهُ ايضًا : « ثَيْتَل الرجاء الصالح او الفاعوس (chamois du Cap *et* pasan) وهو حيوان اكبر من الآيَل ذو قرنين أعقَدَين مستقيمَين او أَعقفَين قليلًا وهما اطول من رأسهِ وشعرهُ أَسمر اغبر ارقط اه (Bouillet *Dict. des Sciences*. Art. *Oryx*) . ومنهم من ذهب الى ان الارخ هو المسمَّى اليوم عند الافرنج aurochs وهو المعروف باللاتينية باسم bos urus او فقط urus وهو الحيوان الذي يعتبرهُ علماء عصرنا اصل البقر الاصليّ . ومنهم من ذهب الى ان المسمَّى « أُورس » باللاتينيَّة هو البيسون الاوربّي اي البُهْثة لا البيسون الاميركانيّ bos americanus . ومنهم من قال بانهُ هو المسمى عند الفرنسيس thur (راجع هذه الموادّ في معالمها) . والخلاصة ان آراء الافرنج في هذا الصدد متضاربة كتضاربها عند العرب

امَّا اذا سألنا سائلٌ عن رأينا قلنا ان الأَرخ معرَّب ὄρυξ بدون ادنى ريب . امَّا ما هذا الحيوان فهذا ما لا نجزم بهِ لا بل ولا يعنينا واحسن عمل نؤتيهِ ان نسلّمهُ الى علماء الحيوان ليتثبَّتوا حقيقة امرهِ ويطلعوا على دخلة سرّهِ غير انهُ ممَّا نستطيع ان نجهر بهِ ههنا هو ان الارخ ليس بالحيوان المسمى عند الافرنج بالاوركس ولا بالبيسون ولا بالثور وهذا هو رأي أَغلب العلماء المحقّقين الذين اعتمدنا عليهم في هذا الموضوع

٨٨ً (البُهْثَة) البقرة الوحشية معرَّبة عن βίσων اليونانية بمعناها وهو نوع من البقر الوحشي كان موجودًا في سابق الزمان في البلاد المعروفة اليوم باسم بُلغارية وبلاد الروم وشمالي تركية آسيَة . والعرب كثيرًا ما يقلبون الهمزة (ء) هاءً في جميع المواطن من الكلم ومن ذلك الارجان والهرجان . صئك وصَهِك . بدأَهُ وبدههُ

٨٩ً (الحوت) ٩٠ً (والقطّا) كلاهما معرب عن الكلمة اليونانيَّة المجموعة κήτη ومنها باللاتينية cete وبالفرنسية cétacé . ويُراد بهذه اللفظة كل سمكة كبيرة

هي نقطةُ البرهان قد علقت بها | آمالنا فتنوَّرت بسناها
فرعٌ لتحليل القضايا حولهُ | دارت كقطب مدارها ورحاها
وجواذبٌ ودوافعٌ قامت بها | الاجرامُ ساريةً على علياها
فكأنها فلكٌ كبيرٌ حولهُ | دارت كواكبها فعمَّ ضياها
او انَّها حوت الوجود وضُمّنت | من ضمنها الاجسامَ والاشباها
قد سهَّلت صعبَ الطبيعة للملا | فالحَزْن سهلٌ يستقي جدواها
كم قصَّرت هممُ الخاطر عندها | واستصغرت بذكائها عظاها
تجري على مرّ الرياح وعندها | أقصى البلاد بعزمها ادناها
هذه مفاعيل النفوس تجلّ عن | حصر الكلام فليس من احصاها
وسواكن الالفاظ تقصر دونها | ويفوق عن حركاتها معناها
واذا الامور تصعَّبت وتعقَّدت | فبحزمها والعزمِ فكُّ عراها
شاعت محامدها فكم من شاعرٍ | او ناثر في مجدها وعلاها
يسبيك فرط دلالها وجمالها | وكمالها فاعجب بمن سوَّاها

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزفال اليسوعي (تابع لما في العدد السادس)

اهدى الينا جناب شكري افندي ابيلا من تجّار مدينتنا الكرام بعض كتابات اخذ رسومها الطبيعية عن تماثيل نُبشت حديثًا في تدمر. فسرَّنا كوننا فتحنا مجالًا واسعًا يومَ نشرنا اوَّل كتاباتنا فجعل الادباء يبحثون عن مثل هذه الآثار. فلا يسعنا الَّا ان نثني على همّة مواطنينا الاعزاء مع تكرار تحريضهم على صيانة عاديات بلادنا واشهارها بلسان الطبع

(تنبيه) رتبنا هذه الكتابات في سلك الآثار السابقة

هذا الحوت «حوت الحيض» لما هو مشهور عن هذا الحيوان من ولادة ابنائهِ كابناء اللبائن او ذوات الثدي mammifères وليس لانهُ يُطرد بخرق الحيض. ٣ً من انهم عرَّبوا φάλαινα بهذه اللغات العديدة وهي: البالُ والتالُ. والوالُ والقوالُ. الأَبال والاوالُ والافال. وخصصوها للعنبر وهي سمكة معروفة عند الافرنج بلفظة cachalot وعند العلماء بكلمتي physeter macarocephalus فتنبَّه (ستأتي البقيَّة)

حكمة النفس

من قصيدة نظمها العالم المأسوف عليهِ يوسف حبيب باخوس

نظر فيها وعُني بنشرها نجيب باخوس

نفسٌ اباحت للعلوم قواها وتزّينت بالفهم من مبداها
هيهات ترضى بالجهالة خلَّةً فالتيهُ والبهتان دون رضاها
وهي البسيطة والبساطة جوهرٌ خُصَّت بها شبهًا بمن ابداها
تحيا بمفعولاتها وتجلُّ عن عَجْز الهيولى فالنُّهى يأْباها
رغبت عن التركيب مع ذرَّاتهِ وتجرّدت فهناك ما أغناها
تهوى الحقائق بالتصوُّر لُمحة والحكم والبرهان من مرآها
تاهت بكلّيَّاتها واستصغرت حصرَ الطبيعة واستعزَّت جاها
عمَّت شواملُها الوجود فقصَّرت اكوانهُ عن ذكْنها وذكاها
لا تتَّقي شرَّ المنون فانما حُكمُ المهيمن من دهاهُ وقاها
وهناك ميلٌ للدوام وطبعها وبساطة الافكار ضدُّ فناها
افكارها وصفاتها او ذاتها لا ترتضي الاكوانَ حدَّ مداها
وترى الكواكب والنجوم ابيَّةً وتراقب الافلاك في مسراها
لا تحجب الشمسَ الغيومُ فانما الحاظها تجتاز ما واراها
تنبيك قبل خسوفها وكسوفها وتريك كالداني الجلي أقصاها
وتخطّط الأبعاد مع دورانها وتعيّن الارقام في مجراها
لا عرض يعرض دون رؤيتها ولا طولٌ وعمقٌ حال دون مناها

السفر العَجَب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثامن

في ضحيّة البار

واشتدَّت وطأَة المرض على فاضل فنحـل وضني حتى صار من المنيَّة على قاب قوسين. وكان فراشهُ في ذاك الكوخ عبارة عن بعض الهشيم وغاية ما كان يعالجـهُ بهِ رفقاؤهُ الماء البارد مع بعض اعشاب يجمعونها من الشاطئ

امَّا اوليك فكان لا يفارقـهُ اصلًا وكثيرًا ما كان يضع على جبينهِ خرقًا مبلولةً بالماء تسكينًا لحرارة الحمَّى المحرقة او يأْتي بصورة العذراء القديسة ويحملهُ على تقبيلها وطلب شفاعتها القديرة والاتكال على مراحمها الغزيرة. ثمَّ انَّ فاضلًا لمَّا شعر بدنوّ الموت هاجت في نفسهِ البلابل واشتدّ الاضطراب وصارت الحياة عليهِ كثقل يضغطهُ ويتمنى لو امكنهُ ان يخلص منهُ. وكان يتأَسَّف لعـدم وجود كاهن يستطيع ان يكشف لهُ ضميرهُ ويسرد عليهِ مساوئهُ وذنوبهُ في منبر التوبة ولذلك كان يخـاف من ان يظهر امام الديان الرهيب مسودّ الصحيفة. نعم ان اوليك كان يحرّضهُ على الندامة الكاملة ويُفهمهُ انها كافية في مثل هذه الحال ولكن الندامة الكاملة هي عبارة عن محبة الله تعالى من حيث هو لا غير وكيف يمكنهُ ان يندم مثل هذه الندامة وهو الذي فقـد محبَّة الله من زمان طويل. وقد تمثَّل لذهنـهِ في تلك الساعة جميع الذين أَلحق بهم الاضرار بمساعيهِ واعمالهِ الجائرة. ورأَى ان احتكارهُ الحبوب في شيكاغو وتلك الطرق التي استخدمها لاعلاء الاسعار وغير ذلك من الاعمال ما كانت سوى سرقة ولصوصية وان الله سيدينهُ عليها دينونة هائلة تنكشف بها الخبآت وتظهر المكنونات ويقوم اولئك الفقراء والمساكين الذين اضرّهم قائلين: «ردَّ لنا ما سلبتنـاهُ ألا تعلم ان هذا الذهب حشدتهُ وافتخرتَ بهِ هو ثمن أَعراقنا واتعابنا»

ثم اشتدَّ عليهِ البحران وكان يريه جمـاهير الجياع دائرة حول مرقدهِ وهم شاحبو الابدان صفر الوجود غائرو العيون فيجيبهم بصوت مذعر قائلًا: «سأَردّ لكم كل شيء»

ثم مثَّلت لهُ الهواجس أُمورًا اخرى من ماضيهِ فجعـل يصرخ قائلًا: ارى يديّ

الكتابة الثامنة

(عن تمثال رجل جيّد النقش)

חבל	خبل
מלא בר	مالا بن
תימא	تيما

مالا (بامالة الالف الى اليـاء نحو Malê) اسم معروف ورد من بضع كتابات (طالع مثلًا V, n° 7 حيث وردت صورتهُ اليونانية Μάλης و J.A. 1897² p. 327 و 1898 ² p. 85 وغيرها) وهو مشتقّ من اصل مشهور في الآرامية اي ܡܠܐ (ملأ) ومعناه المالئ او المتمِم او المكمِل. وانمــا اعتبرناه فاعلًا لان اللام ليست مشددة في صورتهِ اليونانية. ولذا حركناه Μάλης لا Μαλῆς. والله اعلم. واما تيما فقـد مرّ شرحهُ في تفسير الكتابة السادسة

الكتابة التاسعة

(عن تمثال رجل متقن الصنع)

חלפתא	خَلَفْتا
בר תימא	بن تيما
חלפתא	(بن) خَلَفتا
חבל	خبل

خلَفتا (بتركيخ التاء) اسم مذكَّر يعزّ ورودهُ في العاديات. وقد اشار الى صورتهِ اليونانيَّة Ἀλάφθα العلاَّمة كلرمون غنُّو في كتابهِ المعنون *Etud. d'Arch. orient.* I p. 109 وفيهِ اتى على شرحهِ. (قابل ايضاً V. n° 9)

والمظنون عندنا ان خَلَفتــا ومالا السابق الذكر هما اخوان من ابٍ واحد اي تيما اولًا لان التمثالين متشابهان من حيث طرز الصنع واحكامهِ. وثانيًا لانهمــا وُجدا في مكان واحد (ستأتي البقيَّة مع صور الكتابات)

ثمَّ طلب فاضل شيئًا من المأكل ليسدّ بهِ جوعهُ وكان مذ خمسة ايام لم يذُق طعامًا.
فلمَّا تناولهُ مدّ يدهُ الى يد أُولريك فضغطها بيانًا لشكرهِ وقال: «جازاك الله عني يا صديقًا صدوقًا كلَّ خير». امَّا اندرسون وهاريس فانَّهما تأثَّرا من هذا المشهد واثنيا على شهامة أُولريك وكرم طباعهِ واستدلَّا بنوعٍ حسّي على صحَة ديانتهِ التي ارشدتهُ الى مثل هذه الاعمال الخيريَّة التي تفوق القوى البشريَّة

ومذ ذاك الحين ثاب جسم فاضل فأَبلّ من مرضهِ. غير انَّ صحَّتهُ لم تزل تقتضي عناية خاصَّة وكان أُولريك قائمًا في خدمتهِ كانَّهُ احدى راهبات المحبَّة يخدمهُ في كل حاجاتهِ بلا فتور ولا ملل

هذا وكان هاريس واندرسون في تلك الاثناء يلحظان من ملامح أُولريك انحطاطًا في قواهُ وتوعُّكًا في مزاجهِ واصفرارًا في لونهِ فسأَلاهُ عن الامر فاجابهما متبسِّمًا: «لا تهتمَّا بحالي فاني عالم بدائي وعمَّا قليل ان شاء الله سوف احظى براحةٍ اتمَّناها ليس فوقها راحة»

فلم يفهم اصحاب اولريك ماذا اراد بقولهِ هذا وأَنفوا ان يستزيدوهُ ايضاحًا

وكان بعد جمعتين انَّ فاضلًا نقه تمامًا من مرضهِ العضال وبرح فراشهُ فاجتمع رفقاؤهُ واقاموا في ذلك اليوم عيدًا قضوهُ بالانس والفرح وكانوا يتذكَّرون كلّ نعمهِ تعالى اليهم مذ انكسرت بهم السفينة الى تلك الساعة وكيف العناية الصمدانية جمعت شتاتهم. وكان اولريك يوجّه بالحاظهم الى ربّ الكون وابي المراحم ليثير في قلوبهم عواطف الشكر للمنَّان

ولمَّا كان مساء ذلك النهار اذ جنحت الشمس الى الغروب اجتمع الاصدقاء ثانيةً وخاضوا في بحر الحديث. وكان أُولريك ساكتًا وعلى وجههِ المتقع أَمارات الضنك كانَّ قواهُ اوشكت ان تخور ورباطات جسمهِ ان تنحلّ. وكان يعير اصحابهُ سمعًا وثغرهُ باسم يفرح لفرحهم وينسى ما هو عليهِ من الضعف

فلمَّا رآهُ اندرسون ساكتًا احبَّ ان يسمعهُ فيشنِّف آذانهُ وآذان هاريس بكلامهِ العذب. فسأَلهُ ان يبيّن لهما صحَة دينهِ ويزيل ما تشرَّبهُ روحهما منذ نعومة الاظفار من البغض للدين الكاثوليكي

فما سمع أُولريك هذا الكلام حتى استنار وجههُ واحمرَّت وجنتاهُ واتَّقدت عيناهُ

ملطَّختين بالدم فمن اراق عليهما دماً ؟ . . تعساً لك يا نسيب وسحقاً . . . أفأترك بروسپر اولري . . . ويلٌ لي كيف خنتُ منقذي . . تعالي ايتها الراهبة جانّ ماري تعالَ يا اولريك الى معونتي . . . وهذا الخنجر لماذا يلمع في هذه الزاوية . ألا اعطوني هذا الخنجر . . . تبًّا لك يا نسيب . . . اني أرى هنـــا جثةً . فمن الذي اذاقها . . . اني أطأُ تحت قدمي الاموات . . . آه ما اشرَّني كيف قتلت شبيهي . . اتنزلني ايها القبطان في باخرتك . . ولكن لا توجد بواخر للسفر . . آه يا اولريك اين انت

وكان فاضل اثناء تلفُّظهِ بهذه الجمل المتقطِّعة المذكِّرة بمـــا جرى لهُ من الحوادث التي عرفها القراء يتلوَّى ويتشنَّج وينتف شعرهُ بينما ان اولريك كان قائماً بجانبهِ مرتعدًا وقد ظهرت عليهِ علائم الشفقة والتألُّم . فلمَّا سمع قولهُ : « اين انت يا اولريك » اجابـــهُ حالًا : « اني هنا قائم امامك فمُرْ بما تشاء وتريد »

فكانت عين فاضل تقرّ لمنظر هذا الملك الارضي فتسكن حركاتهُ ويهدأ اضطرابهُ

الّا انَّ نوبات المرض اخذت تتوالى على المريض فخيَّمت عليهِ حمَّى خبيثة وتخوَّنت جسمهُ حتى ايس اصحابهُ من شفائهِ وكانوا يتوقَّعون من ساعة الى أُخرى انقضاء اجلهِ . وبلغ بهم القنوط من نجاتهِ ان اخذ الربَّان اندرسون وهاريس في اعداد تابوتهِ

امَّا أُولريك فما كان يغادر فراش المنـــازع وبينما كان يسمع صوت مطارق رفيقيهِ يعدَّان ألواح التابوت كان هو يستحرّ بالصلاة لاجل خلاص المريض ثمّ اسند رأسهُ الى يديه ساعةً وقام بغتةً ووجهـــهُ يتهلَّل فرحًا فقال : « اشكرك يا ربَّاهُ على انك رضيتَ بتقدمة حياتي فداء عن هذا المسكين »

وبعد برهةٍ من الزمان عاد اندرسون وهاريس فاخذ منهمـــا العجب مأخذهُ اذ وجدا فاضلًا قد اكتحلت بالنوم جفونهُ . فاشار اليهما أُولريك الّا يوقظاهُ بجلبتهما . فاقتربا منهُ ووجدا نفَسهُ منتظماً ومسَّا جبينـــهُ فاذا بالعرق يدرُّ منهُ مع سكون حرارة الحمَّى وانتظام حركة النَّبض . فجثوا بقرب اولريك وقدَّما لعزتهِ تعالى صلاة الشكر على نجاة صديقهما بيد انهما لم يعرفا انَّ شفاء فاضل كان ينذر بوفاة الفتى أُولريك

ولمَّا افاق فاضل من نومهِ شعر بان حيـــاةً جديدة دبَّت في اعضائهِ وكان نظرهُ متَّجهاً الى أُولريك كانَّ لسان حالهِ يقول لهُ : « لولاك لانصرم حبل حياتي » . لكنَّهُ لم يعلم ما قدَّمهُ ذاك الشاب الاريحي من الضحية لله فداءً عنهُ

ارى حالي كأني مدفوعاً الى القول بقوّة عجيبة. قال هــذا وقرأ على رفقائه سلام الليل وأوى كلٌّ الى فراشهِ

فما مرّت بضع دقائق حتى نام الكل الّا أُولريك فانّ خطابهُ الى رفقائه كان زاد في تعبهِ فأحسّ بقشعريرة الحمّى والتهاب الشُّعَب فقضى ليلهُ وهو يتململ على فراشهِ

وفي ضحوة اليوم التالي لمّا قام اصدقاؤهُ من نومهم اتوهُ ليسلِّموا عليهِ ويشكروا لهُ تعاليمهُ في الليلة السابقة فوجدوهُ في اسوإ حال. فاخذوا يلحُّون عليهِ بان يخبرهم ما اصابهُ من الاوجاع لعلّهم يجدون دواء لدائهِ

امّا أُولريك فكان يشكر لهم ودادهم ويسكّن روعهم ويقول:

«لا يهمّكم امري فاني لا اشعر بألم وانّما يناجيني قلبي انني ساترككم عمّا قليل»

اجاب رفقاؤهُ باسف: ما هذا القول يا صاح والى اين رحيلك؟

— اني راحل الى حيث لا يمكنكم ان تتبعوني. وما رحلتي الّا الى دار البقاء

— دع عنك ايها العزيز هذه الافكار المقلقة. انك في ريعان الشباب. ولنــا امل وثيق بانّ مرضك عرضٌ زائل

قالوا هذا واخذوا جميعاً يطلبون لهُ وسائل الراحة فهذا يوطئ مرقدهُ وذاك يأتيــهِ بماء يبرّد غليلهُ وهم لا يرون ان الله يرضى بأن يفصلهم عن هذا الملاك الذي آنسهم في وحدتهم وذكّرهم بنفوسهم وآخرتهم ورفع بالحاظهم الى خالقهم بعد ان كانوا نسوهُ منذ امدٍ مديد

لكنّ مساعيهم لم تُفد كثيراً اولريك بل كان يزيد شحوباً وضنًى وهو مع ذلك يتلقّى الاسقام والاوجاع بوجهٍ بشوش كأنّهُ ينتظر لقاء ربهِ والدخول الى فرح سيّدهِ

فمضى عليهم ذلك الصباح يتنازعهم عاملا الرجاء واليــأس. لكنّ المريض لم يزل يكرّر على مسامعهم عبارات التعزية وهو يؤكد لهم ان ساعتهُ قد دنت

ولمّا كانت الساعة الثانية بعد الظهر اطبقت الحمّى على أُولريك شعر بانّ انفاسهُ معدودة لم يبقَ لهُ الّا بضع دقائق. فدعا رفقاءهُ الى قرب فراشهِ بصوت ضعيف ثمّ قال:

«الوداع الوداع ايها الاخلّاء ها اني اسمع صوت الله يدعوني اليهِ فاقرئكم السلام الاخير. لا تأسفوا عليّ فاني انا لا انساكم ان شاء الله فاصلّي من اجلكم عند الرب اذا ما تعطّف عليّ ومنحني خلاص نفسي كما اني ارجو ذلك من رحمتهِ تعالى وشفاعة العذراء

ثمَّ اندفع في الكلام كأَنهُ سيلٌ زحاف يقوّض في سيرهِ سدًّا او حاجزًا حال دون انحدارهِ الى البطاح فقال :

« ما لكم تسالوني عن ديانتي أَوَ تروني فعلتُ ما فعلتُ الى هذا اليوم لو لم تقوّني مبادئ ديني القويم. فبها اعتصمتُ وايَّاها اتَّبعت فكانت لي نورًا في الظلام وسندًا في ساعات الفشل ولي الرجاء الوثيق انها تكون بعد ايام قلائل تعزيتي وملاذي عند ملاقاة ربّي . . . ناشدتكما الله يا ربّاني اندرسون وانت يا رئيسي هاريس ان تبحثا بحثًا نعمًا في صحة هذه الديانة . . . اني لستُ عالمًا ولا فيلسوفًا ولكن يكفيني شهادةً لمعرفتي صدق ايماني انَّ نيفًا وعشرة آلاف الف من البشر سفكوا دماءهم للمدافعة عنهُ . . وحسبي شاهدًا اني رأيتُ حيثما سرت أُلوفًا من المرسلين والراهبات يضحّون النفس والنفيس في سبيل هذه الديانة ولا يطلبون بدلًا من اتعابهم الَّا ان يموتوا في خدمة القريب بعيدًا عن الاوطان دون تعزية بشريَّة ولا نفع شخصي . . . فاين اين منهم دُعاة الاصلاح الموهوم ونصراء كلوين ولوتار الذين يتاجرون بالدين ويتخذونهُ كوسيلة لمآربهم الذاتية . . . ولو سبرتَ غورهم لوجدتهم بالأَجراء اشبه منهم بالرعاة . . . »

قال أُولريك ذلك ثم جعل يردّد على مسامع رفقائهِ ملخّص العقائد الدينية التي تعلَّمها في حجر والدتهِ ويدافع عن صحّتها على قدر الامكان بحجج قريبة المنال كما هو شأن السذَّج البسطاء.

وكان اصحابهُ في خلال كلامهِ يتعجَّبون من براعتهِ ويندهلون من وضوح براهينهِ ويتخيَّلون انَّ قوة سماويَّة تنطق على لسانهِ ومن ثمَّ كانت نفوسهم تتلقّى بذور الخلاص من فم هذا الملّاح الصغير الذي ما كانوا يكادون يحفلون بهِ قبل اسابيع لمَّا كان يهتمّ باشغال السفينة ويصرف قواهُ في الخدم الشاقَّة. وكانت ساعات تلك الليلة تمرّ عليهم ولا يشعرون بها لما يجدونهُ من اللذَّة في كلام هذا المعلِّم الجديد. اما فاضل فكان في تلك الاثناء يتأَسَّف على سوء اعمالهِ ويلوم نفسهُ على طمعهِ المفرط في تحصيل المال وهو الذي ادَّى بهِ الى فقد الشعائر الدينية التي كانت تعزّي أُولريك

ولمَّا قرب منتصف الليل سكت أُولريك وقال كأَنهُ خجل من صَرْفهِ اصحابهُ عن النوم: « اصفحوا عني لكوني شغلتكم كلَّ هذا الزمن بكلامي البسيط غير اني كنت

مطبوعات شرقية جديدة

STREIFZÜGE DURCH DIE BIBLISCHE FLORA
Von L. Fonck S. J. SS. XIV-167 *Freiburg* 1900

نبذة في نبات التوراة

قد اجتمع منذ نحو عشر سنوات في المانية بعض مشاهير العلماء الكاثوليك وباشروا في نشر مباحث علمية مدارها على الاسفار الالهيَّة وما يتعلّق بها من المطالب الجليلة. ولا يزال نطاق اعمالهم يتسع يومًا فيومًا وينضوي اليهم جلّة من الاساتذة المبرّزين يعضدونهم على تحقيق غايتهم الشريفة. وقد بلغ مجموع مآثرهم الى اليوم خمسة مجلّدات ضخمة تتضمَّن عدة مسائل كتابيَّة حلَّ فيها اصحابها معضلات المشاكل. والجزء الذي نحن في صدده وضعهُ الاب ليوبلد فنك اليسوعي نزيل كليتنا قبل ثلاث سنين. والجزء في اوائل هذه السنة موضوعهُ النبات الذي ورد ذكرهُ في الصحف المقدَّسة. وما نعرفهُ من امر المؤلف انَّهُ واسع العلم كثير الاطّلاع ثابت على الدرس وكان يقضي أوان فراغهِ في جمع اعشاب بلادنا وضروب نباتها. فلمَّا عاد الى بلادهِ ألَّف هذا الكتاب عن نبات التوراة فاودعهُ من علمهِ طُرَفًا. وهو مقسوم الى خمسة فصول بحث فيها عن نبات شواطئ البحر. ثمَّ عن نبات مشارف الجبال ثمَّ اعطاف الرُّبى ومنحدر الجبال ثمَّ نبات الحقول. وختم بنبات الغور بقرب البحر الميت. وفي كلّ هذه الفصول اوصاف دقيقة لعدَّة زهور ونباتات مع ذكر ما ورد من خواصّها في الكتاب الكريم وتطبيقها مع العلوم الحالية ويزيد على منافع هذا التأليف فهرس مطوّل في آخرهِ يقرب اجتناء فوائدهِ

كتاب المنطق العملي

لحضرة الاب الجليل الفاضل الخوري خير الله اسطفان الوكيل البطريركي الماروني في القدس الشريف

هذا الكتاب هو الجزء الثاني من «لُباب المباحث الجدلية في المطالب الفلسفية» الذي سبق حضرة المؤلف الفاضل فنشرهُ بالطبع في مطبعة الاباء الفرنسيسيين سنة ١٨٨٦. وهو يعتبر فيهِ المنطق من حيث هو صناعة وعلم معًا فيبحث في الحقّ والتأكيد والوضوح وفي الطرق التي تمكّن الانسان من الحصول على التأكيد ثمّ

الطاهرة. ثم اني كنتُ اودّ ان اهبكم تذكارًا فلا ارى سوى هذه الصورة التي ورثتها من والدتي وهي لديَّ اثمن من جميع كنوز الارض فاني ادعها بين ايديكم واطلب اليكم ان تكرّموها بعد وفاتي فهي تكون لكم عونًا وملجأً حصينًا في ضيقكم »

قال هذا وجعل يقبّل الصورة بكل حبّ وخشوع. امّا اصحابهُ فلم يتمالكوا نفوسهم وصارت دموعهم تنهمل كأنّها المطر المدرار. ثم انكبُّوا عليهِ واخذوا يلثمون يديه ويتوسلون اليهِ الّا يفارقهم. وكان هاريس يعول صارخًا: السماحَ السماح عن سوء تصرُّفي نحوك ايها الحبيب فكنت درًّا مكنونًا لم اعرف قيمتهُ الّا في هذه الايام القصيرة وها اني افقدهُ من يديَّ ثانيةً »

فتأثر أُولريك من هذه المظاهر وشكر لرقتهِ معروفهم. ثمّ اطبق عينيهِ صامتًا. وكان اصحابهُ يظنون انّهُ لفظ روحهُ لكنّهم وجدوا لقلبهِ حركةً خفيفة. ومن وقت الى آخر كانوا ينظرون شفتيهِ تتحركان كأنّهُ يناجي ربّهُ

فمرّ على المريض بضع دقائق ثمَّ فتح عينيهِ ثانية وانتصب على فراشهِ بغتةً وشخص ببصرهِ الى صورة والدة الاله صارخًا:

« اليَّ اليَّ ايتها البتول الطاهرة.. ما ابهى جلالك... وما اسنى فضلك.. اقبلي في حضنك عبدك الصغير »

قال هذا وسقط على فراشهِ وفاضت نفسهُ البارّة

امّا اندرسون وهاريس وفاضل فكانوا في خلال ذلك غائصين في بحر الأَلم والحزن وهم مع ذلك لا يبدون حراكًا. فلمّا رأوا ملاكهم قد طار الى دار الخلد اصابهم حزن لا يوصف. فبقوا ساعةً يذرفون العبرات السخينة ولم يجدوا سلوانًا الّا في كلام وداعهِ الاخير لهم والنظرِ الى الصورة التي اورثهم اياها

ثمَّ قام اندرسون بكل احترام واطبق عيني الميت واخذ يجهِّزهُ ليُقبر. وفيما هو يفعل اذ وجد على صدر أُولريك ورقة ففتحها فقرأَ هذه الكلمات:

« اللّهم انى اقدّم لك حياتي ضحيّة عن رفقتي الثلاثة في هذه الجزيرة فادعُني اليك ونجِّهم نفسًا وجسمًا »

(ستأتي البقية)

مبلَّطة بالفسيفساء مع كتابات يونانية ورومانيَّة

ومن الاكتشافات الخرافية لصاحب المقتطف ما رواه في عدده الاخير (ص ٢٦٤) عن الشعور بالالوان فزعم ان الشعوب المتمدّنة وحدها تشعر باللون الازرق اماَّ المتوحشون فانهم لا يعرفون هذا اللون مطلقاً لا اسماً ولا جسماً. ومن عجيب براهينهِ انهُ اتى بشواهد لا تصدق فقط على المتوحّشين بل على المتمدّنين كاليونان والرومان. فيا لهُ من علمٍ سامٍ وجهل مركَّب

اقدم شجرة في الارض — هي سنديانة في جزيرة كوس في آسيا الصغرى قيل ان عمرها ٢٩٠٠ سنة يروي اهل ذلك البلد ان بقراط الحكيم الشهير كان يجمع تلامذتهُ تحت ظلّها. وعند جذعها عين فوقها كتابة تذكر هذا الامر. اماَّ دائرة جذر السنديانة المذكورة فتسعة امتار لها ثلاثة فروع كبرى عُذقت بالمساند لقدمها. وقد فحص بعض مشاهير النباتيين من الالمان هذه الشجرة فقدَّر بملاحظة قشرها وأصلها انَّهُ قد مرّ عليها ٢٩ جيلًا

مشكل حسابي يُطلب حلّهُ بالطريقتين الحسابيَّة والجبريَّة — لو دفع لي غرمائي ما يحقُّ لي عليهم لوفيتُ ديوني وبقي لي ٩/٢ حقّي عليهم. فالمطلوب ١ً ما هو قدر ديوني و ٢ً تعريف ما لي على الغرماء من المال مع الافتراض انَّ مجموع ما لي وعليَّ يبلغ ١٣٥٠ فرنكًا

لغزٌ — يعرضهُ على القرَّاء الشاب الاديب جرجي عطية

يا طالبَ العلم ما اسمٌ انت تعلمهُ	وحين يُذكر تُعليهِ وتكرمهُ
قد نلتَ من فضلهِ ما لست تنكرهُ	ومن فضائلهِ ما لست تعدمهُ
ان تُلقِ حدَّيهِ فهو اسم لديك سما	او بدء هذا فنهرٌ حيث ترسمهُ
كذاك ان تحذف الحدّ الاخير بدت	مدينةٌ نصفها في قلبهِ دمهُ
فأهدنا الحلّ يا من سار سُبل هدًى	وشكرنا لك اذ تدري نُقدّمهُ

أسئلة وأجوبة

س سألنا ا. اسطفان من افاضل البترون ما هو الداء الناجع لمن نهكتهُ الامراض العصبية

الامراض العصبية

ج الامراض العصبيَّة كثيرة الانواع فكان يقتضي على السائل ان يفصح عن

يتخطَّى الى البحث في العلم والمناهج العلمية لاسيا التحليل والتركيب. في ضمن هذه الابحاث الكبرى مطالب عديدة كثيرة العوائد عرضها حضرة الاب خير الله اسطفان بما امكنهُ من الدقَّة والصراحة شأن الكتب المدرسية. فنحضّ طلبة الفلسفة على اقتناء هذا التأليف الذي يوقفهم على اسرار المنطق ويرشدهم الى كنوزهِ المكنونة بلا عناء

نبذة في تاريخ الافغان

طُبع في مطبعة جريدة المعلومات في القسطنطينية سنة ١٣١٧

اسهبت الجرائد منذ بضع سنين في ذكر الافغان منذ اصبحت بلادهم مطمحاً لابصار الانكليز والروسيين وكلا الفريقين يحشد الجنود في التخوم ويسعى بالتقرُّب الى امير تلك الاقطار لتكون لهُ الكلمة النافذة في المستقبل. فهذا ما دعا جناب الاديب جميل افندي مغامز الى ترجمة هذه النبذة التاريخيَّة عن الافغان وقد نقلها من التركية لمؤلفها خالد ايوب ونشرها تباعًا في جريدة معلومات وزيَّنها ببعض تصاوير آثار تلك البلاد ورسوم عظمائها. فجاءت كريريسة مفيدة تجمع بين حسن الطبع وكثرة الجدوى ل.ش

شَذَرَاتٌ

آثار جديدة — قد نشر العلَّامتان غرنفل وهُنت مجلَّدًا من الكتابات التي وجدت منذ عهد قريب في الفيُّوم. وفي جملتها بعض فصول من انجيل القديس يوحنا تاريخها القرن الثالث. وهذا الاكتشاف يكذب رأي من انكر قدم هذا الانجيل ونسبتهُ الى القديس يوحنَّا الحبيب. وفيها ايضاً كتابات يونانية كثيرة العائدة لتعريف احوال اليونان في مصر. ومنها رواية هزليَّة لمِنَنْدر الشاعر كانت مفقودةً

وقد اكتشف المسيو مسپرو مناظر العاديات المصريَّات الشهير في احد املاك سعاة حسين باشا عمّ الخديوي كتابةً قديمة متقنة النقش ذات ١٤ عمودًا وقد ورد فيها صورة آخر فراعنة الدول الاصلية الملك نِكتانيبو وهو يقدّم التقادم للالهات. وهذه الكتابة قد نُقلت الى متحف الجيزة هبةً من صاحبها

ومن الاكتشافات العاديَّة ايضًا وجود آثار مدينة قديمة في بلغارية في سنجق نوفي بازار قريبًا من اوبولا (Obola) وهي احدى مدن القرن التاسع كانت مقامًا للملوك ذلك العصر. وقد اظهر منها الاستاذ اوزبنسكي (Uspenski) آثار كنيسة ملكية

اضطراب عظيم فتراهُ ظمآن في حركة متداومة وهو شاخص البصر شرس الطباع كثير النُباح الأَجش يمزّق ما ظفر بهِ من الانسجة والحصر والطنافس ويأكل التراب والخشب ويتقيأ كثيرًا واذا دهمتهُ نوبة الداء يهجم على غيره من الحيوان فيعضهُ. واذا بلي الانسان بالكلَب لم تظهر فيهِ أعراضهُ الّا بعد مدَّة تختلف بين شهرَين وستّة اشهر. امّا معالجة هذا الداء فبأن يُضغط العضو المبتلى بالعضّ ضغطاً شديدًا ويُستخرج منهُ جرثومة الداء بالحجامة ثمّ يُكوى بحديد مُحمى او بروح النوشادر. وقد توصّل العلّامة باستور الشهير الى ايجاد ترياقٍ شافٍ لهذا الداء وهو التطعيم ليس فقط قبل العضّ بحيث يتقي المطعَّم شرّهُ بل ايضاً بعد العضّ وذلك بان يدخل تحت جلد المصاب مزيجًا حُلِّل فيهِ سنتيمتر مكعَّب من مخّ ارنبة كُلِبت صناعيًّا

س وسأل احد افاضل الكهنة ما هو افضل تفسير فرنسويّ على العهد الجديد

افضل تفسير فرنسوي على اسفار العهد الجديد

ج أفضل تفسير فرنسوي على الكتاب المقدَّس طُبع منذ بضع سنوات في باريس وهو يحتوي على ٣٢ مجلدًا لاشهر معلّمي الكتب الالهية. ومن جملتها شرح العهد الجديد لفيليون (Fillion) وغيرهِ في ثمانية مجلدات تباع بنحو ستين فرنك وتُطلب من

P. Lethielleux, 4, rue Cassette, Paris

س وسأل الاديب ا. م. من دمشق: ١ً ايّ صورة يجب ان توضع فوق الكرسي الاسقفيّ او البطريركي في الكنائس الكاتدرائية اليونانية. ٢ً هل طُبعت الكتب الآتية: عيون التواريخ لابن شاكر الكتبيّ — مفيد النِعم ومبيد النِقم لتاج الدين السبكي — الرسالة القبرسية لابن تيميَّة — العمل بالاسطرلاب لعليّ بن عيسى — كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبه

١ اي صورة توضع فوق الكرسي الاسقفي او البطريركي في الكنيسة الكاتدرائية

ج نجيب على الاول انهُ لا يوجد في الآثار القديمة شيء مقرر بهذا الخصوص وقد اختلفت عادات الكنائس اليونانية في ذلك اختلافاً كبيرًا. امّا في زماننا فاكثر ما توضع فوق الكرسي الكاتدرائي صورة السيد المسيح كما عاينّا ذلك في عدَّة كنائس ولا نظنّ انَّ هذا الامر قد حتمت بهِ المجامع

٢ طبع بعض الكتب الخطيّة

لم نجد في قوائم المطبوعات العربية التي لدينا شيئاً من الكتب المذكورة ل. ش

مرادهِ . ويبيّن ما يفهم بالامراض العصبية لندلّهُ على الدواء الناجع . ولعلّ السائل اراد داء المفاصل المعروف بالروماتزم ففي العدد القادم ان شاء الله ننشر مقالةً في تعريف هذا الداء وبيان علاجهِ

س وسأَل من مشمش حضرة الخوري يوسف ابي صعب ما رأي اللاهوتيين في العين وتأْثيراتها الطبيعية وهل إصابة العين من الامور الواقعية

العين وتأثيراتها

ج قد اجبنا سابقًا في المشرق (١ : ٩٥٩) على هذا السؤال فليُراجع

س وسأَل جناب انطون افندي جلّاد من يافا متى اخذ النصارى تقديس يوم الاحد بدلًا من يوم السبت ومن حتم بذلك ولاي سبب

تقديس النصارى ليوم الاحد بدلاً من السبت

ج لا شك في ان تقديس يوم الاحد بدلًا من السبت عند المسيحيين يرتقي عهدهُ الى اوائل النصرانية بل هو من الامور المنسوبة الى الرسل وتقليد الآباء في ذلك متواصل الى القرن الاول للمسيح . ولا تخلو الاسفار الالهية من الاشارات الواضحة الى تقديس الاحد وقد ذكرهُ القديس يوحنَّا الحبيب في كتاب الرؤيا (١ : ١٠) ودعاهُ يوم الرب . وفي اعمال الرسل (٢٠ : ٧) ان المؤمنين كانوا يجتمعون فيهِ ليكسروا الخبز اي ليتقرَّبوا الى الاسرار . ويؤخذ من رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس (١٦ : ١—٢) ان جمع الحسنات للفقراء كان يصير في ايام الاحد . وكان يوم الاحد يدعى اول الاسبوع كما دعاهُ الانجيل . وبعض الآباء كاغناطيوس الانطاكي وايريناوس يدعونهُ رأس الأيَّام . ويوستينوس يسمّيهِ كاهل زمانهِ يوم الشمس ويذكر انَّ فيهِ يجتمع المؤمنون للاسرار . ثمَّ عمَّ في الغرب اسم يوم الرب (ἡμέρα Κυριακή و Dominica) في زمن الملك قسطنطين بشريعةٍ منهُ سنَّها سنة ٣٢٢ . امَّا سبب اتخاذ الاحد بدلًا من السبت فلاجل قيامة الرب من الاموات في صباح هذا النهار كما شهد على ذلك الانجيليون الاربعة

س وسأَلنا ي . ب . م من ادباء بيروت ما هو سبب الكَلَب وكيف شفاؤهُ

سبب الكَلَب وشفائه

ج الكَلَب داء يتولَّد من ذاتهِ في بعض الحيوانات لاسيما الكلاب امَّا سبب تولُّدهِ فيها فليس بمعروف ثمَّ ينتقل بالعضّ الى الانسان . واعراضهُ ان يعتري الكلب

المشرق

البحث الصحيح

في ذخائر آلام السيد المسيح

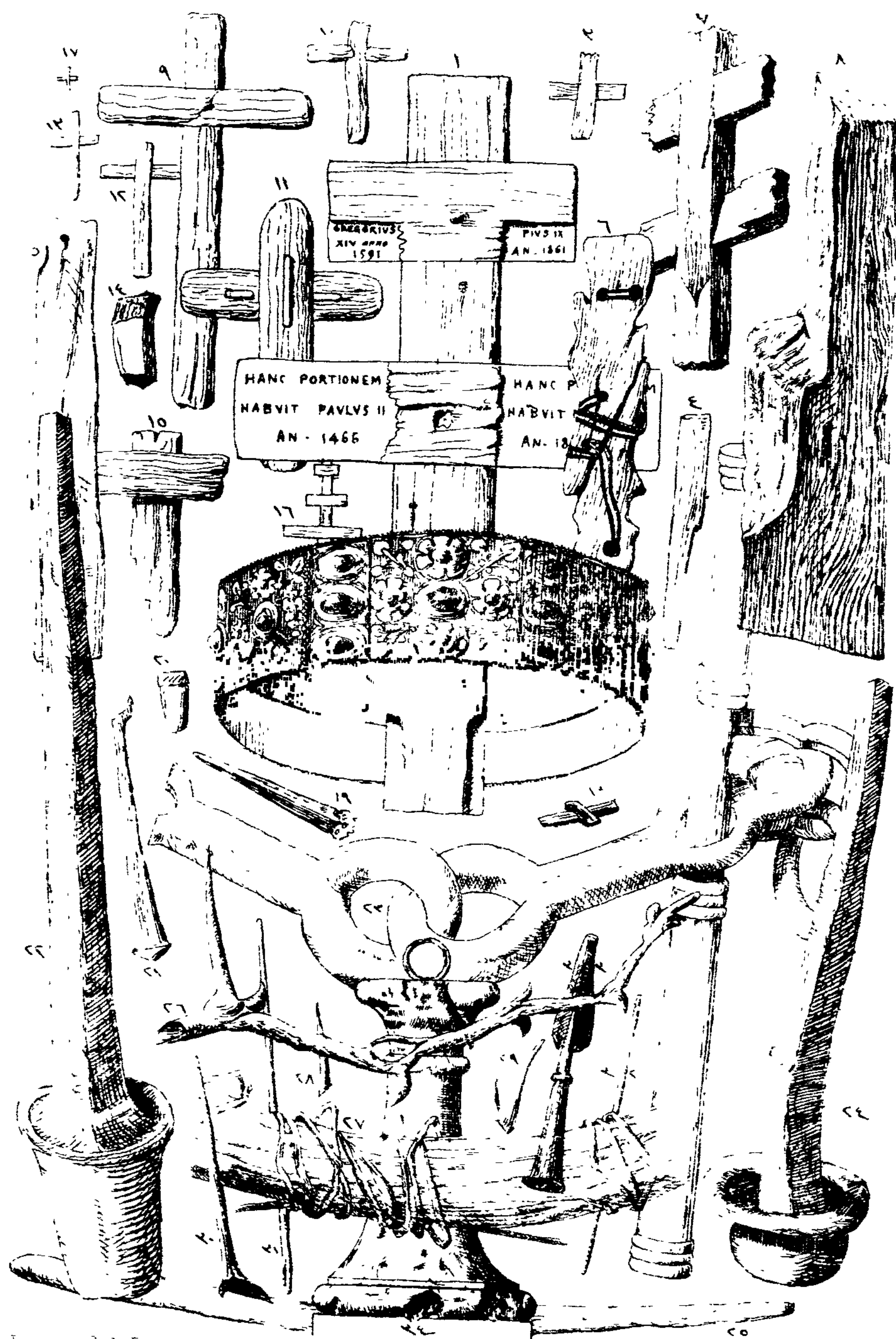
بقلم الاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

لم يكن عصرنا هذا عصر العلوم التاريخيَّة ومتعلِّقاتها ليهمل تفقُّد ما بقي في عالم الوجود من آثار آلام ربّنا يسوع المسيح لهُ السجود. بل قامت فيهِ جلَّةٌ من العلماء والخبيرين بالعاديّات المسيحيَّة يتعمَّقون في هذا البحث الشريف العائد الى تنشيط ايمان المؤمنين فضلًا عن تفنيد حجج الجاحدين. فلمَّا كانت الأيَّام الحاضرة أليق زمن للكلام عن هذا الموضوع التقويّ والعلمي احببنا ان نعرض لعامَّة قرّائنا الكرام خلاصة ما انجلت عنهُ مساعي هؤلاء أصحاب الآثار القديمة من النتائج الصحيحة الجليَّة في الآلام الربَّانية

ولا يخفى ان هذه الآلام قد ابتدأت عند دخول الفادي بستان الجتسمانية لمَّا « خرَّ على ركبتيهِ... واخذ في النزاع... وصار عرقهُ كقطرات دمٍ نازلة على الارض » (لوقا ٢٢: ٤١-٤٤). على اننا لا نقصد في هذه اللمعة الوجيزة الإخبار عن جميع الاماكن والظروف التي قاسى فيها مخلّصنا الرؤوف اوجاع فدائنا فان ذلك موضوع واسع المجال يُطَّلَع عليهِ في الكتب المختصة بوصف الاماكن المقدسة وما اشبهها. بل نقصر كلامنا على الآلات التي استُعملَت لعذاب جسد ربّنا يسوع المسيح مثل الصليب والمسامير واكليل الشوك وغير ذلك من الذخائر المقدسة التي شاء الله تعالى ألَّا تسطو عليها يد الضياع. ولسهولة المنوال قسمنا البحث الى ابواب فنقول وعلى الله الاتكال:

قائمة للآثار الجوّية من ١٢ الى ٢٥ اذار ١٩٠٠

انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



Imprimerie Cath. Beyrouth

صورة اشهر ذخائر آلام السيد المسيح (عن تأليف روهو دي فلوري)
(اطلب الشرح في ص ٣٤٧)

١ اكتشاف الذخائر المقدسة

كان القديس مقاريوس الاسقف الاورشليمي مدّة مكثهِ بمدينة نيقية التي حضر فيها المجمع المسكوني الاول (٣٢٥) قد فاوض الملك قسطنطين العظيم ووالدتهُ القديسة هيلانة في امر القبر المقدس فاعرب لهما عن أسفهِ الشديد على فقدان آثار الصليب. ولم يمضِ على رجوعهِ الى اسقفيّتهِ الّا بضعة اشهر حتى عوّلت الملكة هيلانة على السفر الى القدس. ولمَّا انتهت اليهِ خفَّ لاستقبالها القديس مقاريوس في جمٍّ غفير من الاكليروس والشعب الاورشليمي. ثم سألت عن موضع القبر المقدس فأُتي بها الى هيكل الزُّهرَة الذي كان شيَّدهُ هادريانوس الملك عند ترميمهِ للمدينة (١٣٦) وقيل لها اعتمادًا على تقليد متواصل انَّ هناك قبر المخلّص (١. واماَّ الصليب فلم يمكن احدًا ان يشير الى مكمنهِ رغمًا عمَّا بذل القديس مقاريوس من الجهد في استخبار السكَّان ومراجعة نصوص المؤرخين. لكنَّ الملكة ارتأَت ان الصليب لا بُدّ من ان يكون على مقربةٍ من القبر المقدَّس اي تحت سطوح الهيكل المذكور فامرت بهدم الهيكل واذا بالقبر المقدَّس يُحاذيهِ تلُّ الجلجلة لا يفرق بينهما الّا وادٍ ضيّق وكان في اسفل الوادي مغارتان وجدت في احداهما ثلاثة صلبان ومسامير ولوحة خشب مكتوب عليها « يسوع الناصري ملك اليهود »

قال روفينوس: كان لهذا الاكتشاف الجليل فرح لا يوصف. بيد ان صفاء هذه البشرى كاد يتكدَّر لصعوبة التمييز بين الصلبان الثلاثة. لكن الله تعالى لم يكن ليضنّ بنعمهِ على شعبهِ. بل منحهم آية باهرة كمّل فرحهم وزادهم ايمانًا وتقىً. وهي ان امرأة من نساء المدينة كانت طريحة الفراش من مرض معضل اشرفت معهُ على الموت. فاتاها الاسقف بالصلبان ووضعها عليها بالتتابع. فلمَّا لمسها الصليب الثالث شفيت في ساعتها وقامت تسبّح الفادي. وللحال عرف الكلّ معرفة لا يشوبها ريبةٌ ان هذا الصليب هو الخشبة المقدسة التي مات عليها ربنا يسوع المسيح

هذا ما كان واجبًا إيرادهُ من خبر اكتشاف الذخائر المقدّسة. وقد اختصرناهُ

---

١) لا شك في ان المسيحيين الاولين كانوا يعظّمون قبر المخلّص وتلّ الجلجلة ويقدّسونهما ولذلك امر هادريانوس الوثني بناء الهيكل عليهما. غير ان مسعاه عاد نافعًا كما رأيت اذ اصبح ذلك الهيكل علامةً اكيدةً على موضع صَلْب المسيح وقَبرهِ

عن عدّة تآليف ينتمي معظمها الى الكتّاب الكنسيين الاقدمين الموثوق بهم بل الى معاصري الحادثة مثل القديس كيرلُس الاورشليمي وغيرهِ (١

٢ ذخائر الصليب المقدَّس

قال المؤرخون: لمَّا تمّمت القديسة هيلانة ذلك الاكتشاف الفائق الشأن الحقيق بتوطيد دعائم الايمان اسرعت بالرجوع الى القسطنطينيَّة تحمل لابنها المسامير المقدَّسة. وامَّا الصليب فاخذت ايضًا قسمًا منهُ وابقت القسم الآخر وهو الاكبر في اورشليم وقد وضعتهُ في غلاف نفيس من فضَّة وسلَّمتهُ الى القديس مقاريوس ليكون موضوع تكريم المؤمنين ثم قسمت ايضًا ذخيرة القسطنطينيَّة فارسلَت قطعةً منها الى رومية (٢

ولم تزل ذخيرة اورشليم على هذه الحال الى عهد هرقل الملك. فلمَّا اطلق كسرى ملك الفرس جنودهُ على بيت المقدس سنة ٦١٤ اوقعوا فيهِ الخراب والضرام وبعد ان أَحرقوا وهدموا وبعثروا وسلبوا الاموال والكنوز والنفائس انصرفوا الى بلادهم وذخيرة الصليب في ايديهم. غير ان كسرى لم ينهك حرمتها بل اكرمها وأبقاها في غلافها الى ان عاد هرقل وانتقم من الفرس فانتصر على شيرويه بن كسرى (٦٢٨) واجبرهُ على ردّ الذخيرة المقدّسة. فرُدَّت تامَّة سليمة وحملها هرقل على كتفهِ الى القدس الشريف فوضعها باحتفال عظيم حيث كانت قبلًا (١٤ ايلول سنة ٦٢٩) ومن هذا العهد اعتاد المسيحيون تعييد يوم «ارتفاع الصليب» وهو العيد المشهور في بلادنا السوريَّة

١) قد اراد بعض المحدثين ادراج هذا الحادث التاريخي في جملة القصص الملفَّقة وهم يعتمدون على سكوت اوسابيوس المؤرّخ الذي عند وصفهِ رحلتهِ القديسة هيلانة الى الاماكن المقدَّسة لم يروِ شيئًا من اكتشاف قبر المخلّص وصليبهِ. لكن اي قوة لمثل هذا البرهان وقد ورد في تآليف اخرى لاوسابيوس الاشارة الواضحة الى الحادث الذي نحن بصدده. ولو أُفترض ان المؤرخ المذكور لم يأتِ بخبرهِ فهل يكون سكوتهُ عن الامر انكارًا قطعيًّا لهُ وقد اثبتهُ عدَّة من المصنّفين المحقّقين. راجع رواية المقريزي في مجاني الادب (١: ٣٠٩). وتاريخ ابن خلدون (٢: ٣٠٨)

٢) من المعلوم ان كنائس الصليب المقدَّس والقبر المقدس والقيامة قد بنتها القديسة هيلانة في اورشليم تذكارًا لهذا الاكتشاف. وكذلك امرت ان تُبنى في رومية كنيسة الصليب الاورشليمي المقدَّس وان توضع فيها الذخيرة التي ارسلتها اليها. ومنذ ذاك العهد (٣٣٥) احتفلت الكنائس الشرقيَّة بعيد ظهور الصليب الذي استُبدل بعيد ارتفاع الصليب في عهد الملك هرقل. امَّا كنائس الغرب فان عيد اكتشاف الصليب عندها واقع في ٢ ايَّار



ذخيرة يوستينوس الثاني في رومية (مصغَّرة نحو ربعها) (١)

الى عاصمة الكثلكة يعلم الاحتفالات البهيَّة التي تجري يوم الجمعة الكبيرة عند تكريم المؤمنين لذخائر الصليب. ومن اعجب الامور ان بيت المقدس الذي فيهِ وُجد هذا الكنز الدفين لا يملك في يومنا هذا الَّا قطعاً قلائل منهُ وورد معظمها من رومية

وما لا مرية فيهِ ان البقايا التي تُسمَّى ذخائر الصليب المقدّس ليست كلّها صحيحة (٢. ومع ذلك لو جمعتَ كل القطع المعروفة في العالم صحيحةً كانت ام لا

١) طالع كتاب اسطفان بُرجيا المُعَنون *De Cruce Vaticana*, 1779 . ومضمون الكتابة ما يلي:

Ligno quo Christus humanum subdidit hostem
Dat Romæ Justinus opem et socia decorem

ومعناها: انَّ يوستينوس الملك اهدى لرومية هذه الذخيرة من الصليب المقدَّس ليكون لها حرزًا وفخرًا

٢) ومن الحوادث التي تبرهن رأينا هذا ما يعرفهُ اهالي بيروت من خبر امرأة فقيرة ماتت

بيد ان هرقل لم يرَ بدًّا من نقل قسمٍ آخر من الذخيرة الى القسطنطينيَّة لأسباب ليس هذا الموضع موضع إيرادها . ومنذ هذا الزمن بدأ توزيع الذخيرة المقدَّسة على مدن كثيرة غير رومية والقسطنطينيَّة (١

اليــك مُلَخَّص ما قرأناهُ في تصانيف المؤرخين: لمَّا مات هرقل سنة ٦٤١ خاف مسيحيو القدس على سلامة ما بقي لهم من الذخيرة لاسيما وقد أحرق اعداؤهم كنيسة القبر المقدَّس فقسموها الى ١٩ جزءًا ارسلوا ٣ منها الى كلٍّ من القسطنطينيَّة وانطاكية وقسمين الى جزيرة قبرس وقسمين آخَرَين الى بــلاد الكرج وقسماً الى جزيرة اقريطش والى الرها والاسكندريَّة وعَسقلان ودمشق ولم يحفظوا عندهم سوى ٤ أقسام لا يُعلَم مقدار جرمها . وفي مرور الأيَّام ومع تقلُّبــات الدول قسمت ذخائر الصليب الى اقسام شتى غيرها وانتشرت الى اقاصي البلاد . وفي سنة ١٢٠٤ عند غزوة الاوربيين للقسطنطينيَّة اوشكت يد الضياع ان تستولي على الذخائر العديدة التي كانت في معابد هذه العاصمة لولا تقى بعض المؤمنين فانهم جمعوها باكرام وأسرعوا في تفريقهــا على اماكن اخرى لا تحصى

وليس غرضنا هنا البحث عن جميع القِطَع التي تُحفظ اليوم في انحاء المعمور إنْ في كنائس المدن وإنْ في الاديرة او البيوتات الخصوصيَّة . فانها الوفٌ مختلفة الاجرام ووصفها يقتضي تأليف مجلّد ضخم . غير اننا نقول على وجه الاجمال ان ذخائر الصليب في اوربَّة اوفر منها في الاقطار الشرقيَّــة بكثير (٢ . ومن الذخائر المشهورة ما يُكرَّم منها في اكس لاشاپال وفي باريس في كنيسة السيدة (Notre-Dame) وفي كنائس روميــة لاسيما كنيستَيْ الصليب المقدس الاورشليمي والقديس بطرس هامة الرسل . وكل من سار

١) ليس مرادنا بهذا القول ان ذلك التوزيع لم يبتدئ قبل ايام هرقل . فاننا نعرف يقيناً ان كنيسة تِيكستر من اعمال الجزائر احرزت قطعةً من الصليب المقدس منذ سنة ٣٥٩ (طالع Analect. Boll. X, p. 367) بل غــاية ما نريد ان ذلك التوزيع تكاثر في القرن السابع . ومع ذلك قابل Nilles : *Kalend.* I, 275 وهو يقول فيهِ اعتماداً على كلام القديس كيريلوس الاورشليمي « ان ذخيرة الصليب لم تلبث الَّا قليــلًا بعد اكتشافها حتى وزِّعت الى جميع اقطار العالم » . اما نحن فنعتبر كلام القديس كيرلُّوس ضرباً من المبالغة

٢) ومعظمها وارد من اوربَّة لاسيما من رومية . وهــذا يدلُّ صريحًا على فقدان عدَّة من الذخائر المقدَّسة في هذه البلاد مدَّة الحروب والتقلّبات الدوليَّة التي جرت في القرون المتوسّطة

سفرها. غير انَّ هؤلاء المؤرخين لم يوردوا تفاصيل الخبر. والظاهر ان القديسة هيلانة لم تسبك في حلية الجواد والخوذة والتمثال سوى قطع دقيقة من المسامير المقدّسة. ومن المرَّجح ايضاً انها لم ترمِ المسمار الرابع في لجج البحر بل اكتفت بادخالهِ زمناً في المياه ريثما تسكن شدَّة العاصفة

ولم يبرح معظم ذخائر المسامير محفوظاً في القسطنطينية الى نحو ٥٥٠. ثمّ وُزّعت كذخائر الصليب على كنائس واديرة ومعابد شتى لاسيما في بلاد المغرب. ومن جملتها تاج ملوك ايطالية المشهور وقد سُمّي تاج الحديد تذكاراً للذخيرة التي يحتويها وذلك ان قطعةً من المسامير قد طُرقت على شكل اكليل تطريقاً دقيقاً ثمّ طُبّق الاكليل على دخل تاج ذهبي مزخرف بانفس الجواهر. والتاج المذكور يُصان الى يومنا في مدينة مُنزا بجوار ميلانو احدى عواصم ملوك اللمبارديين في الاعصار المتوسّطة. ومن ذخائر المسامير المشهورة المسمار المكرّم في كنيسة السيدة بباريس والذي في كاتدرائية مدينة تريف من اعمال المانية. وقيل انّ هاتين الذخيرتين والذخيرة التي في كنيسة الصليب الاورشليمي برومية ممَّا بعثتهُ القديسة هيلانة نفسها. واماَّ الذخيرة النفيسة التي في مدينة فيرتزه (Florence) من اعمال ايطالية فمن هدايا الكردينال اليوناني بساريوني المتوفَّى سنة ١٤٧٢ بطرك القسطنطينيَّة الذي طار صيتهُ في مجمع فيرتزه المنعقد للبحث عن رجوع الكنائس المنفصلة الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية (١

ولا بدَّ من تنبيه القرَّاء هنا على أن ذخائر المسامير التي تُكرَّم في العالم ليست مادَّتها مجرّد حديد المسامير المقدَّسة. وانّما سُبكت مسامير كثيرة يفوق عددها الثلاثين أُقحم فيها شيء من المسامير الاصليَّة الموثوق بصحّتها

ولسنا نعرف وجود ذخيرة معتبرة من المسامير في البلاد الشرقيَّة سوى ذخيرة تكرّم في كنيسة الارمن الكاثوليك في ديار بكر (راجع مجلة الارض المقدسة ١٥ شباط ١٨٩٧) كتُب عليها بالارمنيَّة واللاتينيَّة « مسمار الرب. هبة الفارس سمعان دي سنت اندراوس

١) يسرّنا في هذا المقام ذكر المجلة (Bessarione) التي أُنشئت في رومية (١٨٩٦) تحت اسم ذلك الرجل الفائق الشهرة والعالم النحرير. وفي صُحف رصيفتنا الغراء ابحاث تاريخيَّة ودينيَّة كلها متعلّقة باحوال مشرقنا العزيز وطقوسهِ المقدسة فنحرّض قرَّاءنا الافاضل على اقتناء فوائدها

فالجملة لا تتجاوز ثُمن جرم الخشبة التي كمّل عليها ابن الله فداء البشر (١. وهذا مبني على حساب احد العلماء وقد بحث بكل تدقيق وبآلة ميكروسكوپية عن الذخائر التي لا شكَّ في صحتها فوجد انَّ خشب الصليب كان نوعاً من الصنوبر وان ثقلهُ قريب من مئة كيلو (٢

واماً شكل الصليب المقدس فالراجح انهُ لم يكن مختلفاً عن هيئة صلباننا العاديَّة اي على هذه الصورة † لا على شكل التربيع + ولا على هذا الشكل × . وفي هذا الصدد ابحاث عديدة وتآليف مخصوصة اضربنا صفحاً عن ايراد فحواها خوف الاطالة . ولعلّنا سنقرع هذا الباب ثانيةً ان شاء الله

٢ ذخائر المسامير المقدسة

لا نعرف معرفةً اكيدةً أكانت المسامير المقدسة ثلاثة او اربعة . بيد ان الارجحيَّة للعدد الاخير حسب رأي معظم العلماء والخبيرين بالعاديَّات النصرانيـــة . وذلك ليس فقط لان المصلوب لا يقدر ان يقوم على الخشبة ما لم يثبت رجلَيهِ مسماران بل ايضاً لان أقدم الايقونات الشرقيَّة تصوّر الفادي معلّقاً على الصليب باربعة مسامير . وممَّا لا ريب فيهِ ان مخلِّصنا عُلِق بمسامير لا بحبال كما يتَّضح من كلامهِ تعالى الى القديس توما الرسول بعد قيامتـــهِ (يوحنا ٢٠:٢٧)

قد مرَّ بنا ان المسامير المقدّسة وُجدت في جملة الذخائر التي اكتشفتهـــا القديسة هيلانة بعد هـــدم هيكل الزهرة . قالت قدماء المؤرخين: ان والدة الملك قسطنطين ادخلت احد المسامير المقدسة في حلية جواد ابنهـــا والثاني في خوذتهِ والثالث في رأس تمثالهِ . ورمت الرابع في البحر كي تنال من الله تعالى خمود زوبعة هائلة اصابتها في اثناء

منذ بضعة اشهر وكانت تحمل على صدرها حُقة صغيرة تزعم ان فيها ذخيرة عود الصليب . فلماَّ قرب اجلها تحقَّق جيرانها ان تلك الذخيرة لم تكن سوى نقود ذهبيَّة تساوي ٥ ليرات عثمانية . فتأمل

١) راجع الحاشية الثانية في الوجه ٣٤٠

٢) ومن هذا الحساب الجليـــل يظهر لك اولاً كفر كلوين الهرطوقي الذي كان يستهزئ بتُقى الكاثوليكيين قائلًا ان جملة القطَع المكرَّمة في العالم تكفي لتركيب مئة صليب كصليب ربنا يسوع المسيح . وثانياً وَهن مزاعم القائلين بان الصليب الذي اكتشفتهُ القديسة هيلانة لم يكن الصليب الصحيح وهم مدَّعون ان الخشب لا يدوم سليماً مدَّة قرون . والحال ان خشب الصنوبر المطمور في الارض لهُ خاصة هذا الدوام وقد اتت العلماء على ذلك بالبراهين القاطعة

٤ اكليل الشوك المقدس

لم تخلف لنا تآليف قدماء المؤرخين اثرًا من ذكر ذخيرة الاكليل فلا نعلم علمًا شافيًا هل اكتُشفت مع الذخائر المارّ وصفها ام لا. بيد ان سكوت هؤلاء الكتبة لا يجبرنا على القول بان القديسة هيلانة لم تبالِ بجمع مثل هذه الذخيرة النفيسة. وعلى كل حال فاول خبر اتّصل الينا عن اكليل الشوك ينتمي الى أواخر القرن الرابع. والمظنون ان الذخيرة قُسمت ووُزعت في غرّة القرن الخامس بين كنيسة القبر المقدَّس في اورشليم ومعبد ملوك القسطنطينيَّة. ثم ان بَلدوين الثاني اهدى القطعة المكرَّمة في القسطنطينيَّة الى القديس لويس التاسع ملك فرنسة وهو استقبلَها باحتفال وتعظيم فوضعها سنة ١٢٣٩ في كنيسة شيَّدها لحفظها وسمَّاها المعبد المقدَّس (Ste Chapelle). ولم تزل هناك الى ايام الثورة الافرنسيَّة ثم نُقلَت الى كنيسة السيدة الكاتدرائيَّة. وامَّا ذخيرة بيت المقدس فجُزّئت الى اجزاء شتى تفرَّقت في اقطار مختلفة من اوربَّة. بل وذخيرة باريس ايضاً لم تدُم تامَة فانها اليوم خلوة من الشوك. ويُستنتج من الاحصاءات الحديثة ان ٢٦ كنيسة اوربيَّة تُكرِّم فيها ذخائر اكليل الشوك. و ١٣ كنيسة أُخرى تُحفظ فيها ذخائر البرديّ الذي ضُفر حولهُ الشوك على رأس المخلّص او ذخائر من اغصان شجيرة الشوك

وفي تاريخ ذخيرة الاكليل ابحاث جليلة لا تزال تُنشر في المجلات العلميَّة نشير خصوصاً الى مقالتَي العلَّامة مالي (Mély) الاولى في Comptes-rendus de l'Acad. des Inscript., Octob. 1899 p. 590 والثانية في Revue archéologique 1899 II, p. 393

والمقبول عند عامَّة العلَماء ان اكليل ربنا يسوع المسيح كان متألِّفًا اولًا من الشوك المسمَّى بالنَبق في القلسطين وفي هذه البلاد بالسدر وبلُغة الفرنج العلمية Zizi-phus spina-Christi وثانيًا (كما قد مرّ) من بعض اغصان البرديّ وهو نوع من الأَسل اللين القصبة يقال لهُ بالافرنسية jonc ولا نعلم بالتدقيق اسمهُ العلمي لكثرة انواع هذا النبات في البلاد السوريَّة وتشابه بعضها بالبعض

٥ ذخائر الاسفنجة والرمح

تُكرَّم ذخائر الاسفنجة والرمح في بعض كنائس رومية وفرنسة. ومع صحة معظمها

٣ كتابة الصليب

ان الانجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا لم يرووا كتابة الصليب بلفظها بل اكتفوا بذكر معناها. على ان القديس يوحنا اخبرنا بمضمونها تفصيلاً وقال ان منطوقها كان « يسوع الناصري ملك اليهود » وكانت مرسومة بالعبرانية (آرامية البلاد الفلسطينيّة) واليونانيّة واللاتينيّة



(١) كتابة الصليب عن تأليف ر. دي فلوري ٢ كتابة اسم يسوع بالخطّ العبرانيّ

واعتمادًا على هذا النصّ الكريم ارتأت عدّة من العلماء ان الكتابة التي وجدتها القديسة هيلانة هي هي الكتابة التي تُحفظ اليوم برومية في كنيسة الصليب المقدَّس الاورشليمي وهي على لوحة خشب طولها ١٣٠ مليمترًا وعرضها ٢٣٥ م قد قرضها السوس في عدّة مواضع. ومن عجيب الامر ان حروفها اليونانيّة واللاتينية مقلوبة الجهة كالعبرانيّة. غير ان صحّة هذه الذخيرة لا نراها خالية من كلّ شكّ وقد ارتأى مثلنا العلامة de Waal في قاموس العاديّات المسيحيّة الذي جمعهُ الدكتور كرَوس (Kraus) (٢ : ٨٧١) والله اعلم

ولمزيد الافادة رأينا ان نقتطف من تآليف العلّامة كلرمون غنّو المعنون Archæ-olog. researches in Palestine (١ : ٤٣٧) كتابة عبرانية اكتشفها في جوار القدس على ضريح قديم وهي تُورد اسم يسوع. قال المؤلف الشهير: وفي هذا الأثر الجليل اصدق صورة لكتابة اسم السيد المسيح كما رُسم فوق الصليب المقدّس

ذيل في شرح صورة ذخائر الآلام

(١) ذخيرة الصليب في كنيسة القديس بطرس في رومية (٢/١ كبرها) وقد اخذ عنها الباباوات بعض القطع – (٢) تاج الحديد في منزا . قطره ١٦ سنتيمترا (وحرف (ح) يدل على الذخيرة) – (٣) ذخيرة الصليب يرجّح ان يستينوس الثاني ارسلها الى البابا حنّا الثالث (٥٦٠–٥٧٤) . صورتها على ٢/١ كبرها (غلافها في ص٣٤٢) – (٤) ذخيرة الصليب في كنيسة القديس يعقوب للارمن الغريغوريين في القدس (ثلث كبرها) – (٥) ذخيرة القديسة هيلانة المرسلة الى رومية تصان في كنيسة «صليب اورشليم» (٢/٢) – (٦) ثلث قطع من الصليب مرتبطة بسلك ذهبي في ارّاس (٢/١) – (٧) ذخيرة بيزة (٢/١) – (٨) من اكبر ذخائر الصليب (١ في كنيسة السيدة في باريس ورثها القديس لويس من بلدوين (سدس كبرها) – (٩) « في كاتدرائية ميلانو (٢/٢) – (١٠) « في مدرسة ڤوجيررَد للاباء اليسوعيين في باريس (٢/٢) (١١) « في كنيسة السيدة في باريس (٢/٢) – (١٢) « بلودين في انكلترة (٢/٢) – (١٣) « خاصّة اسقف سوثوَرك في انكلترة (٢/٢) – (١٤) « في كُرتراي في بلجكة (٢/٢) (١٥) « في كنيسة بروكسل (٢/٢) – (١٦) « في كاتدرا مدينة تروى في فرنسة (٢/٢) – (١٧) « في بيت الخواجا ف. نجيم في بيروت (على كبرها) – (١٨) « في كنيسة القديس تروفيم في أرل (٢/٢) – (١٩) مسمار ارّاس (٢/٢) – (٢٠ و ٢٢) مسمار تريف – (٢٢) رأسهُ (٢٠) في مدينة تول . هبة القديسة هيلانة لاسقف تريف – (٢١) قطعة مسمار في كول (Colle) في ايطالية واصلهُ من رومية (٢/٢) – (٢٣) اللجام المقدَّس في كرپنتراس (راجع ص ٣٤٢) . أُرسل اليها في القرن الثالث عشر (٢/٢) – (٢٤) مسمار كنيسة الصليب في رومية . هبة القديسة هيلانة (٢/٢) – (٢٥) مسمار مستشفى سينّة في ايطالية (٢/٢) – (٢٦) شوكة تريف . هبة القديسة هيلانة

Ch. Rohault de Fleury : *Mémoire sur les instruments de la Passion*, 1870;
وقد ترجم هذا التأليف الى الفرنسيَّة Friedlieb : *Archäolog. der Leidensgesch.* 1843.
Archéologie de la Passion, adapté par F. Martin, 2 vol. 1895-7. جمعة القس مرتين
G. Martin : *La Passion au point de vue historique et archéolog.* طالع ايضاً في معناهُ
H. Fulda : و O. Zöckler: *Das Kreuz Christi*, etc. 1875 وفي الصليب خاصَّة 1886
G. A. O. Müller : *Kreuz u. Kreuzig.* و *Das Kreuz und die Kreuzigung*, 1878
A. Holder : *Inventio Sanctae Crucis* و *Chr. in ihrer Kunstentwick.* 1894.
Gosselin : و F. X Kraus : *Beiträge zur Triers'chen Archäologie* 1868 ثم 1889
Notice sur la S^te Couronne d'épines 1828 . هذا ما عدا المقالات المفيدة التي في المجموعات كقاموس العاديَّات المسيحية للعلَّامة مرتيني (Martigny) والدكتور كروس المارّ ذكرهُ وقاموس القس ڤيغورو و Storia dell'arte cristiana وهو مجموع الاب غاروچي اليسوعي المشهور في ستة مجلَّدات ضخمة الى غير ذلك من التآليف التي وُضعت في القرون السالفة

١) اكبرها في راغوزة لم نرسمها لضيق المشرق عن استيعاب طولها

لا يُعرَف زمن اتصالها الى تلك الاماكن ولا كيفيَّتهُ. قيل ان الاسفنجة المقدّسة اكتُشفت في اورشليم عند ما غزاها الفرس في عهد هرقل الملك فأُرسلَت حالًا الى القسطنطينيَّة. واخبر المؤرخون ان القديس لويس ملك فرنسة اشترى قسماً منها

واما كونها لم تقع في ايدي القديسة هيلانة فلا عجب فيهِ لانَّ الاسفنجة كانت خاصَة جلادي المسيح وكذا قُل عن الرمح الذي نفذ جنب الفادي وقلبهِ الاقدس. ومن كلام الرواة الذين اطَّلعنا على اخبارهم يجوز الاستنتاج ان الرمح لم يغادر القدس حتى اواخر القرن السابع ثم انتقل الى انطاكية حيث احترمهُ الصليبيون في نحو سنة ١٠٩٧. وفي سنة ١٢٤٣ فصل الملك بلدوين المارّ الذكر رأس الرمح اي نصلهُ وارسلَهُ الى القديس لويس التاسع. ويُخبَر عن السلطان بايزيد انهُ اهدى قسماً من الرمح المقدَّس الى البابا اينوكنتيوس الثامن فوُضع في كنيسة القديس بطرس زعيم الرسل. والذخيرة محفوظة هناك حتى يومنا

٦ ذخائر أُخرى

ومن الذخائر المشهورة عمود الجَلد المكرَّم في كنيسة القديسة ابراكسيدة برومية طولهُ نحو ٧٠ س. وهو من رخام اسود وفي اعلاهُ حلَقة حديد شُدّت بها يدا المخلّص عند تعذيب جسدهِ الالهي(١

واماَّ السوط المقدَّس فهو محفوظ في دير القديس مبارك الكائن على مقربة من مدينة سوبياقو الايطاليَّة. وفي ايطالية ايضاً بمدينة فيرتره ذخيرة القصبة التي وُضعت في ايدي المخلِص لمَّا استُهزئ بهِ في دار بيلاطس

هذا مُلَخَّص اخبار الذخائر المقدَّسة وقد اهملنا ذكر الاكفان وغير ذلك ممَّا لا علاقة خاصَّة لهُ بالآلام الربانية. ومع اننا اقتصرنا وصفنا هذا على غاية امكاننا فالمأمول انهُ سيقع في قلوب قرَّائنا المؤمنين موقع القبول والرضى لما في ذكر تلك الآثار الالهيَّة من احياء الايمان واسعار المحبة نحو ذلك الذي «اخلى ذاتهُ آخذًا صورة عبدٍ... فوضع نفسهُ وصار يُطيع حتى الموت موت الصليب» (فيلبي ٢: ٧–٨) امين (٢

١) وفي القدس يكرم عمودان آخران رُبط بهما الرب في وقت آلامهِ

٢) احببنا ان نسرد هنا تتميماً للفائدة اشهر التآليف التي صُنفت في عاديَّات الآلام الربانيَّة فيكون قرَّاؤنا الافاضل على بيّنة من اهتمام علماء المغرب بالآثار المسيحيَّة الاوليَّة قاطبةً وخصوصاً بكل ما يتعلّق بحياة ربّنا يسوع المسيح لهُ السجود:

منفردًا بلا انيس ولا حليف يصل الينا واحدًا بعد الآخر. فمن البلابل يصل الذكر اوّلًا وهو يسبق ليختار سكنى عائلتهِ في فصل الصيف ويهيّئ كلّ شيء قبل وصول الانثى رغبةَ راحتها من مشقّة الطريق وتلك اخلاق افرنجيَّة جميلة اعتادت على مداراة الجنس الضعيف وبودّنا ان نعلم اذا كانت بلابل المشرق ألفتها او ذاقت حلاوتها. ثم ان بلبلنا لا يهوى الغابات والاشجار الباسقة ولا تروق لهُ غير سكنى الرياض والجنائن ويفضل في احياء باريس تلك الجنائن الاعظم افتنانًا وجمالًا ولا غرو في ذلك فانهُ موسيقي بارع تمرَّس على اغاني المغاني ونغمات العود والاوتار ومتى تهيّأ المنزل وطاب المنهل تأتي الأنثى رافلة بثوب الدلال وتفرّق مساكن هذا السرب الشهي ويغرز كلٌّ منهُ مضاربهُ الجناحية في مضرب منفرد وتسرع الانثى بعد ذلك في تهيئة العش وحدها (وليس ذلك من الاخلاق الافرنجيَّة) وتخفيهِ بين الاغصان المنخفضة عديم الاتقان والمتانة فربَّما اصابت بذلك لانَّ حاجتها بهِ وقتيَّة. ويُوصف هذا الطائر بفرط ودادهِ لفراخه فقلّما فارقها الّا ليأتيها بالقوت وذلك من اطباع اصحاب الموسيقى فان شعائرهم اشدّ تأثّرًا بالوداد والغرام وكثيرًا ما اغفل هذا الطائر عن منافعهِ الخصوصيَّة والتهى بحب فراخهِ. وفي خلال هذه المدَّة يكون الذكر مصطادًا او مُغنيًا او نائمًا يُغرّد في رقادهِ ويقطع وحشة الليل متصبيًا بنغماتهِ ويظهر انَّهُ يتأثر فرحًا بالحركة التي تنقل اليهِ صدى هذه النغمات وكانَّهُ يأتي في فصل الربيع لينشد باشعارهِ الطنَّانة تلك الليالي القمرة بين نضارة الاغصان وغوّ النبات

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٨ جبيل (تتمَّة)

واول ما يستلفت النظر من آثار جبيل بُرجها فان بقاياهُ الضخمة لم تعمل فيها صروف الزمان. وهو لا يزال منتصبًا ينبئ بعظم شأن بُناتهِ

وموقع البرج المذكور في جنوبي شرقيّ المدينة لهُ منظر خطير يأخذ بمجامع لبّ ناظرهِ. وهو مبني بحجارة كبيرة ولعلّ ذلك الذي حمل أغلب الكتبة على ان ينسبوهُ الى

(٢/٢) — (٢٧) الاسل الحامل لاكليل الشوك وهو على شكل دائرة تامَّة (٢/٢) راجع ص ٣٤٥ — (٢٨) شوكة كنيسة البندقيَّة الكبرى (٢/٢) — (٢٩) شوكة نيس (٢/٢) — (٣٠) شوكة كرپنتراس (٢/٢) — (٣١) أَسلة قوجيرَرْد (٢/٢) — (٣٢) أَسلة ارَّاس (٢/٢) — (٣٣) الرُّمح المقدس (راجع ص٣٤٦) — (٣٤) عمود الجَلْد (ص ٣٤٦)

الربيع في باريس

للعالم المأسوف عليهِ يوسف حبيب باخوس

نظر فيها نجلهُ نجيب افندي باخوس

بمناسبة ورود فصل الربيع الزاهر في هذه الديار احببنا ان ننشر هذه الطرفة ليظهر تباين هذا الفصل بين البلادين.وقد كتبها رحمهُ الله مدَّة اقامتهِ في باريس وضمَّنها من التخيُّلات الشعرية اللطيفة المنتظمة باطلى عبارة واحسن اسلوب ما تهتزّ لهُ معاطف الادباء وترتاح اليهِ نفوسهم طرباً

ان كان فصل الشتاء قد انقضى وخلعت ربوعنا حلَّة اللجين فما زالت تأْثيراتهُ في رياضنا تحاول ردّ الفائت وإحياءهُ بعد الممات. فنحن في شهر الزهور وما زالت باريسنا الزاهرة عبوسةً محتجبة وراء السجوف والأخدار ورياضُها الفيحاء ذابلةُ الوجه ذاوية الخدّ جافَّة الكبد تبكي بها اعين الخضراء ولا تفترّ لها ثغورها البيضاء تلعب في اغصانها الريح الشماليَّة المتجمِّدة فتذويها وتسكن فيها حركات النضارة والانعطاف. ولولا بعض وُرَيقات تتجلَّى فوق رؤوسها كهَمزات القَطْع فوق الاسطر لما علمنا اننـــا في شهر الزهور والاشجار

وممَّا غنمنا من بشائر الربيع ونِعمَ ما غنمناهُ زيارة البلابل المغرّدة في الصباح المفتنة فوق الدوحات والفنَن تنبّه العين الكحيلة بطيب الوسن. وقد زارنا هذا الضيف الحسن الطلعة والعزيز المقام منذ ١٥ يوماً فقط فتشنَّفت آذانـنـا بصوتهِ العذب وهاجنا شَدْوهُ وَجداً على أَليفٍ فارقنـاهُ وحليفٍ شطَّ عنَّا مزارهُ واوطان حالت بيننا وبينها شامخات الجبال ومنخفضات الوديان وفسحات بحارٍ دونها انظار الزرقاء. وما زلنا حتى الان ننتظر زيارة خليلتنا السنونو التي تشقّ بحركة جناحيها أعالي الافلاك كحراب ناريَّة او كشرارات كهربائيَّة ولله درّ جمال الدين حيث قال فيها واجاد:

وغريبةٍ خفَّت الى وكرٍ لها ... فاتت اليهِ في الزمان المُقبلِ

فرشت جناح الآبنوس وصفَّقت ... بالعاج ثمَّ تقهقهت بالصندلِ

وممَّا يستلفتنا في زيارة هذه الاطيار انها وعلى الاخصّ الهزار الشجيّ يأْتي ربوعنا

في انها كانت داخلةً في الهياكل والمعابد العديدة التي كان يتباهى بها اهل جبيل لانَّ مدينتهم كما سبق لنا القول كانت مركز الديانة الفينيقيَّة يحجّ اليها اهل البلاد ليتيمّنوا بمزارها. وكان للبلد ايضاً اروقةٌ واسعة قائمـة على مثل هذه العمد في صدر الشوارع الكبرى كما كان شأن المدن الرومانيَّة في ذلك العهد

وممَّا يستحقّ الذكر ايضاً بعض قوائم ومساند كانوا يضعون فوقها التماثيل. ومنهـا ايضاً مذابح صغيرة وحجارة عليهـا كتابات لا يسعنا هنا تعدادها ووصفها واكثرها قد نُشر بالطبع في اوربَّة. وقد اسعدنا الحظّ على وجود بعض منها كُتبت باليونانيَّة لم تسنح لنا الفرصة حتى الآن بنشرها

فهذه غاية ما نرى الى ذكرهِ سبيلًا عن عاديَّات جُبيل الباقيـة في ضمن سورها. وهي لعمري نزرة بالنسبة الى شأن هذه المدينة وخطرها. ولا غرو ان تحت ردمها آثارًا جليلة وكنوزًا علميَّة سوف يطلعنا عليها المستقبل اذا ما تيسَّر للعلماء ان يحفروا حيث شاؤوا. وما يزيدنا ثقةً بهذه الاكتشافات انَّ اهل جبيل كثيرًا ما يجدون في املاكهم امتعةً شتَّى غالية الثمن يبيعونها خفيةً للاجانب كالتماثيل والنقود والقطع المعدنيَّة الى غير ذلك ممَّا لا يمكن ضبطهُ وتدوينهُ في كتب آثار بلادنا

ومن ابنية الفرنج في جبيل كنيسة مار يوحنَّا المارونيَّة. وهي كانت سابقًا ارحب منها اليوم ولعلَّها كانت مزَّينة برواق في صدرها. وهندستها كهندسة كنائس الصليبيّين ذات ثلثة اقسام مقبَّبة تنتهي بحنايا. ونقوش أكلَّة عَمَدَها في قسمها الكبير تجمع بين الطرزَين الهندسيين الغوتي والكورنتيّ

وبقرب الكنيسة جرن للعماد غاية في اللطف والدقَّة وهو عبارة عن قبَّة كنصف كرة تستند الى اربع أقواس على شكل بيضي وترى فوق ثلاث أقواس منها اشغالًا هندسيَّة وزينًا حسنة. امَّا القوس الرابعة فلا تُرى لانها مستندة الى جدار الكنيسة (١

واذا ما خرجنا من سور البلدة لقينا كما في داخلها كميَّة وافرة من عواميد صوَّان متكسِّرة. وممَّا اكتُشف حديثًا في ارض تخصّ عبد الواحد افندي اساس بناء فخيم اشبه بهيكل. والاساس المذكور بالغ العمق يُدخل منـهُ الى أسراب غريبة الشكل لا تُعرف غايتها. وفي المكان عينهِ وُجدت عدَّة قِطع تماثيل ونقوش من الرخام الابيض

١) راجع De Vogüé : Les églises de la Terre S^te^, p. 375

الفينيقيّين زعمًا منهم انّ قدم الابنية يُعرَف بعظم حجارتها وضِخَم موادّها. وكانوا يزيدون على هذا تأييدًا لرأيهم انّ على البرج المذكور مسحةً من العتاقة تشهد بقِدَمه

بيد انّ ذوي الخبرة من المهندسين واصحاب العاديّات أبطلوا هذا الزعم بعد الفحص المدقّق وبيّنوا ببراهين مقنعة انّ هذا البرج من عمل الصليبيّين في القرون المتوسّطة. وسنَدُهم في ذلك الى ما يُحدق بالبرج الكبير من الابنية الثانويّة وهي عبارة عن بروج صغرى لا سبيل الى نسبتها الى الفينيقيّين لما يدخل في تركيبها من الموادّ المأخوذة عن ابنية اقدم عهدًا شادها اليونان والرومان كاعمدة من الصوّان أُدرجت في جدران هذه البروج. وهذا الامر شائع في ابنيَة الصليبيّين بخلاف الامم السابقة لعهدهم. اعني انّهم كانوا اذا دخلوا بلدًا انتفعوا بخرائب آثاره القديمة كالهياكل والقصور فيتّخذون موادّها لابنيتهم الجديدة ويستغنون بذلك عن نقلها من المقاطع. فاذا ثبت انّ هذه البروج الصغرى هي للصليبيّين يصحّ القول ان البرج الكبير هو ايضًا من آثارهم لما بينهُ وبينها من الشبه في هيئة الحجارة وطريقة النّحت فانّ لحجارة كليهما نتوًّا متشابهًا ولهيئتها عتاقة واحدة(١ مع ما ترى بين حجارتها من الاختلاف في الكبر. وهناك ايضًا عدّة تفاصيل هندسيّة عُرف بها الصليبيّون دون غيرهم منها شعار البنّائين وعلاماتهم وقِطَع كتابيّة يونانيّة ورومانيّة أُقحمت في البناء بلا نظام

هذا واننا لا ننكر ان الحجارة الكبيرة التي تُرى في البرج الكبير هي من نَحت الاقدمين وقد بيّنّا غير مرّة لاسيما في خلال كلامنا عن دير القلعة انهم كانوا يحبُّون اتخاذ موادّ ضخمة لبناياتهم. ولكن الصليبيّين نقلوا هذه الحجارة التي وجدوها فاتخذوها لشؤونهم الخاصّة

امّا آثار قدماء الجبيليّين فقليلة جدًّا. منها عدد كبير من العواميد تراها في كلّ انحاء البلدة حتى يسوغ ان ندعو جبيل مدينة العواميد. وقعر ميناها الصغير مفروش كلُّهُ بهذه العواميد. وهي من الصوان الصلب قد نُقلت من بلاد مصر بحرًا. ولا نشكّ

١) وهذه العتاقة ليست بدليل قاطع على قدم هذه الابنية وانّما هي لاحقة بصنف الحجارة الرملية التي تستعمل في الساحل. فانّ ابخرة البحر والرطوبة تعملان فيها عملًا سيّئًا فيظنّ من يراها انّها عريقة في القدم مع انها حديثة. وترى مثل ذلك في بعض بنايات بيروت التي لا يتجاوز عهدها ٢٠٠ سنة

لم يبقوا منها الّا قطعًا محطّمة. وفي الغالب لا تجد في هـذه المدافن الّا حُفرًا كالافران منقورة في الصخر

امّا تاريخ هذه المدافن فلا يمكن تعيينهُ لاسيما بعد ان نُزعت منهـا اجهزة الدفن وُسلبت امتعتهُ كما سبق ولو بقيت لاستطاع العلماء ان يستدلّوا بهـا على عهدها. امّا الكتابات فلا يرى منها الّا النزر القليل وهي كلها يونانيَّة ورومانيَّة. وعليهِ فلا يتّفق علماء الآثار العـاديَّة على تعريف عهد هذه المدافن. ومنهم من زعم انها سبقت فتح الرومان للشام. وقد ارتأى رينان انَّ بعضها يرتقي الى ايام الكنعانيين

امّا الدكتور روفيه فانَّ رأيهُ ان هذه الكهوف كلها من عهد الرومان. وقد دعم قولهُ بحجج حسنة ترجح رأيهُ دون ان تزيل كل الشبهات. ومن براهينهِ انَّ ما وُجد من العاديَّات في هذه المدافن منذ ٤٠ سنة لا تصحّ نسبتها الى غير الرومان. فيستنتج من ذلك انَّ المكتشفات السابقة لهذا التاريخ كانت ايضًا رومانيَّة. (نقول) انَّ هذا الدليل لا يخلو من القوَّة لكنَّهُ ليس بجازم لانَّ كثيرًا من هذه العاديَّات لا تزال مخفيَّة لدى فاتحي هذه المقابر. وكذا نقول عن البرهان الثاني حيث بيَّن الدكتور انَّ النواويس والنقود التي وُجدت في هذه الكهوف كلُّها من عهد ملوك الروم. فانَّنا نسلّم لجنابهِ بقوَّة هذه البيّنة لكنَّا لا نجسر ان نحكم في ذلك حكمًا فصـلًا ريثما يتمّ البحث المدقّق في مستودعات هذه الكهوف. كما انَّهُ لا يجوز ان نبني على هذه الاكتشافات الجزئيَّة احكامًا عموميَّة عن عادات الجبيليّين في دفن موتاهم

هذا وانّنا نوافق المسيو روفيه الموافقة التامّـة في نسبتهِ بعض المدافن الى الطور اليوناني الروماني وهي: ١ً المدافن ذات الطبقتين الواقعة في الرملة التي تُرى جنوبي الطريق المؤدية من جبيل الى بيروت. ولكلّ قبور هذا المدفن منافذ على شكل أقواس. ٢ً المغارة الواقعـة على مقربة من المدافن السابق ذكرها اتّخذها ايضًا القدماء كمقبرةٍ وحضيضها مبلّط بالفسيفساء. ٣ً بعض كهوف أُخرى طُليت بالملاط ومنهـا ما هو مزيَّن بالتصاوير. فهذه بلا شكّ ليست من اعمال الفينيقيّـين ولكن من المحتمل ان تكون سبقت تاريخ الميلاد بقرنٍ واحد او ازيد على مثال صفائح القبور التي وُجدت في صيداء قبل ثلاث سنين وقد نشرنا كتاباتها في مجلة العاديّات (١). ٤ً بعض مدافن

(١) راجع Promenade épigraphique à Saida, *Revue archéolog.*, 1898, 4

مدافن جبيل

ومن آثار جبيل الغريبة قبورها القديمة ومدافنها وكان موقعها خارج البلدة ليس بعيدًا عن اسوارها. الّا ان هذه المدافن المعروفة اليوم ليست مدافن الفينيقيّين وانّما هي احدث عهدًا كما ارتأى ذلك الدكتور روڤيه في بحثه السابق الذكر ولعلّنا نسمع عمّا قليل ببشرى اكتشاف نواويس جبيل الفينيقيّة فينتفع بها العلماء كما انتفعوا باكتشاف نواويس صيداء

واليوم يصعب علينا ان نُقدّر سعة مدافن جبيل وشكلها بعد ما حلَّ البلدة من التقلُّبات المتواترة وامتداد الرمل على قسم كبير منها. والارجح ان مكانها المخصوص بها كان في شرقي البلدة وجنوبها

وفي هذه المدافن لم يُكتشف الى يوم تاريخنا شيء من الآبار التي كان الفينيقيّون يؤثرونها لقبر موتاهم كما ترى في صيداء وغيرها من المدن الساحليّة . على انَّ عدم اكتشافها ليس بسبب كافٍ للجزم بعدم وجودها كما زعم المسيو رينان (بعثة فينيقية ص ٢٠٦). واننا نرجّح مع المسيو روڤيه وجود مثل هذه الآبار ولو لم يتوصّل احدٌ بعد الى اكتشافها. لكنَّ جبيل لا تخلو من المغاور المخصوصة بدفن الموتى الاقدمين. وقد وجدوا ايضًا حُفرًا منقورةً في الصخر ونواويس لهذه الغاية نفسها

امّا المغاور فعلى ضربَين منها طبيعيّة وجدها الانسان فاستخدمها لدفن امواته. ومنها صناعيّة حفرها بيدهِ لهذه الغاية. وبين المغاور الطبيعيّة ما كان عهدهُ قديمًا جدًّا يشبه الكهوف السابقة لزمن التاريخ التي وصفها حضرة الاب زُموفن في المشرق (١ : ٩٧ و ٣٥٣) احسنها المغارة التي تُشرف على مسيل ماء في لحف ضيعة قصوبة على مسافة نصف ساعة من شرقي جبيل. وهي قريبة الشبه بمغارة انطلياس (المشرق ١ : ١٠٢) المرتقية الى طور الظرّان. وقد نُقر في جوانبها الداخليّة مخادع كانت تجعل فيها الموتى. وفوق احدها نقش يمثّل محارًا من الصدف الملتوي لعلّهُ من عهد الرومان

ومداخل هذه المدافن تنفتح عموديًّا او ببعض انحراف في وجه الصخور. ومنها كثير في الوديان المجاورة لجبيل وفي الصخور التي تطلّ على البحر. وفي بعض الآونة ترى لهذه المدافن نقشًا قليلًا ويُدخل اليها على سواء الرّجل وربّما وجدتَ لها حجرةً او اكثر كانت تشتمل سابقًا على نواويس انتهك حرمتها قومٌ من طالبي الخبايا وبائعي العاديّات

وُجد قبر الملك تَبنيت وعـدَّة من نفائس الآثار تخلب عقول الزوَّار في متحف الاستانة العليَّة. والفضل في اكتشافها عائد الى سر مهندس البلدية بشاره افندي

ولعلَّ سعة حدود هذه المدافن البالغة في العمق كسعة المدافن التي اتُّخذت بعدئذٍ بدلًا منها. امَّا مركزها فالارجح انهُ على مسافة ١٠٠٠ او ١٥٠٠ متر من المدينة على منعطف الرُّبى المجاورة. هذا ما يظهر لنا بالحدْس والتخمين وهو سبيل ننهجهُ لمن يأتي بعدنا باحثًا في عاديات جبيل» (ستأتي البقيَّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٢ حلب

سبق لنا في مقالتنا عن ابن الافرنجيَّة الشاعر الحلبي (المشرق ٢: ٤٤٢) ان النهضة الادبيَّة التي عمَّت اليوم بلاد الشام كان بدؤها في مدينة حلب منذ اوائل القرن الثامن عشر. وقد احرزت لها الشهباء في ذلك العصر مجدًا آخر وهي انها سبقت كلّ البـلاد الشرقيَّة بفنّ الطباعة العربية. وكانت بعض مطبوعات لغتنا الشريفة نُشرت قبلهـا بالاستـانة العليَّة لكنَّها كانت بحرفٍ عبراني (المشرق ٣: ١٧٦). ثم طُبعت المزامير في قزحيَّا سنة ١٦١٠ بالحرف السرياني المعروف بالكرشوني (المشرق٣: ٢٥٤). امَّا الحروف العربيَّة فكان ظهورها لاول مرَّة في حلب في العشر الاول من القرن الثامن عشر

واصل هذه المطبعة مجهول الى اليوم فلا يُعلم من امرها شيء ولعلَّ حروفها حُفرت وسُبكت في مدينة حلب نفسها. وهي حروف خَشنة والطبع عليهـا غير مُتقن وان كان جليًّا نضرًا

وقد زعم العلامة شنورر (Schnurrer) في كتابهِ « المطبوعات العربية »(ص٢٧٠) انَّ حروف مطبعة حلب هي حروف مدينة بكرش (Bucharest) عاصمة الفلاخ جلبها الى حلب اثناسيوس الرابع البطريرك الانطاكي. وقد خطَّأَ المستشرقُ الشهير دي ساسي

مقبَّبة. ومن المعلوم ان الفينيقيين الاقدمين لم يستعملوا القبب في مدافنهم

نواويس جبيل

نواويس جبيل كنواويس غيرهـا من المدافن الفينيقيَّة. لكنَّهُ لم يجدوا حتى الان فيها الّا ناووساً واحداً يمثِّل هيئة الجسم البشري (Sarcophage anthropoïde) وهو اليوم فى متحف اللوفر. والنواويس الخشبية لا اثر لها في جبيـل مع كثرتها في غيرها من المدن الساحليَّة. امَّا النواويس من الرصاص والآجرّ والحجارة والرخام البلدي مع اطباقها المحدَّبة فهي اشبهُ شيء بنواويس بلاد فينيقيَّة من حيث هيئتها ونقوشها

وقبل ختام هذا الباب لا بُدَّ ان نثبت هنا قولًا لرينان بخصوص اثقاب وشقوق مختلفـة الشكل وفي الغالب مستديرتهُ تُرى في قعر النوافذ الداخلة في قلب الارض. فظنَّ المسيو رينان انَّ العملة الذين كانوا يحفرون هذه المقابر كانوا يسبرون متانـة الصخر بادواتهم قبل حفرهِ ليعلموا ما سيلقون في شغلهم من المشقَّة

وقد ردَّ الدكتور روفيه على زعم رينان بما لا يُنقض من الحجج فبيَّن انَّ هـذه الاثقاب ليست بصناعيَّة وانَّما هي صدوع طبيعيَّة كثيرًا ما تحدث في الحجارة الرمليَّة كما يُستدلّ على ذلك حيثما شاعت هذه الحجارة. وقد رأينا كمثل هذه الشقوق في جبيل نفسها خارجًا عن المدافن

فهذا نظرٌ عموميٌّ لخَّصنا فيهِ ما يُعرف عن جبيل وآثارها. فعاديَّاتها كما ترى قليلة ولكن لا يجوز للعلماء ان ييأسوا من وجود آثار غيرها. ولقد اساء رينـان لمَّا قال عن جبيل انَّهُ لا يؤمل اكتشاف شيء جديد فيها. وكان دأب هذا الرجل ان يبحث دون تروٍّ كافٍ عن العاديات ولمَّا لم يعـثر في جبيل على ما كان ينتظرهُ جزم بان هذه المدينة خلوة من المآثر القديمة

امَّا نحن فنؤثر رأي الدكتور روفيه حيث قال في خاتمة مقالتهِ عن جبيل: « انَّـنا نعتبر جبيل ومدافنها كانَّها مجهولة تمامًا الى يومنا. ونظنّ انَّ آبارها المتخذة لدفن الموتى قد سُدَّت افواهها مع صفائح قبورها بالرمل والتراب المنقول الى هذه المدافن من التلال المجاورة فاتُّخذت تلك التلال كجنائن وبساتين وصارت المدافن مطمورة في قعر الارض. ولكن لنا الامل الوثيق ان سيتوصَّل عمَّا قليل اصحاب الهمَّة الى هذه القبور المكنونة في اعماق الارض. ولنا ضمين لتحقيق آمالنا في ما شاهدناهُ في مدافن صيداء التي فيها

الحاية .= ٤ً كتاب النبوّات الشريف طُبع سنة ١٧٠٨ بقطع كبير عدد صفائحهِ ١٢٨ وهو على عمودين واسماء فصولهِ بحرف احمر . وهو كتاب معروف في الكنيسة اليونانيَّة (١ .= ٥ً فصول من الانجيل المقدس لكل اعياد السنة . وفي آخر كلّ فصل تفاسير نظنُّها لابن الفضل الانطاكي طُبع سنة ١٧٠٨ . وفي مكتبتنا منهُ نسخة حسنة .= ٦ً عظات اثناسيوس بطريرك اورشليم . طُبع سنة ١٧١١ وعدد هذه المواعظ ٦٦ . تليها مقالة القديس يوحنا فم الذهب في عيد الفصح ثمَّ منشور البطريرك كريسَنْثوس الى رعيَّتهِ . واثناسيوس المذكور يرجَّح انَّهُ اثناسيوس الثاني الذي جلس على الكرسي الاورشليمي نحو سنة ١١٨٠ م (٢ . اما كريسنثوس فتولَّى كرسي القدس الشريف من سنة ١٧٠٧ الى ١٧٣٣ .= ٧ً البركلستيكون (او بالاحرى براكليتيكوس παρακλητικὸς اي المعزّي وهو من الكتب الطقسية اليونانية المعروفة . طُبع في حلب سنة ١٧١١ ثمَّ جُدّد طبعهُ في القدس قبل اربعين سنة في مطبعة القبر المقدس .= ٨ً كتاب صخرة الشك وهو كتاب ينفي بعض العقائد التي تعلّمها الكنيسة الرومانية . ترجمهُ البطريرك اثناسيوس الرابع من اليونانية وطبع في حلب سنة ١٧٢١ (٣ . وهذا الكتاب جدَّد الرومُ الاورثذكس طبعهُ مرارًا وقد فنَّدهُ الكاثوليك (راجع كتاب الكنيسة الجامعة لحضرة العالم الفاضل الخوري جرجس صفير النائب البطريركي في الاسكندريَّة)

هذا ما حصلنا عليهِ بخصوص مطبعة حلب القديمة . ولا نعلم كيف انتهت هذه المطبعة وكيف بطلَت آلاتها وتضعضعت حروفها

وممَّا افادنا حضرة الخوري الاديب العالم نيقولاوس كيلون الحلبي انَّهُ اطَّلع على بعض كتب كمزامير ودرب الصليب وغير ذلك ممَّا طُبع في حلب على الحجر لا بالحروف وذلك في مطبعة بلفنْتي . قال حضرتهُ : «كان هذا استحضر مطبعة حجر فبطلت ولم اعرف تواريخ الكتب التي طُبعت فيها ومنها مشقوق امكنة تواريخها (٤ »

وقبل ان ننتقل الى ذكر المطابع التي أُنشئت في القرن الثامن عشر احببنا ان نذكر المطبعة الحلبيَّة المارونيَّة التي ازهرت في اواسط هذا القرن . وقد اعتمدنا في ايراد هذه الفوائد على رسالة انفذها الينا حضرة الاب نيقولاوس كيلون السابق ذكرهُ وهو أعرف بها من غيرهِ لانَّهُ كان اول عامل فيها فكتب عنها ما حرفهُ :

١) راجع قائمة كتب دي سامي (ج ١ ص ٢٨٦) ٢) راجع الشرق المسيحي للعلَّامة لوكيان ج ٣ ص ٥٠٢ ٣) اعلم انَّ البطريرك اثناسيوس الرابع تقلَّب مرارًا في ايمانهِ . وقد ارسل صورة خضوعهِ للكرسي الرسولي (راجع المنار ١ : ٢٧٩ وتاريخ الروم الكاثوليك ص ٤١) وللمطران جرمانوس فرحات قصيدة في مدحهِ . وممَّا يؤخذ عليهِ انهُ حضر سنة ١٧٢٢ المجمع القسطنطيني الذي فنَّد اعمالهُ عبد الله زاخر في كتاب تفنيد المجمع المنيد ٤) وفي مكتبتنا رسالة رعائية للقاصد الرسولي يوحنا اوفرنيه طُبعت على الحجر في حلب سنة ١٨٣٦

رأي شنورر لما وجد من الاختلاف بين حروف كتب بكرش وحلب (١

وما لا ينكر ان اثناسيوس المذكور بعد ان ولّاهُ مدّة حزبٌ من الروم الكرسيَّ الانطاكيّ (سنة ١٦٨٦) في حياة كيرلُّس الخامس رضي باسقفيّة حلب على شرط ان يُذكر اسمهُ في الصلوات العموميّة كبطريرك ويوقع بعد اسمهِ «البطريرك الانطاكي سابقًا» (٢. ولمّا توفّي كيرلُس الخامس سنة ١٧٢٠ عاد الى البطريركية فساس امورها الى سنة وفاتهِ ١٧٢٤. وكان اثناسيوس رحل سنة ١٦٩٨ الى بلاد الفلاخ ودخل على اميرها حنًّا قسطنطين برنكوفان ونال منهُ ان يسعى بطبع الكتب الطقسيّة باليونانيّة والعربية. فاجاب الامير الى ملتمسهِ وعيّن لهُ كاهنًا كرجيًا يدعى انثيموس ليحفر لهُ حروفًا عربية ففعل. وطبع في بكرش باليونانية والعربية كتاب الليتورجيّات الثلاث سنة ١٧٠١ م ثم كتاب القنداق ووزّعهما مجّانًا على كهنة الروم

ثم عاد اثناسيوس الى حلب واهتمّ بطبع كتب اخرى طقسية في هذه المدينة. ولا نعلم كيف توصّل الى سكب الحروف. ولعلّهُ استصحب معهُ الكاهن انثيموس المذكور فحفر لهُ حروفًا جديدة او كان هو اتقن هذا الفنّ فعلّمهُ قومًا من الحلبيين. وما لا مشاحّة فيهِ انّ اثناسيوس ادرك غايتهُ فنشر بالطبع في حلب بعض الكتب الدينية ونثبت هنا قائمة ما نعرف منها حسب تأريخها وهذه المطبوعات اضحت اليوم عزيزة الوجود وفي خزانة كتبنا الشرقية اربعة منها:

١ً كتاب المزامير طبع سنة ١٧٠٦. وهو ترجمة عبد الله بن الفضل الانطاكي الكاتب الشهير وهذا الكتاب جُدّد طبعهُ في حلب سنة ١٧٠٩ و١٧٢٥ و١٧٣٥ (٣ وعنهُ أُخذت الطبعات التالية). امّا الكاتسمات فقد نقّحها البطريرك اثناسيوس قبل طبعها. = ٢ً كتاب الانجيل الشريف طُبع بقطع كبير في السنة عينها ١٧٠٦ وعدد صفائحهِ ٢٨٣ وهو مزيّن بصور الاربعة الانجيليين. ونظنّ ان هذه الترجمة هي ايضًا لابن الفضل الانطاكي نُقلت عن الاصل اليوناني. = ٣ً كتاب الدرّ المنتخب من مقالات القديس يوحنا فم الذهب نقلهُ عن اليونانية البطريرك اثناسيوس وطبعهُ سنة ١٧٠٧. ثمّ جدّد طبعهُ في بيروت في مطبعة المعارف الارشمندريت غبريئيل جباره سنة ١٨٧٢. وهو يحتوي ٣٦ مقالة على موادّ ادبيّة ودينيّة وكتابيّة وفي مكتبتنا الشرقيّة نسختان من الطبعة

---

١) راجع قائمة مكتبتهِ Bibl. du Baron de Sacy I, 289

٢) راجع المنار. السنة الاولى ص ٢٧٩). ومختصر تاريخ الروم الملكيين الكاثوليك (ص ٢١)

٣) راجع قائمة مطبوعات لندرة العربية Ellis: *Catal. of arab. books in the British Museum* I, p. 328

(١٨٧٠) – قطف الزهور (١٨٧٢) – تدبير حسن (١٨٧٥) – قلائد اللؤلؤ المنظوم في مراثي الخوري م . مظلوم (١٨٧٨) – قانون رسم التمغة (١٨٧٤) – ديوان الفارض (١٨٨٤) – نظم اللآلي للحبر الشمالي (وهو مجموع ديوان الطيّب الذكر السيد فرنسيس الشمالي مطران حلب ١٨٩٥) – شذور الذهب لتهنئة مطران حلب (١٨٩٦)

٥ (كتب نظريَّة) المرآة الصفيَّة في المبادئ الطبيعية للمرحوم فرنسيس فتح الله مرَّاش (١٨٦١) – تعزية المكروب وراحة المتعوب لهُ (١٨٦٤) – دليل الحائر (١٨٦٣) – دليل الحرّيّة الانسانية (١٨٦١) – غابة الحق لفرنسيس مرَّاش (١٨٦٥) – الطبيعة في وجود الله والشريعة لهُ – الادلَّة النظريَّة في وحدة النفس البشريَّة للقس بولس عازار (١٨٨٦)

٦ (رزنامات) رزنامة السنة حسب ترتيب كلّ من الخمس الطوائف (١٨٥٨ و ١٨٧٤) – رزنامة مطبوخ الارمن (١٨٨٠) – رزمانة اسلاميَّة (١٨٨٣)

هذا وانَّ احرف المطبعة المارونية قد تغيَّرت مرارًا فمنها الحرف المستدقّ الناعم ومنها الحرف الناصع الكبير وقد طبعت بعض كتبها بالحرف الاميركاني لا زالت في ترقٍ متداوم بهمَّة حبرها الجليل السيد يوسف دياب الجزيل الاحترام نفعًا للوطن وفخرًا للنصرانيَّة معًا

ومنذ نحو عشرين سنة قد استجلبت الحكومة السنيَّة مطبعةً اكثر ما يُطبع فيها الاوراق الرسميَّة . وفيها تُنشر جريدة « فرات » الغرَّاء

٣ مطبعة الشوَير

(ملخَّص تاريخ دير الشوَير) الشوَير قرية معتبرة من مقاطعة المَتن قريبة من الخنشارة فيها دير كبير للرهبان الملكيين المعروفين بالباسيليين البلديين . واسم الدير دير الطبشة مشيَّد على اسم القديس يوحنَّا المعمدان (١ . وفي اواخر القرن السابع عشر كان يسكن هذا الدير كاهن واحد من بيت صوايا يهتمّ بخدمة بني طائفتهِ في الشوَير وبطغرين . وكان للدير كنيسة صغيرة لا تزال على هيئتها القديمة الى يومنا هذا وبجوارهِ كانت غرفة يأوي اليها الكاهن المذكور

ثمّ حصل في تلك الاثناء انشقاق بين رهبان دير البلَمند الذي على مقربة من طرابلس . وذلك انَّ فئة منهم ارادت ان تتبع البطريرك كيرلُس الخامس في خضوعهِ للكنيسة الرومانيَّة فنالهم لهذا السبب اضطهادات من اخوتهم الرهبان ألجأتهم الى

١) ولذلك دعي رهبان الشوَير بالحنَّاويين نسبةً الى القديس يوحنا الصابغ

« امَّا انشاء المطبعة المارونيَّة في حلب فكان سنة ١٨٥٧ من الحميد الأثر المطران يوسف مطر. واوَّل العَمَلة فيهـا هو الداعي. واوَّل مدير كان الخواجا سليم خطَّار من بيروت اقام نحو سنة فخلَفَـهُ في ادارة المطبعة المرحوم القس فرنسيس هرون الى سنة ١٨٧٠. وكان مديرها الثالث صاحب الامضاء منذ ١٨٧٠ الى ١٨٩٦ اي نحواً من سبع وعشرين سنة. وفي سنة ١٨٩٦ سافر سيادة راعينا ايَّدهُ الله الى اوربَّة واقامني وكيلًا اسقفيًّا فما عاد يمكنني إدارة المطبعة المذكورة فسُلِّمت الآن الى الخواجا سليم مطر وهو فيها كعامل ومدير لها. هذا ما كان من تاريخ وجودها وموجدها ومديريها امَّا ما كان من عدد وتاريخ مطبوعاتهـا فترونهُ في اللائحة التالية ». وقد زدنا على هذه اللائحة بعض افادات وقفنا عليها في خزانة كتبنا الشرقية ورتَّبناها على فصول ليسهل مراجعتها :

١ (كتُب طقسيَّة) الزبور الالهي طبع سنة ١٨٦٤ يشبه طبعة الشوير – كتاب الابركسيس اي اعمال الرسل تليها الرسائل ورؤيا مار يوحنا وذلك على النسخة المطبوعة في مدينة رومية سنة ١٧٠٣ باللغة السريانيـة والمعرَّبة بقلم السيد جرمانوس فرحات (ص ٣٩٨) طُبع سنة ١٨٦٢ ثم جُدِّد طبعهُ سنة ١٨٧٤. وفي آخرهِ صورة القديسين سركيس وباخوس ومرسلوس وابوليوس – خدمة القدَّاس للموارنة

٢ (كتب روحيَّة) كتاب صلوات مقتطفة (ص٢٣٦). وهو اول كتاب طُبع في هذه المطبعة سنة ١٨٥٧ . ثمَّ كُرِّر طبعهُ سنة ١٨٧٠ – التعليم المسيحي ١٨٦٢ ثم ١٨٨٢ . وفي بعض طبعاتهِ رسالة تشتمل على سبعة عشر فصلًا في الواجبات الدينيَّـة – مدخل العبادة للقديس فرنسيس دي سال عرَّبهُ الاب فروماج اليسوعي طُبع سنة ١٨٥٩. وكان سبق طبعهُ في روميـة (١٧٤٤) في مطبعة انتشار الايمان بحرف جميل (صفحاتهُ ٢٥٤). وقد جُدِّد طبعهُ في مطبعتنـا الكاثوليكيَّة – كتاب رياضة شهر تشرين الثاني اسعافاً لانفس المطهر استخرجهُ من الايطاليانية القس بولس بليط الارمني (١٨٥٩) – زيارة القربان المقدَّس والطوباوية مريم البتول للخوري ارنول تعريب الاناغنوسطوس جرجس صعب السرياني الكاثوليكي (١٨٦٣) – تراتيل روحية طبع مرَّتين ١٨٦٢ و ١٨٩٠ – تأمُّلات الانبا لويس الملقَّب بالجسري اليسوعي ثلاثة مجلَّدات (١٨٦٦ و ١٨٦٨ و ١٨٧١) – الصلاة العقلية (١٨٦٨) – صلاة مار انطونيوس (١٨٧٧) – صلوات الجوبيليوم (١٨٦٥) – رسائل رعويَّة (١٨٦٩ و ١٨٨٩)

٣ (كتب مدرسية) مبادئ القراءة (١٨٥٧ و ١٨٧٢ و ١٨٨٧) – مبـادئ القراءة السريانية ١٨٧٣ – الاجرومية (١٨٧١) – النفحة الزكية في اللغة التركية (١٨٥٩) – المفردات السنية في اللغة التركية (١٨٦٠)

٤ (كتب ادبية وشعرية) منهاج العلم (١٨٦٥) – الرواية الجلية (١٨٦٦) – الكنوز الفنية

وقد جاء ما يخالف هــذه الرواية في اصل مطبعة الشوَير وذلك انَّ الرحَّالة دي لاروك (de la Roque) كتب (١ في تاريخ ٢١ كانون الاول سنة ١٧٣٥ (اي قبل دي ڤلناي بنحو ٨٠ سنة) نقلًا عن احد تجار صيداء الفرنج اسمهُ تروليه (Truihilier) ما تعريبهُ: «انَّ منشي المطبعة الشوَيريَّة هو الاب بطرس فروماج اليسوعي صاحب التآليف الشهيرة وانَّهُ انشأ هذه المطبعة في دير عين طورا وساعدهُ على انشائهــا بمالهِ الخاصّ التاجر تروليه الســابق ذكرهُ وان الاب فروماج اخذ حروفهُ من رومية واستقــدم منها قوماً من الطبَّاعين الماهرين فشرعوا في نشر الكتب. وزاد الراوي ان المطبعــة كانت اولًا في دير عين طورا ثمَّ نُقلت منها لضيق المكان الى دير الشوَير»

وبين هاتين الروايتين كما ترى بَون عظيم. وعندنا ان الاب فروماج الذي كان وقتئذٍ رئيساً عامًا على الرسالة اليسوعية في سوريَّة جلب هــذه المطبعة من فرنسة على حساب عبد الله زاخر وانَّهُ ساعدهُ فقط على انشائها كما يظهر من بعض رسائل للاب المذكور وقفنا عليهــا. امَّا الحروف فنرجّح انَّ حافرها وسابكها هو عبد الله زاخر ولعلَّهُ استعان في سبكها بحروف رومية العربية المستعملة في ذلك الوقت في مطبعة انتشار الايمان كما يظهر بالمقابلة

امَّا الكتب التي طُبعت ولا تزال تُطبع في الشوَير فكلُّها دينية وكثير منها مخصوص بالفروض الكنسية وهي متقنة الطبع وقد افادت الطوائف الشرقيَّة فوائد جمة وساعدت على اعلاء منار الكنيسة الكاثوليكيَّة في بلاد الشام جازى الله اصحابها في الدارين

وهذه قائمة مطبوعات الشوَير التي نعرفها على ترتيب زمان تاريخها:

١ً اول كتاب طُبع في دير الشوَير هو كتاب ميزان الزمــان للاب نيرنبرج اليسوعي تعريب الاب بطرس فروماج طُبع سنة ١٧٣٤. وهو الكتاب الذي جُدّد طبعهُ في مطبعتنــا سنة ١٨٦٢ و ١٨٨٦ = ٢ً كتاب المزامير طُبع مرارًا (١٧٣٥ ثمَّ ١٧٣٩ ثمَّ ١٧٥٣ ثمَّ ١٧٦٤ ثمَّ ١٧٧٠ ثمَّ ١٧٨٠ ثمَّ ١٧٨٩ ثمَّ ١٨٠٩ ثم ١٨٢٠ ثمَّ ١٨٢٣ ثمَّ ١٨٤٦ ثمَّ ١٨٦٣ وقد سبق ان هذه الترجمة هي لعبد الله بن الفضل الانطاكي التي سبق الى طبعها البطريرك اثناسيوس الرابع وقد صدَّرها عبد الله زاخر بمقدَّمة = ٣ً كتاب تأمُّلات روحيَّة لايَّام الاسبوع ألَّفهُ احد الاباء الكرمليين في حلب سنة ١٧٢١م فطُبع سنة ١٧٣٦. وشواهد الكتاب المقدَّس فيهِ بالحرف الاحمر= ٤ً كتاب مرشد المسيحي للاب اليسوعي دوترمان (d'Outreman) عرَّبهُ الاب فروماج (١٧٣٨)=

١) راجع قائمة كتب دي ساسي ج ١ ص٤١٢

الخروج من البلَمند. وكان في مقدّمتهم رجلان فاضلان اصلهما من حلب يدعى احدهما جراسميوس والآخر سليمان. فدخلا على البطريرك كيرلُّس وعرضا عليهِ قانونًا رهبانيًا استخلصاهُ من قوانين الآباء الاوَّلين. فسرَّ بهِ البطريرك واثبتهُ. فانتقلا حينئذٍ الى دير الشوَير (سنة١٦٩٧ (١) وبنيا لهما برضى الكاهن المتولي خدمتهُ غرفتين سكناهما وتفرَّغا هنالك للاعمال التقويَّة. ثمَّ استدعيا من دير البلَمند كلَّ من رغب ان يشاركهما في عيشتهما النسكيَّة. وفي تلك الاثناء مات الكاهن المذكور فبقي الدير في يد الرهبان. وكثر بعد حين عددهم فاقتضى الامر عمارة دير اوسع. وبُنيت فيهِ كنيسة القديس نيقولاوس بنفقة الاخ نيقولاوس الصائغ الذي صار بعد ذلك رئيسًا عامًّا وهو صاحب الديوان المشهور المعروف بديوان الخوري

(تاريخ مطبعة الشوَير) ومن جملة من دخلوا في دير الشوير صاحب المآثر العديدة عبد الله زاخر. ولد هذا الرجل الشهير في حلب نحو سنة ١٦٨٠ واهتدى الى الديانة الكاثوليكية صغيرًا ارشدهُ اليها الآباء اليسوعيون. ثمَّ اخذ يدافع عنها جهارًا ويصنِف في صحَّتها المصنَّفات الحسنة التي تشهد لهُ بذكاء العقل وتوُقد الفهم. فسعى بهِ اعداؤهُ ونصبوا لهُ المكائد فهرب الى لبنان سنة ١٧٢٢ وترل مدَّة في زوق ميكائيل بقرب دير الآباء اليسوعيين في عين طورا. وهناك اخذ في انشاء المطبعة المنسوبة اليهِ (٢

والشائع في اصل هذه المطبعة ان عبد الله زاخر هو منشئها ومتمِم لوازمها. قال الكاتب دي ڤلناي (de Volney) في كتاب رحلة سوريَّة ومصر (٢ : ٧٧—٨٥) انَّ عبد الله المذكور كان في حداثتهِ يتعاطى فنَّ الصياغة فساعدهُ ذلك على رسم حروف الطباعة وحفرها ثم سبكها سبكًا حسنًا وحروفهُ في غاية الحسن والنضارة

---

١) وفي مختصر تاريخ الروم الملكيين الكاثوليك انَّ ذلك حدث سنة ١٧٠٠. وقد عوَّلنا نحن في روايتنا على تواريخ رهبانيَّتنا القديمة. وجاء في تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي (في قسمهِ المخطوط) انَّ رهبان الشوَير اقاموا مدةً طقوس كنيستهم باللغة السريانية. وفي سنة ١٧٤٧ اثبت الكرسي الرسولي قانونهم مع ترجمة طقوسهم العربيَّة وكان اول من عرَّب هذه الطقوس من اليونانية البطريرك ملاطيوس سنة ١٦٣٣. اما الرهبان الملكيون المخلّصيون فكان اول اجتماعهم للترهُّب سنة ١٦٨٥ ثمَّ بنوا دير المخلّص سنة ١٧١٥ (وفي مختصر تاريخ الروم الكاثوليك سنة ١٧٠٨). وقانونهم هو قانون القديس باسيليوس المترجم الى العربية والمطبوع في رومية (١٧٤٥)

٢) راجع مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ٤٧)

وسيكون قبرهُ مُمجَّدًا (اشعيا ١١ : ١٠)

قصيدة من نظم الشاعر المجيد الخوري ارسانيوس الفاخوري اقتطفناها من ديوانهِ غير المطبوع الذي هو في يد ابن جدّ عمّهِ المعلّم يوسف افندي الفاخوري . وقد انشد هذه القصيدة سنة ١٨٧٠م

يا نسيماً اتى بريَّا (١ الوَردِ	حيّ قبرًا مكرَّمًا ذا مَجدِ
قبرَ ربٍّ مولى الموالي إلهٍ	قد تسامى جودًا ببذلٍ وودِّ
برضاهُ قد مات فوق صليبٍ	لينجّي الانام طرًّا ويَفدي
دُفن الربّ خانعًا فيهِ ثمَّتَ	قام منهُ حيًّا بعزٍّ وسعدِ
والى أخدار السماء ارتقى ذا م	المصطفى المقتدي المعيد المبدي
يا لقبرٍ قد نمَّ منهُ اريجٌ	فاق طيبًا اريجَ مسكٍ وندٍّ (٢
عرَّف (٣ الناسَ عرفُهُ وهداهم	بل غدا عرفهُ الى القدس يهدي
رَندهُ (٤ قد اولى البرايا انتعاشًا	وبدا عيشها بذاك الرَّندِ
في حماهُ ما يُكسب الروح رَوْحًا	من نضورٍ وحسن شكل وورد
بلّغي يا صبًا حماهُ سلامي	وانشري ما في القلب من طيّ وجد
فاليهِ نفسي تميل دوامًا	بهيامٍ في حال قربٍ وبعدِ
وجناني الى زيارتهِ في	فرط شوقٍ مفسّرًا ما عندي
يا نسيمات الصُّبح سيرى الينا	من رباهُ لا من روابي نجدِ
وبريَّاكِ أنعشي قلب صبٍّ	ما لشوقٍ بقلبهِ من حدِّ
فبريَّاكِ وحدها لجريحٍ	خيرُ طبٍّ وعيشُ ميتٍ بلحدِ
بابي قبرٌ يمنح الخلق نشرًا (٥	وبنفسي سنا ذراهُ أُفدّي
فتوارى فيهِ المسيحُ ولكن	قد تبدّى منهُ لنا نورُ رشدِ
يا لهُ في ذاك الحمى من مزارٍ	منهُ يبدو الهدى لحرٍّ وعبدِ
انهُ للعُفاة (٦ مخزن رزقٍ	ولمن يبغي من سخاهُ يجدي

١) الريَّا الريح الطيّبة
٢) نمَّ انتشر . والاريج نفحة الطيب . والندّ العنبر
٣) عرَّف اي عطَّر
٤) الرَّند نبات طيّب الريح
٥) النَّشر البَعث والقيامة
٦) العفاة جمع عافٍ طالبو المعروف

٥ً كتاب الاقتداء بالمسيح (١٧٣٩) — ٦ً كتاب اباطيل العالم للاب ديدكس ستيلّا الفرنسيي ١٧٤٠ = ٧ً مرشد الخاطئ في سرّ التوبة والاعتراف للاب بولس سنيري اليسوعي عرّبهُ في حلب سنة ١٧٣٩ الاب فروماج (١٧٤٧ ثمَّ جدّد طبعهُ ١٧٩٤). وقد طُبع ايضاً في مطبعتنا مرارًا = ٨ً كتاب تفسير سبعة مزامير التوبة للاب بطرس ارنودى (Arnoude) اليسوعي تعريب عبد الله زاخر ١٧٥٣ = ٩ً مختصر التعليم المسيحي ١٧٥٦ (ص ٤٢) = ١٠ً كتاب اعمال الرسل والرسائل ١٧٥٩ و ١٧٧٠ و ١٧٩٢ و ١٨١٣ وقد سبق وصفهُ = ١١ً كتاب مرشد الكاهن للاب سنيري تعريب الاب فروماج (١٧٦٠) = ١٢ً الاكطويخس المشتمل على الثمانية الالحان للقيامة (١٧٦٢ و١٧٨٤) = ١٣ً ايضاح التعليم المسيحي لاحد كهنة باريس تعريب الاب فروماج (١٧٦٨) جُدّد طبعهُ عندنا — ١٤ً كتاب تأمُّلات جهنم المريعة وحماقة الخطأة العظيمة تعريب المعلّم يوسف الاوديا كن الشهير بابن جرجس الحلبي الماروني (١٧٦٩) — ١٥ً كتاب قوت النفس المشتمل على تأمّلات شهريّة في آلام سيدنا يسوع للاب فرنسيس رينالدي اليسوعي تعريب الاب ميخائيل مزراق من الرهبنة المخلّصية (١٧٧٢) = ١٦ً كتاب النبوّات الكنائسي (١٧٧٥ ثم ١٨١٠ ثمَّ ١٨٣٣) = ١٧ً كتاب الانجيل الشريف الطاهر والمصباح المنير الزاهر مقسَّماً على مدار السنة وهو مزيَّن بصور الانجيليين الاربعة (١٧٧٦ ثمَّ ١٨١٨ ثمَّ ١٨٦١) = ١٨ً الاورولجيون اي السواعي (١٧٨٧ و ١٨٥٢ و١٨٧٩) = ١٩ً كتاب المجمع اللبنانيّ صفحاتهُ ٥٥٨ طُبع سنة ١٧٨٨ وهذه الطبعة تختلف عن الاصل اللاتيني الذي صادق عليهِ الكرسي الرسولي = ٢٠ً كتاب قطف الازهار في علم الذمَّة والاسرار تأليف القس عمانويل شمّاع الراهب المخلّصي بالسؤال والجواب صفحاتهُ ٣٤٣ (١٧٩٢) = ٢١ً كتاب شرح التعليم المسيحي للسيد جرمانوس آدم مطران حلب (١٨٠٢) وهذا الكتاب ابطلهُ الكرسي الرسولي لاسباب = ٢٢ً كتاب المجمع الانطاكي المنعقد بامر البطريرك اغابيوس مطر في دير القرقفة صفحاتهُ ٢٣٩ قطع رُبع. وهذا الكتاب قد امر الكرسي الرسولي باحراق نسخهِ (راجع المشرق ٢: ٩٣٥) = ٢٣ً رسوم المجمع المقدّس بخصوص صورة سرّ الافخارستيا بانَّها قائمة بالكلمات الربَّانية. واعلان اعتقاد اساقفة الروم الكاثوليك بهذه العقيدة الدينية (١٨١٢) = ٢٤ً كتاب التعليم المسيحي مع بعض ارشادات قطع ١٦ صفحاتهُ ١٣٢ وفي اخرهِ صورة القديس بطرس الرسول (١٨٢٥) = ٢٥ً طريقة علم لاجل البروتستانيين استخرجهُ من اللغة الايطاليانية الخوري مرتينوس معلوف طُبع بنفقة القاصد الرسولي ف. بيلارديل (١٨٤٣) = ٢٦ً كتاب ليتورجيا القديس يوحنا فم الذهب (١٨٤٣) بحرفين اسود واحمر = ٢٧ً رسائل رعائية للسيّد يوحنّا اوقرنيه القاصد الرسولي (١٨٣٤—١٨٣٦)

ولعلَّهُ قد طُبع في هذه المطبعة كتب اخرى غير المذكورة لم نتوصَّل الى معرفتها. واذا افادنا عنها القراء نشرناها في ذيل نلحقهُ في مقالتنا عن المطبوعات الشرقيَّة

(ستأتي البقية)

علَل خاصَّة وهي الروماتسم والنقرس (goutte) والحُدار (arthritisme)٠ وبقي الاطبَّاء على هذا الاختلاط الى ان ميَّزوا في عهدنا كلَّ علَّة عن الاخرى

وتعريف الروماتسم انهُ داء يتولَّد من جراثيم او ميكروبات تنتشر في احوالٍ تلائمها او امزجةٍ قابلة لها٠ واكثر اعراضهِ تظهر في المفاصل٠ وميكروب هذا الداء لا يزال مجهولًا٠ وانَّما وجد بعض نُطُس الاطباء كهويتر (Hueter) وجكُّود (Jaccoud) في دم كثيرين من المصابين بالروماتسم بعض الميكروبات لم يجدوها في غيرهم.لكن اختباراتهم لم تؤدِّ بهم حتى الآن الى إفراد ميكروب الروماتسم بلا شبهة ولا ريب٠ ولعلَّ المجلَّات الطبيَّة لا تلبث ان تبشرنا بهذا الاكتشاف المفيد

ويُحدّ النقرس انهُ داء منتشر في الدم (ليس بميكروبيّ) وتظهر أعراضهُ كالروماتسم في العضلات والمفاصل٠ والنقرس اثبت في الجسم من الروماتسم فلا ينتقل مثلهُ من مفصل الى آخر٠ ومن اوضح الدلائل على حلول النقرس زيادة الحامض البولي في الدم فيسيل منهُ ويرسب في المفاصل

امَّا الحُدار فليس هو مرضًا بحصر الكلام وانَّما هو حالة مزاجية تؤهل الجسم لقَبول الروماتسم

(انواع الروماتسم) الروماتسم على ثلاثة ضروب: الروماتسم الكاذب (pseudo-rhumatisme) والروماتسم المزمن (rh. chronique) والروماتسم الحادّ (rh.aigu)

١ فالروماتسم الكاذب ما اشتمل على اعراض الروماتسم وهو ليس بهِ وهذه الاعراض تحدث في بعض الامراض العامَّة والميكروبيَّة كالحمَّى النفاطيَّة (scarlatine) والتهاب التكفة (ابو كعيب) والحمراء (érysipèle) والزحار والتهاب الرئة والتيفوس فانَّ ميكروب الروماتسم يتولَّد مع هذه الامراض ويصيب المفاصل فيؤذيها الَّا ان قوَّتهُ ومفاعيلهُ مرتبطة بالمرض الاصلي

الروماتسم الكاذب يُعالج في الغالب بالادوية الخارجة المحلّيَّة كالعلَق والفصد والحجامة واللبخات والدهن بالكافور واللودانوم واستعمال الذراريح٠ وافضل العلاجات الراحة التامَّة فانَّ المرض يزول بزمن قليل

٢ والروماتسم المزمن ينقسم الى نوعين منهُ ما كان بسيطًا ومنهُ ما كان متعقّدًا (rh. noueux)٠ فالبسيط عادةً يُعقب الروماتسمَ الحادَّ٠ ومن أعراضهِ انهُ يصيب المبتلى

منهل النعمى للنفوس وورِدٌ للصوادي للبرّ اعذب وِردِ
منهُ للخاطئين اولى متابٍ (١ فينالون منهُ أوطد قصدِ
منهُ للتائبين أولى حياةٍ فيحوزون منهُ اكليل مجدِ
يا رعى اللهُ ارض جلجلةٍ حيــنَ حوَتهُ حوتْ نفائس عِقدِ
زان منها ربوعها والمغاني فغدت في ابهى وشاحٍ وبُردِ
منهُ نورٌ بدا انارَ الأقاصي كلها فانثنت بهِ تستهدي
يا إلهي اني لفي كَربٍ من عظم ذنبي ومن عدوّي وضدّي
فالى عونٍ منك أحتاج فارفقْ بهواني وامددْ اليَّ الايدي
سيّدي مُنقذي إلهي نصيري خالقي راحمي وعلّة سعدي
مُنيتي لذَّتي سروري حبوري راحتي قَرْقفي وشَهْدي وقَندي (٢
اصلُ فخري معين ذخري وعزّي وسلامي وطيبُ عيشي ورغدي
إحمني تحت بَند رحمتك الخا فق ألف الهنا بذاك البنْدِ
فالى القرب من علاك اجدُّ م السير جُدْ لي بنَيل غاية جدّي
وتقبّـــل عبدًا اتاك وسامحْ ان تُسامح فيا هناني ومجدي
وتعطّف عليَّ وارفق بحالي وأنلني خيرَ اللقا بعــد بُعدي
لاسمك القدّوس المبارك اجثو كلَّ آنٍ ثمّتْ اخصّــك حمدي

الروماتسم او داء المفاصل

نبذة للدكتور بلتزار ملكونيان

(اسم الداء وتعريفهُ) الروماتسم لفظة يونانيَّة (ῥευματισμός) معناهــا النزل. وهو اسم قد أُطلق في الاصل على عدَّة امراض متشابهة الأَعراض يريدون بهــا مجرى الاخلاط وسيلانها. وكان قدماء الاطبــاء كبقراط وجالينوس يَعنون بالروماتسم ثلاث

١) تاب اليهِ متابًا رجع
٢) القَرقف الخمرُ الطيّبة . والشهد قرص العسل . والقَند السكر المجمَّد

الصغرى فان ذلك دليلٌ يدلّ على ثقل وطأة الداء فترى المريض لا يمكنهُ ان يتحرّك بل يتعبهُ مجرَّد التنفُّس

ومن خواصّ الروماتسم الحادّ سرعة تنقّلهِ من مفصل الى آخر فتراهُ يضرب بعض المفاصل ثمَّ يزايلها الى غيرها ثمَّ يعود اليها بلا نظام مقرَّر . وتزيد قوَّة الداء عند المساء . والاعضاء المصابة بالروماتسم تراها متورّمةً ملتويةً تؤذيها ادنى مماسَّة . والمفاصل الصغرى كالاصابع تنفصل بعضها عن بعض وتعوجّ . امَّا الانسجة التي تعلو المفاصل الكبرى فلونها يضرب الى البياض . بخلاف انسجة المفاصل الصغرى فانَّها متورّدة اللون

ومن خواص الروماتسم الحادّ ايضاً انهُ اذا انتقل من مفصل الى آخر لا يُبقي فيهِ اثرًا كالمِدَّة او غير ذلك . والحمَّى في اثنائهِ متداومة لكنَّ درجات حرارتها كثيرة الاختلاف . وعدد اختلاج النبض في الدقيقة يبلغ ٩٠ الى مئة عدًّا . امَّا عرق المريض فكثير وهو ذو رائحة قبيحة . وكان قدماء الحكماء يظنُّون ان داء الروماتسم يتلاشى بواسطة هذا العرق وانْ هذا الَّا وهمٌ باطل . وربَّما كان الامر بعكس ما توهَّموا فيصير ارتباك اعظم بتوفُّر العرق

ومن لواحق الروماتسم ان المبلوَّ بهِ يهزل سريعًا ويسهم لونهُ . ويهبط عدد كُرَيَّات دمهِ الحمراء من اربعة ملايين ونصف في الملمتر المكعَّب الى نحو مليونين فقط ويفقد المريض شهوة الطعام ويشعر بعطش شديد . ومع هذا فان وظائف الدماغ باقية على حالها والمريض لا يهذي بالكلام . امَّا اذا أُصيب بدماغهِ فالامر ذو بال ويُخشى على المريض من ارتباك عظيم

ومدَّة الروماتسم الحادّ تختلف كثيرًا فان كان ألمُهُ خفيفًا دام من اسبوعين الى اربعة اسابيع وان كان شديد الوطأة ربَّما طالت مدَّتهُ الى شهرَين . واذا توارى أبقى بعدهُ ضعفًا ما في المفاصل

واعلم ان الروماتسم الحادّ ينتهي دائمًا بالشفاء ما لم يحصل في اثناء وقوعهِ او عند انتهائهِ ارتباكات أُخر واكثر هذه الارتباكات شديدة الخطر فهي تدهم القلب او الدماغ او الرئة فيدعى الروماتسم لذلك بروماتسم القلب او روماتسم الدماغ او روماتسم الرئة

والاوَّل هو الاكثر وقوعًا . قال الدكتور النطاسي ديولافوا (Dieulafoy): « القلب

بهِ حتَّى خفيفة واذا ضُغطت مفاصلهُ توجَّع من ضغطها كما انَهُ يتأَلَّم عند الحركة ويُسمع لمفاصلهِ كصوت الفرقعة. وهذه الاوجاع تخمد احياناً ثمَّ تعود نوباتها عند تقلُّبات الهواء ونفح البرد. واذا طالت المدَّة على صاحب الروماتسم المزمن ثقلت حركاتهُ وفسد تركيب مفاصلهِ وصار عاجزاً مخلَّعاً

امَّا الروماتسم المزمن المعروف بالمتعقِّد فهو اثقــل وطأَةً يحدث للمصاب بهِ بين الاربعين والستين من عمرهِ وهو في النساء اكثر منهُ في الرجال ويصيب في الغالب الفقراء لاسيما الذين يسكنون البيوت الباردة الرطبة. واوَّل ظهورهِ في المفاصل الصغرى كمفاصل اليدين والرجلين فتتصلَّب الاصابع وتتأَذَّى بالحركة ثمَّ يصيبها بعض الورم الى ان تتعقَّد (ولذلك سُمّي هذا الروماتسم بالمتعقِّد) وتتجمَّد فيُضحي المصــاب كسيحاً عاجزاً عن العمل. وربَّما انتهى هذا الداء بارتباك في القلب والصدر والرئة فيحصــل للمريض بسبب ذلك علل خطرة كالبول السكَّري وداء السلّ

وممَّا يلحق بالروماتسم المزمن الروماتسم العضَلي لانَّ مركزهُ في العضلات والاعصاب. ويصيب خاصَّة المفاصل الكبرى

وعلاج الروماتسم المزمن غالباً بالتوقّي من اسبابهِ اي بمحايدة الرطوبة والبرد. ومن الادوية النافعة لدفع مضارّهِ القلويَّات وصبغة اليود الداخليَّة بان يشرب المصاب بعض نُقط الى بعض غرامات منهُ . ومن الادوية قمحاتٌ من يودور البوتاسيوم او شيء من مزيج الزرنيخ. وممَّا يُستحسن في هذا الضرب من الروماتسم استعمال الوسائل الخارجيَّة كالتمسيد والصبغ باليود والذرانيخ الموضوعة على المفاصل. وكذلك تنفع الاستحمامات المُسخنة او الحمَّامات المعدنيَّة او الكبريتيَّة

٣ الروماتسم الحادّ هو الداء العضال الذي يغلب النوعين السابقين أَلماً ويعرّض بصاحبهِ الى ارتباكات عديدة. وقد اجَّلنا كلامنا عنهُ لنفرد لهُ مقالاً مطوّلاً

واعراضهُ بان يشعر المبتلى بهِ بنوع من الضنك بعد زُكام اصابهُ او التهاب في الشُّعب او خنــاق. ومع الضنك يُصاب العليل بحمَّى تتزايد الى ان تبلغ بعد ايام قليلة ٤٠° ومع هذا ترى المريض يعرق عرقاً كثيراً ثم لا يلبث ان يشعر بوجع في مفاصلهِ الكبرى. فاذا لم يتجاوزها الالم كان ذلك دليلًا على خفَّة الداء امَّا اذا انتقل الى المفاصــل

وربّما تأصّل فيهِ وابتُلي بالجنون التام او تقوى عليهِ أعراضهُ فيموت

هذه هي اغلب الارتباكات التي تحصل في خلال الروماتسم الحادّ. امَّا الاولاد فالروماتسم فيهم خفيف الوطأة وانّما يخشى عليهم ان يصاب قلبهم. فاذا حدث ذلك كان الخطر جسيماً وأشتدَّت اعراضهُ بسرعة غريبة

(اسباب الروماتسم الحادّ) اسبابهُ عديدة منها مزاجيَّة كالحُدار وقد قلنا انَّهُ يجعل الجسم قابلًا لهذه العلة. ومنها محلّية فان الروماتسم الحاد يكثر في البلاد المعتدلة الحرارة الكثيرة الرطوبة. ومنها زمنيَّة كتقلُّب احوال الهواء فجأَةً او تمادي الرطوبة او مجرى الهواء او المطر. ومنها شخصيَّة كالشغل المفرط او السكر او الضرب او سوء الهضم. امَّا سببهُ العظيم فهي الجراثيم الميكروبيَّة كما سبق واكثر ما يصاب بهِ الانسان بين ١٥ و ٤٠ من عمرهِ يطرأُ على الرجال والنساء معًا وهو على الرجال اغلب

(علاج الروماتسم الحادّ) كان الاطبَّاء قبل عهدنا بنحو عشرين سنة لا يقوون على علاج هذا الداء. وكانت ادويتهم كلها خارجيَّة كالفصد المتواتر والحراريق على المفاصل أجمعها وشرب سولفات الكينا وملح الطرطير. الَّا ان هذه الادوية لم تُفد المريض الَّا قليلًا. ولمَّا كانت سنة ١٨٧٧ اكتشف العلامة جرمان سي (G. Sée) دواءً ناجعًا لهذه العلّة وهو سليسيلات الصودا (salycilate de soude). ومن مفاعيلهِ الحسنة انهُ يخمد الوجع سريعًا ويُهبط درجة الحمّى ويُقصّر نوبة الداء ويمنع الارتباكات الخيفة التي سبق ذكرها بشرط ان يُلتجأ اليهِ دون تماهل. ويزيد في مفعولهِ ان يعطى منهُ المريض ساعة شعورهِ بالوجع من ٦ غرامات الى ٨ في النهار اللهمَّ اذا كان الالم شديدًا والحمى قويَّة. ويكفي اقل من ذلك في النوبات الخفيفة. وكيفيَّة استعمالهِ ان يأخذ المريض منهُ غرامًا كل ساعتين او يشربهُ ممزوجًا. ويُفضَّل ان يُخلط بقليل من ماء ڤيشي او الحليب لتقبلهُ المعدة ولا تتقيَّأهُ. وبعض الاطبَّاء يصفونهُ ممزوجًا ببيكربونات الصودا

وعند ما تخفّ الاوجاع يكفي ٤ او ٥ غرامات بالنهار واذا ما توارى الروماتسم يحسن بالمريض ان يداوم على هذا الدواء مدَّة ١٥ يومًا لئلا ينتكس

والاطفال تقبل معدتهم السليسيلات فيُعطون منهُ غرامًا في النهار اذا لم يبلغوا

هو العضو الذي يؤثرهُ الروماتسم واذا نزل فيهِ لا يسهل دفعهُ عنهُ ». والفضل في تعريف هذا الداء عائد الى الطبيب الفرنسي بوليو (Bouillaud) وهو الذي بيّن جليًّا ما يوجد من العلاقة بين القلب والروماتسم وكان الاطبّاء قبلهُ لم يكادوا يعرفون من هذا الامر شيئًا فدعوا بوليو « مُشخّص روماتسم القلب ». وميكروب الداء يلصق امَّا في غشاء القلب الباطني وهو الغالب فيدعى إندوكَرديت (endocardite) واما في غشائهِ الخارجي فيدعى البريكَرديت (péricardite). واذا حلَّ في الغشائين دُعي اندوبريكرديت (endopé-ricardite) وهو وقتئذٍ شديد الألم وخيم العقبى ويكون مركزهُ الخاصّ في مصراع القلب المعروف بالتّاجي (valvule mitrale) وكثيرًا ما يُحدث فيهِ جرحًا يصعب شفاؤهُ

امَّا روماتسم الرئة فمن آثارهِ السيئة انهُ يحدث التهاب غشاء الصدر سواءٌ سال منهُ مدَّة او لا وهذا السيلان يأْتي على بغتةٍ ويتوارى كذلك

امَّا روماتسم الدماغي فينذر باعراض مقلقة وهو كثير الخطر وتشخيصهُ سهلٌ لانهُ يضرب الدماغ بخلاف بقيَّة أصناف الروماتسم ويُرى عادةً في المريض المصاب بهذا الداء استعداد لهُ. وهو ينتج عن اسباب تؤثّر في بنية الرجل كشغل العقل المفرط والهموم الزائدة وشرب المسكرات والوراثة. فيلتهب غشاء الدماغ (méningite rhumatismale) وتنهكهُ حمّى شديدة تبلغ الى ٤٠° او ٤١° وينسى المريض وجع مفاصلهِ تمامًا ويصيبهُ هذيان كما في حمّى التيفوس وتتسارع حركة نبضهِ ثمَّ يحدث لهُ رجفان وتشنُّج ولا يلبث ان يتبع ذلك السكتة ثم الموت

وفي بعض الاحيان يظهر روماتسم الدماغ بالصرع والموت الوحيّ. اخبر تروسو عن رجل قويّ البنية شديد القوى مثابر على شرب الخمور والمسكرات انَّ دماغهُ أُصيب لثمانية عشر يومًا من ابتلائهِ بداء الروماتسم فحار بصرهُ من وقتهِ وصار يصرخ ويضج ويثب من فراشهِ حتى لم يقوَ رجلان عن منعهِ الَّا بعد الجهد الجهيد ثم خمدت حركتهُ ومات. ولم يمرّ على حركاتهِ هذه كلها الَّا ربع الساعة

وفي الغالب لا تكون أعراض الروماتسم الدماغي على هذه الصورة وانما يستولي على المصاب بهِ سوداء او ماليخوليا فتراهُ صامتًا واجمًا تتغلّب عليهِ الغموم والافكار المحزنة وتتراآى لهُ المرائي الفاجعة ويُخيَّل لهُ ان من يجاورهُ يريد قتلهُ. او ينتقل من الضحك الى البكاء بغتةً دون داعٍ. او يصيبهُ ارتعاش وهذيان ثم يعود الى بكمهِ الاول.

ترتجف من الغضب وتأثير المشاريب الروحيَّة. ولهذا فمن بعد ما أُغمي على نسيب مدَّة استيقظ وهو راقد على سرير في المستشفى

وبيان ذلك ان رفقاءهُ المعدنين لمَّا خرجوا من مساكنهم عند طلوع الصباح للذهاب الى اشغالهم وشاهدوا بابهُ مفتوحاً عرَّج البعض منهم فرأوهُ ملقىً تحت احدى الموائد مضرَّجاً بالدم وكان فيهِ بقيَّة من الرمَق فاحتملوهُ في الحال الى المستشفى لمعالجتهِ. ومن غريب الاتّفاق ان الراهبة ماري جانّ ارقدتهُ بالسرير الذي ارقدت فاضلًا فيهِ قبلًا واخذت تبذل في مداواتهِ كلّ عنايةٍ ممكنة حتى ثابت اليهِ الحياة ولم يبقَ الّا ان يلتئم جرحهُ

ومع ذلك كانت نظراتهُ تبوح بما يخالجهُ من الاضطراب والقلق الداخلي ولذلك لمَّا سُئل عمَّا جرى لهُ أَبى ان يجاوب جوابًا صريحًا لان ذكر اسم المعتدي وسبب اعتدائهِ يقضيان عليهِ بذكر اسمهِ الخاص وبيان جرائمهِ

ولا يخفاك ان الضمير المثقَّل بالمنكرات يتَّخذ الخوف في كلّ حال قرينًا. فمن اجل هذا كان نسيب منزعج البال مضطرب الخاطر وقد اجتهدت الراهبة ماري جانّ في تسليتهِ فذهب اجتهادها باطلًا لان المذكور كان دائمًا عبوسًا مكفهرّ الوجه لا يفتح فاه الّا لطلب مأكول او مشروب

وفي ذات يوم شاهدتهُ الراهبة الموما اليها احسن حالًا فاحبَّت ان تحدّثهُ في شأن نفسهِ فحوَّل عنها وجهًا وهزَّ كتفيهِ استهزاءً فذهبت عنهُ وهي حزينة جدًّا واقبلت على الصلاة من اجلهِ لعلَّ الله يليّن قساوة قلبهِ

وبعد ان اعتنت بهِ مدَّة خمسة عشر يومًا عنايةً متواصلة متتابعة اندمل جرحهُ واستطاع النهوض من فراشهِ وغبَّ مرور ثمانية ايام خرج من المستشفى. وكان الطبيب قد صرَّح بلزوم بقائهِ بضعة ايام أُخر غير ان نسيبًا كان يخاف ضياع حقوقهِ في المنجم الذهبي الذي استأجرهُ فلم يعمل بمشورة الطبيب فضلًا عن انَّهُ كان قد كره الاقامة في مكان كانت رائحة التقوى الفائحة منهُ تزعجهُ. ومن ثمَّ عاد الى اشغالهِ بهمَّة وحرارة أزيد من السابق

وكان المنجم الذي استأجرهُ غنيًّا بالذهب فكان في كل يوم يجمع شذورًا كثيرة من المعدن الثمين حتى صار لديهِ ما يساوي أُلوفًا من الليرات

السنتين من عمرهم وغرامين الى السنة الخامسة منهُ و ٣ او ٤ غ الى السنة ١٠ ثمَّ ٥ غ فوق العشر السنين

ومن المرضى مَن لا تقبل معدتهم السليسيلات لضعف مزاجهم ويصيبهم بسببها التباك معدة وطنين آذان ودوار. فهؤلاء يستعملون الادوية الآنف ذكرها. وكذلك لا يحسن وصف السليسيلات للنساء الحبالى وللمصابين بالتهاب الكلى

ومن الادوية التي يفيد استعمالها بعد السليسيلات الانتيپيرين (antipyrine) والسولول (solol) والساليپيرين (salipyrine) و بنزوات الصودا وغير ذلك. وافضلها الاول ولكن لا بدَّ من الفطنة في اتخاذهِ

وما خلا هذه الادوية يقتضي على العليل ان يتجنَّب الهواء ويقي اعضاءهُ باللُحف الدافئة ويقتصد بالمأكل مكتفيًا بالحليب وحُسـاء اللحم على الغالب. ويحسن بهِ ان يأخذ المسهلات لئلَّا يصيبهُ قبضٌ

واذا انتقل المرض الى القلب فعلى الطبيب ان يستعملَ الخرادل والذرانيخ الطيَّارة ويودور البوتاسيوم ونبات الكشاتبين (digitale). وفي روماتسم الدماغ يحسن العلاج بالماء البارد

وبعد زوال المرض يجب على العليل ان يقوّي جسمهُ بالمآكل المغذية والمياه المعدنية ويُقصي عنهُ كلَّ ما من شأنهِ ان ينكسهُ ثانيـةً في مرضهِ كالبرد والرطوبة والمبالغة في الاشغال والتعب الزائد والهموم المفرطة. فان راحة القلب وهدوّ البـال والاعتدال في التصرف من أفعل الوسائل لردّ هجمات هذا الداء. والسلام

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل التاسع

في موت الشقي

سبق الخبر ان فاضلًا طعن نسيبًا لمَّا كان الاثنان في مدينة داڤسون طعنةً خرَّ لها الثاني صريعًا يختبط بدمهِ غير ان الطعنة لم تكن قتَّالة لان اليد التي جادت بها كانت

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاهُ انواع الكلام فقالا
وتقدَّم الاخوانُ فاستمعوا لهُ ورأيتهُ بين الورى مختالا
ان الدراهم في المنازل كلها تكسو الرجال مهابةً وجمالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحة وهي السلاح لمن اراد قتالا

وعلى ذلك فكان القوم يتحدثون في قاعات نسيب عن آخر رواية مُثِّلت وعن آخر اختراع ظهر وغير ذلك من الامور. وكانوا يطيلون في الكلام ويتجادلون ويتخاصمون غير ان القاعات كانت تفرغ شيئًا فشيئًا ويذهب ضيوفهُ واحدًا بعد آخر ويبقى نسيب وحدهُ في قصرهِ المتسع الارجاء. فمن ضجرهِ كان يطلّ على الشبّاك لمشاهدة المناظر البهجة ثم يعود الى حجرتهِ فيأخذ من على مائدتهِ كتابًا اصفر الجلدة وخيم المضمون ويقلّبهُ مريدًا بذلك ان يبعد السأم عنهُ

وكان نسيب قد حمل من بلاد ألاسكاء جراثيم المرض الذي كان مزمعًا ان يقودهُ الى القبر لان البرد الشديد الذي لم يكن معتادًا لهُ قد أَضرَّ بصدرهِ رغمًا عن متانة بنيتهِ وهكذا جرى ايضًا لكثيرين غيرهُ من المعدنين في كلونديك. فاراد ان يستشير الاطبَّاء في امرهِ فقدم واشنطون واستدعى مشاهير الاطباء فسأَلهم عن حالهِ ولكنَّهم كتموا عنهُ حقيقة المرض ووعدوهُ بانهم يقدرون على شفائهِ اذا بقي تحت مناظرتهم في واشنطون. فاخذوا يعالجونهُ معالجة تخمد اوجاعهُ دون ان تحسّن صحّتهُ

وفي نحو منتصف الخريف بعث الى جميع معارفهِ واصدقائهِ يسأَلهم ان يأْتوا لزيارتهِ في قصرهِ الكائن على ضفاف بحيرة اريه حيث عزم ان يقضي هناك فصل الشتاء. وكان الاطبَّاء قد افهموهُ بنوع غير صريح ان السفر يؤذيهِ غير ان نسيبًا ابى ان يفهم بل توهَّم ان الإقامة بجانب البحيرة تؤُول الى شفائهِ

وبناءً على ذلك سافر نسيب الى حيث اراد وما كاد يصل الى المحطة حتى شاهد عددًا من الاصدقاء ينتظرونهُ هناك قيامًا بواجب وداعهِ وشكرًا لتلطفهِ بدعوتهم الى زيارتهِ

ثمَّ انَّهُ ركب في حجرة مخصوصة من القطار فسار ينهب الارض بسرعة البرق وكان قد مضى عليهِ نحو خمسة عشر يومًا يشعر فيها ببعض الانحراف فظن انهُ مصاب بالانفلونزا لان اصاباتها كانت كثيرة في تلك الايام ولهذا استصحب احسن الادوية المقوّية آملًا انها تؤُول الى شفائهِ بمساعدة الهواء النقي

فأبرقت اسرَّتهُ وطار فرحاً وخيلاء من خدمة الحظّ لهُ. وكأن العدل البشري قد نسي قاتل جون اولري الذي وجد اشخاصاً كثيرين كفاضل كان يستخدمهم لقضاء مطامعهِ وجرّ ما يمكنهُ ان يجرّهُ منهم من الفوائد لنفسهِ حتى اذا رأى انهم ما عادوا يصلحون لهُ يتركهم وشأنهم كأنهم آلات خُلقت لخدمتهِ يهملها متى قصَّرت عن إفادتهِ. وكان قد توفَّق الى اكتشاف مناجم اخرى اوفر ذهباً من المناجم المعروفة التي استأجرها بمبلغ من الدراهم الرنَّانة ووطَّن النفس انهُ سيأخذ كلّ ما فيها من الذهب حتى اذا احتشدت لديهِ ثروة وافرة ينقطع عن الاعمال والانصاب وقلق الافكار ويقضي حياتهُ بالراحة

لكنَّ ساعة العدل الالهي كانت مزمعة ان تدقّ مسمعةً صوتها الرهيب فان نسيباً بعد حشدهِ مقداراً عظيماً من الذهب عاد متخفياً باسمهِ المستعار الى مدينة واشنطون فسكنها ثمَّ اشترى داراً كبيرة على ضفاف بحيرة اريه وزيَّن قاعاتها بالصور الثمينة وشرفاتها بانواع الازهار النادرة وشبابيكها بالزجاج المختلف الألوان وكان يصرف فيها الربيع والصيف

وكان حول هذه الدار بقعة فسيحة من الارض تنحدر شيئًا فشيئًا الى البحيرة وكيفما التفت فيها يرى أصنافاً من الازهار ترسل طيب عرفها وانواعاً من الاشجار الغبياء الكثيفة الظلال وغير ذلك من المناظر المبهجة للعين وفي اقصى ذلك كلهِ مياه البحيرة تلمع تحت نور الشمس وعلى ضفَّتها قارب صغير يتقلَّب بفعل الامواج. وفي وقت قليل كثر عدد اصدقاء نسيب ومعارفهِ كما هو شأن الاغنياء الذين يجتذبون الناس اليهم بوَفرة ذهبهم فكان يدعوهم الى دارهِ ويقيم لهم الولائم ويحيي ليالي الانس والطرب قاصداً من ذلك كلهِ ان يُسلّي نفسهُ لانهُ مع كل ما وصل اليهِ من الثروة كان دائماً كئيباً حزيناً لا يلتذّ بشيء لانَّ ضميره كان مضطرباً قلقاً لا ينفكُّ عن تبكيتهِ وتأْنيبهِ. نعم انهُ في ظاهر الامر كان بشوشاً فكهاً ميَّالاً الى المسرَّات والملاهي كسائر من هم على شاكلتهِ ولكنَّهُ في الباطن كان بعكس ذلك معذَّباً قلقاً. وهذا شأن كل انسان يطلب الخيرات الفانية بدلاً من ان يسعى وراء خيرٍ أشرف وأنبل هو وحدهُ يستطيع ان يُشبع طمعهُ

وكان الكل يمدحون نسيباً ويثنون عليهِ وكثيرًا ما كانوا يحكّمونهُ في مسائل الفصاحة والصناعة. ولعلَّهُ لم يكن من اهل الحكم في هذه المسائل وانَّما فضلهُ الوحيد هو انهُ كان غنياً مثرياً كما قيل :

صليب رمزًا الى ايمان فقيدهم ورجائهِ ومحبّتهِ. امّا هاريس فانّهُ حفر على الخشب بمدية معهُ اسمَ أُولريك الميت العزيز الذي يبكيهِ وحفر تحتهُ الحروف الابتدائيّـة من اسمهِ الخاص كأنهُ يشير بذلك الى رغبتهِ في الاتّحاد بمن قد طالما اضطهدهُ في الماضي

وبعد ان نظر الثلاثة الى قبر فقيدهم نظرة الوداع عادوا الى كوخهم واجمين ساكتين فلمّا وصلوا اليهِ تركوا كل آثار اولريك في أماكنها دون ان يرفعوا منهـا شيئًا واخذوا صورة العذراء التي خلّفها لهم فعلّقوها في الجدار واخذ فاضـل بعض أوراق يابسة من ورق الشجر وصاغ إطارًا حول الصورة ثم جلس الثلاثة بقرب المدخنة وهم ينظرون الى اللهيب المتصاعد منها الى الجو صافيًا ومنيرًا

وكان هاريس اول من قطع عِقد صَمتهم قائلًا: ما أَشبه هذه النـيران المتصاعدة بنفس فقيدنا العزيز. أما كانت قلوبنا تلتهب بحضورهِ كما تدفأُ ايدينا الآن بالقرب من هذه النار ؟. أَو ليس هو الذي كان السبب في تغيير أَحوالي ؟

ثم أَفاض هاريس في الكلام على حسن سيرة أُولريك ومـا كان متزيّنًا بهِ من الفضيلة قال: «اني وبّختهُ عدّة مرّات على اكرام القديسين قائلًا لهُ ان ذلك عبادة اصناميّة ممقوتة اخترعها البابويون. والآن أَشعر من نفسي اني لا استطيع الّا ان اطلب معونة هذا الذي غادرنا نبكي على فقدهِ. ولكن لا ادري لماذا لا يجوز الالتجاء الى اولياء الله كما يلتجئ الناس الى ذوي القدرة واصحاب النفوذ. أَما كنتُ انا نفسي مع شدّة اضطهادي لهُ اتوسّل بهِ اليك ايها القبطان فهل كان في ذلك شيء يقلّل من سلطتك ؟ كلاًّ بل اني كنتُ أُسرّ بما يطلبهُ مني لاني كنت اعلم انهُ لا يعظم الانسان الّا بقدر ما يظهر من التنازل والانعطاف. وامّا الذي يريد ان ينفرد بالامر ويقبل بنفسهِ كلّ طلب وسؤال فانهُ يُعدّ متكبرًا ظالمًا»

فقال فاضل: «انـنا نحن الكاثوليك لا نعبد القديسين اصلًا كما يتهمنا البعض بذلك بل اننا اذا قدّمنا لهم اكرامًا نعرف كيف نصون الحقوق الواجبة علينا لله تعـالى. لان العبادة انما هي مخصوصة بهِ وحدهُ دون سواه وامّا القديسون فاننا نكرّمهم ونشرّفهم لا غير ضمن حدودٍ محصورة والاحرى ان يقال انـنـا نعظم الله فيهم ولكن هيهات ان ننزلهم منزلة ذاك الوجود الغير المتناهي الذي وحدهُ تجب لهُ العبادة. وكل المدائح التي نقدّمهـا لهم تصعد رأسًا الى عرش العلي القابض على كل شيء»

ولمّا وقف القطار عند ضفاف بحيرة اريه كان نسيب قد تزايد ضعفًا وهزالًا واصبح لا يقوى على المشي الّا بكل جهد ومشقّة. وكانت هناك احدى العربات قائمةً بانتظاره فركب فيها وسارت بهِ الخيل تنهب الارض حتى اوصلتهُ الى قصرهِ. فخفَّ الخدم لاستقبالهِ بغاية ما يمكن من الحفاوة وبعد ان تناول قليلًا من الطعام اضطرَّتهُ الحال ان يرقد في فراشهِ فقلق الخدم عليهِ وبادروا لاستدعاء طبيب فاتى وتسمَّع الى حركة الصدر فلمَّا خرج من عند المريض قال: «ان العطب اصاب الصدر كلهُ وانهُ لا يعيش غير ساعات معدودة لان مشقَّة السفر أجهزت عليهِ»

وكان كما قال لانهُ لمَّا دخل الليل دخل المريض في النزع ولم تمضِ غير بضع دقائق حتى فارق الحياة بين خدمهِ دون ان يكون هناك صديق يُغمض عينيهِ ولا كاهن يسمع اعترافهُ ويحلُّهُ من ذنوبهِ. فارقها وهو حزين مغموم دون ان يغني عنهُ ما حشدهُ من الغنى الطائل والاموال الجزيلة. أَجل ان عدل الله تعالى لا يفتقر في معاقبة المجرم على جريمتهِ الى صاعقة ينزلها عليهِ بل يرتضي باقلّ من ذلك فيموت الغني المترفه في وسط غناهُ تعيساً شقيًّا لانهُ يكون قد استوفى لذائذهُ في حياتهِ. نعم يقام لهُ ضريحٌ عظيم يضمّ رفاتهِ ويكون في ظاهرهِ جامعًا لاسباب الفخامة غير ان داخلهُ مملوءٌ فسادًا

امَّا النفس التي بها كان يتحرَّك ذاك الجسد فلا يدري البشر ما حلَّ بها لانَّ ذلك من الاسرار التي يحتفظها الله لنفسهِ. ولكن أَليس هناك موجب للخوف والخشية وتنبه الذين يسلكون هذا النهج نفسهُ الاحتراز لانهم يسيرون فوق هاوية فاغرة فاها لابتلاعهم

الفصل العاشر

في مآثر أُولريك الفقيد وذكره الطيب

فلنصرفنَّ النظر عن هذا المنظر المكدّر عائدين الى جزيرة كلقلند فنقول: لمَّا اطَّلع اندرسون وهاريس وفاضل على مضمون الورقة التي وجدوها على صدر أُولريك بعد وفاتهِ أثَّر ذلك فيهم ايَّ تأثير وعلموا ان هذا الولد البارّ ذهب ضحيَّةً عن ودادهِ المخلص لهم. فقضوا بضع ساعات عند فراشهِ يتأمَّلون بمنظرهِ الملَكي ويذرفون الدموع على فقدهِ. ثمَّ وضعوهُ في تابوتهِ بكل إكرام ونقلوهُ الى قبر حفروهُ بجوار كوخهم فاودعوهُ اللحد وقلبهم يتلظَّى اسفًا وحزنًا. ثمَّ نصبوا فوقهُ لوحين من الخشب وسمَّروهما بهيئة

مستشفياتهنّ مرّةً في بيروت وحضرت عمليّةً أُجريت فيهِ لابن عمّ لي وهناك شاهدت ما أُخبرك عنهُ ورأيت انهنّ يعملنَ كلّ هذه الاعمال دون انتظار جزاء او مكافأة عليها من احد. لكن التعزية الكبرى لهنّ راحة الضمير واعتقادهنّ انهنّ يصنعنَ ما يصنعنَهُ مرضاةً لله تعالى. ولقد اخبرتني الامّ جيلاس مرّةً انها كانت تأوي الى مضجعها وليس بين يديها فلس واحد لتشتري بهِ في الغد قوتًا للايتام الذين آوتهم ولكنها كانت قويّة الاتكال على العناية الالهية التي لم تكن تخيّب لها املًا بل تقيّض لها دائمًا من ارباب الخير قومًا أفاضل يبسطون لها يد المساعدة

فقال اندرسون وهاريس: « اننا كثيرًا ما شاهدنا هؤلاء الراهبات في أسفارنا ولكنّنا لم نكن نعلم منزلة منفعتهنّ في الهيأة البشريّة. فشكرًا لك على ما افهمتنا اياهُ »

وفي السهرات التابعة جرى ذكر الحضور الحقيقي في القربان المقدس فقال فاضل: « ان البروتستاني يقدر ان يعتقد حضور الله حقيقةً تحت اشكال الخبز. ومع كوني لست عالمًا لا ارى ان هذا الامر المعجز يمتنع على قدرة الله. لان الله نفسهُ الذي صار انسانًا هو اعلمنا بذلك في انجيلهِ المقدس حيث ورد انهُ اخذ خبزًا وبارك وكسر وقال: «هذا هو جسدي» ثم اخذ كأسًا وقال: «هذه هي كأس دمي» فهل يليق تفسير هذا الكلام الّا بالمعنى الظاهر من اللفظ »

ثم انهم اندفعوا في الحديث على شؤون أخرى كاثوليكية اوّلها الاعتراف فقال فاضل: « ان السيد المسيح يقول لرسلهِ وفي اشخاصهم لكل الاكليروس خلفائهم « كل ما حللتموهُ على الارض يكون محلولًا في السماء »

فاجاب هاريس قائلًا: « ان هذا تعلّم معزٍّ وخير من كل تعليم آخر يبقي تبعة الهفوات وثقلها على ضمير صاحبها. أما ان الاجدر بالانسان ان يقرّ بجرائمهِ لمن يعرف انهُ خادم الله وهكذا يلقي عنهُ حمل اوزارهِ متخلّصًا من لذع الضمير ومناخسهِ

وبعد ان اتموا الحديث في الامور الدينية التي أتى فاضل بأدلّة مقنعة على صحّتها انتقلوا الى الكلام على حالة الجوّ فقال اندرسون: اني أخشى من ان يصيبنا في المستقبل ما لا نقدر على التخلّص منهُ فها قد قرب فصل الشتاء وقرس البرد وعمّا قريب يقع الثلج وليس عندنا مؤنة تكفينا. فكيف تتيسّر لنا المعيشة يا ترى في هذه الجزيرة. وهل يقوى كوخنا على مقاومة الرياح الشديدة التي اخذت تهبّ من ناحية الشمال

فقال هاريس واندرسون: ان كلّ ما تقولهُ هو الصواب بعينهِ فكيف يمكن ان يغضب الله من اكرام اوليائهِ وقديسيهِ. نعم اننا لم نكن نرى ذلك قبلًا لان التربية والتعاليم التي تشرَّبناها من صغر قد أعمت بصائرنا امَّا اليوم فقد انفتحت عقولنا لقبول النور

امَّا فاضل فاجاب قائلًا: «اذا كان لا مانع يمنع من اكرام القديسين فبحجَّةٍ اولى ينبغي ان نكرّم اكرامًا خاصًّا تلك التي استحقت بفضائلها الباهرة ان تكون امًّا للمخلّص. ومع ذلك فاننا لا نعبدها عبادةً كما يتهمنا البعض». قال هذا وتبسَّم ابتسامًا لطيفًا يشير الى ما كان يتوهَّمهُ هاريس سابقًا

قال هاريس: «ان أُولريك قد علّمنا بمثلَهِ وجوب اكرام العذراء. ولو ان هذه الصورة الصفراء ما كانت سوى تركة منهُ لوجب علينا اكرامها لهذا السبب وحدهُ فكيف وهي صورة ام الله »

قال اندرسون: ان اوهامنا السابقة بدأت تسقط وتتبدَّد واحدًا بعد آخر واذا كانت الديانة التي ربينا فيها غير صادقة في هذا أتصدق يا ترى في ما بقي من عقائدها. ان فضائل أُولريك قد حملتني على الريب في صحَّة ديانتي وادخلت النور على ذهني. ولا بُدَّ ان يكون التعليم الذي ينشأُ منهُ قديسون قديسًا»

قال هاريس: »وانا ايضًا ارتأي مثلك. نعم اننا نرى عندنا رجالًا ذوي أَدب مزَّينين بصفات حسنة لكن اين هذه الاخلاق الراضية والآداب البشريَّة من القداسة والكمال الذي رأينا مثالهُ في فقيدنا اولريك البارّ. فهيهات ان نجد مثل هذا البرّ ومثل هذه الغيرة المحرقة على خلاص النفوس»

قال فاضل: « ولا تظنَّا ايها الصديقان انَّ هذا نادر في ديانتنا. أما رأيتم راهبات المحبة كيف يسهرنَ ليلَ نهار معتنيات بالمريض. فما الذي يحملهنّ على ذلك وما الذي يرجونهُ من المكافأة في حين ان المريض لا يكون قريبًا لهنَّ ولا صديقًا بل هو شخصٌ مجهول يأْتينَ بهِ في الغالب من الشوارع ويقبلنَ على العناية بهِ من باب الشفقة وقد يكون في المروض قروح وجراح يخيف منظرها ومع ذلك يهتممن بتنظيفها وغسلها ومداواتها

« وكثيرًا ما تكون هؤلاء الراهبات من عيال شريفة ما بين اهل الدنيا فيتركنَ الغنى والجاه والكرامة التي يعدهنَّ بها العالم وينقطعنَ لهذه الخدمة الشاقَّة. ولقد زرتُ

والفصل الثاني يشتمل على تراجم تلامــذة القديس مارون وغيرتهم على الايمان الكاثوليكي واستشهاد ٣٥٠ منهم في سبيل الايمان ورسالتهم الى البابا هرمزدا مع جواب البابا لهم

الفصل الثالث في اصل القديس يوحنًا مارون وغيرتهِ على الايمــان الكاثوليكي واقامته اسقفًا على البترون وانتخاب الكاثوليك لهُ بطريركًا عليهم بعد وفاة ثاوفانوس وتآليفهُ ولاسيا عقيدة الايمان ومخالفتها لتعاليم القائلين بالمشيئة الواحدة واثبــات قداستهِ بشهادات عديدة اخصُّها كلام الاحبار الرومانيين

والفصل الرابع يثبت ان اصل الموارنة نقي من وصمة عيب الهرطقــة بشهادات الاحبار الاعظمين وكرادلة الكنيسة الرومانيــة وقصَّاد الكرسي الرسولي وعدد من المؤرخين . . . الخ

واماَّ الفصــل الخامس فيتضمَّن ردَّ بعض الاعتراضات المتوجّهة على الموارنة مع إلحاقها بترجمة رجوع المثلث الرحمة السيد اقليموس يوسف عن رأيهِ في خصوص الموارنة وختم كل ذلك بانهُ يتوقَّع من العلماء الذين يريدون ان يتكلَّموا عن تاريخ الطائفة المارونية ان يتروَّوا في ما عند الموارنة من الادلَّة والحجج ويفنِّدوها قبــل ان يلطخوهم بوصمة عار الهرطقة لانهُ لا يخفى ان سلامة الايمان ودوام الاتحاد برومية هو امر عزيز على قلب كل ماروني حتى انهُ يحسبهُ اعظم فخر لهُ فليس من اللائق ان يُسلب دون حقّ هذا الميراث الذي خلَّفهُ لهُ اجدادهُ . وقد قدَّم سيادتهُ خمسمائة نسخة من هــذه الكراسة مع جملة نسخ أُخرى من ترجمة كتابهِ روح الردود للافرنسية الى أعضاء المجمع المشار اليهِ . فنحن نقدم للسيد العلامة المشار اليهِ واجب الشكر على هذه الهدية النفيسة التي سيحلُّها العلماء ولا شكَّ محلّها اللائق من الاجلال ونسأل لسيادتهِ عافيةً ناضرةً حتى يتمكَّن من اتمام تآليفاتهِ العلمية المعتبرة لخير الكثلكة والوطن   المعلم ر . الشرتوني

كتاب القلادة الدرّية في شرح الوصايا الالهية

للسيد ثاوفيلوس انطون قندلفت مطران طرابلس والنائب البطريركي على السريان في بيروت

(صفحاتهُ ٢٨٨ بقطع ١٢)

لم ينسَ السوريُّون عموماً واهل بيروت خصوصاً ما اورثهُ في القــلوب من الوَجد والاسف ذلك السيد المفضال الذي استأثرت بهِ رحمة الله منذ سنة ونصف نعني بهِ ذلك

وبينما كانوا يخوضون في هــذا الحديث كانت ريحٌ شديدة تعصف في الجزيرة . ثم اخذت تقوى وتزيد شدَّةً حتى انها كانت تتلاعب بذاك الكوخ الحقير الذى ابتنــاه الغرقى بعد نجاتهم فوقف الثــلاثة اندرسون وهاريس وفاضل ينظرون بقلق وانزعاج من النافذة الزجاجيَّة التي كانوا قد صنعوها في كوخهم ماذا عسى ان يحلّ بهم . وكان البحر وقتئذٍ هائجًا والامواج متلاطمةً وكان وميض البرق حينًا بعد آخر يلمع كلمح البصر فتبين الامواج قائمة كالجبال ثم تتكسَّر على الشواطئ . فهالهم هذا المنظر وزادهم قلقًا وهمًّا في امر مستقبلهم . وفيما كانت هذه الافكار المقلقة تتنازعهم . اذ سمع فاضل في اثناء صرصرة الريح صفيرًا عن بُعدٍ كأنَّهُ صوت صفير البواخر فصرخ من ساعتهِ : ربّي هل قدمت باخرة تنجِّينا من هذا المنفى (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

PERPÉTUELLE ORTHODOXIE DES MARONITES
présentée au congrès archéologique de Rome
par S. G. Mr J. Debs Arch. Maronite de Beyrouth

احتجاج في سلامة ايمان الموارنة للسيد الجليل المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت

أتحفنا سيادة العلامــة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت على الموارنة بكراسة افرنسيَّة العبارة تحت العنوان السابق ذكرهُ قدَّمها لمؤتمر الآثار الكنسية المنعقد في رومية اثناء الشهر الحالي وقال في مقدمتها انهُ لمَّا كان بعض الكتبة من المحدثين ما زالوا يتهمون الموارنة بالسقوط في ضلال الهرطقة متابعةً لأقوال سعيــد بن بطريق بطريرك الملكيين الاسكندري الذي وضحت اغلاطهُ دعاهُ ذلك الى تقديم الاحتجاج المذكور لمجمع الآثار الكنسيَّة حتى يتنبَّه بعد الان من يريد الكتابة في ايمان الموارنة الى مطالعة التآليف التي صنَّفها علماء الموارنة وغيرهم من رُوَّام الحقيقة في هذا الشأن وان يمعنوا النظر في حججهم وادلَّتهم ويفنِّدوها قبل ان يعزوا لطائفة تفتخر بدوام اتحادها مع الكنيسة الرومانيَّة وصمة عارٍ لا ترضاها

ويلي المقدَّمة خمسة فصول فالفصل الاول يتضمَّن ترجمة القديس مارون نقلًا عن ثاودوريطوس المؤرخ اسقف قورش مع نصّ رسالة البــابا بنديكتوس الرابع عشر الى البطريرك كيرلُّس ثاناس في هذا الخصوص وفيها يُعلن قداسة القديس مارون

في الآباء الاقدمين. قال القديس هيرونيموس في ردّهِ على الاراطيقي هلڤيديوس: « أتنكر بتوليّة العذراء. امّا انا فادّعي فضلًا عن بتولية مريم بتوليّة يوسف ليولد المسيح البتول من يوسف ومريم البتولين ». وقال القديس اوغسطينوس (والمنار قد صادق على قداسة هذا القديس في ردّهِ على المحبة) في عظتهِ الـ ٢٤ يوم ميلاد الربّ: « قد ولد المسيح قوة الملائكة من مريم ويوسف المتشابهين في البتولية ». وقد قال مثل هذا كثيرين من ملافنة الكنيسة كالقديس توما اللاهوتي والقديس بطرس داميانوس وتاوفيلاكتوس. (خامسًا) واذا أورد المنار علينا بعض شواهد من آباء الكنيسة اليونانية ومن كتاب البنديكستاريون فنجيبهُ اننا قد حللنا هذا المشكل في المشرق (٢ : ٥٤١) فعليهِ بالمراجعة وتزيد على قولنا ان اول مؤرخي الكنيسة هجسيبوس روى ان الذين يدعوهم الانجيل باخوة المسيح كانوا اولادًا لحلفا اخي القديس يوسف. والسلام

نصرانيّة ابن المقفّع — كنّا ذكرنا في ذيل الجزء الرابع من مجاني الادب (ص ٣٠٨) انّ ابن المقفّع الكاتب الشهير كان نصرانيًا وكان استنادنا في هذا القول الى رواية بعض المستشرقين الأثبات الذين طالعنا تآليفهم قبل ١٧ سنة. لكنّنا سهونا اذ ذاك عن تدوين اسم الكتاب ومؤلفهِ ولعلّ ذلك ورد في احدى مقالات المجلّات العلميّة. ومهما كان من امر القائل فانّنا نرى لهذا القول سندًا في ما ذكرهُ عن ابن المقفع الكتبة المسلمون كابن خلكان وابن النديم صاحب الفهرست. فانهم يتفقون على انّ ابن المقفع كان يدين بالمجوسيّة قبل اسلامهِ. والمجوسية عندهم كالمانويّة (راجع كتاب الملل والنحل ص ١٧٩ طبعة لندرة). والكلّ يعلمون انّ المانويّة شيعة نصرانيّة فامكن اذن الكاتب الاجنبي ان يدعو ابن المقفع نصرانيًا. وزد على ذلك ان معاصري هذا الرجل الشهير كانوا يعدّونهُ كزنديق حتى بعد اسلامهِ وزعموا انّهُ قُتل لزندقتهِ ويؤيد ذلك انك لا ترى في مقدّمة كتبهِ ما يُشعر باسلامهِ

حلّ المسئلة الرياضية — هذه اسماء الذين حلّوا المسئلة الرياضية حسب تأريخ ورود الحلّ: تلامذة مدرستنا الادباء صبري فرح (وعنهُ اخذنا تفاصيل الحلّين الحسابي والجبري) وجرجس كتافاكو وفيليب ابي شاكر والاخ مبارك المتيني. ثم حضرة الاب الفاضل والرياضي البارع الخوري ج. رزق مرهج احداساتذة مدرسة عين طورا الزهراء. ثم الاديب بطرس انطون حلاق تلميذ مدرسة دير المخلص الرعويّة في القدس

الحبر الجليل البحر المطران ثاوفيلوس قندلفت الطيّب الذكر . على انَّ ضريحهُ لم يكن ليضمَّ مآثرهُ العديدة الدينيَّة والادبيَّة التي زيَّن بها كنيسة الله نخصّ منها بالذكر والشكر كتاب عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلدات . بيد ان تركة الفقيد الاثير هي واسعة خطيرة احبّ شقيقهُ الكريم السيد العلّامة باسيل قندلفت مطران يافا شرفًا على السريان ان يتحف بها كلّ مرشدي النفوس بل جميع المؤمنين الذين تهمّهم الابحاث الدينيَّة . وهذا التأليف الجديد هو عبارة عن ٣٩ موعظة في وصايا الله العشر ضمَّنها صاحبها بردَّ الله ضريحهُ خلاصة التعاليم اللاهوتية في معظم الواجبات المسيحيَّة . وذلك على طريقة قريبة المنال بليغة المقال مع ما فيها من المعاني الرائعة والادلَّة اللامعة . وفي صدر الكتاب رسم مؤلفهِ المفضال مع ترجمة حياتهِ المبرورة . فنحضُّ دعاة الدين ولفيف المؤمنين ان يستهدوا بهذا المنار ويذكروا بالجميل مخلّف هذه الآثار ويطلبوا لهُ جزيل الثواب في مقرّ الابرار ل . ش

شذرات

بتوليَّة القديس يوسف — ليست بتوليَّة القديس يوسف خطيب العذراء الطاهرة من عقائد الايمان وانَّما الكنيسة الكاثوليكيَّة تعتبر هذه القضيَّة كاحدى المعتقدات الثانويَّة التي لا يشكّ فيها المؤمنون غربًا كان او شرقًا . وعليهِ فقد اخذنا العجب ممَّا كتبهُ المنار (ع ٢٧ من سنتهِ الثانية) في اثناء كلامهِ عن عيد البشارة حيث قال (ص ٤٢٢) : « ان يوسف كان اولًا مشتركًا بزيجة نقيَّة وولد بنين ثمَّ انحلَّ عنهُ رباط الزيجة بوفاة امرأتهِ » . ولنا لردّ زعم المنار عدَّة حجج : (اولًا) إجماع الكنيسة الكاثوليكيَّة في عهدنا في كلّ المعمور على ما يخالف رأسًا قول المنار . واللاهوتيُّون يتفقون على صدق القضايا التي يسلم بصحَّتها جمهور المؤمنين . (ثانيًا) رتبة القديس يوسف وشرف العذراء مريم كانا يستدعيان ذلك ليكون بين مريم البتول وخطيبها البتول تناسب في الجسد كما كان في النفس . (ثالثًا) حبّ المسيح للبتولية فانَّهُ اختار امًّا بتولًا واصطفى لهُ صابغًا بتولًا يوحنَّا المعمدان . واحبَّ تلميذًا بتولًا يوحنا الحبيب . أفما كان يليق بهِ ان يختار لهُ ابًا بالذخيرة يكون ايضًا بتولًا . ولعلّ القديس متَّى نعت يوسف « بالبارّ » دلالة على بتوليتهِ وقداستهِ العظمى معًا . (رابعًا) ولنا في بتوليَّة القديس يوسف شواهد لامعة

أسئلة وأجوبة

س سألنا من صيداء جناب المعلّم الفاضل توما ايوب كيّال: ١ً ماذا يُعرف من امر المعبد المعروف بسيدة المنطرة القريب من صيداء ومن اين يشتقّ اسمهُ: ٢ً هل دخل سيدنا يسوع في صيداء عند مروره في تخومها. ٣ً متى شرع ملوك فرنسة ان يضربوا النقود باسمهم أفي زمن شِلدبير (٥١١—٥٥٨) ام كلوتير (٥٥٨—٥٦١)

سيدة المنطرة قرب صيداء

ج لا نعرف لمعبد سيدة المنطرة تاريخًا قديمًا وانّما ورد ذكرهُ في رِحَل بعض سيَّاح القرن السابع عشر. والتقليد المحلّي يروي انَّ احد الرعاة اكتشفهُ بعد عهد الصليبيين بمدّة وكانت عنزة من قطيعهِ قد ضاعت منهُ فوجدها بعد العناء الطويل في مغارة تغطّي مدخلها الاشواك والصخور. وقيل انّهُ وجد في داخلها مذبحًا تعلوه صورة العذراء والمرَّجح انَّ تلك الصورة كان وضعها هنالك قومٌ من الصليبيين الفرنج. ثمَّ اشهر الراعي امر المغارة فاضحت مذ ذاك محجًّا لاهل تلك النواحي على اختلاف نزعاتهم واديانهم. وتكاثرت فيها المعجزات الى يومنا. وقد زاد عدد الزوار مذ بُنيت بقربها كنيسة دربسين بهمّة الشيخ حسين منصور المتوالي اثر آية عجيبة ظهرت لهُ سنة ١٧٤٩. امّا اسم المنطرة فهو مشتقّ من السريانية ܡܢܛܪܬܐ او الفينيقية מטרה يُراد بهِ الحراسة والنَّظر. دعي بذلك لان القدماء كانوا اقاموا هناك قلعةً لحراسة الامكنة المجاورة. وقيل بل ان الصيدونيين قديمًا كانوا بنوا في ذلك الموضع معبدًا لإلهتهم عشتاروت وقد وجد المركيز دي ڤوكويه هذا الاسم في بعض كتابات حوران يدلُّ فيها على معبد قديم

٢ هل دخل السيد المسيح مدينة صيداء

ج لم يُذكر في انجيل متى (١٥ : ٢١) ومرقس (٧ : ٢٤) سوى اجتياز السيد المسيح في تخوم صيداء. وفي تقليد اهلها انّهُ لذكره السجود دخلها. وهو امرٌ لم يمكن الحكم فيهِ قطعيًا

٣ النقود الاولى لملوك فرنسة

ج اول النقود التي ضربها ملوك فرنسة كانت في عهد ملكهم شلدبير ولكن ليس ضاربها هذا وانّما ضربها باسمهِ ابن اخيهِ تيودبرت ملك اوسترازية سنة ٥٤٨ بعد كسرتهِ لجيوش ملك الروم يستنيان (راجع Lenormant : *Monnaies et Médailles* p : 54 ل. ش

الشريف . ثم حضرة الخوري انطون رومانوس احد اساتذة مدرسة القديس يوحنا مارون

الحل الحسابي

اذا فرضنا ان ما لي ٩/٩ يكون ما عليَّ ٩/٧ والباقي عندي ٩/٢ . اما مجموع ما عليَّ وما لي فهو ١٣٥٠ فرنكًا فاذًا ٩/٩ + ٩/٧ = ١٣٥٠ او ٩/١٦ = ١٣٥٠

اذا قسمنا ١٣٥٠ على ٩/١٦ نحصل على ما لي:

٩/١٦ : ١٣٥٠ = ١٦/١٣٥٠ × ٩ = ٧٥٩'٣٧٥ فرنكًا

فيكون اذًا ما عليَّ ١٣٥٠ − ٧٥٩'٣٧٥ = ٥٩٠'٦٢٥ فرنكًا

فالجواب اذًا : ما لي ٧٥٩'٣٧٥ فرنكًا
ما عليَّ ٥٩٠'٦٢٥ فرنكًا

الحلّ الجبري

ما لي : ك ك + ل = ١٣٥٠ ما عليَّ : ل ك − ل = ٩/٢ك

ل = ١٣٥٠ − ك ك − (١٣٥٠ − ك) = ٩/٢ك

ك − ١٣٥٠ + ك = ٩/٢ك ٢ ك − ١٣٥٠ = ٩/٢ك

١٨ ك − ١٢١٥٠ = ٢ ك ١٨ ك − ٢ ك = ١٢١٥٠

١٦ ك = ١٢١٥٠ . ك = ١٦/١٢١٥٠ ك = ٧٥٩'٣٧٥ فرنكًا

ل = ١٣٥٠ − ٧٥٩'٣٧٥ = ٥٩٠'٦٢٥ فرنكًا

فالجواب اذًا : ما لي : ٧٥٩'٣٣٥ فرنكًا وما عليَّ : ٥٩٠'٦٢٥ فرنكًا

حلّ لغز الاديب جرجي عطيه قد حلَّهُ تلميذان من تلامذة كليَّتنا . فقال احدهما الشاب الذكيُّ اسكندر طحيني :

يا واضع اللغز هذا الاسم نعلمهُ … وطالبُ العلم يعليهِ ويكرمهُ
ان نلقِ حدَّيهِ فهو اسمٌ لدينا سما … وكيف لا وهو « درسٌ » جئت تعلمهُ
او بدء هذا فنهرُ « الرسِ » تطلبهُ … وفي سويسَ اراك الان ترسمهُ
كذاك ان تحذف الحدَّ الاخير بدت … مدينةٌ نصفها في قلبهِ دمهُ
ان كنتَ من « مدرس » لا تدري موقعها … فالهند تنبئ عمَّا كنتَ توهمهُ
إستشهدِ الحق يا من سار سبل هدًى … فالاسم « مدرسةٌ » حبًّا نقدّمهُ

وقال الثاني الاديب توفيق زبليط :

الغزتَ في اسمٍ لهُ في القلب خيرُ صدى … فالعقل يوضحهُ ان كنتَ تبهمهُ
واللغزُ « مدرسة » للعلم محرزةٌ … تريد أَبحرهُ درًّا وتكرمهُ
ان تُلقِ حدَّيهِ يبقَ الدرس منفردًا … يبكي على ربعهِ والهجر يؤلمهُ
او بدء هذا وجدت الرسَّ منحدرًا … في وَعر أُورُبَّ حيث الآرُ يلقمهُ
كذاك ان تحذف الحدَّ الاخير تجد … في الهند مرفًى مليك البحر يملكهُ

المشرق

خليج البُسْفور ورأي العلماء فيهِ

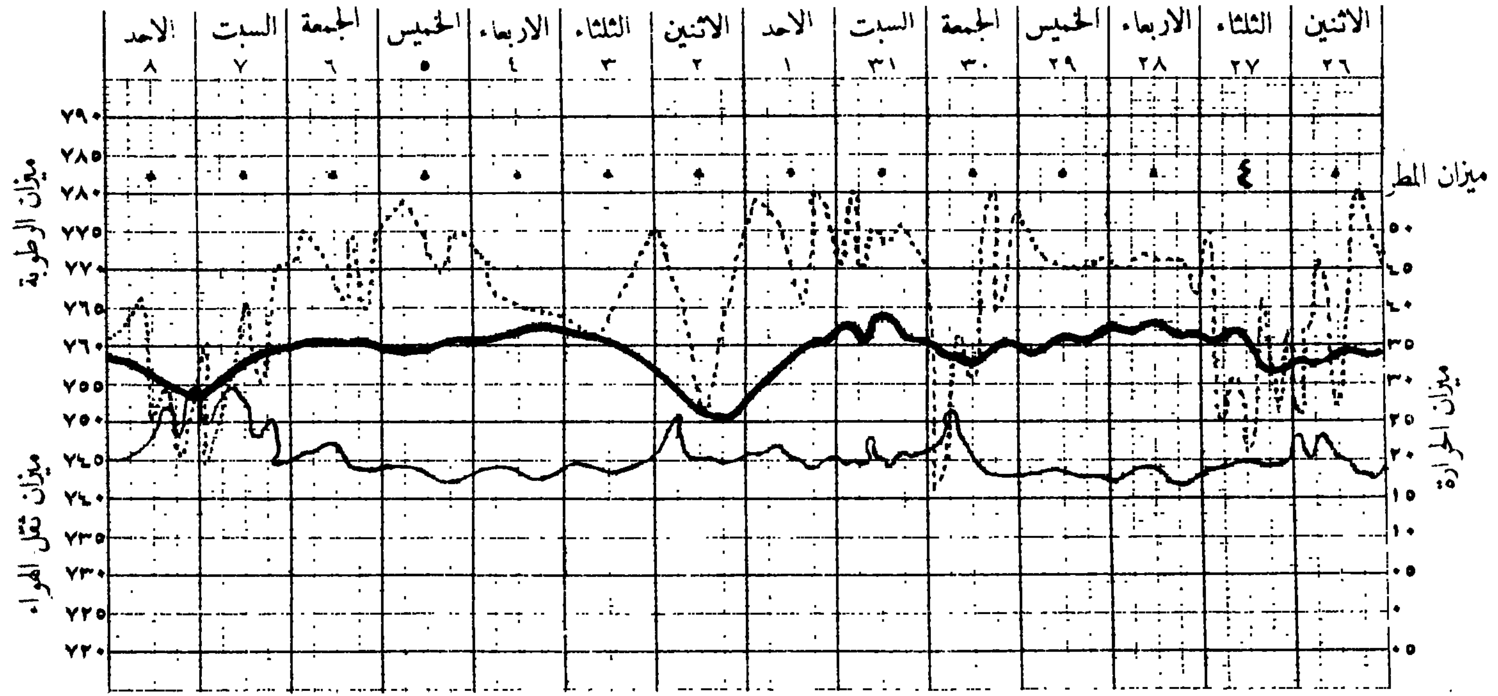
نبذة للاب ا . لوريول اليسوعي

لا يجهل ذو ادبٍ ان خليج البسفور الذائع الشهرة في تواريخ الاقدمين واساطير الاولين هو خليج ضيّق يقسم اوربَّة عن آسيَّة من الشرق الى الغرب ويفصل بحر نيطش المعروف بالبحر الاسود عن بحر مرمرا من الشمال الى الجنوب . ولهذا الخليج من المناظر ما يسبي قلب المتأمل ويبهر عين الباصر . ومياهُ اللازورديَّة كمرآة صقيلة تعكس صور الغياض المائسة على ضفَّتيهِ . الَّا ان صفة هذه المحاسن قد سبق اليها حضرة الاب بولس جوون في مقالةٍ ضافية الذيل وسمها بالمشاهد الفتَّانة في الرحلة الى الاستانة اثبتتها هذه المجلة في العام الماضي (المشرق ٢ : ٩٦١) فلا حاجة الى التكرار . ولمَّا اتاح لنا الله ان نتمتَّع بمعاينة هذا الخليج المبارك احببنا ان نورد لقرَّاء المشرق ما يفيدناهُ العلم عن ذلك البوغاز الشهير فنقول :

قد ورد اسم البسفور في اقدم التآليف اليونانيَّة التي سُطِّرت قبل عهد المسيح . وهو اسم معرَّب من الروميَّة (Βόσπορος) يراد بهِ « معبر البقرة » ارادوا بذلك انهُ قصير المسافة حتى انَّ بقرةً يمكنها قطعهُ سباحةً . ومن خرافات اليونان الاقدمين انَّ الالِهة إِيُو مسخها المشتري بقرةً فاجتازتهُ سابحةً

ومَدْخل هذا الخليج من جنوبهِ الأقصى عند كدي كوي واستنبول ومنتهاهُ في شمالهِ الابعد عند الصخور الكيانيَّة (Symplégades) . وطول الضفَّة الاوربيَّة معما فيها من العطفات يبلغ ٣١ كيلومترًا ولا تتجاوز ضفَّة آسية ٢٨ كـ . وعرض الخليج في اضيق معبرهِ بين روملي حصار واناضولي حصار قريبٌ من ٥٥٠ مترًا . ثم يزيد عرضهُ حتى اذا بلغ رأس

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٦ اذار الى ٨ نيسان ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المِلمترات

خارطة خليج البسفور



السراية صار ١٥٠٠ متر. ثمَّ يتّسع فينتهي عرضهُ الى ٣٧٠٠. امَّا معدَّل عمق الخليج فنحو ٢٧ مترًا وعظم عمقهِ ٥٢ م

وللبسفور في الضفة اليمنى الاوربيَّة سبعة رؤُوس يقابلها على الضفَّة الاسيويَّة سبعة أَخوار تناسبها بحيث تلتحم الضفَّتان التحاماً تامًّا لو امكن ضمُّهما. ومياه الخليج في انحدارها تجري تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال. فتنتقل بقوَّة شديدة الى اعماق احد الاحواض ثم تنعكس الى جهة أُخرى فتدخل في الحوض التالي. امَّا المجرى الاخير الذي يصدم قنَّة السراي فلا يدخل من مياههِ في قرن الذهب الّا الشيء القليل وينصبُّ اكثرهُ من جهة كدي كوي في بحر مرمرا. وكان الاقدمون قد لاحظوا هذا الامر وپوليبيوس الكاتب ذكرهُ في تاريخهِ

ولكن يا ترى هل وُجد خليج البسفور في الاعصار الخالية فانَّ هذه قضية تفاوض فيها العلماء وأَفتوا جميعهم بالحكم السلبي. والتقليد المتواتر بين القدماء يوافق رأيهم فانهم يروون ان بحر نيطش او البحر الاسود كان في سالف الاجيال منفصلاً عن البحر المتوسّط وان خليجَي الدردنيل والبسفور انفتحا في زمن واحد بقوَّة زلزال هائل حدث في تلك الانحاء. امَّا عهد الواقعة المذكورة فالمرجَّح انَّهُ كان في ايَّام طوفانٍ محلّي يعرفهُ اليونان بطوفان دوقاليون

وممَّا يؤيد زعمهم الفحصُ الجيولوجيّ الذي باشرهُ العلماء على ضفَّتي الخليج فانَّ البحث المدقق بيَّن لهم انَّ تركيب الصخور في كلا الجانبين يرتقي الى الطور المعروف عندهم بالديڤوني وانَّ الحيوانات المتحجرة فيهما متجانسة الهيئة متشابهة الاشكال. اعني انها تكوَّنت في زمن واحد. وفي مدخل الخليج على جانبيهِ احجار بركانيَّة غايةً في الشبه من حيث تركيبها الكيمويّ وكلّ ذلك دليل باهر على ان شبه الجزيرة الاوربيَّة كانت متصلةً في ما سلف من الزمان بآسية الصغرى فصلهما طغيان المياه

امَّا كيف حدث الطغيان المذكور وما كان امرهُ واحوالهُ فذلك ممَّا لا يخلو من المشاكل. الّا ان ائمَّة العلماء قد اجمعوا القول في كشف سرّهِ على ما نوردهُ. قالوا:

ان ارضنا التي يعتبرها البشر كمثال الثبات والسكون لا تزال في اهتزاز وحركة متداومة. فان غلافها الخارجي تخترقهُ الانهار والسيول وتغيّر المياه هيئتهُ في كل آن امَّا داخلها فانَّ ما يتضمَّنهُ من الموادّ الناريَّة والحمم البركانيَّة والابخرة المعدنية يصدم

في التقطُّعات والثُّلَم التي يعاينها الناظر على جانبي بوغاز البسفور وعليها يندفع مجرى المياه يميناً وشمالاً كما سبق القول

امَّا المجرى المذكور فقد نسبهُ بعض العلماء الى ارتفاع سطح البحر الاسود فوق بحر مرمرا. ولكن الاصحّ ان لذلك اسباباً أُخرى غير هذا كما ترى في مضيق جبل طارق

وهذا المجرى ليس هو بالمجرى الوحيد الذي يُرى في خليج البسفور لانَّ للبوغاز مجرَيَين مجرًى أَعلى ومجرًى اسفل كما سترى

فالمجرى الاعلى قويّ الشدّة تراهُ العين بلا مشقَّة ومعدَّل سرعتهِ في الساعة ٥٥٠٠ متر . وهو ينقل من البحر الاسود الى بحر مرمرا ٣٠٠٠٠ متر مكعَّب من الماء في الثانية

وهنا مشكلان سعى العلماء في حلّهما الاول: ما هو اصل هذه الكمّيَّة الوافرة من المياه لان الانهار التي تصبّ في البحر الاسود وهي الدون (Don) والدنيبر (Dniéper) والتونة (Danube) لا تبلغ مياهها سوى نصف هذه الكمّيَّة اي نحو ١٥٠٠٠ متر مكعَّب. بل كميّتها اقلّ من ذلك اذا اعتبرنا ما يتبخَّر منها ويتصاعد الى الجوّ. والمشكل الثاني هو ان البحر الاسود لا يزال مالحاً مع كثرة ما يجري اليهِ من المياه الحلوة. فأنّى لهُ هذه الملوحة

والجواب على هذين المشكلين انهُ لا بُدَّ من وجود مجرًى اسفل في خليج البسفور ينعكس من بحر مرمرا الى البحر الاسود فيجري بخلاف المجرى الاعلى (راجع الخارطة ص ٣٨٧). ومبدأ هذا المجرى الاسفل من بحر اليونان يعود متقهقرًا مارًّا بخليج الدردنيل ثمَّ بحر مرمرا ثم البسفور وينتهي الى البحر الاسود. وهذا المجرى مياههُ مالحة بخلاف المجرى الاعلى الذي هو اكثر حلاوةً. وهكذا ترى المياه في دوران متَّصل ذاهبةً من سطح البحر الاسود وآئبةً اليهِ من اسفل فيبقى البحران في توازن عجيب وفقًا لناموس الخالق عزَّ وجلَّ

هذا وللمياه قوة اعظم في ضفَّة الخليج اليمنى فانك ترى شواطئ الجهة الاوربيَّة اكثر تقطُّعًا وخروقًا وثُلَمًا من الضفَّة الاسيويَّة. وذلك مبني على ناموس طبيعي يدعوهُ العلماء ناموس انحراف الموائع

وذلك انَّ الارض في دورانها اليومي لا تتصرَّف مع الموائع تصرُّفها مع الجوامد.

غلاف الارض صدمات متوالية فيهزّها هزًّا يختلف في الكم والكيف. وكثيرًا ما تكون هذه الحركة لطيفةً خفيفة لا نكاد نشعر بها لخفّتها وربّما اشتدّت في بعض الاحيان اشتدادًا عظيماً تقشعرّ لهُ الابدان كما في حدوث الزلازل. ثمّ انّ للارض فضلًا عن ذلك حركات قويّة جدًّا متساوية تجري على نمط واحد من شأنهــا ان ترفع بعض الامكنة او تهبط بغيرها فتجعلها على سواء سطح البحر بعد ان كانت مرتفعــةً. والملاحظات العلميّة قد أُطلعت على هذه الحركات الارضية وقرَّرتها بكل تأكيد ودقة

فاذا اعتبرنا الآن البحر الاسود وجدنا انَّ أطرافهُ في مدارهِ لا تزال في ارتفــاعٍ متداوم بينما ترى المياه تتقلّص وتنزوي عن حدودهِ. واهل القريم من التتار الساكنين في شواطئهِ يلحظون نضوب المياه الى عهدنا هذا ويتبيَّنون ذلك بما يرونهُ من الاصداف البحريَّة الحديثة في داخل بلادهم عند اعاليها من بلاد ثراقيــة والاناضول. وكان للبحر الاسود خلجان وشروم تراها اليوم منفصلة عن البحر وهي مستنقعــات ذات ماءٍ أُجاج منتنة الرائحة. ومن استقصى البحث من العلماء في هذا الامر تحقّقوا ان بحر قزوين وبحر أرال والبحيرات التي تمتدّ في صحاري روسية الجنوبية كانت كلها في القرون الغــابرة متصــلة بالبحر الاسود. ويسندون قولهم الى ما يوجد في تلك السهول من الملح والموادّ الكلسيَّة البحريَّة وما في تلك البحار والبحيرات من الاسماك والحيتان كالفظّ(phoque) وغيرهِ ممَّا لا تراهُ الّا في الاوقيانوس والبحار الكبرى فينتج من ذلك انَّ حوض البحر الاسود كان سابقًا متَّسع الحدود رحب الجوانب

ثمَّ انَّ المياه التي كانت تصبّ في الاعصار الماضيــة في البحر الاسود كانت وافرةً غزيرة بحيث تزيد كميّتها عمَّا يتبخَّر منها بالشمس والرياح.وعليهِ فكان سطح البحر الاسود لا يزال في تصاعد وامتداد يضغط جوانبهُ ضغطًا عظيمًا حتى اذا وجدت المياه معبرًا تجاوزت حدودهُ وطغت فوقهُ. وليس المعبر المذكور الّا خليج البسفور اخترقتهُ الميــاه بقوَّة ضغطها واندفعت الى ان وجدت وطأً من الارض فتجمَّعت هناك وهــذا هو بحر مرمرا. ثمَّ تزايدت المياه وارتفع سطحها واشتدّ ضغطها ثانيةً على الصخور والاراضي التي تفصل بحر مرمرا عن بحر اليونان المعروف ببحر الجاى (Égée) فتعدّت هــذه الحدود الجديدة وحفرت لها فرجةً واسعة هي خليج الدردنيل.ولنا على ذلك دليل حسّي

كما لا يستطيع حيوان البلاد المعتدلة او الحارة ان يعيش فيهِ . فاذا صار الشتاء هبَّت في خليج البسفور الرياح الباردة التي تأتي من صحاري روسيَّة الجامدة فينفح القرّ على اهل الاستانة حتى ان ميزان الحرارة هبط في بعض السنين الى الدرجة العشرين تحت الصفر بل تجمَّدت مياه البوغاز . وبعكس ذلك لمَّا كان عرض البسفور في الدرجة ٤١ ربَّما اصابها في الصيف حرٌّ لافح لا يكاد يُطاق . وهكذا يختلف هواء الاستانة اختلافًا عظيمًا على حسب السنين فلا يقوى كثيرٌ من النبات او الحيوان على ان يألف جهات البسفور . هذا وممَّا لاحظهُ علماء الطبيعة ان الحيوانات الاوقيانيَّة تقلّ جنسًا وعددًا على قدر ما يتقدَّم الانسان من جهات جبل طارق الى جهات البحر الاسود

وقد اثَّر ايضًا في نفي بعض الحيوانات والنباتات البلديَّة تقاطر الاجانب الى سكنى البسفور . فنفرت الوحوش الاصليَّة مستوحشةً من الانسان عدوّها . وقلَّ ايضًا جنس بعض الاسماك فلم يَعد الصيَّادون يجدون منها الّا نادرًا كسمكة السيف (espadon) . وكذلك النبات البلدي فانهُ قلَّ لاتساع نطاق السكان . وبعكس ذلك كثر النبات الاجنبي واصناف الزهور التي يُعنى بها ذوو الثروة في بيوتهم الخاصَّة

وخلاصة القول ان خليج البسفور ذو شأن خطير من حيث تاريخهِ وموقعهِ الاثير ومشاهدهِ الفتَّانة . لكنَّهُ قليل الاعتبار من حيث مآثرهِ النباتيَّة واصنافهِ الحيوانيَّة . فسبحان من قسم الخيرات على عبادهِ وانعمَ على كلّ بلد بشيء من هباتهِ ليتعاضد الناس ويتآزروا كالاخوان في صلاح شؤون الهيئة الاجتماعيَّة وخدمة ربّ الاكوان

أَوْجُهُ الإِعراب عند العرب والأَعراب

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

هل وُجدت اللغة العربية أوّلَ وجودها بهذه الصورة التي نعرفها بها اليوم من إجراء اوجُه الإِعراب على أواخر الكلم إنْ عند العرب وإن عند الأَعراب ؟ — هذا سؤال يسألهُ كل من يريد الوقوف على حقائق الامور ودقائقها . فجوابًا عن ذلك نقول:

على السائل ان يعلم اولًا : ان اللغة العربية اختٌ للغات أُخرى تُعرف طائفتها

لانَّ الجوامد تبقى دقائقُها المختلفة ملتصقةً ببعضها فتدور كذلك حول محوَر الارض دون ان يصيبها انقسام. وليس الامر كذلك في الموائع فانَّ اقسامها كثيرة الحركة يختلف انحرافها على حسب استدارة الكرة واجتيازها في أعراض شتى. ولا يخفاك ان سرعة دوران الارض خفيفة جدًّا في القطبين وهي تتزايد بقدر اقترابك من خط الاستواء. فمن ثمَّ اذا وجد جسم قابل الحركة كالماء مثلًا وكانت وجهة حركتهِ من القطب الى خطّ الاستواء تأَخَّر في حركتهِ عن حركة الارض التي لا تستطيع ان تحملهُ في سيرها حَملَها للجماد الملتصق بها. فينتج من تأَخُّر الموائع انها تميل منحرفةً الى المغرب الذي موقعهُ على يمينها في القسم الشمالي وعلى شمالها في الجنوبي

وبعكس ذلك كل متحرّك يتَّجه من خط الاستواء الى احد القطبين تكون حركتهُ اسرع من حركة نقطة الارض التي يجتازها في ساعتهِ ولا بدَّ لهُ ان ينحرف الى جهة الشرق اعني يمينًا في الشمال وشمالًا في الجنوب. وممَّا يتبع هذا الناموس الرياحُ في هبوبها ومجاري البحار ومياهُ الانهار في سيلانها وقذائف المدافع في انطلاقها

أفلا ترى مثلًا كيف تنحرف الانهار الكبرى كالفرات والنيل والكنج والتونة والرين واليوكن في اربعة اقطار العالم فانها حسب وِجهتها تميل ذات اليمين او ذات الشمال. ولا يُستثنى من هذا الناموس الّا الانهار التي تسيل موازية لخط الاستواء لانهُ لا داعي لانحرافها وانَّما يؤثر فيها دوران الارض إمَّا بان يُعجل سيرها ان كانت وجهتها نحو الغرب وإمَّا بان يُبطئ سيلانها ان جرت نحو الشرق

فان اعتبرنا الآن خليج البسفور وجدنا وجهة مجرَيَيهِ على خطّ مستقيم بين القطب وخطّ الاستواء يسيل مجراهُ الاعلى من الشمال الى الجنوب والاسفل من الجنوب الى الشمال. فلا بُدَّ اذن ان يصحّ فيهِ كما في غيرهِ ناموس الانحراف ولذلك ترى مجراهُ الاعلى الذي هو أشدّ سورةً واغزر مياهًا يميل الى الضفَّة اليمنى فيجرف قسمًا من ارضها

واذا صرفنا نظرنا الى جانبي البسفور لنرى ما خصَّهما الله بهِ من ضروب النبات وأصناف الحيوان وجدنا انَّ غناهما من هذا القبيل دون جمال موقعهما وحسن مناظرهما الطبيعيَّة. وسبب ذلك انَّ هواءَ البسفور يتقلَّب بين الحرارة الشديدة في الصيف والبرد القارس في الشتاء فلا يمكن ان يزكو بقربهِ نبات الاقطار المعتدلة او الاقطار الحارَّة.

ايضًا فان مؤرخي العرب ومؤرخي الافرنج رأي واحد على ان أَصل أَصحاب اللغة الامحرَية من جالية حِميَر. ولنا دليل ثالث على مصداق قولنا وهو ان الفاظًا عديدةً من اللغة الأَمحريَّة تتفق كل الاتفاق مع ما يقابلها من الالفاظ الحميريَّة. ولنا دليل رابع وهو ان الكتابة المكتشفة حديثًا في بلاد حِمير تكاد تكون نفس الكتابة المستعملة اليوم في بلاد أَمحَر. ودونك دليلًا خامسًا وهو ان « الامحرَية » تُكتب عند اصحابها بالحاء لا بالهاء. الى غير ذلك من الادلَّة وهو ممَّا لم ينبِّه عليهِ احدٌ قبلنا). ومنها اللغة المينيَّة (المينية هي ايضًا تصحيف اليمنيَّة. والشواهد على ذلك هي عين الشواهد التي مرَّت بك فُوَيق هذا). ومنها ايضًا الحبشية القديمة المعروفة بالجيز وهي لغة الحبش الطقسية (راجع المشرق ٢: ٤٧)

واذا حفظت ذلك فاعلم هداك الله واَّيانا ان اللغة العربية الفصيحة. (او ان شئت فقل: لغة المعلَّقات السبع او لغة القرآن او لغة قُرَيش) ليست لغة العرب الاولين وذلك: « لان لغة العرب لم تنتهِ الينا بكلّيَّتها. وان الذي جاءنا عن العرب قليلٌ من كثير وان كثيرًا من الكلام ذهب بذهاب اهلهِ... ولو جاءنا جميع ما قالوهُ لجاءنا شعرٌ كثيرٌ وأَحرِ بهذا القول ان يكون صحيحًا. لاَنا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير ممَّا قالتهُ العرب فلا يكاد واحدٌ منهم يُخبر عن حقيقة ما خُولِف فيهِ بل يسلك طريق الاحتمال والامكان » (هذا كلام صاحب المزهر بحرفهِ الواحد ١: ٣٤ و٣٥) وما لغة قُريش هذه كما نراها اليوم الَّا خلاصة لغات قبائل كثيرة ونقيُها ونُقاوتُها. « وذلك ان الله تعالى اختارهم (اي قُرَيشًا) من جميع العرب. واختار منهم محمدًا صلعم فجعل قريشًا قطَّان حرمهِ وولاة بيتهِ. فكانت وفود العرب من حجَّاجها وغيرهم يفدون الى مكَّة للحج ويتحاكمون الى قُرَيش وكانت قُرَيش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقَّة أَلسنتها اذا اتتهم الوفود من العرب « تخيَّروا » من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيَّروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب » (هذا ايضًا كلام المزهر ١: ١٠٤) وعليهِ فقد اصبحت لغة قرَيش اشبه شيء بالزلَّة او الدُملوك (وهو الحجر الاملس المستدير galet) الذي من بعد ان كان خشن الملمس أَحرش المجسّ عند انقدادهِ من مسقطهِ املاسَّ بتدهورهِ على قاع النهر او البحر او ملَّستهُ ايادي امواج البحر من بعد ان لعبت بهِ كل ملعب. غير انهُ والحمد لله قد

باللغات السامية. وهي لغات كان يسكن اهلها (ويسكن بقاياهم الى اليوم) بلادًا تمتدُّ من دجلة الى البحر المتوسّط. ومن جبال ارمينية الى جنوب جزيرة العرب. ويدخل تحت مَطْوى ذلك سوريّة والجزيرة (مع بلاد أَشُّور وبابل) وبلاد العرب وفلسطين (مع فينيقية المعروفة عند قدماء العرب ببلاد الغور) وافريقية الشمالية. وكان العلماء باديَ بدءٍ يطلقون على هذه اللغات اسم «اللغات الشرقية» وهذه التسمية كانت معروفة حتى عند قدماء كتبة البيعة وبالاخص عند القديس ايرونيموس. لكنَّها واسعة الغلالة. مبهمة الدلالة. والمشهور اليوم بهذه التسمية لغات عديدة يتكلّم بها ابناء الشرق بدون ان تكون من وَشيج تلك الطائفة. وعليهِ فقد جرى المحدثون منذ قرنٍ على ان يطلقوا عليها لفظة «اللغات الساميَّة» لان اغلب الشعوب التي كانت تتكلّم بها كانت من صُلب سام. وقلنا «اغلب الشعوب» لنُخرج من ذلك بني كنعان اذ هم من أَعقاب حام (سفر التكوين ١٠ و ١٥ الخ) وفي لغتهم أَمشاجٌ من اللغة العبرانية

واللغات الساميَّة تُقسم الى قسمين عظيمين وهما: لغات ساميّ الشمال ولغات ساميّ الجنوب. ويتفرَّع من القسم الاول ثلاثة فروع. فالفرع الاول: اللغات الآرامية ومنها السريانية الشرقية (المعروفة اليوم عند العامة باللغة الكلدانية) والسريانية الغربية (المعروفة اليوم عند العامّة بالسريانية مطلقًا) والتدمريّة والنَبَطيّة والتلموذيّة والترجوميَّة والسامريّة والصابئيّة. والفرع الثاني هو اللغات الاشوريّة وتسمَّى ايضًا بالبابلية وهي لغة بابل ونينوى الى القرن الخامس قبل المسيح. ويتعلّق بها بعض شُعَب اخرى. والفرع الثالث اللغات الكنعانيَّة ومنها العبرانية والفينيقية والفينيقية المولّدة او القرطاجَنيَّة (le punique)

وامَّا لغات ساميّ الجنوب فهي كثيرة. منها لغات العرب العاربة كالعربية القديمة ولغة بلاد الصفا ولغة بني ثمود (المزهر ١: ١٥ و ١٨) ومنها لغات العرب المتعرّبة او القحطانية وهي التي كان يتكلّم بها اهل اليمن وحِميَر. ويلحق بها اللغة الأَمحَريَّة والتغريّة (والأَمحريّة تصحيف الحميريّة على ما حقّقناهُ. فلا شكّ ان الاوائل قالوا في حميريّة «يحمريّة» بالقلب كما هو شائع ذائع عندهم. ثم أُبدلت الياء المثنّاة همزةً كما قالوا في يَزَني أَزَني وفي يثرِبيّ أَثرِبيّ وفي يَرَميّ إِرَميّ وامثلة ذلك كثيرة تفوت الحدّ والعد وقد ذكر صاحب المزهر شيئًا منها (١: ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٦٤). ويشهد على ذلك التاريخ

والاصل: Deus est videns cogitationes nostras اي: الله هو راءٍ افكارنا. فحذفوا فعل الكون وعوَّضوا عنهُ ما عوَّضوا. وكذلك هو الامر في سائر اللغات الآريَّة. امَّا في اللغات السامية فلم يبقَ لذلك اثرٌ الَّا في الآرامية وهو ايضاً واقف على جناح الزوال. فيقول السريان مثــلًا في « الله عادل » ܐܠܗܐ ܟܐܢ ܗܘ اي: « الله عادلٌ هو ». كما يقولهُ الآريون في يومنا هذا. وقلنا: « ان هذا الاثر واقفٌ على جناح الزوال ». اولًا: لان الهاء في ܗܘ لا تُقرأ ولذا يشيرون الى ذلك بعلامةٍ من فوق الحرف او تحتهُ تدلّ على انها لا تقرأ كما ترى. وثانياً: لانهُ يجوز لك ان تحذف اللفظــة ܗܘ من آخر العبارة بدون ان تخلّ بالمعنى. وعليهِ فانـنا نستنتج من ذلك ان العرب ايضاً كانوا يقولون مثــل هذا القول. اي انهم كانوا يقولون مثــلًا في « الله عادل »: الله عادل هو. ثم انتقلت « هو » الى الطَّور الذي تُكتب بحرفين وتُقرأ بحرفٍ واحدٍ اي الواو كما في السريانية. ومن ذلك بقي عنــدنا إعراب الاسماء الخمسة. ثم انتقلت الكلمة الى طور الحذف جوازًا كما هو اليوم جارٍ عند السريان وهو ولا شك كان يُحذف ايضاً بتاتًا لو لم يفاجئ هذه اللغة استنباط الكتابة فاوقف زوالها. وفي آخر الامر انتقلت الى حذف الكلمة وجوبًا والتعويض عنها بعلامةٍ تقوم بمنزلة صُوَّة تنبّه الغافلين الى مدفن الكلمة المائتة.

واللفظ « هو » إن في السريانية وان في العربية مقطوع من فعــلٍ قد أُميت في العربية وبقي حيًّا في السريانية وهو فيها ܗܘܐ بمعنى كان يكون او وُجد يوجد. وهــذا المعنى هو نفس مدلول لفظة est اللاتينية اي هو. فقولك اذن: الله عادلٌ. معناهُ: الله عادل هو. اي الله موجود او (كائن عادل)

هذا من جهة حالة الرفع. واماَّ حالة النصب التي يُدلّ عليها بالفتح فلا اثر لها في اللغات الآريَّة بل ولا في اللغات السامية الَّا في واحدةٍ منها وهي اللغة العبرانية. فانهم يستعملون بعض الاحيان في حالة النصب الاداة את ويقولون مثلًا: في البدء خلق الله السماء والارض: בראשית ברא אלהים את השמים ואת הארץ. وقلنــا « بعض الاحيان » لانها لا تُستعمل الَّا في اماكنٍ محدودةٍ منها المعرفةُ. والمراد بذلك عند نحويي العبرانيين العلَم والمعرَّف باداة التعريف المضاف والمذيَّل بضمٍ. ولا شك انها كانت عامَّة في جميع الالفاظ في حالة النصب فحصروها بعد ذلك وقيَّدوها. وهذه الاداة هي بقيَّة كلمةٍ برأسها كانت شائعة عند بني سام باجمعهم كما رأينا في علامة الرفع اذ ان مقطوعها

بقي في اللغة آثار دالَّة على هذا التغيُّر وهي كثيرة لا تُحصى ولا يُسبر غورها ولا يستقصى غير اني في هذه النبـذة لا اريد ان اتعرَّض الَّا لمسئلة واحدة وهي اوجُه الإعراب في اواخر الكلم واصلها وتغيُّرها وسبب اضمحلالها من ألسنة المتكلّمين بها من بعد ان كانت شائعة لا عند العرب فقط لا بل وعند الأعراب ايضاً وهو امر لا ينكرهُ اثنان من المطلعين على تغلُّب اطوار هذه اللغة الشريفة

هذا وانك تعلم ان سمات الإعراب ثلاث وهو ممَّا لا يجهلهُ احد وان هذه السمات هي الرفع (الضم) والنصب (الفتح) والجرّ (الكسر) . ولا مرية في ان هذه العلامات كانت يوماً احرف علةٍ اي ان الضمة كانت واواً والفتحة الفاً والكسرة ياء كما نرى اثنين منها في الجمع السالم فاننا نقول مثلاً: جاء الزيدون ومررتُ بالزيدين . ولعلّ العرب كانوا يقولون ايضاً « رايتُ الزيدان » في حالة النصب ولم يقولوا « الزيدِين » الَّا اجتناباً لالتباسها بالمثنَّى . ولعلَّهم ايضاً كانوا يقولون في المثنى. « جاء الزَّيدَوْن » . ثم نقلوها الى رفعها بالالف خوفاً من اللبس. وكذلك فعلوا في « رأيت الزَّيدان» ثم نقلوها الى نصبها بالياء . وما ابقوا في المثنى الَّا قولهم مثلاً: مررت بالزَّيدَين . وعلى كلّ ٍ فان هذه العلامات حُفظت على حالتها الاصلية في خمسة احرفٍ وتُعرف عند النحويين بالاسماء الخمسة وهي ابوك واخوك وحموك وفوك وذو الصاحبيَّة فانها تُرفع بالواو وتُنصب بالالف وتُجرّ بالياء فيقال مثلاً: جاء اخوك ورأيت اخاك ومررتُ باخيك

وممَّا لا شُبهة فيهِ « عندنا » ان هذه الاحرفُ الثلاثة الاعرابية هي ايضاً بقايا الفاظ كانت فيها الواو والياء والالف فاكتفوا بهـا عن اللفظة كلها طلباً للخفة في الكلام وذلك من باب الاجتزاء بالدلالة عن المدلول او من باب إبقاء الأثر للدلالة عن العين المضمحلّ . غير انهُ كيف يمكننا ان نهتدي الى الكلمات الثلاث التي منها هذه الاحرف الثلاثة ؟ — انَّما نهتدي الى ذلك بواسطة اخوات اللغة العربية . وعليهِ فلنبحث اولاً عن اصل الضمّ او الرفع فنقول:

ان اللغات الهنديَّة الاوربيَّة المعروفة ايضاً باسم الآريَّة كالقلطيَّة واللاتينية واليونانية تستعمل في حالة الرفع فعل الكون إمَّا ظاهراً وإمَّا مقدَّراً . فيقول اللاتين مثلاً في: « الله عادل » Deus est justus ومعناه حرفياً « الله هو عادل ».وهذا في الظاهر . وامَّا في التقدير فيقولون مثلاً في« الله يرى افكارنا» Deus videt cogitationes nostras

الباء الموَحدة فبقيت « ي » وحدها فجعلوها من ادوات الاعراب في الآخر كما فعلوا في حالتيْ الرفع والنصب ثم نقلوها الى الكسر . وتدرَّج اندثار لفظة « بيت » الى « بي » او « با » (بالامالة) ثم الى « ب » ظاهرٌ الى ايامنا هذه فان اهل سوريَّة يقولون مثلًا : بيت لحم وبَيْجَبرون وباعابا وبزمَّار . فبيت لحم على الاصل واصل البقيَّة بيت جبرون و بيت عابا وبيت زمَّار . وتريد على ذلك ان « بيت » و « بي » و « ب » قد وردت كلها في اللغة العبرانية اي בית و בי و ב التي يقابلها بالسريانية ܒܝܬ و ܒܝ و ܒ بمعنى البـاء العربيَّة وذلك في الترجوم والتلموذ . راجع ذلك في طبعة -.Jean--André Dantz) Rabbinism § 64.4. 2)

وبعد ان كان معنى البيت الخيمة نقلوه الى مجرَّد الظرف ثم اطلقوهُ على كل ظرف. ولمَّا كان البيت بمنزلة آلة ظرفية تنتقل من مكان الى مكان يصون بها الانسان وجودهُ وسكناهُ اطلقوها ايضًا على كل آلةٍ بدون اعتبار الظرفيَّة . وعليهِ فقولك مثلًا : ضرب زيدٌ عمرًا بعودٍ يعني ضربهُ بآلةٍ وهي العود . وكان لهُ هذا العود بمنزلة بيت أَلمٍ أُدخل فيهِ عمرٌو او خيَّم عليهِ الالم ومدّ على جسمهِ اطنابهُ . وبالحقيقة اذا ضُرب الواحد في محلّ من جسمهِ فلا يشعر المحلّ وحدهُ بذلك بل شخص الانسان كلهُ . فتدبَّر (ستأتي التتمَّة)

الشاعر نصرالله الطرابلسي الحلبي

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد آنسنا من جمهور القراء ارتياحًا الى معرفة مشاهير بلادنا . وذلك ما حدانا سابقًا الى تسطير ترجمتيْ الشاعرَين البارعين الياس ادّه (المشرق ٢ : ٦٩٣) وميخائيل البحري (٣ : ٩) . على انَّنا آثرنا تدوين اخبار الذين كاد ذكرهم يخمل بين مواطنيهم لئلا تتضعضع مآثرهم الجليلة وتُنسج عناكب النسيان على اعمالهم المبرورة

ومن جملة الذين اشتهروا في عهد الشاعرَين السابق ذكرهما رجلٌ عُرف بزمانهِ بجودة القريحة وذكاء الفهم يدعى نصر الله الطرابلسي

ولد المذكور في حلب نحو سنة ١٧٧٠ من ابوَين كاثوليكيين من اعيان الشهباء

موجود في جميع اللغات السامية بتلك الدلالة عينها. واماً مقطوع את ويشابهها عند السريان ܝܬ التي ترجمها بَرْعلي: « ذات الشيء ونفسهُ وشخصهُ » فهي איה ومثلها אות على الابدال. وهي عند العرب « آية » ومعناها ايضاً نفسُ معنى اللفظة العبرانية اي الذات والنفس والشخص. وقد اشتقُّوا منها فعلين وقالوا: « تأَيَّيتُهُ وتآيَيْتهُ» اي قصدتُ آيتهُ وشخصهُ وتعمَّدتهُ (القاموس). ومن ذلك ايضاً اشتقوا الضمير المنفصل في حالة النصب اي« ايَّا » مع الضمائر المضافة اليهِ اي ايَّاهُ ايَّاكَ ايَّاي الخ. وعليهِ فقولك: « ضرب ايَّاكَ » معناهُ: « ضرب شخصك وذاتك ونفسك ». وبعد ان كانت איה عند العِبْران صارت את اي « اة » عند العرب. ثم א او الالف. ثم زالت من عند الكلدان والسريان. ومثل هذا الانقراض والاندثار الحرفُ العربي « سوف » اي أداة الاستقبال. فقالوا فيهِ « سَف » ثم « س » وجعلوا معنى سوف أبعد من معنى سفْ ومعنى هذه ابعد من معنى س. كانهم قدَّروا مدَّة الزمن على كثرة الحروف وقلَّتها وهو من الغرابة بمكان. وعليهِ فقولك مثلًا: « ضرب زيدٌ عمرًا » معناه: ضرب وجودُ زيدٍ وكوْنهُ شخصَ عمرٍو او ذاتهُ

بقي علينا ان نعرف اصل علامة الجرّ اي الكسرة فالظاهر ان اصل المجرورات جرُّها بحرفٍ في الآخر. ثم حُذف هذا الحرف وعُوّض عنهُ حرف مدّهِ ثم عُوّض عن هذا بما يُجانسهُ من الحركات اي بالكسر. اماَّ هذه الكلمة المقطوعة عنها الياء او الكسر فهي « في » التي اصلها « بي » المُاتة لا بل الحيَّة في جسمٍ آخر اي « بِ ». ولا مرية في ان هذه الباء لم تُوجد كذلك بدون اصل قُطعت منهُ او ترجع اليهِ. لكن ما هو هذا الاصل يا ترى ? — اننا اذا نظرنا الى اللغات السامية نرى انها لا تستعمل هذه الباء الَّا للظرف. ولا شك انها كانت كذلك في العربية باديء بدءٍ ثم تُوسّع فيها او مرَّت عليها الطواريء فاخرجتها بصور معانٍ مختلفة. واماَّ الكلمة المقطوعة عنها هذه الباء الظرفيَّة فهي اسم اول ظرفٍ وُجد على هذه الارض اي « بيت » الذي من معانيهِ الخَيمة وكل ما يُدخل تحتهُ او يُوضع فيهِ. ثمّ تصرَّفوا فيها وحذفوا التاء طلباً للخفَّة فقالوا « بي ». وكما ان الباء والفاء تتعاقبان في « جميع » اللغات السامية. (من ذلك في العربيَّة. البَيْشف والبيشب والحِضف والحضب والبَرْبار والفَرْفار بمعنى الاسد. ونفجَ الارنب ونبج الارنب بمعنى ثار او خرج من جحرهِ) قالوا في « بي » « في » ثم رجعوا الى « بي » وأسقطوا منها تارةً الياء المثنَّاة فصارت « بِ » من احرف الجرّ وتارةً

اهنّيك بالعيـد الذي قام ناهضاً ‏ ‏ به باريءُ الكونين اذ فرَغ اللحـدا
وأنهضنا من وَهـدة الذلّ اذ نضا ‏ ‏ رداء الرَّدى عنّا وسربلنا المجدا
فدمتَ الى امثالهِ ما همى الحيا ‏ ‏ وما شاعرٌ في مدحكم بذل الجهدا

ولعلَّ هذا القنصل هو الذي اوعز الى نصر الله الطرابلسي ان ينظم قصيدة ليهنئ نابوليون الاول بمولد نجلهِ الذي دعاهُ ملك رومية (١ سنة ١٨١١ فقال:

ورد البشيرُ فسرَّت الاقطارُ ‏ ‏ وترنَّمت في دوحها الاطيارُ
والسعد قد عمّ البسيطةَ كلها ‏ ‏ فالليل مذ قدم السرور نهارُ
والناس خرُّوا سجّدًا بورودهِ ‏ ‏ فكأنَّما لاحت لهم انوارُ
مستبشرين بنيل غايات المنى ‏ ‏ اذ وافت الآمال والاوطارُ
اعني بذلك مولـد الملك الذي ‏ ‏ سارت بذكر جلالهِ السفَّارُ
تاج المفاخر والمآثر مَن غدا ‏ ‏ في مهدهِ ملكٌ اليهِ يُشارُ
فرع العلى من اصلهِ ملك الورى ‏ ‏ من في حماهُ لا يُضام الجارُ
العادل المنصور ذو البطش الذي ‏ ‏ بفتوحهِ قد شاعت الاخبارُ
الأروع الشهم الوقور الامنع م ‏ ‏ الليث الجسور الارفع الجبَّارُ
يا ايها الملك الذي ساد الملا م ‏ ‏ ابدًا وقد خضعت لهُ الاقطارُ
افخرْ على كلّ الملوك عُليَّ بما ‏ ‏ اعطاك ربٌّ واحدٌ قهَّارُ
فلقد كسرت جيوشهم لمَّا أبوا ‏ ‏ عُلياك كسرًا ليس فيهِ جبارُ
لمَّا رأوا غـارات نصرك أدبروا ‏ ‏ ورأوا صنيع الله فيك فحاروا
وافيتهم في جحفل من حولهِ ‏ ‏ زُمر الملائك جحفل جرَّارُ
ما منهم الّا فتًى ذو همةٍ ‏ ‏ اسدٌ يصول وفارسٌ كرَّارُ
فغدوتَ شأْنُك حتفهم او اسرهم ‏ ‏ قهرًا وكلٌّ شأنهُ الإدبارُ
وغدوا وعندهمُ الهزيمة منحةٌ ‏ ‏ خوفًا وكلٌّ دمعهُ مدرارُ
عميتْ بصائرهم فلمَّا يعلموا ‏ ‏ ان البسيطة كلها لك دارُ
ان كانت الآفاق قد خضعت لهُ ‏ ‏ طوعًا فما مصرٌ وما الامصارُ
ان رمتَهم هيهات ان ينجوا ولو ‏ ‏ فوق النجوم علت لهم اوكارُ

(١) مات هذا المولود طفلًا بعد سنتين فعاقب الله اباهُ لتعدّيهِ على الكنيسة وحبرها الجليل بيوس السابع

امتازا بالفضل والفضيلة. واسم ابيهِ فتح الله بن بشارة الطرابلسي انتقل من طرابلس الى حلب لمزاولة التجارة فتوطَّنها وتأَهَّل فيها. وغاية ما نعلم من امرهِ انهُ كان شديد التعلّق بالايمان المستقيم مع ما لحقهُ من المحن لاجل معتقدهِ وهو كان من طائفة الروم الكاثوليك ونشأَ ابنهُ نصرالله على مثالهِ تقيًّا ثابت العزم حسن العقيدة قويم الايمان

ولمَّا ترعرع اخذ يدرس مبادئ العلوم برغبة عظيمة على أُدباء مدينتهِ فاتقنها بوقتٍ قريب. ثمَّ حملهُ حبُّهُ للمعارف الى ان يتفرَّغ للدروس البيانيَّة والآداب فحفظ بعد قليل شيئًا كثيرًا من اشعار العرب ونوادرهم واخبارهم فاشتهر عند اصحابهِ بادب النفس وعلوّ الهمَّة وكان مع ذلك عذب اللسان خفيف الشمائل جميل الطلعة فرغب كبار الناس في مجالستهِ وأُعجبوا برقَّة محاضرتهِ

ثمَّ وجد نصرالله فرصةً لدرس اللغتين الفارسيَّة والتركية فانتهزها وصار بعد زمن ضليعًا فيهما ينظم في كلتيهما الشعر الحسن. بيد انهُ آثر الشعر العربي وقصَّد فيهِ القصائد الرنَّانة التي:

تزين معانيها الفاظها وأَلفاظها زائنات المعاني

وممَّن اجتمع بهم في الشهباء نصرالله الطرابلسي ومدحهم بشعرهِ يوسف لويس روسّو (Rousseau) قنصل دولة فرنسة في حلب وكان رجلًا ذا ادب يأْنس بمصاحبة العلماء ويحبّ درس الفنون العربية. فكتب اليهِ نصر الله من قصيدة يهنّئهُ بعيد الفصح المجيد سنة ١٨٠٨

هو الماجد المفضالُ بالحزم والندى	ومَن لم نجد في المكرمات لهُ ندّا
غمامٌ همى بحرٌ طمى اسدٌ حمى	همامٌ سما نحو السما فاضلٌ اهدى
وما روضةٌ غنَّاء لذَّ مقيلُها	وهزَّ الصبا النجديُّ أَغصنها المُلدا
وسحَّ عليها القطرُ والبرق منتضٍ	مهنَّدَهُ البتَّار اذ بارز الرعدا
واكرَمها فصلُ الربيع لحسنها	فأَلبسها من خير ترقيمهِ بُردا
ونرجسها ابدى وقوفًا وهيبةً	وغضَّ لحاظًا حينما نظر الوردا
باحسنَ منهُ منظرًا عند نيلهِ	وحين يلاقي الضيف او يكرم الوفدا
اميرٌ اذا ما زرتَهُ ولقيتهُ	ترى السعد والاقبال من حولهِ جندا
فأَلفاظهُ كالشهد والكفُّ كالحيا	فيا لفظُ ما احلى ويا كفُّ ما اندى

فأَصبح وجه الحقّ في الحكم ضاحكاً   وقد كان قبلًا اربدَ اللون مقتما
وعاد شرود الفضل اذ هو مُنجِدٌ   الى اهلهِ من بعـد ما كان مُتهِما
بِمَقدَم افراح تبدَّت سعودها   يقيناً وولى النحسُ من حيث اقدما
لك العفو مني يا زمان فانَّ ما   اتيتَ بهِ قد زاح عن طرفك العمى
أَتمَّ بمن اهواهُ نعاك انني   رضيتُ وما بي ان يكون المقدَّما
خليليّ عوجا عن رسومٍ دوارسٍ   ولا تسأَلا الربعَ المَحيل عن الدما
ولا تعجبا ان جاوبت بصداكما   فما كلّ ذي لبٍّ يخاطب ابكما
رويدكما لا توسعاهُ ملامةً   فانَّ جمادًا لا يطيق التكلُّما
فتلك امور كنتُ قدماً أَلفتها   ولازمتُها حتى دعوني المتيَّما
بلى عرّجا نحـو الربوع التي زهت   اذا جئتما في الحيّ من ايمن الحمى
فثَمَّ مغانٍ قد تبدّى سماؤها   عليهـا رواق المجد والسعدُ خيَّما
وما ذاك الّا انها قد تشرَّفت   بتقبيل اقـدام الهمام الذي سما
محمـدٌ ابن الجابريّ الذي بهِ   لقد جبر اللهُ القلوب بُعَيدما
نقيب السراة الغرّ من آل هـاشم   مصابيح فضل ان دُجى الليلِ اظلما
هو الفرد حاز المكرمات باسرها   ومجموعَها سلني بذاك لتعلما
فان جال في حَوك البنان يراعُهُ   فابلغُ مَن وشّى الطروسَ ونمنما
وان قال في بحث العلوم رأَيتهُ   لدى كلّ فنّ قيل بحرًا عرمرما
وان حال في فصل الخطاب لسانهُ   فيغدو لهُ قسّ الفصـاحة مُفحما
وان نبضت في عرق قطر شراسةٌ   فاحكمُ مَن ساسَ الامور وقوَّما
وان كرَّ في يوم الطراد جوادهُ   ترى فوقهُ دامي الفريسة ضيغما
وان امَّهُ العافون يبغون جودهُ   فاكرمُ مَن اعطى واغنى واكرما
وان هزَّهُ المدّاح في نعت خِيمهِ   فيغدو لهُ سجلٌ عدا المدح مفعما
وان اوعد المكروهَ فالعفو طبعهُ   وان وعد المعروفَ في الحال تمَّما
وان جاءَهُ المظلوم يبغي انتصـارهُ   فلم يكن المظلوم يوماً ليُظلَما
وان حاول الحسَّاد نقصاً لفضـلهِ   وان قابلوا النعمى بكفر فيحلما
وما زادهُ عزّ النقابة رفعةً   لقد كان مرفوع الدعائم قبلما

واذا عفوتَ تفضّلًا هيهات ان　　تدنو لنحو حماهمُ الأَضرارُ
تُردي وتحيي بالوعيد وبالرضا　　فكأنّما في كفّك الاعمارُ
فديار كل الخاضعين مَشيدةٌ　　وديارُ من يأبى علاك قفارُ
لا تستقرُّ على الدوام بموضعٍ　　هل يستقرُّ الكوكب السيَّارُ
فالنصر في رايات مجدك خافقٌ　　وضياء عزّك ليس فيهِ سرارُ
والسعد عبدك لا يزال ملازمًا　　والدهر منقادٌ لما تختارُ
والآن هذا السعد تمَّ كمالُهُ　　بولود من خرّت لهُ الاقمارُ
فتهنَّ فيهِ بعزّ مُلكٍ زاهرٍ　　ولهُ على طول المدى استمرارُ
واصفح عن التقصير فيك فانهُ　　عن بعض وصفك حارت الافكارُ
لمَّا رأيتُ المادحين تزاحموا　　وتتابعوا والى جنابك ساروا
فخمول ذكري عاقني بالرغم عن　　سيري اليك فسارت الاشعارُ
ورجاك نصري مذ علمتُ ميقنًا　　يمناك يُمنٌ واليسار يسارُ
هيهات ان اشكو الظما من بعد ذا　　ابدًا ولي من راحتيك بحارُ
واليكها مني اليك فانها　　دررٌ لهنَّ على علاك نثارُ
واسلمْ لهذا العقد في تاريخهِ　　جِيدًا ودم ما غنَّت الاطيارُ ١٨١١

ولنصر الله الطرابلسي في القنصل روسُّو من قصيدةٍ نظمها لمَّا فارق المذكور الشهباء بعد ان استدعتهُ دولتهُ . ولم نعثر منها على غير هذه الابيات:

لقد شطَّ قلبي يوم سارت حمولكم　　بسفح قُوَيقٍ حيث اظعانكم تُحدى
ودارت كؤوس اللثم عند وداعنا　　وقد وخدت ايدي المطايا بكم وخدا
لحا اللهُ ايامَ النوى ما امرَّها　　فما اقبلت الّا وشيَّبتِ المُردا
احبَّائي لا والعهد ما خنتكم بهِ　　ولا كان حبٌّ حال او نكث العهدا

وكان بين صاحب الترجمة وادباء المسلمين في حلب مودَّة ومفاوضات في الشعر والنثر فمن ذلك قولهُ يمدح احد كرام اسرةٍ شهيرة وهو النقيب محمَّد بن الجابري:

نعم انجز الدهر الوعودُ وتمَّما　　فشكرًا لمن بالمقصد الفرد أنعما
صحا الدهر من سكر الغباوة واهتدى　　وتاب وعن طرق الغواية أحجما
وآض يروم العذر عن كل ما جنى　　ويطلب منَّا العفو عمَّا تقدَّما

وذَرْ كبدي تفنى من البؤس والاسى ... فحقٌ عليها ان تذوب وتُعدما
لقد كنتُ قبل اليوم أُفصحُ ناطقًا ... فقد صرتُ من هذي الحوادث ابكما
خليليَّ ان لم تسعداني على البكا ... فلا انتما مني ولا انا منكما
خليليَّ ان لم تدريا ما اصابني ... من الدهر قد خان الوفا وتصرَّما
خليليَّ امسى طامس الكفر واضحًا ... خليليَّ اضحى منهج الحقّ مبهما
خليليَّ والايمان غابت شموسهُ ... خليليَّ والحقّ الصريح تكتَّما
خليليَّ ان السيف كذّب ديننا ... فان كنتما لم تعلما ذاك فاعلما
وما ذاك الَّا انَّ اعيان قومنا ... غدوا فرقًا شتَّى ولولاهم لما...
فيا لقلوبٍ قد نست وتسامحت ... ويا لعيونٍ قد تبرقعها العمى
نفوس غدا يقتادها الضالُّ نحوهُ ... كأَنَّ عليها الكفر امرٌ تحتَّما
فيا ليتَ الحاظي عمينَ ولا ارى ... رجالًا عن الايمان لا شكَّ نوَّما

الى ان قال في وصف رجلٍ مرق من الايمان:

يروم التباهي بالعناد ودأبهُ ... الفساد فيضحي عالمًا ومعلّما
أَيترك دين الحقّ حيث حماتهُ ... أَلا تَعِس الحامي وبئس الذي احتمى
فمن اجل دنياهُ اضاع لدينه ... وصلَّى مع الاوغاد جهرًا ورنَّما
نعم عنهُ في الانجيــل قد قيل معلنًا ... بعيدٌ على ذي المال ان يدخل السما

وبقي نصرالله الطرابلسي في تلك الاثنـــاء بحلب محافظًا على دينهِ ومثبّتًا لاخوتهِ المؤمنين فصبر على ذلك مدَّة نحو عشر سنوات الى ان اخنى عليهِ الزمان بمناواة الوشاة والحسَّاد فلم يرَ نجاةً الَّا بالخروج من وطنهِ. فرحل الى مصر سنة ١٨٢٨ وكان سبقــهُ اليها بنو البحري ونالوا عند اصحاب الامر نفوذًا عظيمًا فالتجأَ نصر الله الطرابلسي الى حمايتهم (١ فلم يردُّوهُ خائبًا وهو من طائفتهم دافع مثلهم عن ايمانهِ. ثمَّ اختصَّ بخدمة احدهم حبيب البحري فصار من كتَّاب الديوان تحت نظرهِ. وفي السنة التي وقعت بعد قدومهِ الى مصر تزوَّج حبيب البحري فقال الطرابلسي يهنئهُ في زفافهِ وقد ضمَّن في صدر كلّ بيت التاريخ المسيحي (١٨٢٩) وفي عجزهِ التاريخ الهجري (١٢٤٥):

زفافٌ زها في ضمنهِ الفوز والبشرُ ... فيا حبــذا سعدٌ حبانا بهِ الدهرُ

---

١) وقد ورد سهوًا في الصفحة ٢٢ ان نصر الله الطرابلسي التجأَ الى بني البحري سنة ١٨٤٠

فيا من حوى علماً وحزماً وسؤدداً وجوداً وإقداماً ورأياً محكما
أغثْ وتداركْ غرسَ نعمتك الذي تعاهدتهُ قدماً فها هو في ظما
لك الخير ان الدهر جرّد عَضْبَهُ فعرّقني لحماً وفتّت اعظما
وقد ابت الضرّاء عني تأخرا كما ابت السراء نحوي تقدّما
حنانيك ملْ نحوي بطرفك رأفـةً تجد من جروح الدهر كلّي أسهما
فمثلك مقصودٌ ومثليَ قاصدٌ ومثلك موجودٌ وأُصبحُ معدما
ومـن خدم الاشراف يرجو نوالهم فانيَ لم اخدمك الّا لأُخدما
فَفِزْ غيرةً للفضل وانصر اخا سجاً لقد ذاق من بعد الحلاوة علقما
فما زلتَ قبل الان ترفد بائساً اديباً وتعتدّ الغرامة مغنما
وها انا قد وافيت بابك قاصداً ونبّهتُ يقظاناً وغادرتُ نوّما
ولم يبقَ الّا ماءُ وجهٍ أرقتُهُ وحسبي بشعري شاهداً ومترجما

وكتب الى الشيخ هاشم افندي الكلّاسي:

لمّا سمعتُ مسلسلاً عن سادةٍ انّ الفصاحة كلهـا في هاشمِ
يَمّمتُ ناديهُ والقيتُ العصا ورجوتُ يقبلني ولو كالخادمِ
ان جاد لي بالارتضاء بفضلهِ او لم يَجُد فلسوء حظّ الناظمِ

فاجابهُ الشيخ:

نسيمُ لطفك صابني صَيْب المحبّ الى محبٍّ قادمِ
فبمثلهِ اهلاً وسهلاً مرحباً بمسامرٍ ومنادمٍ لا خادمِ

ولمّا كانت سنة ١٨١٨ حاول جراسيموس مطران الروم غير الكاثوليكيين في حلب ان يكره الروم الكاثوليكيين على طاعتهِ فأبوا اجابة طلبهِ. فاخذ يدسّ لهم الدسائس حتى تمكّن من قتل ١١ شخصاً منهم فضّلوا الموت في سبيل الحق على تلبية امرهِ واضطرَّ غيرهم الى الفرار الى لبنان فاقاموا فيهِ الى سنة ١٨٢٥. فقال نصر الله الطرابلسي من قصيدة يصف احوال ملّتهِ واعتـداء جراسيموس على طائفتهِ وما قاساهُ الكاثوليك في تلك المحنة (راجع مختصر تاريخ الروم الملكيّين الكاثوليكيّين ص ٧٥):

دع العين مني تذرف الدمع عَنْدَما فحقٌّ لهذا الخطب ان تُسكَب الدما
وخلِّ زفير القلب يحرق اضلعاً ابت من لهيب الحزن ان تتقوّمـا

وتدفَّقت انهارها وتمايلت اشجارها كمعاطف النشوانِ
هي جنَّـة المأوى فان قبلوك يا بشراك اذ قد فزت بالرضوانِ
يا من يقايس غيرها بجمالها ها بيننا المقياس في الميدانِ
يا حبذا في النيل منهلُهـا الذي في الحسن اضحى مُفرَد الاقرانِ
فهناك أُنسي لا العذيب ولا النقا ومعاهدي لا السفح من نعمانِ
تحيي الجنانَ جنانهُ وتزيل عن قلب الحزين عوامل الاحزانِ
ويمرّ رقراق النسيم معطّرًا ارجاءهُ بتعانق الاغصانِ
وجداولٍ تنساب في حافاتها معوجَّة اللَّفتات بالاتقانِ
وحدائق متقابلاتٍ اخجلت اوضاعهنّ فلاسف اليونانِ
فهناك تنظر مَن عنيتُ مديحهُ اعني بهِ الشهمَ الجليـل الشانِ
تلقـاهُ من دون السؤال لانهُ نادي الوفود ومنزل الضيفانِ
حيث المروَّة والفتوَّة والوفا بل مجمع البحرين يلتقيانِ
لكنَّ بينهما التفاوتَ واضحٌ شتَّان هل يتقايس البحرانِ
فالنيل يأتي كلّ عامٍ مرَّةً وعباب جودك دائم الفيضانِ
يا ايها المولى الذي اوصافهُ عن وصف خير البعض كلَّ لساني
انت العزيز بمصرنا بل انت مُعْـجز عصرنا بل فخر كلّ اوانِ
انت الذي مدحتكَ أَلسنة الورى بمحبَّة في السرّ والاعلانِ
انت المجيد وما لمجدك اوَّل انت الفريد ومـا لفضلك ثاني
لولا عزائمـك الشهيرة لاغتدت منَّا الاسودُ فرائسَ الضبعانِ
انسانُ عينِ العين نبراسُ الورى وسواكم عين بلا انسانِ
هنّئت بالبيت الذي قـد شدتهُ ولك الهنا والسعد مقترنانِ
لمَّا حللتَ بهِ ازدهاهُ ترفُّع بوجودكم وعلا على كيوانِ
فعبيد فضلك أَرّخوهُ لطيبهِ قصرٌ سما بسعادة السكَّانِ ١٢٤٦

ثم اصاب الطرابلسي عند ولي نعمتهِ حظوةً وترقى في خدمتـهِ فادخلهُ البحري على محمد علي باشا امير مصر في ذلك العهد فاكرم مثواهُ واجازهُ. ولصاحب الترجمة فيـهِ

بعرس حبيبٍ اشرقت مصر بالسنا وجاد لهُ الاقبال والعزّ والفخرُ
فمسند فضلٍ من ابيهِ مؤثلًا ومن عمّهِ قد عمّ مدَّتهُ النصرُ
فدام ابو اللطف الامينُ بغبطةٍ وعِزِّ اقتدارٍ دونهُ الانجم الزُّهرُ
ولا زال بالعيش الرغيد مهنّأً ومعتنقاً للفوز ما هطل القطرُ
بآن اجتماع الشمل ناديتُ منشداً١٨٢٩ بمنزل أمن الشمس قارنها البدرُ١٢٤٥

ولمّا بنى حبيب البحري قصرًا في النيــل سنة ١٨٣٠ م (١٢٤٦) قال الطرابلسي يهنّئهُ بهذه القصيدة:

انَّ البناء دليلُ قدر الباني وجمالهُ للمرء ذكرٌ ثاني
ودليل حسن العقل ما يختارهُ وبذاك تُعرف قيمةُ الانسانِ
ونتيجة الافعال في آثارها وجلالة الاخطار في البنيانِ
ومحاسنُ الآثار توضح ما خفي من فَضل مُوجدها مدى الازمانِ
واذا اردتَ لصدق قولي شاهدًا كيما يكون باوضح البرهانِ
فاعطف بمنعطف الجزيرة بكرةً تلقَ الامان بهـا ونيل اماني
وخذ الجواري المنشئـات صوابحًا فهي التي انجت من الطوفانِ
وهي الوليّـة حيث فوق الماء تمـشي غير ما مبلولة الاردانِ
واركب فبأسم الله مجراها ومُرْ ساها بطيب اليمن والايمانِ
حتى اذا لاحت لعينك اربُعٌ مأهولةٌ ومنازلٌ ومغاني
ورأيت ما دهش العقول اقلّهُ من كل قصر شامخ الاركانِ
ايوان كسرى والخورنق دونهُ والقصر ذو الشُّرُفات من عدنانِ
فاحلل بروضتها الاريضة انها أُنس الحزين وسلوة الثكلانِ
واستنشق الارواح من ادواحها فهي الشفـاء لكل صبٍّ عاني
لا تُنعتَنَّ صفاتها وصفاءها الّا بقول الفاضل الهمذاني
لا تسمع الآذانُ في جنباتها الّا ترنُّمَ أَلسن العيدانِ
فحياضها ورياضها وغياضها سلّت غريب الاهل والاوطانِ
قد رنّمت اطيارها وتدبّجت ازهارها بُمجانس الالوانِ
من ازرقٍ صافٍ واصفرَ فاقعٍ او ابيضٍ يققٍ واحمرَ قاني

نفد الدرُّ من حديثي ونظمي فنـثرت الدموع من مرجانِ
واذا ما رأيتما نفد الآ خرُ مني فأجملا وابكياني
انا نحو الصلاح نكسٌ جبانٌ والى الشرّ فارس الميدانِ
بئس دهرًا جريتُ فيـهِ الى م كلّ قبيحٍ مشمّرَ الأردانِ
لك مني ندامةٌ ونفورٌ يا زماني الذي مضى يا زماني
فذنوبي أوقرتني حملًا وجناني بالاصل اصل جناني
أترى بعد ذاك هل لي شفيعٌ يرتضيني بمنحة الغفرانِ
ليس الّاك عاضدي يا وحيـدَ الآب والجنس والقنوم الثاني
انّ لي في رضاك يا ربّ حقًّا اذ تردَّيتَ حلّة الانسانِ
فاعنّي لا تتركنّي وحيدًا اذا امّي ووالدي تركاني
واعفُ عن حوبتي وجهلي وانظرْ لانكساري وذلّتي وهواني

ولهُ ايضًا تخميس حسن لابيات مشهورة:

فؤادٌ لأعراض الحبيب تصدّعا وقلبٌ لترحال الطبيب توجّعا
فيا من حفظتُ العهد فيهِ وضيّعا متى نلتقي حتى اقول وتسمعا
لقد كاد حبل الودّ ان يتقطّعا

جعلتُ هوى الاحباب دأبي وديدني وقلبيَ من فرط المحبة قد فني
ذهبتُ غرامًا من هواهم وليتني فـاذكر ايّام الحمى ثمّ انثني
على كبدي من خشيةٍ يتصدّعا

لي الله مـن حبٍّ محبٍّ ووالعٍ صبورٍ على الاحباب ليس بطامعِ
فيا قلبيَ المحزون مُت موت طائعٍ فليست عشيّاتُ الحمى برواجعٍ
اليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

ومن قولهِ في الصبر على صروف الدهر:

ان ارخصتني الحادثات فانّ لي فضلًا على رغم الاعادي غالي
او تعتورني النائبات فان لي قلبًا صبورًا في لقـا الاهوالِ
لا يفـرح الحسّاد ان مطالبي رجعت اليّ بخيبة الآمالِ
او انني اصبحتُ حقًّا فاقد الا م خوان والاوطان والاموالِ

قصائد لم نقف عليها . وممّا قالهُ في ذلك الزمان وصفهُ لخزانة مجموعات السكك القديمة في القاهرة:

افيقوا بني الدنيا فقد وعظ الدهرُ فليس لكم من بعد انذارهِ عذرُ
أَلم تسمعوا مَن حاز شرقاً ومغربًا وضاقت بهِ الآفاق قد ضمَّهُ القبرُ
فاين الملوك الصِّيد من خضعت لهم رقاب الورى ثمَّ اطاعهمُ القصرُ
واين الأُولى سادوا وبالعلم قد غدوا فلاسفةً من لفظهم خجل الدرُّ
فماتوا وما اضحى لنا من تراثهم سوى سكَّة يبقى لهم ضمنَها ذكرُ
فوا حيرتي كيف المعادن لم تزل ونفنى فذا امرٌ يضيق بهِ الصدرُ
ولكن مراد الله جلّت صفاتهُ فليس لنا الَّا الرضى ولهُ الامرُ
أَلا رَحِم الله امرءًا سار صالحًا وقدَّم خيرًا قبل ان ينقضي العمرُ

وعاش الطرابلسي في مصر الى اواسط القرن الحالي لكنّنا لم نقف على تاريخ وفاتهِ . ولهُ قصائد كثيرة اغتالت اغلبها ايدي الضياع . واكثر ما اوردناهُ من شعرهِ قد جمع شتاتهُ بعض ادباء حلب وقد حصلنا عليهِ بهمّة حضرة الاب الفاضل الاديب الخوري توما ايوب السرياني . فنقدم لكليهما الشكر عن هذه الخدمة التي خدما بها تاريخ الاداب العربيَّة في بلادنا ونتمنى ان يحصلا على بقية ديوان الفقيد . وقد امكن القراء ان يعرفوا ممّا سبق شأن صاحبهِ وفضلهُ السامي . وهذه قصيدة أُخرى لهُ ضمّنها المعاني الزهديَّة وشعائر التوبة فقال رحمهُ الله :

مَن عذيري على اتّباع الغواني فهواهنَّ عن رشادي غواني
كلما رمتُ من غرامي خلاصاً يُجذَب القلب للخطا بعنانِ
يا فؤادي والله لستَ فؤادي إن بدت منك رغبةٌ في الحسانِ
يا مريدًا مع الذنوب سماءً عمرك الله كيف يلتقيانِ
خلّ عنك الجنون واندب زمانًا رحت فيهِ كالهائم الولهانِ
نفدَ العمر منك الَّا قليلًا فالى ما تميس كالسكرانِ
انّما الموتُ حيث كنتَ قريبٌ فاترك اللهوَ فالحِمامُ مُداني
يا خليليَّ انني لمسيءٌ فاسعداني بالنوح او ساعداني
انّما ادمعي من الخوف خمرٌ فاغبقاني من شربها واصبحاني

كشف الشبهات عن بعض المعتقدات

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

ورد في بعض المجلات والجرائد الوطنيَّة أقوال تمسّ شرف ديننا الكاثوليكي او تنفي شيئًا من التعاليم الشائعة بين ائمّة علمائنا. ولان صفحات المشرق تضيق مع رحبها عن تفنيد هذه الآراء الواهنة بمقالات مسهبة رأينا ان ندحض اهمَّها في جملة عموميَّة افردناها لهذا الشأن

١ اعمار الاباء الاولين

سُئلت مجلة الهلال (ع١٣ ص ٤٠٤) عن اعمار الآباء الاولين هل كانت سنو حياتهم قمريَّة ام شمسيَّة. فكان جوابها ان هذه السنين كانت قمريَّة ثمَّ زادت ما لم تُسأل عنهُ فقالت: « امَّا اعمار اولئك الآباء فيغلب على الظنّ انَّ المراد بها ليس اعمارهم الشخصيَّة بل اعمار قبائلهم او شعوبهم. ومثل هذا التعبير اعتيادي عند العرب فانهم اذا ارادوا القبيلة ذكروا جدّها وتحدَّثوا عنهُ (كذا) كأنَّهُ رجل. فيقولون جاء عدنان وغلب يعرب ونحو ذلك »

(قلنا) انَّ الهلال بقولهِ ان السنة كانت في عهد الآباء قمريَّة قد جزم بامرٍ التبس على كثيرٍ من العلماء (راجع ما كتبناهُ في هذا الشان في المشرق ٢: ١٩٠). امَّا قولهُ عن اعمار الآباء الاولين فهو غريبٌ في بابهِ وكان الاولى بصاحب الهلال ان يتحاشى هذا المشكل لاسيما ان السائل لم يكلّفهُ الجواب عنهُ. فما لهُ اصلحهُ الله يدخل في ابحاث اعتاصت على جهابذة العلماء فيفتي بصدقها او كذبها دون تروٍ

والصحيح عندنا انَّ طول اعمار الآباء الاولين امرٌ ثابت يتفق على صحَّتهِ ليس فقط الكتاب الكريم بل تقاليد كل الشعوب القديمة نخصّ منهم بالذكر الكلدان والصينيين والمصريين والهنود. وليس هذا الامر بعيدًا عن العقل السليم اذا اعتبرنا: (اولًا) ان أحوال الهواء كانت قبل الطوفان مختلفة عن احوالهِ بعدهُ. (ثانيًا) انَّ بنية الجسم البشريّ كانت اقوى منها بعد هذا العهد. (ثالثًا) ان عيشة البشر الاولين كانت ساذجةً بسيطة ليس فيها شيء من التأثيرات والتقلّبات التي تطرأ على

فالدهر ذو غِيَرٍ وليس بثابت ودوام حالٍ من محالِ محالِ
فاصبر على مضض الخطوب شهامةً فالطَّودُ يحقر نطحة الاوعالِ
فلعلَّ مَن عقد الامور يحلُّها ببلوغ اوطارٍ وحسن مآلِ

ولهُ ايضاً يلوم الدنيا ويحرّض على عمل الصالحات :

دع الدنيا تروق لمشتهيها وذا الرايات يخفق بالبنودِ
فهبْك ملكتَهـا شرقاً وغرباً وسدَّيتَ القفار من الجنودِ
وقد قدتَّ الاشاوسَ فوق جردٍ وتمشي حولهـا مشيَ الوسيدِ
اليس مَصـير ذاك الى مماتٍ وتودَع تحت اطباق اللحودِ
فلا تغترّ بالدنيا وحاذر خيانتها وعشْ عيش الفريدِ
ولا تندم على ما فات واحرص على الآتي فلستَ بذي خلودِ
وكن للبائس الملهوف عوناً وللمظلوم كالبرج المشيدِ
ولا تطلب على المعروف عرفاً فيذهب بالطريفِ وبالتليدِ
ولا تضجر لضيق الحال واقنع ونـكِّب عن طلابك بالمزيدِ
ولا تجزع اذا فاجاك خطبٌ فليس الله ظلَّام العبيدِ
ولا تقنط تَنَـلْ فرَجاً قريباً ولو اصبحتَ ترسف بالقيودِ
ولِن للناس واحذرهم فاني رأيتُ المرء يشرف بالـبرودِ
وخذ عني مـدار العيش واغنم لاني قدوةٌ للمستفيدِ

ولا يزال في حلب من بيت الطرابلسي ناس افاضل يذكرون بالخير صاحب الترجمة ويتناقلون اخبار فضلهِ وسعة علمهِ. هذا ولا نعلم أَيَتُّ شاعرنا المذكور بقرابة الى رجل من اصحاب الخير اشتهر باسمهِ في اوائل هذا العصر وهو ابرهيم الطرابلسي وقد أرَّخ وفاتهُ سنة ١٨٢٠ نيقولا الترك بهذه الابيات :

سقت سُحْبُ طامي رحمةِ الله تربةً توارى بها الندبُ السليمُ الطويَّةِ
همامٌ بتقواهُ التقي جنَّة البقا ونال مجازاة الفعال الحميدةِ
بنوهُ اليتامى كم تراهم لفقدهِ ينوحون ما طال الزمان بحرقةِ
ولما اصطفاهُ الله ارّخت بالبكا على الخلّ ابراهيم يا طول حسرتي ١٨٢٠

فيستفاد من هذه الاسطر: (اولًا) ان الاعتراف بالخطايا للكهنة من الامور غير المعقولة . (ثانيًا) انّ التوراة تعلّم النصارى ان مدّة الدنيا نيّف وستّة آلاف سنة فنبذ النصارى قول التوراة واعتقدوا انّهُ مرّ على الدنيا قرون كثيرة . (ثالثًا) انّ التوراة والانجيل محرّفان يعبث بهما الاحبار كلّ آن ولذلك يمرق اكثر القوم من النصرانيّة

جوابنا على (الاول) انّ تقريف النصارى باعترافهم بخطاياهم الى الكهنة باطل وذلك لاسباب عديدة نكتفي بذكر اخصّها وهو ان الاقرار بالخطايا ممّا اشترعهُ السيد المسيح في انجيلهِ حيث قال لرسلهِ الحواريين (يوحنَّا ٢٠ : ٢٢) : « خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تمسك لهم » . وقال لهُ المجد (متى ١٨ : ١٨) : « ان كل ما ربطتموهُ على الارض يكون مربوطًا في السماء وكلّ ما حللتموهُ على الارض يكون محلولًا في السماء » . والحال انّ غفران الخطايا وامساكها حلّها وربطها لا يتّمان الّا بان يُكشف عنها بالاعتراف والاقرار . وليس في هذا الامر شيء يخالف العقل . لان الكاهن لا يغفر الخطايا باسمهِ الخاص بل بقوّتهِ تعالى الذي فوّض اليهِ هذا السلطان العظيم . فالغافر هو الله والكاهن نائبهُ عزّ وجلّ كالقاضي الذي حكّمهُ الملك على رعيّتهِ وجعل لهُ العقد والحلّ في جناياتهم فانهُ بعد الفحص عن الذنب يبرّئ او يعاقب المذنب على مقتضى شريعة المشترع الذي هو الله سبحانهُ وتعالى

جوابنا على (الثاني) انّ النصارى لم ينبذوا قول التوراة مطلقًا في عمر الدنيا كما في غير ذلك واذا فعلوا فهم مارقون من النصرانية لم يُعدُّوا منها . ولكن قد وهم المعترض في قولهِ انّ التوراة تعلّم كون مدّة الدنيا نيّف وستة آلاف سنة . فان هذا العدد قد استخلصهُ البعض من التوراة بحساب خصوصي لم يوافقهم عليهِ كثيرون من النصارى . ولعلماء الكنيسة الكاثوليكيّة حسابات عديدة في تاريخ الخليقة تختلف بينها اختلافًا عظيمًا ويبلغ الفرق فيها الوفٌ من السنين . والكنيسة حتى الان لم تبتّ في ذلك حكمها فيجوز اذن للنصارى ان يرتأوا في عمر الدنيا رأيَ فئةٍ من ائمّتهم الأثبات دون الاخرى كما يشاؤون . واذا سألنا احدٌ مزيد ايضاح في هذه المسئلة زدناهُ . ونقتصر اليوم على ما سبق

امَّا الجواب على (الثالث) وهو تحريف الاحبار للتوراة والانجيل في كلّ آن والعبث بالكتب المنزلة فاننا ننكر الامر كلّ الانكار ومعاذ الله ان نبدل حرفًا من

حياة الناس عادةً . (رابعاً) انَّ العناية الالهيَّة لاسباب معلومـة كحفظ الجنس ونموّهِ وصيانة الوحي والتقاليد الاوليَّة اقتضت طول حياة الانسان . (خامساً) ولنا في ذلك مثال في الحيوانات القديمة التي فُقد اليوم اكثرها ووجدت هياكلها وكانت في ذلك الوقت اكبر جسماً واطول عمراً لوجودها في احوالٍ جوّيّة مناسبة لها . فلِمَ يكون الانسان خرج عن هذا الحكم العمومي وهو من حيث الجسد شبيه بالنبات والحيوان . (سادساً) وزد على ذلك انَّهُ وُجد حتى بعد الطوفان بل قريباً من عهدنا بعض الاشخاص الذين تجاوزوا المئة السنة من عمرهم بكثير بل ناهزوا المئتين . والشواهد التاريخيَّة على ذلك عديدة

امَّا قول الهلال انهُ أُريد بهذه السنين اعمار القبائل فلا سند لهُ الَّا قول بعض الكتبة الملحدين . ولا ينفعهُ تعبير العرب عن القبيلة باسم جدّها كقولهم : « جاء عدنان » فانَّ بين هذا التعبير وقول الكتاب الكريم فرقاً عظيماً . نعم انَّهُ يجوز ان تُعزى بعض الافعال « العموميَّة » لجدّ القبيلة وهو امرٌ شائع ليس فقط عند العرب لكن عند كلّ الشعوب . امَّا الافعال « الشخصيَّة » كالولادة والموت والعمر والتوليد فلا يجوز . فمن منَّا وجد في كتاب عربي « ان زيداً وُلد او مات في سنة كذا » والمراد بهذا التعبير لا زيد بل قومهُ . وهو امرٌ مخالف لما هو معهود في اصطلاح الشعوب كلها فضلًا عن العرب

٣ اعتراضات على النصرانية

قرأنا في العدد ١٨٤ من مجلة المعلومات عدَّة اعتراضات انتقدت فيها على النصرانية الكاتبة الاديبة فاطمة عليَّه خانم . فرأينا من واجباتنا ان نحلّها وفقاً لوصيَّة الرسول بطرس (رسالتهُ الاولى ٣ : ١٥) الذي يفرض على المسيحيين ان يكونوا مستعدين للاحتجاج عن صحَّة دينهم

ورد في المعلومات ما حرفهُ : « على انَّ هؤلاء القوم (اعني النصارى) قد انتقدوا بانفسهم على انفسهم مسئلة « القونفسيون » (اعني الاقرار بالخطايا للكهنة) . . . حتَّى انَّهم يعترضون على كثير من احكام دينهم بانها غير معقولة ولا موافقة للحكمة ولذلك لم يمنعهم ما ورد في التوراة من انَّ مدَّة الدنيا نيف وستَّة آلاف سنة من اعتقاد انها قديمة مررت (كذا) عليها قرون كثيرة وادوار عديدة . . . اما ترى اكثر القوم حين وقفوا على تحريف التوراة والانجيل ورأوا عبث الاحبار كلَّ آن باحكام النصرانية مرقوا منها واصبحوا حيارى يلتمسون ديناً لا يتوقَّف العقل في قبول احكامهِ »

(متى ٧ : ٢٢) الذين باسمهِ تنبَّأُوا وصنعوا القوَّات واخرجوا الشياطين لأنَّهم لم يثمروا ثمرًا جيدًا ولم يعملوا ارادة الاب الذي في السماوات. وانَّ العظيم في ملكوت الله هو الذي يعمل وصايا الله و يعلِم الناس هكذا (متى ٥ : ١٩). وانَّ الله يزجُّ في النيران الابدية (متى ٢٦) الذين لم يطعموا الجياع باسمهِ ولم يرووا العطاش ولم يأووا الغرباء و يكسوا العُراة و يزوروا المحبوسين. وكلُّ هذه اعمال صالحة يقتضيها الديَّان من المؤمنين . ولا نراه يسأل حينئذٍ عن الايمان

فما للبروتستان يتشدَّقون دائمًا صارخين « الايمان الايمان » في حين كون الاسفار الالهية تكرر في كل صفحة من صفحاتها (متى ٥ : ١٦) « ليضئ نوركم قدَّام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات ». فمن نصدّق البروتستان الذين يقولون انَّ الايمان وحدهُ كافٍ للخلاص او المسيح الذي يقول انَّ الايمان ما هو الَّا مدخل الخلاص واساسهُ وهو لا ينفع شيئًا ما لم تُحيِهِ الاعمال الصالحة. فلينظر البروتستان في امرهم فانَّا نحنُ نفضِّل اوامرهُ تعالى على تعاليمهم الباطلة التي تنقض كلام الله وتؤدي الى الكفر كما هو شأن الشعوب البروتستانية في زماننا

٤ بتولية القديس يوسف

كنَّا ناقضنا في شذرة سابقة (المشرق ٣ : ٣٨٠) رأي المنار في نفيهِ بتوليَّة القديس يوسف. فأجابنا صاحبهُ اناره الله في عددهِ الاخير (ص ٤٥٥) « انَّ قولنا من الغرابة بمكان لان القول بانهُ غير بتول قول راجح من قديم الزمان ». ثم اورد لنا بعض الشهادات اخصُّها للقديس يوحنا فم الذهب قال فيها بانَّ يوسف كان متزوجًا واولد بنين ثمَّ لمَّا ماتت امرأته الاولى اقترن بالعذراء البتول دون ان يعرفها

نجيب (اوَّلاً) انَّنا نشكر المنار على تلطيفهِ لزعمهِ الاوَّل فكتب هذه المرَّة انَّ القول بان القديس يوسف غير بتول « قول راجح » فأقرَّ بذلك على الاقلّ ان رأي الكاثوليك راجحٌ ايضًا. وبين قولهِ الحاضر وقولهِ الاوَّل بونٌ بعيد حيث جزم سابقًا (ص ٤٢٢) : « انَّ يوسف كان اوَّلًا مشتركًا بزيجة نقيَّة واولد بنين ». (ثانيًا) قد نسب الينا المعترض ما لم نَقلهُ و بنى على ذلك كل تفنيدهِ وهذا لعمري من طرائق الجدال العجيبة التي لم يعرفها الفلاسفة حتى الآن

كلامهِ تعالى اذ نعلم ما تهدَّد بهِ سبحانهُ المحرّفين (رؤيا ٢٢: ١٨) حيث قال: انهُ يُسقط نصيبهم من سفر الحياة ومن المدينة المقدَّسة اذا زادوا او اسقطوا شيئًا من كلامهِ عزَّ وجلَّ. فان صدق اذن المعترض فعليهِ ان يأتينا بآية واحدة حرَّفناها والّا سقطت حجَّتهُ وبطل زعمهُ. وما نعلمهُ نحن ان علماءنا جمعوا مئات من نسخ التوراة والانجيل في لغات شتى كُتبت منذ قرون عديدة وقابلوا بينها فلم يجدوا فيها الّا اختلافات عرضيَّة لا تمسّ بالمعنى اصلًا. وفي خزانة كتبنا الشرقيَّة عدّة نسخ قديمة في اليونانية (منها صورة النسخة الواتيكانية التي يرتقي عهدها الى ١٤٥٠ سنة) والسريانية والعبرانية والعربية فمن اراد ان يطَّلع عليها للمقابلة فليشرّف مدرستنا ليرى هل دخل فيها شيء من التحريف

وعليهِ فليس ما كتبهُ المعترض صحيحًا اذ قال: «ان اكثر القوم... مرقوا منها (النصرانيَّة) واصبحوا حيارى يلتمسون دينًا لا يتوقف العقل في قبول احكامهِ»

٣ هل يكون الخلاص بالايمان وحدهُ

أُرسلت الينا نسخةٌ من ورقة ذات اربع صفحات مترجمة من الانكليزيَّة بقلم اسعد داغر يوزعها البروتستان في انحاء لبنان ليخدعوا بها السُّذَّج. ومضمون هذه الورقة بعض اخبار يحاول البروتستان ان يبرهنوا فيها انَّ الايمان وحدهُ دون الاعمال الصالحة كافٍ للخلاص وان المسيح بموتهِ اكمل عمل نجاتنا فلا نحتاج نحن الى شيء سوى الايمان بهِ

(قلنا) انّنا نتعجَّب من البروتستان كيف لا يستحيون فينشرون على رأس الملا مثل هذه التعاليم التي تؤدي الى فساد الاخلاق وترخي العنان لكل المآثم. أفيرون الشرقيين بُهمًا لا يفهمون او يُدالسونهم فيقنعونهم بمبدإ زعيمهم لوتاروس القائل وبئس القول قولهُ: «اخطئ كثيرًا وآمن اكثر». نعم اننا لا نجهل فضل الايمان ونفقه قول الرسول انّهُ بلا ايمان لا يمكن ان نرضي الله. ولكن ماذا ينفع الايمان ان لم تصحبهُ المحبة والاعمال الصالحة ؟ ألم يقل رسول الامم (١ كو ١٣: ٢): «ولو كان لي الايمان كلُّهُ حتى انقل الجبال ولم تكن فيَّ المحبة فلستُ بشيءٍ». وانَّ «المحبَّة اعظم من الايمان». أَينسى البروتستان انّهُ «ليس السامعون للناموس هم ابرار عند الله بل العاملون بالناموس هم يُبرّرون» (رومية ٢: ١٣). وانَّ الربّ لا يعرف يوم الدين

اليوناني الكبير في يوم الاحد المعروف بأحد يوسف الواقع بعد عيد الميلاد حيث ورد عنهُ ما لفظهُ (١ :

τῆς παρθενίας ἐχρημάτησας καὶ πατὴρ τοῦ τικτομένου παιδὸς κέκλησαι.

اعني « انك (يا يوسف) قد حصلت على البتوليّة ودُعيت أبًا للطفل المولود » . فنسأل المنار (ان كان ممن لم يكابروا الحقّ) أيوجد شهادة اقوى من هذه ؟ فانّ كنيستهُ نفسها تُبطل قولهُ الحاضر كما أبطلت قولهُ السابق في ان البابا ليباريوس القديس كان اراتيكيًا (راجع المشرق ٢ : ٤٤٩) . وبعد هذه البراهين نأمل من صاحب المنار ان يقرّ بغلطهِ في حقّ اعظم اولياء الله بعد البتول الطاهرة وان يكذّب ما نسبهُ الينا من عدم اكرام معلمي الكنيسة الشرقيّة الذين نجلّهم ايّ اجلال ونفتخر بهم ونستضيء بنورهم حيثما لا نجد في اقوالهم شيئًا يناقض تعاليم الكنيسة الجامعة . لانّ علماء اللاهوت يثبتون انّ الآباء ليسوا بمعصومين من الغلط الّا اذا نطقوا باسم الكنيسة جمعاء كشهود للتقليد الرسولي لا كمعلّمين خصوصيين . وهذا بحث سنعود اليهِ ان شاء الله اذا ما سنحت الفرصة

الباء العامّيّة في المضارع

جواب اول لحضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي

طلب المشرق (٣ : ٢٨٧) « من الادباء ان يبدوا رأيهم في اصل الباء التي تُدخلها العامّة على المضارع نحو بيكتب بيأكل » اه . — (قلتُ) قد قرأت سابقًا آراء مختلفة في مواطن شتى ولا اعود اتذكر في اي جريدة او مجلةٍ او كتابٍ طالعت تلك الآراء وجلّ ما اتذكّر من كل ما قرأتهُ خلاصات تلك الآراء وهي هذه الآتية :

(الرأي الاول) : ان اصل الباء هناء للقسم توكيدًا لعمل الشيء فاستغنوا بالحرف الواحد الدالّ عن ذكر اسم الجلالة فمعنى قولهم : بيكتب : بالله انّهُ يكتب . وهذا نظنّهُ بعيدٌ لما فيهِ من التكلّف الظاهر

(الرأي الثاني) : الاصل مقطوع منبوذ وهو كلمة مجرورة بالباء تدل على العزم او

١) راجع اعمال القديسين للبولنديين المجلّد الثالث من آذار (ص ٦)

قال سامحهُ الله: « انَّ المشرق... يذهب الى انَّ علماء الكنيسة شرقًا وغربًا مجمعون على بتولية القديس يوسف » فاستفظع مقالنا وكبَّر وصاح بالويلات وتنمَّر. ويا ليت المنار كان نقل كلامنا بحرفهِ لكانت سقطت حجتهُ من اصلها. وهذا ما قلناهُ بالحرف: « ولنا لردّ زعم المنار عدَّة حجج: اوَّلاً اجماع الكنيسة الكاثوليكية في عهدنا في كل المعمور على ما يخالف رأساً قول المنار ....». والفرق واضح بين قولنا هذا وما نسبهُ الينا. لانَّ كلامنا عن الكنيسة الكاثوليكية « في عهدنا » لا عن تعاليم بعض العلماء في احد القرون الماضية. وعليهِ فانَّ استشهادهُ بقول احد الآباء الاقدمين لا يجديهِ نفعًا وليس بمناقض لقولنا عن تعليم الكنيسة « في عهدنا ». (ثالثًا) انَّ الشواهد التي اوردها المنار عن القديس يوحنا فم الذهب وبعض معلمي الكنيسة اللاتينيَّة وان صحَّت لا يُستفاد منها سوى امر واحد وهو انَّ بتوليَّة القديس يوسف قبل اقترانهِ بالعذراء الطاهرة من المعتقدات الثانويَّة التي ارتاب فيها قسم من الآباء الاقدمين. وقد بيَّنا (في المشرق) (٢ : ٤٣١) سبب ارتيابهم اعني شرح آية مرقس (٦ : ٣) في اخوة الربّ. لكنَّ غيرهم من الآباء كالقديس ايرونيموس والقديس اوغسطينوس والقديس انسلموس والقديس توما اللاهوتي. ومن اليونان تاوفيلاكتوس ويوسف صاحب الاناشيد البيعيَّة رأوا خلاف هذا الراي. فكنيسة الله المرشدة من الروح القدس قد فضَّلت رأي الآخرين على الاوَّلين منذ زمن مديد حتى ان القديس بطرس داميان (١٠٧٣†) نظم بتوليَّة القديس يوسف في سلك عقائد الايمان (١. (رابعًا) هذا اذا سلمنا بانَّ ما رواهُ المنار للقديس يوحنَّا فم الذهب هو حقيقةٌ لهُ. ولكن ليس الامر كذلك فانَّ الشاهد الذي استند اليهِ المنار قد ورد في خطبةٍ أبى جمهورُ المنتقدين نسبتها الى القديس يوحنَّا فم الذهب ولذلك تراها في مجموع اعمالهِ مطبوعة على حدةٍ في جملة الاعمال التي نُسبت اليهِ غلطاً (Spuria) (٢. (خامسًا) وكفانا فوق كل هذه البراهين ما ورد في الكتب الطقسيَّة اليونانيَّة في مديح القديس يوسف وطهارتهِ فان الكنيسة اليونانيَّة تطرئهُ بثناء عاطر لم تخصّ بهِ اعظم القديسين. بل هي تذكر صريحًا بتوليَّتهُ في الميناون

(١) راجع كتابهُ في بتوليَّة الكهنة الفصل الثالث

(٢) راجع اعمال الآباء اليونان لمين المجلَّد ٥٠ ص ٧٩٢

الطرف فمثالهُ: كثأ اللبن وكثع. والكثأة والكثعة الخ. وعليهِ فيكون معنى: «بيكتُب» يبغي ان يكتب بمعنى يريد او يطلب ان يكتب. والحاصل ان مرجع هذا الرأي هو مرجع الرأي الثاني. وفيهِ نفس ذلك التكلُّف المذكور

(الرأي الرابع) ان الباء كانت متَّصلة بكلمة بمعنى «وَقت او اَّبان» او نحو ذلك. وعليهِ فمعنى «بيكتب»: «بهذا الوقت يكتب». ويدعم هذا الراي كلام اهل بغداد من العامَّة فانَّهم يقولون بهذا المعنى «قَيَكْتُب» والبعض الآخر وهم قليلون يقولون قَتْيَكْتُب. واظنّ ان كثيرين من اهل الموصل او تلك النواحي يقولون مثل هذا القول. والقاف هنا لا شك مقطوعة من «الوقت. او بهذا الوقت» وعليهِ فمعنى «قَيَكتُب»: الوقت. او بهذا الوقت يكتب. وهو رأيي لا غير ذكرتهُ لبعض الاصحاب قبل اربع سنين. امَّا حلقات سلسلة هذا التغيُّر فلم نقع عليها بعد

امَّا (الرأي الخامس) فهو رأي خطر ببالي هذه الأيام واظنُّهُ صحيحًا وهو انَّ الذين يقولون: بيكتب مثلًا هم الذين يقولون في بلادهم ايضًا: «بدّي» المقطوعة من «بودّي» بمعنى أوَدُّ. ثم نقلها العامَّة الى معنى أريد. فقولهم مثلًا: «بدّي افعل كذا» معناهُ: أريد ان افعلهُ. امَّا الحلقة الاخيرة من هذا التصرُّف باللغة فهو «بدْ» لاني سمعت البعض يقولون: «بَدْ أَروح» الى المكان الفلاني بمعنى أُريد ان اروح. ويريدون بذلك انا رائح. ثم ابقوا من كلّ ذلك البـاء فقط فقالوا: «بَروح». وامَّا استعمال اريد بمعنى الحال فاهل بغداد يستعملونهُ وقتًا لا يستعملون القاف. فيقولون: «اريد اروح» بمعنى: «بَروح» عند السوريين. فتدبَّر

جوابٌ ثانٍ للمعلم الفاضل نعيم افندي صوايا احد اساتذة المدرسة الوطنيَّة في بعبدات

جاء في المجلد العشرين من مجلة المقتطف صفحة ٣٢٤ ما ملخَّصهُ: «انَّ الكونت دي لندبرج بعد التحقّي والاستقصاء وجد ان الباء التي يُلحقها العامَّة باول صيغة المضارع من ابى يبي (كذا) بمعنى اراد يريد (١». (قلت» ولا اظنُّهُ مصيبًا لاسيما وقد سُمعت

(١) وضرب على ذلك امثالاً منها قول عرب عنزة «انا ابي اروح معك» اي اريد «وخُذ الّي تبيهِ» اي الذي تريدهُ ثمَّ قال: «ويختزل اهالي حضرموت هـذا الفعل فيصير باء فقط

الارادة او ما هو بمعناها. ومن ثمَّ فيكون معنى بيكتب »: « بعزمهِ او بارادتهِ ان يكتب ». لكن نردُّ على اصحاب هذا الرأي ان العزم يدل على الاستقبال. والباء هنا في قول العامَّة تجرّد معنى المضارع للحال وتنفي عنهُ معنى كل استقبالٍ. وان قالوا: انهم توسّعوا بالمعنى ثم خصصوهُ. قلنا: وما الادلَّة على انتقال لفظة « بعزم » او « بارادة » الى الباء وحدها. واين الآثار او البقايا الدالَّة على هذا الانقراض بتدرُّج ? ولا شكَّ انهم يُلغمون الحجر

(الرأي الثالث) ان احد المستشرقين من الافرنج قال: ان الباء مقطوعة من فعل بأَى يَبئي بمعنى أَراد يُريد او طلب يطلب. وهذا اللفظ قد أُميت اليوم. قلنا: اماَّ ان بأَى جاء بمعنى أَراد او طلب. فهذا ممَّا لا ننكرهُ عليهِ لان الالفاظ المماتة او الزائلة زوالًا كليًّا كثيرة لا ينكرها من اطَّلع على أَسرار هذه اللغة الشريفة. بل وأَزيد على ذلك ان بأَى بمعنى طلب ممكن وهي لا شك تصحيف « بَغى يبغي » لان من العرب من كان يُبقي الغين على اصلها مهملة كما يفعلهُ كثيرون من اصحاب اللغات الساميَّة لا بل ولنا شواهد كثيرة في اللغة العربية نفسها مثال ذلك: عنجهُ وغنجهُ علث طعامهُ وغلثهُ ووَعل ووَغل وسمعتُ وَعاهم ووَغاهم والوباعة والوباغة والنشوع والنشوغ. وقد ذكرنا وقوع العين غينًا في الصدر والوسط والطرف (راجع المزهر ١: ٢٦٣). كما انهُ ايضًا كان يوجد قبائل أُخرى من العرب تُرقق حرف العين فتجعلهُ همزةً. ومنهم من كان يعكس ذلك اي يفخّم لفظ الهمزة فيقلبها عينًا كما هو مشهور فحصل من « بَغى » بَعى ثم بأَى. وفي هذا الصدد اقول ان الاب لامنس اللغوي كان قد ذكر في المشرق (١: ٨٣٥) ما لفظهُ: « وكان قدماء اللغويين من العرب اشاروا الى هذا التغيير بين الهمزة والعين وكانت بعض القبائل كقيس وتميم واسد يُفرطون في هذا الابدال... الَّا انَّهم يزعمون ان هذا الابدال لم يقع عند القبائل المذكورة الّا في اوَّل الكلمات وكذا ورد ايضًا في الامثال التي استشهدنا بها آنفًا. لكنَّنا نظنّ انهُ يوجد امثال قليلة تبيّن إبدال الهمزة عينًا حتى في وسط الكلمة ولو كانت هذه الأَلفاظ مستحدثة كالماعون... والمعكروني... » قُلنا ويوجد مثل هذا القلب في الحشو والطرف ايضًا في العربي الفصيح. مثال ذلك: استأْديتُ عليهِ واستعديت (المزهر ١: ٢٢٢) وذؤاف وذُعاف والسأْف والسعف (فيهِ: ٢٢٧) والمأْص والمعص (اللغويُّون) وغير ذلك. واماَّ قلبها في

الكتاب » اي هذا الكتاب وصار التركيب « نْقُول وِبزْعَم الخ ». والإسقاط لبعض الالفاظ يكاد يكون عاماً في كلامهم مثالهُ « شو » فان اصلها « ايّ شيءٍ هو » لم يبقَ من مادتها الاصليَّة الّا الشين والواو. هذا ما رأيت اثباتهُ في هذا الموضوع

(المشرق) انَّ تعدُّد الآراء السابقة في شرح الباء شاهدٌ ناطق على ما في الامر من الابهام. ونحن نؤجل ابداء رأينا الى عدد قادم ولعلَّهُ تأتينا حلول اخرى لهذا المشكل تزيدنا ايضاحاً

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزفال اليسوعي (تابع لما في العدد السادس)

الكتابة التدمريَّة العاشرة

عن تمثال رجل في بيت جناب الاديب شكري افندي ايلا

لهذه الكتابة قسمان رُسما بجانبي رجل مستوٍ على قدميهِ ووراءهُ بساط مفروش تُزيّن طرفيهِ خُوصتان. والتمثال مربّع الشكل يبلغ علوهُ نحو ٤٠ سنتيمترًا في عرض ٤٥ س. ومن حسن نقش هذا العمل يُستنتج ان الشخص المرسوم كان من ذوي المناصب. غير انَّك لسوء الحظ ترى الصورة مشوَّهةً كُسر منها جانبٌ فلم يبق سبيل الى تحقيق صفات الرجل

القسم الاوَّل

חבל שעדאל	خبل. شَعْدأل
בר זבדבול	بن زَبْدِبول
בר מקימו	بن مُقيمو
אמנא	امنا

الاسم الاول مركَّب من اصل شعد (= سعد) الوارد في عدَّة كتابات تدمريَّة (١ ومن اسم الإله. غير اننا لا نعلم وجود هذا التركيب في غير كتابتنا هذه. وعلى كل حال فمعناهُ ظاهر وهو نفس معنى اسم سعد الله المشهور في هذه البلاد. وكلٌّ من « زَبْدِبول ومُقيمو » كثير الورود في عاديات تدمر ومعنى الاول هِبة الإله بَعل (طالع شرح الكتابة الثالثة). ولا حاجة الى تفسير الثاني لمطابقتهِ للعلَم العربي المعهود امَّا الكلمة الاخيرة فلسنا نعيّن لها لفظاً اكيدًا ولا معنى يقينيًّا لعدم عثورنا عليها

١) قابل مثلًا שעדו = Σόαδος (V. n° 24) و שעדו (JA. 1898², p. 102))

هذه الباء مع مضارع أَبي واراد ممَّا يُستشفّ منهُ افتراقها عنهما في الاصل والمعنى فضلاً عن ان مضارع أبى لا يأتي على يَبي وِزان يَعِدُ وهو لم يرد قطُّ بالمعنى الذي ذكرهُ المقتطف الّا اذا كان ذلك ممَّا لم اقف عليهِ ولعلّ الاظهر في هذه البـاء انها منحوتة عن بدّي او بودّي بدليل عدم اجتماعهما مع الاولى منهما في كلام العـامَّة فيقولون مثلاً: « بدي روح الى المدينة » باختزال اول الفعل اي بودّي ان اروح الى المدينـة او « بروح الى المدينة » بالمعنى الذي تقدَّم ولا يجمعون بينهما اي لا يقولون « بدّي بروح الى المدينة ممَّا يشعر بترادف معنى الكلمتين ووحدة اصلهما

وامَّا انتشار هذه الباء فاكثر ما يكون في الشام وجهات حلب غير ان الحلبيين يفتحونها ولم تُسمع في كلام المصريّين الّا قليلاً على ما اعلم

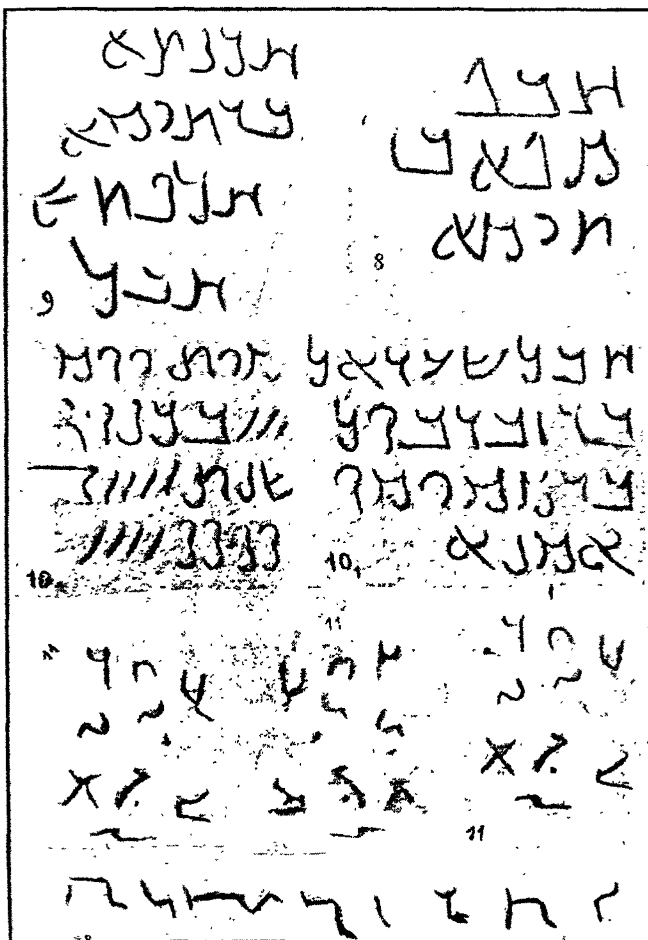
جواب ثالث للاديب جرجي عطية احد تلامذة كليتنا

لاح لي ان هذه الباء يمكن ان نعتبرها على وجهين: اولها انها الباء الزائدة للتوكيد واذا كانت كذلك فلنا في سبب دخولها تعليلان: ١ً انَهُ ليس من البعيد ان يكون العامَّة قد اجازوا دخول باء التوكيد على الفعل بعد ان ورد دخولها على « حسبُ » وهي اسم فعل على الارجح نحو بحسبك درهمٌ اي يكفيك درهمٌ ومثل هـذه الاجازة من أيسر واكثر ما يقع في اللغة العامّيَّة التي قد بلغت في طُرق تراكيبهـا من البعد عن قواعد اللغة الفصحى مبلغاً لا تكاد تُعرف معهُ انها من العربيَّة. ٢ً يُمكن في كثير من المواضع ان نعتبر هذه الباء مزيدةً على أَن المصدريَّة مقدَّرةً وزيادة البـاء على أَن لا اكثر منها وقد وردت حتى في ما اصلهُ المبتـدأ كما لا يخفى على البصير. فيكون اصل « بيقول » على ذلك « بان يقول » ثم حُذفت أَن حُبًّا بالاختصار فضـلًا عن ان حذفها حيث هي لازمة كثير فبقيت الباء مزيدة على المضارع. على ان هـذا لا يصحّ الّا في بعض المواضع التي تُزاد فيها الباء كما اشرنا

الوجه الثاني: ان هذه الباء مُقتطعَة من « بذا » حرف جرّ واسم اشارة وعلى هـذا يكون اصل التركيب « بذا أَقول . . . وبذا أَزعم . . الخ » اي بهذا الامر الذي تكلَّمنا عنهُ او سيأتي الكلام عنـهُ فحُذف اسم الاشارة للاختصار كما حُذف في قولهم « ها

مثال ذلك قولهم: امس كنَّا با نبيت المكلأ . . وبا نسافر غدوة » اي كنَّا نبيت في المكلأ . . وسنسافر غدوةً

الضريحية يتبعها علمّ او علمان. وانما قلنا بترجيح لفظة « خبل » لان خطّ هـذا الاثر ينتمي الى الجنس الثانوي القريب من هيئة القلم السطرنجيلي



الكتابة الثانية عشرة

(في البيت نفسهِ)

قد تحفّينا في استخراج فحوى هذه الكتابة فلم تأتِ مساعينا بالمرام. والسبب في ذلك سوء صورة الاحرف وحفرها فضلًا عن قصورنا. لكنّا ادرجناها في سلك البواقي

في كتب مكتبتنا. والراجح عندنا انها ليست اسماً بل لقباً او بالحري صفةً تدلّ على رتبة الرجل كما مرّ. وان سُلِّم بذلك فالمظنون ان اللفظة تناسب كلمة ܡܗܝܡܢܐ السريانيّة التي لها معانٍ منها « الوكيل او الامين ». ويُحتمل ردّها الى لفظة سريانيّة اخرى تكون صورتها اقرب الى هيئة الاسم التدمري وهي ܐܘܡܢܐ التي مفهومها « الصانع او ذو الحرفة » والله اعلم

القسم الثاني

	מית יום	ܡܝܬ ܝܘܡ	(مات يَوم)
١)	٢ בכנון	٢ ܒܟܢܘܢ	(في شهر كانون)
	שנת ٤٠٠	ܫܢܬ ٤٨٤	(سنة)
	٨٤		

ترى في هذا القسم كلمات آرامية محضة رسمنا بازائها الالفاظ السريانيّة الموافقة لها. ومنهُ ايضاً تظهر لك طريقة التدمريين في رسم الارقام. فان الخط عندهم يساوي اصلاً العدد ١. وان أُضيف اليهِ العلامة التي تتبع الخطوط في السطر الثالث (راجع الصورة ص ٤٢١) رُفع قدر الخطّ الى المئة. واماَّ العلامة التي في السطر الرابع فقدرها ٢٠ كما رأيتَ. وليس عندهم رقم آخر سوى علامة تشبه حرف Y الفرنجي وهي تنوب مناب عدد ٥

ولا يخفى ان تاريخ التدمريين هو تاريخ اليونان على عادة معظم الشعوب الاسيويّة الغربية. وبدء السنة عندهم في شهر تشرين الاول يسمُّونهُ تشري دون زيادة. ثمَّ يأتي شهر كانون الذي يقابل تشرين الثاني عندنا. وان ثبت ذلك فالتاريخ الوارد في كتابتنا يوافق: ٢ تشرين الثاني سنة ١٧٢ للمسيح

الكتابة الحادية عشرة

عن تمثال امرأةٍ متبرجة على كتفها ولدٌ عارٍ من اللباس. (في البيت نفسهِ)

لم نقدر على قراءة هذه الكتابة لسوء حالها فاكتفينا برسمها مرَّتين مع اقحام صورة ظهرها ولعلَّ احد المستشرقين الاوربيين يتوصَّل الى استخراج معناها. غير اننا لا نرى لها فائدة عظيمة والظاهر ان الكلمة الاولى هي « خبل » كما في معظم الكتابات

١) او ٣. غير ان العدد الاول ايقن على ما حقّقناهُ عياناً

تفسيرها في الاعداد السابقة. فامتثلنا دعاءه بطيب الخاطر ودقّقنا في المقابلة تدقيقاً شافياً. غير اننا لم نرَ حاجة الى تغيير قراءاتنا الّا في الكتابة السابعة حيث رسمنا العلَم الثالث على هذه الصورة: כנדדד وقد استصعبنا شرحهُ. فمن المحتمل ان تكون القراءة الصحيحة בנדדד وهو علَم منحوت معروف مركّب من כנ و נדדד على ما ارتأت العلماء. ولجنابهِ في رسائلهِ المذكورة ملاحظات أُخَر مفيدة تُظهر جليّاً سديد انتقادهِ وشديد تضلّعهُ من علم العاديات الشرقية قاطبةً

والظاهر ممّا تقدَّم ان اشهار كتاباتنا التدمريّة وقع كاشهار الكتابات العربيّة موقع القبول والرضى عند ذوي الخبرة بالآثار القديمة. وهذا كما لا يخفى من اقوى اسباب تنشيط غيرتنا واحثّ الدواعي لمشتركينا الكرام على اعتبار عاديات بلادنا العزيزة واذاعتها في صحف هذه المجلة (١ (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الحادي عشر — في النجاة

وكان الصفير يزيد ويشتدّ فاقبل اندرسون على ملاحظة الكرونومتر والتحديق في

العمومية الواسعة اللازمة لكل كاتب لحل المشاكل التي تعترض عادةً في اثناء الابحاث العلمية. وان اردتَ برهاناً على كلامنا هذا راجع ما كتبهُ حضرة الاب Germer-Durand في المجلة الكتابيّة *Revue biblique : 1900, p. 91-5* وتأمل

١) ولا مندوحة لنا في هذا المقام من الاعراب عن اسفنا على تصرُّف بعض الشرقيين الذين لا يحسبون في العاديّات الّا قيمتها النقدية ولا يرون في امر اشهارها سوى فرصة لكسب الارباح الطائلة. وقد اخذ منا الضحك مأخذهُ في هذه الايام الاخيرة لمّا اتانا بعض اعيان صيداء يحملون الينا سطرًا او سطرين من كتابات فينيقية اكتشفها رجل من سكان تلك المدينة او جوارها وهم يلتمسون منّا تكلُّف قراءتها والجواب عن صحتها واهمّيتها وكان الرجل قد منعهم من اخذ رسمها الطبعي الكامل خوفاً من ان تنقص قيمتها. فاي جواب يُرجى منّا او من غيرنا ما دام معظم مضمون الكتابات مكموناً في بعض زوايا مسكن الرجل. واي فائدة للعلم من مثل هذا الاخفاء الجدير باستقباح كلّ وطني. فان كانت كتابتك صحيحة او كانت الآثار التي بين يديك من غير الآثار المصنوعة في معامل الزور وهي كثيرة في هذه البلاد فاي خوف عليك من تسليمك اياها الى من يقدّرونها حقّها ويجلبون لك صيت الكرم فضلًا عن شكران الجميع. فالمأمول اذًا من قرائنا الافاضل الّا يحذوا هذا المثال المعيب ولا يضنُّوا علينا بما عندهم من آثار السلف

تلبيةً لدعاء صاحبها الفاضل واملًا منا بان احد علماء العاديات سيأتي على حلّ رموزها. وهذا يكون دأبنا فيما بعد كلما عثرنا على كتابةٍ لم يسعدنا الحظّ على قراءتها وتفسيرها

وما لا مرية فيهِ ان كتابتنا هذه ليست ضريحيَّة بل شرفيَّة والبرهان على ذلك: ١ً انها لا تتضمَّن الكلمة المعهودة اي « خبل ». ٢ً لانها تنتهي (على رأينا الضعيف) بلفظة שלם اي سلام (١. ٣ً لانّ الاثر النفيس الذي رُسمت هذه الكتابة في اسفلهِ هو تمثال رجل منتصب متردٍ بالحلة الرومانية. ولمَّا كان التمثال المذكور يصوّر الشخص بكاملهِ ويبلغ علوهُ مترًا وبضع سنتيمترات يُظنّ انهُ قد نُقش ليوضع على عمودٍ من عواميد الرواق الكبير الذي قد وصفناهُ في مقالتنا على الزَّبَّاء موردين بعض صورها البهيَّة

وان سُلِّم بكل ذلك ولسنا نعرضهُ الَّا على وجه التخمين فالرأي انَّ الاحرف التي قبل الكلمة الاخيرة اي « سلام » وهو اسم الرجل يتقدَّمهُ حرف جرّ على هذا المثال: « لفلان. . . سلام » (اي نُصب هذا التمثال تشريفًا لفلان). غير اننا لا نرى أثرًا لحرف جرّ في افتتاح الكتابة بل نحسبها تبتدئ بذكر العلَم ومع ذلك لا ندري أكان العلَم مركَّبًا من كلمتين ام لا. وعلى كل حال فلسنا نجزم بصحة القراءة التالية ولا نتجاسر على تفسيرها

אתריעד שלם

او נתרזד «

او אתרגר « الخ

وقبل الرجوع الى الكتابات العربية التي وعدنا قراءنا باشهارها يسرّنا ايَّ سرور ذكر الرسائل التي وردتنا من قبل العلامة كارمون غنُّو الشهير يهنّئنا فيها على حسن مسعانا (٢ ويطلب منَّا مراجعة أوراق الطبع لتحقيق قراءة الكتابات التدمريّة التي مرَّ

١) وقائلٍ يقول ان معنى السلام هنا عين معنى لفظة paix الفرنجيَّة فيكون اذًا الرجل المرسوم من اليهود لعادة العبرانيين برسم تلك اللفظة على مقابرهم وحجارتهم الضريحية. بيد ان ذلك صعب التسليم بهِ لما هو معروف من تحريم شريعة اليهود لنصب التماثيل

٢) والحق يقال ان بين هذه التهانئ والانتقادات التي ترد احيانًا في بعض المجلّات الاوربّية بونًا شاسعًا ليس فقط من حيث اسلوب الخطاب بل ايضًا من حيث صوابية التنقيب. فكأنَّ هؤلاء المنتقدين نسوا او جهلوا ان بلادنا خالية من محلات عظيمة لبيع الكتب وعارية من الكتبخانات

« واماَّ بقية امري فمماَّ يسهل عليك معرفتهُ فقد ركبت هذه الباخرة لأَعود عليها الى اميركة فهبَّت علينا في اثناء الطريق عاصفة شديدة ازاغتنا عن طريقنا واوصلتنا تجاه هذه الجزيرة وحينئذٍ شاهدتُ علَماً ابيض يخفق في رأسها فأَسرعت الى الرّبان وسأَلتهُ بإلحاح ان يغوث من قادهم سوء البخت الى هذا الشاطئ المقفر فتردَّد في اول الامر خوفاً من شرّ يحلّ بسفينتهِ غير انهُ اجاب اخيراً شدَّة إلحاحي وما لبثنا ان سمعنا صوتكم فسرنا نحو المضيق وشاهدناكم انتم الثلاثة تركضون على الرمل وواحداً منكم يكثر من الاشارات بيدهِ الى مياه البحر محذّراً ايانا من الدنوّ ففهمنا اشارتهُ ووقفنا ونزلت انا في هذا القارب وجئت بهِ اليك لكي انقذكَ مع رفيقيك انت الذي ادعوك فاضلاً باسمك الحقيقيّ

اماَّ فاضل فاطرق برأسهِ الى الارض خجلاً

فقال پروسپر اولري: « انني قد نسيتُ الماضي كلَّهُ وطويتُ دونهُ كشحاً ولا أُريد الّا ان اهتمّ بنجاتك وخلاصك مع رفيقيك »

ثم إنَّ پروسپر اولري ذهب مع الثلاثة المذكورين الى الكوخ الذي كانوا قد اتخذوهُ مسكناً لهم فلماَّ وصلوا اليهِ قالوا لهُ: « ههنا كنا نعيش وههنا كنَّا نبكي ونندب سوء حظنا. وهذه هي اسرَّتنا وهذه هي مدختنا وهذه هي الحطام الباقية من سفينتنا كلقلَنْد. اماَّ الصورة التي تراها في الجدار بين اكاليل من الخضرة فهي التركة التي خلَّفها لنا فتًى اسمهُ اولريك كان خير صاحب لنا. وهي صورة البتول القديسة التي كنَّا نبتهل اليها في الليلة الماضية طالبين منها النجاة »

قال اولري: « هي البتول التي من مراحمها نلت سوابغ النعم. حقّاً اننا جميعاً مدينون بنجاتنا لرأفتها وحنوّها »

وبعد ان جلس الكلّ في الكوخ هنيهة يتحدَّثون عن محامد اولريك واوصافهِ الحسنة قاموا فزاروا الحفرة التي دُفن فيها فروَّوها بدموعهم السخينة ثم حملوا الصورة التي خلَّفها لهم وسائر الحطام والادوات التي خلَّصوها من سفينتهم كلقلند وركبوا مع پروسپر اولري في القارب ذاهبين بهِ الى السفينة حيث قابلهم كلُّ من فيها بما لا مزيد عليهِ من الفرح والمسرة. ولم تلبث السفينة ان واصلت سيرها الى اميركة

وكان فاضل في مدة السفر ملازماً لپروسپر اولري فاحبّ ان يحدّثهُ مرَّةً عن امر نسيب فصدَّهُ عن ذلك قائلاً:

ابرتهِ ثم خطر لهُ ان ذاك الصوت هو صوت باخرة متضايقة ضلَّت طريقها كما جرى للسفينة كالقلند قبلها ففتح باب الكوخ واسرع راكضاً الى الشاطئ يتبعهُ كلٌّ من هاريس وفاضل فابصروا سفينةً صغيرة تتلاعب بها الامواج فخفقت قلوبهم فرحاً واستبشروا بالنجاة ثم وقفوا على أعلى صخر هناك رافعين ايديهم وصرخوا كلهم بصوت واحد صرخة عظيمة على امل ان يسمعهم من في السفينة ويهتدوا الى مكانهم فيسعوا في خلاصهم. ولكنَّ صوتهم مع شدَّتهِ لم يبلغ السفينة ولذلك جدَّدوا الصراخ مرَّةً ثانيةً باشدَّ من قبل فما كادوا يفرغون منهُ حتى سُمع من السفينة صوت صفير شديد ثم انها دارت على نفسها وسارت في العباب فظنَّ الثلاثة انها لم تسمع صراخهم فقنطوا ويئسوا ولكنهم ما لبثوا ان انتعشوا لمَّا رأوها قد رجعت مقبلةً نحو الخليج

غير انهم خافوا عليها اذا دخلت الخليج ان تلتطم بما هناك من الصخور المائية التي اغرقت سفينتهم كالقلند فاسرعوا الى رأس الخليج واخذوا يشيرون لها بانواع مختلفة الى الخطر الذي ينتظرها فيما لو دخلت ففهم ربَّانها الاشارة ووقف بها بعيداً وانزل في الحال قارباً مع اثنين من النوتية اللذين سارا بهِ الى الشاطئ

فتقدم اليهِ فاضل اول الجميع وحالما وقع نظرهُ على النوتي صرخ قائلًا: « پروسبر اولري » فقال النوتي: « پيترس لاضف ». فقال فاضل: ادعُني مذ الآن باسمي الحقيقيّ فاضل. ثمَّ قصَّ عليهِ بالاختصار ما جرى لهُ من الحوادث من يوم خروجهِ من قرية الوادي في لبنان حتى غرق السفينة كالقلند وندمهُ على افعالهِ الماضية وتوبتهُ واخيراً قال لهُ: « اننا تركناك في مضايق شيلوكوت ميتاً فكيف عدت الى الحياة حتى تتسبَّب الآن بنجاتنا »

قال پروسبر اولري: « انَّ للعناية الالهية اسراراً فوق ادراك البشر فانها سخَّرت لي مرسلًا كان قد ضلَّ الطريق فلمَّا شاهد جسمي بين الثلج ورأى انَّ فيهِ بقيَّة حياةٍ بذل كلَّ ما في امكانهِ من الوسائل حتى عاد اليَّ رشدي ثمَّ حملني على مزلقتهِ واخذني معهُ الى مستشفى مدينة جونو حيث تعلَّمتُ ان اكرِم وأُجِل وأُحبَّ تلك الراهبات اللواتي اعتنين بمداواتي فان الفاظهنَّ الحلوة قد اثرت في فؤادي تأثيراً نافعاً خيريًّا حتى انَّهُ لمَّا شفي جسمي شفيت ايضاً في الوقت عينهِ نفسي. وما عشت لا انسى اصلًا ما اختبرتهُ من حنوّهنَّ ورأفتهنَّ فبارشادهنَّ صرتُ كاثوليكيًّا وصار الايمان في قلبي حيًّا غير مائت

الذهب في المناجم ولو نطقتَ بشيء لمّا عدتُ الى ألاسكا ولمّا ضربني نسيب ولمّا زرت مستشفي مدينة جونو حيث كانت تنتظرني عناية المولى لتنتشلني من وهدة ذنوبي. وبناءً عليهِ ارجوك من الآن فصاعدًا ان ننسى الماضي نسيانًا مطلقًا ونتعاهد على ان لا نأتي بذكر مناجم كاليفورنة ولا بشيء من امر تلك الرسالة المختومة بالدم »

الفصل الثاني عشر

سان فرنسيسكو وقرية الوادي

وبعد مسيرة عشرة ايام انتهت السفينة الى سان فرنسيسكو فشكر اندرسون وهاريس وفاضل للربّان شكرًا جزيلًا على ما اولاهم من المنّة والمعروف ثم نزلوا الى المدينة فأقاموا فيها واقبل كل من اندرسون وهاريس يتعلّمان حقائق الديانة الكاثوليكيّة على يد رفيقيهما حتى اذا تمكّنا فيها جحدا ذات يوم مذهبهما البروتستاني وكلّ اضاليلهِ ففرح فاضل وپروسپر اولري فرحًا عظيمًا بتمام هدايتهما

واقام پروسپر اولري في ذاك اليوم وليمة لرفقائهِ المذكورين اكثروا فيها من تذكُّر اولريك وحسن سيرتهِ ناسبين كل ما جرى الى صلواتهِ وغيرتهِ وقائلين انّهُ بتقديم حياتهِ ضحيّةً ربح ثلاثة أنفس. فقال اولري مبتسمًا: « بل انهُ ربح اربعة اذ لا بُدَّ من ان تحصوني في جملتكم »

وفي ختام الوليمة نهض اولري المذكور فقال: « ارى من اللازم ان أُطلعكم على مقصدي فانّهُ ربّما كان هذا الاجتماع آخر اجتماعاتنا »

فبهت الكلّ من كلامهِ ونظروا اليهِ متعجّبين فقال: « لا تتعجّبوا فان اندرسون لا بد لهُ ان يعود الى مهنتهِ في البحر وسيلحق بهِ هاريس وحان لفاضل ان يرجع الى وطنهِ في لبنان

« امّا انا فاني مسافر الى ارض بعيدة لان الله لمّا كان قد احسن اليَّ بنعمة الهداية في ألاسكا وجب ان اقابل المحبة بالمحبة واقوم بشيء يفيد نفوس المعدنين الكثيرين الذين يذهبون الى تلك الاراضي الجليدية. وعليهِ عزمت ان اذهب الى هناك واكون كمرسلٍ لتلك النفوس ولهذا اودعكم واستودعكم الله. وفي الوقت نفسهِ اسألكم ان تحفظوا تذكار النعمة التي منَّ بها الباري وتقيموا على الاتحاد في الحياة والمات مهما كانت الابعاد الفاصلة بيننا فلنصلِ اذًا من اجل بعضنا واذا لم يتيسّر لنا الالتقاء في

« دَعْ هذا الشقيَّ وشأنهُ . فانَّ عدل الله قد نفذ فيهِ ويا ليتهُ ندم قبل وفاتهِ على ما فعل»

قال فاضل : حقًّا انَّهُ هو الذي كان اصل آثامي . ولكني قد اسأتُ اذ حاولت قتلهُ . كما اني اسأتُ اليك حين عرَّضت بك الى خطر الموت في مضيق شيلوكوت

حينئذٍ التفت پروسپر اولري الى فاضل الذي كان ناكس الرأس وامسكهُ بيدهِ قائلًا : « انَّ الله يغفر لك كما اني انا غفرت لمن اختاس اموالي . واعلم اني كنت قبلًا ابغض كل البغض ذاك الذي استبدَّ بالثروة التي كان مرجعها اليَّ ولو اني عرفتهُ انهُ هو هو ذاك المسافر ذو البرنيطة الطويلة لكنت طعنتهُ بخنجري واذقتهُ الموت عمدًا . ولكن العناية الالهية حفظتني من ارتكاب هذه الجريمة فلتكن مباركةً . واليوم بحمد الله اصبحت عواطفي الحاضرة مناقضةً على خطّ الاستقامة لعواطفي الماضية بعد ان هداني الله الى سبيل الحقّ في مستشفى مدينة جونو حيث كان الموت يساورني فاتعظت واعتبرتُ وظهرتْ لي جميع خيور الدنيا دنيةً وحقيرة

« فياليت الانسان يحسن الافتكار بعواقبهِ الاخيرة بدلًا من الاهتمام بالربح وملء جيوبهِ من الذهب الذي لا يفيدهُ لمعادهِ شيئًا

« نعم انهُ قد يتصل الى تحصيل الثروة والصيت والشرف ولكن ماذا ينفعهُ الغنى والعظمة اذا كان قد قصَّر عن نيل الغاية الوحيدة الضروريَّة التي هي خلاص النفس وهي وحدها تحيا الحياة الابدية »

« هذه هي الافكار التي كانت تجول في خاطري عند ما تجلَّى لي نور الهداية . ولما دخلتُ في طور النقه اخذت الراهبة التي كانت تُعنى بمداواتي تحدّثني عن عظمة محبة الله للبشر حتى انهُ تنازل فاتخذ جسمًا مثلنا ولقد تأمَّلتُ في صليبهِ وتلك الصلاة التي رفعها لابيهِ السماوي من اجل معذّبيهِ سائلًا اياهُ ان يغفر لهم لانهم لا يدرون ماذا يعملون فحينئذٍ قلتُ في نفسي اللهمَّ برحمتك اغفر لنسيب

« والآن انا اسأَلهُ ايضًا ان يغفر لك فقط اطلب منك ان تأسف على جريمتك نادمًا وتسلك سبيل النشاط في الخطَّة الجديدة التي انتهجتها

« واعلم اني انا الواقف امامك قد اجترمتُ كثيرًا من الذنوب ولكن الله رحمني وعاملني بفضل منهُ جزيل فانا اشكرهُ الان شكرًا جزيلًا لانهُ لم يسمح لك بتأدية شهادتك على مسمع من القضاة خوفًا من ان تُعاقب عقابًا شديدًا لسرقة شذرات

امكن من الوسائل حتى عادت الى نفسها الّا انَّ الحزن كان قد أَصمى فؤادها وظهر على وجهها انها ستموت قريباً. وكانت تردّد هذه الكلمات: « ولدي فاضــل. ولدي فاضل. كيف تموت موت الاشقياء »

— نعم اني شقيت يا اختي وسأَقصّ عليكِ ما يحملكِ على الاستحياء باخيكِ هذا الذي ترينهُ امّا الان فتتمي كلامكِ

— وبعد خمسة عشر يوماً قضتها في الآلام والاوجاع لفظت روحها ودُفنت بالقرب من الكنيسة. فاذا شئت ان تشاهد قبرها فما لك الّا ان تذهب الى الوادي وهناك تذرف الدموع فوق رفاتها

وكانت العربة قد وصلت وقتئذٍ الى ساحة البرج فنزلت روزا وتبعها فاضل وجعلت تذهب بهِ من زقاقٍ الى آخر حتى وصلت الى غرفـة حقيرة كانت تسكنها. فلمّا خلا الاخوان بكيا بكاءً مرّاً

الختام

وبعد بضعة ايّام ذهب الاثنان الى الوادي ونزلا في بيتهما وكان فاضل يتردَّد كلَّ يوم الى قبر والدتهِ يبكيها ويندبها

ولمّا جاء فصل الشتاء اخذ فاضل يقصّ مدَّة السهرات الطويلة كلَّ ما جرى لهُ من مبتداهُ الى منتهاهُ ويحذر الحاضرين من ان يستفزّهم الطيش فيتركوا بلادهم لاقلّ سبب. وكان يقول لهم انهُ من المحتمــل ان لا يصيبكم ما اصابني ولكني اؤكد لكم انكم لا ترجعون الى قريتكم مثلما خرجتم منها. فانتم هنا اتقياء وانقياء الضمير فاذا ما غرّكم الغنى واطمعكم حبّ المال خسرتم كلَّ ما خصكم بهِ الله تعالى من هذه المنح. نعم انكم لن تلاقوا هنــاك رجلًا كنسيب ولكنكم بلا ريب ستلاقون الكتب الرديئة والجرائد السيئة والعشراء الاشرار فتسري العدوى الى اخلاقكم مهما كانت جيــدة وحسنة وتلتزمون بتمادي الزمان ان تخسروا ايمانكم وعقيدتكم

أَليس خلاص النفس افضل من اكتساب كل ما في الارض من خير وغنًى. اه لو كنتم تعرفون كيف يتّصل الى الارباح اولئك الذين يذهبون الى اميركة وكيف يحصلون ما يحصلونهُ بالخداع والغش والتزوير. نعم ان البعض يرجعون نائلين قسماً مــن الثروة ولكنهم لو حاسبوا ضمائرهم لوجب عليهم ان يردُّوا كل ما عندهم من الدراهم لانهم ما ربحوها الّا بطرق الغشّ والاحتيال

وبما ان الله تعالى قد سمح بتوارد الحوادث الغريبة عليَّ ومنَّ عليَّ اخيراً بحفظ الحياة باعجوبة منهُ تحتم ان اصرف ما بقي لي من العمر في تحذير قومي من السفر الى اميركة والتكرير على مسامعهم انَّ محبة الدراهم هي فخ ينصبهُ الشيطان للبشر ليهلكهم نفساً وجسماً وقانا الله من نزعاتهِ وارشدنا الى البرّ والقناعة امين اللهمَّ آمين (تمَّت)

الحياة نأمل ان يجمعنا الله في السماء مع اولريك

« وانت يا فاضل تصبّر وتجلد على ما بقي معدًا لك من المحن للتكفير عن ذنوبك واني اعدك وعدًا صادقًا باني ساذكرك في ادعيتي وابتهالاتي »

وبعد هذه الكلمات انفصل الاربعة وبعد مضي مدة قليلة تقيد اندرسون وهاريس في خدمة احدى السفن وركب فاضل باخرة اوصلتهُ بعد شهر الى مرفإ بيروت فلمّا طلع على الرصيف شاهد فتـاةً لابسةً ثيابًا سوداء علامة على الحداد. ولمّا كان مشتاقًا للاستخبار عن والدتهِ خاطب تلك الفتاة قائلًا اتعرفين قرية الوادي. فاجابت وكيف لا اعرفها وانا منها وقد فقدت فيها والدتي

— وماذا كان اسم والدتك ؟

— اسمها مريم

فحينئذٍ صرخ فاضل متأوّهًا وقال انت روزا شقيقتي وانا فاضل اخوك

— فتباعدت عنهُ روزا قائلة: هل انت مجنون ؟

— كلاّ ما انا مجنون بل انا اخوك فاضل بعينـهِ. انا الذي سافرت من الوادي الى امركة . اتتذكرين السهرات التي كنّا نقضيهـا في بيتنا مع يوسف وجبرائيل وانطون ورزق الله فرمت حينئذٍ روزا بنفسها على عنق اخيها تقبّلهُ صارخةً :

« يا اخي فاضل. يا لفرحي بلقياك بعد ان كنت اظنّك ميتًا. هلمَّ الآن هلمَّ الى بيتي. فاني من بعد وفاة والدتي تركت الوادي واقمت في هذه المدينة

قال فاضل: اخبريني عن وفاة أُمي

— هلمّ الان نركب هذه العربة وحينئذٍ اخبرك بكلّ ما جرى

فبعد ان ركبا قالت روزا: ان والدتنا بعد سفرك من الوادي كانت افكارها دائمًا مشتغلةً بك ففي ذات مساء وكانت قد انقطعت اخبارك وردتها رسالة مختومة تتضمّن خبر وفاتك

— وفاتي ؟

نعم وقد جاء في الرسالة انك القيت بنفسك في ميناء نيويرك تخلّصًا من محن الحياة

— اكملي حديثكِ وساشرح لك كيف كان ذلك

— فعندما انتهى اليها خبر وفاتك وقعت والدتنا مغشيًا عليها. فاخذنا في معالجتها بما

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الدكتور سعيد حرفوش ائمّة الشرع وعلماء النظامات ما يلي:
« حرش مشاع لقومٍ. قام بعضهم وباع جزءًا من اشجارهِ (وباصطلاح العـامّة ضمنهُ) وبعضهم ضاد هذا المبيع وبعضهم متغيّبٌ في جهات مختلفـة فهل يحق للقسم الاول ان يتصرَّف باسهم شركائهِ دون رضاهم وبدون علم المتغيّبـين منهم ؟ تكرّموا بردّ الجواب ولكم الفضل والثواب »

ج لا يخفى ان مثل هـذا الحرش امّا ان يكون مملوكًا مشتركًا بين اشخاص معيَّنين فيكون مشتركًا بينهم شركة مُلكٍ او متروكًا لانتفـاع قومٍ غير محصور وهم من كان يتجـاوز عددهم المائة وفي الاول لا يجوز شرعًا لبعض الشركاء التصرُّف ببيع اشجار من هذا الحرش للقطع بدون اذن البقيَّة وفي الثـاني لا يجوز ايضًا لبعض القوم غير المحصور ان يبيع من غـيرهِ اشجارًا للقطع لأَنهُ لا يملكها بل هي متروكة مُنتفعًا لهـذا القوم غير المحصور. ووجه الاول انهُ في شركة الملك يكون كل واحد من الشركاء اجنبيًّا في حصة باقي الشركاء فليس لهُ ان يتصرَّف بالعـين المُشتركة تصرُّفًا مضرًا بلا اذنهم ويضمن لشركائهِ ما حصل من عملهِ هذا. ووجه الثاني هو ان ما يعود نفعهُ الى العموم ليس للبعض ان يتملَّك شيئًا منهُ لان الاختصاص ينافي العموم ولانهُ ليس بمالك بل العموم لا يملكون ذلك وانّما هو متروك لانتفاعهم المتعارف كالاحتطاب ورعاية مواشيهم حتى لا يجوز لهم بيعهُ ولا قسمتهُ ولو اتفقوا على ذلك كما لا يجوز لهم ذلك في النهر والعين والطريق وما اشبهها من الاشياء المتروكة لانتفـاع العموم كما هو صريح المجلة في ذلك كلهِ في المادة ١٠٧١ و ١٠٧٥ و ١٦٤٦ والفقرة الاخيرة للمادة ١٢٤٥ وكما هو صريح في الكتب الشرعيَّة المعتـبرة كالملتقى والتنوير وشروحهما. وعليهِ لا يجوز لبعض الاشخاص في هذا السؤال ان يبيع اشجـارًا للقطع من هذا الحرش سواء كان مشتركًا بين قوم معينين او متروكًا لانتفاع قوم غير محصور

للقانوني البارع اسكندر صفا

اصلاح اغلاط = ص ٢٩٧ س ٧ ورد ٨٠ سنتيمترًا (والصواب): ٣٠ = ص ٣٧١ س ٦ كثيرين (والصواب) كثيرون = ص ٣٨٢ س ٢١ لدينا (والصواب) لديك و س ٢٤ لا تدري (والصواب لم تدرِ و س٣٢ يملكهُ (والصواب) يلزمهُ

مطبوعات شرقية جديدة

ܦܘܫܩܐ ܕܠܫܢܐ ܐܪܡܝܐ ܚܠܝܐ

دليل الراغبين في لغة الآراميين

تأليف القس يعقوب اوجين منّا الكلداني

طبع في الموصل في دير الاباء الدومنيكيين سنة ١٩٠٠ بقطع ٨ صفحاته ٨٩٨

كان حضرة الاب العلامة جبرائيل قرداحي نشر في مطبعتنا منذ عشر سنين اول معجم سرياني عربيّ فخدم بذلك اللغة السريانية خدمةً مشكورةً. واليوم قد انجز حضرة القس يعقوب منّا الكلداني احد معلّمي مدرسة مار يوحنا الحبيب الاكليريكيَّة التي يدير شؤونها بهمّة ونشاط حضرات الآباء الدومنيكيين الفاضلين معجماً جديدًا بالكلدانية والعربية ضمّنهُ كلَّ مفردات لغة الآراميين وجعلهُ دستورًا مدرسيًّا يرجع اليهِ كلُّ الطلبة في درس هذا اللسان الشريف. وقد عانى صاحبهُ جازاهُ الله خيرًا عناءً طويلًا لجمعهِ وراجع كلَّ المعجمات ونيّفًا وستين تأليفًا من الكتب الخطيَّة والمطبوعة فانتقى منها ما رآه مناسبًا لغايتهِ فاتى كتابهُ مع صغر حجمهِ شاملًا لفوائد كثيرة ويقوم لاهل بلادنا مقام المعجم السرياني اللاتيني الذي الَّفهُ حضرة الاب يوسف برون اليسوعي لمدارس اوربَّة الكليَّة. فنحن نهنئ المؤلف على هذا العمل النفيس ونهنئ بلادنا بحصولها على وسائط جديدة لدرس لغة اجدادها. ثمَّ نشكر حضرات الآباء الدومنيكيين على هذا الاثر الجليل الذي خدمت بهِ مطبعتهم الاداب الشرقيَّة

شذرات

اصل الروم الارثوذكس في سوريَّة لنا ملاحظات على ما كتبهُ جناب الاديب امين ظاهر خير الله في هذا الصدد نؤجّلها الى عدد قادم

الصاق الجلد بالحديد ادهن بالاسبيذاج وسخام المدخنة الحديد المراد تلبيسهُ بالجلد وبعد ذلك خذ قطعًا من الغراء وانقعها في الماء حتى تلين ثم اذبها في الخلّ بطريقة حمام ماريًا ثم اضف الى الغراء المذاب بالخلّ كميَّة من التربنتين تعادل ثلث كميَّة الغراء المذكور وبعد ذلك ادهن الحديد بهذا المزيج والصق بهِ الجلد فيلتصق جيدًا بسهولةٍ

المشرق

أوجه الإعراب عند العرب والأعراب

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تتمة لما سبق)

هذا هو اصل وجوه الإعراب عند بني سام حينما كانوا يتكلّمون لغةً واحدة. ثم لمّا تفرَّقوا على وجه الارض بالطول والعرض وتباينت العوائد وتضاربت الاخلاق وتغايرت الآداب كل قوم بحسب العوامل التي فعلت عليهِ كان من الامر ما كان. ولمّا استبقى الناطقون بالضاد من الالفاظ الاصليَّة تلك الدوالّ الاثريَّة اصبح العرب والأعراب يتكلَّمون على سَنَن واحدٍ ويشهد على ذلك ما وصل الينا من نظم شعراء الأعراب في زمن الجاهليَّة وهو من الادلَّة ما لا ينالهُ أدنى وصمة. ثم لم يمضِ على ذلك السنن ردَحٌ من الدهر حتى ادخلوا في كلامهم سنَّة الوقف على اختلاف انواعهِ ومن هذه الانواع إسكان الآخر وهو اعمُّها وادورُها على الألسن. ومنذ ذاك الحين اخذ الإعراب بالترعزع. وفي تلك المطاوي استُنبطت الكتابة ثم ظهر الإسلام بعد بُرهةٍ ودُوِّنت العلوم العقليَّة والنقلية وشاعت القراءة وروعيت قواعدها فأصبح الوَقف من العوامل الفعَّالة في اهمال دلائل الإعراب لان الكلم الموقوف عليها هي ابقى في الآذان والحافظة من سواها اذ انها آخر علامة تصدر من الشفتين وآخر صوت يدوي في الآذان وآخر مدخول يلج أبواب الجنان فيُحتفَظ بهِ اتمَّ الاحتفاظ وتُرتَجُ دونهُ المصادر ويبقى هناك آمرًا ناهيًا. ثمَّ انهم بعد ذلك اهملوا تلك العلامات شيئًا فشيئًا ورأوا انهم في غنى عنها لان فَهم المراد بقي على حالهِ كما لو أُجريَت عليهِ تلك الدلائل. وعليهِ: « فاذا نظرنا الى (النحو والى) ضرورتهِ وأقسامهِ المدوَّنة وجدنا اكثرها غير محتاج اليهِ في إفهام المعاني. ألا ترى انك لو امرت رجلًا بالقيام فقلتَ لهُ: قُومْ. باثبات الواو ولم تجزم لما اختلَّ من فهم ذلك

قائمة للآثار الجوّية من ٩ الى ٢٢ نيسان ١٩٠٠

انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (••••••) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

ومن علماء اللغة من كان اذا تحيَّر في اعراب الكلمة يُسقط حركاتها. وان مثل هذا العمل يصدر من الائمة مما يسوق الغير الى اقتفاء آثارهم. ونستدلّ على ذلك من كلام المزهر قال (٢ : ١٩٩)«وقال ابو بكر لأن أقرأ فأُسقط احبُّ اليَّ من ان أقرأ فالحن» اه

ومما تقدَّم ترى ان الوقف هو الذي اوقف حركة مجرى الحركات على اواخر الكلم. وهو السبب الاعظم بين اسباب اخرى عديدة لكنها على رأينا كلها فرعيَّة. ومن اهمّ

ايضاً كلمة « كذا ») وتعذُّر اقامة الاعراب على ألسنة هؤلاء اذ هو عند العرب مأخوذ بالسليقة واماً الاعجمي فلا يتناولهُ الَّا من طريق التعلُّم والتحفُّظ وهو محالٌ في حقّ امَّةٍ بل أُمَمٍ بأسرها (كذا) ممَّن خفقت على رؤوسهم عُقاب العرب فكان ذلك ولا ريب قاضياً باهمال الحركات من اواخر الكلم ». . (اه بحرفهِ). ثم قال حفظهُ الله ورعاهُ بُعَيد ذلك ما نصّهُ : « فاذا تقرَّر هذا عُلِم منهُ انَّ اللغة العاميَّة قد بدأت بعد الاسلام بسنين قلائل اي منذ عهد الفتوح (كذا. وقد علمت فُوَيق هذا فساد هذا القول من شواهد ائمَّة العرب) الَّا انها كانت اولاً بين الاعاجم للسبب الذي قدَّمناهُ فهي اذن بدأت باول اعجميّ تكلّم بالعربية. (كذا. وكُنَّا نُحبّ ان يورد لنا اسم هـذا الاعجمي ومن ايّ ملَّة ونحلة وأُمة كان. نعم ان هذا هو ايضاً رأي بعض العرب لكنهُ مردود لان هؤلاء الكتبة تصوَّروا ان اختلاط الناطقين بالضاد هو من عهدٍ قريب. لكن التاريخ يثبت بان ذلك من عهدٍ عهيد. ولو راجع الشيخ كتاب اشور وبابل الذي وقف على طبعهِ قبل ان يكتب تلك المقالة لتحقَّق انَّ هـذا الاختلاط هو منذ قديم الزمن). ثم انتشرت بين العرب انفسهم ممَّن نشأ في ذلك العهـد بمخالطتهم للاعاجم وتكرّر اللحن على اسماعهم حتى فسدت فيهم ملكة الاعراب. ومن شواهد ذلك ما يروى من قصـة ابي الاسود الدوَلي في وضع مبادئ علم النحو » . . . (ثم حكاية ثانية فثالثة وكلها من بعـد الاسلام مع ان اللغويين قد ذكروا غيرها قبل الاسلام). ثم انتقل الى كلامهِ الى لغة اهل البادية فقال : « على ان ذلك كلَّهُ انما كان في الامصار ومواطن الحَضَر حيث وقع الاختلاط بالعجم. واماً في البـادية فبقيت اللغة على خلوصها دهرًا طويلًا (كذا. وهذا من اعظم الاوهام. فاننا سوف نثبت لحضرة الشيخ اللغوي خلاف ما يدَّعي) لم يكد يشوبهـا لحنٌ ولا تبديلٌ كما يشهد بذلك ما ذُكر من مسئلـة الكسائي وسيبويهِ وكما يُستفاد مماَّ ذكرهُ صاحب الصحاح من انهُ شافَهَ بها العرب العاربة في ديارها بالبادية وذلك في النصف الثاني من المئـة الرابعة للهجرة. الَّا انهُ مع كرور الزمن دبَّ هذا الفساد الى البادية ايضاً بمخالطتهم للحضر ولا سيما في الحجاز لكثرة اختلاف الحجَّاج اليهِ من جميع الآفاق وسرى من اولئك الى غيرهم من سائر سكان الاقطار العربيَّة الى ان زالت الفصاحة من ألسنتهم جملةً (كذا . ومن هذا يُستنتج ان زوال الفصاحة يكون بزوال الاعراب من اواخر الكلم. وهو لعمري من مكتشفات هذا الكاتب النحرير لكن يصعب ويشقّ عليَّ ان اقول لهُ اني قرأت في كتاب المثل السائر خلاف هـذا الرأي الجديد. قال ابن الاثير في الص ٨ ما حرفهُ : « ينبغي لك ان تعلم انَّ الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة

شيء. وكذلك الشرط لو قُلت: « إن تَقُومْ أَقُومْ » ولم تجزم لكان المعنى مفهوماً. والفضَلات كلها تجري هذا المجرى كالحال والتمييز والاستثناء. فاذا قلتَ: « جاءَ زَيدْ راكبْ. وما في السماء قدر راحة سحابْ. وقام القوم الّا زَيدْ ». فلزمتَ السكون في ذلك كلّهِ ولم تُبيّن إعرابًا لَما توقّف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زَيد. وهكذا يُقال في المجرورات وفي المفعول فيهِ والمفعول لهُ والمفعول معهُ وفي المبتدإ والخبر وغير ذلك من أقسام أُخر لا حاجة الى ذكرها. لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يُفهم الّا بقيود نقيّدهُ. وانّما يقع ذلك في الذي تدلّ صيغتـهُ الواحدة على معانٍ مختلفة » (هذا من كلام صاحب المثـل السائر ص ٥) وفي ذلك ايضاً قد غلط شعراء مُفلقون ولغويُّون مبرّزون وقد حذوا في ذلك حذوَ العامّـة اذ ان من هؤلاء من كان يُظهر التقعُّر في اظهـار علامات الإعراب فيجعلها في غير محلّها لكي لا يساوي الغير الذين يُسكنون اواخر الكلم. « ولا اعني بالشعراء من هو قريب عهـدٍ بزماننا بل اعني بالشعراء من تقدَّم زمانهُ كالمتنبيْ ومن كان قبلهُ كالبحتري ومن تقدَّمهُ كأبي تمام ومن سبقهُ كأبي نوَّاس » (المثل السائر ص ٧) وقد كان اللحن معروفًا في اوَل الاسلام قال السيوطي: « بل قد روينا من لفظ النبي صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال: « انا من قُرَيش ونشأْتُ في بني سعد فأنّى لي اللحن ». وكتب كاتب لابي موسى الاشعري الى عمر فلحن فكتب اليهِ عمر: أن اضربْ كاتبك سوطاً واحداً. وكان علي بن المديني لا يُغيّر الحديث وان كان لحنًا الّا ان يكون من لفظ النبي صلى الله عليهِ وسلم فكأنّهُ يجوّز اللحن على من سواه » (اه كلام المزهر ٢: ١٩٩ و ٢٠٠). والظاهر من ذلك ان اللحن كان قد انتشر قبل ظهور الاسلام بكثير. بخلاف ما قالهُ صاحب مجلّة البيان (١

(١) قال صاحب البيان في سنتهِ الاولى والاخيرة ص ٢٨٥ ما نصُّهُ بحرفـهِ: « ومعلومٌ ما كان للعرب من العناية بلغتهم والمغالاة بمحاسنها والتفنن في اوضاعها واساليبها الى ما لم تلحقهم فيـهِ امّة فلم يكن من المحتمل (كذا) انهم يعمدون الى اهمال شيء منها هو حِليتهـا وجمالها اعني بهِ الاعراب الذي هو الفارق الاعظم بين العامي والفصيح (كذا بحرفـهِ. على اننا نرى ابن الاثير والسيوطي وابن بطوطة وسائر ائمـّة العرب يخالفون رأي الشيخ) وانما كان ذلك ولا شك بعد الاسلام (كذا. والسيوطي يقول ٢: ١٩٩ ما حرفهُ: اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرّبين من عهد النبي صلى الله عليهِ وسلم. فقد روينا انَ رجلًا لحن بحضرتهِ فقال: ارشدوا اخاكم فقد ضلَّ. اه بحرفهِ) وسببهُ كثرة اختلاط العرب بالاعاجم من اهل البـلاد التي افتتحوها (ويسوؤنا ان نكرّر هنا

الإسكان والرَوم والإِشمام هي بمنزلة اهمال الحركة في الاخر. فالعامَّة ايضًا يهملونها على ذلك السَّنَن في أَغلب الفاظ كلامهم. وحينما لا يُسكنون الحرف الاخير فانهم يشدّدونهُ وينقلون حركتهُ الى ما قبلهُ. اي انهم يعمدون في ذلك الى النقل والتضعيف وهما النوعان الباقيان من أَنواع الوَقف الخمسة (راجع الاشموني على ابن مالك ٤: ١٤٨). واثبات رأْينا هذا يستلزم وضع كتاب برأْسهِ او على الاقل: وضع مقالةٍ موقوفةٍ على هـذا البحث. لكن ذلك لا يمنعنا من ان نذكر هنا بعض الشواهد على حدّ قول القائل: ما لا يُدرَك كلهُ لا يترك كلهُ

يقول البغاددة مثلًا: «جا بَكُرْ». «ومررتُ ببَكِرْ» وحركتا الكاف غير صريحتين (وهذا البحث قد اعددنا لهُ مقالة أُخرى). ويقول اهل البادية: «جَا كاتْلُهْ» والمسلمون من الحضر: «جَا كاتْلَهْ». والنصارى: «جا قَاتِلو» ولهذا النوع من الوقف اي نقـل الحركة من الاخير والقائها على ما قبلها كلام واضح في كتب النحويين. قال احدهم: نقلُ حركة الحرف الموقوف عليهِ الى ما قبلهُ بشرطين احدهما ان يكون ساكنًا والآخر ان يكون تحريكهُ لن يُحظَل اي لن يُمنع. فنقول في نحو بكر: هذا بَكُرْ ومررتُ ببَكِرْ. ومنهُ قولهُ:

عجبتُ والدهر كثيرٌ عجَبُهْ   من عنزيٍّ سبَّني لم أَضرُبُهْ

اراد لم أَضربْهُ فنقل ضمَّة الهاء الى الباء» (اه بحرفهِ عن الاشموني ٤: ١٤٩)

امَّا قول اهل البادية «جا كاتْلُهْ» في «جاء قاتلهْ». فهو مثل ما تقدَّم ذكرهُ من نقل حركة الآخر الى ما قبلهُ. وامَّا قلب القاف كافًا فمن لغات العرب القديمة كما صرَّح بهِ صاحب المزهر (١: ٢٦٨) وذكر امثلة كثيرة منها قسط وكسط وسكع وسقع والدك والدق. وامَّا إِسكان التاء فهو ليس سكونًا صريحًا بل حركةٌ مختلسة. والاختلاس كان معروفًا عند قدماء العرب

وامَّا قول المسلمين من الحضر «جا كاتْلَهْ» فانهم في ذلك لم ينقلوا حركة الاخير الى ما قبلهُ. بل اسكنوا الاخير وأبقوا اللام ساكنة كما كانت عندهم قبل اتصالهـا بالضمير فاجتمع عندهم ثلاثة سواكن فحركوا الثاني بالفتح طلبًا للخفَّة كما هو مثبت في علم الصرف. وأَبقوا البقيَّة على حالها. ومن ذلك ايضًا ترى ان هذا الكلام يرجع الى فصيح بعد التحقيق

هذه الاسباب الثانويّة اختلاط العرب والأعراب بالعجم والأغراب (١. غير اننا نجعل هذا السبب في أُخريات سائر الاسباب. وان قال بهِ جماعة من العلماء قال في المزهر نقلًا عن واحد من الائمّة: « واعلم ان اول ما اختلَّ من كلام العرب وأحوج الى التعلّم الإعرابُ. لانَّ اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرّبين من عهد النبي صلى الله عليهِ وسلم فقد رُوينا ان رجلًا لحن بحضرتهِ فقال: ارشدوا اخاكم فقد ضلَّ ». (المزهر ٢: ١٩٩). وهذا الرأي مردود لان الموالي والمتعرّبين وُجدوا بين العرب قبل الاسلام بكثير لا بل باحقاب عديدة كما يشهد بذلك التاريخ الذي نقلهُ الافرنج عن قدماء الكلدان والاشوريين والعرب انفسهم. لكنّنا لا ننكر ان دخول الأغراب بين الأعراب لم يؤثر شيئًا على الإعراب على مرّ الاحقاب بل انّنا نجعل ذلك من بعض الاسباب التي فعلت شيئًا من هذا الفعل مع الوَقف الذي كان اول من فتح هذا الباب

امّا قولنا انهُ حاصل من الوقف فلنا على ذلك ادلّة لا تُعدُّ ولا تُحصى ولا يُسبر غورها ولا يُستقصى. نأخذها من الذين يهملون تلك العلامات اي عن العامة ونقابلها باقوال النحويين. وكما انَّ هؤلاء يذكرون للوَقف خمسة أنواع. الثلاثة منها اي

ولكنهُ يقدح في الجاهل بهِ نفسهُ لانهُ رسوم قومٍ تواضعوا عليهِ وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم. والدليل على ذلك ان الشاعر لم ينظم شعرهُ وغرضهُ منهُ رفع الفاعل ونصب المفعول او ما جرى مجراهما. وانما غرضهُ إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتّصفَين بصفة الفصاحة والبلاغة. ولهذا لم يكن اللحن قادحًا في حسن الكلام لانهُ اذا قيل جاء زيد راكب ان لم يكن حسنًا الّا بان يقال جاء راكبًا بالنصب لكان النحو شرطًا في حسن الكلام « وليس كذلك » (اه). وصارت لغتهم اليوم دون لغة الحضر وابعد منها عن الفصيح (لا ندري ما يُريد بالفصيح. ولا شك انهُ يُعلّق بهذا اللفظ معنى غير المعنى المصطلح عند البيانيين) ودخلت في حدّ الرذل المبذوء » (الى هنا كلام البيان)

١) قال الذكيُّ اللوذعي واللغوي الالمعي الشيخ ابراهيم اليازجي في الضياء ١: ١٨٤ ما نصّهُ: « ويقولون (اي اصحاب الجرائد) هؤلاء قوم أغراب يريدون جمع غريب (كذا. بدون ان أُغيّر كلامهُ الصائب) وهذا الجمع غير مسموع في هذا الحرف والصواب غرباء لان جمع فعيل على افعال من الجموع السماعيّة فلا يتعدّى المنقول عنهم ». اه بحرفهِ. قلنا: ان الاغراب ليس جمع غريب كما توهّمهُ بل جمع غُرُب بضمّتين بمعنى غريب كما انَّ جُنُبًا تُجمع على أجناب. قال ابو دؤاد في صفة فرس:

وطِمرّة كهِراوة الـ أغراب ليس لها عدائدْ

فحاول الردّ عليهِ في المنار (ع ٢٩ ص ٤٥٧) واحتجَّ في تفنيدنا على حجج رأينــا ان نمعن فيها نظر الانتقاد لتتبيَّن صحّتها. هذا ونثني على كاتب المنار لتحاشيهِ خشنة التعبير في احتجاجهِ فردَّ علينا بكلام يُستشفُّ من ورائهِ في الغالب اللطف والادب كما هو شأن افاضل العلماء في ابحاثهم

١ اول حجّة استند اليها الخواجا امين خير الله ذكرُ الملك الحارث صاحب دمشق في عهد القديس بولس الرسول في رسالتهِ الثانية الى اهل كورنتوس (١١ : ٣١). قلنــا اننا لا ننكر تولّي الحارث على دمشق. ولكن اين الادلّة على كون هذا الملك غسّانيّ او من أجداد بني غسّان؟ بل اين الادلّة على كونهِ عربي ؟ فهيهات ان يقوى خصمنا الاديب على اثبات كل ذلك. والصواب انَّ الحارث الذي اراد القبض على القديس بولس كان ملك النبطيين. والنبطيون فرعٌ من الآراميــين دعاهم البعض عربًا على سبيل التوسُّع والمجاز ولوقوع عاصمتهم في تخوم جزيرة العرب. وكان انتهــاء دولة النبطيين في القرن الثــاني للمسيح. امَّا الغسَّانيون فانّ ذكرهم ورد لاول مرَّة في أواخر القرن الرابع اذ رحلوا بعد انفجار سدّ مأرب من بلاد اليمن وهاجروا الى تخوم الشام. فمن ثمَّ قد وهم جناب الكاتب الاديب في قولهِ وخلط بين امَّتين او قبيلتين تختلفان ايَّ اختلاف من حيث الاصل والجنس واللغة والهيئة المدنيَّة ويفصل بينهما ردَحٌ من الدهر لا يقلّ عن ثلاثة قرون. فكيف فات ذلك الخواجا خير الله؟ وان كان لديهِ براهين قاطعة في ذلك فما لهُ لم يعرضها ؟ ثمَّ اننا نسألهُ البرهان على قولهِ « انَّ لهؤلاء الغسَّانيّين البناء الذي تُشاهد آثارهُ عند نبع الفيجة » (١). فان امكنهُ ان يأتي بالشواهد الراهنة على ذلك كنَّا لهُ من الشاكرين

٢ والحجّتان الثانية والثالثة اللتان ناقض بهما الاديب ظاهر خير الله رأينــا في ولاية غسَّان على دمشق اخذهما جنابهُ من قصيدتين لحسَّان بن ثابت وللنابغة الذبيــاني مدحا بهما بني غسَّان وورد فيهما اسم « جلّق » فزعم خصمنا انَّ بني غسَّان تولَّوا على

١) قد اتى الخواجا خير الله في بسط براهينـهِ بامور كثيرة تقتضي بحثًا مطوَّلاً لا يسعنا الخوض فيهِ في نبذتنا هـذه الموجزة. وانما ننبّه خصمنا على انَّ تاريخ الجاهليَّة كثير الالتباس لا يجوز لهُ ان يدخل في مفازاتهِ دون تروٍّ وحذر ولولا ذلك لزلَّت قدمهُ وتاه في بيداء الضلال

واماً قول النصارى: « جا قاتِلو » فانهم لمَّا سكَّنوا الآخر باديً بدء وقالوا: « جا قَاتِلَهْ » ضَعُف صوت الهاء فأَسقطوها وعوَّضوا عنهـا باشباع اللام وقالوا: « قاتِلُو » (١

والخلاصة مما مرَّ بك ان اصل حركات الاعراب كلمات كان لها معانٍ قائمـة بذاتها ثمَّ نُقلت الى أحرُف طلبًا للخفَّة في الكلام ثم الى حركاتٍ اشارةً الى اصلهـا الذي يُقابلها. ثمَّ أُهملت استغناءً عنهـا بفهم المراد مع تركها. وقد تحقَّقتُ ايضًا امرًا ثانيًا لم نرصد هذه النبذة لهُ وهو ان اللغة العامّيَّة ترجع الى لغة فصيحة بعد مراجعة الامهات التي تولَّدت عنها. فسبحان من يغيّر كلَّ شيء ولا يتغـيّر دلالةً على انهُ هو وحدهُ الحيُّ الباقي:

تجيءُ وتمضي بابةً بعد بابةٍ وتفنى جميعًا والمُحرّكُ باقِ

هل ملك بنو غسَّان دمشق الشام ؟

للاب هنري لامنس اليسوعي

ذلك امرٌ كنَّا انكرناهُ في مقالتنا الحديثة عن اصل الروم الملكيين (راجع المشرق ٣: ٢٧٣). على انَّ جناب الكاتب الاديب امين ظاهر خير الله لم يصادق على قولنـا

(١) ونختم هذه المقالة قائلين: انهُ لا يمكن اليوم وجود موطن من مواطنِ المعمور يتكلَّم اصحابهُ على مقتضى اصول الاعراب وذلك امَّا ان هؤلاء يُعربون اواخر الكلم ويُسقطون الحركات عند الوقف. واماَّ انهم لا يُعربونها. فان كان الثاني فقد خالفوا تلك الاصول وهذا اوضح من الصبح لذي عينين. وان كان الاول فيستحيل وجود مثل هؤلاء الناس على ما ذكرنا من تأثير فعـل الكلم الاخيرة على مسامع الانسان وذاكرتهِ كما اسلفنـاهُ في هذه النبذة. ولهذا لا نُصدّق ابدًا ما اوردهُ صاحبا القاموس والتاج ونقلهُ البيان. وهذا نص هـذه الجملة بعد ان حذفت بعض الزوائد المستطردة. قالت: « جاء في القاموس في مادة (ع ك د) ذكر الجبل المسمَّى بعَكاد وهو جبل باليمن قرب مدينة زبيد زعم انَّ اهلهُ باقون لعهدهِ على اللغة الفصحى وذلك بين المئة الثامنـة والتاسعة للهجرة. وزاد في تاج العروس قولهُ الى الان اي الى عصرِ الشارح وهو اواخر المئـة الثانية عشرة قال ولا يقيم الغريب عندهم اكثر من ثلاث ليالٍ خوفًا على لسانهم. اه. وزاد البيان كلامًا نستحسنهُ كل الاستحسان: « وهو من الغرابة بمكان. والله اعلم »

الغسَّانيين لم يحكموا على احد في الشام الَّا على العرب . وهذا الامر تؤَيدهُ الآثار التي اكتشفها المستشرقون حديثًا في حوران (راجع وَدِنغتون Inscriptions de Syrie, c) nos 2110 et 2562 فثبت اذن معنى قول موْرخي العرب ان بني غسَّان كانوا في الشام عمَّالًا لملوك الروم

هذا ولا نكتفي بما سبق فنقول ان الغسانيين ليس فقط لم يملكوا على دمشق بل لم يحصلوا قطّ على مدينة حريزة من القطر الشامي كما بيَّن ذلك باجلى برهان المستشرق الشهير نُلدك في تاريخ امراء غسان (ص٤٧) . كانت عاصمتهم وكرسي دولتهم في الجابية في جولان وهي عبارة عن قرية يسكنها قومٌ من الحضر مع لواحق تُحدق بها يأوي اليها اهل الوَبر وكان ملوك غسان في وسطهم كشيوخ القبيلة يقطنون قصرًا ابتنوهُ في ظهرانيهم

وقد مرَّ لنا في المشرق (١ : ٤٨٤) كلام مُسهب في احوال الغسانيين وما كان من امرهم وسعة مملكتهم ونفوذ سلطتهم وطاعتهم لملوك الروم فلا حاجة الى التكرار . ويُستفاد من مقالتنا المذكورة السابقة ان ملوك غسان تولَّوا من قبل القياصرة قيادة العرب في بادية الشام ولم تقوَ شوكتهم في مدنها . وكان لهذه المدن ولاةٌ من الروم يسوسونها ويعنون بشؤُونها لاسيما قواعد المدن كدمشق التي كانت منذ القرن الخامس حاضرةً لسوريَّة الوسطى

هذا ولا يقبل العقل السليم ان ملوك القسطنطينية ولَّوا على مدينة معتبرة كدمشق قومًا لم يصدقوهم قطُّ الخدمة وكثيرًا ما نشروا عليهم لواء العصيان . وانما الروم كانوا يُؤلفون قلوبهم بما يصلونهم من الصلات ويخلعون عليهم من الخلع ويجودون عليهم من الالقاب والامتيازات ويجعلون لهم من الاقطاعات والرواتب وما غايتهم في ذلك الَّا ان يستميلوهم لمحاربة ملوك العجم وضبط عنان عرب البادية . اما السلطة فكان ملوك الروم لا يمنحون منها لملوك غسَّان الَّا النزر القليل لئلا يستفحل امرهم ويشتدَّ ركنهم . وكان الروم في وقت الحرب يحملون الغسانيّين على اعدائهم لكنَّهم لم يدخلوهم في عداد جيوشهم المنظَّمة وكانوا يراقبون كلَّ حركاتهم ويتخوَّفون خيانتهم . واذا انتهت الحرب كانوا ينزعون عنهم العُدَد والاسلحة التي اعاروهم ايَّاها لوقت القتال . وممَّا ورد في تاريخ اليونان عن بعض ملوك غسَّان انهُ كان تحت حماية احد ولاة الروم . فهذا كلهُ دليل واضح على صحة قولنا وبطلان

دمشق لان جلّق المذكورة في هذه الابيات هي « من اسماء دمشق ». والامر ليس كما ارتأى لانّ اكبر علماء عصرنا في الآثار الشرقيّة قد اجمعوا على ان جلّق ليست دمشق « ولا من اسماء دمشق » (١. امّا تعريف جلّق وموقع هذه البلدة فلا حاجة الى شرح ذلك هنا لانهُ يخرج بنا عن حدود الايجاز الذي تحرّيناهُ والراجح انّ جلّق المذكورة كانت في الغوطة ليس بعيداً عن البردى. وفي هذا كفاية لردّ قول جناب امين خير الله. وان شاء زدناهُ عن ذلك ايضاحاً

٣ بقي لخصمنا حجّة اخيرة استند اليها وهي عبارةٌ وردت في جريدة الهلال (٦:٦) قال فيها صاحبها: « انّ السموأل سيّر امرء القيس الى الحارث (الغسّاني) عامل قيصر على الشام » فاستنتج من هذا القول انّ بني غسّان ملكوا دمشق لان الشام تدخل فيها دمشق ان عُدَّت قطرًا وهي مرادفة لها ان عُدَّت مدينةً

جوابنا اننا لا نجهل انّ بعض مؤرخي العرب كتبوا ما نقلهُ عنهم صاحب الهلال. فقد جاء في تاريخ اليعقوبي مثلًا (١:١٧٧) في كلامهِ عن جند دمشق: « وكان عمّال ملك الروم بها آل جفنة من غسّان » ولكن يا ترى ما معنى هذا القول؟ هل يُراد بهِ ان الغسّانيّين كانوا ولاةً على دمشق ؟ كلّا. وانّما المراد ان ملوك غسّان كانوا عمّالًا لقياصرة الروم في جند الشام اي انّ ملوك القسطنطينيّة وكلوا اليهم النظر والولاية على العرب الساكنين في انحاء الشام المجاورة لدمشق كما كان الاكاسرة عهدوا بنظارة عرب العراق والجزيرة الى ملوك الحيرة. فلكي تصح حجّة خصمنا كان يقتضي عليهِ ان يأتينا بنصّ قديم لكتبة العرب يثبتون فيهِ ان بني غسّان كانوا يملكون على دمشق ولا نظنّهُ يفعل. امّا الشاهد المأخوذ من تزيين نهاية الارب لاسكندر ابكاريوس الذي ورد فيهِ ذكر قصور الغسّانيّين من جملتها قصرٌ ابتنوهُ في دمشق فليس ببرهان كما لا يخفى اذ ليس كلّ من يبني قصرًا في بلدٍ بصاحبٍ لهذا البلد. على انّ النصّ المذكور حديث يستدعي ملاحظات عديدة لا نرى وجهاً لإثباتها في هذا المكان

ثمّ اذا وُجد في تواريخ العرب شبهة من هذا القبيل فيزيلها الكتبة اليونان والسريان فان في كلامهم من الوضوح ما ليس بعدهُ مزيد. فانهم طالما دوّنوا في تآليفهم انّ

١) راجع مقالة نُلدك في امراء غسان Nöldeke : *Die Ghassan. Fürsten*, p. 47
وتأليف دي پرسڤال في تاريخ الجاهليّة C. de Perceval : *Hist. des Arabes* II; 223.

على كنائس المشرق في القرن الثاني لظهور الدين المسيحي ولا غرو انَّ في شواهدهِ لحجّةً نيّرة لا يمكن نقضها ولا يستطاع ردّها

*

والشاهد الاول الذي نلقاهُ في اوائل المئة الثانية ونجا من آفات الدهر انّما هو للبابا الشهيد القديس سكستوس او كِسِتوس الاوّل المتولّي الخلافة البطرسيَّة من سنة ١١٧ الى ١٢٧ . فانَّ هذا القديس العظيم الذي تكرّمهُ الكنيستان الشرقيّة والغربيَّة وتطرئان عظم فضائلهِ (١ وجّه الى الكنائس جمعاء رسالتين (٢ صدَّر الثانية منهما بهذا العنوان « سكستوس اسقف الكنيسة الرسوليَّة العامّ » . فقرَّر بهذا الاسم الجليل ايمان الكنيستين في الرئاسة البابويَّة . اذ لا نجد غيرهُ من الاساقفة خُصَّ بمثل هذا الاسم او تجاسر ان ينسبهُ الى نفسهِ . ولا يقولنَّ قائل انَّ سكستوس تعدَّى طورهُ فادَّعى امرًا باطلًا فانَّ لنا في حياتهِ واستشهادهِ ضامنًا عن فضائلهِ السامية التي لم تسمح لهُ بدعوى الزور . ويشهد ترتليان الكاتب الكنسي في اثناء هذا القرن الثاني وبعد انضوائهِ تحت لواء الهراطقة انّ نوّاب المسيح على الارض كانوا يدّعون بمثل هذه الاسماء الدالّة على سموّ السلطة الدينية فانّهُ في كتابهِ عن العفَّة (ف ٤) يلقّب البابا ڤكتور « بالحبر الاعظم واسقف الاساقفة »

وفي هذه الرسالة نفسها يدعو سكستوس اساقفة الارض كلها الى « رفع امورهم الى الكرسي الرسولي اذا ما حكم عليهم احدٌ ظلمًا » . ثم يحرّضهم « ألّا يتأخّروا عن المجيء الى عاصمة الايمان عندما يستقدمهم لبعض شؤون كنائسهم الدينيَّة ولا يعودوا الى كراسيهم دون رسالةٍ ممضاة من يد الحبر الروماني » ثم يردف قائلًا : « انَّ الاساقفة قد أُمِروا بمخابرة هذا الكرسي الرسولي ليصونهم ويذبّ عن حقوقهم لانّ الرسل قد قرَّروا وفقًا لامر الرب بان يدافع هذا المقام الرسولي عن حقوق الاساقفة في مستقبل الزمان كما انهم منهُ اتّخذوا ملء سلطانهم في البدء » . فهذه الشهادة غاية في الوضوح تزيل كل شبهة عن الرئاسة البابويّة على الشرق كما على الغرب . ولذلك حاول المبتدعون انكار صحّتها غير انها اثبت وأصدق من ان يقوى المماحكون على نقضها وابطالها

١) راجع الجزء الاول من شهر نيسان (ص ٥٣٣) للبولنديّين
٢) راجع اعمال الاباء اليونان في مجموع مين PP. GG. V, *col.* 1077

قول جناب خصمنا عن ولاية الغسانيّين على دمشق. ومن أراد البيّنات المفصّلة على ذلك فعليهِ بمراجعة كتاب العلاّمة نلدك في امراء غسان

وقبل الختام نبدي للخواجا امين خير الله ملاحظةً بخصوص ما كتبهُ عن الاسم الحديث الذي اتّخذهُ الروم غير الكاثوليك اعني بهِ اسم الاورثوذكس بدلًا من اسم الملكيين فنقول ان كان جنابهُ يستصوب هذا اللقب فنحن لا نشاحُّهُ فيهِ. بيد اننا لا نزال مع كثيرين من القراء نظنّ انّ الأَولى بطائفة قديمة ان تحافظ على اسمها المميّز لها فلا تتّسم باسمٍ حديث شائع بين مذاهب تخالفها بالاصل والمعتقد. فما قول جناب المنتقد عن أُسرة شريفة كأسرة بربون مثلًا تنبذ اسمها لتنعت نفسها بلقب يعمُّ غيرها كثيرين. أفليس هذا يغضُّ من شأنها ؟ فليحكم ذوو البصيرة

رئاسة

الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق

في القرن الثاني للنصرانيَّة

للاب يوحنا راي اليسوعي

بيَّنا في مقالة اولى صدَّرنا بها العدد الاول من هذه السنة (ص ٢) ان رئاسة الاحبار المطلقة احدى القضايا الرؤوسيَّة التي استلمتها الكنيسة من التقليد الرسولي وجرى بمقتضاها المسيحيون في بدء النصرانيَّة في جميع انحاء المعمور اذ لم يكن وقتئذٍ شقاقٌ بين الكنائس وكان « لجمهور المؤمنين قلبٌ واحد ونفس واحدة » (اعمال ٤ : ٣٢)

ولم يكن شرقنا العزيز في طاعتهِ لكرسي رومية مخالفًا للغرب بل كان الخافقان يجريان في ذلك جري خيل الرهان في حلبة الميدان. ومصداقًا على هذا القول جمعنا في نبذتنا السابقة ما وجدناهُ في بطون التاريخ الشرقيّ من الشواهد الناطقة والادلّة الصادقة ما يكفي لبيان هذه القضيَّة في القرن الاول للنصرانيَّة

على انَّ هذه الحلقة الاولى ما كانت الَّا بدء سلسلة متواترة امتدَّت منذ غرَّة النصرانيَّة الى عهدنا دون ان تنفصم بتةً. واليوم رأينا ان نثبت هذه الرئاسة البابويَّة

سبق بطرس الصفا ونفى من الكنيسة سيمون الساحر رأس الخوارج

*

وممَّن اعترفوا برئاسة الباباوات على كنائس الشرق في مطاوي القرن الثاني للمسيح اساقفة اجلاَّء وشهداء افاضل وقديسون كرام شرَّفوا بعلمهم وفضائلهم كنائس آسيَّة الصغرى التي اِنشأَها الرسول يوحنَّا الحبيب. ولا غروَ فانَّ معلِّمهم كان ارشدهم الى هذه الطاعة لخلفاء هامة الرُّسل وكرَّر عليهم ما سمعهُ من فم الربّ ودوَّنهُ في انجيلهِ الشريف انَّ لبطرس وخلفائهِ أُعطي السلطان لرعاية قطيع المسيح سواءٌ كانوا من الخراف او من النعاج (يوحنَّا ٢١ : ١٥)

واوَّل هؤُلاء الاساقفة القديس پوليكرپوس اسقف ازمير وتلميذ يوحنَّا الحبيب. فان هذا الحبر الجليل الذي كان اسمهُ شائعاً في كلّ انحاء المشرق كان ورث عن يوحنَّا الرسول عادة اقامة عيد الفصح في اليوم الرابع عشر من هلال شهر نيسان وهو اليوم الذي يعيِّد فيهِ اليهود فصحهم وكان يتبعهُ في ذلك بعض اساقفة آسية الصغرى انَّ بقيَّة الكنائس تبعاً لتقليد كنيسة رومية المتواتر كانت تتفق جميعها على الاحتفال بعيد الفصح في الاحد الواقع بعد اليوم المذكور. فسعى الاحبار الرومانيون في إزالة هذا الاختلاف بين الكنائس واستدعى البابا انيكيتوس اسقف ازمير ليفاوضهُ في هذا الشأن فاتى پوليكرپوس الى حاضرة النصرانيَّة واجتمع باسقف رومية فتباحثا في هذا الصدد زمناً طويلًا فكانت نتيجة هذه المباحثة انَّ البابا سمح لاسقف ازمير واساقفة آسيَّة بالمحافظة على عادتهم واَّجل حكمهُ في ذلك الى وقت انسب ثمَّ رخَّص لهُ (παρεχώρησεν) بان يقدّم في كنيسة رومية الاسرار المقدَّسة. هذا ملخَّص ما ذكرهُ ايريناوس ونقلهُ عنهُ اوسابيوس القيصري. وفيهِ كما ترى شهادة جديدة لسلطان الكنيسة الرومانيَّة على كنائس الشرق

غير انَّهُ بعد وفاة پوليكرپوس حصل اضطراب بين الكنائس في هذا الامر فعُقدت في الشرق مجامع مختلفة لفحص قضيَّة عيد الفصح فاستصوبت كنائس فلسطين وسوريَّة وبلاد الرها عادة الكنيسة الرومانية ورفعت الى خليفة بطرس نتيجة مفاوضات الآباء. فصادق البابا ڤيكتور على اعمال هذه المجامع ودعا كنائس آسيَّة الصغرى الى نَبْذ عادتهم واتّباع بقيَّة الكنائس فأَبى الخضوع پوليكراتوس اسقف افسوس وكتب

والحق يُقال انَّ سكستوس لو لم يكن عارفًا تام المعرفة انّ للكرسي الروماني الحلّ والعقد في الامور الدينيَّة وانَّ كلَّ الكنائس لا يخالجها ريب في ذلك لما تجاسر ان يدَّعي لنفسهِ سلطة لا حقَّ لهُ فيها ولأَثار عليهِ لطمعهِ وتطاولهِ البغضَ والشحناء. على انَّنا لا نرى احدًا من الاساقفة اقدم على ان يكسر من زهوهِ ويطأ من نخوتهِ

بل نرى بعكس ذلك انّ اساقفة العالم كانوا يلبُّون منذ ذلك العهد دعاء الحبر الاعظم فيتقاطرون الى رومية لمشاهدة خليفة بطرس وطلب مشورتهِ في مُعضلات الامور. وقد وجد صاحب العاديات الرومانيَّة الكُنْت دي روّسي في ديماميس رومية عدَّة مدافن لاساقفة كانوا أتوا من كلّ فجٍ لزيارة نائب المسيح على الارض فماتوا في امّ المدائن

وكان علماء العالم المسيحيّ في القرن الثاني يقدمون رومية ليستقوا من ينابيع تعاليمها. نخصُّ منهم رجلين من مشاهير المشرق القديس يستينوس الشهيد النابلسيّ المولد والقديس هجزيبوس اول المؤرخين النصارى وكان هذا من اهل فلسطين دخل رومية ليأخذ عن احبارها التقاليد المسيحيَّة التي ورثوها من الرسل وتلاميذهم وعنهُ اخذ اب التاريخ الكنسي اوسابيوس القيصري كثيرًا من اخبارهِ الدينية كما نبَّه على ذلك. وقد شهد هجزيبوس لصحة ايمان الكنيسة الرومانيَّة ومحافظتها على التعاليم الرسولية (١

وما لنا نقول عن اساقفة المشرق واعيان النصرانيَّة فانَّنا نرى زعماء الشيع وائمَّة المبتدعين انفسهم في هذا القرن الثاني يثبتون رئاسة الكرسي الروماني فانهم كانوا يتقاطرون من الشرق الى رومية لعلَّهم يصيبون حظوى عند خلفاء بطرس الرسول ورجاء ان يبثُّوا زوان تعاليمهم في الكنيسة التي لا يغويها ضلال. ومن جملة هؤلاء اصحاب البدع كيرنثوس وڤالنتان وكردون ومرقيون الذين بارحوا آسية الصغرى ومصر ليفشوا في عاصمة الكثلكة وباء اضاليلهم لكنَّ رؤساء الكنيسة كانوا ساهرين على وديعة الايمان فلم يكونوا ليسمحوا للذئاب الخاطفة ان تعيث في حظيرة المسيح بل صوَّبوا عليهم سهام الحرم وقطعوهم من دَوحة الكنيسة. وفي يدنا رسائل كتبها البابا القديس بيوس الاول والقديس هيجينوس وغيرهما ورد فيها رَذْل هذه الشيع الاثيمة وتحذير المؤمنين من مَكْر اصحابها. وعلى هذا المنوال ترى عظماء الاحبار قد شذَّبوا حينئذٍ اهل البدع كما

١) اوسابيوس في الكتاب الرابع من تاريخهِ الفصل ٢٢

يعدُّوا يد المساعدة للكنائس في كلّ بلدة ». وفي هذه الرسالة يذكر الكاتب انَّ رسالة البابا القديس اكليميس تُقرأُ كلّ يوم احد في كنيسته (راجع المشرق ٣: ٨)

وهنا لا يسعنا ان نضرب صفحاً عن شهادة ايّ شهادة وردت في القرن الثاني عن سيادة كنيسة رومية المطلقة وسيطرة احبارها على كلّ البيع. وهي لقديس تفتخر بهِ الكنيستان الشرقيَّة لانهُ من ابنائها والغربيَّة لانَّهُ فيها سُقِف ألا وهو القديس ايريناوس اسقف ليون وتلميذ پوليكرپوس فانَّ هذا الامام الجليل وضع تأليفاً ضدَّ الهرطقات ضمَّنهُ طرائف بديعة في التقليد الكنسي. ومن جملة ما دوَّنهُ في الفصل الثاني من كتابهِ الثالث قولهُ في محاجَّة المبتدعين وتبكيتهم على اهمالهم التقاليد الرسولية ليحدثوا شيئاً جديدة (١): « انّ التقاليد الرسوليَّة مصونة في جميع كنائس المعمور يقف عليها كلُّ من لا تعميهِ الاهواء. فاذا استقرينا هذه الكنائس وطلبنا رأي الاساقفة الذين لا يزالون منذ عهد الرسل يدبّرون المؤمنين اجابوا جميعاً انهم لم يعرفوا ما ابدعهُ هؤلاء الاراطقة من الآراء الحديثة.. ولكن يطول بنا ان ندوّن في كتابنا سلسلة كلّ الكنائس الرسوليَّة وتواتر اساقفتها فكفانا لدحض الاراطقة ان نثبت هنا خلافة تلك البيعة العظمى واقدم الكنائس كلها واعرفها من الجميع وهي التي اسَّسها الرسولان المجيدان بطرس وبولس ونبيّن تقليدها المتواتر في امور الايمان كما استلمتهُ منذ القدم وحافظت عليهِ بلا انقطاع فبهذا التقليد وايمان كنيسة رومية نحن نفحم جميع الهرطقات... لانهُ يقتضي على كلّ كنيسة في المسكونة جمعاء ان تلتجئ الى هذه الكنيسة (الرومانيَّة) لاجل سموّ رئاستها وتقدُّمها »

فلله من شهادةٍ لا تبقي مجالًا للتأويل او سعةً للسفسطة بل توضح باجلى برهان انَّ الكنيسة الرومانيَّة هي امُّ الكنائس وانَّ لها عليهنَّ سموّ الرئاسة وانهُ لا بُدَّ لكلّ كنيسة في الخافقين ان تلتجئَ اليها وتأخذ عنها فكلُّ كنيسةٍ انفصلت عنها انقطعت عن دوحة الايمان وكلّ كنيسةٍ اتَّحدت بها نالت من جذورها مائيَّة الحياة والخلاص

*

ومن الاكتشافات العجيبة التي يحقّ لعصرنا هذا ان يفتخر بها حجرةٌ ضريحيَّة وجدها احد علماء البروتستانت يُدعى رَمساي (Ramsay) في بلاد الاناضول سنة

١) راجع اعمال الاباء اليونان في مين ٧ ٨٤٨

في ذلك الى البابا ليعلِّل إباءهُ . وقد اثبت اوسابيوس في تاريخهِ كتاب پوليكراتوس وعقَّبهُ بقولهِ انَّ البابا ڤيكتور استاء من عصيان الاسقف المذكور وذويه ونشر براءةً ليحرمهم من الكنيسة الكاثوليكيَّة . بيد انَّ بعض الاساقفة توسَّلوا الى البابا ليغضَّ النظر عن صنيعهم ويدعهم وعادتهم المأخوذة عن الرسول يوحنَّا . وكان من جملة من توسَّطوا بين الحبر الروماني وكنائس آسيَّة القديس ايريناوس اسقف ليون وتلميذ پوليكرْپوس فنال من مراحم البابا ان يضرب عن العصاة صفحًا . فداوموا عادتهم في تعييد الفصح مدَّةً الى ان انحازوا الى عادة جميع كنائس . ولمَّا التأم المجمع النيقاوي في ايام قسطنطين امر الآباء باقامة عيد الفصح في كلّ الكنائس جريًا على تقليد كنيسة رومية

فلعمري أيوجد برهان اقطع ودليل ألمع ممَّا سبق لبيان سلطان الكنيسة الرومانيَّة على الكنائس الشرقيَّة في امور الدين ؟ أَفيقول المعترض انَّ الاحبار العظام ادَّعوا لهم رئاسة وهميَّة . لكن كيف يرضي العقل بان كنائس العالم جمعاء تقرّ بهذا السلطان ان لم يكن لهُ اساس متين في الانجيل الطاهر والتقليد الرسوليّ . لاسيا انَّ اساقفة رومية كانوا وقتئذٍ يعيشون في ضروب المحن والاضطهادات لا يكادون يخرجون من دياميس رومية وليس لهم من السلطان المدني ذرّة واحدة . فليعتبر العاقل

*

وفي هذا العصر عينهِ اشتهر في بلاد ليديا من اعمال آسيَّة الصغرى مليتون اسقف سرد . وقد اكتشف حديثًا الكردينال پيترا كتابهُ المعنون بالمفتاح جمع فيهِ ملخَّص العلوم الدينية . ومن جملة ما ورد فيهِ ما ذكرهُ مؤلفهُ الشهير عن وحدة الكنيسة ووحدة ايمانها ونظامها الموكول امرهما الى الكرسي الاول (يريد كرسي بطرس) الذي يعدُّهُ « كمركز التعليم ومرشد العقول ومنظّم الاسرار » (١

وممَّن ادَّوا في آسيَّة الصغرى شهادةً لرئاسة خلفاء بطرس في القرن الثاني للمسيح القديس ديونيسيوس اسقف كورنثوس فقد جاء لهُ في تاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٤ ف ٢٣) رسالةٌ رفعها سنة ١٦٦ م الى بابا رومية القديس سوتير يشكر لهُ فيها تعطُّفهُ على كنيستهِ والاحسانات التي ارسلها في وقت المجاعة لمؤمني كورنثوس وفيها يقول: « انَّ الاحبار الرومانيين لِما طُبعوا عليهِ من الهمَّة والفضل قد اعتادوا منذ غرّة النصرانيَّة ان

(١) راجع الجزء الثالث من مجموع الكردينال پيترا المعنوَن Spicilegium Solesmense

نُشرت بعنوان « الى الغد » في الجزء الثالث من هذه المجلة معرّبة بقلم هذا العاجز عن ميلڤوا الشاعر الفرنسوي المشهور (١. وقد رأى كل من قابل الفرع منهـا بالاصل مبلغ الامانة التي التزمتها في النقـل وعدم تصرُّفي شعرًا او نثرًا الَّا حيث دعتني الى ذلك احكام اللغة وذوق اهلها . هذا فضلًا عن اني لم أعنَ بها الَّا على قدر ما سمح لي بهِ ضيق وقتي واشتغالي الان عن العربيَّة والكتابة. على انهُ قد سرّني ما رأيتهُ من رضى الادباء عنها وعدّهم اياها بين خيرة القطع الادبيَّة المنقولة عن الافرنج (المحبة ٢ : ٨٨٢) فاني لم أُقدم على تعريبها الَّا لتكون مثالًا على بلاغة هؤلاء القوم. وعلى كل حال ارجو العفو عن القصور. ولمَّا كان للسؤَال المذكور علاقة بتلك القصَّة احببت ان اجيب عليهِ بوجه الايجاز فاقول:

لا مشاحَّة في ان اكثر الاحلام هي آثار الافكار التي تدور على خاطر الانسان في اليقظة وتنصرف نحوها جلُّ قواهُ العقليَّة وذلك لان قوى عقل الانسان كاعضـاء جسدهِ تنمو ويزيد نشاطها بالاستعمال وتضعف وينحط شأْنها بالاهمـال. فالقوى التي تكون مزاولتنـا لها اكثر تُصبح اشدَّ من سواها ومن ثمَّ تعمل الاحلام في النوم كما تعمل الافكار في اليقظة. أَلا ترى ان احلام المرء غالبًا يكون مدارهـا على اميالهِ وهواجسهِ واشغالهِ وعاداتهِ. فالعالم مثلًا يحلم انهُ مشتغل بايضـاح مُعضلاتهِ العلميَّة والرياضي بحلّ المسائل الحسابيَّة والهندسيَّة والتلميذ بدروسهِ او أَترابهِ والعاشق يرى صورة معشوقهِ وما شاكل ذلك. ولقد كثرت آراء العلماء من متقدّمين ومتأَخرين في هذا الباب وجُلّ تلك الاراء ان لم نقل كلّها غير مقنع ولا وافٍ بالمراد لكثرة ما يعترض هـذه المسئلة من حُجُب الخفاء وقُصور القياس عن التطلع فيها لغرابتها وشذوذها في كثير من الاحوال. ولا نطيل الـكلام بتعداد آرائهم واستقصائهـا بل نذكر ما ذهب اليهِ كبير الفلاسفة ارسطو قال: « ان الحلم بقاء صور الاشياء التي يشعر بها الدماغ بعد زوال تلك الاشياء وانقطاع ذلك الشعور ». وزاد عليهِ العلاَّمة وُلف انهُ اذا لم يكن اصلهُ من صور المحسوسات فهو وحيٌ من وراء الطبيعـة (٢. على ان هذا التعريف كما

١) جاء هناك ما مفادهُ ان الاحلام في الغالب ليست سوى آثار افكارٍ تدور على الخاطر في اليقظة وتنصرف نحوها جلّ اهتمامات الانسان

٢) لا ننكر انَّ سبحانهُ وتعالى يتَّخذ في بعض الاحيان الاحلام كواسطة ليبلّغ بهـا البشر

١٨٨٣ وعلى هذه الحجر كتابة غايةٌ في الشأن والخطر ورد فيها شهادة نيّرة عن الرئاسة البابويَّة في القرن الثاني للمسيح. والضريح المذكور هو للقديس أَبرقيوس اسقف مدينة هيرابوليس اقامهُ لنفسهِ قبل وفاتهِ وكتب عليهِ باليونانيَّـة ٢٢ سطرًا تتضمَّن ملخَّص حياتهِ واشارة واضحة الى اعظم اسرار الكنيسة الكاثوليكيَّة اعني سرّ القربان الاقدس. وهذا الاثر الجليل قد تكرَّمت الحضرة السلطانيَّة اعزّها الله وارسلتهُ كهديَّة ثمينة لحبر الاحبار لاون الثالث عشر بنسبة يوبيلهِ الاسقفي وهو اليوم من اجمل ما يزورهُ الزوَّار في المتحف الواتيكانيّ

امَّا قولهُ عن رئاسة كنيسة رومية فهو جدير بالاعتبار. وهاك تعريبهُ:

« انَّ اسمي ابرقيوس وانا تلميذ الراعي البارّ... فهو الذي ارسلني الى رومية. كي اعاين تلك المدينة الملكيَّة واشاهد ملكتها اللابسة درعًا ذهبيًا واحذية ذهبيَّـة وارى ذاك الشعب المتختّم بخواتم سنيَّة.. »

ففي هذه الكلمات الوجيزة اشارة واضحة الى مقام الكنيسة الرومانيَّة التي شبَّهها ابرقيوس بملكة بهيَّـة الجمال تسمو فخرًا على غيرها من الكنائس وابناؤُها كسادة متختمون بخواتم السراة والأَعلام. ولعلَّ قائلًا يقول انَّهُ اراد مدينة القياصرة لا الكنيسة الرومانيَّة. اجبنا انَّ الراعي البار الذي حدا ابرقيوس الى مثل هذا السفر لم يكن ليبالي بمدينة وثنيَّة تكاثر فيها الجور وسـاد الفساد ولا يمكن حمل كلامهِ الَّا على الملكة الروحيَّة عروسة ذلك الراعي الصالح الذي خطب الكنيسة وجعلها لهُ كقرينة افتداها بدمهِ الثمين وطهَّرها باسرارهِ القدسيَّة (افسس ٥: ٢٧)

فهذه هي الشواهد العجيبة التي نجدها في القرن الثاني للمسيح المنبئة بتقـدُّم الكنيسة الرومانيَّة وسيطرتها على كنائس الشرق. فسبحان من قرَّر ايماننا واثبتهُ بالبيّنات العديدة لئلا تتلاعب بنا اضاليل البدع وترهَّات النِحَل

الاحلام

للشاب الاديب جرجي عطيَّه احد طلبة مدرستنا الكلية

ورد الى ادارة المشرق الاغرّ سؤَال من احد ادباء الموصـل يطلب فيهِ ايضاحًا وتعليلًا عن مسئلة الاحلام واسباب حدوثها ممَّا ورد التلميح اليـهِ عرَضًا في القصَّة التي

ذلك ممَّا لا مصدر لهُ الَّا التخيُّلات ولا سبب الَّا انطلاق عنان التصوُّرات وتراوُح الذاكرة بين ما حوتهُ من المحفوظات. هذا والنائم يُصدّق بكلّ ما يراهُ بل تتأَثَّر لهُ عواطفهُ فيتقلَّب بين السعد والشقاء والكدَر والصفاء والهمّ والهناء فضلًا عمَّا يحصل لهُ من خداع الحس وما اشبه ذلك ممَّا يضيق المقام عن ذكرهِ

واماَّ قوى العقل حالة نوم المرء فاماَّ ان تكفّ عن العمل وتستريح على رأي قومٍ وبذلك تغيب عن الراقد معرفة نفسهِ وافعال عقلهِ او انها لا تتوقَّف سواءٌ نام الانسان او استيقظ على مذهب قومٍ آخرين. ويرتئي كثيرٌ من المحقّقين ان هذه القوى لا تنام كلها دفعة واحدة بل انَّ ما لا يتوقف عملهُ على الارادة يبقى مستيقظاً. وعلى كلٍّ فالحلم يحدث من استيقاظ بعض قوى العقل دون الآخر او تنبُّه بعض المشاعر الخمس تنبهاً جزئيًّا لعلة من العلل

ومرجع الاحلام من حيث منشإها الى سببين: (الاول) جسديّ ونريد بهِ الطوارئ التي تحصل لحالة الجسم سواءٌ كانت ظاهريَّة كتنبُّه احدى آلات الحسّ مثلًا او باطنيَّة كالمرض والعطش. (والثاني) عقليّ ونعني بهِ الاهتمام الشديد في بعض الامور واجهاد الفكر لمسئلة من المسائل اكثر من سواها في اليقظة. فاماَّ ادلَّة الحالة الاولى فكما لو ادنيت من جفن نائم مصباحاً فانهُ يحلم ان النار كادت تلتهمهُ فدنوّ المصباح يؤَثّر بعصب البصر وهذا ينقل التأثير الى العقل وسائر الحواس متوقفة عن العمل فيركّب العقل الحلم كما رأيت. وكما لو وضعت ماءً على طرف يد نائم فيحلم انهُ يغرق او قرعت على بابهِ فيحلم بهزيم الرعد او رفعت عنهُ الغطاء فيحلم انهُ يقاسي من البرد اهوالًا وقد تذهب بهِ قوة التصوُّر والخيال الى ما وراء ذلك فيرى نفسهُ مسافرًا يقطع اودية وجبالًا وقد عبثت بهِ عواصف الشتاء واذاقتهُ من تعذيباتها الوانًا واشكالًا. واماَّ الشواهد على الحالة العقليَّة فمألوفة عند كل فردٍ وقد لمَّحنا آنفًا اليها. وفي الغالب ان من يُشغل افكارهُ طويلًا بامرٍ قبل النوم يحلم بذلك الامر. بل قد رُوي عن كثيرين من اذكياء العقول انهم في النوم كانوا يشتغلون بما تعسّر عليهم حلُّهُ في اليقظة من المشاكل فلا يجيء الصباح الّا وهم قابضو زمامها وكاشفو إبهامها. فضلًا عن ان الحالة العقليَّة تتصرّف غالباً بالاحلام المسببة عن الطوارئ الحسيمة وتحوّلها الى ما تدور عليهِ اهواء النائم واطوارهُ

لا يخفى لا يكفي باحثاً ولا يشفي غليلًا لغموضهِ وعدم كفاءَتهِ للتعليل في كثيرٍ من المواضع . بيد ان العلماء المحدثين قد توصَّلوا بالبحث الدقيق الى كشف الستار عن وجه المسئلة ونحن نلخّص هنا بعض ما قالوهُ في هذا الشأن

معلوم انَّ العقل هو الجوهر المُدرك في الانسان فهو يدرك نفسهُ وما في الخارج ويميّز نفسهُ من غيرهِ . على ان هذا الادراك انما يتيسَّر لهُ بواسطة المشاعر الخمس وهي: البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس . فهذه المشاعر بمثابة نَقَلةٍ لتأثيرات العالم الخارجي اليهِ اي انها اذا تأثرت من شيء مَّا يحيط بها حملت تأثيرهُ الى الدماغ حيث يتمُّ الشعور حقيقةً فيدرك العقل ذلك الشيء

ولبيان ذلك نقول اذا بصرت العين بالنار مثلًا تؤثّر صورة النار في العصب النظري فيحمل التأثير الى الدماغ فيبلّغهُ الدماغ للعقل فيعلم العقل بوجود النار ويأمر اعصاب الحركة ان تتّقيها . وللعقل قوًى متعدّدة منها ما يتذكر بهِ ما سبق لهُ إدراكهُ وهو الذاكرة ومنها ما يتمثَّل بهِ صور الاشياء وهو التصوُّر ومنها ما يتصرَّف بهِ بتلك الصوَر ويبتدع ما لا يوجد منها وهو الخيال الى غير ذلك ممَّا لا يتَّسع هنا المجال للإفاضة فيهِ . وهذه القوى تتسلَّط عليها ارادة الانسان فتحصرها في موضوع يفتكر بهِ او امر يبحث عنهُ فان لم تتسلَّط عليها انتقل العقل من موضوع الى آخر لروابط تصل بين تلك المواضيع وجرت افكارهُ كل مجرًى بلا ضابط

وقد اشرنا الى انَّ الدماغ والاعصاب آلة العقل ورُسُلهُ الموكول اليها نقل التأثيرات اليهِ . وثابتٌ ان كل عضو يعمل عملًا يهلك من قوَّتهِ شيء يعادل قوَّة العمل ومدّتهُ فالدماغ والاعصاب كلّما اشتغلت خسرت شيئاً من قوتها حتى يستولي عليها الاعياء وتأخذها الحاجة الى الراحة فتنام . والانسان في النوم لا يعود لارادتهِ تسلُّط على الاعضاء التي كانت تحت حكمها فلا يرفع يدًا ولا يأتي بحركةٍ عن اختيارٍ منهُ وهوًى . وعلى قوى العقل ايضاً فيرى نفسهُ طورًا على قُنن الهضاب وتارةً على متن العباب وآناً يُعاقر بنت الحان ويلهو بسماع الالحان وآونةً يمتطي ظهور الجياد ويصول في مواقف الجلاد الى غير

ارادتهُ كما ترى في الاسفار الكريمة . على انَّ هذه الواسطة نادرة تعدّ من المعجزات لا يجوز للمرء ان يركن اليها ما لم يؤتهِ الله بدلائل واضحة على ذلك (المشرق)

يبحث عن مدفن ايتوبعل احد ملوكها وقيل هو بانيها . وكان ايتوبعل على رأي يوسيفوس كاهنًا لعشتاروت معبودة الفينيقيين

ولمّا استوت الشمس في كبد السماء ركبنا الخيل قاصدين طرابلس فسرنا وِجهتُنا الشرق. وتركنا على شمالنا كَبَّة قرية حديثة لاحقة بالبترون ثم قطعنا بعد ساعة نهر الجوز ومررنا بقرب قلعة حريزة بناها الصليبيُّون على قنّة صخر مرتفع تدعى المُسَيلحة جدرانها تلتحم بالصخر كأنّها هو ولا يصعد اليها الّا من شمالها بدرج صعب المرتقى . وبقرب هذه القلعة قُتِل امير غزير العسّافي محمد بن منصور سنة ١٥٩٠ (راجع المشرق ٣: ٢١٠). ثم توقّلنا في مصاعد جبل عالٍ يمتدُّ في اعلاهُ ويدخل في البحر على شكل رأس وهو الرأس المعروف اليوم برأس الشقعة ودعاهُ الادريسيّ أَنف الحجر . وفي جنبهِ الشمالي دير كبيرٌ للروم الارثودكس يقال لهُ دير النوريّة نسبةً الى العذراء سيدة النور وهذا الدير حديث بُني سنة ١٨٨٠ بدلًا من دير آخر قديم كان في لحف الجبل. وللموارنة فوق هذا الجبل دير شهير الذكر يدعى دير سيدة حنوش. ثم انحدرنا من مشارف ذلك الجبل فقطعنا الهُرَيّ قرية عامرة للمسلمين فبلغنا بعد ساعة شكّا. وهي قرية تشرف على البحر كثيرة الخيرات من اقدم بلاد الله كالبترون كما يُستدلّ على ذلك بمراسلات تلّ العمارنة السابق ذكرها

ومررنا قُبَيل العصر بقرية زكرون ليس بعيدًا من أَنفة وانفة هذه قرية على سِيف البحر اهلها من الروم الاورثدكس من اهل الثروة ابتنوا هناك لهم دورًا جميلة بعد ان تجشّموا الاسفار الى اميركة وربحوا فيها بعض الربح

ثم بلغنا في اصيل النهار ضيعة قلمون واهلها مسلمون وهي تلحق بحكومة طرابلس مع انّ حكم جبل لبنان يمتدّ الى ما وراءها. وقلمون هذه فيها المياه الجارية والبساتين الزاهية وقد دعاها الجغرافيّ بلينيوس قلاموس. وفوقها على رأس الجبل دير البَلَمند الشهير من اعظم اديرة الروم الاورثدكس. قال الدويهي في تاريخ سنة ١٢٨٧ انّ بانيهُ البرنس بوعِند (Bohémond) صاحب طرابلس بناه كمصيف يروّح فيهِ النفس وعلى هذا القول يكون اسم البلَمَند تصحيفًا لاسم بوعِند. وفي تاريخ سوريّة لجرجي افندى يني (ص ٣٩٠) انهُ تصحيف « بل منت » اي الجبل الظريف. وذكر انّهُ يوجد على مائدة الهيكل في كنيستهِ تاريخ سنة ١١١٣ م فضلًا عمّا يُقال انّ في اصل الدير المذكور

واشغالهُ في اليقظة . مثالهُ اذا كان مسبّب الحلم صوتاً خفيفاً وكان النائم مغنّياً فيحلم بانغام عودهِ وتوقيع اناشيدهِ او خطيباً فبالقاء الخطب في محافل الادب او راعياً فبثغاء الشاء او جنديّاً فبضوضاء الهيجاء وما شاكل ذلك ممّا لا يُستقصى . وبقي في هذا الموضوع اشياء أُخر لا ينفسح لنا المقام للكلام فيها الّا ان اكثر الاحلام اذا تأملتها بصادق النظر رأيتها لا تخرج عن حدّ ما ذُكر والله اعلم

رحلة حديثة الى بلاد عكّار

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد انجز الآباء اليسوعيون منذ عهد قريب بناء معبدٍ جميل شادوهُ في قلب بلاد عكّار ذكرًا للبتول الطاهرة التي يكرّمها الاهلون في تلك الانحاء باسم سيّدة القلعة . فدُعي حضرة رئيس مدرستنا الكليّة الاب لوسيان كاتين لحضور تدشين المزار الجديد واسعدنا الحظ على مرافقتهِ لمشاهدة هذه الحفلة البهيجة . فانتهزنا هذه الفرصة لنعرض على قرائنا تفاصيل رحلتنا ونصف لهم شيئًا من احوال هذا القضاء الواقع في احد ألوية ولايتنا الجليلة

*

كان سفرنا من بيروت بُعيد ظهر الخميس في ٢٦ نيسان المنصرم . وما مرّت علينا ست ساعات حتى ادركنا البترون وبتنا فيها . وفي صباح النهار التالي جلنا في انحاء تلك البلدة التي تُعدّ من اقدم مدن فينيقية وقد جاء ذكرها في القرن الخامس عشر قبل المسيح في الكتابات المكتشفة حديثًا في الفيوم في تلّ العمارنة . وكان لها سابقًا سور منحوت في البحر يصونها من طغيان مياههِ لا يزال منهُ بعض بقاياهُ ماثلة في وجه البحر وكانت البترون حصنًا في سالف الأيام وبهذا الاسم ذكرها ياقوت والادريسي . ومن آثارها الرومانيّة في شرقيها مرسحها التي تُرى منهُ درجاتهُ على شكل نصف دائرة . وكان دليلنا في زيارة البلدة جناب قنصل الدانمرك في الثغر سابقًا ولجنابهِ الباع الطولى في معرفة العاديّات جمع منها شيئًا كثيرًا وقد وجد فيها بعض النواويس القديمة وهو اليوم

ان ما يدخل منها كلَّ يوم الى طرابلس فوق ٣٠٠٠ جمل ويُدفع عن كل جمل منها فرنك للترمي طريق العربات

وما ابتعدنا عن البلد الّا ثلثة اميال حتى بلغنا جامعًا كبيرًا يُعرف بجامع البدّاوي يرتقي عهدهُ الى السلطان بيبرس. والبدّاوي احد اولياء المسلمين. وبقرب الجامع بركة واسعة بُنيت منذ سنتين تتبجّس من وسطها مياه غزيرة. وفي المياه الوف من السمك المعروف بالبوريّ يكرّمهُ الناس ويطعمونهُ ولا يجوز لاحد ان يصطادهُ. فذكّرنا ذلك بما رأيناهُ في اورفا قبل ستّ سنين في رحلتنا الى بلاد ما بين النهرين. وهناك بركة تُنسب الى ابراهيم الخليل اكبر من هذه تتدفّق منها المياه وفيها من هذا السمك عددٌ لا يضمّ بهِ احصاء وهو يتقلّب في المياه منذ مئين من السنين لا يمسّهُ احد. وقد اخبر لوقيان في كتابهِ المُعَنْون بإلهة السوريين (١ انَّ الاقدمين كانوا ابتنوا بركًا في قرب هياكل آلهتهم لاسيما عشتاروت وكان في هذه البرك عدد غفير من السمك يعظِمهُ القوم ويقومون بنفقة طعامهِ

ثمَّ سرنا حثيثًا فقطعنا بعد ساعة نهر البارد وواصلنا السير حتى بلغنا بعد ساعتين ونصف مفرقًا يتصل بطريق حمص. وهو يميل عن البحر نحو الشمال الشرقيّ فعدلنا اليهِ ومذ ذاك الحين دخلنا في بلاد عكّار. وتخوم القضاء المذكور محدودةٌ شمالًا بقضاء الحصن وشرقًا وجنوبًا بولاية الشام ومتصرفيَّة لبنان وغربًا بلواء طرابلس. عدد سكّانهِ يبلغ نحوًا من ٣٠٠٠٠ نسمة يسكنون ١٧٤ قرية او مزرعة. ويدين نصف اهلهِ بالاسلام امّا النصف الآخر فهم نصارى ونصيريُّون

والطريق التي ننهجها حسنةٌ تصلح للعجلات الى حلبا مركز القضاء اعني في امتداد نحو ١٥ كيلومترًا. وكنّا نعجب بتربة هذه النواحي وخصب مزدرعاتها وزكاء نباتها. والمياه تجري اليها من كل جانب منحدرةً من اعالي لبنان ومتفرّقة في كل صوب. ومن جملة المزروعات التي كانت تستلفت انظارنا الزيتون والذُرة والسمسم واصناف الحبوب. ومنها ايضًا البصل الطيّب قيل انَّ اهل عكّار ينقلون منهُ الى مصر نحو الفي طنّ (٢ فيربحون منهُ مالًا طائلًا

---

١) راجع Lucien : *de Dea Syra*, 45 ورحلة الاب هنري لامنس الى بلاد النُصيريّة

٢) مختصر جغرافية الشام للاب هنري لامنس (خطّ) Revue de l'Orient chrétien, IV:572

كانت بقايا قصر عظيم استمرَّت آثارهُ الى عهد قريب من ايامنا. وبازاء هذا الدير على قمة جبل آخر دير مار يعقوب يسكنهُ مطران طرابلس على الروم الاورثذكس وقيل لنا انَّ اعيان الروم في طرابلس يُنقَلون بعد وفاتهم الى هذين الديرين فيُقبَرون فيهما تبرُّكًا. ولا يبعد عن دير مار يعقوب دير كفتين وقد اشتهرت مدرستهُ مدَّةً

وكنَّا في اثناء مسيرنا نرى طرابلس وحصنها القديم وابنيتها الجميلة وبساتينها الفيحاء وهي تزيد بهجةً وجمالًا على قدر تقرُّبنا منها وكان منظرها يذكّرنا قول الشاعر فيها يصف خصب تربتها ومقامها الجميل مع ما يحدق بها من الجبال المكلَّلة بالثلوج الغراء:

باربعة سادت وساد مقامها على سائر الامصار في البحر والبرّ
بابيض ثلجٍ واحمرار كثيبها وخضرة مرج قد حلا زرقةَ البحرِ

ولمَّا قربت الشمس الى المغيب وصلنا الى المدينة فنزلنا في دير حضرات الآباء العازاريين الافاضل فرحَّبوا بنا كما يرحّب الاخوة باخوانهم واظهروا لنا من اللطف والأُنس ما دونهُ كلَّ شكر

هذا ولطرابلس من الآثار الجليلة والمرافق العديدة ما لا يسعنا هنا وصفهُ فأَجَّلنا ذلك الى فرصة أُخرى ونكتفي هذه المرَّة بتدوين ما كتب المتنبي وهو القائل انَّ فيها:

اكارمًا حسد الارضَ السماءُ بهم وقصَّرت كلُّ مصرٍ عن طرابُلُسِ

☆

وفي غلس اليوم التالي قمنا من طرابلس وكان انضمَّ الينا لحضور العيد احد الآباء العازاريين حضرة الاب ارنو مع وكيلنا في البلدة فسرنا على الجياد راكبين جادَّة طريق العربات المؤدية الى حمص. وكان اديم السماء صافيًا والهواء لينًا والارض تكسوها حلل الربيع السندسيَّة على شمالنا يمتدُّ البحر بزرقةٍ ناصعة وهو اصقل من مرآة وعلى يميننا تنطح العنان جبال لبنان المعتمّ بعمامة ثلوجهِ البيضاء

وكنَّا في سيرنا نواجه اهل تلك البلاد يتقاطرون الى طرابلس من جهات حمص وعكَّار والحصن وصافيتا يبيعون فيها محصولات اراضيهم الخُصبة ويستبدلونها بما هم اليهِ في حاجة ماسَّة من انسجة وافاويه واثاث. وكان يبهجنا منظرهم لما يلوح على وجوههم من سمات الرجوليَّة وشارات القوة واما لبسهم في الغالب فهو لبس اهل البادية كالكفيَّة والعقال والعباءة او المشلح. ولكثيرين السراويل الواسعة النيافق الضيِّقة الارجل. وممَّا كان يستافت انظارنا صِرَم الجبال المتتالية وكلها محمَّلة بضروب صادرات البلاد قيل لنا

هناك نصيباً من الراحة الى ان خمدت الهجيرة فاستأذنا الركوب واخذنا نصعد رُبى جبل عكّار سائرين نحو الشمال الشرقيّ . وكنّا اذا ترقّينا في مشارف الجبل يكشف النظر على غياض فيحاء ورياض غنّاء ومزارع كثيرة المواشي ورساتيق يسكنها سراة البلد ممّن عهدت اليهم الحكومة السنيّة نظر تلك الضواحي وجباية اموالها . وهم سادة ذوو بأس وطَول نخصّ منهم بالذكر المير ميران محمّد باشا محمّد وهو من اسرة عريقة بالشرف ولكلّ هؤلاء السادة قرًى وضياع ينقاد اهلها لحكمهم ويشتغلون لحسابهم . ولهؤلاء الاماثل الجياد المطهّمة التي يُبالَغ في اثمانها ويُتفاخر باقتنائها . واجناس الخيل الكريمة في عكّار اربعة لكلّها شهرة كبيرة في بلاد الشام وهي السقلاوي والمعنقيّ والفُرَيجات والطويسي واكرمها الفريجات التي تفوز عادةً في الحلَبات وهي في الحصن اكثر منها في عكّار

*

وبينا كنّا نسرّح الانظار في هذه المشاهد اذ لاح لنا على قاب قوسَين او ادنى بناء جديد تخفق فوقهُ الرايات وبقربهِ قد ازدحمت الجموع فبُشِّرنا انها هي كنيسة السيدة التي دُعينا الى حضور تدشينها ولم نكُ ندري انّ بيننا وبينها وادٍ عميق لا بُدّ من قطعهِ قبل ادراك الوطر . فما لبثنا ان رأينا امامنا جبلًا عاليًا على شبه مثلَّث زاويتاهُ العليوان في مشارف الجبل امّا الثالثة فهي تتّجه نحو الغرب كأنّها الرأس القرّن . وفي اعلى هذا الرأس بقايا قلعة قديمة اليها نُسبت سيّدة القلعة وعلى جانبي هذا المثلّث العظيم واديان عميقان تترقرق في احدهما مياه « النهر الصغير » المنحدرة من الجبال المجاورة وفي الآخر تتدفق مياه « النهر الكبير » الخرّارة . وتجتمع مياه الواديين عند رأس المثلّث وتجري نحو الغرب فتصبّ في البحر المتوسّط بعد مسافة نحو ١٥ كيلومترًا . امّا رأس النهر الكبير ففي شرقي قرية عكار في وادي عَودين وهو يسيل شمالًا نحو سبعة اميال حتى اذا بلغ جبل طاحون مال نحو الغرب وهو لا يزال يكبر ويزيد الى ان يصبَّ في البحر . ولهذا النهر شأن عظيم وكان الاقدمون يسمونهُ الوتاروس (Eleuthérus) وهو الذي يفصل بين جبال لبنان وجبال النصيريَّة ويحدّ بلاد عكار شمالًا فيقسم قضاءها عن قضائَي الحصن وصافيتا وهو غير النهر الكبير الذي يصبّ على خمسة اميال من اللاذقيَّة . وفي الشتاء تزخر مياههُ وتطفو وربَّما ذهب بالمواشي والنفوس

فنزلنا الى معاطف ذلك الوادي الوعر المُنحدر وقطعنا مضايقهُ ثمَّ تسنَّمنا ذروتهُ

ومشينا نحو ساعةٍ ونصف فبلغنا نهر عرقا وعبرنا جسرهُ المبني باحسن هندام فوق صخر يدخل في وسط مياه النهر. وعرقا هذه التي بها دُعي النهر عبارةٌ عن قرية صغيرة ليس فيها الَّا طاحون وبيوت قليلة وانما كانت في قديم الزمن مدينة معتبرة تُدعى قيصارية عرقا فيها بنايات جليلة. وكانت في ايام الادريسي مدينة عامرة قال فيها: « لعرقا في وسطها حصن على قلعة عالية ولها ربض كبير وهي عامرة بالخلق كثيرة التجارات واهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها ونهرُها جارٍ ملاصق لها وبها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكَّر وبها مطاحن على نهرها وبينها.وبين البحر ثلاثة اميال وحصنها كبير وعيش اهلها خصيب رغد وبناؤها بالجصّ والتراب والخير بها كثير». وقد اكتُشف فيها حديثًا بعض الآثار القديمة المنبئة بعظمها سابقًا. وكان لعرقا اسقف يُعرف بها. وهي اليوم من كراسيّ اساقفة الموارنة وكان غبطة البطريرك الحالي اسقفًا عليها سابقًا

ولمَّا اجتزنا نهر عرقا واصلنا المسير في قرار فسيح من الارض وسهول متسعة تسقيها المياه النميرة وكنَّا نشاهد على يميننا من جهة الجنوب روابي عكَّار يعلوها قرًى عامرة كل اهلها في سعة وخصب عيش. منها قرية منيارا واهلها نصارى روم ارثودكس وقد اعتنق منهم قسم كبير الدين الكاثوليكي منذ بضع سنين بهمَّة الآباء المرسلين

ثم سرنا نحو خمسة اميال فبلغنا حلبا وفيها مركز القضاء. وحلبا ليست اكبر قرى عكَّار وانَّما مقامها انسب لتدبير شؤون تلك النواحي وهي طيِّبة الهواء وفوقها دار الاسقفيَّة لمطران عكَّار على الروم الاورثذكس ويشرف عليها محلٌّ نزهٌ يدعى شيخ طابا يسكنهُ المتوظفون في الحكومة

قلنا انَّ حلبا ليست اكبر قرى عكَّار والقرى الكبرى انما هي عكَّار التي بها دُعي هذا القضاء عدد سكَّانها نحو ٣٥٠٠ وهي شرقي عرقا ثمَّ القبيَّات وهي اكبر منها (٥٠٠٠) فيها معامل حرير مشتهرة ولحضرات الآباء الكرمليّين فيها ديرٌ ومدرسة ثمَّ عندقت (١٦٠٠) واهل القبيَّات وعندقت موارنة. ثم بينو (٣٠٠٠) يسكنها اعيان عكَّار ثمَّ عيدمون ورماح والنهريَّة تُصنع فيها الطنافس الملوَّنة والسجَّادات الفاخرة ثمَّ شيخ محمد ليس بعيدًا من حلبا واهلها نصارى روم كاثوليك واورثذكس وموارنة. الى غير ذلك

ولمَّا قرب وقت الظهر بلغنا نهر عكَّار الذي منشأهُ بقرب عكار شرقًا ويُدعى ايضًا نهر الخربية ونهر الحسوان ومصبهُ في البحر نحو اربعة اميال شمالي نهر عرقا. فاخذنا

فيها النساء والصغار. امَّا الرجال فانهم قضوا ليلتهم على تلك الربوة ينتظرون بفروغ الصبر صباح العيد. وكان عدد الجمهور الوافد مساء العيد اكثر من ١٦٠٠ نسمة قدموا من قرى عكّار وصافيتا والحصن يتقدّمهم كهنتهم وشيوخهم ووجوه انحائهم

*

وما ابلج صباح الاحد الواقع في ٢٩ نيسان وهو موعد العيـد حتى خفَّت سكَّان القرى أفواجًا أفواجًا فكان من ينظر الى تواردهم يظنُّ انّ القرى صفرت كلها من اهلها. وقد اتى البعض من مسافـة ثلاث ساعات وازيد وكانوا جميعهم يأتون وهم ينشدون الاناشيد ويتلون صلاة الورديَّة ويحملون الرايات يتقدَّمهم رُعاة كنائسهم وكانوا اذ بلغوا باب الكنيسة يستقبلهم كاهن بالمبخرة والماء المصلاة

وعند الساعة السابعة لبس حضرة الاب رئيس الرسالة غفَّارةً وبمعيَّتهِ الاباء والكهنة من طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك وكان السيدان الجليلان المطران اسطفان عوَّاد والمطران يوسف الدوماني قد اوفدا من قبلهما كهنةً ليمثِّلوهما في هذه الحفلة وكانا دُعيا اليها فلم تسمح لهما الاشغال بتلبيـة دعاء الرؤساء. ثمَّ بُدئ بالرُّتب الكنسيَّة لتدشين المعبد وتليت الصلوات مع الاناشيد المعتادة في مثل هذه الحفلات. ولمَّا انتهت هـذه الطقوس زُيّنت الكنيسة باشكال الزهور باسرع من لحة العين وأُضيئت مئات الشموع ونُشرت الرايات وفُتحت للجمهور ابواب الكنيسة وكانت من قبل مقفلة فاندفع اليها القوم وغصَّت بهم فبقي مئون بل أُلوف منهم في الخـارج يشاهدون الرتب من ابوابها المفتوحة. وكان امام الهيكل لفيف الاكليروس ومشائخ القرى منتصبين لله قانتين

ثم ابتدأ حضرة رئيس مدرستنا الكليَّة باقامة قداس كبير. وزاد الحفلة رونقًا انَّ حضرة الاب استنسلاوس الكرملي كان حضر من القبيَّات بجوق من تلامذتهِ وأتى بارغنٍ حُمّـل على ظهر جمل فشنَّفوا الآذان باصواتهم الشجيَّة واطربوا السامعـين باناشيدهم الرخيمة

وعند ختام القداس تقدَّم شيوخ القرى ماسكين بايديهم الشموع المضيئـة وتلوا فعل التكريس جهارًا فقدَّموا نفوسهم وجميع الذين تحت امرتهم للسيدة البتول المكرَّمة في هذا المكان منذ اجيال عديدة طالبين منها حمايتها في الحياة وفي المات. وكان لهذا فعل التعبد احسن وقع في النفوس واشتركت بهِ الجموع بتقوى وخشوع. وعقب ذلك

المحاذية ولا يُصعد اليها الّا بمشقَّة في شِعْب صعب المرتقى يشرف على بطن الوادي . وقنَّة هذا الجبل تبلغ نحو ١٥٠ متر ادركناها بعد ثلث الساعة

وكان جمهور الزوّار الذين وفدوا من القرى المجاورة ينتظرون قدوم حضرة رئيس مدرستنا ليحسنوا استقبالهُ . فلمّا رأوهُ نافذًا من ثنيَّة الجبل اسرعوا الى بندقيَّاتهم فاطلقوها مترحّبين بهِ وكان يُسمع لطلقاتها ولهتاف المتهلّلين دويٌّ عظيم يتردَّد صداهُ في بطون الفجاج . وهرع للسلام عليهِ حضرة رئيس رسالتنا العامّ مع بعض الاباء وعدد من الكهنة الافاضل واعيان تلك الانحاء الذين كانوا سبقوا فاجتمعوا للحفلة الموعودة

وكانت الشمس وقتئذٍ قد جنحت الى الغروب وهي ترسل على تلك الهضاب النَّضرة آخر سهام اشعَّتها الناريَّة فتكسوها بهاءً وجلالًا . وممَّا كان يزيد هذا المنظر رونقًا وحسنًا أفواج الوافدين للعيد وهم لابسون افخر ثيابهم . وكانت تلوح على وجوه الجميع لوائح الفرح التي تكنُّها صدورهم لقدوم يوم بهيج لم يكن منذ سنين قليلة ليدور على خلدهم ان سيشاهدون مثلهُ . فتقدَّموا كلهم للثم ايدي حضرة الاب الرئيس الذي كان يُسمعهم ارقّ عبارات اللطف والايناس مثنيًا على تقواهم وخلوص مودَّتهم

ثم دخلنا المعبد الجديد لنزورهُ فاذا بهِ تحفة نفيسة شادها الحبّ البنوي لمليكة السماء وتعبّر عن شكر الاهلين لمن كانت لهم مدَّة قرون متوالية عضدًا في بلاياهم وشفاءً في اوجاعهم وتعزيةً في احزانهم . وتكسير هذه الكنيسة الجديدة ٢١ مترًا طولًا في ثمانيةٍ عرضًا وارضها مفروشة بالرخام تمثّل اشكالًا هندسيَّة وجدرانها منمَّقة بنقوش جميلة وتصاوير محكمة الاتقان امّا نوافذها فهي من الزجاج الملوَّن تُرى فيهِ صور اسرار حياة البتول العذراء

وبعد برهةٍ من الراحة وتناول اكل المساء دعا الوفودُ من الاهلين حضرات الاباء والكهنة فمثَّلوا اجلالًا لهم شيئًا من عادات بلاد عكَّار كألعاب السيف والترس والرقص والترمير وكانوا يظهرون في كلّ ذلك حذاقة غريبة فسُرَّ الحضور غاية السرور وشكروهم للطفهم

وكان الليل في اثناء ذلك أرخى رواقهُ فأُوقدت مشاعل الافراح ودوى البارود وأُرسلت الاسهم الناريَّة تخترق كبد السماء وتتناثر منها النجوم الملوَّنة في الهواء فخيّل انَّ الجبل صار شعلة نار ودام ذلك هدءًا من الليل . ثم فُتحت ابواب الكنيسة ليبيت

دمار پومپـايي

من رسالات المأسوف عليـهِ يوسف حبيب باخوس الغزيري

نظر فيها الاديب نجيب افندي باخوس

عثرت على هذه الرسالة التي كتبها رحمهُ الله سنـة ١٨٧٩ يوم زار آثار مدينة Pompéi او Pompèia . واطلالها الدارسة بمناسبة عيد تمام الالف والثمانمائة سنة لدمارها فاحببت بسطهـا لحضرة قراء المشرق الكرام لفائدتها التاريخيَّة

في هذه الايام كان القوم هنا مشغولين بافراح عيد احتفـالي لهجت بذكرهِ معظم الجرائد والصحف وكان الكلام عنهُ مؤونة للاجتماعات والمراسح والقهاوي واينما سرنا او تحوَّلنا كنَّا نسمع صدى اخبارهِ يرويها الشيخ والشاب والعجوز والفتاة فهـل يمكنكم ان تخمِّنوا او تعرفوا موضوع هذا العيد وتذكاره ؟ هو عيد لتذكار خراب مدينة پومپـايي الشهيرة التي غرقت بنيران الڤيزوڤ (Vésuve) وقد مضى على ذلك الف وثمانمائة سنة تمامًا . فهل سمعتم قط او خطر على قلب بشر ان يقوم الناس بافراح عيد خراب المدن وان يحتفل بالهرج والمرج ذلك اليوم الذي قتل بهُ الوف من الناس وغارت في قلب الارض مدينة عظيمة لم ينجُ منها مُخبر ؟ . . . فالحكومة تصرف مبالغ باهظة من الاموال في هذا الشأن وتدعي معتمدي الدول الاجنبيَّـة لكي يسمعوا اصوات الموسيقى ونغماتها تصدح فوق خرائب مدينة حزينة اولى بها الندب بمراثٍ تفتِّت الأكباد فلله امرنا والاعتصام بالصبر

وقد استغنمت هذه الفرصة وتوجَّهت لاشاهد آثار هذه المدينة وربوعها الدارسة فاذهلني ازدحام النـاس واختلاف اجناسهم وكلهم يلهون طربًا . فهنا البعض يرقصون وهناك يعزفون بآلات الطرب وفي هذه الجهة بعض الخطبـاء يترنَّمون بما اعدّوهُ من العبارات الطنَّانـة وفي تلك العلماء يتباحثون ويشيرون الى بعض هذه الآثار وفي الوسط كثير من الاشراف ووكلاء الدول . فرنسـاويون يشربون نخب ايطالية وايطاليان على نخب فرنسة . واعجب من كل ذلك بهرجة السيدات وغنى ملابسهنَّ يخطرنَ في حلاهنَّ بدلًا من ان يندبنَ اسلافهنَّ

فآثار هذه المدينة معجبـة جدًّا وتروق للناظر لان اكثرها محفوظ كما كان وهي تشبه بنايات بيروت العاديَّة وبيوتها على طرزها الحالي فترى غرفة للاستقبال من جهةٍ

قداسان احتفاليان اقامهما نائبا مطراني طرابلس في الطقس الماروني والطقس اليوناني حضرهما كلُّ من امكنهُ ان يلج الكنيسة

ثمَّ مثَّل فرسان عكَّار لحضرات الآباء لعب الجريد كانوا يتفنَّنون فيهِ على ضروب عجيبة كانهم في ساحة القتال. وكان في جملة الجموع الذين حضروا هذه الحفلات عدد وافر من النصيريين والمسلمين وكانوا قد اعتادوا منذ قديم الزمان ان يأتوا الى هذا المقام لاكرام « ستنا مريم »

ثمَّ لمَّا كان الظهر جلس المدعوون على مائدةٍ فاخرة تبودلت فيها الانخاب فاعرب الاهلون عن تعلُّقهم بالكرسي الرسولي ومرسليهِ الافاضل وابدى رئيس الرسالة املهُ بان يكون المعبد الجديد كعروة وثقى ترتبط فيها كلّ القلوب المسيحية تحت حماية البتول الطاهرة

وعقيب هذا اجتمع الجمع ثانيةً في الكنيسة فأُلقيت على مسامعهِ عظةٌ بناها الخطيب على قول النبي اشعيا (٣٥:٢). « قد أُوتيتْ مجد لبنان » فبيَّن بشواهد عديدة تاريخيَّة انَّ لبنان كما يدلّ عليهِ اسمهُ كان في كلّ زمن جبل المناعة والقوّة ثمَّ جبل الايمان والدين ثمَّ جبل الطهر والعفاف. ثمّ تخلَّص الى ذكر العذراء الطاهرة فاثبت انها أُوتيَتْ مجد لبنان فنالت اوفر حظّ من خصالهِ الثلاث المذكورة وانتهى الى ذكر المعبد الجديد الذي اختارتهُ البتول لتتكرَّم فيهِ على عبادها بهذه النعم الثلاث التي نالتها من الرب اعني القوَّة ضدّ اعداء خلاصهم وايمانًا حيًّا لردّ نزغات الكفر وسيرةً طاهرة تؤَهلهم بالثواب الابدي. وخُتمت هذه الرتبة بمنح بركة القربان الأقدس

ثمَّ عُقدت بُعيد ذلك جلسة ادبيَّة بالفرنسيَّة والعربية قام بها نخبةٌ من تلامذة المدرسة التي هنالك وكان مدارها على مناقب سيدة القلعة وتاريخ تعبد الاهلين لها منذ عهد عهيد في هذا المكان. وهذا التأريخ نؤجّلهُ لعدد آخر لما في تفاصيلهِ من الفوائد وسنذكر ايضًا ما يختصّ بالقلعة القديمة التي كانت فوق هذا الجبل والتي لا تزال آثارها ماثلةً الى عهدنا

ولمَّا انتهى هذا العيد المجيد قمنا في صباح يوم الاثنين وقرأنا الوداع على اهل السيدة وعدنا الى بيروت بغاية ما امكن من السرعة فبلغناها في مساء الثلثاء. شاكرين لهُ تعالى على ما ارانا من تقى اهل عكار وحسن اخلاقهم وخواص بلادهم

وطرب وسرور وارتياح. ويقدّرون انَّ هذا الملعب يسع نحو ٥٠ الفًا من النـاس فلذلك ترى العظام البالية حولهُ رُكامًا

امَّا اصنام هذه المدينة وتماثيلها ونقوشها فهي مذهلة للغاية. وقد ظهر فيهـا الى الان ستة ملاعب (تياترات) فسيحة الارجاء متسعة الجوانب وأَبراج هائـلة وهيا كل رحبة للغاية. وقد استلفتت انظاري كثرة النقوش القبيحة في محـلات متعدّدة ممَّا يدلّ على انها كانت مواخر الفجور والفساد. فربَّما قاصَّ المولى هذه المدينة لفجور اهلهـا المفرط. وكلُّ ما فيها يدلّ على غنى المال والصناعة. وشاهدت في بعض منازلها البالية نوافذ من بلّور لكنَّها صغيرةٌ على شكل النوافذ القـديمة في سوريَّة. وطبقات البناء قليلة عندهم

ومجمل القول انَّ بقايا هـذه المدينة وآثارها تدهش المسافر وتوطد بفكرهِ عظمة الاجيال الغابرة . وكثير من الكتبة والمؤَلفين قد أَفاضوا في الكلام عنهـا ودوَّنوا اخبارها في مجلدات ضخمة فلا يمكن الإِخبـار عنها والارتواء من اقاصيصها بوجيز الكلام فنكتفي بهذا القدر

الزلازل

بقلم الاديب عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأْموري معية ولاية بيروت الجليلة

زارت الزلازل بلادنا غير مرَّةٍ فانزلت بها الويل والبلاء. ودهمت من عهد قريب ولاية آيدين فوسَّدت كثيرًا من سكَّانهـا التراب وألحفتهم السماء. وقد تناقلت الصحُف السيَّارة آنئـذٍ حوادثها الدهماء. فاعلمتنا بما تركت بعد اجتيازها من آثار الخراب والشقاء . الَّا انها اكتفت بنقل اخبارها ووصف ويلاتها ومضارّها

نعم نشر حضرة العالم الفاضل الاب هنري لامنس في مجلة المشرق (١ : ٣٠٣ و ٣٣٨ و ٢ : ٩٧٠) مقالتـين نفيستين على زلازل سوريَّة وبيروت فجمع فيهما واوعى. لكنَّ حضرتهُ ايضًا اقتصر على بيان تاريخها ووجهة سيرها في بلادنا. فاحببت الان ان ابحث عن هذه الآفة من حيث العلم وما توصَّل اليهِ من معرفة امرها مشاهير علماء طبقات الارض (الجيولوجيون) وبالله المُستعان

(صالون) وغرفة من اخرى ودارًا مسقوفة في الوسط . قد بنى هذه المدينة شعب الاتروسك (Etrusques) نحو تسعمائة سنة قبل المسيح وقد حسَّنت بناءها نحلة يونانيَّة. فسنة ٥٣ للمسيح حدث بها زلزلة قويَّة خربت جانبًا منها ويوجد الى الان في بعض نواحيها الموادّ والآلات المعدَّة لبناء خرابها. وقد اعتزَّت كثيرًا هذه المدينة بسطوتها وغناها وشهرة العابها. وسنة ٧٩ م في اوائل شهر تشرين الاول فاض عليها بركان الفيزوف فابتلعها وغرقت تحت رمادهِ وموادّهِ الزفتيَّة وهاج عليها البحر من جهة اخرى فغطاها برمالهِ الكثيفة. وكان حينئذٍ بلينيوس الشاب (Pline le Jeune) ابن اخي بلينيوس الشهير (Pline l'Ancien) واقفًا عن بعد ينظر هياج الجبل وغرق المدينة فكتب على شرح هذه الواقعة الهائلة تحارير ورسائل تفتت الاكباد وعدَّد ذلك اليوم الهائل باقوال تشيب الفتيان وكان عمهُ الفيلسوف وسط بومبايي فهلك مع من هلك ومن ذاك الحين لم يَعد يُسمع ذكر ولا خبر لهذه المدينة وضاع من فكر البشر موضعها وتاريخها

وفي سنة ١٧٥٠ م كشفت سكَّةُ احد الفلاحين بعض معابرها فتنبهت افكار الحكومة لذلك وباشرت كشفها. وقد بان منها الى الان جانب عظيم ويقدّرون ان الشغل بها يكمل بعد اربعين سنة. وقد اغنت آثارها متحف نابولي. واعجب ما رأيت هناك صورة تمثِّل حرب ستة اشخاص من رخام بكبر طبيعي يتبارزون بالاسلحة المختلفة ومنظرهم ووقفتهم تدهش العقول. ويُقتضى مجلدات عديدة لتعداد النقوش والتماثيل التي وجدت مضطجعة من اجيال في وسط هذه المدينة المنسيَّة

وفي بيوتها اكثر الادوات باقية على ما كانت عليها فترى المؤنة والاكسية والمفروشات كلّ في موضعهِ وجميع ذلك داثر. وفي بعض البيوت قِدر موضوعة فوق النار وفي بعضها عائلة جالسة على مائدة الطعام وهنا رجل على كرسي يقرأ كتابةً وهناك كاتب يتمشَّى امام طاولتهِ وفي هذا المنزل صبية تشتغل في نولها وفي ذاك اخرى يسامرها شاب لعلَّهُ خطيبها. وعلى مجاري المياه أقوام يلهون ويطربون ونساء ذهبنَ ليستقينَ فداهم الموتُ جميعهم. وترى الاسواق والشوارع على ما كانت عليهِ فاختنق ساكنوها وعابروها وهم يبيعون ويشترون وتشاهد كثيرًا من القتلى كانهم مستعدُّون للهرب ولكن الى اين يهربون ؟ وحينما ابتلعها الفيزوف كان معظم اهليها في محضر اللعب (تياترو) بين رقص

والاثاث في بيوتنا وانهدام الابنية والجدران وتقطُّع الجبال وظهور الشقوق والحفر في الارض وانطباقها على بعضها وارتفاع الارض وانحطاطها وغيض الينابيع في محالّ وفيضها في أُخرى

قال الطبري في وصف زلزلة سنة ٨٥٩ (٢٤٥هـ): «كانت في هذه السنة بانطاكية زلزلة ورجفة في شوّال قتلت خلقاً كثيرًا وسقطت منها الف وخمسمائة دار . . . وتقطَّع الجبل الأقرع وسقط في البحر فهاج . . . وارتفع منهُ دخان مظلم منتن وغار منها نهر على فرسخ لا يُدرى اين ذهب . . .»

والثانية ما يُسمع تحت الارض من دويّ شديد كهزيم الرعد او كجعجعة قطار حديدي ينهب الارض وما يُشاهد من الابخرة والغازات واللهيب والبرق وغيرها من العلائم الكهربائيَّة والاحداث الغريبة

وصف كمال الدين المعروف بابن العديم الزلزلة التي حدثت في البلاد الشاميَّة والجزيرة في تشرين سنة ١١٣٨ (٥٣٣ هـ) قال: « وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر حدثت زلزلة شديدة ثمَّ اتبعتها اخرى وتواصلت الزلازل فهرب الناس من حلب الى ظاهر البلد وخرجت الاحجار من الحيطان الى الطريق وسمع الناس دويًّا عظيماً وانقلبت مدينة الأثارب . . . » — وفي زلزال الاستانة الاخير سنة ١٨٩٣ وضعتُ اذني على الارض فسمعتُ دويًّا مدهشًا

وقد يُسمع دويّ تحت الارض ولا يحدث زلزال كما سُمع ذلك في اميركة اشهرًا والارض لم تهتزّ. وعليهِ لا يُجزم بوجوب وقوع الزلزال كلما سُمع دويّ تحت الارض لانَّ هنالك مغاور تجري فيها الغازات بشدَّة فيُسمع لجريانها ذلك الدويّ

وقد يُرى ايضاً لهيب صاعد من شقوق الارض فيحكم البعض بقرب حدوث زلزال او انفجار بركان ولا شيء من ذلك بل هو نتيجة احتكاك بعض المعادن كالهيدروجين والكبريت. وانما ينفجر البركان في الاراضي البركانيَّة الاصل فقط. واماَّ غيرها التي لم تحدث فيها براكين في البدء حينما كانت قشرتها رقيقةً فلا ينفجر فيها بركان بعد ان غلظت القشرة المذكورة وزادت صلابةً

علاماتها في البحر

واماَّ علاماتها في البحر فهي على ما في البرّ. يشعر راكب السفينة انَّ مطيَّتهُ البحريَّة

تأثيرها المعنوي

لا جرم انَّ الزلزال ادهش الحادثات الطبيعية واشدّها وقعاً في النفوس. قال هومبولد: « انَّ الزلزال يُلقي اليأس في قلب الانسان »

كيف لا واكثر اعتماد الانسان هو على الارض والدته الطبيعيَّة التي تُطعمهُ وتسقيهِ وتُكسيهِ وتدرّ لهُ الخيرات بانواعها. وعلى سطحها يسرح ويمرح. وفي جوفها يودع كلّ عزيزٍ من ولدٍ وابوين ونسيبٍ وحبيب واليها في آخر الامر يعود. فهي في الغالب مبدأ احلامه وغاية آماله

ألا ترى راكب البحار يتطلّع عند اشتداد الانواء الى الارض بشوقٍ عظيم. فاقلّ شارةٍ تُنبئ بقربها من السفينة تُنعش فؤادهُ وتحيي ميّت رجائهِ حتى اذا رآها عن بعدٍ هتف « الارضَ الارضَ » كما فعل رجال كولومبوس في البرّ الجديد. وعليهِ ما قولك في خوف اولئك البحّارين ويأسهم لو رأوا الارض تميد تحت اقدامهم حين وطئوها بعد ان قاسوا اشدّ المشاقّ وشاهدوا الموت اشكالًا وألواناً ؟ وليس هذا الحال مقصوراً على الانسان بل الحيوانات ايضاً تُذعر ابَان الزلزال وتُظهر دلائل الخوف والاضطراب

كثرة حدوثها

انَّ الارض التي نطأها بعيدة من ان تكون مثال الكانة وانموذج السكون. لا اريد بذلك حركتها اليوميَّة والسنويَّة بل اهتزاز طبقاتها على ما يعلم الجميع بقوَّة متفاوتة ووجهة متباينة يُدعى مجموع اهتزازاتها زلزالًا او حركة ارض وواحدتها هزَّة او رجفة

والهزَّات المذكورة تكون تارةً شديدة الوطأة وبيلة العاقبة وطوراً خفيفةً سليمة المغبَّة لا يُشعَر بها الّا بواسطة آلات دقيقة حتى انَّ البعض شبهها بقشعريرة الجسم البشري

على انَّ وقوع الزلازل في الارض اكثر ممَّا يُظنّ بادئ بدءٍ. فقد عدَّ احد المدقّقين ٤٦٢٠ زلزالًا حدث في الكرة الارضيَّة بين سنة ١٨٥٠و١٨٥٧. ويدَّعي الجيولوجيون ان ليسَ في الارض نقطة لا تتحرَّك وانَّ الزلزال متواصل الحدوث فيها. قال هومبولد الجيولوجي الشهير: « لو أُحصي عدد الزلازل بدقة وضبط لاتّضح انها تحدث كلَّ آن في الارض »

علاماتها في اليابسة

انَّ هذه العلامات قسمان: فوق الارض وتحتها. فالاولى ما نراهُ من تبعثر المفروشات

الوراء نحو مسافة ميل ثمَّ عاد بصدمة هائلة وغرَّق سفناً عديدةً والوفاً من الناس »

وفي زلزال اشبونة سنة ١٧٥٥ ارتدَّ البحر الى الوراء ثمَّ كرَّ على اليابسة وقد ارتفع ١٥ متراً عن سويته فصدمها صدمةً هائلة . وهجمت موجة على سواحل اسبانية فكنستها وقد بلغ علوّها في قادس ١٨ متراً وغمرت مدينة فونشال في جزيرة ماديرة وغارت على ساحل افريقية ١٨ مرة متوالية وهدمت مراكش وفاس ومكناسة وطنجة وامتدَّت الى كِنْسال في ايرلاندة حيث غمرت الارصفة . وفي الوقت ذاته ظهرت حركة خارقة في مياه بريطانية الداخليَّة فارتفعت بلا سبب ظاهري مياه بحيرة لومون في ايكوسا ٧٢ سنتيمتراً

وفي ٢٨ تشرين اول سنة ١٧٤٦ ابتعد الاوقيانوس عن الشاطئ في زلزال پيرو مرتين ثم عاد بشدّة عظيمة فدوَّخ كلَّ الساحل وتوغَّل في قلب البلاد فلم يُبقِ ولم يذر وكان حينئذٍ في مرفإ كالاو Callao ٢٣ سفينة فغرق منها ١٩ وحملت الامواج الاربعَ الأُخر الى مسافة شاسعة في البرّ وتركتها على شاهقٍ من سطح البحر . وفي شهر آب من سنة ١٨٦٨ تجاوزت البرَّ ايضاً هنالك موجة كبيرة فاهلكت ثلاثين الف نفس . واتذكَّر اني قرأتُ في بعض الجرائد منذ بضع سنين حادثةً مؤلمة كهذه جرت في سواحل اليابان

وقد يُرى هذا المدّ والجزر في السواحل البعيدة عن مركز الزلزلة . ففي زلزال اشبونة المارّ الذكر وقفت السفائن في ايرلاندة على الارض وهاج البحر وتلاطمت امواجهُ في سواحل اسوج واميركة وافريقية

والحادثتان المذكورتان اي ارتداد المياه الى الوراء وهجومها على البرّ لم ينتجا من تبدُّل في سطح البحر فانَّ سويّتهُ ثابتة ولم يطرأ عليها تغيُّر يذكر منذ الازمنة التاريخية بل هي الارض في حركاتها العموديَّة تنخفض تارةً تحت المياه وترتفع عنها أُخرى وتحقيق الامر سهل تُشاهد آثارهُ عقيب زلزلة من هذا القبيل . ترى هنا ارصفةً وسواحل غطَّتها المياه ومرافئَ انحطَّتْ ممَّا يدلّ على انخفاض سطح الارض وهناك صخورٌ بانت من تحت المياه وسبل بحريَّة تعذَّر سلوكها الآن على السفائن ومرافئُ ذات خطر بعد ان كانت امينةً الى غير ذلك من الاحوال التي تدلّ على ارتفاع سطح الارض

وقد تحدث هاتان الحركتان المتباينتان في محلّ واحد يُستشهد على وقوعهما بحوادث

صدمت الارض او ضربت القعر. ففي زلزال اشبونة الشهير سنة ١٧٥٥ ارتجت السفائن الموجودة في عرض البحر ارتجاجاً عظيماً حتى ظنّ ربّانوها انهم ضربوا صخراً ما او صدموا القعر فسبروا المياه وما كان اشدّ اندهاشهم لمّا وجدوها كثيرة العمق. وكانت الصدمة في بعض السفن شديدة حتى ان كثيرين من البحّارين فقدوا الموازنة فسقطوا واختلّت الابرة المغنطيسيّة

والمياه تكون على الغالب هادئة قليلة الاهتزاز وقد تهيج وتتلاطم وتزبد وتندفع تيّارًا عظيماً الى المحالّ البعيدة. فقد شوهد في القرن الماضي موجة ضخمة جرت من البحر الاسود فالبسفور فمرمرا الى البحر المتوسّط. وفي زلزال اشبونة المذكور احاط البلدةَ تيّار جسيم شوهد تأثيرهُ حتى في بحار الهند. وعليهِ فالامواج الضخمة التي تشاهد احيانًا في البحار اوقات الصحو هي امواج الزلازل الشديدة الخطر على السفائن

قال عبد اللطيف البغدادي في زلزال سنة ١٢٠٢ (٥٨٩ هـ): «وسمعنا انّ الزلزلة وصلت الى اخلاط ونحوها والى جزيرة قبرس وان البحر ارتطم وتموّج وتشوّهت مناظرهُ فانفرق في مواضع وصارت فرقهُ كالاطواد وعادت المراكب على الارض وقذف سمكًا كثيرًا على ساحله»

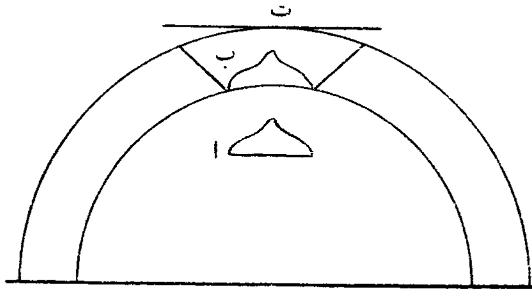
وقد يهيج البحر وتأخذهُ سورة الغضب فينسى الحدود التي رسمتها لهُ يد الطبيعة فيخرج من غورهِ ويهجم على اليابسة. وقد ينعكس الامر فيغادر مهدهُ ويرجع القهقرى. وتتوالى في الغالب هاتان الحادثتان فتنسحب المياه الى الوراء ثم تعود وربّما تتجاوز في عودتها الساحلَ وتغمر الاراضي المجاورة كلكَن مملوء ماء اذا هُزَّ يتجمّع الماء في وسطهِ ثمَّ يهجم على جوانبهِ ويتدفق منهُ. فقد اخبر استرابون الجغرافيّ الروميّ في اثناء ما ذكرهُ عن المعركة التي جرت في سنة ١٤٣ قبل المسيح بين اهل عكّة والقائد سَرْپيدون «انهُ لمّا انتهى الامر وركن جنود سرْپيدون الى الفرار جاشت مياه البحر بين عكّة وصور وتصاعدت المياه كما يحدث عند المدّ وأَغرقت من فرّ هاربًا. ولمّا جزر البحر وُجدت جثثهم على سيف البحر مختلطةً بالاسماك الميّتة»

وذكر حضرة الاب هنري لامنس في المشرق (٢: ٩٧٢) الزلزلة الهائلة التي دهمت فينيقية سنة ٥٥١ قال: «وقد اهتزَّ آنئذٍ كلّ الساحل من جزيرة ارواد حتى صور اهتزازًا شديدًا امّا بيروت فكان لها في هذا المصاب السهم الاوفر. قيل انَّ البحر فيها ارتدَّ الى

تقسيمها

تقسم الزلازل بالنظر الى اسبابها الى قسمين: بركانيَّة وغير بركانيَّة. فالبركانيَّة ما حدثت بجانب البراكين الهائجة او الساكنة. وعليهِ فلا يُدعى زلزال بيروت مثلًا بركانيًا كما لو حدث بقرب جبلَي ڤيزوف واتنا او في فلسطين على ما سيأتي ذكرهُ. والغير بركانيَّة ايضًا قسمان: منها ما حدثت بانهدام قطعة ارض ما فدُعيت لذلك انهداميَّة. ومنها ما نتجت عن اهتزاز الطبقات الارضية فدُعيت زلزلة بنائيَّة. ودونك مثالًا يُظهر كيفيَّة حدوث الاولى:

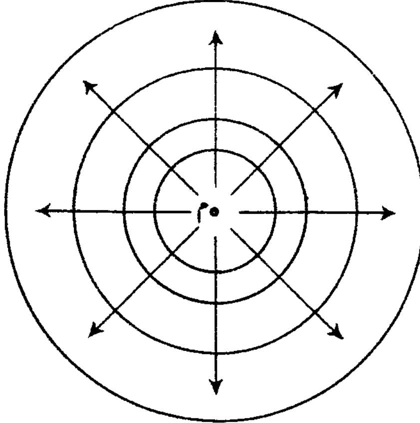
لنفرض ان الشكل د رسم قوس في اعلاهُ حجر ب فاذا سقط من هذا الحجر بغتةً قسم ا اهتزَّ القوس وشعر القائم في مكان ت بالرجفة. واذا سقط الحجر ب كله سقط ايضًا معهُ ما فوقهُ



الشكل د

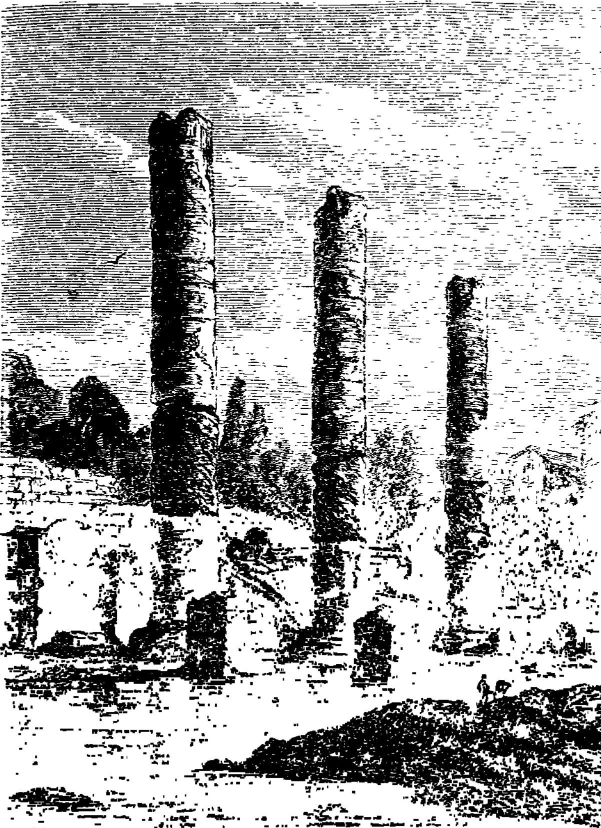
على انَّ في باطن الارض مغاور كثيرة فاذا سقط فيها قسم من الارض التي فوقها تهتزّ وتتزلزل بالنسبة الى كبر القطعة الساقطة وصغرها واذا سقطت القطعة بكاملها يقولون انخسفت الارض كما جرى ذلك منذ عشر سنوات في جهات ارضروم حيث انحطَّت الارض ١٥ مترًا

ذكر عبد اللطيف البغدادي نسخة كتاب ورد من دمشق جاء فيهِ بعض تفاصيل زلزلة سنة ١٢٠٢ (٥٩٨هـ) قال الكاتب: «... واما بيت جنّ فلم يبقَ منهُ ولا اساس الجدران الَّا وقد اتى عليهِ الخسف. وكذلك اكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف



الشكل ج

كثيرة منها هيكل سراپيس المشهور فانَّ لهذه البناية القديمة ثلاثة اعمدة لم تزل منتصبةً حتى يومنا هذا وهي منحوتة من حجر رخام واحد وعلوّ كلّ منها تقريباً ١٣ مترًا. فاذا نظرت اليها تراها من قاعدتها الى ارتفاع ٣ امتار و ٦٠ سنتيمترًا سالمةً ومن هذا الحد الى علوّ مترين و٧٥ سنتيمترًا نخرة كثيرة النخاريب واماَّ القسم الفوقاني فسالم ايضاً كما ترى في رسم الهيكل المذكور



تأثير الزلزلة في هيكل سيراپيس

فاذا فتَّشنا عن سبب هذا الامر رأيناهُ فيما طرأ على سطح الارض هنالك من انخفاض وارتفاع وبيان ذلك انَّ الهيكل بُني اساسهُ بمأمن عن المياه اذ لا يخطر ببال احد بناؤُهُ على البحر. فحدثت زلزلةٌ شديدة انخسف الشاطئ من جرَّائها مقدار سبعة امتار فغمرتهُ المياه وبقي كذلك زمناً طويلًا معرَّضاً لحيوانات البحر فانثلم قسمهُ الوسطي. واماَّ قاعدتهُ الى علوّ ثلاثة امتار و ٦٠ سنتيمترًا فحفظها من الحيوانات المذكورة الردمُ الذي تراكم حولها لكنَّ القسم الاعلى بقي فوق الماء فلم يصبهُ اذى

ثمَّ وقعت زلزلة مباينة للاولى فارتفع معها الهيكل وعاد على وجه التقريب الى مقامهِ الاول

وتغيّر سطح الارض تغيُّرًا مهمًا وخربت ٣٠٠ مدينة او قرية وهلك اربعون الف نفس

والافقيَّة ما كانت جانبيَّةً. وهي اكثر وقوعًا من الاولى لكنَّها اخفّ وطأةً واقلّ ضررًا. فاذا كانت ذات مراكز متعدّدة تُسمَّى موجيَّة لتموّج حركتها وتموّج سطوح المائعات كما جرى ذلك سنة ١٨١٠ في قاراقاس عاصمة فنزويلا حيث مادت الارض وتموَّجت كأنَّها الماء المغلي

ذكر كمال الدين الآنف الذكر تموُّج ارض حلب في زلزال سنة ١١٣٨ (٥٣٣ ه) قال: «.. وشُوهدت الارض تموج والاحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال..» وقد تموّجت الارض في زلزال قلبريَّة تموُّج مياه البحر اثناء الرياح العاصفة فأصاب الناس دواخ اشبه بدوار البحر

وقد ثبت وقوع هذه الحركات التموُّجيَّة بما شوهد من تمايل الابنية ووجهة شقوق الحيطان وانحراف صفوف الاشجار المغروسة على خطّ مستقيم. واماَّ الزلزلة المستديرة فنادرة الوقوع والحمد لله لما تحتها من الاضرار الجسيمة

تأثيرها في باطن الارض

لاحظ البعض ان قوَّة الزلزال تضعف كلّما تُوغل في باطن الارض فلا يُشعر بهِ في في اعماق الآبار مثلاً كما جرى ذلك لكثير من المعدّنين. وما هذا بالامر العجيب الغريب بل هي مسئلة بسيطة يعرفها من لهُ المام بالفلسفة الطبيعيَّة اليك بيان وقوعها كما في الشكل «ل». وهي ان يؤخذ محور افقي يُعلّق فيهِ بواسطة خيوط بضع كُرَيَّات وتُفرد منها واحدة او اثنتان وتُلقيان على الباقيات فتنفرد من الجهة المقابلة واحدة او اثنتان واماَّ الكُرَيَّات الموجودة في الوسط فلا تتحرَّك. فاذا قابلنا بين هذه التجربة وفعل الزلزال في طبقات الارض انكشف لنا السرّ وانجلى الامر. فاذا فرضنا مركز الزلزال في نقطة «ا» كما في الشكل «ع» نرى الاهتزازات تنتشر من النقطة المذكورة فالدال فالجيم والهاء وتنتهي في الباء حيث تمسّ سطح الارض فتزلزلها. لكن النقاط د ج ه ثابتة صماء لا تتحرَّك كما شاهدنا ذلك في تجربة الكرَيَّات. فتكون النقطة «ب» سطح مركز الزلزال وعليها تُشعر الهزّات الابتدائيَّة. فهذا ولا شك سبب الشعور بشدَّة الزلزال في اعالي المنازل اكثر من اسفلها

لبلدٍ منها موضع يقال فيهِ: هذه القرية الفلانية. ويقال انَّ عكة سقط اكثرها وصور ثلثها وعرقة خُسف بها وكذلك صافيتا...»

قال المؤرّخ تاوفان في حوادث سنة ٥٤٣ التي وقعت فيها زلزلة هائلة: « انَّ رأس شكَّة الذي موقعهُ بين البترون وطرابلس زُجّ في البحر وصار في مكانهِ خورٌ واسع ولم تَعد الطريق المارَّة في شمالي هذا الرأس مسلوكةً وصار الساحل على هيئة صخور منتصبة عموديًا تعلو سطح البحر »

امَّا الزلزلة البنائيَّة فهي ما نتجت عن اختلال موازنة الطبقات الارضيَّة وهي كثيرة الحدوث الَّا انها قليلة الوسعة قريبة المركز من سطح الارض تمثِل صورة وقوعها بالشكل ج (ص ٤٦٩)

اولًا ليكن معلومًا انَّ في باطن الاراضي المتزلزلة محلًّا قليل المساحة تشتدّ فيهِ الهزّات ويُدعى مركز الزلزال ومنهُ تنتشر الاهتزازات وتتشعَّب كما في هذا الشكل. فلو كان مركز الزلزال والحالة هذه في مركز الكرة الارضيَّة لَشعر بهزَّاتهِ في كلّ نقاط الارض. فيتبيَّن من ثمَّ انَّ نقطة الحركة كلما كانت قريبةً من مركز الارض تكون تأثيراتها الجيولوجيَّة بالنسبة اقوى وهزَّاتها اشدّ. ولكنَّها تضعف كلَّما ابتعد مركزها عن مركز الارض

واذا وُضعت علامات على النقاط الاكثر تزلزلًا ورُبطت بخطّ موهوم تُدعى حينئذٍ الاراضي الموجودة داخل هذا الخط « سطح مركز الزلزال » ويكون هذا السطح غالبًا على شكل القطع الناقص

وقد لا يُشعر في بعض نقاط السطح المذكور بشيء من الاهتزازات فتدعى: « النقاط الصمّ »

انواعها

للزلازل انواع تمتاز عن بعضها بتباين وجهتها. اشهرها اربعة: العموديَّة او الرأسيَّة والافقيَّة والموجيَّة والمستديرة

فالعموديَّة او الرأسيَّة ما اهتزَّت فيها الارض من تحت الى فوق فترتفع ثمَّ تنحطّ فيُخال انَّ القوّات الداخليَّة تندفع الى الخارج بصدمة هائلة كمعدن يلتهب في بطن الارض فيشقّ سطحها ويتطاير شررًا. فقد انقذفتْ صُعُدًا بيوت برمَّتها سنة ١٧٨٣ في زلزال قلَبريَة من اعمال جنوبي غربي ايطالية. وسقطت هنالك بعض قمم الجبال

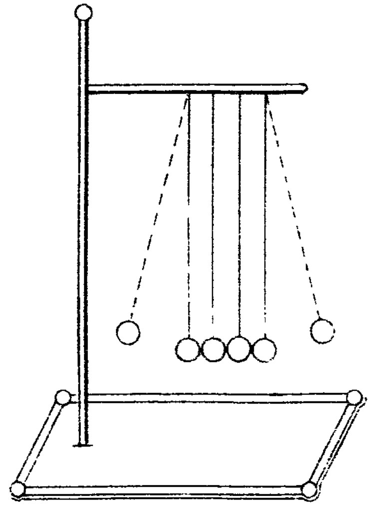
مطبوعات شرقية جديدة

Catalogue de la Bibl. Khédiviale
Section Européenne — Orient.
par le Dr B. Moritz, pp, 557, *le Caire*, 1899
قائمة المطبوعات الشرقيّة المصونة في الكتبخانة الخديويّة

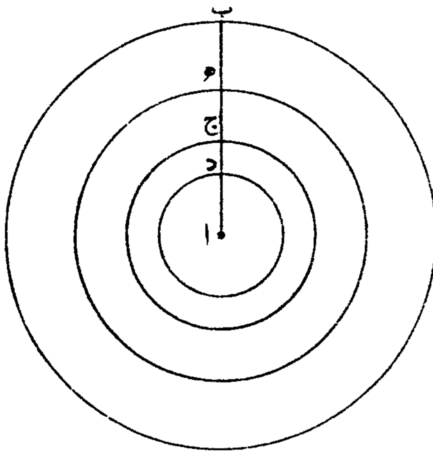
قد اثنينا مرارًا على همّة المستشرقين الذين ينشرون قوائم مدقّقة للكتبخانات الشرقيّة المصونة في عواصم اوربّة . وقد اقتفى آثارهم في ذلك اصحاب المكتبة الخديويّة فنشروا بالطبع قبل بضع سنين في سبعة اجزاء قائمة المخطوطات الشرقيّة التي جمعتها الحكومة المصريّة . لكنّ خزانة الكتب الخديويّة اغنى من ذلك فانّ فيها نحوًا من خمسة آلاف كتاب آخر سعى في تأليفها المستشرقون الاوربيون في دول شتى . وهذه المطبوعات لم تدوَّن الى اليوم اسماؤها ومضامينها فقام بهذا العمل المفيد الدكتور ب . موريس ناظر الكتبخانة حاليًّا . ومعلوم ما يقتضي الإقدام على مثل هذا المشروع من الجدّ والنصب فاكتسب المؤلف بهذا العمل شكر كلّ من ينتفع بمطالعة الكتبخانة المذكورة . وقد اعجبنا تقسيم الكتاب الى فصولٍ شتى قريبة المنال مع الفهرس المطوّل لاسماء المؤلفين الذين ورد ذكرهم في هذه القائمة

Publications de l'École des Langues Vivantes
تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان
Texte arabe édité par O. Houdas, *Paris*, 1899, pp. 227

كان المعلم الفاضل هوداس مدرّس اللغات الشرقيّة في باريس نشر قبل سنتين تاريخ السودان لعبد الرحمان بن عبد الله بن عمران السعديّ . فاصاب عملهُ حظوى لدى العلماء لاستلفات بلاد السودان انظار الدول في عهدنا . فاحبَّ ان يردف هذا الكتاب بتأليف آخر من جنسهِ وهو « تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان ». وهو يتضمّن تراجم ثمانية وتسعين ملكًا من ملوك السودان نظّمها صاحبها في احد عشر بابًا . امّا مؤلف الكتاب فكان في المئة الثانية عشر للهجرة ولم يُذكر اسمهُ ولتآليفهِ شأن كبير لانهُ يصف اخبار اوطانهِ ويترجم سير اهل زمانهِ بيد انّهُ ركيك العبارة . وفي ختام الكتاب نبذة في تاريخ بلاد سَكَتْ وجدها المسيو هوداس في مكتبة باريس العموميّة فألحقها بهذا التأليف



الشكل ل



الشكل ع

انتشارها

قلنا انَّ لكلّ زلزال مركزًا في باطن الارض تشتدّ فيهِ الصدمات ومنهُ تنتشر الاهتزازات على طريقة تموُّج المائعات. فقد توفّق الجيولوجيون الى تعيين شروط انتقال الهزَّات وانتشارها في بعض الزلازل على وجه التقريب. فمن تحليل هذه الشروط عيَّنوا بالحساب مركز الحركة وبعبارة اخرى نقطة الزلزال الابتدائيـة. فوجدوا انَّ عمقها لا يتجاوز ثلاثين كيلومترًا ولا يبلغ ٤٨ كيلومترًا الَّا نادرًا. وعرفوا ان الهزَّة التموُّجيَّة لا تكون في الغالب مستديرة اي لا تنتقل بسرعة واحدة الى اطراف مركز الحركة كما يظهر لاول وهلة من الشكل ع. فقد يحول دون ذلك اختلاف الموادّ التي تتركَّب منها الارض والموانع الموجودة في طريقها كالحفر والمغاور وسلاسل الجبال.. الخ

فقد شاهد العلماء من قديم انَّ الهزَّات الارضيَّة وخصوصًا البنائيَّة منهـا تتَّبع خطوط الجبال والحُفر بدلًا من ان تتجاوزها. فقد كانت جبال الابنين في زلازل ١٧٨٣ و ١٧٨٦ الكبيرة واقيًا منيعًا لأيالات ايطالية الشرقية بينما عِبْر الجبـال المذكورة الغربي تزلزل زلزالًا شديدًا. وجبال الأَند ايضًا سدّ طبيعيّ قلَّما تتجـاوزهُ الزلازل الناشئة في الجهة الغربيَّة من جنوبي اميركة. وفي زلزال اسبانية الاخير انتشرت الهزَّات موازيةً لجبال تلك البلاد

(ستأتي البقية)

والكنز (ص٣٧٣) ومنها اقاصيص مختلقة كقصَّة الفتاة (ص٢٥٧) . هذا وان كثيرًا من الاعلام التي ذكر المعرب اصلها الاعجمي مغلوطة نحو Ccutari (Scutari) و Mauri-ces (Maurice) و Sabrice (?) و NiséPhore (Nicéphore) و Charle-les Bsorromés (Charles Borromée) الخ . ونتمنى للكتابين قبولًا ورواجًا

كتاب الجلاء المسيحي

لسيادة المونسنيور اوجانيوس كوليه

ترجمهُ من الافرنسية الى العربيَّة الخوري يوحنَّا رزق الماروني

هذا الكتاب في اصلهِ تعليم موسَّع للعقائد النصرانيَّة او بالحري خلاصة لاهوتية صنَّفها نائب رئيس اساقفة ريمس لشبَّان العصر ليثبت لهم بالبرهان صحَّة اسرار الديانة الكاثوليكيَّة ويردَّ على حجج المعترضين ويبيّن ما من الائتلاف والوفاق بين الدين والعلوم المستحدثة وانَّ الاكتشافات الجديدة زادت ايماننا ثباتًا فضلًا من ان تقوّض اركانهُ . فنثني على همَّة حضرة الخوري يوحنَّا رزق رئيس مدرسة القديس يوسف في جزّين لتعريبهِ الجزء الاول من هذا الكتاب المفيد

كتاب الدرّ المكنون في جميع انواع الصنائع والفنون

جمعهُ فؤاد سمعان الخازن . (مطبعة الارز ١٩٠٠ صفحاته ٤٦)

هو الجزء الاول من كتيّب جمع فيهِ صاحبهُ نحو مئة فائدة صناعية نقلًا عن المجلات والكتب الآتي ذكرها : الطبيب والمقتطف وتقويم البشير ومجلة المشرق وكتاب الدرّ المكنون في الصنائع والفنون وكيميا بيرون الفرنسوي ل . ش

هدايا أُرسلت الى إِدارة المشرق

١ قوانين اخويَّة القديس لويس غونزاغا الغزيريَّة

٢ رسالة رعائية لسيادة المطران بولس بصبوص رئيس اساقفة صيداء للموارنة

٣ البعثة النمسويَّة الى اليمن Die Südarabische Expedition... dar-gestellt von Dr C. Graf Landberg

٤ مرثية المعلم الفاضل واللغوي الشهير سعيد افندي الشرتوني لكبير آل طرازي الكنت انطون المتوفى حديثًا في حادثة تحطُّم التربيليَّة سهام

Inscriptions Juives de K'ai-fong-fou
par le P. Jérôme Tobar, *Chang-hai* 1900, *pp*. 112
كتابات ليهود مدينة كَيفنغ فو في الصين

سبق لنا في المشرق (١: ٤٧٦) ذكر المطبوعات الصينيَّة التي يهتمّ بنشرها الآباء اليسوعيّون في المطبعة التي انشأُوها في شنغاي من اعمال الصين. واليوم قد اتانا الجزء السابع عشر من مجموعهم المعنون بالمنشورات الصينيَّة (Variétés Sinologiques) وهو يحتوي ابحاثاً غاية في الاهمّية عن تاريخ اليهود في بلاد الصين مع ذكر ما وُجد من الكتابات الصينيَّة في كنيسٍ قديم في مدينة كَيْفُنْغ فو. وهذه الكتابات اول من وقف عليها ونشرها الاباء اليسوعيُّون قبل مئتي سنة فاعاد النظر فيها الاب توبار في هذا العام وشرحها شرحاً وافياً واصلح اشياء كثيرة كان وَهم فيها علماء العاديّات الصينيَّة. ومن يتصفَّح هذا الكتاب وما اودعهُ مؤلّفهُ من الفوائد التاريخيَّة والمعارف اللغويَّة يصادق ولا شكّ على الثناء الذي نالهُ صاحبهُ من اصحاب المجلات العلميَّة

١ً الدرّ المنتقى لجيد ذوي التقى

٢ً سعادة المغرم في عبادة البتول مريم (تأملات للشهر المريمي)

عرَّبهما حضرة الاب الجليل الفاضل القس افرام الديراني احد مدبري الرهبانية المارونية

يسرُّنا ان تتوفَّر في اقطارنا الكتب الروحية. وحضرة الاب الفاضل القس افرام الديراني ممَّن يسعون وراء هذه الغاية المحمودة. وممَّا يدلُّ على همَّتهِ ونشاطهِ انَّهُ عرَّب وطبع في وقت واحد في بيروت وبعبدا كتابين من هذا الصنف يحتوي الاول حكايات تقويَّة كاخبار الرهبان والنسَّاك والثاني على تأملات روحيَّة تتلى مساء كلّ يوم من شهر ايار المخصص باكرام البتول. هذا ومع اقرارنا بفضل المترجم نقول اننا وجدنا في ثاني الكتابين اموراً استغربناها لا نعلم أهي من الاصل الفرنسوي او من سوء ترتيب الحروف او من النقل العربي كذكر مدينة « اوكسنك Oxinque » (٢: ٣٩٥) ولعلَّهُ يريد اوكسيرنكس Oxyrryhncus وهي مدينة البهنساء وكذكر موريس (?) بطريرك القسطنطينية (ص ٢٢٩) والكاهن الشهيد يوستينوس بدلًا من لوسيانوس (ص ٢٠٨). وكنسبة الحرب الوارد ذكرها في ص ٤٦—٥٣ الى الهراطقة اصحاب الاصلاح الموهوم. وقد وجدنا في بعض الروايات ما يُشتمّ منهُ رائحة الخرافات كقصة قسطنطين

لآدابهِ. وقال في نفسهِ: ما هذا الّا من آل العلم وارباب‌هِ. ثم دعاهُ الى مجالستهِ. واخذ في مكالمتهِ ومؤانستهِ. وفيما هما يتجاذبان أطراف الحديث. استنسب الفقيه صديقهُ الحديث. فاجاب: لستُ ممَّن يفاخرون بالانساب. ويتكلَّمون على شرف الاحساب. بل انما دأبي خدمة الفقهاء والحكماء. ومجالسة الكتَّاب والعلماء. شغفتُ بالعلم فجبتُ لاجلهِ الآفاق. وانتذرت على نفسي تطلُّب الحقائق فازدريت بما سواها من لامعٍ برَّاق. لي اخ حذا حذوي فاصاب بذلك فلاحاً. وزرع في جنة آمالهِ حب النشاط فجنى منهُ تقدُّماً ونجاحاً. « كلانا رُباعيُّ الاسم. امَّا انا فاسمي في حساب الجمَّل يعـدل قوَّةً من قوَّات خُمس ثالثي دليلُها مكعَّب اوَّلي وواحد. وفضل اسم اخي على اسمي يعدل خُمس اسم اخي. ولو ضُرب هذا الفضل باسمي لحصل قوة من قوّات خُمس ثالثي دليلها القوَّة الرابعـة لاولي. ثمَّ ان اول اخي يعدل نصف اوَّلي واربعـة أمثال ثالثي الّا واحداً. ونسبة اوَّلي الى اوَّلهِ كثالثي الى ثالثهِ. وثانيَّ الى ثانيهِ الذي يعدل مربَّع نصف ثالثي في مجموع اوَّلي وثالثي كنسبة ربع اوَّلهِ الى ثالثي » وكلٌّ ذلك. لا يخفى على امثالك. فبالاشارة والتلميح غنًى عن التصريح. والسلام

كيف تحلّ هذه المسألة الدليلية بمبادئ الجبر الاعتياديَّة

﴿ جوابان على شرح الباء العامّيَّة في المضارع ﴾ ورد علينا رأيان جديدان في شرح الباء العامّيَّة في المضارع. الاوَّل لجناب المسيو يوسف كرولّا كنشليار قنصليَّة ايطالية وللاب خليل اده اليسوعي. وهو انَّ الباء متعلِّقة بمحذوف كثيرًا ما يظهر وهو « عمَّال » فيقولون « عمَّال باكتب » اي انا عامل بالكتابة. والرأي الثاني لحضرة الخوري الياس زيادة احد اساتذة مدرسة مار يوحنَّا مارون وهو انَّ الباء مقطوعة من فعل « بدأ » فيكون معنى « باكتب » ابدأ اكتب ل. ش

أسئلة وأجوبة

س سُئل صاحب الضياء (٢ : ٣٤١) عن معنى « كسيم » الواردة في الجزء الخامس من كتاب الف ليلة وليلة للآباء اليسوعيين. فكان جوابهُ ما يأتي: « امَّا لفظة الكسيم فلا نعلم المراد بها ولم نرَها في شيء ممَّا وقفنا عليهِ. فلعلَّها اعجميَّة او محرَّفة »

شَذَرَاتٌ

مؤتمر الآثار النصرانيَّة في رومية عُقد هذا المؤتمر في ثاني يوم عيد الفصح ١٧ نيسان وانتهى في ٢٥ منهُ وقد اتتنا الجرائد بالتفاصيل عمَّا دار فيهِ من الابحاث المهمة التي اشترك فيها عدد كبير من علماء العاديَّات وممَّن ناب عن الشرق حضرة الاب لكرنج الدومينيكيّ وحضرة الاب جرمر دوران الصعودي ولكليهما الباع الطولى في معرفة الاراضي المقدَّسة ومآثرها القديمة. وسوف تُنشر بالطبع اعمال هذا المؤتمر فاذا ما اطَّلعنا عليها افدنا قرّاءنا عن مضمونها

مجتمع طبي في ٢٦ و ٢٧ من الشهر الحالي يعقد اساتذة مكتبنا الطبي مع الدكاترة المتخرّجين فيهِ سابقًا مجتمعًا طبيًا يتفاوضون فيهِ عن بعض القضايا العلميَّة المنوطة بفنّ الطب في بلادنا وقد وقفنا على شيء من الابحاث التي ينوون الخوض فيها فاذا هي كلها جديرة بالاعتبار

اكتشاف كتابة مصريَّة قديمة قد اكتشف المسيو لوغرين (Legrain) في هيكل الاله فتاح المجاور لهيكل كرنك كتابةً يرتقي عهدها الى الملك تحوتمس الثالث من الدولة الثامنة عشرة (راجع المشرق ١: ٥٨٠ و ٨٨١) ومُفادها انَّ الفرعون المذكور قد رمَّم هذا الهيكل بعد فتحهِ لسوريَّة شكرًا للاله فتاح

شهادة تاودوريطس في يعقوب اخي الرب قرأنا في تاودوريطس احد معاصري القديس يوحنا فم الذهب شهادة في انّ يعقوب اخا الرب ليس ابنًا للقديس يوسف وان يوسف لم يكن مزوَّجًا قبل اقترانهِ بالعذراء قال في شرح الفصل الاوَّل لرسالة القديس بولس لاهل غلطة (العدد ١٨): «وكان يعقوب يُدعى اخا الرب ولكن لم يكن اخاهُ بالطبيعة. كما انَّهُ لم يكن ابن يوسف من زيجة سابقة كما زعم البعض بل كان ابنًا لكلاوفا وابن خالة الرب»

(Οὔτε μὴν ὥς τινες ὑπειλήφασι τοῦ Ἰωσὴφ υἱὸς ἐτύγχανεν ὤν, ἐκ προτέρων γάμων γενόμενος, ἀλλὰ τοῦ Κλωπᾶ μὲν ἦν υἱὸς, τοῦ δὲ Κυρίου ἀνεψιός)

فكاهة رياضيَّة لحضرة الاب الفاضل الخوري جبرائيل رزق مرهج

وفد زائر اديب على فقيه لبيب. فحيَّاهُ بالسلام. وقام بين يديهِ باحتشام. فعجب الفقيه

تاريخ عمر الثاني واصل لفظة ziggourat

ج نجيب على (الاول) ان التاريخ المذكور نبــذة من كتاب قديم لا يُعرف مؤلفهُ عنوانهُ «العيون والحدائق في اخبار الحقائق» طُبعت في لَيدن سنة ١٨٦٥ . اما الشاهد المطلوب عن لغة الانباط فقد ورد في الصفحة ٣٢ :

« اقبل مسلمة والعباس في الجيش حتَّى نزلا النُّخيلة من ارض الكوفة فقال مسلمة : ليت هذا المرونى (ويُروى المروزى) لا تكلّفنا اتباعهُ في هذا البرد . فقال حسان النبطي مولى بني شيبان : انا اضمن لك ان يزيد لا يَبْرَحْ الأَرْصَةَ يريد لا يبرح العرصة . فقال العبَّاس : لا امَّ لك انت بالنبطيَّة ابصر منك بهذا . فقال حسَّان : انبط الله وجهك اشقر اهمر ليس أَلَيْه طابئ الخلافة يريد احمر ليس عليهِ طابع الخلافة . فقال مسلمة : يا با سفين لا يهولنَّك قول ابي العبَّاس . فقال حسَّان : انَّهُ اهمق لا يارف يريد احمق لا يعرف...»

ونجيب على (الثاني) اننا لم نجد في المعاجم الكبرى هذه اللفظة . والارجح عندنا انها مشتقَّة من السريانيَّة ܙܓܘܪܐ لعلهُ يُراد بهــا الحرز والتميمة كانَّ القدماء بنوا هذه الهياكل كاحراز يتَّقون بها الشرَّ

س وسأَل حضرة الاخ مبــارك ثابت اللبناني : ١ً لماذا تيبس شجرة الصنوبر اذا نُزع عنها ورقها بخلاف بقيَّة الشجر . ٢ً كيف يمكن العنكبوت ان تمدّ خيطها في الهواء فتستند اليهِ ألعلَّها تطير ؟

الصنوبر وورقهُ

ج نجيب على الاول انَّ السنوبر يتنفَّس من ورقهِ فاذا نُزع عنهُ الورق تمامًا يبس كالحيوان اذا سُدَّت سوامّهُ ومنافسهُ . وهذا عامٌ في الشجر ولعلَّ ذلك يظهر في الصنوبر اكثر من غيرهِ

العنكبوت ونسيجها

نجيب على الثاني انَّ العنكبوت اذا مدَّت خيطها قفزت معهُ واستندت اليهِ وهو يحملها لخفَّتها ومتانة الخيط . وللخيط سندٌ في الهواء يمكّنها من تتميم حركاتها ل . ش

(المشرق) لدينــا عدَّة اسئلة عن موادّ لاهوتيَّة وكتابية نشرحها ان شاء الله قريبًا في مقالة منفردة

اصلاح غلط = ص ٣٥٩ س ٢ « السيد فرنسيس الشمالي » والصواب « السيد جرمانوس » ص ٣٩٩ س ٢٦ « مات هذا المولود طفلًا بعد سنتين » والصواب : « انهُ مات سنة ١٨٣٢ وعمرهُ ٢١ سنة »

معنى لفظة كسيم

ج ان المراد بلفظة كسيم ظاهر من سياق العبارة اي انهـا بمعنى الخراج والاتاوة والضرائب كما يتحصَّل ذلك من تتمَّة الحكاية . واماَّ اصل اللفظة فعبرانيَّة محرَّفة وهي فيها « مكسيم » מכסים ويقابلها حرفيًّا بالعربيَّة « المكوس » جمع مكس . وعليهِ فلفظة كسيم قد أُسقط منها الميم . اماَّ جهلاً من الناسخ الاول . واماَّ تعمُّداً لحملها على وزن عربيّ وقد جوَّزهُ العرب كما ذكرنا امثلة على ذلك في مواضع شتى في المشرق (الاب انستاس)

س وسأَل من البرازيل جنـاب الاديب يوسف ضاهر ما هو اصل عادة بعض الشعوب كاهل البرازيل ولبنان في ضرب التنك وعمل الضوضاء عند خسوف القمر

اصل عادة بعض الشعوب في عمل الضوضاء عند خسوف القمر

ج اصل هذه العادة من خرافات بعض الامم غير المتمدّنة الذين استغربوا هذا الظاهر الجويّ في سالف الاعصار فتأَوَّلوا لهُ التآويل الشتى منها ان تنّينًا يحاول ابتلاع القمر فظنُّوا انهم بجلبتهم يهوّلونهُ ويردُّونهُ عن فعلهِ . وقد بقيت آثار هذه العـادة الى يومنا في بعض البلاد عند الجهَّال وكان الاولى بهم ان يحيدوا عن مثل هذه العادات الذميمة

س سأَلنا احد افاضل الكهنة الموارنة في حلب ما هو معنى « سيَّد » باليـاء المشدَّدة المفتوحة وهل تأْتي بمعنى الكلب

معنى السِّيَّد

ج السِّيَّد بكسر الاول وتشديد المثنَّاة مع فتحها التَّيس وقيل المُسنّ من المعز . كذا وردت في التاج عن ابي عليّ . ويجوز فيها سَيِّد على مثال كيِّس

س وسأَلنـا احد ادباء بغداد: ١ً ما هو « تاريخ خلافة عمر الثاني » الذي استشهد بهِ العلامة دي خوي (Goeje) في كتاب فتوح البلدان للبلاذريّ (ص 66) حيث اتى بشاهد على لغة الانباط . ٢ً ما اصل اللفظة الفرنسيَّة « ziggourat » الوارد في كتب الفرنج عنـد كلامهم عن البروج ذات السبع طباق المقامة للسيارات السبع عند الاقدمين

المشرق

مدرسة عين طورا

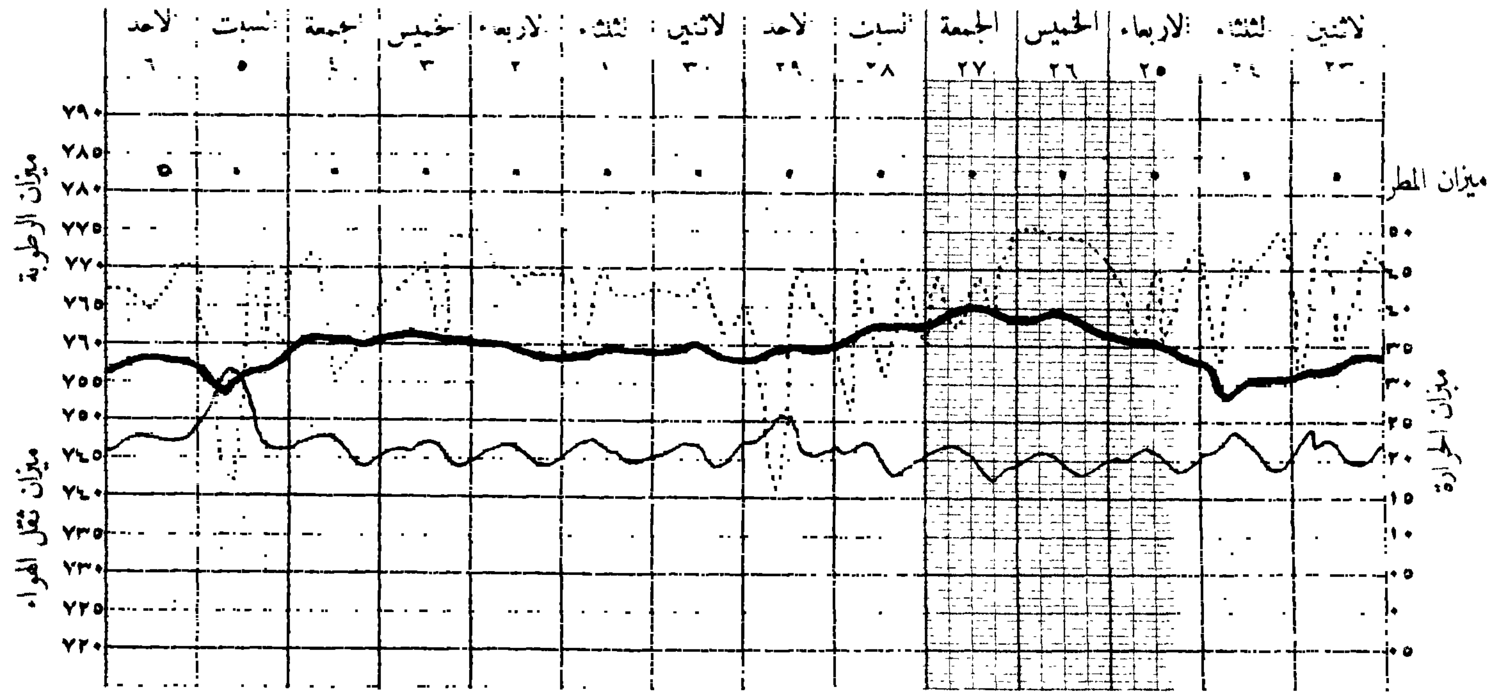
نبذة تاريخية في اصلها لاحد افاضل الاباء العازريّين

١

عين طورا لفظة مشتقَّة من السريانية « ܥܝܢ ܛܘܪܐ » معناها عين الجبل . وهي اسمٌ لقرية في كسروان موقعها بين هضاب جميلة المنظر تكلّلها اشجار الصنوبر الباسقة تبعد عن البحر نحو ساعة شرقاً وعن بكركي مقام البطريركية المارونية الجليلة نحو نصف ساعة جنوبًا . وفيها عينٌ عَذبَ ماؤُها وسلس حتى سُمِّيت بعين الجبل ومنها اخذت اسمها كما مرَّ بك . تربتها مخصبة وهواؤُها طيِّب . واغراسها التوت والزيتون وبعض الاشجار المثمرة كالبرتقان والتين والمشمش واللوز والاجَّاص والتفاح وغيرها . وعدد سكَّانها يبلغ المائتين تقريباً . وفيها تلك المدرسة الشهيرة العريقة بالقدم ألا وهي مدرسة عين طورا التي يدير شؤونها كهنة جمعيَّة الرسالة المعروفة باللعازريين منذ نحو سبعين سنة . والتي خرج منها عددٌ ليس بقليل من مشاهير الرجال الذين خدموا الدين والعلم والوطن احسن خدمة وسنأتي فيما بعد بذكر اسماء الاكثر شهرةً منهم . فعلى هذه المدرسة اذًا يكون مدار كلامنا هنا فنقول :

ان مدرسة عين طورا هذه كانت باديءَ بدءٍ ديرًا للآباء اليسوعيين الافاضل بناهُ سنة ١٦٥٢ الاب لَمبِرْت (Lambert) اليسوعي والشيخ ابو نوفل الخازن الذي كان حاكمًا وقتئذٍ على تلك النواحي . فالاب لمبرت هذا كان اصلهُ من مدينة مرسيلية وكان قبل انتظامهِ في سلك جمعية يسوع الموقَّرة قدم مدينة صيداء ليتَّجر فيها . وكان رجلًا تقيًا ورعًا فاضلًا يضاهي بايمانهِ الحيّ وقداسة سيرتهِ المسيحيّين الاولين . وكان للاباء

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٣ نيسان الى ٦ أيار ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



قرية عين طورا ومدرسة الآباء اللعازريين الاجلاء

اليسوعيين يومئذٍ ديرٌ في تلك المدينة قد اقاموا فيهِ احدى الاخويّات التقويّة لافادة المؤمنين. فلمّا درى لمبرت بذلك تاق الى الدخول في تلك الاخويّة فقُبل بين اعضائها وكان مثالاً صالحاً للجميع

وبعد ذلك بقليل علم لمبرت ان بعضاً من المرسلين عزموا على تأسيس رسالةٍ في اصبهان عاصمة بلاد العجم. فشعر بنفسهِ انَّ الله يدعوهُ لمساعدتهم في ذلك المشروع الخيريّ الآئل لخلاص النفوس ولامتداد ملك المسيح بين تلك الشعوب. فكاشف بذلك اناساً اتقياء افاضل كان يثق بهم كلّ الثقة. فاشاروا عليهِ باتّباع هذا الالهام الالهيّ. فهمَّ لساعتهِ بالسفر وركب البحر قاصداً بلاد العجم لكن العناية الربّانيّة التي احكامها غير احكام البشر ومقاصدها غير مقاصدهم قادتهُ بظروف وحوادث شتى الى شاطئ بلاد الهند الشرقيّة بالقرب من مدينة مَليابور المعروفة بمدينة القديس توما لاستشهاد هذا الرسول فيها كما روى البعض. وهناك بينما كان يناجيهِ تعالى في صلواتهِ على قبرِ هذا الرسول المتقدّم ذكرهُ بتلك الكلمات عينها التي فاه بها الاناء المصطفى وهي: يا ربُّ ماذا تريد ان اصنع. سمع بصوت باطني يقول لهُ: أَن ادخلْ جمعيّة يسوع. وبعد ان استشار احد الرهبان الاغوسطينيين الافاضل ذهب الى رومية وطلب من الرئيس العام على الرهبانية اليسوعية الجليلة الدخول في رهبانيّتهِ فاجاب الى سؤلهِ

وبعد ان اكمل لمبرت مدَّة الامتحانات المعهودة واتمَّ دروسهُ الكهنوتية رقي الى الدرجات المقدسة. فارسلهُ رؤساؤهُ مع اثنين من اخوتهِ الرهبان الى البلاد السوريَّة لمعرفتهِ اللغة العربيّة اذ كان تاجرًا في صيداء قبل دخولهِ الرهبانيَّة كما سبق القول. فابحر من ثمَّ مع رفيقيهِ قاصدين صيداء او طرابلس حسب الظروف. ولكن بعناية من الله دهمتهم زوبعة شديدة قذفت مركبهم الى خليج جونية. امَّا سكَّان تلك البلدة فعند رؤيتهم هذا المركب راسياً في مياههم على خلاف العادة اذ لم يكن لجونية ميناء في تلك الايام ظنُّوهُ لبعض القرصان فاسرعوا بالقبض على المرسلين ومن معهم واقتادوهم الى الشيخ ابي نوفل الخازن لانهُ كان حاكماً على تلك النواحي كما سبق الكلام. وكان ابو نوفل هذا من مشاهير الطائفة المارونيَّة وكبارها ومن افاضل رجالها. وكان مثالًا للخير والتقوى ذا رأيٍ صائب وذكاء عجيب وحكمة ودراية غريبتين. وقصارى القول انهُ كان من الرجال الذين يؤَدّون ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وكفانا بهِ مدحاً ان الملك

لويس الرابع عشر قد قلّدهُ رتبة القنصليَّة لدولتهِ الفخيمة في هذه الديار (١. فلمَّا رأى الشيخ هؤلاء المرسلين واطَّلع على اوراقهم علم انهم من الرهبانية اليسوعية الجليلة آتين للتبشير في هذه الديار السوريَّة. فاحسن استقبالهم واجلَّ مثواهم وانزلهم بدارهِ على الرحب والسعة وغاية الاكرام والتجلَّة كما يليق بكهنة المسيح. والحَّ عليهم بالمكث في تلك الناحية للانذار والتبشير بين طائفتهِ وقدَّم لهم قطعة ارض من ارزاقهِ في عين طورا وبنى لهم فيها من مالهِ الخاصّ ديرًا للسكن وكنيسة لإقامة الصلوات واعطاهم بستانًا محاذيًا للدير المذكور. ومجمل القول انهُ أمدَّهم بكلّ ما يلزم لمعيشتهم ليتمكَّنوا من اتمام واجباتهم (٢ والانذار بكلمة الله

فانطلقت ألسن هؤلاء الرهبان الافاضل بالشكر والثناء على هذا الرجل المحسن والمسيحي الفاضل. ومن ثمَّ ارسل الاب لمبرت كتابةً الى رئيس الاباء اليسوعيين في صيداء يخبرهُ فيها بما جرى لهم بتدبير الله ويثني على همة وكرم الشيخ ابي نوفل طالبًا منهُ المصادقة على مشروعهم الجديد ليكون دير عين طورا معدودًا بين اديار الرهبانيَّة. فاسرع الرئيس المذكور بتلبية طلب الاب لمبرت وسعى لدى الرؤساء باقامتهِ رئيسًا على الدير المقدم ذكرهُ شاكرًا الله على ما اتاح لهم من آلائهِ ومنحهِ ومطنبًا في مديح الشيخ ابي نوفل. ومنذ ذلك الحين اصبح دير عين طورا مظهرًا لاعمال بني اغناطيوس الخطيرة ومجالاً لغيرتهم الرسوليَّة التي يحفظ لها لبناننا عمومًا وعين طورا و جوارها خصوصًا ذكرًا حميدًا مدى الدهر (٣

١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ٢٢٢-٢٢٥

٢) راجع مجموع رسالات المرسلين اليسوعيين (Lettres édifiantes, *Paris*, 1708)

٣) وبقي دير عين طورا كمقام للرهبان اليسوعيين يسكنهُ ثلاثة من رهبانهم يتفرَّغون فيها لاعمال الرسالة. ولمَّا كانت سنة ١٧٢٨ اوقف بعض المحسنين من الموارنة اوقافًا على دير عين طورا وطلبوا الى رئيس الرهبانية اليسوعيَّة العام في رومية الاب ميخائيل تمبوريني ان تُقام في الدير المذكور مدرسة لتهذيب بعض الاحداث ممَّن يؤمل ترشيحهم يومًا لدرجة الكهنوت. فلبى الرئيس المذكور دعاءهم ورأس الاب انطون ماريًّا ناخي الماروني اليسوعي على المدرسة المذكورة. ثمَّ بعد قليل زادت الحسنات وتوفَّرت الاحباس على هذه المدرسة لاسيما جمعيَّة اكبر المحسنين اليها المطران بطرس مبارك الذي تخلى بعدئذٍ عن الاسقفية وانتظم في سلك الرهبان اليسوعيين. فرأى الاب فرنسيس رتز (Retz) رئيس الرهبانية اليسوعيَّة العام ان يوسّع نطاقها فاثبتها ثانيةً في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤ وجعلها على مقتضى نيَّات المحسنين مدرسة اكليريكية للموارنة والاقباط والكلدان

الرسولي بناءً على طلب الملك لويس السادس عشر الى الاب جاكيه (Jacquier) الرئيس العام يومئذٍ على جمعيَّة الرسالة المعروفة باللعازاريَّة المؤَسّسة من القديس منصور دي پول باجابة رغبة الملك لويس. فأبى الاب جاكيه القبول مرارًا لكنَّهُ رضخ اخيرًا لامر قداسة البابا وعظمة الملك متيقنًا ان هنـاك ارادة الله وارسل للحال الاب ڤيگيه (Viguier) الذي كان في تلك الايام نائبًا رسوليًا في الجزائر الى سوريَّة لكي يفحص عن الاديار التي كانت للاباء اليسوعيين وينظر في ما يجب فعلهُ

وبعد الفحص والاستعلام الكافيـين رجع الاب ڤيچيه المذكور الى باريس واعلم الرئيس العامّ بما رأى والرئيس العام اطلع وزير البحريَّة على كلّ ما اخبرهُ عنـهُ الاب ڤيگيه وبعد المداولة الطويلة بين وزير البحريَّة هـذا وبين الملك لويس السادس عشر والكرسيّ الرسولي قرَّ القرار على تسليم الاديار التي كانت تخصّ الاباء اليسوعيين في سوريَّة الى الآباء اللعازريّين فاصدر للحال البابا بيوس السادس براءة رسوليَّة مؤَرخة في ٢٢ تشرين الثاني من سنة ١٧٨٢ بها يقيم اللعازريين خلفاء لليسوعيين في المشرق. لكنهُ لسبب الثورة التي حدثت بعد ذلك بقليل لم يتمكَّن الرئيس العام على جمعيَّة الرسالة من ارسال عددٍ كافٍ من المرسلين الى الشرق فارسل سبعة عشر مرسلًا فقط تحت تدبير الاب ڤيگيه الذي سبق لنا الكلام عنهُ

فتفرَّق هؤُلاء المرسلون الى رسالات شتى ونالت سوريَّة منهم حظّهـا الطيّب. امَّا عين طورا فاتاها الاب كورديه (Cordier) مع اثنين من اخوتهِ المرسلين واقاموا فيها. وكان هذا الدير وقتئذٍ يكفي لسكنى اربعة او خمسة من الرهبـان على الكثير. امَّا الكنيسة التي كانت ولم تزل على اسم القديس يوسف البتول فتسع سبعـين او ثمانين شخصًا. وهي متينة الجدران يعلوها في الوسط قبة كبيرة مستديرة فوقها صليبٌ. والهيكل الكبير يوجد تحت العقد من جهة الشرق. وفيها هيكل مكرَّس للبتول القديسة تحت العقد من جهة الجنوب. وبالقرب منهُ قبوٌ صغيرٌ تحت الارض لدفن موتى الرهبانيَّة اليسوعيَّة وفيهِ دُفن ايضًا المرسلون اللعـازريُّون الذين سكنوا عين طورا منذ عهد الاب رِنار (Renard) والسيد كُنْدلفي (Gondolfi) اللذين سيأتي الكلام عنهما الى الاخ كلاره (Claret) الذي تُوفيّ في ٤ كانون الاول من السنة المنصرمة. ولم تبقَ الكنيسة المذكورة على ما كانت عليهِ تمامًا بل أُحدث فيها بعض التغيـير اذ أُقيم بازاء هيكل العذراء اي

وليس فقط ذلك بل اصبح هذا الدير مقاماً يؤمّهُ الرهبــان اليسوعيون لترويح النفس من اتعاب الكرز والتبشير لطيب مناخهِ وعزلتهِ وانفرادهِ عن ضوضاء العالم كما انهُ صار محطّاً للسيّاح والرحّالة الذين كانوا يأتون من المغرب للتنقيب عن عوائد الشرق والتفتيش على آثارهِ القديمــة. نخصّ بالذكر منهم الاب بسّون مؤلف كتاب سوريّة المقدّسة (La Syrie Sainte) وڤولنه ولامارتين والسيد ميسلان (Mgr Mislin) وڤيكتور جيران (Guérin). وبعــد الاب لبرت توالت الرؤساء على هذا الدير وقد اشتهر منهم الاب فروماج اليسوعي الشهــير صاحب التآليف العديدة وهو الذي حضر المجمع اللبناني (1) المنعقد في ٢٨ ايلول سنة ١٧٣٦ والمنتهي في ٣ تشرين الاول من السنة عينها وذلك في دير اللويزة للرهبانيّة الحلبية المارونية تحت رئاسة ذي الاصل والشرف والشهرة السيد يوسف السمعاني حارس المكتبة الواتيكانية المرسل من قبل الكرسي الرسولي المقدّس لرئاسة المجمع المنوّه بهِ

٢

ولمّا صدر امر البابا اكليميس الرابع عشر بالغاء الرهبانيّة اليسوعيّة أُلغيت لاسباب سياسيّة لا حاجة لايرادها الآن وكان ذلك في ٢١ تموز سنة ١٧٧٣ لكن الامر لم ينتهِ ولم يتمّ انفاذهُ في الشرق الّا في سنة ١٧٧٦ فالحّ المسيو دڤرجار (Devergères) وقتئذٍ سفير فرنسا لدى الباب العالي ومن بعدهِ خليفتــهُ الكونت دي سان برياست (Le Comte de St Priest) على الملك لويس السادس عشر لكي يطلب من رومية مرسلين افرنسيين ليخلفوا اليسوعيين في الشرق محافظة على العلاقات التي تربط الفرنسيين مع السوريّين وحبّاً بدوام الاتحاد فيما بينهم. فصدر الامر حينئــذٍ من لدن الكرسي

بشرط ان يكون ثلاثة ارباع التلامذة من الموارنة. وفي السنة التالية ١٠ ك ١ ١٧٣٥ انشأ الاب جرجس بنيامــين اليسوعي (وكان سابقاً مطراناً على اهدن) مدرسة أُخرى في زغرتا سلّم ايضاً تدبيرها الى الاباء اليسوعيين. وبقيت كلتا المدرستين تحت نظارة الاباء اليسوعيين الى سنة الغــاء الرهبنة ١٧٧٣ (المشرق)

(1) والاب بطرس فروماج المذكور هو الذي خطب في افتتاح المجمع اللبناني وقد أُثبتت خطبتهُ في اعمال المجمع باللاتينية. وكان وقتئذٍ رئيساً عاماً على رسالة الرهبانية اليسوعيّة في سوريّة. ولهُ مآثر عديدة مشهورة منها تعريبهُ نيّف وثلاثين كتاباً طُبع كثيرٌ منها في مطبعتي الشوَير ورومية وفي مطبعتنا الكاثوليكيّة (المشرق)

وسألنا شيوخها وخاصّتها. وفروخها وعامّتها. وما زلنا نتتبّع تلك الحقائق. ونستقصي الدقائق بعد الدقائق. فتنجلي من عندها كل الجلاء. وتؤيد قولنا هذا تأييدًا لا يبقى وراءهُ شكٌّ ولا خفاء. ولهذا فنحن لا نخطّئ واحدًا ممَّن تقدّمنا ولا نعزُو الوَهم الى واحد من اولئك القوم. بل نتَّخذ كلامهُ شاهدًا على معتقد تلك الأمّة في ذلك اليوم. ونسندهُ بالاسانيد البائنة. وندعمهُ بالادلّة الراهنة. وتمهيدًا لذلك نقول. طالبين من الله سواء السبيل والحصول على المأمول

*

الصابئة ديانة « تغيَّرت » على كرّ الاعصار. و« تبدَّلت » متنقّلةً من اطوار الى اطوار. بموجب ما حلَّ بها من الأغيار. او بموجب ما طرأ في عصرها من الطوارئ الكبار. او الاديان السائدة في تلك الأقطار. « فتفرَّع » منها فروع عديدة. واتّسع معنى لفظة الصابئة فشملت شِيَعًا غير زهيدة. كما شملت لفظة اليهوديّة والنصرانيّة والمحمديّة فرقًا مختلفة. يرجع اليها اصحابها في امورٍ مهمّة آراؤهم فيها مؤتلفة. وعليهِ فاوّل نشأة الصابئة كانت عبادة النجوم والكواكب وذلك منذ عهدٍ عهيد. ثمّ انتقلت الى اكرامها بهيئة الاصنام والرموز والاحتفاء بها عيدًا بعد عيد. وبعد ذلك انتشرت آراء فلسفة اليونان. فزاد ائمّة الصابئة على معتقدهم شيئًا من تلك المذاهب زيادةً في الافتنان. ثمّ لمّا ظهر الدين القويم وانبثّ نور الايمان. واضاء على السهول والحزون والوديان. اقتبس الصابئة آراء من النصرانيّة قبسة العجلان. وفي القرون الاولى للمسيح كُتبت بعض كتبهم بدون ذكر اسماء المدوّنين. فنُزّلت منزلة التنزيل دونها الانجيل المبين. « فوقف عند ذلك » تغيير الدين. اذا نضب عنهُ ماء المعين. وبقي مذهبهم منذ ذاك الحين. على ما نسمعهُ عنهم او نشاهدهُ فيهم من أُخريات هذه السنين

هذه هي الاطوار الكبرى. ما عدا ما تجاذبها من الأغيار الصغرى. التي اختلفت باختلاف الاماكن والبلدان. او باختلاف الشعوب والالسنة والازمان. غير اننا لا نلتفت اليها في هذه المقالة لكي لا يهجم على القارئ الإشكال او الابهام. فيساورهُ مساورةً دونها مساورةُ الضِرغام

وعليهِ فانتقال ديانة الصابئة على اربعة اطوارٍ كبرى وهي :

١ً طور عبادة النجوم

جهة الشمال عقد آخر أُضيف اليها وجُعل تحتهُ هيكل لقلب يسوع الاقدس ثمَّ استُدل هذا الهيكل وصار في اوائل السنة الماضية للقديس منصور موتسن جمعيَّتي كهنة الرسالة واخوات المحبة . وبالقرب منهُ أُقيم اخيرًا من جهة الغرب معبدٌ لاخويَّة تراع مخاصنا يسوع المسيح التي شُيدت حديثًا في اواسط هذا الشهر في الكنيسة المتقدّم ذكرها لسكّان قرية عين طورا . واماَّ الدير فيوجد بحذاء الكنيسة من جهة الغرب وهو طابقان طابق سفليّ وفيهِ بيت الاكل وبيت المؤنة الخ . وطابق علويّ ويحتوي على اربع قلالي لسكنى الرهبان وكل ذلك محفوظ الى ايامنا هذه كذكر ثمين من الآباء اليسوعيين الاجلاء . والقلالي التي كان يسكنها ابناء القديس اغناطيوس يقطنها اليوم ابناء القديس منصور ديپول

(ستأتي البقيَّة)

الصابئة او المندائية

لحضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي

اذا اخذ احد الادباء يبحث عن هذه الديانة واصحابها . وتصفَّح لهذه الغاية كتب المتأخرين والمتقدّمين على اختلاف مشاربها واحزابها . وقابل ذلك بما هو مشهور عن الصابئة في هذه الايام . سمع أقوالًا متناقضة في الفحوى وفي الكلام . اذ كل واحد من الكتبة . يكذّب من سبقهُ . لا بل وكل من ناصبهُ . ويدَّعي لنفسهِ الهداية . وينسب لغيرهِ الغواية . فيرجع القارئ اخيب من القابض على الماء . محتقرًا المؤرخين ومدوّني الاخبار والأنباء . لانهم لا يتثبَّتون الحقائق . قبل ايداعها المهارق . ويُقيِّدون كلَّ ما مرَّ بخيالهم . او خطر على بالهم

اما الحقيقة فهي على خلاف ما يتصوَّرها هذا الباحث المستبين . عن أقوال الاولين والآخرين . بل في الاطّلاع عليها وجمعها فوائد عديدة . وعوائد فريدة . تدلّ على انتقال هذه الديانة انتقالةً بعد انتقالة . من حالةٍ الى حالة . على توالي الدهور . وتراخي ستور العصور . اذ ان هؤلاء الكتبة دوّنوا ما علموهُ عن الصابئة في عهدهم . واعتمدوا على ما رأوا او سمعوا منذ وجودهم في مهدهم . فخُيّل الى المتأخر الكذب والاختلاق . في من سبقهُ من كتبة الآفاق . وقد بحثنا عن هذه الأمة وديانتها . وعشنا بين اصحابها وكهنتها .

ثالثاً المؤرخين لسان واحدٌ على ان معنى الصابئة عبادة النجوم او تعظيم الاجرام السماويّة

رابعاً نشأة الصابئة في مهد مجتمع الانسان قبـل تفرقهِ على وجه الارض وذلك حينما لم يكن يتكلّم الّا لساناً واحداً او ألسنة قليلة ويُستدلّ على ذلك من وحدانيّة اسم الجلالة عند اختلاف الشعوب وتصحيفهِ وتحريفهِ ومن اسماء جميع الاصنام القديمة التي تُردُّ الى اصل واحد يقرب من الاصل السامي ويُراد بهِ النور او العلو او مثل هذا المعنى ممّا تتصف بهِ الاجرام العلويّة ممّا يدلّ على انهم لمّا جهلوا الله الذي لا يُرى بالابصار ألّهوا تلك الاجرام النيّرة وعبدوها ثم نقلوهـا الى ذواتٍ مجسّمة اي الى اصنام سمّوها بهـا. ولله اسمان شهيران: « إيل » الساميّة و « دَيْف » Dev الموهومة عند العلماء سنسكريتيّة (ستأتي البقيّة)

ما هي المعجزات؟

للاب لويس معلوف اليسوعيّ

لله جمال الدين الافغاني اذ صرّب على تلك فئـة الطبيعيّين سهام طعن وتفنيد لم تخطئ لعمرك مراميها فقال: « سعوا كل السعي في انكار العالم الاعلى وطمْس كل نور عقلي يستنير الحكيم بسنائهِ في الاهتداء الى ما فوق الطبيعة. حصروا الكائن بل الممكن في المحسوسات المنظورات ولذا نفوا حدوث المعجزات بل نفوا امكانيّتهـا علماً منهم بان المرء ان سلّم بالمعجزات وما فيهـا من قوة البرهان فلم يبق لهُ وجه للتمحُّك في امر الدين وما ينزلهُ ربك من الوحي على العالمين »

سبق لي بعض الكلام عن الوحي وإنزالهِ (المشرق ٢: ١٠٩ و ١٩٨) حيث بيّنتُ انَّ تفضُّل الله بهِ على عبادهِ لشيء ممكن بل نافع بل لازم من بعض اوجه اللزوم. وهو الذي حدا بي الان الى الخوض في مبحث المعجزات العويص. فانّهـا من اهمّ واقرب الوسائل في التوصّل الى معرفة انَّ ذلك الممكن قد تمَّ وأُبرز الى حيز الوجود. انّها الخطّة القويمة التي يجب السير عليها ان شئت تميز الوحي الحقّ من اضاليل اصحـاب

٢ً طور عبادتها برموزٍ واصنام
٣ً طور ادخال آراء فلسفيَّة فيها
٤ً طور ادخال آراء نصرانيَّة فيها او الطور الاخير

ويجب علينا الآن. ان نتكلَّم عن كل طورٍ بما يحتملهُ المكان. ايقافًا للقارئ على رأينا هذا الجديد. المستند على سديد الاسانيد. وهو على ما خُيِل لنا ليس عن الحقيقة ببعيد. ونبين لهُ ان كل من هذه الاطوار. قد ابقى وراءهُ شيئًا من بعض تلك الآثار. التي جعلتهُ من هذا القبيل شبيهًا بطبقات الارض. التي يُرى فيها بالطول والعرض. مستودعات العصور الغابرة. ودلائل السيول الجارفة العابرة

١ً طور عبادة النجوم

اول نشأَة الصابئة كانت عبادة النجوم والاجرام العلويَّة وهي اول ديانة وُجدت بعد فساد الدين الحقيقي وهذا الفساد قديم العهد يرتقي الى قبل حدوث الطوفان. وهو ما يدَّعيهِ ايضًا الى يومنا هذا الصابئة اذ يقولون ان آدم كان صابئًا وكذلك حواء وسائر الاباء الاقدمين. فهذا الكلام وان كان لا يخلو من غلوّ ظاهر ظهور الصبح لذي عينين فانَّهُ يدلُّنا على انَّ الصابئة قديمة الوجود. والكتاب الكريم يقول: « وفسدت الارض امام الله ومُلئت جورًا » (سفر التكوين ٦ : ١١) فلا شك ان هذا الفساد لم يكن من جهة الاداب فقط بل من جهة الديانة ايضًا لان القلب لا يفسد الَّا بعد فساد العقل

امَّا ان الصابئة بمعنى عبادة النجوم هي قديمة فالادلَّة كثيرة. واول ذلك قدم وجود الوثنيَّة التي يشهد بها آثار الغابرين التي وجدت في هذا القرن من اشوريَّة وبابليَّة وكلدانيَّة وفينيقيَّة ومصريَّة. وكما انَّ الوثنيَّة هي بنت الصابئة كما سيأتي ايضاح هذه القضيَّة نتج انها اقدم منها

ثانيًا عند الصابئة الحاليّين اسماء نجوم واصنام وروحانيين لم تكن معروفة الَّا في عهد القدماء من بابليين واشوريين وغيرهم ولم يذكرها اصحاب التواريخ المعروفة لكن عثر عليها العلماء في هذه الازمان في المندرجات والكتابات العاديَّات. فنتج من ذلك ان الصابئة الحاليين حفظوا خلفًا عن سلف تلك الاسماء كما اخذوا عنهم عبادة النجوم من ذلك مثلًا: «بيليت ونيدغل وأنبو وبيلو وشَمَش » وهلمّ جرًا

كلُّ قوَّة في الكون فهي متناهية محدودة الَّا الله عزَّ جلالهُ فلا غاية تقف عندهـا مقدرتهُ ولا حدَّ يحدّ فعالهُ

كل مخلوق محدود الجوهر فالقوى فالفاعليَّة: الأُذن لا تنظر والعـين لا تسمع البهيمة لا تدرك والشجر لا يحسّ والجلمود لا يشعر ولا يبدي حراكًا. ومن المختبرات اليوميَّة ان ما كان عاريًا عن الادراك وحرّية العمل لا يؤثر ولا يتأثر الَّا تأثيرًا وتأثرًا معلومًا معيَّنًا لا يتحوَّل عنهُ. ان طرحت حطبًا في نار فـلا بد ان يُحرق ويتفحَّم وان جعلت الماء على منحدر سال وجرى. فهذه الخطـة الثابتة المقرَّرة اي تماثل التأثر والتأثير عند تماثل العوامل وظروف عملها ذلك ما يدعونهُ النواميس الطبيعيَّة

كلُّ مخلوق محدود الجوهر فالقوى فالفاعليَّة: الانسان يتَّسع المجال امام عقلهِ ومخيّلتهِ وارادتهِ اتساعًا نكاد نعجـز عن تتبُّع أَطواره ووَضع حدود لهُ. على انهُ متى باشر المادّيَّات واراد الفعل في المحسوسات ففعلهُ محدود محصور في دائرة نواميسها لا يستطيع ان يُحدث فيها اثرًا الَّا بمقتضى ما تجري عليهِ من السُّنن وتنفعل لهُ من العوامل. ويتصل الانسان لعمرك الى الفعال الغريبة المذهلة: بوسعك ان تحيل الماء وتجعلهُ جمادًا او ان تصيّر الصخور الراسية هباءً يخفّ عن الهواء فيتصـاعد الى أَعلى طبقات الفضاء. بوسعك دكُّ الجبال وثلّ الحصون المنيعة. بوسعك ان تحـدث كلَّ ما عهدناهُ من غرائب الصناعة والفنون ولكن بشرط ان تستخدم من القوى الطبيعيَّة الباعثة ام الضاغطة ام القاذفة ام الجاذبة الخ ما يكون بهِ الكفاية لإِحداث ذلك التأثير الذي رُمتهُ وتلك القوى لم تزد انت على تأثيرها وفاعليَّتها ولم تنقص منها شيئًا بل فعلتْ فعلها الخاصّ وجرت على ما لها من الاحكام والخطط. — بلغ نطاسيُّو الاطبَّاء في تطبيبهم الجسم الانساني غايات قصر عنها السلف وربَّما لم تكن ليخطر لهم امكانها ببال. ولكن هل عهدتَّهم تجري الامور كما ارادوا ولمجرَّد كونهم ارادوا. بل انما اتصلوا الى ما اتصلوا اليهِ لازدياد مهارتهم في استعمال القوى المادّية وما جانسها. يسهّلون لها ظروف التـأثير ويهيئون لها ما تلقى عليهِ حتى يكون تأثيرها فيهِ افعل وانجع فما ابرأُوا جرحًا ولا أَزالوا سقمًا الَّا وقد جروا على سنَن الكون المادي وساروا في استخدام ما فيـهِ من العوامل والقوى على ذات الخطط والنواميس التي جعلها لها باريها

اذًا فاعليَّة الانسان محدودة حدًّا راهنًا بالنواميس والقوى الطبيعيَّة

الشعوذة ومزاعم ارباب الاديان الفاسدة . ذلك من تعاليم الكنيسة المعصومة عن الغلط وهو مماً ادركهُ الذين اشغلوا الفكرة في المباحث العقليَّة . قال ابن خلدون في مقدمتهِ الشهيرة (طبع المطبعة الادبيَّة ص٨٢) : «ومن علاماتهم وقوع الخوارق لهم شاهدةً بصدقهم وهي افعال يعجز البشر عن مثلهـا فسمّيت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وانَّما تقع في غير محلّ قدرتهم»

على ان ارباب القلم قـد اكثروا في اقطارنا من التكلُّم عمَّا يجري على ايدي القوم صدقًا او وهمًا او مخرقةً من الاعمال الغريبة التي تقتضي ظواهرها قوى فوق ما عهدناهُ في العوامل الطبيعيَّـة . فمنهم مثبت ومنهم منكر ومنهم من ينتج عن مقولاتهِ نفيّ حدوث ايّ حادث كان متى خرج عن دائرة المفاعيل الطبيعيَّة فاشار الى ما وراء المادّيَّات والمحسوسات

ومِن ذا ترى انَّ امر المعجزات لأَمر مهمّ يجمل بارباب الصحافة ومزاولي المعارف ألَّا يتهافتون على القول فيهِ عن غير إنعام بصر فيصلوا الى حيث ربَّما لم يقصـدوا من النتائج الفاسدة والمفسدة في الدين ففي العمران

ابدأ بالحقيقة الاوليَّة الاصليَّة في هذا الباب ثمَّ منها اتخطَّأ ان شاء الله الى بعض ما يتشعَّب عنها من المباحث

*

المعجزة لغةً ما عجز البشر ان يأْتوا بمثلهِ . والمعجزات من هـذا الوجه منتشرة في الكون تجدهـا حيثما أَجلتَ الطرف . كلُّ زهرة طاب لك عرفُها وكلُّ دُوَيبَّة تدوسها بالرجل وكل ورقة قامت على الغصون تتهاداها ايدي النسيم انها لمعجزات يقصر الانسان مهما انتهى اليهِ من العلم عن صنع شيء منها بل يعجز عن ادراك النزر القليـل من أَسرار وجودها

ولا حاجة للتنبيه على انَّ المعجزات في هذا المعنى تخرج عن دائرة بحثنا . تلك وما يضاهيها امورٌ معهودة مألوفة تجري على سُنن معلومة وتسير في تولُّدها ونموّهـا وكل أَطوارها بمقتضى النظام الذي جعلهُ لها بارئهـا . والحال ان المعجزات في عُرف اصحاب الكلام وائمة الدين هي من جوهرها ما خالف سنن الطبيعـة وجرى على غير النظام المعهود كما سترى

١ً المعجزة من جوهرها ان تكون اثرًا محسوسًا يقع تحت حسّ من الحواسّ فيدركهُ ادراكًا يقينًا. كون الخبز والخمر يستحيل الى جسد الرب ودمهِ حسب العقيدة النصرانيَّة هذا لا غرو من الامور العجيبة التي تفوق بما لا يسع اليراع وصفهُ مستطاع البشر ومستطاع كل مخلوق. لكنَّهُ ولو كان خارقًا واعجب من كلّ ما علمناهُ وامكنَّا تصوّرهُ فلسنا نطلق عليهِ اسم المعجزة ولا ندخلهُ في دائرة المباحث العقلية عن المعجزات. انما المعجزة امرٌ حسيّ وتحوُّل الخبز والخمر الى جسد الرب ودمهِ ليس محسوسًا بل هو فعل الهي لا ندركهُ الّا بالايمان

كذا لا نطلق في اصطلاحنا اسم المعجزة على النبوءة. ذاك علم الغيب امر يفوق المستطاع البشري ويخرق ادراك الارواح ذاتها. وبين النبوءة والمعجزة تشابه محكم لان تلك كهذه تخرق القوى الطبيعيَّة مصدرها الله وغايتها تمجيد الله ولكن النبوءة — اي تلك استنارة العقل بالانوار العلويَّة تجعلهُ يدرك ما لم يكن ليدركهُ بقواه الطبيعيَّة — ليست في ذاتها ممَّا يُعرض على الحواسّ فتدركهُ. والمراد بهذه الصفة الاولى ألّا يُدرج في عداد المعجزات الّا ما سهل على القوم تحقيق وقوعهِ فعلًا لاغراض سنعرضها عليك

٢ً المعجزة من جوهرها ان تكون فعلًا ربَّانيًا. والمراد بذلك اننا لا نعتدّ معجزة الّا الحادث الذي عرفنا مصدرهُ وادركنا ادراك اليقين مَن الذي فعلهُ. وهذا ايضًا ممَّا لا ينبغي ترك التنبيه عليهِ. لسنا ندرج في سلك المعجزات ما جهلنا علَّتهُ وخفي علينا سرُّهُ. والّا لوجب القول بان الجانب الاعظم من الحوادث التي تجري على ايدي العلماء في اختباراتهم اليوميَّة لهي من المعجزات. مثلًا: كل جسم بسيط يحدث على صفحات الشبح الشمسي لونًا معلومًا مختصًّا بهِ. هل ألقيت من انبأك عن السبب المسبّب ذلك اللون؟ بعض المحلولات تنتظم ذرَّاتها عند التبلور على شكل معهود وبعضها على شكل آخر. ما السرّ في ذلك وما السبب؟ جهلناهُ. وكم من الحوادث والظواهر الطبيعيَّة جهلنا اسبابها واستحال علينا تعليلها. تلك وما كان من واديها ما من احد يقول انها معجزات ولو كانت امور جُهلت عللها واسبابها. امَّا المعجزة فسببها لا مجهول بل معيَّن مقرَّر معلوم علم اليقين. انهُ الله والله وحدهُ. اذ نتصل بالبرهان الدامغ والادلَّة الساطعة الّا ان ذلك الحادث الغريب يستحيل حدوثهُ عن غير السبب الاسمى فمصدرهُ فعل ربَّاني وفاعلهُ هو الله لا سواهُ

كذا قل عمّا توسّط بين الانسان والبارئ في عالم الوجود من الارواح المخلوقة. انها متى ارادت فعلاً في العالم المحسوس استخدمت قوى الاجسام المادّية وجرت على سنَنها واحكامها. ولكن بما انها أسمى من الانسان جوهرًا فهي اسمى منهُ عقلاً فمعرفةً بقوى الطبيعة وأسرارها. وعليهِ فالارواح قادرة على افعال تخرق قوى الانسان وربّما لا يتيسّر لنا في بعض الاحيان ان ندرك اسبابها ومصادرها. لكن تلك الارواح تعجز في نظر العقل المصيب عن بعض افعال كبعث الميت من قبرهِ وايجاد ما لم يكن موجودًا او اعدام ما اخرجتهُ يد القدير من عدمهِ. تلك اعمال يعجز عنها سوى الخالق

امّا البارئ جلّ جلالهُ فهو علّة الكائنات والجوهرُ الذي لا يحدّ كمالهُ حدّ والقدرةُ التي لا تعجز عن فعل مفعول. وفعلهُ في الكون لا يقوم دونهُ قائم ولا يعيقهُ عائق ولا يجري بمقتضى احكام ونواميس القوى الطبيعيَّة وبمساعدتها. ولا بدع فانّهُ من صفاتهِ تعالى اللازمة وكمالاتهِ الجوهريَّة ان يكون مستبدًّا يفعل ما شاء وكيف شاء وبمجرّد انّهُ يشاء إن باستخدام ما اوجدهُ في الكون من قوى الطبيعة وإن بمطلق ارادتهِ الفعّالة. اليس الله هو الذي:

احدث الخلقَ بين كافٍ ونون   من يكون المراد حين يقولُ

☆

تلك بعض حقائق قامت عليها حجج عقليَّة دامغة. ذكرتها تمهيدًا لتعريف المعجزات تعريفًا راهنًا جامعًا مانعًا. كذلك متى اعتبرنا كيفيَّات فعل المخلوق وما يقف عندهُ من المستطاع فلا يصعب علينا بعدها تمييز ما يمكن صدورهُ عن البشر والارواح ممَّا يستحيل ان يُنسب احداثهُ الّا للقدرة الالهيَّة اي تمييز ما كان معجزًا ممَّا سواه

اقول اذًا ان المعجزة هي فعل حسيٌّ خارقٌ الهيٌّ

وتوسّعًا في هذا الحدّ واستنتاجًا لما وراءهُ من الحقائق اذكر ان كل معجز حقيقي يتَّصف بثلاث لا بدَّ منها اعني حيثيَّتهُ الذاتيَّة ومصدرهُ وغايتهُ

ومن هناك خصائص المعجزات الجوهريَّة التي ان انعمت النظر فيها لم يعسر عليك حلّ بعض مشكلات هذا الباب. والّا لما أَمِن المرء الضلال والوهم. وها كتب الملحدين مشحونة من الاضاليل والاوهام لانهم أغفلوا هذا الامر او جهلوا معنى المعجزات وحقيقة كنهها عند ائمتنا:

لهُ سبباً كافياً مقنعاً في نظر العقل المصيب إِلّم تعترف بفعل او امر ربّاني احدث حدثاً يفوق القوى الطبيعيّة وما تقتضيهِ نواميسها واحكامها

٣ اما حيثيّة المعجزة الغائية فاعلم انّهُ من جوهر المعجزة ألّا تكون إلّا لغاية يُحمد معها ان يجري الله في الكون امراً خارجاً عن مقتضيات النواميس الطبيعيّة التي سنها هو بحكمتهِ الصمدانيّة وتلك الغاية تعود الى نفع العابد وتمجيد المعبود:

ان وقفت الشمس في كبد السماء فما ذلك الّا ليتمّ لشعب الله النصر على اعداء الله

ان اشفى بطرس الرسول الاعرج من بطن امّهِ فما ذلك الّا ليعرف اليهود ان المسيح هو ابن الله. والحكمة في ذلك ان ما لم تكن تلك الغاية غايتهُ فلا يصدر عن الله. اذ ان الله لمَّا كان الخير الاسمى فالغاية القصوى اللازمة وجب ان يكون المراد بكل فعل يفعلهُ تعالى او يأمر بهِ تحقيق تلك الغاية وتمهيد الوسائل لنوالها. هو المبدأ وهو المعاد. منهُ وبهِ الوجود فلهُ واليهِ الوجود وما فيهِ

ومن هنا ترى انهُ اذا حدث في الكون امر غريب يعجز عنهُ البشر ولكن لا الارواح وارتبنا في تعيين مصدره وعلّتهِ وفاعلهِ فيمكننا من اعتبار الغاية المقصودة بذلك الحادث ان نتصل الى بعض العلم وكشف الحجب عمن فعلهُ. فان كان فيهِ ما لا ينطبق على قواعد الحق والخير الراهنة ان كان فيهِ ما يدنّس ذيل الفضيلة او يطوّح بالانسان عن جادَّة التدين والتعبُّد للمولى جلَّ جلالهُ فقل ان ذلك من فعل الارواح الشريرة ولا بدَّ. اذ من المحال ان يصدر مثل تلك الفعال عن ملائكة السماء وهم المنقادون لربهم في كلّ ما يبدونهُ في عالمنا من الفعال

قيامٌ على الاقدام عانين تحتهُ فرائصهم من شدَّة الخوف تُرعدُ
وسبطٌ صُفوف ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوحي رُكَّدُ
فنعم العباد المصطفون لامرهِ ومن دونهِ جندٌ كثيف مجنَّدُ ...

ولعلّنا نعود الى هذا في ما يلي

وخلاصةُ ما ورد ان المعجزة من جوهرها ان تكون حادثاً حسياً يعرض في الكائنات المحسوسات على غير ما تقتضيهِ نواميس الطبيعة المعهودة — وان يكون مسبّبها البارئ تعالى — وان تكون غايتها خير الانسان او اظهار الكمالات الربّانيّة

بعد ان طلب يشوع من الرب الظفر على الاموريّين امر الشمس وقد اقتربت من مغيبها وقال لها على مشهد اسرائيل: « يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي ايّالون. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تمِل للمغيب مدّة يوم كامل » (يشوع ١٠: ١٢—١٤)

وها الخطّة العقليّة التي يتعيّن بها الفاعل: ذلك الحادث امّا ان تكون علتهُ طبيعيّة وامّا ان يكون رب الطبيعة ذاتهُ. والحال ان القوى الطبيعيّة لا يمكن ان تكون هي تلك العلة ومن اعتقد ان مخاطبة الشمس وأمرها بالوقوف علة كافية لإيقافها فما هو الّا ممّن فقد الرشد. فما بقي الّا ان تقول:

امّا ان ذلك المعلول وقوف الشمس في سيرها لا علة لهُ وهو ممّا يخالف كل معقول وينقض كل الاوائل اذ لا معلول دون علة

وامّا ان تلك العلّة ليست الّا الكلمة التي فاه بها يشوع — ولم يكن هناك من قبيل العلَل الطبيعيّة سواها — وهذا ايضًا بهتان كما لا يخفى اذ لا معلول دون علّة كافية

اذًا ما الفاعل والعلة الّا الله

نتيجة القول انَّ المعجزة ليست ما جُهل سببهُ وعلّتهُ. ان سببها معروف وعلّتها مقرَّرة: هو مالك الكون ورب الورى سبحانهُ تعالى الذي لا اله غيرهُ

ومن وراء هذه الصفة الثانية ترى البون المهمّ الشاسع بين ما يعدُّه القوم معجزة القوم عن جهل وما هو كذلك عن يقين. كانوا اذا شاهدوا كسوف الشمس او خسوف القمر تحار البابهم وتسلب عقولهم ويرون في هذا الحادث أغرب الغرائب واعجز المعجزات وما كان اعجابهم الّا لجهلهم سبب الكسوف والخسوف. فتلك المستغربات يقلُّ عددها على حدّ ما تتقلّص دياجي الغي والجهل بشروق أنوار العلوم والمعارف. ونحن اذا ادركنا اسباب تلك الظواهر الفلكيّة فما كان عند الخلَف من العجيب المخيف الغريب اصبح عندنا من المفاعيل الطبيعيّة المنتظرة الحدوث المعهودة الوقوع

امّا ما علمنا العلم الراهن بالبراهين الثابتة انهُ ممّا يخرق كل القوى الطبيعيّة فهو معجزة في حصر المقال قد كان وسيكون عند الخلَف كما عند السلف عند العلماء كما عند الجهلاء امرًا لا يمكن نسبتهُ الّا لرب الطبيعة: توقُّف الشمس عن المسير لكلمة قالها انسان ذلك مهما تقدمت العلوم وتناهت اليهِ المعارف ممّا لا يمكنك ان تذكر

من طبعهِ ونظامهِ ان ينحطَّ الى الاسافل . الجسم متى فارقتهُ النفس انحلَّت قواه وانفرطت ذراتهُ وعاد ترابًا . الماء يسيل على منحدرهِ . القطب الكهربائي يجذب السلبيَّ ان كان ايجابيًا والايجابيَّ اذا كان سلبيًا . وهلمَّ جرًا

النظام العامّ هو ذاك النظام البهي العجيب الذي تتأملهُ عينك اذ ترفع لحظك الى القبة الزرقاء او ترسلهُ على متَّسع البحار ومخضرّ الربوع وشامخ الجبال ومزدهر الآكام . ذاك النظام الناتج عن فعل وانفعال خلائق الله كلها بعضهـا في بعض ولبعض بمقتضى ما لها من القوى والعوامل والسنن الخاصَّة

امَّا النظام الاعمّ الاسمى فهو العلاقة اللازمة الموجودة بين تلك المخلوقات كلها مفردةً ومجملةً في فعلها وانفعالها وبين البارئ تعالى الذي برأها ويدبرها بحكمة ويوجه فاعليَّتها الى ما قصد بهـا من تمجيد فاطرها ومالكها فتكون منقادةً لاوامرهِ في كلّ حال . ومن نظر في امر الطبيعة نظرًا محكمًا لا يمكنهُ اغفال هذا النظام لانهُ ناتج عن جوهر الطبيعة ذاتهِ ومن اغفل جوهريَّات الشيء لم يُحطْ بهِ علمًا

وان الطبيعة تجري مجراها حسب ما ينتج عن ذلك النظام الخاصّ والعام والاسمى من المفاعيل

اذًا علم الطبيعة الصـادق — اللهمَّ ان لم تحصرهُ في علم خاصّ كعلم الطب او علم الكيميا — ان تنظر الى ذلك النظام الطبيعيّ في اطوارهِ الثلاثة . وان لم تفعل كان علمًا ناقصًا اذ لا يكون مطابقًا للواقع من كل وجه

وبعد هذا التمهيد يسهل علينـا ان نرى الرأي الصائب في علاقات المعجزات مع الطبيعة ونظامها ومجرى سنَنها ثمَّ مع علم الطبيعة ذاته

المعجزة كما قلنا تخرق قوى كل مخلوق . اي لو كانت العوامل الطبيعيَّة تُركت تجري مجراها لما كان حصل ما احدثتهُ المعجزة او لكان حصـل خلافهُ . فالمعجزة اذًا تخالف مجرى الطبيعة ونظامها

ولكن اي مخالفة واي نظام من تلك الثلاثة ؟

انها تخالف نظام الطبيعة . الماء من طبعهِ ان يسيل والمعجزة التي اجراها الرب على وليّهِ جعلت المياه تصعد وتتقهقر الى منابعها . لكن تلك المخالفة هي مخالفة الشذوذ عن القياس لا إلغاء النظام . على حدّ ما يحصل اذ يخالف ولي الامر شريعة من الشرائع لمَّا يعفي

ولقد كان في ذكر الصفة الثانية غنًى عن ذكر الصفة الثالثة ولكن صرّحت بها سدًّا لبعض ابواب الريب او المغالطة

*

وهنا محل للنظر في ما بين المعجزات والوحي وبين سنن الطبيعة والعلم من العلاقات.

يقولون ان المعجزات ضد العلم. ويتوهّمون ان هذا المبدأ الذي يعتدّونهُ راهنًا ييسّر لهم التمسك ببعض المذاهب التي لا يمكن من تديَّنوا بالدين القويم ان يسلّم بها

أَفالمعجزات اذًا ضد العلم ؟

وما هو العلم ؟

العلم ادراك الشيء بحقيقتهِ (عن مفردات الراغب) او هو « الاعتقاد الجازم المطابق للواقع » وربّما أُطلق العلم مجازًا على مجموع مسائل واصول كلّيَّة تجمعها جهة واحدة كعلم النحو والعروض وعلم الطبيعة

والعلم الذي يجري عليهِ القول في بحثنا هـذا هو لا شكّ علم الطبيعة اذ لا دخل فيهِ كما لا يغرب عنك لعلومٍ جمة كعلوم اللغة والخطابة...

اذًا علم الطبيعة هو ادراك الطبيعة بحقائقها وما ذاك الَّا تيقن سننها ونظامها تيقُّنًا يطابق الواقع

فمرجع القول اذًا الى هذا: هل بين المعجزات ونظام الطبيعة مخالفة يحقّ معها القول ان المعجزات ضد العلم

كل الجواهر فالعوامل الطبيعيَّة تسير في عملها كما سبق لنا على خطط ثابتة وبحسب كيفيات لازمة لا تحيد عنها في شيء. فيكون بين السابق منها واللاحق بين المؤثّر والمتأثّر نسب وعلاقات اي سنن ونظام يقوم بتحديدها وتقريرها وتعريفهـا علم الطبيعة على اقسامهِ وتشعُّباتهِ الى علم الهيئة وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الكيميا وعلم الاثقال الخ. وعلى هذا النسق ندرك ادراكًا أدقّ ذلك النظام الموجود في الطبيعة على أنواعهِ

قلت على أنواعهِ: اذ لا يخفى على متبصّر اننا حسب الجهة التي نوجّه اليها لحظنا نرى ان في الكون نظامًا خاصًّا ونظامًا عامًّا وفوقهما نظامًا اعمّ واسمى

النظام الخاصّ هو الذي عُهد في الاشياء مفردة بصرف النظر عن سواها. الحجر

الرياح وباب اسماء الرعد والبرق وباب المياه وباب الجبال الخ وغير ذلك مماً يدلُّ على انَّ صاحب الكتاب من الائمَّة المعدودين . اما النسخة التي في ايدي الشيخ محمود افندي الآلوسي فهي من عهد المؤلف كُتبت سنة ٣٩٧ ه (١٠٠٧ م) ل . ش

(باب اللّجام)

(الشَّكيمةُ) الحديدةُ المعترضةُ في الفمِ . (والفأسُ) المنتصبةُ من الشكيمة . (والفَراشَتانِ) جانبا الشكيمة . واليهما يُربَط العِذارانِ . (والخَطَّافانِ والشَّاكِلتان) حديدتان مُعقفتان للعِنان . (والكَلُّوبان) خَرْتان يُدخل فيهما طرفا العنانِ . (والحَكَمةُ) التي تستدير حول الانف والحنك الاسفل . وهما حَكَمتان . (والمِسْحَلان) حديدتان تكتنفان الشِدقين . والحديدة الواقعة على الصدغ (صُدْغٌ) . (والطَّرَاق) ما في اطراف السُّيور وقد يكون من فضَّة . (والنِّكْل) لجام البغال . والجمع الأَنكال . (ماتوره فارسيَّتهُ) . وسُيور اللجام يقال لها (الأَشلاء) . قال امرؤ القيس :

فقمنا بأشلاء المِّجام ولم نَقُمْ   الى غصن بانٍ ناضرٍ لم يُحرَّقِ

(ونِضوُ) اللجام حدائدهُ بلا سُيورٍ . وفي الاشلاء (العِذاران) وهما يقعان على الخدَّين . وموقعهما من الدابة (المُعذَّر) . (والعِصاب) السير الذي على الجبهة . والجمع العُصُب . ويُقال لهُ (الجَبْهة) . (والقلادة) السير الذي تحت لَحيَيهِ . (والعِنان) السير الذي يقبض عليهِ الفارس . (والمَثناة) السير الذي يُثنى ويُجمع بين طرَفيهِ . فيعلَّق بهِ العنان . (والمِقوَدُ) السَّيْر الطويل الذي تُقاد به الدابَّة . (والرَّسَن والمِثنى) ما يُرسن بهِ الدابة ويُشَدُّ . ويُقال لزمام البعير مَثناة . والحديدتان المُدوَّرتان كالفَلْسين اسفل من الاذنين (البَكرتان)

(ثمَّ السَرْج)

ويُقال للسرج (الرَحْلُ والرِحالةُ) . وسَرجٌ (قاتِرٌ) يَلزَم مكانهُ فلا يميل . وسَرجٌ (وَطيءٌ) وَثيرٌ تحتَ راكبهِ . وسَرجٌ (واقٍ) لا يُدبِرُ الظَّهر . (ومِعقَرٌ) يعقرهُ . (ومِلْحاح) يعضُّ الصُّلب . وسرج (مِرْكاحٌ) لا يزال يتأَخر . (والأَحناء) جملة خشب السرج والواحد حِنوٌ . (والقَرَبوسُ) الشاخصة في مقدّمهِ . (والمؤَخرةُ) الشاخصة وراء الراكب . (والظَّلِفاتُ) اطرافُ الأَحناء . (والدَّفتان) الخشبتان العريضتان تقعان على صفحة الدابَّة . والفُرْجةُ بينهما (البِدادُ) وقيل البدادُ لِبدٌ يُشدُّ مبدودًا على الدابَّة الدَّبِرَة . (والجَذَيتان) خشبتان تُشدَّان على الدَّفتان من تحت . قال رؤبة :

احــدًا من بعض التوابع الشرعيَّة او يأمر امرًا يخرج عن حكم الدستور المعمول بهِ في الدولة . والشرع باقٍ لم يُلغَ ولم يبطل منهُ . كذا في المعجزات

هل تخالف النظام العام ؟ كلَّا ثمَّ كلَّا

النظام العام قاعدتهُ العظمى وسنَّتهُ الاولى والحكم المعروف المقرَّر الذي تسير عليهِ العوامل كلها وبمقتضاهُ تجري الانفعالات كلها هو هذا : المفعول والتأثير الناتج عن فعــل الفاعل الاضعف من جوهرهِ ولوازمهِ ان يعيقهُ او يغيرهُ عن وضعهِ فعل الفـاعل الأقوى المعاكس متى كان . وهو المبدأ الذي نعمل بهِ ونختبرهُ في كلّ الاحوال . فلمَّا تحصل معجزة في الكون لا يحدث ادنى مخالفة للنظام العام لان حينئذٍ قوةً اعظم وفاعلًا اقوى هو الله ذاتهُ يكون قد عاق عن العمل فاعلًا ادنى واضعف اعني قوى طبيعيَّة مخلوقة او اخرجها عن عملها وتأثيرها المعهود . فلا يكون فعل الله في ذلك باكثر اخلال بالنظام العام من فعل القوى الحيويَّة بقوى الجماد او القوى الحيوانيَّة بقوى النبات

امَّا اذا اعتبرنا النظام الاعم والاسمى فلن تجــد في إحداث المعجزات الَّا ما يظهر سلطة العلي وخضوع الكون لارادتهِ الربَّانيَّة . وهذا ليس فيهِ الَّا اجلى تأْييد واوضح دليل على ذلك النظام اللازم القائم على العلاقات الموجودة ولا بدَّ بين الخالق والمخلوق :

سل عنهُ دارات الوجود فانها تدعوهُ معبودًا لهُ ربَّاهُ
تجري الرياح على اختلاف هبوبها عن اذنهِ والفُلْك والامواهُ

وعليــهِ فان تبصَّرتَ في ذلك كلهِ ونظرت الى نظام الكون كلهِ في كل أطوارهِ واحكامهِ ترى ان المعجزات لا تضادَّ بينها والطبيعة وعام الطبيعة وانما تخالفها في القليل وباعتبار جهة تكاد يحقّ ان يهملها الناظر . والاجدر ان يُقال انها بالعكس تنطبق على نظام الكون كل الانطباق

نبذة من كتاب مبادئ اللغة

لابي عبد الله محمَّد الاسكافي

هذه النبذة اقتطفها حضرة الشيخ محمود افندي شكري الآلوسي من كتاب قديم عزيز الوجود صنَّفهُ ابو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخطيب الاسكافي المتوفَّى سنة ٤٢١ ﻫ (١٠٣٠ م) . والكتاب المذكور من انفس كتب اللغة يحتوي على نحو ستين بابًا في مواضيع شتَّى اوَّلها باب ذكر السماء والكواكب ثمَّ باب سماء البروج والازمنة ثمَّ باب الليل والنهــار ثمَّ باب صفة الحرّ والبرد وباب

(والحِلسُ) كساء يلي ظهر البعير. (والشَّليلُ) مِسح يُلقى على عجزهِ. (والكِفلُ) كساء يُثنى او خِرَقٌ تُجمع وتُلقى على عجز البعير لتكون مركب الردفِ على آخرةِ الرحل. (والبِطانُ) للرحل بمنزلة الحزام للدابَّة. واذا كان مضفورًا من سُيورٍ مضاعفًا عريضًا فهو (وَضين). قال المثقِّب:

تقول اذا درأتُ لها وضيني أهذا دينهُ ابدًا وديني

(والحقب) نِسعة تُشَدّ على حَقْوي البعير لئلا يجلب التصديرُ الرحلَ. (والسِنافُ) للبعير بمنزلة اللَّبَب للدابة. وبعير مِسنَافٌ يؤخّر الرحل ويصدّر السناف (بالصدار والتصدير) وهما حبل يصدَّر بهِ لئلا يجرّ حملهُ الى خلفهِ. (والهِجارُ) خلاف الشّكال وهو حبل تُشدُّ بهِ يد البعير الى احدى رجليهِ. (والعِقال) ما تشدُّ بهِ يدُ البعير تقول عقلهُ بثِنَايَين اذا شدَّهُ بحبل مثنًّى. (والعِران والخِشاش) خشبة في انف البعير. (والبُرَةُ) حلقة فيهِ. (والجديل والزمام) خيط مشدود الى العران. ويُقال (أَحلس البعير وأَحقبهُ وابراهُ وأَقتبهُ وزمَّهُ وخشَّهُ وهَجَرهُ بالهجار واسنفهُ وصدّرهُ). واعرورى البعيرَ او الفرس ركبهُ عُريانًا

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

١ (مطبعة القديس جاورجيوس) ظهور فنّ الطباعة في بيروت في اواسط القرن الثامن عشر واوَّل مطبعة بها أُنشئت في دير القديس جاورجيوس. وكان القائم بهذا المشروع الجليل الروم الاورثذكس. فان هذه الطائفة لمَّا رأت ما نجم من الفوائد بنشر المطبوعات الشوَيريَّة همَّت بمباراة الرهبان الحنّاويين. وكان وقتئذٍ في بيروت رجلٌ واسع الثروة ذو بصيرة وحزم يُدعى الشيخ يونس نقولا الجبيلي المشهور بابي عسكر (١). فهذا المذكور

١) وللشيخ يونس ابي عسكر المذكور شهرة كبيرة عند الروم فانهُ هو الذي بنى كنيستهم سنة ١٧٦٤ ثمَّ خربت عند انتهائها ومات تحت ردمها كثيرون سنة ١٨٦٧ فجدَّد الشيخ يونس بناءها ونجز سنة ١٧٧٢. وكان للمذكور نفوذ عظيم عند الجزّار فوكل اليهِ نظارة ديوان (كمرك) بيروت وفوَّضهُ في تنظيم شرطتها. وبهِ دُعيت بعض ازقَّة البلدة المعروفة الى اليوم بفشخة ابي

كم يا ابنَ ايُّوبٍ جمعتَ شَملي وقد نقضتَ جدَياتِ الرَّحلِ
وخفت نأياً عن بلادِ الأَصلِ

(والقادمة) ما امام حِنوِ القَربوس ممَّا يلي الكتفين. وفي السرج (المِيثرةُ) وهي التي تُلقى عليهِ يوثَّر بها. وفوق الميثرة (الصُفَّة) . (والغاشية) فوق الصفَّة (والذِنبةُ) من السرجِ والقتبِ. (والإِكاف) مُقدَّمُ ملتقى الحنوَين وهو الذي يَعضُّ على منسج الدابَّة. (والتأسير والتاكيد) سيورٌ يوكَّد بها السرْج ويُؤسَّر. (والسُموط) معاليق سيرٍ تُعلَّق من مؤخرهِ. وفيهِ (الركابان) وهما اللذان يضع الراكب فيهما رجليهِ. (والإِساقة) سير الركاب. وفي السرج (الرِفادةَ) وهي الحَشْوَة التي توضع تحت القَربوس فوق اللبد لئلا تقدّم الدابَّة السرج يقال: أرْفد السرجَ. (واللَّبَبُ) السير الذي يطيف بالسرج يمنع السرْج ان يتأخر تقول أَلبتهُ فهو مُلبَبٌ. (والثفَرُ) في موخَر السرج يدخل تحت الذنَب فيمنع السرج ان يتقدم. ومنهُ يقال اثفرتُهُ. وفي السرج (الحِزام) وهو الذي يُشدُّ بهِ السرج على ظهر الدابَّة وجمعهُ حُزُم. تقول حزمتُهُ فهو محزوم. وفيهِ (الإِبزيم) وهو الحلقة في احد طرَفيهِ. قال العجَّاج:

يدقُّ ابزيمَ الحزام جُشَمُهُ

(والإِطنابة) سَير الحزام فاذا لم يكن للسرج لببٌ ولا ثفر فهو أَبتر. وممَّا يكون مع السرج (اللِّبدُ) . تقول أَلبدت الفرس والمُلبَد موضع اللبد من ظهر الدابَّة قال سلامة بن جَندل:

من كلّ حتٍّ اذا ما ابتلَّ ملبدُهُ ضافي الاديم أسيل الخدّ يعبوبِ

(والمِرْشحة) بطانة للِبد تنشِّف العرَق. وتقول أَلجمتُ الدابَّة واسرجتهُ ونزعتُ لجامهُ وحططتُ مسرجهُ. (وقوّد الدابَّة) اذا أُريد اراحتهُ عند النزول عنهُ. (والحِمارُ) ما يوضع عليهِ السرج اذا حُطَّ. (والقُرطاطُ) برذعة تُلقى تحت السرج. وممَّا يكون بمنزلة السرج (الرَّحلُ) للعبير (والإِكاف) للبغل والحمار. والقتَب والرَّحل واحد. تقول أَقتَبتُ البعير ورحلتهُ. وعظمُ خشبِ الرحل بلا أَداةٍ (جِلبٌ). وفي الرحل (الأَحناء والجَديَاتُ والواسطُ) بمنزلة القربوس مَن السرج. (والمَورِك) في مقدمهِ (والآخرة) بمنزلة الموخرة من السرج. والمورك في مقدَّمهِ حيث يثني الرجل ساقهُ عليهِ. (والغَرْز) من خشب بمنزلة الركاب قال الراعي:

وهي اذا قام في غرزها كمثل السفينة او أَوقرُ

والقنداق وغير ذلك ممَّا لم نقف على فحواه. وهذه الكتب القديمة تمتاز بجلاء حروفها واطار صفحاتها العريض ذي النقوش البيضويَّة الشكل. وكان المتولّي نظارة هذه المطبعة المرحوم فضل الله عازار امَّا تصحيح مطبوعاتها فالمرحوم المعلِم يواني باباد وبولوس صاحب كُتَيِّب نخبة الآداب (المطبوع في المطبعة الوطنيَّة سنة ١٨٦٧)

ولمَّا كانت السنة ١٨٨١ وجد اصحاب مطبعة القديس جاورجيوس انّ ادواتها قاصرة عن الوفاء بالمقصود فأُهملت حروفها القديمة وجُلبت لها أَدوات وموادّ شتى وحروف جديدة من المصنوعات الاميركانيَّة ونُظّمت لها ادارة عاملة ولجنة تدبير ونُشرت في ذلك لائحة سنة ١٨٨٢ مع مثال لاحرف المطبعة العربيَّة والفرنجيَّة

وقد طُبع في هذه المطبعة منذ ذلك العهد كتب عديدة منها دينيَّة كالجزء الثاني من الميناون (سنة ١٨٨٦. وكان الجزء الاول طبع سابقًا في المطبعة الادبيَّة سنة ١٨٨٢) تعريب جناب الفاضل عبده افندي يني. ومختصر التعليم المسيحي للكاهن سبيريدون صرّوف (١٨٩٤) وغير ذلك. ومنها ادبيَّة كخلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك لعبد الرحمان الاربلي (سنة ١٨٨٥. صفحاتهُ ٢٣٩) والعرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب للشيخ ناصيف اليازجي (سنة ١٨٨٢). ومنها فكاهيَّة كالباريسيَّة الحسناء لاديب اسحاق. وديوان الفكاهة وهو مجموع في عدَّة مجلدات كان يُقسم الى اربعة اقسام تُنشر فيها تباعًا روايات ادبيَّة وحكايات غراميّة وسياحات كمجاهل افريقية وتواريخ كتاريخ هيرودوتس في جزءين تعريب حبيب افندي بسترس (١٨٨٦–١٨٨٧). وكان معرّب القسم الاكبر من ديوان الفكاهة المعلم شاكر افندي شقير اللبناني. وفي هذه المطبعة عينها طُبعت مجلة الهديَّة من سنة ١٨٨٣ الى ١٨٨٨. ومن الكتب التي نرّجح بانها نُشرت في هذه المطبعة كتابان مفيدان لمعرفة احوال طائفة الروم: الخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية (اسبيريديون) سنة ١٨٩١ بقلم سليمان بن داود بن يونان الجهيني طُبعت بمطبعة الحيّ بن يقظان بالمحروسة سنة ١٨٩٢ (ص٢٥٦). والآخر هو «لمحة تاريخيَّة في اخويَّة القبر المقدس بقلم الشيخ عبد الاحد الشافي طُبعت بمطبعة سام بن نوح عليهِ السلام سنة ١٨٩٣» (ص١٤٠)

ومنذ سنتين قد بطلت مطبعة القديس جاورجيوس وبيعت أَدواتها لجناب ابراهيم بك الاسود في بعبدا

اخذ يجدّ ويسعى في انشاء مطبعة تضاهي مطبعة الروم الكاثوليك فرسم حروفًا تُشبه حروف الشوير بنضارتها واتقانها واتّخذ لها قوالب او امّهات فسكب حروفًا جديدة جعل الروم يطبعون عليها كتبهم الطقسية . واوّل ما نُشر في هذه المطبعة كتاب المزامير طُبع سنة ١٧٥١ وعدد صفحاتهِ ٣٦٧ بقطع صغير ولهُ مقدّمة في ٣٠ صفحة (١ . وقد اخبر الرحّالة سيتسن (Seetzen) انّهُ صدر من المطبعة نفسها كتابان آخران طقسيّان هما السواعيّة والقنداق . وروى صاحب مجلة الهلال (٣ : ١٧ و ٦ : ٢٥٣) نقلًا عن المطران غريغوريوس اسقف طرابلس وما يليها للروم الاورثذكس : « انّ في مكتب مطرانخانة الروم الاورثذكس في بيروت كتاب تعليم مسيحي ومزامير يقال فيهما انهما طُبعا في مطبعة القديس جاورجيوس للروم الاورثذكس سنة ١٧٥٣ بسعي الشيخ نقولا يونس الجبيلي (ابو عسكر) » . ولم يمكننا حتى الان ان نتحقّق صحّة هذا القول . وفي خزانة كتبنا الشرقيّة كتاب المزامير اهدانا اياهُ بعض افاضل الروم لعلّهُ يرتقي الى هذه المطبعة المذكورة . لكنّهُ ينقص في طرفيهِ بعض صفحات فلم نتمكّن من معرفة تاريخهِ

وبقيت مطبعة القديس جاورجيوس بعد ذلك نحو مائة سنة لم يُطبع فيها كتاب يُذكر . وفي اواسط قرننا الحالي عاد اصحابها الى نشر الكتب الدينيّة . وجدنا بعضها في خزانة كتبنا الشرقيّة . منها كتاب كاتيشيسس اي التعليم المسيحي طبع سنة ١٨٤٥ بامر المطران بنيامين (صفحاتهُ ٢٧٥ بقطع ١٢) وجواب انثيموس على رسالة السعيد الذكر البابا بيوس التاسع الى الشرقيين (١٨٤٨) . وكتاب الاورولوجيون اي السواعي أُلحقت بهِ طروباريّات اعياد القديسين والبنديكستارين مع ثاوطوكيّات (اناشيد للعذراء) وقوانين شتى كقوانين الصليب والمطالبسي (المناولة) . وفي آخرهِ جدول الاعياد ومعرفة يوم وقوع عيد الفصح من سنة ١٨٥٠ الى ١٩٠١ (عدد صفحاته ما عدا المقدمة ٨٥٦ صفحة . طُبع سنة ١٨٤٩) . ومنها رسالة معلنة قبائح اللاتينيين (كذا) مؤلفة من كيريوس افجانيوس البلغري . طُبعت سنة ١٨٥٠ بزمان رئاسة المطران اياروثيوس (صفحاتها ٥٦) . وقد طُبعت في هذه المطبعة ايضًا مزامير داود والسواعيّة الصغيرة

عسكر . عند سوق الخضرة . وكانت وفاتهُ سنة ١٧٨٧ م ودفن قرب كنيسة الروم وقد وُجد قبره منذ زمن قليل فنقلت بقاياهُ الى الكنيسة الحديثة

١) راجع قائمة الكتب العربيّة لشنورر ص ٣٧٣ (Schnurrer : *Bibli. arabica*, n° 354)

وقد طُبع في بيروت بالحرف المالطي كتب قليلة لم نعرف منها سوى كتابين فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب للشيخ ناصيف اليازجي طُبع سنة ١٨٣٦ (صفحاتهُ ١٦٨). وكرّاسة في التعاليم البروتستانيَّة تدعى « صورة الايمان القويم على موجب الانجيل الكريم » (١٨٣٨ . ص ٦٠). وفي سنة ١٨٣٨ صحب عالي سميث الرحّالةَ ادورد روبنصن في زيارة الاراضي المقدَّسة ثم رحل الى ليبسيك وفيها سبك حروفًا عربيَّة جديدة نقلًا عن احسن خطوط كتبة زمانهِ في الاستانة العليَّة فصنع لاجسامها المختلفة نحو ١٥٠٠ قالب غاية في الاتقان وساعدهُ على ذلك رجل اميركيّ حاذق يدعى المستر هالك ومذ ذاك الوقت دخلت المطبعة الاميركيَّة في طور جديد. وصار لحروفها صيت طيّب لنضارتها وحسن صورتها فعُرفت في بلادنا بالحروف الاميركية. ثمَّ مات عالي سميث في ١١ كانون الثاني ١٨٥٧ فتولى ادارة المطبعة الدكتور كورنيليوس ڤان دَيك وكان رجلًا مقدامًا على العمل فاهتمَّ بتحسين ادوات المطبعة وزاد الحركات على الحروف وجلب لها الآلات البخاريَّة حتى صارت من احسن المطابع الشرقيَّة الى يومنا هذا

امَّا الكتب التي طُبعت في هذه المطبعة فعديدة نذكر منها ما نرى في ذكرهِ افادة لجمهور الادباء ونقسّم ذلك الى ابوابٍ لمزيد الايضاح

١ (الكتاب المقدَّس) تعريب الدكتورين عالي سميث وكرنيليوس ڤان ديك بمساعدة المعلّمين بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير الازهريّ. نُقل العهد القديم عن العبرانية والعهد الجديد عن اليونانية. وقد أُهملت في هذه الترجمة اسفار العهد القديم اليونانية كما انَّهُ عُرّبت بعض الآيات خلافًا لتعاليم الكنيسة. وكان النجاز من طبع هذه الترجمة في غاية آذار سنة ١٨٦٥. غير ان العهد الجديد كان تمَّ طبعهُ قبل ذلك في آذار سنة ١٨٦٠. ولاصحاب المطبعة الاميركية طبعات عديدة من التوراة او اقسام منها وهي مختلفة الحجم وجنس الحروف لا حاجة الى تعدادها

وممَّا يلحق بالكتاب المقدَّس: ١ً فهرس كلمات الكتاب المقدَّس للدكتور ج. پوست (١٨٧٣. ص ٧٠٤). — ٢ً قاموس الكتاب المقدَّس لهُ (الجزء الاول ١٨٩٤. ص ٦٥٥. الثاني تحت الطبع) — ٣ً مرشد الطالبين الى الكتاب المقدَّس الثمين للدكتور س. كلهون (١٨٦٩. ص ٦٤٨) — ٤ً الكنز الجليل في تفسير الانجيل جزءان (ص ٥٦٧ و ٥٧١) للدكتور وليم ادي — ٥ً تفسير اعمال الرسل والرسائل ثلثة اجزاء لهُ (٥٩٠ و ٥٦٩ و ٧٣٦) — ٦ً تفسير رسالة العبرانيين للدكتور ي. ورتبات (ص ٣٠٧) — ٧ً دليل الصواب الى صدق الكتاب لهُ (١٨٥١. ص ٢٥٧) — ٨ً القواعد السنيَّة في تفسير الاسفار الالهيَّة للدكتور ج. انس (١٨٨٠. ص ٤٧٤) — ٩ً جدول تاريخي للعهد القديم لهُ — ١٠ً اصداء التوراة للاسقف والش ترجمة اسعد افندي شدودي (١٨٩٠. ص ٢٠٣). واكثر هذه الكتب مع ما

٢ (المطبعة الاميركيَّة) هي المطبعة الثانية التي ظهرت في بيروت. وكان مركزها اوَّلًا في جزيرة مالطة. أُنشئت هنالك سنة ١٨٢٢ بعد ان صارت هذه الجزيرة تحت حكم الانكليز. وتولَّى نظارة مطبوعاتها العربية واصلاحها فارس الشدياق الشهير. وبلغ عدد هذه المطبوعات نحو عشرين كتابًا دونك اسماء ما نعرفهُ منها حسب تواريخها:

١ً سؤالات واجوبة ونصائح في حسن العبادة (سنة ١٨٢٦. صفحاتهُ ٢١٠) — ٢ً امثال ربّنا يسوع المسيح (سنة ١٨٢٨ ثم ١٨٤٠ صفحاتهُ ١٨١) — ٣ً الكنز المختار في اكتشاف الارضي (كذا) والبحار (١٨٣٣. ص ١٦٤) — ٤ً الدرّ الملضوم — ٥ً تواريخ الكتب المقدَّسة — ٦ً تاريخ العالم (وهذه الكتب الثلثة لا نعلم تاريخها) — ٧ً البرهان الصريح في حقيقة سرّي دين المسيح وهما التثليث والتجسّد الالهي للشماس عبد الله زاخر نقلًا عن الطبعة الشوَيريَّة (سنة ١٨٣٤. صفحاتهُ ١٢٧) — ٨ً بحث المطالب في علم العربية للحبر الجليل المطران جرمانوس فرحات في وجهِهِ الاول نقوش هيروغليفية (١٨٣٦. ص ٣١٧) — ٩ً الباكورة الشهيَّة في نحو اللغة الانكليزية لفارس الشدياق (١٨٣٦. ص ١٠٤) — ١٠ً تاريخ كنيسة المسيح (١٨٣٩. ص ٣٤٩) — ١١ً كتاب اللفيف في كلّ معنى ظريف للشدياق (١٨٣٩. ص ٢٩٩. ثم جدّد طبعهُ في مطبعة الجوائب) — ١٢ً كتاب المحاورة الانسيَّة في اللغتين العربيَّة والانكليزية لهُ (١٨٤٠. ص ١٨٨) — ١٣ً البيّنة الجليَّة في صحَّة الديانة النصرانية للاستاذ كيث (Keith) طُبع سنة ١٨٤٠ (صفحاتهُ ٢٨٥) — ١٤ً قصَّة مرتينوس لوثاروس (١٨٤٠. ص ١٤٧) — ١٥ كتاب الاجوبة الجلية في الاصول النحويَّة ملخَّص عن بحث المطالب (١٨٤١. ص ١٢٣) — ١٦ً شرح حال الكنيسة بالايجاز (١٨٤١. ص ٢٨٨) — ١٧ً شرح طبائع الحيوان — الجزء الاول في ذوات الاربع والطيور لفارس الشدياق (١٨٤١. ص ٣٤٩) — ١٨ً المختصر في التعليم المسيحي — اسئلة واجوبة (١٨٤٢. ص ١٣٣) — ١٩ً فصل الخطاب في الوعظ للسيد جرمانوس فرحات. وفي آخرهِ ثلاث مواعظ بروتستانية (١٨٤٢. ص ٣٢٣)

فيظهر من هذا الجدول ان المطبعة الاميركية اشتغلت في مالطة نحو عشرين سنة. وكان نقلها الى بيروت سنة ١٨٣٤. غير انَّهُ يؤخذ من القائمة التي ذكرناها آنفًا انَّ قسمًا من ادواتها بقي في مالطة على الاقلّ الى سنة ١٨٤٢

وكان الساعي في نقل المطبعة الاميركية الى بيروت احد المرسلين الاميركيين البروتستانت يدعى عالي سميث. فهذا المذكور أُرسل اولًا الى مالطة وتولى نظارة مطبعتها. لكنَّهُ اذ لم يكن عالمًا بالعربيَّة قدم بيروت سنة ١٨٢٧ ليدرس هذه اللغة العربية. ثمَّ عاد الى مالطة وتجوَّل في بلاد عديدة حتى انثنى راجعًا الى بيروت فسكنها سنة ١٨٣٣ وهمَّ في نقل مطبعة مالطة اليها لما وجدهُ فيها من الرجال المتضلعين بالعربية القادرين على مساعدتهِ فكان نقل المطبعة اليها سنة ١٨٣٤ كما مرَّ

تعريبهُ (١٨٥٧ . ص ٣١٢) —٣ً الانساب ومساحة المثلَّثات لهُ (١٨٧٣ . ص ٣٥٢ و ١٥٦) ٤ً كشف الحجاب في علم الحساب للمعلم ب . البستاني (١٨٤٨ . ص ٣١٧ و ١٨٥٩ . ص ٣٥٨ و ١٨٨٥ . ص ٤١٤) — ٥ً مبادئ الجبر لداود افندي الحاج — ٦ً مصباح الكاسب ودليل الحاسب (١٨٨٦ . ص ١٢٠)

٧ً (كتب جغرافيَّة) ١ً الخلاصة الصافية في اصول الجغرافية ١٨٥٨ . ص ٣١٨ و ١٨٦٨ ص ٢٥٢ طبعتهُ الثامنة ١٨٩٢ ص ٢١٩) — ٢ً المرآة الوضيَّة في الكرة الارضيَّة للدكتور ڤان ديك (١٨٥٢ . ص ٥٠٢) — مبادئ الجغرافية لداود افندي الحاج — اطلسات وخرائط شتَّى

٨ً (كتب الهيئة والظواهر الجوّيَّة) ١ً اصول الهيئة للدكتور ڤان ديك (١٨٧٤ . ص ٢٨٨) — ٢ً ارواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء لهُ (١٨٩٣ . ص ٢٣٩) — ٣ً مبادئ علم الهيئة لاليزا اڤرت (١٨٧٥ . ص ١٧٤) — ٤ً الظواهر الجوّيَّة اي علم المتيورولوجيا للدكتور لوميس تعريب فارس نمر (١٨٧٦ . ص ٢٤٠)

٩ً (كتب الطبيعيَّات والكيميا) ١ً العروس البديعة في علم الطبيعة للمعلم اسعد شدودي (١٨٧٧ . ص ٥٩١) — ٢ً الدروس الاوليَّة في الفلسفة الطبيعيَّة للعامَّة ا. جَكْسُن (١٨٨١ . ص ٤٢٨) — ٣ً اصول الكيميا للدكتور ڤان ديك (ص ٣٢٠) — ٤ً التحليل الكيمي للدكتور ا. لويس (١٨٧٦ . ص ٢٢٠) — ٥ً كيميا الهواء والماء لهُ (١٨٧٩ . ص ١٠٤) — الكواشف الجليَّة عن الحقائق الكيميا (١٨٨٢ . ص ١٦٠ . لم يكمل)

١٠ (النبات والحيوان) ١ً نبات سوريَّة وفلسطين والقطر المصري للدكتور ج . پوست المجلد الاول (١٨٨٤ . ص ٤١٩) — ٢ً غيره بالانكليزيَّة اوسع (ص ٩٢٠) — ٣ً نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات لهُ (الجزء الاول ١٨٦٩ . ص ١٤٤ الثاني ١٨٨٢ . ص ٩٦) — ٤ً نباهة الحيوان . عرَّبهُ س . ط . (١٨٩٠ . ص ٢٥٠)

١١ً (الكتب الطبيَّة والجراحيَّة) ١ً مبادئ التشريح والهيجين والفيسيولوجيا للدكتور ج. پوست (١٨٧٠ . ص ١٨٧) — ٢ً المصباح الوضَّاح في صناعة الجرَّاح لهُ (١٨٧٣ . ص ٨٠١) ٣ً اصول التشخيص الطبيعيّ للدكتور ڤان ديك (١٨٧٤ . ص ١٢٨) — ٤ً كتاب التوضيح في اصول التشريح للدكتور ي . ورتبات (ص ٤٧٢) مع اطلس ذي ثماني خارطات في التشريح ٥ً كتاب اصول الفيسيولوجيا لهُ (١٨٧٧ . ص ٥٦٣) — ٦ً كفاية العوام في حفظ الصحَّة وتدبير الاسقام لهُ (١٨٨١ . ص ٢٩٠) — ٧ً الاقراباذين او الموادّ الطبيَّة للدكتور ج . پوست (١٨٨٢ . ص ٣١٢) — ٨ً طبّ الحيوان لجرجس افندي طنوس عون (١٨٨٤ . ص ٤٢٨) — ٩ً رسالة ابي بكر بن زكريَّا الرازيّ في الجدري والحصبة (١٨٧٢ . ص ١١٢)

١٢ (كتب ادبيَّة وشعريَّة) ١ً مجمع البحرَين للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٥٦ . ص ٤٣٢) . ثمَّ اعيد طبع هذه المقامات مرارًا في مطبعتنا الكاثوليكيَّة — ٢ً نبذة من ديوانهِ (١٨٥٣ . ص ١٢٨) — ٣ً ثالث القمرين من نظمهِ (١٨٨٣) . ص ١٤٨) — ٤ً زهر الرُّبى في شعر الصبا لخليل افندي الخوري (١٨٥٧ . ص ٩٤) — ٥ً اشعر الشعر نظم رزق الله حسُّون (١٨٧٠ ص ١٣٩) — ٦ً ديوان الفارض مع شرحهِ — ٧ً نزهة الافكار في اطايب الاشعار للمعلِم

فيها من الفوائد لا تخلو من المغامز ولا يجوز للكاثوليك ان يطالعوها بدون رخصة رؤسائهم

٢ (الكتب الدينية) يبلغ عدد الكتب الدينيَّة التي طُبعت في المطبعة الاميركيَّة ما خلا الكتاب المقدَّس ومتعلّقاتهِ نحو ٤٠٠ كتاب او كراسة لا حاجة الى ذكرها وفي اكثرها طعنٌ على الكنيسة الكاثوليكيَّة. وقد فنَّد الكاثوليك هذه التهم مرارًا عديدة وازالوا ما فيها من الشبهات. وبين هذه المطبوعات ما لا بأس منهُ مثل كتاب شهادة التاريخ الى لاهوت المسيح للدكتور يُنك (١٨٩٠ ص. ٢٠٩) وكتاب الدكتور كيث «البيّنة الجليَّة على صحَّة دين النصرانية» (١٨٩٣.ص١١١).واطول من هذا «الادلَّة السنيَّة على صدق اصول الديانة النصرانية» (١٨٧٧ ص ٣٨٣). وبين هذه الكتب ما حُرّف عن اصلهِ الكاثوليكي مثل «كتاب الاقتداء بالمسيح» (١٨٤٢ و ١٨٧٩) وقد حُذف منهُ كلُّ ما يشهد على صحَّة الدين الكاثوليكي

٣ً (الكتب التاريخية) ١ً اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنُّوس الشدياق (١٨٥٩ ص ٧٢٠) — ٢ً النهج القويم في التاريخ القديم للاستاذ ه. پورتر (١٨٨٤. ص ٥٩٨) — ٣ً قطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا افندي ابكاريوس (٧١٧. ص ٨٢٩) وفيهِ فصول لا يسلّم بصحَّتها الكاثوليك — ٤ً الروضة الغنَّاء في تاريخ دمشق الفيحاء لنعمان افندي قساطلي (١٨٧٩. ص ١٦٢) — ٥ً سواء السبيل في سكَّان ارض النيل للدكتور و. بدج (١٨٨٨.ص ١٣٣) — ٦ً سِيَر الابطال والعظماء (١٨٨٣. ص١٨٤) — ٧ً صنَّاجة الطرب في تقدُّمات العرب لنوفل افندي نوفل (ص ٤٦٤) — ٨ً تاريخ يوسيفوس (١٨٧٢. ص ٣٢٤) — ٩ً الدرّ النظيم في التاريخ القديم للمعلّم ا. سركيس (١٨٧٥. ص ١٤٣) — ١٠ً وتاريخ اليونان لجرجي د. سرسق (١٨٧٦. ص ٢٧٦) — ١١ً وتاريخان للكنيسة مطوَّل لموسهيم (١٨٧٥. ص ٨٥٣) وقصير (ص ٢٧٩) عرَّبهُ يوحنا ابكاريوس وفي كليهما قذف على الكنيسة الكاثوليكيَّة الخ

٤ً (كتب لغويَّة وقواميس) ١ً الاجروميَّة (١٨٤١) — ٢ً فصل الخطاب للشيخ ناصيف اليازجي مع شروح عليهِ (١٨٦٦. ص ٢٥٤ ثم تكرَّر طبعهُ مرارًا) — ٣ً نار القرى في شرح جوف الفرا لهُ (١٨٦٣. ص ٢٨٩) — ٤ً مختصرهُ لولده الشيخ ابراهيم (١٨٨٢. ص ٢٩٦) — ٥ً مصباح الطالب في بحث المطالب للمعلّم بطرس البستاني (١٨٥٤. ص ٤٢٥) — ٦ً مفتاح المصباح في الصرف والنحو لهُ (١٨٦٣. ص ١٤٤ و ١٨٦٧. ص ٣٥٩) — ٧ً وقاموس محيط المحيط جزءان (١٨٦٧—١٨٧٠) ومختصر قطر المحيط لهُ (١٨٦٧—١٨٦٩) — ٨ً مجموع الادب في فنون العرب مجموعة في المعاني والبيان والبديع والعروض للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٥. ص ٢١٤. ثمَّ كُرّر طبعهُ)

٥ً (كتب فلسفيَّة) ١ً الدروس الاوَّليَّة في الفلسفة العقليَّة للدكتور د. بلس (١٨٧٤. ص١٧٦) — ٢ً نفي النشوء والارتقاء اي ابطال مذهب دروين للمعلّم ابراهيم الحوراني (١٨٤٤. ص٣٥) — ٣ً الحقّ اليقين في الردّ على دروين لهُ (١٨٨٦. ص١٥٦) — وكتاب قطب الصناعة في اصول المنطق للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٥٧. ص٤٨)

٦ً (كتب رياضيَّة) ١ً الروضة الزهريَّة في الاصول الجبريَّة ترجمة الدكتور فان ديك (١٨٥٣. ص ٢٥١ ثمَّ كُرّر طبعهُ) — ٢ً الاصول الهندسيَّة يشتمل على كُتب اقليدس الستَّة

الاسئلة في مقالة مفردة تحت عنوان ايضاح بعض المشاكل الدينيَّة وقسمناها الى بابين المشاكل الكتابيَّة والمشاكل اللاهوتيَّة

١ مشاكل كتابيَّة

١ (سؤال) قد اثبت الفلكيون انَّ الارض دائرة والشمس والقمر ثابتان فكيف ينطبق ذلك مع ما ورد في الاسفار الالهيَّة عن ثبوت الارض ودوران الشمس والقمر (ارميا ٣٣: ٢٠-٢١): «هكذا قال الرب ان امكن ان تنقضوا عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتَّى لا يكون الليل ولا النهار في اوانهما يمكن ايضاً ان يُنقض عهدي مع داود . . » وفي سفر يشوع (١٠: ١٢) «فقال (يشوع) على مشهد اسرائيل يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي ايَّالون فوقفت الشمس وثبت القمر . . . فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تمِل للمغيب مدَّة يوم كامل». ومثلهُ في سفر ابن سيراخ (٤٦: ٥) وفي بعض ميامر القديس افرام ان يشوع منع الشمس والقمر عن سيرهما. وجاء في سفر الجامعة (١: ٤-٥): «جيل يمضي وجيل يأتي والارض قائمة مدى الدهر والشمس تشرق والشمس تغرب ثمَّ تسرع الى موضعها الذي طلعت منهُ»

(جواب) قد بيَّن حضرة الاب غ. زموفن في المشرق (١: ٢٦٤) ببراهين دامغة انَّ الارض ليست بثابتة تدور حولها الكواكب وانَّما الامر بعكس ذلك اعني انَّ الارض هي التي تدور على محورها فليُراجع. ولا ننكر انَّ للكواكب والشمس ايضاً حركةً خاصَّة كما يبيّن ذلك العلماء. لكن السائل وَهم اذ ظنَّ انَّ الفلكيين يقولون بثبوت القمر فانَّ للقمر حركاتٍ مختلفة من جملتها دورانهُ حول الارض (المشرق ٣: ٢٢٦). امَّا النصوص الكتابيَّة التي استند اليها السائل فانها كلها محمولةٌ على الظواهر وفقًا للكلام الجاري بين الناس. فان الاسفار المقدَّسة ليست كتباً علميَّة غايتها شرح نواميس الطبيعة وانَّما غايتها اسمى من ذلك وهي تهذيب النفوس وارشادها الى الخلاص فان ورد فيها شيء من الحقائق العلميَّة فذلك لسياق الكلام يعرضها الروح القدس للبشر على صورة تقرّبها الى فهم الجمهور وبالطريقة الشائعة عند القراء دون ان يجزم بصحَّتها او بطلانها. ولنا شاهدٌ حسّي على ذلك في كلام العلماء انفسهم فانَّهم اذا خرجوا من مدارسهم الرسميَّة وحادثوا الناس يقولون مثلهم: «طلعت الشمس واستوت في كبد السماء ومالت الى الغروب» وهلمَّ جرًّا مع علمهم انَّ الشمس ثابتة وان الدوران هو للارض. وزد على ذلك انَّ آية ارميا لا تُشعر بثبوت الارض او دورانها لانَّ الليل والنهار يأْتيان في اوانهما سواءٌ دارت الشمس ام دارت الارض على محورها. وكذا آية سفر الجامعة لا يؤْخذ منها ان الارض ثابتة لا تدور وانَّما المعنى ان الارض باقية على حالها مع كرور

ابراهيم سركيس (١٨٨١. ص ٢٦٠) — ٨ً مقامات الحريري (١٨٧٣. ثمَّ كُرّر طبعهُ في المطبعة الادبيَّة) — ٩ً النفائس لتلامذة المدارس جمع الدكتور ڤان ديك (١٨٨٢ و ١٨٨٦. ص ٢٨٠) — ١٠ً كليلة ودمنة — ١١ً الدرَّة اليتيمة في الامثال القديمة لابراهيم سركيس (١٨٧١. ص ١٧٢)

١٣ً (علميَّة شتَّى) ١ً زبدة الصحائف في اصول المعارف لنوفل افنـدي نوفل (١٨٧٤. ص ٢٤٧) — ٢ً سوسنة سليمان في اصول العقائد والاديان لهُ (١٨٧٦. ص ٢٥٥) — ٣ً سياحة المعارف لهُ (١٨٧٩. ص ٥٥٩) — ٤ً الدرّ المكنون في الصنائع والفنون لجرجس عون افندي طنوس عون (١٨٨٠. ثمَّ جدّد طبعهُ في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ ﻫ ١٨٨٥ م) — ٥ً سر النجاح لصموئيل صمَيْلز (١٨٨٠. ص ٣٥٤) — ٦ً الآيات البيّنات في غرائب الارض السماوات للعلّم ابراهيم الحوراني (١٨٨٣. ص ١٦١) — ٧ً عجائب البحر ومحاصيلهُ التجاريَّة للعلَّامة سموندس عرَّبهُ ج. بني (١٨٩١ ص ٤٦٣) — ٨ً قلائد النحر في غرائب البرّ والبحر لسليم افندي كسَّاب (١٧٩٢ جزءان ص ٢٧٥ و ١٤٤) — ٩ً رجال التلغراف ترجمة ابراهيم افندي الحوراني (١٨٩٥. ص ٣٠٤) — ١٠ً الروض النضير للولد الصغير جمع الدكتور ﻫ. جسب (١٨٨١. ص ١٨٥)

١٤ (لغات ومجلَّات) ١ قاموس عربي وانكليزي مطوَّل للدكتور يوحنا ورتبات وهارفي بورتر — ٢ً آخر مختصر لها عربي وانكليزي وانكليزي وعربي — ٣ً قاموس اخر عربي وانكليزي لسليم كساب وجرجس همام — ٤ً قاموس مطوَّل انكليزي وعربي ليوحنا افندي ابكاريوس ومختصرهُ — ٥ً الهدية الشرقيَّة لطلبة اللغة الانكليزيَّة لقسطنطين افندي الخوري (١٨٨١. ص ٢٨٦ ثمَّ كُرّر طبعهُ) — ٦ً مرشد المتعلّم فرنساوي وعربي جزءان لجرجس افنـدي نوفل — مرشد المتكلّم تركي وعربي لهُ — ٧ً النشرة الاسبوعيَّة (أُنشأت سنة ١٨٧١) — ٨ً الطبيب (١٨٨١)

هذا ما رأينا اثباتهُ من مطبوعات المطبعة الاميركيَّة ولا نجهل ان لها كتباً اخرى كروايات وقصص وكراريس ممَّا يطول شرحهُ وليس تحتهُ كبير امرٍ لفائدة الادباء. وقد وعدنا جناب الدكتور ﻫ. جسب ببعض افادات عن المطبعة المذكورة نثبتها عند ورودها (ستأتي البقيَّة)

ايضاح بعض المشاكل الدينية

للاب لويس شيخو اليسوعي

عُرضت على ادارة المشرق عدَّة مشاكل من بجنّس لحضرة الخوري موسى ميلان الخوري ومن عين سعادة لحضرة الخوري بطرس صعيب البجاني ومن دير القمر لحضرة القس نعمة الله الشهابي الحلبي ومن عندقت لجناب المعلّم ابراهيم عبد الجليـل ومن القاهرة لجناب ر. ن ومن بيروت لجناب نقولا الخوري. فرأينا ان نجيب على هـذه

هبات الله تعالى للاحياء من اوليائهِ. ولكن يمكنهُ عزَّ وجلّ ان يكل الى الملئكة والابرار القديسين من الاموات تبليغ امور الغيب الى من يشاء — امَّا المراد بقول صموئيل « غداً تكونون معي » فمعناهُ انكم تكونون في عداد الاموات مثلي وليس المعنى انهم يحظون بنصيبٍ سعيد مثلهُ

٣ (سؤال) ما معنى الآية الواردة في اشعيا (الفصل ٢٩ العدد ١١): « يناولون الكتاب لمن يعرف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا استطيع لانهُ مختوم ». وهل في هذا اشارة الى البتول العذراء وخطيبها القديس يوسف كما زعم البعض ؟

(جواب) راجعنا كلَّ الآباء والمفسّرين الذين يُعتمد عليهم في الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة في معنى هذه الآية الصحيح. فرأيناهم كلهم لساناً واحداً في القول انَّ الكلام في هذه الآية عن الانبياء الكذبة ويكفي لبيان ذلك ان تقرأ الآية السابقة قال النبي (ع ١٠): « انَّ الربّ قد سكب عليكم روح سُبات واغمض عيون الانبياء منكم وحجب رؤُوس الرائين (ع ١١) فصارت لكم رؤيا الجميع كاقوال كتاب مختوم يناولونهُ لمن يعرف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا استطيع لانهُ مختوم (ع ١٢) ثمّ يُناوَل الكتاب الى من لا يعرف الكتابة ويُقال لهُ اقرأ هذا! فيقول لا اعرف الكتابة ». فليس في كل ذلك كما ترى ادنى اشارة الى البتول العذراء او الى خطيبها القديس يوسف امَّا قول البعض انّ القديس يوحنَّا فم الذهب شرح هذه الآية عن مريم ويوسف فليس بصحيح لانّ « كل المنتقدين » من كاثوليك وبروتستانت وإباحيين يرتأُون ان الخطبة التي وردت فيها هذه الشهادة ليست لهُ يُستدلّ على ذلك من وجوه عديدة قال مُنفوكون العلامة الشهير: « ان في هذه العظة خرافات مضحكة واقاويل صبيانيَّة (ridicula et puerilia) لا يمكن نسبتها الى قديس عظيم كمثل القديس يوحنَّا فم الذهب ». وزد على ذلك انَّ انشاء هذه الخطبة يختلف عن انشاء خطب القديس يوحنَّا فم الذهب اختلافاً كلياً (راجع المشرق ٣: ٤١٤)

٢ مشاكل لاهوتية

١ (سؤال) معلومٌ انَّ السيد المسيح صعد الى السماء بطبيعتي اللاهوت والناسوت فهل يمكن ان يتّحد مع الاب في الطبيعة الناسوتية مثلما يتّحد في اللاهوت حال كون طبيعة الآب لا تقبل الاختلاط بالناسوت. أفيكون اذاً المسيح منفصلاً عن الاب (كذا بالحرف)

الدهور وتوالي الأَيام . اماَّ المعجزة التي صنعها يشوع بن نون فيمكن تطبيقها مع تعليم العلماء بطرائق شتى اماَّ بان يُقال انَّ الله أَوقف الارض لا الشمس وان كانت الشمس هي في الظاهر الموقفة وانَّ يشوع اليها وجَّه خطابهُ لوهمهِ انها هي الدائرة لا الارض او لحملهِ كلامهُ على ظنّ اهل زمانهِ . واماَّ بان يُقال انّ الله لم يوقف لا الشمس ولا الارض وانَّما عكس فقط نور الشمس ليبقى ضوؤها في السماء وان كان جرمها غائبًا عن العيان كما يحدث ذلك في عدّة ظواهر جوّيّة . ويجوز ايضًا ان يقال انَّ الله احدث نورًا خارق العادة يقوم مقام نور الشمس والقمر . فهذه اجوبة مختلفة كافية لحلّ هذا المشكل . ثمَّ لا بأْس من القول بان القديس افرام كان يرتأي كاهل زمانهِ انَّ الارض ثابتة والشمس والكواكب دائرة . وللاباء القديسين اغلاط مثل هذه تبعوا فيها اوهام عصرهم

٢ (سؤال) ما هي هذه المرآة ذات تابعة التي استشارها شاول (١ ملوك ٢٧ : ٩-١٧) وكيف امكنها ان تُصعد صموئيل لشاول ؟ واين كان صموئيل بعد موتهِ ؟ وكم كان مرَّ عليهِ من الزمان منذ وفاتهِ ؟ باي هيئة ظهر ؟ ما معنى قولهِ : لماذا اقلقتني واصعدتني ؟ هل تبقى النبوَّة بعد الموت ؟ كيف يمكن ان يوجد بمحلّ واحد نبي كصموئيل واشقياء كشاول واولادهِ بحيث يصحُّ قولهُ « وغدا تكونون معي » ؟

(جواب) التابعة في العربيَّة الجنيَّة والمراد هنا الشيطان . فتكون المرأة ذات التابعة هي الساحرة المتعلّقة بعدوّ البشر المعاهدة لهُ . — كيف امكن امرأةً ساحرة ان تُصعد نبيًّا جليلًا ؟ الجواب على هذا انَّ الساحرة لم تَقوَ على إصعادهِ بقوَّة سحرها بل باذنهِ تعالى الذي سمح انّ السحر الذي التجأَ اليهِ شاول رغمًا عن أَوامر الله المشدَّدة يكون وبالًا عليهِ . والأَولى ان يُقال ان السحر لم يكن « سببًا » لظهور صموئيل بل « نُهزةً » انتهزها الربّ لينذر شاول بالشرّ القريب لعصيانهِ . ويؤَيد ذلك ان المرأة الساحرة بعد ان رأَت صموئيل تعجَّبت وارتعبت مع انَّ شاول كان طلب منها اصعادهُ — اين كان صموئيل بعد موتهِ ؟ كانت نفسهُ في موطن الابرار حيث كانت النفوس الصالحة تنتظر مجيء المسيح . وهو المكان الذي يدعى يمبوس تصحيف لِمبوس (Limbes) — كم كان مرَّ من الزمان على صموئيل منذ وفاتهِ ؟ نحو ثلاث سنين — باي هيئة ظهر ؟ بالهيئة التي كان يُعرف بها في حياتهِ ليتمكَّن شاول من معرفتهِ وتصديق كلامهِ — معنى قولهِ : « لماذا اقلقتني واصعدتني » هو التوبيخ والتقريع لشاول الذي اقلق راحة ميتٍ لم يعُد مذ يوم وفاتهِ يبالي بالامور العالميَّة ويكترث لصروف الدهر — اماَّ النبوَّة فهي عادةً من

نعلِّل هذه الحكمة الالهية بالغاية التي قصدها الخالق في خلقهِ العالم والانسان. والغاية المذكورة هي مجدهُ تعالى. فان كان مجد الله يظهر جليًّا بالتسامح بالخطيئة أفليس من الحكمة ان يطلق الحرّيَّة للاسباب الثانويَّة حتى اذا شردت وضلَّت فلا يبقى لها وجهٌ للنجاة يُظهر الخالق قوَّة يمينهِ بما لديهِ من الوسائط العجيبة فيعيد كلّ شيء الى نظامهِ.

(ثالثًا) ويزيد هذا البرهان قوَّة اذ نرى ما ينتج من الخيرات للانسان بسماح الله بالخطيئة. منها انَّ الانسان يمجِّد الله بمجدٍ اعظم اذا اختار الصلاح وهو مخيَّر بين الشرّ والخير. كما ان الثواب لا ينالهُ المرء الَّا بقَسر نفسهِ على الخير وردّها عن الشرّ وذلك ممَّا يقتضي سماح الله بالخطيئة. وماذا نقول عن الخيرات العميمة التي شملت البشر بسرّ تجسُّد ابن الله الذي اكسب العالم خيورًا فوق ما نالهُ من الشرور بكثير. ولولا سماح الله بالخطيئة لما ظهرت كلُّ هذه الفوائد (راجع المشرق ٣ : ٩٤). قال القديس اوغسطينوس: « لولا ان الله قادر على صنع الخير حتى من الشرّ لما كان قطّ سمح بوجود الشرّ ». وقال القديس توما الاكويني: « ليس من الصواب ان نحكم على الباري حكمنا على المخلوقات التي يجب عليها منع الشرّ اذا كانت قادرة على ذلك لانّ الله عزَّ وجلّ العلة الاولى فلمَّا كان الكون كلهُ خاضعًا لهُ فقد يسمح بعروض نقصٍ ما في بعض اجزاء الكون استبقاء لخير الكل فلولا قتل الحيوانات لم تكن حياة الاسد ولولا اضطهاد الظالمين لم يكن صبر الشهداء »

٣ (سؤال) اذا حكم الله على ميتٍ تكفيرًا عن خطاياه بزمن معلوم من العقاب في المطهر هل تقوى صلوات الكنيسة والصدقات وتقدمة الذبيحة الطاهرة على تقصير هذا الاجل المحدود او تخفِّف فقط عذاب الميت

(جواب) انَّ صلوات الكنيسة والصدقات المقدَّمة على نيَّة الاموات ولاسيما ذبيحة القربان الاقدس تقوى ليس فقط على تخفيف عذاب الانفس المطهريَّة بل ايضًا على تقصير زمن محنتها. ذلك امرٌ لا ريب فيهِ يقرُّ بصحتهِ جميع اللاهوتيين. لانَّ الذي يقدر على تخفيف العذاب هو مقتدر ايضًا على تقصير حدودهِ. فالامر اذن منوط بارادتهِ تعالى الذي يقبل شفاعة كنيستهِ ومبرَّات مؤمنيهِ متى شاء وكيف شاء مع مراعاة قضاء عدلهِ. ولعلَّ السائل يظنّ انَّ الله يغيِّر حكمهُ بعد قضائهِ على الميت بمدة معلومة من العذاب فذلك وهمٌ لانَّ الديان يسبق ويرى ما سوف تقدّمهُ كنيستهُ من الصلوات والذبائح لراحة الميت المذكور فيبرز حكمهُ وفقًا لما يراهُ سابقًا من هذه المبرَّات

(الجواب) يظهر من هذا السؤال ان السائل لم يميّز بين الاقنوم والطبيعة فانهُ لا ينتج من كون ناسوت المسيح غير متّحد مع الآب انَّ المسيح منفصل عن الاب بجوهرهِ. لان في المسيح اقنوماً واحدًا وهو الاقنوم الالهي الذي هو متّحد تاماً بجوهرهِ مع الاب وان كان هذا الاقنوم الواحد قائماً في طبيعتين الهيَّة وانسانيَّة. وعليهِ فيجب القول انَّ المسيح باقنومهِ الوحيد متصل كلُّهُ بالآب ولكن من حيث هو إِلٰه لا من حيث هو انسان. مثال ذلك شعاع الشمس الملوّن بنفوذهِ في زجاج احمر فانَّ تلوُّنهُ بالحمرة لا يمنع كونهُ كلهُ متّصلًا بجرم الشمس كما كان قبل اجتيازهِ بالزجاجة الحمراء. ومثلهُ ايصال كلمة المرء التي لا يمنعها اذا تكيَّفت بالصوت الحي ان تبقى كلها متصلة بعقل الانسان. فكذلك المسيح فانَّ اتخاذهُ للطبيعيَّة البشريَّة لا ينفي كونهُ متحدًا كلُّهُ اتحادًا جوهريًّا بالآب من حيث هو إِلٰه لا من حيث هو انسان

هذا وفي سؤال السائل امور كثيرة تدلُّ على عدم ادراكهِ للتعاليم النصرانيَّة من ذلك قولهُ: « ان المسيح صعد الى السماء بطبيعة اللاهوت » لانَّ طبيعة اللاهوت هي الطبيعة الوحيدة التي في الاقانيم الثلثة لا يصيبها ادنى تغيير بتجسُّد الاقنوم الثاني. ومنها قولهُ: « ان المسيح يتَّحد مع الاب بالطبيعة الالهيَّة » لانَّ ليس للاب طبيعة الهيَّة مختلفة عن طبيعة الابن. بل هي الطبيعة ذاتها كاملة في كليهما وفي الروح القدس. ومنها قولهُ: « ان طبيعة الاب لا تقبل الاختلاط في الناسوت » فان كان مقصود السائل انَّ اقنوم الآب لا يمكنهُ ان يتَّحد بالطبيعة البشرية مباشرةً فرأي اغلب العلماء عندنا ان الامر ممكن وان كان مقصودهُ انَّ الآب لا يتَّحد بناسوت الابن بالتوسُّط فالقول فاسد لانَّ الاتّحاد صار مباشرةً بالاقنوم الثاني وبالتوسُّط صار ايضاً بالطبيعة الالهيَّة القائمة بالثلاثة الاقانيم. وعليهِ امكنَ المسيح ان يقول: انا والآب واحد

٢ (سؤال) كيف تعلّلون حكمة الخالق اذ خلق الانسان وسمح بخطيئتهِ فعاقبهُ عنها باخراجهِ من الجنة وجعلها ارثاً في نسلهِ وهو تعالى مع ذلك قادرٌ ان يمنعهُ باشارة او بمجرد الارادة

(جواب) لا ريبَ في ان الله كان يستطيع ان يمنع خطيئة الابوين الاوَّلين بمجرَّد ارادته. ولكن تُرى اين حكمة الله بسماحهِ بالخطيئة وهو قادرٌ على منعها ؟ . نجيب (اولًا) اننا وان قصرنا عن ادراك حكمة الله في بعض اعمالهِ فليس ذلك سبباً لانكار هذه الحكمة لان عقل الانسان عاجز عن فهم صفاتهِ تعالى الغير المتناهية. (ثانياً) اننا

(الكتابة الخامسة) — ١ً [تـ]ـف الي رحمت (عوض رحمة (١) الله علي ٢ً ابن محمد الكنوزه ٣٢١

(الكتابة السادسة) — ١ً تفة (عوض تفت) الى رحمت (رحمة) الله ٢ً هدل بنت عصمن (عوض عثمن) ٣٢١

ولنا في هذا النصّ ملاحظات عديدة . نقول:

١ً لا ريب في ان الناقش لم يكن من ذوي المعارف الواسعة فانهُ غلط في بعض المواضع كما رأيتَ . غير انَّ الاغلاط لا تخلو من فائدة في بعض الآونة فان كتابة « عصمٰن » عوض « عثمٰن » تخبرنا جليًّا ان اهالي بلاد الحصن كانوا يلفظون الثاء او بالحري السين صادًا في اسم عثمان في مطاوي القرن الرابع للهجرة . ولسنا نستغرب هذا اللفظ اولًا لان السين لا يمكن عادةً لفظها الخالص كلما يتقدَّمها حرف حلقي مُفخَّم كالعين المحركة بالضمَّة . ثانيًا لان معاصرينا من اهل حمص وجوارها يلفظون نفس هذا العلَم كما كان يلفظهُ سلفاؤهم منذ الف سنة (٢

٢ً ممّا لا يفوت الخبيرين بالعاديات العربيَّة انَّ رسم تاريخ الهجرة بالارقام لا وجود لهُ في الكتابات العتيقة المكتشفة الى ايامنا هذه الَّا نادرًا (راجع CIA, p.15, 120)

٣ً لا مرية ان خط الاثرين اللذين نحن بصددهما يُحسب من النسخي وان كان لهُ بعض الشبه بالكوفي القديم . وشكل الحروف اتقن في الكتابة الخامسة منهُ في السادسة حيث ترى فصلًا غريبًا بين النون والتاء في اسم بنت . وزد ان الناقش لم ينسَ شيئًا من نُقط الحروف المعجمة (٣ . وكل ذلك عزيز الوجود في الكتابات العربيَّة المعروفة الى هذه الغاية والمنتمية الى القرن الرابع للهجرة . لا بل نظنُّهُ واردًا هنا لاول مرَّة (٤

---

١) ومثل هذا الغلط قد ورد في كتابة ميلٍ نصبهُ عبد الملك بن مروان في جوار القدس الشريف (راجع V. Berch.: *Inscript. arab. de Syrie* p. 419, pl.1)

٢) ان صاحب الكتابة هو الذي اشار الى هذا اللفظ لحضرة الاب لامنس

٣) لا يُحسب غلطًا وضع النقطتين تحت الياء في كلمة الى

٤) انما نرتأي هذا الراي لان العلامة فان بركم لم يذكر شيئًا من هذا الجنس في ما اطَّلعنا عليهِ من مجموعاتهِ النفيسة . لا بل اظهر رأيهُ جهرًا في عدَّة مواضع من تصانيفهِ المنيرة قائلًا ان الخط المعروف بالنسخي لا وجود لهُ في كتابات سوريَّة ومصر قبل القرن السادس للهجرة (طالع مثلًا J A 1891² p. 69 seq., *Inscript. arab. de Syrie* p. 452-4.)

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزفال اليسوعي (تابع لما سبق ص ٣٢ – ٣٩)

الكتابة العربية الرابعة

(طولها نحو ٣٠ سنتيمترًا في ٤٠ س عرضًا)

هذه الكتابة كالسابقتين والتاليتين من هدايا حضرة الاب لامنس اليسوعي اخذ حديثًا رسمها الطبعي على الورق في بيت من بيوت بعلبكّ. ولا نرى حاجة الى التطويل في ايراد خواصّ هذا الاثر لشبههِ الواضح بالكتابة العربيَّة الثالثة (طالع صورتها في ما سبق (٣: ٣٨) فكأَنَّ يدًا واحدة نقشتهما. ولذا لا نرتاب في ان تاريخ هذه قريب من تاريخ تلك ولو لم يبقَ على الحجر سوى بدء لفظة «السنة». اما مضمون الكتابة فكما يلي:

١ ؟.... تو [فـ]ي... ٢ حُسَين ابن ابو الحسَن... ٣ السم؟... اا [ر] ي رَحِمَهُ الا [ه ورضي] ٤ عنهُ في رجب. ؟. سنـ [ة]....

وليس في هذا النص شيء جدير بالذكر سوى غلطتَيْهِ اعني بهما «ابن» و«ابو» وهما كثيرا الورود في الكتابات العربيَّة على ما مرَّ الاشارة اليهِ. وممَّا نأسف لهُ عجزنا عن قراءة الكلمة الاولى في السطر الثالث وهي بلا مراء اسم منسوب كان من حقّهِ ان يطلعنا على مسقط رأس المتوفّى او نسبهِ او غير ذلك من اطوار حياتهِ. واما الالفاظ الاخرى التي لم نقدر على فكّ رموزها لسوء حال بقايا احرفها فنسلِّم قراءتها الى حذاقة القارئ اللبيب

الكتابتان الخامسة والسادسة

رأينا ورأي الاب لامنس انَّ لهاتين الكتابتين اهميَّة معتبرة وقد اخذهما حضرتهُ برسم الطبع الجيد المتقن في مدينة حمص عن حجرين ضريحيَّين نُقلا اليها من تنورين (في قضاء الحصن). وكلا الحجرين على شكل جَمَلون (en dos d'âne) رُسم على احد جانبيهِ كتابةٌ ناتئة الاحرف يبلغ نتوها نحو نصف سنتيمتر. وطول الكتابة الخامسة ٥٢ س وطول السادسة ٥٩ س

ومضمون الكتابتين كامل لا ينقصهُ سوى نقطة في افتتاح الاولى:

الكتابات العربية الرابعة والخامسة والسادسة

عين فعل تُوُفّي كما كان يلفظهُ سكان بلاد الحصن في مبادئ القرن الرابع للهجرة . والرأي الاول هو رأي الابوين لويس شيخو وصالحاني . والثاني رأي الابوَين لامنس ويوسف تاتي . امَّا نحن وان لم نستصعب التسليم بامكانيَّة صحَّة الافتراض الاول لما هو معروف

٤ً بقي علينا ان نتكلّم عن اربع لفظات وردت في هاتين الكتابتين اي « الكنوزه وهدل وتف وتفة ». فنقول في :

(الكنوزه) انهُ لا شك في وجود الواو بعد النون في الكتابة وان لم تأتِ فيها واوٌ اخرى ترشدنا الى معرفة هيئتها الخصوصيَّة الدقيقة. ولنا على صحّة رأينا دلالة واضحة في البياض الباقي في رأس الحرف. لكنَّا لا نتجاسر على شرح معنى هذا اللقب المنقول عن صفةٍ رغمًا عن شيوع مادَّة ك ن ز في لسان العرب. وما لا ريب فيهِ ايضًا ان الناقش لم يعجم الحرف الاخير بل رسم العلَم كما كان يُلفظ تمامًا اي « الكنوزَه »

(هدل) هو علم مؤنث لم نقف عليهِ في امهات اللغة القديمة. غير انهُ قد ورد في السيرة النبويّة (ص ١٣٥). قال ابن هشام: « قال ابن اسحق وحدَّثني عاصم بن عمر ابن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: قال لي هل تدري عمَّ كان اسلام ثعلبة بن سَعية وأُسيد بن عُبيد نفرٍ من« هدَل » اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليَّتهم..»اه ولا يخفى ان اسماء القبائل كثيرًا ما تكون مؤنثة الجنس (١

(تف وتفة) لا حاجة الى القول بان التاء المربوطة هنا تنوب مناب الضمير المؤنث المتصل بفعل (تف). لكن اي فعل أُريد رسمهُ ؟ نجيب ان كلمة توفي شائعة في لغة العرب عند ذكر موتاهم وهي كما لا يخفى ترد تارةً على صيغة المتعدي اي توفَّاهُ الله بمعنى قُبضت روحهُ وطورًا على صيغة المجهول اي تُوُفّيَ بالمعنى عينهِ. وكثيرًا ما يضاف الى المجهول « الى رحمة الله » فيكون المعنى « قُبضت روحهُ و نُقلت الى رحمة الله » وكل ذلك معروف يُستعمل في تصانيف العرب وكتابات مقابرهم. فلا شك اذًا انَّ الناقش لم يقصد الَّا رسم تلك العبارة (٢ . وان ثبت ذلك فلم يبقَ لنا سوى الاختيار بين افتراضين: (الاول) ان يكون تف (او تفت) اختصار خطّيّ لفعل تُوُفّي (اي تُوَفّى او تَوَفّى حسب لفظه الدارج). و (الثاني) ان يكون ذاك الفعل المرسوم في الكتابتين

١) قابل ايضًا علَمًا آخر من عين هذا الاصل وهو « الهديل » بن ربيعة من ولد الحارث بن مالك بن نضر (Wüstenfeld : *Reg.* 195). وان اخترتَ للعلَم الذي نحن بصدده مادة ه ذ ل (وهذا محتمل لموت لفظ حرف ذ الاصلي في افواه العامّة) فمن الراجح ان يكون العلَم هذَل اصل « هُذَيل » المصغَّر المشهور

٢) لا محل هنا لفعل « تَفَّ » الذي معناهُ « بزق ». ولا اخال احدًا يرتأي ان تف هذه بافقل تعل« تَفَّى » اي « تزوَّج الرجل بثلاث نسوة » على ما هو مدوَّن في امهات اللغة

هذا وقبل التخلُّص الى الكتابة السابعة نستلفت ثانيةً انظار قرائنا الكرام الى عظم شأن هاتين الكتابتين في معرفة تقلُّبات الخط العربي وضبط قوانينهِ (١ فضلًا عمَّا اوردناهُ من فائدتها اللغويَّة . فمنهما يتبيَّن جليًّا ضعف رأي العلماء الذين كانوا يظنون الى يومنا هذا ان الخط النسخي المعجم الحروف ظهر بغتةً في بلاد سوريَّة في غضون القرن السادس للهجرة (٢ . غير انهُ لا عجب من زعمهم هذا فانهم لم يكونوا وقفوا على جميع العاديَّات العربيَّة المُكمنة في القرى الشاميَّة وبيوتات الاهالي الخصوصيَّة . وكنَّا قد أَبدينا نظير هذا الرأي في شرح كتابتنا العربية الاولى عند بحثنا عن جهة دخول الكوفي المذيَّل الى القطر المصري وقلنا ان الاستنتاجات العامَّة لا تُقبل كقواعد مطَّردة ما دام مجهولًا قسمٌ معتبرٌ من آثار سوريَّة فها ان اكتشافات الاب لامنس تثبت اليوم صوابيَّة ملاحظاتنا السابقة

ولئلا يُنسب الينا بعض المبالغة والغلوّ في كلامنا هذا احببنا ان ننشر هنا سلفًا كتابةً ذات ٩ اسطر مرسومة على صفيحة ضريحيَّة نُبشت حديثًا في دير بيت خشبو القريب من غزير من اعمال كسروان. وقد أُرسلت نسخة منها الى بعض الاعيان من مسلمي بيروت وهم تكرَّموا بإِحالتها الينا مع طلب قراءتها . فلبَّينا دعاءهم وقرأنا الكتابة على خلَل نسختها . واذا هي كتابة من القلم الكوفي المذيَّل الحسن الشكل وتاريخها سنة ٣٢٤ للهجرة ليس الَّا . اليك مضمون هذا الاثر الجديد

١ً بسم الله الرحمن ٢ً الرحيم هذا القبر لعبد ٣ً القيم بن بركر (يزبكي ؟ (٣) بن محمد ابن ٤ً هُوَيني (؟) يَشْهَد انَّ الّا اله الّا الله ٥ً وان محمد عبده ورسوله صلى ٦ً الله عليهِ وسلَّم مات في شهر (؟) ٧ً رجب في سنة اربع وعشرين ٨ً وثلث مائة سنة (؟ ثانيةً) رحمهُ الله و ٩ً رضي عنهُ

واذا بلغنا الرسم الطبعي الذي طلبناهُ من صاحب الكتابة اشهرناه في مجلَّتنا . والَّا

(١) يعلم القراء اننا عند كلامنا عن الخطوط العربيَّة لا نقصد عادةً الَّا البحث عن الخطوط الموجودة في الكتابات الحجريَّة وغيرها لا الاشارة الى اقلام الصحف (راجع الحاشية الثانية في الصفحة ٣٣ من السنة الحالية)

(٢ V. Berchem : *Inscript. arab. de Syrie*, p. 455; JA 1891[2], p. 75

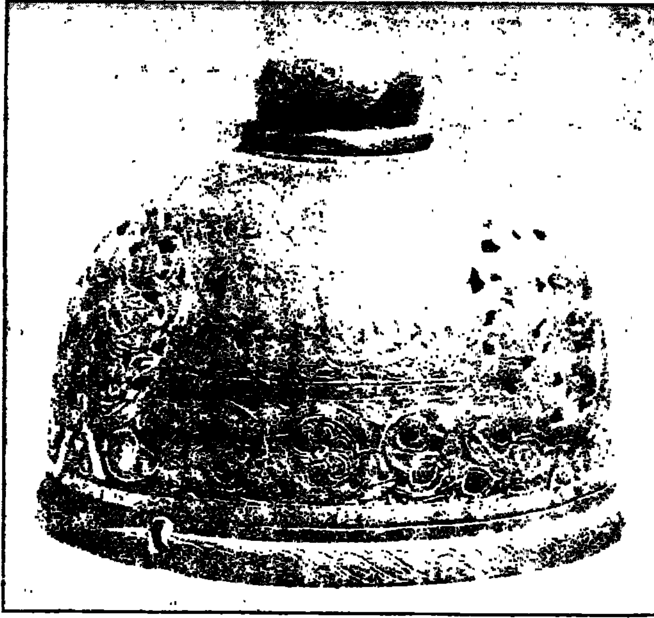
(٣) وانما فضَّلنا هذه القراءة على غيرها لشيوع هذا الاسم بين أُسَر جبل لبنان العريقة في القِدَم . وكذا قل عن اسم « هويني »

من ورود بعض اختصارات في تآليف العرب مثالها صلعم (صلى الله عليهِ وسلَّم) ورَح او رَحه (رَحِمَهُ الله تعالى) وغير ذلك فاننا مائلون الى الافتراض الثاني اكثر منَّا الى الاول. وذلك لاسبابٍ منها: ١ً لانَّ مثل الاختصار المذكور لم يُعثَر عليهِ بعد في الكتابات الحجريَّة القديمة المكتشفة الى يومنا (١) ٢ً لانهُ لا داعي يجبرنا على القول بانَّ ناقش الكتابتين قصد حقيقةً حفر كلمة مختصرة بل نقول بالعكس ان العامّي من الكتَّاب لا يعمد الَّا نادرًا الى مثل هذا التصرُّف الخطِّي اذ من المقرَّر انهُ يكتب عادةً اكثر ممَّا ينبغي ايرادهُ خوفًا منهُ على العجز عن ابداء فكرتهِ. ٣ً لانَّ لفظ فعل «تفَّ» (اي تفَّى) عوضًا عن «توفَّ» (اي توفَّى) لا نراهُ مستحيلًا لاسيما اذا قابلناهُ بما هو مشهور في هذه الديار السوريَّة من تصرُّف العوامّ بعبارة «بودّي» وتصييرهم ايَّاها «بِدّي». فان اعتُرض علينا بانهُ لا يجوز مثل هذا الافتراض لورود فعل «تَفَّ» بمعنى «بزق» حتى في اللغة الدارجة. قلنا ان ذلك ليس بمانعٍ لاسيما في كلام العرب حيث تجد غالبًا معاني مختلفة بل متضادَّة في مادَّة واحدة. أفلا يحق لنا والحالة هذه ان نعتبر التصرُّف اللفظي الوارد في هاتين الكتابتين مثالًا جليًّا على ما طرأ على لغة العرب من التقلُّبات القديمة التي لا يقدر معها الاديب على تمييز حقيقة الاصول وسردها اليقينيّ تحت اجناس معانيها المتباينة. غير انهُ كيفما كان الامر في الكلمة التي نحن بصددها فلا مانع يمنعنا من ان نفترض لها لفظًا آخر يزول معهُ كل الالتباس وهو «تُفَّ» لا «تَفَّ» فلعلَّ اهالي الحصن كانوا هكذا يميّزون بالحركة بين معنى «مات» ومعنى «بزق» ولا يبعد ذلك عن الصواب لما قد مرَّ بيانهُ من لفظ الكلمة «تُوفّي» عوضًا عن «تَوفَّى» (٢)

---

١) نكرر هنا ما قد ابديناه مرارًا باننا لا نملك كل المجموعات المحتوية على الكتابات العربيَّة التي نشرها العلماء في المشرق والمغرب

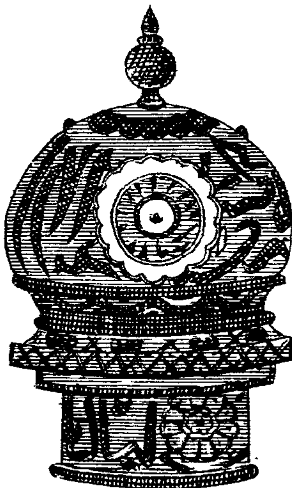
٢) ومما يؤيد هذا الرأي ان صيغة المجهول ولو كادت تتوارى عن افواه العامّة فمع ذلك لا شك انّها ابقت بعض آثارها لاسيما في تَلَفُّظ الذين حصلوا منهم على بعض الادب والتخرُّج كالناقش الذي تكلف صنع الكتابتين. ونزيد هنا ملاحظةً لا يليق بالاديب ان يجهلها وهي انّنا عند بحثنا عن الامور اللغويَّة المتعلّقة بسلفائنا من الآدميين قد اعتدنا ان نقابلها بما هو تحت الحسّ اليومي والتجربة الحالية. وهذه طريقة بديهيَّة لا مناص لنا من سلوكها. غير انهُ ما ادرانا تمامًا ما قد كان في افواه القدماء واذهانهم من العِلَل والاسباب التي حملتهم على انواع التصرف اللفظي واللغوي وغير ذلك ممَّا لا نقدر الآن على فهمهِ وربَّما لن نتوصل ابدًا الى شرحهِ الوافي



الكتابة السابعة

١ً الملك الناصر ٢ً المعزّ العالي ا ٣ً لمؤيَّد المالك

لا نشكّ في كون هـذا الملك الناصر احد المماليك البحريين المشهورين نعني بهِ السلطان الملك الناصر ناصر الدين والدنيا محمد ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون واخبار هذا السلطان معروفة . جلس على تخت الملك سنة ٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م وهو وقتئذٍ ابن سبع سنين وبعد سنة ملكَ الامير كتبغا الذي قد مرَّ الكلام عنهُ في شرح كتاباتنا العربية الثانية (المشرق ٣ : ٣٦) ثمَّ رجع الناصر متسلّطاً سنة ٦٩٨ هـ – ١٢٩٨ م الى سنة ٧٠٨ هـ — ١٣٠٨ م . فقام عوضهُ الملك المظفَّر ركن الدين بيبرس . غير انهُ لم يلبث الَّا سنة حتى استولى على التخت ثالثاً



ففي النسخة التي بين ايدينا كفاية لاظهار الحقيقة

وعند الختام نزيد ملاحظة اخرى وهي انَّ البحث عن الخطوط العربيَّة لا يتمّ ولا يجدي فائدة علميَّة الَّا اذا امكننا الاطلاع على ما هو مجهول من كتابات بلاد ما بين النهرَين والجزيرة وغير ذلك من الاقطار الشرقيَّة التي استولى عليها العرب في ممرّ الدهور . قال ابن خلدون في مقدمتهِ (طبعة باريس ٢ : ص٣٤٣) :

« لمَّا جاء المُلك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا المالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتَّاب استعملوا الخط وطلبوا صناعتهُ وتعلّموهُ وتداولوهُ فترقَّت الاجادة فيهِ واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبةً من الاتقان الَّا انها كانت دون الغاية . والخطّ الكوفي معروف الرسم لهذا العهد . ثم انتشرت العرب في الاقطار والمالك وافتتحوا افريقية والاندلس . واختطَّ بنو العباس بغداد وترقَّت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربيَّة . وخالفت اوضاعُ الخطّ ببغداد اوضاعَهُ بالكوفة في الميل الى اجادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الاعصار الى ان رفع رايتها ببغداد علي بن مقلة الوزير » (١

فوضوح هذا الكلام يُغنيهِ عن مزيد البيان وان لم يقصد المؤرخ الَّا الاخبار عن خطوط الصحف (٢ . فالمرجو اذًا من حضرات قرائنا الافاضل الساكنين في تلك الانحاء الشرقيَّة ان يتحفونا بما لديهم من الآثار العربيَّة ولهم الفضل

الكتابة العربية السابعة

عن متحف العاديات في كليَّتنا

لا حاجة الى الاسهاب في وصف هذا الاثر الجليل لوضوح الصورة التي اخذناها عنهُ . وهو من النحاس المزوَّق بالذهب والفضَّة يبلغ سمكهُ اكثر من ثلاثة مليمترات فيهِ نقوش من الورد ترى بينها ثلاث كتابات اولها كتابة الصورة . ومضمون جميعها كما يلي :

١) مات هذا الوزير سنة ٣٢٧ هـ . (طالع ترجمته في تراجم ابن خلكان) فترى من تاريخ موتهِ ان كتابتي تنورين نُقشتا في زمن التقلبات المذكورة في نصّ ابن خلدون

٢) بل نقول ان كلام صاحب المقدّمة يليق بخطوط الكتابات اكثر منهُ بغيرها . فانَّ ما يذكرهُ عن ابن مقلة لا يُقبل الَّا بحصر المعنى على كُتَّاب ديوان الخلافة وغيرهم من متوظفي الدولة العباسيَّة . لان الخط المعروف بالنسخي لا ينتمي الى ايَّام ابن مقلة فقط بل الى اوائل الاسلام كما اثبتهُ العلماء بما لا مردَّ عليهِ من البراهين . وسيأتي البحث عن هذه المسألة ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي

عرَّبهُ المعلّم رشيد افندي الشرتوني

هي الرواية التي فكّهنا بها خواطر القراء في مجلّتنا. فجمعناها في كتاب منفرد ذي حجم متوسّط بلغ عدد صفحاتهِ ٢٣٥ صفحة ومن خواصّ هذه الرواية ما تضمَّنتهُ من تقلُّب الاحوال مع مراعاة صفات الاخلاق وتحاشي التكلُّف. ومن محاسنها ايضاً وصف بلاد كثيرة يسمع بها الشرقيون ولا يعرفون من امرها الّا القليل وربَّما تهوّر السوريُّون وهاجروا اليها وهم يظنُّون انهم سيلقون فيها السعادة على الارض مع انَّ اكثرهم لا يجدون فيها الّا البلاء وخيبة الآمال فيشينون ذمَّتهم ويفقدون كنزًا اثمن من الدراهم التي يتهافتون على تحصيلها في الاصقاع الاميركيَّة. ومن حسناتها ايضاً حسن تعريبها وطلاوة عبارتها بحيث يجد فيها الاحداث مثالًا لنقل الاصول الاعجميَّة مع توخّي الذوق الشرقي. فنحضُّ محبّي الروايات وطلبة المدارس ان يقتبسوا من فوائدها ويرتاحوا الى اقاصيصها الفكاهية دون ان تعثر فيها رجلهم بما يندى لهُ جبين الادب او ينهتك بهِ ستر الفضيلة

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ قصيدة ليوسف افندي خطّار غانم قدَّمها لجناب الفاضل خليل افندي جرجس نحّاس يهنئهُ بنجاتهِ

٢ الشرق القديم (Der alte Orient) هي مجلة المانية ينشرها في ليبسيك بعض اساتذة اللغات الشرقية في كلّ ثلاثة اشهر يودعونها ابحاثًا مهمَّة في كل علوم قدماء الشرقيين. وهذه اسماء المقالات التي اطلعنا عليها: ١ً شعوب آسية الشمالية للدكتور ه. ڤنكلر. ٢ً احوال مصر في القرن الرابع عشر قبل المسيح وفقًا للمكاتبات المكتشفة في تلّ العمارنة للدكتور ك. نيبوهر. ٣ً جهنَّم البابليين وسماؤهم للدكتور ا. يرمياس. ٤ً تحصين القلاع في الشرق القديم للدكتور ا. هيلّر بك

واستمرّ عليهِ الى سنة ٧٤١هـ — ١٣٤٠ م. وان اردتَ تفاصيل اخبارهِ فعليك بمراجعة التآليف التي استشهدنا بها في ايرادنا اخبار السلطان كتبغا

ولهذا الملك الناصر كتابات عديدة نشر قسماً منها العلامة ڤان بَركم في مجموعهِ المشهور وفيهِ (CIA, n° 100) ورد ان الملك الناصر تَكَنَّى بابي المعالي وهذه الصفة كما ترى توافق ما في القسم الثاني من كتابتنا اي « العالي ». وكلمة « المؤيَّد » التي في القسم الثالث مشهورة ايضاً في الكتابات عند ذكر اسامي المماليك وصفاتهم. واما النعت الاخير اعني بهِ « المالك » فنظنُّـهُ عزيز الوجود. غير انهُ ليس الَّا الكلمة الاولى من عبارةٍ تكثر ورودها في ايام المماليك وهي « مالك رقاب الامم »

ومن كلّ ما تقدَّم نستنتج ان الأَثر الذي نحن بصددهِ هو دون ريب من امتعة السلطان الملك الناصر (١. لكنَّا لسوء الحظ لا نعرف في اي مكان وُجد. واماَّ استعمالهُ فالراجح انهُ غشاء حُقَّة نفيسة توضع فيها العطور او ما شاكلها. ولمزيد الايضاح اضفنا تحت الصـورة الاولى مثال حُقَّـة كاملة رسمها Collinot في كتابهِ المعنوَن *Ornements arabes*, 1883, pl. 32 وبين الصورتين تشابه جليّ يغنينا عن اطالة الكلام (ستأتي البقيَّة)

(فائدة) وردت الينا من قِبَل العلَّامة كلرمون غنو رسالة جديدة تتضمَّن ملاحظات مفيدة على الكتابات المنشورة في هذه المجلة منها انهُ عثر على ما يثبت قراءة اسم תדמר العلَم التدمري المؤنث المارّ شرحهُ (ص ٢٦١–٢٦٧) قال المؤلف الشهير: « قرأتُ على كتابة ضريحيَّة لاتينيَّة وُجدت في القنطرة من اعمال الجزائر (جنوبي القسطنطينيَّة) (٢ اسم امرأة تُدعى Julia Palmyra. وقد اكتُشِف هـذا الاثر في جملة الكتابات العديدة التي نقشَتْها فرقةٌ من الجنود التدمريين الخادمين لدولة الرومان وكانوا قد احتلوا ذاك المكان من قِبل القياصرة (٣. فالظاهر ان تلك المرأة كانت تدمريَّة الاصل فيكون من ثم اسمها Palmyra عين العلَم الذي دوَّنتموهُ في مجلتكم الغراء » ونحن نهنئ المراسل الفاضل على هذه الملاحظة التي يزول معهـا كل شك في امر ذاك العلَم التدمري



١) ومماَّ يؤيّد قولنا هذا ان وجه المتاع يعلوهُ نوع من الزنجار (patine) الاسود السميك الدالّ على قِدَم عهد صنعهِ

٢) طالع L. Renier : *Inscript. rom. d'Algérie*, N. 1670

٣) راجع المشرق ١ :٨٢٦

٢ المجلات الشرقيَّة

١ الجامعة — ٢ الضياء — ٣ الطبيب — ٤ طبيب العائلة — ٥ المعلومات — ٦ المقتطف — ٧ الهلال

شَذَرَاتٌ

﴿ كتابات قديمة في اثينة ﴾ انبأت جرائد اثينا باكتشاف كتابات جداريَّة قديمة يرتقي عهدها الى المئة الخامسة عشرة قبل المسيح اعني قبل وضع الحروف اليونانيَّة

﴿ هديَّة القيصر لفرنسة ﴾ اهدى القيصر نيقولا الثاني الى جمهوريَّة فرنسة هديَّة تُعدّ من اسنى التحف الملكيَّة وهي خارطة تمثِّل فرنسة بضروب من الحجارة الكريمة. وقد رُسمت كلُّ الايالات والمقاطعات من الجواهر الثمينة كاللؤلؤ واللازورد والجزع والياقوت. وكذلك الجبال والانهار. امَّا المدن الكبرى فيستدلّ عليها بحجارة كبيرة الحجم كلٌّ مدينة على مقتضى كبرها وعدد سكَّانها. فأُشير الى باريس بياقوتة بديعة الشكل غالية الثمن والى ليون بماسة والى مرسيلية بزمرُّدةٍ جميلة ثمنها ١٨٠٠٠ روبية وهكذا بقيَّة المدن. وحجم الخارطة متر مربَّع أُنفق عليها نحو اربعة ملايين من الفرنكات

﴿ الكسوفان الاخيران للشمس في القرن التاسع عشر ﴾ حدث الاول منهما في ٢٨ ايار ومجلَّتنا تحت الطبع. وهذا الكسوف كان جزئيًّا في بلاد الشام وفرنسة وتامًّا في الجزائر واسبانية والبرتغال واميركة الشمالية. ولا يلبث العلماء الذين تقاطروا الى مرصد اشبونة عاصمة البرتغال من كلّ أَوب ان يفيدونا ما رصدوهُ في هذا الكسوف من الظواهر الفلكية. والشمس بقيت هناك محجوبةً عن العيان تامًّا دقيقة وثانيتين. امَّا بلادنا فدام فيها الكسوف نحو ساعتين من اوَّلهِ الساعة ١/٢ ٥ الى منتهاهُ الساعة ١/٢ ٧ بعد الغروب وكُسف فوق ثلثي جرم الشمس

امَّا الكسوف الثاني فوقوعهُ في ٢٢ تشرين الثاني وسيكون حلقيًّا في شمالي اوسترالية وجنوبي افريقية لكنَّهُ لا يُرى في اوربَّا وآسية

﴿ شفاء السكارى بالمصل ﴾ اسرعت المجلات المصريَّة الى نقل

٣ الفرس وتركيبهُ وتشريح اعضائهِ الباطنة كُتب بالالمانية مع صورة ملوَّنة تمثّل كل اقسامهِ (A. Schwarz : *Das Pferd, sein Bau, seine innere Organe*)

٤ (الدنيا في باريس) هو مجموع رسائل رائقة المشرب للاديب احمد بك زكي يكتبها عن معرض باريس العام فينشرها صاحب طبيب العائلة كملحق اسبوعي لمجلتهِ

اسماء المجلات التي تبادل المشرق

١ المجلات الاوربيَّة

١ المجلة الاسيويَّة الفرنسية Journal Asiatique, Paris

٢ المجلة الاسيويَّة الالمانية Zeitschrift der Deutsch. Morgenländ. Gesellschaft

٣ المجلة الاسيويَّة النمساويَّة Wiener Zeitsch. für Kunde d. Morgenlandes

٤ المجلة الاسيويَّة الايطالية Giornale della Società Asiatica Italiana

٥ المجلة الشَّرقية للدكتور بيزر Orientalist. Litteratur-Zeitung v. Dr Peiser

٦ مجلة بسَّاريون الايطالية Bessarione, pubblicazione periodica di Studi Orientali, Roma

٧ جمعيَّة الكتابات والفنون الادبية Académie des Inscriptions et Belles-Lettres (Comptes rendus des Séances)

٨ اعمال المكتب المصري Bulletin de l'Institut Égyptien

٩ مجلة الابحاث للآباء اليسوعيين الفرنسويين Études publiés par des Pères de la Cie de Jésus

١٠ مجلة «الاصوات» للآباء اليسوعيين الالمانيين Stimmen aus Maria-Laach

١١ المجلة الكتابية Revue Biblique Internationale

١٢ مجلَّة الموزيون Le Muséon, Études philolog., histor. et religieuses

١٣ مجلة الشرق المسيحي Revue de l'Orient Chrétien, recueil trimestriel

١٤ قائمة المطبوعات الشَّرقيَّة في العالم Orientalische Bibliographie

١٥ قائمة لوزاك للمطبوعات الشَّرقية Oriental List of Mr Luzac

نجد لذلك جوابًا . فان امكن احد قرائنا ان يعلّل هذه العادة ويبيّن اصلها فنثبت جوابهُ في المشرق شاكرين

س وسأل بعض افاضل البلدة : ١ً كم يبلغ عدد الناطقين بالضاد على سطح البسيطة . ٢ً اذا تلا احد المؤمنين صلاة التبشير المعتادة بدلًا من صلاة « افرحي يا ملكة السماء » في الأيام التي تلي عيد الفصح هل يربح الغفران المتعلّق بتلك الصلاة

عدد الناطقين بالضاد — صلاة التبشير

ج نجيب (على الاول) انَّهُ لا بُدَّ من التمييز بين من يفهمون العربيَّة ومن يتكلَّمون بها . فان عدد الاولين يبلغ نيِّفًا وتسعين مليونًا امَّا الآخرون فلا يتجاوزون اربعين مليونًا — ونجيب (على الثاني) انَّ الغفران المتعلّق بصلاة التبشير لا يُربح منذ سبت النور الى السبت الواقع بعد عيد العنصرة الَّا بتلاوة « افرحي يا ملكة السماء » ما لم يكن احد يجهل هذه الصلاة فيمكنهُ ان يتلو التبشير المعتاد (راجع Berin-ger : *Les Indulgences*, I, 183

س وسألنا من كازان جناب المستشرق بندلي صليبا بن جوزي : ١ً هل تعرفون بعض كتب عربيَّة او غيرها عن الوهابيين وتاريخهم ٢ً هل طُبعت بالشرق الكتب الآتية : كتاب الملل والنحــل لابن حزم ثمَّ كتاب الحيوان للجاحظ ثمَّ كتاب دلالة الحائرين لموسى بن ميمون

الوهابيون — مطبوعات شرقيَّة

ج نجيب (على الاول) انّ اصحاب الاسفار من الاوربيين قد اكثروا من وصف الوهابيين وذكر تاريخهم وعقائدهم . ولا حاجة الى تعداد هذه التآليف مع شهرتها وانَّما نكتفي بذكر كتاب نادر طبع في باريس سنة ١٨١٨ اسمهُ Mémoire sur les 3 plus fameuses sectes du Musulmanisme : par M. R.. وكتاب بُرخرت Burckhardt : *Notes on the Beduins and Wahabys*, London, 1831 امَّا المطبوعات الشرقيَّة فلا نعلم من ذلك غير « كتاب الدرر السنيَّة في الردّ على الوهابيَّة » جمعهُ شيخ الاسلام . . . السيد احمد بن زيني دحلان طبع بمطبعة القيصريَّة (كذا) سنة ١٣٠٢ — ونجيب (على الثاني) انّ الكتابين الاولين لم يُطبعا اصلًا لا في الشرق ولا في الغرب . امَّا الثالث فلا نعرف منهُ غير طبعتهِ الباريسيَّة بالحرف العبراني ل . ش

خبر اكتشاف جديد وهو شفاء السكارى بمصل فرس وذلك بان يُمزج بشراب الفرس موادّ كحليَّة مُسكرة الى ان يعتاد السكر فيُستخرج مصلُهُ ويطعَّم بهِ السكارى. لكن الخبر مبتسر فان مكتب العلوم الطبيَّة في باريس بيَّن ان هذا الاكتشاف لا صحَّة لهُ وان الاختبارات التي ذكرها بعض العلماء ليست بمقنعة

الذُّرة لا يخفى ان الذرة في بلادنا من اعظم اسباب المعاش لآل الفاقة لكنَّ للذرة فوائد اخرى عديدة يجهلها اهل بلادنا ويرتزق بها ربوات من البشر. منها ان الاميركيين يستخرجون من الذرة النشأ وسكَّر النشأ (glycose). ومنها ايضاً انهم يقشِرون اصول الذرة بآلات معلومة ويعصرونها فيسيل منها زيتٌ صافٍ خفيف سهل التصفية لا يتغيَّر في الهواء وهم يتخذونهُ اماً للاكل واماً لدهن الآلات الصناعيَّة. وقد اكتشفوا لهذا الزيت نفعاً جديداً نال فيهِ الكثيرون المال الجزيل فانهم يجمِدون هذا الزيت ويخلطونهُ بعصير المطَّاط (الكاوتشوك) فيصطنعون منهُ مطَّاطاً غاية في المرونة والصفاقة يُفضَّل على كل انواع المطَّاط. وقد عُدَّ مجموع ما يُصطنع من المطاط في العالم فقُدِّر بنحو عشرين مليون كيلو ثمنها نيِّف و ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

منع العصافير عن اكل البذور ان اردت ان تمنع العصافير عن اكل البذور فاخلط هذه البذور خلطاً حسناً قبل زرعها بقليل من اوكسيد الرصاص الاحمر (minium) فلا يقرب منها العصافير بتَّةً. ويكفي ان يُتخذ ربع كيلو منهُ لعشرة ليرات من البذور

أسئلة وأجوبة

س سأَل حضرة القس قرياقوس مخنوق الكلداني من بغداد: هل توجد في سوريَّة وانحائها عادة الرَّشاش في عيد الصعود كما هي في الموصل وبغداد حيث يُسمَّى ذلك اليوم خميس الرشاش وما معنى هذه العادة ومتى ظهرت ؟

عادة الرشاش في خميس الصعود

ج انَّ هذه العادة جارية في عدَّة مواضع من بلاد الجزيرة. ولها اثر ايضاً في حلب كما اخبرنا الثقة وهي جارية عند الارمن في عيد تجلي الرب في انحاء الاناضول والجزيرة حيث يرشُّ الناس بعضهم بعضاً بالماء. امَّا معنى هذه العادة واصلها فانَّنا لم

المشرق

مناظرة العلوم

لطلبة الصف الثاني من البيان في كلية القديس يوسف

فاتحة المناظرة

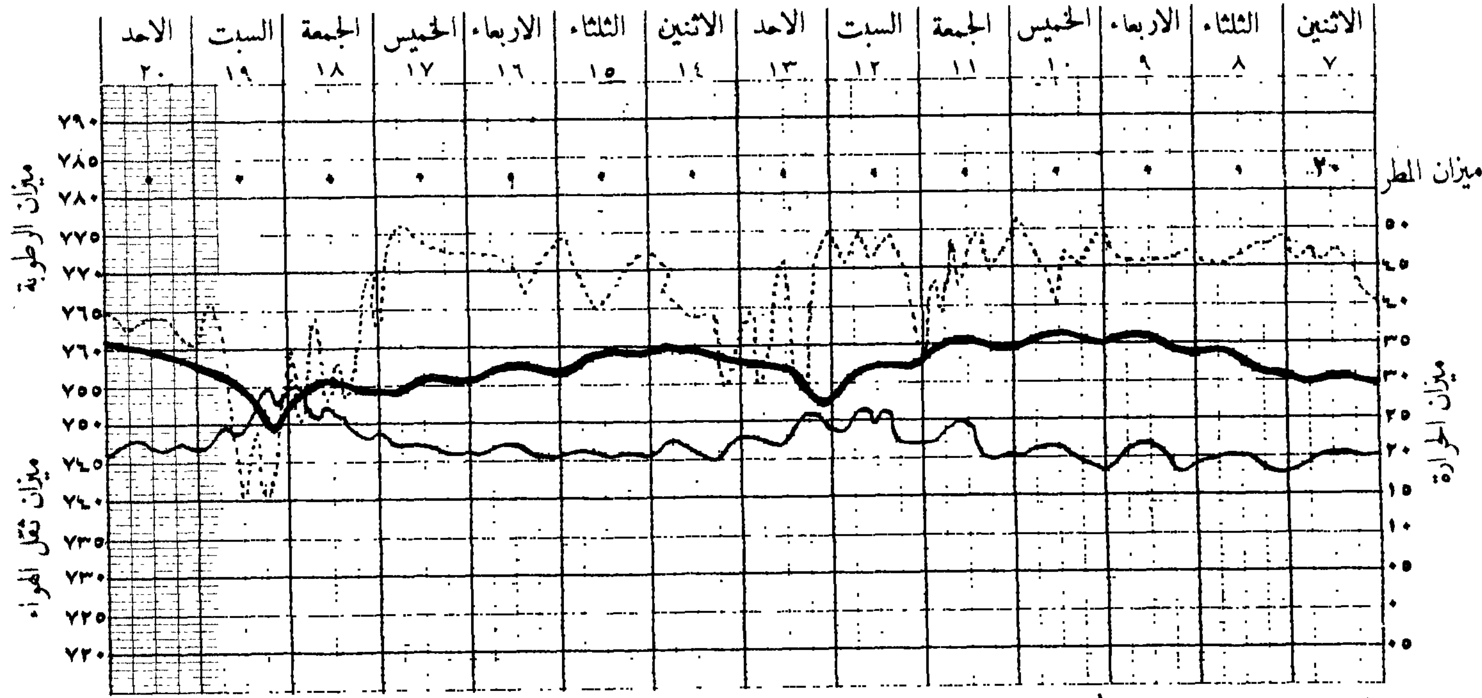
سيدي الرئيس الافخم ☆

في مثل هذه الايام البهجة تكتسي الطبيعة بأبهى حللها وكأن الناس يهبّون من رقادهم ويظهرون في مظهر الحياة والنشاط. على انّ ذلك يتجدّد في كلّ ربيع امّا في هذه السنة فقد نرى الحياة والحركة فوق المألوف. ولاسيما في بقعة من الارض يسمّونها بجنّة العالم. ألا وهي باريس التي اصبحت اليوم بمعرضها وِجهة القصّاد وقبلة الروّاد. ولست ازيد في وصفها الّا انها اصبحت اليوم قُطب الارض ومجتمع مصنوعات الزراعة والصناعة والتجارة وكل ما جاد بهِ الفكر الانساني في كل زمان ومكان. كأن جميع الاعصر والامكنة انحصرت في وقتنا الحاضر. وكلُّ ما جادت بهِ الطبيعة التقى في تلك النقطة. هو المعرض الكبير الذي يعجز الانسان عن وصفهِ... ليس بالمعرض الوحيد... فاننا نحن ايضاً. خطر لنا في هذا الشهر الميمون (١) ان نُقيم معرضاً صغيرًا جدًّا بالنظر الى معرض باريس. بعيدًا منه بُعد الثرى عن الثريّا. ولكنَّهُ كبير اذا نظرنا الى ما يحملنا عليهِ. الَا وهو رغبتنا في اكرام البتول امّنا واظهار عواطف حبنا واحترامنا لرئيسنا الافخم ومديرينا الاكرمين وان نكن قد اختلفنا والفرنسيس في القصد فنحن في الطريقة على اثرهم عملًا بقول القائل:

وتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم　　ان التشبُّه بالكرام فلاحُ

☆ تُليت هذه المناظرة على مسامع حضرة رئيس كليَّة القديس يوسف

١) شهر ايّار الذي تعظّمهُ المدارس المسيحيَّة وفيهِ تكرّم مريم البتول الطاهرة



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

عرفني وسرّ بمنـادمتي فؤادُ من شرَّفني فمن يجاريني في سباقي او من تحدّثهُ النفس بمخاصمتي وقد همَّ لمحاماتي الملوك العظام وكبار الدول الفخام وكفى بي فخرًا قول بعض الشعراء الكرام:

لم يسمعوا ابدًا في الكون قاطبةً   الضدّ مع ضـدّهِ ناءٍ ويقتربُ
فالسالك يحمهُ والكف تدفعهُ   والاذن تسمعهُ هذا هو العجبُ
والجوّ ألفتهُ والعُمد عمدتهُ   كالبرق سرعتهُ والغيث ينسكبُ

(الاخ جبرائيل مجلّي)

في البخار

اكرم وأنعم بك يا صاحب الاسلاك البرقيّة وحقّي ان لك في سبيل الانسانيّة اعمالًا تُذكر فتشكر ولكن ناشدتك الله قُلْ لي ما ينفع التجار نقلك الرسائل سريعًا ان لم تحقّق المرغوب وتنقل لهم عاجلًا بضائعهم المطلوبة او ما ينفع الاهل رسائلك البرقيّة لو لم يكن بينهم مثلي . انا صاحب السُّكك الحديديّة والسفن البخاريّة لولاي لكانوا يقضون عمرهم متشتّتين لا نصيب لهم من الدنيا سوى مراسلةٍ عقيمة عن بعدٍ شاسع . فانا أُقرّب المزار واجمع شمل المحبين على بعد الديار فيتمتّعون بلذة اللقاء بعد مرّ الفراق ثمّ يعودون الى اسفارهم في طلب الرزق لا يخافون بُعد المسافة ولا ييأسون من عودة اللقـاء . انت الغرسة وانا الزهر والثمر وان كنت تفتخر فبي تمام افتخارك وان كنت تخدم الانسانيّة فبي كمال خدمتك وتحقيق بشائرك واخبارك

ألا تراني اذا فار فائري وغلت مراجلي تصاعدت الى الجوّ هبَوات ناري وخيفت غوائلي . فاغلب الريح سرعةً والجياد خببًا وانقل القناطير المقنطرة ولا انوء تحتهـا منكبًا . ولولاي لما امكن الدنيا ان تُحشد في باريس وتفتخر تلك العاصمة بما يتضمّنهُ محفلها من كلّ نفيس . نعم يا هذا ان كان لعصرنا في المخترعات السهم الاوفر . فانا بينها الاكبر والاخطر (يوسف هاني)

مدح البخار

اجدت يا صاح بحسن البيان فجازاك الله خير احسان . وها انا مؤيّد رأيك شعرًا . بعد شرحك لهُ نثرًا

ها قد بدا نجم التقـدُّم يلمعُ   في أُفق عصرٍ للبـدائع مجمعُ
وتبلَّجت شمس الفنون على الورى   فازدادت البشرى وراق المطلعُ

وان كان تقرَّر بقاء المعرض الكبير اكثر من نصف سنة فمعرضنا لا يتعدَّى لنصف الساعة لئلا تملُّوا يا كرام ووقتكم ثمين. وان كان ارباب المعرض الكبير يقضون رسماً باهظاً على الداخلين فنحن يكفينا ربحاً وفخراً تشريف ساداتنا الاجلاَّء بل وجب علينا لهم رسم كبير لإقبالهم على حضور حفلتنا الحقيرة ولحسن التفاتهم الينا (اسكندر مقار)

السلك البرقي

رضينا كلنا فانا اول مُجيب الى طلبكم فاتَّخذ لنفسي سهولة المخابرة وسرعتها. فهلمَّ اذًا اليَّ انا السلك البرقي واعطفوا النظر اليَّ وحدّقوا بمحاسني المُسبية وتأملوا باعمالي المرضية واجتنوا من منافعي العديدة وفوائدي الفريدة وأعيروا السمع لأنيني اللطيف وتأملوا جسمي النحيف وارمقوا بعين الإمعان مسيري واستبشروا ببشيري. فكم اقطع من الفيافي والقفار واجوب من الاقطار واطوف من البحار دون ان املَّ من الاجتهاد او يضنيني البعاد. فقد حار في وصف عَدْوي العقلُ وقصَّر عن بيانهِ الفكر فالفضاء طريقي والبرْق شقيقي. وقد خصَّني المولى المتعال بخفَّة تخرق الصمَّ الصلاب ولطافة تسحر الأَلباب فلا يخيفني الاضطراب ولا يرعبني العباب. قد ملأْ وجودي الأَقطار وجعلتْ الغربة كالديار حتى خلتَ معرفة احوال الدنيا كلها في قبضة يديك واكتفيتَ للارتواء من اخبارها من الوقت بما تمنَّيت. فانظر كيف يسهل عليك معرفة غرائب البلاد وامور العباد ببعض دقائق من الزمان وكيف تطلع كلَّ اين وآنٍ على احوال الحرب الدائرة رحاها بين الانكليز والبوير وعلى كل امور الناس الخطيرة وافتتاحاتهم الشهيرة... انا بشير الافراح ومُزيل الأَتراح انا سمير الملوك وخليل العظام انا مصدر التجارة ومَورِد الامراء انا مخفّف الكروب وجابر القلوب. انا القريب والبعيد انا من لا يختلف في تفضيلي اثنان ولا يُطلب على بيان فضلي برهان. انا الدهر وغرَّتهُ وانسانهُ وزهرتهُ ورونقهُ وبهجتهُ. انا الغيور المُفضّل والصابر المتجلد والعامل المجتهد قد وقفت لخير الناس حياتي ودفعتُ في تبشيرهم روحي ونزعت لهم اثوابي. ولذا رفعوني عن الغبراء وجعلوا مقامي في قبَّة الفضاء لتظلَّ الابصار شاخصة اليَّ والافكار متَّجهة نحوي فيقرُّ بفضلي كل من يراني

فانظروا اذًا الى منافعي وتحدَّثوا بمفاخري وسرّوا بمنظري فقد جمعت باخباري فوائد التاريخ الجليلة واحصيت في اسراري غرائب الطبيعة العجيبة وربحت بافضالي قلب من

رضي الله نفسهُ عني . فاستخدمني لامثِّل للعباد صورته الحسِّية في كل مكان . فيراهُ الجميع . ويسجد لعزتهِ الرفيع والوضيع . سلوا اذا شئتم جوَّابة البلاد وسيَّاحها كيف مكنتهم من آثار تلك الكتابات المعجمة المرقوشة على الصخر . فوالله لولاي لطمست هيئتها مع الزمان . ودخلت في خبر كان . فكفُّوا اذًا عن الكلام وانتهوا عن الخصام . واقرُّوا باني انا ربُّ المفاخر . ولي منها الاول والآخر (جرجي ترك)

النور

ظلمات بعضها فوق بعض اني اراكم على غير هدًى تخبطون وفي دياجي الضلال تتسكَّعون وبغير مفتخر تفتخرون فلولا نوري ايَّ منقلب تنقلبون . فانت يا صاحب الاخبار كيف تنقلها لولا ضيائي وانت يا صاحب البخار ومخفف الاثقال قد افتخرتَ ولو دريتَ فضلي لرجعتَ عن الجدال . واعلموا انَّ الكهرباء لولا النور لبقيت في معادنها محجوبة ومن اعظم مفاخرها مسلوبة وما التصوير الَّا ابن النور وعبد النور لا غنى لهُ عن النور . فلولاي خبطتم جميعًا خبط عشواء في ليلة دهماء ولو شئتُ لأوردت الاحياء موارد العطب واسكنتهم ظلمات القبور . هذا قولي الصحيح لا ينكرهُ الَّا من بهِ رمد لا يبصر النور (ميشال روفايل)

اشعَّة رنتجن

حُيِّيت يا ابا الانوار لقد فاخرتَ وحقَّ لك الفخار . فانت السيّد الخطير وبك مجلي الامر العسير واليك مرجع الكبير والصغير وفضلك شاملٌ يعمُّ العظيم والحقير . ولكنَّ كلمتك في اكثر الاحيان مردودة واشعَّتك عن أغلب الاشياء محجوبة . يعترضك ادقّ الاجرام ويقف بوجهك حاجزًا ارقُّ الأجسام فترجع مكسورًا مردودًا بل خاسئًا مطرودًا . امَّا انا فلا يقوَ عليَّ حاجزٌ وكل حاجب بازائي عاجز . فاشعَّتي تخرق الاصلاب وتنفذ اغلظ الاجسام فترى ما وراء الابواب . وتبصر ما تحول دونهُ الجدران فلا يخفى عليَّ خافية بمكان . فبي يستعين رجال العلم على ادراك المخلوقات وبفضلي يتمكَّن الباحثون من الوصول الى الاكتشافات وعليَّ يعتمد الحكَّام في ابراز المكنونات ومني يستمدّ الطبّ قوَّةً لفحص الأجسام وتشخيص الامراض وبي تستعين الجراحة على إفراز الأجسام الغريبة . فانا صاحب القدر العظيم والفضل الشامل العميم فارضخوا لي صاغرين مقرّين بجميلي شاكرين (فريد اده)

فرأيتُ ان لا انثني عن وصف ما — في العصر من عجبٍ يروقُ وينفعُ
فبواخرٌ ملأَ البحار عديدُها — تجري وليس لها قلوعٌ شرَّعُ
تجري على ظهر البحار كأنَّها — اطواد ارض عن حماها تقلعُ
فهي الحصون لمن اراد تحصُّنًا — يوم المعارك حيث كلٌّ يهلعُ
وهي الحمى لمسافر قد امَّها — تحميهِ من غمرات موتٍ تفزعُ
فتسير فوق الموج لا تخشى لهُ — غضباً ومن تهديدهِ لا تجزعُ
بل تستخفّ بكبرهِ وهديرهِ — وتتيهُ عجباً وهي لا تتزعزعُ
وكفى بها وصفًا مجيدًا انَّها — بمعارف العصر السنيّ ترصعُ
عصرٌ بهِ سكك الحديد تكاثرت — فتجوب اقطار البلاد وتقطعُ
قد شابهت حقًّا بسرعة سيرها — حيَّات ارضٍ اذ تشبّ وتسرعُ
فتبثُّ من فيها سموم بخارها — لكنَّها قد اقسمت لا تلسعُ
يا عصرنا قد فقت غيرك بهجةً — أبشر فانَّك بالتمدُّن ترتعُ
لله درُّك قد حويت عجائباً — في غابر الاعصار لم تك تُسمعُ
شكرًا لمن اغنى العقول بفضلهِ — فهو البداية للورى والمرجعُ

(الاخ بطرس ساره)

في التصوير

أَبحضرة الدرّ· تُنفقون الصخر· وتخاطون النثر بالشعر· يا من لم تدعوا كلاماً الّا نسبتموهُ لمخترعاتكم· فاين انتم مني انا التصوير· واين مخترعاتكم من مخترَعي الخطير· وقد كلّلتُ بهِ هام هذا العصر بغار لا يذوي في كرور الدهر·· فتصفَّحوا الكتب واذا ما نقَّبتم وفتَّشتم يتضح لكم السرّ الخفي· وتعلمون العلم اليقين انهُ لولاي ما ظهرت مخترعاتكم الى عالم الوجود· فانا الذي صورتُ هيئتها ورسمتُ آلاتها وأريتكم حركاتها. فلا تتكبروا بل اعلموا انكم بحضرتي انا التصوير· كخدم بازاء امير قدير· فلا مخترَع اكبر مني· وكلّ علم يأخذ عني· وكفاني فخرًا ما قد نلت من التقدُّم والنجاح في هذا العصر العظيم خصوصاً بتصويري الشمسي الذي ذللّ المصاعب· فبقليل من الزمان اظهر للعيان البحار متموّجة· والسماء مزيَّنة· والارض مائدة· فما فضلكم الّا نقطة من بحر فضلي· وما منافعكم الّا ذرَّة من عظيم منافعي· وان شككتم في صدق مقالي اجبتكم بلسان حالي: سَلوا الغائب عن وطنهِ فيفيدكم انه بفضلي اجتمع شملهُ بذويهِ ولو عن بعد. فرأى الابن والدَيه· والاخ اخاهُ والوالدان ابنهما العزيز المتغرب· فلو امكن الاموات ان تقوم وتبرز الى عالم الاحياء لجاهرت بشكري انا محيي ذكرها· ومخلد رسمها· بل

يخالها الانسان لا حياة يرجى منها. فالايدي اجبرها والارجل بمهارتي أَصِلها والاعضاء المتفرّقة اجمعها والرؤوس المهشَّمة أُضمِدها. امَّا انت فما كنت تفعل بالجريح حين كنت ترى يدهُ جزئين او رأسهُ قطعتين. فخفِّض اذًا من غلوائك يا من لم تترك لِباب المغالاة مجالًا وانزل عن معالي كبريائك يا مفضّل ذاتك على زملائك. فما انت الَّا أسير برّي وعلى اوامري تجري فدع عندك اذا إعجابك واقرّ بفضلي انا اكبر المحسنين الى البشر انا جوهرة القرن التاسع عشر (حبيب قرداحي)

السلم

اني اقف بينكم وقفة المتأمّل فأرى كلًّا منكم يلج في خصامهِ بل يتيه في المهامه تخوضون مضمارًا لستم من فرسانهِ كل يفتخر بما عنده على جيرانهِ ويبالي بقدرهِ بين اخوانهِ ويزعم انَّ لهُ اسمى المقام ويجهل او يتجاهل اني انا السلم سيد الأَنام. انشر عليكم رايات الامل الجميل واظلكم تحت ظلّي الظليل فتعيشون في راحةٍ وهناء وتمرحون في سعةٍ ورخاء. فكيف بكم لو بقي القرن التاسع عشر كالقرون الخوالي بين نيران مستعرة وحروب متواصلة لا يأمن الجارُ من جارهِ ولا يثق الصديق بصديقهِ ولا يقرُّ لأَحدٍ قرار بل الجميع على مقالي النار يوجسون ممَّن حواليهم لا يعرفون الامن ولا تأْخذهم راحة. فلا العالِم يعي على علمهِ ولا الطبيب على مريضهِ ولا الزارع يأمن على زراعتهِ ولا الصانع على صناعتهِ ولا التاجر على تجارتهِ ولا ذو الحقّ على حقهِ بل كنت لا ترى الَّا السيوف تخطب في الرقاب والمدافع ترشق الصواعق وتهدم في لحظةٍ ما شيَّدتهُ المعارف في الليالي الطوال. ولكن اليوم ساد الامن بفضلي. فعادت الى الافكار راحتها وتمكَّن بنو الانسان من الاهتمام بشؤُونهم والجدّ وراء العلوم فتفنن الصانع في مصنوعاتهِ وتوسَّع التاجر في تجارتهِ ونَشِط العالم الى السعي في الاكتشافات والاختراعات لا يخشى بأسًا ولا تقلقهُ القلاقل. وتسهَّلت المواصلات. وصعد الانسان على عجل سُلَّم النجاح وبلغ ما بلغ من المعالي بفضل السِلم لا سواهُ وان يكن لم يزل من الحرب بعض آثار فتلك بقيَّةٌ من الهمجية. نسأَل الله ان يريحنا منها عن قريب لتزيدوا بفضلي قوَّةً ونماءً وترتعون في ظلّي بامنٍ وسلامٍ (حنَّا مسرَّة)

الحكم للقرن التاسع عشر

اليكم يا بنيَّ عن المفاخرة والجدال واليكم بالوئام. لقد قال كلٌّ منكم واسهب في مدح

الطبّ

لقد بالغتم في الهذيان يا جاهلون وأطلتم في وصف مفاخركم وانتم عن فضلي غافلون. اتفتخر يا صاحب المخابرة بالفاظ تنقلها مختصرة متعقدة متقطعة. ألا تذكر كل منافعي الطبيَّة فكم من مريض شفيتهُ بعد ما اشرف على الموت وقاسى عذابات مرَّة مستطيلة. وانت يا صاحب السكك الحديدية اتفتخر ببضائع تنقلها بين ضجيج وعجيج ودخان يعمي الابصار. ألا تعلم بان من تجرَّع قليلًا من دوائي رُدَّت لهُ العافية فذلك برهان يدلك على ان دوائي هو مفيد غاية الافادة. وانت يا ذا التصوير أتفتخر برسومٍ جامدة لا حِراك لها خالية من كل حياة والنور نفسهُ لا يُجدي فتيلًا ان كان الجسم بالادواء قتيلًا. ألا تعلمون باني انا العزيز عند الناس والمودود بين الجلَّاس والعادل في المزاج. اوَ تجهلون قدري انا معيد الحياة بقدرة رب السماوات خادم الخلَّاق في دفع الموت واطالة العمر والمحافظة على النسب الشريف. او رأيتَ يا صاحب المخابرة لو صعقَتْ كهرباؤك رجلًا هل بغيري بعد الله يستجير ألا تعلم باني انا اسكِّن الاورام والحمرة وابرّد التهاب المِعد. وانت يا ذا البخار لو اضرَّت مواقد نارك او تكاثُر بخارك بعضَ الناس او المسافرين فهل اليك يَلجأ او بك يستعين. وانت يا ذا التصوير لو لحق الاذى من شموسك وسمومك بعض البائسين فهل يدعونك ام يدعونني انا الذي كسرتُ شوكة الدجَّالين وخدمتُ الانسانيَّة خدمة المخلصين. وان كنتم في ريب من مقالي وعظيم اعمالي فادخلوا المستشفيات تروني واقفًا بين المساكين وجميعهم ينظرون اليَّ نظر الملسوع الى موسى يطلب كلٌّ منهم الشفاء من دائهِ. ولو عالجتكم لشفيتكم من داء الادّعاء فانهُ من اقبح الأدواء. فارجعوا عن غيكم واستغفروا ربكم انهُ توّاب غفور والسلام (الاخ بطرس مرهج)

الجراحة

احسنت يا طبيب اذ وصفت فاجدت واني لراضٍ عنك اذ شددتَ أزرك وعلّمت الناس قدرك. وليتهم يعلمون قدري انا الجراحة فما انت الَّا نقطة من بحري وما حليك الَّا زجاج بالنظر الى أثري: فان كنت تفتخر بالنزر اليسير فما اقول عن قدري الخطير ونفعي الغزير. انت كثيرًا ما تخبط خبط عشواء في تشخيص الداء وتجربة الدواء وانا ما سلكت قط سبيل الضلال بل اتخذت احسن الطرق واسرعها وأفعلها. انت تعالج المرض عن بعد وانا احاربهُ مباشرة واستأصلهُ فلا ابقي لهُ اثرًا . هيَّا معي الى ساحة الوغى حيث هناك ايدٍ مكسَّرة وارجل مقطَّعة واعضاء متفرّقة ورؤوس مهشَّمة وجثث

اجناس التربة الزراعيَّة وبيان تحليلها . هذا وان ارباب علم الفلاحة حملوا التنظيم المذكور على الخواصّ الطبيعيَّة التي وجدوها في التربة اكثر منهم على خواصّها الكيمويَّة. ولا يخفى ان الترب تختلف ايَّ اختلاف على قدر ما يدخل في تركيبها من الصلصال او الرمل او المادّة الكلسية او الثرويَّة (humus).وعليهِ تنسب الى العنصر المتغلّب عليها

فالتربة يقال لها صلصالية (sol argileux) اذا دخل في مئة قسم منها فوق ثلاثين قسماً من الصلصال . وهي رملية (sol sableux) اذا كان الرمل فيها بنسبة سبعين في المئة او اكثر . ويُقال لها كلسية (sol calcaire) اذا بلغ كربونات كلسها اكثر من عشرين في المئة . امَّا التربة الثرويَّة (sol humifère) فلا يقلّ ثراها (terreau) عن عشرة في المئة (راجع المشرق ٣ : ٧٦)

ولكن ربَّما تغلّب على تربةٍ عنصران من هذه العناصر المذكورة فيقتضي لذلك ان تنظَّم التربة في سالك متوسّط بين الاربعة العناصر السابقة فيقال لها صلصالية كلسية او رمليةٌ كلسية وهلمّ جرًّا . وهاك جدولًا صنَّفهُ المسيو ا. غان يبيّن تنظيم الترب العام وقد دلَّ فيها على الزيادة بعلامة + (فوق) وعلى النقص بعلامة — (دون)

تنظيم التُّرَب الزراعية[١]

	الترب العاديَّة	الصلصال	الثرى	الرمل	الكلس
الترب الصلصالية يغلب عليها الصلصال البالغ ٣٠/١٠٠	١ الترب الخالصة	من ٢٠ الى ٣٠ ٪	من ٤ الى ١٠	من ٥٠ الى ٧٠	من ٥ الى ١٠
	٢ « الصلصاليَّة	+ ٤٠	٤ الى ١٠	— ٥٠	— ٥
	٣ « الصلصاليَّة الرمليَّة	+ ٣٠	٤ الى ١٠	من ٥٠ الى ٧٠	— ٥
	٤ « الصلصاليَّة الكلسيَّة	+ ٣٠	٤ الى ١٠	— ٥٠	من ٥ الى ١٠
	٥ « الصلصاليَّة الثرويَّة	+ ٣٠	+ من ١٠	— ٥٠	— ٥
الترب غير الصلصالية	٦ الترب الرمليَّة	+ ١٠	من ٤ الى ١٠	+ ٨٠	— ٥
	٧ « الرمليَّة الصلصاليَّة	من ١٠ الى ٢٠	٤ الى ١٠	+ ٧٠	— ٥
	٨ « الرمليَّة الكلسيَّة	— ١٠	٤ الى ١٠	+ ٧٠	من ٥ الى ١٠
	٩ « الرمليَّة الثرويَّة	— ١٠	+ ١٠	+ ٧٠	— ٥
	١٠ « الكلسيَّة	— ١٠	٤ الى ١٠	من ٥٠ الى ٧٠	— ١٠
	١١ « الثرويَّة	— ١٠	+ ١٥	— ٥٠	— ٥

١) راجع كتابهُ .E. Gain : *Précis de Chimie agricole*

نفسهِ وتعداد صفاتهِ ورغب في تفضيل ذاتهِ على اخوانهِ. وربَّما غفل ايضاً عن ذكر كثير من خواصّهِ ومنافعهِ. ولكن الحدَّة اخذت مأخذها فمنعت صاحبها من حسن التروي. وحب الذات دفع كلَّ فردٍ منكم الى الاستئثار بالفضل والانتقاص من قدر غيرهِ. مع انكم لو فكَّرتم لرأيتم كثيرين من اخوانكم لهم شأن عظيم في هذا العصر العظيم ولكنَّهم سكتوا تأدُّبًا ودفعاً للخصام. امَّا انتم فلست انكر عليكم قدركم ولا اجهل خدمكم الجليلة في سبيلي. ولكن كلَّ ما خصكم الله بهِ من التقدم والنجاح وما زانكم بهِ من الكمالات لا يجديكم نفعاً الَّا بالاتحاد اذ لا يقوى احد منكم على القيام بذاتهِ والاستقلال بحركاتهِ بل كلّ يقوم باخوانهِ لا يستغني عنهم. فليكن اذًا شعاركم الإخاء والاتحاد. فها انا ابوكم الشيخ قد دنا اجلي وعمَّا قريب ارحل عنكم فيدخل القرن التاسع عشر في خبر كان ولا يبقى منهُ الَّا ذكرهُ وهذا الذكر يحيي فيكم ان حييتم بالاتحاد ويزول ان جعلتم للشقاق اليكم سبيلًا. فاناشدكم الله يا اولادي كونوا دائماً متحدين وبعُرى الاخاء مرتبطين سائرين في طاعة الله مجتهدين وما اولاني ان اقتدي بذلك الشيخ الذي قدَّم لبنيهِ حزمة القضبان فلم يقدروا على كسرها ما بقيت مجتمعة ولمَّا اخذها هو وفرَّقها تمكَّن من كسرها كلّ قضيب على حدة ليعلمهم ان القوة بالاتحاد. فهذه وصيتي الاخيرة لكم ولا اخالكم تخالفونها مدى العمر. وقبل ان اودّعكم وافارقكم يجب عليَّ ان اجمعكم لنقوم بفرض مقدَّس نحو من احسنوا الينا فنجاهر بشكرهم قائلين بصوت واحد

ان كان ذا القرن قد ولى فانَّ لكم على بنيكم جميلًا دائم الدِّيَمِ
وان نكن قد ختمنا الان معرضنا فشكركم مستطابٌ غير مختتمِ

(انطون داغر)

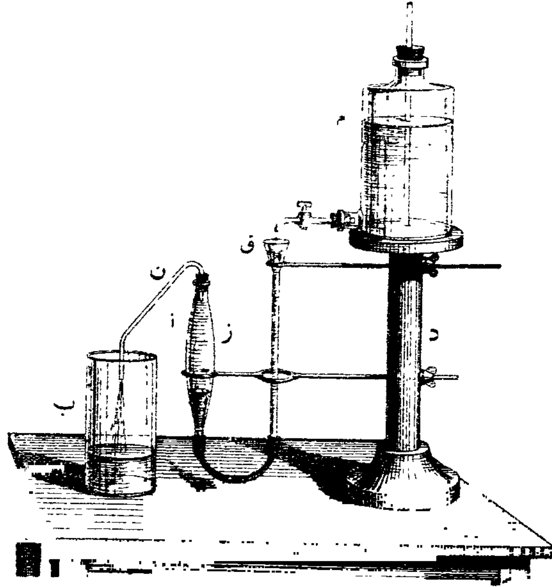
تنظيم التربة الزراعية وتحليلها

لجناب الاديب سليم افندي اصفر مفتش الزراعة في لبنان

تنظيم التربة الزراعية

سبق لنا وصف التربة الزراعية (راجع المشرق ٣: ٧١) وما يدخل في تركيبها من العناصر المختلفة وقد افردنا مقالًا خصوصيًّا (٣: ٢٠١) لبعض هذه العناصر وهي الموادّ الكلسيَّة لما يترتَّب عليها من الفوائد في اختلاطها بالتربة. فذلك يؤدي بنا الى تعريف

فلنعودنَّ بعد هذه المقدَّمات الى ذكر طريقة المسيو مازور فنقول انَّ الآلة التي يحلِّل بها التربة عبارة عن زجاجة (ز) بيضويَّة الشكل ضيِّقة يصبُّ فيها ١٠ غرامات من التراب المُداف بالماء. ثمَّ يجعل على دعامة د اناء من جنس آنية ماريوت (م) يملأُهُ ماءً يسيل في قمع (ق) وينتهي منهُ الى الزجاجة. وللزجاجة المذكورة سدادة من الفلّين ينفذ فيها انبوب معوجّ (ن) فوهتهُ الى بوقال (ب). فاذا جرى الماء الى الزجاجة صعدت دقائق التربة معهُ واجتازت الى البوقال ثمّ يصفو الماء السائل بالانبوبة (ن) ويبقى الرمل في الزجاجة لانَّ السيليس ثقيل لا يتحلَّل بخلاف الصلصال والموادّ الكلسيَّة التي تنحلّ وتجري الى البوقال



آلة الاستاذ مازور لتحليل التربة

واثر ذلك يسكب ما رسب في الزجاجة في مصفاة من الورق لا ينفذ فيها الرمل. فاذا نشف جمع الرمل ووزنتهُ ليعرف بذلك مقدار الرمل الداخل في مئة قسم من التربة

ثمَّ يعمد الى البوقال حيث سال الصلصال والاملاح الكلسيَّة فيصبّ بعض نقط من الحامض الكلوردريك بينما يحرّك البوقال فللحال ينبعث منهُ غاز اللهم اذا كان في

٢ تحليل التربة الزراعية

انّ معرفة تركيب التُّرَب الزراعية يجدي الزارع افادات جمّة. لان مبادئ الحراثة والتسميد واختيار المزدرعات كلها مترتبة على هذه المعرفة. وذلك ما حملنا على قرع هذا الباب لانّ مباحثنا القادمة سوف تضطرّنا الى الاشارة الى هذا التركيب. ولولا ذلك لبقينا في ريبة من احوال التربة التي نريد استثمارها ولا نجتني منها ما يمكنّا الحصول عليهِ

والتربة يُعرف تركيبها بالتحليل. امّا التحليل فيكون بالكيف والكمّ بان يُفحص نوع التربة او يُبحث عن كمية كلّ عنصر داخل فيها بيد انهُ يُهمل في هذا البحث بيان مقدار الماء والهواء الممتزجين بالتربة

وتعريف العناصر الاربعة اي الرمل الكلس والثرى والصلصال يدعى تحليلًا كيمويًّا او تحليلًا طبيعيًّا

(التحليل الكيمويّ) يتوقّف على بيان مقدار العناصر المخصبة الداخلة في التربة لاسيا الازوت والحامض الفسفوريّ والبوطاسا والمغنيسيا. وهذا التحليل يصير في مختبرات العلماء ولا يتمّ الّا بالنظر الدقيق والابحاث الغامضة التي لا يدركها الجمهور

(التحليل الطبيعي) يمكن اجراؤهُ على طرائق مختلفة أقربها مثالًا طريقة المعلّم مازور (Masure)

فلإجراء هذا التحليل لا بد من انتقاءِ حسن لنموذج التربة المقصود فحصها. ولا يجدي هذا الفحص نفعًا الّا اذا كانت التربة متجانسة وتعدَّد تحليل أمثلتها (مساطرها) في انحائها الشتى. ولذلك تقلع الحشائش عن الارض وتُنزع نفاية المزروعات ثمَّ يؤخذ بمِسْحاة من التربة الصرفة نحو ٣ او ٤ كيلوغرامات وذلك في عشرة مواضع مختلفة من كلّ فدّان. ثمَّ تجمع هذه الامثلة الترابيَّة وتُخلط خلطًا محكمًا بحيث تمتزج كلّ اقسامها. وعقيب ذلك تؤخذ قَبَسات عديدة من هذا الخليط في اعلاهُ واسفله ووسطهِ وجهاتهِ حتى يبلغ ثقل هذا المثال الجديد كيلوغرامًا. وكلّ هذه الاحتياطات محتومة لا مندوحة منها سواءٌ يصير التحليل على يد صاحب العقار او احد من علماء الزراعة. ثمَّ اعلم ان الفحص المذكور يحسن اجراؤهُ في اي فصل كان من السنة اذا كانت التربة خفيفة. امّا الاراضي ذات التربة الصلبة الغنيَّة بصلصالها فلا يصلح البحث عنها الّا اذا كانت ذات نداوة متوسّطة

واذا أُريد الفصل بين الرمل الناعم الباقي والصاصال المتجمد فيُلقى كلاهما في اناء ويزاد عليهما شيء من الامونياك (القلي) ثمَّ يُتركان ثلاث او اربع ساعات الى ان يتشرَّبا الامونياك ثمَّ يُحركان في ماء مقطَّر. فيذوب الصلصال في الماء ويرسب الرمل. وبعد التصفية يعرف مقدار كلٍّ من العنصرين. والسلام

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٩ بلاد جبيل

لبلاد جبيل شأن خطير في التاريخ وعلم العاديَّات. وذلك لانَّ قاعدة تلك الانحاء كانت اضحت في عهد الرومان مركزًا لعبادة تموز فصارت الضواحي التابعة لها كحرم لا يجوز انتهاكهُ. وكانت الجماهير تحجّ الى هذا القطر لتكرّم الاماكن التي تخيَّلتها كموقع لمآثر تموز واعمالهِ المُختلَقة. ولذلك لم تكد ربوة من الرُّبى التي تجاور مدينة جبيل تخلو من معبد تنبئ آثارهُ الباقية بعظم شأنهِ

وممَّا كان يزيد هذه النواحي حسنًا وبهجةً انَّ لبنان كان في ذلك العهد مجلَّلًا بابهى حلل الطبيعة تزيّنهُ الغابات الكثيفة وتظلّلهُ الاشجار الباسقة فكان اشبه بجبال الالب التي هي اليوم فخر سويسرة ومصدر ثروتها (راجع مقالتنا في جبال الالب ولبنان. المشرق ١ : ٧٢١). فكنت ترى لكل معبد غيضة تحدق بها وتمدّ فوقهُ افنانها الوارفة كما ترى اليوم في بلاد النصيريَّة المزارات والمقامات على آكام تكتنفها ضروب الاشجار كأنَّها قلائد الزمرُّد

امَّا الآثار الباقية فمنها ما هو مطمور في الارض ومنها ما اتخذهُ الخلق لبنايات مستحدثة كالكنائس والبيع يدلُّ عليها كتابات قديمة طُمس بعضها او نقوش متقنة الصنع تراها في الجدران او صفائح محطَّمة أُلقي حطامها في زوايا الكنيسة او انصاب مخروطة وعتبات مستطيلة الى غير ذلك بل وجدنا مذابح بعض الكنائس مبنيةً بحجارة المذبح القديم نفسهِ. واذا طُفت حول هذه الكنائس رأيت آبارًا او صهاريج او احواضًا

التربة شيء من الكلس ولا يزال يصبّ الحامض حتى يبوخ الغاز وتتوارى في البوقال رغوتهُ فالباقي في الماء هو الصلصال يصفّيهِ وينشّفهُ ثمَّ يزنهُ . واذا عرف مقدار الرمل والصلصال امكنهُ ايضًا ان يعرف مقدار الاملاح الكلسيَّة بالمقابلة مع ثقل التربة المختبرة

نعم ان هذا التحليل ليس هو غاية في الدقّة لكنهُ سهل الاختبار ويكفي عادةً للزارع ليعرف بالتقريب نسبة الرمل والصلصال والموادّ الكلسيَّة التي تدخل في تركيب عقارهِ . وهذا الاختبار اقرَّ بصحَّتهِ العلامة المسيو بوسنغو (Boussingault)

وقد وجد الاستاذ شلوزنغ (Schloesing) طريقةً اخرى لفحص التربة افضل من الطريقة السابقة (١ . وقد بنى اختبارهُ على الاصطلاح الآتي قال: « اننا ندعو حصًى كلَّ العناصر التي تجتاز في منخل تكون سعة فُرَجهِ ٥ ملمترات . وندعو قَضضًا (gravier) ما تفتَّت من الحصى واجتاز في المنخل المتقدّم ذكرهُ لكنَّهُ لا يتجاوز منخلًا تكون سعة فرجهِ ملّمترًا واحدًا فقط . وندعو تربة منخولة التي تعبر في كلا المنخلَين »

فبعد النخل المحكم يؤخذ كلّ من هذه الاقسام ويفرز منها باليد الحصى والقضض والنفايات الآليَّة المختلطة بها . ثمَّ يزن كلّ قسم على حدةٍ وعقيب ذلك يعمد الى عشرة غرامات من التربة المنخولة فيدوفها في قدح ماء مقطَّر بالاصبع ويحركها مدَّة . ثمَّ يكفّ عن التحريك ويعدُّ عشر ثوانٍ وبعدئذٍ يُصبّ برفقٍ الماء المتعكر في اناء آخر دون ما رسب في قعر القدح من الدقائق الثقيلة . ويعود ثانيةً وثالثة الى صبّ الماء وتصفيتهِ حتى يصبح ماء القدح نقيًّا صافيًا . فما بقي في القعر هو الرمل الخشن ينشّفهُ ويعيّن مقدارهُ بالوزن . ثمَّ يحلّل ما في هذا الرمل من الكلس بواسطة الحامض النتريك ويستنتج من الفرق ثقل الرمل الكلسي . ثمّ يعمد الى التكليس فيتبيَّن بهِ ثقل النفايات الثرويَّة

ولا يبقى بعد ذلك الَّا دقائق التربة الناعمة التي صُفيت في الاناء . فهذه الدقائق ايضًا تُحلّل بواسطة الحامض النتريك الى ان يضمحلّ الكلس تمامًا . ثمَّ يُصفى المائع ويُغسل الراسب غسلًا محكمًا . ويُجمع ما بقي فوق المصفاة فهو الرمل الناعم المختلط بالصلصال المتجمّد بقوة الحامض . امَّا المائع فهو الكلس المذاب

١) راجع كتابهُ الفرنسي المعنون Précis de Chimie agricole

عمشيت

عمشيت قرية جديدة بالنسبة الى غيرها من القرى المجاورة. وليس فيها من اثر ثابت يؤدي بالقول الى وجودها في الطور اليوناني الروماني وهي اليوم بلدة معتبرة اخذت في النموّ منذ اوائل القرن الحالي. امّا الكتابات العديدة التي يجدها الناس في عمشيت فكلّها منقولة اليها من جبيل او ضواحيها (١

عبادات

فاذا رقينا الان الى مشارف لبنان وجدنا في طريقنا كنيسة شامات المزدوجة التي فيها آثار هيكل من الطرز الايوني (ionique) ترى عمدهـا من داخل الكنيسة. وفوق شامات على مسافة نصف ساعة منها عَبادات او عُبيداتُ ترى في جدران كنيستها عند بابها الخارجي كتابةً يونانيَّـة كتبت في ايام انطونينوس قيصر وهي ذات شأن لتاريخ الديانات في لبنان (٢. والكتابة على اسم « المشتري السماوي الاعظم السارنايّ المشفَّع » (Σααρναῖος) وقد اختُلف في شرح الصفة « سارنايّ » والارجح انَّهُ نسبة لاسم هذه الضيعة القديم فدُعي بهِ البعل المعبود فيها وفي تراكم هـذه النعوت والصفات اشارة الى معبود اعظم متفرّد بالجلال هو الربّ سبحانهُ وتعالى الذي لا إله غيرهُ كان القدماء اشركوا بهِ معبودات ثانويَّة فتاهوا في بيداء الشرك

بجديدات

في بجديدات ايضاً آثار قديمة متعدّدة. سيأتي الكلام عن كنيستها ونقوش جدرانها. امّا مذبحهـا الحالي فهو المذبح القديم نفسهُ الذي كان الوثنيُّون يقدّمون عليهِ تقادمهم. ومثل هـذا المذبح في كنيسة مار اما بجوار اده. ولا تخلو بجديدات من الكتابات القديمة اليونانيَّة لكنَّ اكثرها مطموس لا يسعنا هنـا ان نذكر ما ورد في شرحها من الآراء المتباينة بلا فائدة للقراء

جربتا

في جربتا وهي قرية قريبـة من بجديدات اجمل نقش حفرهُ القدماء في لبنان على

---

١) راجع بعثة فينيقية ص ٢٣١ ورحلة دوسُّو ص ٦

٢) هذا الاسم مشترك بين انطونينوس المعروف بالبارّ ومرقس اوريليوس انطونينوس فيجوز ان تنسب الكتابة لكلّ منهما فيكون تاريخها امَّا سنة ١٥٤–١٥٥ او ١٧٧–١٧٨ بعد المسيح

او قبورًا منقورة في الصخر كلها شاهد على الازمنة الخالية

بَلَاط

موقع هذه القرية على مقربة من قَصوبة في جنوبها · كنيستها على اسم النبيّ العظيم مار الياس وهي مبنية بحجارة هيكل قديم كان هنالك · وفي جدرانها بعض قطع من تماثيل رومانيَّة متحطِّمة وفي داخلها اربع كتابات يونانيَّة يستفاد منها ان الهيكل القديم الذي قامت الكنيسة مقامهُ كان على اسم الاله العظيم (Διὶ μεγίστῳ) اي البعل كبير آلهة الفينيقيّين او تموز قرينهُ ونائبهُ في بعض الامكنة (راجع المشرق ٢ : ٦٢) · ولهذه الكتابات تاريخ يقضي باعتبارها كاقدم الكتابات اليونانيَّة في لبنان فانها ترتقي الى السنة ١٩ قبل المسيح

ولبلاط مدافن قديمة وقبور منقورة في الصخر أحكمها صنعًا ما يُرى غربي المدينة · وهي عبارة عن ستَّة اجران متلاصقة متجانسة الشكل غاية في الاحكام نُقرت في الصخر بعد قطعهِ وتسويتهِ واهل بَلاط يجدون عددًا وافرًا من العاديَّات في قريتهم وضواحيها · ولو باشر العلماء ثمَّ ابحاثًا منظَّمةً لوجدوا فيها ما يسرُّهم (١

ادّه

هي في شمالي حَبوب وشرقيّ شمالي جبيل · من آثارها القديمة موادّ كنيستها المقامة على ذكر القديس جاورجيوس · فانَّ هذه الموادّ قد استخرجت كلها من ابنية عادية · ومن اعتبر جدرانها وجد في خلالها قطعًا شتى من العمَد والحجارة المُطنَّفة · وقد انتزع المسيو رينان عتبة الكنيسة وارسلها الى متحف اللوفر في باريس · وعليها يُرى نقش من الرموز الشائعة في الدين الفينيقي وهو كرةٌ التفَّ حولها حيَّاتٌ تجتمع اذنابها من فوق · والكرة المذكورة بين جناحين منتشرين على جانبيها · وكان لجرن العماد الذي في كنيسة جبيل حجر فيهِ مثل هذه النقوش الَّا انهُ احدث عهدًا من العتبة السابق ذكرها (راجع المشرق ٣ : ٣٥١) · وهذا الحجر نقلهُ ايضًا رينان الى باريس

وفي نواحي ادّه معابد كثيرة كانت في سابق الدهر هياكل للاصنام ومنها ما هو مزدوج. وسنعود ان شاء الله الى ذكرها عند كلامنا عن كنائس لبنان المارونيَّة القديمة

---

١) راجع كتاب بعثة فينيقية لرينان ص ٢٢٣ ورحلة دوسُّو الى سوريَّة سنة ١٨٩٥ ص٥

الاعظم كما ترى في غير ذلك من اسماء اللاهوت كالبعل وأَدون وملوخ وكلها انتقلت عند الفينيقيّين بالمجاز من معناها الاصلي الى معنى الاله الكبير المتعالي

•هما كان من امر هـذا اللقب فانَّهُ من المقرّر ان اسم الاله ستراب لم يُرَ ذكرهُ في غير هذه الكتابة الحجريّة• على انَّ پوزانيـاس المؤرّخ كان ذكرهُ في كتابهِ السادس (ف٢٥ و ٢٦) فجاء اكتشاف هذه الكتابة مؤيّدًا لقولهِ (١ وترى من ثمَّ ما في درس الآثار القديمة من الفوائد لمعرفة التاريخ• ولا يقولنَّ قائلٌ ان هذه الاشياء زهيدة ليس تحتها كبير امر• أَجبنا انَّ العلم في الغالب متوقّف على مثل هـذه الدقائق فاذا جُمع شتاتها نجم عنها فوائد لم تكن في الحسبان فكانَّها اشعة النور تبيد اذا ضمَّ بعضُها الى بعض سلطانَ الظلام وتقرّر اسمى الحقائق واجّلها• وعليهِ فأَملنا وطيد انَّ القراء لا يسأَمون بمطالعة ما بقي علينا شرحهُ من آثار لبنان كما انهم تلطّفوا فبلّغونا عبارات الشكر عمّا كتبنا سابقًا ونشّطونا على مواصلة العمل• والحقّ يقال انَّ مآثر لبنان لعديدة جدًّا لم نصف منها بعد الّا اليسير فيجدر بنا ان نخاطب القراء بما قالهُ الملاك لايليا النبي (٣ ملوك ١٩ : ٧): « قم• • فان الطريق بعيدة امامك » (ستأتي البقيَّة)

مدرسة عين طورا

نبذة تاريخية في اصلها لاحد افاضل الاباء اللعازريّين

٣

اوائل الرسالة اللعازريَّة في عين طورا

وبعد ما تملّك اللعازريون دير عين طورا اخذوا بدرس العربيَّة ليتمكّنوا من الانذار والتبشير ومباشرة الرسالات دأب كهنة الرسالة ابناء القديس منصور• وصار من ثمَّ الاب كورديه بصفـة كونهِ رئيسًا ومديرًا لاخوتهِ المرسلين المنتشرين في سوريَّة يتجوَّل لزيارة الاديرة في حلب ودمشق وطرابلس متفقِّدًا احوالها• وبعد ذلك بمدَّة اتى مرسلون لعازريّون آخرون لمساعـدة اخوتهم في رسالة عين طورا نخصُّ بالذكر منهم الاب نقولا كودز (Gaudez) الذي بعد ان اقام مدةً في عين طورا انطلق الى حلب سنة ١٧٩٤

١) راجع مبحثًا مهمًّا ورد في المجلة الاسيويَّة الفرنسيَّة عن الاله ستراب المذكور (J. A., 1877[2] p. 157)

وجه الصخر. وهذا النقش عبارة عن نُقرة مستديرة ترى في اعــلاها شلو بعض الآلهة وتحت التمثال المذكور مذبح وعلى الجانبين شخصان رجل فامرأة واقفين في هيئة السجود وترى شخصين آخرين يسوقان الضحية ويحملان كل لوازم الذبيحة. وهذه الصورة قد صــبرت على ممرّ الدهر الّا انَّ رأس الاله قد حُطم فيها عمدًا. ورسمها حسنٌ يشهد لمصوّرها بالحذق ودقّة الصناعة فانّهُ اجاد كلَّ الاجادة بتمثيل حركات الاشخاص ولبسهم وهيئاتهم المختلفة. ومن فوائد هذا الاثر انّهُ يدلنا على لبس قدماء الفينيقيّين فضلًا عن تعريفــهِ لديانتهم. وعلى مسافة قريبة من هذه الصورة كهوف ومدافن منهــا اشتقّت جربتا على الاصحّ اسمها من اليونانيَّة Κρύπτη اي مغارة

معاد

لا ريب انَّ معاد كانت في سالف الاعصار ضيعــةً مهمةً ومركزًا خطيرًا. وفي القرون المتوسّطة بُني لها قلعةٌ. وكنيستها نعدُّها طرفةً من طُرف الايَّام نذكرها في جملة الكنائس القديمة المعتبرة. وممَّا اكتُشف فيها كتابة يونانيَّة للاله سَتراپ تاريخهــا السنة الثامنة قبل المسيح ارسلها رينان الى باريس. ومن خواصّها كثرة اغلاطها. ممّا يدلّ على ان حافر الكتابة كان يرسم الرسم دون ان يفهم مضمونهُ. وهــذا كثير في الخطوط اليونانيَّة القديمة المكتشفة في لبنان كما ترى مثلًا في كتابة دوما. وهذا من البراهين على انَّ الفينيقيّين لم يتقنوا التكلُّم باللغة اليونانيَّة

وان سأل سائل تُرى من هو هذا الاله سَتراب. اجبنا ان السَّتراب عند اليونان كالمرزبان عند العرب وكلاهما يدلُّ على رئيس الفرس وسيّدهم المتولي امورهم بالنيــابة عن الملك . فيكون الاله المذكور في كتابة معــاد دُعي بذلك ايَّام دولة الفرس في فينيقية. فسمّوهُ سَترابًا اي سيدًا كما سمّوا غيرهُ من الآلهة « بعلًا وملوخًا » وكلاهما بمعناهُ يراد بهما السيّد والملك. وان اعترض المعترض بقولهِ ان المرزبان دون الملك مقامًا فكيف دُعي بهِ الاله العظيم. قلنا انَّ المرزبان كان في اعين الشعب كالوالي والحاكم الاكبر الذي يعودون اليهِ في كلّ امورهم لبُعد الملك الاعظم عنهم. فاعتــادوا اكرام الوالي المذكور حتى صار لديهم بمنزلة الملك عينهِ. ثمَّ نسبوا اليهِ قسمًا من الصفات الالهيَّة كما كانوا ينسبونها للملوك. وكذلك ترى كثيرًا من الصفات الالهيَّة كانت في بادئ الامر تدلُّ على رتبة مقصودة ثمّ نقلها العامّة شيئًا فشيئًا للدلالة على السلطان المطلق والاله

وكانت وفاة هذا السيد الجليل في ٢٥ آب سنة ١٨٢٥ فمات وذكر اعمالهِ الرسولية واياديهِ البيضاء لم يزل حيًّا في سوريَّة ولبنان وخاصَّةً في عين طورا التي قضى فيها قسمًا كبيرًا من حياتهِ العجيبة. كيف لا وقد بقي فيها نحوًا من ثلاثين سنة كان فيها رسولًا غيورًا على خلاص النفوس وحبرًا نشيطًا في خدمة الكرسي الرسولي الذي كان ممثلًا لهُ في هذه الديار المشرقيَّة ساهرًا على استمالة القلوب وائتلافها على التمسك بالسدَّة البطرسيَّة والخضوع التام لنائب المسيح على الارض الجالس على كرسي رومية

وبعد موت الاب كوندلفي اتى عين طورا الاب باروزي (Barrozi) بصفة رئيس ومعهُ الاب كايرو (Gaiero) لكن هذا الاخير داهمهُ الموت اثر حمَّى خبيثة أُصيب بها في احدى رحلاتهِ الرسوليَّة وذلك في ٤ كانون الاول سنة ١٨٢٦. واماَّ الاب باروزي فذهب الى حلب للتفرُّغ لعمل الرسالات. وعندها جاء ذانك الابوان الشهيران انطون بوُصو (Poussou) الذي لهُ الفضل الكبير على رسالتنا السوريَّة لما اتاهُ فيها من المآثر الغراء خاصَّةً في مدَّة رئاستهِ عليها كما سيأتي. والاب فرنسيس لاروا (Leroy) احد انسباء الاب إتيان (Etienne) الشهير الذي ادَّى خدمات جليلة لجمعيَّتي كهنة الرسالة واخوات المحبة خاصَّةً في مدة رئاستهِ العامَّة على هاتين الجمعيَّتين حتى لُقِب بمجدّد او مؤسّس ثانٍ لهما. ولا غرو ان هاتين الجمعيَّتين اللتين ازهرتا ايام رئاستهِ وغنتا بنوعٍ عجيبٍ تحفظان لهُ ذكرًا مخلدًا لا يمحوهُ كرور الاعوام

وكان كلا الابوين بوُصو ولاروا ممتازًا بفضلهِ وفضيلتهِ وسعة معارفهِ وغيرتهِ على خلاص النفوس. فبعد ان اقاما مدةً في عين طورا قُلِّد الاب بوُصو رئاسة ديرنا في دمشق الشام حيث عُيّن فيما بعد اي في سنة ١٨٢٤ رئيسًا على رسالة سوريَّة وبقي الاب لاروا يدبر شؤُون دير عين طورا مجتهدًا في تحسين احوالهِ الروحيــة والزمنيَّة بحكمة وسياسة غريبتين ولم يكن يألو جهدًا في مباشرة التبشير بل كان يفرغ وسعهُ في الوعظ والانذار محرّضًا ومؤنّبًا ومرشدًا ومنبهًا وناصحًا وبقي على هذه الحالة مدة طويلة حتى جمع القلوب على حبهِ والتعلُّق بهِ واتباع نصائحهِ فاستحقّ بذلك ان يُدعى رسول كسروان او ملاكهُ كما قال احد معاصريه المسيو هنري كيس (H. Guys) الذي كان يومئذٍ قنصلًا لدولة فرنسة في سوريَّة والذي لا تنسى مدرسة عين طورا ما لهُ عليها من الفضل اذ سعى كل السعي في تأسيسها وساعد كلَّ المساعدة على تقدُّمها

وهناك جاهد جهاد العبد الامين محتملًا بشهامة وصبر غريبين المحن والشدائد العديدة التي شاءت العناية الالهيَّة ان ترسلها لهُ

ومنهم الاب لويس كوندلفي الذي قُلّد رئاسة دير عين طورا بعد الاب كورديه. فباشر الكرز والتعليم بهمَّة ونشاط لا يعرفان الملَل. وكان مزيَّنًا بكمال الصفات الحميدة ومجمَّلًا بجميع الفضائل الكهنوتيَّة. واكبر شاهدٍ على سموّ منزلتهِ تسميتهُ من لدن الكرسي الرسولي زائرا رسوليًا في سوريَّة. وكان مكرَّمًا محبوبًا من الجميع وخاصَّةً من الامير بشير الشهابي الشهير الذي كان حاكمًا وقتئذٍ على لبنان والذي اتَّخذهُ لسموّ فضلهِ وقداسة سيرتهِ مدبرًا ومرشدًا لهُ ومثقفًا لاولادهِ. ولم يكن يقدم على عمل ذي اهمِّيَّة دون مشورتهِ متدبّرًا في كلّ امرٍ بنصائحهِ المملوءة حكمةً وقداسة. ولمَّا ذاع صيت فضائلهِ وحميد صفاتهِ سمَّاهُ الاب الاقدس في ٢٧ تموز سنة ١٨١٦ قاصدًا رسوليًا على سوريَّة وتمَّت سيامتهُ سنة ١٨١٧ فقام بوظيفتهِ احسن قيام. وبقي فيها نحوًا من احدى عشرة سنة اعرب فيها عن حكمة ودراية وهمَّة ونشاط استحقّ بها ثناء كل من عرفهُ. ورغمًا عن درجتهِ السامية وكثرة اشغالهِ وتقدُّمهِ في السنّ استمرّ على ممارسة الكرز والارشاد والتجوُّل في القرى لمباشرة الرياضات الروحيَّة شأن كهنة الرسالة

ولمَّا شاخ السيد كوندلفي ولم يَعُدْ قادرًا على العمل كذي قبل دعا اليهِ سنة ١٨٢١ الاب رِنار رئيس دير القسطنطينيَّة. وكان هذا قدم سابقًا عين طورا في سنة ١٧٨٥ وقضى فيها مدَّة. فلمَّا عاد اخذ يباشر الرياضات الروحيَّة جاعلًا جلَّ عنايتهِ في تلقين الصغار التعليم المسيحي لكن الاجل وافاهُ بعد قليل من وصولهِ الى عين طورا. فبكاهُ السيد كوندلفي طويلًا لما كان متحلّيًا بهِ من الفضائل والمعارف والاخلاق الرضية. واسف عليهِ كل الاسف حتى اثَّر ذلك في صحَّتهِ. وكان وقتئذٍ قد اضنتهُ الاشغال وانهكتهُ الايام وثقل وقرها على كاهلهِ فلم يلبث ان لحق بهِ الى اللحد شيخًا كاملًا بارًّا مملوءًا اعمالًا صالحةً رابحًا بتجارة مولاهُ ومستعدًا احسن استعداد للقاء ربّهِ. فدُفن مأسوفًا عليهِ من الجميع في مدفن الدير بالقرب من رفيقهِ الاب رنار مع اولئك الآباء اليسوعيين الذين اتوا اعمالًا تُذكر بالشكر والثناء في هذه النواحي. والذين ضحَّوا اعزّ شيء لديهم بل حياتهم نفسها متفانين في مساعدة القريب تمجيدًا لله وتخليصًا للنفوس المُشتراة بدم ابنهِ الكريم. ونحن نحفظ الى اليوم بقاياهم كذخيرة ثمينة

كان وديعًا متواضعًا اقتداءً بسيدهِ لهُ المجد وبابيهِ القديس منصور ذي التواضع العجيب حتى كلفت بحبهِ واعتبارهِ قلوب من عرفوهُ كما تشهد بذلك الكتابات العديدة المحفوظة من اخوتهِ المرسلين وتلاميذهِ الذين تخرَّجوا على يده بالآداب وارتشدوا بنصائحهِ الابويَّة المزوجة بالرقَّة والحنان واللطف والشهامة وكان في درجةٍ سامية من العلوم الادبيَّة والطبيعيَّة والرياضيَّة حتى سمَّاهُ تلامذتهُ رجل العلوم والمعارف. وهو الذي اهتمَّ باقامة مكتبة مدرستنا واغناها بالكتب النفيسة المفيدة في جميع العلوم. فاخذ اذ ذاك عدد التلاميذ يتزايد وهمَّة المدرّسين تتضاعف يومًا فيومًا

وفي تلك الاثناء بينما كان الاب لازُوا يتجوَّل في الجبل لمباشرة الكرز وصل الى قرية ريفون فراق لهُ منظرها واعجبهُ موقعها البديع اذ هي على رابيةٍ عالية تكلّلها اشجار الصنوبر تعلو عن سطح البحر بنحو ١١٥٠ مترًا. هواؤها طيّب ومناخها جيد وخاصَّة مدَّة الصيف ولذلك يؤمّها بعض المصطافين من بيروت والسواحل لقضاء مدة الصيف فيها. وهي شرقي عين طورا تبعد عنها نحو ساعتين صعودًا يُرى منها في شرقيها صنّين الجبَّار بثيابهِ الناصعة البيضاء. وهي تشرف من جهة الغرب على بيروت الزاهرة تلك المتدلّلة على عروسها لبنان المتربّعة في تلك السهول البديعة ناظرةً باعجابٍ وتيهٍ الى البحر المتوسّط الرابض على قدميها كأنهُ ينظر اليها نظرة السرور والابتهاج. فكل ذلك راق للاب لازُوا ولساعتهِ عزم على شراء محل فيها ليكون مصيفًا للاباء والتلامذة فجاء قصدهُ هذا في موقع الاستحسان لدى الجميع من رؤساء ومرؤوسين وخرج الى حيز الوجود سنة ١٨٣٦ ومنذ ذاك الحين لم يزل ولا يزال هذا المصيف مقرًّا في مدة العطلة المدرسيَّة لآباء مدرسة عين طورا وتلامذتها الآتين من البلدان البعيدة كالقطر المصري والموصل وبغداد والبصرة وقبرس وغيرها

لكنَّ المكان لم يبقَ على ما كان عليهِ منذ تأسيسهِ الى اليوم بل حدث فيهِ تغييرٌ اذ بُدئ منذ الصيف الماضي بتجديد قسم كبير من ابنيتهِ على طرزٍ جديد مُتقَن. فزاد بذلك جمالهُ وطاب عيش قاطنيهِ. ولم يزل الشغل فيهِ سائرًا على قدم وساق الى الان ليكون كل شيء مهيَّأً للعطلة المقبلة من هذه السنة ان شاء الله تعالى. وما يزيد بهاء هذا المصيف ورونقَهُ وجودُهُ بين الكروم اليانعة والاشجار الغضة النضرة. وللاباء اللعازريّين هناك عين ماءٍ عذبٍ موجودة في بستان يخصُّهم ويحتوي على بعض الاشجار

ونجاحها. ونحن نعتبر الاب لازْوا ونحصيهِ بين مؤسّسي مدرستنا في عين طورا لكونها تأسّست في ايام رئاستهِ بل بالاحرى بهمّتهِ وعنايتهِ وهو اول من رأسها بعد إحالتها الى مدرسة ولذلك استمرّ ذكرهُ فيها صالحًا ممدوحًا

٤

تأسيس مدرسة عين طورا وسنوّها الاولى

ثمَّ انهُ لمّا كانت رومية قد اظهرت مرارًا بواسطة السيد اوڤرن (Auvergne) القاصد الرسولي وقتئذٍ في سوريَّة رغبتها الى المرسلين المنتشرين في المشرق ان يفتحوا مدارس لتثقيف الشبّان في سوريَّة ومصر وقبرس. وكانت الحكومة الفرنسيَّة ايضًا تشاطر رومية هذه الامنيَّة ملحَّةً على المرسلين في هذا المشروع بواسطة المسيو كَيس قنصلها في بيروت. فكر الآباء اللعازريون في اجابة رغبة الكرسي الرسولي والحكومة الفرنسيَّة. ومن ثمَّ همُّوا بفتح مدرسة في عين طورا. فاوعز الاب سالورْني (Salhor-gne) الذي كان وقتئذٍ رئيس جمعيَّة الرسالة العام الى الابوَين بوصو رئيس رسالة سوريَّة ولاروا رئيس دير عين طورا في مباشرة هذا العمل الخيري وتجهيز كل ما يلزم لاتمامهِ

وبعد ما تمّ بناء المحلات اللازمة لاقتبال التلاميذ فتحت مدرسة عين طورا ابوابها للطالبين للمرة الاولى. وذلك في اوائل شهر تشرين الاول سنة ١٨٣٤ وهي اول مدرسة وجدت في هذه البلاد لتعليم اللغة الفرنسيَّة ولذلك دعيت ام المدارس. فكان اول من دخلها من الشبّان الفونس كَيس ابن المسيو هنري كَيس الآنف الذكر وابن المسيو جورل (Jorelle) كنشليار قنصليَّة فرنسا في بيروت وولدا المسيو لورلّا قنصل النمسا في تلك المدينة وميخائيل مدور ويعقوب ثابت وابن ابي فرنسيس. ومن ثمَّ طلب الاب لاروا من رؤسائهِ ان يعطى مساعدًا لهُ في تدبير مدرستهِ ليمكنهُ ان يكمّل الكرز والتعليم ومزاولة الرسالات والرياضات الروحيَّة. فاستصوب الرئيس العام طلبهُ وارسل الاب تايسار (Teyssère) ومعهُ اثنان آخران من المرسلين لتدبير المدرسة والاهتمام بنوع خاصّ بشأن التلاميذ تحت رئاسة الاب لازْوا

وكان الاب تايسار هذا من الرجال المتصفين بالمزايا الفريدة الممتازين بفضلهم وفضيلتهم وسعة معارفهم. ذا عقل ثاقب وذاكرة وقّادة وحكمة نادرة ومع ذلك كلهِ

باسه (Basset) مديرًا للتلامذة عوضاً عن الاب تايسار المتوفَّى غير انهُ لم يمكث في هذه الوظيفة مدة طويلة بل أُرسل الى حلب لعمل الرسالات وجعل مقامهُ الاب انطون لادريار (Laderrière) فقام بوظيفتهِ هذه احسن قيام. ولم يلبث ان اجمع الكل على حبّهِ واحترامهِ لما كان متّصفاً بهِ من المزايا الحميدة وبقي في هــذه الوظيفة مدَّة طويلة مكبًّا على السهر والاجتهاد في تربية الشبيبة وارشادها الى سبيل الحق والفضيلة والعلم.

وبينما كان الاب لادريار منصباً على تدبير شؤُون المدرسة كان الاب لازْوا مجتهــدًا في مزاولة الكرز وعمل الخير في الخارج فاتى من الاعمال الخطيرة ما يُذكر بالشكر والثناء وخاصَّةً في مدَّة حوادث سنة ١٨٤٠ فتصرُّفهُ المملوءُ حكمة جعــل ان المدرسة تبقى على سيرها وخطَّتها الاعتياديين رغماً عن الحركات والاضطرابات التي كانت تحــدث في الخارج. وممَّا يستحق الذكر هو تخليصهُ ٩٦ ديرًا ما عــدا الكنائس التي كانت ذهبت فريسة النار والسلب لولا تدبيرهُ وعنايتهُ وهو الذي خلَّص السيد اغابيوس الرياشي وقتئذٍ رئيس اساقفة بيروت على الروم الكاثوليك من ايدي الاعداء الذين كانوا اتهموهُ بخيانة صوالح الجبل بالاتفاق مع الحكومة المصريَّة

وفي تلك الايام اعني في سنة ١٨٤٠ استُدعي الرئيس العام الاب پوصو من رسالة سوريَّة التي كان قضى فيها ثلث عشرة سنة مدبِّرًا اشغالها بكل همة ونشاط الى فرنسة وسمَّاهُ نائبًا عامًّا للجمعية وعيَّن مكانهُ في وظيفتــهِ السابقة الاب توسته (Tustet) الذي كان قدم عين طورا سنة ١٨٣٢ لدرس اللغــة العربيَّة والذي فيما بعد صار مديرًا للمدارس الخارجيَّة التي كان فتحها وقتئذٍ الاب پوصو في دمشق. ولمَّا كان الاب لازوا مولعًا بعمل الرسالات طلب مرارًا بالحاح الى الرؤَساء اقالتــهُ من رئاسة عين طورا ليمكنهُ التفرُّغ لهذا العمل المحبوب منهُ كثيرًا فاجاب الرئيس العام طلبهُ. وعيَّن مكانهُ الاب توسته المقــدّم ذكرهُ ليكون رئيساً لمدرسة عين طورا مع بقائهِ رئيساً للرسالة في سوريَّة ومن ثمَّ صار الاب لازوا يطوف مبشّرًا ومنــذرًا بكلمة الله. امَّا الاب توسته فافرغ كنانة جهدهِ في القيام بوظيفتهِ الَّا انَّهُ لم يلبث ان توفَّاهُ الله بعد سنةٍ من تعيينهِ لهذه الوظيفة وذلك في تشرين الثاني سنة ١٨٤١

وبعد وفاتهِ بمدَّةٍ أُجبر الاب لازوا ليس فقط على رئاسة مدرســة عين طورا بل على رئاسة الرسالة السوريَّة كلها. وذلك في شباط سنة ١٨٤٢ فرضخ هذا الاب الفاضــل

المثمرة وفيهِ تنبت البقول الضروريَّة لمدة العطلة كلها . وفي اوائل السنة الماضية تمَّ مد طريق العربات الى القرية المذكورة وهي تمرّ في كرم اللعازريين وتنتهي عند باب المصيف المقدم ذكرهُ واما كنيسة المصيف المذكور فعلى اسم القديس منصور دي پول مؤسّس جمعيَّة الرسالة وهي باقية على حالها الى ان يتيسَّر تجديدها الذي نظنُّهُ قريباً كما يظهر وفي هذا المصيف كانت تصير حفلة توزيع الجوائز الى سنة ١٨٥٨

ولم تزل مدرسة عين طورا تتقدَّم يوماً فيوماً وعاماً فعاماً في معارج التقدم والفلاح وكانت كلما اتسعت محلاتها ازداد عدد تلامذتها فالتلامذة السبعة الاولون صاروا عشرة ثم سبعة عشر ثم اربعين ثم خمسين ثم ستين ثمَّ سبعين وهذا كان عددهم سنة ١٨٥٦. ولم تكن مدرستنا هذه تتمكَّن من قبول اكثر من هذا العدد في تلك الايام وكان طلابها من بلدان وطوائف وجنسيَّات مختلفة . امَّا موادّ الدروس فكانت الفرنسيَّة والايطالية والعربيَّة واللاتينيَّة والحساب والجغرافية وعلمَي الفلك والنجوم وعلم التاريخ وعلمَي الانشاء والخطابة . امَّا اليوم فتزيد على ما تقدم مبادئ الفلسفة والعلوم الطبيعيَّة كالكيميا وعلم النبات وعلم طبائع الحيوانات وعلم هيئة الارض والعلوم الرياضيّة كالجبر والهندسة والعلوم التجاريَّة كشرائع التجارة ومسك الدفاتر الخ . . واضيف على درس اللغات المتقدم ذكرها درس التركيَّة والانكليزيَّة والالمانيَّة . ولكن هذه اللغات مع الايطالية واللاتينيَّة ليست بعمومية بل خصوصية لمن شاء درسها اذ اللغتان العموميتان اي الواجب درسهما من جميع التلامذة هما الفرنسية والعربية مع الترجمة منهما واليهما . وزد على ذلك اتقان الفنون الموسيقية بفروعها والتصوير بانواعهِ لمن اراد

ولم تكد تبتدئ سنة ١٨٣٧ المدرسية حتى أُصيب الاب تايسار بالتهاب في معدتهِ اعتراهُ اثر مراقبتهِ التلامذة في احدى نزههم خارج المدرسة فمات شهيد المحبة والغيرة والسهر على خير التلامذة مملوءًا من الفضائل والاعمال الصالحة والمبرَّات التي لم تكن حياتهُ التقويَّة الَّا سلسلة لها . وكانت وفاتهُ في ١٥ تشرين الثاني من السنة عينها فبكاهُ جميع الاباء والتلامذة واسفوا على فقدهم هذا الاب القديس والرجل الكامل والاستاذ البارع وشمل الحزن عليهِ رسالة سوريَّة كلها لخسارتها رسولًا فاضلًا مضطرماً غيرةً على خلاص النفوس وراهباً بارًّا مثالًا لاخوتهِ المرسلين بتواضعهِ ووداعتهِ وشدَّة حرصهِ على حفظ قوانين جمعيَّتنا . وعند ذلك عيَّن الاب پوصو رئيس الرسالة السوريَّة الاب بولس

رسالة راهباتنا اخوات المحبَّـة المستوطنات تلك المدينة من عهد قريب لتلك الايام بعناية الاب لاروا. ولدى وصول الاب لادريار الى عين طورا سنة ١٨٤٥ ارسل الاب ريكاس مكانهُ ليتولى تدبير امور رسالة الاسكندريَّة

وقـام الاب لادريار المذكور برئاسة المدرسة موقتًا الى حين وصول الاب كروس الرئيس الجديد. وكان في الوقت نفسهِ مديرًا للتلامذة فاظهر في جميع تصرُّفاتهِ حكمة وذكاء. امَّا الاب كروس فلم يصـل الى عين طورا الَّا في الثامن من شهر ايار سنة ١٨٤٦ وكان قـد وكل اليهِ الرؤساء مع رئاسة مدرسة عين طورا النيابة على رسالة سوريَّة عن الاب لاروا الذي كان جعل مقرّ اقامتهِ في الاسكندريَّة ليتولى بذاتهِ تدبير اشغال الاديرة التي كان ساعيًا ببنائها للمرسلين ولاخوات المحبة. فكان والحالة هذه يصعب عليهِ التفرُّغ المطلق للاهتمام بتدبير الرسالة وفي ايام رئاسة الاب كرونس على عين طورا وبعنـاية واهتمام وتدبير الاب لاروا اتت الام جيلاس (Gélas) الشهيرة التي لا ينسى شرقنا ما لها عليهِ من الايادي البيضاء والمساعي الخيريَّة الغراء وكان معها بعض الراهبات فاقمنَ في بيروت سنة ١٨٤٧ (ستأتي البقيَّة)

نبـذة من كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي

اقتطفها حضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي

هذا الكتاب من اجود مصنَّفات العرب في صنوف الادب وقد ذكر فيهِ صاحبهُ وهو الكاتب الشهير ابو منصور الثعالبي النيسابورى مؤلف فقه اللغة الاسماء المضافة والمنسوبة الى غيرها يتمثَّل بها الكتَّاب كما بيَّن ذلك في مقدَّمتهِ. وهو يتضمَّن واحدًا وستين بابًا. وهذا الكتاب قليل الوجود يعرف الادباء لهُ ثلاث نسخ في لندرة وويئَّـة ومصر (راجع فهرست الكتبخانة الخديويَّة ٤ : ٢٢٢). وفي خزانة كتب ليدن مختصر لهذا الكتاب (١ : ٢٢٢) يُدعى نفحة المجلوب من ثمار القلوب لبعض الادباء (المشرق)

مقدَّمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

امَّا بعد حمد الله الذي اوَّل نعمهِ يستغرق اكثر الشكر. والصلاة على نبيهِ المصطفى

لصوت الله المعلن بواسطة الرؤساء وشرع يضاعف الهمّة والنشاط في المتاجرة بوزنات سيده والاشتغال في كرمهِ الروحي. واذ كانت مدرسة عين طورا جلّ موضوع في عنايتهِ اخذ في ترميم بعض ابنيتها وتوسيع محلاتها على قدر الامكان وحسب اقتضاء الظروف الّا انّهُ لمّا كانت اشغالهُ كثيرة ووظيفتهُ تتطلّب منهُ التجوّل لزيارة الاديرة وتفقّد شؤونها لم يتمكّن من الاقامة في عين طورا الّا نادرًا. ولمّا استقال الاب نوزو (Nozo) الرئيس العامّ على اللعازريّين يومئذٍ من منصبهِ في ٢ اب سنة ١٨٤٢ دعا الاب پوصو الذي كان آنئذٍ نائبًا عامًّا لجمعيّة الرسالة كما سبق جميع رؤساء الرسالات اللعازريّة لانتخاب رئيس عام عوض الرئيس المستقيل. فسافر الاب لاروا الى باريس وعيّن مكانهُ لتدبير الرسالة ولرئاسة مدرسة عين طورا الاب فرنسيس امايا (Amaya) الاسباني الاصل الذي اتى سوريّة سنة ١٨٣٧ مع الاب باسه الذي تكلّمنا عنهُ سابقًا. وكان الاب امايا هذا مزيّنًا بجميع الفضائل الكهنوتيّة ملتهبًا غيرةً على خلاص الانفس تشهد لهُ بذلك تلك الاعمال الرسوليّة التي اتاها سواء كان في دمشق او في طرابلس الشام وهو الذي كان مرشدًا ومثقفًا للطيّب الذكر فقيد الحماسة والوطن والتجرد يوسف بك كرم برّد الله مثواهُ بوابل رضوانهِ واسكنهُ فسيح جنانهِ. وفي ايام رئاستهِ تمّ بناء القسم الشرقي من مصيف ريفون وهو لم يزل باقيًا على ما كان الى الان الّا أُضيف اليهِ حديثًا بعض المحلات كما سبق لنا القول

وكان الاب يوسف ريكاس (Reygasse) قد عُيّن مديرًا للمدرسة عوض الاب لادريار الذي كان اصيب بمرض الزمهُ الرحيل الى ديرنا في اهدن لتبديل الهواء غير انهُ في سنة ١٨٤٤ فقدت رسالتنا في حلب الاب نقولا كودس الذي بعد ان قاسى ما قاسى هناك من الشدائد والبلايا بصبر جميل ذهب لينال اجر اتعابهِ وعذاباتهِ واعمالهِ الرسوليّة في دار السعادة الخالدة. فصدر حينئذٍ امر الرئيس العام الجديد الاب اتيان الشهير الذي انتخب لهذا المنصب الرفيع من المجمع العام الملتئم سنة ١٨٤٢ كما مرّ الى الاب امايا بترك مدرسة عين طورا والذهاب الى حلب فخسرت بهِ مدرستنا رئيسًا حكيمًا ومديرًا ماهرًا وعيّن مكانهُ الاب انطون كروس (Cros). وقبل وصول هذا الاب الى مركزهِ الجديد عاد الى عين طورا بامر الرؤساء الاب لادريار الذي بعد رحيلهِ الى اهدن ارسل الى الاسكندريّة مدة غيبة الاب لاروا وذلك لتدبير اشغال وامور

ويُجيل في خصائص البلدان والاماكن قِدْحاً. ويطوي في أعاجيب الأحاديث شوطاً.
(وهنا ذكر الابواب ثم قال): جعلها الله ابواباً مفتوحة للامير السيد الى بلوغ مُنيتهِ
وعرفهُ من بركاتها ما يُربي على عدد سطورها بل حروفها برحمتهِ. اه

الباب الرابع

في ما يُضاف ويُنسب الى القرون الاولى

أحلام عاد [١] . رِيح عاد [٢] . أحمر ثمود [٣] . صاعقة ثمود [٤] .

---

١) العرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصوَّر من عظيم خَلْقها وتزعم انَّ احلامها على مقادير اجسامها قال:

واحلام عادٍ لا يخافُ جليسُها وان نطق العوراءَ عُزْبُ لسانها

وقال اخر:

كأنّما ورثوا لقمان حكمتهُ علماً كما ورثوا الأحلامَ عن عادِ

٢) ريح عاد يُضرب مثلًا في الإهلاك والافناء لقولهِ تعالى: « وأمَّا عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ ». الآية. وقال تعالى: « وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم »

٣) أحمر ثمود هو قُدار بن سالف عاقر ناقة الله يُضرب بهِ المثل في الشؤم والشقوة وقد غلط زهير في قولهِ:

فتُنْتَج لكم غلمان أشأمَ كلُّهم كأحمر عادٍ ثمَّ ترضع فتَفطِم

وكأنَّهُ سمع بعاد وثمود فنسب الأحمر الى عاد على ما توهمَّهُ وهو من ثمود. وكان قُدار أحمر أزرق العينين وهو الذي ذكرهُ الله تعالى فقال: « اذا انبعث اشقاها ». وعن عمّار بن ياسر قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليهِ وسلَّم في غزوة ذات العسرة. فلمَّا قفلنا نزلنا منزلاً فخرجت انا وعليّ بن ابي طالب ننظر الى القوم يعتملون فغشِيناهم. فسفت علينا الريح التراب فانتهينا الى رسول الله فقال لعلي: يا أبا تُراب (لِما عليهِ من التُراب) أتعلَمُ مَن اشقى الناس. قال: خبِّرْني يا رسول الله. قال: أحمر ثمود الذي عقر الناقة واشقاها الذي يخضِّبُ هذه (ووضع يدهُ على لحيتهِ) مِن هذا (ووضع يدهُ على قرنهِ). فكان علي كثيرًا ما يقول عند الضجر: يا صحابة ما يمنع اشقاها ان يُخضب هذه من هذا

٤) صاعقة ثمود هي الصيحة التي اخذتهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين وانما كانت صيحة جبريل عليهِ السلام يضرب بها المثل في الابادة كريح عاد. ولمَّا قيل انَّ الحجَّاج من بقيَّة ثمود قال في خطبتهِ: أتزعمون اني من بقيَّة ثمود والله تعالى يقول « وثمود فما ابقى » صدَقَ الله الكريم وكذبتم انتم. ودعا ابو الفرج الببّغاء على القرامطة فقال: صبَّ الله تعالى عليهم طوفان نوحٍ وحجارة لوط وريح عادٍ وصاعقة ثمود

وآلهِ ما نطق لسان بالذكر. فان هذا الكتاب مترجم بثمار القلوب في المضاف والمنسوب. خدمتُ بهِ خزانة كتب الامير السيد ابي الفضل عُبَيد الله ابن احمد المكيالي عمَّرها الله بطول عمرهِ. وعلوّ امرهِ. وان كنتُ في ذلك كمهدي العود. للهنود. وناقل المسك. الى ارض الترك. وجالب العنبر. الى البحر الاخضر. ولكن ما على الناصح الّا جهدهُ. ولى اسوة في ابن طباطبا اذ يقول:

لا تنكروا إهداءنا لك مَنطقا   منك استفدنا نثرهُ ونظامهُ
فالله عزَّ وجلَّ يشكر فعل من   يتلو عليهِ وَحيَهُ وكلامهُ

وانشدني ابو الفتح علي بن محمَّد البستي لنفسهِ:

لا تنكرنَّ اذا اهديتَ نحوك من   علومك الغرّ او آدابك النُتَفا
فقيّم الباع قد يهدي لمالكهِ   برسم خدمتهِ من باعهِ التُحَفا

وبناء هذا الكتاب على ذكر اشياء مضافة منسوبةٍ الى اشياء مختلفة يُتمثَّل بها ويكثر في النظم والنثر وعلى أَلسنة الخاصَّة والعامَّة استعمالها. كقولهم: غُراب نوح. ونار ابرهيم. وذئب يوسف. وعصا موسى. وخاتم سليمان. وحمار العزيز وبُردة النبي. وكقولهم: كنز النَطَف. وقوس حاجب. وقرط مارية. وصحيفة المتلمّس. وحديث خرافة. ومواعيد عرقوب. وجزاء سنمار. ويوم عبيد. وعِطر مَنشِم. ونَسر لقمان. وعَيرُ أَبي يسار. وكقولهم: سيرة أَردشير. وعدل انوشروان. وايوان كسرى. ورمي بهرام. وكقولهم: سيرة العُمَرين. ودِرَّة عُمر. وقميص عُثمان. وفضائل علي. وصدق أَبي ذرّ. وحِلمُ الأَحنف. وزُهد الحسن. وعنز الاعمش. وجامع سفيان. وكقولهم: حنين الابل. وخُيَلاء الخيل. واخلاقُ البغال. وصبر الحمار. وداء الذئب. وزحير الكلب. ونوم الفهد. وروغان الثعلب. وقُبح القرد. وكقولهم: أَفاعي سِجستان. وثعابين مِصر. وعقارب نَصيبين. وجَرَّارات الأَهواز. وحمَّى خيبر. وطِحال البَحرَين. ودماميل الجزيرة. وكقولهم: تُفَّاحُ الشام. وأُترُجّ العراق. وسكَّر الاهواز. وورد جُور. وعود الهند. ومسك تُبَّت. وعَنبر الشحر. وطُرَف الصين. وكقولهم في الاستعارات: رأس المال. ووجه النهار. وعين الشمس. وانف الجبل. ولسان الحال. ونابُ النوائب. وقلب المعسكر. وكبد السماء. وصدر الامر. وقد خرَّجتُها في احد وستين باباً ينطق كل باب بذكر ما يشتمل عليها اولًا. ويُفصح عن الاستشهاد وسياقة المراد آخرًا. وما منها الّا يتعلّق من المثل بسبب. ويُومئ من اللغة والشعر على طُرف ويضرب في الاستعارات والتشبيهات بسهم. ويأخذ من الأَخبار والأَنساب بقسم.

الاسكندر . نوم أَصحاب الكهف[١] . جور سَدُوم[٢] . جَوف حِمار[٣]

فخلفهُ نسل كثيرٌ لمن ابدت لآذريوخا الودَّا
وانت ذو القرنين في عصرنا جملتهُ ما بينهم سدَّا
وهم كياجوجٍ وماجوجَ انْ عددتهم لم تحصهم عدَّا

١) نَوْمُ أَصحاب الكهف . يُضربُ بهم المثل في النوم لان الله تعالى يقول في قصّتهم : فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا . قال ابن الحجّاج :

قوموا فأهل الكهف مع عبّودَ عندكمُ صراصرْ

وقصَّة عبُّود ستمرّ في موضعها من الكتاب ان شاء الله تعالى

٢) سدوم (١ كان ملكًا (كذا . والمشهور ان سَدوم مدينة) في الزمن الاول جائرًا ولهُ قاضٍ أَجوَر منهُ يُضرب بهِ المثل فيقال . أَجوَر من قاضي سدوم . قال ابو الليث في موسى بن خاف صاحب ابن الفُرات :

أنت من دولةٍ بموسى تقوم ما نراها مع البلاء تدومُ
ما قضى مثل ما بهِ النذلُ يقضي في جميع الامور قطُّ سدومُ

وقال اخر :

لا يقع عقــدة مال خيفة الجاري الغشومِ
واصطبر للملَك الجا ري على كلّ ظلومِ
فهو الدائر بالامس م على آل سدومِ

٣) من امثال العرب هو اكفر من حمار وأَخلى من جَوْف حمار وهو رجل من عادٍ يقال لهُ حمار بن موَيلع . وَجوْفُهُ وادٍ لهُ طويلٌ عريض لم يكن ببلاد العرب اخصبُ منهُ وفيهِ من كل الثمرات . فخرج بنوهُ يتصيَّدون فاصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال : لا اعبد من قتل بَنيَّ . ودعا قومهُ لمن عصاهُ قتاهُ . فأخرب الله تعالى وادِيَهُ يضرب بهِ المثل في الخلاء (٢ قال الافوه :

فبشؤم الجَوْرِ والبَغي قديمًا ما خلا جوفٌ ولم يبقَ حمارُ

وقال امرؤ القَيس : « ووادٍ كجوف العَير قفر قطعتهُ »

---

١) وفي كتابة سدوم اختلاف . راجعها في كتاب الميداني (١ : ١٢٨)

٢) في شرح هذا المثل اختلاف ذكرهُ صاحب مجمع الامثال (١ : ١٧٣) في تفسيرهِ للمثل : أَخلى من جوف حمارٍ . اه



أَكْل لقمان (١ . نخوة فرعون (٢ . صَرح هامان (٣ . كنوز قارون (٤ . سدّ (٥

١) هو لُقمان العاديّ صاحب النسور تضرب العرب بهِ المثل في الاكل فتقول: آكَلُ من لقمان وتزعمُ انهُ كان يتغـدَّى بجزورٍ ويتعشَّى بمثلهِ

٢) أنشدَني الخوارَزميُّ في اللَّحَّام:

رأيت لِلَّحَّام في خلقهِ   للشعر تطبيقًا وتجنيسا
نَخوةَ فرعون ولكنَّهُ   خالف في حمل العصا موسى
وغشَّ ابليسَ ولكنّهُ   خالف في السجدة إبليسا

٣) صَرح هامان بناهُ لفرعون بالآجرّ وهو اول من استعملهُ كما حكى الله تعالى عن فرعون اذ قال: « يا ايها الملأ ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحًا لعلّي اطلع الى إله موسى واني لاظنُّهُ من الكاذبين ». ويقال جاء بالفعَلة لبنـاء الصرح من البلاد واكثرهم من الجنّ حتى بَنَوا ما يُضرب بهِ المثل للابنية الرفيعة الحصينة. ومن احسن ما يُحاضر بهِ في ذلك قول ابي القاسم الزعفرانيّ في تهنئة الصاحب بدارهِ الجديدة:

سرَّك الله بالبناء الجديدِ   نِلتَ حال الشكور لا المستزيدِ
هذه الدارُ جنَّة الخلد في الدنيا م فصِلْها وأختَها بالخلودِ
ألزَمَ الانس كلّ ضاف شديد   عمل الجنّ كل جافٍ مَريدِ
فابتنوا ما لو انَّ هامان يدنو   منهُ لم يرضَ صَرحَهُ للصعودِ

وقرأتُ في كتاب الجوابات المُسكتة لابن ابي عون عبد الله حازم انهُ قال يومًا لقهرمانهِ: الى اين تمضي يا هامان. قـال: أبني الك صرحًا. فعجب من جوابهِ لانَّهُ اشار الى انَّهُ فرعون اذ كان هو هامان

٤) كنوز قارون. يضرب بها المثـل فيما يُستعظم قدرهُ من نفائس الاموال لقولهِ تعالى: « وآتيناهُ من الكنوز ما ان مفاتيحهُ لتنوء بالعصبة أُولي القوَّة ». وقرأت فصلًا للخوارزمي من رسائلهِ القديمة: « لو كُنَّا نعمل على قدر النيَّة لحملنا اليك خراج مصرَ وعُشْرَ الأهواز ودخْلَ البصرة وتاج كسرى واكليل شيرين وكنوز قارون وعرش بلقيس »

٥) سدُّ الاسكندر هو سدّ ياجوج الذي تولّاهُ ذو القرنـين وجاء ذكرهُ في القرآن وهو الاسكندر عند الترك والنـاس تضرب بهِ المثل في الحصانة وقال دحوت النبي (كذا. ولعلهُ يريد دحوة الكلبي فصحَّفها الكاتب):

كاني دحوتُ الارض من ضربةٍ بها   كانَّ بنا الاسكندر السدّ من عزمي

وقد ضرب بهِ المثل ابن طباطبا فقال يهجو عليَّ بن رُستم ويذكر بناءهُ سور اصفهان ويرمي حرمتهُ بآذريون غلامهِ:

يا رُستمي استعمـلِ الجدَّا   وكدّنا في حظّنا كدَّا
فانَّك المأمولُ والمرتجى   تُهوّن الخَطْبَ اذا اشتدَّا
احكمت من ذا السُّور ما لم تجد   اليهِ من احكامهِ بدَّا

تقدم على عمل كذا او تقصد عمل كذا. واماَّ الدلالة على ان الفاعل متَّصف بالفعل على الاطلاق كقولنا: « انا بحبك ». اي انا متَّصف بحبي لك او انا محبٌّ لك. وقد يُراد بها الامر كقول المخدوم لخادمه: « بتروح تقول لفلان تيجي لعندي ». اي رُحْ وقُلْ. اماَّ اذا أُريد كون الفاعل مباشرًا في الفعل واخذًا في تتميمهِ فتستعمل لهُ حينئذٍ لفظة « عمَّال » او عمَّل (بحذف الالف) او لفظة « عمَّن » بقلب اللام نونًا لقرب المخرج كقولهم في لي امل: « لي امن ». وفي المسيح الدجَّال « المسيح الدجَّان ». او لفظة « من » بحذف العين من عمَّن للاختصار وكثرة الاستعمال كما حذفوا الحاء من حتى في قولهم: « راح تيعمل » اصلها: راح حتى يعمل. فيقال مثلًا « انا اعمل او عمَّل او عمَّن او منَّعمل »: اي انا اعمل في هذا الوقت او انا آخذ في العمل الان ولا يقولون بهذا المعنى: انا بعمل. ويتضح ذلك بزيادة من قولهم « اذا صار هالامر ايش بتعمل وايش بتقول » اي ما يكون عملك وقولك ولا يستعملون ابدًا لهذا المعنى: « منتعمل ومنتقول ». وعليهِ يجب تطلب اصل الباء في كلمة تحتوي عليها ويمكن ان تُستعمل في ما تستعمل هي لهُ وتنوب منابها هي او ما يرادفها في الاخبار عن الماضي

فاذا تقرَّر ذلك قلتُ ان هذه الكلمة هي « بات » وما يشتقّ منها بمعنى اضحى وظلّ وصار الخ. وينوب عنها في الاخبار عن الماضي ظلَّ (عند العامَّة ضلَّ او ضمَّ بقلب اللام ميمًا لقرب المخرج) او صار يقولون: « لمن شفتو صرت اعمل وضلَّيت قول » بعدم ادخال الباء بخلاف ما لو أُريد المستقبل فتُردّ الباء ويُقال مثلًا: « بحيث الامر هيك صرت بشوف وصرت بتبصَّر » الخ. اماَّ الاستغناء عن بات بالباء فقط فاظنّ انهُ لم يتمّ دفعة واحدة بل تدريجًا وشيئًا فشيئًا على توالي الايام. فقيل اولًا في المخاطب للدلالة على اتصاف الفاعل بالفعل: « بتّْ تحب » باسكان التاء لاعتيادهم ذلك. ثمَّ حُذفت للخفَّة وكثرة الاستعمال فصارت: « بتحب » وعلى هذا فيكون اصل « بتحبني وبتبغضني »: بتّ تحبني وبتَّ تبغضني ». اماَّ اذا أُريد الدلالة على قصد الفعل والاقدام عليهِ فيكون الاصل في « بتعمل » مثلًا: تبيت تعمل باختلاس الباء واسكان التائين لاعتيادهم ذلك. فأُسقطت اولاهما لكثرة الاستعمال والخفَّة فصارت: « بيت تعمل ». ثمَّ حذفت الياء لالتقاء الساكنين وطلبًا للخفَّة واستغني عن التائين المتواليتين بواحدة منهما فصارت «بتعمل» كما في الصورة الاولى

الباء العامّيّة في المضارع

عود على بدء

ان درس اللغة العامّية يتضمَّن من المطالب الخطيرة ما لم يتوهَّمهُ بعض الجهلة . وذلك ما حمل كبار العلماء اللغويين في اوربَّة على طرق هذا الباب . امَّا المستشرقون منهم فقد اختصُّوا ببحثهم لساننا العربيّ ونقَّبوا عن فرائد اللغة العامّية فارونا من علمهم عجائب وربَّما كشفوا القناع عن حقائق جليلة حجبتها قشرة اللسان العامّي . وعليهِ فما كدنا نقترح على قرَّائنا السؤال على اصل الباء العاميَّة في المضارع حتَّى اطنبوا على مشروعنا وتلقَّوا اجوبة ادبائنا في المشرق (٣ : ٤١٥ و ٤٧٧) بالثناء الطيّب واسترادونا من هذا القبيل . فنحن نجيب اليوم بطيب الخاطر الى ملتمسهم ونعود الى اثبات ما وردنا من ذلك وكنَّا احجمنا خوفاً من ان يملّ القرَّاء من هذه الابحاث

جواب سادس

لجناب الاديب توما افندي كيَّال احد معلّمي مدرسة القديس لويس في صيداء

انَّ باء المضارع متعلِّقة بمحذوف مثلًا : باروح وباكتب وباجيْ وبالعب الخ . وعلى ظنّي ان المراد من ذلك كلهِ « مستعيناً بهِ اروح واكتب واجيْ والعب » وما شاكل ذلك . والهاء راجعة الى محذوف اي « مستعيناً بقولك او بفكري او بقدرتي » فحُذف الفعل ثم انقطعت الهاء عند الباء اختصارًا وصار كما ترى « باكتب » الخ . وهذا كما يُقال عند من يُصدّر مقالتهُ بمقدَّمة يستخلص منها بعض أقوال يبني عليها مدعاهُ : « وعليهِ اقول » كذلك يُقال : « وبهِ اكتب وبهِ افعل وبهِ ألعب » . امَّا قول القائل : « وعليهِ اقول » اي مستندًا على هذا اقول وافعل . فكما ان « على » هنا متعلِّقة بفعل محذوف كذلك باء المضارع متعلقة بفعل كما ذكرنا آنفًا . ثمَّ لا يخفى ان الباء تأتي بمعنى على كما تأتي بمعنى الاستعانة . والله اعلم

جواب سابع

لحضرة الاب جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورا

قبل الفحص عن اصل هذه الباء يُقتضى التدقيق في احوال استعمالها عند المتكلمين بها وقد لاح لي انها لا تُستعمل ابدًا عند الاخبار عن الماضي فلا يُقال مثلًا : « لمَّن كنت بالمدرسة كنت بتعلم » بل « كنت اتعلم » وقس عليهِ . بل المراد منها امَّا اظهار اقدام الفاعل على الفعل لا كونهُ مباشرًا لهُ كقولنا : « انت بتعمل كذا » . اي انت

المعاني وجهلهم اصلها على توالي الايام كما لا يخفى فادخلوها المضارع غير مميّزين الافعال وخصائصها حتى قيل مثلاً: « بريد بعمل » و « بضلّ بقول » الخ. بالتكرار ومن الواضح البيّن ان هذا التكرار مهما كان اصل الباء انّما هو لاعتيادهم ادخالها المضارع كانها من مكمّلات صيغتهِ على نوع ما غير مكترثين بما قُطعت عنهُ. بيد انهم اخلوا منها صيغة الدُّعاء فقالوا: الله يوفّقك الله يخلّيك رَيتو (ليتهُ يموت) الخ بدون باء لقلّة استعمال هذه المعاني بالنسبة الى غيرها على ما اظن. والدليل انهم اذا أرادوا الاخبار او التمني بالصيغة والافعال نفسها أَعادوا الباء وقالوا مثلاً في الاخبار: اذا عملت هالحسنه الله بيوفقك (اي بات او يبيت يوفقك). وفي التمني: آه يا ريتو بيموت (ليتهُ يبيت مائتاً)

امّا استعمال لفظة « بدّ » اصلاً للباء على المضارع فواضح انهُ لا يمكن اطلاقهُ على كلّ الاحوال مثل بات فلا معنى لهُ مثلاً في قولنا: بحبّك (بتّ احبك) وبتريد تروح استفهاماً (بتّ تريد) الخ

وكذلك قُل في أَبي يبي (اراد) وبعزمي وما هو في معناها لحصرها المعنى في المستقبل. وقد رأَيت انّ الباء تدلّ على اكثر من ذلك. امّا « بودّي » بمعنى أُريد واحب الخ. فيلوح لي انّ فيهِ نظراً اذ لو صحّ ذلك لما لزم تغيير المعنى عند استعمال بدي في موضع الباء. والحال لا يصحّ ان يُقال مثلاً في « بحبك » وما اشبه. بدي حبك. اذ لا يخفى ما في ذلك من تبايُن المعنى. امّا قولهم احياناً « بد اعمل » ألا يصحّ ان يُقدَّر كون الدال مقلوبة فيهِ تاء بات لقرب المخرج فان ذلك كثير عندهم نحو دمدم وتمتم وقد مثَّل عليهِ حضرة اللغوي المدقق الاب انسطاس الكرملي بما لم يدع معهُ سبيلاً الى الشكّ وهو شائع عند العامّة كقولهم في « وجه » وِش. وفي « إمّا » يمّا. وفي « ليتهُ » ريتو. وفي « بنضرب » منضرب الخ. او لا يمكن ايضاً ان يُقال انها صيغة نادرة الاستعمال محصورة في معنى مخصوص هو الاقدام على الفعل كما ان « منتعمل » صيغة محصورة الاستعمال في معنى مباشرة الفعل

ولا يصلح ان يُبرهن على قطع الباء من « بودّي » بعدم جواز الجمع بينهما اذ يقال بدّك تعمل ولا بدّك بتعمل. فانّ لذلك سبباً آخر غير ما يُتبادر اليهِ وهو انّهم يفهمون بلفظة « بدّي » اريد او ارغب او اقصد الخ. فهم يستعملونها مطلق استعمالهم هذه الافعال كانها فعل منها. ولقد لحظتُ من جهة أُخرى انَهُ متى تتالى فعلان فلا تدخل

هذا في المخاطب واذا أُريد بها الامر فلا اسهل من ردّها اذ يكون اصل « بتروح » مثلاً بِتْ تروح (امرًا من بات). ثمّ استُغني بتاء واحدة للخفّة وصارت « بتروح ». امّا المتكلّم فان الاصل في « بعمل » مثلاً للدلالة على الاتّصاف بالفعل: « بتّ أعمل » وتلفظ « بتّعمل » ثم خُففت التاء المشدّدة وبعد ذلك حُذفت خشية الالتباس بالمخاطب فصارت « بعمل ». امّا للدلالة على الاقدام « أبيتْ اعمل » حذفت الهمزة للخفة كما حذفت من « كَلْتُ » ماضيًا اصلها أكلتُ « وصرت قول » مضارعًا اصلها « اقول » وفي « ضرُب » امرًا اصلها « اضرب » فصارت « بيت اعمل » باختلاس الياء التي حذفت اخيرًا للخفّة وحذفت معها التاء خشية الالتباس بالمخاطب فعادت « بعمل » على كلا الحالين. وكذلك قُل في الغائب الذي استُعمل فيهِ الحذف للمتكلّم والمخاطب وحملاً عليهما فقيل: « بات يعمل » او « يبيت يعمل » ثمّ « بيعمل » بحذف الالف في الاول للخفة والتقاء الساكنين ثم التاء للخفّة اذ لا يخفى ما في « بِتْيعمل » من الثقل ولاسيما لما في بقائها من اللّبس احيانًا كما في بتيسّر (من يسّر لا تيسّر) اذ لا يُعلم اذا كانت للمخاطب او للغائب بخلاف « بتيسّر وبيسّر »

ومن يعرف عادة العامة في سهولة الحذف والنحت والنقل والقلب والتقديم والتأخير في كل ما فيهِ شبه قرابة من الحروف للخفة والاختصار مع بقاء المعنى لا يعجب من كل ما ذكرنا من التقلّب قالوا مثلاً: « مِتعمل » في عمّال اعمل و « راح تيعمل » في حتى يعمل و « ابتعملش » في أما تعمل و « إسًا » في الساعة و « ركد » في ركض و « اجر » في رجل و « جوز » في زوج الخ. ولمّا استعملت هذه الصيغة في المفرد حمل عليها الجمع دون ملاحظة اصل الباء فأُبقيت على حالها كأنّها من مُكمِّلات الصيغة وقيل: بتضربوا بيضربوا. امّا « منضرب » فالظاهر انها شذّت بيد اني اظن انها لم تخرج عن القاعدة بل قُلبت الباء ميمًا لقرب المخرج وزيادة الخفّة في الاستعمال كما لا يخفى عند التلفُّظ فقيل في بنضرب « منضرب » كما قالوا في مريم « مرين »

قد رأيت ممّا تقدّم انهُ يصحّ على كل الاحوال وفي الصيغ الثلاث وحالتَي المفرد والجمع تقدير فعل بات او يبيت او بتْ حسب اقتضاء المعنى. ولا شكّ انّ استعمال الباء كان باديْ بدءٍ محصورًا في ما يصحّ فيهِ استعمال اصلها ثمّ شاعت عند العامّة في كلّ ما يدلّ على قصد الفعل او اتّصاف الفاعل بهِ او الامر احيانًا لتوهّمهم فيها هذه

الفتاة المفقودة

رواية تاريخيَّة عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي

١

كان الامير فرنسيس دي بومنت الشهير ببارون دي أَدْراى (baron des Adrets) احد قوَّاد عصرهِ المبرّزين ينتمي الى اسرة عريقة في الشرف تقطن في بلاد دوفيناي من اعمال فرنسة. وكان لهُ قصرٌ واسع الارجاء شاهق البنيان اشبه بقلعة حريزة ورثهُ من اجدادهِ يُدعى مُنسيغور (Monségur) اي الجبل المنيع

فلمَّا انتشبت في فرنسة الحروب المعروفة بالحروب الدينيَّة في أَواسط القرن السادس عشر بين الهوغنوت والكاثوليك عَهِد الاوَّلون قيادة شرذمة من جندهم الى البارون دي أَدْراى فكان ينقضّ بها كالنسر القشعم على المدن والقرى المجاورة فينهب ويسلب ويقتل ويحرق ثمَّ يعود غانمًا الى قصرهِ وهو فيهِ اعزّ من عقاب الجوّ في وكره. وكثيرًا ما سارت الجيوش الجرَّارة لمقاتلته في حصنهِ بيد انها تعود بخفّي حنين لانَّ البارون كان قد ابتنى لهُ في اسفل حصنهِ نفقًا يمكّنهُ من الخروج من قلعتهِ فيراه اعداؤُهُ في اعقابهم وهم يظنُّونهُ في قبضة يدهم يتضوَّر في حصنـهِ من الجوع. وكان النفق المذكور مظلمًا كثير الشِعَب لا يعرفهُ غيرهُ مع المهندس الذي قام بصنعهِ وكان هـذا رجلًا ماهرًا في حرفة البناء بيد انهُ ابكم اخرس شديد التعلُّق بسيّدهِ لا يفشي بسرّهِ ولو ذاق الموت

ثمَّ تقلَّبت الاحوال على البارون دي أَدراى ورجع الى دين آبائهِ . فنقم عليـهِ الهوغنوت وحاولوا الانتقام منـهُ مرارًا فردَّهم خائبين. وفي بعض الغزوات تمكَّنوا من المهندس الاخرس وتهدَّدوهُ بالقتل ان لم يطلعهم على سرّ البناء ومدخل النفق ليسدُّوهُ ويتخلَّصوا من البارون صاحبهِ لكنَّ المهندس آثر الموت على الخيانة فقُتل وذهب شهيدًا لامانتهِ في خدمة اميرهِ

٢

ثمَّ مات بعـد ذلك فرنسيس دي بومونت في ٢ شباط ١٥٨٦ دون ان يكشف بسرّهِ لاحد من اقاربهِ. امَّا القصر فانتقل بالوراثة الى عائلة براكنتال وكانت تمتُّ بقرابةٍ الى أُسرة دي بومونت بينهما رحمٌ وشيجة وكانت السيدة دي براكنتال ارملةً منقطعة في

الباء ثانيهما الّا اذا كان للمتكلّم المفرد فقط جوازًا لا وجوبًا. وكذلك اذا تقدَّم الفعل اسم فاعل او كلمة بمعناهُ اذ لا يفرقون بينهما لاتفاقهما وزنًا ومعنًى فيقولون في المفرد المتكلّم فقط: رايح بعمل او رايح اعمل قصدي عمل (انا قاصد) وبعمل (نادرًا) بقدر بعمل وبقدر اعمل. وعليهِ قالوا ايضًا بدّي اعمل. واذكر اني سمعتُ بعضهم يقول: بدي بقول. بالابقاء

بقي تفسير امرَين: إجازتهم الابقاء في المفرد المتكلِم فقط عند تتالي فعلين وسبب الحذف مطلقًا بعد بدّي:

امَّا على الاول فيلوح لي (مهما كان اصل الباء) انهم استعاضوا بها من همزة أَنْيت للسبب الآتي: انهم لكثرة استعمالهم الباء على المضارع توَهّموا كما سبق لنا القول انها من مميّزاتهِ ومكمّلات صيغتهِ. واذ كانت التاء والياء للمخاطب والغائب لا تُحذفان بخلاف الهمزة التي شاع عندهم اسقاطها لعدم استعمالهم اياها عادةً الّا همزة وصل فقد ادخلوا هذه الباء على المفرد المتكلِّم للتعويض عن همزتهِ والدلالة على صيغتهِ حينما لا يخبر بهِ عن الماضي كما دلَّت التاء على المخاطب والياء على الغائب. ومما يؤيد ذلك انهم لا يدخلونها صيغة المتكلّمين لدلالة النون عليها فيقولون « رايحين نعمل » لا رايحين بنعمل او منعمل بالقلب. وانهم عند ابقائهم الهمزة في المفرد يحذفون الباء نحو: بدّي أعمل. بفكري إتعلم الخ. ويظهر ذلك بزيادة اذا لاحظنا فعلًا اوّلهُ تاء مثل تعلَّم: فيقال في المفرد المتكلّم: « بقدر بتعلَّم » بباء عوضًا عن همزة الوصل المسقطة و « بتقدر تتعلَّم » بتاء الصيغة وتاء الفعل دون باء. امَّا قولهم: « قلتُ بعمل قلتَ بتعمل قال بيعمل » بادخال الباء على كل الاحوال فلا يخفى ما في تلو فعل قال من معنى الابتداء فكان لا تكرار

امَّا سبب الحذف بعد « بدّي » في كل الاحوال فليس ذلك مختصًّا بها بل هي عادتهم تقريبًا بعد كلّ كلمة تستلزم ان المصدريَّة بعدها مثل « في اوفيني اعمل (اقدر) بقصدي اعمل بيمكني اعمل تركني اعمل رايح بِلّش اعمل رايح بَدي اعمل (من فعل ابتدأ) « لازم اعمل ضروري ببطل اعمل علّمني اعمل سمخلي اعمل » وكذلك « بدي اعمل » (اريد)

هذا ما سمح لي الوقت بابدائهِ ولا شك ان متابعة الفحص في المسألة تزيدها ايضاحًا وتسهل طرق حلّها

ينشدون ضالَّتهم الكريمة ويدعون لوسيًّا باسمها . ولكن لم يُسمع لاصواتهم غير صدى الاودية المجاورة . فظنُّوا انها دخلت احدى غرف القصر دون ان يُشعر بها وانها تستريح في بعض المقاصير المنفردة فتفقَّدوا القصر من اعلى طوابقهِ الى اسفلها فلم يجدوا لمطلوبهم اثرًا

فتبدَّلت حينئذٍ الدنيــا في اعين الجمهور ورنق كأس عيشهم وجعلوا يحدسون الاحداس المفجعة . وكانت امُّ الفتاة وزوجها في قلق لم يدركهُ وصف . ولمَّا لم يجدا نتيجةً لتفتيشهما ترقرقت الدموع في عيونهما الى ان انصبَّت كأَنها المزن المدرار

وما زاد الام والاقارب حزنًا انَّهم كانوا يعرفون للقصر مزلقة متَّصــلة باحد جدرانهِ ليس بعيدًا عن الدهليز الذي سبق ذكرهُ . وكانت هــذه المزلقة موشَّاة بالزهور الطبيعيَّة تنتهي الى حافة ضيِّقة قليلة الارتفاع والحافــة تعلو واديًا عميقًا في قعرهِ صخور ناتئة واشجــار من السنديان والشربين . وما كان احد يقترب من المزلقة المذكورة الَّا حذرًا متحرِّزًا يتشبَّث باغصان الشجر لئلا تزلج رجلهُ فيتدهور الى الوادي . ولم تكن الحافــة السفلى لتقي الساقط اذا عثرت رجلهُ فبلغها بثقل جسمهِ بل كان لا محالة يفقــد الموازنة وينكبت لوجههِ في الهوَّة . فظنت الامّ المسكينة انَّ ابنتهــا اتتْ هذا المكان فنامت بقربهِ وانَّها في نومها جفلت فزحفت الى المزلقة فسقطت منها الى الهوَّة

فما خطر هذا الفكر على بال السيدة دي براكنتال حتى تدفَّقت من اجفانها العبرات وعلا صراخها فابكت كلَّ من سمعها . ثمَّ اسرع الخدم فنزلوا الى اعماق الوادي فادركوهُ بعد دورة طويلة حول الجبل فبحثوا بحثًا نعمًّا الى عصر ذلك النهار ثمَّ عادوا خائبين ولم يجدوا للجثة اثرًا . فقال البعض لعــلَّ الوحوش الضارية التي في هذا الوادي اختطفتها لتفترسها في أوكارها

وان سأَل القارئ كيف اهمل اصحاب القصر النزول الى الدهليز الذي كان في طرف الحديقة أَجبنا انَّهم لم يتغاضوا عن الامر لكنهم لم يكونوا يعرفوا من حقيقة هذا الدهليز سوى انَّهُ ينتهي الى سربٍ واسع لا منفــذ لهُ فلمَّا بلغوهُ وداروا في جوانبهِ لم يجدوا فيهِ غير الخفافيش كانت تأْوي اليهِ صلب نهارها فخرجوا آيسين من وجدان الفتاة هنالك

وكانت الشمس في أثناء ذلك مالت الى الغروب فخرج كثيرون من المدعوين راجعين الى منازلهم وقراهم المجــاورة . وكانوا في طريقهم لا يتحدَّثون الَّا عن تواري لوسيًّا المنكودة الحظ يوم زفافها فيقابلون بين افراح الصباح وأَحزان المساء

قصرها الى اعمال البرّ وتربية ابنةٍ لها تُدعى لوسيًا وهي خريدة كاملة الصفات ذات فهم متوقّد وجمال بارع

فلمَّا كانت سنة ١٧١٥ خطب احد اشراف بلاد دوفيناي الفتاة لوسيًا فاجابت أُمها الى طلبهِ وتمَّت حفلة الزفاف بعد ثلاثة اشهر بغاية ما يمكن من الأَبهة والفرح حضرها جلَّة القوم واعيان بلاد غرينوبل والمدن المجاورة. وأُقيمت الرتبة الدينيَّة في صبيحة ذلك النهار في كنيسة قريبة من القصر. ثمَّ خرج العريسان يحفُّ بهما عدد عديد من الاقارب والاحباب فدارت كؤوس الافراح وعلت أَصوات الطرب مدَّة ساعات طويلة الى ان شعرت الفتاة بصداع خفيف فخرجت الى حديقة القصر لتتنسم الريح وحدها بمعزل عن القوم. لكنَّها وجدت الزوَّار في كلّ الانحاء فعنَّ لها ان تنزل الى دهليز كان في احدى زوايا الحديقة كان خدمُ القصر يلقون فيهِ الحطب وبعض اثاث الدار لفصل الشتاء. وهذا الدهليز كان عادةً مغطًّى بالاعشاب وبعض العوارض من الخشب. فأَزالت لوسيًا الاعشاب وانسلَّت بين العوارض الخشبيَّة دون ان يشاهدها احد

فبعد ساعةٍ حان وقت الغداء فقام الجميع ودخلوا ردهةً واسعة من ردهات القصر مزيَّنة بالنقوش الانيقة أُعدَّت فيها وليمة فاخرة لم يُقتصر فيها على شيء من اسباب الهناء. فلمَّا احتفل المدعوُّون طلب العريسُ عروسَهُ ليقوما بشؤون المأدبة كمألوف عادة الاوربيين فلم يجدها. فسأَل عنها فقيل لهُ انَّها خرجت منذ ساعةٍ الى حديقة القصر وقد خرج الخدم الى استدعائها فلا تلبث ان ترجع. فانتظرها زوجها الى ان اضجرهُ الانتظار فخرج لينتهر الخدم ويبكّتهم على بطاء حركاتهم. فاتوهُ للحال من كلّ أَوب ووجوههم كاسفة يقولون: قد طلبنا سيدتنا في الحديقة بل في كلّ انحاء القصر فلم نجد لها اثرًا

— ما هذا القول؟ هلمُّوا بي فانَّها ولا مراء تحت شجرة من اشجار الحديقة ولعلَّها اضناها التعب فنامت

قال هذا وخرج اسرع من لمحة العين يدور في الجنينة وينظر في كلّ انحائها فلم يجد احدًا. فسأَل عنها الحضور فقيل لهُ انهم رأَوها ثمَّ توارت عن عيانهم وراء دغل النبت ولم يعودوا ينظرونها

وكان المدعوُّون في اثناء ذلك ينتظرون العروسين فلمَّا فرغ صبرهم خرجوا ليستطلعوا حقيقة الامر فرأَوا العروس الجديد مع الخدم يركضون حيارى في كلّ جانب وهم

الى ضيعة قريبة منهُ فأوت هناك معتزلة عن العالم الغدّار منقطعةً الى الصلاة واعمال الرحمة. الّا انها كانت قبل مبارحة القصر امرت بان يبنى للمزلقة حافةٌ مرتفعة ودرابزون لئلا يصيب احدًا ما اصاب ابنتها فيهوي الى قعر الوادي. ولم يبقَ مذ ذاك الوقت في القصر غير حاجبٍ مع امرأتهِ سلّمتهما السيدة مفاتيح قصرها ووكلت اليهما حراستهُ

وبقيت الامور على هذه الحال سنين عديدة. وألسنُ الاهلين تتناقل عن قصر البارون دي ادراي الروايات العجيبة فيزيدون الخرافات التي تُسوّلها لهم مخيّلتهم وكانوا يزعمون انّ الجن تقطن هذا القصر وانّ ابنة السيدة دي براكنتال لم يختطفها غيرهم. وكانوا اذا أرادوا ان يُسكتوا صغارهم يتهدّدونهم بان يأخذوهم الى قصر البارون

وكان مع ذلك من وقت الى آخر يسمع الزوّار بخبر هذا القصر فيحملهم حبهم بالعاديات الى ان يسترخصوا من السيّدة دي براكنتال ويتفقّدوا انحاءهُ لاسيما قاعة البارون دي ادراي التي فيها كانت اسلحتهُ كسيفهِ ودرعهِ وخوذتهِ وبوق صيدهِ معلّقة على الجدران. وكان الحاجب يقصُّ على الزوّار قصة العروس المفقودة ويريهم قبرها

وكان مع ذلك لا يزال سرّ اختفاء لوسيًا دي براكنتال مكتومًا يروي عنهُ الرواة امورًا متناقضة وأخبارًا متضاربة الى ان وقع الحادث الآتي ذكرهُ فاثار ما كان كامنًا وأوقف الناس على سرّ البارون دي أدراي بعد ان بقي نحو قرنين دفينًا لا يعلم بهِ بشر

٤

لمّا كانت السنة ١٧٤٥ قدم بلاد دوفيناي اربعة شبّان من وجوه ليون خرجوا من وطنهم ايّام احتدام القيظ لترويح النفس. فمرّوا ليس بعيدًا من قصر « مُنسيغور » فقال احدهم اسمهُ موريس دي لوساك (وقيل دي رابَستين): هلمّوا بنا نزور هذا القصر فاني قد قرأت في ترجمة البارون دي أذراي ما رغّبني في روءياهُ

فاجاب للحال احد رفقة موريس: نعمَ ما ارتأيت وقد سمعتُ انا عنهُ من والدتي عجائب قصّتهُ عليّ منذ نعومة اظفاري

ومن ساعتهم زاغوا عن طريقهم وتفرّعوا الآكام الى ان بلغوا الرابية التي فوقها الصرح المقصود ثمّ طلبوا في الضيعة الرخصة من السيدة دي براكنتال وكانت لم تزل في قيد الحياة ان يزوروا القصر. فاجابت الى طلبهم وأوصتهم ان يصلّوا على قبر ابنتها

٣

امَّا عائلة الابنة وأُسرة زوجهـــا فانَّهم صرفوا تلك الليلة في النحيب والعويل لم تكتحل اجفانهم غماضًا ٠ وكان مع ذلك تتنازعهم عوامل الرجاء يعلّلون النفس بالامل لعلّهم يقفون للفقيدة على خبر

وفي صباح اليوم التالي جاء بعض الفلاحين ممَّن سمعوا بخـبر فَقد السيّدة لوسيًا فاعلموا اصحاب القصر انَّ يوم امس كان قوم من الهمج المعروفين بالبوهيميين (النَّوَر) يدورون في جوار القصر وانَّهم فرُّوا هاربين الى جهة الجنوب ولعلّهم هم الذين احتملوا الفتاة ليغتنوا بما عليها من الحلي الثمينة من اللؤلؤ والمرجان ومصاغات الذهب

فما سمعت السيدة دي براكنتال هذا الكلام حتى طار لبُّها شعاعًا ٠ فاسرعت الى خدم القصر واوعزت اليهم بان يركبوا الخيل المطهَّمة فيجدُّوا في اثر الهاربين ويخلّصوا ابنتها ان وجدوها في ايديهم

فامتطوا الجياد مسرعين ولم يلبثوا بعد ساعات ان ادركوا اولئــك الرعاع فاحاطوا بهم وهدَّدوهم بالقتل ان لم يستسلموا ٠ فهلع البوهيميُّون ولم يروا منجـــاةً الَّا بطلب الامان ٠ فحينئذٍ نزل الفرسان وقيَّدوهم وفتشوا في عربَاتهم فوجدوا اشياء كثيرة مسلوبة فاخذوها ثم اخذوا يستنطقونهم فاقرُّوا انهم اختلسوا ابنتين صغيرتين في ضيعة لا تبعد عن ماكون ٠ امَّا ابنـــة السيدة دي براكنتال فحلفوا اليمين المحرّجة انَّهم لم يعرفوا من امرها شيئًا

فأُلقي اولئك الانذال في الحبس ووعدهم اهل الابنة بالمواعيد الحسنة ان اطلعوهم على امر فتاتهم فلم يقرُّوا بشيء وأُطلق سبيلهم ٠ لكنَّ السيدة دي براكنتال تطمينًا لبالها ارسلت قومًا من الاجراء ليطلبوا لابنتها خبرًا في كلّ مكان يأوي اليها البوهيميُّون في فرنسة وايطالية واسبانية وتكلّفت لذلك نفقات بالغة فذهبت كلّ مساعيهـــا ادراج الرياح فعادت الى فكرها الاول وجزمت بانَّ ابنتهـــا وقعت في مزلجة القصر فافترستها الذئاب ٠ وعليهِ بنتْ لفقيدتها العزيزة شبه قبر حيث توهَّمت انَّها فُقدت ٠ وامرت بان يُكتب على صليب من الحديد اسم كريمتها « لوسيًا دي براكنتال » مع تاريخ غيبتها في ٢٥ حزيران من سنة ١٧١٥ ٠ دون ان تصرّح بوفاتها

ثمَّ قضت الام الثكلى اياماً قليلة في القصر كئيبة ولمَّا لم تجد لحزنها سلوانًا خرجت

المجيدين. وقد احبَّ صاحب هذا التأليف ان يزيده فائدة بملحقين يحتوي احدهما على منتخبات تركيّة في عشر صفحات. والملحق الثاني هو معجم صغير للالفاظ التركيّة الواردة في المنتخبات السابقة الذكر

L'ARABO PARLATO IN EGITTO
Grammatica, dialoghi e raccolta di circa 6000 vocaboli
per cura di C. A. Nallino, Milano. 1900, *pp. XX*-384
تدوين اللغة المصريّة العاميّة

ذكرنا غير مرّة اهتمام المستشرقين بتدوين اللغة العربيّة العاميّة وبيّنّا ما يأملونهُ من درسها. وقد استلفتت لغة المصريّين انظار كثيرين منهم فأفرغوا كنانة جهدهم في تعريف خواصها. ولو عدّدنا ما كتبوهُ في هذا الصدد لامكنّا ان نسرد للقراء قائمة تبلغ خمسين كتابًا لا تخلو من فوائد جليلة. ولمّا انتُدب المعلم نلّينو استاذ العربيّة في المكتب الملكي في نابولي الى تصحيح كتابٍ في اللغة العاميّة سبقهُ اليهِ المعلم دي سترلخ بمساعدة احد الشرقيين اسمهُ ذنب خدّاج لم يجد الى ذلك سبيلًا افضل من تأليف كتاب جديد ضمّنهُ ما امكنهُ جمعهُ من قواعد اللغة العاميّة المصريّة وعقّبهُ بفصول عديدة من المباحثات الدارجة التي يحتاج اليها المسافرون مدّة زيارتهم للقطر المصري. ثم زاد عليهِ معجمين بالايطاليّة والعربيّة يشتمل الاول الالفاظ الشائعة في موادّ مختلفة والثاني مضمونهُ أُلوف من المفردات على طريقة حروف المعجم. والحقّ يقال انَّ هذا الكتاب احسن ما نعرفهُ الى اليوم في تعريف اللغة العاميّة المصريّة فنثني على همّة واضعهِ ونتمنى لهُ كلّ رواج ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ رسم العاديّات المكتشفة حديثًا في مادبا في اللغة الايطالية C. G. Manfredi : *Piano generale delle Antichità di Madaba*

٢ جزاء الاخلاص. قصيدة لجناب الكاتب موسى افندي صفير قدّمها لصاحب الدولة سليم باشا ملحمة تهنئة بالوسام المرصّع الذي نالهُ من الحضرة الشاهانيّة

٣ العدد المجلة المصريّة لصاحبها خليل افندي مطران

فاسرع الشبَّان وتوقَّلوا الربوة كلمحة البصر وادركوا باب القصر بعد برهة من الزمان في وقت الهاجرة

ففتح لهم الحاجب ورحَّب بهم لانَّهُ كان يعيش مع عائلتهِ منفردًا لا يرى الناس الّا قليلًا فكان اذا قدم منهم احد يأنس بهِ ويسرّ الى محادثتهِ

فبعد ان استروح الشبَّان هنيهةً دعاهم الحاجب الى زيارة القصر . وكان قسم منهُ قد استولى عليهِ الخراب . فادخلهم في مقاصيرهِ وقصَّ عليهم ما يعرفهُ من امرهِ وأخبار بانيهِ . وكان الزوَّار يتعجَّبون ممّا يشاهدونهُ من ضخامة بنيانهِ ومتانة جدرانهِ واتّصال مقاصيره ببعضها وسعة غرفهِ واعجبهم منظر اسلحة البارون دي أَدْراي وكان قد علاها الصدأ لطول الايَّام وهي مع ذلك تنطق عن قوَّة ساعد حاملها

ولمَّا انتهوا من زيارة القصر اخذوا يدورون في حديقتهِ حتى انتهوا الى ضريح لوسيَّا دي برا كنتال وبعد ان اسمعهم الحاجب قصَّتها الفاجعة جثوا على ضريحها فصلَّوا عن نفسها كما وعدوا والدتها (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Elementi di Grammatica Turca Osmanli
con paradigmi, crestomazia, e glossario
per il Dr Luigi Bonelli, Milano, 1899, *pp. VIII*-199

مبادئ اللغة العثمانية بالايطالية للدوكتور ل . بونّلي

هذا الكتاب مع صغر حجمهِ يشتمل على خلاصة ما اتصل الى وضعهِ نحويو اللغة العثمانيَّة . فان صاحبهُ لم يكتفِ بان يودعهُ ما نالهُ باختبارهِ اليوميّ وهو مدرّس التركيَّة في المكتب الشرقي الملكي في نابولي بل راجع ايضًا مصنَّفات جلّة الكتبة وبنى عليها تأليفهُ ناهجًا فيهِ طريقة سهلة المأخذ قريبة المنال تحاشى فيها الاسهاب المملّ والاختصار المخلّ . وقد قسم كتابهُ الى ثلاثة اقسام اختصَّ اولها بتعريف مقدَّمات اللغة . وبحث في ثانيها عن تصريف الاسم والفعل وخواصّ الحرف . وفي هذا القسم عدَّة جداول تمكّن الطلبة من حفظ الفعل التركيّ وادراك خواصّهِ . امَّا القسم الثالث فمدارهُ على نحو اللغة العثمانيَّة وهو غاية في القصر لكنَّهُ كافٍ لبيان التراكيب الشائعة عند كتبة اللغة التركيَّة

ان يكون هذا الدليل الّا موجبًا صحيحًا . امّا كونهُ موجبًا فلانهُ لولا ذلك لحصلت المناقضة بين جزئي المعادلة (١٢ً) اذ يكون الجزء الاوّل منها كسرًا والثاني الذي يعدلهُ صحيحًا وهو مستحيل . امّا كونهُ صحيحًا فلاستحالة الحصول على فضلٍ كسريّ بين عددين صحيحين والحال ان (ب^٢+١) صحيحٌ و (١/٢ ب^٤) صحيح ايضًا لان بَ يقبل الانقسام على ٢ كما يتضح من (٤ً) حيث لنا بالمقابلة : ب=٢(بَ−٤ث+١) اذًا نستنتج ان الجزء الثاني من (١٢ً) اي ٢ هو احدى قوّات (ث/٥) الصحيحة الموجبة وبما ان ٢ هو عدد اوليّ بالاطلاق فلا يمكن ان يكون بهذه الشروط الّا قوة اولى بالضرورة . اذًا :

(١٣ً) (ث/٥)(ب^٢+١)−(١/٢ ب^٤) = (ث/٥)^١ = ٢

(١٤ً) بالجبر لنا ث = ١٠

(١٥ً) وبمساواة الدليلين في (١٣ً) لنا (١٥ً) : ب^٢+١−١/٢ ب^٤ = ١

(١٦ً) وبترتيب المجهول وتغيير العلامات لنا (١٦ً) : ١/٢ ب^٤−ب^٢ = ٠

(١٧ً) وبالقسمة على ب^٢ لنا (١٧ً) : ١/٢ ب − ١ = ٠

(١٨ً) وبالجبر والمقابلة لنا (١٨ً) : ب = ٢

(١٩ً) وبالتعويض في (٤ً) عن ث و ب بقيمتيهما في (١٤ً) و (١٨ً) لنا (١٩ً) :

بَ = ١ + ٤٠ − ١ = ٤٠

(٢٠ً) وبالتعويض في (٥ً) عن ب بَ ث بقيماتها في (١٨ً) و (١٩ً) و (١٤ً) لنا (٢٠ً) : ثَ = ٤٠٠/٢ = ٢٠٠

(٢١ً) في (٦ً) عن ث ب بقيمتيهما في (١٤ً) و (١٨ً) لنا (٢١ً) :

تَ = ١٠٠(٢+١٠)/٤ = ٣٠٠

شذرات

حلّ الفكاهة الرياضيَّة للاب الفاضل الخوري جبرائيل رزق مرهج (ع ١٠ ص ٤٧٦)

لنعبر بالاحرف ب ت ث ج عن قيمات حروف الاول الاربعة وبالاحرف $\overline{\text{ب}}$ $\overline{\text{ت}}$ $\overline{\text{ث}}$ $\overline{\text{ج}}$ عن قيمات احرف الثاني الاربعة وبالحرفين ك ل عن قيمتي اسم الاول واسم الثاني فيكون لنا ما يأتي من المعادلات استنتاجاً من اصل المسألة :

(١ً) $\text{ك} = \left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\text{ب}^{٢}+١}$ (٥ً) $\frac{\text{ب}}{\overline{\text{ب}}} = \frac{\text{ث}}{\overline{\text{ث}}}$

(٢ً) $\overline{\text{ل} - \text{ك}} = \frac{\overline{\text{ل}}}{\text{ه}}$ (٦ً) $\overline{\text{ت}} = \frac{\overline{\text{ث}^{٢}(\text{ب}+\text{ث})}}{٤}$

(٣ً) $\frac{\overline{\text{ل}}}{\text{ه}}\ \text{ك} = \left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\text{ب}^{٤}}$ (٧ً) $\frac{\text{ت}}{\overline{\text{ت}}} = \frac{\overline{\text{ب}}}{٤\text{ث}}$

(٤ً) $\overline{\text{ب}} = \overline{\frac{١}{٢}\text{ب}} + \overline{٤\text{ث}} - ١$

(٨ً) ثمَّ انهُ بمقابلة ل في (٢ً) لنا (٨ً) : $\overline{\text{ل}} = \overline{\frac{٥}{٤}\text{ك}}$

(٩ً) وبالتعويض عن ك في (٣ً) بقيمتها في (٨ً) لنا (٩ً) : $\frac{\text{ك}^{٢}}{٤} = \left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\overline{\text{ب}^{٤}}}$

(١٠ً) وبالتعويض عن ك في (٩ً) بقيمتها في (١ً) والجبر لنا (١٠ً) :

$$\left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\overline{٢(\text{ب}^{٢}+١)}} = ٤ \left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{٤\text{ب}}$$

(١١ً) وبالتجذير لنا (١١ً) : $\left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\overline{\text{ب}^{٢}+١}} = ٢ \left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\overline{\frac{١}{٢}٤\text{ب}}}$

(١٢ً) وبالقسمة على $\left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\frac{٢}{١}٤\text{ب}}$ لنا (١٢ً) : $\left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)^{\overline{(\text{ب}^{٢}+١) - (\frac{١}{٢}٤\text{ب})}} = ٢$

اقول ان $\overline{٢} = \frac{\text{ث}}{\text{ه}}$ واليك الدليل : يتضح من (١ً) ان $\left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)$ عدد صحيح بالضرورة ونعلم من المبادئ الجبريَّة ان خارج قوَّة عددٍ ما على قوة لهُ اخرى لا يكون الَّا قوّة من قوَّات ذلك العدد نفسهِ دليلها فضل المقسوم على المقسوم عليهِ . والحال ان الخارج في (١٢ً) هو $\overline{٢}$. اذًا هو قوة من قوات $\left(\frac{\text{ث}}{\text{ه}}\right)$ دليلها فضل $(\text{ب}^{٢}+١)$ على $(\frac{١}{٢}\text{ب}^{٤})$ اي $\overline{(\text{ب}^{٢}+١)} = \overline{(\frac{١}{٢}\text{ب}^{٤})}$ ولا يمكن

الحدّ . ونشير على المناظر ان يطلب لهُ من يسعفهُ على إدراك مقصدهِ فاذا بلغهُ عاد الى المناظرة لئلا نضيّع وقتنا ووقت القراء بلا فائدةٍ ه . ل

كسوف الشمس الاخير — لاحظ الفلكيون في مدينة الجزائر مدَّة الكسوف التامّ الذي وقع في مساء ٢٨ ايَّار انّ الزهور تطبَّقت وذوت كما في الليل وانّ السيَّارتين الزهرة وعطارد تلألأتا بانوار زاهية . امَّا السيَّارة ڤلكان التي زعم العلامة سرڤنر (Servener) ان موقعها بين عطارد والشمس وانّهُ لا يمكن رصدها الّا وقت الكسوف التامّ فلم يجد الفلكيُّ الالماني أرخنولد (ArchenoId) لها اثرًا مع ما كان لديهِ من الآلات الرصديَّة القويَّة . وكان الفلكيون قبلهُ حاولوا في كسوفات اخرى رصد هذه السيَّارة فلم يفلحوا . ولعلَّ خيبة آمال العلماء تؤدّي بهم الى نكران وجود السيَّارة المذكورة . وممَّا رصدهُ ايضًا الفلكيون في اسبانية انَّ للشمس احديدابًا في خط استوائها وان في الاكليل اللامع الذي كان يحيط بالشمس خطًّا اخضر وهو الذي يظهر بعض الاحيان ساعة غروب الشمس وراء الأُفق . وقد وجدوا في الطيف الشمسيّ شقًا مظلمة كما انهم لاحظوا انحطاطًا في درجة الحرارة

دير حنوش — كنَّا ذكرنا في رحلتنا الى بلاد عكَّار ان هذا الدير على قمَّة رأس الشقعة بين البترون وشكَّا . فقهقهت « المحبة »(ع ٧٠ ص ١١١٠) وزعمت « انّنا اكتشفنا اكتشافًا جديدًا جغرافيًا » كمكتشفات صاحب كتاب جغرافيَّة سوريَّة وفلسطين (المشرق ٢ : ٤٧٥) و « رأينا بعينَنا المجردة ما لم يرَهُ بالمجاهر» . ومن راجع مقالتنا (المشرق ٣ : ٤٥٣) وجد اننا لم نقُل « اننا رأينا هذا الدير » . وانّما اكتفينا بذكر وجودهِ في رأس الشقعة . ووجودهُ امرٌ ثابتٌ « سمعنا بهِ » في اثناء مرورنا في تلك الجهات . واكَّدهُ لنا احد كهنة بلاد الكورة الافاضل الذي يسكن الآن مدرستنا وافادنا انَّ راهبًا لهُ من اقاربهِ يسكنهُ اليوم . واذا لم تقنع المحبة بهذه الشواهد فلتراجع كتاب تاريخ سوريَّا لجناب الاديب جرجي افندي يني الارثوذكسي (ص ٤٢٣) حيث ورد ما نصُّهُ : « امَّا رأس الشقعة فهو جبل داخل في البحر على شكل رأس وفي جنبهِ الشمالي دير للروم الارثوذكس يقال لهُ النوريَّة وعلى قمَّتهِ دير للموارنة يقال لهُ حنوش » فان بيَّنت المحبة غلطنا وغلط هؤلاء لم نتردَّد في قبول اصلاحها . وما العصمة الَّا لله

القرد والمقتطف — تأخّر وصول الجزء الخامس (مايو ١٩٠٠)

(٢٢ً) وبالتعويض في (٧ً) عن ث تَ بَ بقيماتها في (١٤ً) و (٢١ً) و (١٩ً) والمقابلة لنا (٢٢ً) : ت = $\frac{٣٠٠ \times ٤٠}{٤ \times ١٠}$ = ٣٠٠

وعليهِ فان ب = ٢ = حرف ب

ت = ٣٠٠ = حرف ش

ث = ١٠ = حرف ي

امَّا الحرف الرابع فيعدل : ك – (ب+ت+ث) = ($\frac{١٠}{٥}$) ^٣٢^ +١ – ٣١٢ = ٥١٢ – ٣١٢ = ٢٠٠ = حرف ر

فاسم الزائر الكريم كان اذًا ب ش ي ر = بشير

امَّا اخوهُ فقد علمنا ان بَ = ٤٠ = حرف م

تَ = ٣٠٠ = حرف ش

ثَ = ٢٠٠ = حرف ر

امَّا قيمة الحرف الرابع فهي ل – (بَ+تَ+ثَ) = $\frac{٥}{٤}$ ك – ٥٤٠ = $\frac{٥+٥١٢}{٤}$ – ٥٤٠ = ١٠٠ = حرف ق

فاسم اخيهِ كان اذًا : م ش ر ق = مشرق

﴾ دمشق والغسَّانيُّون ﴿ كنَّا في مقالتنا المعنونة « هل ملك بنو غسَّان دمشق » بيَّنَّا لجناب الاديب امين ظاهر خير الله انَّ الغسَّانيّين لم يملكوا قطّ حاضرة الشام. فلم يقتنع المناظر ببراهيننا وبدلًا من ان يفندهـا حاول دعم رأيهِ بحجج جديدة في العدد ٣٥ من النار. امَّا نحن فلا نتبع مناظرنا في احتجاجهِ هذا لعلمنا بصحَّة ما روينا نقلًا عن العلماء الأثبات الذين بحثوا في هذه الامور فلم يتركوا مجالًا للانكار وقد اكتفينا بالنزر القليل لانَهُ ليس من شأن مجلَّتنا ان تخوض في مباحث سبقَنا اليهـا غيرُنا وبيَّنوها بادلَّة قاطعة فرأينا ان نشير اليها فقط. وان قال جنابهُ انهُ لا يمكنهُ مطالعة كتب العلماء الالمانيّين والفرنسيين وغيرهم. أجبنا انَّ المباحثات في يومنا لا تؤدّي الى نتيجة ما لم يكن المناظر عارفًا بما يكتبهُ المستشرقون في لغاتهم الاجنبيّة لوفرة معارفهم وكثرة الوسائل التي لديهم في تأييد اقوالهم. وعليهِ فلا تثريب علينا ان وقفنا عند هذا

دُعي بهِ اشياع لوتارس لانهم اقاموا الحجّة سنة ١٥٢٩ على ما قرَّرتهُ جمعيَّـــة سبير (Spire) فحتمت على اصحاب لوتارس ألّا يحدثوا شيئًا في الدين قبل ان يلتئم مجمع شرعي. ثمَّ أُطلق اسم بروتستانت عـــلى كلّ من أبوا الخضوع للكنيسة الكاثوليكيَّة وتعاليمهـــا مع تبايُن معتقدهم

س وسأل من الموصل جناب حبيب افندي بدريَّة: ١ً هل يسوغ هذا التعبير عند النحاة « قُتل زيد مكذوبًا عليهِ من الاشرار ». وان ساغ فما معنى « من » هنا وباي محذوف تتعلَّق. ٢ً ألا يجوز استعمال لفظة زيار او وقاء بدلًا من لفظة الشاري المستحدثة دلالةً على قضيب الصاعقة

شرح تعبير نحويّ — الشاري

ج نجيب (على الاول) انَّهُ ليس في العبـــارة ما يخالف قواعد النحو غير انَّ مثل هذا التركيب وان كان ورودهُ قليلًا في كلام العرب لكنهُ جائز فقـــد جاء في شعر الخنساء: « يا عين جودي بدمع منك مسكوبِ » وجاء في شعر غيرها « في مشهدٍ من نواصي الخيل مشهودِ » والجار متعلّق بمكذوب والمعنى ظاهر. والجواب (على الثاني) انَّنا نفضِّل الواقي على لفظة الشاري الغريبة ولا بأْس من استعمال الزوار او الزيار او الوقاء لهذا المعنى

س وسأل حضرة القس طوبيَّا مبـــارك رئيس مار مارون ببرسنين: في يوم الدينونة يقوم الصالحون من عن يمين المسيح والطالحون من عن شمالهِ. واين يكون غير المعمَّدين

غير المعمَّدين يوم القيامة

ج ان كان غير المعمَّدين قد ادركوا سنَّ التمييز فـــلا بُدَّ ان يكونوا امَّا من الصـــالحين او من الطالحين. وان لم يدركوا الرشد فلا يُدانون لانَّ مقرَّهم هو اليمبوس حيث يتمتَّعون بسعادةٍ طبيعيَّـــة لكنَّهم لا يحظون بمشاهدة الله عزَّ وجلَّ وهو غاية الانسان القصوى وسعادتهُ الكاملة

س وسأل من يافا جناب فيليب افندي جلَّاد كيف تصطنع الخميرة مباشرةً

اصطناع الخميرة

ج الخميرة كما لا يخفى تُتَّخذ عادةً من خميرة سابقة. امَّا اذا فُقدت هذه الخميرة او لم توجد يمكن اصطناعها بطرائق شتى منها ان يُؤخذ بعض كربونات القلويَّات فتُخلط بالحليب الحامض او الحامض الطرطريك او ثاني طرطرات البوطاس وربَّما خلطوا بالطحين قبل بلّهِ احد هذه الحوامض المجفَّفـــة مع الكربونات. ويجوز ايضًا ان تؤخذ رغاوة البيرة المختمرة كما يفعل الخبَّازون الاوربيُّون وتُمزج مجفَّفةً بالطحين ل. ش

من المقتطف فلم يمكننا ان نفكه قبل الآن قرَّاءنا بما صدَّر بهِ جناب فارس نمر هـذا العدد. ألا وهي مقالة عن الانسان والحيوان الاعجم في مطلعها صورتان الاولى لانثى القرد المعروف بالغورلّا والثانية لامرأة من الهوتنتوت ومن اعتبرهما لم يشكّ ان انثى القرد هي ابنة آدم لولا ان «الماضام» الغورلّا فاتها ان تحلق شُعَيرات في اسفل ذقنها وعُنقها. ثم انبرى الكاتب البـارع فقابل الانسان بالقرد من حيث الدماغ وهيكل الجسم والاخلاق. ثمَّ حاول ان يشرح كيف انَّ صنفًا من القرود الذين وُجدوا في احوال ملائمـة وظروف مناسبة اسعدهم الحظ بعد الزمن الطويل ان يصيروا بشرًا. هذا ملخّص المقالة. وليس فيها كما ترى شيء جديد بل كَرَّر المقتطف ما لم يزل يلقّنهُ قرّاءهُ من المبادئ الكفريَّة. ولولا حرمة الكتابة لقلنا مع صاحب سفر الامثال. « عاد الـ... الى قيئهِ ».فيا ترى من اين للمقتطف هذا الكلف بالقرود. فان رضي هو بهذا الاصل الشريف فليرتشف سلافة مَحتدهِ الخطير فانّنا نفضّل قول الكتاب انَّ الله جبل الانسان من التراب ونفخ فيهِ نسمة حياة. وان زعم انّهُ ينتصر للعلم اجبناهُ ان العلم الراهن ابطل الف مرَّة كذبهُ وكذب دروين استاذهِ. وان كان لا بُدَّ للانسان ان يختار لهُ جدًّا بين العجماوات اننـا نفضّل حيوانًا كريمًا كالاسد او فارسًا كالنمر. ولا يبعد ان صاحب المقتطف ينحـاز الى رأينا مع علمهِ بانَّ قومًا من عظام الرجال يعرفهم حقَّ المعرفة اشتهروا بمثل هذه الاسماء ونحن لم نرَ احدًا اشتهر باسم القرد ونسلهِ الممقوت

❊ مقالتنا عن فن الطباعة في المشرق ❊ وردنا بعض ملاحظات من حضرة القس ن. الكفري وحضرة رئيس دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير وجناب الدكتور هنري جسب بخصوص مقالاتنا السابقة في فنّ الطباعة نثبتها في عدد قادم ان شاء الله

ل. ش

أسئلة وأجوبة

س سأل جنـاب الاديب يوسف افرام البستاني: ما معنى اسم بروتستانت ولماذا أُطلق على هذه الشيعة

اسم البروتستانت

ج لفظة البروتستانت مشتقّة من فعل يراد بهِ في اللاتينيَّة اقامة الحجّة (protesto)

المشرق

السيوف الشرقية القديمة وتحليتها بالجوهر

لجناب الاديب يوسف افندي غنّام ثابت *

١ نظر عمومي في الاسلحة الشرقية

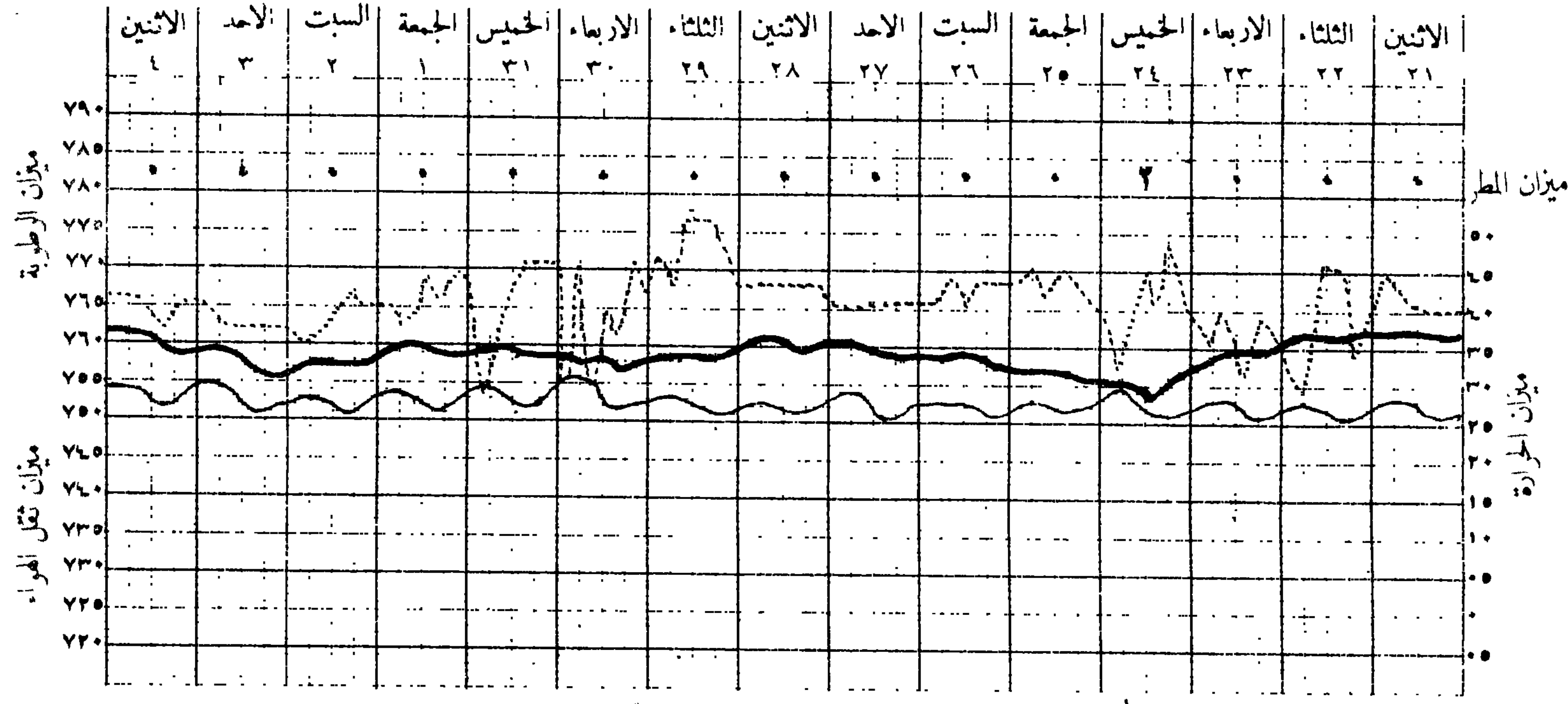
أَخضر اللون بين خدّيه بُرْدٌ من ذعاف تميسُ فيهِ المنونُ
اوقدتْ فوقهُ الصواعق نارًا ثمَّ شابت بهِ الذُّعافَ القيونُ
فاذا ما سللتَهُ بهر الشمـس ضياءً فلم تكد تستبينُ
ما يبالي من انتضاهُ لحربٍ أَشمال سطتْ بهِ ام يمينُ
وكانَّ الفرِنْد والجوهر الجا ري على صفحتيهِ ماءٌ معينُ

لله وصفٌ استوعب بوجيز الكلام كلَّ فضائل الحسام. ولا بدع فانَّهُ قيل في الصمصام. سيف ابن معدي كرب الزَبيدي الهمام. حلية الملوك وفخر بني العباس الكرام

على انَّ ما قيل في صمصامة عمرو الغراء لا يزري بقدر السيوف الشرقيَّة واسلحة اجدادنا البيضاء التي طالما افاض في وصفها الشعراء وتباهى بها السلاطين العظماء. وانَّما فضَّلوا السيف على غيرهِ من الاسلحة البيضاء كالرمح والحراب لانَّ اتخاذهُ ادلُّ على شجاعة الفرسان. يخوض صاحبهُ حومة القتال بقلب اصلب من الصوَّان. فيجالد قرنهُ وينافحهُ. ويزاحمهُ ويكافحهُ. ولا ينكص على عقبيهِ حتى يفلق هامهُ. فيعود ظافرًا بالغنيمة وهو يشكر حسامهُ. واذا قرَّ السلم وكفَّ العدوان. عرض سيفهُ بحمائلهِ في اجلّ مكان. يزين بهِ بيتهُ ويفاخر الاقران

* قد اخذنا عن اخينا العزيز والقين (المسلحجي) الشهير سليمان غنَّام ثابت كثيرًا من الاوصاف والفوائد التي ادرجناها في هذه المقالة فانَّهُ اجتمع بكثيرين من ذوي الاضطلاع في هذا الفنّ فباحثهم فيهِ ثمَّ اتَّصل بخبرتهِ الخاصَّة الى ما لم ينلهُ غيرهُ من هذا القبيل وقد تجوَّل في اوربَّة ودخل اكثر المصانع الاميركية وادرك مزايا اسلحتها وعرف فضل الاسلحة الشرقية عليها

قائمة للآثار الجوّية من ٢١ أيار الى ٤ حزيران ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (━━) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هيرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



اسلحة شرقيَّة قديمة

سيفان عربيَّان عليهما كتابات ونقوش ثم قامتان جركسيَّتان ثمَّ يطقان بشناقي وشاكريَّة مع اغمدة وحمائل (بيت سلاحلك)

فهذا مجد السيف وفضلهُ العظيم حمل الشرقيين عموماً والعرب خصوصاً على إحكام هذا السلاح والتفنن في صناعتهِ وتراهم لاعتبارهم لهُ قد وضعوا لهُ نحو خمسمائة اسم تدلُّ كلها على صفاتهِ الفريدة وخواصهِ العديدة. وقد انتشرت قديمًا صناعة السيوف في بلادنا ايَّ انتشار حتى عمَّت كلَّ الاقطار الشرقيَّة. امَّا الذين برَّزوا فيها وفازوا بقصبة السباق فاهل دمشق الشام. فانَّ قيونها قد بلغوا في هذه الصناعة غايةً ليس وراءها مستزاد بل عجز عن ادراكها كثير من الامم في الاعصار السالفة. وما لي اقول السالفة أو لسنا نرى في زماننا اصحاب المصانع (الترسانات) الاوربيَّة الكبرى مع ما لديهم من الوسائل الوافرة يقرُّون بفضل هذه الاسلحة القديمة ويحاولون تقليدها دون ان يصيبوا من خواصّها الّا القليل وهم يبذلون في مقتنى بعض شفرات منها مالًا طائلًا. والحقُّ يُقال انهم لرابحون مهما دفعوا من الاثمان في حقّها لأنّهم يعلمون ما في صُنْعها من الشأن الخطير

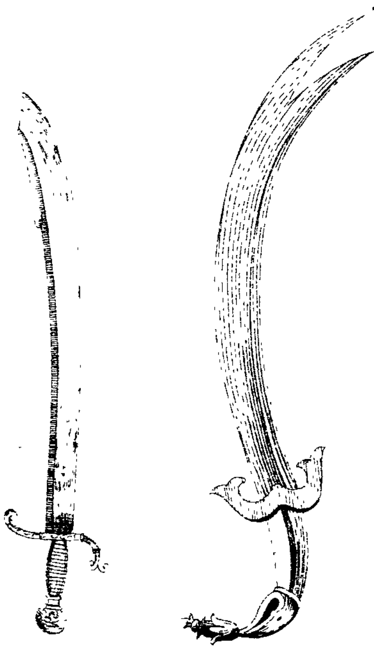
من البديهي انَّ السيوف تُصنع عادةً من الفولاذ الجيد. وقد صنعها بعض الاقدمين كالمصريين واليونان من الحديد والقلز فاكسبوها بذلك الصلابة والمرونة معًا. ومن السيوف العربيَّة التي اشتهرت في الزمن القديم السيوف اليمانية العريضة المصفَّحة ذات الحدَّين. قال صاحب آثار الأُول الحسن بن عبد الله (ص ١٦١) في وصفها: «ومن علامات السيوف اليمانية العُتق التي طُبعت في الجاهلية ثقبان في سنبل السيلان وثقب السنبل من احدى جهتيهِ اوسع او متساويان ووسطهُ اضيق. ومنها المحفورة وهي التي شطبها شبيه بالانهار وقد حُفر بمبرد مدوَّر. ومنها ذات حَفر مربَّع ومنها ذات شطب. وقلّما تسلم اليمانية من العروق المفتوحة وقد توضع عليها تماثيل او يكتب او يصوَّر عليها صورة وقد يخفى ذلك. وهذه السيوف اكثر قطعها في اللين فاذا صادفت الحديد او اليابس تقصَّفت»

ومن السيوف الشرقية المشتهرة ايضًا السيوف العجمية لاسيما الخراسانية. ومنها الهنديَّة وتدعى ايضًا الهندوانية ومن اصنافها القَلَعية نسبة الى بعض بلاد الهند. ولبلادنا الشامية الذكر المستفاض في صناعة السيوف. ولا يجهل شرقيّ اسم المشرفيَّات وهي السيوف المصطنعة في مشارف الشام اي قراها المجاورة للريف. ومنها الدمشقية التي نصفها في معرض كلامنا. ولا يسوغ ان نضرب صفحًا عن السيوف التركية واصنافها

البديعة كالبالا والقليج والغدارة واليطقان الارناؤطي والقاما الجركسية الجوهرة وهذان الاخيران قد ضُرِب المثل بهما عندنا فقالوا يطقان بشناقيّ وقاما جركسية. وممّا تأَلّق شهرةً الخنجر البغدادي المصنوع في عهد شيخ الجبل. وفي كلّ هذه السيوف في المتحف السلطاني في دار السعادة ضروب عجيبة تُصان فيها كامثال ونماذج غالية الثمن رفيعة الشأن وهي على اشكال مختلفة لها المقابض المرصّعة بالحجارة الكريمة والاغماد الفضية والذهبية والحمائل البديعة. وكلّ من زاروا المتحف المذكور خرجوا والسنتهم قاصرة عن وصف ما شاهدوهُ بل كادت ابصارهم تنكر ما رأوهُ رأي العيان

ومن السيوف التي اشتهرت عند العرب ذو الفَقار كان لمنبه بن الحجّاج غنمهُ منهُ يوم بدر صاحب الشريعة الاسلامية كان لهُ في رأسهِ شفرتان (انظر صورتهُ). ومنها الصمصامة كان لعمرو بن معدي كرب الزبيدي وقد مرَّ وصفها. وسيوف اخرى كالبتّار والحَتف والمُطبق والرَّسوب والمخذم

وما امتازت بهِ كلُّ هذه السيوف الشرقيَّة جوهرها الذي احرز لها بين سيوف الخافقين شهرةً لا تُنكر. وقد فاق في صنعهِ اهل دمشق فاقرَّ لهم بالسبق صَنَعةُ العجم والهند. ولذلك رأيتُ ان ابسط الكلام في هذه المقالة بوجه خاص على الجوهر الدمشقي وابيّن ما فضل بهِ على سواهُ ولا بُدَّ لذلك من مقدمة في تعريف الجوهر ووصف خواصّهِ عموماً



البالة — سيف ذو الفقار

٢ في تعريف الجوهر ووصف خواصّهِ

الجوهر في اصطلاح اصحاب الاسلحة عبارة عن تموُّجات تظهر في صفحات السيوف

انَّ الجوهر يقسّى (يُسقى) بالهواء والزيت والشحم ولا يسقى بالماء كالفولاذ لان الماء يضرُّ بهِ فيتشعَّب (يعومد) ويتقطع . (الثالثة) ان السيف المجوهر امضى من الفولاذ في القَطع والضرب فتراهُ يقطع بسهولة الاخشاب والعصيّ الضخمة واللبد والحديد دون ان يُثلم ويصيب حدّهُ فلٌ كما تتفلّل السيوف الفولاذيّة . وفعلهُ في قطع اللحم غريب قيل انهُ يوضع على قطعة دهنيَّة من المساء الى الصباح فيقطعها شطرَين بدون ان تمسَّهُ يدٌ البتَّة . ولكنهُ لا يصلح لأَن تُتَّخذ منهُ مبارٍ للاقلام

وقد رُوي لبعض اهل عصرنا اعمال عجيبة تدلُّ على حذاقة اصحابها في ضرب السيف . فمن ذلك ما يخبر عن عماد العاقوري انَّهُ كان يجمع عدَّة قضبان من الفولاذ ويلفُّها في لبدةٍ فيقطعها بضربةٍ واحدة بسيفٍ مجوهر . وقد اكسبتهُ حذاقتهُ هذه اكراماً جزيلاً عند الولاة حتى انَّ الدولة العليَّة اعفت املاكهُ عن الاموال الاميريَّة . وممن اشتهروا في عصرنا بضرب السيف وألعابهِ آل حرفوش وآل عماد وآل حبيش وابو سمرا غانم والشنتيري والحاجّ قدّور دوغان وشيبان آغا ثابت فهذا كان يجعل عصاً ثخينة من السنديان على قدحين أَعنقين من البلور ممتلئَين ماءً فيقطعها بالسيف شطرين ويبقى الشطران مستندين الى بعضهما دون ان ينكسر القدحان او يكبَّ نقطةً واحدة من مائها على الارض. وكان يجري العاباً اخرى كثيرة مثل هذه بحضرة المغفور لهُ رستم باشا متصرّف لبنان . وكان المذكور احد ياوري المتصرفية

٣ في اجناس الجوهر الشائعة

انَّ اجناس الجوهر المشتهرة اربعة : الدمشقيّ والعجميّ والهنديّ والارناؤوطي وافخرها الدمشقي

(الجوهر الدمشقي) وهو المعروف بالجوهر الحَنون . لهذا الجوهر اشكال عديدة تُرى لهُ خانات وبُقَع وتموُّجات . ومنهُ نوع يُدعى جوهر « الف اسلمبول » يظهر فيهِ شبه نُقَط متطاولة وخطوط دقيقة متقاربة تحكي الجوهر الحديديّ الفرنجيّ المنسوب الى برنار . ومنهُ نوعٌ بديع ممتاز يُنعت بالحنَّاوي . قيل انهُ نُسب الى بعض اقرباء القديس يوحنا الدمشقي لانّهُ أتقَن صنعهُ . وعندنا انَّ هذه السيوف الدمشقية لُقِبت بالحنَّاويَّة لانها اشتهرت في ايَّام هذا القديس

وللجوهر الدمشقي خواصّ فريدة فاق بها كثيرًا الجوهر العجميّ والهندي فنال المقام الاول عند الشرقيّين والغربيّين معًا وقد رأيتُ ان اعدّها هنا لفائدة القُرّاء . قد

والمُدى وما شاكلها على شبهِ عُقَد متناسقة متقاربة متلاصقة او كبُقَع يستدير بها خانات متعدّدة تخال لعين الرائي انّها موءلفة من الوفِ من اسلاك الفولاذ الدقيقة ممتزجة بمعدن آخر يختلف عنها لونًا. وربّما ظهرت تلك التموجات متراكبةً بعضها فوق البعض ومنظمةً مع كثرتها على هيئة اشكال هندسيَّة جميلة ذات ترتيب انيق واحكام بديع يروق البصر ويأخذ بمجامع القلب

امَّا ظهور الجوهر فيكون بواسطة التخضير (والعامَّة تقول التخدير) وذلك بان تضع في طاسة من الرصاص قبضةً من السناج (الشحيرة) وتصبُّ فوقهُ قليلًا من الماء تغليهِ على النار. ثمَّ تأخذ خرقةً نظيفة تبلُّها في هذا المزيج وتفرك بهِ الصفيحة المراد تخضيرها بعد نزع الصدإِ عنها تامًا وصقلها جيدًا. فان ظهر الجوهر والَّا فصبَّ قليلًا من المزيج على الصفيحة وراجع الفرك بالخرقة مرارًا واذا لم يظهر الجوهر جليًّا فصبَّ شيئًا من الحامض الكبريتي وزد عليهِ قليلًا من رماد موقدة الحدادة (النصبة) تمسح بهِ القطعة باطراف الاصابع الى ان يظهر الجوهر تامًا وتبرز للعيون كلّ خاناتهِ

وللجوهر عند العرب اسماء عديدة فيدعونهُ أَثرًا وفِرندًا وسِفسِقَةً وقد عرَّفوا الفرند بقولهم « انهُ ما يُرى في السيف شبه الغبار او مَدَبَّ النمل ». امَّا السفسقة فجاء عنها في تاج العروس « انَّها الفرند او طرائق السيف التي فيها فرند او شِطبتهُ كأنَّها عود في متنهِ او هو ما بين الشطبتين في صفحة السيف طولًا »

والجوهر جوهران حديدي يُعرف بالجُهر ويختص بالاسلحة الناريَّة وليس الكلام عنهُ في الحاضر. وفولاذي وهو المختص بالاسلحة البيضاء كالسيوف والبالات والخناجر. ولكليهما اشكال عديدة لها اسماء تُعرف بها. والجوهر الفولاذي يُدعى بالضبان وهو اسم يعمُّ في الغالب كلّ ضروبهِ المختلفة سواءٌ كان الجوهر شاميًّا او عجميًّا او هنديًّا او ارنأُوطيًّا او جركسيًّا

وليس الجوهر الفولاذي او الضبان كالفولاذ وانَّما لهُ صفات عديدة تميّزهُ عنهُ. (الاولى) انَّ الجوهر اذا أُدخل في النار زاد صلابةً لاسيا اذا وضع في نار الفحم الحجري فانَّ صلابتهُ تبلغ مبلغًا عظيمًا وذلك بعكس الفولاذ الذي يزداد لينًا في النار فمن ثمَّ لا ينبغي إحماء الجوهر الَّا بنارٍ من فحم السنديان امَّا اذا أُحمي في نار الفحم المعدني وأُججت النَّار فيتصلَّب وتصعب برادتهُ او يحترق فيطفو (يفوش) فيتلف. (الثانية)

اثنتي عشرة بقعة ولكل بقعة سبعة خطوط . وهذه البُقَع لا تختلف عددًا وخطوطاً اينما وقعت سواءٌ كانت في رأس السيف ام في وسطهِ لكنَّها تختلف كبرًا بحسب اتساع المكان

وليس هذا الجوهر مختصاً بالعجم فانّنا رأينا نصالًا شاميَّة وهنديَّة عليها مثل هذه النقوش . ولعلَّ العجم اخذوها من اهل دمشق لمَّا استولى تيمور لنك على عاصمة الشام وجلا عنها الصاغة والصنَّاع فقادهم اسرى الى بلادهِ وكانت غايتـهُ ان يحصر صناعة الجوهر في العجم ويبيد ذكرها من الشام لانَّ هذه الصناعة لم تكن مدوَّنة في كتب بل كان الصنَّاع يتناقلونها بالتقليد ويحفظونها كسرّ يضنُّون بافشائهِ لغيرهم . فادرك تيمور بغيتهُ وماتت الصناعة مذ ذاك الحين في دمشق (١

امَّا الجوهر الخراسانيّ الذي يُدعى خصوصاً بالجوهر الضبان . فهو دون الجوهر السابق منزلةً ولهُ الرتبة الثانية في الجوهر العجمي . وهو مثلهُ في خاناتهِ وبُقَعهِ بيد ان البقع يتداخل بعضها في بعض فتختلط ولا تتميَّز . امَّا لونهُ فكمِد باخضرار وفيهِ لمعات بيضاء تحاكي معدنًا فضيًّا

(الجوهر الهندي) هو في شكلهِ كالجوهر العجمي والدمشقي لكنَّ اسلاكهُ التي منها تتكوَّن العُقَد والخانات أنحف وادقّ منهما . امَّا من حيث صلابتـهِ فهو اصلب منهما جدًّا وهو من اقسى انواع الجوهر والفولاذ . واذا كُسر رايتـهُ مسودًّا . والمبرد لا يعمل فيهِ الَّا بعد العناء الطويل والمشقَّة الكليَّة

(الجوهر الارناؤوطي) قد اكثر الارناؤوط من اصطناع الجوهر الضبان والجوهر الحديدي معًا الَّا انهم لم يبرعوا فيهِ كاهل الشام والعجم

وهنا نقول على سبيل الاستطراد ان بعض الفرنسويّين في مدينة سانت اتيان سعوا في اصطناع الجوهر الشرقي بل توَصلوا بعد البحث الطويل الى صنف منهُ لكنَّ هذا النوع ليس بذي شأن خطير فلا يحطّ بمنزلة الجوهر الدمشقي ولا يستحقّ ان يُنظم في سلكهِ لاسيما من حيث الشكل والصلابة والخواصّ التي سبق ذكرها في وصف الجوهر الدمشقي

فمن كلّ ما سبق يظهر انَّ سرّ صناعة الجوهر لا يزال دفينًا الى يومنا ولعلَّهُ لا يُكشف قبل زمن مديد

١) راجع كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عربشاه

امتاز الجوهر الدمشقي: (اولًا) باشكال بُقَعِهِ الهندسيَّة المُحكمة التي يلوح لها على صفحات هذه السيوف أثور وتموُّجات غاية في الحسن. وهذه البُقَع مع دقَّتها تظهر للعين جليَّة رائعة لا ترى لها شبيهًا في ابدع الاسلحة العجميَّة والهنديَّة. (ثانيًا) باشراق لونهِ المائل الى البياض الزاهي مع عدم قبولهِ للصدإِ كسائر اشكال الجوهر. (ثالثًا) بلينهِ. فاذا اخذت قطعةً من الجوهر الشامي وبردْتها تجدها الين من الجوهر العجمي والهندي ولهذا ترى السيف الدمشقي لا يقبل الكسر كالعجمي والهندي عند الضرب. فلُقِّب لذلك بالحنون. (رابعًا) بتركيبهِ فان الذي ينظر الى كسرةٍ منهُ يجد قلبهُ محبَّبًا ذا حبوب ناعمة متقاربة المسامّ رماديَّة اللون مع ميلها الى البياض. وهذه الاوصاف لا تجدها في أجود الفولاذ الاورّبي كالانكليزي الموصوف بجودتهِ. (خامسًا) ببقاء جوهرهِ. فان الجوهر الدمشقي اذا مُدَّ بالنار صفائح وطُرّق تطريقًا كثيرًا وأُعيد تخضيرهُ ظهر فيهِ الجوهر حسنًا بخلاف العجمي وغيرهِ فانهُ كثيرًا ما يُمحى ولا يعود يظهر لاسيما ان سيوفهم كانت تصطنع من كتلتين او بيضتين (١). (سادسًا) امتاز السيف الدمشقي بكونهِ مصنوعًا من كتلة واحدة لا لحام فيهِ ولا بطان ولذلك كان اذا مُدَّ او طُرّق لم يلحق بهِ ضرر كبير

فهذه الخواصّ الفريدة التي احرزها الجوهر الدمشقي جعلت للسيوف الشاميَّة شأنًا خطيرًا عند الجميع فكان العارفون بها مولعين ببقعها وطرائقها وتوشيتها فيطنبون بوصفها ويُغالون باثمانها. وترى الاجانب الى يومنا هذا يتسابقون الى مشتراها ويعرضون ما اصابوا منها في متاحفهم ويحفظونها حفظهم للآثار الثمينة. بل كثيرًا ما حاولوا تقليدها في معاملهم فلم تتحقَّق آمالهم

(الجوهر العجميّ) هو على صنفين خاصَّةً جوهر «كُرْك مردوان» وجوهر «خراسان». فالاوَّل من اعلى اشكال الجوهر العجميّ دُعي بكُرك مردوان نسبةً الى بعض بلاد العجم فيما نظن. ووصفهُ انَّ نصلهُ يُقسم الى اربعين خانة وكلُّ خانة تؤلف من

١) قيل انَّ الدمشقيين كانوا اذا ارادوا اصطناع نَصل للسيف عمدوا الى معادنهم فيحصّلون منها كتلةً واحدة من الفولاذ فيمدُّونها سيفًا تامًّا. امَّا العجم فكان يصعب عليهم وجود كتلةٍ واحدة كافية لسيفٍ واحدٍ ولهذا كانوا يتخذون لذلك كتلتين. وتدعى الكتلة بيضة لانها كانت على قدر بيض النعامة

تكسب الناس اعتبارًا لها وتزيد اسفهم على فَقْد اسرارها المكنونة . وقد اخذنا في الصورة الواردة في الصفحة ٥٧٨ رسم بعض الاسلحة القديمة التي وجدناها في بيت جناب الفاضل ملحم الوردي المعروف باميرالسيَّاح وهو كَلِف بجمع مثل هذه العاديَّات الثمينة

وقد احببنا ان نقف على تركيب قطعةٍ من الجوهر الدمشقي لنعرف ما يدخلهُ من المعادن فقام حضرة الاب العلامة سولران اليسوعي بتحليلها الكيمويّ في مختبر المكتب الطبي . وقد وجد فيها ما عدا الفولاذ معدنًا آخر ثمينًا من المعادن البركانيَّة يدعى تيتان (titane) لم يجد مثلهُ في قطعة اخرى من الجوهر العجمي . ولعلَّ هذا المعدن او معدن آخر كالخروم (chrome) هو الذي كان يجدي الجوهر هذه الخواصّ العجيبة التي ذكرناها . وسنبحث ان شاء الله مرَّة أُخرى في ما يتناقلهُ القوم عن سرّ تركيب الجوهر

وغاية ما نتمناهُ ان ينشط اهل بلادنا الى احياء صناعات اجدادنا فتحرز لنا على مثالهم اسمًا مجيدًا وفخرًا وطيدًا فتجاري اهل المصانع الاجنبيَّة ونعارض اصحاب المعامل الاوربيَّة ونخدم وطننا خدمة تذكر فتشكر . حقَّق الله امانينا آمين

اصلاح اللغة

وردتنا من احد مراسلينا الافاضل الكرام هذه الرسالة فاثبتناها بحرفها لما يترتَّب على ملاحظات صاحبها من الفوائد اللغويَّة (المشرق)

حضرة الاب الفاضل مدير المشرق الاغر

اللغة واسطة التفاهم بين الناس فهي لذلك بمكان عظيم من الاهميَّة فمن يُعنى باصلاحها يُعنى بامرٍ عظيم . ومعلوم ان لغتنا العربيَّة قد داخلها الفساد واعتورها النقص فوجب اذن اصلاحها من هذين الوجهين

امَّا الفساد فاصلاحهُ لا يقوم الَّا باظهار الكلمات الفصيحة التي تقابل الالفاظ العاميَّة ونشرها في مجلةٍ شهيرة كمشرقكم الزاهر ليتعلَّمها الناس ويستعملوها في مخاطباتهم وكتاباتهم

وامَّا النقص الذي يُراد بهِ هنا قصور اللغة عن تأْدية المعاني المختلفة التي احدثها التمدُّن العصري والعلم من اصطلاحات ومخترعات وآنية ورياش الخ . فاصلاحهُ يتوقف على استخراج كلماتٍ من نفس اللغة تطابق تلك المعاني اذا وجدت والّا فلا بأْس من استعمال الكلمة الغريبة وادخالها في لغتنا كما فعل علماء اللغة الاقدمون الذين لم يكونوا

٤ بعض خواصّ الصناعة الدمشقية

بقي علينا بعد الكلام عن الجوهر وخواصّهِ ان نذكر بوجه الاختصار ما برع بهِ الدمشقيّون في صُنع الاسلحة فنقول: انّ الدمشقيين فضلًا عن الجوهر الفاخر الذي كانوا يحلّون بهِ الاسلحة البيضاء كانوا يحكمون صنع السيوف والبالات (١ والخناجر والقامات والسكاكين والشاكريّات (٢ وسائر انواع المُدى والخُوَذ والدروع والطبرات. وكثيرًا ما يُحلون تلك الصفائح بابدع الكتابات والاشعار والاسماء الشريفة والآيات ويحفرونها تارةً بالقلم وتارةً يوشّونها بالفضة او الذهب وكلّ ذلك ضمن آطار بديعة وعلى هيئات هندسيّة ورسوم باهرة انيقة. ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل كانوا يرصّعونها بالحجارة الكريمة. ويصنعون لها اغمادًا وغُلفًا يتفنّنون بنقشها وزخرفتها بانواع المعادن الثمينة

ومن السيوف التي اشتهرت في عصرنا سيف الصاعقة وكان للامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان اهدتهُ الاميرة قرينتهُ بعد وفاتهِ الى سموّ خديوي مصر اسماعيل باشا. وكان هذا السيف تحفةً من تحف الدهر اهلًا لخزائن الملوك لقدمهِ وحسنهِ. وكان جامعًا لاصناف الفنون الصناعيّة المتقنة مرصّعًا بضروب الجواهر الكريمة الفاخرة. وكان غمدهُ من خالص الذهب الابريز مصوغًا بابدع احكام تزينهُ الحجار الثمينة

وقيل انّهُ كان لدى الامراء الشهابيّين في بيت الدين عدّة اسلحة وسيوف جميلة الشأن تضارع سيف الصاعقة حسنًا واتقانًا وكان الامير بشير يتكلّف بنفسهِ القيام بامر توشيتها وصياغتها فيقترح على الصاغة رسومًا اخترعها بفكرتهِ الوقّادة. وكان استقدم الى بيت الدين ابرع صنّاع المشرق في الصياغة وغيرها من الفنون يتقدّم اليهم بصنع الاعمال الشريفة والاشغال المنيفة التي تعنّ لخاطرهِ فينجزونها كما شاء. فصار لهؤلاء الصنّاع شهرة عظيمة الى يومنا

هذا ولا يزال في بلادنا شيء كثير من هذه الاسلحة القديمة التي وصفناها يتفاخر بها ذوو البيوتات الشريفة يعرضونها في صالاتهم ويذكرون عن تاريخها امورًا خطيرة

١) البالة كالسيف الّا انّها اقصر واقل انحناء منهُ وفي رأسها عند الظهر نتوء بطول ١٥ سنتيمترًا في عرض سنتيمتر ونصف. وعرضها لا يزال في تناقص الى اعلى الرأس على هيئة بديعة. وفي يد الخواجا شاكر هيكل في معلّقة الدامور بالة غالية الثمن كنت وددتُ لو تيسر لي رسمها (انظر الصورة ص ٥٧٩) ٢) الشاكريّة شبه الخنجر الّا انّها اصغر منهُ

فيهِ فائدتهم ونجاحهم في الدين والدنيا وفي لبنان عوائد في التربية تفرَّدنا بها فعُرفت بنا وعُرفنا بها فأَحببتُ ان الخّصها . ومن ثمَّ ليس غرضي ان انشر فصلًا مطوَّلًا في محاسن التربية ومعايبها ولكن ما اتوخَّاهُ ذكر طرائقنا وأطوارنا التي خصَّنا الله بها وورثناها عن آبائنا

التهذيب تهذيبان : تهذيب الجسد وترويضهُ والعناية بهِ . وتهذيب النفس والاخلاق وهداية الانسان الى الصلاح وشريف الخصال فكلامنا باديَ بدءٍ يكون عن تربية الجسد

في لبنان ترضع الوالدة ولدها ولا تبيح ذلك لظئرٍ ايَّةً كانت الَّا عند مسيس حاجةٍ تمنع او اعتراض يردع وكلٌّ يعلم ان الولد الذي جرى في عروقهِ دم والدتهِ يكون لحسن مزاجهِ اصلح ولتوفير اسباب نموّهِ ادعى ان يغتذي بحليب امّهِ

حينما يدرج الطفل في هذه الاصقاع يبرح البيت ويضرب ببصرهِ الى البرّيَّة وجبالها واوديتها وانهارها والى السماء ونجومها وامطارها فيستفيد من ذلك صحَّةً وعقلًا ولا يزال يومًا فيومًا يتقدَّم في العمر وقوة الاعضاء وهو عادةً دمويّ عصبيّ وذلك مزاج الكثيرين عندنا فيكون جلودًا في الاتعاب صبورًا في المشاق قوي الذراع وسيمًا كبيرًا . فشتان ما بين هذا الولد الناشئ كالارزة وقاطن المدن الذي امتقع لونهُ وعلَّ جسمهُ وقلَّ نشاطهُ نور الشمس يضنيهِ ونفحة البرد تؤذيه بيد انَّهُ اضرَّت في الجبال معامل الحرير اضرارًا جسيمة فان الوالدين يرسلون اولادهم اليها احداثًا صغارًا فترى لونهم اشبه بلون ساكني الاجداث منهُ بالاحياء واصابعهم سلختها الماء الغالية ودمهم ضعف وبنيتهم نحفت وآدابهم تعرَّضت للاخطار الصادرة عن الاجتماع ولولا النظام وسهر ارباب المعامل على حسن الآداب والتقوى الضاربة اطنابها في العائلات لكان الخرق أوسع والشرُّ افظع

كفى بهذه الكلمات الوجيزة عن تربية الاجسام على ان هذا الامر يزيد وضوحًا في مقالتنا عن الطبّ في هذه الديار

واهمُّ من تربية الجسد والعناية بهِ تهذيب الاخلاق وترويض النفس على الصلاح والخير وحسن التقوى فان خلا المرء من هذه الخلال كانت حياتهُ سُدًى واتعابهُ ضياعًا . ولكن ما الذرائع التي يتذرَّع بها اللبناني في هذا العمل الخطير ؟ فنجيب انَّ الذرائع كثيرة واخصها ضرب الصغار وعقابهم . قال بعضهم : ان في القضيب لسرًّا يشفي من

يتورعون من هذا التعريب تورُّع علماء عصرنا اللغويين بل كانوا كلما رأوا كلمة لا مرادف لها في لغتهم استعملوها بلا توقف. وهذه معجمات اللغة شاهدة بما فيها من مئات الالفاظ الدخيلة التي منها عدد لا تخلو العربيَّة من مرادف لهُ. ومع ذلك فقد استعملوهُ. ولو جرت مباحثة في ايامهم على ايجاد مرادف للفظة « مدام » لمَّا تردَّدوا ان يقولوا: يجب اتخاذها بلفظها وجعلها عربيَّة. ولما اجهدوا قريحتهم بايجاد مرادفٍ لها على غير طائل كما جرى في ايامنا حيث اختار بعض الباحثين لفظة آنسةً للمداموازيل وعقيلة للمدام. وكل خبير يعلم ما بين الاصل وهاتين الكلمتين من الفرق الجسيم فهما لا تؤديان اصلًا معنى مداموازيل ومدام فضلًا عن صعوبة استعمالها في التخاطب

فللوصول الى هذه الغاية يحسن بمشرقكم الاغر الذي يخدم الآداب والعلوم خدمةً جليلة ان يفسح في صفحاتهِ مكانًا لهذا المبحث المهم المفيد يعرض فيهِ على اللغويين بعض الكلمات العاميَّة والاجنبيَّة فيتكرَّمون باجوبتهم وينشر منها المشرق ما كان سديدًا وجديرًا بالذكر فيجري على الالسنة وتدوّنهُ اقلام الكتاب. فان راق لكم هذا الاقتراح فاكرموا بنشر ما يأتي فاتحةً لتلك المباحث ولكم الفضل

كيف يؤدَّى بالعربيَّة معنى هذه الجملة ؟

Bossuet est un homme de génie.

ماذا يرادف هذه الكلمات الاجنبية والعامية ؟

كَراف (اناء للماء الخ) — جاط — كبَّاية — سوبيرا (اناء الشوربة) — طرَّاحة (مثل فراشٍ صغير للجلوس)

(المشرق) انا ندعو اللغويين من قرَّائنا الى الجواب عن الاسئلة السابقة. وان تحرَّجوا اجبنا بما نراهُ اقرب الى الصواب

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تانَي احد اساتذة مدرستنا الكليَّة (تابع لما سبق)

تربية اهل لبنان لبنيهم

لقد اصاب من شبَّه الولد الحدث بالغرسة الصغيرة تلويها وتقوّمها فتلين وتستقيم وامَّا ان نمت وبسقت واصبحت شجرة فلا تُلوى بل تحطَّم ولا تستقيم فتبقى الدهر عوجاء ولذلك ترى الآباء يُعنَون بتهذيب ابنائهم الصغار وتقويم اودهم وتوفيقهم الى ما

اهل ضيعةٍ مجتمعون فما من احدٍ يدعو صاحبـهُ الّا اخًا او عمًّا او ابن عمٍّ او خالًا وان لم يكن بينهم الّا نسبٌ بعيد. ونحن في ذلك نقتصُّ اعلام الشرقيين اجدادنا يشهد على ذلك الكتاب المقدس في مواضع شتى

ومن آدابهم ايضًا ان يدعو الصغير مَن يشاكلهُ عمرًا وقدرًا أخًا او اختًا ومَن هو اكبر سنًا عمًّا او عمةً. وان كان شيخًا يناديهِ: يا جدّي او يا جدتي (يا ستي). ولكن ذلك من حسن الادب. وكل عندنا يفهمون المشيئة فيقولون الولد: قدم اخوك. اذا قدم ابن عمِهِ. فان لم يفهم اوضحوا وقالوا: جاء ابن عمّك ولا يقولون قدم اخوك عند قدوم من يشاكلهُ سنًا او يوضحون بقولهم: جاء فلان اخوك

ومن ابواب الادب الذي يهتم لها اللبنانيون ان لا يبيحوا لاولادهم الصغـار ان يقبلوا شيئًا من الغير او يأكلوا عندهم. فان أهديت الولد تفاحةً مثلًا ابى قبولها وان تلحَّ عليهِ اجاب: « لستُ فجعان (او هفيان) فأقبـل ذلك ». والفجَع عندهم عظم الشره الّا اذا كان ابوهُ ثمّة وامرهُ ان يقبل فيطيع. ويُقال عن الولد: « هذا نفسهُ كبيرة وشريف النفس »

ومن العوائد ان الاولاد في الولائم اذا كان ضيوف اعزّاء كرام يحمـلون الاباريق منتصبين يقدّمونهـا لمن يستقي. وغير خفي ان الشرقي يجرع الماء بالاباريق جرعًا ولا يشرب بالاقداح الّا الراح

ومن حسن الادب ان الولد حين يُسأل عن اسمهِ ان يجيب عبدك فلان وهـذه كلمة عبدك يقولها الرجل البالغ والشيخ اذا استفهم عن اسمهما انسان خطير الشان رفيع المنزلة. وهكذا كان يخاطب يوسف اخوتهُ: عبدك ابونا في سلام (تك ٤٣: ٢٨) ومثلهُ: « يا سيدي اتوسل ان يتكلّم عبدك كلمـة.. ولا يشتدّ غضبك على عبدك » (تك ٢٤: ١٨ الخ)

ومعلوم انَّ في لغتنا العربيَّة اللفظ صعب الاتقان فلا يمكن الغريب ان يحسنهُ اذا لم يولد في بلادنا وذلك اختبرهُ اهل المغرب الافاضل الذين يدرسون العربيَّة. ومن حيث ان آباءنا كانوا قومًا اشدّاء ذوي بأس وقوَّة فاوجدوا لغـةً شديدة لغة رجل ولكن والاسفاهُ اراد في ايامنا قومٌ أندلعت السنتهم وقلَّ نشاطهم أن يشوّهوا وجه اللغة بلفظهم البارد السيئ فحولوا القـاف الفًا والسين ثاء والذال زايًا والدال ضادا الخ. واما اللبناني

امراض النفس. والعامّة في امثالها تسدّد هـذا القول فاسمع: «إللي ما بيتكسّر على ضَهرو قضبان آخرتو للغربان. إللي ما بيأدّب بيتعذّب. ابنك الزغير ربّيه وان كبر خاويه. مين ضحّكك بكّاك ومين بكّاك ضحّكك» ومن اقوالهم «الضرب بيعلّم الدب يرقص(١)». فهذه وغيرها بمعناها تطابق ما انزلهُ الروح القدس في كتابهِ الشريف: مَن وفّر عصاهُ فهو يبغض ابنهُ (امثال ١٣: ٢٤) والعصا والتوبيخ يفيدان حكمةً (امثال ٢٩: ١٥) الخ

فاذن من اقتصر على الذرائع الادبيّة في تهذيب اولاده كثيرًا ما يخفق مسعاهُ ويؤول امرهُ الى الانخذال فيندم ولات حين ندم. وقد يكون الضرب بلا فائدة وجدوى ان عرف الولد ملجأً يلجأُ اليهِ ألا وهي الام الرقيقة الرحيمة. يضرب الوالد ويبرق ويرعد والصبي لا يبالي لان الام تحميهِ او تسترضيهِ. وقد سمعنا ولدًا يبكي وينشج ويقول: «ابي يضربني وامي ترضيني» فلتحذر الامهات

ومن الشوائب ما تُخوّف الاولاد بهِ من الغول والجنّ والضبع والبعبع والككو. كم مرّة سمعنا هذه العبارات: ان لم تسكت فارميك للضبع او يأخذك البعبع ويأكلك الغول الخ. فيرى الولد في منامهِ ما يتصوّرهُ في اليقظة وينشأُ على الجبانة والهلع

من الخصال الحميدة ان الولد عند نهوضهِ من النوم يقبل ايدي ابيهِ وامّهِ ويقول: «ترضّ عليّ (ارضَ عني). يا امي ادعي لي». وفي النهار ان جاء سائلٌ يطلب صدقةً يأخذ الولد بنفسهِ ما يكون قد جاد بهِ على المسكين اصحاب المنزل ويعطيهِ اياهُ قائلًا: «الله يبعث لك او الله يتحنن عليك او الله يرزقك» الخ. ويفرح الاولاد جدًّا عند ما يأتي فقير لان الوالدة تقول لهم: «جاء اخو المسيح» فتراهم يسرعون ويتسابقون الى اعطاء فقير والذي لا تسمح لهُ الوالدة ان يعطي شيئًا يحرد ويتكدّر وعلى هذا المنوال يعتاد الصغير محبة القريب وبذل ذات اليد ولين الاخلاق

انّ الولد يدعو ابن عمّهِ اخًا وابنة عمّهِ اختًا ينادي ابن عم والديهِ عمًّا او خالًا فيترعرع ويتقدّم في الايام ولا ينسى ما تعلمهُ في صغرهِ. فان حضرت مجلسًا في لبنان فيهِ

١) الذي لا يتكسّر على ظهرهِ قضبان آخرتهُ للغربان. الذي ما يؤدب يتعذب. ابنك الصغير ربّهِ وان كبر آخهِ. من ضحّكك ابكاك ومن ابكاك ضحّكك. الضرب يعلّم الدبّ الرقص

بعض ما ضرب العامَّة من الامثال في الاولاد

قالوا: ابن ابنك إِلَك (لك) ابن بنتك لا (لان العائلة تنتسب الى الرجل لا الى المرأة) . ما اعزّ من الولد الّا ولد الولد . الطفل النقّاق كثير الرضاعة (تقول العرب نقّ الضفدع صاح) . الولَد ولد ولو حكم البلد . يا ويل البلد اللي حاكما (الذي حاكمها) ولدٌ . قلبي على ولدي وقلب ولدي على الحجر . الصبي المشوم يورث لاهلهِ المسبة والولد المبارك يورث المحبة . تربية الاولاد مثل تقرقش الصوَّان . ان ما علّمت ابنك الدهر يعلّمه . البنات من ظهور العمات (اي انها تحاكي عمتها خَلقًا وخُلقًا) . الصبي لو مال ثلثاهُ للخال (من حيث مزاياهُ وخصالهُ) . لو كان خال الخال فيهِ مزيَّة لا بُدَّ ابن الاخت اليهِ يعود . ابن الاخت عدوّ الخال (لانهُ يتعصب لابيهِ واقارب ابيهِ ويفضّلهم على اقارب امه) . الوردة تخلف قردة والقردة تخلف وردة . طبّ الجرّة على تمها (فمها) تطلع البنت لامها . كل وحيد بليد — الصبي الوحيد كثير البلايا . قاضي الاولاد شنق حاله . الصبي مثل الحبقة (اي انهُ يذبل سريعًا كالزهرة ثم تثوب اليهِ العافية) . مثل الصبي مع خالته (تديرهُ وتدبرهُ كيفما شاءت) . طالع ورانا مسبحة (اي ان الناس تهجونا وتسبنا لقبح سيرتهِ) . كيف حال المحروس (تقول ذلك لمَّا تستفهم رجلًا عن حال ابنهِ) . عندي واحد (او اكثر) لله (جواب لمن سأل كم ولدًا عندكِ)

اذا كان الولد حسن السيرة يُقال فيهِ : ثمرة مباركة وصالحة هو نعمة . نيال ابوه (هنيئًا لابيهِ) وامه . حليبه طاهر ومبارك . نيال البطن (هنيئًا للبطن) الذي حملهُ . وقد قيل في المسيح : طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما (لوقا ١١ : ٢٧)

(ستأتي البقيَّة)

المقامات النصرانية لابن ماري

نبذة اقتطفها وذيّلها بحواشٍ وشروح حضرة الاب انستاس الكرملي

التعريف بالكتاب وبمؤلّفهِ

لابن ماري كتاب مقامات مترجمة بالمقامات المسيحيَّة . وهذا الكتاب لا يوجد منهُ اليوم على ما حقّقناهُ الّا نسخة واحدة وذلك في خزانة كُتب جامع الحَيْدرخانة في بغداد . وهي نسخة قديمة

فيكثرث جدًّا لحسن اللفظ ويعلّمهُ بنيهِ ويروّضهم على ذلك بعرضهِ عليهم جمــلًا يصعب التلفظ بها ونذكر منها شيئًا تفكهة: « قم يا قمقم قم واتقمقم قم على القفة قم كل قمحًا » « حسّ خشيش في جب حشيش الخ » وهذه الجمل وما يحاكيها يردّدها الولد مسرعًا دون تربثٍ. وقد اخطر على بالي هذا الامر ديمستان افصح الخطبــاء وابلغهم اذ كان يضع في فيهِ الحصى ليروّض لسانهُ على حسن اللهجة ولطيف التكلّم واللفظ

ولكن يؤثر اهل لبنان التقوى وحسن السمت والعبادة على كل شيء فتعكف الوالدة على بثّ روح الدين في جوارح ابنها ونفسهِ وعقلهِ وذهنهِ فاسمعها تعظ ابنهـــا قائلةً:

« يا ابني قل يا عذراء قُل يا يسوع يا ملكي الحارس احرسني يا مار يوسف كبّرني. يا ابني اذا كنت قاعدًا فنهضت قُل يا عذراء شدي ازري وان اهملت يُمتنا الرب ارسم اشارة الصليب قبل الاكل واجثُ راكعًا حين يقرع الجرس في الصباح والمساء ووقت الظهيرة واتلُ تبشير الملاك للعذراء صُمْ ايام السبت اكرامًا للبتول فتنجيك من الاخطار

« يا ابني عند النوم ارسم اشارة الصليب وقُل ابانا الذي في السماوات والافعـال (اي فعل الايمان والرجاء والمحبة والندامــة) ثمَّ يا عذرا تسلميني وفي ساعة موتي احفظيني. على خيرة الله على خيرة المسيح كيف ما صار مليح

« اذا وجدت كاهنًا في الطريق قبِّل يدهُ لانهُ نائب المسيح وحين يكون في منزلنا اجلس محتشمًا ساكتًا لئلا يقصّ لك لسانك راعِهِ سمعك حين يعظ ويرشد لانهُ يهدينا الى الحقّ ويحكي لنا عن المسيح والعذراء عليهمــا اشرف سلام والقديسين ويفتح في وجهنا باب السماء

« يا ابني الذي يخاف الله لا تخف منهُ لا ترافق الاوباش وكن اديبًا لانَّ المثـل يقول: مع المعوجّ تتعوّج لا تتكبَّر ولا تتجـبَّر لان الجبر مهبط لا تتقزز من الاكل والشراب لانك لست خيرًا من المسيح الذي شرب المرارة. أطع الحاكم لانهُ يُقـال حاكمك وربّك. يا ابني اذا سمعت اسم البابا الذي في روميــة احنِ رأسك ومهما يَقُل فاطِع » الخ

انظرت يا صاح كيف ينشأُ الصغير على حبّ الدين ويرضع مع الحليب خوف الله والميل الى الفضائل الشريفة. والعلم في الصغر كالنقش في الحجر

تراكيبِ الكلام مقامات . حتى أُديت لبعضهِ الكرامات (١

امّا بعدُ فيقول الفقير الى سوابغ آلاءِ (٢ الباري . أبو العبـاس يحيي ابن سعيد بن ماري . العربي نسباً . والنصراني مذهباً . لمّا كان لذي اليـد على المصطنَع (٣ . عظيمِ نفوذٍ يُلتفت اليهِ ويُتَّبع . وردتْ اليَّ عبارةٌ من قِبَل مَن انا مفعولٌ لفعلهِ . سجينٌ لفضلهِ . مقتولٌ بنَبْل نَيلهِ . ومضمون تلك العبارة . هذه الاشارة : رُبَّ كلمة تقول دعني (٤ . . . . وزلّةٍ في مزايا الجهْل تَعْني (٥ . . . .

وعليهِ فقد اكرهني على التأليف . والتصنيف والترصيف . من عمَّ بعوارفهِ . ورباع تأكرهِ وعارفهِ . وحين ابيتُ القولَ . غمَرني بالطَّول (٦ . فاَذكرت المثـل : « مُكرهٌ اخوك لا بطَل » (٧ . فأَجبتُ المقال . وتحمَّلتُ الأَثقال . وانشأْتُ على ما أُكابدُهُ من قريحةٍ . بالهموم قريحةٍ . وجَوارح (٨ بمعاناة الوُجوم (٩ جريحـة . ستّينَ مقامةً تحتوي على جدٍّ وهَزْلٍ . وسهْلٍ وجَزْلٍ . وأَجريتُ جوادَ البديهة في ما لي اَعتنَّ (١٠ . وهَلْهَلْتُ بهِ (١١ . كلَّ مرَّةٍ عن الجادَّة عَنَّ (١٢

على انَّ البديع الهمذانيَّ مع اختراعهِ واقتراعهِ (١٣ . والشيخ الامـام الحريريَّ البِصريَّ مع ابتداعهِ . في اَتباعهِ . لم يُبقيـا غريبة تُقتدَح . ولا باب نادرةٍ تُفتتح . وان

---

١) في ذلك اشارة الى اقوال الانبياء والسيّد المسيح لهُ المجد التي عنـد التلفُّظ بها اتمّ الله آياتٍ عجيبة ٢) نِعَمِ

٣) اليدُ النعمة والاحسان . والمصطنع اسم مفعول من اصطنعهُ لنفسهِ اي اختارهُ لنفسهِ

٤) اي ان المُحسِن اليهِ قد كتب لهُ رقعةً يقول لهُ فيها . دعني واعتراضاتك وأَعذارك . امّا قطع عبارة دعني . . . فهو من انواع المحسنات البديعيَّة يُسمى عند اصحاب هذا الفن بالاكتفاء

٥) اي ربَّ زلةٍ تعني انك لستَ جاهلًا كما تدعيهِ او تعتذر بهِ . لان زلة الجهلة على شاكلةٍ وزلة العلماء على شاكلةٍ أُخرى ٦) الطَول بالفتح الفضل والعطاء والغنى والسعة

٧) مثلٌ . اول من قالهُ ابو حَنْشر خال بَيهس الملقَّب بنعامة . يُضرب لمن يُحمل على ما ليس يريدهُ

٨) الجوارح من الاعضاء على ما قالهُ صاحب الاوقيـانوس الأَيدي والارجل خاصَّةً لان الانسان يجترح بها اي يكتسب بها . ثمَّ عُمّمت كما فعل العرب مثل ذلك مرارًا لا تُحصى . وبهذا المعنى الاخير قد جاءت هذه اللفظة هنا ٩) الوجوم السكوت او العجز عن التكلّم من كثرة الغمّ والخوف ١٠) اعتنَّ لهُ الشيء اعتنانًا ظهر امامهُ واعترض

١١) اي زَجرتُهُ جهلًا ١٢) عنَّ عن الشيء اعرض عنهُ وانصرف

١٣) ابتكارهِ للمعاني

كان قد اهداها الى هذا الجامع النصرانيُّ الوجيه المرحوم فتح الله عبّود في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٠١ ﻫ (١٨٨٣م) حينما كان عضواً في مجلس الادارة. وكان العلماء يومئذٍ قد اجتمعوا طلباً لانشاء خزانة كُتُب عمومية تكون في الجامع المذكور لاستشارتها عند الحاجة. وكانوا قد طلبوا من اعيان الزوراء ان يتحفوا المكتبة الجديدة بما لديهم من التآليف المفيدة فكان من جملة ما تبرَّع بهِ فتح الله افندي هذا الكتاب النفيس وهو قديم الكتابة من عهد مؤلفهِ

وخطُّ السِفْر وان كان جليّاً فان اغلبهُ غير منقوط كما كان يفعلهُ الخطَّاطون باديْ بدء. وزد على ذلك ان هذا الكتاب قد وقع في الماء حتَّى انهُ تتعسَّر قراءة بعض الفاظهِ. غير انني استعنتُ في الاماكن المهمة العويصة بالشيخ الامام المشهور محمود شكري افندي الآلوسي فحلَّ معضلاتهِ وفكَّ طلاسم معقَّداتهِ وبذاك زال جانب عظيم من مشكلاتهِ ومُبهماتهِ. ولا ينقص هذا الكتاب الَّا ورقة واحدة هي عبارة عن نصف المقدمة. اما كيفيَّة البلوغ الى الحصول على مستهلّها فان فقيد العلم واللغة نعمان افندي الآلوسي كان قد عثر في اثناء تجوُّلهِ في البلاد على المقدمة كلها وبعد المقابلة وجدها تُطابق بقيَّة مقدمة الكتاب الموجود في بغداد مع زياداتٍ في المقدمة التي في يديهِ. ولمَّا كان قد علم بانني قد عنيتُ بنسخ هذا الكتاب دفع اليَّ تلك المقدمة لكي يكمل بذلك كتاب المقامات الذي يدور الكلام عليهِ

اما منزلة هذا الكتاب فمَا يستطيع ان يعرف كل واحد سموَّ علوّها من قراءتهِ لها. وقد جاء عنها في كشف الظنون ما نصُّهُ: «المقامات المسيحية لابي العباس (١ يحيى بن سعيد بن هاري (٢ النصراني البصري الطبيب مات في رمضان سنة ٥٨٩ تسع وثمانين وخمسمائة (١١٩٣م) نسج فيها على منوال الحريري. قال ياقوت: «أَجاد فيها» وقال الصفدي: «لا اجاد ولا قارب الاجادة» اه. غير ان نعمان افندي الآلوسي صاحب التآليف الشهيرة قال لي بعد ان طالعها: «اجاد كلّ الاجادة»

المقدمة

بسم الله الحي القيُّوم (٣

الحمد للهِ الذي خصَّ بالنطقِ الانسان. وعلَّمهُ افانين اساليب اللسان. ورفع

---

١) وفي كتاب علم الادب ١: ٢٥٧) «لابن عباس». وهو تصحيف

٢) كذا. والاصح ان يُقال ابن ماري بميم في الاول. وهو اسم مشهور بين نصارى النساطرة لانهُ اسم المبشّر الذي دعا الى نور الانجيل الكريم سكان بلاد العراق والجزيرة

٣) القيُّوم. قال القشيريُّ في الاسماء الحسنى: القيوم المبالغة من القائم بالامور. يُقال قائم بهذا الامر وقيّمٌ وقيُّوم. فمعنى القيوم في وصفهِ تعالى انهُ المدبّر والمتولّي بجميع الامور. وقيل ايضاً هو الباقي اللازم الواحد الذي لا سبيل عليهِ للفناء. وقد اختار المؤلف هذا من اسمائهِ تعالى لان من اصلهِ «ق و م» تشتقُّ ايضاً لفظة المقامات

المقامةُ الأُولى . وتُعرف بالرُّهاويَّة

روى يحيي بن سلاَّم قال: لمَّا وَطئتُ ارضَ الرُّها (١ . وعاد بدرُ سَعدي كالسُّها (٢ . وفارقني الأَنيس . حين نُفِض الكيس . خرجتُ يوماً بكأساتِ الأَشجان (٣ . وهي تتدفَّق ممَّا فيها من سُلافة (٤ الاحزان . لخلوّ خِواني (٥ . وتبايُن إخواني . الى شارع درب الرَّقيق (٦ . ذي النسيم المُتأَرِّج (٧ الرقيق . والهمّ قد اخذ مني مأخذَهُ . وأَنشَبَ فيَّ اظافرهُ ونَواجذَهُ (٨ . فقصدتهُ لأُنعِشَ الخاطر الفاتر . وأُسرّح فيهِ طائر الناظر . واذا بفتًى يَخلُبُ اللبَّ بطَرْفهِ الفاتر . وظرفهِ السَّاحر . عليهِ سَحْقُ أَطمارٍ أَخلاق (٩ . يُومأُ اليه بدماثة الأَخلاق (١٠ . وقد أَحدقتْ بمكانهِ أَحداقُ البريَّة (١١ . وسُدِّدت نحوهُ الأَرماحُ المَدريَّة (١٢ . كما تُسدَّد الرِماح للَدريَّة (١٣ . فعُجتُ بناديهِ (١٤ . لأَقيس اواخرهُ بمباديهِ . وما الذي يتعاطى من الصنائع . وبضاعتهُ ايّ البضائع . فجاذبتهُ أَطراف الأُشعار . وطارحتهُ ما نُقل عن الأَحبارِ من الأَخبار . فوجدتُهُ مَن لو جاراهُ جَرير . لجُرَّ بغزارة فضلهِ شرَّ تجرير . أَو جاورهُ ابن السِكّيت (١٥ . لأَسكتَهُ ايَّ تَسكيت . او نافثَهُ قُدامة (١٦ . لقبَّل أَقدامَه . او فاتح الخليل (١٧ . لاتَّخذهُ خيرَ خليل . ولرأَى من نفسهِ عينَ النَّقص والإِخلال . عند استشفاف (١٨ جَواهر تلك الخِلال . فحين رأَيتُ رَجاحة وَبلهِ (١٩ . وإِصابة اغراض القلوب بنَبلهِ . وقفتُ حِذاءهُ كالسَّاهي . بعدما

---

١) بلدة قديمة في بلاد ما بين النهرين تدعى اليوم اورفا ٢) السُّها اصغر نجوم البرج المعروف ببنات نعش ٣) الاشجان الاحزان
٤) السلافة الخمرة وقيل ما يتحلَّب منها قبل عصرها
٥) الخوان ما تُنصب فوقهُ الاطعمة وقت الاكل ٦) الرقيق العبيد
٧) المتأَرج ذو الأَرج اي الريح الطيّبة ٨) انشبَ علَّق . والنواجذ اقصى الاضراس
٩) اي ثياب رثَّة بالية ١٠) دماثة الاخلاق لينها
١١) يريد الحضور ١٢) الرماح المدريَّة ما رُكّب في رأْسها القرون المحددة
١٣) اللَّدريَّة قوم من الخوارج ١٤) اي اقمت بمجلسهِ
١٥) من مشاهير اللغويين ١٦) نافثهُ اي حادثهُ وباحثهُ . وقُدامة بن جعفر احد كبار الادباء في اواسط القرن العاشر للمسيح . ولد من ابوَين نصرانيين وحملهُ المكتفي بالله على الاسلام ١٧) هو واضع علم العروض الشهير
١٨) استشفَّهُ تبيَّنهُ ١٩) الوبل المطر الجود كنى بهِ عن بلاغتهِ

الناطق بعدهما في مقامةٍ ببنت شفة(١ . يرجع بحالة في الغباوة منكشفة . ثمَّ انهُ لا يخلو من معابة ذي علم . وانتقاد ذي حِلم . فيُلحَق بمن عذر (٢ . وهل يجني الثَّمَر . مَن في السباخ بَذَر . هذا وسُوق الادب في زمانهما على سُوقٍ (٣ النَّفاق . والراغبون في نُقَرهِ (٤ وعُيونهِ مُلَّاك الآفاق . اما في زماننا فان انواء الفضل خاوية . وافنان الفهم ذاوية

ولمَّا وجدتُ الامام الحريري مع غزارة علمهِ . وكثرة تفنُّنهِ في نثرهِ ونظمهِ . قد جاذب (٥ البديع على أُصول مبانيهِ . وضارعهُ (٦ في جُلّ معانيهِ . وشاركهُ في نعيمهِ وبؤسهِ . ووَحشتهِ وأُنسهِ . قلتُ في نفسي : لِمَ لا اقصدنَّ اللِّحاق . دون السباق . ولِمَ لا اطلبنَّ الاتّباع . دون الابتداع . وعليهِ فشحذتُ شبا فكرتي النابية (٧ . وحثثتُ ما فيَّ من الهمَّة الآبية الوانية (٨ . ونحوتُ نحوهما في جميع الأَساليب . مُرتبًا هذه المقامات على ذلك الترتيب . غير مُحدثٍ في هذا الفن شيئًا من التغيير او التقليب

على انَّ هذه المقامات المنشأَةُ بلسان الاضطرار . ومَحفز الاغترار (٩ . ما اُستُهِلَّ في سمائها لبيتٍ من اشعارها هِلال (١٠ . ولا سُمع في أَرضها لهُ إهلال (١١ . ولم أُودعها من الابيات الَّا ما الفطنة نتجتهُ . وهلهلَتْ (١٢ وَشيَهُ ودبَّجتهُ . فبالله أَستعين وعليهِ اتوكَّل من إيراد مِهذار . ووقفة اعتذار

---

١) بكلمةٍ ٢) اي كثرت ذنوبهُ وعُيوبُهُ ٣) السوق الاولى هو هذا محل البيع المعروف . والسوق الثانية بمعنى السيقان جمع ساقٍ . والنَفاق الرواج

٤) جمع نُقرة وهي وقب العين او حفرتها ٥) اي نازعهُ فيهِ

٦) شابهُ ٧) شحذت : احددت . وشبا حدّ والنابية التي قد نبت اي قد كلَّت وارتدَّت عن القطع ولم تمضِ

٨) الآبية الرافضة والوانية الفاترة الضعيفة الكالَّة المُعياة

٩) يُقال : حفزهُ اذا دفعهُ من خلفهِ . والاغترار مصدر اغترَّ فلانًا اذا اتاهُ على غرَّةٍ

١٠) اي ليس فيهِ شعر من شاعرٍ اجنبيّ عنهُ بل كل ابياتهِ من نظمهِ لا غير . واستُهِلَّ الهلال على المجهول ظهر

١١) من اهلَّ فلانٌ اذا رفع صوتهُ بذكر الله عند نعمةٍ او روْية شيءٍ يُعجبهُ

١٢) هلهل النسَّاجُ الثوب نسجهُ سخيفًا . ومنهُ : هَلهَل الشعرَ اي لم يُنقّحهُ وأَرسلهُ كما حضرهُ

فقال لله درُّكَ . لقد صحَّ فَرْكُ (١ . فعاتبتُهُ على مُفارقة ابيهِ . النبيهِ . فقال : لامرٍ ما جدَعَ قصيرٌ انفهُ (٢ . وفارق إلفهُ . والخَلَّةُ . تدعو الى السلَّة (٣ . وفَرطُ القِلَّة . تُولد في المرء كل خلَّةٍ وعلة . ثم ابتعد عن وكرهِ . ليخبرني بِسَبرِهِ (٤ . وهل غَرسهُ يُثمرُ . ام لَيلهُ يُقمِر . وها انا مذ فارقتهُ اجوب واجول . لأُشنِّف اسماعي باقوالهِ ذات الغُرَر والحجول (٥ . حتى وجدتهُ يومًا على طريق المُصادفة . فألحجتُ عليهِ بالمرافقة . الى بعض مرامي شِصِّهِ (٦ . لاعرف الامر من قَصِّهِ (٧ . وهل تُطابق في التشبيه . سيرة ابيه . فاخذ يُجيبني وما كاد يستتم الكلام . واذا شيخ قد اعتلق بكمّ الغلام . ليرفعهُ الى بعض الحكَّام . او يقاسمهُ على محصولهِ لما نفحهُ بفنون حيلهِ وفصولهِ . وابى الغلام المقاسمة . وادَّاهما فرط الخصام الى المُلاكمة (٨ . فوقع بينهما التراضي . بالترافع الى باب محاكم القاضي . فلمَّا مثلا بين يديهِ . قصَّا القصة عليهِ . فانشد الشيخ ومدامعهُ تتراقى . ابياتًا تتضمَّن ما لاقى :

لم ازل مُحضرًا لهُ كلَّما اختارَ واشتهى ... طمعًا فيهِ إن أَقُلْ هاتِ في الحال قال ها
ايها الحاكم الذي فاق في الفضل والنُّهى ... والذي تسجد الجبا هُ لما فيهِ من نُهى
اما علَّمتهُ العلو مَ ولقَّنتهُ الدها ... وتناهيتُ في التهذ بِ طُرًّا حتَّى انتهى
فُسْذ امتدَّ باعهُ في مدى الارض وازدهى ... لا يُراعي حُقوق من عَقْدُ مالٍ بهِ وهى

فلمَّا سمع القاضي شعرهُ . اجاب إجابة من خبر امرهُ . قال : يا ويلك اتعقُّ مربّيك . اما علمت انك ومالك لابيك . أما راعاك حتى تناهيت . وهذَّبك حتى فاخرتَ وباهيت (٩ . فقال الغلامُ وعبراتهُ تنحدر من مآقيهِ . وزفراتهُ تتصعَّد الى تراقيهِ (١٠ : يا من اليهِ العقد والحلّ . وعلى خِنصرهِ يُعقد ما حَرُم وحلّ . لا تُسرع بقَذعٍ وَصم (١١ . عن فرد خَصم . وانشد :

---

١) فرْكُ اي ظنُك وبحثك ٢) مثلٌ قيل في قصير القذاعي لمَّا قطع انفهُ ليتمكَّن من الزبّاء بهذه الحيلة . وقصَّتهُ مشهورة

٣) مثل معناهُ انَّ الحاجة تدعو الى السرعة ٤) السَّبر الاصل وحسن الهيئة

٥) شبَّه الكلام البديع بفرس ذات غرَّة في جبهتها وحجول في قوائمها

٦) الصِصّ الصنَّارة ٧) اي من اصلهِ

٨) الملاكمة التضارب باليد مجموعة ٩) اي حتى غلبت غيرك بالفخر والبهاء

١٠) جمع الترقوة وهو مقدَّم الحلق في اعلى الصدر ١١) قذعهُ نسبهُ بالفحش والوصم الدنس

كنتُ كالُمباهي. فلم أرَ الّا تقريعهُ برقة حاله. وفرط قشَفهِ وإمحاله (١. مع سرعة بديهتِه وجودة طَبعهِ. واستمداد القرائح من طِبْعهِ (٢. فأنشدَ بلسانٍ مُتوجّع. وصوتٍ مُترَجّع:

لصاحب المال ما بين الورى شرفُ	وللعلوم على أقدارها حِرَفُ (٣
قد فقتُ علماً وفهماً كلَّ ذي ادبٍ	اذا جرى دونهُ او عندهُ يقفُ
وكم تمرُّ ليالٍ لا اذوق بها	زادًا وأُشفقُ ان يعتادني التَلَفُ (٤
وللطوى بين أَبناءِ الحَشا لهب	اذا سطا فشُؤوني دَمعها يكِفُ (٥
والمرءُ بالنُّطْق لا فخرٌ بملبسهِ	والدرُّ ظاهرُهُ مع عِزّهِ الصَدَفُ (٦
لا بُدَّ من مبرةٍ للفضل وافرةٍ	عنـد التنقُّل والاقوال تختلفُ
يا سادةً ان عتا دهرٌ بسطوتهم	من حادث الدهر والايام تَنتَصفُ
اني أمروءٌ كَدَّهُ فقرٌ وروَّعَهُ	وحالُهُ فوق ما يُبديهِ او يَصفُ

ثمَّ خَطَمَ مَقالهُ (٧. وقال: «الاقالة الاقالة (٨. وقد كشفتُ لكم القناع. وَفيَّ الإقناع. فهل فيكم تُبَلّ اللّها (٩. بما يُسنَحُ من اللُّهى(١٠». فلم يسمع منهم احدٌ هذه الدعاء. فكأنَّهم صخرة صمّاء. او طلب من النار الماء. فلمَّا رأيتُ خُبوَّ زَندهُ(١١. وركود أَبحارِ رَندهِ (١٢. رَمَيتُهُ بما صَحبني من النُضار (١٣. وشفعتهُ بالاعتذار المدرار. فقال: لا يُستنزَرُ (١٤ عطاءُ الأَحرار. فهو بردٌ على القلوب الحِرار (١٥. فتاللهِ ما في القَوم من جاد فأَجاد. وأَبدأَ في السماح وأَعاد. فقلتُ لهُ عند شَغَفي بمخارجِ أستماحتهِ (١٦. ووَلَعي ببديع محاسنهِ وملاحتهِ. تُوشِكُ ان تكون سُلالةَ ابي عمرٍو البـديع (١٧. ذي القلائد الذي تفوق زهر الربيع. فتاللهِ هل اخطأَ وهمي. ام قَرْطَسَ (١٨ سهمي.

١) القشف سوء الحال. والامحال الفقر ٢) الطِّبع بكسر الاول النهر
٣) الحرفة وجه المكسب ٤) اشفق اي اخاف
٥) الطوى الجوع. ابناء الحشا الامعاء. والشؤون جوانب العين. ووكف هطل
٦) مع عزّهِ اي مع شأنهِ وقدرهِ ٧) اي وضع لهُ خطاماً وحبسهُ
٨) الاقالة العفو والصفح ٩) اللّها جمع لهاة وهي لحمة في اقصى سقف الفم. وبلّهـا تبريدها. كنى بذلك عن العطاء والهبة
١٠) اللُّهى جمع لُهوة وهي العطيَّة السنية ١١) خبا الزند لم يورِ. كنى بذلك عن الخيبة
١٢) الرَّند نَبت طيّب الرائحة ١٣) النضار الفضَّة
١٤) استنزرهُ وجدهُ نزرًا قليلًا ١٥) جمع حرَّان وهو العطشان
١٦) الاستماحة سؤال العطاء ١٧) السلالة النسل. والبديع هو بديع الزمان الهمذاني ١٨) قرطس اي طاش واخطأَ

معبد سيِّدة القلعة في بلاد عكار

لمحة تاريخيَّة للاب يوسف غودار اليسوعي

(معرَّبة بقلم نجيب باخوس)

في آخر رحلتنا الحديثة الى بلاد عكَّار (المشرق ٣: ٤٦٠) وعدنا القراء ان نذكر لهم تاريخ معبد السيدة المعروفة بسيدة القلعة. فقياماً بهذا الوعد اثبتنا هنا هذه اللمحة التاريخية التي جمعها الاب غودار عن اصدق التقاليد (المشرق)

لقد بزغت شمس هذا المعبد في سماء بلاد عكَّار فانارت ربوعًا سقتها البتول بصيّب النعم وفائض البركات فكثر الكلام في شأن هذه السيدة ومعجزاتها العديدة حتى وجدنا لنا مندوحة ان نأتي على ذكر ما اتصل بنا من آثار هذا المعبد العريق في القِدم واخبارهِ السالفة فانها لجديرة بالذكر:

فهو مبني في منتصف الطريق التي تصل طرابلس بحمص ويستلفت اليهِ عن بُعد انظار المارّ من هنالك لما هو عليهِ من حسن الموقع وزخرف البناء. واذا ما استطلعتَ طِلعَهُ ابناء تلك الديار واستخبرتهم عن ماضيهِ العجيب اخذوا يسردون لك من اخبارهِ ويقصُّون على مسامعك من عجائبهِ ومعجزاتهِ ما ترتاح اليهِ نفسك وتقرُّ بهِ عينك. فهلمَّ بنا الان لنسير في الطريق التي تؤدّي اليهِ

فبعد اجتياز قرية عزير نهبط مسلكًا وعرًا ذا اعوجاج الى وادي «نهر الكبير» فيظهر لنا عموديًّا سهل مرتفع يُعرف بسهل «السيدة» يخالهُ الناظر عند ملتقى هذا النهر بساقيتي منجس وكويشرا صدرَ سفينة رست في تلك المياه ساخرة بالرياح العاصفة لعجزها عن التلاعب بها

وبينا انت هابط من منحدر ذلك الوادي يقتاد طرفك القرير مياه نهر الكبير المذكور المعروف عند الاقدمين باسم الوتاروس التي تنساب بين تلك المروج الخضراء حتى تصبَّ في البحر الذي تراهُ عن البعد على شكل نصف دائرة او هلال ازرق اللون

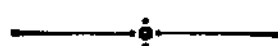
امَّا بسطة هذا السهل فهي عقيمة جرداء لا يقع فيها بصرك الّا على بعض اشجار من السنديان وروؤس من الماعز ترتع فيها وتزيل وحشة ذلك المكان بيُعارها (١ المتقطِّع. ثم يأخذ هذا السهل يضيق شيئًا فشيئًا حتى ينتهي في وادي منجس. ومن

١) صوت الماعز خاصةً

يا ايها القاضي الذي فاقَ الورى عن غزرِ فهمِ
وسحاب نائلهِ على اهل الدنا في الجدب يهمي
لا تحمدنْ عودًا يسرُّ ك ظاهرًا من غير عجمِ (١
لا ترويَنَّ خصومةً وحكومةً عن فردِ خصمِ
يرمي فيُصمي (٢ مقتلي واذا رميتُ يطيش سهمي (٣
ما فهتُ قطُّ ولا افو ه ولو بغى شتمًا بشتمِ
لكنّهُ ختمَ الجمي لَ وما افاد بفرطِ ظلمِ
رام البعاد ولم ينُر في مطلع الآدابِ نجمي
وبقيتُ رجمًا (٤ للجما عة والقيافة (٥ ايَّ رجم
اشكو الطوى (٦ ومدامعي من سحّها للشأن تُدمي
وبقيتُ خمسًا لا اذو قُ الزاد من خَضْمٍ وقَضمِ
وجميع ما قد حزتُهُ بين الورى من فرط حزمِ
فاللؤلؤ المنظوم وال منثورُ عن نَثري ونظمي
فاحكمْ فحكمك في البرا يا والقضايا خيرُ حكم

فلمّا رأى القاضي تخصُّصهما بالادب . واستباحتهما خلاصة (٧ كلام العرب . سَنَح لهما بعطيَّة سنيَّة . ونهاهما عن ارتكاب كل دنيَّة . فرجعا عنهُ فرِحَين . قد فازا بقِدحَين (٨ . فلمّا لبَّد العَجاج (٩ . وانقطع الحِجاجُ واللِجاج . دنوتُ من الشيخ اسأَلهُ عن مَقرَّ عَنسهِ (١٠ . وسِنْخ (١١ غرسهِ . فقال : انا للهِ ممَّا ليس في الحساب . وتركني وانساب (١٢ . فلم تزل تهزّني نحوهُ نَشوَةُ الحَنين (١٣ . ولم يرُق لي بعدهُ قرين

(تمَّتْ المقامة الاولى)



١) عجم العود كناية عن اختبار الرجل لتُعرف داخلتهُ
٢) يقال أَصمى الصيد اذا قتلهُ في مكانهِ ٣) طاش السهم اي زاغ عن عرضهِ
٤) يقال صار فلانًا رجمًا اي مجهولاً لا تُعرف حقيقتهُ
٥) القيافة الفراسة وتتبّع الآثار ٦) الطوى الجوع
٧) استباح الشيء اقدم عليهِ وخلاصة الامر لبانهُ وصفوتهُ
٨) القِدح من سهام لعب الميسر . والفوز بهِ كناية عن الظفر
٩) العجاج الغبار . وتلبيدهُ إِلصاق بعضهِ ببعض . جعل ذلك كناية عن سكوتهِ
١٠) العَنس الصخرة . ومقرها مكان قرارها . اراد بذلك الاستدلال على منزلهِ
١١) السِّنخ الاصل ١٢) انساب اي جرى مسرعًا كالحيَّة
١٣) النَّشوة السكرة . والحنين الشوق

فكان الناظر من قرية عزير الى هذا الحصن المنيع يحسبهُ شبح فارس رابط الجأش ثابت الجنان قد وقف هنالك لا يبدي حراكًا ليراقب حركات العدوّ ويستطلع اخباره. وكان رقيبهم يأوي ايام الحرب الى مرقبهِ يرصد ويراقب ما يحدث من الامور في وادي نهر الكبير وفي مسالك مدينة طرابلس وبلاد عكّار المنخفضة من ناحية حصن حمص وسهولها الوسيعة

واذا ما ارخى الليل سدولهُ كان ذلك الرقيب يتبادل الاشارات والرموز بواسطة الانوار مع « حصن صافيتا » (Castel-Blanc) الذي يُرى في الجهة الشماليَّة بين مضيق هاتيك الجبال. وكان ينبئ ايضًا بوفود البرُد القادمين من قصر عرقا ومن حصن الأكراد الذين مرَّ ذكرها وبهذه الواسطة لم تنقطع العلائق بين قلعة فليس وهذه المراكز المنيعة بل كانت متواصلة

وكان سكان المنازل المجاورة لقلعة فليس التي تبلغ المائة منزلًا يلجأون الى هذه القلعة فيعتصمون بها في النكبات الملمة بهم

٢ المعبد القديم واصل نشأتهِ

واذا ما اجتزنا ذلك الخندق العظيم السابق وصفهُ يأخذ طَرَف السهل المذكور بالاتساع والطول امامنا شيئًا فشيئًا حتى نصل الى معبد سيدة القلعة الذي ينتابهُ الزوار من عهد قديم على حين ان التاريخ لم يقفنا على ذكرهِ غير ان ما ذكرهُ الاقدمون عن قلعة فليس في السنين الغابرة يهدينا الى معرفة النزر اليسير من اخبارهِ وشؤونهِ القديمة

فمن زهاء عشرين سنة كان هذا المعبد خرابًا يستدلّ على كيانهِ من آثارهِ القديمة وليس من احد كان يقطن في تلك الناحية غير انهُ كان يُرى بعض الاحيان ان بعضًا من سكان تلك الديار يقصدون ذلك المعبد فيجثون للصلاة امام طلل اشبه بمذبح ذي حجارة ضخمة غير منتظمة. وفي يوم تذكار ميلاد العذراء الواقع في ٨ ايلول كان الزوار يزدحمون هنالك على اختلاف مذاهبهم فيحتفلون لسماع قدّاس كبير يقيمهُ بعض الكهنة فوق ذلك الطلل المنتصب هنالك منذ اجيال. وعددهم حينئذٍ يُربي على المئات والالوف وكنت اذا استعلمت احدهم سبب ازدحامهم في هذا المعبد الخراب يجيبك بقولهِ: « اننا بذلك نقتفي آثار آبائنا واجدادنا الذين لم يهملوا قط في مثل هذا

اشرف على سطحهِ راقهُ حسن المشاهد التي يتمتَّع بهـا اذ يرى البحر منبسطاً امامهُ ويشاهد جبال لبنان وذرى عكَّار السامقة كأنَّها المعاقل او الحصون المنيعة تحدق بهذا المكان وتصونهُ

١ قلعة فليس

ثمَّ ان طرف السهل المذكور ينفصل عن باقيهِ بخندق عظيم عرضهُ نحو من خمسين مترًا وعمقهُ زهاء العشرين قد نقرتهُ في الصخر يد الانسان. وفي هـذا الطرف المنفصل ترى بقايا قلعة قديمـة تعرف عند سكَّان تلك النواحي «بقلعة فليس او فليكس» (١ منها قطع عظيمة من الحجر البركاني ورسوم كنيستين وغيرها من الابنية ورؤوس اعمدة قد رُسم عليها الصليب وحفرة عميقة في اسفلها ثلاث آبار (٢

ومن الراهن الثابت ان المسيحيين في القرون المتوسطـة قد اقاموا في تلك القلعة وخفقت اعلامهم فوق تلك الرابيـة المرتفعة لما شاهدوا من مناعة هذا الموقع. وكان المستولي عليهِ جلبار دي پوي لوران (Gilbert de Puy-Laurent) وكان فيهِ سابقًا حصن رمَّمهُ جلبار وما الآثار الموصوفة آنفًا الا بقاياهُ

ثم ابتاعهُ منهُ ريموند امير طرابلس بما يبلغ قدرهُ الآن ٤٥٠٠٠ فرنك وذاك مبلغ ذو شأن عند ابناء ذلك العصر يدلّ على اهميَّة وخطورة هـذا الحصن المنيع. وسنة ١١٤٢ م استولى على فليس وعـلى حصن الاكراد (Krak) فرسان القديس يوحنا المعروفون عند العرب بالاسبتلار فوسَّعوا نطاق هذه القلعة التي اصبحت تشغل هامـة تلك القمة بتمامها وبنوا لهم كنيسة فسيحة الجوانب اكرامًا للقديس يوحنا شفيعهم (٣.

---

١) Casal Félicium اجمع المؤرخون ان هذا القصر كان في جوار عرقا وبواسطة هذه البينات تمكن الاب برنيه اليسوعي والموسيو دوسّو (Dussaud) من معرفة آثارهِ وجزما بانهُ ليس هو الَّا «قلعة فيلس» وكشف المسيو دوسو الحجاب عن ذلك في مقالة نشرها في مجلة الآثار القديمة تحت عنوان «الرحلة السوريَّة Voyage en Syrie» بتاريخ تشرين الاول والثاني من سنة ١٨٩٦ . وقد اخذنا معظم ما تشتمل عليهِ هذه اللمحة من الفوائد التاريخية عن حضرة الاب برنيه اليسوعي وعن الاخ تاودور الذي عني بهندسة المعبد الحديث وعن بعض ذوي الخبرة والمعرفـة من السكان

٢) قد وجدوا بين تلك الآثار رؤوس نبـال ونصال ونوعًا من المشاعل وغير ذلك من العاديَّات التي ترتقي الى القرون المتوسطة

٣) لم يزل لهذا العهد المسيحيون والمسلمون المجاورون يسمونها بهذا الاسم

الشهير (١. فلا ريب ان بعضهم كانوا يتبركون ايضاً بزيارة سيدة القلعة التي كان بدرها في ذلك الزمان ساطعاً في سماء تلك الاصقاع

وكان فرسان القديس يوحنا المقيمون هنالك قبل ذهابهم الى ساحة القتال واقتحامهم غمار تلك الاهوال يطرحون على اقدام هذه السيدة اسلحتهم لتباركها ولتهبهم النصر المبين. فبعضهم كان يلقى منيّتهُ في الذبّ عن الدين وبعضهم كان يرجع مضرّجاً بدمائهِ او فاقداً احد اعضائهِ فيجثو ايضاً امام العذراء شاكراً لها لانهُ كان يعزو اليها نجاتهُ من مخالب المنون

ولعلَّ القتال قد اشتبك اكثر من مرّة امام القلعة على مقربة من هذا المعبد (٢. ومن ذلك الحين اخذ السكّان عموماً والموارنة خصوصاً يكثرون من التردّد الى معبد سيدة القلعة الذي بدا لهم فيهِ من المعجزات والعجائب ما مكّن في قلوب جميعهم بل في قلوب الغير المؤمنين ايضاً الاعتقاد بعظمة هذه البتول وقدرتها العجيبة وحملهم على مزاولة الاستغاثة بها وسط تلك الاطلال البالية من محن الحياة وبلاياها

فكل ذلك يسني لنا سبيلاً للحكم الفصل بان بناء هذا المعبد يرتقي عهدهُ الى ايّام المسيحيين في القرون المتوسّطة. ومع هذا لا يبعد ان يكون هذا المعبد قد وُجد في زمان قبل زمانهم لانهُ يستحيل على اناس مختلفي الاديان ان يُجمعوا على التقاطر لزيارة هذا المعبد دون ان يسبق لهم زمان كانوا فيهِ على دين واحد

ومن المقرّر ان الدين المسيحي قبل ان يغزو العرب بلاد عكّار كان منتشراً هنالك حتى ان سكّان تلك الديار وان لم يكونوا كلهم كاثوليكيّين فقد كانوا كلهم مسيحيّين ولكن لمّا استفحل العرب هنالك وقويت شوكتهم وامتدّت سلطتهم تصدّع شمل المسيحيين ودان بعضهم بالاسلام

ومع ما وقع بينهم من التفرُّق في الدين قد لبثوا على عادتهم القديمة من الاجتماع كل عام في فناء هذا المعبد الدارس في اليوم الثامن من شهر ايلول للاحتفال

---

١) راجع تاريخ مملكة اورشليم اللاتينية-Conder : *The latin Kingdom of Ierusalem*, p. 190

٢) قد عثروا على مقربة من بعض مداخل القلعة المذكورة على اسنّة نبال شديدة الانحناء تشير الى ذلك

اليوم المجيء الى هذا المكان المبارك الذي اقامت فيهِ العذراء »

فالى هذا الحدّ تتصل معرفة سكان تلك النواحي بماضي معبد هذه السيدة القديم. وكنّا نودّ لو يتسنى لنا ان نستقرئ كامل اخبارهِ ونستخرج كامن اسرارهِ ونكشف الحجاب عن وجه حقيقتهِ ولكن قلّة البيّنات الواضحة والادلّة الراهنة تضطرّنا الى ان نقتصر على ذكر ما يلي وان كان لا يتعدّى حدّ التخمين والترجيح

يترجّح ان زمان بناء هذا المعبد يرتقي الى عهد نصارى القرون المتوسّطة لانهُ لم يسكن بعدهم تلك الرابية الّا شعوب من غير المؤمنين (١ وذلك في ازمنة متقطعة. فينتج من ثمّ ان هذا المعبد كان موجودًا قبل اولئك الشعوب وقد اصابهُ بعد ذلك ما اصاب غيرهُ من الابنية المسيحيّة القديمة التي اخنى عليها الزمان وتلاعبت بها ايدي الحدثان. وقد جاء في تاريخ فرسان القديس يوحنا(٢ المذكورين ما يثبت هذا الترجيح ويجعلهُ من عداد الحقائق المبنية على اساس متين لانهُ يصرّح بان هؤلاء الرهبان قبل ابتياعهم قلعة فليس بزهاء ١٤ سنة كانوا قد استولوا على نقطة متسعة في تلك الرابية وذلك في سنة ١١٢٨ م وبما ان قلعة فليس كانت تشغل بسطة ذلك الطرف بتمامهِ ولم يكن على سطح هذا السهل المرتفع سوى اطلال المعبد المذكور يمكننا ان نستنتج من ذلك انهم اقاموا باديء بدء في فناء هذا المعبد وانهم بنوهُ او على الاقل رمّموهُ (٣

وممّا ينبئنا بهِ التاريخ ايضًا ان الافرنج كانوا يكثرون الترداد لذلك العهد الى المشرق لزيارة معابد مريم العذراء كمعبد سيدة طرطوس الواقع شمالي طرابلس ومعبد سيدة صيدنايا على كثبٍ من الشام ومعبد سيدة الكرمل. فكانت مراكبهم وسفن البندقيّة تأتي كل سنة هذه الديار في شهري حزيران وآب مقلّةً عددًا وافرًا منهم فترسو بهم في ميناء عكا فتأتي لملاقاتهم جماعة من فرسان الهيكل يرافقونهم في زياراتهم للاراضي المقدّسة ولسيدتي طرطوس وصيدنايا. وبعدذلك كانوا يروّحون نفوسهم بزيارة ارز لبنان

١) كالترك كان مثلًا الذين بنوا اكواخهم و بيوتهم الحقيرة على دعائم هذه القلعة من عهد ١٠٠ سنة ولم يغادروا هذا المحل الّا من نحو خمسين او ستين سنة لقلّة المياه

٢) Delaville-Le Roulx : *Cartulaire général des Hospitaliers* (I, 77)

٣) يؤيد هذا الاستنتاج آثار الآبار الثلاث المتفرّقة التي مرّ الكلام عليها

٣ الاحتفال بالزيارة

مهما كان الامر من بداية هذا المعبد واصل نشأتهِ فقد اعتاد سكان تلك النواحي منذ القدم انتياب هذه الرابية المنفردة لزيارة معبد العذراء والابتهال اليها وسط تلك الاطلال البالية دون ان يحول البعد بينهم وبين قضاء هذا الفرض الذي اخذوهُ عن اجدادهم فكانوا يأتونهُ على بعد ثمانية او عشرة فراسخ واحياناً على ابعد من هذه المسافة

وفي بادئ الامر لم يكن ثمت سوى طلل من الحجارة الضخمة على هيئة مذبح يظلّلهِ ثلاث اشجار من السنديان فيصلون امامهُ ويضعون هنالك تقادمهم وهداياهم. امَّا اليوم الثامن من شهر ايلول الواقع فيهِ عيد هذه السيدة فكان يوماً مشهوداً يحدث فيهِ على بسطة تلك الرابية من المظاهرات العديدة ما يحرك عواطف القلوب ويؤثر فيها اشدّ التأثير. ففي عشية ذلك اليوم كانت الرابية تغصّ على رحبها بجمهور الزائرين القادمين من اطراف بعيدة. فتارةً كانوا ينكبون على الصلاة واخرى كانوا يترغون بمديح البكر مريم. وذلك برئاسة كاهن قرية منجس المجاورة

واذا ما جنَّ الليل كانوا يتوسّدون تلك الاطلال او يستظلون ببعض الاشجار فيرقدون في ذرى البتول التي ترعاهم بعين لا تنام. وعند انبلاج الصبح كانوا يهبُّون من رقادهم باصوات الفرح والتهليل تجاوبهم جماعات عديدة قادمة من قرية منجس وعزير ودبابية وكفرنون ورماح وغيرها من القرى صاعدة الى هذه الرابية التي هي مطمح ابصار الجميع في مثل هذا اليوم الذي كانوا يصرفونهُ بين هزَّة طرب وصفاء ورغدٍ وهناء. وكان كل منهم يباهي صاحبهُ وينافسهُ بزخارف ملبوسهِ او بجوادهِ الذي يسبق الرياح وقد البسهُ سرجاً انيقاً يملك النظر او بسلاحهِ الغالي الثمن الحسن الطلق حتى يُخيل اليك يومئذٍ ان ثروة بلاد عكار بتمامها قد عُرضت في سوق المناظرة امام سيدة القلعة. وبعد ذلك كان يزدحم الزائرون على اختلاف عوائدهم ومعتقداتهم وجميعهم يقصدون من زيارتهم تكريم هذه السيدة التي كان يجلُّها سلفاؤهم ويكرّمها اجدادهم

فيحتفلون بقدَّاس كبير ترتفع فيهِ اصوات صلواتهم وابتهالاتهم حتى تملأ آذان السماء. ثمَّ ينفرد كلٌّ بعائلتهِ ويجلس معها للطعام. وكان يحدث احياناً ان بعض الزوار وفاء لنذرهِ يقوم بنفقة مأدبة عامَّة يدعو اليها لفيف الحاضرين. وبعد الفراغ من الطعام

بتذكار ميلاد السيدة مريم البتول صاحبة ذلك المقام عليها السلام. كبنين متفرّقين تربطهم رابطة الحنان البنويّ لهذه الام البتول التي ما برحوا من قديم الزمان ينضوون تحت لواء حمايتها. فهذا الاجتماع العام الذي يضمّ اولئك السكّان على اختلاف اديانهم هو وحده كافٍ لان يُثبت ان هذا المعبد كان موجودًا قبل ظهور الاسلام لمّا كان ملوك الروم يملكون الشرق بالسؤدد والفخر

وفضلًا عن ذلك فان بين الآثار المسيحيّة المكتشفة في نواحي عكّار بقايا معابد كانت مشيدة اكرامًا للبتول وكتابات عديدة على الحجارة كهذه: « منزل العذراء مريم — الى العذراء مريم — هنا يقيم ابن الله ووالدته مريم » الخ. وكل ذلك يدلّ على تمسُّك اولئك السكّان منذ القدم باهداب عبادة العذراء مريم. أفلا يمكننا بعد ذكر ما تقدَّم ان نجعل معبد سيدة القلعة في عداد تلك المعابد القديمة ؟ اي نعم وان لم يكن ثمّت دليل لامع يؤكد هذا الامر ويثبتهُ تمامًا

وما لا مرية فيهِ ان تلك الرابية كانت مأهولة على عهد الوثنيين. فانهُ قد اكتشفت في مكان معبد السيّدة كتابتان يُستدلّ منهما على هذا الامر (١ ولعلّ الفينيقيّين كانوا شيَّدوا هيكلًا لبعض آلهتهم في هذا المقام وكان دأبهم ان يقيموا هياكل لاصنامهم على كلّ قمة من قمم لبنان لاسيما اذا كانت حسنة الموقع بهجة المنظر كما بيَّن ذلك رينان في رحلتهِ الفينيقيَّة. وعلى هذا يكون معبد سيدة القلعة كآية انتصار البتول على الاوثان كما محقت ذكر الزهرة في حمص وبيتوقيقي وقيصريَّة لبنان (عرقا). فاستوت على قمّة تلك الرابية المرتفعة « مشرقةً كالصبح جميلة كالقمر مختارةً كالشمس مرهوبةً كصفوف تحت الرايات » (نشيد الانشاد ٦ : ٩)

ويؤمل اكتشاف آثار غير هذه تزيل كلّ ريب في ذلك

١) قد كتب على احداهما اسمٌ يونانيّ بدؤهُ ..ΔΑΦΑΘ. اما الثانية فهي مكتوبة باليونانية على قطعة من الحجر البركاني وترتقي الى الجيل الاول من النصرانية هذا حرفها مع تتمَّة الفاظها بين هلالين

Ἔτο(υς)..υ' Ἀρ(τε)μι(σίο)υ Δα.ας Βε(ε)λβα(ράχου).

وقد فسَّرها الاب لامنس (في مجلة الشرق المسيحي س ١٨٩٩ ص ٥٧٩) كما يأتي: « هذا تاريخ المسمَّى داداس (او داماس) مات في شهر ارتميس في السنة ٤٠٠ (للاسكندر الموافقة لسنة ٨٨ م)

وفارس. واشتهر منهم يوسف فانَّهُ رقي الى درجة الكهنوت وخدم كنيسة بيروت زمنًا طويلًا واشتهر فيها بتقواهُ وغيرتهِ وتزاهتهِ قيل انَّهُ عُرضت عليهِ الاسقفيَّة فرفضها تواضعًا. وقد اوقف عند وفاتهِ كلَّ اموالهِ على الكنيسة التي خدمها في حياتهِ. وكانت وفاة سعد الاخ الثاني سنة ١٨٥٩

امَّا فارس فكان اشهر اخوتهِ واوسعهم فضلًا واغزرهم عقلًا وهو اسم الخوري ارسانيوس عُرف بهِ الى زمن كهنوتهِ. وظهرت على وجههِ ملامح الذكاء منذ صغرهِ فارسلهُ والدهُ سنة ١٨١١ الى مدرسة الروميَّة فبقي فيها مدّة. ثمَّ أدخلهُ سنة ١٨١٤ مدرسة مار انطونيوس المشهورة بعين ورقا

وكانت عين ورقا في ذلك العهد اشهر مدارس لبنان كان انشأَها في سنة ١٧٨٨ البطريرك الطيّب الذكر يوسف اسطفان واخوهُ المطران الجليل بولس مع بقيَّة اسرتهما الفاضلة. وجعلوا لها من المعلمين كهنةً علماء كانوا تخرَّجوا في المدرسة الرومانيَّة فزهت مدرسة عين ورقا بالعلوم النحويَّة والمنطقيَّة واللاهوتيَّة مع تعليم اللغات الاجنبيَّة وما عتمت ان صارت بعد قليل من الزمان موردًا يتوارد ليستقي من ينابيعهِ الصافية اولاد الشيوخ والاعيان من كلّ انحاء لبنان

ولمَّا دخل فارس تلك المدرسة انكبَّ فيها بكل نشاط الى درس العربيَّة بكلّ فروعها والطليانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة والمنطق والفلسفة واللاهوت النظريّ والادبي والحقّ القانوني والشريعة الدنيَّة ونبغ بجميعها حتى اصبح ممَّن يشار اليهم بالبنان في عصرهِ

وممَّا تفرَّد بهِ درس التاريخين الديني والدنيويّ. رويَ عنهُ انَّهُ كان يسرد حوادث الازمنة السالفة ببداهة عجيبة حتى انَّ من يسمعهُ كان يُخيَّل لهُ انَّهُ يقرأ كتابًا مطولًا بإزاء عينيهِ لا انَّهُ يذكر ما استظهرهُ بالدرس وحفظهُ على ظهر القلب. وكان مع ذلك كلِفًا باخبار العرب عالمًا بايامهم واعيًا لامثالهم يروي عن قدماء شعرائهم ما تيسَّر لهُ من القصائد. فجادت بذلك قريحتهُ واخذ ينظم الشعر الجيد السَّلس

الَّا انَّ حبَّ الشماس فارس للعلوم لم يصرف نظرهُ عن احراز الفضائل المسيحيَّة فكان يوطّن نفسهُ على ضروب البرّ والصلاح ويتروّض في سبيل التقى والورع حتى انَّ روَساءهُ كانوا يعرضونهُ كمثالٍ لجميع الطلبة. ثمَّ انتدبوهُ الى التعليم سنة ١٨٢٤ في

كانوا كلهم يلهون ويطربون ويسترسلون الى الفرح والسرور . فمنهم من كان يشدو ويترنم بالالحان الوطنيَّة المعروفة عندهم ومنهم من كان يتمايل طربًا ويصفق بيديهِ ويخالف بين رجليهِ موقعًا رقصــةُ على اصوات المزمار ورنَّات النقر على الدفوف وقرع الطبول ومن الفرسان من كانوا يتبارون ويتسابقون ويعمدون الى اللعب المعروف « بلعب الجريد » الى غير ذلك من دواعي المسرَّة والطرب المألوفة في اعيادهم الاحتفاليَّة

ثم ينفرط عقد هذا الجمع بعد ان يأخذ كل منهم لعليلهِ قبضةً من التراب الذي هو حوالي المذبح وقليلًا من ماء البئر المحفورة بين تلك الآثار (التتمة للقادم)

الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

تحضُّنا الاسفار الكريمة (ابن سيراخ ٤٤) على « مدح الرجال النجباء ذوي الفضل والاقتدار الذين تخرَّجوا في أقوال الحكمة وانشدوا قصائد الكتاب ممَّن انشأ الربُّ فيهم مجدًا اثيلًا وأبدى على يدهم عظمتهُ منذ الدهر . فاجسامهم دُفنت بالسلام واسماؤُهم تحيا مدى الاجيال » . على اننا لا نشكُّ في انَّ المثلَّث الرحمة الطيِّب الذكر الشاعر المطبوع ارسانيوس الفاخوري احد هؤلاء الرجال الذين يستحقون مثل هــذا الثناء لما جمعهُ في شخصهِ الكريم من سعة الفضل ونجابة العقل وسموّ المدارك وعلوّ الهمَّة . فذلك ما حملنا على تدوين شيء من اعمالهِ المبرورة وذكر تآليفه المشكورة التي احرزت لهُ بين مشاهير السوريين في عصرنا مقامًا ممتازًا . ولا نرى بدًّا في مقدّمة هذه النبذة الوجيزة من شكر آلهِ وانسبائهِ الافاضل لاسيما حفيد عمهِ الشاب الاديب والاستاذ البارع يوسف افندي الفاخوري لما تكرَّموا علينا بهِ من الافادات

١

ولد هذا الفقيد الجليل سنة ١٨٠٠ (١ في قرية بعبدا من ابوين فاضلين ورعين . وكان اسم جدّهِ ابراهيم (٢ واسم ابيهِ يوسف وولد ليوسف ثلاثة بنين سعد ويوسف

١) كذا افادنا جناب يوسف افندي الفاخوري . وفي العدد ٣٨٧ من جريدة المصباح انهُ ولد سنة ١٨٠١ . والله اعلم

٢) وابو ابراهيم يدعى يوسف كان يسكن بيروت فدعي لذلك بالبيروتيّ ولُقّب بالفاخوري لانَّهُ ضمن فواخيرها مدَّةً ثمَّ انتقل الى بعبدا



صورة الشاعر الشهير والكاتب النحرير

الخوري ارسانيوس الفاخوري

مدرسة عين ورقا فوجدوهُ استاذًا حاذقًا يُحسن تلقين العلوم لغيرهِ كما برع هو فيها بنفسهِ. ومن تلامذتهِ غبطة السيّد البطريرك السعيد الذكر بولس مسعد. قيل انّ الفقيد آخذ يومًا تلميذهُ لبعض قصور صدر منهُ في دراسة امثولتهِ فقال لهُ أحد الكهنة الافاضل اسمهُ عبد الله: يا معلّم فارس أهكذا توبّخ من يصير يومًا بطريركًا على الطائفة المارونيَّة؟. وكان الخوري ارسانيوس يروي بعدئذٍ هذه الفكاهة ويتعجَّب من فراسة قائلها

وفي تلك الاثناء استأثر الله بنفس والدهِ يوسف فمات ميتةً صالحة في سنة ١٨٢٥ فقال ابنهُ فارس يرثيهِ وهي اول قصيدة بلغتنا من نظمهِ:

ما في بنا هذي الديار خلودُ والى هيولاها الجسوم تعودُ

وهي طويلة نقتطف منها بعض ابياتها:

لا خير في الدنيا على الاكدار قد طُبعت فصفوًا كيف انت تريدُ
أَفمن غراب البين تُؤمِل نغمةً حسناء او من صوتهِ التغريدُ
فالدهر خدَّاعٌ يعلّل بالمُنى واليك يهجم غائلًا ويكيدُ
قد كادني ورمى بسهمٍ صائبٍ مَن منهُ لي في الكون ثمَّ وجودُ
اشكو بعادك يا ابي وأَودُّ لو انَّ المسبّب للبعاد بعيدُ
وابيك احسدُ من ينادي يا ابي يا ليت في هذا انا محسودُ
قد عاد بعدك مأنسي في وحشةٍ وعلا موائد عيشتي التنكيدُ
ابكيك في اكلي وشربي نائحًا وانا بنوحي والبكاء فريدُ
كيف التصبر والتجلُّد والحنا يا حسرتي ومدى الفراق بعيدُ
ما لي عزاءٌ غير تقواكَ التي مارستَها حتَّى حواك صعيدُ
قد عشتَ في حبّ الالهِ وحبُّهُ يومًا فيومًا فيك كان يزيدُ
لا شكَّ انك قد حظيتَ بغبطةٍ منهُ جزاءً والنصيب سعيدُ

وبقي الشماس فارس في منصب التدريس سنتين الى ان اتَّصل خبرهُ بغبطة السعيد الذكر البطريرك يوسف حبيش فاستدعاهُ الى كرسي البطريركيَّة في بكركي ورقَّاهُ الى رتبة الكهنوت سنة ١٨٢٦ ودعاهُ باسم ارسانيوس. وكان بتولًا

٢

ورغب البطريرك المذكور ان يتولى الكاهن الجديد القضاء في جهات لبنان فوجَّههُ الى المطران جبرائيل الناصري وهو وقتئذٍ من مشاهير قضاة الجبل في ايّام اصيل

بيت المجد والشرف الامير بشير قاسم شهاب ليأخذ عنهُ الفقه. فاجاب الخوري ارسانيوس الى امر مولاهُ ودرس الفقه درساً نعماً حتى اتقن اصولهُ وادرك مشاعبهُ. ثمَّ استدعاهُ السيد البطريرك ثانيةً نحو سنة ١٨٢٧ واتخذهُ كاتباً لاسرارهِ في بكركي فلزم الكرسي البطريركي ثلاث سنوات يخدم طائفتهُ بما عندهُ من الغيرة والنشاط لا تأخذهُ في اتمام واجباتهِ لومة لائم. ثمَّ طلب القاصد الرسولي السيد لوزانا (Losana) من غبطة البطريرك المذكور كاهناً تقياً عالماً يعرف جيداً اللغتين العربيَّة واللاتينيَّة ليتخذهُ لهُ كاتباً وترجماناً في شؤون القصادة. فصدر امر البطريرك الى كاتب اسرارهِ ليتحوَّل الى هذا المنصب الجديد فقام الخوري ارسانيوس بهذه الوظيفة احسن قيام مدَّة سنة حتى تعيَّن القاصد اسقفاً على بيالا (Biéla) في ايطالية

ولمَّا دخلت سنة ١٨٣١ وانشأ الخوري عبد الله من آل اصاف الكرام مدرسةً جديدة في مار عبدا هرهريا. وكان قبل ذلك في هذا المكان دير للراهبات وهو يخصّ عيلة بيت اصاف فجعلهُ الخوري عبد الله برضى العيلة مدرسة عموميَّة. واستأذن غبطةَ السيد يوسف حبيش في استدعاء الخوري ارسانيوس الفاخوري ليدرّس فيها العربيَّة واللاتينيَّة فتقدَّم السيد البطريرك اليهِ بذلك فامتثل امرهُ وقال الاستاذ الجديد في تاريخ المدرسة :

أَحسن بمدرسةٍ بدت مزدانةً　　بوشاح سعدٍ ثم خيرٍ شاملِ
رعياً لها ولسان تاريخي دعا　　يا ربِّ خلّدها بخيرٍ كاملِ

واحسن الخوري ارسانيوس في هذه المدرسة التعليم والتوقيف واجاد في الالقاء والتثقيف. وممَّا يخبر انَّ تلاميذهُ حازوا جميعهم قصب السبق ونالوا الرُّتب الممتازة في لبنان منهم سيادة الحبر العالم المفضال يوحنَّا الحبيب مؤسس جمعيَّة المرسلين في الكريم والطيِّب الاثر الشيخ بشاره الخوري والخوري عبد الله العَقيقي الذي قضى في الجبل على ايَّام رستم باشا والخوري انطون حبيش والخوري فرنسيس زوين رئيس دير مار روحانا والدكتور غالب البعقليني وغيرهم الذين اشتهروا في زمانهم بمعرفة اللغات والآداب

ثمَّ قدم سنة ١٨٣٢ بلاد سوريّة السيد الفاضل الشهير يوحنَّا المعمدان اوفرني (M^{gr} Auvergne) موفداً من قبل امام الاحبار بصفة قاصدٍ رسولي. فطلب الى

ولمَّا استرجعتهُ دولتهُ الى انكلترة ابى ان يعود دون ان يشكر لاستاذهِ فضلهُ وقدَّم لهُ مبلغًا من المال يُدفع لهُ كراتب سنوي ما دام حيًّا ولورثائهِ بعد وفاتهِ. فرفض الخوري هبتهُ لشرف نفسهِ وكرم طباعهِ. وقد سنحت الفرصة لهذا الرجل الشريف ان يمرَّ ببيروت منذ ثلاث سنوات فاحبَّ ان يفتقد استاذهُ القديم في لبنان ولمَّا علم بوفاتهِ بدت على وجههِ امارات الحزن وطلب ان يجتمع ببعض آلهِ الكرام ليبثَّ لهم ما انطوى عليهِ صدرهُ من عواطف المنَّة لمعلّمهِ السابق. فلمَّا رآهم اخذ يبكي متأثّرًا لمنظرهم وافاض امامهم بمديح الخوري ارسانيوس صديقهِ الحميم

وفي سنة ١٨٣٨ توفّي قاضي نصارى لبنان المطران جبرائيل الناصري فلم يجد الامير بشير الشهابي الكبير رجلًا احقَّ بهذه الرتبة من الخوري ارسانيوس لما بلغهُ من علمهِ وفضلهِ فقلَّدهُ القضاء. وكان وقتئذٍ ديوان القضاء في جونية فلمَّا اتاها المرحوم كان اول ما كتبهُ فيها تاريخًا لضريح سلفهِ الجليل ومعلّمهِ النبيل المطران جبرائيل فقال:

حزتَ الفَخار ايا ضريحٌ ضمَّنَهُ حبرٌ امين بالجهاد أصيلُ
فقضى الاله لهُ بمجدٍ راسخٍ لله من قاضٍ قضاهُ فضيلُ
بشراك فالمولى يقولُ هلمَّ يا عبدًا امينًا ساد وهو خليلُ
فلك الهنا مولاي بل ارَّختُ ها فقتَ الملا ببشارة جبريلُ

واستمرَّ الخوري ارسانيوس يقضي في مركزهِ بكلّ حقّ وعدل. وكان هذا الرجل البارّ لا يأخذ بالوجوه ولا يحابي احدًا في الحكم وينتصر للضعيف من القوي وللفقير من القدير حتى شاع فضلهُ في كلّ لبنان. وكانت الدروز والمسلمون فضلًا عن النصارى يتحاكمون اليهِ ويرضون بما قضى لما يعلمون من استقامتهِ ونزاهة نفسهِ. وكان مع ذلك لا يحبّ هذه المناصب الشريفة ويؤثر عليها العزلة وقد قال في ذلك قصيدة طويلة يصف فيها ثقل الرئاسة وحمل القضاء منها قولهُ:

يا طامعًا بلذاذ شَربِ ولايةٍ في شَربها مرُّ المذاق قد اتَّصلْ
فيغرُّك الجاهُ الرفيع وانت لم تعلم بانَّ السمَّ في ذاك العسلْ
تولي السرورَ رئاسةٌ بفخارها لكنَّ فيها الغمُّ عاقبة الجذلْ
وعلى الخصوص أُولو الولاية في القضا يتكبَّدون مكارهًا لا تُحتملْ
فلأنَّ من يُؤتى القضا كثرتْ بهِ اخصامهُ فيهِ استقام او انفتلْ
صدق المقال بانَّ نصف الناس اعداءٌ لذي الأَحكام يومًا إن عدلْ

ومنها: إرضاءُ كلّ الناس امرٌ مستحيلٌ في الدُّنى ضاقت بهِ كلُّ الحيلْ

السيّد البطريرك يوسف حبيش ان يرجع الى كرسي القصادة الكاتب السابق فلبّى غبطتهُ طلبة القاصد وخدم المرحوم ٦ سنوات القصادة الرسوليّة بكل نشاط. وهو الذي عرّب المناشير التي الّفها السيّد اوقرني وطبع منها قسماً في الشوير وقسماً في مطبعة طورسينا

وكان الخوري ارسانيوس يرافق القاصد الرسولي في اسفارهِ كلها ويتولى معهُ الارشاد والرياضات الروحيّة. ولمّا بلغ امر الكرسي الرسولي في سنة ١٨٣٦ السيد اوقرني يوعز اليهِ بان يذهب الى بغداد ويُصلح خللًا وقع في كنائس تلك البلاد خرج معهُ الخوري ارسانيوس بيد انهُ ابتلي بمرض في اللاذقيّة فاضطرّ الى الرجوع الى لبنان

وتوفي بعد ذلك بقليـــل السيّد اوقرني في ديار بكر مصاباً بالهواء الاصفر في ١٢ تشرين الاول سنة ١٨٣٦. وبقي الخوري ارسانيوس زمناً معتزلًا عن الاشغال في بيتهِ. بيد انَّ كثيرين اخذوا يتواردون اليهِ ليتتلمذوا لهُ ومنهم السيد ريشرد وُود (Wood) احد رجال الدولة الانكليزيّة وكان كاثوليكيًّا ذا جاهٍ عظيم ونفوذ كبير تعلّم اللغـــة العربيّة عنـــد الخوري ارسانيوس فاتقنها. وقد امتدح المعلم تلميذَهُ بعد ذلك سنة ١٨٤١ بقصيـــدة عامرة الابيات اثنى فيها عليهِ لسعيهِ في مساعدة الدولة العليّة ونجاة سوريّة من الدولة المصريّة. وهذا مطلع القصيدة:

للهِ راحٌ راحةُ الندماء تُجلى بكأس كُلِّلت ببهاء

الى ان قال:

فتعطّرت انفاسنا منها كما قد عُطِّرت بمديح ذي الآلاء
ريشَرد وُودٍ من علا بمناقبٍ وبلاغة وبراعة وذكاء
ندبٌ تسامى بالسجايا والحجى ومكارم جلَّت عن الاحصاء

ومنها:

ورعى العليُّ الربُّ ريشردَ الذي نجّى معاهدنا من الضرَّاء
وافى وبحرُ الجور يعلو طامياً متهيّجاً من ريحـهِ النكباء
من مصر كان مَهبُّها فربوعنا وديارنا بادت بذي الانواء
بل ارضنـا غرقت بلجّ مياههِ اذ حولها دارت كما الارحاء
فاقامنا من لجّةٍ بجهادهِ وبهِ خرجنا من ثجيج الماء
فكانهُ موسى مخلّص قومهِ قد شتّت الاعداء في البيداء
من ظلم مصر قــد نجت اقطارنا بغريب فعل عن يدٍ بيضاء
وجنودهم ولّت لشدَّة عزمهِ تبغي التخلّص من طلول دمـاء
والى اراضي مصرَ عادوا وانثنوا في خيبةٍ بل ذلّة وبكاء

وبقي السيد وُود مدَّة في سوريّة تربطهُ والخوري ارسانيوس روابط الأُلفة والولاء

٣

ومن ذاك الوقت أوى المرحوم الى بيتهِ مع آلهِ وتفرَّغ للتأليف والتصنيف وكان الناس يقصدونهُ في حلّ مشكلاتهم وفصل منازعاتهم . وكثيرًا ما كان الاشراف واصحاب الامر يطلبون مشورتهُ ويستعينون بمعارفهِ الجمَّة نخصُّ منهم بالذكر متصرّفي لبنان المرحوم داوود باشا وفرنقو باشا ورستم باشا . والحَّ عليهِ الاول بقبول رتبة القضاء على كسروان فاحتجَّ بوجع عيونهِ . لكن ذلك الرجل الشريف وعدهُ بان يعيّن لهُ كتَّابًا يخففون عليهِ شغلهُ ويكتفي هو بالحكم فأَبى وتملَّص بعد العناء الطويل من هموم هذا المنصب . امَّا سعادة رستم باشا فانهُ لم يكتفِ بزيارتهِ مرّتين في بيتهِ في غزير بل اعرب لهُ امام الجمهور عن اعتبارهِ السامي لشخصهِ الاثيل . وللخوري المرحوم قصيدة امتدح بها سنة ١٨٧٣ هذا المتصرف الخطير . مطلعها :

ابدت طلا الافراح ليلًا مشارقا جلتها لنا البشرى فشمنا بوارقا

ولازم المرحوم دارهُ سنين طوالًا يشتغل بالتأليف نظمًا ونثرًا لا يأخذهُ سآمة ولا ملل حتى اشتدَّ عليهِ مرض البصر واصبح ضريرًا . فكانت لهُ هذه المحنة مؤلمة جدًّا لكنَّهُ رضي بقضاء ربّهِ وصبر على بليَّتهِ صبرًا جميلًا . ومع كل ذلك كان يقرض القريض وينسج النثر ويملي منظومهُ ومنثورهُ على من يكتبهما لهُ فكانت قصائدهُ بديهيَّة شبيهة بالارتجال

وكان الخوري ارسانيوس واعظًا بليغًا وخطيبًا مصقعًا تولى مرارًا عديدة ارشاد النفوس فهداها الى سبيل الصلاح بكلامهِ المملوء رشاقة . وكان باشر الكرازة منذ تبع القاصد الرسولي لوزانا فوعظ بالعربيَّة في بيروت ولبنان . ورافق ايضًا السيّد اوڤرني خلف السيد لوزانا في رسالاتهِ . وكان يترجم بالعربيَّة مواعظ القاصد . ويتذكر اهل غزير الى يومنا هذا رياضةً روحيَّة كرزها السيد اوڤرني مع الخوري ارسانيوس غصَّت فيها الكنائس لاستماع كلام الله وللاقبال على التوبة . ولمَّا أُصيب الخوري ببصره لم ينقطع عن القاء الوعظ للشعب وتلقين العامَّة مبادئ الدين

ومن اعمالهِ في ايام شيخوختهِ انهُ درَّس الفقه بعض الطلبة منهم المرحوم الخوري يوسف الهاني (المدعو قبل الكهنوت بمنصور الهمش) الذي انتظم في سلك جمعيَّة الكريم والمرحوم الخوري لويس (عازار) زوين مؤسّس مدرسة مار لويس

فابن الاله بنفسهِ لم يُرضهمْ وهو الكمال بعينهِ باري المِلَلْ
خذهُ مثال الصبر مقتدياً بهِ فغدا مثالاً لا يحاكيهِ مثلْ
واصبر ولا تعبأ بقدحٍ قد بدا من جاهلٍ او من حسودٍ قد عذلْ
فاريجُ عرف العدل يؤذي بالجهو لِ كما اريجُ الوردِ يؤذي بالجُعَلْ

وبقي الخوري ارسانيوس ثلاث سنين في منصب القضاء الى آخر عهد الامير بشير سنة ١٨٤٢ فلمَّا دعت الدولة السنيَّـة ذاك الحاكم الشهير الى الاستانة مدحهُ الخوري ارسانيوس بقصيدة عامرة الابيات وذكر بنيهِ واسرتهُ الشريفة. ومطلع قصيدتهِ:

عُجْ يا مجدًّا بالذهابْ وامشِ الهوينا بالركابْ

الى ان قال:

ما لذَّ لي من بعدهم اكلٌ ولا شربُ شرابْ
فالرَّبعُ من هجرانهم ورحيلهم اضحى يبابْ
بالحيّ قد حلَّ الدُّجى وعلى الذرى نعق الغرابْ
غابوا وغاب ضياؤهم وبدا الاسى عند الغيابْ

ومنها في مدح الامير بشير:

نورٌ توارى كيف لا وبهِ نأى ذاك الشهابْ
مولًى اميرٌ ماجدٌ سامي الذرى عالي الجنابْ
قَرْمٌ بشيرٌ جهبذٌ والمجد منهُ في قبابْ
ليثٌ جسورٌ ضيغمٌ طامي الندى رحبُ الرحابْ
أورى بصارم عدلهِ م الاشرار في جوف التُرابْ
وحوى سناءً سامياً فسما بهِ فوق السحابْ
انجالهُ وبنوهمُ يبدون كالبحر العبابْ
كالشمس اضحى بينهم وهم البدورُ بنو الشهابْ

وطلب المرحوم ان يعتزل اشغال القضاء بعد ابتعاد وليّ نعمهِ فلم يقبل استعفاءهُ الاميرُ حيدر اللمعي خلفُ الامير بشير في ولاية لبنان وثبَّتهُ في منصبهِ واختارهُ سعادة الوزير اسعد باشا مشير ايالة صيداء وطرابلس ليكون عضوًا في مجلس المسلوبات في بيروت في دعوى النصارى والدروز سنة ١٨٤٢. ثمَّ عاد الخوري الى اعمال القضاء فقام باعبائها حقَّ القيام مدَّة اربع عشرة سنة الى ان حصل لهُ مرضٌ في عينيهِ فانتهز هذه الفرصة ليقدّم استعفاءهُ واحتجَّ بقصورهِ عن اتمام واجبات مهنتـهِ فصُرف عن رتبتهِ عزيزًا مكرَّمًا سنة ١٨٥٦

مطوّل في الصرف والنحو (لم يُطبع) . ٣ً قواعد اللغة السريانيَّة (لم يُطبع) .
٤ً روض الجنان في المعاني والبيان نُشر في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٦ .
٥ً شرح ديوان المتنبي (لم يُطبع) . ٦ً كتاب الميزان الذهبي في الشعر العربي طُبع في المطبعة العموميَّة سنة ١٨٧٣ . ٧ً كتاب زهر الربيع في فنّ البديع طُبع في المطبعة المذكورة سنة ١٨٦٨ وهي بديعيَّة منظومة ومشروحة في مدح السيد المسيح ووالدتهِ البتول ورسلهِ الاطهار ابياتها ١٤٧ بيتًا ومطلعها:

فحيِّ حيَّ الجليل الجامع العِظَمِ وبيت لحمٍ وآلاً قد سمتْ بهمِ

٨ً و ٩ً ولهُ بديعيَّتان اخريان اثبتنا احداهما في مجموعنا المعروف بمقالات علم الادب (١: ٢٩٥ — ٣١١) . والاخرى لا تزال غير مطبوعة . ١٠ً ومجموع مواعظ مختلفة كان الَّفها لنفسهِ ولتلامذتهِ . ومن جملة هؤلاء حضرة الاب الغيور الطيّب الذكر لويس كانوتي اليسوعي رئيس مدرسة غزير وكان يعهد الى الخوري ارسانيوس اصلاح عظاتهِ وقد قال الخوري في مدحهِ يوم عيدهِ قصيدةً مطلعها:

يا لعيدٍ قد ملانا بهجةً وسرورًا وحبورًا وجذلْ
عيد غُنّزاغا لويسٍ من علا شرفًا في مجدهِ برجُ الحمَلْ

وكان رحمهُ الله كثير النظم جيد القريحة غزير المادّة ينشد الشعر عفوًا دون تصنُّع . وديوان شعرهِ ينيف على ٤٤٠ صفحة فيهِ القصائد الحسنة ذات المعاني المبتكرة والمواضيع الشريفة منها دينيَّة ومنها علميَّة وادبيّة وفي كلها من التفنن ما لا يُنكر . ولعلَّ شعراء عهدنا يجدون في هذا النظم الغثَّ والسمين لكنَّ ذلك لا يبخس من قدر صاحبهِ لما ابتلي بهِ من ضعف البصر ولكثرة ما باشر من الاشغال المتباينة . ولنا الامل ان حفيد عمهِ المعلم يوسف افندي الفاخوري ينقح هذا الديوان وينشرهُ بالطبع عمَّا قليل . ولولا الخوف من الاسهاب المملّ لاوردنا هنا شيئًا من القصائد التي نسج المرحوم بردتها في مدح مشاهير زمانهِ ووصف حوادث وطنهِ . وانَّما نكتفي اليوم بقطعةٍ من وصفهِ لجبل لبنان قالها سنة ١٨٥٤:

سقاك لبنان ربُّ الكون اضعافا صَوبَ الحيا عمَّ اجرامًا واكنافا
لا زال طُورك فوق النجم مرتفعًا يقيم فوق الثريَّا منهُ أظلافا
لله من مربع راقت خمائلهُ فاقت بذلك اغصانًا وألفافا
بالحسن متَّصفٍ بالظرف مؤتلفٍ باللطف ملتحفٍ قد فاق اوصافا

وكلاهما من تلامذة الاباء اليسوعيين في غزير . والمرحوم يوسف حبيب باخوس الشاعر الشهير . وكلهم برعوا تحت تدبير معلمهم الفاضل

وكان رحمهُ الله في مدَّة مرضهِ الذي دام نحو سبع عشرة سنة لا ينقطع البتة عن اتمام واجباتهِ الكهنوتيَّة وكان يقرّب كلَّ يوم الذبيحة الالهيَّة الَّا انَّ شماسهُ كان يتلو الانجيل بدلًا منهُ وذلك برخصة من السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد تلميذهِ القديم وكان سمح لهُ بان يقيم لهُ معبدًا خصوصيًا واذن لعيلتهِ ان تحضر القداس فيهِ ايَّام الاعياد ما عدا يوم الفصح

ثمّ طعن هذا الاب الجليل في الشيخوخة فعانى مشاقَّها وقاسى اتعابها بمزيد الصبر وملازمة التجلد وكان كلّ يوم يُعدّ نفسهُ لملاقاة ربّهِ والتمتع بنظرهِ الى الابد . ولقد نظم قبل وفاتهِ بيوم واحدٍ قصيدة بيَّن فيها ما يكنُّهُ قلبهُ الطاهر من الحبّ للمسيح الٰهِهِ فكان شعرهُ اشبه بصوت المنفي المتلهّف الى وطنهِ السماوي :

نفسي تناءت عن حماك بوزرها ... يا خالقي قد اسخطتك بشرّها
فبحبك السامي انحدرتَ من السما ... لخلاصها وفدائها من اسرها
اذ متَّ عريانًا ومصلوبًا على ... عودٍ لتكسوها ملابس برّها
يا ربَّها الفادي يسوع إلهنا ... لكمُ السجود من النفوس بأسرها
خذني اليك لكي احبك في السما ... حبًّا عظيمًا كاملًا في خدرها
فلاشكرنَّك ما حييتُ وان أَمُتْ ... فلتشكرنَّك اعظمي في قبرها

ولمَّا احسَّ بدنو اجلهِ تزوَّد بالاسرار المقدَّسة وجدَّد صورة ايمانهِ معربًا عن ارادتهِ بان يحيا ويموت في حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة ثمَّ اسلم روحهُ الطاهرة الى خالقهِ في ٢٧ من تشرين الاول(١ سنة ١٨٨٣ تغمدهُ الله برضوانهِ واسكنهُ فسيح جنانهِ . ولمَّا ذاع نعيهُ بكاهُ كلُّ من عرفهُ لاسيما افراد الناس والعلماء واجتمع في مأتمهِ عددٌ لا يحصى من الكهنة والذوات وقُبر في كنيسة مار ميخائيل

وللخوري ارسانيوس تآليف كثيرة خدم بها العلم والدين خدمةً حسنة دونك اسماءها : ١ً شرح ديوان الحبر العلامة المطران جرمانوس فرحات . وهو شرح مطول لم يُطبع حتى الآن . ٢ً كتاب كفاية الطلاب في التصريف والاعراب وهو كتاب

١) كذا روى المصباح في هذا التاريخ . وفي الاعلامات التي أُرسلت الينا من اهلهِ انَّهُ توفي في ١٣ ت ١

لعبٍ يلهيهم عن الملل والبطالة فلم يجدوا لهوًا افضل من لعب الاستتار (cache - ca-che) وذلك بان يتوارى اثنان منهم في بعض المخابي ويبحث عنهما الآخران الى ان يقفا على مكانهما

فتفرَّق للحال اصحابنا في انحاء القصر بجلبة عظيمة لم يُسمع لها مثيل منــذ يوم اكليل لوسيًا المفقودة. فكانوا يدورون في مقاصير الحصن وينزلون في اسرابهِ ويطلعون الى سطحهِ حتى بلغ احدهم وهو موريس دي لوساك الى الدهليز الذي وصفناهُ سابقًا فوجدهُ احسن موضع للاستتار عن اصحابهِ فانساب بين الاخشاب الملقــاة وهو يقهقه فرحًا لوجودهِ مثل هذه المخبأَة التي ييأَس رفقتهُ من اكتشافها

ولمَّا وصل الى السرب المتسع الجوانب بقي هنيهةً لاطيًا فيهِ ينتظر ما سيكون من امر رفقتهِ. فبعد ثلاث دقائق سمع ضوضاءَهم عن بعد فخاف ان يعثروا عليهِ فالتجــأَ الى زاوية في اقصى السرب مستندًا الى جدارها فاذا بالحائط يتحرك فضرب بيدهِ الجدار واذا هو باب يدور من داخلهِ على عتبة متوارية في الارض وكان البــاب اذا أُقفل لا يختلف عن جوانب السرب شيئًا فيظنُّهُ الرائي انَّهُ احدى زواياهُ

فدفع موريس هذا الباب بشدَّةٍ وكان من الحديد فرأَى وراءَهُ معبرًا. ففكر ان يتستَّر في داخلهِ لئلا يجدهُ رفقتهُ فدخل المعبر وترك الباب وشأْنهُ فعاد الباب الى مكانهِ بقوَّة لولبٍ دفعهُ الى العتبة. فانقفل وسُمع لهُ صوتٌ مرنّ ارتجفت لهُ فرائص موريس ولكن لم يكن المسكين ليظنّ انَّهُ وقع في داهيةٍ دهياء تذيقهُ الموت الوانًا لاسيما انَّهُ كان يسمع ضوضاء رفقتهِ عن كثب. فصمت لم يبدِ حراكًا ريثما يبتعد عنهُ طالبوهُ فيخرج اليهم ويمزح بهم لعدم وقوفهم على مختبإِهِ

وكان موريس واقفًا في معبرهِ وهو في الظلمة الحالكة لا ترى عينــاهُ شيئًا. فلمَّا مضى عليهِ بضع دقائق وسكنت اصوات رفقتهِ اراد ان يفتح الباب ويرجع الى سرب الاخشاب ويخرج منهُ الى الدهليز الذي في زاوية الحديقة فلم يجد ليدهِ مقبضًا يفتح بهِ الباب المقفل وراءَهُ. وكان الباب كلهُ مصفَّحًا بصفائح الحديد فتحيَّر لذلك ثمَّ اخذ يدخل اظافرهُ واطراف اصابعهِ في مَوصل الباب باطارهِ فلم تنشب اظافرهُ في الصير بتَّةً وكان اطار الباب لا يكاد يتميز عن جوانبهِ

ففزع موريس وصرخ مرعوبًا فلم يُسمع لصوتهِ صــدى. فاراد ان يتجول في

حكى جناناً بانهـار مدفّقة يخالها قرقفاً من كان مُهتافا
وقد غدا نزهةَ المشتاق منظرهُ اذ عمَّهُ الحسن اوساطاً واطرافا
فالرأسُ في بلَجٍ والسفح في بهجٍ والذيل في وهجٍ قد ضمَّ اسجافا

ولهُ القصائد الدينيَّة الحسنة جارى فيها الشاعرين المفلقين السيد جرمانوس فرحات والخوري نيقولا الصائغ نخصّ منها بالذكر قصيدتهُ الالفيَّة في اثبات الدين المسيحي ومدحهُ للكنيسة الرومانيَّة وبيان رئاستها وتهنئتهُ للبابا بيوس التاسع في يوبيلهِ الاسقفي وتاريخهُ لعقيدة حبل العـذراء بلا دنس الى غير ذلك. وكان بردّ الله ضريحهُ يكاتب العلماء والادباء ومنهم من نظم القصائد في مدحهِ من ذلك ما اطراهُ بهِ العالم العلامة الشيخ يوسف الاسير:

اوحشتنا بالتنـائي ايها الخوري فانت بالفخر لا الفخّار فاخوري
كذاً نظنُّك من قول الوشاة سوى ما قد رأينا وما سمعٌ كمنظورِ
انَّا وجدناك حبرًا كاملًا بطلًا في العلم والحلم بل في الحكم ذا النورِ
خوري ولكنَّهُ اعيت بلاغتهُ قسًّا بفضل فضالٍ غير منكورِ

وهي طويلة اكتفينا بما سبق لبيان فضل صاحب الترجمة زاد الله في ثوابهِ ونفعنا بتآليفهِ وآدابهِ

الفتاة المفقودة

رواية تاريخيَّة عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

وكان وجه الشمس في اثنـاء زيارة الشبَّان الاربعة لقصر مُونسيغور قد تبرقع بالغيوم وانتشر في السماء عارضٌ من السحب المتكاثفـة ولمعت في الافق بروقٌ خاطفة. فخاف الزوار اذا خرجوا من القصر ان تدركهم الامطار في طريقهم ولا يبلغوا قريةً اخرى يبيتون فيها ليلتهم الَّا بعد العناء التامّ. فطلبوا من الحاجب ان يرخّص لهم بان يقضوا تلك الليلة في القصر فلبى الى دعائهم بطيب القلب

ثمَّ اخذ الزوَّار يروّحون النفس في خمائل الحديقة واستنشاق زهورها العطرة الى ان أَخذهم السأم من الحديث. فعرض موريس دي لوساك على رفقتهِ ان يقضوا مساءهم في

ثم عاد الى الغرفة واخذ مقعدًا صغيرًا وجدهُ هناك فصعد عليهِ عند الكوَّة المستطيلة وشرع يصرخ بملء فيهِ راجيًا انَّ احدًا يسمع صراخهُ من الخارج فيسرع الى نجاته الَّا انَّ الكوَّة كانت على جانب القصر المشرف على الوادي فذهب الصوت متضعضعًا لم يلقَ اذنًا صاغيةً لاسيما انَّ الريح لم تزل عاصفةً والامطار هاطلة

فخارت قوى موريس من كثرة صراخهِ ويبس حلقهُ عطشًا فاخذ منديلهُ وجعلهُ على طرف الكوَّة حيث كان يجري ماء المطر فلمَّا ابتلَّت جعل يمتصُّها الى ان برَّد غليلهُ واكل كسرةً من الخبز كانت بقيت معهُ من سفرهِ فعادت اليهِ قواهُ

وفي تلك الاثناء اعار اذنهُ الى الخارج فسمع شبه لغطٍ من بعيد فلم يشك انَّ رفقتهُ يطلبونهُ ويدورون في كلّ انحاء القصر ليقفوا على آثارهِ فصار يجهد نفسهُ في الصراخ ما امكنهُ. وكان احيانًا يرجع الى باب المعبر الحديدي فيضربهُ بيديهِ ويلكمهُ برجليهِ رجاء ان يسمعهُ احدٌ من رفقتهِ فيعرف مكانهُ. وبقي على ذلك ساعةً الى ان ترشَّح جسمهُ بالعرق واضناهُ التعب

فلمَّا أيس من فتح الباب أُصيب بضرب من الجنون فصار يخبط الارض برجليهِ وينتف شعرهُ. ثمَّ رمى بنفسهِ على الحضيض متمرّغًا بالتراب كالصريع ثمَّ فاضت عبراتهُ واجهش بالبكاء طويلًا وكان يفكر في والدتهِ المسكينة وما يعتريها من الوجد والحزن اذا بلغها فقد ولدها. وكان يزيدهُ رعبًا منظر جثَّة تلك الفتاة وهي لا شك لوسيًا دي براكنتال المفقودة في نهار عرسها الذي سمع قصَّتها قبل بضع ساعات. فما أصابها سيصيبهُ ايضًا لا محالة فيموت حيًّا في قبرهِ هذا كما ماتت هي قبلهُ

وبينما كانت هذه الافكار والهموم تساورهُ وتفتُّ في عضدهِ اذ سمع ساعة القصر تدقُّ الساعة العاشرة من الليل وهي ساعة رقادهِ في بيت ابيهِ وكان موريس لا يأوي الى فراشهِ دون ان يصلّي صلاة الليل التي تعلَّمها من امّهِ التقيَّة فما سمع دقَّات الساعة حتى سبق الى فكره ذكر الصلاة المعتادة فهبَّ اسرع من طرف العين وجثا على ركبتيهِ وصلَّى الى الله صلاةً لم يخطر على بالهِ انَّهُ تلا صلاةً احرَّ واخشع منها في حياتهِ

فبقي مدَّةً مستحرًّا في الدعاء الى الربّ منقذ البائسين والى البتول العذراء امّ المراحم فشعر بالهدوّ عاد الى قلبهِ وكأنَّ صوتًا يناجيهِ في الباطن أن: « ثق يا بُني فانَّ الخلاص قريب »

هذا المجاز المظلم لعلَّهُ يجد لهُ منفذًا آخر فمشى بعض خطوات حتى دار بهِ المعبر يمينًا واتسع جانباهُ فتبعهُ همسًا حتى وصل الى غرفةٍ طولها نحو خمسة امتار في عرض ثلاثة منها وعلوّ اربعة وكان لها كوة صغيرة من الزجاج ينفذ فيها النور من علُ. وعلى احد جوانبها كوَّة اخرى ضيقة مستطيلة تعلو القامة

فلمَّا استقرَّت رجلهُ في قرارها اشتمَّ منها رائحة اشبه بنتن جيفة باليةٍ. فاشمأَزَّ لهذه الريح الكريهة لكنَّهُ اخرج من جيبهِ قليلًا من الكافور كان معهُ فاستنشقهُ

ثمَّ تجلَّد وتقدَّم الى الامام واخذ يتفقد تلك الغرفة مستنيرًا بالضوء الضعيف اللائح من الكوَّتين. فوقع نظرهُ على اسلحة معلَّقة على الجدار علاها الصدأ وبجانبها خوذة فارس مع نفيرٍ ضخم. فهتف الفتى من ساعتهِ: « هذه ولا شك مخبأَة البارون دي ادراي المجهولة وان هذا الّا نفيرهُ الذي كان ينفخ فيهِ اذا اراد الهجوم برجالهِ على الاعداء وكان يُسمع على مسافة بعيدة. واذا نفخت انا فيهِ نجوتُ لا محالة ». فاخذهُ وجعل يبوّق فيهِ فلم يُسمع لهُ صوتٌ البتة لقدم عهدهِ. فاعادهُ الى مكانهِ كئيبًا

ثمَّ حدَّق ببصرهِ الى زوايا الغرفة فرأى من عن يمينهِ سوادًا واذا هو كرسي مبطَّن ذو سندٍ ومرفقين وكأَنَّ امرأَةً جالسة عليهِ متكئةً على احد مرفقيهِ بهيئة النائم وقدماها على موطاء امام الكرسي

فظنَّ موريس انها ابنة الحاجب اتت هذا المكان فرارًا من حرارة القيظ فنامت هنالك

فاقترب منها ليوقظها فلم تُحر جوابًا. فاراد ان يجتذبها فاذا هي جيفة فتاة ميتة

فاضطربت جوارح المسكين وامتقع لونهُ وانعقد لسانهُ خوفًا وهلعًا ووقفَ شعر رأسهِ وسقط على الارض مغشيًّا عليهِ

فبقي على هذه الحالة ساعةً الى ان خيَّم الظلام على الارض. وكان في خلال ذلك انّ العاصفة هبَّت على القصر وهطلت الامطار وقصف الرعد فبلغ صوت هزيمها مسامع موريس فانتبه مذعورًا كرجل ضغطهُ جُثام في منامهِ يستيقظ متوجّسًا هلعًا

ففتح عينيهِ واذا بجيفة الفتاة في كرسيّها بازائهِ. فقام مسرعًا يطلب لهُ مفرًّا من هذا المنظر الهائل ورجع الى باب المعبر المغلق الذي دخل منهُ لعلهُ يجد وسيلة لفتحهِ فعالجهُ مدَّةً وسعى في فتحهِ جهدهُ فخاب املهُ واخفق مسعاهُ

جثا امامهُ وصلّى الى الله ثانية طالباً منهُ النجاة باستحقاق صليب ابنهِ الحبيب. ولم ينسَ في صلاتهِ تلك البائسة التي لقيت حتفها قبلهُ في ذلك الحبس

ثمَّ رأى في طرف آخر منضدة (طاولة) علاها الغبار ونخرها السوس لتقادم عهدها فنفض غبارها وفتح جرَّارها واذا بكتابٍ كبير قديم الطبع صعب القراءة. فامعن فيهِ النظر حتى تمكَّن من قراءة عنوانهِ فوجدهُ ترجمة قديمة للاسفار الالهيَّة فقلَّبهُ واذا بورقةٍ في ضمنهِ كُتب عليها بقلم رصاص ما يلي:

« ايها الشقي الذي ساقهُ سوء حظهِ الى هذه الهوَّة فقبر بها حيّاً ارفع بنظرك الى الله وتوسَّل اليهِ ان يتغمَّد ذنوبك ويقبل ضحيَّة حياتك ويرحم نفسك لأنَّهُ لا مناص لك من هذا السجن او تقوم الساعة » لوسيا دي براكنتال

في ٢٨ حزيران ١٧١٥

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقيَّة

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب ل. رنزڤال اليسوعيّ

طُبعت في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٩٩ عدد صفحاتها ٨٠

ليست الموسيقى ولله الحمد فنّاً مهملًا في الشرق كما يظنُّ بعض العاذلين وكفانا لردّ هذه المزاعم ما نراهُ حولنا من المغنّين المجيدين الذين تعمل اصواتهم في الآذان ولا عمل الرحيق في الابدان. ولا تخلو هذه البلاد من قوم افراد يحكمون عزف اللاهي ونقر الاعواد. ولكن يا تُرى اين الاحكام والسُّنن التي يجري بموجبها هؤلاء الموسيقيون؟ فان استطلعت طلع احدهم وبحثت عن الاصول التي يتبعها في غنائهِ اجابك: هذا فنٌّ لا قاعدة لهُ غير الاختبار اليومي والتقليد المتواتر واذا كان لذلك اصول في سالف الازمان فقد دخلت في خبر كان

بيد ان حضرة الاب رنزفال بينما كان يطلب لهذا المشكل حلّاً اطلعناهُ في خزانة كتبنا الشرقيَّة على نسخة من كتاب الدكتور ميخائيل مشاقة جمع فيهِ ما امكنهُ من

وقام من صلاتهِ ثمَّ انقع غلّتهُ بمنديلهِ المبلول بماء المطر واسند ظهرهُ الى الحائط وطلب من النوم بعض الراحة لجسمهِ المنهوك. فما لبث ان استولى سلطان النوم على اجفانهِ وغرق في السُّبات لكنَّهُ لم تمرّ عليهِ هجعة من الليل حتى عرض لهُ منام مزعج صوّر لهُ في مخيّلتهِ الاهوال التي قاساها في مساء نهارهِ فاستيقظ من سنتهِ مرعوبًا

وكان اديم السماء قد صفا في خلال رقدة موريس والقمر قد طلع فوق الافق فنفذ شيء من نورهِ في حبس السجين مارًّا بالكوّة المستطيلة التي مرَّ ذكرها. فانعشهُ هذا المنظر غير انَّ بصرهُ وقع ثانية على الكرسي الذي فيهِ جسم الفتاة الميتة فاسودَّت الدنيا في وجههِ. فصرف نظرهُ الى زاوية اخرى لعلَّهُ يكشف عنهُ هذه الغمَّة واذا بعينين متَّقدتين كانهما الشهابان تشخصان اليهِ فانخلع قلبهُ لهذا المنظر واقشعرَّ بدنهُ واحسَّ بعرقٍ بارد يجري في كلّ اعضائهِ

وكان المسكين لا يعرف ما وراء هذا المرأى العجيب وهل العينان لانس او لجنّ. فبقي واجمًا ينتظر بفروغ الصبر طلوع الفجر ليزيل الشبهة وينفّس عنهُ الكربة وكانت الدقائق تلوح لهُ اطول من السنين الى ان تمزَّق ستر الليل قليلًا فضعف نور العينين اللامحتين. ثمَّ انفلق الفجر تمامًا فرأى واذا بالعينين عينا هرّ كبير كان دخل من الكوَّة ليبيت ليلًا في ذلك المكان المظلم

فقام موريس لوقتهِ وحاول ان يمسكهُ ليأنس بهِ ويملّقهُ الّا انّ الحيوان نفر منهُ وقفز الى الكوَّة كأنّهُ السهم الرشيق

فبقي السجين وحدهُ كما كان يوم امس. لكنَّ عينيهِ كانتا اعتادتا على ظلمة هذا المكان فاخذ يسرّح ابصارهُ في كلّ اثاث الغرفة وادواتها فتبيَّن لهُ بحيث لم يمكنهُ الريب انّ هذا المكان هو هو مختبأ البارون دي ادراي الذي طالما حاول الناس الوقوف على سرّهِ الى ذلك العهد

ثمَّ اقترب ثانية من جثة الفتاة ليفحصها واذا هي بهيكل عظام اشبه منها بجثة ميت وكانت لحمانها قد تناثرت وبقي عليها قِطَع من الجلد وعلى رأسها بعض حِفاف من الشعر. وكان في اصبعها خاتم من الماس وعلى عنقها قلائد من اللؤلؤ في وسطها صليب من الذهب الابريز

فلمَّا نظر موريس الصليب آلة فداء البشر قرَّبهُ من شفتيهِ وقبَّلهُ بكلّ اكرام ثم

والسرور . لكنّنا نفضل « رُوحانيَّة » نسبةً الى الرُّوح فيكون المعنى : « آلات كأنَّها ذوات روح » لما فيها من الحركات التي تحاكي حركات ذوات الرُّوح اي الحيوانات والله اعلم

الاب انستاس الكرملي

اكتشاف عاديّ في قبرس — انبأنا المقتطف في عددهِ الاخير (ص ٥٥٣) بما اكتشف حديثًا من العاديّات « في جزيرة قبرس التي يروى في خرافات اليونان القدماء ان الملك مينوس بنى التيه فيها لسجن الثور منيتور (كذا) الذي قتلهُ ثسيوس » . فاخذنا العجب من سعة علم المقتطف الذي يعرف الخرافات القديمة ولا يفوتهُ منهـا شيء . كيف نسي انَّ الملك مينوس والتيه والثور مِينوتور (Minotaure) والبطل ثيسيوس ليس لهم اثر في قبرس لكن في جزيرة كريت ولا شكَّ انَّ هذه احدى خرافات المقتطف الذي يفكه قراءهُ بما هو اغرب من هذا كقولهِ بتناسل الانسان من القرد هداهُ الله الى سبيل الصواب

اكتشافات في كورنثوس — اكتشف بعض العلماء الاميركيين في كورنثوس حوضًا قديمًا من الرخام مزيّنًا بالدُّمى والتماثيل الجميلة يمثّل احدها آريان (Ariane) بنت مينوس . وهذا العمل يرتقي الى عهد قدماء اليونان

أسئلة وأجوبة

س ١ً ماذا يُراد بلفظة « الاجارتين » الواردة في المادة ١٦٦٠ من مجلة الاحكام العدلية . ٢ً ما معني « التراحومة » المذكورة في المادة ٤٨ من شرح قانون المحاكمات الحقوقية في المبحث الثاني في وظائف المجالس الروحية . ٣ً ماذا تعني لفظة (بم) الواردة في اخر شرح المادة ١٦٥١ من مجلة الاحكام العدليّة

جواب على اسئلة شرعيَّة

ج ١ً يراد بالاجارتين عقد اجارة يجري غالبًا في ارض الوقف على مدَّة طويلة فيدفع المستأجر نصف البدل نقدًا والنصف الآخر يدفعه مؤجلا مسانهةً على مدة الاجارة . فسمّي العقد بالاجارتين باعتبار كون بعض البدل مؤجلًا وبعضهُ معجلًا فكأَن العقد ورد على اجارتين الواحدة مؤجلة والاخرى معجّلة ٢ً التراحومة لفظة يونانية يراد بها جهاز العروس او نوع منهُ ٣ً اما لفظة (بم) فهي مقتطعة من اسم كتاب بيّنات الحاكم

للقانوني البارع سليم باز

القواعد الموسيقيَّة نقلًا عن ابرع شيوخ هذا الفنّ في مصر والشام. والحقُّ يقال ان هذا التأليف مع ما فيهِ من الخلل يشتمل على كثير من المباحث التي تنهج لطلبة الموسيقى طريق هذه الصناعة الشريفة وتعريف اساليبها عند العرب. فراجعهُ حضرتهُ بدقيق نظرهِ مستعينًا على اتمام شغلهِ بنسختين اخريين وجدنا احداهما عند حضرة الخوري الغيور الشيخ لويس الخوري والاخرى عند الموسيقيّ الشهير شكري افندي السودا. وفي هذه المقالات اشكال وحسابات عديدة تقتضي عملًا طويلًا مملًا فلم يتأخر الاب رتوفال عن مراجعتها وتصحيحها وساعدتهُ على ذلك خبرتهُ الكبرى بفن الموسيقى الفرنجيَّة التي يتقن مبادئها منذ حداثتهِ وزاد على ذلك تعليقات وحواشي تجدي هذه المقالة فوائد جديدة من شأنها ان ترشد جمهور القراء الى فهم الفاظ الموسيقيّين واصطلاحاتهم كتعريف الديوان (gamme) وشرح دوزان العود الذي اختلف في ممرّ الدهور بل منذ زمن مشاقة نفسهِ. فنشكر لحضرة الاب هذه الخدمة الجليلة ونتمنى لعملهِ رواجًا ليس فقط في الشرق لكن ايضًا عند المستشرقين الذين جعلوا همّهم منذ ٥٠ سنة درس الموسيقى العربيَّة وخواصّها. وهذه المقالة ظهرت اوَّلًا تباعًا في المشرق ل. ش

شذرات

الالات الروحانيَّة قد عثرتُ في اثناء مطالعتي لكتاب كشف الظنون فصلًا في هذا الباب استنتجتُ منهُ ان الآلات الرّوحانيَّة هي التماثيل المتحرّكة او الناطقة التي ورد ذكرها في الضياء (راجع المشرق ٣: ١٠٩) قال الحاجّ خليفة :

« علم الآلات الروحانيَّة المبنية على ضرورة عدم الخلاء: كَقَدَح العَدل وقَدَح الجَور . امَّا الاول فهو اناء اذا امتلأ منها قدر معيَّن يستقرُّ فيها الشراب. وان زيد عليها ولو بشيء يسير ينصبّ الماء ويتفرَّغ الاناء عنهُ بحيث لا يبقى قطرة. وامَّا الثاني فلهُ مقدار معيَّن ان صُبَّ فيهِ الماء بذلك القدر القليل يثبت. وان مُلئ يثبت ايضًا وان كان بين المقدارين يتفرَّغ الاناء كلّ ذلك لعدم امكان الخلاء. قال ابو الخير: « وامثال هذه من فروع علم الهندسة من حيث تعين قدر الاناء. والَّا فهو من فروع علم الطبيعي. ومن هذا القبيل دوران الساعات. ويسمَّى علم الآلات الروحانيَّة لارتياح النفس بغرابة هذه الالات. واشهر كُتُب هذا الفن حِيَل بني موسى بن شاكر. وفيهِ مختصر لغيلن (كذا عندنا في النسخة المطبوعة في الاستانة والصواب « فيلن » كما جاءَ في نسخة اوربا) وكتاب مبسوط للبديع الجزريّ ». انتهى

فعلى هذا تكون الروحانيَّة نسبة الى الرّوح بفتح الراء بمعنى الراحة والفرح

المشرق

معرض باريس وآثاره الشرقيَّة

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

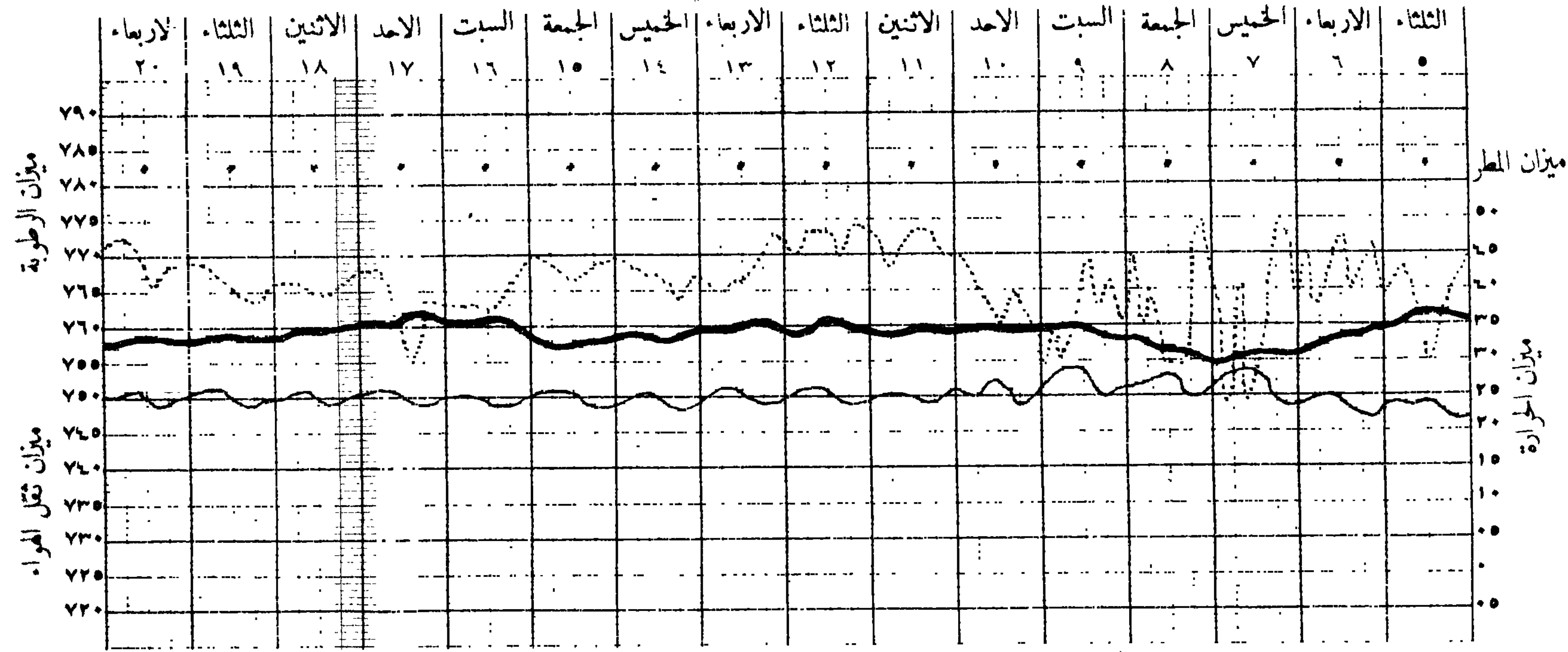
هو الله عجيب في اعماله ذلك امرٌ لا ينكرهُ الّا الجاهل. بل قل انَّ الله اعجب في اعمال خلائقهِ لانهُ تعالى هو الذي يرشد عبيده الى ما فيهِ صلاحهم. هو الذي زيَّنهم بعقلٍ يفرزهم عن العجماء ويوفّر لهم اسباب الهناء. هو الذي بثَّ في عالمهِ دفائن الكنوز وجواهر المعادن وشتات الخيرات ومرافق الحياة. فاذا ما شمَّر الانسان عن ساعد النشاط واستخدم قواهُ الطبيعيَّة لقضاء اغراضهِ سهل لهُ ما توعَّر ودنا مُلتمَسُهُ واتتهُ دنياهُ صاغرةً وذاك مبتغى الخالق عزَّ وجلَّ حين جعل الانسان ملكًا على الكون وسلَّطهُ على جميع الارض (تكوين ١ : ٢٦)

وما المعارض الّا ثمرة جدّ المرء تنبئ بما توصَّلت اليهِ يدهُ في انحاء المعمور لتحقيق اماني خالقهِ فترقّى بجزمهِ وهمَّتهِ من طور البداوة وخشونة العيش الى مقام الحضارة والمدنيّة. على انَّ المعرض الذي أُنشئ هذه السنة في باريس قد انسى ما تقدَّمهُ لما ابرز لعيون العالم من عجائب العلوم والصنائع

١

ما كاد الفرنسيُّون ينجزون معرضهم السابق في سنة ١٨٨٩ الذي اكسبهم لدى العالم المتمدّن فخرًا عظيمًا حتى اخذوا يسعون في انشاء معرض آخر يكون احسن ختام لقرنٍ اجمع الخافقان على تسميتهِ بقرن المعارف وجيل التقدُّم ويصبح ابدع افتتاح لعصر جديد يتفاءل بهِ الناس على مختلف نزعاتهم وهم يأملون ان السلم والسعادة يضربان فيهِ اطنابهما على الارض

قائمة للآثار الجوّيّة من ٥ الى ٢٠ حزيران ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمّمترات وعُشر المِلّمترات

انَّ معرض باريس هو سوق الدنيا الجامعة . وقال آخر : بل اجتمعت الدنيا في باريس . فيرى فيهِ الزوَّار ببضع الساعات ما يعزُّ عليهم نظرهُ في شهورٍ بل في سنين عديدة . كيف لا وقد ارسلت اليهِ نحو اربعين دولة ابدع ما لديها من كلّ اصناف الاعمال والاختراعات والمحصولات ولكلّ منها قصر شاهق يمثّل طريقة الشعب في البناء والنقوش حتى اذا دخلتَ احدها خلتَ انك ليس فقط في عمائر تلك البلاد بل في ظهراني اهلها لما تجد في ذلك القصر من السكّن الرافلين بثياب بلادهم الخاصة الممثلين لعاداتهم الناطقين بلهجتهم فترى نفسك حيناً في رياض ايطالية وحيناً في صحاري افريقية بين قبائلها المتوحّشة تارةً على ضفّة البسفور واخرى على رصيف نيويرك . وربّما قطعتَ شارعاً كبيرًا لا يختلف ذرّةً عن شوارع القاهرة او الجزائر

ومن خواصّ هذا المعرض ما توفَّر فيهِ من اسباب الراحة والبسط والامنيَّة للزوّار كالمطاعم العديدة والمراسح المتنوّعة والمستشفيات الوقتيَّة . وترى شراذم الجند وفئات الحرس وافراد العسس الطائفين في انحاء المعرض او الراكبين الدرَّاجات وكلُّهم محافظون على النظام ساهرون على صوالح الجمهور . امَّا وسائط الانتقال فقد اجتمع منها في المعرض كلُّ ما اخترعهُ اهل عصرنا كالسكك الحديدية والحوافل والتراموي الكهربائي وعجلات الاوتوموبيل والسقائل المتحرّكة والرصيف الماشي والمرقيات والمناطيد المأسورة فضلًا عن ضروب السفن الجارية على نهر السين . ومع كلّ ذلك فقد جُعل للمعرض تسعة مكاتب جُهّزت فيها كلّ الادوات اللازمة للمخابرات بالتلغراف والتليفون . ولمزاولة اعمال البريد ٧٦ صندوقاً توضع فيها الرسائل ينقلها سعاة البوسطة في اوقات معيَّنة

٢

وما تفرَّد بهِ ايضاً هذا المعرض ان اصحابهُ لم يدعوا شعبةً من المعارف البشريَّة او فنًّا من الفنون الاجتماعية الَّا وافردوا لهُ معاهد خاصَّة يجد فيها الزوَّار ما اتّصل اليهِ عقل الانسان من الاكتشافات العديدة والاختراعات الجديدة وقد قُسمت هذه المعاهد الى ستَّة عشر قسماً تستوفي جميع الصنائع والعلوم ويشتمل كلُّ قسمٍ منها اصنافاً شتى من المخترعات اللاحقة بهِ كما ترى :

فالقسم الاوَّل قد خُصّص باعمال التربية ووسائل التهذيب وضروب ادوات التعليم منذ نشأة الطفل حتَّى بلوغهِ الى الدروس العليا التي تفتح لاصحابها باب المناصب الرفيعة (موقعهُ في ساحة المرّيخ)

وقد صادق الفرنسويُون على هذا المشروع في دار ندوتهم سنة ١٨٩٣ . ومذ ذاك الحين لم يألوا جهدهم في اعداد كلّ لوازم المعرض ليكون غرّةً في مفرق الدهر وتاجاً فوق هامة العصر فيستلفت اليهِ انظار كلّ البلدان ويجتذب اليهِ الشعوب بين قاصٍ ودانٍ

ومن اعتبر اليوم من اعلى برج ايفـل هذا المنظر الانيق وجد انّ الفرنسويين اذا قصدوا فازوا بالمقصود واذا وعدوا لم يخيّبوا الرجاء بانتهاك حرمة الوعود . والمعرض الحاليّ لا يشغل اقلّ من ١٠٨ هكتارات في عاصمة الفرنسيس اي مليوناً وثمانين الف متر مربع . وهو يمتدُّ بابنيتهِ الفاخرة وقصورهِ الباهرة على ضفّتي نهر السـين . امّا نفقاتهُ فبلغت نحواً من مئة الف الف فرنك (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) تعهّـدت الدولة الفرنسية بدفع عشرين الف الفٍ منها وتضمّنت مدينة باريس مثل هذا المبلغ . على ان الارباح المأمولة من دخلهِ يقدّرها البعض بازيد من عشرين مليوناً من الفرنكات وسوف يطلعنا المستقبل على صحّة هذه الحسابات او فسادها . والارجح انّ مكاسب فرنسـة في معرضها الاخير ضامنةٌ لارباح معرضها الحالي فانّ ريعها عامئذٍ بلغ ثمانية ملايين بنيّفٍ بعد اسقاط كلّ النفقات . وكان اذ ذاك عدد العارضين ٥٥,٥٨٦ وعددهم اليوم ٧٦,٠٠٠ وقد طُبع من التذاكر للزوّار ما يوازي ثمنهُ ستين الف الف فرنك وقد بيع منهـا الى الآن فوق ثلثها

وقد امتاز المعرض الحالي على المعارض السابقة بخواصّ كثيرة نذكر منها شيئاً بوجيز الكلام

واوّل هذه الخواصّ حسن تنظيم المعرض فانّ اللجنة القائمة بهذا المشروع الخطير قد جعلتهُ آيةً في باب الهندسة فانّ الزائر ينتقل من مكان الى آخر وتتقلّب عليهِ المشاهد المختلفة دون ان يكلّ بصرهُ فيسأم من وفرة المنظورات وتراكم بعضها على بعض وانّما تأخذ الناظر في اعناق بعضها وتتصل اتصالًا تقرُّ بهِ العين لائتلاف الاشكال واختلاف المواقع . هذا فضلًا عمّا جمعتـهُ الطبيعة من المحاسن في ذلك المكان المعدود من جنّات الدنيا الفيحاء . والفضل في تنسيق المعرض على هذه الصورة عائد الى المسيو الفرد پيكار احد المتقدمين في شورى الدولة

ومن خواصّ معرض باريس وفرة ما اجتمع فيهِ من الطرائف المستحسنة المعجبة الموفَدة اليهِ من كلّ فجٍّ وأوب حتى قال بعضهم وفي قولهِ من الصواب ما لا يُنكر :

التجاريَّة والاعمال الجمهوريَّة الآئلة لمنفعة الهيئة الاجتماعيَّة مع ما يتعلَّق بالصحَّة العموميَّة (في قصر المؤتمرات)

القسم السابع عشر خُصَّ بالمستعمرات وما يتعلَّق بها (في التروكاديرو)

القسم الثامن عشر وهو الاخير يجمع كلّ ما ينوط بفنَّي الحرب البرّي والبحري (على ضفَّة السين الشماليَّة)

٣

ولا بُدّ ان نورد هنا شيئًا من غرائب هذا المعرض ممَّا كثر عنهُ الكلام في المجلات العلميَّة. فمن ذلك «قصر البصريَّات» (palais d' Optique) الذي يحتوي تلك النظَّارة المدهشة التي سبق وصفها في المشرق (١: ٧٨٧). ولهذا القصر وجهٌ غاية في الجمال يمثِّل وسطهُ نصف قبَّة رُسمت فيها منطقة البروج على ابدع مثال ولهُ سقف من الزجاج تسطع فيهِ اشعَّة الشمس نهارًا فتلوّنهُ بالوان بهيَّة وفي الليل يمثِّل الكواكب وحركة السيَّارات والافلاك باسلوب يخلب الالباب. امَّا النظَّارة فقد أُركزت على ثماني قواعد متينة علوُّها ستَّة امتار. وعدسيَّتها وحدها ثقلها ٤٥٠ كيلو غرامًا أُنفق عليها مليون ونصف من الفرنكات. ويُعكس نور القمر على جدارٍ ليتمكَّن الزوَّار من رؤيتهِ. وقد دُعي سفير الكرسي الرسولي لبركة هذه النظارة في الرابع من الشهر الماضي فباركها بحفلة شائقة وخطب خطابًا اخذ بمجامع القلوب

ومنها «الكرة السمويَّة» وهي كناية عن كرة عظيمة قطرها ٤٦ مترًا مستندة الى اربع قناطر شبيهة بقناطر برج ايفل وعلى الكرة رسوم عجيبة تمثِّل الابراج السمويَّة وصورها الخياليَّة وهي في الليل تضيء بانوار متشعشعة كأنَّها نجوم السماء. وحول الكرة منطقة على شكل حمائليّ علوّها ٦٠ مترًا على جوانبها صور البروج وفي اعلاها سطح تُعزف فيهِ الآلات وتُدار المرطّبات. امَّا داخلها فقطرهُ ٤٠ مترًا يُصعد الى مركزهِ بمُرَقٍ وما هذا المركز الَّا الكرة الارضيَّة جُعل قطرها ثلاثة امتار وتلوح حولها القبَّة الزرقاء فاذا جلس الزائر فيها شعر بحركة تجري بهِ من المغرب الى المشرق ويرى كلّ النيّرات السماويَّة تتحرَّك حولهُ فتظهر لهُ الشمس والقمر والسيَّارات ويشاهد الكسوفات والخسوفات فلا يفوتهُ شيءٌ من عجائب السماء

ومنها «القصر المضيّ» بناهُ المهندس پنسين (Ponsin) من ألواح الزجاج الملوَّن فاذا مدَّ الليل سرادقهُ على الارض شعَّت تلك الزجاجات بالوان مختلفة تمثِّل قصرًا فخمًا

والقسم الثاني يجمع عجائب فنون التصوير والنقش والحفر والرسم على الحجر ونَحْت التماثيل تزويق الحجارة الكريمة والهندسة (في ساحة إليزاي)

والقسم الثالث مخصوص بكلّ ادوات الطباعة والصحافة والتجليد وتصوير الشمس والجغرافية وعلم الهيئة ورسم البلدان والمسكوكات والنقود والطبّ والجراحة وآلات العزف والموسيقى وادوات المراسح وثياب الملاعب (في ساحة المرّيخ)

والقسم الرابع قد خُصَّ بالعلوم الميكانيكيَّة والحِيَل وتحريك الاثقال كادوات البخار والقطارات الخ (فيها)

القسم الخامس يتضمَّن كلّ عجائب الكهرباء وأدواتها العديدة وفوائدها الجمَّة في تحريك الاثقال والتنوير والتلغراف والتليفون واشعَّة رنتجن (فيها)

القسم السادس شأنهُ ما يتعلَّق بالاشغال العموميَّة ووسائط الانتقال وادواتهِ كالعجلات والدرَّاجات مع موادّ السفن التجاريَّة والمراكب الهوائيَّة (فيها)

القسم السابع مرجعهُ الى الفلاحة ولواحقها كمحصولات الزراعة وغرس الكروم وأدوات الحراثة واصناف النبات وتعريف الحشرات النافعة والضارَّة (في رواق الآلات)

القسم الثامن أُفرز لكلّ ما يختصّ بالجنائن والبساتين كالبقول والزهور والاشجار المثمرة والنباتات العزيزة الوجود والفسائل والبزور (في رصيف السين الايمن وساحة إليزاي)

القسم التاسع عُرضت فيهِ متعلّقات الغابات وادوات الصيد للطيور والوُحوش والاسماك وبنادق الصيد وآلات لجناية الاثمار (في قصر الغابات على ضفَّة السين اليسرى)

القسم العاشر فيهِ اصناف الاقوات والمآكل والمربَّيات والحُلويات والمُسكرات والمرطّبات والمشروبات المختلفة تلحق بها معامل شتَّى للخبازة وغيرها (في رواق الآلات)

القسم الحادي عشر يشمل كلّ اشغال المعادن وتعدينها وتصفيتها مع ادواتها واشكالها (في ساحة المريخ في القصر الشمالي منهُ)

القسم الثاني عشر مختصّ باثاث البيوت وتجهيزها وزينتها كنقش الجدران والزجاج الملوَّن والورق المنقوش والخزائن والطنافس والفراش والخزف والبلَّور وأدوات الأكل الصينية والزجاجية وتدفئة البيت وتنويرهِ (في القصرين الواقعين على يمين ساحة الانفاليد وشمالهِ)

القسم الثالث عشر يحتوي على انواع الخيوط والحبال والانسجة وملابس القطن والصوف والكتَّان والحرير واشغال التطريز والتخريم والازياء ومتعلّقاتها (في ساحة المرّيخ في القصر الثاني على الشمال)

القسم الرابع عشر مدارهُ على الصنائع الكيمويَّة والصيدليَّة وفيهِ معامل الورق ومصانع لتجهيز الجلود ودبغها وتركيب الموادّ العطريَّة وتهيئة التبغ (في القصر الثالث يميناً منها)

القسم الخامس عشر يشتمل على ادوات الكتابة والمُدى والسكاكين وكلّ اعمال الجوهريين والصاغة والساعاتيين وشغل الشبه (البرنز) والنحاس والمشمَّعات من المطَّاط (كاوتشوك) والغوتاپركا (عند الانفاليد في القصر الايمن)

القسم السادس عشر يجمع كلَّ الوسائل والأدوات المختصَّة بالجمعيَّات الخيريَّة والشركات

الارض هابطة من تحت ارجلهم وهي تصغر شيئاً فشيئاً فيجتازون من اقاصي اوربَّة الى اقاصيها يرون العواصم والمدن من علُ كأنَّهم يسافرون في مركبة هوائيَّة وهم مع ذلك ثابتون في امكنتهم دون حراك

وعلى هذا النمط ايضاً مثَّلوا للزوَّار حالات الارض في اطوارها المختلفة منذ بدء العالم الى الازمنة الاخيرة ودعوا ذلك « ديوراما ». ثم مثَّلوا طوافاً حول الارض فينتقل الناظر من اوربَّة الى الشرق فيرى بلاد الدولة العليَّة واليونان والشام (وترى بيروت وابنيتها منها (كليتنا) ومصر والهند والصين وجهات اميركة عائداً منها الى ليڤربول ثم الى باريس وقد اقتضى هذا المشهد البديع نيِّفاً و ٤٠٠٠ صورة فوتوغرافيَّة تمثّل كلّ بلدٍ بهيئتهِ الخصوصيَّة وابنيتهِ واحوال اهلهِ الخ

هذا ونضرب صفحاً عن غرائب كثيرة كالدولاب العظيم البالغ قطرهُ مئة متر وصورة القزوف وتمثيل خراب پمپايي بانفجار هذا البركان وغير ذلك ممَّا لا يسعنا هنا وصفهُ ويطول بنا شرحهُ

٤

ولكن أيحسن بنا ان نسكت عمَّا احتواهُ المعرض الباريسي من الآثار الشرقيَّة. والحق يقال انَّ للشرق في هذا المعرض مقاماً رفيعاً لا يكاد الزائر يسير ذات اليمين او ذات الشمال حتى يلقى في طريقهِ ما يذكّرهُ الشرق ومفاخرهُ القديمة او الحديثة

واول هذه الآثار الجديرة بالاعتبار اكبر مداخل المعرض وهو الباب المدعو بالفخيم المشرف على ساحة الائتلاف (pl. de la Concorde) فانَّ الذي بناهُ استقدح زناد فكرتهِ الوقَّادة فلم يجد لسوق العالم مدخلاً اليق بها من بابٍ شرقيّ تحلّق حناياهُ في كبد السماء وتناطح قبابهُ القبة الزرقاء

ومشيّد هذا المدخل الخطير هو المسيو بيناي (R. Binet) الذي أُولع منذ حداثتهِ بالهندسة الشرقيَّة فجعلها جلَّ عنايتهِ وقصارى بغيتهِ فلمَّا عُهد اليهِ بناء هذا الباب جمع فيهِ خلاصة محاسن الهندسة العربيَّة من اقواس وحنايا وافاريز واطناف ونقوش لا يشكُّ العابر تحتهُ انَّهُ في غرناطة او بغداد في ايَّام عزّهما على عهد الخلفاء. وعلى جانبي المدخل منارتان رشيقتان كانهما مئذنتان تنبعث منهما اشعَّة الكهرباء ليلاً

هذا وبين القصور التي ابتنتها الدول الاوربيَّة في معرض باريس ما يمثّل الطريقة

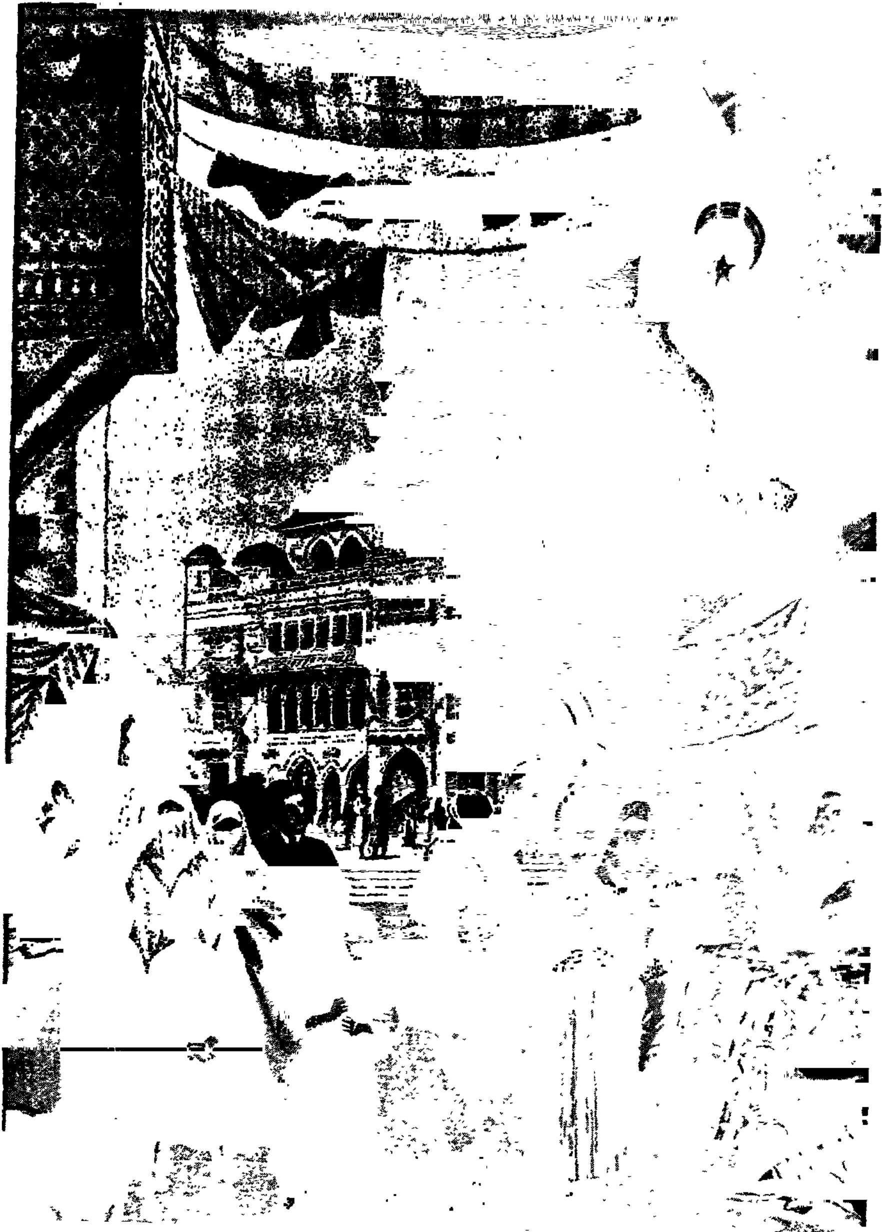
لهُ من الطبقات والنقوش والافاريز والمصاعد والسطوح والشرفات ما يجدي العين ارتياحاً والقلب انشراحاً

ومن المشاهد الفتَّانة التي فاق بها هذا المعرض امثالهُ « قصر الكهرباء » قد اجتمعت فيهِ على طريقة بديعة كلُّ عجائب الكهرباء المكتشفة في عصرنا. وهو في الليل يبرز للعيان على اشكال متلألئة يعجز عن وصفها احذق لسان فترى هذا القصر كأنَّهُ شعلة نار تسحر الالباب وتأخذ بالابصار. وفي هذا القصر من الآلات المولدة للكهرباء ما توازي قوَّتهُ ١٢٠٠٠ حصان ويستغرق ايقاد القصر كلَّ يوم نحواً من ٢٠٠ طنّ فحم يُجمع بخارها في مراجل فيتجمَّد ويصير ماءً يندفع الى « قصر المياه » بمعدَّل مئة الف ليتر في الساعة

وهذا « قصر المياه » احدى آيات المعرض وهو عبارة عن اروقة متسعة يعلوها قببٌ ملوَّنة وفي حضيضها ما يمثّل صخوراً بحريَّة ينبع من وسطها الماء. وفي صدر الباحة حوض كبير تخرج من وسطهِ صفوف من الحجارة مستديرة الشكل كدرجات وفي اعلاها فوَّارة عظيمة تتدفَّق منها المياه المرتفعة الى علوّ ٣٠ متراً فتنعكس وتسقط على الدرجات كأنَّها الشلاَّلات الى ان تبلغ الحوض. وعلى جوانب الحوض تماثيل جميلة من حيوانات وطيورٌ مختلفة واشخاص خرافيَّة وكلها يمجُّ المياه او يصبها من القرب على طرائق شتى. وفي ظلام الليل تلبس هذه المياه ثوباً من النور فتصبح كلها ضياء وتتناثر في الفضاء كأنَّها سبائك اللجين. هذا فضلاً عن فوَّارات اخرى تتلوَّن بالوان قوس قزح

وممَّا يستحقُّ الذكر ايضاً مشاهد مختلفة مبنيَّة على خواصّ الكينياتوغراف الذي وصفناهُ في المشرق (١ : ١٤١) فمن ذلك انهم مثلوا سفينة كبرى واجلسوا فيها القوم وحركوها بحركات اشبه بسير السفينة اذ تمخر العباب. ثمَّ اجازوا امام اعينهم صور مدن بحريَّة فيشعر الركاب كأنَّهم يخرجون من مرسيليا ويبحرون الى تونس ثمَّ الى نابولي والبندقيَّة والاستانة العليَّة وفي اثناء السفر يسمعون صفير البخار وجعجعة الآلات ويُصابون بدوار البحر ويتنسَّمون النسيم البحري المشوب بروائح الطحلب والنباتات البحريَّة وهذا المشهد دعوهُ « ماريوراما » اي منظر البحر

ومن هذا القبيل ايضاً « الكينيوراما » اي مشهد الحركة يجلسون الزوَّار على مركبة متعلّقة بمنطاد. ثمَّ يوهمونهم انَّهم يصعدون بهم الى طبقات الجوّ العليا فيمثلون لهم



القسم العثماني في معرض باريس

الشرقيَّة في البناء . فان قصور الرومان والسرب والبلغار واليونان كلها شرقيَّــة الهيئة تعارض الابنية البوزنطيَّة كما شاعت في ايام ملوك القسطنطينيَّة لاسيما الهندسة الدينيَّة التي بلغت شأوًا عظيماً في القرون السالفة . اماَّ قصر البشناق (Bosnie) فقد بُني على مثال قلعة شرقيَّة ترى برجهُ ومرقبهُ وصوانهُ كما كانت تحصَّن قديمًا الحصون في وجه العدوّ . هذا فضلًا عن معروضات هذه الدول المذكورة وهي بالشرقية اشبه منها بالغربيَّة كالانسجة والحرائر والاسلحة والطنافس والمصاغات . وكذلك في قصر الدولة الاسبانيَّــة كثير من آثار قدماء العرب ترى في جملتها البزَّة الحربيَّة التي لبسها ملوك غرناطة ابو عبد الله الزغل

ثمَّ ان القصور المبنيَّة لمعروضات افريقية في باريس كلها من النمط الشرقيّ . فان القصر المصري اشبه بهياكل قدماء المصريين على عهد الفراعنة مع اروقتهِ وقبتهِ الانيقة . وفي اسرابهِ صورة مدافن ملوك مصر على هيئتها ونقوشها العاديَّة . ويلحق بالقصر المصري سوقٌ جُهِز على صورة اسواق القاهرة لا يختلف عنها ذرَّةً مع ملعب لتمثيل الروايات والعادات الشرقيَّة . والأنباء الاخيرة افادتنا انَّ بعض شعراء الفرنج مثَّل فيــهِ رواية رعمسيس الثاني

وللدولة التونسيَّة قصر تشغل مساحتهُ ٤٩٠٠ متر جُمعت فيهِ كلّ خواصّ البناء العربي الشائع في شمالي افريقية والبناء الاعظم من هذا القسم يمثِّل جامع سيدي محرز . وفي السوق التونسية المجاورة لهذا المقام عدَّة مباني تاريخيَّة كمنارتي سيدي مخلوف وجامع سفاقس وباب سوس وقهوة سيدي ابن سعيد

اماَّ الجزائر فانّ مبانيها متسعة الافناء رحبة الجوانب عربيَّة الشكل يخــال لمن يراها انَّ قسماً من مدينة الجزائر قد نُقل الى باريس ويُدخل اليهِ من باب شُيّد عــلى مثال ابواب المدن الاسلاميَّة القديمة

وليست ابنية المعرض المخصوصة بمراكش والسودان والسينغال سوى مباني شرقيَّة كما يعهدها سكَّان تلك البلاد

واذا عدلنا الى تفقُّد الاقسام التي شُيّدت للبلاد الاسيويَّة وجدنا انّ قصر الدولة العليَّة يفوز بينها بقصب السبق وهو على شكل مربَّع مستطيل لهُ مدخل جليــل على شكل قوس مرتفع فيهِ النقوش البديعة وعلى الجانب الايمن برجٌ شاهق يرى الزائر من اعلاهُ منظرًا بهيجًا . اماَّ البناء الاوسط فيمثِّل احد جوامع دار الخلافة . وفي هذا القسم

العثماني معروضات الشام والاناضول فيهِ من غرائب المصنوعات ما يروق الانظار ويشهد لبلادنا بالتقدُّم والاقتدار (انظر الصورة)

وقد احبَّت دولة العجم ان يعرف الفرنسيون ما لها من المباني الفخيمة فانَّ الشعبة المخصوصة بها تمثل اجمل قصور مدينة اصفهان الذي يُطنب في وصفهِ المسافرون فبُني بدقَّة عجيبة وزُخرف بطريقة غريبة تصلح بمقام صاحب الجلالة مظفَّر الدين خان ملك فارس الذي صمَّم النيَّة على زيارة المعرض وقد خرج من حاضرة ملكهِ طهران مؤخرًا قاصدًا عاصمة الفرنسيس ولعلَّهُ اليوم بلغها فحلَّ فيها ضيفًا كريمًا

امَّا الشرق الاقصى فانَّ حصَّتهُ في المعرض جزيلة الشأن فترى في المعرض اساليب الهنود واليابانيين والصينيين في الهندسة منها قصور محكمة البنيان ومنها هياكل دينيَّة مع ما فيها من الاصنام والاوثان يخدمها قوم من السدَنة ويجرون فيها مناسكهم الدينيَّة. ويلحق بهذه الابنية اروقة دولة سيام وكمبودج والتونكين مع ما تختصُّ بهِ تلك البلاد من النوادر واللطائف

على انَّهُ يسرُّنا ان نذكر في الختام انَّ للشرق المسيحي في هذا المعرض نصيبًا كبيرًا فان الرسالات الكاثوليكيَّة قد ارسلت من كل الشرق معروضات عديدة تنبئ عما للكثلكة من الفضل العميم في تهذيب الشعوب وترقيتها الى معارج الفلاح. وقد بُني لهذه الرسالات قصرٌ خصوصي بجوار التروكاديرو لا يتمالك كلٌّ من يزورهُ ان يقرَّ للمرسلين الكاثوليكيين في كلّ المعمور بالاعمال المبرورة والمساعي المشكورة الآيلة الى مجد الله الاعظم وخير الامم المادّي والادبيّ معًا تحت نظارة رئيس الاحبار وراعي الرعاة وخليفة هامة الرسل ثبَّت الله عرشهُ على مدى الدهور (١

نبذة

في اصل ثوب سيدة جبل الكرمل مع تعريف الدرجة الثالثة من الرهبانيَّة الكرمليَّة

لحضرة الاب انستاس الكرمليّ

سألنا بعض قرائنا من حلب وبيروت ان نفيدهم بوجيز الكلام عن اصل ثوب سلطانة جبل

(١ اخذنا كثيرًا من الاوصاف السابقة من كتاب افرنسيّ نشرهُ اصحاب المحلّ التجاريّ المدعو Bon Marché اعارنا اياهُ جناب الموسيقيّ البارع شكري افندي سودا

جهنم. (الثاني) النجاة من المطهر في السبت الاول بعد موت لابس الثوب. بل والنجاة من هـذا المطهر باسرع ما يمكن على ما صرَّح بهِ كتاب الفرض الروماني

٣ً (فرائضهُ) ان اراد الانسان ان يتمتَّع (بالانعام الاول) فحسبهُ ان يلبس ثوب العذراء من يد رئيس الرهبانيَّة او من ايّ كاهن كان ممَّن عُهد اليهم ان يُلبسوا هذا الثوب. وعلى لابسهِ ان يُبقيهُ على صدره الى ساعة موتهِ وان تكون الشقة الواحدة منهُ على الصدر والآخرة على الظهر وان لا يلبسهُ « بهيئة أُخرى »

وان اراد الانسان ان يتمتَّع (بالانعام الثاني) فيجب عليهِ ان يتمّم ما عـدا ما ذُكر ما قالتهُ العذراء للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين وهو : ١ً ان يحفظ العفة بموجب حالهِ. ٢ً ان كان يُحسن القراءة ان يتلو فرض العذراء الصغير (امَّا الذين يتـلون الفرض القانوني فهم مُعفون منهُ). ٣ً ان كان لا يُحسن القراءة عليهِ ان يحفظ ايَّام صوم البيعة وان يزيد على ذلك الانقطاع عن اكل اللحم الاربعاء والسبت من كل اسبوع الَّا نهار عيد الميـلاد اذا وقع في احد هذين اليومين. وكل من لا يستطيع ان يقوم بهذه الشروط عليهِ ان يطلب البدل عنها من راهبٍ كرمليٍ او من كاهن معهود اليهِ مثل هذا الامر

٤ً (ملاحظات) (اولًا) يستطيع اخوة ثوب العذراء واخواتها ان يكسبوا جميع الغفرانات الممنوحة لكنائس رهبانيَّة الكرمل اذا زاروا بيعة خورنيَّتهم في المواطن التي لا يوجد فيها بيعة للكرمل. (امر البابا بيوس التاسع في ١٥ حزيران سنة ١٨٥٥). (ثانيًا) منذ امر ٢٧ نيسان سنة ١٨٨٧ صار تقييد الاسم في الدفـتر لازمًا والَّا يعتبر كالعدم

٥ً (ممارسة) قبّل ثوب العذراء صباحَ مساءَ قائلًا: « يا قلب سلطانة الكرمل الخالي من كلّ دنس صلِّ لاجلي ودافع عني »

٢ فوائد عن الدرجة الثالثة من رهبانية الكرمل

١ً (تعريفها وتاريخها) الدرجة الثالثة من رهبانيَّة الكرمل هي اشتراك تقوي وتعبُّدي برهبانيَّة الكرمليّين لها قانون متعلّق بها وغايتها تكريم الله ومريم العذراء بنوع خاصّ بواسطة نذرين بسيطين وهما نذر العفَّة الذي ينذرهُ كل واحدٍ منَّا بموجب حالهِ

الكرمل الواقع عيدها في ١٦ تموز مع تعريف الدرجة الثالثة من الرهبانيَّة الكرملية وبيان الامتيازات الممنوحة لكليهما والشروط المفروضة على المشترك بها. فتلبيةً لدعائهم طلبنا من حضرة الاب الفاضل انستاس الكرملي ان يرخّص لنا بنشر لمعة مستحسنة تولى سابقًا طبعها واستوفى فيها الشرح عن كلّ ما مرَّ فاجاب بما فُطر عليهِ من الهمَّة واللطف الى ما طلبنا

• لمعة في ثوب العذراء سلطانة جبل الكرمل

١ً (اصلهُ) قد استحسن هذه العبادة التقويَّة اكثر من عشرين حبرًا اعظم. وقد ازدادت علاء وشرفًا بالغفرانات التي عُقدت بها. وقد تمكَّنت في البيعة بالكرامات والعجائب التي آتاها الله بواسطتها. امَّا اصلها فيرتقي الى نصف القرن الثالث عشر

وكانت رهبانيَّة العذراء في ذلك العهد هدفًا لسهام الشدائد والاضطهادات. وكان القديس سمعان استوك (Stock) الانكليزيّ الاصل والرئيس السادس العام على الكرمليّين يبتهل من مدَّة سنين الى سلطانة السماء لتحامي عن ابنائها ولتُعلي كعبهم بانعام يمتازون بهِ دون غيرهم. فلبَّت البتول دعوتهُ وظهرت لهُ في اليوم ١٦ من شهر تموز سنة ١٢٥١ محتاطة بارواحٍ سماويّة ومكتنف وجهها بهالةٍ نيّرةٍ مُتوهّجة وقدَّمت للقديس الثوب (الصِدار) الذي اصبح العلامة المميّزة للرهبانيَّة وقالت لهُ: «هذا الثوب يكون علامة الامتياز الذي فُزتُ بهِ لك ولاولاد الكرمل. وكل من يمتْ بهِ يخلص من نيران جهنم. اذ هو علامة النجاة... «الخ»

وفي غرَّة القرن الرابع عشر ظهرت سلطانة الكرمل عينها للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين فاوصتهُ ان يُعامل احسن معاملة الرهبانيَّة الواقفة بخدمتها بنوع خاصّ. وزادت على الانعامات التي وعدت سمعان انعامًا آخر بقولها:

« ولابسو ثوبي منذ اول يوم خروجهم من هذه الدنيا وسيرهم الحثيث الى المطهر انا اُمهم انزل اليهم نزولًا لطيفًا يوم السبت الذي يلي موتهم وانجيهم من المطهر وآتي بهم الى جبل الحياة السرمديَّة المقدس »

هذا وان البابا يوحنَّا اثبت هذا الظهور الذي وُفّق اليهِ وروى هذه العبارات في براءتهِ الصادرة في ٣ اذار سنة ١٣٢٢ وهي البراءة المسمَّاة بالبراءة السبتيَّة لانهُ يُذكر فيها انعام السبت المحكي عنهُ

٢ً (امتيازاتهُ) فيتَّضح ممَّا تقدَّم شرحهُ انهُ يوجد انعامان متميّزان الواحد عن الآخر ومعقودان بثوب العذراء: (اولًا) نعمة الحصول على موتٍ صالح او النجاة من

رهبانية الكرمل	« « ٢٦ القديس يوحنا الصلبى
ت ٢ ٥ الطوباوية فرنسيسكة امبواز	ك ١ — ١٥ الطوباوية مريم الملائكة

(تنبيه) ان مدير الجماعة موكل بان يخبر الاعضاء عن الغفرانات التي يمكنهم ان يكسبوها في هذه الحفلات وغيرها التي لم نذكرها خوف الاطالة

مدرسة عين طورا

نبذة تاريخية في اصلها لاحد افاضل الاباء اللعازريين (تتمة)

وفي سنة ١٨٤٩ كان التأم المجمع العام فسافر الاب كروس مع الاب لاروا لحضور المجمع المذكور في باريس حيث مقر رئيس جمعيتنا العام. فعين الاب كروس استاذاً في مدرسة شالون الاكاديريكية. وبقي هنـاك ثلث سنين ثم عاد الى باريس حيث قضى اجلهُ سنة ١٨٥٢. واماً الاب لاروا فرجع الى سورية في اواخر سنة ١٨٤٩ وسمي اذ ذاك الاب لادريار رئيساً لمدرسة عين طورا ففرح بهِ الآباء والتلامذة ايَّ فرح لمعرفتهم خصالهُ ومزاياهُ المشكورة. وبقي في هذه الوظيفة الى سنة ١٨٥٢ التي فيها ذهب الى الاسكندرية ولبث فيها الى سنة ١٨٥٥ ثم انتقل الى بعض اديرتنا في فرنسا واخيراً عُيّن سنة ١٨٦١ رئيساً لدير القديس يوسف في ريو (Rio) حيث قضى نحبهُ مملوءاً اياماً ومبرات سنة ١٨٨٤. وهو الذي اشترى سنة ١٨٥١ المحل الكائن في زوق مصبح الى اليوم لقضاء ايام النزه الكبيرة. وهذا المنتزه يحتوي على قطعة ارض كبيرة فيهـا اشجار الصنوبر والسنديان والعفص ذات الاغصان الغضة الكثيفـة التي تفيء بظلّها الوارف التلامذة حين يمرحون. وتحت هذه الاشجار تصير عند المساء الصلاة الاعتيادية او تلاوة الشهر المريمي حسب الاقتضاء فيجتمع اذ ذاك الآباء والتلامذة حول هيكل مريم المقام من اغصان الاشجار بيد التلاميذ انفسهم والمزيَّن بالازهار والشموع المضيئة وبعد الصلاة في مدة الصيف يتناول الجميع اكلة العشاء تحت ظلّ الاشجار فيتمّ بذلك الصفاء ويكتمل الرغد والهناء. وهذا المصيف مشرف على البحر يبعد عنهُ غرباً نحو نصف ساعة وبُعدهُ عن عين طورا مثل ذلك شرقاً. وفيهِ بئرٌ صافية الماء وقد غُرس حولهُ لجهة البحر كرم يانع يُستخرج منهُ نبيذ ذهبيّ اللون لذيذ الطعم مشهور في هذه الجهات

ونذر الطاعة لرئيس الرهبانيَّة العام وللرؤساء الذين ينوبون عنهُ في الامور التي ترجع الى قوانين هذه الجماعة

وقد ذكر التاريخ على ممرّ العصور اسامي كثيرين من الذين رَقوا هذه الدرجة من رهبانيَّة الكرمل من ذكور واناث وقد اثبت هذه الدرجة البابا نيقولا الخامس سنة ١٤٥٢ والبابا سكستوس الرابع سنة ١٤٧٦ بسلطتهما الرسوليَّة ومنحا ابناءها الحاليين والمستقبلين عين الامتيازات التي يتمتع بها اصحاب الدرجة الثالثة من رهبنة القديس فرنسيس والقديس عبد الاحد والقديس اوغسطين. وبعد هذين البابوين اثبت هذه الجماعة كثيرون من البابوات الى ايامنا هذه

٢ً (شروط الدخول) يجب على كل من يريد دخول هذه الرهبنة للاشتراك بكافَّة النعم الروحيَّة ان يكون حسن الصيت صادق الديانة وان تكون رغبتهُ ميالةً الى اكتساب النعم الروحيَّة

ثمَّ يُلبَس يوم دخولهِ ثوبًا خصوصيًّا يباركهُ رئيس الجماعة وحينئذٍ يجب عليهِ ان يُظهر مدَّة سنة كاملة شهادةً بيّنة على عيشتهِ التقيَّة. وبعد مرور هذا الزمن يُقبل بين ابناء هذه الرهبنة وذلك بان ينذر النذرَين المذكورَين

٣ً (الممارسات) على اعضاء الدرجة الثالثة: ١ً ان يصلوا يوميًّا فرض العذراء الصغير. ٢ً ان ينقطعوا عن اكل اللحم ايّام الاربعاء والجمعة والسبت ما خلا ايّام الاعياد الكبيرة من اعياد الرهبانيَّة. ٣ً ان يتأمَّلوا في النهار مقدار نصف ساعة صباحًا ونصف ساعة مساء. وما عدا هذه الممارسات يوجد اعمال أُخرى يمكن لرئيس الرهبنة ان يُعفي منها او يبدلها بغيرها وذلك بموجب احوال الاعضاء

٤ً (ذكر اعياد اعظم القديسين من رهبانيَّة الكرمل):

الشهر	اليوم	العيد	الشهر	اليوم	العيد
ك ٢	٢٢	القديس انستاس. شهيد	«	٢٥	القديسة مريم المجدليَّة دي باتري
شباط	٠٤	القديس اندراوس كرسيني. معترف	حزيران	١٤	القديس ايليشاع. نبيّ
«	١٥	القديس بطرس توما. شهيد	تموز	١٦	العذراء سلطانة جبل الكرمل
آذار	٠٦	القديس كيرلُّس. معترف	«	٢٠	القديس ايليا. نبي
«	٢٩	القديس برتولد. معترف	آب	٠٧	القديس ألبر
نيسان	١٧	الطوباويَّة مريم اكاري	ايلول	٠٢	القديس بروكار. معترف
ايَّار	١٦	القديس سمعان استوك	ت ١	١٥	القديسة تريزية. بتول مصلحة

ووضع تحت هيكل من الرخام أُقيم لهذه الغــاية عن شمال الهيكل الكبير وكان قد تنازل غبطة السيد البطريرك بولس مسعد فترأَس هذا التطواف بنفسهِ فزاد العيد رونقًا وبهجةً

وبعد الاب لادر يار تولّى تدبير مدرستنا الاب اوجين اتيان ديپار الشهير Eugène-Etienne Depeyre وكان كرّم الله وجههُ جامعًا لشتات الفضائل عالمًا حكيمًا حازمًا ورسولًا غيورًا فاضلًا متفرّدًا بالصفات العالية فاتى اعمــالًا كبيرة يقرّ لهُ كلّ من عرفهُ وتخلّد لهُ ذكرًا جميلًا معطرًا بالشكر والثناء. فازهرت المدرسة بايامهِ ونمت بعنايتهِ وحكمتهِ الباهرة وتعزّزت قوانينها وموادُّ دروسها بجزمهِ وهمّتهِ فأَخذ التلاميذ يتواردون من كل فجّ وصوب حتى التزم بتوسيع المنامات فوق قلالي الآباء حيث يوجد اليوم محلّ المرضى. وهو الذي اقام في المدرسة سنة ١٨٥٣ اي بعد وصولهِ اليها ببضعة اشهر اخويّة الحبل بلا دنس بسيدتنا مريم العذراء عليهــا السلام فكان اول مرشد لها. وخرج من هذه الاخويّة نحو من سبع مائة مشترك وهم منتشرون في كلّ الاقطار مزهرون بالفضائل والآداب سائرون على سنن ديننا المقدس قدوةً لامثالهم. ولو اردنا تعدادهم هنا لضاق بنا المجال (١. ولم تزل هذه الاخويّة زاهية الى اليوم يرشدها حضرة الاب الرئيس نفسهُ واعضاؤُها يبلغون نحوًا من تسعين يجتمعون كل احد وعيد لتــلاوة فرض مريم واستماع نصائح الاب المرشد في معبدها الخاصّ الكائن في كنيسة القديس يوسف البتول. وقبل نهاية الكلام عن هذه الاخويّة المباركة لا بدّ لنا ان نذكر حضرة الاب الفاضل المرحوم فردريك لويس كوكيل (Cauquil) الذي كان اول مساعد للاب ديپار في تدبيرهــا وارشادها والذي رأَس مرةً مدرستنا رحمــهُ الله رحمةً واسعة. ولمّا رأَى رئيس مدرستنا الحالي الاب الفونس سلياج الخير العميم الناجم عن العبادة لمريم في اخويّتها اقامها سنة ١٨٨٤ لاهالي قرية عين طورا يدبرها احد الآباء اللعازريين مهتمًّا بشؤونها وهي نامية

١) الّا انهُ لا يسعنا ان ننسى واحدًا منهم تفرد بتقواهُ وعبادتهِ للبتول على ما كان تدرب عليهِ اذ كان عضوًا لاخويتها في مدرستنا وهو الشاب الورع انطون افنـدي نحاس الذي لشدّة حبّهِ لسيدتهِ السماوية لم يزل منذ خروجهِ من المدرسة الى ايامنا هذه يواصـل هداياهُ الثمينة لمعبدها المقدس وقد صار لنا الحظ بقبول احدى هداياهُ في السنة الماضيــة اذ كنّا من المساعدين للاب المرشد في تدبير الاخوية

وقبل ذهاب الاب لادريار الى الاسكندريَّة كما سبق لنا القول اتاح الله تعزية كبرى لهُ وللمدرسة جمعاء الا وهو نقل ذخائر الشهيد كوسيليوس (Caucilius) من شهداء الداميس الممنوحة سنة ١٨٤٦ من البابا غريغوريوس السادس عشر للاب لاروا في احد اسفارهِ الى رومية مدَّة رئاستهِ على الرسالة السوريَّة لكن الظروف لم تسمح لهُ بنقلهِ حينئذٍ الى المدرسة بل وُضع موقتاً في كنيسة راهبات المحبة في الاسكندريَّة الى ان تيسَّر نقلهُ في اواخر نيسان سنة ١٨٦٢. فوصل بحرًا الى جونية في اوائل ايار من السنة نفسها وجرت حفلة نقلهِ الى المدرسة في ٩ ايار باحتفال واُبهة عظيمين وقد اشترك بها ليس فقط سكَّان عين طورا بل واهالي القرى المجاورة في كسروان والقاطع وغيرهما. وكان هذا العيد بهيجاً عمَّ بهِ الفرح وشمل الطرب والسرور وكان السيد ڤيلَّاردِل القاصد الرسولي في سوريَّة قد فوَّض الى الاب لادريار فتح الصندوق الحاوي تلك الذخيرة الثمينة ليتحقَّق هل الختوم باقية على ما كانت عليهِ ام لا فاجرى الاب المذكور هذا الفحص القانوني في كنيسة القديس دوميط للموارنة في زوق ميكائيل. وحينئذٍ عُرض جسد الشهيد في تلك الكنيسة لاكرام المؤمنين المتقاطرين من كل الانحاء. ثم حُمل على الاكفّ في محمل مزيَّن بالازهار والانسجة الثمينة المذهبة وسار الموكب الحافل على هذا النمط باخبات وخشوع بين تراتيل التلامذة الرخيمة وصلوات الجماهير الحارَّة الى ان وصلوا الى المدرسة التي كانت كاسية ابهى حلة من الزينة تتلألأ بالانوار الساطعة. وهناك وضع جسد الشهيد على منصة مزيَّنة وختمت الحفلة بزياح القربان المقدس وبقي الجسد معروضاً لاكرام المؤمنين مدة ثمانية ايام وفي ختامها طيف بهِ في المدرسة الى دير راهبات الزيارة (١ وبعد ذلك وضع الجسد في صندوق مذهب مكشوف تحت الهيكل الكبير في كنيسة القديس يوسف القديمة ثمَّ في معبد المدرسة الذي شُيِّد في سنة ١٨٨٣. وبعد اتمام كنيسة المدرسة الكبرى التي سعى بتشييدها حضرة الاب الفاضل الفونس سلياج الرئيس الحالي على مدرستنا نقل اليها السنة الماضية

١) تشيد هذا الدير سنة ١٧٤٦ بايعاز الاباء اليسوعيين الأفاضل وسعيهم وهو باقٍ الى الان مزهرًا بالفضائل والاعمال الخيريَّة تسكنهُ ثلاثون راهبة وأضيف اليهِ سنة ١٨٨٥ مدرسة داخلية للبنات يتعلَّمن فيها الافرنسية والعربية والحساب والجغرافيَّة والفنون والاشغال اليدويَّة وفيها نحو ستين من الاوانس يدبّرهنَّ حضرة الاب الغيور الخوري يوسف صفير احد اساتذة العربية في مدرستنا

التي اتاحت لـهُ رؤية تلك المدرسة العزيزة التي اسَّسها لآخر مرّة اذ انهُ لم يلبث ان انتقل من هذه الحياة الفانيـة متلفظاً بكلمات الرسول المصطفى: « جاهدتُ جهادي وكملت سعيي فمنذ الان يُحفظ لي الاكليل الذي يجازيني بهِ سيدي ». اجل قضى الاب لاروا بيد ان اعمالهُ لم تزل حيَّة تشهـد بفضلهِ. فلمَّا ذاع نعيهُ بكاهُ الجميع لفقدهم بهِ ابًا غيورًا فاضلًا واخذوا يتقاطرون ارسالًا ووحدانًا تأديةً لفروضهم الاخيرة نحو هـذا الاب المحبوب ثمَّ ألحدوهُ في مدفن المدرسة بالقرب من اولئـك المرسلين الذين كانوا تقدَّموهُ الى الديار الخالدة وذلك لثلاثين خلونَ من تموز سنة ١٨٦٠

مدرسة عين طورا من سنة ١٨٦٠ الى اليوم

ولمَّا استتبت الراحة وضرب الامن اطنابهُ على هذه البلاد رجع الاب ديـﭘـار ومن معهُ من المعلمين الى عين طورا واعان للحـال افتتاح المدرسة فعادت الامور الى مجراها العادي في اوائل تشرين الاول. واحسن كثيرون من اهل الثروة خاصَّة من فرنسا على السوريّين المنكوبين فارسل الكونت لويس فيليب الى الاب ديـﭘـار مبلغًا وافرًا من المال لمساعدة المحتاجين منهم. وكانت الحكومة الفرنسيَّة قـد بعثت بالاب شارل لاڤيجري الذي كان وقتئـذٍ مديرًا للمدارس الشرقيَّة (وقد صار فيما بعد في مصافّ الكرادلة ورئيسًا لاساقفة الجزائر) وذلك للنظر في امر المُتَيتِمين فعني بهم ووزَّعهم على اديار المرسلين والراهبات. فاصـاب مدرستنا سبعون منهم اتى بهم الاب لاڤيجري بنفسهِ وسلَّمهم لعناية آباء مدرسة عين طورا فاصبح اذ ذاك عدد تلامذتها ينيف على المائتين ولم يكن في المدرسة مكان يسع الجميع لكنَّ المحبة لا تقاق ولا تضطرب ولا تهتمّ للغد تلك هي الخطَّة التي توخَّاها آباء المدرسة في تلك الآونة فبـارك الرب حسن نيَّاتهم واتاح لهم توسيع نطاق المدرسة بمدَّة وجيزة. وممَّا يستحق الذكر من حوادث تلك السنـة زيارة الجنرالين دي بوفور دوبول (Beaufort d'Hautpoul) ودوكرو (Ducros) والاميرال سيمون للمدرسة فسرَّا لما لاقوا فيها من الترتيب ومن نجابة التلامذة وآدابهم

ولم تزل المدرسة بتقدُّم ونجاح تحت تدبير الاب ديـﭘـار الى سنة ١٨٦٦ التي فيهـا اعتراهُ ألم بذراعهِ ألزمهُ الرحيل الى فرنسا وأُقيم مقامـهُ الاب فردريك لويس كوكيل الذي كان قدم عين طورا سنة ١٨٥٩ فمشى على آثار سالفهِ مدبرا شؤون المدرسة بهمَّة

لخير النفوس ومجد الله وتكريم مريم العذراء امَّا اعضاؤها فيبلغون مائة وخمسين عدًّا بين رجال ونساء

وعند افتتاح المدرسة في السنة التالية اي سنة ١٨٥٦ بلغ عدد التلامذة مائة واربعة فضاعف الاب لادريار همَّتهُ في توسيع المدرسة والسهر على تقدُّم التلامذة فضيلةً وعلمًا. ولمَّا اشتدَّت الثورة في الجبل سنة ١٨٥٩ لم يحدث شيء في المدرسة ممَّا يقلق راحتها ويشوّش نظامها. وفي ختام السنة صارت حفلة توزيع الجوائز بابهة واحتفال غير اعتياديين اذ كان متصدّرًا فيها صاحبا الغبطة المثلثا الرحمات السيد ڤالركا البطريرك الاورشليمي على اللاتين والسيد بولس مسعد البطريرك الانطاكي على الموارنة مع اثنين من اساقفة طائفته

وفي تلك الاثناء تشرَّفت المدرسة شرفًا باذخًا بزيارة رجلين شهيرَين عريقي الحسب والنسب ألا وهما لويس فيليب دي اورليان كونت باريس واخوهُ روبر دوق شارتر سليلا الاسرة الملكيَّة في فرنسة فصرفا فيها بعض ايام على الرحب والسعة وفحصا بنفسيهما التلامذة في اللغة الافرنسيَّة وسرَّا غاية السرور من نجاحهم ونجابتهم. ولمَّا كانت سنة ١٨٦٠ وحوادثها المعروفة التزم الاب ديپار بتسريح التلامذة وذهب هو وخمسة عشر تلميذًا كانوا مكثوا في المدرسة الى الاسكندريَّة واقاموا هناك مدة في ديرنا حيث لاقوا كل نوع من الالتفات الاخوي واللطف المحمود. وكان اذ ذاك الاب يوحنَّا پينَّا(١) (Pinna) باقيًا في المدرسة مع ثلاثة من الاخوة المساعدين ليحافظ على المدرسة رغمًا عن الاضطرابات مزدريًا هو واخوتهُ بالخوف والخطر ومعتنيًا بالجرحى الزحليين الذين التجأُوا عددًا غفيرًا الى عونهِ فقابلهم بكل لطف ومحبة وساعدهم بكل سخاء وكرم شأن بني القديس منصور دي پول

امَّا الاب لاروا فبعد ان انهى تأسيس مدرستنا وديارات راهباتنا في الاسكندريَّة عاد الى سوريَّة وجعل مقرَّهُ في دمشق. وهو الذي اجتهد في خلاص المرسلين والراهبات من الخطر وبعد ان تخفوا بضعة ايَّام تمكنوا من الوصول الى بيروت بسلام وهناك شعر بانزعاج في صحَّتهِ فاتى عين طورا مستشفيًا لكن تلك لم تكن الَّا منَّة من العناية الالهيَّة

١) اتى هذا عين طورا سنة ١٨٤٧ لتدريس الايطاليَّة وعين سنة ١٨٥٨ وكيلًا للمدرسة بعد سفر الاب يوحنا ناجان (Najean) لرئاسة ديرنا في دمشق

وعندها عاد الاب ديبار الى عين طورا بهمة ومقاصد جديدة لكن الظروف لم تساعدهُ على اتمام نواياهُ الآئلة لنجاح مدرستهِ المحبوبة لان المنيَّة اغتالتهُ ناشبةً اظفارها في غرَّة كانون الثاني سنة ١٨٧٩ فخسرت بهِ مدرستنا رئيساً حكيماً ومدبّراً نشيطاً ودُفن في مدفن المدرسة بكل اكرام ولا يزال التلامذة الذين عرفوهُ يباركون اسمهُ

ولمَّا كانت العناية الربَّانيَّة ساهرة على خير مدرستنا منذ نشأتها الى اليوم ارسلت اليها في غرة ايار من تلك السنة رجلًا هو خير خلف لخير سلف اريد بهِ الاب المفضال الفونس سالياج (Saliège) من لم يزل في رئاستها نحو من ربع جيل يدبر شؤونها بحكمة وهمة لا تخشى مللًا ساهرًا على صوالحها المادية والادبيَّة فنمت بايامهِ وايّ نمو ونجحت وايّ نجاح اتاها وهي لا تحوي الّا مائة وثلاثة واربعين تلميذًا فتراها اليوم تضمّ في حضنها نحوًا من الثلاثمائة واعمال حضرتهِ اشهر من ان تُذكر واوسع من ان تُعدّ وتُحصى. اولها اتمام ما كان بدأ بهِ الاب داستينو من البناء الجديد فشمَّر عن ساعد الجدّ مزدريًا بالعوائق وصيرها معهدًا بديعًا متقنًا راسخ الاركان متين الجدران واسع الارجاء باتمّ ترتيب وادقّ نظام (١

ثمَّ فتح سنة ١٨٨٢ مدرسة اكليريكيَّة لتهذيب الشبَّان المرشَّحين للكهنوت وللاعتناء بنوع خاص بالمدعوين الى اعتناق العيشة الرهبانيَّة في جمعيَّتنا فخرج منها كهنة افاضل ومرسلون غيورون منتشرون في اديارنا يزاولون بنشاط اعمال جمعيَّتنا سواء كان بفرنسة او في بلاد الصين ومداغسكر او في سوريَّة بارك الرب مساعيهم الخيريَّة. وفي سنة ١٨٨٧ حبًّا بالنظام المدرسي جعل للتلامذة بدلة رسميَّة يتميَّزون بها عن غيرهم من التلاميذ. وفي السنة التالية اجرى عادة اعطاء الشهادة (الديبلومة) لمن انهى دروسهُ (٢

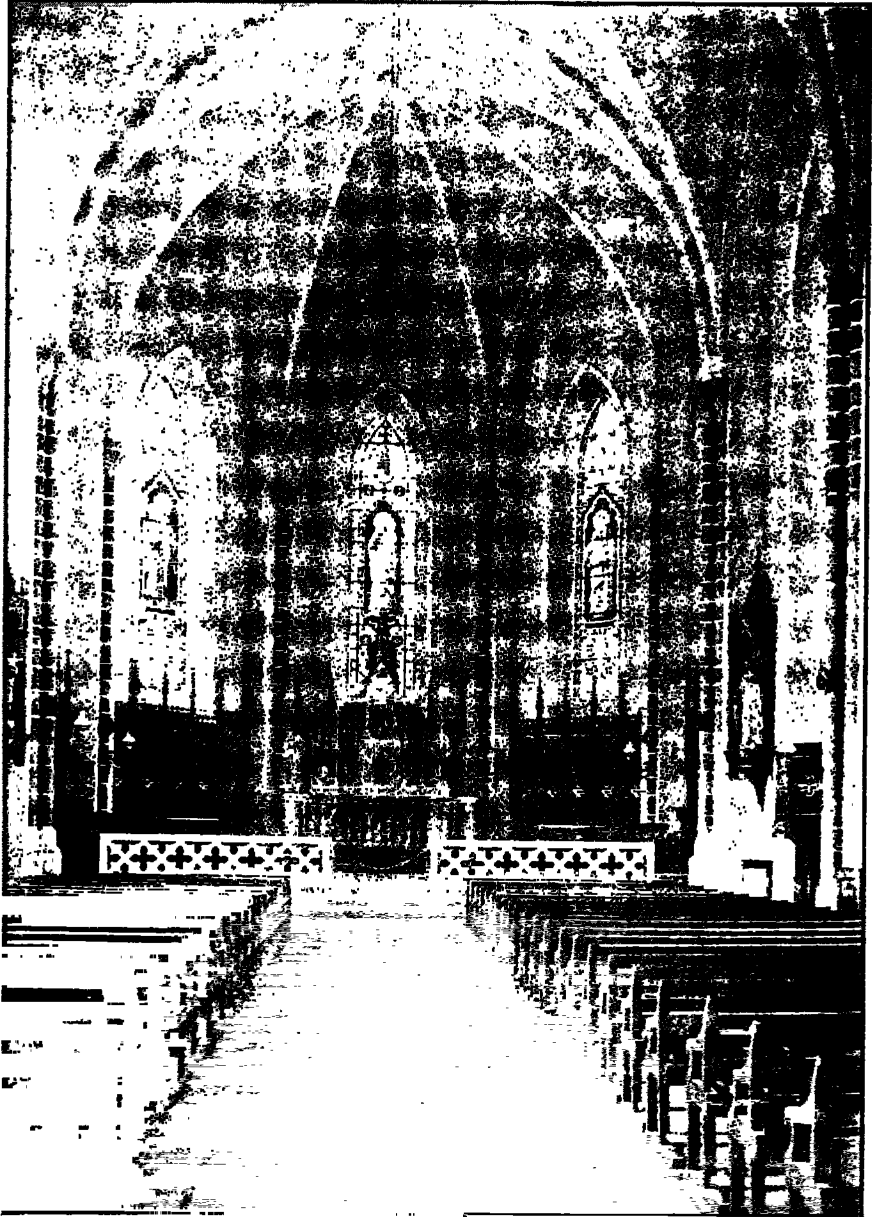
١) يُعدّ هذا البناء من الآثار المعتبرة في الشرق يؤمها اصحاب المقامات العاليَة وذوو المناصب الرفيعة دينًا ودنيا وهي بهيئة نصف مربَّع مكشوفة لجهة البحر بأقبية وطابقين: سفلي وفيهِ قاعات للدرس والمدارس وقاعات الكيميا والطبيعيات ومحل الاستقبال. وعلوي وفيهِ المنامات الواسعة وبيت الثياب وغرف الاساتذة والمكتبة. وداخل البناء دار فسيحة مقسومة الى شطرين لفئتي الكبار والوسط يفصلهما حديقة صغيرة في وسطها تمثال للبتول الطاهرة. اما فئة الصغار فلها دار واسعة بحذاء الكنيسة الجديدة التي يأتي وصفها آنفًا وفي صدر البناء تمثال للقديس يوسف شفيع المدرسة محفورة تحتهُ هذه الكلمات: قد اقاموني حارسًا. وفوقهُ ساعة كبيرة ذات ثلثة نواقيس في قبَّة تعلو وسط البناء

٢) واول من حاز هذه الشهادة هم الافندية: بولس زاموم من بيروت وشكري حداد من صيداء وعزيز مايسترو من القاهرة

وغيرة ونشاط . وفي ايامهِ تمَّ تدشين دير راهباتنا اخوات المحبة في زوق ميكائيل سنة ١٨٧٠ للاعتناء بالبنـات اللقيطات ثمَّ أُضيف اليهِ من بضع سنوات دار للعجزة ومدارس لتثقيف البنـات الخارجيَّات . وبقي الاب كوكيل في رئاسة المدرسة الى سنة ١٨٧٢ فأُرسل الى دمشق ثم عاد الى عين طورا واخيرًا عُين في بيروت سنـة ١٨٧٩ حيث استدعاهُ الله اليهِ سنة ١٨٩٦ وكان رحمهُ الله وديعًا تقيًّا ماهرًا في ارشاد النفوس محبوبًا من الجميع حتى انهُ كان يقضي ساعات طوالًا بل اياماً كامـلة في منبر التوبة مقتبلًا بحبّ وحنان ابويـين التائبين المتواردين اليهِ بكثرة من كل الطبقات طالبـين نصائحهُ ومرتشدين بارشاداتهِ الخلاصيَّة

وخلف الابُ كوكيل في رئاسة مدرستنا الابُ يوحنَّا انطون رومان (Romand) وكان اتى عين طورا سنة ١٨٥٩ وكان رفض هذه الوظيفة بالرغم لشدة تواضعهِ وحبهِ اعتزال الوظائف والكرامات بيد انهُ لم يزل يستميح بالحاح إقالتهُ الى ان نالها مسرورًا . وفي مدة رئاستهِ القصيرة جدَّد نقش كنيسة القديس يوسف وبنيت فوقها القبَّة الموجودة فيها اجراس المدرسة الى اليوم حتى يتيسَّر بناء قبَّة جديدة تناسب البنـاء الجديد . ومن فضائل هذا الاب محبَّتهُ العظيمة للفقراء فكثيرًا ما كان يحمل اليهم بنفسهِ ما يعوزهم من قوت وكسوة وقد رقد بالرب برائحة القداسة والطهر في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٨٧٣ في بيروت وكان قد طلب قبل وفاتهِ الى الاب ديڤان (Devin) الذي كان وقتئذٍ رئيس الرسالة ان تنقل رفاتهُ بعـد وفاتهِ الى عين طورا فلم يتمّ ذلك لبعض الظروف الَّا في ٢٦ ايلول سنة ١٨٨١

وبعد اقالة الاب رومان قُلد الاب شارل بيانكي (Bianchi) رئاسة المدرسة لكنَّهُ لم يلبث فيهـا سوى بضعة اشهر وهو موجود الان في ديرنا بنابولي . فقام اذ ذاك الاب انطون داستينو (Destino) بتدبير المدرسة وهو من الرجال المتازين بتقواهم وغزارة علومهم فاحسن ادارة المدرسة وهو اول من اهتمّ بتجديد بنائها على طرز جميل رغمًا عن الصعوبات المادّية والادبيَّة فوضع اول حجر منهُ في اواسط تموز سنة ١٨٧٤ لكنَّهُ لم يرَ تتمَّة عملهِ المشكور بل ترك عين طورا مأسوفًا عليـهِ من الجميع لرئاسة ديرنا في اقبس المشيَّد سنة ١٨٧٠ بعد ترك اللعازريين دير حلب وهو الان موجود في مدرسة القديس مبارك في الاستانة العليَّة



كنيسة حضرات الآباء اللعازاريين
في مدرسة عين طورا

وقدم عنها فحصاً شافياً مرضياً فكان ذلك اكبر مساعد لتعزيز الدروس وتنشيط التلامذة فاستحسنت الحكومة الفرنسيَّة عملهُ هذا واهدت اليهِ وزارة المعارف والفنون رتبة « اوفيسيه داكادمي » ببراءة مختومة بختم الوزارة المرقومة وممضاة باسم الوزير بورجوا موأَرخة في ٢٨ تموز سنة ١٨٨٩. وفي تلك الاثناء كان حضرة الاب المفضال اميل بوڤي قد عُيّن رئيساً لديرنا في بيروت ثمَّ للرسالة السوريَّة كلها (١. وحضرتهُ كان قدم سوريَّة سنة ١٨٧٢ ومكث بدمشق مدَّة ثمَّ اتى عين طورا حيث درَّس صف الخطابة وقُلد وظيفة وكالة المدرسة مدة عشر سنوات فقام بكل ذلك بدقَّة ونشاط استلفت اليهِ انظار روَساءِ فعيَّنوهُ لتدبير رسالتنا في هذه الديار. ولمَّا تمَّ البناء الجديد برمَّتهِ فكر الاب سلياج بعد استماحة الروَساء بتشييد كنيسة جديدة على اسم سيدة الحبل بلا دنس فكان وضع اول حجر من هذا البناء البديع سنة ١٨٨٩ في ٢١ من حزيران وآخر حجر منهُ في ٢٩ ايلول سنة ١٨٩٥. وهذه الكنيسة هي ملاصقة لجناح المدرسة الجنوبي معقودة بغاية الظرف على هندسة القرون المتوسّطة المعروفة بالنسق الغوطي (style gothique) (٢

١) مكان الاب اغوسطين ديڤان المتوفى في ٢٦ حزيران سنة ١٨٨٨

٢) وهذه الكنيسة من اجمل كنائس الشرق كما يشهد بذلك ذوو الخبرة في اسرار الهندسة طولها اربعون متراً في عرض اثني عشر من الداخل وعلوّ خمسة عشر قائمة برشاقة وظرف مستندة الى ستة عشر عموداً ضخماً مزادنة القواعد والروُوس بنقوش بديعة وفي موَخرها لجهة الشمال مصلّى مرتفع على عمودين بقناطر جميلة محدود عليهِ درابزون من الحجر الابيض النظيف المنقوش بحذق ودقَّة. وتحت المصلى ثلاثة ابواب كبيرة علوها اربعة امتار في عرض مترين ونصف متر. الواحد في الوسط لجهة الشمال وهو الباب الملكي والاخران واحد منهما عن اليمين لجهة الغرب والاخر عن اليسار لجهة الشرق يعلو كلًّا منهما كوة ورديةُ الشكل من الزجاج الملون. امَّا المذبح الكبير فهو الى جهة الجنوب مصنوع من الرخام الابيض النقي وعليهِ النقوش البديعة المستظرفة وهو صنع احد عملة بيروت البارعين وتحت مائدتهِ خمس قناطر صغيرة فيها خمسة تماثيل تناسبها حجماً وتوافقها زينةً. وهي تمثال القلب الاقدس في الوسط وعن يمينهِ تمثالا القديسين لويس ملك فرنسا وفرنسيس سالس صديق ومعاصر ابينا القديس منصور. وعن يسارهِ تمثالا القديسين لويس غونزاغا وانطونيوس البادوي. ومن جهتي المذبح ملاكان بالقد الطبيعي منتصبان بهيئة الخشوع على قاعدتين من الرخام والكنيسة سوق واحد مبلط بالرخام الابيض يتخلَّل بلاطَ المقدس خطوط الرخام الاسود وكذلك مائدة المناولة التي تفصل المقدس عن صحن الكنيسة هي من الرخام المنحوت البديع الصنع والشكل موصولة بسلسلة من النحاس الاصفر متدلية ازاء المذبح. وفي صدر المقدس الى الجهات

ولمَّا كانت الطرقات المؤدية الى المدرسة صعبة المرتقى وكانت الظروف تقتضي الاهتمام بمدّ طريق العربات بين بيروت وعين طورا. اهتمّ الاب سلياج بهذا المشروع واتخذ الوسائل لذلك الى ان تمّ رغمًا عن الصعوبات الباهظة واتبع هذا العمل المشكور ببناء محلات واسعة للاستقبال مع واجهــة ومدخل كبير للمدرسة فتمّ ذلك في اوائل اذار سنة ١٨٩٩ وهذا البناء ملاصق للقلالي القديمة المحفوظة من زمن الآباء اليسوعيــين الاجلاء وهو بأقبية وثلثة طوابق

ولمَّا تمّ بناء المدرسة برمَّتها أُقيم تمثال للقديس يوسف فوق مدخل المدرسة الجديد وتمّ ذلك بحفلة شائقة في ١٩ اذار يوم عيد هذا القديس الجليل

هذا ولم تكن همة حضرتهِ في الماديات باقلّ منها في الادبيات فقد صرف جل عنايته في تعزيز الدروس وتنظيمها وزاد في اوقات الدروس العربيَّة حثًّا للطلبة على اتقانهــا ثمَّ امر بترتيب غرفها على نسق مفيد وتنظيم لائحة لموادّ الدروس والفروض يجري عليها

الثلاث قد لبست الجدران بخشب الارز على طرز جميل . ومما يزيد جمال هذه الكنيسة نوافذها الملونة بالزجاج التي يبلغ علو كلّ منها سبعة امتار بعرض متر واربعين سنتيمترًا في المقدس وفي باقي الكنيسة هي مزدوجة بعرض متر وثمانين سنتيمترًا . اما النافذة التي تعلو المذبح الكبير فمرسوم على زجاجها سلطانة السماوات والارض حاملة الطفل الالهي على ذراعيها قابضة بيمينها على الصليب تسحق بهِ رأس الحيَّة الجهنَّمية وتحت الرسم ايقونة تمثل ظهور العذراء الحيدة لكاترين لابوره (Labouré) احدى راهبات المحبة مسلمة اياها الايقونة العجائبيَّة المنبثة في العالم كلهِ المثبتة بسلطان الكرسي الرسولي. وعن يمينها في النافذة الثانية رسم القديس يوسف شفيع المدرسة وبجانبهِ الطفل يسوع واقفًا وبالقرب منهُ في النافذة الثالثة رسم القديس الفونس ليكوري شفيع الاب سلياج المعتني بتشييد هذه الكنيسة وعن يسار رسم البتول نافذة مرسوم في زجاجها القديس منصور دي پول حاملًا طفلًا لقيطًا والى جانبهِ في النافذة التالية رسم الطوباوي الشهيد يوحنَّا جبرائيل پربوار اللعازري متأملًا بصليب يسوع اما النوافذ الثمانية المزدوجة الموجودة في صحن الكنيسة فتمثل اسرار الوردية المقدسة الخمسة عشر مختتمة بظهور مريم العذراء للقديس عبد الاحد مقدمة لهُ المسبحة وكلها في غاية الظرف تشهد على براعة صانعها وحذق معمل لو بان (Lobin) الموجود في تور (Tours) . اما المذابح الصغار فكلها من الرخام النقي النظيف المزخرف ثلاثة منها عن يسار الهيكل الكبير للقديس منصور دي پول والقديس انطونيوس البادوي وللشهيد كوسيليوس الذي تكلَّمنا عنــهُ سابقًا. وعن اليمين ثلاثة اخرى للقديس يوسف والطوباوي پربوار والام الحزينة سيدة اخوية النصر المقامة في مدرستنا سنة ١٨٥٥ كما سلف القول وعلى موازاة مائدة المناولة يوجد عن اليمين تمثــال للبتول الطاهرة نكرمهُ بنوع خاص في شهر ايار . وعن اليسار تمثال القلب الالهي اما السكرستيا فهي الى جهة الغرب وبالقرب منها منبر الخطابة

٧ً (من وكلاء الدعاوي) بشاره افنـدي قشوع وداود افندي نقّاش في بيروت وخليل افندي بولاد في الاسكندريَّة

٨ً (من نطس الاطبـاء) الدكاترة الافنديَّة : شاكر الخوري وملحم فارس وميشال مدوَّر واخواهُ سليم والياس وامين جميّل ويوسف الجاماتي طبيب مدرستنا حاليًّا والشيخ سمعان الخازن وحبيب طبجي الحرانجي والشيخ منصور الخازن وقسطنطين نصر وغيرهم كثيرون يضاف اليهم من الصيادلة الافنديَّان اسكندر الحلو ويوسف جميّل

٩ً (من الصحفيين والكتبة) الافندية خليـل غانم احد محرّري جريدة « الديبا » سابقًا ومدير جريدة « الفرانس انترنسيونال » حاليًّا = وراجي صيقلي استاذ السلطان مراد سابقًا بالفرنسية = حقي بك احد اساتذة المكتب الشاهاني = وغيرهم كثيرون كالافندية خليل باخوس وشكري غانم واسكندر شاهوب ومنصور الجاماتي

واذا أُضيف الى هؤلاء عدد وافر من الاعيـان كلاون بك الحويك شقيق غبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك وانطون افندي شيحا والمرحوم عبد الله خضرا واخيهِ رزق الله افنـدي وجدتَ ما نفعت بهِ مدرسة عين طورا الدين والوطن لا زالت راقيةً في معارج الفلاح . والسلام

رأي في توليد الانتيتوكسين

للدكتور حبيب افندي الدرعوني

من المعلوم ان الميكروبات تولد موادّ سمّيَّة يسمونها توكسينًا (toxine) وهي التي تحدث في الجسم الاعراض التسمُّمية الخاصَّة بكلّ جنس من الميكروب . ومعلومٌ ايضًا ان الطبيعة كلما وُجد سمٌّ في الجسم اوجدت لهُ ترياقًا يسمُّونهُ انتيتوكسينًا (antitoxine) او بعبارة اخرى كل توكسين لهُ انتيتوكسين يقاومهُ ويضادُّهُ ولا ريب عندي ان الاقدمين قد ادركوا ذلك السرّ الطبيعي بحذقهم ودقّة ملاحظاتهم للاشياء ولو فاتتهم حقيقتهُ الجوهريَّة وان ما كانوا يعبّرون عنهُ بالطبيعة المطبِّبة (natura medicatrix) ينطبق كل الانطباق على الانتيتوكسين

وقد تقرَّر ان الانتيتكاسين تجعل في الجسم مناعةً ضدَّ الامراض والدم الذي خُصَّ بهذه المناعة اذا استُقطر مصلهُ وحُقن بهِ مصاب بنفس المرض شفاهُ او اذا كان سليمًا وقاه . فذلك الامر الغريب الذي يدلُّ على الحكمة الالهيَّة في تدبيرها ووفرة اسرارها الطبيعيَّة التي نجهل كثيرها قد حدا بالعلماء للتحرّي على ذلك من وجوهٍ متعدّدة . ومن جملة المباحث التي اتوا عليها هذه المسئلة : لماذا السموم الكيماويَّة المعروفة واخصها التي يألفها

المعلّمون رسمياً من الصف الاول الذي تُعلّم فيهِ قواعد الخطابة والبيـان والشعر الى الصف الابتدائي الذي تُعلم فيهِ القراءة والكتابة

وقد خرج من هذه المدرسة عدد كبير من مشاهير الرجال ديناً ودنيا كاساقفة افاضل وكهنة غيورين يشتغلون بكرم الرب وقد اشتهر من بين العوام من نخصُّ بينهم بالذكر :

١ (من ذوي المناصب الرفيعة) دولتلو سليم باشا ملحمة ناظر المعادن والغابات واخوتهُ الاربعة صاحبا السعادة فيليب افندي احد اعضاء شورى الدولة وحبيب افندي قوميسير الدولة العلية في بلغارية ثم اسكندر وحبيب من مستشاري ادارة حصر التنباك = سعادتلو اميـل بك فرج الله قنصل الدولة العلية في لندرة = سعادتلو امين ارسلان قنصلهـا في بردو = سعادتلو لطفي بك سفيرها في طهران وقنصلها في لندرة سابقاً = ثم القناصل الفرنسويون المرحوم الفونس كيس (في الشام) والمرحوم الفونس دوريغلو (في صيداء) وادولف جوفروا (في اللاذقيـة) ومار يوس جوفروا (في مرسين) = ثم المرحوم المسيو الفونس جوفروا قنصل النمسا في اللاذقية

٢ً (من منصبَي الحكومة السنية في لبنـان) سعادتلو اسكندر بك التويني مدير الشؤون الاجنبية وترجمان اول = المرحوم عزتلو الامير افـندي شهاب نائب رئيس مجلس الادارة = وميرا آلاي الجند اللبناني ملحم بك ابي شقرا والمرحوم سعيد سعد الدين شهاب = ورؤساء دائرة الحقوق الاستئنافية الامير نجيب جهجـاه شهاب والمرحومان الامير نصوح شهاب وبطرس بك كرم = وناظر شركة حصر التنباك غطّاس افندي اللبكي = والمرحوم امين بك طربيـه عضو مجلس الادارة

٣ً (من ذوي المناصب المختلفة) عبد الله بك صفـير رئيس البوليس السري في القاهرة = فريد بك بابازغلي رئيس مكتب وزارة المالية في الاسكندريَّة = وليلم بك زلزل ماسك قلم ادارة دنقلة في السودان = اسكندر بك عمُّون رئيس المحكمة الاهلية في القاهـرة = فرنسوا افندي دياب وكيل عدَّة شركات فيها = ومديرا البنك العثماني عبد الله افنـدي غرّة فيها . وغالب افندي شاول في دمشق

٤ً (من قائمي مقام ومديرين في متصرّفية لبنان) اسعد بك كرم قائمقام في قضاء كسروان = سليم بك عمُّون (في البترون) = نسيب بك جنبلاط (في الشوف سابقاً) = الشيخ يوسف فرنسيس الخازن مدير ناحية الجرود في كسروان = الشيخ حبيب البيطار مدير ناحية غوسطا

٥ً (من تراجمين القنصليَّات المختلفة) المرحوم ميخائيل افندي مدور والمرحوم الياس بك حبالين وبروسبر افندي بنينو وكلهم تراجمين اوَّلون لقنصليَّة فرنسا في ثغر بيروت = ثم اندراوس بك مدور وميخائيل افندي كميد ترجمانا قنصليتي انكلترة واليونان فيها = ومرتينوس افندي جلّاد ترجمان قنصلية فرنسا في يافا

٦ً (من المهندسين) خليل افندي شدياق مهندس اول في متصرفية لبنان ورزق الله افندي عيناتي في بغداد

كثيرة دلالة على انَّ منبعهُ من الجسم نفسهِ. وممَّا يدعم هذا المقال تجارب « سالومسن » و « مادسن » التي بموجبها يزيد افراز الانتيتكاسين اذا أُدخلت في الجسم موادّ تهيّج افراز الحويصلات كما يفعل البيلوكربين

قلنا اذاً ان الانتيتكاسين تتكوَّن من الحويصلات ولكن كيف يمكن شرح الالفة الموجودة بينها وبين التكاسين؟ تلك المسئلة التي اجتهد « أهرليك » في حلّها وقد اجاد واصاب حيث قال:

لكل حويصلة عنصرٌ اولٌ هو ركن تكوينها يُدعى « بروتوبلاسما » وفي كل بروتوبلاسما توجد عناصر من دأبها ان تجذب لها الموادّ المغذية السائرة في الدم فتخزنها وتتحد بها اتحاداً تامّاً فقد شوهد مثلًا ان السكَّر موجودٌ في البرتوبلاسما ليس محلولًا فيهِ بل متحداً اتحاداً لا تفصلهُ عنهُ الَّا الحوامض الكيماويَّة. وعلى هذا المنوال يجدر بنا ان نفترض في ذلك العنصر الاصلي وجود عناصر أُخرى من دأبها اجتذاب التكاسين الموجودة في الدم وقد سُمّيت تلك العناصر بالسلاسل الجنبيَّة (على مقتضى مصطلحات الكيميا) فتلك السلاسل تلتهم التكاسين وتصبح من ثمَّ معطَّلة اي غير صالحة للقيام باعمالها الطبيعيَّة فلا تعود تجتذب الموادّ الغذائية لان التكاسين متى علقت بها تلازمها مدة طويلة كما ظهر الامر بالابحاث والتجارب

وقد لا يتمّ لها استئناف اعمالها الَّا اذا تجدَّدت سلاسلها الجنبيَّة. ولمَّا كانت الطبيعة سخيَّة في عطائها وتردّ المفقود أضعافاً جرياً على ناموس « ڤديكرت » تراها تعوّض عن السلاسل المعطلة بزيادة عظيمة عن عددها الاصلي. فاذا تمَّ ذلك فأُشبعت تلك السلاسل الجديدة بالتكاسين (كما يفعلون في التمنيع عن الدفتيريا والتتانوس بالحقن المتتالي) تتعطَّل بدورها ثم يخلفها سلاسل جديدة غيرها. ويستمرّ التعطيل والتجديد على هذا المنوال حتى يتفاقم عدد السلاسل في الحويصلة الواحدة ويثقل عليها فتضطرّ لنزع بعضها ودفعها الى الدم فتسير فيهِ سائبةً فتكون هي هي التكاسين بعينها. وقد تستمرّ بحالة انفصالها على نفس العمل الذي كانت تعملهُ حين كانت تعلق باصلها اي انها تلتهم التكاسين التي تألفها من طبعها حيثما صادفتها في مجاري الدم

ذلك نظرٌ يعلّل عن مظاهر عديدة كانت الى اليوم غير مدركة وتكشف غطاء الغرابة والاستعجاب عن مفاعيل التكاسين والانتيتكاسين كما سنعرضهُ ان شاء الله

الجسم لا تولّد انتيتوكسيناً كما تفعل سموم الميكروب فهل من فرقٍ جوهريّ بين هذين السمّين السم الميكروبيّ والسم الكيماويّ ؟ ولمّا لاحظ جماعة العلماء ان الانتيتوكسين الفلانيّ لا يقاوم الّا توكسيناً معلوماً وُجد من اجلهِ دون غيرهِ حكموا ان بينهما علاقة وان الانتيتوكسين ليس الّا فرعاً من ذات التوكسين او من متولّداتهِ. وقد شاع هذا الرأي بين العلماء شيوعاً عظيماً وجاهر بهِ « بوخنر » نفسهُ في مؤتمر اطباء الالمان المعقود موءخرًا في مونيخ

على انَّ من انعم النظر في الامر قضى بان ذلك الرأي لا يحلّ عقد المسئلة ولا يفي بشرح غوامضها. واولًا ان هذا الرأي لا ينطبق على ما نعلم من عدم التناسب بين كمّيّة التوكسين وكمّيّة الانتيتوكسين. مثال ذلك انّك اذا ادخلت في الجسم قدرًا يسيرًا من التوكسين حصلت مقابلةً لهُ من الانتيتوكسين على قدرٍ عظيمٍ يفوق بمئة الف مرَّة او يزيد كمّيّة التوكسين. فبُعد التناسب بين هاتين الكمّيّتين ينفي صحّة ذلك الرأي كما ينفيهِ الفرق الظاهر بين المناعة الفاعلة والمناعة المفعولة. فبينما الاولى تدوم سنين طوالًا وتجعل الجسم ممنَّعًا مدةً مديدة ترى المفعولة وهي التي تحصل بادخال الانتيتكاسين في الجسم (كما في الحقن بمصل الدفتيريا) تزول سريعًا ولا يدوم فعلها الّا زمنًا قصيرًا. فلو لم تكن الانتيتكاسين سوى شيء من متولِّدات التكاسين لما حصل الفرق بين هاتين المناعتين بل يدلُّ ذلك الفرق ان المناعة الفاعلة ناتجة عن عمل خصوصي يعملهُ الجسم فيفرز الانتيتكاسين كلما دثرت ويدوم فعلهُ مدَّةً طويلة. بخلاف المناعة المفعولة فانها تزول على اثر زوال الانتيتكاسين التي أُدخلت في الجسم بعد الحصول عليها من غيرهِ

وزد على ما تقدَّم وجود بعض الانتيتكاسين كانتيتوكسين الدفثيريا في دم حيوانات سليمةٍ من هذا المرض او أُصيبت بهِ من زمان طويل. فلو كان التوكسين يولّد الانتيتوكسين كيف يأتي هذا من حيث لا يوجد ذاك ؟ اذًا ينتج ممَّا ذُكر ان الانتيتكاسين ليست الّا افرازًا طبيعيًّا غير غريب عن الجسم بل حاصلًا منهُ ومفرزًا من خلايا انسجتهِ كما تؤيدهُ امتحانات « رو » و « ڤاليار » التي يجرونها على هذا المنوال:

يؤخذ حيوانٌ في دمهِ قدرٌ معلوم من الانتيتوكسين ثمَّ يُفصد ذلك الحيوان تباعًا» الى ان ينفد معظم دمهِ فما يتم الامر حتى يرجع الانتيتوكسين الى قدرهِ الاصلي. فلو كان الانتيتوكسين متولدًا من التوكسين لكان نفد بنفاد الدم لا محالة غير ان رجوعهُ بكميَّة

اسبابها

لا مشاحَّة انَّ اسباب الزلازل وعرة على ملتمسها خفيَّة عن مستقريها يتجشَّم طالبها مشقَّة استخراج المجهول وحلّ المعمَّى

نعم اركض العلماء والحكماء رائد الفكر في عالم الطبيعة فجابوا قفار غوامضها وسبروا غور البحارها . وحلّقوا باعالي الفضاء فدوّخوا اجرامه ليكشفوا بعض اسرارها . ولكن من اين لهم تحقيق ما يجري داخل الارض كالزلازل مثلًا وتدقيق نواميسها واسبابها الَّا ان هذه الصعوبة لم تكُ لتحول دون دقة العالم ومضاء عزيمته . والانسان فطرةً مولع بتفتيش الزوايا وكشف الخبايا جرًّا للمغانم ودفعًا للمغارم . والزلازل وايم الحقّ من اشدّ الرزايا . فوضع الجيولوجيون بعد التنقيب والاستقراء بعض نظريَّات لم تزل في دائرة الحدس والتخمين نوردها توصلًا الى معرفة شيء من اسبابها :

(النظريَّة الاولى) قالوا انَّ في باطن الارض كتلة عظيمة مائعة تتكوَّن منها الابخرة والغازات فتتحرَّى منفذًا لتخرج منهُ فتصدم الارض وتزعزعها حتى اذا وجدت ذلك المنفذ بطلت الزلزلة وسكنت الحركة

على انَّ هذا الامر ممكن الوقوع في الاراضي البركانيَّة لا غير . واماَّ قول هومبولد « ان البراكين مصاريع الأمنيَّة » (soupapes de sûreté) فلا يصدق الَّا على الاراضي المذكورة

نعم لا نكير انَّ للبخار قوَّة عجيبة . فلنا منها كلّ يوم شاهد صادق . وانَّما يستحيل نسبة اسباب كل الزلازل الى فعل البراكين . فقد يحدث زلزال ولا ينفجر بركان وبالعكس كما بيَّنا سابقًا

(النظريَّة الثانية) اسند بعض الجيولوجيين اسباب الزلازل الى انهدام يحدث في المغاور الحاصلة من تأثيرات المياه الجارية داخل الارض . انَّما يتوقَّف وقوعها على وجود اراضٍ تنفذها المياه بسهولة كالغضار والملح وما شاكل ذلك . وعليهِ فالزلازل المذكورة محلِّية ودائرتها بالطبع محدودة ايضًا

(النظريَّة الثالثة) تتشكل الاحجار اساسًا على طريقتين : الاولى من الحمم والموادّ التي تقذفها البراكين فتدعى احجار بركانيَّة . والثانيــة من رسوب المياه فتُسمَّى رواسب

الزلازل

بقلم الاديب عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأموري معية ولاية بيروت الجليلة (تتمَّة لما سبق)

سرعتها

تُقدَّر سرعة انتشار الاهتزازات بما يعضي على الهزة الواحدة من الزمن في المحالّ البعيدة. على انَّ المقياس المذكور كما لا يخفى ضعيف الحجَّة واهي الدلالة لما يحول دون تدقيق الراصدين من الصعوبة في معرفة آن وقوع هذا الحادث الفجائي والتمييز بين هزَّاتهِ المتوالية. لان من النادر حدوث هزَّة واحدة في الزلزال انما تتوالى الهزات في مدَّات قصيرة. ومع هذا فقد تبيّن من المراقبات العديدة ان سرعة الاهتزاز تتراوح بين مئة والف متر في الثانية بالنسبة الى شدّة الصدمة الاولى وانما تتباطأ كلما ابتعدت عن مركز الحركة. وقد وُجدت سرعة زلزلة لشبونة ٣٠ كيلومترًا في الدقيقة

مدَّتها

تدوم الزلازل في الغالب ثانيةً او ثانيتين او كسور الثانية وقد تبقى اشهرًا او سنين. واطولها مدةً زلزال بلاد قلفرية حيث اهتزَّ سطح الارض تقريبًا كل يوم من سنة ١٧٨٣ حتى نهاية ١٧٨٦ وحسب بعض المدققين ٩٤٢ رجفةً وقعت في بينياتور للسنة الاولى فقط. وروى المؤرخون حدوث ٨٠ هزَّة سنة ١١٣٨ في سوريَّة في ليلةٍ واحدة

على انَّ اكثر الزلازل شدَّةً ودمارًا ما يحدث منها على فور. فقد هلك في انطاكية سنة ٥٨٠ نحو ١٢٠٠٠٠ نفس في زلزلة واحدة. وفي سنة ١٧٥٥ اخرب الزلزال مدينة لشبونة واهلك من اهلها ٣٠ الف نفس في ظرف خمس دقائق. وفي سنة ١٨٨٣ كفت ست عشرة ثانية لهدم ١٢٠٠ بيت وقتل ٢٣٠٠ نفس في جزيرة إِسكيا الايطالية. لكن من النادر تكرُّر الزلازل الكبيرة الشديدة في زمن قصير

سعتها

تتفاوت كثيرًا مساحة الارض المتزلزلة في العرض والطول. فالزلزال الذي اخرب نواحي قلفريَّة احاط ٤٠ او ٥٠ كيلومترًا فقط ولكنَّ الذي هدم لشبونة عام ١٧٥٥ امتدَّ بين لابونية وجزيرة المرتينيك وبين غروئنلانده ومرَّاكش على نسبة ١/١٢ من سطح الارض تقريبًا. على ان هذه السعة تزيد وتنقص بالقياس الى مركز الزلزال في باطن الارض فبقدر عمقه يتَّسع نطاقهُ

(النظريَّة الخامسة) وضعهـا احد الجيولوجيين المسيو پهرى (Perrey) وسعى باثباتها المسيو فالب (Falbe) قالا: انَّ للاجرام الفلكيَّة وخصوصاً القمر قوَّةً جاذبة تجزر وتمدّ في اوقات معيَّنة المائعَ الناري الموجود داخلِ الارض فينسحب حيناً ثمَّ يعود بشدةٍ الى الارض الصلبة فيصدمها فيكون الزلزال

لكن فاتهما انَّ متوسّط الجزر والمدّ وبعبارةٍ اخرى ارتفاع مياه البحار وانحطاطها ٧٠ او ٧٥ ومعظمها ٨٠ سنتيمترًا. وهذان الجزر والمدّ لا يحدثان في كل بحار الكرة واذا وقعا فجزئيَّان. وعليهِ فكيف تؤثر الاجرام المذكورة في مائع ضمن ارض صلبة يبلغ ثخنها ٧٠ او ٨٠ كيلومترًا فضلًا عن ان المائع الآنف الذكر خاثر لزج صعب التحليل والتحريك

نعم لا ننكر انَّ للقمر ولسائر الاجرام الفلكيَّة تأثيرًا عـلى سطح الارض. لكنَّ هذه الجاذبيَّة قد تكون سببًا لتحرُّك الطبقات الضعيفة الرابطة والمختلة الوضع لا كما ادَّعى فالب وزميله. ولذا انكر عليهما مشاهير العلماء هذه النظريَّة السفسطيَّة

وقد اسند بعض الجيولوجيين الارتفاعات والانحطاطات الارضية مطلقًا الى فعـل الكرة الناريَّة الداخلية وقدَّروا قطر هذه الكتلة ٩٦ سنتيمترًا بالنسبة الى كرة قطرها متر واحد. فيكون ثخن القشرة الارضيَّة ٤ سنتيمترات. نعم ان للكرة الناريَّة قوةً مدهشة ولكن النظريَّات التي بسطناها عن اسباب الزلازل تمنعنـا من اسناد كل الارتفاعات والانحطاطات الارضية الى فعل هذه الكرة المركزيَّة

وتفكهةً لخواطر القراء نروي لهم نظريَّةً غريبةً في بابها سمعناها من بعض الجهلة قالوا: « ان الارض مركوزة على قرن ثور والثور قائم على سمكة وهذه على البحر. فكلَّما تعب الثور من حملِهِ الثقيل ينقلهُ الى قرنهِ الآخر فتتزلزل الارض » !!

ليت هذا الثور يركز الارض على قرنيهِ معًا فيريحنا من بلاء الزلازل ومصائبها !

مواضع الزلازل

قلنا سابقًا ان ليس في الارض تقريبًا نقطة لم تتحرك. الَّا انَّ هذا القول عمومي وحقيقتهُ ان الزلازل موزَّعة في الارض بصورة غير متساوية. فاذا اشرنا الى مواضع الزلازل في كرة مسطَّحة نرى بعض الجهات تتمتَّع براحة كامـلة بينما غيرها تكون دائمًا هدفًا لهذه النوازل الهائلة. ففرنسة مثلًا ما عدا جبال الالپ والپيرهنه هادئة ساكنة تنحصر

ومن المعلوم انَّ المياه الجارية تفتّت مع كرور الزمان الاحجار التي تصادفها في طريقها وتحملها الى حيث تخفّ سرعتها فتبقى هنالك وتزداد وتتراكم شيئًا فشيئًا الى ان تصير رابيةً فأكمةً فجبلًا حتى انَّ ما شوهد في بعض الجبال من الاسماك المتحجّرة ترسب على الطريقة المذكورة حيث كانت الارض منخفضةً فارتفعت وعليها تلك الاسماك فماتت فتحجّرت

على انَّ الاراضي الراسبة بمكان عظيم من الاهميَّة في الزلازل البنائيَّة. فان البحر كما لا يخفى يدفع دائمًا الى البرّ اوحالًا ترسُب طبقةً افقيَّةً موازيةً لهُ كما في سواحل شمالي المانية وصحاري السودان وبعض مفاوز روسيَّة حيث تشاهد هذه الطبقات من شقوق تلك الاراضي. الَّا انَّها تتباين في اللون والنسيج فضلًا عن اختلاف وضعيَّتها في جميع انحاء الكرة لارتفاع بعضها في جهات وانحطاط غيرها في اخرى

فكثيرًا ما يُشاهد عقيب زلزلةٍ هذا الاختلاف في محلّ واحد فيرتفع من جهة وينحطّ من اخرى (كما ترى في الشكل ١) فبينما كنت ترى سهلًا تنظر بعد حين هنا حفرة جسيمة وهناك رابيةً او جبلًا

وقد تختلّ كثيرًا افقيَّة هذه الطبقات (كما في الشكل ٢) فتفقد موازنتها وبالنتيجة مواضعها فتتزلزل وتترقَّص حتى تثبت في مكانٍ آخر. وقد دعا ذلك المعدنون الالمانيون fall والفرنسويُّون faille. لكنَّ الروابط بينها ضعيفة تزول غالبًا بواسطة المياه فاذا انحلَّت تتزعزع الطبقات المذكورة كما في السابق حتى تعود فتستقرّ برابطة غيرها وهلمّ جرًّا. واختلاف موازنة الطبقات مشهور عند المعدّنين فكثيرًا ما اخفق مساعيهم في استخراج المعادن. فلو كان الخط الاسود في (الشكل ٢) طبقة معدنيَّة لتكلَّف المعدنون في استخراجها كلها شيب الغراب

(النظريَّة الرابعة) غنيٌّ عن البيان انَّ الكرة الارضيَّة تخسر كلّ آن شيئًا من حرارتها وتتبرَّد يومًا فيومًا فيصغر بالطبع حجمها ونظرًا لصلابتها تتقبَّض وتتقلَّص طبقاتها بعنفٍ تقدُّمًا الى المركز فتختلّ موازنتها فتتزلزل كقطعة خشبٍ اذا اردنا كسرها على ركبتنا بشدَّةٍ وعنفٍ تكسَّرت وتطاير منها بعض القطع بنسبة مقدار صقالتها وخشونتها. كذلك الطبقات الارضيَّة يكثر الزلزال في معتلِّها ويقلّ في صحيحها. وهذه النظريَّة تعضد قول بعض الجيولوجيين بانَّ دائرة الزلازل تميل قليلًا او كثيرًا الى خط الاستواء

ابتلعت كثيرًا من المنازل والاشجار والناس ثمَّ قذفت بعضهم الى الخارج مع سيول جارفة

وقد تختلف احيانًا النتائج باختلاف نوع الزلزلة . على ان هذه النتائج كثيرة لا يحصيها قلم واهمّها التحورات الارضيَّة العظيمة التي حدثت عقيب الزلازل الكبيرة . فقد ذهب بعض الجيولوجيين ان جزيرتي صقلية وقبرص فصلتا الاولى عن ايطالية والثانيــة عن سوريَّة بواسطة الزلازل . كذلك بحر المانش فانَّهُ نتيجة زلزلة او زلازل عظيمة فرَّقت بين فرنسة وانكلترة كما ترى في الشكل (٣)

وكثيرًا ما فكَّرت في هــذا الامر الجلل اوقات تنزُّهي في مضيق (بوسفور) الآستانة المشهور فانهُ في الغالب نتيجة زلزال شديد يدلّ عليهِ تناسب رؤوس ضفتيهِ مع اخوارها وتجانس تركيب صخورها

وقد تنخسف الارض وترتفع وتدوم احيانًا دهرًا طويلًا وتعود تارةً الى وضعيَّتها الاولى كما يتبيَّن ذلك من اعمدة هيكل سرابيس التي ذكرناها سابقًا

قال حضرة الاب هنري لامنس المدقّق في مجلة المشرق (١ : ٣٠٥) : « لا غروَ ان زلزالًا شديدًا اثَّر في صورة شواطئ فينيقية جمعاء فانخسفت الارض في عدَّة امكنة وساخت خصوصًا في قيساريَّة وصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون . ولعلَّ ذلك هو السبب الذي يحول دون العلماء فيصدهم عن تعيين مدقّق لموقع صور وصيداء قديمًا . وقد نالهما من صدمات الزلازل ما لم ينلهُ غيرهما . وفي كلّ هــذه المدن ترى عند ركود البحر مآثر جليلة وبنايا عظيمة قد غطَّتها المياه منذ قرون عديدة . ولك ان تشاهد عند مصب نهر الكلب آثار مقالع قديمة تغمرها اليوم مياه البحر »

نعم لم يبقَ والحمد لله للزلازل ولسائر الاحداث الطبيعيَّة شدَّتها السابقة التي غيَّرت مرارًا في سالف الزمن سطح الكرة وقلبتهُ بطنًا لظهر . الَّا انَّها لم تزل تدأب في تعديلهِ تحت صور كثيرة وقوَّات مختلفة

الآلات المشهورة لتدوين الهزات

قلنا في صدر هذه الرسالة ان من الهزَّات الارضيَّة ما لا يُشعر بهــا الَّا بواسطة آلات دقيقة . فقد وجّه علماء الهيئة في مراصد باريس وغرينيتش وكمبريج مراقب (télescopes) طويلة الى بعض الاجرام الثابتة في اعماق الخلاء وعكسوا اشعتهــا على

نتائج زلازلها الخفيفة في تحريك الاجراس الصغيرة والفروشات البيتيَّة والجدران الخشبيَّة . وكذا بلجكة وهولاندة وشمالي المانية وبعض جهات روسيَّة فان طبقاتها حتى الآن لم تزل محافظةً على افقيَّتها

امَّا الاراضي البركانيَّة وخصوصاً الجهات التي اختلَّت فيها افقيَّة الطبقات فتكون على الاكثر محط هذه النوازل الدهماء وميدانها

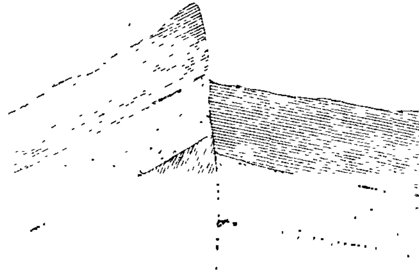
وفي سوريَّة وفلسطين كثير من آثار البراكين القديمة. فليس جبل حوران مثلاً سوى مخروطات تشكَّلت من الحمم التي قذفتها تلك البراكين كما ان وادي الاردن وغور بحر لوط شاهدان ناطقان مع التوراة بما جرى هنالك في سالف الزمن من الانقلابات الارضيَّة الهائلة

ذكر استرابون الجغرافي الشهير ما شاهد في بحيرة لوط وأطرافها من الافعال الناريَّة والآثار البركانيَّة قال: « . . . وفي أطراف البحيرة المذكورة كثير من اخربة القرى والمساكن. واخبرني الاهالي انهُ كان حوالي سَدوم ثلاث عشرة مدينة لم يبقَ منها الآن اثر سوى اخربة سدوم. ذلك ان الموادّ الناريَّة والمياه الحارَّة الكبريتيَّة والقطرانية غمرت عقيب بعض الزلازل الكبيرة قسماً من المساكن فلم تترك لها اثرًا وفرّ سكَّان القسم الثاني فأمسى خرابًا يبابًا . . . »

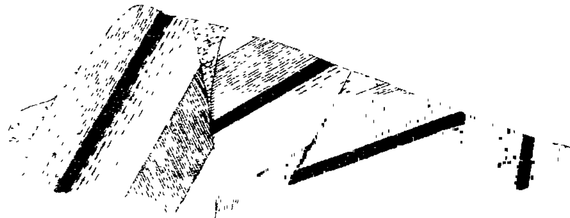
نتائجها

من البديهي ان ليس للزلزلة كبير اهميَّة بالقياس الى مجموع الكرة الارضيَّة لكنَّها والحق يُقال بمكان عظيم من الاهميَّة بالنسبة الى محلّ ظهورها كما علمنا ممَّا سبق. فانها اشدّ الاحداث التي تُعدّل سطح الارض وتسفر عن تحوُّرات مهمَّة فيها. فقد تتمايل الابنية آنئذٍ كالشارب الثمل وتتداعى وتسقط. وفي طرفة عين تتغيَّر مدينة عظيمة من حالٍ الى حال. فبينما تراها عامرة زاهرة تشاهدها بعد هُنَيهةٍ خرابًا يبابًا وتحت ردمها الوف من الجثث المشوَّهة

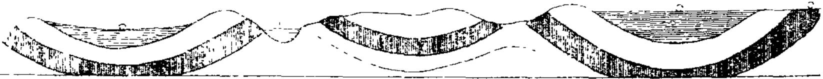
وكثيرًا ما تنفتح الارض وتنطبق على كل ما يكون فوق سطحها كما جرى ذلك في زلزال لشبونة حيث ساخت الارض وابتلعت في الحال رصيفًا عليهِ الوفٌ من الاهالي الذين لجأوا اليهِ ابَّان الزلزلة وعددًا وافرًا من المراكب الصغيرة. وشوهد في قلفرية عام ١٧٨٣ شقوق في الارض طولها ثلاثون كيلومترًا ونيف وعرض بعضها ١٥٠ مترًا



الشكل الاول



الشكل الثاني



الشكل الثالث توافق طبقات الارض على ضفَّتي بحر المَنْش

ولعلَّ هذا هو السبب في حدوث اكثر زلازل سوريَة في فصل الشتاء على ما ذكرهُ حضرة الاب لامنس في مجلة المشرق (١ : ٣٤٢) والبشير (عدد ١٤١٨) فانَّ السيول الجارفة آنئذٍ تخرق طبقات الارض ومغاورها فتزيل روابطها الضعيفة وتحلِّل ترابها فتتزعزع وتتزلزل. لكنَّ قولنا هذا يشمل الزلازل الانهداميَّة والبنائيَّة فقط اذ لا علاقة بين الامطار والبراكين (١

١) وفي ظنّنا ان سبب اعتقاد بعض عامتنا بقرب وقوع الزلزال عند سكون الرياح واشتداد الحرّ ناشئ عن عطفٍ اسباب الزلازل مطلقًا الى فعل النيران والابخرة. لكن الرياح في الغالب تهبّ ابّان الزلازل وتُثير غبارًا كثيفًا كما شاهدتُ ذلك في زلزلة الاستانة

سطوح من الزئبق فشاهدوا انحراف هذه الاشعَّة بعد حين ممَّا يدلّ على اهتزاز الارض
على ان لاكثر الآلات المذكورة رقَّاصاً في اسفلهِ قلمٌ يتحرَّك عند اقلّ حركة فيرسم اشارة حركتهِ على ورقة تحتهُ. ولبعضها كآلة برتلّي رقَّاص يمسّ عند وقوع الزلزال سطحاً من الزئبق فيحركهُ وهذا ينقل الحركة الى جرس كهربائي فيطن. ومقاييس المغناطيس ايضاً تدلّ على حدوث الزلزال كما ان البارومتر يهبط بغتةً عند وقوعهِ والساعات العاديَّة ذات الرقَّاص تتوقَّف عن الحركة

الزلازل في سوريَّة وبيروت

قسم حضرة الاب هنري لامنس في مقالتيهِ السابق ذكرهما الثغورَ الشاميَّة الى « خطَّين يتوازيان مدة ثم يجتمعان عند حلب على شكل زاوية محدَّدة. فمبدأ الخط الاول عند مجرى دجلة السفلي بقرب ديار بكر ثمَّ يمرُّ بالرها (اورفة) ومنبج وحلب وانطاكية فاذا وصل اليها مال توًّا الى الجنوب فمرَّ بساحل البحر وانتهى الى عسقلان وغزَّة » كالزلزلة التي شعرنا بها في الخامس من كانون الثاني الماضي فانها عمَّت كلَّ سواحل سوريَّة

واما مبدأ الخط الثاني ففي « شمالي سوريَّة عند عينتاب منحدرًا انحدارًا مستقيماً نحو الجنوب ويقطع عند حلب الخطّ الاول ثمَّ يجتاز في قلب الثغور الشاميَّة سائرًا في وسط وادي العاصي ووهاد بلاد البقاع الى غور الاردن. . . » وقال : « . . . ومجمل ما راقبهُ العلماء من الزلازل في سوريَّة يبلغ بالعدَّة ١٢٣ زلزلة فاثنتان وستون منها كان معظم قوَّتها في ما توسَّط بين حلب وانطاكية. . . واما بيروت فمن المقرَّر انها نالت من هذه المصائب حظَّها في كل زلزال. . . انما ادهشهُ ما دهم بيروت في السنة ٥٥١ »

امَّا اسباب الزلازل في سوريَّة فيمكن عطفها الى فعل البراكين وبعبارة اخرى الى الافعال الناريَّة تحت الارض في الخط الذي يجتاز قلب ثغورها سائرًا في وسط وادي العاصي ووهاد بلاد البقاع الى غور الاردن. انما يتعذَّر عطف السبب المذكور الى زلازل الخط الساحليّ حيث لا بركان ولا امكان لانفجار البراكين فيهِ كما بيَّنَّا سابقاً. فتكون والحالة هذه زلازلهُ انهدامية وعلى الغالب في ظنّنا بنائيَة تختلّ موازنة احدى طبقاتهِ لسببٍ ما فتزعزع التي بجانبها وهلمّ جرًّا حتى يهتزّ كلّ الساحل كما جرى ذلك في اكثر زلازلهِ وشاهدناهُ في الزلزلة الاخيرة

وقد ذُكرت دمشق في مكاتبات تلّ العمارنة على صورة « دِمَسقا » و « دِمَسغي ». وصورتهما في المخطوطات المصريّة « تيمَسْقو » او « دِمَسْقو ». والغالب في الكتابات الاشوريّة « دِمَشقي او « دِمَّشقا » بتشديد الميم او تخفيفها

امَّا الآراميون فقد احبوا ان يقحموا راءً بين الحرفـين الاوَّلين فقالوا דרמשק (درمسق) كما حُرّرت في الكتاب الاول من سفر الايَّام (١٨ : ٦،٩). وهذه صورتها في السريانيَّة باشباع ما قبل الآخر ܕܪܡܣܘܩ (درمسوق) وفي اللغة التلموديَّة باشباع الاول דורמסקין (دورمسقين)

ولدمشق ونواحيهـا في الكتابات الآشوريَّة اسمٌ آخر وهو « غاراميريشو » او بحذف الاول « اميريشو » و « اميريش » وفسَّروهُ « بقلعة الاموريّين » واستنتجوا من هذا الاسم انَّ الاموريين ملكوا على دمشق ونواحيها. وقد زعم هوبت (Haupt) انَّ لدمشق اسماً ثالثاً غريباً في اللغة البابليَّة وهو « شاميري شو » وفسَّرهُ « بمدينة حميرها » ولعلَّ في ذلك كناية فكاهيَّة الى الاسم السابق

امَّا اليونان والرومان فانهم لم يختلفوا البتة في اسم دمشق فدعوهـا Δαμασκός Damascus (دَمَسقوس). على ان اسطفان البوزنطي ادَّعى ان اصل الكلمة باليونانيَّة Δαρμασκός (درمسقوس) مشتقَّة من لفظتـين يونانيَّتَين δέρμα و ἀσκός ومعنى كلتيهما الجلد والاديم. لكنَّ هذا الاشتقاق غريب في بابهِ لانَّ اسم دمشق ليس بيونانيّ ولعلَّ اسطفان البوزنطي كان يعرف صورة اسم دمشق الآراميّة فظنَّها يونانيَّة

واذا استفتينا العرب وجدنا ان اسم دمشق القديم هو الشائع عندهم وإن اطلقوا على العاصمة اسم القطر كلهِ فدعوها باسم الشام كما اطلقوا اسم مصر على مدينة القاهرة وهو اسم الصقع المصري. ولئلا يلتبس الاسم على القارئ قد جمع العرب بين الاسمين فقالوا دمشق الشام. قال ياقوت في معجم البـلدان (٢ : ٥٨٧). « سمِّيت بذلك لانَّهم

انَّنا لا نرضى بتفسير هتزيغ (Hitzig, *ZDMG, VIII*, 222) الذي ارتأى انَّ اشتقاق دمشق من كلمة سنسكريتيَّة معناها « العين الحمراء ». وزعم غيرهُ انَّ معناها الارض الحمراء. وذلك لا يوافق الواقع لانَّ ارض دمشق وما حولها سوداء. والارجح عندنا ما رواهُ رتسلوب (Retslob) في المجلّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, XVI, 736) وهو ان دمشق لفظة آراميَّة مُماتة اصلهـا « مشق » يتقدَّمها د النسبة في هذه اللغات ومعناها الارض المزهرة والحديقة

وهنا نسأَل حضرة الاب المشار اليهِ مقصدهُ من قولهِ: « وربَّما يشتدّ لظى النيران الداخليَّة حتى تظهر مفاعيلهُ في الخطَّين معاً اعني في الخطّ الساحليّ والخطّ الشرقيّ. المشرق ١: ٣٣٧ ». وفي ظنّنا ان حضرتهُ يشير الى عكس فعل زلازل الخطّ الشرقي البركانيَّة في الخطّ الساحليّ لا الى فعل النيران فيهِ. ومع هذا فلا بُدَّ من ان تكون مراجل الخطّ الشرقيّ الارضيَّة في معظم الغليان حتى يعكس فعلها الى الساحل لان بينهما جبالًا تمنع انتشار الهزّات في الخطَّين معاً على ما رأيناهُ في جبال الاپنين في ايطالية وجبال الاند في اميركة. والنواميس الطبيعيَّة في كل اينٍ وآنٍ واحدة لا تتغيَّر

وقال حضرتهُ ايضاً في البشير: « انَّ الزلازل في سوريَّة تبتدئ عادةً في الشمال الشرقيّ من حلب في نواحي روم قلعة وبيرهجيك قبل ان تصيب بقيَّة سوريَّة » كما ايَّدتهُ بعد مدة زلزلة خامس كانون الثاني الآنفة الذكر. ولعلَّ السبب في ذلك كثرة اختلال موازنة الطبقات الارضية هنالك فاقلّ شيء يزيل روابطها الضعيفة فتتزلزل وتزعزع الطبقة التي بجانبها وهلمَّ جرًّا حتى يهتزّ كلّ الخطّ

ولاحظ حضرتهُ انَّ بيروت « وان لم تكن بمأمن عن الزلازل تزداد يوماً فيوماً ثبوتًا وان وقوع مثل هذه الطوارئ يخفّ مع الايام تواردًا وضررًا » لكنَّهُ يتوقَّع خطرًا من « اتساعها وعلوّ طبقات منازلها وقلة الاعتناء بتوثيق ابنيتها.. اذا ما الَمَّت بها يوماً نكبة الزلازل الشديدة » والعياذ بالله وهو سبحانهُ الواقي المعين

دمشق واسماؤُها القديمة

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

دمشق مدينة عاديَّة خطيرة الشأن لا يخلو كتاب قديم من ذكرها. وقد ورد اسمها مرارًا في الاسفار الكريمة كما سُطّر في الكتابات المصريَّة والاشوريَّة قبل عهد الكتب المنزلة ومع تكرار هذا الاسم منذ القدم لا تكاد تجد في صُوَر كتاباتهِ العديدة اختلافًا يذكر كما سيأتي

فانَّ العبرانيين يدعونها דמשק (دَمّسِق). وهو اسم لم يتفق العلماء على معناهُ (١.

---

١) راجع قاموس العلَّامة جزنيوس (Thesaurus) في الصفحة ٣٤٥ من الجزء الاول. على

هذا يكفي للدلالة على بطلان رأي من زعموا انَّ جلّق هي دمشق

هذا واذا تصفَّحنا في باب الجيم ما كتبهُ عن « جلّق » وجدنا فيهِ ما يؤيد رأينا بدلًا من ان يضعفهُ ودونك قولهُ:

«وهو (جلق) اسم لكورة الغوطة كلها وقيل بل هي دمشق نفسها وقيل جلق موضع بقرية من قرى دمشق وقيل صورة امرأة يجري الماء من فيها في قرية من قرى دمشق قال حسَّان بن ثابت:

لله درّ عصابة نادمتهم يومًا بجلّق في الزمان الاول »

أفلا يرى القارئ انَّ ياقوتًا يقدّم الرأي الاصوب عندهُ على مألوف عادتهِ اعني انهُ يعتبر جلق كاسم لكورة الغوطة ثمَّ يذكر الاقوال المتضاربة التي وردت فيها تاركًا عهدتها على اصحابهـا . امَّا استشهادهُ بقول حسَّان فلا يدلُّ كما ترى على كون جلق هي دمشق بل على انَّ اسمها ورد في الشعر القديم (١

واذا طالعنا الجغرافيين الذين سبقوا عهد ياقوت وجدناهم كلهم يوافقون رأينا فان البكري في « معجم مـا استعجم » (ص ٢٤٢) لا يزيد على ذكر جلق سوى قولهِ « موضع بالشام » وكلام الهمذاني في صفـة جزيرة العرب اصرح فانهُ يذكر جلق في ديار جزيرة العرب . امَّا دمشق فانَّهُ ضرب الصفح عنها في كتابهِ لانها ليست في جزيرة العرب . وهذا قولهُ (ص١٧٩): « وحسمى وصيداء وحارب وجلّق ديار غسَّان »

فكيف يسوغ بعد ذلك ان يقال انَّ جلّق هي دمشق وهل يبني العاقل حكمهُ على « قيل » دون بيّنة تنفي الشبهات

ولعلَّ قائلًا يقول انَّ الشعراء الاقدمين كحسان والنـابغة الذبياني ذكروا جلق واطلقوا هذا الاسم على دمشق

نجيب على هذا الاعتراض: (اولًا) انَّ المعوَّل في تحديد البلدان وتعريف اوضاعها لا يؤخذ عادةً من الشعراء لانَّ الشعراء في قصائدهم يرخون لقريحتهم عنان المخيَّـلة فليس كلامهم حجة مقنعة . وكثيرًا ما تراهم يبدلون كلمة من اخرى ويأخذون العـامَّ بدلًا من الخاصّ وغير ذلك من الجوازات الشعريَّة . وهكذا وهم المقتطف مؤخرًا اذ استند الى بيت من شعر ڤيرجيل ليبيّن « انَّ الاقدمين لم يعرفوا اللون الازرق » (كذا). ولو اتانا الأخصام بنصّ قديم تاريخيّ لألقمونا الحجر

١) وفي كتاب مراصد الاطّلاع (١: ٢٢١) وهو مختصر ياقوت قد ذكر رأي القائلين بان جلق هي دمشق في الاخير كانَّهُ لا يستحق ان يُعبأَ بهِ

دَمْشقوا في بنائها اي اسرعوا ». ولا حاجة الى تنبيه القرّاء على ما في هذا الاشتقاق من التعسُّف

وممَّا كتبهُ الشريف الادريسيّ (ed. Gildmeister p. 14) ما حرفهُ: « مدينة دمشق مُحدثة وانَّما كان بالقديم من مواضعها موضع يسمَّى الجابية وذلك في ايام الجاهليَّة وبُنيت دمشق عليها » وهذا القول يردُّهُ التاريخ الصادق ولعلَّ الادريسي رواهُ وهمًا باسم احد ابواب دمشق ذكرهُ بُعيد ذلك. والصواب انَّ الجابيةِ مدينة معروفة (١ لملوكِ غسَّان جعلوا فيها تخت ملكهم وموقعها بين دمشق والمزيريب على مسافة بعض اميال من المزيريب في شماليها الغربي. واسمها باقٍ حتى اليوم

٢

هذا وقد بقي اسم آخر زعم البعض انَّ دمشق عُرفت بها في سالف الزمان نعني بذلك « جلِّق »

فاذا امعنَّا النظر في هذا الاسم وجدناهُ بعيدًا عن الاسماء السابق ذكرها بُعد الثريَّا عن الثرى. وقد رأينا انَّ بين تلك الاسماء شبهًا عظيمًا (اللهمَّ الَّا الاسم الاشوري امريشو) وان مرجع الاسم على اختلاف صورتهِ عند الامم القديمة الى الحروف الاربعة « د م س ق » مع اختلاف بعض حركاتها واقحام الراء فيها. امَّا اسم « جلّق » فليس فيهِ من اسم دمشق غير حرفهِ الاخير

واذا بحثنا عن اصل اسم جلّق لا نجد في اشتقاقها ما يدلُّ على عاصمة الشام او على شيء من صفاتها قال ياقوت (٢: ١٠٤): « جلّق هي لفظة اعجميَّة ومن عرّبها قال هو من جَلقَ رأسهُ اذا حلقهُ » وقد ذكر ياقوت هذه الرواية دون ان يصادق عليها. فليس اذن في اشتقاق لفظة جلّق ما يُجيئنا الى القول بانها هي دمشق

وهل يا تُرى من نصّ صريح لقدماء الكتبة يزيل الابهام ويقضي بالامر فدعنا نستقري تآليف جغرافيي العرب: ولا شكَّ ان اوسعهم وصفًا لدمشق هو ياقوت في معجم البلدان لكنهُ في اثناء كلامهِ عن عاصمة الشام لا يشير الى تسميتها بجلّق(٢ وسكوتهُ

---

١) راجع معجم البلدان لياقوت (٢٠٣). واعلم انَّ الادريسيّ لم يدخل بلاد الشام

٢) وكذا قُل عن المقدسيّ واليعقوبيّ وابن الفقيه والمسعوديّ والاصطخريّ وابن حوقل وابن جبير الخ. ولا اثر لذكر جلّق في وصفهم لعاصمة الشام

الفتاة المفقودة

رواية تاريخيَّة عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٥

فما وقع نظر موريس على هذه الاسطر حتى طار قلبهُ شعاعاً وظنَّ انَّهُ قرأَ فيها حكم موتهِ ومن ثمَّ كان فعلها في نفسهِ اسرع من شرارة النار في بعض مخازن البارود فصرخ صرخةً عظيمة وسقط متلاشي القوى لا يبدي حراكاً

مرَّت الساعات على المسكين وهو لاصق بالحضيض كأنَّهُ ميت ولم يفق من غشيتهِ الَّا في اصيل النهار فشعر بضعف لا يوصف وكان جسمهُ مبتلًّا بعرق بارد فلم يقوَ على النهوض ثمَّ حدَّق ببصرهِ الى سجنهِ فاذا بالهرّ الذي رآهُ في غلس ذلك اليوم رابض في قرنتهِ. فاحيا منظر هـذا الحيوان الأَلوف ميّتَ آمال موريس وشدَّد قواهُ فنهض اليهِ ليمسكهُ ويتخذهُ لهُ انيساً في وحدتهِ

لكن هذا الهرّ كان وحشيًّا لا يمكّن منهُ احداً فما احسّ بحركة موريس حتى وثب الى الكوَّة وفرَّ هارباً قبل ان يمسهُ السجين

فبقي التعيس وحدهُ بازاء جثة الفتاة لا يجد حيلةً للخلاص ولا وسيلةً للنجاة

ثمَّ عاد الى الورقة التي قرأَها صباحاً وتأَمل تاريخها فاذا هو ٢٨ حزيران سنة ١٧١٥ وتذكَّر التاريخ الذي قرأَهُ في الحديقة على الصليب الذي نصبتهُ امُّ الفتاة يوم فقدانها فكان ٢٥ حزيران فاستنتج من هـذا الفرق انّ لوسيأ دي براكنتال باتت في سجنها ثلاثة ايام تتضوَّر... حتى ماتت جوعاً

فاخذ موريس يفكر في نفسهِ ويرى ما ينتظرهُ بعدُ من الاوجاع والعذابات فقام يدور كالسبع في قفصهِ يطلب لهُ مناصاً حيث لا يُؤمَّل مناص

ثمَّ قبض الاسلحة المعلَّقة في الجدار وعالج بها باب سجنهِ لكنَّها تكسَّرت بين يديهِ لفعل الصدأ فيها. فصار يضرب بقطعها الباب ليُسمع لها صلصلةٌ ويشعر بهِ احدٌ من خارج. فما كان لفعلهِ من فائدة

فنصب ثانية اثاث الغرفة ونضَّد بعضها فوق بعض لعلهُ يدرك الكوَّة ويرى منها ما يحيط بالسرب فيمكنهُ بذلك ان يشعر الناس بمحلّ سكناهُ فذهبت كلُّ مساعيهِ ادراج الرياح

(ثانياً) هذا اذا افترضنا ان كلام الشعراء واضح لا يترك مجالًا للابهام . ولكن هيهات ان نجد في قصائدهم مثل ذلك . فانَّ حسان بن ثابت يقول في بيتهِ السابق أنَّهُ « نادم ملوك غسان في جلّق » فهل ينتج من ذلك ان جلّق هي دمشق ؟ ويقول النابغة في مديحهِ لبني غسّان :

لئن كان للقبرين قبرٌ بجلّق وقبرٌ بصيداء التي عند حاربِ

فاين وجد المعترض انَّ النابغة اطلق في هذا البيت اسم جلّق على دمشق ؟

هذا ولا نجهل انَّ بعض الشعراء المحدثين ارادوا بجلّق عاصمة الشام نفسها . وانما ذلك هو من باب المجاز المرسل ليس الّا

وبقي اعتراض اخير اخذهُ اخصامنا من معاجم اللغويين كتاج العروس ولسان العرب . فجوابنا على هذا المشكل كجوابنا على السابق وهو انّ اصحاب المعاجم لا يبتُّون في ذلك حكماً وانما يثبتون كلَّ ما « قيل » . واذا وجدتَ منهم بعضهم يُوحدون بين دمشق وجلّق فذلك محض اختلاق لا سند لهُ في التآليف القديمة كما بيّنا . ولعلّهم عثروا على بيت شعر حديث ورد فيهِ اسم جلّق مجازًا بمعنى دمشق فشرحوهُ على مقتضى الحال . وقد قلنا انَّ المعوَّل في هذه الامور على القدماء لاسيما المؤرخين والجغرافيين لا على بعض الشعراء المحدثين الذين لا تقوى اقوالهم على نقض براهيننا السابقة

واذا اضفنا الى هذه الادلة رأي المستشرقين وجدناهم لساناً واحداً في تأييد قولنا نخصُّ منهم بالذكر كوسين دي پرسڤال في « كتاب تاريخ العرب في الجاهليَّة » وسانغوينتي في شرحهِ على اسفار ابن بطوطة ونولدك في كتاب « تاريخ ملوك غسان »

ونختم هذه النبذة بشهادة كاتب شهير من اقدم مؤرخي الاسلام وهو حمزة الاصفهاني (١ فانَّهُ يقول في الباب السابع من تاريخهِ حيث سرد اخبار الغسانيين ما حرفهُ : « ولمّا ملك جفنة قتل ملوك قضاعة . . . وبنى جلّق والقرية وعدّة مصانع »

فهل يقول المعترض انَّ جفنة المذكور بنى دمشق ودمشق كانت قبلهُ بنحو ٣٠٠٠ سنة ؟. فان قنع بعد ذلك اخصامنا بقولنا فنعمت والّا فلا يبقى لنا الّا الهتاف : لا حول ولا قوّة الّا بالله . والعياذ بالله من المعاندين

١) راجع ص ١١٦ من طبعة بطرسبرج . واعلم انَّ حمزة عاش في القرن العاشر للمسيح . وشهادتهُ تُبطل قول كاتب آخر كتب بعدهُ بنحو ٤٠٠ سنة وهو شمس الدين الدمشقي الذي لا يوثق بهِ في تخطيط البلدان

فاذ شعر السنَّور بهذا الغطاء همَّ بالفرار لكنَّ موريس القى بنفسهِ عليهِ وصدَّهُ بما بقي لديهِ من القوة. وكان الهرّ يموء ويضطرب بين يديهِ ليفلت منهُ بيد انَّ القنوط زاد في قوَّة موريس فتمكَّن منهُ وضبطهُ تحت صدرهِ

ثمَّ اخرج منديلهُ من جيبهِ وربطهُ بذَنب الحيوان ربطاً وثيقاً. وكان الهرّ في اثناء ذلك يزيد شراسةً وقلقاً حتى انَّهُ خدش يدي موريس باظافيرهِ فسال دمهُ لكنَّهُ لم يُبالِ بالالم حتى أتمَّ ما باشر بهِ. ثمَّ ضبط الهرّ الى طلوع النهار فسرَّح عنهُ

فخرج الهرّ من الكوَّة كالبرق ناجياً بنفسهِ من يدي السجين وساحباً المنديل بذنبهِ

فلمَّا توارى خرَّ موريس ساجداً لله وشكرهُ من صميم القلب على نجاح عملهِ واعتدَّهُ الهاماً سمويًّا منهُ عزَّ وجلّ وجزاءً على تسليم امرهِ لمشيئتهِ تعالى. وكان صِراعهُ للهرّ قد انهك بقيَّة قواه فتمدَّد على الارض طريحًا ينتظر بفروغ الصبر نتيجة عملهِ

٦

وسائلٍ يسأل وماذا جرى لرفقة موريس واهل القصر بعد غيبة صديقهم

حدّث عن حزنهم ولا حرج. فانَّهم اذ رأوا في مساء ذلك النهار المشئوم انَّ رفيقهم غاب عن العيان طلبوهُ في انحاء القصر طلبهم لليتيمة المفقودة ولم يدعوا حُجرة الّا زاروها ولا زاوية الّا وتفقَّدوها

فلمَّا آيسوا من لقيانهِ ظنُّوا انَّهُ وقع هو ايضاً في الوادي المجاور للقصر كلوسيا دي براكنتال بعد ان تعدَّى الدرابزين الذي امرت السيدة بنصبهِ على حافة الهوَّة .

وقضوا ليلتهم تلك في كدر لا يوصف ولم يمكن احدًا منهم ان يذوق راحة الوسن

وعند الصباح استأنفوا التفتيش على الفتى الضائع وهبطوا الى الوادي رجاء أن يجدوا فيهِ بقايا موريس فيدفنوهُ باكرام. فكان تعبهم بلا جدوى ولم يجدوا لصديقهم اثرًا

ثمَّ ارسلوا واخبروا السيدة دي براكنتال بمصابهم فجدَّد هذا الخبر في قلبها اللوعة على موت فتاتها وبكت على موريس بكاء الام على وحيدها

واوعزت الى بعض اهـل القرى ان: « اصعدوا الى قصري وأفرغوا كنانة الجهد لعلّكم تُلفون الصبي حيًّا او ميتًا » فاجابوا الى امرها وقضوا صلب نهارهم في البحث عن الشريد فعادوا آيسين من وجدانهِ وهم يزعمون انَّ الجنَّ اختطفتهُ

فلمَّا رأى اصحاب موريس انَّ صديقهم فُقِـد ولم يبقَ لهُ امل لاكتشافهِ بكوهُ

وفي تلك الساعة نفذ شعاع الشمس من كوَّتهِ فنظر الى جثة لوسيا ورأى اسنانها المعرَّاة من الجلد فخُيّل لهُ انَّها تقهقه وتسخر من كدّهِ الباطل . فزادهُ هذا المنظر حزناً وهلعاً فانزوى الى ناحية وجلس مختبياً ورأْسهُ على ركبتيهِ فاستمرّ على ذلك زمناً طويلاً وهو غائص في بحر الافكار التي كانت تتناوبهُ فتذيقهُ الموت الواناً

وبلغ بهِ يأْسهُ الى ان قام وهو فاقد الرشد واخذ قطعة من الاسلحة التي القاها على الارض لينتحر ويتخلَّص من هـذه البلايا المحدقة بهِ . الَّا انّ نظرهُ وقع على صليب الذهب المتعلّق في عنق الفتاة فتذكر تعاليم امّهِ الصالحة ومن وقتهِ القى عنهُ السلاح وجثا راكعاً يستميح من الله غفراناً عن ذنبهِ ومسلّماً نفسهُ لارادتهِ تعالى عملاً بما قرأ في رقعة لوسيا دي براكنتال

وكان في اثناء ذلك قد اجهـدهُ العطش وتقلّصت شفتاهُ فاخذ يمصّ منديلهُ فلم يستخرج منهُ سوى نُقَيطات قليلة لم تكفِ لتنقع غلّتهُ فصبر وعمـد الى آخر كسرةٍ من الخبز كان ابقاها في جيبهِ فاكلها بعد الجهد الجهيد لييس ريقهِ

ثمَّ جلس مسنداً ظهرهُ الى الجدار وكان يخاف ان يستولي عليهِ الكرى فينام نوماً لا يقظة لهُ بعدهُ الَّا انَّهُ لم يمكنهُ ان يردّ هجمات هذا العدوّ اللطيف فاستسلم اليهِ ونام نوماً مضطرباً وتململ عدَّة ساعات على الحضيض تنتاب مخيَّلتهُ الاحلام المزعجة

فلمَّا تنفَّس الصباح انتبه وكان اوَّل فكرهِ انَّهُ بلغ يومـهُ الاخير لما احسَّ من انحلال قواهُ . لكنهُ تسلّح باشارة المسيحي وجثا مصلّياً امام صليب الذهب ومجدّداً تقدمة نفسهِ الى الله ليصنع بهِ ما يشاء

وما كاد يتمُّ هذا الفعل التقويّ حتى سمع خرخرةً في سجنهِ فنظر واذا بالهرّ قد عاد الى مكانهِ المألوف وهو هذه المرَّة نائمٌ يغطُّ في نومهِ

ففـكَّر موريس كيف يمكنهُ ان يتَّخذ هذا الحيوان كوسيلة لنجاتهِ من الورطة التي وقع فيها

فصلى الى الله من صميم قلبهِ ليلهمهُ ما يفعـل واذا بفكر عنَّ لهُ اعتدَّهُ المسكين كوحيٍ من الله

واذ رأى نفسهُ على رمق اخذ يزحف بكلّ لطف وهدوّ الى جهة الهرّ بحيث لا يسمع لهُ همساً . فلمَّا بلغ قريباً منهُ نزع صُدرتهُ ورماها عليهِ بكلّ خفَّة

لنجاتهِ بعد ان استطار لُبهم روعًا لفقـدهِ

ولمَّا عادت الى المسكين قواهُ قصَّ عليهم تفاصيل خبرهِ فتوجَّعوا لهُ واثنوا على جميل صبرهِ. ثمَّ جثوا جميعًا ساجدين وقدَّموا للربّ الشكر عـلى ما أنعم بهِ عليهم من خلاص الفتى الشريد

بعد ذلك اخبروا السيدة دي براكنتال بوجود جثة ابنتها فاسرعت الى القصر وهنَّأَت موريس بنجاتهِ ثمَّ نزلت بسلَّم الى الغرفة حيث كانت كريمتها وهي لابسة ثياب عرسها فاذرفت عليها الدموع السخينة ووضعت بقاياها في تابوت واقامت جنازة حافـلةً لراحة نفس ابنتها. وكانت استدعت لهذه الجنازة الكاهن الذي بارك اقترانها يوم عرسهـا واودعوها اللحد آسفين على غصن شبابها المنقصف

ثمّ امرت السيدة بان تهدم تلك الحجرة المشؤومة لئلا يبقى لها اثر

فلمَّا حضر الفعلة اخذوا موريس كدليل يرشدهم الى الدهليز ومدخل السرب ففتحوا الباب بلا عناء لكنهُ انطبق من تلقاء ذاتهِ بعد اجتيازهم. فلمَّا سمع موريس صوت الباب تذكَّر ما حلَّ بهِ سابقًا فارتجف مرتعبًا. فعاد الفعلة يريدون فتحهُ فلم يستطيعوا واضطروا ان يخرجوا من الكوة العليا ويعودوا الى الباب من الدهليز ففتحوهُ ثانيـةً واقتلعوهُ فوجدوا رخامة كان البارون دي ادراي جعل تحتها ادوات واثقال وبكرات عديدة كانت تحرّك الباب وتقفلهُ بعد فتحهِ فاخرجوها وتعجبوا من حذق مهندسها

ثمَّ نُقضت جدران تلك الحجرة وأُقيم في مكانها معبدٌ جُعـل في باحتهِ ضريح لوسيَّا بكل اكرام. ثمّ عادت امها وسكنت القصر بجوار قبر ابنتها الى آخر حياتها

مطبوعات شرقية جديدة

١ كتاب القلادة الذهبيَّة في التأملات الانجيليَّة (ص ٣٣٣)

٢ كشف الستار عن حرّيّة الاختيار (ص ٨٧)

للخوري العالم الفاضل جرجس فرج صفير النائب البطريركي الماروني في الاسكندريَّة

طبعا بالمطبعة المصريَّة في الاسكندريَّة سنة ١٨٩٩

اهدانا حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس فرج صفـير صاحب التآليف الدينيَّة والفلسفيَّة الشهير نسخةً من هذين الكتابين الجديدين فتصفَّحناهما فوجدنا الاول كتابًا

بكاءً مرًّا وعوّلوا ان يقيموا لهُ بقرب مشهد لوسيًا دي براكنتال صليبًا يكتبون عليهِ اسمهُ مع تاريخ وفاتهِ المزعوم

وفي صباح اليوم التالي اجتمعوا لإتمام ما اعتمدوا عليهِ فقدموا باكرًا الى مكان الحديقة حيث نُصب ضريح لوسيًا وهم يردّدون عبارات الاسف على فقد رفيقهم

فبينما هم على ذلك يقرئون موريس الوداع الاخير اذ خرج الهرّ من الكوّة كما ذكرنا وفي ذنبهِ منديل السجين . فنظرهُ الحضور ولحظوا الجهة التي منها طفر. فتبع ابن الحاجب الحيوان المذنّب ولم يزل يسعى وراءهُ حتى ادركهُ

فلحقت بهِ الجماعة واستدارت حولهُ لترى ما الامر. فحلّوا المنديل وفحصوهُ فاذا عليهِ مرقوم « م.ر. » ليس الّا

فصرخ احد الشبّان: « موريس دي راباستين » . ابشروا اصدقائي انّ رفيقنا حي وهذا منديلهُ هيّا بنا ندقّق البحث عنهُ ولنسرع قبل ان تدركهُ المنيَّة

فما قال هذا الكلام حتى وثب الجميع الى حيث رأوا الهرّ نافذًا

فاخذ بعضهم يراقبون عرصةً كثر فيها الردم وطالت الاعشاب كانت على جانب الحديقة يرمي اهل القصر عندها حطام الدار. فاذا بكوّة زجاجيَّة نسجت عليها العناكب وعلتها الغبرة فنظروا منها فرأوا الغرفة التي كان فيها موريس وهو بين حي وميت

وكان الآخرون استعانوا بالحبال حتى وصلوا الى جهة جدار القصر المشرف على الوادي فنظروا الكوّة المستطيلة التي منها وثب القط فتحقّقوا ايضًا انَّ هنالك حجرة مجهولة وانَّ فيها الفتى الضائع

فتباشر الفريقان بما وجداهُ وتشاوروا في اقرب طريقة لانقاذ الفتى من مكروههِ وتنفيس كربتهِ. فكان رأي الجميع ان تُفتح الغرفة من كوّتها العليا

فعمدوا من ساعتهم الى المعاول وانتزعوا زجاجة الكوة واقتلعوا بعض الحجارة ثمّ ربطوا الحاجب بحبل وانزلوهُ الى ذلك النَّفق الخفي فاخذ بين ذراعيهِ موريس وانتشلهُ من قبرهِ وصعد بهِ الى ساحة الدار

وكان نوع من السبات قد استولى في تلك الاثناء على حواسّ الفقيد فلم يكد يشعر بما جرى لهُ فاضجعوهُ على فراش وثير وتداركوهُ ببعض الادوية المنعشة صبّوا منها نقطًا في فمهِ حتى فتح عينيهِ بعد قليل ورأى حولهُ الاقارب والاصحاب يتهلّلون فرحًا

من ان اقرنهُ برأيٍ آخر طبيعي وهو : ان الايام التي يقع فيها خميس الصعود هي من ايَّام بدء القيظ في هذه البلاد فيكون رشّ الناس بعضهم بعضاً اشارةً الى حينونة وقت الابتراد اي الاستحمام بالماء البارد . ويؤيد هذا الرأي عادة الارمن فانهم يرشّ بعضهم بعضاً في عيد تجلي الرب وذلك لانَّ مجيء القيظ في انحاء الاناضول وشمالي الجزيرة يكون بعد مجيئهِ في العراق وجنوبي الجزيرة والسبب معروف . امَّا ان هذه العادة قديمة في بغداد فيؤَيدها القزويني في كتابهِ عجائب المخلوقات في فصل شهور الروم اذ قال ما نصهُ بحرفهِ : « في الحادي عشر منهُ (اي من شهر حزيران) نوروز الخليفة ببغداد . وفيهِ اللعب ورشّ الماء وغيرهما ممَّا هو مشهورٌ » . فاحفظ كلّ ذلك حفظك الله من المهالك

الاب انستاس الكرملي

اشتقاق لفظة فسقيَّة في العربيَّة قرأنا في ملحق مجلة الطبيب المعنون « الدنيا في باريس » لجناب الكاتب احمد بك زكي (ص ٨٠) ما نصهُ :

« فساقٍ جمع فسقيَّة وهي كلمة دخيلة على العربيَّة في هذه العصور الاخيرة مأخوذة عن كلمة فرنساويَّة فسك (vasque) وأفتكر ان الاب لامنس اليسوعي قال في كتاب الفروق انَّها مأخوذة عن (piscina) اي بركة السمك في الاصل . وهو خطأ ظاهر في التخريج والنقل واضح »

(نقول) ان كاتب هذه الاسطر هو المخطئ لانَّ كلمة « vasque » في الفرنسويّة كلمة حديثة جدًّا لا تجدها لحداثة عهدها في جملة الالفاظ المثبتة في معجم الاكادمية الفرنسيَّة . فكيف امكن العرب ان يشتقُّوا لفظة دخلت في لغتهم منذ قرون عديدة من لفظة فرنسويَّة حديثة ؟ امَّا اشتقاق فسقيَّة من « piscina » فهو واضح يدلُّ عليهِ تشابه ثلاثة حروف في اللفظتين (وحرف p كما لا يخفى كثيرًا ما يعرَّب بحرف ف) . امَّا معنى الكلمتين فيتوافق ايضاً لان « piscina » دلَّت في اللاتينيَّة اولًا على بركة السمك ثمَّ أُطلقت على كلّ صنف من الاحواض . هذا واننا نظنّ انَّ العرب لم يأخذوا لفظة الفسقيَّة عن اللاتينيَّة توًّا وانَّما اشتقوها اولًا من السريانيَّة ܦܣܩܝܢ ثمَّ نقلها السريان عن اللاتين . وهذا هو رأي عظام المستشرقين كفريتاغ وفرنكل في كتابهِ (اصل الالفاظ الدخيلة في العربيَّة ص ١٢٤) وغيرهما كثيرين

هـ . ل

❊ ديرُ حنُّوش ❊ كان صاحب المحبة اصلحهُ الله انكر علينا وجود هذا المكان على رأس الشقعة قريباً من دير النوريَّة فاجبناهُ بما كشف لاعين القراء جهلهُ . واليوم قد ورد علينا كتاب من حضرة الاب نعمة الله الكفري يؤيد رأينا ويفيدنا ان هذا المحل كان سابقًا بلدة

مفيدًا جدًّا لغذاء النفوس المسيحيَّة بالتعاليم والاعمال الرَّبانيَّة جرى فيهِ مؤلفهُ على آثار الاب دوكسن (Duquesne) فوفَّق بين الاناجيل الاربعة وقسَّم التأملات تقسيمًا سهلًا رائقًا وزاد عليها من الشروح ما رآهُ يوافق اغراض العالميين والاكليريكيين والخطباء واللاهوتيين والجدليين معًا. وقد جعل عمادهُ في هذه الشروح على مصابيح كنيستي الشرق والغرب وفطاحل المفسرين المحدثين. وهذا المجلد الاول يحتوي ٣٠ تأملًا على اسرار حياة المسيح منذ البشارة بيوحنَّا السابق الى بدء كرازةٍ

امَّا الكتاب الثاني فهو مبحث فلسفي عن حرّية اختيار الانسان بيَّن فيهِ مؤلفهُ الفاضل اغمض ما جاء في الفلسفة من المطالب عن اصل الشرّ وبيان رداءة الافعال البشريَّة وصدور الشرّ عن الارادة. وجعل ذلك على صورة محاورة تقرّبهُ الى فهم الجميع وتزيل الشك عن المدارك في امور كثرت فيها اعتراضات المعترضين على حكمتهِ تعالى وقد فنَّدنا بعض هذه المشاكل غير مرَّة في المشرق

فنثني على همَّة صاحب هذين الكتابين ونطلب الى الله ان يجزل النفع بهما ويجازي كاتبها خير جزاء ل. ش

شذرات

خميس الصعود او خميس الرشاش — جواب على اقتراح المشرق (٣: ٥٢٦): ان لعادة خميس الصعود المشهور عندنا بخميس الرشاش (والعامَّة تقول خميس الرّشيش) شهرةً منذ قديم الزمن. امَّا سبب هذا الرشّ فلأفاضل بغداد من النصارى فيهِ آراء: فمنهم من يقول ان المسيح لما صعد الى السماء كانت سحابةٌ قد حجبتهُ عن الانظار انحلّت ماءً بعد ذلك. وكما ان هذا الرأي لا يدعمهُ الانجيل ولا التقليد ولا احدٌ من المؤرخين الثقات فيُعدُّ بمنزلة حديث خرافة او من قبيل الترَّهات

ومنهم مَن يقول بان المسيح قبل صعودهِ الى السماء قال هذا الكلام الشهير: اذهبوا الى العالم أجمع وبشروا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن «واعتمد» يخلص. ومَن لم يؤمن يُدَن... ومن بعد ما كلمهم الربُّ يسوع ارتفع الى السماء (مرقس ١٦: ١٥ و ١٩). فيكون هذا الرشّ إشارة الى ذكر إقامة سُنّة العماد الذي من أنواع منحهِ الرشُّ. وهذا الرأي اصحُّ من ذاك واقبلُهُ للعقل. غير اني وان كنتُ أَجلّهُ فلا استنكف

(المشرق) انَّ ضيق المكان يضطرُّنا الى تأجيل جوابنا على هذه الملاحظات فنوردهُ في عدد قادم ان شاء الله

وقد اتتنا ايضاً بعض افادات عن اصل المطبعة الاميركيَّة للدكتور البارع هنري جسب . غير انَّ هذه الاعلامات مع فوائدها لا تزيد شيئًا مهمًّا على ما ذكرناهُ في مقالتنا (ص ٥٠٤) . ومع ذلك اننا نشكر لجناب الدكتور جسب لطفهُ ونستميح منهُ عذرًا على عدم اثبات رسالتهِ

أسئلة وأجوبة

س سألنا من حمص جناب الاديب رزق الله نعمة الله عبُّود : ١ نرجوكم ان تفيدونا شيئًا عن ترجمة اوسابيوس المؤرخ الكنائسي وعن مكان مولدهِ. ٢ من هو ابن ناعمة الحمصي الذي ذُكر في كتاب علم الادب (ص٣٤٣)

اوسابيوس المؤرخ وابن ناعمة الحمصي

ج اوسابيوس المؤرخ هو اسقف قيصاريَّة فلسطين ازهر في القرن الرابع للمسيح وخدم قسطنطين الكبير (راجع ترجمتهُ في شرح مجاني الادب (ص ١٤٧) ولم يذكر هناك مكان مولدهِ لانَّ الامر مجهول

امَّا ابن ناعمة فهو عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصي عاش في اوائل الدولة العباسيَّة واشتهر بنقل الكتب اليونانيَّة الى السريانيَّة والعربيَّة معًا . وممَّا عرَّبهُ بعض كتب ارسطاطاليس كالسوفسطيقا والطبيعيَّات . ولا يعلم تاريخ وفاتهِ ل . ش

اصلاح غلط = ص ٤١٦ س ٦ « يلْفَمون » والصواب « يُلقمون » — س ١٢ « يُبقي الغين » والصواب « العين » = ص ٤٨٧ س ١٨ « اذا نضب » والصواب « اذ » = ص ٤٨٨ س ٢٥ « نيدغل » والصواب « نيرغل » = ص ٤٨٩ س ١ « المؤرخين » والصواب « انَّ المؤرخين = ص ٤٩٩ س ٨ « والطراق » والصواب « والطَّرَف او الاطراف » — س ٢٥ « على صفحة » والصواب « على صفحتَي » — س٢٦ « على الدفَّتان » والصواب « الدفَّتين » = ص ٥٠٠ س ٩ « يطيف بالسرج » والصواب « بالصدر الذي يمنع السرج » — س ٢٠ « مسرجةُ » والصواب « سرجةُ » — س ٢٢ « للعبير » والصواب « للبعير » = ص ٥٠١ س٧ « السناف » والصواب « المسناف » = ص ٥٢٤ س ٢ « innere » والصواب « innern » — ١٩ « publiés » والصواب « publiées » = ص ٤٧٩ س١٨ « السنوبر » والصواب « الصنوبر » = ص ٥٧٥ س ٢٢ « فيليب افندي جلَّاد » والصواب « انطون افندي » = ص ٥٨٤ س ١٥ « جميلة الشان » والصواب « جليلة » = ص ٦٢٢ س ١٦ « عثرت . . فصلًا » والصواب « على فصلٍ »

تدعى كوشار لا يزال منها آثار قديمة و« عدسة » قرب عين هنالك عميقة. وأكثرها ارض تخص دير مار عبدا معاد. اما تغيير اسمها كوشار بحنّوش فيزعم البعض انّ رجلًا من سكانها كان لهُ بقرة يحلبها ويُحسن بحليبها على المحتاجين فقيل سُمّ إنُعه اي تحنن الانسان فعرّبت حنّوش وموقعها شمالي البترون على مسافة ساعة منها

❊ افادات وملاحظات على مقالتنا في تاريخ فنّ الطباعة في المشرق ❊ افادنا حضرة الاب الفاضل القسّ نعمة الله الكفريّ « انّ مطبعة قزحيا المستحدثة (راجع المشرق ٣: ٣٥٦) احضرتها الرهبنة البلدية من رومية مع قوالبها (الأمّهات والأمّهات) لاربعة اشكال من الاحرف السريانيّة الجميلة وذلك عن يد الاب ساروفيم الشوشاني البيروتي المتوفى سنة ١٨١٤ فهذا كان أُرسل الى رومية لطبع الشيّة بالحرف الكرشوني على نفقة الرهبنة وتمّ طبعها سنة ١٧٨٢ تحت مناظرة الاب سمعان خضير البيروتي معلم العبرانية في المدرسة الرومانية في عهد بيوس السادس. فلمّا رجع من رومية احضر معهُ هذه المطبعة وجعلها اولاً في دير مار موسى الحبشي المعروف بالدوار فطُبع فيها بعض كتب منها خدمة القداس سنة ١٧٨٩ ثمّ كتاب القداس الالهي ثمّ الرسائل ثمّ الشحيمة. وكلها بالحرف الاسود. ونُقلت المطبعة الى دير قزحيّا نحو سنة ١٨١٥ (والصواب عندنا انّها نُقلت قبل ذلك راجع ص ٢٥٦ و ٢٥٧) فبني لها شرقي الدير محل منفصل عنهُ قليلًا وهو قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها وفوقهُ محل للمطبوعات وتجليدها. وكان دولاب المطبعة خشبيًّا فأُبدل بدولاب من الحديد. ثمّ تغيّرت تلك المطبعة بالمطبعة الحالية التي اشتراها المرحوم الاب دانيال الحدثي في ايّام رئاستهِ على الدير سنة ١٨٧١ من المرحوم رومانوس يمين الاهدني. اما لائحة الكتب فقد ذُكرت في المشرق. يُزاد عليها كتاب المزامير بالحرف الكرشوني. وقد دبّر هذه المطبعة بعد الاب ساروفيم حوقا الابوان مرقس اهمج ومارون ايطو وهو مديرها الحالي »

وقد اخذ على مقالتنا عن مطبعة الشوير (ص٣٥٩) حضرة الاب الفاضل الخوري اونوسيموس صوايا رئيس دير مار يوحنا الصابغ: ١ً اننا اسأنا في تسمية دير مار يوحنا الصابغ بدير الطبشة. ٢ً انكر شهادة الاب مرتينوس (ص ٣٦٠) في انّ الطقوس أقيمت في هذا الدير بالسريانية لانّهُ لا اثر في الدير لهذه الكتب الطقسيّة بالسريانية. اما الكتب الطقسية العربية فيوجد منها ما تاريخها سنة ١٦٩٢ و ١٦٩٤ و ١٧١٠. ثمّ انّ تقليد الرهبنة لا يروي شيئًا من ذلك فضلًا عن انّ الطائفة الملكية كلها كانت تقيم طقوسها من قديم الزمان باللغة اليونانية ثمّ عرّجت الى اللغة العربية في بعض امكنة حيث توجد اولاد العرب الغير المدركين اللغة اليونانية. وزد على ذلك ان الخوري الذي كان في هذا الدير حينما قدمهُ اول الرهبان الحنّاويين كان يقيم الطقوس باللغة العربيّة. ٣ً ليس بصحيح ان العلّامة الفاضل عبد الله زاخرًا اهتدى الى الديانة الكاثوليكية كما زعمنا (ص ٣٦٠) بل كان جدّهُ كاهنًا كاثوليكيًّا وابوهُ زخرنا دافع عن الايمان الكاثوليكي ولم يُسمع عنهُ انهُ خرج عن الايمان المستقيم. ٤ً ليس بصحيح انّ الاب بطرس فروماج ساعد عبدالله زاخرًا في انشاء مطبعتهِ كما يتضح ذلك من تاريخ الرهبنة الحنّاوية ودفاتر حساباتها. وكان هو اتى جا عن حلب سنة ١٧٢٧. ٥ً انّ فرائض الرهبنة تثبّتت في ١١ حزيران سنة ١٧٥٧ لا سنة ١٧٤٧ كما ورد في المشرق. يُستدلّ على ذلك من كتاب فرائض الرهبنة نفسها (ص٣١)

المشرق

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

١ نبذة تاريخيَّة

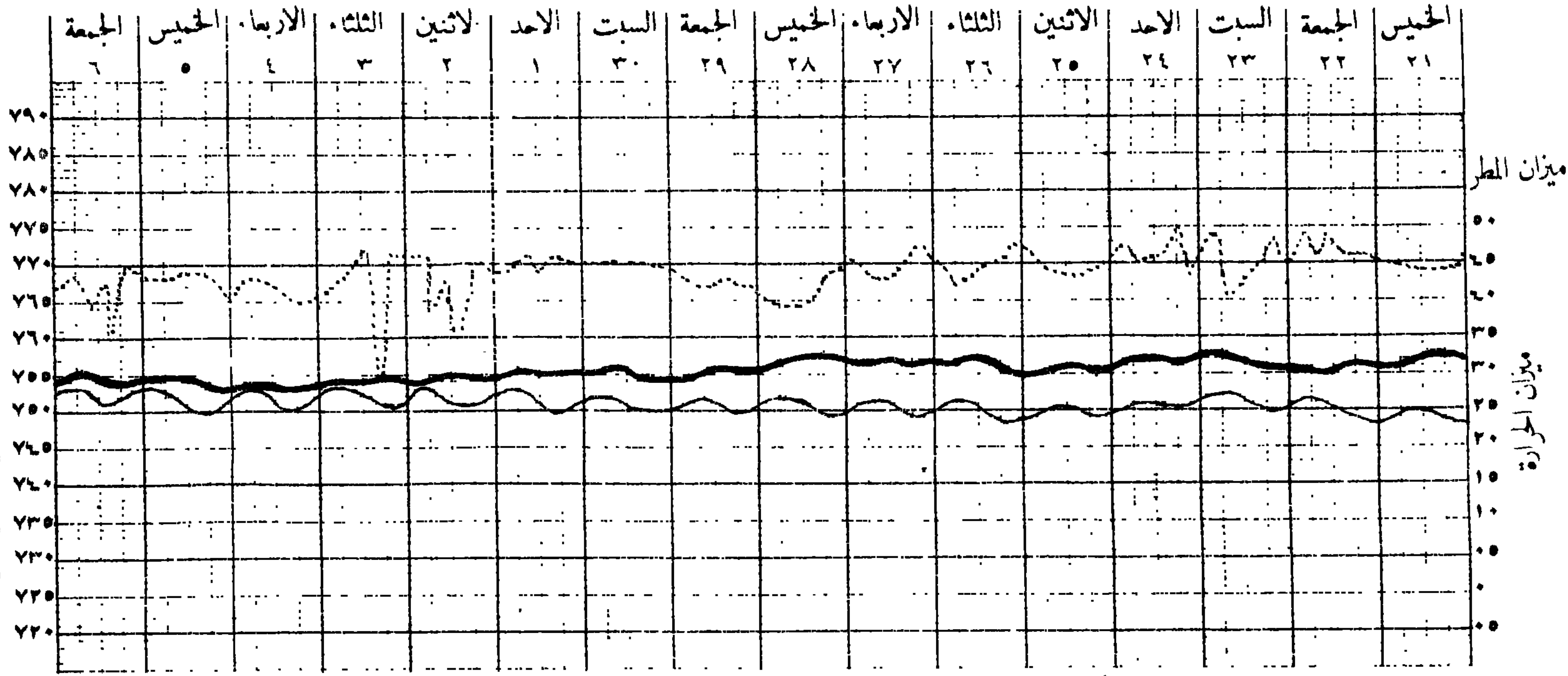
ان استثنينا الآداب اللسانيَّة والاحكام اللغويَّة التي بلغ فيها العرب شأوًا بعيدًا لا نراهم كلفوا بعلم من العلوم كلفَهم بمعرفة اوقات ومطالع النجوم ومغاربها وعلم انواء الكواكب وحركاتها. وقد انبأنا تاريخ المأمون بامرٍ عجيب يُظهر للعيان ما طُبع عليهِ هذا الخليفة العظيم من حبّ الرياضيات وعلم الافلاك

بلغ المأمون انَّ رجلًا بارعًا في علم الهيئة والهندسة والرياضيَّات يُدعى لاون اشتهر في القسطنطينيَّة ونال من الفخر ما لم يُدركهُ احدٌ من اهل عصرهِ فارسل الخليفة الى ملك الروم تاوفيل يطلب منهُ ذلك العالم ليجعلهُ مناظرًا على دار علومهِ في بغداد ووعدهُ ان اجاب الى طلبهِ بهدنة دائمة وانعامات أُخرى جزيلة. فأَبى تاوفيل وانتشبت لذلك حربٌ شديدة كانت فيها الدولة على ملك الروم. بيد انَّ الخليفة مات في طريقهِ غرقًا فذهب ضحيةً عن كلفهِ بالعلوم الفلكية وصار في موتهِ اشرف منهُ في حياتهِ

هذا وليس المأمون اول من صرف همَّتهُ في تعزيز هذه العلوم فانَّ بني العباس ما كادت ترسخ قدمهم في دار السلام حتى بادروا ان يجعلوا عاصمتهم كمركزٍ فخيم لجميع المعارف البشريَّة لاسيما العلوم الدينية والطبيَّة والفلكيَّة وفقًا لمثل جرى على السنة حكمائهم « ان العلوم ثلاثة : الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان »

واول من سبقهم الى ذلك باني مدينة بغداد الخليفة ابو جعفر المنصور الذي ودَّ لو يُحيي في عاصمتهِ الجديدة رِمَم علوم الاقدمين خصوصًا علم الهيئة فيجعل تحت ملكهِ مقامًا ترنو اليهِ الابصار وتُناخ عندهُ الركبان كما كان العالم في سالف الزمان يتقاطر الى

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢١ حزيران الى ٦ تموز ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (••••••) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المِلمترات

الكتب كتاب القصيدة في علم النجوم وكتاب الزيج على سني العرب وكتابان في العمل بالاسطرلاب ذات الحلق والمسطَّح ». وقيل ان الذي عرَّب السندهند هو محمد بن موسى الخوارزمي عرَّبهُ للمأمون والارجح انَّهُ صحَّحهُ فقط. قال صاحب الفهرست (ص٢٧٤) « وكان الناس قبل الرصد وبعدهُ يعوِّلون على زيجيهِ الاوَّل والثاني ويعرفان بالسندهند »

ومما عُني بهِ المنصور انَّهُ امر اصحاب الارصاد في بغداد ودمشق ان ينظروا في زيج بطلميوس القلوذيّ ليتبيَّنوا صحَّتهُ ثمَّ يقيسوا درجةً من خط نصف النهار. فاستوجب المنصور بهذه الاعمال الشريفة ان يُدعى محيي العلوم وابا المعارف الفلكيَّة

ثمَّ صار الامر الى الخليفة المهدي بن المنصور فحذا حذو والدهِ واكرم العلماء ونشَّط علم الهيئة. وفي ايامهِ كان توفيل بن توما النصراني وكان رئيس منجّمي المهدي. قال ابن العبري (ص٢٢٠): « وكان هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى. ولهُ كتاب تاريخ حسن (راجع المشرق ٢: ٤٥٢ و٤٥٤)

ثمَّ افضت الخلافة الى هارون الرشيد وكان مولعًا بالعلوم الادبية محبًّا للاطباء. على انَّهُ لم يهمل الدروس الرياضيَّة والارصاد الفلكيَّة. وفي ايامهِ سعى وزيرهُ يحيى بن خالد البرمكي بتعريب كتاب المجسطي (μεγάλη συνταξίς) الذي وضعهُ بطليموس القلوذي فاستدعى لذلك قومًا من المفسّرين فلم يتقنوهُ فندب لتفسيرهِ ابا حسَّان الكبير وسلمان (وقيل سلم) صاحب بيت الحكمة فاتقناهُ واجتهدا في تصحيحهِ بعد ان احضرا النَّقَلة الجيدين واختبرا نقلهم واخذا بافصحهِ واصحهِ (١. وتعريب المجسطي فتح للعرب طريقًا مهيعًا للعلوم الفلكيَّة بلَّغهم بوقت قريب الى منازل الشرف العليا. ولم يزل الكتبة والمترجمون بعدئذٍ يعيدون النظر في هذا الكتاب ويستخرجونهُ استخراجًا جديدًا ويفسِّرونهُ بتفاسير عديدة حتى اضحى عندهم ركن الدروس الفلكيَّة

ومما يدلّ على تقدُّم هذه العلوم في عهد الرشيد الساعة التي ارسلها الخليفة الى ملك فرنسة كرلوس الكبير فاعتبرها الفرنج كآية بديعة لم يعاينوا من ذي قبل لها مثيلًا. وسوف يأتي ان شاء الله وصف هذه الساعة وامثالها في معرض كلامنا عن آلات العرب الرصديَّة. وللرشيد نقل الحجَّاج بن يوسف بن مطر كتاب الهندسة لاوقليدوس وهو النَّقل الذي يُعرف بالهارونيّ. ثمَّ نقلهُ لابنهِ المأمون نقلًا ثانيًا فدُعي النَّقل المأموني

١) راجع كلام صاحب كشف الظنون في « المجسطي » وكتاب الفهرست ص ٢٦٧ و٢٦٨

جزيرة رودس والاسكندريَّة فيستقي من مواردهما مياه العلوم الصافية في عهد اساتذتهما البارعين كهيپرخ وبطلميوس

قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي: «ان العرب في صدر الاسلام لم تُعنَ بشيء من العلوم الّا بلغتها ومعرفة احكامها وشريعتها حاشا صناعة الطب.. لحاجة الناس طرًّا اليها. وذلك منهم صونًا لقواعد الاسلام وعقائد اهلهِ عن تطرُّق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والإحكام حتى يُروى انهم احرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد . فهذه كانت حالة العرب في الدولة الامويَّة. فلمَّا ادال الله تعالى للهاشميَّة وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبَّت الفطن من ميتتها. وكان اول من عُني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعتهِ في الفقه كَلِفًا بعلم الفلسفة وخاصَّةً بعلم النجوم. . . »

وكان اوَّل ما صرف اليهِ خاطرهُ انهُ استدعى الى بلاطهِ قومًا من ائمَّة النصارى والعجم واليهود فاستعان بمهَرَة التراجمة منهم على تعريب كتب اليونان والسريان والفرس. واذا قصرنا النظر على الكتب الفلكيَّة وحدها وجدنا انَّهُ جمع منها كميَّة عديدة اقبل العرب على دراستها فكانت لهم كمدخلٍ أَدَّى بهم الى فكّ اسرار النجوم وادراك المظاهر العلويَّة واكتشاف حقائق جديدة فاتت من تقدَّمهم من العلماء

وممن اشتهر في ايام المنصور رجلان فاضلان يدعى احدهما ابا المنصور والآخر ما شاء الله. وكان الاوّل عجميًّا اسمهُ ابان لم يُعرف من اخبارهِ شيء. ولهُ ابنٌ يُدعى يحيي بن ابي منصور تقدَّم عند المأمون وسيأتي ذكرهُ. امَّا ما شاء الله فكان يهوديًّا ازهر في زمن المنصور وعاش الى ايام المأمون. قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٧٣): « انَّهُ كان اوحد زمانهِ في علم الاحكام » . ومن كتبهِ الفلكيَّة كتاب صنعة الاسطرلاب والعمل بها وكتاب ذات الحلق (l'armille)

وفي ايام ابي جعفر المنصور قدم بغداد قومٌ من علماء الهند ومعهم كتاب جليل في النجوم وضعهُ قدماء تلك البلاد يُدعى السند هند وفي السنسكريتيَّة « سيد هَنْتا » فتقدَّم المنصور الى ابي اسحاق ابراهيم بن حبيب الفزاريّ (١ فعرَّبهُ لهُ. قال ابن النديم (ص ٢٧٣): « هو اوَّل من عمل في الاسلام اسطرلابًا. وعمل مبطَّحًا ومسطَّحًا ولهُ من

١) وفي مجلَّة الضياء (٢ : ١٣١): « محمد بن الفراويّ » وهو غلط

الخوارزمي من اصحاب علم الهيئة كان منقطعاً الى خزانة الحكمة للمأمون. وقد مرَّ ذكر تعريبهِ للسند هند ولهُ مصنَّفات في الزيج والرخامة والعمل بالاسطرلاب — ومنهم احمد (وقيل محمَّد) بن كثير الفرغاني من المنجمين الفضلاء الذين نُقلت تآليفهم الى اللغة اللاتينيَّة (ed. Golius 1669). قال ابن العبري: «هو صاحب المدخل الى علم هيئة الافلاك يحتوي على جوامع كتب بطلميوس باعذب الفظ وابين عبارة». وفي خزانة كتب اكسفرد الشرقيَّة كتابهُ المعنون «الحركات السماويَّة وجوامع على النجوم». وفي برلين كتابهُ «الكامل في الاسطرلاب» وكتابهُ «في صناعة الاسطرلاب». — ومنهم ايضاً يحيى ابن ابي منصور المارّ ذكرهُ احبَّهُ المأمون فكان عندهُ مكين المكان ومن تآليفهِ كتاب الزيج الممتحَن حقَّق فيهِ الاقيسة والحسابات الفلكيَّة السابقة. ولمَّا عزم المأمون على رصد الكواكب تقدَّم اليهِ والى جماعة من العلماء بالرصد واصلاح آلاتهِ. ففعلوا ذلك بالشماسيَّة ببغداد (١ وجبل قاسيون بدمشق. ولم يكن قبل هذا العهد مكان معلوم لرصد الكواكب. وقد اشتهر ايضاً في بغداد «مرصد باب الطاق» شيَّدهُ بنو موسى. وفي ذلك العهد بُني مرصد الرقَّة وهي مدينة على الفرات كان الرشيد اتَّخذها ليقضي فيها ايَّام الصيف. وبُني مرصد دمشق فوق جبل قاسيون وهي الربوة المشرفة على طريق طرابلس. وسنبيّن في مقالة أخرى كيف جُهِّزت هذه المراصد وطرائق الرصد فيها

وممن اشتهروا ايضاً في خلافة المأمون ابو الطيّب سند بن علي (٢ كان يهوديًّا فاسلم على يد المأمون وكان يعمل في جملة الراصدين امرهُ الخليفة بان يقيس هو وخالد بن عبد الملك المروزيّ قوساً من الهاجرة

ومنهم ايضاً فاضل دهرهِ وواحد عصرهِ في العلوم القديمة ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي المعروف بفيلسوف العرب لهُ نيف ومائتا كتاب في الفلسفة والطبيعيَّات والرياضيَّات بفروعها. اما كتبهُ او رسائلهُ في النجوميَّات فخمسة عشر منها رسائلهُ في علل احداث الجوّ ومطرح الشعاع وسرعة حركة الكواكب الخ. توفي سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤م)

وعُرف ايضاً في الوقت عينهِ ابو معشر جعفر بن محمَّد البلخي اشتهر في معرفة

زمانهِ. والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاة». وهو اول من صنف كتاباً في الجبر والمقابلة وكتابهُ نُشر بالطبع في لندرة سنة ١٨٣٠

١) كذا في كتاب الفهرست وفي كشف الظنون (٣: ٤٦٦) انَّ اول رصد صار في الاسلام بالشماسيَّة من بلاد دمشق سنة ٢١٤ (٨٢٩م)

٢) وفي الضياء (٢: ١٢٤): «سند بن علي وابو الطيّب». وهما رجل واحد

امَّا الذي سبق كلَّ اسلافهِ في رفع منار العلوم الفلكيَّة فاحرز لهُ فيها مجدًا لم تمحُ الايَّام معالمهُ فهو سابع خلفاء بني العباس واعلاهم قدرًا واغزرهم فضلًا واوسعهم عقلًا نريد عبد الله المأمون بن هارون الرشيد. فان سوق العلوم راجت في عهدهِ رواجًا لم يُعهد لهُ بشبيهٍ عند العرب فكان عصرهُ عندهم كعصر پريكليس عند اليونان واوغسطس قيصر عند الرومان والبابا لاون العاشر في ايطالية والملك لويس الرابع عشر في فرنسة. قال القاضي صاعد بن احمد في حقّهِ: «تمّم المأمون ما بدأ بهِ جدُّهُ المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ وداخل ملوك الروم وسأَلهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليهِ منها بما حضرهم فاستجاد لها مَهَرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فتُرجمت لهُ على غايةٍ ما امكن ثمَّ حرَّض الناس على قراءتها ورغَّبهم في تعليمها. فكان يخلو بالحكماء ويأْنس بمناظرتهم ويلتذُّ بمذاكرتهم علمًا منهُ بانَّ اهل العلم هم صفوة الله من خلقهِ ونخبتهُ من عبادهِ (١...»

وكان المأمون مع اشتغالهِ بفنون المعارف البشريَّة يوجّه همتهُ الى علم الهيئة لما يجد في تشريح الافلاك من توسيع العقل والاطلاع على احوال الزمان والظواهر الجوّيَّة. وقد كثر العلماء في زمانهِ وحفلت بغداد بالفلكيين وكانت القوافل تقدم دار السلام وهي تنقل كجزية الرعايا لا الدراهم والمال بل كتب القدماء ومصنَّفات الامم

ومن المنجّمين الذين اشتهروا في ايَّام المأمون ابو سهل بن نوبخت. وكان نوبخت منجّمًا فارسيًّا يصحب المنصور خبيرًا باقتران الكواكب وحوادثها. فخلفهُ ابنهُ ابو سهل عندهُ ثمَّ جعلهُ الرشيد على خزانة حكمتهِ وعاش زمنًا طويلًا وقرَّبهُ المأمون اليهِ فعرَّب لهُ من الفارسيَّة كتبًا كثيرة في النجوم واحوالها — ومنهم ايضًا احمد بن عبد الله الحاسب المعروف بحبش المروزيّ الاصل. قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٧٥): «هو احد اصحاب الارصاد وجاوز المئة من السنّ وبلغ ايام المعتصم.» ومن كتبهِ الفلكيَّة كتاب الزيج الدمشقي والزيج المأموني والأَبعاد والاجرام واقبال الكواكب وادبارها وعمل الاسطرلاب والرخام (cadran solaire) والمقاييس(٢ — ومنهم محمد بن موسى

١) راجع تاريخ ابن العبري (ص ٢٣٥) ومجاني الادب (٥ : ٢١٠ و ٢١١)

٢) وقال ابن العبري في ذكرهِ (ص ٢٣٦): لهُ ثلاثة ازياج اوَّلها المؤلَّف على مذهب السندهند. والثاني المُمتحن وهو اشهرها الَّفهُ بعد ان رجع الى معاناة الرصد واوجبهُ الامتحان في

(جعفر العبَّاسي) هو جعفر ابن الخليفة المكتفي بالله . الَّف كتاباً في النجوم المذنَّبة

(سنان بن ثابت) كان طبيباً ماهراً كان خصيصاً بالقاهر فاراده على الاسلام فأسلم وكان حاذقاً بعلم الهيئة لهُ في ذلك تصانيف حسنة . توفي سنة ٣٣١ (٩٤٣م)

(عبد الرحمان الصوفيّ) اسمهُ ابو الحسين عبد الرحمان بن عمر الصوفيّ الرازي احد افاضل المنجّمين لهُ كتاب شريف في الصور السماويّة وفي مطارح الشعاعات خدم عضد الدولة بن بويهِ . توفي سنة ٣٧٦ (٩٨٦ م)

(ابو الوفاء) محمَّد بن محمد بن يحيي البوزجاني من بلاد نيسابور قرأ عليهِ الناس واستفادوا منهُ لهُ كتاب المجسطي وتفسير ديوفنطس في الجبر والمقابلة مات سنة ٣٨١ (٩٩٧م) . ولهُ في كتاب المجسطي عن القمر اقوال تدلُّ على فضلهِ سنوردها بعد

وبعد ابي الوفاء المذكور خوى نجم بغداد وذهب رونق مدارسها واخذت المراصد الفلكيَّة في غيرها من البلدان تعلو مقاماً وتزهو وقد اشتهر كثير من الوجوه لا يسعنا هنا تعداد تآليفهم كالبتَّاني(مرَّ ذكرهُ) في الرقَّة وابي الجعفر الخازن في الريّ والحسن بن محمد في نيسابور واحمد بن محمد النهاوندي في جنديسابور وابو يحيي زكرَّيا القزويني في قزوين وابن الاعلم الفلكي في شيراز ازهر ايام عضد الدولة وشرف الدولة من بني بويه . واشتهر في الدولة الغزنويَّة في بلاد الهند العالم المبرّز ابو الريحان محمد البيروني صنَّف كتباً جليلة في انواع الرياضيَّات والهيئة وفنون الحكمة اليونانيَّة والهنديَّة . وفي البلاد الشاميَّة عُرف الطافتي وشمس الدين الدمشقي وابن الشاطر ثمَّ صاحب تقويم البلدان ابو الفداء سلطان حماة . وابو الفرج غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبريّ

وكان للدولة الفاطميَّة في مصر مرصدان شهيران احدهما فوق جبل المقطم والآخر في الفسطاط بازاء الروضة ليس بعيداً من مسجد عمرو بن العاص وممن تولَّوا نظارة مرصد المقطم ابو الحسن علي بن ابي سعيد الصدفيّ الشهير بابن يونس المصري خدم الحاكم بامر الله ووضع لهُ الزيج الكبير اربع مجلدات والزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس . وروى ابن خلكان عن ابن يونس انَّهُ كان ابله مغفَّلًا يعتمّ على طرطور طويل ويجعل رداءهُ فوق العمامة وكان طويلًا واذا ركب ضحك منهُ الناس لشهرتهِ وسوء حالهِ ورثاثة ثيابهِ وكان لهُ مع هذه الهيئة اصابة بديعة غريبة في النجامة لا يشاركهُ فيها غيرهُ

وبعد ظهور المغول وسقوط بغداد بُني مرصد مراغة فنال من الشهرة حظاً وافياً .

علوم الهند والعجم توفي سنة ٢٧٢ هـ (٨٨٦ م) قيل انهُ جاوز المئة ولهُ في علم الهيئة كتب عديدة كالمدخل الكبير وهيئة الفلك وكتاب الامطار والارياح وكتبٌ في الازياج

واشتهر ايضاً في ذلك العصر بنو موسى بن شاكر وهم ثلاثة اخوة محمد واحمد والحسن. قال ابو الفرج بن النديم فيهم (ص ٢٧٢): «انَّهم بذلوا الرغائب في طلب العلوم القديمة وانفذوا الى بلد الروم من اخرجها اليهم فأحضروا النَّقَلة من الاصقاع بالبذل السنيّ فاظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسيَّة والحِيَل والحركات والموسيقى والنجوم». ولبني موسى كتب كثيرة فلكيَّة منها ازياج للتقاويم الفلكيَّة كثيرة الاستعمال. وكان موت محمَّد وهو اكبرهم سنة ٢٥٩ (٨٧٣ م)

وفي آخر هذا القرن التاسع للمسيح اشتهر احد العلماء الافاضل الذين اقرَّ كبار الفلكيين الاوربيين بسموّ فضلهِ وهو ابو عبد الله محمَّد بن جابر المعروف بالبتَّاني. قال لالند (Lalande) المنجّم الشهير: «انَّ البتَّاني احد الفلكيين العشرين الائمَّة الذين ظهروا في العالم». قال ابن العبري: «لا يُعلم احد في الاسلام بلغ مبلغهُ في تصحيح ارصاد الكواكب وامتحان حركاتها». كان من حرَّان صابئاً ورصد الكواكب في مرصد الرقَّة من سنة ٢٦٤ الى ٣٠٦ (٨٧٨—٩١٩). وتوفي سنة ٣١٧ (٩٢٩م). وكتابهُ المعروف بالزيج الصابئ نُقل الى اللاتينيَّة وطُبع سنة ١٥٣٧ وسنة ١٦١٥. وفي السنة المنصرمة اعاد طبعهُ بالعربيَّة المعلم كرل الفنس نلِّينو (راجع المطبوعات الشرقيَّة بهذا العدد من المشرق)

ومن معاصري البتَّاني حنين بن اسحاق العبادي († ٢٦٠—٨٧٤) وابنهُ اسحاق بن حنين († ٢٩٨—٩١١) كان كلاهما فاضلًا في صناعة الطب ونقلا كتباً كثيرة من اليونانيَّة والسريانيَّة الى العربيَّة منها عدَّة كتب في الفلكيَّات. وترجمة حنين للمجسطي مشهورة. امَّا اسحاق فترجم كتاب الفيلسوف ثاودوسيوس في الليل والنهار. — ومنهم ابو الحسن ثابت بن قرَّة († ٢٨٨ — ٩٠١) كان صابئاً استصحبهُ محمد بن موسى من بلاد الروم وادخلهُ على المعتضد في جملة المنجمين

هذه اسماء بعض من شاع ذكرهم في القرن الثالث للهجرة. ثمَّ كثرت الحروب بعد ذلك وانتشر الشغب وتوالت الدول فسكنت ريح العلوم الفلكيَّة مدَّة بين العرب على اننا نجد مع ذلك علماء افاضل شرَّفوا المشرق بمعارفهم الى آخر الدولة العباسيَّة دونك اسماء بعضهم من المشاهير:

بدءٍ هي « أَن » باللغة السومريَّة وهي اقدم اللغات عندهم على ما استنتجوهُ الى هذا اليوم من قراءة المندرَجات المسماريَّة. ثمَّ ضُوعفت وصارت « أَنَّا » ومن بعد ان كان معناها في الاول الإِله صارت في العرف بمعنى السماء ثم نُقلت الى اسماء آلهة او ارواح او أَصنام(١

امَّا الساميون فانهم ابدلوا نون « أَن » بلام وقالوا : « أَل و إِل وأَيل وإِيل وإِيلو » والخلاصة ان الآراء كثيرة متشعّبة لا يسعنا ذكرها. ولإِيل اسم آخر عند العبرانيين وهو עליון (عليون elion) وهي مشتقة من עלה العبرانيــة التي يقابلها في العربيَّة « علا » وهي بمعناها. ومن مشتقّ ايل العبرانيَّة اي אלהה أَلاهة بتثليث الهمزة وأَليهــة. قال في التاج في ترجمة هذه المادة : (هي) « الشمس. غير مصروف بلا الف ولام. وربَّما صرفوا وادخلوا فيهِ الالف واللام وقالوا الالاهة فكانهم سموها إِلاهة لتعظيمهم لها وعبادتهم اياها... » ومن هنا ترى ان العرب نقلوا اسم الاله الى الشمس. (وكما ان هذا النيّر مؤنث اللفظ عندهم زادوا التاء في الآخر) ثم بعد ذلك عبدوا الشمس بصورة اصنام مختلفة الهيئات والاشكال فصار من معنى الالاهة ايضاً : « الحيَّة والاصنام » (القاموس)

وقد سمَّى الفينيقيون اعظم آلهتهم او أَصنــامهم « إِل او إِله او عليون » قال سنكين يتن : « ان ايل الذي يسميهِ الفينيقيُّون اسرائيل وهو الذي مات متقمِّصاً للكوكب زُحل .. »(راجع تاريخ لبنان للاب مرتين ص٢١٨ وفي مواطن شتى) وكان يُسمّي اليونان ميثرقة « ايلوتي » اي الاهتي (فيهِ ص٢٥٠ و ٢١٨). ثمَّ ان الفينيقيّين عبدوا هذين الجرمَين العلويَّين بهيئة اصنام مختلفة. وقد اخذ اليونان عن هؤلاء اغلب معبوداتهم وممَّا يُناسب اشتقاق إِيل عندهم Ἴλος و Ἦλ وهو زحل عندهم و Ἥλιος ويُراد بها الشمس ثمَّ عبدوهما ونحتوا لهما أَصناماً كما فعلت العرب. وحبًّا بالاختصــار نقول: قابل هذه الالفاظ ومشتقاتها مع جميع الفاظ الساميَّة ترَ العجب من ذلك. اللهمَّ الّا في اللغات الحبشيَّة فان هذا الاصل (ا ي ل) لا وجود لهُ بهذا المعنى ولعلهُ قد فُقد واذا تتبَّعت كل ما اشرنا اليهِ تتحقَّق ان الاديان قبل فسادها كانت توحيديَّة ثمَّ صابئيَّة ثمَّ وثنيَّة

امَّا لفظة دَيڤ او دَيو Dev *ou* Dew المشهورة في فروع اللغة السنسكريتيَّة بمعنى النور او السماء فلا شكَّ انهُ كان يُراد بها باديً بدءٍ معنى « الإِله » ثمَّ نُقل الى

(١) راجع مثلًا كتاب Lenormant: *La magie chez les Chaldéens*, pp. 15, 139, 140, 142, 144, 145, 283, 318, 323

وكان ناظرهُ نصير الدين الطوسي الفائق الشهرة . لهُ عدد كبير من المصنَّفات الجليلة وزيج حسن

واشتهر بعد مراغة مرصد سمرقند وكان اولوغ بك حفيد تيمورلنك جعلها كمركز للعلوم ودعا اليها مشاهير الفلكيين وصنَّف معهم زيجًا يُعرف بهِ وكان من جملة علماء مرصد سمرقند حسن چلبي المعروف بقاضي زاده وغياث الدين الجامي وعلي بن محمود الخجدي ومحمد الجغميني

ولولا خوف الاطالة لذكرنا ايضاً مراصد الاندلس والمغرب . وفي ما تقدَّم شاهد على همَّة العرب في زمن الخلافة لتعزيز العلوم وبث المعارف في انحاء المشرق (البقيَّة للآتي)

الصابئة او المندائية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (لاحق بسابق ص ٤٦٨)

ويُحسن بنا ان نورد هنا الالفاظ المشتقة من كلٍّ من هذين الحرفين (إيل وديڤ) وكيفيَّة انتقال معنى هذه المشتقات الى اسماء تدلّ على النور او السماء او نحوهما ثمَّ الى اسماء الاصنام كلُّ امَّة بحسب معتقدها او تدرُّجها فيهِ مسمّيةً بتلك الاسماء اول إله عظيم اتخذتهُ بعد إله الحق ثم نقلتهُ شيئاً فشيئاً الى صفاتهِ تعالى ثم حُصرت تلك الصفات في آلهة مختلفة

وفي ذكرها هذا الاشتقاق فائدة اخرى وهي ادعام رأي قدم التوحيد عند جميع امم المعمور ثم انتقالهُ الى الصابئة او عبادة الاجرام العلويَّة . ثمَّ الى عبادة تماثيلها تزلُّفاً منها . وهو رأي علماء عصرنا فضلًا عن انَّهُ رأي العلماء الاقدمين المستند على كتاب الله العظيم

امَّا معنى « إيل » و « إل » فقد اختلفت آراء العلماء في اصل اشتقاقهِ وان اتفقوا في مؤدَّى معناهُ اي الاله . فمنهم من قال انهُ غير مشتقّ بل انهُ اصل ومعناهُ : القوة والقدرة والشجاعة والبسالة . ومنهُ : « الإلّ » بالعربيَّة بمعنى الربوبيَّة او الإله . ومنهم من قال انهُ مشتقّ من اصل معناهُ العُلوّ لان الكلدان والاشوريّين الاقدمين يقولون « إيلو » بمعنى ايل . وابدال الهمزة بالعين والعكس بالعكس امرٌ مثبتٌ مشهور . وعليهِ فيكون معنى إيل او إيلو : العلي او العالي العربيَّتين . ومنهم من قال انها مشتقة من « أَلَهَ » المائت اليوم في الاصول الساميَّة ما خلا العربيَّة ومعناهُ : « عَبَدَ » ومحصَّلهُ : « المعبود » وذهبت جماعة من المحدثين من علماء الاشوريَّة وغيرها ان اصل اللفظة بادئ

تخيّلهُ هؤلاء الصابئة والأدريون (١ (gnostiques) ويُسمي الافرنج هذه الروحانيات «éons» وهي كلها راجعة الى معنى النور او شبههِ) . ولا مرية في ان هذه الحقيقة من الشواهد الدامغة الدالّة على معتقدهم الاول . والّا لو كانوا فرقةً نصرانيـة نشأت في القرون الاولى للمسيح كما يظنهُ البعض فانّى لهم تلك الاسماء والمسمّيات . والنصارى على اختلاف مللهم ونحلهم لا يعتقدون بشيء من ذلك . ومن تلك الاسماء مثلًا : انبوط زيوا . وزُهَير وزَهَرون وشيشْلام زيوا وهيول زِيوا وغيرهم

ومن بقايا هذا الطور ايضًا تكريم الصابئة الحاليين للكواكب والنجوم وفي مقدّمتهـا السيّارات السبع وبالاخص النجم القطبي . فانهم لا يتمِّمون سنّة من سننهم ولا شعيرةً من شعائرهم ولا عملًا دينيًا من أعمالهم الّاوقبلتهم هذا النجم واذا أرادوا ان يبنوا بيعتهم جعلوا بابهـا مفتوحًا بحيث ان وجه الداخل يكون مستقبلًا نجم القطب تبركًا بطلعتهِ . ولهم سُنن أُخرى لتكريم الشمس والقمر والزهرة الخ . وكل ذلك لا يوجد في فرقةٍ من فرق النصارى . ومن آثار هذا الطور ايضًا اعمال كثيرة لا تتمّ الّا بعـد استخارة الكواكب كما كان يفعلهُ قدماء الاشوريين والبابليين والكلدانيين من ولادةٍ وزواج وتطبيب وتقليد الكهنوت ودفن وغير ذلك

امّا شواهد المؤلفين على ان الصابئة عبدوا النجوم اولًا ثمّ الاصنام بعد ذلك فهي اشهر من ان تُذكر ولا بُدّ من ان نستشهد في كل طور من الاطوار الاربعـة باقوال

---

١) الادريُّون نسبةً الى « أدري » مضارع درى في المتكلم المفرد . ويُراد بهم طائفـة من سَقَط الفلاسفة ارادوا الجمع بين النصرانية والمذاهب الشرقيّة المتضاربة . ولا بدّ من انك تتعجّب من اتباعنا بعض العلماء بادخال ياء النسبة على الفعل . قلنا لا عجب من ذلك فانهم لما نسبوا الى لفظة « أدري » اعتبروا فيها الحكاية لقول هؤلاء الفلاسفة الفسافسة انهم يدرون كلّ شيء . وعليهِ فان اعتبرت الحكاية في اللفظة جاز لك حينئذٍ ان تتصرّف بها تصرُّفك بالاسم فتدخل عليهـا اداة التعريف وتنسب اليها لا بل ويجوز لك ان تعربها وتصرفها سواءٌ كانت تلك اللفظة فعلًا او حرفًا. وقد ورد مثل هذا في كلام قدماء الجاهليّة فانّهم سمَّوا الكبير العمر الذي يقول : « كنتُ في شبابي كذا وكذا » كُنتيًا او كُنتُنيًا . قال الشاعر :

وما كنتُ كنتيًا وما كنتُ عاجنًا وشرّ الرجـال كُنتُنيٌّ وعاجنُ

واما في الحروف فقد نسبوا الى كم وكيف ونحوهما . وقد اعربوا كثيرًا منها كقول ابي زبيدٍ الطائي :

ليتَ شعري واين منيَ ليتٌ انَّ ليتًا وانَّ سوفًا عناءُ

وقد ذكرنا كل ذلك لانَّ جماعة من المحدثين المتقعّرين انكروهُ فاردنا ان نُقحمهم بشواهد اهل الجاهليّة

معنى « النور او السماء » على الطريقة التي ذكرناها. وقول العلماء ان هذه اللفظة لا وجود لها في اللغات الساميَّة فليس عنـدي بثبتٍ ولهذا قلنا في صدر هذه النبذة: « ولله اسمان شهيران إيل الساميَّة وديف « الموهومة » عند العلماء سنسكريتيَّة. وهذا الحرف موجود في اللغة العربيَّة بلفظة: « ضوء » وبالسنسكريتيَّة دِيف او دَيف Div *ou* Dev وفي اليونانيَّة Θεός ثم اشتقوا منها Ζεύς بمعنى المشتري وفي اللاتينيَّة Deus (١ وفي الزندية والبهـلويَّة والفارسيَّة « دَيو » وفي المصريَّة طوط او ثوث Thout وبالصينيَّة « تي » او « تيان ». واذا اردنا ان نستقري هذه اللفظة ومصحَّفاتها في جميع اللغات المتفرّعة من هذه الأُمهات لتغلغل بنا الكلام الى ما يضيق بهِ نطاق هذه المجلة ويخرجنا عن الموضوع ولذا اكتفينا بالاشارة عن الاستفاضة في العبارة. لكن ممَّا يجب ان ينتبه اليهِ القارئ هو ان هذه الاسماء المذكورة كلها من بعد وضعها للدلالة على ذات الجلالة عينها نُقلت بعد ذلك الى معنى النور والسماء ثم الى الشمس او الى احدى الكواكب ثمَّ الى تمثيلهنَّ بهيئة الاصنام فلم يَعد معناها عندهم مشهورًا في اغلب الاحيان الَّا بمعنى تلك الاصنام

هذا وان ما اوردناهُ هنـا هو عن اسمَي الجلالة لا غير. لكنَّنا تتبعنا على حدة اسماء الاصنام عند سائر الاقوام فرأينا اغلبها ترجع الى هذا الاصل اي الى انها كانت قبلًا اسماء كواكب او نحوها. وقبل هذا الاصل كانت من صفات الله عزّ وجلَّ او من اسمائهِ. امَّا البعض الآخر وهو النزر القليل فقد خفي عنا وجه ردّهِ الى اصلهِ وهو بدون مراءٍ لا يخفى على غيرنا من المتبحرين في هذه المواد. ثمَّ وان كانت لا تُردّ الى هـذا الاصل فبكونها قليلة العدد فلا يُعتدُّ بها (١

امَّا الصابئة الحاليون فقد بقي لهم من هـذا الطور اسماء كثيرٍ من روحانيّيهم او روحانيَّاتهم (هكذا سمَّى العرب المتوسطين الذين بين ذي الجلالة والانسان على مـا

---

١) ونقول هنا استطرادًا ان كلمة dies اللاتينية التي معناها « اليوم » والمشتق منهـا day الانكليزية مأخوذة من div السنسكريتيَّة بمعنى « الضياء » العربية لكنها صُحّفت قليلًا لافادة معنى جديد وهي مشتقة اشتقاقَ « النهار » العربيَّة من « النُهْر » المماتة بهذا اللفظ بالعربيَّة والمقلوبة فيها « نورًا » بابدال الهاء واوا كما قالوا في هَشَمَهُ: وَشَمَهُ وفي ماهيّ: ماويّ. ونحوهما. والنُهر بهاء بمعنى النور او الضياء موجودة في السريانيَّة ܢܘܗܪܐ والعبرانية נהרא وسائر اللغات القديمة الساميَّة واشتقاق dies (ديا بعد حذف السين) من « ضياء » السنسكريتية لم يصرّح بها احدٌ من العلماء. فاحفظها

والّا فمن المعلوم ان عاقلًا لا ينحت خشبةً او حجرًا بيدهِ ثمَّ يعتقد انهُ إلهُ ومعبودهُ ».
انتهى كلام فخـر الدين وقد اوردناهُ بالتفصيل لما فيهِ من الفوائد الجليلة ولعزة وجود الكتاب وجهل الناس هذا الكلام (ستأتي البقيَّة)

الدين المسيحي بازاء العالم الوثني

للسيد الجليل والعلامة النبيل جرمانوس معقَّد مطران اللاذقيَّة

هي نبذة اقتطفها سيادة المؤلف المفضال من كتاب لهُ بديع لم يُنشر بعد بالطبع دعاهُ « رحلة الفيلسوف الروماني الباحث عن سيرة المسيح ». وفي هذا الفصل يُمثّل فيلسوفًا دعاهُ مرقس في ظاهر مدينة رومية يتباحث مع رفيقٍ لهُ عن امر الاديان اذ يمرُّ بهما بطرس الرسول قادمًا من اليهوديَّة ليبشّر بدين المسيح في عاصمة القياصرة (المشرق)

فلمَّا وصل مرقس ورفيقهُ الى هضبةٍ عنقاء (١ ارتقيا اليها وجلسا على قمتها المشرفة على السهول المغامض (٢ يسرّحان الطرف في تلك المنـاظر الانيقة الشائقة. فاخذت رفيقَـهُ هزَّة الطرب وطفق يترنَّم. امَّا مرقس فكان صامتًا واجمًا كأنَّ على رأسهِ الطير تلوح على وجههِ علائم الكآبة والحيرة. فسألهُ رفيقهُ عن شأنهِ واستوضحـهُ سبب كآبتهِ فتنهَّد الصعداء ورفع رأسهُ الى السماء ثمَّ التفت اليهِ وقال احسنت يا صالح بسؤالك عن شأني لانَّ المرء يتعزَّى بشرح حالهِ وكشف همومهِ الى اصحابهِ. ولاسيَّما لانَّ الامر الذي يهمني ويُقلق خاطري لجديرٌ بان يهتمَّ لهُ كل انسان. وينبغي ان يُشغل خاطرك كما يشغل خاطري على السواء

— قد زدتني رغبةً في الوقوف عليهِ فتكرَّم بايضاحهِ

— ان الكرب الذي اتجرَّع غصصهُ ليس بجديث لانهُ تضيَّقني منـذ بضع سنين وما برح ملازمي ليلَ نهار وهو يشتدُّ ويعظم حتى بلغ اقصى الدرجات ومحق كلَّ ما نالني من اسباب المسرَّات. فاخشى ان كاشفتك بهِ ان يصيبك البلبال الذي انا فيهِ

— لا تخشى بأسًا فربَّ امرءٍ يرمَض لهُ شخص ولا يبالي بهِ الآخر

— اذن راعِني سمعك وأحسِن الاصغاء الى ما اقصهُ عليك من اسباب اشجاني : فاعلم يا صاحبي اني ممَّن قرأوا الدروس الفلسفيَّة واوغـلوا في البحث عن الكون

---

١) المرتفعة الطويلة ٢) الاراضي المطمئنَّة

الائمّة وبالاخصّ بائمة الشرق لقربهم من الصابئة ونشوئهم معهم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزيَّة في كتابهِ « اغاثة اللهفان. في مصايد الشيطان » ما نصهُ:

« اصل هذا المذهب (اي عبادة الاصنام عند الهنود) من مشركي الصابئة وهم قوم ابراهيم عليهِ السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجّتهم بعلمهِ وإلٰهتهم بيدهِ فطلبوا تحريقهُ. وهو « مذهبٌ قديم في العالم ». واهلهُ طوائف شتى. فمنهم عبّاد الشمس. زعموا انها ملَكٌ من الملائكة لها نفسٌ وعقل. وهي اصل نور القمر والكواكب وتكوُّن الموجودات السفليَّة كلها عندهم منها. وهي عندهم ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عباداتها انهم اتخذوا لها صنماً بيدهِ جوهرٌ على لون النار ولهُ بيت خاص قد بنوهُ باسمهِ وجعلوا لهُ الوقوف الكثيرة من القرى والضياع ولهُ سدَنةٌ وقوّام وحجَبَةٌ يأتون البيت ويُصلُّون فيهِ لها ثلاث كرّات في اليوم ويأتيهِ اصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويُصلون ويدعونهُ ويستشفون بهِ. وهم اذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها واذا غربت واذا توسطت الفلك. ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الاوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم لهُ. ولهذا نهى النبي صلعم عن تحري الصلاة في هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفّار ظاهراً. وسدًّا لذريعة الشرك وعبادة الاصنام. وطائفة اخرى اتخذت القمر صنماً وزعموا انهُ يستحق التعظيم والعبادة واليهِ تدبير هذا العالم السفلي. ومن شريعة عبادتهِ انهم اتخذوا لهُ صنماً على شكل عجل او نحوهِ من ذوات الاربع وبيد الصنم جوهرة يعبدونهُ ويسجدون لهُ ويصومون لهُ اياماً معلومة من كلّ شهر ثمَّ يأتون اليهِ بالطعام والشراب والفرح والسرور. فاذا فرغوا من الاكل اخذوا في الرقص والغناء وأَصوات المعازف بين يديهِ. ومنهم من يعبد أَصناماً اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيّتها بزعمهم. وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكلٌ يخصُّهُ وصنم يخصهُ وعبادة تخصهُ . . .

« وكلّ هؤلاء مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا تستمرّ لهم طريقة الّا بشخص خاص على شكل خاصّ ينظرون اليهِ ويعكفون عليهِ. ومن ههنا اتخذ اصحاب الروحانيات والكواكب اصناماً زعموا انّها على صورتها « فوضعُ الصنم انما كان في الاصل على شكل معبود غائب فجعل الصنم على شكلهِ وهيئتهِ وصورتهِ ليكون نائبًا منابهُ وقائمًا مقامهُ »

الطرطروس(١ صحيحاً يجب على المرء ان يعيش عيشةً محمودةً فراراً من ذلك الطرطروس الهائل. والّا فهو حريٌّ بان يغتنم لذات هذه الحيات قبل فواتها ويتمتَّع بمشتهيات النفس قبل مماتها. وهذا ما احاول الوصول الى معرفتهِ. ولكني حتى الآن لم استطع الى تحقيقهِ سبيلاً. فبينا كنتُ اسمع اثبات خلود النفس من فلاسفة هذه المدرسة اذ انا في المدرسة الاخرى اسمع ما ينقض ذلك

وكذا يُقال عن سائر القضايا فليس فيها قضيَّة واحدة اتفقت عليها آراؤُهم. ولذلك ضاقت بي الدنيا على رحبها وعُمِّيت عليَّ المذاهب فلم اعد ادري ماذا اصنع. فلا لذَّات الحيات رخيصةٌ عندي فاهجرها. ولا الوقوع في ذلك الطرطروس سهلٌ عليَّ فاتعرَّض لهُ. ولاسيما لاني خُلقت ابن أعذار فلا اطيق الخطار بالنفس ولا أقدم عليهِ. وكفى يا صاحبي بهذه الهواجس مجلبةً لتنغيص عيشي وارتماضي

— عجباً من افكارك هذه التي لم أرَ حتى الآن احداً يهتمّ بها. فدَع عنك هذه الوساوس فما لك والتفكُّر فيها. فتلك امورٌ يناط بالآلهة ان يكتموها عنَّا او يبلّغوها الينا. فلو كانت معرفتها ضروريَّة لنا لأعلنها لنا جوبيتير الهنا الاكبر

— ان اكثر العقلاء يتساءلون عن هذه الامور ولاسيما عن مصير الانسان بعد هذه الحياة ويهتمون بالوقوف على حقيقتها اهتماماً جزيلاً. وقد عرفتُ ذلك بالتجربة. ولكن ولا واحد منهم قد فزَّعتهُ هولة الطرطروس كما افزع منها لانهم لم يديموا النظر اليها مثلي

— اذاً ستقضي ايامك بين هولة الطرطروس ومَفزعة العذاب الموهوم. ولا جرم انك ستبلغ ميداء الحياة ولا تبلغ ما تريد معرفتهُ. لانهُ لا يُرجى ان يُبعث احدُ الاموات ويخبر بما هنالك

— قد سمعتُ القوم يتحدَّثون كثيراً عن عرّافي مصر وانهم يُحضرون للمرء الميت الذي يريدهُ فيكلِّمهُ كانَّما هو حي بعد ويسألهُ عمَّا يشاء فيجاوبهُ. فيخطر لي ان اشخص الى مصر واتزلَّف الى عرَّاف بارع فاغريهُ بشيء من الدنانير ان يُحضر لي فيلسوفنا شيشرون فاسألهُ عن هذه الشؤون المهمَّة فاقف منهُ على الحقّ اليقين. فان تحقَّقت امنيتي هذه والَّا فاتوجه من هناك الى اليهودية انشد فيها ضالَّتي

---

١) الطرطروس (Tartarus) عند اليونان والرومان بمثابة الجحيم عندنا

ومصير الانسان وقد باحثتُ اشهر الفلاسفة ووقفتُ على آرائهم المختلفة كافةً . ولكني لم أرَ بينها ما استطيع الاعتقاد بهِ باطمئنان تامّ . فكنتُ غالبًا افتكر في الموت واسأل نفسي عمَّا اصير اليهِ بعدهُ قائلًا: «ماذا يُراد بهذه الحياة. فمن اين اتيت والى اين اذهب ألستُ كالحيوانات مولودًا من التراب لكي اعيش يسيرًا في نور النهار ثمَّ اتوارى في ظلمة ليل لا ينقضي . أليست الحياة حلمًا لا يقظة بعدهُ . ولعبةً يتحكَّم فيها الاتفاق ويتعاقب الفرح والحزن بلا قاعدةٍ اكيدة مطردة . انني ساموت لا محالة . ولكن ماذا يحدث لي بعد الموت . وهل اصير الى حياةٍ جديدة ام اغرق في لجَّة العدم الذي خرجت منهُ . هل اذكر هذه الحياة بعد الموت ام انساها نسيانًا ابديًّا . ليت شعري متى خُلق هذا العالم وماذا كان قبل وجودهِ وهل وُجد منذ الازل . تلك يا صاحبي اسئلة مهمَّة اورثتني مزيد القلق والكآبة . لانهُ من المحقق انَّ العالم لا بدَّ لهُ من نهاية اذا كان محدثًا . لكن ماذا يجري حينئذٍ هل يتبدّل ذاك الوجود بالخواء ام يحدث ما يفوت المدارك البشريَّة معرفتهُ »

فهذه الخواطر وما ماثلها كانت تجعل الهموم تنتجي في صدري وتورثني كمدًا وشجوا . والذي كان يحزنني بالاكثر هو اني كنتُ اجتهد في ابعاد هذه الافكار المقلقة عن عقلي فلم يغنِ اجتهادي فتيلًا بل كانت تزداد وتزدحم في عقلي بسبب ما اشعر بهِ في داخلي من الرغبة المضطرمة في الخلود وعدم الفناء

واذ لم استطع الجزم بشيء من هذا القبيل بعد جهد المطالعة والاستقصاء لجأتُ الى مدارس الفلاسفة استرشدها فجلتُ في البلاد اليونانيَّة اتنقَّل من مدرسةٍ الى أُخرى واتردّد الى اشهر اساتذتها مستطلعًا آراءهم وتعاليمهم لعلّي اجد فيها هداي فلم أُصب الَّا الشكوك والارتيابات لانَّ احدهم يعلِّم ما يضادّ الآخر ولاسيا فيا يختصّ باصل الكون وغاية وجودهِ ومصير الانسان بعد هذه الحياة . فهنالك آراء متناقضة مبنيَّة على الحدس والتخمين لا على ادلَّة مأخوذة من طبيعة الشيء يركن اليها العقل . فعدتُ من سياحتي تلك اشدَّ ظماءً الى معرفة الحقّ مني فيا قبل

ولو كان الحقّ الذي التمس معرفتهُ امرًا لا يُعقب جهلهُ وبالًا لرغبتُ عن استعرافهِ . ولكنهُ الامر الجلل الذي تتعلّق بهِ سعادتي . فان كان ما يقال عن خلود النفس وعقاب

— نعم

— لا شكَّ انك من عظماء قومك

— انّما انا من عامّة قومي وصعاليكهم . فأنا صيّاد سمك وليس عندي ذهب ولا فضة ولا املك شيئًا . وقد قضيتُ معظم العمر في هذه المهنة

— يظهر انك منذ تركت هـذه المهنة قد تشاغات بدرس الحكمة والتردُّد الى مدارس الفلاسفة لاقتباس العلوم والفصاحة

— كلّا فاني لا المُّ بشيء من العلوم والفصاحة ولم ادخل مدرسةً قط

— اذن عبادة الهك هي سهلة مستحبَّة ينقاد اليها الناس من تلقاء نفوسهم منجذبين اليها بما فيها من السهولة والعذوبة والمنفعة حتى انك اقدمت على دعوتهم اليها لا تتكل على فلسفة ولا تستند الى فصاحةٍ

— كلاً فاني ادعو الناس الى عبادة إلهٍ قد صُلب على خشبة العار

— ما هي تلك الديانة يا ترى ؟

— هي الديانة التي يحكم المتكبّرون وذوو الشهوات بانها حماقةٌ . لانها تناصب كلّ الرذائل التي بُني لها هياكل في هذه العاصمة

— أوَ بهذه الديانة أتيت تكرز ههنا آملًا ان تُحرز لها أتباعًا ومُشايعين ؟

— سأكرز بها ليس ههنا فقط بل في المعمورة باسرها ايضًا

— لا شكَّ اذن بانَّ لك موَازرين ونصراء من اصحاب الاقتدار والجاه والاغنياء والفلاسفة المشاهير . وربّما كان قيصر نفسهُ من نصرائك الذين عليهم تتوكل في بثّ تعاليم ديانتك ونشرها

—اني اقترح على الاغنياء ان يزدروا الغنى بل ان يتركوا ثروتهم للفقراء والمساكين . واطلب من الفلاسفـة ان يُخضعوا عقولهم للايمان ومن قيصر ان يتنحّى عن الرئاسة الدينيَّة . وان لا يدعو نفسهُ فيما بعد حبرًا اعظم ورئيس دين لشعبهِ

— لا ريب ان كلَّ الناس ولاسيما العظماء منهم سيضادونك ويناشبونك حربًا هائلة فماذا تعمل حينئذٍ ؟

— لا انفكُّ مبشِّرًا بهذه الديانة ولو لاقيت في سبيلها الموت الاحمر (١

١) ما ذُكر من المخاطبة الى هذا المقطع اخذناهُ بتصرُّف عن تأليف العلّامة ايتّنجر المدعو

— وماذا تؤمّل استعرافهُ في اليهود وهنالك امّةٌ مهينة مزدراة تجحد آلهتنا وليس فيها فيلسوف او عرّاف

— ألم يتصل بك خبر الرجل العجيب الذي ظهر هنالك

— كلاَّ فمن هو وما خبرهُ

— لا ادري من هو . واماَّ خبرهُ فالذي نمى اليَّ منهُ انهُ اقام الموتى وشفى العميان والخلَّعين . ونشر بين اليهود تعليماً جديدًا عن مبدع الكون وعن الانسان ومصيرهِ . فلعلَّهُ يكون هو الهادي الى الحقّ

— اشور عليك ان لا تعاني مشاقَّ السفر وتبذل النفقات الطائلة لتسترشد رجلًا يهوديًا في امور مُبهمة قد اعتاص على فلاسفة اليونان الألبَّاء فهمها وادراك حقائقها . وهي منك ومنهم مناط الثرَّيا

— وهل أُلام اذا امّلت بلوغ الوطر بمن قيل عنهُ انَّهُ يحيي الاموات

— شأنك وما تريد . فهلمَّ نعود الى المدينة

فنهض كلاهما وعادا أدراجهما وما زالا يتداولان الكلام في الشؤون المذكورة حتى دنوا من باب المدينة على غَيْبَة (١ الشمس فاستوقفهما منظر رجل غريب داخل في الباب يعلو اثوابهُ الغبار ويظهر من تثاقلهِ في المشي انهُ قادم من مكان سحيق وقد اعياهُ المسير . فلما ان صار داخل الباب وقف في ناحية وجلَّى ببصرهِ الى المدينة . فكان الكابيتول(٢ اول شيء وقع عليهِ بصرهُ ثمَّ امال نظرهُ قليلًا فشاهد البنايات الفخيمة الباذخة

وكان مرقس قد توقف مع رفيقهِ عن المسير ريثما يرى ما يبدو من هذا الغريب الذي وقف يستوضح عظمة مدينة القياصرة . وبعد هنيهةٍ دنا منهُ وقال لهُ :

أيمكنني ان اسألك ايها الغريب من انت وما سبب قدومك الى رومية

— انا بطرس بن يونا جئت لاكرز بالاله الحقيقي واقلب هياكل الالهة الكاذبة

— انَّهُ والحقّ يقال لمطلبٌ جديد . فمن اين اتيت وما هو وطنك

— انَّما انا من امّةٍ تحتقرونها وتمقتونها

— انت اذن يهودي

١) اي عند غيابها

٢) هيكل رومية الاكبر المشيَّد على اسم المشتري (جوبيتير) فوق قمَّة جبل كابيتولين

معبد سيّدة القلعة في بلاد عكار

لمحة تاريخيّة للاب يوسف غودار اليسوعي

معرَّبة بقلم نجيب باخوس (تتمّة لما سبق)

٤ التقليدات المحلية

ان اقدم حادث يتذكَّرهُ شيوخ بلاد عكَّار عن حماية سيّدة القلعة يرتقي الى اواسط شهر كانون الاول من سنة ١٨٠٠ وذلك انَّ رجلًا يدعى حنا صافي كان يحتطب مع ولد لهُ حديث السن في وادي منجس تحت خرائب قلعة فليس اذ هبَّ إعصار شديد يندر حدوث مثلهِ على قمة تلك الرابية ثم عقبهُ مطر مدرار. فاستند الحطَّاب الى بعض الاشجار الدانية وتمسَّك بها لئلا تتلاعب بهِ الزوبعة. واماَّ الصبي فانَّهُ كان قائمًا على ضفة الساقية فطمت مياهها وتعاظمت فجأَةً فاقتلعتهُ من مكانهِ وسارت بهِ مسرعة

فلمَّا بصر بذلك والدهُ المسكين اخذ يبكي وينتحب ويركض باحثًا عن فلذة كبدهِ. ولكن اذ رأى ان كل مساعدة بشريَّة اضحت لا تجديه نفعًا وجَّه ابصارهُ نحو آثار سيدة القلعة وابتهل الى صاحبة تلك الاطلال مستغيثًا بها في انقاذ ولدهِ وقد نذر على نفسهِ اكرامًا لها ان يقوم كل سنة في اليوم الثامن من شهر ايلول بتقديم الطعام للزوَّار على نفقتهِ الخاصَّة ان خلَّصت ولدهُ من الغرق. وما فرغ من نذرهِ حتى سمع سكَّان قرية مجاورة قائمين على المنحدر المقابل « للنهر الكبير » يبشرونهُ بنجاة ولده. وكانت المياه قد سارت بهِ بين الصخور واللجج الى مسافة ٤٠٠ متر او تزيد. فصعد لساعتهِ حنا المذكور وولدهُ الى معبد السيدة وجدَّد هنالك نذرهُ ملزمًا بهِ نفسهُ ما دام هو وولدهُ في قيد الحياة

وقد قام بوفاء هذا النذر مدة حياتهِ كلها وعند مماتهِ اوصى ولدهُ ان يستمرَّ على وفائهِ بعدهُ كل عام. فحفظ الصبي وصية ابيهِ الاخيرة واقتفى آثاره. فكان كل سنة في اليوم المذكور يأتي سيدة القلعة محرضًا الزوَّار على العبادة والتقى نحوها ومحافظًا على راحتهم ومسرتهم وقائمًا بتقديم ما يحتاجون اليهِ هنالك

في اليوم السابع من شهر ايلول لسنة ١٨٢٨ حيث كان الزوَّار قد توافدوا من كل صوب حسب العادة وجدوا ان البئر قد نضبت مياهها فخالج فؤَاد ابن حنَّا صافي من جرَّاء ذلك كدرٌ لا يوصف وهمٌّ شديد واصبح مرتبكًا في امرهِ لا يعلم من

— قُل لي على الاقل ما اسمهُ ؟

— يسوع المسيح وقد ظهر في اليهودية وصُلب في اورشليم بين لصين

— اني ارى فيما تقول معميات وألغازًا قد التوى عليَّ فهمها . فلم اسمع قطّ ذكر إلهٍ قد صُلب بين آلهة الامم كلها . فمن هو هذا الاله ومن الامّة التي تعبدهُ واين نُصب تمثالهُ وما معنى صلبهِ بين لصين

— ستعرف ذلك فيما بعد

— قد اتصل بي ان قد ظهر هناك انسان يشفي المرضى ويُقيم الموتى بكلمتهِ

— هذا هو يسوع المسيح الاله الذي أبشِّر بهِ بعينهِ

— كنت اظنّ انهُ لم يزل حيًّا . وقد اعتزمت ان امضي الى اليهوديّة لاراهُ

— انهُ قد مات على الصليب برضاهُ لاجل خلاص الناس ولكنَّهُ قد قام من بين الاموات بقوّتهِ الالهيَّة بعد ثلاثة ايام وتردَّد على الارض بين اخصائهِ اربعين يومًا ثمَّ صعد الى السماء بعد ان اوعز الينا نحن تلاميذهُ ان ننشر تعليمهُ السماوي في المسكونة باسرها داعين اليها كلّ امَّة من امم الارض

— هل لهُ اتباع في اورشليم ؟

— نعم وهم كثيرون ليس من اليهود فقط بل من سائر الامم ايضًا وليس في اورشليم وحدها بل في جهات اخرى كثيرة ايضًا

— انصحك يا رجل ان لا تتكلم امام الرومانيين عن إلهك والتعاليم التي ذكرتها لئلا يضحك منك العامّة ويُوقع بك أُولو الامر . فان ما تريد نشرهُ بينهم يُحسب ضربًا من الحماقة واهانة للمملكة والملك واحتقارًا للشعب وآلهتهِ . فعدّ عن عزمك واغنم نفسك . فان وراء ما تنويه الفضيحة والبوار والموت الزؤام ولا جرم ان الغرور والدعاة والطمع في احراز الشهرة وعدم التبصر في مصاير الامور قد جعلتك ايها الرجل لا ترى وبال مسعاك وحملتك على ان تعرّض نفسك لخطر جدّ عظيم يحسن بك استدراكهُ قبل ان يدهمك والسلام

« محاماة النصرانية » (ج ٢ ص ٢٨٣) لموافقتهِ لموضوعنا ووسَّعنا تلك المخاطبة بما يلي المقطع المذكور . ولا غرو ان هذه المخاطبة لم تقع بين بطرس ورجل معيَّن ولكنها تنطق في الحقيقة بلسان حال الرسول والرومانيين الذين انطلق اليهم ليبشرهم بالخلاص . وتصف بألطف اسلوب حالة الفريقين

حتى صارت كعمود من النار قد استوى قائماً على المذبح ينطح الغمام برأسهِ. ثمَّ اتخذ شكل صليب متألق لامع ثمَّ ما عتم ان صار شاحباً ثم ضرب لونهُ الى الاصفرار وغاب عن البصر عند انبلاج الفجر (١

٥ الترميم الاول

ثمَّ ظهرت في ذلك المعبد من سنة الى اخرى آيات عظام ومعجزات باهرة حتى كأَن البتول قد أَرادت بذلك ان تثبت اولئك الزوار في ايمانهم الحارّ وان تحفظ عادة هذه الزيارة من الاهمال الى اليوم الذي اندفع فيهِ واحد من سكَّان تلك الديار فاخذ على نفسهِ ترميم هذا المعبد وتجديد بنائهِ على حين لم يكن ليؤمل منهُ ذلك. على ان الجميع منذ زمان طويل كانوا يرغبون من صميم الفؤَاد القيام بهذا المشروع بيد ان ضيق ذات اليد عن النفقات اللازمة لانجازهِ كانت تحول بينهم وبين تحقيق امنيَّتهم

ولكن تلك العذراء القادرة الحنونة التي اذ فرغ الخمر من عرس قانا الجليل لم تألُ جهدًا ان سعت شافعةً باولئك المعوزين لدى ابنها الذي قبل شفاعتها بهم وانعم عليهم بتلك الخمرة المحالة لم تخيّب آمال عبيدها وأَبتْ الّا ان تحقق ما كانوا يتمنَّونهُ ويرغبونهُ من سنين عديدة فأَوحت الى بعض الفقراء المعدمين ان يرمّم ذلك المعبد ويجدّد بناءهُ. ودونك تفصيل الخبر

كان رجلٌ من سكَّان قرية منجس يدعى بولس الخوري سليمان قد أُصيب سنة ١٨٧٢ بمرضٍ عضال اشرف معهُ على الموت فوهنت قواهُ وتراخت اعضاؤُهُ فاصبح كمخلَّع لا يستطيع حراكًا بالرغم عمَّا بُذل لهُ من الاعتناء في تمريضهِ بل ذهبت كل العلاجات ادراج الرياح والداء على ازدياد ينهكهُ نهكًا فقضى العليل على هذه الحالة اعوامًا عديدة يتقلب على فراش الاوجاع والآلام واشتهر امر مرضهِ لدى سكَّان تلك الناحية

---

١) قد روى هذه الحوادث كلها ابراهيم افندي الخوري بحضرة كلّ من نسيم افندي الخوري والابوين الفاضلين الخوري ميخائيل والخوري يوسف خادم قرية منجس. وابراهيم افندي المذكور الذي شاهد بنفسهِ اعجوبة البئر في صباهُ هو اليوم شيخ قرية منجس يجلُّهُ جميع السكان من مسيحيين ومسلمين ويحسنون الثقة بهِ. وقد اظهر في بناء المعبد الجديد من الهمَّة والنهضة ما يوجب الشكر لهُ فانهُ كان يأتي كلّ يوم من منجس الى سيدة القلعة ليشاهد بنفسهِ اعمال البناء. وكثيرًا ما كان يذرف العبرات تأثرًا من العجائب والمعجزات التي اظهرتها البتول في معبدها

اين يستقي في الغد للقوم الوافدين . فبعد ان اجتمع هو والمأسوف عليهِ الخوري يوسف بطرس خادم قرية منجس وتخابرا مليًّا بهذا الشأن ارتأى كلاهما ان يُنقل الماء من الوادي الى محل الزيارة رغمًا عمًّا يقتضيهِ الامر من المشاق

واذ جنّ الليل بينما كان الزوّار يترغون جريًا على عادتهم بطلبة العذراء وسط تلك الاخوبة البالية انفرد عنهم ابن صافي المذكور واتّجه نحو البئر اليابسة فحدّق اليها طويلًا ثم هبطها فوجدها لم تزل على نضوبها فصرخ اذ ذاك عن ايمان حارّ قائلًا : « ايتها السيدة أتحرمين الماء عبيدكِ هؤلاء الزوّار الذين ينشدون الان مديحكِ وقد أتوا لحفلة عيدك من اطراف بعيدة جدًّا ؟ » . قال هذا وهمّ بالرجوع اليهم حزينًا . ولكن ما عتم ان انقلب كدرهُ الى فرح فان البئر الناضبة امتلأت على فورٍ ماءً عذبًا فاخذت الشابَّ هزةُ الطرب وبدأ يهتف هتاف الحبور والتهليل ويطلق بندقيّتهُ في الهواء طربًا وسرورًا . فعجب الزوّار بذلك واشفقوا من ان يكون قد طرقهم عدوّ . لكنهم لمّا عرفوا بصحّة الخبر وذاقوا ماء البئر الذي لم يذوقوا مثلهُ قط طار فؤادهم بذلك فرحًا وجثوا جميعهم على ركبهم واخذ ذلك الكاهن الغيور (الذي من فرط ما قد سرّهُ هذا الامر ابكاه) يتلو نيابةً عن الحضور عبارات الشكر وافعال الامتنان لهذه السيدة لما جادت بهِ على عبيدها من النعم واظهرت لهم من الانعطاف والرحمة

وبعد مضيّ يومين على هذا الحادث وارفضاض جمهور الزائرين رجعت تلك البئر فنضبت مياهها كما كانت

ولم يمضِ على ذلك اربع سنوات حتى اظهرت البتول الاعجوبة الآتية . وهي انهُ بينا كان الزوار نيامًا متفرقين بين تلك الآثار الدارسة في ليلة اليوم الثامن من شهر ايلول لسنة ١٨٣٢ ظهرت ليلًا على ذلك المذبح الحقير أنوار بيضاء شديدة اللمعان . فذُعرت الجياد واخذت تصهل صهيلًا متواصلًا . فاستيقظ اذ ذاك الجميع واخذهم دهش لا يوصف اذ بصروا بتلك الانوار الغريبة . امَّا الاولاد والنساء فاعتراهم خوف شديد وعلا الضجيج والصراخ من كلّ صوب وناحية . فصاح بهم الكاهن أن « لا تخافوا فإنْ هذه الّا انوار السيدة عليها السلام فلنصلِ اليها ونطلب المغفرة من مراحمها العظيمة »

ثمّ اخذت تلك الانوار تتضامُّ الى بعضها على مرأى من هذا الجمع المبهوت

التعزية والسلوى وتلهم اصحاب الخير مساعدتهُ وتظهر الآيات المنبئـة برضاها عن مشروعهِ الصالح (١

ثم بقي « مريضنا » منعكفًا وحدهُ على بناء المعبد الى ان قيَّضت لهُ العناية الالهيَّة مساعدة لم تكن في حسبانهِ

وهي انَّهُ كان في قرية الدبابيَّة التابعة قضاء الحصن امرأَة تدعى خزما ابنة بركات وكانت تفكر من زمن طويل في ان تخصص ذاتها لعبـادة الله في بعض الاديرة ولمَّا علمت بمشروع « المريض » رأَت من نفسها ميلًا الى الانقطاع لخدمة سيدة القلعة فاقبلت في سنة ١٨٧٨ الى فناء هذا المعبد وقدَّمت للبتول اعمال يديهـا وما تملكهُ من دراهم وأَرزاق واخذت تجوب بنفسها البلدان المجاورة وتجمع ما تبرَّع بهِ المحسنون لبنـاء معبد سيدة القلعة . وبالرغم عن ضيق ذات اليد كان كلٌّ مؤمنًا كان او غير مؤمن يجود بمـا تمكّنهُ منهُ حالتهُ مرتاحًا الى ما كانت تقصهُ عليهِ هذه المرأَة من معجزات السـيدة وآياتها الباهرة

وكانت البتول عليها السلام ترعى خادمتها النشيطة وتحفظها من الطوارئ والملمات فانها كانت تبدي من الجراءَة والإقدام ما يذهل العقول اذ كانت تسري ليلًا في تلك الديار وتنتقل من مكان الى آخر وتجمع الصدقات وتعرّض بنفسها لانواع المهالك وضروب الاخطار . واذ كانت يومًا (في ٢٣ ت ١ سنة ١٨٩٤) راجعة من مزرعة « تليل » (على بعد ساعتين من سيدة القلعة) بصرت بلصـين كامنين لها في قعر وادٍ عميق يريدان ان يوقعا بها ويسلباهـا ما كانت قد جمعتهُ من الدراهم بشقّ النفس . فاشتدّ خوفها جدًّا واستغاثت بسيدة القلعة ثمَّ مرَّت بجراءَة بين هذين اللصـين اللذين التصقت اجسامهما بالحضيض فعادا لا يقويان على ان يبديا حراكًا . وبعـد ان سارت عنهما بعض خطوات خاطبها احدهما بقولهِ :

علامك يا أبنيَّهْ علامشْ بالله عليك ايشو دينك علامشْ

---

١) ومما يخبر انَّ ولدًا صغيرًا لامرأَة تركانية من الفريديس أُصيب بمرض عضـال عجز الاطباء عن شفائهِ . فلما ايست امُّهُ من حياتهِ نذرت لسيدة القلعة كبشًا تقدمهُ لها ان عافاهُ الله . فلم يمضِ ردح من الزمن حتى ابلَّ الولد من مرضهِ . لكن الأُمّ تغافلت عن وعدها و باعت الكبش فعاقبها الله بان اضلَّت وحيدها ولمَّا طلبتهُ وجدتهُ عند معبـد سيدة القلعة وكان عمرهُ لا يتجاوز السنتين فعرفت ان سيدة القلعة ناقمة عليها لحنثها بوعدها وما لبث الولد حتى مات بعد قليل

حتى لم يعد يسمى الّا « بالمريض ». ولمّا عرف مريضنا انَّ الاطبّاء قد عجزوا عن شفائهِ وفنيت فيهِ حيلهم وجّه ابصارهُ وآمالهُ نحو سيدة القلعة التي كان قد زارها مرارًا وسمع بمعجزاتها وآياتها الباهرة فتوكأ على ذراع بعض اصحابهِ قاصدًا معبدهـا القديم الذي لم يصلهُ الّا بشقّ النفس. فجثا هنالك ورفع ذراعيهِ نحو البتول قائلًا لها: « ايتهـا السيدة الرؤوفة التي تمطرين نعمك في هذا المكان المباركِ اني استحلفك بابنكِ يسوع ان تنعمي عليَّ بالشفاء التامّ وتردّي لي صحتي المفقودة فاني لا اغادر معبدكِ هذا قبل ان يغادرني المرض. على اني اعدكِ اذا استجبت طلبتي ان اقضي باقي ايامي واستخدم ما تكونين قد وهبتنيهِ من القوى المتجدّدة في سبيل بناء معبدكِ هذا »

وبعد ان صلى طويلًا بهذا الايمان الحي اضجع بالقرب من المذبح ونام (١ واذ افاق من رقادهِ شعر بانهُ قد ابلَّ من مرضهِ تمامًا. فقام من ساعتهِ وعاد الى قريتهِ مردّدًا آيات الشكر للبتول التي عطفت عليهِ وشفتهُ من مرض قاسى مضضهُ زمانًا طويلًا. وكان لهذا الحادث العجب شأنٌ عظيم بين قاطني بلاد عكّار الذين عرفوا « المريض » ومرضـهُ العضال فكان ذلك سببًا آخر لزيادة انتشار العبادة نحو سيدة القلعة والاعتقـاد بقدرتها العجيبة

ثم انهُ ما عتمّ « المريض » ان انجز ما وعـد بهِ فانهُ رجع في مساء ذلك اليوم الذي حصل فيهِ على الشفاء الى تلك الآثار تاركًا وطنهُ منجس ومغادرًا زوجتهُ واولادهُ الاربعة مستصحبًا ما لا غنى لهُ عنهُ من الادوات عازمًا على الاقامـة وسط تلك الآثار البالية واقفًا نفسهُ بتمامها لخدمةِ هذه السيدة العظيمة. واخذ يعنى ويهتمّ من ذلك الحين بان يشيّد فوق تلك الآثار معبـدًا فسيحًا. فابتنى لنفسهِ كوخًا صغيرًا ثمَّ بدأَ يستنهض همم ذوي الخير والاحسان من السكان المجـاورين ويستمطر سحب اكفهم ويجمع ما يجودون بهِ عليهِ من الدريهمات والحنطة والذرة حتى انَّهُ تمكَّن من الشروع في البناء يوم عيد البشارة الواقع في ٢٥ اذار سنة ١٨٧٧. وقد اعترضهُ في سبيل هـذا المشروع عقبات عديدة وصعوبات متواليـة غير ان العذراء كانت تفرغ على فؤادهِ الحزين ماء

١) وفي مقالة ارسلها الينا المعلم الفاضل ابراهيم افندي عبد الجليل ما نصُّهُ: « ونام المريض تحت انظار البتول التي ظهرت لهُ على شكل ملكة جليلة القدر بهيَّة المنظر »

وبرعاية قطيع من الماعز يُربضهُ في تلك الارض التي ابتاعها . فهذا كل ما كانت تملكهُ هذه السيدة ولم يكن احد ليجسر ان يمسَّهُ مع انَّ تلك الاصقاع يسكنها قبائل شتى متباينة الجنس والاخلاق قد طُبع كثير من اصحابها على النهب والسلب وشنّ الغارات. ولكن السيدة ابت الَّا ان تحافظ عن املاكها اشدّ المحافظة وان تعاقب من يجسر ان يمسها بضرر ما . وعليهِ فلم يحدث قط هناك حادث سرقة البتة . وسكَّان تلك الديار يعزون ذلك الى عناية السيدة ويتخذونهُ برهاناً قاطعاً ودليلًا ساطعاً على مقدرتها

ويروى حوادث شتى مذهلة عمن انزلت بهم السيدة العقاب لانهم مدُّوا ايديهم الى ما هو مختصّ بها نكتفي منها بذكر ما يأتي :

وهو انَّ رجلين من التركمان يدعى احدهما عباس حريك والآخر عمر بن حسن قدما ذات يوم ليتفرجا على معبد السيدة الحديث فوقعت عين احدهما وهو عباس على حبل ومنجل في زاوية المعبد فدفعهُ الطمع الى ان سرقهما . ثمَّ همَّ بالخروج فلم يستطع الى ذلك سبيلًا اذ لم تعد تبصر عيناهُ باب الكنيسة الذي دخل منهِ وبقي على ذلك بضع دقائق يدعوهُ رفيقهُ من الخارج وهو يتجسس في الظلام دون ان يقوى على التملُّص من يد تلك السيدة القويَّة. فاستولت عليهِ رعبة شديدة لم يُسَرَّ عنهُ حتى رمى بالحبل والمنجل الى الارض فبان لهُ اذ ذاك باب الكنيسة فخرج منهُ مسرعاً لا يلوي على شيء [1]

وقد شاع ذلك عن هذه السيدة حتى ان اهل تلك البلاد على اختلاف اديانها تعتقد ان في بسطة هذه الرابية مكاناً مقدَّساً وتنظر اليهِ بعين الاجلال والاكرام متيقِّنة ان السيدة نفسها تعاقب عقاباً اليماً من يجرأ على ان يمسّ معبدها بشيء من الأذى

ولم تزل العذراء تظهر لخادمها الامين المسرَّة من اعمالهِ ومساعيهِ . الَّا انَّهُ هو لم يكن ليكتفي بما صنع بل كان يتوق دائماً الى ان يبني ايضاً لسيدة القلعة معبداً اوسع واشرف ممَّا قد بناهُ لها يزدحم فيهِ الزوّار ازدحاماً حتى يغصّ بهم ويتموَّج في فنائها عددهم الغفير . ومجمل القول انَّهُ كان يريد ان تصبح سيدة القلعة كنجم شديد التألق واللمعان ينير بضيائهِ كل بلاد عكار . واخذ من ثمَّ يضاعف طلباتهِ وصلواتهِ اليها

[1] قد روى هذا الحادث عمر المذكور وهو يقصّهُ على مسامع من اراد . ولمَّا بُوشر بتجديد البناء اراد ان يشتغل مع الفعلة اكراماً للسيدة

سحّاره الّا مكّاره علامش كنّك سحّاره تفكّينا الّا خربتِ بيوتنا على حسّابه

فاجابتها خزما: «قد اخطأتما فاني لستُ بسحّارة ولا مكّارة ولكني خادمة سيدة القلعة». فقالا لها: «عهد الله وميثاق الله ما نأتي صوبكِ ونوصي ولد ولد ولدنا صوبَ الولي ما يأتي:

ثمَّ ان خزما لم تكن مقتصرة من خدمتها على السعي في جمع الصَدقات لبناء المعبد فقط بل كثيرًا ما كانت تعنى بخدمة الزائرين ومساعدة البنّائين ومع ذلك لم تكن تنقطع هي «والمريض» عن الصلاة حتى في اوقات الشغل والعمل مستمطرين معًا غيوث المراحم العلويّة والبركات الالهيَّة. وكانا يصومان يوميًّا اكرامًا لسيدة القلعة ويقتصران نهار السبت على اليسير من الخبز والماء

وبعد ان تجشما من المخاطر والاهوال اشدَّها ولقيا من المصاعب والمتاعب اعظمها وامرّها تمكّنا في غرَّة نيسان لسنة ١٨٧٨ من انجاز بناء هذا المعبد الحقير المبني بدون كلس او جص فسُرَّ بتشييدهِ سكّان تلك الديار وطابت بهِ قلوبهم اذ لم يكن لذلك العهد في قرية من قراهم معبد خليق بعبادة الرب القدير (١

فاخذ الزوّار عندئذٍ يتقاطرون من كل صوب الى معبد البتول الذى قام حديثًا فوق تلك الآثار البالية وهم ينظرون اليهِ بعيون تبرق جزلًا وحبورًا ويحُنُّون اليهِ بقلوب تخفق فرحًا وسرورًا وقد كثر عددهم حتى اضطرَّ «المريض» ورفيقته ان يلحقا بالمعبد المذكور منزلًا حقيرًا قسماهُ الى ثلاثة مساكن يأوي اليها الزائرون القادمون من الاطراف البعيدة. ثمَّ اخذ المريض يسعى بعد ذلك في ان يجد كاهنًا يقيم هنالك دائمًا لاقامة الذبيحة الالهيَّة واستماع اعترافات الزائرين ومناولتهم خبز الحياة ايَّ وقت ارادوا ذلك. فوجد قسيسًا من الرهبنة البلديّة المارونيَّة عهد اليهِ هذه الخدمة موقتًا فتضاعفت باقامتهِ هنالك اعمال البرّ والتقى وكثر عدد المقتربين الى مائدة الخلاص

ثم انَّ المريض ابتاع على مقربة من المعبد قطعة ارض حَجِرة دفع ثمنها ممَّا كان قد جمعهُ من الحسنات والصدقات وممَّا كان قد اكتسبهُ بعمل يديهِ واخذ يعنى على قدر الامكان باصلاح هذه الارض وتحسين تربتها. ولم يكتفِ بذلك بل كان يسعى ايضًا بتربية النحل

١) اعلم ان المريض وخزما بنيا هذا المعبد من الحجارة الكبيرة التي كانت مبنية منها قلعة فليس. من جملتها عتبتان كان حُفر عليهما رسم الصليب المقدس

بنى مدرسة داخليَّة صغيرة لتهذيب وتثقيف من وقفوا ذواتهم لتعليم الاحداث. وكانت البتول تنظر الى اعمالهُ بعين الرضى والارتياح منجِّحة مساعيهِ وممهِّدة في وجههِ سُبُل المصاعب

وكانت المعجزات تزداد يوماً فيوماً فجاز ذكر هذه السيدة العجيبة جبال عكار وطار صيتها بعيداً الى كل الاقطار الى ان قام في مكان المعبد الذي بناهُ « المريض » معبدٌ فسيح الارجاء متسع الجوانب حسن الهندسة متقن البنيان قرّت بهِ عيون السكّان وطابت بهِ قلوبهم واعجبوا بزخرف بنائهِ

والحقّ يقال ان هذا المعهد المشيَّد على الطرز المعروف بالطرز الروماني (Style ro-man) (١ يعدّ الآن في ديارنا من ابهج المعابد واجملها صنعة وبناء ويشهد لبانيهِ بطول الباع في الامور الهندسيَّة بالرغم عما اعترضهُ من العقبات والمصاعب في سبيل بنائهِ كبعد المكان ووعورة الطرق المؤدية اليهِ وصعوبة نقل موادّ البناء

فهو مبنيّ على ضفَّة الخندق الذي مرّ الكلام عليهِ يعلو هامتهُ صليب مرتفع حسن الشكل ولهُ ثلاثة ابواب جُعل فوق الكبير منها تمثال للبتول السيدة وفي داخلهِ نوافذ كلها مزدوجة ذات زجاج مختلف الالوان عليهِ تصاوير ورسوم تتضمَّن تاريخ حياة العذراء الطاهرة عليها الف سلام. فاذا ما اخترقتها اشعَّة الشمس تلوَّنت في الداخل بالوان زجاجها. وفوق كل نافذة نقوش بديعة تمثّل ضروباً من الازهار وانواعاً من الرياحين. امَّا جدرانهُ فهي مطليَّة بدهان ذي لون قاتم يضرب الى الغبرة مع تموُّج تخالهُ اذا تفرَّست فيهِ ألواناً شتى مختلفة. والى تلك الجدران اعمدة ضاربة الى السقف المحدّب كأنَّهُ قبة شاهقة فتنعطف ثمَّت الى بعضها فيتألف بانعطافها أقواس بديعة المنظر تملك العيون. وقد أُنيط الى تلك الجدران صور مراحل درب الصليب كلها ناتئة وهي تمثّل آلام المسيح لاسمهِ السجود وهي بمكان من دقَّة التصوير وطلاوة اللون و براعة الصنعة وجمال الهيئة

وقد نُصب فوق المذبح الكبير تمثال سيدة لورد دقيق الصنعة بارع المنظر وهو قائم هنالك داخل كوّة حُصِّنت بابراج صغيرة رمزاً الى « سيدة القلعة »

هذا ما رأينا ذكرهُ بوجيز الكلام عن تاريخ هذا المعبد الجليل ولنا الامل الوطيد

---

١) وهو ضرب من البناء خاصَّتهُ نصف الدائرة

في هذا الشان بحرارة قلبهِ الملتهب حبًّا لهـذه السيدة الخطيرة لا يأخذهُ فتور ولا ملل ولا يخالجهُ يأس ولا فشل حتى استجابت السيدة طلباتهِ وحقّقت امانيهُ الآئلة لمجد الله الاعظم

• الترميم الثاني

وفي تلك الاثناء سمع المرسلون اليسوعيون المقيمون في حمص باخبار سيدة القلعة وآياتها الباهرة بينما كانوا يجولون بلاد عكار لمزاولة اعمال الخير والتقى. فشُغف احدهم وهو حضرة الاب يوسف برنيه بحب هذا المكان منزل العذراء من قديم الزمان واعجبهُ حسن موقعهِ وبهجة مناظرهِ واعتزالهُ عن جلبة الناس وضوضائهم. ولمَّا كانت سنة ١٨٩٢ جمع الاب المذكور كهنة القرى المجاورة قرب معبد السيدة وعمل لهم رياضة روحيَّة وعند انتهائها تقدَّم اليهِ « المريض » واعيان تلك الناحيــة وطلبوا منهُ ان يعير هذا المعبد جانب الالتفات وان يعتني بادارتهِ فصرف شيئًا من همّتهِ لاصلاح شؤونهِ ثم دار في خلدهِ حينئذٍ ان يجعلهُ مقامًا لاعمال الرسالة في بلاد عكار تنبعث منهُ على اهل تلك الانحاء انوار هدًى ساطعة تنير عقولهم وتثــير في افئدتهم عواطف الايمان. الّا انّهُ لم يقرِّر شيئًا في ذلك الحين بل مدَّ اليهم يد المساعدة ليبنوا للكهنة محــلًّا واسعًا للنوم والاكل ابان الرياضة ومحلاً آخر للاستقبال

على انَّ « المريض » رجع ملحًّا في الطلب مكرّرًا لهُ بحرارة ونشاط حتى أُجيب ملتمسهُ فقدم الى هذا المزار حضرة الاب بطرس رولو رئيس الرسالة اليسوعية العام في سوريّة فأسرت البتول ايضًا قلبهُ بحب ذلك المعبد العريق بالقدَم حتى اخذ ينشّط حضرة الاب برنيه كل التنشيط الى انجاز ذلك العمل الخطير. فاجاب الاب المذكور بطيب الخاطر الى امر رئيسهِ وبعد ان عيَّن لخدمة هذه السيدة كاهنًا مارونيًّا يقيم دائمًا هنالك لاقامة ذبيحة القداس كل يوم شاد على مقربة من المعبــد مدرسة لتعليم الاحداث من قرية منجس وعزير والدبابيّة وكفرنون وغيرها من القرى المجاورة اصابت فيهم اقبالًا عظيمًا وتقاطروا اليها بقلوب ملأى سرورًا وأُهلت تلك الرابية بعد ان كانت مقفرة ينعق فيها الغراب الابقع

وبقي حضرة الاب برنيه يواصل الجدّ والجهد معتنيًا بعمران هـذه النقطة بهمّة لا تعرف الملل فوسَّع نطاق المدرسة وبنى لها مسكنًا ثالثًا وعيَّن مدرّسًا للغة الافرنسية ثم

وعليهِ احببنا ان نعود الى هذا البحث الشريف لندوّن هنا ما يتناقلهُ القوم وارباب الصنائع في هذا الصدد فلعلَّ هذه الروايات تمهّد السبيل لبعض اهل بلادنا فيتّصل بعد الامتحان والتجربة الى كشف القناع عن هذا السرّ وجلاء غوامضهِ واحياء صناعة شريفة يأسف العلماء على فقدانها

كم مدركٍ في يومهِ بعزمهِ ما لم يكن بالامس في حسابهِ

نقول انّنا قد تحفَّينا في السؤَال عن هذا الامر الجلل عند كلّ من لهم إلمام بصناعة الاسلحة واستعلمناهم عمَّا سمعوهُ بالتقليد من قدماء الصياقل ثمَّ قابلنا بين اقوالهم المتباينة فكانت نتيجة بحثنا انَّ جوهر السيوف متوقّف على جنس المعدن الداخل في تركيبها. وممَّا يؤيد ذلك ما بلغنا عن قدماء الصياقلة الدمشقيين فانهم كانوا اذا ارادوا صنع نصل مجوهر عمدوا الى المعادن القريبة من بلدهم فيبحثون عن قطعٍ معدنيَّة يغلب عليها الحديد يعرفونها بالاختبار والشكل واللون فاذا وجدوا ضالَّتهم ألقوها في نار حامية من فحم السنديان فيصهرون هذه القطع ولا يزالون في عجنها وتليينها حتى تُشبَّع كربونًا ثمَّ يطرّقونها ويمدّونها نصالًا ثم يجدُّون في تخضيرها بالشحيرة (١ كما مرَّ (ص ٥٨٠) فيظهر فيها الجوهر

امَّا اختلاف الجوهر في النوع والشكل والتموُّجات فذلك يحصل من التفنن في عجنهِ ومدّهِ اسلاكًا وجَدل قِطَعهِ (تعقيدها) ولحم بعضها ببعض

وهذا كلامٌ مجمل يصحُّ على كلّ اصناف الجوهر على اختلاف البلدان. ولكن ان سأَل سائل من اين للجوهر الدمشقي فضلهُ على غيرهِ من النصال المجوهرة. اجبنا انَّ ذلك ناجم عمَّا يدخل في معدنهِ الحديدي من معادن اخرى تجديهِ خواصَّ لا تُرى في غيرهِ. وقد سبق لنا ان تحليل بعض الشفرات الدمشقيَّة في المختبر الكيمويّ في كليَّة القديس يوسف بيَّن فيها صنفين من المعادن هما التيتان (titane) والخروم (chrôme) وكلاهما يتَّصف بصفات عجيبة من شأنها ان ترينا في الفولاذ تلك التموُّجات البديعة. وموقع هذه المعادن الدمشقيَّة في نواحي دوما اشتهرت في الزمن القديم ومنها كان يأخذ الحديد ابرهيم باشا لصنع اساحتهِ الممتازة بجودة معدنها

وفي هذا المقام يليق بنا ان نورد خبرًا حديثًا عن صناعة الجوهر العجمي اكَّدهُ لنا كثيرون

---

١) الشحيرة ترابة تؤخذ من اراضي الشحَّار تكثر فيها الحوامض الكبريتية وليست كالسناج

انّهُ سيكون في مستقبل الزمان على جبال عكار كمنار يرسل على النفوس انوارًا سماويَّة تسدّدها الى الدين الحقّ وترشدها الى ينابيع الخلاص بشفاعة تلك البتول التي جعلت مقامها في قلعةٍ دلالةً على قدرتها وسلطانها السامي عند الله فتخذل من ثمَّ كلَّ قوَّات الابالسة وتسحق رأس الحيَّة الجهنميَّة وتبذر في قلوب المؤمنين بذورًا صالحة تأتي في اوانها باثمار الخلاص

ولنا ضمين عن ذلك بما نراهُ من عدد الزوّار من مؤمنين وغير مؤمنين الذين يهرعون كلّ يوم الى المعبد الجديد ليستمطروا من فيض مراحم سيدة القلعة غيوث البركات والنعم فينالون شفاء من امراضهم وتعزية في احزانهم وهداية في شكوكهم. وكم رأينا منهم اذا عادوا الى اوطانهم اخذوا معهم ركوةً يملأونها من ماء البئر ليسقوا منهُ ذوي العاهات من اصحابهم فيُشفون ومنهم من يستصحبون معهم شيئًا من تراب المزار يعلّقونها في بيوتهم كحرزٍ حريز واذا دهمتهم نكبة صبُّوا منهُ قليلًا في مائهم تخفيفًا لاوجاعهم

وقد ابت البتول الّا ان تجازيهم عن ايمانهم هذا كما جرى لامرأة من زغرتا أُصيبت بصرعٍ مزمن فنالت الشفاء التامّ بعد ان قضت ليلةً بقرب مذبح السيدة. وكما حدث للشيخ سعد الماروني في اذار سنة ١٨٩٨ لمَّا اندلع لسان اللهيب متهددًا التهام كل غلَّاتهِ فما لحظ ذلك حتى التجأ الى حماية سيِّدة القلعة ووعد بتقدمة مبلغ من المال لمقامها ان ردَّت عن حقولهِ هذه الآفة فخمدت النار فجأةً بمرأًى من الجمع المتقاطر. وامور أُخرى كثيرة لو اردنا تفصيلها لطال بنا الكلام. وفي ما سبق كفاية لتعريف فضل سيدة القلعة رعانا الله بعين حمايتها وهدانا الى نيل السعادة بشفاعتها وصلواتها آمين

في سرّ صناعة الجوهر

لجناب الاديب يوسف افندي غنَّام ثابت

قد وصفنا في مقالة سابقة (المشرق ٣ : ٥٨٣) الجوهر وخواصهُ واصنافهُ المختلفة. بيد انَّنا اثبتنا في ختام وصفنا ان سرّ صناعة الجوهر لا يزال دفينًا الى يومنا هذا

ولكن يا تُرى أيسوغ للمرء ان يحجم عن ادراك الوطر اذا حالت العوارض دون مرامهِ او ليست المصاعب باعثًا جديدًا يحملهُ على طلب غايتهِ

تريدين ادراك المعالي رخيصةً ولا بدَّ دون الشهد من إبر النحلِ

ثمَّ راجعنا التآليف الحديثة المطبوعة في بلادنا فلم نجد سوى فصلين ورد احدهما في دائرة المعارف (١٠ : ٣٢٣) والآخر في المقتطف (٦ : ٢٠٥—٢٠٧)

امَّا فصل « الدائرة » فقد ورد في مادَّة « سيف » وهو غريبٌ في بابهِ فانَّ كاتب هذا الفصل يزعم انَّ ذكر النصال الدمشقيَّة قد مرَّ في مادَّة « دمشق » مع انَّ مقالتهُ في « دمشق » لا تحتوي شيئًا من هذا الوصف الموهوم ثمَّ اردف الكاتب قولهُ :

« ان موسيو بريان والجنرال انوسوف كشفا عن سرّ صناعتها (النصال الدمشقيَّة) او كادا فقال بريان اذا زيدت كميَّة الكربون في الفولاذ ثمَّ بُرّد بطرق مناسبة تألَّف منهُ مع الكربون مركَّبان منفصلان احدهما الفولاذ والثاني يقرب من الحديد المسبوك فاذا بُرِّدا بالتدريج انحلَّ تركيبهما وتبلورت كلّ مادة وحدها وكلما طالت مدة التبريد تكامل انفصال المركَّبين وزادت الخطوط او العروق في الفولاذ المطرق وزاد فرنده . وطريقة بريان في استحضار الفولاذ انما هي باذابة الحديد اللين في ١/٥٠ من ثقلهِ من السناج وباذابة برادة الحديد المسبوك السنجابية في مثل مقدارها من البرادة المتأكسدة وبتحريكها اثناء الذوبان وصنع من هذين المركَّبين نصالاً في غاية الجودة . وقد امتحن الجنرال انوسوف هاتين الطريقين فلم ينل بهما ما يماثل الفولاذ الدمشقي جوهرًا ورونقًا »

فتعجَّبنا من هذا الوصف وفيهِ من التناقض ما لا يُنكر لانَّ الكاتب يزعم انَّ موسيو بريان والجنرال انوسوف قد اكتشفا سرّ صناعة الجوهر ثمَّ يذكر لنا طريقتين لموسيو بريان وجد الجنرال انوسوف انَّهُ « لم ينل بهما ما يماثل الفولاذ الدمشقي جوهرًا ورونقًا » . امَّا طريقة الجنرال انوسوف فغفل كاتب الدائرة عن ذكرها والارجح عندنا انَّ بريان وانوسوف لم يكتشفا شيئًا لانَّ الكتبة الاوربيين الى يومنا هذا يقرُّون بجهلهم الجوهر الدمشقي (١

امَّا مقالة المقتطف فكان املنا منها اعظم لاسيما بعد ان قرأنا في مطلعها (٦ : ٢٠٥) : « اعمل ذوو الالباب الفكرة في استرجاع صناعتها (السيوف الشرقيَّة) فنال اهل اوربَّا من ذلك حظًّا وافرًا » فاستبشرنا بهذا القول واستشففنا من ورائهِ حكمًا فصلًا لكنَّنا تحقَّقنا بعد قليل اننا استقدحنا زندًا كابيًا واستمطرنا سحابًا خلَّبًا . فانَّ المقتطف بعد هذه المقدَّمة الفخيمة اورد ذكر رجلين حاولا كشف سرّ الجوهر الدمشقي يسمَّيان كاوه وهاشِتّ وعرَّف ثلاث طرق اتَّخذاها لصنع النصال الدمشقيَّة دعا الاولى طريقة الخيوط

١) هذا وكنا نود لو اتحفنا العلَّامة الاديب سليمان افندي البستاني عمَّا رآه في العراق من امر الجوهر يوم نزل تلك البلاد عند دولة والي بغداد ضيفًا كريمًا . فانَّ ذلك كان يغنيهِ عن تعريب كلام الاجانب

من ابناء بيروت وهو انهُ منذ عشر سنوات اتى الى مدينتنا بيروت رجل عجمي واتّخذ لهُ فيها دكّانًا بالمكان المعروف بالسُّور (عصُّور) فبنى في الدكان وجاقًا اشبه بالفرن او كوجاق تذويب النحاس غير انَّهُ يختلف عنهُ نوعًا ما فكان يأتيهِ بعض الصياقلة (منهم مهنًا بالش الرحلاوي) بنصال مصنوعة من الفولاذ الانكليزي وغيرهِ تامَّة الصنعة فيأخذها هذا ويجوهر المدية باجرةٍ قدرها نصف ريال مجيدي والقامة بريال

وهذه طريقتهُ في العمل كان اولاً يأخذ النصل ويطليهِ بمزيج لم يَبُح بسرّهِ الى احد ثمّ يطليهِ ايضًا بطين من الحُوَّارى ويرشّ عليهِ ذرورًا ثمَّ يضعهُ في الوجاق نحوًا من ٢٤ ساعة. وكان كثيرون يراقبونهُ رجاء أن يتعلَّموا منهُ هذا الفنّ فلم يمكّنهم منهُ. وقد اخبرني اخي سليمان انَّهُ رأى هذه النِّصال عند رجوعهِ من اميركة وامتحنها فظهر لهُ ان الجوهر فيها يختفي عند البرادة اذ ليس هو الّا كقشرةٍ رقيقة على سطح هذه النّصال وقد حكم على هذا المزيج انَّهُ مؤلف من مسحوق معدني ابيض ذي برقات لامعة ومن موادّ كربونية تجعل لون الفولاذ اكمد وبذلك تتجوهر هذه النصال. وقد تأسَّف اذ لم يتسنَّ لهُ الاجتماع بهذا العجميّ والاطّلاع منهُ على هذا الفن. واما شكل الجوهر الذي كان يصنعهُ العجمي فهو شبهُ الجوهر الهنديّ المعروف بالجوهر الأَرْقط وهو سوادٌ في اخضرارٍ تشوبهُ نُقط بيضاء لامعة متشعّبة يُمحى ايضًا عند البرادة ولا يظهر بالتخضير ومثلهُ الجوهر الهندي المذكور يفقد جوهرهُ ايضًا عند البرادة غير ان هذا يؤثر في الفولاذ فيزيد في صلابتهِ جدًّا ويجعل لونهُ ابدًا اخضر كمدًا

امَّا طريقة الهنود في تركيب الجوهر فهذا ما وقفنا عليهِ في دائرة المعارف (١٠: ٣٣٣) وهو وصفٌ معرَّب بما حرفهُ:

« وطريقة الهنود في تفحيم الحديد الحلقي تقوم بوضعهِ في بوتقة مصنوعة من الطين والقش وباضافة نحو عشر مقداره اليهِ من الحطب قطعًا صغيرة وبتغطيتهِ في البوتقة بورقتين او ثلاث من الورق الاخضر ولا يوضع في كلّ بوتقة اكثر من ليبرا من الحديد ويتخيَّر انواعًا مخصوصة من الحطب والورق الاخضر مثل حطب الكاسيا او ريكولاتا ثم تُستر البوتقات بكمّيَّة من الطين لمنع الهواء ويوضع عشرون او ثلاثون بوتقة معًا في كور قد احمي بالفحم النباتي الى درجة مرتفعة من الحرارة وتترك البوتقات فيهِ نحو ساعتين ونصف فتى بردت كُسرت فاذا الفولاذ في جوفها كتلة واحدة فان كان خشن الملمس او ذا نتوءات لم يصلح للصناعة فيوضع في بوتقة اخرى ويعاد احماؤهُ واذا كان املس مضلّعًا او مخطَّطًا بخطوط لامعة كان جيدًا »

هذا وبينما كنتُ اتحرَّى البحث والتنقيب عن هذا المطلب الخطير اذ بدا لي ان اراجع ما كتبهُ العلماء الاوربيون في هذا الصدد لعلّي اجد ما اروي بهِ غلّتي فاستعنتُ باحد الآباء اليسوعيين ووقفتُ على ما كتبوهُ فاذا هو شيء يسير ووصفٌ عامّ لا يفضي بالقارئ الى فائدة تُذكر فاخذني العجب من كون الفرنج لم يطلقوا لاقلامهم العنان في وصفها كما يصفون باقي عادياتنا وآثارنا الشرقيَّة

والصواب عندنا ان الجنرال انصوف لم يكتشف سرًّا البتَّة لانهُ لو كان وقف على سرّ صناعة الجوهر وكتب عنهُ ما كتب وانشأ لذلك المعامــل الكبرى لما كان ممكنًا ان يضيع السرّ بعد ان شاع هذا الشيوع . وفي ذلك دليل كافٍ على انَّهُ لم يُمط القناع عن هذا المعمَّى . وزد على ذلك ان المحدثين من اصحاب المعامل الاوربيَّة يقرُّون بعجزهم عن صنع جوهر الضبان كما قلنا سابقًا

وممَّا نأخذ على المقتطف قولهُ في السقاية : « اذا أُحمي الى درجة الصفرة (١ بلغ اسمى درجةٍ من التقسية . . . . ويُقسَّى كذلك لعمل المناجل واذا أُحمي الى البنفسجيَّة عُملت منهُ الازاميل » فاننا ننكر عليهِ عمل المناجل والازاميل من الجوهر مطلقًا لان الفولاذ يفضلهُ كثيرًا في مثل هذه الحال لاسيما انَّ قطعة صغيرة من الجوهر تُشترى بثمن مئة قطعة من فولاذ المناجل والازاميل لا بل ازيد فضلًا عن كوننا لم نرَ بحياتنا ولم نسمع انَّهُ وُجد عند احدٍ ازميل او منجل مجوهر

ثمَّ ختم المقتطف قولهُ فوصف هذه السيوف بعظم المرونة بعد ان جعلها كالسيوف الدمشقيَّة فقال : « ومرونتها عظيمة جدًّا حتى انَّ الانسان ليدوس على طرفها الواحد ويمسك بطرفها الاخر ويلويها على زاوية قائمــة ولا تنقصف بل ترجع كما كانت اذا تركها » . وعليهِ فاقول ان هذا الكلام باطلٌ لانَّ الجوهر كما يعلم الجمهور لا يوصف بالمرونـة لكن بالصلابة والمضاء اماَّ المرونة فهي من خواصّ سيوف اللعب المعروفــة بالشنتان والف اسلامبول وكلاهما من الفولاذ وهي خاليــة من الجوهر يستعملها كلّ من يلعب بالسيف والطارقة ويتفنن بالألعاب

وقد امتدح هذين النوعين من السيوف المرحوم الشيخ يوسف فرنسيس الحاج الماروني الحاصباني الفارس الهمام الشهير في كتابهِ « سراج الليل في ركوب الخيل » عند كلامهِ عن الضرب بالسيف (ص ٥٢) حيث قال : « واحسن السيوف لهــذا العلم واسهلها ما كان

١) نقول انهُ لا يجوز ان يحمى الجوهر لدرجة الصفرة للسقاية وانما يُحمى الى الحمرة فقط لانهُ اذا أُحمي لدرجة الصفرة وغُطّس بالماء للسقاية يخرج منهُ متشعّبًا ومتقطّعًا ولهذا اصطلحوا على حميهِ لدرجة الحمرة وغمسهِ بالشحم او بالزيت واذا ارادوا ان يكون ليّنًا فبعد ان يسقوهُ بالشحم او الزيت يعيدونهُ الى النــار وينظرون الى تقلُّب الوانهِ فيعرفون قساوتهُ من ذلك فاللون الاصفر أَلين من الابيض وعنق الحمام أَلين من الاصفر وهلمَّ جرًّا

المتوازية وهي « ان تُضمّ صفائح رقيقة من انواع مختلفة من الفولاذ معاً حتى تصير جسماً واحدًا ثمَّ تحفر اوجههُ باداة حفر وتملأ الحُفَر حتى تصير على مساواة الاوجه فتظهر عليها كالضفائر ». والطريقة الثانية دعاها طريقة الفَتل « بان تُلحم حزمة من قُضبان الفولاذ معاً باحمائها وتطريق بعضها على بعض بحيث تصير قضيباً مفتولًا عدَّة فتلات على محورهِ ثمَّ يطرَّق هذا القضيب ويُفتل على التوالي مرَّات متكرّرة ويُفلق من وسطهِ على طول محورهِ فلقتين ويُضمّ ظهر الفلقة الواحدة الى ظهر الاخرى وتلحمان معاً بالاحماء والطَّرق حتى تصيرا نصلًا واحدًا فتظهر على وجهَيهِ خطوط ورسوم متشعبة على صور متعدّدة ». امَّا الطريقة الثالثة فدعاها طريقة الفسيفساء وهي لا تختلف عن الثانية الَّا « بكون القضيب المفتول لا يُفلق من وسطهِ بل يقطَّع قطعاً عديدة على عرضهِ ثمَّ تجعل هذه القطع حزمةً واحدة ويُجعل وجها القَطْع في كلٍّ منها بحيث يحصل منهما وجها النصل وتُحمى هذه القطع وتُلحم معاً بالطرق. فتظهر على وَجهَيها اشكال شتى »

(قلنا) شتَّان بين هذه الطرق والجوهر الدمشقي. والصواب انَّ هذه الطرق المذكورة هي لصنع المجهر اي الجوهر الحديدي المعروف بجوهر الاسلحة الناريَّة وتعرفها سائر المعامل الاوربيَّة فضلًا عن كُلوه وهاشِتّ وليست هي لجوهر السيوف المعروف بالضبان. وكفانا دليلًا على ذلك اقرار المقتطف نفسهِ اذ يقول (٦ : ٢٠٦) : « غير انَّ هذه النصال ليست الَّا تقليد السيوف الدمشقيَّة وهي دونها مهما قال البعض في مزاياها »

ثمَّ انتقل المقتطف الى وصف طريقة بريان التي مرَّ ذكرها ولعلَّ « الدائرة » نقلتها عن المقتطف. وقد بيَّنَّا علاَّتها وتضارُب القول فيها وشهادة الجنرال انوسوف في خلَلها

امَّا طريقة انوسوف لصنع الجوهر التي سكت عنها كاتب دائرة المعارف فقد اثبتها المقتطف قال: «وقد توصَّل انصُوف (وهو انوسوف) الى صنعهِ (الجوهر الدمشقي) باربع طرُق ابسطها ان يُذاب الحديد مع الكرافيت (الرصاص الاسود) وهي تقتضي حديدًا من احسن الانواع ووقودًا عظيماً وليس لها نتيجة مطَّردة...» ثم اسهب في الكلام عمَّا تقتضيهِ هذه الطريقة من الاعتناء وختم مقالتهُ بقولهِ انَّ الذي خلف انصُوف بعد وفاتهِ سنة ١٨٥١ على المعامل التي انشأها هذا الجنرال في زلاتسك على جبل اورال « لم يستطع أَن يأتي بما أَتى بهِ انصوف من النصال الدمشقيَّة الشهيرة فاذا صحَّ ذلك يكون سرّها قد ضاع من روسيا كما ضاع من دمشق ». فحبَّذا الاكتشاف

الصلوات (١٨٥٠) — ٥ً ديوان السيد الجليل المطران جرمانوس فرحات (فيها) صفحاتهُ ٣٦٥ — ٦ً تنظيمات شرعيَّة لحنَّا بك ابي صعب (١٨٥١) — ٧ً براءة البابا بيوس التاسع في الطوباوي بطرس كلافر اليسوعي باللاتينيَّة ونبذة من سيرتهِ في العربية (١٨٥٢) — ٨ً امثال لقمان الحكيم (فيها) — ٩ً كتاب الشهر المريمي يحتوي ٣١ تأمُّلًا في اهمّ الحقائق الدينيَّة وهو ملخص عن الاب موزرلّي صفحاتهُ ١١٩ (١٨٥٣)

واغلب هذه الكتب بخط الخوري الفاضل عبد الله غصن والد جناب الشيخ الفاضل اسعد الخوري الذي احتفلنا السنة المنفرطة بيوبيلهِ الذهبي كاوَّل عامل في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وتكرمت عليهِ الحكومة الفرنسويَّة بتلك النسبة برتبة « اوفيسيه داكادمي»

ولمَّا كانت سنة ١٨٥٣ قدم الاصقاع الشرقيَّة احد وجهاء الفرنسيس وافاضلهم الكنت دي تريمون (M. de Trémons) فزار الاراضي المقدَّسة وقفل راجعًا الى وطنهِ مارًا ببيروت. فاجتمع برئيس رسالتنا الاب بيايوته واستطلع رايهُ في احوال المرسلين وتقدُّم النصرانيَّة على يدهم في هذه البلاد. ففهم من كلامهِ ان اقرب طريقة الى ذلك انَّما هي انشاء مطبعة عربيَّة على الحروف تنشر التآليف الدينيَّة والعلميَّة بين الشرقيين فيرسخ بذلك في قلبهم روح الايمان ويتَّسع نطاق عقلهم بدرس الآداب والمعارف. وعلى الأَثر تبرَّع هذا الرجل الخيّر بمبلغ ٦٠٠٠ فرنك ليقتني بها المرسلون آلةً طبعيَّة مع لوازمها المتعلّقة بها ولم يشترط عليهم الَّا شرطًا واحدًا وهو ان يطبعوا "كتاب الاقتداء بالمسيح" ليوزّعوهُ مجَّانًا على المؤمنين

فما مرَّ على هذا الامر بضعة شهور حتى احضر اليسوعيون اداةً طبعيَّة صغيرة في اوائل سنة ١٨٥٤ وتحفَّزوا للعمل بما طُبعوا عليهِ من النشاط والغيرة. ونشروا في تلك السنة الاولى بواكير اعمالهم. وكان كتاب الاقتداء بالمسيح اول كتاب ظهر من مطبعتهم وفقًا لرغبة الزائر الكريم المحسن عليهم طُبع منهُ ٢٠٠٠ نسخة وكانت حروف هذا الكتاب نضرة دقيقة من شكل الحرف الباريسي وهو دون الشكل الاميركي حسنًا. وفي السنة نفسها برزت من هذه المطبعة كتب اخرى كمبادئ القراءة ومزامير عشاء الاحد وفرض الاخويَّات وكتاب الصلوات. ومن ذلك العهد أُهملت المطبعة الحجريَّة وأُرسلت الى مدرسة غزير حيث طُبع عليها كتاب « نخب الملح وغرَّة المُنح » للخوريين الفاضلَين يوسف البستاني وبطرس الزغبي تلميذي تلك المدرسة الشهيرة (ص ٦٥٦). وأُعيد ايضًا هناك طبع امثال لقمان الحكيم

من الشنتنان او الف اسلامبول لانهما خاليان من الجوهر » (١. هذا واني لارجوهُ تعالى ان يفتح بهذا الفنّ على مبتغيهِ وان يُعيد للمشرق مجدهُ ومباهيه فانهُ القدير وفوق كل ذي علمٍ عليم

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

٣ (المطبعة الكاثوليكيَّة) هي المطبعة الثالثة التي ظهرت في بيروت انشأها آباء الرهبانيَّة اليسوعية في اواسط هذا القرن لخدمة الكنائس الشرقيَّة والدفاع عن حقائق الايمان الكاثوليكي ونشر لواء الآداب والعلوم في هذه الاصقاع

واول ظهورها في سنة ١٨٤٨. وكانت اذ ذاك عبارة عن مطبعة حجريَّة صغيرة اهداها رئيس اقليم ليون الطيب الذكر الاب يليان جوردان (J. Jordan) الى رسالتنا السوريَّة. وكان وصولها الى بيروت في غرَّة تشرين الاول من السنة. فتولى امرها راهب يدعى يوحنا برون (J-B. Brun) حاذقٌ بفنّ الطباعة مدَّة اربع سنوات تحت نظارة رئيس الرسالة السعيد الذكر الاب يوحنَّا بيلوته (J. Billotet) الذي قُتل في مدينة زحلة. وقد أُضيفت الى هذه المطبعة بعض الادوات الخشبيَّة للكبس والخياطة والتجليد صنعها الاخ الايطالي فرديننـد بوناچينا المتوَّفى مع الاب بيليوته في زحلة سنة ١٨٦٠

ومصنَّفات هذه المطبعة الحجريَّة نادرة جدًّا لم نعرف منها غير الكتب الآتية:

١ً براءة البابا بيوس التاسع الى الشرقيين (١٨٤٨) — ٢ً كراسة الف باء (سنة ١٨٤٩) — ٣ً كراسة عشيَّة الاحد (فيها) — ٤ً كتاب التعليم المسيحي الصغير وكتاب

١) قد ذكر في الصفحة ٤٨ الجوهر فقال: « امَّا اجناسهُ فقُرق مردوان وقرا خراسان واسد اصفهان وشنان واجودهُ جوهر السنقر ووجودهُ يندر »: واذ كنا لم نذكر فيما سبق اسد اصفهان فنقول هنا: انَّ السيوف المعروفة بصنع اسد الله هي نفس اسد اصفهان وقد اخذ الباعة في هذه الايام بترويرها اذ يأخذون سيوفًا غيرها ويكتبون عليها اسم اسد الله ليغالوا بثمنها. اما جوهر السنقر فهو شبه الجوهر الخراساني ثمَّ انهُ يوجد للجوهر اسماء كثيرة غير التي ذكرناها وهي اما نسبة الى بعض صانعيها المشهورين ام لبعض المدن والقرى التي صُنعت بها



المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت

امَّا مطبعة بيروت فاخذت مذ ذاك الحين تعظم وترقى معارج الفلاح وتستلفت اليها انظار الشرقيين. وكان مديرها الاب بيليوته لا يعرف مللًا في تعزيز شأنها وتحسين ادواتها ساعدهُ على ذلك احد الرهبان الذي كان قبل دخولهِ الرهبنة عانى حرفة الطباعة في ليون وهو الاخ انطون طالون. وكان كلاهما ذا حزم وجلد على العمل وغيرة متَّقدة لخلاص النفوس وفضائل سامية جعلتهما عزيزين مكرَّمين لدى الجميع

ولمَّا اتَّسعت اشغال المطبعة الكاثوليكيَّة وزاد الإقبال على مطبوعاتها اقتضى الامر زيادةً في ادواتها وعمَلَتها ففي سنة ١٨٥٥ جُهِّزت المطبعة بطرز من الحروف الفرنجيَّة فكان اوَّل كتاب برز باللغتين العربيَّة والفرنسيَّة كتاب مبادئ تعليم اللغة الفرنسيَّة سنة ١٨٥٦ تلاهُ في السنة التابعة مُعجم اللغة الفرنسيَّة للاب يوسف هوري (J. Heury). ثمَّ وقفت شركة المدارس الشرقيَّة في باريس على الخير العظيم الذي نالتهُ المطبعة الكاثوليكيَّة بنشر تآليفها الدينيَّة والادبيَّة فأَحبَّت ان تساعد المرسلين في هذا المشروع الجليل فارسلَت لهم مطبعة ثانية مكَّنتهم من توفير عدد المطبوعات ونشرها في بلاد الشام والانحاء المجاورة لها حتى بلغ عدد مطبوعاتها الى سنة ١٨٦٠ ثلاثين تأليفًا تنيف نُسخها على ٣٥٠٠٠ نسخة

وفي اواخر سنة ١٨٥٧ قلَّد الرؤَساء الاب بيليوته رئاسة ديرنا في زحلة فعُهِد امر المطبعة الى الاب هوري فادارها سنتين وخلَفهُ في تدبيرها الاب فيليبوس كوش (Ph. Cuche) ثم الاب هنري دي پرونيار (H. de Prunière) سنة ١٨٦١ ثم الاب لويس ابوجي (L. Abougit) سنة ١٨٦٣. ثمَّ الاب حنَّا برتون (J. Berton) سنة ١٨٦٥. ثمَّ الاب ل. فنيك (L. Fenech) سنة ١٨٦٧. ثمَّ الاب يوحنَّا بلو الذي ادارها نحو عشرين سنة الى ان خلفهُ في وظيفتهِ الاب موركو مديرها الحالي منذ ثلاث سنوات

وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ دخلَت المطبعة الكاثوليكيَّة في طور جديد فنُقلَت ادواتها الى محلّ خصوصي بُني لها في ديرنا القديم في حيّ الصيفي. وكانت قبل ذلك العهد لا تشغل اكثر من غرفتين او ثلاث غرف. وزيد في عدد العملة حتى بلغوا الاربعين وأُحضرت لهم ادوات جديدة كمطبعة ثالثة ومقطع للورق وآلة لصقلهِ. وممَّا استدعى في ذلك الوقت توسيع اشغال المطبعة انَّ ريح العلوم هبَّت باهل لبنان وأُنشئت مدارس جديدة تزاحمت فيها الطلاب فاقتضى ذلك زيادة في عدد المطبوعات ونشر المصنَّفات المدرسية

على ان هذا النموّ لم يكن ليفي بالغاية المقصودة. فلمّا صار امر رسالتنا الى الاب فرنسيس كسفاريوس غوترله (Fr.- X. Gautrelet) سنة ١٨٦٤ رأى انّ المطبعة الكاثوليكيّة لا يمكنها ان تؤدي لهذه البلاد الخدم التي هي اليها في مسيس الحاجة ما لم تُجلَب من اوربّة اداة بخاريّة. فأُحضرت هذه الآلة بعد زمن قليل ولم تكن قوّتها تتجاوز ثلاثة افراس بخاريّة. فكان يوم وصولها بمثابة عيد اقامه عملة المطبعة (١ ودام هذا المحرّك البخاري الى سنة ١٨٧٨ فاستُبدل بمحرّك آخر قوّتهُ سبعة افراس بخاريّة ولم يزل اصحاب المطبعة الكاثوليكيّة يستخدمونهُ مدّة عشرين سنة حتى اتُّخذ بدلًا منهُ محرّك ثالث جديد تبلغ قوّتهُ ١٢ فرسًا بخاريًا مُحكم الصنع لطيف الادوات لا يُنفق عليهِ من الفحم ما كان يُنفق على المحرّك السابق

واوّل ما طُبع بقوة البخار جريدة انشأها المرسلون للمدافعة عن المجمع الفاتيكاني. فظهرت مدّة سنةٍ كاملة وخلفها البشير سنة ١٨٧٠. وهي الجريدة الدينيّة التي لم تزل منذ ثلاثين سنة تخدم الكثلكة خدمةً نصوحًا عرفها لها كلّ ارباب الدين في المشرق وأثنوا عليها مرارًا. وقد اثاب الله اصحابها بان جعلها كحبة الخردل التي لم تزل في نموّ متداوم حتى اصبحت كشجرة باسقة الافتان يجني من ثمارها اليانعة كلُّ كاثوليك المشرق. وعدد المشتركين فيها تتجاوز اليوم بكثير عدد ما سواها من الجرائد الشرقيّة وحجمها كحجم الجرائد العظمى في اوربّة

وخلف الاب غوترله رئيسٌ آخر همام لم يبرح اسمهُ مسطّرًا على صفحات القلوب ألا وهو الاب امبرواز مونُّو (A. Monnot) منشئ مدرستنا الكلّيّة فانّ هذا الاب السامي الفضل الواسع المدارك لم يألُ جهدًا في تحسين مطبعتنا ورفع شأنها وهو كان يدعو المطبعة «المُرسل العظيم والمبشِّر العامّ» فانّهُ رغمًا عن حالة ضيق رسالتنا السوريّة بعد الحرب السبعينيّة لم يزل في تنشيط امورها وتوسيع نطاقها فاستحضر لها ادوات جديدة منها ادوات لسبك الحروف ومعمل للتنحيس ومَضغط مائي ومعمل للمقوّى (الكرتون)

١) وفي هذا المقام صنّف الاخ طالون هذه الابيات الفرنسيّة:

Puisque la vapeur est de mode,
Prenons un moyen si commode;
Amis, confions-nous sans peur
A la vapeur; à la vapeur!

وهنا لا بُدَّ من ذكر بعض اخوتنا الرهبان الذين ساعدوا الرؤساء في هذا العمل الاثير وادّوا للمطبعة خدماً جليلة فاستحقوا بهمّتهم شكر رهبانيتنا بل شكر الوطن باجمعهِ. فممّن توفّاهم الله: الاخ انطون طالون (†١٨٨٩) والاخ الياس كنعان († ١٨٩٠) والاخ يوسف رشدان (†١٨٩٥). وممن لا يزالون الى الان في قيد الحياة انسأ الله في آجالهم وافادنا بحسن اعمالهم الاخ ماريّا الياس مناظر المطبعة والاخ انطون عبد الله والاخ اوجين روا والاخ تيودور زوبفر والاخ مونين والاخ يوسف كارابين

امّا المطبوعات التي ابرزتها مطبعتنا الكاثوليكية فدونك اسماءها على ترتيب موادّها وذكر تاريخها:

١ (الكتاب المقدّس ومتعلّقاتهُ) ١ً الكتاب المقدّس في ثلاث مجلدات نقلهُ عن الاصل العبراني واليوناني الاب اوغسطين روده (A. Rodet) وقابلهُ على الترجمات العربية السابقة وقد نقّح عبارتهُ الشيخ ابراهيم اليازجي وهذه الترجمة قد صادق عليها كل بطاركة الطوائف الشرقيّة (١٨٧٦—١٨٨٠. أُعيد طبعهُ مرارًا) ولهذا الكتاب طبعة فاخرة على ورقٍ خصوصي وقطع كبير وهي تُحفة في بابها = ٢ً طبعة أُخرى دقيقة الحرف صغيرة الحجم بالرسم الشمسي والطبع الحجري في جزء واحد (١٨٩٧. صفحاتها ٥٦٢) = ٣ً العهد الجديد في جزءين صغيرين منفصلين او مجموعين قطعهما ٣٢ (سنة ١٨٧٩. ص ٣٢٦ و ٤٠٦) = ٤ً الاربعة الاناجيل بقطع الثمن وفي آخرها فهارس للفصول التي تُتلى يومياً في الطقوس الشرقيّة (١٨٧٧ و ١٨٨٦. ص ٢٦٥) = ٥ً الاربعة الاناجيل منفردة بقطع صغير وحرف كبير (١٨٩٩) = ٦ً القلادة الدريّة وهي سيرة السيد المسيح منقولة عن الاناجيل الاربعة مسرودة سردًا واحدًا للاب يوحنا بلو اليسوعي (١٨٨١, ١٨٨٥, ١٨٨٩, ١٨٩٨. ص ٣٣٠) = ٧ً الغصن النضير من كتاب الرب القدير في ثلاثة اجزاء لهُ ١٨٨٤—١٨٩٥. طُبع مرارًا. ص ١٨٣ و ١٨٣ و ١٩٣) = ٨ً مختصر التاريخ المقدس للمعلم لومند ترجمة المرحوم ميخائيل مسابكي طُبع سنة ١٨٧٣ ثمّ كُرِّر طبعهُ مرارًا ولهُ طبعة عربية وفرنسويّة (ص ١٦٠) = ٩ً مزامير داود. وهي الترجمة التي مرَّ ذكرها في المشرق ص٣٥٧. طُبع مرارًا بالشكل الكامل او دونهُ وبحروف واحجام مختلفة. اول طبعاتهِ ١٨٥٥

٢ (التعليم المسيحي) ١ً تعليم صغير للمبتدئين لمطران حلب جرمانوس آدم (طُبع سنة ١٨٥٤ ثم كُرّر طبعهُ مرارًا وترجم الى الفرنسوية. ص ٦٣) = ٢ً ملحق لمختصر التعليم (لمن يتأهّب للمناولة الاولى) للاب لويس ابوجي (١٨٨٣. ص ٨٧) = ٣ً كتاب التعليم المسيحي للسيد البطريرك قالرغا (١٨٦٣ و ١٨٧٧. ص ١٢٨) = ٤ً كتاب التعليم المسيحي المنشور بامر السيد البطريرك منصور براكو في جزءين (١٨٨٦. ص ٥٨ و ٢٤٤) = ٥ً مختصر التعليم لاحد الآباء اللعازاريين (١٨٧٥ و ١٨٨٢. ص ١٦٠) = ٦ً كتاب التعليم المسيحي الكبير (تعليم الشوير) طبع بنفقة السيد غريغوريوس عطا (١٨٦٣. ص ٧٥) = ٧ً التعليم المسيحي لطلبة المدارس تأليف الآباء اليسوعيين (١٨٨٩ ثمّ كُرّر طبعهُ مرارًا. ص ١٨١). ولهذا التعليم ترجمة افرنسيّة =

وادوات التذهيب ومطبعة مزدوجة تطبع على الوجهين وآلات اخرى عديدة جعلتها اول مطبعة في الديار الشرقيَّة شبيهةً باعظم المطابع المشتهرة في حواضر البلاد الاوربيَّة

ومذ ذاك الحين اخذ الاوربيون ينظرون الى المطبعة الكاثوليكية بعين الاعتبار ويثنون على حسن طبعها واتقان مطبوعاتها . وكانت هذه المطبعة استبدلت نحو سنة ١٨٦٨ حروفها الباريسيَّة بالاميركية البسيطة والمشكَّلة فطبعت بها بعض الكتب كمجمع البحرَين ونخب المُلَح لكنَّها ما لبثت ان وقفت على حروف احسن من الاميركيَّة وهي حروف الاستانة العليَّة فهمَّت باستحضارها . ولم يزل اصحاب مطبعتنا يجوّدونها حتى ابرزوها على صورة محسَّنة وصنعوا ابَّهات وامَّهات وسكبوا حروفًا اقرَّ بفضلها كلّ من لهُ المام بجودة الخطّ . وبهذا الحرف طُبع الكتاب المقدس في ثلاثة مجلدات وقد عُرضت منهُ نسخة محكمة الطبع تامَّة الاهبة في معرض باريس سنة ١٨٧٨ فنالت نوطًا ذهبيًا واقرّ الحكم بانها فاقت على كلّ المطبوعات العربية السابقة

ولم تزل المطبعة الكاثوليكيَّة في ترقٍ متواصل الى ان نُقلَتْ كلُّ ادواتها الى المعهد الواسع المعد لها بجوار كليَّة القديس يوسف في آخر سنة ١٨٧٥ فبلغ فيهِ غاية كمالها بهمَّة مديريها ورؤَساء الرسالة نخصُّ منهم الطيّب الذكر المرحوم الاب فيلبيرت برزده (Ph. Bernardet) الذي جعل نصب عينيهِ هذا المسعى الشريف فلم ينقطع عن موَّازرتهِ بما لديه من الهمَّة القعساء وهو الذي ألحق بالمطبعة معملًا لتصوير الشمس واستحضر مطبعة حجريَّة كبرى تُنقل عليها الرسوم الشمسية بالفن المعروف بالفوتوليتوغرافية وعلى هذة الطريقة طبع الكتاب المقدّس بحرف دقيق وحجم صغير . ولهُ الفضل ايضًا في اقتناء ادوات اخرى حديثة الاكتشاف كمطابع اميركيَّة غاية في الدقة والسرعة وادوات الخياطة والتجليد وسكب الحروف مع بَردها وقشط الشرائط يُستغنى بها عن كثرة العَمَلة ويُقتصد بالزمان

وقد اتمَّ خلَفا الاب برزده الابوان المحترمان اسطفان كليره (E.Clairet) وبطرس رولو (P. Roulleau) الرئيس الحالي عمل من سبقهما وجعلا المطبعة في مقام لم تبلُغهُ في الشرق مطبعة أُخرى بل ندر مثلهُ في الاصقاع الاوربية يمكنها الطبع في عشر لغات شرقيَّة فضلًا عن اللغات الاوربيَّة وعدد عملتها يربي على الثمانين واكثرهم من ذوي الخبرة والمهارة

ص١٦٣) = ٢٦ً دليل المستفيد على الفصيح المجيد طبع بامر السيد بولس برونوني القاصد الرسولي وغبطة كيرِ وكيرِ اكليمنضوس (بحوث) ١٨٥٧ . ص ٣٧) = ٢٧ً ردع الوقاحات البروتستانية وهو ردّ على الخوري انطون شرقي للقس بطرس عزيز الكلداني (١٩٠٠ ص ٩٩)

٤ (كتب لاهوتيَّة وكهنوتية) ١ً الايمان الصحيح في السيد المسيح لاحد الاساقفة اللاتينيين طُبع اولاً في رومية (١٨٦٤ . ص ١٩٢ . ثمَّ ١٨٨٤ . ص ١٧٣) = ٢ً كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين للاب. دي كوبيه اليسوعي (١٨٩١ . ص ٢٦٦) = ٣ً كتاب رواشق الافكار السنية في اخص الحقائق الدينية للأب امبرتس (١٨٦٩ و ١٨٨١ . ص٤٥٧) = ٤ً المعين الرائق في خلاصة الحقائق جمعهُ المطران غريغوريوس عطا من كتابات غبطة البطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٨٩ . ص ٣١٢) = ٥ً ملحة في بطرس الصفا للاب فان هام (١٨٧١ . ص٣٢) = ٦ً شهادات في رئاسة القديس بطرس للاب سليمان غانم اليسوعي (١٨٨٦ . ص٩٦) = ٧ً كتاب الجلاء المسيحي للسيد اوجانيوس كوليه . عرَّبهُ الخوري يوحنا رزق الماروني الجزيني الجزء الاول (١٨٩٨ . ص ٢٤٠) = ٨ً مجموع ابحاث لاهوتية في قاعدة الايمان الحقيقيّة للاب ل. ابوجي (١٨٧٧ . ص١١٠) = ٩ قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت للانبا لويس الجسري اليسوعي عرَّبهُ الاب بطرس فرو.اج (١٨٩٥ . ص٥٥٧) = ١٠ً تذكار الرياضات الكهنوتية

٥ (كتب المواعظ) ١ً روضة الواعظ للقديس الفنس ليغوري عرَّبهُ الخوري انطون آصاف (١٨٦٦ و ١٨٨٣ . ص٦٧٤) = ٢ً فصل الخطاب في الوعظ للسيد جرمانوس فرحات مع ثلاث محاورات للسيد فينلون ترجمها المعلم الفاضل سعيد افندي الشرتوني (١٨٩٦ص٣٣٢) = ٣ً مواعظ القديس يوحنا فم الذهب نقَّح عبارتهُ الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٧٤ . ص٣٢٢) = ٤ً كتاب سبيل الصلاح وهو مجموع الخطب التي القاها السيّد المفضال جرمانوس معقّد في كاتدرائيَّة دمشق ايَّام الصوم الكبير من سنتَي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ (١٨٩٨ . ص ٣٥٨) = ٥ً مختصر ارشادات سنويَّة في موادّ التعليم المسيحي لكلّ آحاد السنة للاب بولس ريكادنّا (١٨٨٦ . ص ٢٦٨)

٦ الكتب الطقسية والمليَّة) «الروم الكاثوليك» ١ً الافخولوجيون الصغير لتوزيع الاسرار (١٨٨٧ . ص٣١٨) طُبع اولاً في رومية سنة ١٨٥١ = ٢ً كتاب المرشد الفضيل لخادم الانجيل للخوري يوحنا ملوك (١٨٦٨ . ص ١٥٤) = ٣ً كتاب الليتورجيات الالهية للقديسين العظام فم الذهب و باسيليوس وغريغوريوس بقطع صغير بنفقة وعناية ميخائيل ابراهيم رحمة (١٨٩٩ . ص ٢٦٤) = ٤ً طبعة اخرى جديدة بقطع اكبر (١٩٠٠ . ص٣٠٢) = ٥ً كتاب خدمة القدَّاس الالهي حسب الطقس اليوناني جمعهُ وعُني بطبعهِ الخوري ديمتريوس زبَّال الراهب الباسيلي الحلبي (١٨٨٧ . ص١٧٠) = ٦ً كتاب التنغيم الرخيم لماثلي الشاروبيم في خدمة القداس الالهي جمعهُ وعني بطبعهِ الخوري ميخائيل الوف (١٨٩٨ . ص٢٤٠) = ٧ً كتاب مختصر السواعية الشرقيَّة (١٨٥٥ ثمَّ كرّر طبعهُ مرارًا . آخر طبعاتهِ ١٨٩٥ . ص ٤٤٣) = ٨ً كتاب مختصر المنّاون هذَّب عبارتهُ وصحَّحهُ الخوري اغناطيوس معقّد وعني بطبعهِ وتصحيحه السيّد جرمانوس معقَّد مطران اللاذقيَّة (١٨٩٧ . ص ٥٧٥) = ٩ً كتاب رفيق العابد تأليف سيادتهِ (١٨٩٣ و ١٨٩٧ . ص ٤٧٧) = ١٠ً المنهج المفيد في حضور ذبيحة العهد الجديد حسب

٨ً مختصر التعليم السابق (١٨٨٩ . ص٧١) لهُ ترجمة افرنسيَّة وكُرّر طبعهُ = ٩ً كتاب شرح التعليم المسيحي للمرحوم ميخائيل مسابكي اقتطفهُ من التعليم الروماني (١٨٥٨ . ص ٢٥٣ . ثمَّ بحجم اكبر سنة ١٨٦٢ . ص ٢٤١) = ١٠ً تفسير واسع على التعليم المسيحي للكردينال بلّرمينوس (١٨٥٧ و ١٨٦٥ . ص ٢٥٤ و ٢٨٠) = ١١ً كتاب شرح التعليم المسيحي طُبع بنفقة المدرسة البطريركيَّة (١٨٧٢ . ص٢٦٠) = ١٢ً كتاب ايضاح التعليم المسيحي عرّبهُ الاب بطرس فروماج عن تعليم مدينة بُرْج الَّفهُ دي لاشيتاردي (T. de la Chétardie) طُبع سنة ١٨٧٥ و ١٨٨٢ (ص ٥٨٤) = ١٣ً مختصر الشرح السابق (١٨٧٥ و ١٨٧٧ و ١٨٨٣ . ص ٢٧٣ ثم ٢٧٨) = ١٤ً تعليم مسيحي بالارمنية (١٨٩٤ ص ٧٢) = ١٥ً ترجمتهُ بالتركية بحرف ارمني (١٨٩٧ ص ٧٨)

٣ (كتب جدلية) ١ً تعليم المجادلات الدينية للاب يوحنا شيفاشر اليسوعي (١٨٦٣ ثم طُبع ست طبعات ص٢٩٠) = ٢ً كتاب المذاكرات المفيدة في حالة المذهب البروتستاني للسيد دي سيغور (١٨٦٥ . ص ٢١٦. ثم ١٨٨٥ ص٢٣٠) = ٣ً الكوكب الوضّاح في تاريخ الاصلاح للاب فان هام اليسوعي (١٨٧٦ .ص ٤١٥) = ٤ً كشف المغالطات السفسطية لهُ (١٨٧٠ ص ٧١) = ٤ً كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف لهُ (١٨٧٢ . ص ٨٤) = ٦ً كشف الاوهام عمَّن مزَّقتهُ السهام لهُ (١٨٧٣ . ص٣٢) = ٧ً المحاورة اللبنانية ضد الآراء البروتستانيَّة للاب ل . ابوجي (١٨٦٤ . ص ٢٨) = ٨ً المهدي الامين في دحض آراء البروتستانيين للمعلم نقولا عبد النور اللاذقي (١٨٦٤ . ص ٦٦) = ٩ً الدرج الامين الى الحق المبين تأليف الدوكا انطونيوس اولريك ده برنسويك عرَّبهُ الاب ل . ابوجي (١٨٦٠ و ١٨٦٤ . ص ٢٨) = ١٠ً بحث في قول البروتستانت بالتوراة وحدها دون كلّ ما سواها للاب ل . ابوجي (١٨٧٧ . ص ١١٠) = ١١ً الردّ القويم على هذر مشاقة اللئيم للمعلم ج . زوين (١٨٦٩ . ص ١١٢) = ١٢ً الجواب السديد والبرهان الوطيد للخوري يوسف مريض ردًّا على البيلشيين (١٨٦٤ . ص ١٢٧) = ١٣ً كنز التحف الالهيَّة للاب د . ڤرنيه اليسوعي (١٨٦٧ . ص١٠٨) = ١٤ً رسالة السيد بطرس كرم مطران بيروت ردًّا على يونس كين البروتستاني (١٨٧١ . ص ١٢٨) = ١٥ً كنيسة الروم الشرقيَّة بازا المجمع المسكوني الفاتيكاني للاب ف . كوترله اليسوعي (١٨٦٩ . ص ١٦٤) = ١٦ً الردّ المبين لافادة الروم الملكيين (١٨٥٩ . ص ١٨٣) = ١٧ً تفنيد المجمع العنيد للعالم عبد الله زاخر (١٨٦٥ . ص١٤٠) = ١٨ً ردّ على منشور بطريرك الروم القسطنطيني في ما يتعلّق بعقيدة الحبل بلا دنس للاب ا . صالحاني (١٨٩٧ . ص ٣٠) واستعمال الفطير والخمير لهُ (١٨٩٨ . ص ١٩) = ١٩ً رسالة في دحض آراء محاربي الايقونات للسعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٦٣ . ص ٧٥) = ٢٠ً ردود البشير على المقتطف (١٨٧٨ ص١٦١) = ٢١ً كشف السرّ المكنون عن شيعة الفرامسون للاب بطرس ماليه (١٨٦٦ ص٨٠) = ٢٢ً شيعة المسونيين للاب س . غانم (١٨٨٥ . ص ١٢٢) = ٢٣ً الادلَّة القاطعة على شرف الرهبانيَّة اليسوعية وبيان كنه الشيعة الماسونيَّة للاديب يوسف افندي اليان سركيس جزءان (١٨٨٤و١٨٨٥ . ص٢٧ و ١٤٠) = ٢٤ً البابوات وطغمة يسوع (١٨٨٥ . ص ٩٢) = ٢٥ً القائد الامين اقتطفهُ المطران امبروسيوس عبده من كتابات غبطة السيد مكسيموس مظلوم (١٨٦٣

كانيزيوس (١٨٦٥ ص١٢) = ١٨ً مختصر حياة الطوباوي يوحنا دي بريتو الشهيد اليسوعي (١٨٦٤ ص ٢٤) = ١٩ً خلاصة سيرة الطوباوي بطرس فابر اليسوعي تعريب الاب لويس ابوجي (١٨٧٢ ص٤٨) = ٢٠ً نبذة في اخبار الطوباوي ريدلف اكوافيفا مع رفقائهِ الشهداء مع ترجمة الطوباوي انطونيوس بالدينوتشي (١٨٩٤ ص ١٦) = ٢١ً خلاصة ترجمة الطوباوي برنردان ريالينو اليسوعي للاب لويس شيخو (١٨٩٦ ص٣٤) = ٢٢ً ترجمة القديسة اورسلا الشهيدة ورفقاتها للاب لويس ابوجي (١٨٨٣ ص٥٥) = ٢٣ً سيرة الطوباوية مريم حنّه دي بارادس للاب اغناطيوس فينيك اليسوعي) ١٨٦٥ ص ٥٠)

والى هذا الباب تُضاف بعض تراجم الخواصّ منها: ١ً العرف المُنتشر في لاون الثالث عشر للقس افرام الديراني (١٨٩٥ ص٣٠٦) = ٢ً القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة (السيد اقليميس داود) بقلم الكنت فيليب دي طرازي (١٨٩١ ص٢٠٤) = ٣ً ترجمة الحبر المفضال يوسف الزغبي رئيس اساقفة قبرس (١٨٩١ ص٧٤) = ٤ً القلادة المسجديَّة في مديح يوحنا بطرس الحاج البطريرك الماروني (١٨٩٠ ص ٣٣٠) = ٥ً مآثر واعمال السيد الجليل المطران يوسف الدبس خطبة للمعلم رشيد افنــدي الشرتوني (١٨٩٧ ص ١٢) = ٦ً دليل الانتماء الصافي لغبطة البطريرك لوديفيكوس بيــافي لجرجس افندي زين زين (١٨٩٠ ص٨٤) = ٧ً سيرة صالحة الذكر جميلة حنّه النقاش (١٨٦٤ ص ١٢) = ٨ً ترجمة الاب يوحنا فيوروفيش اليسوعي مؤسس اخويَّة الام الحزينة لاحد الاباء اليسوعيين (١٨٩٩ ص٤٣) = ٩ً ترجمــة الطيّبة الذكر الاخت كلودين حيلاس رئيسة اخوات المحبة بالفرنسيَّة (١٨٩٩ ص ٩٥) = ١٠ً ترجمة رجل الخير بشاره الخوري للاب لويس شيخو (١٩٠٠ ص ١٦)

٨ (الكتب الروحية) ١ً كتاب الاقتداء بالمسيح (١٨٥٥ ثمّ كرّر طبعهُ مرارًا . طبعتــهُ الاخيرة في ١٨٨٤ ص٥٢٨) = ٢ً كتاب الكمال المسيحي للانبا الفنس رودريكس ترجمهُ الاب بطرس فرومــاج في ثلاثة مجلَّدات (١٨٦٨–١٨٦٩ ص٥١٧ و ٤٦٠ و ٣٧٥) = ٣ً كتاب مدخل العبادة للقديس فرنسيس سالس (١٨٨١ ص٣٣٩) = ٤ً كتاب ميزان الزمان للاب نيرمبرج اليسوعي تعريب الاب بطرس فروماج (١٨٦٠ و ١٨٦٧ و ١٨٨٢ و ١٨٨٩ص ٣٢١) = ٥ً كتاب مناصب البتولية للاب بولس ريكادنَّا اليسوعي (١٨٦٧ص ٢٦٨) = ٦ً كتاب مرشد الخاطئ للاب بولس سنيري تعريب الاب بطرس فروماج (١٨٦٣ و ١٨٦٨ و ١٨٨٥ ص٢٤٨) = ٧ً ارشاد لاجل الاعتراف والمناولة (١٨٦٣ ص٧١) = ٨ً الشذور الذهبية في التوبة المرضية ترجمهُ من الارمنية الاب يعقوب ورتبيت يوسيفيان (١٨٨٦ ص ٢٥٠) = ٩ً مجموع غفرانات قريبة المنال للاب بطرس مرتينوس اليسوعي (١٨٦٦ ص١٢٦) = ١٠ً الادلَّة الجليَّــة في مضارّ الكتب الرديئة للاب بطرس ماليه (١٨٨٢ ص٩٦) يليهِ قسم افرنسي (ص٣٢) = ١١ً كتاب الدليـــل في السبيل للقس افرام الديراني (١٨٩٨ ص ١١٢) = ١٢ً كتاب الحداثة المسيحيَّة للكنتيس دي فلاڤيني عرَّبهُ بلنش دي سيكور (١٨٥٩ ص٣٢٠) = ١٣ً تراتيل روحية (١٨٦٠ ثم كُرّر طبعهُ عشر مرات ص ٣٢٢) = ١٤ً افضل اللذات في العفّة للقديس كبريانوس عرَّبهُ الخوري قسطنطين الباشا (١٨٩٨ ص١٠٠)

الطقس اليوناني للقس ميخائيل شحود الملكي الحلبي (١٨٨٨ ص ٢١٢) — ١١ً كتاب طريق البرارة لخادم البشارة وهي قوانين انشأها البطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٨٦ ص ٢٣٠)

« السريان » ١ً كتاب رتب الاعياد الكنسيَّة على حسب طقس الكنيسة السريانية (١٨٧٧ ص ١٦٨) = ٢ً كتاب الخدم الكهنوتية حسب عادة الكنيسة السريانيَّة الكاثوليكيَّة (١٨٧٢ ص ٢١٤)

« اللاتين » خدمة القداس حسب الطقس اللاتيني (طُبع مرارًا)

« الموارنة » كتاب الفرض اليومي بالسريانية ١٨٧٦ و١٨٨٢ و١٨٩٧ ص ٦٢٤) طُبع مرارًا = ٢ً طبعة اخرى منهُ بحرف صغير طبع ثلاث طبعات ١٨٧٧ و ١٨٨٣ و ١٨٩٧ ص ٥٠٦) = ٣ً كتاب منارة الاقداس للبطريرك العلّامة اسطفان الدويهي جزءان عُني بنشرهِ المعلم الفاضل رشيد افندي الشرتوني (١٨٩٥—١٨٩٦ ص ٥٦٣ و ٦٩٢) = ٤ً تاريخ الطائفة المارونية لهُ (١٨٩٠ ص ٤٧٢) = ٥ً سلسلة بطاركة الطائفة المارونية لهُ (١٨٩٨ ص ٣٦) = ٦ً الدفاع عن ارثوذكسيَّة الطائفة المارونيــة بالفرنساويَّة للسيد المفضال يوسف الدبس مطران بيروت (١٩٠٠ ص ٦١)

٧ (تراجم القديسين) ١ً مروج الاخيار في تراجم الابرار للاب ب. فروماج بقطع كبير كمَّلهُ الاب ي. بلو (١٨٧٨ ص ٨٨٢. ثم ١٨٨٠ ص ٩٢٥. ثم ١٨٩٢ ص ٩٣٧) = ٢ً قطف الازهار من مروج الاخيار وهو مجموع في ٣٣ كراسة بحجم صغير يحتوي على اعمال مشاهير القديسين (١٨٩٥—١٨٩٨) = ٣ً الكنز الثمين في اخبار القديسين تأليف البطريرك مكسيموس مظلوم بثلاثة اجزاء (١٨٦٣—١٨٦٥ ص ٦٦١ و ٥٧٣ و ٥٢٤) = ٤ً الزنبقة البهيَّة في سيرة منشئ الرهبانيَّة اليسوعية (القديس اغناطيوس دي لويولا) للاب دي كوبيه اليسوعي (١٨٨٥ ص ٣٣٢) = ٥ً نفح الرند في سيرة رسول اليابون والهند (القديس فرنسيس كسفاريوس) للاب بوازُت اليسوعي صحَّحهُ وكمَّلهُ المعلم رشيد الشرتوني (١٨٨٥ ص ٢٤٢) = ٦ً ريحانة الاذهان في ترجمة القديسين لويس غنزاغا واستانسلاوس كُستكا اليسوعيين للاب دي كوبيه (١٨٨٥ ص ٢٧٦) = ٧ً كتاب مظهر الصلاح في سيرة القديس الفونس رودريكوس اليسوعي للابوين كولين ودي كوبيه اليسوعيين (١٨٨٧ ص ٢٤٧) = ٨ً حياة القديس منصور دي بول منشئ الجمعيَّة اللعازريَّة بقلم امين افندي جميّل (١٨٨٨ ص ٢٤٤) = ٩ً نخبة النُخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب لخليل افندي البدوي (١٨٩١ ص ٢٣٢) = ١٠ً الكنز الانفس في ترجمة الطوباويَّة مارغريتا مريم الاكوك للمطران لانكه عرَّبهُ الاب بطرس فروماج (١٨٨٦ ص ٢٤٧) = ١١ً كتاب مجد الرهبانية في سيرة القديس انطونيوس كوكب البريَّة للقس افرام الديراني (١٨٩٤ ص ٢٩٠) = ١٢ً ترجمة القديس يوحنا الدمشقي للابوين لويس هوغه ولويس شيخو (١٨٩٥ ص ٤٤) = ١٣ً اخرى بالفرنسيَّة (١٨٩٨ ص ٤٥) = ١٤ً نبذة في استشهاد القديسين اليابانيين بولس ويوحنا ويعقوب (١٨٦٣ ص ٨) = ١٥ً خلاصة اخبار الشهداء اليسوعيين في اليابان من سنة ١٦١٧ الى ١٦٣٦ للاب يوسف بوارو (١٨٦٨ ص ١٠٤) = ١٦ً مختصر حياة الطوباوي بركمنس اليسوعي (١٨٦٦ ص ٥١) = ١٧ً براءة بيوس التاسع في تثبيت الطوباوي بطرس

AL-BATTANI OPUS ASTRONOMICUM
ad fidem codicis Escurialensis arabice editum
A Carolo Alphonso Nallino, *Mediolani,* 1899 pp. 280

كتاب الزيج الصابئ

تأليف ابي عبد الله محمد بن سنان بن جابر الحرَّاني المعروف بالبتَّاني

اعتنى بطبعهِ وتصحيحهِ الدكتور كرلو نلّينو مدرّس اللغات الشرقية في نابولي

قد ذكرنا في مقالتنا التي صدَّرنا بها هذا العدد من المشرق ما احرز لهُ البتَّاني من المجد الاثيل في علم النجوم· على ان المستشرقين لم يكونوا حتى الآن يعرفوا كتابهُ الجليل المُعَنْون بالزيج الصابئ الّا من ترجمة قديمة لاتينية عُني بها في القرون المتوسطة احد الفلكيين اسمهُ افلاطون من تيڤولي (Plato Tiburtinus) نُشرت بالطبع مرَّتين تحت عنوان «كتاب علم النجوم» (De scientia stellarum) امَّا الاصل العربي فلم يزل مدفونًا في خزانة كتب الاسكوريال (قرب مجريط) الى ان اشار اليهِ العلامة المستشرق الفرنسي رينو (Reinaud) واقتطف منهُ قطعة في آخر الجزء الاول من ترجمة تقويم البلدان لابي الفداء· اما الفضل في نشر هذا الاثر النفيس بتمامهِ فهو اليوم عائد الى الاستاذ العلامة الجليل كرلوس نلّينو الذي اثنينا مرارًا على همَّتهِ· فقد ابرز هذا الكتاب بغاية ما امكنهُ من الضبط وهو يحتوي على ٥٧ بابًا يليها جداول تواريخ الملوك واسماء البلدان مع تعريف اطوالها واعراضها ثمّ اسماء الكواكب وابعادها عن معدَّل النهار · ولهذا الكتاب قسمان آخران يضمّنهما متولّي طبع الكتاب ترجمة لاتينيَّة وملاحظات شتى· ونحن ننتظر هذين القسمين بفروغ الصبر لنبدي رأينا في صحَّة آراء البتَّاني ونكتفي الآن بتقدمة فروض الشكر للمعلّم نلّينو على احياء هذه المأثرة وتقريب جناها من العلماء

م· كولنجت

شذرات

التبنيج الجزئي ان العمليَّات المؤلمة لا يجريها الجرَّاحون الّا بعد تبنيج المرضى وتنويعهم بحيث لا يشعرون البتة بالالم ولا ينتبهون حتى تكون العمليَّة انتهت تمامًا· وقد وجد الدكتور توفيار (Tuffière) طريقةً جديدةً لتبنيج قسم من

وفي عدد قادم ان شاء الله نصف الكتب العلميَّة التي صدرت من المطبعة الكاثوليكية بعد استيفاء بقيَّة الكتب الروحيَّة (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

VON MITTELMEER ZUM PERSISCHEN GOLF

Von Dr M. Freih. von Oppenheim, II, SS. 434, Berlin 1900

من البحر المتوسط الى بحر العجم (الجزء الثاني)

رحلة حديثة للدكتور البارون مكس فون أُوبنهَيم

قد سبق في المشرق (٢ : ٨٦٢) وصف الجزء الاول من هذا التأليف الجليل. ومدار الجزء الثاني على رحلة المؤلف الى بلاد ما بين النهرَين والعراق والاقطار المجاورة لخليج العجم. وليس هذا القسم احطّ شأنًا من القسم السابق بل يستحقّ ثناء كلّ المستشرقين

وممَّا يستحسنهُ القارئ في خلال مطالعة هذا الكتاب انَّ المؤلف لا يصف الَّا ما رآهُ رأي العيان وهو مع ذلك لا يجهل تاريخ البلاد التي يطوفها بل يُحسن تلخيص اخبارها ويصف احوالها وصفًا بهيجًا معتمدًا في نقلهِ على الكتبة الأثبات. وفي الكتاب عدد كبير من التصاوير الجميلة التي اخذ المؤلف رسم اكثرها بيدهِ. وقد اجاد الكاتب الفاضل كلّ إجادة في تعريف قبائل البدو ووصف دير الزور والموصل وبغداد والبصرة والخليج العجمي. ومن ملحوظاتنا (في الصفحة ٥٣) انَّ المؤَلف صحَّف الهوازم بالحوازم وزعم (ص٥٣) انَّ بني عبس حالفوا بني تغلب مع ما كانت عليهِ القبيلتان من اختلاف الاصل اذ تنتمي تغلب الى ربيعة وعبس الى قيس

وأُلحق بهذا الكتاب خارطتان غاية في الضبط والدقّة رسمهما ريشرد كيپرت بن هنري كيپرت الجغرافي الشهير في برلين وفقًا لما جمعهُ من اعلامات المؤَلف وملاحظات الكتبة والرحَّالين السابقين وهي على ما نظنّ احسن خارطة رُسمت الى الآن للشام

فنقدم للبارون اوبنهيم مراسيم التهاني على هذا العمل الجميل الذي لم يدَّخر في انجازهِ وسعًا وهو يطلعنا على كثير ممَّا كنَّا نجهلهُ من امور الشام وما بين النهرَين. ونتمنى ان يتحف العلماء قريبًا باخبار الرحلة الجديدة التي باشرها في العام المنصرم ه. ل

التي لا تخلو منها خزانة من خزائن الكتب الكبرى في الغرب والشرق . والفقير كاتب هذه الاسطر رأى منها في هذه البلاد نيّفاً وعشرين كتاباً (راجع مقالة الاب لامنس عن اصل الروم الملكيين المشرق ٣ : ٢٦٨) . وهذه الدلائل كافية لتدعم رأي الاب مرتينوس الذي لم يكتب ما كتب الّا بعد التحري الطويل . — نجيب على الملاحظة (الثالثة) انّ ارتداد العلّامة الفاضل عبد الله زاخر الى الكثلكة امرٌ لا يشوبهُ ريب . قال الاب بطرس فروماج في رسالتهِ الى عبد الله زاخر (ص ٤ من نسخة مكتبتنا) : « انّ الله بواسطة اليسوعيّة اخرجك من ظلام الهرطقة » وفي الصفحة ١٠ : « ان اليسوعيين انقذوك من ظلام الهرطقة كما قلت لي انت » . وقال عبد الله زاخر في جوابهِ الى الاب فروماج (ص ١٠٩) : « ومن جهة اخراجي من ظلام الهرطقة اذ كنتُ شاباً فقد كان ذلك بنعمة الله بواسطة الكتاب المدعو السيف القاطع . . » ثم يذكر انهُ اجتمع بالاب انطون ناخي فعرض عليهِ شكوكهُ فازالها الاب المذكور . فتُرى من نصدّق بعد ذلك أحضرة مكاتبنا ام عبد الله زاخر نفسهُ ومعاصرهُ الاب بطرس فروماج ؟ . نجيب على الملاحظة (الرابعة) بخصوص انشاء المطبعة الشويرية دون مساعدة احد لعبد الله زاخر انّنا اوردنا في المشرق شهادة لاحد التجّار المعاصرين لعبد الله زاخر وفيها خلاف قول مكاتبنا (المشرق ٣ : ٢٦١) فكيف ينقض مكاتبنا هذه الشهادة . ثم وجدنا في رسالة الاب فروماج الى عبد الله زاخر (ص ١١) ما نصهُّ : « ومطبعك .. من هم الذين بواسطتهم انتهى هذا العمل اليسوا اليسوعية » ثم يذكر صدقاتٍ بلّغها اليسوعيون الى المذكور ثمّ ختم ذلك بقولهِ « هكذا كملت انت مطبعك » . — نجيب اخيراً على الملاحظة (الخامسة) ان فرائض الرهبنة الحنّاويّة تثبّتت حقيقةً في سنة ١٧٥٧ لا كما ذكر الاب مرتينوس ١٧٤٧ ولعلّ ذلك سهوٌ من الناسخ . لكن براءة البابا بنديكتوس الرابع عشر صدرت في ١٢ آب لا في ١١ حزيران كما ذكر حضرة المكاتب (راجع مجموع البولّاريوم ٢ : ١٨٢)

ل . ش

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب يوسف نحوُّل سليمان ما هو الدواء الناجع لدفع النمل من الشجر

طرد النمل عن الشجر

ج نورد هنا ما جاء في كتاب علم الفلاحة لعبد الغني النابلسي (ص ٥١) في هذا الصدد : يُدلك ساق الشجرة مقدار شبر بحجر املس في دائرهِ حتى يملس الساق ويبرق ثمَّ يحلق فوقهُ وتحتهُ بمغرة محلولة بالماء فانَّ النمل لا يقربهُ . وقيل تخلط المغرة بقطران وروث مدقوق ويطلى بهِ ساق الشجرة فلا يصعد فيها النمل . . . وقيل ان دُخن موضع فيهِ نمل باصول الحنظل هلك من ذلك النمل ما يجد ريحهُ . واذا بُخر مكان فيهِ نمل بنمل . . . هرب منهُ سائرها . وقيل سائر الهوامّ كذلك اه

الجسم دون الآخر. لاسيما القسم الاسفل منهُ وذلك بان يدخل في القناة النخاعيَّة بعلوّ الضلع الخامس الكلويّ مزيجٌ من الكوكاين بنسبة ١٠٠/١ . فيبقى الشلو على حالتهِ من الحس والحركة. امَّا القسم السفلي فيتخدَّر. وقد اجرى المسيو تروفيار ٦٣ عمليَّة على اشخاص مختلفين كانوا يشاهدون العمليَّات ويساعدون الطبيب في نجاحها دون ان يحسُّوا بوجع. وقد عرض الدكتور المذكور نتيجة اختباراتهِ على المكتب العلمي في فرنسة

وصفات لقتل البقّ — قرأنا في كتاب علم الفلاحة (ص٥٠) للشيخ عبد الغني النابلسي علاجات شتى لابادة البقّ فاحببنا ان ننقلها هنا ليجرّبها قرّاؤنا قال: البقّ وهو الدويبة المنتنة الرائحة وهي تكون في الخشب وغيرهِ يؤخذ بعضها فيضاف الى عكر زيت ويدخَّن بهِ. او يُعجن اخثاء البقر بالزيت وتدخن بهِ فانَّهُ يُهرّبها ويقتلها وتتساقط. وقثاء الحمار اذا دُقَّ ساقهُ وورقهُ واصلهُ وفتَّ في الماء ثم طُبخ ورُشَّ بهِ الخشب والشجر فانها تهرب وتموت. ويؤخذ ماء بئر ويلقى فيهِ كفّ ملح ويُطبخ ساعة ثمَّ يرشّ عليها وهو حارّ فانَّهُ يقتلها. والبقّ لا يقرب شجر الطرفاء والسرو واذا بُخر بالشونيز بيتٌ لم يدخلهُ بق. وكذا اذا بُخّر بنشارة الصنوبر وكذا التدخين بورق الاترجّ اليابس وبورق التين اليابس. وكذا بحبّ الحلب وكذا بالعاج او جلد الجاموس او بالعلق وهو يكسر الزجاج. وكذا باغصان شجر السرو. واذا نُقع سداب في خلّ ورُشَّ بهِ يهرب البقّ. واذا دُقَّ بصل العنصل وأُذيب بخلّ خمر وطلي بهِ السرير او الخشب او نحوهُ لم يقربهُ البق. واذا وُضع في محلّ قطران طردهُ وكذا دخان الكمون والآس ودخان الترمس واذا طُبخ ورق الاترج بدهن وخلّ وطلي بهِ شيء لم يقربهُ البق اه

* جوابنا لحضرة الاب الفاضل الخوري امبروسيوس صوايا. راجع المشرق السابق ص ٦٧٠ * نجيب على ملاحظة حضرتهِ (الاولى) انَّ اسم دير الطبشة ليس هو اختراعاً منَّا بل هو اسم شائع على السنة كلّ السوريين وقد ورد في كتب التاريخ. قال الشيخ طنوس الشدياق عند ذكرهِ قرية الشوير (ص ٢٦): « وفيها دير الطبشة للرهبان الملكيين الكاثوليكيين ». على انَّنا لم ننكر انَّ هذا الدير يدعى ايضاً باسم مار يوحنا الصابغ (راجع المشرق ٣: ٣٥٩) — نجيب على الملاحظة (الثانية) انَّ شهادة الاب مرتينوس في اقامة الطقوس عند الملكيين وبالتالي في دير الشوير لا تنقضها حجج حضرتهِ لانَّنا اثبتنا انَّ اول من عرَّب الكتب الطقسيَّة من اليونانية الى العربية هو افتيميوس الثاني نحو سنة ١٦٣٣ (راجع التواريخ الملّيَّة للقس يوحنا عجيمي ص ٧١١) ومن المعلوم انَّ اغلب اكليروس الروم الملكيين في هذه البلاد لم يكن سابقاً (بل حتى اليوم) يعرف اللغة اليونانية فكان يقيم طقوس الكنيسة القسطنطينية بالسريانية يشهد على ذلك متون من الكتب الطقسية

المشرق

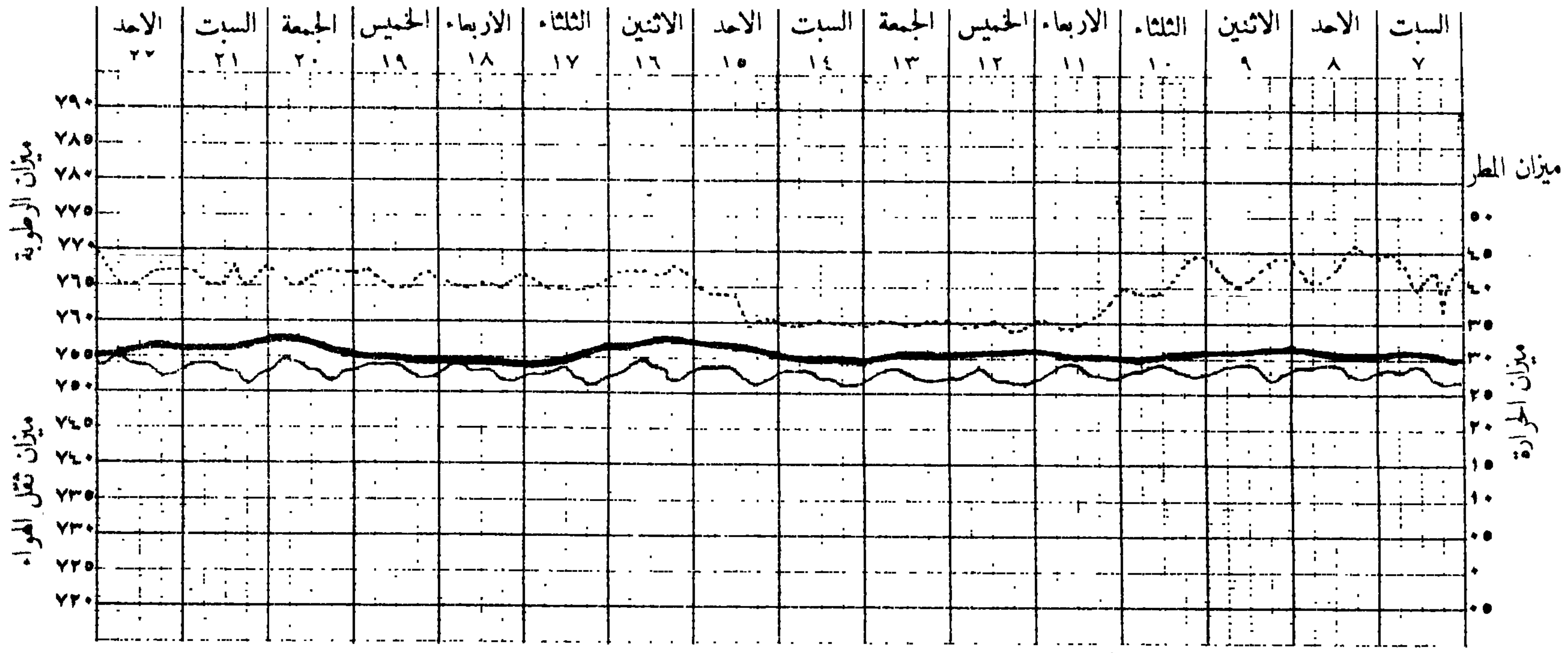
الدواعي لغنى اللغة العربية

لحضرة القس الفاضل ادي صليبا ابرهينا الكلداني

انَّ اغنى جميع لغات الدنيا المعروفة باتساع الفاظها اصلًا وفرعًا واشتقاقًا هي بلا مراء اللغة العربية حتى جاء في مثل انَّ العربيَّة لا يحكمها الَّا نبي. فاحببتُ ان انبّه على شيء من الاسباب التي تجعل هذه اللغة الجليلة غنيَّة واسعة

١ انَّ اللغة العربيـة كانت قبل ان تُجمع وتدوَّن في بطون الاوراق متفرّقة في اماكن مختلفة من البادية بحيث كانت قبل ان بُوشر في جمعها لغات عدَّة مختلف بعضها عن بعض اختلافًا اعظم ممَّا هو الواقع الآن بين لغات العراق وسوريَّة ومصر وبلاد الغرب. فالذين كان المرجع اليهم في غريب اللغة وفي الاعراب والتصريف هم بنو قريش وقيس وتميم واسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. واما اللغة نفسها فيتبيَّن انَّها أُخذت عن أَلسنة جميع القبائل. وممَّا يؤيِّد ذلك وجود اسماء كثيرة للشيء الواحد واللفظ المشترك وهو اللفظ الواحد الدالّ على معانٍ كثيرة عديدة مثل لفظ «الخال» الدالّ على ثلاثين معنى ولفظ «العجوز» الدالّ على اكثر من تسعين معنى وغير ذلك. والاضداد ان يطلق اللفظ الواحد على الشيء وعلى ضدّه وذلك كلمقتُ الشيء اذا كتبتهُ ولمقتهُ اذا محوتهُ. فالاول في لغة بني عقيل والثاني في لغة سائر قيس. فلا بُدَّ من انَّ السبب في وجود المشترك والاضداد ومئات من الاسماء للشيء الواحد هو تعدُّد القبائل اذ تكون هذه القبيلة وضعت هذا اللفظ لمعنًى وأُخرى لمعنًى آخر او تكون هذه سمَّت هذا الشيء باسم والاخرى سمَّتهُ باسم آخر. فاقول انَّهُ لمَّا بوشر في جمع اللغة العربيَّة دوَّن جامعوها كلّ ما كان تتلفَّظ بهِ كلّ قبيلة من قبائل العرب. وانَّما من ذلك حصل وجود مئات

قائمة للآثار الجوّيّة من ٧ الى ٢٢ تموز ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

الحُفائل الحَفَنْحَل الحفلّج الحَفْلَق الحَفلكي الحفنكي الحبركي الحَبوكَر الحَفَنسأ – الجَحدب الجَحْنَب الجَحَنَّب الجحانب الجَنَحدَل الجَنْبر الجَحَنْبرة الجعَب الجِنْحاب الجلعَد الجندُغ الجنعيظ العُنبط العَنكب القُنبُع القنجور القُنافر القنفـبِر القَفَندر الحَدْرَد الحَدحَد الحُدبُق الحَدَوْلَق الحدرجان الحِقطان الحقطّانة – الكَرتَع الكَرْدَم الكُردوم الكُلدوم الكُرادح الكَدلكل الكُلاكِل الكَرْنَتع الكهبل الكَميثَل العميثَل القَهْزَب القهمَز القزمل الى غير ذلك . فتأمل . (ان جميع هذه الالفاظ بمعنى القصير الضعيف)

٥ ان الامر الباعث اكثر ما يكون الى اتساع اللغة العربية وغناها هو الالفاظ الاعجميَّة المشحونة بها العربية وهي كثيرة تكاد لا تعدّ . فان العرب بما انهم كانوا قبائل شتى كانوا يتعاطون مع جميع الاقوام المجاورة لهم. فان لخماً وجذاماً كانوا مجاورين لاهل مصر والقبط . وقضاعة وغسّان واياد كانوا مختلطين مع الاراميين والعبرانيين . وتغلب واليمن كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان . وبكر للهند والحبشة . وعبد القيس وازد عمان كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس . واهل اليمن كانوا مختلطين مع الهند والحبشة . وسكّان صحاري الجزيرة والعراق كانوا مخالطين للكلدان والفرس وغيرهم لغيرهم (السيوطي في المزهر)

فأدخل اذًا العرب في لغتهم من لغات هذه الاقوام الفاظاً كثيرة لا تُحصى (ومن اغرب الامور انَّهم ادخلوا حتى اداة النسبة الحبشيَّة والسريانيَّة مثل الكاف والياء والنون . واتخذوا بعض الاوزان السريانيَّة مثل فاعول وفَعْلوت . قال في شفاء الغليل : « وهي (اي الكاف) ليست من حروف الزيادة ويقولون في هندي « هندكي » وفي قندي « قندكي » وتكلّمت بهِ العرب وهو منقول من لسان الحبش . والحبشة تزيد في كل منسوب كافاً وياءً قالهُ ابو حيان » . اماَّ نون النسبة السريانية فكثيرة الوجود في الالفاظ العربية من ذلك التحتاني والفوقاني والجسدانيّ والجاني والتختخاني . وكذا وزنا فاعول وفعلوت فكثيرا الورود في العربية . من ذلك : التاسوعاء والعاشوراء والجاروف والجاروف والحابول والحاسوس والسبروت والحلبوب والرَّحموت والرهبوت . فلذلك نرى العربية مشوبة بالفاظ فارسية ويونانية ورومية ومصريَّة وحبشيَّة وهنديَّة وسريانية وعبرانية وغيرها . فالالفاظ السريانية المعرَّبة هي وحدها فقط تبلغ مئات من الكلمات . كما بيّن ذلك فرِنكل العالم الجرماني في كتاب الَّفهُ في الالفاظ التي اتخذها العرب من السريان . هذا وان الالفاظ العبرانية المعرَّبة ليست باقلّ منها . فانَّهُ ما عدا ان العرب كانوا مجاورين

من الاسماء في العربية للشيء الواحد. وهذا مما يجعل العربية واسعة البضاعة

٢ السبب الثاني الترخيم وهو إهمال القسم الاخير من الكلمة تفنُّنًا في اللفظ. وامثال الترخيم كثيرة في العربيّة منها قولهم:

حسِيَ في حسّ. وتجمّى في تجمّع. وفصى في فصلَ. وفظِيَ في فظّ. وتقضّى في تقضّض. وتقبّى في تقبّب. وقثا وقثِيَ في قثم وقثد. ولَسَا في لسم. ومزّى في مزّن. وتمطّى في تمطّط. وتظنى في تظنّن. والسادي في السادس. والخامي في الخامس. والزوّ في الزوج. والدّخّ في الدّخان. وشجا في شَجَب. ووصى في وصلَ. وشحا في شَحَر. والشما في الشمع. وصرا في صرخ. وخجيَ في خجلَ. وغير ذلك كثيرًا جدًّا

٣ السبب الثالث القلب وهو عبارة عن تقديم او تأخير احد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه ومن امثلته قولهم بمعنى واحد :

فقا وقفا. تكلّى وتكيّل. التخطَ واختلَط. مدقّس ودمقّس. طسَم وطمس. لطمَ ولمطَ. جبذَ وجذبَ. ذبحَ وبذحَ. برشَق وشبرق وشربق. بضعَ وعضبَ وبعضَ. قطّب وقبّط. مُحتٌ وحتْمٌ. حثِف وحفث وفحث. شلط وطلش. تبعرص وتبرعصَ. تحتحة وحتحتة. دحرجَ وجحدر. تمزمز وترخرح. حزرَق وحرزق. عفلَط وعلفَط. بشغ وبغش. حمد ومدح. وهكذا في ما بقي من الالفاظ وهي كثيرة

٤ السبب الرابع الإبدال وهو أوسع دائرة من القلب والترخيم وهو عبارة عن إبدال حرف او اكثر من كلمة ما بحرف او اكثر يقرب منهُ لفظاً. منها قولهم:

تلَع وطلَع بمعنى واحد. سخَّر وصَخَّر. ابتعرَّ وابتأرَّ وابذعرَّ. لحس ولهس ولعسَ. نخزَ ونخزَ. محْفد ومحْتد ومحقد. حظا وكظا وبظا. لزقَ ولسقَ ولصقَ. بَنكٌ وبنجٌ ومنجٌ. بزقَ وبسقَ وبصقَ. محْضَج ومحْضَب ومحضأ. طمْشٌ وطبْشٌ وطنْشٌ. قثمَ وقذمَ وغشَمَ وغثمَ. كست وكسد وكسط وقسط. فقصَ وفقزَ وفقشَ وفقسَ. حُسالة وحثالة وسحالة وحفالة. حُثرب وحُثفر وحِثلم وحِثلب وحُتفل. وحُثارة وحثارة الى غير ذلك مماَّ يكاد لا يقع تحت الحصر

ومن اغرب الغرائب انَّ بعضاً من الالفاظ من كثرة ما حدث فيها الابدال صار فيها اكثر من مائة لغة. فمن ذلك قولهم بمعنى واحد:

الجَيْتر الجَيْدَر الجيدريّ الجيدران الجَعْدر الجَعْذَري الحعظار الجنظار الجَعَنْظَر الجَعْبَر الجعبريّ البُهتر البُحتر القبتر القُباتر الهبتر الزنبَر القنتَر القنثَر العنثر الحنتر الحنثر الحنْثار الكمتر الكُماتِر الحنتر الحنثر الحنبر الحباتِر الحَبَيْتَر الحَنْبَل الحَنْدل الحَنْثَل الحُنْتُب الحتأ الحنكل الحناكل الحناجل الحِنتَفر الحِنْزَقْر الحِنفص الحِدمر الحِسفل الحِلبد الحزَبل الحَوْزَل الحَزَوْكل الحبتل الحوثَل الزبتَل الرتبَل الحباجل الحباتل الحَبلَّق الحَبكل الحَوكَل الحبتَك الحُباتِك الحِثيل الرِدعل الرهدل القرتل الزنجيل القندل الحَبَنْجَر الحُباجر الحُفشل

امكان المعجزات

للاب لويس معلوف اليسوعيّ (راجع ص ٤٨٩)

ممَّا لا مماحكة فيهِ ان المعجزات من حيثيَّتها التاريخيَّة لامر سهل التعهد بيّن المُطَّلَع واقلّ ما يُقال فيها انهُ يتمكَّن المرء من تحقيق وقوعها على حدّ ما يتمكَّن من تحقيق ايّ حادث تاريخي كان. ان حدثت معجزةٌ امامك او كانت ممَّا حدث في القرون السالفة فهي من الامور المحسوسة تنظرها العين وتسمعها الاذن او تقام على تصديق وقوعها البيّنات التاريخيَّة

وعليهِ فالمعجزات تقع تحت سيطرة الانتقاد والتحقيق والتمحيص التاريخي ومتى اجاد المرء في بحثهِ عن حقيقة وقوعها بواسطة المبادئ الانتقادية فلا مانع يمنعهُ من التوصُّل الى إدراك اليقين من هذه الجهة. فان كان المعجز مثلًا اقامةَ ميت من قبرهِ فايُّ عائق يعيق عن تحقيق تعاقُب الحياة والموت فيهِ ثمَّ عَوْد الحياة بعد الموت وادراك كلّ حالةٍ من تلك الحالات الثلاث بمفاعيلها وظواهرها وخواصها ممَّا لا يترك للريب مجالًا؟

وهذا الامر البسيط الذي لا يسوّل لك صائب عقلك ان تردّهُ هو الذي توقف عندهُ بعض زعمة العلم ولكنهم ضلُّوا الجادَّة القويمة ضلالًا فاحشًا حيث لا يدركون

قالوا ان كان هناك من يخبرك بحدث يخالف النواميس الطبيعيَّة ويخرق ما عهدناهُ في عالم الكائنات فاعرض عنهُ ولا تتكلَّف مؤُونة البحث. انّهُ لا ريب مخرقة او شعوذة او ضربٌ من الاختلال في الشعور ومسٌّ في العقل

لو اتى اصدق واعدل شاهد وقال لنا انَّهُ رأَى صخرًا انفصل عن الحضيض وحلَّق في الجو مرتفعًا فكل من كان صحيح العقل يعتدّ شهادتهُ تلك قولًا فارغًا لا يُلتفت اليهِ (١

فكيف بمن جاء يخبرهم بايقاف الشمس في مجراها واقامة الميت من ترابهِ ؟

ولِمَ ؟

لزعمهم ان المعجزات والخوارق امر لم يقع ولن يقع. وذلك الزعم لهم فيهِ تعليلات واهنة نأتي عليها ان شاء المولى في ما يلي

(١ Rabier : *Logique*, ch. 18

لبني اسرائيل فاتخذوا منهم الفاظاً كثيرة لا بدَّ ايضاً من ان آل اسماعيل وبني مواب وبني عمون عند استعرابهم ادخلوا في العربية الفاظاً كثيرة من العبرانية

وكذلك استعار العرب من اللاتينية واليونانية كلمات كثيرة وهي اكثر مما يظنّ. فان كلمات كثيرة هي بالحقيقة يونانية او روميَّة قد فاتت الذين بحثوا عن باب الالفاظ الاعجمية الموجودة في اللغة العربية . واني كنت قد جمعتُ كثيراً منها غير اني لمَّا علمتُ انَّ الاب انسطاس الكرملي اللغوي البارع قد اخذ بجمعها عدلتُ عمَّا كنتُ نويتُ

وقل ذلك عن الالفاظ التي اتخذها العرب من اللغات المصريَّة والحبشيَّة والهنديَّة

لكن اللغة التي حازت قصب السبق في إعارتها اللغة العربية الفاظاً كثيرة هي الفارسية . لعمري ان العرب شحنوا لغتهم الجليلة بالفاظٍ يكاد لا يضمُّها حصر مأخوذة من اللسان الفارسيّ مصحَّفة اقبح التصحيف . نعم انَّ عدد ما نسبهُ علماء العرب من الالفاظ الى الاصل الفارسي يبلغ مئات من الكلمات . لكن فات هولاء العلماء كلمات كثيرة مشهورة هي بالحقيقة فارسية الاصل . واني قد جمعتُ نحو ستمائة كلمة لم يصرّح علماء اللغة بفارسيَّتها

فاقول : ان في العربية من الالفاظ السريانية والعبرانية ما يبلغ عددهُ اقلَّها يكون مئات من الكلمات . والالفاظ الفارسية المعرَّبة اكثر عدداً . وكذلك الالفاظ اليونانية واللاتينيَّة والمصريَّة والحبشيَّة والهنديَّة المعرَّبة ليست باقل منها . واذا اضفت اليها ما يكرّر من الالفاظ المرخَّمة والمقلوبة والمُبدلة يبلغ عدد الالفاظ العربية المعرَّبة والمكرَّرة الوفاً من الكلمات

هذا وان العرب اشتقوا من الالفاظ الاعجمية افعالًا واسماء كثيرة وجعلوا فيها القلب والابدال . فاشتقوا مثلًا

من « المنجنيق » جنقَ وجنَّق ومنجق . ومن « الكوز » كازَ يكوز وتكوَّز واكتاز . وقالوا في « الفالوذ » فَلَذ وفَلَّذ وافتلَذَ . وفي « الهنداز » هَنْدَسَة وهُندوساً ومُهندساً ومُهندزاً وهندازة وهِندساً وهَنْدَسَ . وفي « الجَزف » جزف وجازَف واجترف وجزافاً وجزَّافاً وجزوفاً ومجزفة . وفي « القَلَم » قَلَم قلَّم وقلامة . وفي « اليَشَب » يشفاً ويشماً ويصباً ويصفاً الى غير ذلك

امتياز ثابت مقرر: بين جوهر النار واحراقها. بين جوهر وذات العين ونظرها الخ. وهذا الامتيـــاز هو في القوى العقليّة والاراديّة اظهر ومن لا يرى الفرق بين العقل اي قوة الادراك وفعل الادراك ذاته. وقت المنام مثلًا بنا جوهر العقل اي قوة الادراك ولكن لسنا ندرك عندئذٍ امرًا. اذًا يمكن وجود جوهر الشيء كالنار مكفوفًا عن ابراز عمله كالاحراق. ولذلك لا يرى العقـــل مانعًا من ان يتّخذ الله لداعٍ صوابيّ جوهرًا من الجواهر ويكفّهُ عن العمل والتأثير في حالة من الاحوال

زد ان كل الاشياء قائمة بأيد الباري وحفظهِ اي انّهُ تعالى اذا انسحب عن كائن من الكائنات تلف هذا الكائن جوهرًا وعملًا وعاد الى عدمهِ. فمن يا ترى يدلُّنا على ان الله لا يقدر ان يهمل الشيء من حيث عملهِ فقط فيصبح جوهرًا دون عمـــل. وكذا يصحُ وجود نار لا تحرق. او من يدلنـــا على ان الله متى كف جوهر الشيء عن عملهِ لا يمكنهُ ان يعيضهُ بعمل آخر يخالف عملهُ الطبيعي او يعاكسهُ ؟

اذن المعجزات في كل نوعيّاتها ليس فيها ما يعسر على الله احداثهُ

تلك ادلّة عقليّة ثابتة لم يوهنها اعتراضُ معترضٍ. اتّجه قصدي بها الى دكّ الاقاويل السفسطيّة التي يحاولون الاحتجاج بها في امكانية المعجزات. ولقد كان لنا غنى عن تلك الادلّة ووعورة مسلكها باعتبار ما يراهُ مرأى البصر كل عقل سليم لم تغوهِ الضلالة

أيقتضي فعل المعجزات قوّة فوق تلك القوّة القديرة التي اقام الباري عليها شهودًا في بدع ما بدعهُ ؟

مَن دحا الثوابت والسيارات في عالم الفلك تسير سيرها مُلتحفة بالبهاء وغائصة في بحار انوارها البديعة تدور على دوائرها دورانًا محكمًا فلا تعرج عنـــهُ عرض الاصبع وتلتهم المسافات التهامًا دون ان تبطئ عن مواعيدها او تتجاوزها لمحة بصر.. أذاك القدير يعجز عن ايقاف الشمس يومًا في مسيرها او يعسر عليهِ نقـــل شخص من الارض الى طبقات الجوّ او من بلاد الى بلاد باقرب من وميض البرق ؟

أمن جعل بطون الارض تغلي مراجلها فتنفجر عنهـــا البراكين وتتصاعد انفاسها النيرانية حتى السماء. أمن ملأ البحار الشاسعة واجرى الانهار تتدفق من اعالي الجبال على الآكام والوديان والسهول فتُكسى الارضُ نضارةً وجمالًا ثم تسرع الى مقرّهـــا وترتاح من تقلّبها بعض الزمن ثمّ تهبُّ من ذلك السُبات فتنتشر في الفضـــاء سحابًا ثم

وليسمح لي الآن حضرة القراء الكرام ان انظر معهم قليلًا في شأن امكانية المعجزات من حيث هي

المعجزات من جهة الاعجاز وخرق القوى الطبيعيَّة على انواع:

منها ما يفوق مستطاع ايّ مخلوق كان كاعادة الميت الى الحياة. فهذا وما كان من طورهِ لا يستحيل فعلهُ على القدرة الالهيَّة غير المحدودة. اذ ان اقامة الميت مثلًا شيء ممكن ليس فيهِ ما يخلُّ بصفات البارئ تعالى: ممكن لان عود النفس الى جسد كانت فيهِ وارتباطها بهِ من جديد ليس في ذاتهِ باقلّ امكانيَّة من وجودها فيهِ واتحادها بهِ عند تألف المركَّب الانساني في الولادة. واماَّ من جهة الكمالات الربانيَّة فان الله اذا اقام ميتاً واعادهُ الى الوجود فلا يقل تلألأُ رحمتهِ وجودتهِ وحكمهِ عمَّا كانت تتلألأُ في حفظ الانسان في قيد الحياة

ومنها ما يكون من مستطاع القوى الطبيعيَّة ولكن ليس الَّا في ظروف معلومة وبشروط مقرّرة: لا يعجز الطبيب عن ابراء العَضو المقروح واعادة انسجتهِ وشرايينهِ وعروقهِ الى انتظامها الطبيعي كمن ذي قبل ولكن بشرط ان يتخذ الاحتياطات اللازمة ويستخدم الوسائل الكافية وخصوصاً بشرط ان يمضي على تطبيبهِ الزمن الكافي لتتمكَّن القوى الطبيعية من إعمال عملها. والمعجزة في هذا تكون بابراء القروح دون تلك الوسائل او تكون على فَور بكلمةٍ وبلمحة عين

وهنا ايضاً لا نجد مانعاً يمنع الله من فعل المعجزات من هذا النوع لانَّ ما يقوى عليهِ الفاعل الثانوي اي المخلوق المتناهي العمل المحصور التأثير في ظروف وشروط معلومة فالبارئ الكلي القدرة يقوى على فعلهِ كيف ومتى شاء. انَّهُ تعالى لا شيء يحدُّ عملهُ ولا يشترط عليهِ شرط فيما اراد احداثهُ. يقول كن فيكون ما شاء كيف ومتى واينما شاء.

ثمَّ من المعجزات ما يكون ضد وعكس ما تقتضيهِ طبيعة الشيء الذي تحصل فيهِ المعجزة كأن يقوم الصخر في الفضاء دون ان يعمدهُ عامد او ان يُلقى رجل في النار ولا يحصل لهُ منها اذى

هذا وما ضاهاهُ لا يستحيل على البارئ اجراؤُهُ في الورى. لان تلك المفاعيل الطبيعيَّة: كاحراق النار وهبوط الاثقل الى ما تحت ليست ممَّا يستحيل على الله ابطاله وابدالهُ بتأثير يخالفها مخالفة كليَّة. والدليل العقليّ ان بين جوهرِ كلِ شيء وفعلهِ او تأثيرهِ

يرى حركات النمل في ظُلَم الدجي   ولا يخفى اعلانٌ عليهِ واسرارُ

وما اشهى قول البرعي اذ ذكر ان الله لاقرب الينا من الصحب والجار واثبت على موالاتنا من الصديق الحميم :

مُقيلَ العاثرين اَقِل عثاري   وخذ لي من بني زمني بثاري

. . . .

وان يكُ عقَّني صحبي وجاري   فجودك بالذي ارجوهُ جاري

. . . .

سخرتَ الشمس خلف البدر تجري   بها الافلاك من غادٍ وسارِ
وتمسك في الهواء الطير بسطًا   وقبضًا في رواحٍ وابتكار
وتكفل كلَّ وحشٍ في البراري   وترزق كلَّ حوتٍ في البحارِ
الهي عافني واصحّ جسمي   وصِل واقبل برحمتك اعتذاري
وطهّر قالبي وتغشَّ قلبي   بانوار السكينة والوقارِ
وان كرّرتُ مسئلتي فكلني   الى كرمٍ يفيض بلا انحصارِ

ذلك ما نشعر بهِ في مخادع القلب

اذًا الله يُعنى بنا وبنظام كونهِ ان ماديًّا وان ادبيًّا وان دينيًا وان اقتضى حسن ذاك النظام ان يبدي الله غريبًا امرًا ومعجزًا فما هو بقاصر عن ذلك

كذا لا ركن ولا اساس لما قالوا من انَّ الخوارق والمعجزات تشير الى تغيُّر رأي وتقلُّب خاطر في البارئ او تدلّ على عدم احكامهِ الخلق من بادئ بدئهِ

فانَّ الله متى اراد فعلًا معجزًا لا يقصد إلغاء شيء مما رتب ولا يغيّر النواميس التي امر البرايا ان تجري عليها كما مرَّ بك. اراد جلَّ جلالهُ منذ خلق البرايا ان تكون لها سنن ثابتة وقضى ايضًا بان يجري في ازمنة سبق اليها علمهُ بعض حوادث تفوق وتخالف تلك السنن ذاتها. او هل تمنع السنن المسنونة والشرائع المشترعة ان يحيد عنها صاحب الامر عند ما يحلو لهُ او في احوال يعينها المشترع ذاتهُ لاسباب صوابيَّة تعود على صلاح الدولة بخير اوسع واعمّ

بقي ان الله قادر على فعل المعجزات ولا مانع يمنعهُ عن الاتيان بها متى شاء. على انهُ تعالى لم يكن ليفعل شيئًا من هذا الَّا لغايات حميدة تليق بجلالهِ كما مرَّ وان لم نذكر تلك الغايات التي من شأنها ان تحمل المولى على صنع الخوارق او السماح بحدوثها فما نكون وفينا البرهان حقّه. وتلك الغايات اقرب للادراك من ان تقتضي بيانًا طويلًا

تنسكب على الرياض ندًى منعشًا او تنهطل على الروابي مدرارًا فتسرى في شرايين الهضاب فتنبعث عيونًا مُرْوِيَة وجداول مخصبة تحيي الارض بعد مواتها . أذلك الجميل الصنع يعجز عن قليل ما تقتضيهِ المعجزات من تكيُّفات المادَّة او تحوُّلها من حالة الى حالة . أيعجز مثلًا عن جعل الماء كاديم الارض او امتن يحمل من مشي عليهِ او يضعف عن ردّ الماء الزلال خمرًا رحيقًا

أمن جبل العين وصاغ الاذن أمن ركَّب القلب وفعل فيهِ من العجائب ما فعل أَمن يخلق كل يوم الالوف والأُلوف من النفوس الناطقة . أَذلك العليم البصير الرحيم يعجز عن ان يعيد لاعمى بصرهُ او ان يردَّ نفسًا الى جسد هجرتهُ ؟

فايمن الله انَّ الذي انكر هذا قد اتى ببهتان لا يقوم لهُ امام نظر العقل قائم

لكنهم يقولون: ان الله لا شكَّ قادر على مثل ذلك ولو كان يعنيهِ امرنا لما عسر عليهِ ان يصنع الالوف من العجائب والمعجزات ولكن انهُ اسمى واعظم من ان يهتمّ بنا فيتنازل الى مريض يشفيهِ او ميت يُحييهِ

لعمركِ ان من قال هذا القول لقد جهل من صفات ربّهِ ما دلَّ عليهِ العقل دلالة جليَّة ونادت بهِ كل عاطفة من عواطف القلوب وكل نسمة من نسمات الارواح

كيف يستدلّ العقل على ان الله لا يقدر ان يهتمّ لمن برأهُ ومن اين الحجَّة القاضية على الله ان يهمل الكائنات ويدحرها الى خلواتها مغفلةً منسيَّة . أَعقلك يرى ان ليس للمنشئ ان يُعنى بما انشأهُ ولا المالك بمملوكهِ ولا المتبوع بتبعهِ ولا الوالد بولدهِ . ام تقول ان الاهتمام للخليقة واحوالها اقرب الى النقص ممَّا هو الى الكمال فلا يصح نسبتهُ لرب الكمال . ولكن كيف يكون في هذا نقص ولم يعتدَّ الله نقصًا بكمالهِ ان يُخرج البريَّة من عدمها ويسنّ لكل من مبتدعاتهِ سُنَنها ويحدد لها حدودها ويخلق لها كل ما يكفل لها دوام الوجود وحسن الثبات . لم يمنعهُ كمالُهُ عن هذا فلِمَ يا ترى عن مداومة السهر على ما اراد بهِ دوامًا وسيرًا على خطط قويمة

وان وجَّهت لحظك الى الامم في كلّ آن ومكان واصغيت سمعًا الى ما تبديهِ القلوب من الحركات والعواطف وحاولت ادراك شيء من طوياتها واسرارها الخفيَّة لأَلفيتها صوتًا واحدًا يعلن أن لله عناية بمخلوقهِ وقلبًا ساهرًا على عبادهِ وعين تراقب كلّ ما يجري في الكون من اصاغرهِ الى اكابرهِ

على يقينهِ قرار من استنار بانوار الهدى والحق لا من شرب الاوهام عن جهل وغواية

وذلك اذًا ما قصدهُ او يمكن ان يقصدهُ المولى بصنعهِ المعجزات: ان يقيم حجة دامغة تقنع كل العقول بنزول وحيهِ. فان كان تكرَّم علينا بوحي فقد اقام المعجزات بيّنةً عليهِ. فوالحالة هذه نكاد ان لا نكون في غنى عنها

اذن ليست المعجزات ممَّا يليق فقط بالباري ان يفعلهُ بل هي ايضًا ممَّا يقتضيهِ جودهُ وحكمتهُ وصدقهُ ورحمتهُ بالعباد

اذن وجب القول — ولا ارى وجهًا لردّهِ — انَّ المعجزات ممكنة الحصول وانك سواء اعتبرت قدرة الله او نظرت الى حكمتهِ او فكرت في عنايتهِ الربَّانيَّة ورأفتهِ بالبشر فالمعجزات لا شيء فيها يخلّ بكمالات العلي بل كل ما فيها ينادي بحكمتهِ التي لا يحدها حدّ

فثبت اذن اقتدار الباري على احداث المعجزات متى شاء وذلك ممَّا يقرُّ بهِ كل عقل سليم لم تغوهِ الغواية ويسهل كما ترى استخراجهُ من الاصول العقليَّة الراهنة. والحق يقال انني لا ارى كيف يتيسَّر لمن قال بوجود اله قدير حكيم ان ينكر امكانيَّة المعجزات وقد تفقدتُ تآليفهم فما ألفيتهم اتوا بحجَّة ضد ذلك تحتها طائل. وهذا هو المبدأ الاصلي والأهمّ في كل هذا الباب

ولكن كم عهدتهم يقولون ويشحنون الكتب بما خلاصتهُ: اننا وان سلَّمنا بامكانية المعجزات من قبل الله فمن لنا بان ندرك ما صحَّ منها وما فسد. كم هناك من الخزعبلات والمخرقات. كم من الخوارق الموهومة التي لم تخرق الَّا فهم جهل القوم ومن خفت عليهم اسرار الطبيعة وقواها الغريبة. كم اتى عصرنا بالافعال العجيبة التي لو رآها السلف لألفوها لا شكَّ غرائب ومعجزات. بل ها غرائب التنويم. ها غرائب التلقين. ها الامور التي تجري على ايدي من خالطوا الارواح. فمن يمكنهُ التوصُّل الى ادراك المعجزات الحقّة الصادرة عن فعل رباني تصديقًا للعقيدة وتمييزها ممَّا يضاهيها وتلك الحوادث. اذن فالمعجزات ان وقعت لا يمكن ادراكها. فهي تكون عبثًا. والله لا يأتي امرًا عبثًا

اجل هناك احوال صعبة المراس تقتضي تدقيقًا وانعام نظر. وعليها كلامنا في مقالة تلي ان شاء الله

فهيَ تكون امّا اغاثة الملهوف او اجابة المطلوب او اظهار الحق او ردع الظالم عن ظلمهِ او . . . وفي كل ذلك احياء القلوب وانعاش الهمم واشراق نور الهدى على قمم الالباب فينجم عن ذالك تحسين الاخلاق واخلاص التعبُّد وسعادة الحال في الدارين . فتكون المعجزات نعماً عظمى يرسلها المولى الجواد من فيض كرمهِ على العالمين فتصبح لهم من اقوى ما ساعدهم على الانقياد لربهم والسير على خطط صلاح وتقىً توصّلهم الى هناء الخلد . وهي الغاية القصوى التي قصدها اذ برأ الكون ونظمهُ

ذلك اذا صرفنا النظر عن امر الوحي وما يترتَّب عليهِ . امَّا اذا افترضنا نزول وحي على بعض عباد الله — وانت لا تجهل انَّ معظم الاديان التي تتضارب وتتعاند على وجه البسيطة قد ادَّعت هبوط الوحي على زعمائها — فقد وجب ان يكون الله في حكمتهِ القدوسة قد اقام لنا ادلة وعلامات نستدلُّ بها على حدوث الوحي ان كان ونستبين بها صِدْق مَن صدق وبهتان مَن لفَّقوا مذاهبهم تلفيقاً

وتلك العلامات لا يغرب عن عقلك السليم انها ينبغي ان تكون جليَّة البرهان قريبة الادراك قاطعة الحجَّة تُقنع العالم ولا يعسر على الجاهل منالها والاستدلال بها فما عساها ان تكون ؟

هنالك لا شكَّ براهين وادلَّة وعلامات مقنعة اقناعاً يقينياً ولكن منها ما كان دقيق الحجَّة خفيَّ البيان الَّا على بعض ارباب العقول الثاقبة والالباب الذكية . ومنها ما لو أُفرد عن غيرهِ لما قضى على كلّ شك وتمويه . ومنها ما لا يحق ان يقوم برهاناً الَّا بعد السنين الطوال . ومنها ما يستحيل على السواد الاعظم فهمهُ . ولو اتسع بنا نطاق القول لاتينا على هذه بشيء من الايضاح على انَّهُ من المسلَّم بهِ والذي لا ينكرهُ الَّا من عاند الحقّ معاندة ان الدليل الاعلى والاجلى والآمن والاقرب الى الفهم بالنظر الى عموم الناس متى اردنا الاستدلال على ان الله قد اوحى ديناً لهو المعجزات : متى ثبت ان الله فعل معجزاً او اجراهُ على يد احد اوليائهِ تصديقاً لوحي وتقريراً لعقيدة فذلك الوحي وتلك العقيدة من حيث ورد المعجز مثبتاً لها لهو الوحي الحقّ والعقيدة السليمة القويمة

وانني لعمرك يخال لي من الحقائق التي لا مردّ عليها انَّهُ لو لم ترِد لتأييد صدق الوحي معجزاتٌ راهنة مثبتة اثباتاً تاريخياً تقيم عليهِ الدليل لما امكن اقناع السواد الاعظم من عباد الله بوجوب الانحياز لذلك الدين الموحى بهِ والتمذهب لهُ والقرار

واوَّل هذه الاسماء البُلَحُ وهو عندي مشتقّ من البَحّ او البحح وهو خشونة في الصوت لان في صوتهِ شيئًا كثيرًا من ذلك وكل من يسمعهُ لا يتمالك من ان يقول: ان هذا الطائر مبحوح. وعليهِ كلام الشاعر الفرنسي ڤيكتور هوگو :

Tu chantes faux, à rendre envieuse une orfraie

اي انَّك تغني غناء معيبًا دونهُ صوتُ البُلَح: هذا وقد اقحمت العرب اللام بين الباء والحاء للفرق بين البَحَح والبلح. ثمَّ اننا قد قُلنا غير مرَّةٍ ان كثيرًا ما يقحمون احرُف الذلاقة في الكلم تمييزًا بين كلمٍ وكلمٍ تمييزًا ظاهرًا. وبالاخصّ في المضاعف وان كان يوجد في غيرهِ. والشواهد على ذلك لا تُحصى نذكر منها ثلاثة للتمثيل فيقال: مسَّ الشيء ولمسهُ بزيادة اللام في الاوَّل. والسَطْح والسَلَنطح بزيادتها في الوسط. وقصَّ وقصَل في الآخر. وقد وصف البُلَح صاحب الاوقيانوس فقال ما معرَّبهُ :

« البُلَحُ وزان صُرَد طائر من جنس النسر (الـكَرْكَس) وهو القديم منهُ اذا هَرِم. وقيل هو طائر اعظم منهُ محترق الريش خِلقةً واذا وقعت ريشةٌ منهُ على ريش طائر احرقتهُ. ويُجمع على بِلْحان وزان صِرْدان واسمهُ بالفارسية « هُماي » اي مَيمون او مبارك. ومن ذلك وَصفُهُ بهذا القول المأثور: « مرَّ البلَح فسحني تمثالهُ اي وقع عليَّ ظلُّهُ. وعليهِ فهو هذا الطائر المعروف « بِهْما » والفقير المترجم قد رأيتُ في حلب جثتهُ عند واحدٍ من تُجار الهند. وكان رأسهُ تامًّا وكذلك سائر اعضائهِ وجناحيهِ وريشهِ. وكان لونهُ قريبًا من الزرقة وكانت جثتهُ بكبر جثَّة البازي (الطُغان) لكنهُ اطول منهُ بقليل وكان في ذنبهِ جُمَّة (چيغه) ريش منقَّش. ونظرًا الى هذا الريش اشتراهُ احد الاعيان بذهب وافر وأهداهُ الى جلالة المرحوم السلطان سليم. ولم يكن فيهِ ابدًا اثر احتراق في ريشهِ. وشاهدتُ بجانب جثتهِ طائفة من النمل وكان رأسهُ بكبر رأس القط المتوسّط الحجم وكان لونهُ (اي لون رأسهِ) اسود لمَّاعًا. وعيناهُ وفمهُ بكبر عيني وفم القط بذاتهِ. وكان لهُ قرنان بقدر الاصبع الوسطى » اه تعريبًا

وقال التاج: « البُلَحُ كصُرد النسر القديم اذا هرم. وفي التهذيب هو طائر اكبر من الرَخَم او هو طائر اعظم منهُ اي من النسر ابغث اللون محترق الريش. يُقال: انَّهُ لا تقع ريشة منهُ وسط ريش طائر الَّا احرقتهُ. وفي الاساس: وهو اقدر اللواحم (قلت هذه اللفظة باطلاق المعنى من المستدركات فانَّهُ جاء في معاجمهم بازٍ لاحمٌ اي يأكل

الصَفْراغونُ والبُلَحُ (١

لحضرة الاب العالم اللغويّ انستاس الكرملي البغدادي

كنتُ قد ذكرتُ في المشرق(١ : ٤٤١) ان العرب سمَّوا الطروغلوذيتس صَفراغونًا بالفاء او صَغْراغونًا بالغين وقلت ليس لهاتين اللفظتين وجود في لغةٍ من اللغات الافرنجيَّة. وبعــد ذلك سألت حضرة الاب لويس شيخو ان يذكر لي كيف الدكتور لكلار Leclerc نقل هذه اللفظة الى اللغة الافرنجية في كتاب المفردات لابن البيطار فكتب لي انَّهُ سمَّاهُ mortacilla او ossifraga. ولمَّا رأَيتُ بين هذين الطائرَين بونًا عظيمًا استغربتُ إعجــام الدكتور ولمَّا امعنتُ فيهِ النظر تحققت انَهُ سمَّاهُ mortacilla محافظةً على ما ارشدهُ الوصف الى ذلك وسمَّاهُ ossifraga محافظةً على مقاربة اللفظ بين الحرفين. وهذا الامر دفعني الى البحث وراء الحقيقة وتدقيق النظر وجعلتُ اتصفَّح الكتب العربية لعلي اجد ضالَّتي فرجعتُ بخفَّي حُنين. غير اني قرأتُ في البرهان القاطع ما شفى بعض العلَة وروى شيئًا من الغلَّة قال ما معرَّبهُ: « صَفْراغون على وزن أفلاطون بالغين المعجمة لفظ يوناني وهو اسم طائر بجثة العصفور اسمهُ بالعربية « عصفور الشوك » ويُسمَّى في غير هذه الديار: « طائر الشوك. وبُلبل الشوك » ويُسمى في هذه البــلاد: « بُوقليچه بُلبل » لسبب تغريدهِ ويُدعى في اماكن اخرى باسم عصفور الشوك والطائر المغرّد وبعضهم سمَّوا صَفْراغونًا الطائر الذي هو من جنس الجوارح المعروف باسم « چاقر طُغان » اي الصقر » اه. ومن هذا الكلام يتبيَّن ان الكتَّاب قد ذهبوا في هــذا الاسم مذاهب شتى مرجعها الى انهــا عصفور الشوك المعروف باللغة الافرنجية بالطرغلوذس الاوربي troglodytes europeus وبالفرنسية troglodyte ordinaire وبالفرنسية العامّية fourre-buisson اي عصفور الشوك و bérichot وباليونانية σπαργάνιον اي « ذو الشُرَيط » وذلك لوجود خُطط على ظهره وذنبهِ كانها أشارير او قِدد

اما ossifraga فانَّهُ وان كان في لفظهِ بعض الشبه للصفراغون فليس بهِ البتَّة وقد سمَّاهُ العرب باسماء شتى وليس في عدادها هذا الحرف. والإتيان بذكرهِ وباوصافــهِ وباسمائهِ لا يخلو من فائدة لان العرب قد ذكروا عنهُ اشياء اخرجتهُ الى حد الخرافة

(١ Le Troglodyte ordinaire et l'Orfraie

كادت نفوس القوم عند الغَلْصَمَتْ وكادت الحرَّة ان تُدعى أَمَتْ

وعلى هذه اللغة بها كُتب في« المصحف ان شجرت الزقوم وامرات نوح »... (عن هامش حاشية الصبان ٤ : ١٥٢ بحرفهِ). — ومن اسماء « البلح » الهماي كما ذكرهُ صاحب الاوقيانوس وكذلك الهُما بالقصر كما ذكرهُ صاحب شفاء الغليل« وهُماء » بالمدّ كما ذكرهُ صاحب التاج قال في مادة ه م ي :« وهُماء بالضم والمدّ . وقد يُكتب باليـاء في آخرهِ (اي هُماي) هو العقاب او طائر آخر من وقع ظلُّهُ عليهِ صار ملكًا وتتخذ الملوك من ريشهِ في تيجانهم لعزتهم وكانها فارسية « اه . قلنا : والكلمة فارسية محققة كما صرَّح بها صاحب الاوقيانوس ومؤلف البرهان القاطع ومعناها كما ذكرنا : الميمون والمبارك والمسعود والمحظوظ . وايضًا الملكي او السلطاني وسُمِّي بذلك لاتخاذ ريشهِ في تيجانهم او تفاؤلًا لمن وقع ظلُّهُ عليهِ

ومن اسمائهِ ايضًا هُمايون كما صرَّح بهِ صاحب شفاء الغليل . ونقلهُ عنـهُ صاحب اقرب الموارد مع بعض تصرُّفٍ أخرجهُ الى الوهم فقال :« هُمايون . لفظة فارسيـة في الاصل اسم طائر من وقع عليهِ او أظلَّهُ وصل الى أعلى المراتب ولذا أُطلق على العزيز والسلطان » . ثم زاد :« وقول الاتراك باب هُمايون . اي باب السلطان » . قلنا وان كان هذا التأويل من باب التخريج فمع ذلك يُرى فيهِ بعض التكلُّف : لان معنى باب هُمايون : بابٌ ملكي او سلطانيّ . لان همايون صفة لا موصوف بالفارسية امَّا نقلهُ بالعربية الى هـذا الطائر فهو من باب غلبة الاسمية على الوصفية كأسود للحيَّـة واجدل للصقر وادهم للقيد ونحوها . اما الخفاجي فقد قال :» هُمايون وهُما (بالقصر وهي لغة في المدّ كما ذكرها صاحب التاج واغفلها صاحب اقرب الموارد) فارسي في الاصل اسم طائر من وقع عليهِ أو أظلَّهُ وصل الى أعلى المراتب . ولذا أُطلق على العزيز والسلطان . وفي بعض الرسائل : قيل ان الله تعـالى خلق طائرًا اسمهُ هُمايون من وقع عليهِ ظلهُ فاز بدولة وهو طائر ميمون . وهذا ممَّا لا يُعرَف اصلهُ (كذا . ولقد اصاب في قولهِ بعض الاصابة لانَّ وصفهُ حُفَّ بخرافات حتى لم يبقَ فيهِ شيء من الحقيقة) ولم يُرَ ظلُّهُ . وما في عنايتك . فظلُّ حمايتك . وارف الظلال . سابغ اذيال الإقبال » اه

اما زعمهم ان من وقع عليهِ ظلُّهُ رقي الى ذروة المعالي فهو امَّا لنَدرة اختلاف هذا الطائر الى البرّ وقلَّة تردُّدهِ الى البلاد الآهلة بالسكَّان وكثرة اعتكافهِ في البحر فيكون

اللحم ويشتهيهِ) على كسر العظام وبلعها. وتقول: « مرَّ البُلَح فسحني تماثلهُ » (كذا في الاصل المطبوع. والمشهور تمثالهُ وهو الصحيح كما اوردهُ عاصم افندي) اي وقع عليَّ ظلُّهُ . جمعهُ بِلحان بالكسر كصِردان جمع صُرَد وبُلحان ايضاً بالضم . زادهُ الازهري » اه بحرفهِ

وقال فرهنك الشعوريُّ في مادَّة هُماي أو هما: « هو الطائر المعروف وهو مخصوص بجزائر الصين وغذاؤهُ العظام » اه تعريب حرفهِ

قلنا الان: امَّا ما رآهُ صاحب الاوقيانوس في حلب وظنهُ البلح فلا يخلو من انتقاد لان روية طائر غريب ليس دليلًا على انَّهُ هو الطائر الغريب المطلوب لان ما وصفهُ هو وصف الطائر المعروف عند علماء الافرنج باسم calao rhinocéros واما البُلَح فهو طائر آخر وهو المعروف عند الافرنج باسماء عديدة منها orfraie (i.e.: ossifraga), huard, pygargue, aigle pêcheur, aigle de mer, aigle des rivages ويُعرَف باليونانيَّة باسم φήνη المشتقَّة من φαίνω ومعناها: لمع وأضاء وانار وبرق وأشرق. وكان اليونان يعتقدون نفس اعتقاد العرب عن هذا الطائر ومنهُ اشتقاق اسمهم عندهم. لا بل وقد اخذ العرب هذا الاعتقاد عن اليونان عند تعريبهم كتبهم. ويسمَّى باللاتينيَّة: ossifraga ومعناهُ كاسر العظام. وهو اسم آخر سمَّاهُ بهِ العرب كما ستراهُ. والعرب كالافرنج لم يدقِّقوا في دلالة هذا اللفظ. فان هؤلاء كثيرًا ما توهَّموا فيهِ طائرًا آخر اي gypaète barbu, griffon, vautour des agneaux *ou* læmmergeyer ومعناهُ: الأنوق المعروف ايضاً باسم النسر البازي او نسر الخرفان مع انهما طائران متميز الواحد عن الآخر تميُّزًا بيِّنًا

ومن اسماء البُلَح البُلت. قال صاحب القاموس: « البُلَت كصُرد طائر محترق الريش ان وقعت ريشةٌ منهُ في الطير احرقتهُ » اه. قلنا: امَّا سبب تسميتهُ بالبُلَت فنظن انَّهُ حاصل من الابدال والوقف. فانهم قالوا اولًا في البلح: البُلَه بهاء في الآخر وهي لغة لبعض العرب مشهورة اي انهم يبدلون الحاء هاءً فيقولون مثلًا في الجَلَح الجَلَه (وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس) وفي حَبشَ هَبشَ (اي جمع) وفي البُختُر البهتُر (اي القصير) (كل ذلك عن المزهر ١ : ٢٢٤) ثم وقفوا على الهاء بالتاء المبسوطة فصارت البُلت. وعليهِ قول الشاعر:

الطائر الواحد باسماء عديدة كما هو مشهور عنهم وذلك امَّا لزيادة معنى للمدلول عنهُ باللفظ الجديد وامَّا لاغناء اللغة بالفاظٍ متعدّدة لأغراض يطول ذكرها هنا

(فائدة) اتماماً للفائدة نلحق الفوائد المذكورة بكلام نعرّبهُ عن بعض الافرنج المحدثين في مادة orfraie قال : ويسميهِ العامَّة عُقاب البحر هو ضرب من العقاب يمتاز ببُغْثَة ريشهِ وبذنبٍ يكون باديُ بدء ضارباً الى السواد مع نُكَت بيضاء ثم يبيضُّ مع العُمر وقد ميَّز الناس مدة زمان مديد كاسر العظام عن البُلَح او العقاب العركيَّة . اما اليوم فقد تحقَّق انهُ نفس هذا الطائر . ويقيَّد باسم كاسر العظام طالما يكون في ريش سنَتيهِ الاولَيَين اه . وقال في البُلَح ما معرَّبهُ : البُلَحُ pygargue وتُسمّيهِ العامة بالعقاب الابيض الذنب وهذه التسمية محصّل معنى اللفظة اليونانية πύγαργος ضربٌ من العقاب من طائفة العقبان العركية . ويُسمَّى في صغرهِ كاسر العظام واذا بلغ أشدهُ يتغيَّر لون ريشهِ فيُسمَّى: « الابيض الذنب » ويكون حينئذٍ لون ريشهِ أبغث بدون نكتة اخرى . ولون رأسهِ واعلى عُنقهِ أغبر بين الغُبْرة ولون الذنب ابيض يقق ويكاد المنسر يكون ابيض . ويأوي البُلَحُ الى الحراج التي تجاور البحر او البُحيرات التي في شمالي الكرة الارضية . وفي الشتاء يكثر على سواحل اسكاترة وفرنسة . وخصمهُ اشهر من ان يُذكر » . اه - Bouillet.. *Dict. scient.* dernière édition. *Art.* Orfraie et Pygargue.

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزفال اليسوعي (تابع لما سبق ص ٥١٤ — ٥٢٢) (*

* فاتنا في تفسير الكتابة السادسة ذكر علَمٍ مؤنثٍ نبَّهنا عليهِ حضرة الاب تاتاي المحترم وهو « هَدْلا او هَدْله » الشائع عند مسلمي البقاع والمتاولة خاصَّة . وبين هذا العلَم والعلَم الوارد في الكتابة المذكورة مطابقة جليَّة تغنينا عن اطالة الكلام . ولحضرة الاب المذكور ملاحظات اخرى في اسماء الاعلام عند العامَّة وصورها الغريبة . فعساهُ ان ينشرها قريباً فيتحف بها العلماء الذين يبحثون عن اوزان الاسماء واشتقاق الاعلام وخواصّ معانيها

الكتابة العربية الثامنة

كنا قد وعدنا قراءنا الافاضل بنشر صورة الكتابة التي اشهرنا مضمونها سالفًا في عددٍ سابقٍ (٣: ص ٥١٩) ولهذا الاثر من حيث تاريخ تقلُّبات الخطوط العربيَّة اهميَّة لا تُنكر اكتفينا لبيانها بما قدمناهُ من الشروح في الموضع المذكور

واعلم ان الصورة المرسومة في ص٧٣٩ ليست مأخوذة عن طبع ورق كما كنَّا نأملهُ فان الحجر الاصلي لم يوجد الى هذه الغاية مع كل ما صُرف من الجهد في امر اكتشافهِ.

وقوع ظلّهِ من النوادر المبشّرة بامر غريب او غير مألوف من مثـل الاقبال وتحسُّن الأحوال. واما لانَّ معنى اللفظة: « المبارك او الملكي » فتفاءلوا بهِ وقالوا: ان من يحلّ عليهِ اسم هذا الطائر الملكي لا بُدَّ من ان يبلغ ذروة المعالي إِلَمْ يرقَ الى الملوكانيــة. واماً زعمهم انهُ محترق الريش وان الطائر الذي يقع عليهِ من ريشهِ شيء يحترق فهو لانَّ لونَ ريشهِ لونُ الشيء المحـترق فاستنتجوا ان من كان لونهُ لون المُحرَق فانَّهُ لم يكن كذلك الَّا لانَهُ قد أُحرق ثم بالغوا في الوهم او الايهام فتولَّد في فكرهم انَّهُ مُحرِق الريش ومُحرَقهُ. او ان العرب نقلوا هــذا الوهم عن اليونان كما اسلفنا ذكر ذلك في صدر هذه النبذة. وهو الاصح وان كانت سائر الآراء محتملة

ومن اسمائهِ الأَبغث وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف. والابغث هو الأَغبر او ما كان لونهُ لون الرماد المحرق brun sale, cendré والابغث غير البغاث الذي هو دون الرخم ويُشبههُ والبغاث بهذا المعنى مشهور الى يومنا هذا عند أَعراب البــادية في نواحي جبل حمرين في ولاية بغداد وهو بالفرنسية vautour arrian وبلسان العلم Vultur cinereus

ومن اسمائهِ: كاسر العظام وكذلك معنى اسمهِ الثــاني عند الفرس اي أُستُخوان وعند اللاتين اي ossifraga وعند اليونان اي ὀσσοκόπος وانَّما دُعي بهذا الاسم لانهُ من بعد ان يأكل لحم الحيوانات يُحلّق بالعظام في الجوّ ثمَّ يرمي بها على الصخر فتتكسَّر فينتقيهــا (اي يستخرج مخَّها) Apud dom Calmet.- Commentaires sur l'Ecriture Ste.- Lévit. XI, 13.- Traduct. Franc.

ومن اسمائهِ « المكلّفة » على ما ذكرهُ الدميري اذ قال في ترجمة العُقاب: « الفرخ الذي تُلقيهِ (العقاب) يعطف عليهِ طائر آخر يُسمَّى كاسر العظام ويُسمى المكلّفة فيربيــهِ ومن عادة هذا الطائر انهُ يزقّ كل فرخ ضائع » اه. قلتُ: ومنهُ اشتقاق اسمهِ بالمكلّفة ومعناهُ العقاب المكلَّفة. وهــذه اللفظة من المستدركات على اصحاب المعاجم وكذلك كاسر العظام

ومن اسمائهِ ايضاً الأَغثر. ونقول عن معنى هذا اللفظ وتسمية الطائر بهِ ما قلناهُ عن الأَبغث

وختاماً لذلك نستنتج من هــذه المقالة ان العرب كثيرًا ما يُسمّون الحيوان او

٤ً هُوَبْني يشهد ان لا اله الّا الله ٥ً وان محمد (كذا) عبده ورسوله صلَّا (كذا) ٦ الله عليهِ وسلَّمِ مات في شهر ٧ً رجب في سنة اربع وعشرين ٨ً وثلث مائة سنة (١ رَحِمَهُ الله و ٩ً رَضي عنهُ

الكتابة العربية الثامنة

فان قابلت بين هذا النص وقراءتنا الاولى وجدت دون ريب ان الفرق طفيف بل

١) هذا التكرار من سهو الناقش

ولذلك احببنا ان نقتطف النصّ التالي من الوكةٍ تكرَّم علينا بها الاب يعقوب الكبوشي الجزيل الاحترام فارسلها الينا من القُرّية (لبنان) بتاريخ ٩ حزيران المنصرم. وهذه الرسالة مفيدة لاظهار قلّة المتعاطين لدرس العاديات الشرقيّة في هذه الديار وغيرها فضلًا عن انها تغنينا عن تكلُّف وصف الاثر وتعيين خواصّه. قال المراسل الاديب:

حضرة الاب الجليل — انهُ من زمن طويل قد حظيتُ بكتابك وتأخير جوابي لحضرتك الى هذا اليوم ما هو الّا لاسباب اخصها واهمها عدم وجود الكتابة الاصلية في ديرنا هنا لان الحجر باقٍ في بيت خشبو. وقد تعبت كثيرًا لاحصل عليهِ وارسلهُ الى حضرتك لكن تعبي لم يأتِ بفائدة. والآن بعد ما تحقّقتُ خيبة امالي استكفيت بان ارسل اليك احدى النسختين اللتين نُقلتا تامًا من الرسم الاصلي بسعي احد آباء ديرنا وقد أُرسلت الثانية منذ عدة اشهر الى رومية تُحفظ هناك في معرض التحف خاصّة الاباء الفرنسيسكان. فهؤلاء قد طلبوا معنى هذه الكتابة الامر الذي أدهشني حيث لا بد من وجود علماء قديرين على تفسيرها خاصةً في بلدة شهيرة نظير رومية. فاخذتُ اسعى في ادراك معناها ولمّا لم استطع على قراءة السطر الثاني منها مع قسم من الثالث عرضتها على بعض الادباء ولم تزل تمرّ من يد الى اخرى الى ان وصلت الى حيث يجب ان تصل. فالان اذا كان مرادك ايها الاب الوقور تحريرها في مجلة المشرق فلا يوجد مانع من نحونا افعل ما تشاء وتريد. فقط يبين لي انهُ موافق جدًّا قبل مباشرة هذا العمل التملك على الحجر الاصلي الموجود في بيت خشبو . . . ثم اجيب ١ً بخصوص المكان: قد وجدنا الكتابة ضمن الدير (اي دير بيت خشبو) ولا نعلم عن اي قبر أُخذت و اذا كان هذا القبر قرب الدير ام خارجًا عنهُ. ٢ً ان هذه الكتابة محفورة على بلاط رخام وقياسها تراهُ على قطعة القماش المرسلة الى حضرتك (معظم طولها ٤٦ سنتيمترًا في عرض ٣٥ س) . . . واما سمكها فلا يتجاوز ٦ س. ولا يلزم ان أُعيد ما ذكرتُ اي ان هذه النسخة نُقلت عن الاصل بكل تدقيق ورسم الحروف هو عينهُ مطابق رسم الحجر ولا يوجد فرق الّا في كلمة « شهر [رجب] ». فالهاء التي في لفظة شهر هي مدورةً فقط على الحجر خالية من الخطّ المارّ في وسطها. . . وما بقي من الكتابة فهو صحيح...

فلمّا وصلنا هذا المكتوب الدالّ على عناية جزيلة وهمّة محمودة كتبنا حالًا الى احد اصدقائنا في غزير ملتمسين من لطفهِ التفتيش عن اصل الكتابة. لكن امالنا خابت ثانيةً فلم يبقَ من وسيلة سوى اشهار مضمونها عن النسختين المتقنتين اللتين بعث بهما حضرة الاب الكبوشي المحترم. فاليك قراءة الكتابة:

١ً بسم الله الرحمن ٢ً الرحيم هذا القبر لعبد (١ ٣ً القيم بن بركه (٢ بن محمد ابن

١) ان شككت في صحّة قراءة هذه الكلمة قابل صورتها بما يأتي منها في السطر الخامس ترى ان عدم ظهور الباء في النسخة لا يُلتفت اليهِ

٢) يزبك او يزيد او يزبكي الخ. وهنا ايضًا يجوز الافتراض ان النسخة اضافت حرفًا الى نهاية الكلمة او بالحري ان الذيل الذي كان ينتهي بهِ ذاك العلم لم يُحفظ بتمامهِ على الحجر

ا. ف. ديدو المعنونة *Essai sur la typographie* (ص ١) قال المؤلف الشهير: «ان جميع الذين تفرَّغوا للبحث عن زمن وضع فنّ الطباعة واصوله تعجَّبوا تعجبًا شديدًا من كون سلفائنا الاقدمين قد اخطأوا الهدف مع انَّ سهامهم كادت تصيبهُ فيعثر العلماء منهم على اكتشافٍ طالما نفتخر بهِ نحن المتأخرون». ثمَّ اردف كلامهُ بالنصوص اليونانيَّة التي تنبئ بكون قدماء اليونان قد اخترعوا في القرن الرابع قبل المسيح ذريعتين جميلتين للطبع الاولى استعمال بعض الطوابع الثابتة على مادَّة مبلّة والثانية استخدام حروف منفردة كحروف مطابعنا. ثم اورد الشهادات اللاتينيَّة التي تثبت ان الرومان كانوا يصوّرون حروفهم الابجديَّة على العاج وما اشبه ذلك فيقطعونها حرفًا حرفًا لتعليم اولادهم الصغار. وان الكاتب فَرُّون الطائر الصيت كان طبع على صُحُف كتابٍ لهُ في التواريخ صُوَر مشاهير الرجال وقد اخترع لبلوغ المرام واسطة مُستملحة توازي الطريقة الشائعة عند الصينيين منذ عهد عهيد (راجع المشرق ص ٧٨)

ومما يزيل كل شبهة في الامر الذي نحن بصددهِ ان الخزفيين من قدماء اليونان على اختلاف مواطنهم كانوا يستعملون حروفًا منفردةً لرسم اعلامهم واسمائهم على الاواني والبضائع التي كانوا يبيعونها. وهذا امر اكيد اثبتهُ العلامة الفريد دومون في تأليفهِ على الكتابات الفخَّاريَّة (١ فاتى عليهِ بالبيّنات الحسيَّة والادلَّة القاطعة التي تزيدنا عجبًا من تقصير سلفائنا عمَّا وصلت اليهِ صناعة الطباعة في القرون المتأخرة (٢

بيد انَّ لكل معلول علةً. فان الاقدمين مع كل ما بذلوا من الجهد وما ابدأوهُ من التفنن وحذق العقل لم يسعدهم الحظ على اكتشاف مادَّة معدنيَّة تكون صلبةً ومرنة معًا كمادة حروف مطابعنا. ولا على اختراع حبر دهنيّ يتجفَّف تمامًا. ولا على اصطناع ورق غير البرديّ الذي يتشقَّق بسهولة كليَّة وليس لهُ ادنى ليان. فسبحان الله الذي يعطي من يشاء وكما يشاء ومتى يشاء (ستأتي البقيَّة)

---

١) طالع Archives des Missions scientifiques, 2ᵉ série, 1871, VI : *Inscriptions céramiques de Grèce* وقابل Rev. arch. 1848 p. 120

٢) قد اخبرنا حضرة الاب تاتاي انهُ شاهد في جوار قرية فرزل التي موقعها في البقاع على منحدر جبل لبنان ان المتاولة ياخذون طينًا فيعجنونهُ ويصنعون منهُ قوالب حروف لبعض الطلاسم الشائعة عندهم. واضاف حضرتهُ الى ذلك ان الاحداث في قرى البقاع حيث يكثر تراب الفخَّار

الصين والمسألة الصينية

نظر تاريخيّ للاب لويس شيخو اليسوعي

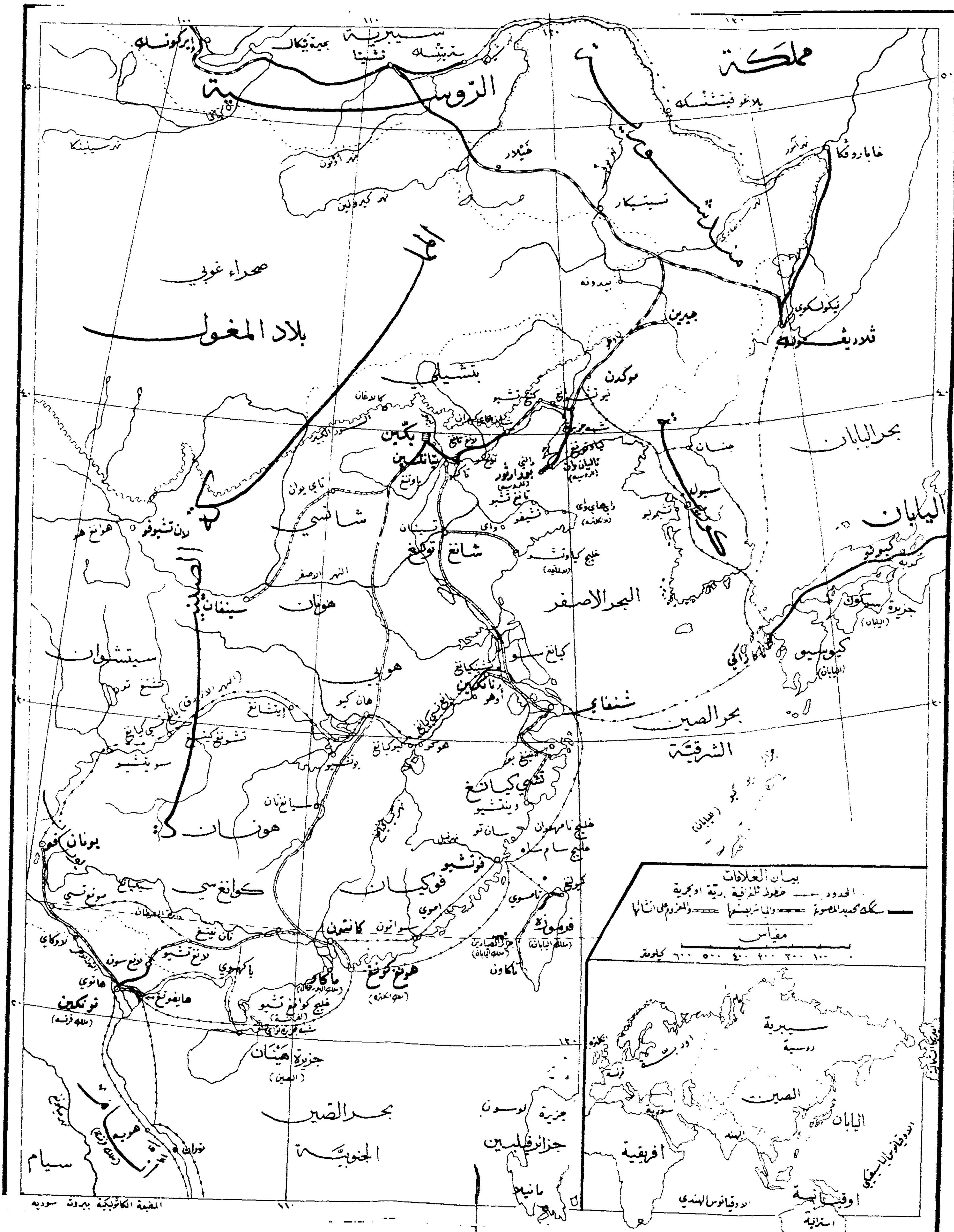
بينا كانت ابصار الدول شاخصة الى جنوبي افريقية والعالم كلهُ في انتظار ليرى كيف تنجلي هذه الحرب العوان القائمة على ساق منذ سنة بين أمّة عظيمة شديدة السطوة وشعبٍ صغيرٍ يؤثر الموت على فقد الحريّة اذ برقت بوارق الثورة من اقاصي الشرق ودوى هزيم رعد الفتن وصعقت صواعق الهيجاء فكادت هذه الخطوب تُنسي نزاع الاسد البريطاني والثور الترنسفالي. وايمُ الله انَّ هذه الحرب الجديدة اذا ما دارت رحاها بين «المملكة السماويّة» والدول الاوربيّة سوف تعرك النفوس عركًا وتُسيل الدماء سيولًا وتثقل وطأتها على بلاد واسعة وتنتشر ويلاتها بين أقوام لا يحصيهم العدّ. بل قل انَّ الحرب تقوم بين عالمين العالم القديم مع تمدّنهِ العادي واستمساكهِ بتقاليدهِ الجدّيّة وعوائدهِ الجبليَّة والعالم الحديث مع وسائلهِ العديدة واختراعاتهِ الجديدة وتفاخرهِ بسموّ المدارك وثباتهِ في تنفيذ المآرب وطمعهِ في كسر شوكة معاديهِ الذين يتعرَّضون لهُ في سبيل رغائبهِ. والله اعلم بما سيكون من امر الغالب او المغلوب. وبينما نحن نتوقَّع بفروغ الصبر ما يضمرهُ لنا المستقبل طالبين من ربّ السلام ان ينجّي عبادهُ من بلايا هذه الشرور العظام اردنا ان نوقف قرَّاءنا على شيء من أحوال الصين ليكونوا على بصيرة من امرها ويعرفوا كيف بلغت ما هي عليهِ اليوم من تفرُّق الكلمة وكثرة الشغب وماذا يُفهم «بالمسألة الصينيَّة» وهل للاجانب حقوق في تلك البلاد يمكنهم الدفاع عنها اذا ما انتهك الصينيُّون حرمتها مع لمعة من تاريخ النصرانيَّة في ممالك الصين

١ تعريف بلاد الصين

الصين او الچين اسم قديم مشتقّ من اسم احدى السلالات المالكة على الصين في القرن الخامس عشر قبل المسيح. فشاع اوَّلًا في بلاد الهند ثمَّ في سائر البلاد. امَّا

يصنعون مثل صنع المتاولة على سبيل اللعب والتسلية فيحفرون اسماءهم على الطين فاذا يبس الطين يطبعون ما كتبوا فيهِ على الورق وخرق النسيج وما شاكلها. وذلك كما لا يخفى دليل جديد واضح على انَّ الآراميين حتَّى الاولاد منهم مجبولون على حُبّ الكتابة وكل ما يؤول الى تخليد افكارهم واعمالهم

خارطة مواقع الحرب الصينية



المطبعة الكاثوليكية ببيروت سورية

في وجه اعدائها على امتداد نحو ثلاثة آلاف كيلومتر بعلوّ يبلغ تسعة امتار لتردّ من يناويها خاويًا منكوصًا

والصين تُقسم في عهدنا الى ثماني عشرة ولاية ستّ منها بحريّة والباقي منها بعيد عن البحر. واكبر الولايات البحريّة ولاية التشيلي التي حاضرتها شو نتيان وهي عاصمة الصين تُعرف عند الاوربيين باسمها القديم پكين اي القصر الشمالي بقرب نهر پيهو متّصلة بهِ بقناة واسعة وهي قسمان المدينة الداخلية من بناء التتار وفيها قصر الملك والمدينة الخارجية من بناء الصينيين يضمُّهما سورٌ واحدٌ مداره ٢٧ كيلومترًا. امّا اهلها فيبلغ اليوم عددهم نحو مليونين. وقدماء العرب عرفوا پيكين ووصفوها وهم يدعونها « خان بالق » او « خمبالو » ولپكين مدينة اخرى تُعدّ كمدخل لها ومرسى للسفن وهي مدينة تيان تسين من اكبر مُدن الصين التجاريّة يناهز سكّانها عدد المليون تبعد عن پكين نحو ١٠٠ كيلومتر

ومن الولايات البحريّة ولاية شانغ تُنغ عاصمتها تسينان فو على النهر الاصفر وقد جاء ذكرها مرارًا في جغرافيّي العرب وهم يدعونها خُمدان وهي مشهورة بحريرها

ومنها ولاية كيان سو التي حاضرتها نان كين من اكبر مدن الصين كانت سابقًا تخت الملك ومركزها في سهل واسع الارجاء كثير الخصب والريع وبقربها يجري نهر كيانغ ومن آثارها القديمة بُرجها ذي العشر طبقات كلهُ من الخزف الصيني الثمين. وفي هذه الولاية نفسها مدينة سو تشيوفو عدد اهلها كعدد اهل پكين وهي تدعى جنّة الصين لحسن تربتها وجودة هوائها. وفيها ايضًا مدينة اخرى معتبرة عند مصبّ النهر المذكور وهي شنغاي ذات التجارة الوافرة التي تربط عندها السفن الاوربيّة والاميركية يبلغ مجمل كمية معاملاتها السنويّة مليارًا من الفرنكات. ولشنغاي ارباض حلّ فيها الاوربيون وبنوا الابنية الفخيمة وهي اشبه بمدينة حديثة معلّقة بها

وفي هذه الولايات البحريّة ايضًا ولاية فوكيان وهي كثيرة الخيرات فيها الامصار الممصّرة والمراسي المعتبرة وامّهات المدن مثل فوتشيوفو وتشان تشيوفو اي المدينة السعيدة (اهلها الف الف) وهيامن المدعوّة ايضًا أموي. وقد ذكر العرب القدماء من هذه الولاية مدينة زيتون كانوا يتاجرون فيها والصينيون يدعونها تسوتُنغ. وجزيرة فرموزة الشهيرة تلحق بولاية فوكيان

الصينيُّون فانَّهم يدعون بلادهم غالباً باسم « تشونغ كوو » اي مملكة الوسط ايذاناً باعتقادهم انَّ صورة العالم على شبه دائرة مسطَّحة في وسطها الصين. وهو معتقد كثير من الاقدمين. وكان اليونان والرومان يعرفون الصين مع بعدها عن تخومهم ويدعون اهلها سيرًا (Seres). ومن اسمهم اشتقوا اسم الحرير فدعوهُ السيري (sericum)

وبلاد الصين من اوسع الممالك مساحة تبلغ سعتها نيفًا واحد عشر الفَ الف كيلومتر مربَّع اعني انَّها وحدها اكبر من اوربَّة جمعاء بنحو مليون كيلومتر وهي تمتدّ بين ١٧° و ٥٥° من العرض الشمالي وبين ٦٧° و ١٤٣° من الطول الشرقي يحدُّها شرقاً وجنوبًا الاوقيانوس الكبير ببحارهِ المتفرّعة منهُ وهي بحر يابان والبحر الاصفر وبحر كورية وبحر الصين وتحدُّها شمالًا بلاد سيبيرية وغربًا تركستان وغربًا وجنوبًا هندستان والهند الصينيَّة وكلُّ هذه الحدود مركَّبة من بحار زاخرة واطواد شامخة اقامتها الطبيعة بنفسها كحواجز تفرز الصين عن غيرها من البلدان. ويسكن هذه الاقطار السحيقة ما يناهز ثلث سكَّان العالم فانَّ الاحصاءات المدقَّقة التي بلغ اليها الجغرافيون تجعل عدد اهل الصين في الوقت الحاضر ٤٣٠,٠٠٠,٠٠٠ بل ازيد. وهو عدد يقرّرهُ المرسلون الذين بحثوا عن أَحوال تلك البلاد وتبيَّنوا امورهم بغاية ما امكنهم من التنقيب

هذا ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء على انَّ المملكة الصينيَّة اوسع حدودًا من نفس الصين فانَّها تحتوي فضلًا عن الصين بلاد منشوريا وكورية والمغول والتركستان الصيني والتُبَّت والبوتان لانَّ حكم ملوك الصين كان يمتدّ اليها حتى زماننا. على انَّنا نجتزئ في نبذتنا هذه بالكلام عن الصين وحدها دون هذه الملحقات التي كثيرًا ما يُطلق ايضًا عليها اسم الصين اتساعاً

فان قصرنا النظر على الصين بالحَصر المذكور وجدنا انَّ هذه الدولة تباري اقدم الدول عهدًا واعظمها سؤددًا واجمعها لضروب المفاخر واصناف المكارم وهي اليوم كما كانت قبل ثلاثة آلاف سنة تحافظ على استقلالها وسنن اجدادها وسعة تخومها وامتداد سطوتها بما لا مزيد عليهِ من الحرص يشهد على ذلك بقايا سورها العظيم الذي اقامتهُ

(١) بل كان للصين سيطرة في القرون الخالية على بلاد عديدة كاليابان والتنكين والاتّام وسيّام وكانت هذه الاقطار تحيط بها احاطة الدارة بالهلال ولعلّها دعيت ايضاً لذلك « بمملكة الوسط » لتوسّطها بين هذه الممالك وسيادتها عليها

الصفراء لصفرة ابنائها ومن سماتهم المفرزة لهم عن السلالتين الأُخريين وهما البيضاء والسوداء ان وجوههم عريضة مسطَّحة ووجناتهم شاخصة وعيونهم مستطيلة ضيّقة ترتفع الى جهة اصداغهم وفي انوفهم فطَسٌ في اعلى قصبتها ولهم شفاه ناتئة في غلظ وشعرٌ سَبطٌ اسود جافٍ ورؤوس مخروطة الشكل. ولونهم اصفر يضرب الى السُّمرة. امَّا اخلاقهم فيغلب عليها اللين والدماثة والرِّقة والصيني لا يحبّ القتال ومعمعة الحروب وفي طبعهِ جبنٌ وفشل. وهو مع ذلك كثير الحيل والخداع شديد الطمع في المال معاقرٌ للمسكرات مغرمٌ باعمالهِ وتاريخ اسلافهِ يرى نفسهُ فوق من سواهُ ولا يعتبر الَّا ما صنعهُ بيدهِ

والعائلة الصينيَّة ذات أُلفة وارتباط يكرم الصغار والديهم ويحسن الوالدون الى اولادهم: ومع هذا ترى كثيرين منهم لقلَّة ذات يدهم يعرضون اطفالهم على المزابل تأكلها الكلاب والخنازير او يبيعونهم بابخس الاثمان والمرسلون الكاثوليكيون ينجُّون منهم في كلّ سنة نحو خمسين الفًا يعطفون عليهم ويربُّونهم تربيةً صالحة

والمرأة في الصين مهذَّبة مكرَّمة شريفة الطباع تخرج من دارها غير محجوبة ليس على رأسها رداء يسترهُ وانَّما تجعل شعرها جمة تضفرها في قمَّة رأسها وتزينهُ بالزهور الصناعيَّة. ويستحبّ الصينيون في نسائهم السمن وضخامة الجسم وصغر الاقدام يضغطونها ضغطًا متواليًا في قوالب حرجة تكفُّها عن النموّ

ومن آفات العائلة الصينية كثرة الازواج ترّخص بها السُّنن المليَّة الَّا انَّها بين الاعيان والوجوه اشيع منها بين جمهور الشعب

واهل الصين اربع طبقات الاشراف وهم ارباب القلم والسيف ثمَّ اصحاب الاملاك وهم ارباب الفلاحة ثمَّ اهل الصناعة ثمَّ التجار ولكل هذه الطبقات عادات مشهورة واطوار شائعة وسُنن ورثوها عن اجدادهم لا ينتهكون حرمتها البتة

ومن عوائدهم انَّ الرجال يحلقون رؤوسهم الَّا ذؤابةً في وسطها كثيفة طويلة يرسلونها وراء ظهرهم. والاشراف منهم لا يقلّمون اظفارهم

والصينيون يلبسون الثياب الواسعة من القمصان والسراويل تُصنع من نسيج القطن او الحرير يتأنق فيها كبارهم. وعلى رؤوسهم قبعات تسترها والبسة اهل الصين تكون

وفيها ايضاً ولاية تشي كيانغ التي ورد اسم عاصمتها هانغ تشيوفو (فيها مليون من النفوس) في اسفار العرب وقد دعوها في رحلاتهم خنساء قال ابن بطوطة في رحلتهِ (٤ : ٢٨٤) : « واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة . . . وهذه المدينة اكبر مدينة رأيتها على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثةُ أيام يرحل المسافر فيها وينزل . . كلّ احد لهُ بستانهُ ودارهُ وهي منقسمة الى ست مدن »

وفيها اخيرًا في جنوبي الصين ولاية كوان تنغ قد اشتهرت من مدنها مدينة كانتون المدعوَّة ايضاً بلسانهم كوان تشيوفو وكان الاوربيون مدَّة اجيال عديدة لا يدخلون مدينة غيرها من الصين موقعها قرب مصبّ نهر تشيو كيانغ واهلها يربون على الف الفٍ وفي جنوبها جزيرة ماكاو التي بنى فيها البرتوغيون بلدة كبيرة دعوها باسم الجزيرة . ومن مُلحقات هذه الولاية جزيرة هَيْنان الغنيَّة بمعادنها الذهبيَّة واخشابها الكريمة

امَّا الولايات الداخليَّة البعيدة عن البحر فهي مع سعتها وكثرة اهلها وجودة صنائعها دون الولايات السابق ذكرها نكتفي بذكر بعضها كولاية شان سي التي فيها مدينة من اعظم مدن الصين تدعى سينغان فو وهذه الولاية سبقت بقيَّة ولايات الصين بتمدُّنها وعظمتها . وكولاية كيانغ سي حاضرتها كِنغ تي تشنهغ الشهيرة بخزفيَّاتها الصينيَّة (عدد اهلها مليون) . وولاية هونان الملقَّبة فردوس المملكة الصينيَّة . وغير ذلك من الولايات الكبيرة

والصين مع ولاياتها العديدة واتساع حدودها تُقسم من حيث ارفاقها الطبيعيَّة واختلاف هوائها الى ثلاث مناطق احداها المنطقة الشمالية يغلب عليها الجبال العالية ويشتدُّ فيها البرد لكنها كثيرة المعادن كالذهب والفضة والنوشادر والرصاص والحجارة الكريمة وفيها ايضاً ظبي المسك . والمنطقة الثانية هي المنطقة المعتدلة انحاؤها غزيرة الخيرات كثيرة الغلَّات تُزرع فيها انواع البذور لاسيا الارزّ وهو معظم قوت الصينيين . ومثلها المنطقة الجنوبية وفيها يكثر زرع الشاي الذي يجدي بلاد الصين ارباحاً فاحشة

٢ اهل الصين وعوائدهم

الصينيون كالاوربيين من ابناء يافث على الاصحّ وهم يدخلون في الشِعب المغولي لانَّ صفاتهِ في المغول اظهر منها في غيرهِ . وقد دُعي ايضاً هذا الشِعب بالسلالة

في مثلهِ من قابل ويجعلونهُ في تابوت ويخلّونهُ في منازلهم ويجعلون عليـهِ النورة فتمصّ ماءهُ ويبقى. والملوك يُجعلون في الصبر والكافور. ويبكون على موتاهم ثلاث سنين ومن لم يبكِ ضُرب بالخشب كذلك النساء والرجال.. ويدفنون في ضريح كضريح العرب. ولا يقطعون عن ميتهم الطعام ويزعمون انَهُ يأْكل ويشرب... ولا يزالون في البكاء والإِطعام ما بقي الميت في منزلهم فيفتقرون على موتاهم فلا يبقى لهم نفقة ولا صيغة الّا انفقوها عليهم وقد كانوا قبـل هذا يدفنون الملك وما ملك من آلة بيتهِ من ثياب ومناطق.. وقد تركوا ذلك الآن وذلك انَهُ نُبش بعض موتاهم وأُخذ ما كان معهُ

« والفقير والغني من اهل الصين والصغير والكبير يتعلم الخط والكتابة. (ص٤٧) وفي كلّ مدينة كتَّاب ومعلّم يعلّم الفقراء واولادهم من بيت المال يأكلون

«واسم ملوكهم على قدر الجاه وكبر المدائن.. امّا الملك الاكبر فلا يُرى الّا في كلّ عشرة اشهر يقول: «اذا رآني الناس يستخفُّون بي والرئاسات لا تقوم الّا بالتجبُّر». واذا غلا السعر اخرج السلطان من خزائنهِ الطعام فباعهُ بارخص من سعر السوق فلا يبقى عندهم غلاء. والذي يدخل بيت المال انّما هو الجزية التي على رؤوسهم واظنُّ ان الذي يدخل بيت مال « خانفو » في كلّ يوم خمسون الف دينار على انّهـا ليست باعظم مدائنهم. ويختصّ الملك من المعادن بالملح وحشيشٍ يشربونهُ بالماء الحارّ ويباع منـهُ في كلّ مدينة بمالٍ عظيمٍ ويقال لهُ الساخ (يريد الشاي) وهو اكثر ورقاً من الرطبـة واطيب قليلًا وفيهِ مرارة فيُغلى الماء ويُذرّ عليهِ فهو ينفعهم من كلّ شيء

« وفي كل مدينة شيء يُدعى الدرا وهو جرس على رأس ملك تلك المدينة مربوط بخيط مارّ على ظهر الطريق للعامّة كافـةً وبين الملك وبينهُ نحو من فرسخ فاذا حُرّك الخيط الممدود ادنى حركة تحرَّك الجرس فمن كان لهُ ظلامة حرَّك هـذا الخيط فيتحرَّك الجرس منهُ على رأس الملك فيؤذن لهُ بالدخول حتى يُنهي حالهُ بنفسهِ ويشرح ظلامتهُ وجميع البلاد فيها ذلك

« (ص٥٢) واهل الصين اهل ملاهي.. واذا ارادوا التزويج تهاناُوا بينهم ثمَّ تهادَوا ثمَّ يشهرون التزويج بالصنوج والطبول وهديتهم من المال على قـدر الامكان.. ويتزوَّج الرجل من الصين ما شاء من النساء.. (ص ٥٤) وهم يعبدون الاصنام ويصلّون لهـا ويتضرَّعون اليها ولهم كتب دين.. (ص ٥٧) وليس لاهل الصين علم وانّمـا ديانتهم

زرقًا او بنفسجيّـة او سودًا للرجال وخضرًا او ورديّة للنساء. امّا اللون الاصفر فهو مختصّ بالامبراطور واسرتهِ

وقد وجدنا في كتاب « سلسلة التواريخ » لبعض سيّاح العرب في القرن العاشر للمسيح يدعى سليمان التاجر وصفًا لاهل الصين وعوائدهم احببنا ان نقتطف منهُ طرفةً لندرة هذا الكتاب في بلادنا ولمطابقة وصفهِ لكثيرٍ من احوال الصينيين في ايامنا بعد مضيّ نحو الف سنة على كتابتهِ قال (ص٢٤ ,ed. Reinaud, II):

« وطعام الصينيين الارزّ وربّما طبخوا معهُ الكوشان (صنف من الادم) فصبّوهُ على الارزّ فاكلوهُ فامّا الملوك منهم فيأكلون خبز الحنطة واللحم من سائر الحيوان ومن الخنازير وغيرها وشرابهم النبيذ المعمول من الارزّ وليس في بلادهم خمر ولا يعرفونها ولا يشربونها ويُعمل من الارزّ الخلّ والنبيذ والناطف وما اشبه ذلك. ويأكلون الميتة وما اشبهها.. ونساؤهم يكشفنَ رؤوسهنّ ويجعلن فيها الامشاط فربّما كان في رأس المرأة عشرون مشطًا من العاج وغير ذلك والرجال يغطّون رؤوسهم بشيءٍ يشبه القلانس... (ص ٣١) واهل الصين يتّخذون من قرون الكركدّن المناطق تبلغ المنطقة الفي دينار واكثر...

« (ص٣٣) ويُقال ان لملك الصين من امّهات المدائن اكثر من مائتي مدينة ولكل مدينة ملك وخصيّ وتحت كل مدينة مدائن. وانّما تُسمَّى مدينةً اذا كان لها الجادم والجادم مثل البوق يُنفخ فيهِ وهو طويل.. طولهُ ثلاثة او اربعة اذرع ورأسهُ دقيق بقدر ما يلتقمهُ الرجل ويذهب صوتهُ نحوًا من ميل ولكل مدينة اربعة ابواب على كلّ باب منها من الجادم خمسة تُنفخ في اوقات معلومة من الليل والنهار وعلى كل مدينة عشرة طبول تُضرب معهُ وانّما يُفعل ذلك لتُعلم طاعتهم للملك وبهِ يعرفون اوقات الليل والنهار ولهم علامات ووزن للساعات. ومعاملاتهم بالفلوس وخزائنهم كخزائن الملوك وليس لاحدٍ من الملوك فلوس سواهم وهي عين البلاد. ولهم الذهب والفضّة واللؤلؤ والديباج والحرير وكل ذلك كثير عندهم غير انّ ذلك متاعٌ والفلوس عينٌ.. والفكّوج عندهم الف فلس.. ولهم الغَضار (وهو طين الخزف) الجيّد يُعمل منهُ اقداح في رقّة القوارير يُرى ضوء الماء فيها وهو من غضار

« (ص ٣٦) واذا مات الرجل من اهل الصين لم يُدفن الّا في اليوم الذي مات

استطعنا . والحق يقال انَّ سكوتنا لم يكن عن عجز بل عن تأدُّب . لكن اليوم قد عاد المؤلف فسلقنا بأَلسنة حداد ونادى على رأس الملإ بقصورنا « وتطفُّلنا على مائدة العلوم » التي جاس هو عليها ضيفاً كريمًا . فلم يترك لنا بعد هذا القذف مناصاً من تلبية دعوتهِ . وعليهِ اتينا لهُ ببعض ملاحظات على النصف الاول من تصنيفهِ ولئلَّا يحصل من جراء هذا الانتقاد سأَم للقراء يحرمهم الفائدة المبتغاة منهُ فنوردهُ على ترتيب معلوم

١ قِدَم سورية . قال الكاتب النحرير (ص ٤) عن برّ الشام: « وهذا البلد اقدم بلاد العالم » — (قلنا) امَّا ان جناب المؤلف يريد برّ الشام من حيث تركيبهِ الجيولوجي وهذا لا معنى لهُ لانَّ كلّ البلاد يمكنها ان تدَّعي هذا القدم وامَّا من حيث تاريخهِ وهذا ليس بصواب لانَّ الآثار التاريخيَّة المصريَّة والبابليَّة قد سبقت بزمن مديد الآثار الشاميَّة . كيف لا ولدينا كتابات مسماريَّة وهيروغليفيَّة بل هياكل وابنية يرتقي عهدها الى الفي سنة قبل ظهور الفينيقيين

٢ جبال سورية . لجناب فضل الله افندي ابي حلقة اغلاط كثيرة في هذا الباب . فانهُ دعا مثلًا (ص ٩) باسم « آسوس » جبل كاسيوس او قاسيوس(١ . ثمَّ افرط في تعيين علوهِ فجعلهُ ٥٥٠٠ قدم بعلوّ جبل امانوس (ص٨) مع ان لا احد يجهل انَّ جبال امانوس اعلى من جبل كاسيوس بكثير — ومن اغلاطهِ (ص١٠) انهُ ذكر جبل ريحا وجبل زين العابدين وجبل العلا (والصواب الجبل الاعلى) فأَلحقها بجبال النصيريَّة مع انّ وادي العاصي يفصل بين هذه وتلك — ومنها انَّهُ جعل (ص ١١) علوّ جبل بلودان ٣٦٤٠ قدماً مع انهُ لا يتجاوز ١٤٠٠ متر — وفي هذه الصفحة ذاتها قد شحن بالاغلاط ما كتبهُ عن جبل حرمون ولو ذكرناها فردًا فردًا لطال بنا الكلام

ثم نسأَل جناب الكاتب في ايّ آية من الانجيل الشريف وجد ان المسيح تجلَّى على جبل ثابور (ص ١٦) . لا نقول ذلك لاننا ننكر التقليد الكنسي بهذا الخصوص كما نكرهُ بعض المحدثين ولكن أيصحُّ ان ننسب الى الانجيل ما لم يَقُلْهُ ؟ وهذا دليل كافٍ على انّ اصحاب المحبة الذين يكثرون المباحثات الدينيَّة كثيرًا ما يخبطون فيها خبط العشواء هداهم الله

ليس بحر الميت كما زعم الكاتب البارع (ص ٣٠) « اوطأ من البحر المتوسّط

١) قابل هذا الاسم بجبل قاسيون قرب دمشق ومن المحتمل انهُ دُعي بذلك لهيكل كان يعلوهُ بُني اكرامًا للاله المشتري (Jupiter Casius)

من الهند وهم يزعمون ان الهند وضعوا لهم البـددة (Bouddhisme) وانهم هم اهل الدين وفي كلا البلدين يرجعون الى التناسخ ويختلفون في فروع دينهم. والطب والفلسفة بالهند ولاهل الصين ايضاً طبّ واكثر طبهم الكيّ ولهم علم بالنجوم وذاك بالهنـد اكثر...

« (ص٣٥) ودوابهم كثيرة وليس لهم خيل عربية بل غيرها ولهم حمير وابل كثيرة ولها سنامان.. (ص ٥٧) وليس للصين فِيلة ولا يتركونها في بلادهم تشاؤماً بها

«(ص٥٨) وبلاد الصين انزهُ من بلاد الهند واحسن واهلها في كل موضع لهم مدينة محصنة عظيمة وبلادها اصحّ واقلّ امراضاً واطيب هواءً لا يَكاد يُرى بهـا اعمى ولا اعور ولا من بهِ عاهة وهذا كثير في بلاد الهند. وانهار البلدين جميعاً عظام فيهما ما هو اعظم من انهارنا والامطار بالبلدين جميعاً كثيرة.. واهل الصين اجمل من اهل الهنـد واشبه بالعرب في اللبـاس والدوابّ وهم في هيئتهم وفي مواكبهم شبيه بالعرب يلبسون الاقبية والمناطق.. (ص ٥٤) واكثر اهل الصين لا لحى لهم خلقةً

« (ص ٧٥) واهل الصين من احذق خلق الله كفًا بنقش وصناعة وكلّ عمل لا يقدمهم فيهِ احد من سائر الامم. والرجل منهم يصنع بيدهِ ما يقدّر انَّ غيره يعجز عنهُ فيقصد بهِ باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتـدع فيأمر الملك بنصبهِ على بابهِ من وقتهِ ذلك الى سنة فان لم يُخرج احد فيهِ عيباً جازاهُ وأَدخلهُ في جمـلة صنَّاعهِ وان خرج فيهِ عيب اطَّرحهُ ولم يُجازهِ » (ستأتي البقيَّة)

جغرافية سوريّا وفلسطين

للاب هنري لامنس اليسوعي

انتقدنا في المشرق (٣: ٢٧٤) والانتقاد من سُنن الادباء كتاباً وسمهُ بهذا العنوان مؤلفهُ الاديب جناب فضل الله ابو حلقة مدير جريدة المحبة. فاثنينا على ما وجدنا في هـذا التأليف من الصفات الحسنة وألحقنا ثناءنا ببعض الملاحظات كان بودنا ان ينتفع بها صاحب الكتاب في تحسين عملهِ وكنَّا ضربنا صفحاً مع ذلك عن اغلاط عديدة. فظنّ جنـاب الكاتب انَّ قولنا هذا محض اختلاق واننَّا قاصرون عن وجود خلَل في كتابهِ (ولا غرو فان الانسان معجبٌ بعملهِ) فكرَّر علينا غير مرة بعنفٍ في مجلة المحبـة (نعم الاسم ونعم المسمَّى) ان نبيّن لهُ هذه الاغلاط ان

ص ٦٦٨ على جناب خير الله ظاهر) . امّا تسميتها بجيرون فخطأ وانّما جيرون باب من ابوابها . ونلحق بهذا الفصل اكتشافاً جغرافيًّا جديدًا وهو أثر رآهُ جناب المؤلف بمجرّد العين (ص ١٢٣) في حين كون المستشرقين لم ينظروهُ بالمجاهر وهي كتابة عجيبة على سور حماة فحواها « سور حماة بربّها محروس . وهذه الكتابة تقرأ على السواء مستوية كانت او مقلوبةً » . والصواب انّ لا سور لحماة منذ زمن مديد

٤ شتّى . ونختم هذه الملاحظات وليست هي الّا برضًا من عدّ ببعض ما وهم فيهِ المؤلف في ابوابٍ شتى . قد دعا جنابهُ (ص ٢٢) عرب الصليب « السليب » — وقد نسب (ص ٢٦) الى القديسة هيلانة بناءً هي براءٌ منهُ (راجع المشرق ٣ : ٢٨٩) — ومن عجيب مزاعمهِ قولهُ عن انطاكية (ص ٧٢) : « وكان يقيم فيها القياصرة الرومانيُّون اغلب الاحيان » ولم نكن نعلم حتى اليوم ان انطاكية كانت حاضرة لملوك الرومان — ومن اكتشافاتهِ عن سامية (ص ١٣٠) « انّ هذه القرية كانت من اعظم مدن العالم في ايّام اليونانيين » مع انّ العلماء حتى اليوم لم يتثبتوا اسمها القديم ولم يجدوا فيها من العاديّات ما يسبق عهد البوزنطيّين — ولو اردنا تفنيد زعم المؤلف (ص ١٤١) عن جرش وعن وادي موسى (ص ١٥٨) لأدّى بنا الى الاسهاب المملّ وفي ما سبق شاهد عن سعة علم صاحب جغرافية سوريّة وتطفُّلنا على مائدة العلوم

ليلة الاهوال

معرّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناضر

كان في سالف الايام في بلاد دوفينه في فرنسة امرأة ارملة قد مسّها الفقر وألّمت بها رزايا الدهر وكان لها ولد وحيد تكبّدت عرق القربة في سبيل تربيتهِ حتى اصبحت في حالة من العوز والتعب لم تتمالك معها على مواصلة الجهد في خطّتها الشاقة . فجعلت تجيل النظر وتمعن الفكر لعلّها تفتق حيلة بها تتوصّل الى سبب تصيب بهِ رزقاً فخطر لها حينئذٍ ان تبعث ولدها الذي لم يكن لهُ من العمر سوى سبع عشرة سنة الى رجل من معارف اسرتها حداد في مدينة ليون وهي واثقة ان ذلك الحداد لا يرد لها طلباً وان ابنها يتعلم عليهِ صناعة الحدادة فيستغني بها عن السؤال ويتخلّص من شباك الاهوال

بـ ١٣١٢ قدماً او على مقيـاس آخرين بـ ٢١٢ متراً » بل الصواب انَّ سطحهُ دون البحر المتوسّط بنحو ٤٠٠ متر . وكذلك هيهات ان « تعلو حمص عن سطح البحر ١٧٣٠ قدماً (ص ١٢٥)

٣ اسماء مدن سوريَّة القديمة . في كتاب « جغرافيَّة سوريَّة وفلسطين » من هــذا القبيل اغلاط لا تُحصى ولا بدع وصاحبها يجهل اللغات القديمة كاليونانيَّــة والسريانيَّة والعبرانيَّة . ولا نلومهُ على جهلهِ لهذه اللغات ولكن نأخذ عليهِ ان يشتقَّ منها الأَعلام وهو لا يعرفها ولعلَّهُ نسخ بعض الكتب الاربيَّة دون تروٍّ فمن ذلك قولهُ عن حلب (ص ٦١) ان « اسمها القديمة بروة وتسمَّى بالسريانيَّة باروًا ودعيت ايضاً بيريا » وجنابهُ لا يرى مع سعة علمهِ ان كل هذه الاسماء اسم واحد وهو اسم حلب باليونانيَّة — . وكذلك قولهُ عن حمص (ص ١٢٥) « ان اسمها القديم ايسا » كانهُ لا يرى ان ايسا هو اسم حمص كما يلفظهُ اليونان والرومان . كما يقول الفرنج « سلادين » بدلاً من صلاح الدين لعدم وجود حروف الحلق عندهم — ومنهــا قولهُ عن حماة (ص ١٢٢) انها « قد تناوبت عليها اسماء مختلفة » ذكر منها في الحاشية « قلعة . وحصن . وسميت اولاً حمث باسم بانيها تكوين ١٠: ١٨ » . وليس في كل ذلك شي من الصحة فضلاً عن ان سفر التكوين في المحل المذكور لم ينوّه باسم باني حماة البتة — واجمل من ذلك قول كاتبنا المحقق (ص ١٣٧) عن بصرى « ان الرومان دعوها نوفا ترايانا . . . وانَّها سنة ١٠٥ سُميت تراجان الجديدة » ولو كان لهُ المام باللغة اللاتينيَّــة لرأى ان تراجان الجديدة تعريب « نوفا ترايانا » . وقال جنابهُ « انَّها دعيت ترايانا اسكندرينا نسبة الى القيصر اسكندر ساويروس وسنــة ١٠٥ م سُميت تراجان الجديدة » وهو غلط فظيع كان امكنهُ ان يتجنبهُ بمراجعة اصغر تاريخ للرومان لان احداث المدارس نفسهم لا يجهلون ان ترايان سبق اسكندر ساويروس بمئة سنة — وكذلك ليس بصحيح ان القيصر اوغسطس الرومانيّ سمى بيروت كما زعم جناب المؤلف (ص ١٦٦) باسم « جوليا فيلكس على اسم ابنتهِ » والصواب انهُ دعاها جوليا باسم ابنتهِ وزاد على هذا الاسم لقب فيلكس اي السعيــدة دلالة على حسن موقع المدينة لأَنَّ فيلكس علمٌ للذكور لم يُطلق على النساء — ولا حاجة الى تنبيــه القرَّاء على ان دمشق لم تُدع قديمًا (كما ذهب الى ذلك جغرافيُّنا العــلاَّمة ص ١٠٠) باسم جلّق (راجع ردّنا في المشرق

القديسين موضوعة فيهِ بمثابة علامة يهتدي بها القارئ الى الصحيفة التي قطع عندها قراءتهُ . فاعتبر هذه العلامة من عنايات الله بهِ وعلّق عليها امرًا خطيرًا كأنَّ الله جعلها لاستلفات انظارهِ حتى يقرأ بامعان النظر الصحيفة التي هي فيها عساهُ يستفيد منها . فاخذ تلك الصورة وجعل يقلّبها بين اصابعهِ غير مبالٍ بها وقد استغرق في شجاهُ واغرورقت عيناهُ وما كانت حركاتهُ الّا عفوًا . وفي اثناء ذلك رمى بنظرهِ على بعض اسطر الكتاب واجالهُ فيها وهو لم يقرأ منها حرفًا لانهُ كان ينظر ولا يرى . لكنهُ لم يلبث في هذه الحالة طويلًا شأن الفتيان نظرائهِ بل انقشعت عنهُ غيوم الهواجس والهموم ونابت عنها في سماء السويداء بلجةٌ ظنها دواءً لدائهِ وفرجة في بلائهِ وما انتبه من خمولهِ هذا وملك عقلهُ الّا كانت عيناهُ محدقتين بهذه الكلمات من كتاب الاقتداء وهي : « يا بنيَّ دعني افعل معك ما اشاء واريد فاني اعلم بما يوافقك »

فظنَّ الفتى ان الملائكة تهمس اليهِ بحديثها وسمع لها صدًى لذيذًا في قلبهِ فازاح عنهُ الاتراح وملأهُ من الافراح ونهض فقال للهاتف السرّي : اللهمَّ ان الحقَّ ما نطقت وها عبدك شاعر بالبلسم الذي وضعتهُ على جرحهِ وهو متكل على عنايتك يا ارحم الراحمين

ثم قال وقد ضمَّ الكتاب الى صدرهِ : ان امي قد اصابت باعطائي هذا الكتاب النفيس فلا غرو ان لي منهُ عوذةً تقيني من الرزايا وحرزًا يحرسني من البلايا وكنتُ كمختلّ الشعور اظنُّ نفسي منفردًا وحدي ولم ادرِ ان في جانبي جليسًا انيسًا ونديمًا حميمًا ورفيقًا صديقًا امّا الان فلم يروّعني السير غورًا ونجدًا

قال ثمَّ القى صرّتهُ على ظهرهِ وتتبَّع طريقهُ وقد دبَّ فيهِ نشاط جديد وثابت اليهِ همة كان القنوط قد هتك ستارها واخمد نارها ولاح لهُ ان يذهب الى اقرب المدن اليهِ وهي مدينة تبعد عن ليون نحو اربع عشرة مرحلة وان يستأجر منها احدى العربات المعدَّة لنقل الركّاب يطوف بها الحوذي تلك الناحية كأنها قافلة تلك الاصقاع وهي في الحقيقة كناية عن مركبة بلا لولب تجرّها الخيل فتقصف ظهر الراكب قصفًا وهي مكشوفة الجوانب ينفح فيها الريح نفحًا ولا تسع الّا اثني عشر راكبًا غير ان الحوذي يثقلها ببعض المشاة من ابناء السبيل ويوسع خيلها ضربًا حتى تنهب الارض نهبًا

وكان يوم فراقهما من اصعب الايام على قلبيهما فانَّ الفتى قام فتأبط صرَّةً فيها بعض الحوائج من جملتها كتاب « الاقتداء بالمسيح » استحلفتهُ امُّهُ ان يقرأ كل يوم صحيفة منهُ واخذ بعض قطع من النقود تيسَّرت لهُ وحمل ايضاً مؤونة اكثرت لهُ منها امّهُ احتياطاً لهُ واشفاقاً عليهِ وركب غابر السفر وسار متوكّلاً على رب البشر وقد شعر بألم الفراق حتى كاد لا يقوى على تكفكف دمعهِ المهراق ومسك نفسهِ عن التلفّت مدَّةً رغماً عن وصيَّة امهِ عند الوداع.غير انهُ وقف اخيرًا وظنَّ انَّهُ وصل الى حد لا يُؤاخذ معهُ بلفتةٍ حانت منهُ الى الوراء فلم يرَ عند الأُفق شيئاً ممَّا كان يظن بل وقع طرفهُ على بعض القرويين السائرين في الطريق اماَّ امُّهُ فقد توارت بالحجاب

ولمَّا تيقن انَّهُ شطَّ مزارهُ وبعد قرارهُ هاجت منهُ الاشجان واشتدَّ عليهِ الحنان ففاضت منهُ العبرات واطلق عنان الحسرات ولم يقدر ان يمسك نفسهُ عن ذلك لما طرأَ عليهِ من الافكار هنالك فاعياهُ مرّ الفراق وهالهُ بُعد التلاقي فانطرح على الحضيض وراح اسير الحزن والاكتئاب. فدار في خلدهِ ما مضى من زمن الصبا ومثَّلت لهُ ذاكرتهُ اَياماً كان فيها خلي البال من البلبال يمرح في حلل الافراح ويرتع في عيش رحراح. وارتاح ذهنهُ الى الذكرى بماضيهِ معتاضاً عمَّا صوَّر لهُ الفكر من احوال المستقبل واهوالهِ ومشاقهِ واكدارهِ. وكان يحسب نفسهُ في ليون ماشياً في زقاق مظلمٍ منتن يجرّ رجليهِ في الوحول ويقابل هذه الحالة الشنعاء بالرياض الغناء والمروج الخضراء الحافَّة بوطنهِ العزيز

وكان يتصوَّر نفسهُ متمثِّلاً امام ناظرٍ غليظٍ وهو ذو وجه أغبر اقتر عاملاً على ضرب المطرقة سحابة نهارهِ الامر الذي جعل قلبهُ يتفطَّر من الحزن والكدر ممَّا استوى عليهِ من الخوف الذي لم يشعر بهِ من قبل وتبدل ما كان يتوهَّمهُ قبيل ذلك الحين من حسن الحال في الاستقبال بسوء المآل وخيبة الآمال وصار كحاطب ليل لم يضيءْ فيهِ سوى الشرارات المتطايرات من كور الحدادة في ليون. وبعد ذلك زال برقع الصبا عن عينيهِ وتزحزح وانكشف لهُ الاستقبال بحقيقتهِ واتَّضح: وبقي على ذلك حيناً وهو خائف وَجِل ينتفض كما انتفض العصفور بلّلهُ القطر

ثمّ سكن جأشهُ بعد ان تنفَّس الصعداء مدةً ورجع الى نفسهِ منتبهاً فرأى بين يديهِ كتاباً حسن القالب مذهَّب الجوانب متقن الطبع جلدهُ الروسي مرسوم برسم مخصوص فعرفهُ انَّهُ كتاب الاقتداء. وكان في الكتاب صورة ملوَّنة تمثِّل احد الاولياء

تنشَّط وقام بعد ذلك يواصل السير الى المدينة المقصودة

وهي مدينة صغيرة في سفح اكمة وراءها سلسلة من الجبال متسعة الجوانب بنيت في الجيل المتوسّط حتى تكون بابا يلج الانسان منهُ الى تلك الاكمة التي تحيط بها اسوار عالية امَّا الدور فيها فلها وجهة عليا تلتصق بسقوفها وهي متراكمة على خط مستدير. فابتهج الفتى من هذا المنظر ابتهاجاً شديداً بيد انَّهُ رأى عند مدخلها مشهداً خلاف ما رأى قبيل ذلك فانَّهُ كشف على سهل واسع انبسط امامهُ لا يقف الطرف لهُ على آخر. فتبدل شعورهُ عندما نظر تلك المفازة الشجواء كأنها امُّ التنائف لا يتحرَّك فيها غصن ولا يسمع لها صوت ولا يرى فيها سوى قليل من البيوت التي يبعد بعضها عن بعض بعداً شاسعاً ولاح لهُ ان القرويين مشغولون في غابة على جانب ذلك الموضع تراءت لهُ اطرافها عن بعد. فجاء هذا المهمه القفر ضغثاً على إِبَالة واثَّر في ذهن الفتى تأْثيرًا اسوَد لهُ وجههُ وانكمش فؤادهُ

لكنهُ شدَّ عزيمتهُ وجمع قواهُ وجدّ بالسير لا يلوي على شيء حتى انتهى الى جَذر شجرةٍ مقتلعة مطروح على حافَّة الطريق. فرأى عن بعد رجلًا جالساً ينظر اليهِ وعليهِ ثوب خلق بالٍ ولهُ لحية مسترسلة لعب بها البياض غير انّ سمات وجههِ الساطعة ولونهُ الاشهب كانا يدلَّان على عزيمةٍ فيهِ يندر مثلها في امثالهِ من الكهول وكان متوكَّأهُ على عصاً اشبه بالعكاز وقد استلفتت انظارَ الفتى غضونُ جبينهِ الواسع وعيناهُ الرماديَّتان اللتان تقدحان شررًا فرآهُ لابساً قبعة مثلَّثة الزوايا كالجنود ملتفاً بلبدٍ مرقع وجميع ما تحتهُ من الاثواب على شاكلتهِ . امَّا ذلك الكهل فكانت تظهر فيهِ من تحت تلك الخرق نظافة تعوَّدها وهو في سلك الجنديَّة في عهد الشباب

فلمَّا تقدَّم الفتى اليهِ علم ان ذلك المسكين يمشي على ساق من خشب فاهتمَّ بامرهِ واخذتهُ شفقة عليهِ ومدَّ يدهُ الى جيبهِ ليعطيهُ قطعة من النقود فانَّهُ كان في قلبهِ عاطفة نحو الجنود الجرحى ورثها عن عمهِ وخالهِ اللذين كانا ضابطين في الجندية

ثمَّ اتخذ الاثنان من ذلك الجذر مقعدًا جلسا عليهِ وحينئذٍ رمى الفتى بفلس الى ذلك الفقير فظهرت على اسرَّتهِ علامة البشر وقال: « جاءت هذه الحسنة في محلها ما كان اشد احتياجي اليها لاشتري ما يلزمني من التبغ والشراب فان كيس تبغي فرغ وقرعة شرابي جفَّت فاصبحا افرغ من قلب امّ موسى حتى تذكرتُ ما قاسيتُ من العطش وانا

ولمّا كان عدد الركاب غير محصور رأى الفتى ان لا حاجة الى استئجار محلّ فيها قبل ان تأزف ساعة الرحيل وانّهُ ايّان حضر قبل السفر يجد فيها لهُ محلًا فانَّ الحوذي لا يحرّك قدمًا قبل ان يقبل عليها من الركاب عددًا يشغل جميع محلاتها. وهي كانت المركبة الوحيدة في تلك الايام التي تنقلّ الناس الى مدينة ليون وتصل اليها في مدة ثمان عشرة ساعة فقط. ولا عيب فيها سوى عجز يحمل الركاب على النزول تخفيفًا لحملها حتى تنهض بهِ وصَخَبٍ بينهم نسوة على ذراعيهنَّ اطفال لا ينفكّون عن البكاء والعويل

ورأى الفتى انّهُ ينبغي لهُ ان يعدل عن المهيع العامّ ويسير في اقرب طريق بين الخمائل والحدائق حتى يصل في الوقت المعيَّن. وكان للطريق التي اتخذها مزيّتان الاولى قرب المسافة فيها والثانية امتدادها على حافّة ساقية ماءٍ فيها من انواع الاسماك ما يدهش النظر تعوّدت الصبيان على المجيء اليها والصيد منها. فكان سير الفتى وسريان الماء متجهين جهةً واحدة كأن الماء ودَّ لو شارك الفتى بالابتعاد عن تلك الاراضي وما من احدٍ يقدر ان يشعر بشدَّة الوحشة التي تستولي على قلب امرئٍ فارق اوطانه ان لم يختبر ذلك بنفسهِ بحسب ما جاء من انّهُ:

لا يعلم الشوق الّا من يكابدهُ ولا الصبابة الّا من يعانيها

فكم من رجل رفيع القدر واسع الفكر شاقهُ ذكر منزلٍ وطلل فشكى وبكى وكم من معنًى طاف الخرابات والرسوم وهو يُصعد الزفرات وتساورهُ الهموم وكم رأينا من راحل عاد الى الديار وما مسَّ تربها حتى بادرها بالتحيَّة والسلام وهو يحنّ الى احجارها واشجارها وانهارها واوكارها. وهكذا كان الفتى ينظر نظرة الحزين الكئيب الى تلك الزهور التي ما كان يخالها الناظر الّا بساطًا من سندس تتدبّج بهِ ضفّتا الساقية ويراوحهُ النسيم فيضرب باذيالهِ سطح الماء وهو يسيل غير انّهُ لم يرَ شيئًا غريبًا في ذلك لانّهُ تعوَّد منذ نعومة اظفارهِ غشيان تلك الرياض وورود تلك الحياض. وكان يحسب انّهُ يطيل المقام في الديار طالما هو يتبع جريان ذيّاك الجدول الصافي وينتعش بذياك النسيم الشافي وقد علم انّهُ قطع الجسر الخشبيّ الاخير الذي كان يأتيهِ بعض المرات فيرمي امامهُ شباكهُ وحبائلهُ. وكان كلما قرب من المدينة زاد همهُ وغمّهُ ولم يرَ في ذلك امرًا ذا بالٍ وقد رأى من نفسهِ ضعفًا ما تعوّدهُ من ذي قبل فتبلّل جبينهُ بالعرق واصطكت رجلاهُ فعمد الى كيس الزاد الذي معهُ واخذ منهُ فاكل ثم استراح في ظل شجرة حتى

قال: قد اشوى سهمك واخطأ حكمك فان اختلاف الفصول لا يسبّب لي الاذى واني لو شئت ان اسكن في بعض الاماكن المأهولة لكان سعى في إسكاني ثمّة الف صاحب وصديق وان كان ليس عندي سعنة ولا معنة غير انّهُ ليس لي طاقة ان اقيّد نفسي بالازمنة والامكنة او أقسرها على بعض المآكل والمشارب دون بعض واني في حالتي التي انا عليها ليس لاحد عليَّ أمرٌ اذ جعلت نفسي وقفًا لعموم الناس. واراك تضحك ممّا تسمع فلا بأس لان الواقع هو كما بسطتُ لك وازيدك فيهِ اني احبّ السرى وتعجبني السماء وهي مقمرة وربَّ خُلقٍ فيَّ غير مطردٍ ومألوف ولكني راضٍ بنفسي ولا يحسد غدوّي امسي. ولي عند بعض القوم بعض المعروف فاني احبّ حسن الصنيع واصبح ذلك من دأبي. هذا وقد ظهرتَ لي الان ذا ادبٍ سليم النيّـة صافي السريرة فان كان لك حاجة في هذه الناحية قُلْ غير مكلّف فاني اقضيها لك في الحال بطيبة خاطر

فقال الفتى: ان جل ما اطلب اليك التفضُّل بهِ انما هو ان تفيدني عن المسافة التي تحول بيني وبين اقرب فندق اقدر ان اصل اليهِ فابيت فيهِ هذه الليلة فإِنهُ قد اعيـاني السير ولم يعد لي قدرة على مواصلتهِ

فبادرهُ ذلك الجنديّ وقال: لا تخف ايها الفتى ولم يبقَ عليك الآن الّا ان تقطع مسافة ساعتين فقط واعني بقولي ساعتين طويلتين تسير فيهما حثيثًا وتجدُّ جدّ الرجال العداة

فقال: أَصحيح ما تقول من انهُ لم يبقَ لي سوى سير ساعتين وانا ان صحَّ لي فراش انطرح عليهِ ابذل دونهُ نفسي. فقال الفقير: لو مارست يا صاحبي الحرب لكنت الآن غير ما انت عليهِ ولكن ما لي وهذا الحديث فلا علاقة لي بهِ والخروج عن الصدد في الكلام الى ذكر الجيش. والحرب ديدنٌ أَلِفهُ الجندي منذ القدم. نعم ايها الفتى ترى بعد ما تقطع نصف مرحلةٍ منزلاً حولهُ كثير من النبـات تقدران تبيت فيهِ وهو معروف في هذه الناحية بفندق البغّالين ولكن ليس لهذا الفندق سمعة طيّبة ولو استشرتني لاشرت عليك ان تواصل سيرك الى مدينة بوندور حيث تجدا اكلًا فاخرًا وفراشًا وثيرًا واني اراك شابًّا نشيطًا متعافيًا فجدَّ بالسير اليها

فنهض حينئذٍ الفتى وقال انني اشكرك على ما ابديتـه لي من المعروف وها اني الان شـارع بالذهاب الى حيث تدلني بحسب اشارتك واخاف ان اكون من الان متأخرًا قليلًا فان النهار في هذا الفصل قصير وقد ادركنا الليل فاستودعك الله يا صاح

في حرب مصر يوم جفَّت الآبار واشتدَّ الأُوار . ولكن لا شلَّت يمين الشبان الذين تأخذهم رأفة على مَن كانوا ولم يفتأوا ابطالًا . بارك الله فيك ايها الفتى وحفظ لك ساقيك من الاذى »

فقال الفتى وقد استراح بجلوسهِ على ذلك الجذر: هـل انخرطت في سلك الجنديَّة ايها الرجل

قال: خدمت فيها عشرين سنةً لم ادع بلادًا الَّا طفتها ولكنَّ ما اصبت بهِ من كسر ساقي في بلاد اسبانية الجأَني الى الاوبة الى فرنسة واقعدني عن الاقدام على الاسفار الطوال

قال: يصعب عليك اذن ان تسير . — قال: لا يخدعنك ظاهري فاني وان كان لي ساق من الخشب حزت قصب السبق ان تسابقنا معًا وجعلتك تتوب عن السباق بعدها وان كنت في شرخ الشباب. فانَّهُ لا يمرّ عليَّ اسبوع الَّا سرت اكثر من ثلاثين مرحلة وانا على ما تراني عليـهِ من الهمَّة والنشاط ومررت بتطوافي هذا بكثير من القرى ولا اسأل احدًا اكلًا ولا شربًا فان الله يتيح لي ذلك عفوًا واذا مسَّت الحاجة احيي الليل والنهار طاويًا الحشى على الطوى لا امضغ مضغةً ولا ابلع جرعةً فان هذه الحالة غير تلك التي كنت عليها وانا اسير في بلاد مراكش . وتعوَّدت أَلَّا اشتري زادي وان كنت في عوزٍ الى بعض الدراهم فهذا لا يكون الَّا لسدّ ما احتاجهُ من التبغ والشراب مع أني لست بسكّير — . قال: يعرفك اذن كل اهل هذه الناحية ؟

قال: كيف لا وانا اشهر من نار على علم

ويذكرني قومي اذا جدَّ جدهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

وانا جُهينة الاخبار ومسلّي الاولاد الصغار صانع السيوف الخشبيَّـة والالعاب الصبيانيَّـة ضابط الساعات وعارف الاوقات مروّح الافكار بتصاليح الاوتار ومزيل الاسقام بتوقيع الانغام وشافي الحيوان من اوبئة الزمان ورافئ القصص في الليالي ومطيّب خاطر الاهالي . فثق ايها الفتى اني اذا جعت اطرق اول باب عَنَّ لي وانا فيهِ اكرم ضيف عرا . لان افتقار القرويين اليَّ اشدّ من افتقـاري اليهم ولهم عندي مكانة وكرامة ولا تظنّ ان لا لبد عندي ولا سبد واني متروك من كلّ احد في هذه البلد

قال: اني لا ارى لك في مثل الطريق التي تسلكها كبير لذَّة فانك معرض للشدَّة والضرَّاء ولاسيما في فصل الشتاء

عترتهِ الكريمة اقام غرفةً في القدس الشريف جعلها دار علوم عمومية لكل من اراد المطالعة فيها بشرط ان لا يخرج منها كتاب حرصًا على المنفعة العامَّة. وقد وكل الاديب المذكور تدوين فهرست هذه المكتبة لجناب الهمام ابي الخير محمد افندي الحبَّال فاتمَّهُ بوقت قريب مع كثرة اشغالهِ ونشرهُ بالطبع. وقد اهدى جناب المؤلف نسخة من هذا البرنامج الى مكتبتنا الشرقيَّة فتصفَّحناهُ ووجدنا انهُ يحتوي نيفًا والف كتاب من كلّ اصناف العلوم قسمٌ منها مطبوع وقسمٌ مخطوط. وكلُّ من شاء نسخ كتاب ونشرهُ على ذمَّتهِ يُرخَّص لهُ بذلك. فنثني اطيب الثنــاء على صاحب هذا المشروع وعلى صاحب برنامج المكتبة الخالديَّة ونتمنى ان يقوم في كلّ مدن الشرق من يأتسي بهذا المثل المحمود تعزيزًا للعلم واعلاء لمنار الآداب

كتاب ردع الوقاحات البروتستانية

بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب ص ١٠٠

هو ردّ على كرَّاسة موقَّعــة باسم القس انطونيوس شرقي الحلبي نشرها في اميركة بعد جحودهِ الايمان الكاثوليكي وحاول ان يبيّن فيها « انَّ نور الانجيل المحض » قد لاح لهُ فتمذهب بمذهب لوتاروس واشياعهِ. ثمَّ ما اكتفى بذلك حتى قــذف الشتائم شأن امثالهِ على الكنيسة الكاثوليكيَّة وارباب الكهنوت لاسيما كهنة الشهباء الافاضل. فاستاء الحلبيون من هذه الاكاذيب وناب عنهم حضرة القس المفضال بطرس عزيز في الردّ على هذه الترَّهات وبيان فسادها وذلك بطريقة سهــلة وحجج دامغة تدكّ اساس الاصلاح الموهوم دكًّا ولا تدع شبهةً لكل طالب حقّ. جزى الله خيرًا كاتب هــذه الرسالة ومتَّع الشرق بعلمهِ زمنًا طويلًا

الخزانة

مجلَّة شهرية في السياسة والادب لصاحبها الاديب يوسف الخازن

تصفَّحنا العدد الاوَّل من هذه المجلَّة فاذا فيها بعد الافتتاح ثلاث مقالات سياسيَّة وادبيَّة حسنة هذه عناوينها: امالي سياسيَّة لاسكندر شاهين ثم طبقــات الرجال (رياض باشا) لصاحب الخزانة ثمَّ حديث اليوم ليوسف البستاني. وفي اثر ذلك بعض الشذرات. ولكن قد ساءنا جدًّا انَّ صاحب الخزانة المعروف بدينهِ وادبهِ رضي بتدوين

قال ثم انبرى يعدو حتى لانت ساقاه ولعب التنفس في صدره (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

I Manoscritti Arabi, Persiani, Siriaci e Turchi
DELLA BIBLIOTECA NAZIONALE DI TORINO
illustrati da C. Alfonso Nallino. Torino. 1900, pp 101

فهرست المخطوطات العربية والفارسية والسريانية والتركية في خزانة كتب تورينو الشرقية

كان الدكتور اغناطيوس غويدي الشهير باشر سابقًا بتدوين اسماء المخطوطات الشرقية المصونة في حواضر ايطالية فوصف منها قسمًا مهمًا ولم يكفّ عن العمل حتى حالت دون انجازهِ عوائق شتى. ومما لم يدوّنهُ الدكتور المذكور مخطوطات المكتبة الملكيَّة في تورينو فحسر الدكتور كرلس نلّينو عن ساعد الجد ليسد هذا الخلل فوصف هذه التآليف وصفًا وافيًا بتعريف اصحابها ومضامينها وزمن كتابتها وفوائدها المختلفة. وهذه المخطوطات عبارة عن ١٠٩ كتاب اغلبها عربية وفيها قليل من الكتب الفارسيَّة والتركيَّة. ثمَّ اضاف الى وصف هذه الكتبخانة اسماء ١٢ كتابًا آخر بالعربية والسريانيَّة في المكتب العلمي من المدينة ذاتها. فنحن نشكر لمؤلف هذا الفهرست اثرهُ هذا الجديد ونتمنَّى ان يتحفنا قريبًا بفهارس غيرها من المدن الايطاليَّة. وان سمح لنا المؤلف بابداء ملاحظة قلنا انَّهُ وهم (في الصفحة ٧) باسم صاحب كتاب « خلاص الخطأة » فنقل اسمهُ « يوسف باسم قسيس المصور » *Giuseppe Bâsim* sacerdote pittore والصواب ان اسم المؤلف « يوسف المصوّر » امَّا « بأسم قسيس » فهي كلمة يضيفها الكهنة الى اسمهم تواضعًا (indegno sacerdote)

برنامج المكتبة الخالدية العمومية

اسست في القدس الشريف سنة ١٣١٨ هجريَّة

انّ غرف القراءة تُجمع فيها انواع الكتب الدينيَّة والدنيويَّة لمن اشدّ الحاجات واهمّ الضروريات اللهمَّ اذا كانت هذه الغرف مشيَّدة لخدمة العلوم والوطن فقط لا للمجادلات الدينيَّة او ترويج الغايات الشخصيَّة كما فعل البعض في مدينتنا. وعليهِ فقد سرَّنا ان صاحب المكرمة الحاج راغب افندي الخالديّ الديري مع بعض وجهاء

على وجود برهان ثالث مبني على اثر قديم يرتقي الى القرن الرابع وهو الفسفيساء التي تزيّن القبّة التي تعلو الهيكل (abside) في كنيسة القديسة بودنسيانا الشهيدة في رومية . وفي هذه الفسيفساء صور كنائس القدس القديمة كما كانت في عهد القديسة هيلانة ومن جملتها كنيسة اليونا

اكتشافات جديدة في بابل — وُفّق المسيو دي سرزك العلامة الفرنسي الى اكتشاف عاديات جديدة في بابل ونواحيها . فمن ذلك عدد وافر من الكتابات الاشوريّة المطبوعة على الآجرّ . ومنها كتابة اخرى رُقمت على صفيحة ذهبية وهذا اول اثر من هذا الصنف وجد في تلك الاصقاع لان الكتابات البابليّة المعروفة الى عهدنا مكتوبة كلها على الآجرّ والبرونز ليس الّا

المقتطف وبنو اسرائيل — زعم المقتطف في عددهِ الاخير (آب ص ١٨٤) ان العلماء لم يجدوا دليلًا اثريًا على « خروج بني اسرائيل من مصر ولا لاستعبادهم فيها ولا لنزولهم اليها » فسنردّ على قولهِ هذا في عددٍ قادم

بطلان عثمانيّان — قرأنا رسالةً ارسلها من الترنسفال الى جريدة لبنان حضرة العالم قاضي زاده احمد طاهر ذكر فيها ما ابداهُ بطلان عثمانيّان من الشجاعة والبأس في حصار مفكين فاستوجبا لهما وللدولة العليّة التي هما من ابنائها الثناء العاطر . قال :

اتفق ان كان معنا في جملة المحصورين رجلان من ابناء جبل لبنان وهما الخواجا جبرائيل بشاره وابن اخيهِ سليم اسعد بشاره من بيت الدين فتقلد كل منهما السلاح ودخل ساحة الوغى وفي قلبهِ ما فيهِ من الشجاعة العربية التي لا ينكرها الّا كل مكابر ولله در لبنان ورجاله الابطال فقد بدا من جبرائيل بشاره الموما اليهِ من الشجاعة وقوة البأس ما حير عقول فحول الانكليز : فما مرّ عليهِ وهو في آن الكفاح اكثر من ثمانية ايام حتى اصبح برتبة جاويش وابن اخيهِ ارتقى في بضعة اشهر الى رتبة اونباشي

وقد وقعت الوقعة الاولى في اليوم الثاني اذ هجم الانكليز على قلعة البوير وهم متحصنون في القلعة باكياس مملوءة من التراب وكان الخواجا جبرائيل في جملة الهاجمين

الرواية الاخيرة المدعوَّة ضحيَّـــة الحبّ المعرَّبة بقلم نجيب افندي مشعلانيّ. فان هذه الرواية مبنيَّة على حادث كلُّهُ محض افتراء وكذب فضــلًا عن انهُ يمسّ احساسات الكاثوليك. امَّا نحن اليسوعيين فانَّنا نقيم الحجَّة على ما جاء في هذه الرواية من الزور والبهتان في حقّ احد آباء رهبانيتنا فانَّ كل ما ورد في هذه الحكاية عن الاب لويس دالياغا لا اساس لهُ بل لم نجد في تواريخ رهبانيتنا المطولة حتى اسم هذا الاب فضلًا عن ان اليسوعيين قد حُظر عليهم في قوانينهم ان يقبلوا رتبةً في ديوان التفتيش. وان قال صاحب الخزانة ان هذه روايةٌ والروايات يغلب عليهـــا التخيُّلات اجبنا انهُ عار على مصنّفي الروايات وناقليها ان يشنّعوا على الدين واصحابهِ لتفكيه القرَّاء وليس لهم في ذلك عذر البتَّـــة. وان جرت الخزانة على هذه الطريقة فما لنا الَّا ان نحظر الكاثوليك والادباء عن قراءتها ل ش

شَذَرَات

﴿ شكر واعتذار ﴾ ارسل الينا بعض الكهنة الافاضل والقراء الادباء تقاريظ نثريَّة وشعريَّة في مديح المشرق ومحرّري مقالاتهِ. فنشكر لاصحابهـــا مستميحين منهم عذرًا لعدم تدوينها لانَّ غاية ما نطلبهُ من عملنا مجد الله وخدمة الوطن لا ننتظر بدلًا منهُ جزاء آخر غير ثواب العبيد الامناء المتاجرين بوزنات سيدهم

﴿ كنيسة القديسة هيلانة الملكيَّة على جبل الزيتون ﴾ كان حضرة الاب العلامَة كراي (Cré) من الآباء البيض بيَّن بشواهد قديمــة انَّ القديسة هيلانة كانت بنت بقرب كنيسة الصعود على جبل الزيتون كنيسة اخرى ملكيَّة تدعى اليونا (Eleona) فوق المعبد الذي يُعرف اليوم بمعبد دستور الايمان (Credo). بيد ان كثيرًا من العلماء انكروا عليهِ ذلك. حتى انجلى الامر تمامًا في هذه السنين الاخيرة ومن جملة الشواهد الحديثة التي تؤيد قول الاب المذكور شهادة للقديسة سيلڤيا في رحلتهـــا الى الاراضي المقدسة في القرن الرابع. ومنها اكتشاف فُسَيفساء مادبا التي فيها حدود الاراضي المقدسة واسماء امكنتها المكرَّمة. وقد ســاعدهُ الحظّ في هذه السنة

حضرة الاب الفاضل مدير المشرق المنير

عثرت في العدد الثالث عشر من مجلتكم الزاهرة على اقتراح لمراسلٍ فاضل انكر فيهِ على الكتبة استعمال «آنسة وعقيلة» بمعنى «مدموازيل ومدام» ثم اقترح على علماء اللغة وضع مرادف لكلّ من «كَراف وجاط وكبَّاية وسوبيرا وطرَّاحة» ومعنًى يُؤَدى بهِ هذه العبارة في العربي الفصيح وهي: Bossuet est un homme de génie

فليسمح لي حضرتهُ ان اجيبهُ بما عنَّ لي فاقول:

لا ارى مانعًا من استعمال لفظتي آنسة وعقيلة بمعنى «مدموازيل ومدام» لانهما وردتا في قول الشعراء الاقدمين فضلًا عن المولدين كالبحتري وغيره. فان عنترة قد استعمل الآنسة بمعنى الابنة التي لم تتزوَّج في قولهِ بمعلَّقتهِ:

«دارٌ لآنسةٍ غضيضٍ طرفُها» البيت

واما العقيلة فقد وردت في شعرِ طرفة اذ قال:

فمرَّت كهاة ذات خيفٍ جُلالةٌ عقيلةُ شيخ كالوبيـل يلنددُ

واني على يقينٍ من ان علماء اللغة الاقدمـين لو جرى في ايامهم البحث عن هاتين اللفظتين «مدموازيل ومدام» لتروَّعوا من استعمالها بلفظهما ولهم في لغتهم ما يقيمونهُ مقامهمـا. وان قاعدة التعريب كان يجري عليها الاقدمون حينما لا يتسنَّى لهم وضع مرادف عربي بحتٍ بان يبدلوا بعض الحروف من بعضها او يزيدوا عليها او يؤَخروا فيها. ومن طالع كتب اللغة تيقَّن صحَّة القول فضلًا عن ان للُغة العربية اوزانًا لا يجوز العدول عنها الى غيرها. واما معنى: Bossuet est un homme de génie فيؤَدَّى بالعربيـة على نحو قولهم «بوسيت رجلٌ بارع» او «بوسيت داهية» ويضاف الى هذه اللفظة ما يوافق المقام فكما يقال زيدٌ داهية حربٍ وفي الحرب داهية يقال: بوسيت داهية وفي العلم داهية. وان هذا قريب من الصواب. واما ما يرادف تلك الكلمات الاجنبيَّة والعامّية فهو المِقْدح او المِذْنب «للكراف». والقصعة «للجاط». والجفنـة او الدسيعة «للسوبيرا». والكوب «للكبَّاية» والطرَّاحة ترادفها حُشيَّة تصغير حَشيّة وهي الفراش المحشو وقد وردت في معلَّقة عنترة في قولهِ:

وحُشيَّتي سَرجٌ على عبل الشوى نَهدٍ مراكلهُ نبيل المحزمِ

ويحسن ابقاؤُها على لفظها وذلك من باب تسمية المفعول باسم الفعـل الواقع

وقُتل من الانكليز ٥٤ لتعرضهم لنيران البارود من داخل القلعة اما جبرائيل فقُتل فرسه وهو هاجم على القلعة ولبث هاجماً حتى ادرك القلعة. واول كيس اخرجهُ منها اخرجهُ وابنُ اخيهِ يحمي نفسه ويحميه باطلاق الرصاص من غدارته الى داخل القلعة. وقد فعل الانكليز كذلك فاخرجوا الاكياس وفتحوا بابين من القلعة ووثب جبرائيل فدخل القلعة من باب منهما والبوير يقولون عن جبرائيل « انهُ عفريت من عفاريت جهنم ». ولا تسل عن الفرح الذي حصل عند رجوع القوم غانمين ثلاثة مدافع وثلاثة وعشرين صندوقاً من الذخائر وكان جبرائيل قد غنم ترسين من الزنجيين فجعل يتثاقف بهما مع ابن اخيهِ والانكليز يعجبون بهما وبشجاعة ابناء العرب وحذقهم في ضرب الحسام

ولما دخل القوم البلدة والناس في هياج شديد من شدة الفرح صافح الجنرال الضابطَ « فس كلارن » ثم التفت الى الخواجا جبرائيل وابن اخيهِ سليم وصافحهما وشكر بسالتهما فكان لهما عنده منزلة محفوظة حتى الآن

بعدئذٍ اشتدَّ الحصر علينا حتى اكلت الناس الخيل والبغال والحمير والزنجيون اكلوا الكلاب فلما تحقق عند البوير ضعف الانكليز من شدة الجوع هجموا ليلاً

وقتل في تلك الوقعة فرس الخواجا سليم وكان قتل الركيبة سبباً في سلامة الراكب لانهُ لم تكد الركيبة تخرّ الى الارض حتى جازت من فوقها قذيفة من قذائف المدافع

وقد نال الخواجا جبرائيل وابن اخيهِ جائزة من الجنرال عن ذلك اليوم ١٥ ليرة انكليزية لكل منهما في جملة من نال الجوائز من الانكليز وذلك بعد ان تناولا العشاء عنده وما مر على ذلك اكثر من يومين حتى جاءنا المدد من كمبرلي فشتت شمل البوير »

اصلاح اللغة

قد تأخَّرنا في الجواب على ما عرضهُ علينا احد مراسلينا الافاضل بخصوص تعريب بعض المفردات الغريبة والتراكيب الاعجميَّة فسأَل ما هي الطريقة المثلى في استعمال مثل هذه الالفاظ ان تبقى على صورتها الاعجميَّة مع حُسْن دلالتها او ان يُلتجأ في تخريجها الى الفاظ مرادفة لها رغمًا عن غرابتها وصعوبة استعمالها. فكان اوَّل من اجاب الى دعوة حضرتهِ جناب الشابّ الاديب المعلم يوسف افندي الفاخوري نعرض هنا رسالتهُ دون ان نبدي في قولهِ رأينا :

تعليل بعض الطقوس الكنسيَّة

ج نجيب على (الاول) ان الكنيسة اللاتينيَّـــة اجمالاً فرضت على كهنتها التقديس اليومي بصوت منخفض لان ذلك باعث لتقوى المؤمنين وعبـادتهم . ولخفض الصوت في الكلام الجوهرى عنـد اللاتين داعٍ آخر وهو صيانة اسرار الكنيسة من الابتذال . قيل ان البابا اينوكنت الثالث في القرن الثالث عشر امر بذلك لان بعض الجهَّال كانوا يجاهرون بهذا الكلام السريّ الشريف في الشوارع والازقَّة . امَّا الكنائس الشرقيَّة فبقيت على عادتها القديمة وكهنتها يعلون صوتهم عند لفظ الكلام الجوهريّ ليؤمّن الشعب عليهِ — نجيب على (الثاني) ان السـائل وهمَ بقولهِ ان الكاهن اللاتينيّ يكسر الجوهرة بالصينية على الاندغيسيّ (palle) والصواب انهُ يصنع فقط على الجوهرة علامةً بالصينيـة ليسهل كسرها بيديهِ في الوقت المعيّن — نجيب على (الثالث) ان الكاهن اللاتيني يصنع ذلك دفعةً واحدة لسببين : الاوَّل لانهُ لا يناول المؤمنين من هذا الجسد او الدم الذي بيدهِ كما يفعل الكاهن الشرقيّ وللغربيين احقاق خصوصيَّة يحفظون فيها القربان للمؤمنين . والثاني لانَّ الكهنة اللاتينيين يباركون بالقربان خارجاً عن القدَّاس برتبة معـلومة تدعى الزيَّاح . امَّا الشرقيُّون فانَّهم يبقون قسماً من الجسد والدم ليباركوا بهِ الشعب في آخر القداس ل . ش

اصلاح بعض اغلاط طبعية : ص ٥٥١ س ١٤ « استُدعي » والصواب « استدعى » = ص ٥٥٣ س ١٠ « كرونس » والصواب « كروس » = ص ٥٩٥ س ٦ « اظافرهُ » والصواب « اظافيرهُ » = ص ٥٩٦ س ١٤ « هذه الدعاء » والصواب « هذا الدعاء » = وفيهما « زندهُ » والصواب زندهِ = ص ٥٩٧ س ٢٢ « الى السرعة » والصواب « الى السرقة » = ص ٦٣٨ س ٦ « سنة ١٨٦٢ » والصواب « ١٨٥٢ » = ص ٦٣٩ س ٢ « البطريرك بولس مسعد » والصواب « يوسف الخازن » = وفيها س ١٩ « مرَّةً » والصواب « مدةً » = ص ٦٤٠ س ٤ « لادريار » والصواب « ديبار » = ص ٦٤١ س ٢٢ « فسرًّا » والصواب « فسرُّوا » = ص ٦٤٢ س ١٠ « رفض » والصواب « قبل » = ص ٦٤٤ س ١٧ « مزادنة » والصواب « مزدانة » = وفيهما س ١٨ « محدود » والصواب ممدود = ص ٦٤٦ س ٧ « حبيب » والصواب « نجيب » = وفيها س ٢٢ « عيناتي » والصواب « عيشاءي » = ص ٦٤٧ س ١٢ « عبـد الله » والصواب « عبد الاحد » . امَّا صاحبا السعادة الامير امين ارسلان وسليم بك عمُّون المذكوران بين تلامذة مدرسة عين طورة فقد ذُكرا سهواً فانهما لم يتلقيَّا العـلوم فيها . = ص ٧١٨ س ٢٤ « اقامة الطقوس » والصواب ان يزاد « بالسريانيَّة » = ٧٥٢ س ٨ « اسمها القديمة » والصواب « اسمها القديم »

عليهِ وان صيغة فعَّالة للمبالغة كعلاَّمة وسُمّيت بذلك لكثرة طرحها وجلوس الناس عليها كما سُمّيت السجَّادة لكثرة السجود عليها — . هذا واني اخدم ابناء الوطن بمرادفاتٍ جليلة الفائدة وهي : المنام بمعنى « الدرتوار » والمِحفظ « للكارتابل » والمسطَّرة « للترانسباران » والمقلمة « للبلومو » plumeau . ذلك ما سنح لي من الخواطر بشأن هذه المرادفات فمن يتكرَّم علينا بما هو اقرب من الصواب كنَّا لهُ من الشاكرين وبما ان حضرة المقترح قد مهَّد السبيل للدخول في هذا البحث الجليل فلا بأس ان نقترح على حضرات اللغويين وضع مرادفٍ لكل من الالفاظ الآتية وهي :

كونسول . بيرو (bureau) . طَوان . سينمتوكراف كاتبه يوسف فاخوري

ثمَّ وردتنا رسالة ثانية من جناب الاديب عبد الكريم نوري احد تلامذة مدرسة الشرفة العامرة قال فيها : ان « كراف » وعاء للماء يقابلهُ لغةً سِقاء وقربة . ثم « كبَّاية » يقابلها لفظ الزجاجة والكوب والقدح وان كانت مملوءة فهي كأس . ثم « جاط » يقابلها لفظة القصعة والصحفة ج . صِحاف . ثم « طرَّاحة » يقابلها لفظ زربيَّة ج . زرابيّ . امَّا « سوبيرة » فلم القَ لها من كلمة تماثلها لغةً . وشرح الجملة الافرنسيَّة « ان بوسوي رجل المعي او لوذعي » واخص ذلك «نابغة »

وقد كتب لنا ايضًا حضرة الاب الفاضل الخوري فرنسيس الشمالي رسالة عرض فيها ترجمة العبارة الفرنسية بهذه الجملة « ان بوسيط لرجل نابغة » لانَّ لفظة نابغة تؤدي معنى génie اكثر من غيره

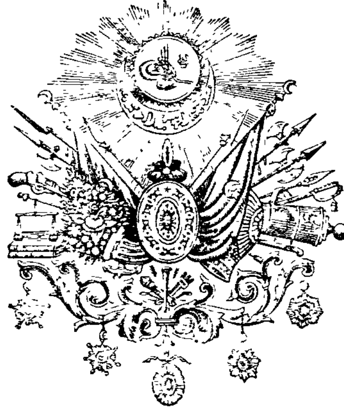
أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الاب جبرائيل زين هل طُبع كتاب في اسماء الاعلام وعد بنشرهِ المعلم بطرس البستاني في آخر قاموس محيط المحيط

معجم لاسماء الاعلام

ج لم يُطبع هذا الكتاب وانَّما تقوم مقامهُ دائرة المعارف لما تشملهُ من اسماء الاعلام

س وسأل القس نعمة الله الشهابيّ ١ً لايّ سبب كهنة اللاتين يلفظون كلام التقديس بصوتٍ منخفض لا يسمعهُ الشعب مع ان السيد المسيح لهُ المجد لفظ الكلام الجوهري بصوت عالٍ على مسمع من تلاميذهِ في العلية المقدسة . ٢ً لايِ سبب الكاهن اللاتيني يكسر الجوهرة بالصينية على الاندغيبي . والحال ان السيد لهُ المجد قد كسر الخبز بيديهِ المقدستين . ٣ً لاي سبب الكاهن المذكور اعلاه يتناول الجسد والدم دفعة واحدة بدون ان يبقي جزءًا منهما لنهاية القداس (اي عند دورة الكأس)

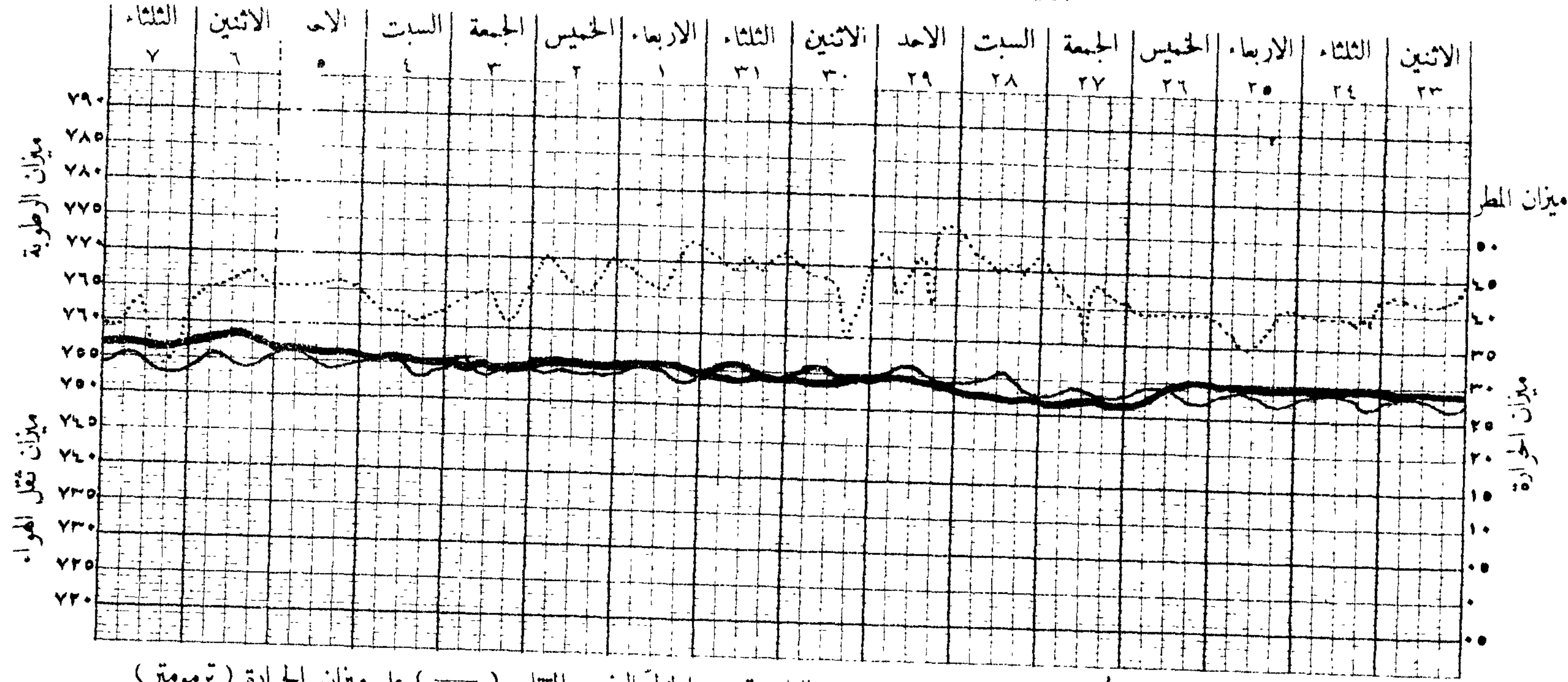


١٨٧٦ ١٩٠٠

بعيدِ مليك العصر ذي المجد والعُلى
تَسامى على الجوزاء مَشرقُنا فَخْرَا
وهلَّلَ بالتسبيح للهِ سائلًا
لعبد الحميد الأَيدَ والعزَّ والنَّصرَا

سقيًا ليومٍ سعيدٍ عنوانِ عصرٍ جديدِ
أَرَختُ غرَّةَ عيدِ مجد عبد الحميدِ
١٩٠٠

قائمة للآثار الجوّية من ٢٣ تموز الى ٧ آب ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر المِلّمترات

اصلاح اللغة

بقلم الكاتب الاديب بعيث الخضري

قد مُنيَت اللغة العربية في هذا العصر بداءين عضالين وهما: « الفساد والنقص » على حدّ ما صرَّح بهِ احد مراسلي المشرق الزاهر (٣: ٥٨٥). فالفساد لانتشار اللغة العامّية واستفحال امرها واستشراء شرّها. والنقص لِما ثار بوجه اللغة من المستحدثات العصريَّة ممَّا لم يكن للعرب بهِ عهد ولا عنَّ لهم بهِ فكر. وهذان الداءان بمنزلة عاملين دائبين في تشويه محاسن اللغة العربية الفصيحة. ومن ثمَّ في استدارجهـا الى الرطانة والطُّمطمانيَّة ان لم نقُل الى إماتتها. وانت عليم وخبير بان كل سببٍ متلف ان لم يُتدارَك باستئصال شأفتهِ منذ ابتدائهِ بالفتك فلا ينجع فيهِ بعد ذلك دواء ولا حيلة. ولقد رأينا والحمد لله من كتَّاب العربيَّة المعاصرين نفرًا (لا اكثر) جرَّدوا لقطع دابر هذه العلَّة أقلامًا تكاد تكون سهامًا صوَّبوها الى مقرّ هذا الداء فاصابت جهـةً منهُ وأطارت « شيئًا » من جراثيمهِ الى حيث ألقت رحلها امُّ قشعم. وقلنا: « شيئًا » لان ما مُحق من تلك الجراثيم ليس الَّا القليل. وقد بقي الكثير منها على حالهِ وغرّهِ

ولعلك تسألني: ولِمَ لم تكن الرّمية مُصميةً؟ قلنا: الاسباب كثيرة. منها: ١ً ان تلك الرمية لم تُصِب الّا بعض الداء كما ألمعنا اليهِ ففعلتْ على ما اصابت. اي: ان اولئك الادباء فوَّقوا سهام أقلامهم الى وضع بعض الفاظٍ عربية لبعض محدثات عصريَّة فقامت مقامها وسدَّت مسدّها ولم يبقَ الدخيل الى مرجعهِ سبيل. امَّا القواعد الاصلية لوضع الفاظ جديدة فلم يتعرَّضوا لها. ولهـذا لم يكن فعلهم عظيم النتيجة. ٢ً ان الكتبة الحدثين من العرب ليسوا يدًا واحدة على استئصال شأفة هذا الداء. فانك تراهم منقسمين الى ثلاثة أحزاب: حزبان كبيران وحزب صغير. فالحزبان الكبيران هما: حزب العربية الصميمة. وهم الذين يريدون وضع الفاظ عربية فصيحة من نفس اللغة « لجميع الألفاظ الاعجميَّة والعاميَّة ». بحيث انهم لا يُحبون ان يروا في لغتهم كلمة دخيلة او كلمة عامّية. واغلب هـذا الحزب هم من الذين يجهلون لغةً من اللغات الاعجميَّة وبالاخص الافرنجيَّة منها. ولهذا لا يمكنهم ان يقفوا على ما هنالك من الالفاظ الجديدة المباني الدقيقة المعاني التي من دون تعريبها خرط القتاد

تهنئة
من مجلّة المشرق
للحضرة السلطانية

لا يسفر صباح العيد السعيد الموافق ليوم الغد غرَّة ايلول حتى يُقبل العالم العثماني متسابقًا الى مواطئ أَقدام صاحب العزّ والجلال الملك الاعظم ضابط زمام البرّين وخاقان البحرين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني فيتنافس رعاياهُ كلهم في تقدمة مراسيم التهانيء وفرائض التبريك بعيد جلوسهِ المأنوس على اريكة آل عثمان الاماجد منذ خمسة وعشرين عامًا

هذا ولا يليق بنا نحن الكاثوليك بمناسبة هذا العيد المجيد ان نتأخر في تأدية واجبات العبودية والاخلاص للمتبوع الاعظم السلطان الافخم عملًا بأَمر الاناء المختار بولس رسول الامم (رومة ١٣: ١) حيث قال: «لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانَّهُ لا سلطان الَّا من الله»

فلسان المشرق الذي نال في ايَّام جلالة السلطان الرخصة بخدمة الدين والوطن معًا نبلّغ حضرتهُ العليَّة تهانئنا الحميمة رافعين الى الرب المتعال اكفَّ الضراعة والابتهال بحفظ شوكتهِ قرينةً بالعزّ والاقبال لسعادة البلاد ورفاه العباد ويعيد على عظمتهِ وعلى رعاياهُ الامناء هذا العيد اعوامًا عديدة بالصفاء والهناء

بيروت في ٣١ آب سنة ١٩٠٠

الى كشفهِ اصحاب النظر الدقيق في هذا الباب. وعليهِ فاتباع فريق المستعجمين ممن يريدون ادخال لغة الاجانب في لغة تختلف عنها من جميع الوجوه هو من قبيل الضرب في حديدٍ بارد. لانهم لا يستطيعون ان يجرُّوا وراءهم جميع ابناء العرب بل فقط اولئك الذين هم على شاكلتهم لا غير. ويبقى الفريق الاعظم واقفاً في موقفهِ الاول مستغرباً هذا الانقلاب باقياً على لغتهِ الاولى بينما يكون اصحاب الرأي المخالف لهم في لغة جديدةٍ وقد جروا إطلاقاً فيها

ومن هذه المستحدثات ما هو حديث من جميع وجوههِ مما لا سبيل الى ايجاد مثلهِ في العربية بدون ان يُمسّ جوهرهُ الاعجميّ في نقلهِ ومتى ما تغيَّر الجوهر (لا العرض) تغيَّرت الذات واذا تغيَّرت الذات فاتت الغاية من تلك الكلمات. ولهذا فمن الواجب ان تُؤخَذ بصوف رقبتها وتدخل طوعاً او كرهاً في العربية وان عربَد المخالفون

ومن هذه المستحدثات ما ولد ونشأ عند العامَّة من ابناء العرب من الفاظٍ وتراكيب وصيغ وإبدال وقلب وتقديم وتأخير وزيادة وحذف تُظَن كلّها جديدة احدثتها العامة وهي بالحقيقة راجعة الى لغات قديمة معروفة عند العرب مما كان « يجوز عندهم استعمالهُ » لكنهم تركوهُ تمسُّكاً باللغة الفصحى تمسُّكهم بالعروة الوثقى

ومن هذه المستحدثات ما لا ذكر لها في المعاجم اللغويَّة المستعملة بين الناس لكنها موجودة في كتب العرب الذين تقدَّمونا ممَّن يؤتمُّ بهم. وقد وقع عليهم ادباء هذا القرن وقوعهم على كنزٍ ثمين فاخذوا يستعملونها في كتاباتهم فظنَّ البعض انَّها من سقط اللغة العامية وانَّهُ لا يجوز استعمالها. كما توهَّمهُ صاحب الضياء. فردَّ عليهِ الادباء احسن ردّ. مع ان الادباء لم يتعرَّضوا الَّا الى بعض ما جاء بهِ من الاوهام ولعلَّنا نعود الى هذا الموضوع لما يترتب عليهِ من الفوائد اللغويَّة الجمَّة ولما يُوسع المجال لابناء هذه اللغة الشريفة

امَّا الحزب الصغير فهو الحزب الثالث ممَّن يذهبون الى الجمع بين المقبول من هذين الرأيين. واقفين في وسط هذين الطرفين وهم في اثناء ذلك يدخلون في العربية الضروري من تلك الاعجميات ممَّا يستحيل وجودهُ عندهم او ممَّا قد أُدخل مثلهُ في لغتهم على ايدي كبار العلماء او الكتبة المعرّبين ممَّن تقدَّمونا. وهذا الحزب وان كان اصحابهُ يُعدُّون على الاصابع الآن فسوف يكون هو الغالب السائد مع الزمان

ثمَّ ان هذه الالفـاظ المستحدثة هي في ازدياد دائم ونموّ فاحش تأتي بهِ كل يوم المستنبطات الجديدة من علمية وصناعيَّة التي هي من نتاج عقل الانسان الذي من شأنهِ الامتداد والاتساع والاكتشاف والاختراع الى ما لا موقف يقف عندهُ لروحانية جوهرهِ الى ان تقوم الساعة. وعليهِ فوضع الفاظ عربية لجميع هذه المخترعات والمبتدعات لهو من رابع المستحيلات. ولا جرم ان هـذا الكلام لا يروق أصحاب هذا الحزب. لكن الحقّ هو الحقّ لا تنالهُ يد المحق وإن خُيّـل الى البعض الخلاف. واننا لمتأكّدون ان اصحاب هذا المذهب يقلُّون على تراخي الزمان لانهم لو علموا ان العربيَّة كثيرة الالفاظ الاعجميَّة حتى في زمن الجاهليّـة لنكصوا على أعقابهم مُحَوْقلين. ولتأكّـدوا انهم يتأثرون امرًا هو من عالم الخيال اكثر من ان يكون من عالم الوجود

امَّا الحزب الثاني فهو حزب العربية المستعجمة وهم الذين يريدون ان يُدخلوا في اللغة العربية كل ما يرونهُ من الالفاظ الاعجميَّة ممَّا يُخرجها عن وضعها الاصلي ومزيَّتها الحسنى. وأصحاب هذا الرأي هم المتفرنجون والعارفون باللغات الاجنبيَّة معرفـةً تفوق معرفتهم لاصول العربية وقواعدها واحكامها وسُنن وشروط إدخال المعرَّبات فيها. لان من هذه المستحدثات ما هو حديث الوضع لا حديث الوجود. وعليهِ فلا يعسر وجود ما يقابلها بالعربية. وقد جمعنا من ذلك شيئًا كثيرًا ممَّا هو مدوَّن في الكتب العربيَّـة من لغويَّة وعلمية ومجهول من كتبة هذا اليوم. من نحو اسماء نباتات وحيواناتٍ ومعـادن وألعاب وبعض أُمور طبيعيَّة

ومن هذه المستحدثات ما هو تحسين الامور الفِطريَّة التي وُجدت عنـد الأعراب في بداوتهم وعند العرب حين تبسُّطهم في الحضارة والعمران ممَّا سلكوا في وضعهِ مسالك الاعراب والعرب الاقدمـين. ومن ذلك ما يتعلَّق بالسكن والاكل والشرب والفرش والركب الخ. ومثل هذا الوضع لا يغيّر اللفظ الاصلي بل يفيدنا معنًى مُحسَّنًا او مصلحًا لا معنًى جديدًا

ومن هذه المستحدثات ما هو ناتج عن نقل اعمال الانسان الى أعمـال تتمها الالآت. وهذا ممَّا يمكن وضع الفـاظ جديدة لهُ من نفس اللغة العربية جريًا على سُننٍ منها بيّنة في كتب اللغة العربية مما قد اوضحهُ الاصوليون على اختلاف طبقاتهم ومنها خفية في سرّ تفرُّع الألفاظ واشتقاقها ووضعها ونموّها مع الزمان مما يمكن ان يتوفَّق

وان اراد بهذا الفرق الجسيم ان العقيلة مثلًا ليست تعريب لفظة « مدام » قلنا: وهل نحن ملزومون بالتعريب الحرفيّ في جميع المواطن أو ليس في العربية من الاسماء ما هي مرتجلة ومنها ما هي مأخوذة من المشابهة او المجاز · فالمدام مثلًا هي من هذه الاسماء المرتجلة في العربية · هذا وان اراد ان يستعمل معرب لفظة « مدام » لا مانع لذلك لانها من اصل لاتيني وهو mea domina ومعناها سيدتي · ثم خص الافرنج هذا اللقب بالمرأة المزوَّجة عند مخاطبتها تأدُّبًا · واماً مادموازيل فهي تصغير سيدتي ويقابلها بالعربية سُوَيدتي · ثم قيدوها بلقب الابنة قبل الزواج وهو ممَّا لا يناقشهم احدٌ على هذا الوضع او الاصطلاح او التقييد اذ الغاية من ذلك كلهِ حضور المعنى للذهن ساعة التكلُّم فاذا تحقّق ذلك في لفظتي الآنسة والعقيلة حصل المراد ولم يبقَ ثمَّ « فرقٌ جسيم » · وان كان الفرق الجسيم الذي تكلَّم عنهُ هو على غير ما بيَّناهُ فليتفضَّل علينا بالتصريح بهِ لنرى وجه المغمز من هاتين اللفظتين

وامّا قولهُ: « فضلًا عن صعوبة استعمالها في التخاطب » قلنا: ان كان يريد بذلك ان العقيلة او الآنسة ممَّا يصعب ادخالها في المخاطبة فلا يُقال مثلًا: « نعم يا عقيلتي او يا آنستي » كما تقول: « نعم يا مَدام او نعم يا مادموازيل » · قلنا: وهذا ايضًا لا يمنع دخول هاتين الكلمتين الجديدتين ولا ما هو من مثلهما · لان الغالب اليوم في لغة المخاطبة هي اللغة العاميَّة ولا يحق لهذه اللغة ان تقوم بيننا بمنزلة الحكَم في هذا الموضوع لاننا لو سلَّمنا اليها زمام الحكم والقضاء في هذا البحث لحتمت على اللغة الفصيحة بالموت والانقراض بتَّةً · ولو رجع المراسل الى إعادة قراءة ما كتب لوجد أَغلب الالفاظ التي استعملها في تلك النبذة غير مستعملة في المخاطبة · وعليهِ فاستعمالهُ اياها في الكتابة لم يكن جائزًا لهُ · وهو مردود من جميع الوجوه · وهو الاوَّل في نبذ هذه النتيجة

والخلاصة ممَّا تقدَّم ان استعمال الآنسة والعقيلة بدلًا من مادموازيل ومَدام ممَّا يجب ان يحافظ عليهما وعلى استعمالها

١ً واماً معنى هذه الجملة: Bossuet est un homme de génie فهو: « انَّ بوسوه لذو مبتكراتٍ » وهو محصَّل معنى العبارة الافرنسية وليس بالتعريب الحرفيّ · ومثلها: « انَّهُ لداهيةٌ دهياء » وغير ذلك من العبارات الكثيرة في العربية ممَّا يطول ذكرهُ

وكلٌّ من هـذه الابواب المتفرّعة التي ذكرناها بخصوص أنواع المستحدثات تطلب مقالاتٍ خصوصية ان لم نقُل كتبًا قائمة برأسها لتأييد الكل بالبراهـين السديدة. واقامة الدعائم على أُسس وطيدة. ولعلّنا نذكر شيئًا من ذلك ان سنحت لنا الفُرص

اما الان والغاية من هـذه العجالة الاجابة عن اقتراح المراسل فنقول: اما لفظتا « آنسة » لمادموازيل و « عقيلة » لمدام فلا نرى رأيهُ في وجوب نبذهما واتخاذ اللفظتين الافرنجيتين عوضهما. لانهُ: « لا داعي الى ذلك » ولا يوجد « اسباب كافية » لتمنع دخول هاتين اللفظتين في العربية بهذا المعنى. امّا قول المراسل: « وكل خبير يعلم ما بين الاصل وهاتين الكلمتين من الفرق الجسيم فهما لا تؤديان اصلًا معنى مدامواز يل ومدام فضلًا عن صعوبة استعمالها في التخاطب »

قلنا: هذا كلام لا يصحّ تطبيقهُ على هذين الحرفين. وقولهُ: بينهما « فرقٌ جسيم » قولٌ لا نفهم معناهُ. فان اراد بهذا الفرق الجسيم المقابلة بين أحرف الكلمتين الافرنجيّتين وبين احرف الكلمتين العربيتين: فالفرق بينهما جسيم. لكن اذا اردنا ان ننظر هـذا النظر الى الأَلفاظ فحينئذٍ لا موجب لاستعمال الكلم العربية باجمعهـا لان حروفها لا تقابلها الحروف الافرنجية. واذا أَراد بهذا الفرق الجسيم الفرق بين الاشتقاق فلا جرم ان الفرق جسيم ايضًا لان اشتقاق الكلمة الافرنجية من وادٍ واشتقاق الكلمة العربية من وادٍ. وهو ما يصحّ قولهُ عن جميع الالفاظ في اللغتين. وان كان مرادهُ من هـذا الفرق الجسيم ان مؤدَّى معنى « مَدام » مثلًا غير مؤدى معنى عقيلة. قلنا: لا شك في ان هذا الفرق هو جسيم ايضًا. وما هذا ناتج الّا من استعمال اللفظة الافرنجيّة وتصوُّر المدلول عليها اكثر من استعمال اللفظة العربيَّة من هذا القبيل. وعليهِ فلو شاع هـذا الاستعمال بالعربية لحضر في الخيال نفس تلك الصورة المتولّدة من اللفظة الافرنجية.

وان اراد بذلك الفرق الجسيم الرِّقـة بين اللفظتين فلا بدع في ذلك لانّ لفظة « مَدام » ارقّ من لفظة « عقيلة » لما في تلك من حروف الذلاقة السلسة السهـلة في التلفُّظ وما في هذه من الحروف الحلقية الثقيـلة على اللفظ والسمع. لكن مثل هذا العمل يقضي بنا الى اتّخاذ جميع الالفـاظ الافرنجية السلسة ونبذ ما يقابلها بالعربية لكون كلم هذه اللغـة ليست بسلاسة الحروف الافرنجية لخلوّها من اللفظ الحلقيّ. وفي هذا الرأي من التعليل ما لا يقبلهُ انسان

حاجة ان نفرد دائماً كلمةً لكل كلمة مفردة افرنجيـــة فان لغة الانكليز على سعتها أغاب الفاظها مركبة من كلمتين . وانما مثل هذه الكلم قليـــلة في اللغة الفرنسية لان الاضافة عند اصحابهـــا لا تكون الّا بواسطة حرف جرّ او اداة اخرى فتكثر حينئذٍ الكلمات للمسمَّى الواحد واماَّ العربية فهي كالانكليزيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة من هـــذا القبيل . وان اصرَّ المراسل على إفراد لفظةٍ واحدة فليقُل حَسَويّ او حسويَّة على تقدير إناء او صحفة او نحوهما . ومثل تغليب المنسوب بدون ذكر الموصوف كثير الوجود في العربية من ذلك السمهريّ والرديني والخطّيّ والمشرفي والهندوانيّ الى آخرهِ

٦ً واماَّ الطرَّاحة فيصحّ ان تسمَّى بالنضيدة لان النضيدة ما حُشي من المتـــاع والوسادة . وعليهِ فيجوز ان نسمّي بها الطرّاحة من باب تقييد المطلق وتخصيص الشكل لانَّ ذلك متوقّف على الاصطلاح « ولانَّ النسبة اللغويَّة تتَّصل باضعف سبب » وعلى هذا المبدإ مبنيَّة سعة اللغة العربية كما يتحقَّقهُ كل من تصفَّح كتاب متن لغةٍ

هذا واختم كلامي بقولي : ان المناظرة في هذا الموضوع تكشف كثيرًا من دقائق واسرار اللغة العربية . ولهذا فليُفتَح باب هذا الميدان . ولتجرِ الفرسان . وليبـــذل كلٌّ بما في وسعهِ وعلى الله التكلان

الصابئة او المندائية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (لاحق بسابق)

٢ً طور عبادة النجوم برموز واصنام

ممَّا مرَّ بك تتحقَّق ان المدة التي انقضت بين الانتقال من عبادة الكواكب مباشرةً الى عبادتها بهيئة الرموز والاصنام لم تكن محدّدةً بل ربَّما كانت متصـــلة بالمدَّة الاولى عند طائفةٍ ومنفصلة عنها ببرهةٍ من الزمان عند طائفة أُخرى ومـــا ذلك الّا للسبب الذي يجدهُ كل عاقل من نفســـهِ وهو السبب الذي صرَّح بهِ المسعودي في كتابهِ مروج الذهب اذ قال : « فاقاموا على ذلك (اي اقاموا على عبادة الله والملائكة) برهةً من الزمان وجمـــلةً من الاعصار حتى نبَّههم بعض حكمائهم على انَّ الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئيَّة الى الله تعالى . وانَّها حيَّة ناطقة . وان الملائكة تختلف

٢ً واما كاراف او كراف carafe فانها من اصل عربي على ما يشهد بهِ لغويّو الافرنج فهو غِراف او جِراف ولهُ وجهٌ . لان معنى غرف الماء اخذهُ بيدهِ ثم توسَّعوا في اللفظة فاطلقوها على « قارورةٍ » ضيّقة الراس عظيمة البطن . وصيغة فِعَال تؤيد هذا المعنى . اذ انهم سمّوا بهِ مكيالًا ضخماً وهو الجراف او القنقل ايضاً . واللفظة غِراف وان كان لا وجود لها بالعربية في هذا المعنى فلكون لها وجهٌ فيها جاز استعمالها على هذه الصيغة لهذه القارورة . وللعرب لفظة اخرى بهذا المعنى وهي الكُراز والكُرَّاز وزان غُراب ورُمَّان ومنها اللفظة الافرنجية alcarazas التي معناها بالعربية البرَّادة والكُرَّاز ايضاً لان لهذه اللفظة الاخيرة معنًى ثانياً في العربية وهو « الكوز » الضيّق الرأس الواسع البطن

٣ً جاط . ان أُريد بهِ الصحن الكبير الذي يُدار بهِ على الآكلين فهو الغَضارة وهو عربيّ وان انكرهُ البعض لانها تتَّخذ من الغضار وهو الطين الحرّ الذي يُتَّخذ منهُ الخزف الذي يُسمَّى غضار (عن التاج) ولانهُ قد يسمَّى الشيء باسم اصلهِ كالنَّبعة للسهم والمُضغة للآدمي . وان أُريد بالجاط معنى لفظتهِ الاصليَّة الافرنجيَّة اي jatte فهو قصعة او جفنة

٤ً كبَّاية . هي لفظة عامّية مُحرَّفة عن كوبَة فقالوا اولًا كوباية ثم كُبَّاية كما يقول اهل العراق في جوزَة ولوزَة ومَوزَة جَوزاية ولوزاية وموزاية . وسبب تجوُّزهم في ذلك على ما اظنّ هو ان في العربية الفاظاً مثل « نَفاة ونَفاية ونَقاة ونقاية » فنقلت العامَّة هذه الصيغة الى كل لفظةٍ تُشبه نفاة وزنًا فيقولون مثلًا قَطاية في قطاة ونواية في نواة الخ . ثمَّ اطلقوها على غير الناقص وعلى ما لم يكن بوزن نفاة كتمرة وتمراية وموزَة ومَوازَية . ثمَّ على صيغة مصدريَّة معروفة عندهم فيقولون قَواية في قوَّة مصدر قوي وقراية في قراءة مصدر قَرا تصحيف قرأ وحداية في حُداء مصدر حدا . وهذا النوع من الوزن مأخوذ عن قدماء العرب قال الراجز :

اما تريني رجلًا دعكايَهْ عَكَوَّكًا اذا مشى درحايَهْ
تحسبني لا أُحسن الحدايَهْ ايايه ايايه ايايه

(قالهُ التاج في مادَّة درحاية)

٥ً سوبيرا soupière . اناء او صفحة الحسا او الحساء بالقصر والمدّ . وهل من

اللازم اللازب ان يكون فيها الماء والنار. والَّا تُمتنَع إقامــة تلك السنن والشعائر الدينيَّة. ولهذا تراهم لا يقيمون الَّا في بلادٍ مبنيَّة على النُهر ليتيسَّر الحصول على الماء

ومن بقايا عبادة الاوثان عند الصابئة الحاليين استعمال عباراتٍ في السحر ومعالجة المرضى وطرد الشياطين على الطريقة المعهودة عند قدماء الكلدان وهي التي عثر عليها علماء الآثار في هذه الازمان. راجع كتاب لنورمان: « تاريخ الشرق القديم » Lenormant. - *Hist. anc. de l'Orient*. V, p. 151, 154, 224 ولولا ضيق المقام لاوردنا كلامهُ معرَّبًا. وعند هذا العاجز قدَحٌ قديم وُجد في جوار شطرة المنتفق بهِ عبارات وعزائم تشبه العزائم السحريَّة الكلدانية القديمة على ما ذكرها العلامة لنورمان في كتابهِ الآخر المُترجم « بالسحر عند الكلدان »

وممَّا حفظوا من عقائد قدماء الكلدان كيفيَّة تولُّد الآلهة وكيفيَّة خلق الانسان الاول. فان كتاب الصابئــة الموسوم باسم « سِدْرا ربَّا » (اي الكتاب العظيم) يقول عين مقال اولئك الكلدان الاقدمين. راجع كتاب الشرق القديم للعلامة المذكور ص 239, 240

ومن تلك البقايا الوثنيَّة الكلدانية عبادة الصابئة من الفرقة الحرَّانية للقمر فانهم بقوا عاكفين على تلك العبادة الى نحو غرَّة القرن التاسع عشر. وكانت الصابئة الحرَّانية تسمّي هيكل القمر هناك: « هيكل سين » كما هو اسمهُ عند قدماء اليونان. وقد جاءَ في التاريخ: ان ماقرينس الامبراطور الروماني قُتل في ذهابهِ الى هيكل سين في حرَّان ليقرّب قرباناً مشهوداً ». وقد جاءَ عن يوليانوس المارق: انَهُ لمَّا وصل الى حرَّان واراد الخروج منها نكس رأسهُ ساجدًا لآلهة الحرَّانيــين فسقط تاجهُ عن رأسهِ وصُرع فرسهُ الذي كان تحتــهُ (ابن العبريّ: تاريخ مختصر الدول. طبعة الاب صالحاني اليسوعي ص ١٣٩). وقد ذكر العرب هيكل سين في كلامهم عن الصابئة الحرَّانية ونجتزئ بذكر كلام واحد منهم. قال المسعودي في مروج الذهب: « وقد حكى رجلٌ من ملكيَّة النصارى من اهل حرَّان يُعرف بالحارث بن سنبساط للصابئة الحرانيين اشياء ذكرها من قرابين يُقرّبونها من الحيوان ودُخن للكواكب يبخرون بها. وغير ذلك ممَّا امتنعنا عن ذكرهِ مخافة التطويل. والذي بقي من هياكلهم المعظمة في هــذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ ﻫ (٩٤٣م) بيتٌ لهم بمدينة حرَّان في باب الرقَّة يعرف بمصلينا (كذا في النسخة المطبوعة

فيما بينها وبين الله وان كل ما يحدث في هذا العالم فانّما هو على قدر ما تجري بهِ الكواكب على أمر الله فعظَّموها وقرَّبوا لها القرابين لتنفعهم. فمكثوا على ذلك دهرًا. فلمّا « رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض اوقات الليل لما يعرض في الجوّ من السواتر امرهم بعضُ من كان فيهم من حكمائهم ان يجعلوا لها أصنامًا وتماثيل على صورها واشكالها فجعلوا لها أصنامًا وتماثيل بعدد الكواكب المشهورة » وكل صنف منهم يُعظّم كوكبًا منها ويُقرّب لها نوعًا من القربان خلاف ما للآخر على أنهم اذا عظَّموا ما صوَّروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلويَّة من السبعة بكلّ ما يريدون وبنوا لكل صنم بيتًا وهيكلًا مفردًا وسمَّوا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب » اه

ومن عبادة الأجرام بالرموز تعظيمها بهيئة النار وهذا الفرع من الصابئيَّة استقلَّ عن الاصل بعد انفصالهِ عنهُ فدُعي بالمجوسيَّة وهذه العبادة متوغلة في القدم اي بقدم عبادة النجوم كما يشهد بذلك المؤرخون والاخباريون الاقدمون والمحدثون وهو ما ايَّدتهُ اكتشافات العاديَّات في البلاد القديمة. وقد اشار الى قِدَم عبادة النار بشَّار بن بُرْد اذ قال:

الارض سافلةٌ سوداء مظلمةٌ والنار معبودةٌ مذ كانت النارُ

وقد قال المسعودي في هذا الصدد ما حرفهُ: « انهُ (اي أفريدون الملك) وجد نارًا يعظّمها اهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها فأخبروهُ انَّها واسطة بين الله وبين خلقهِ. وانها من جنس « الالهية النورَّية » واشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها. وذلك انهم جعلوا للنور مراتب وفرَّقوا بين طبع النار والنور.. وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادتهُ على النار باطفائهِ ومضادَّتهُ لها وانَّهُ اصل لكل شيء ومبدأ لكلّ تمام » اه

قلتُ: ومن القول بالظلمة والنور وانتشارهِ في بلاد الفرس وبقائهِ فيها على كرور العصور تولَّدت بعد رَدْح من الدهر الثنويَّة الذاهبة الى ان فاعل الخير هو نور وفاعل الشرّ هو ظلمة وهما قديمان قديران قويَّان متضادَّان. وقد بقي من المجوسية والثنويَّة عند الصابئة الحاليين تعظيمهم للنار وللرعد والبرق والشُّهب والنيازك وسائر الظواهر الجوّيَّة وكذلك يعظمون الماء تعظيمًا يكاد يكون عبادةً اذ ليس من سنَّة من سننهم الّا ومن

وختاماً لهذا الطور نقول: لله درّ ابن العبري ما احسن قولهُ في هذا الصدد وقد ذكر ما ذكر كأنهُ رأى الامور البارحة ورواها اليوم اذ قال في الصفحة ٢٦٦ :« والذي تحقّقنا من مذهب الصابئة ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء « بعينها » وقبلتهم القطب الشمالي (الى يومنا هذا) ولزموا فضائل النفس الاربع (حتى هذا اليوم) و « المفترض » عليهم » ثلاث » صلوات اولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة او اقلّ لتنقضي مع الطلوع ثماني ركعات في كلّ ركعة ثلاث سجداتٍ. والثانية انقضاؤها مع نصف النهار والزوال خمس ركعات في كل ركعة ثلاث سجدات. والثالثة مثل الثانية تنقضي مع الغروب (وهذا كلهُ جارٍ الى هذا اليوم بحرفهِ). والصيام المفروض عليهم: ثلاثون يوماً اولها الثامن من اجتماع آذار. وتسعة ايام اولها التاسع من اجتماع كانون الاول. وسبعة ايام اولها ثامن إشباط (لم يغيّروا من ذلك شيئاً الى هذا اليوم). ويدعون الكواكب (هذا أمر لا يشوبهُ ريبٌ) وقرابينهم كثيرة لا يأكلون منها بل يحرقونها. (كل ذلك صحيح). ولا يأكلون الباقلّى والثوم وبعضهم اللوبياء والقُنّبيط والكرنب والعدس (هذا قد أبطلهُ المحدثون لاقامة الصابئة الحاليين في بلاد ليس لهم فيها طعام آخر سوى هذه القطاني).وأقوالهم قريبة من أقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غايةٍ من التقانة. ويزعمون ان نفس الفاسق تُعذّب تسعة آلاف دور ثم تصير الى رحمة الله تعالى » اه. (وهذا هو نفس معتقدهم الى هذا اليوم)

٣ً طور ادخال آراء فلسفية في الصابئة

لمّا فسدت الاديان. وبلغت هذا المبلغ من الضلال والطغيان. عمّت الصابئة. بفرعيها

ما فعلت الثلثة الاثواب مثلاً: (والاختيار ان يُعرَّف الاخير من كلّ عدد مضافٍ فيقال: ما فعلت ثلثة الاثواب. وفيمَ التلثمائة الدرهم. وعليهِ قول ذي الرمّة:

وهل يرجع التسليم او يكشف العمى ثلث الاثافي والديارُ البلاقعُ)

ظاهر قولهِ: «والاختيار» ان ذاك ليس بممنوع. وفي التسهيل: اذا قُصد تعريف العدد أُدخل تعريفهُ على الآخر ان كان مضافاً وعليهما «شذوذاً لا قياساً» خلافاً للكوفيين. وهل يصح ان يقال: الألف درهم بتعريف المضاف فقط. حكى ابن عصفور جوازهُ. ووقع في صحيح البخاري: واتى بالالف دينار. والمانع لما ذكرهُ المصنّف قياسهُ على « الحسن وجهٍ » والفرق واضح. اه. قلتُ: وعلى كلٍ فان الشيخ صاحب الضياء ربّما صوّب سهمهُ الى الاصحّ من كلام العرب فلا يجوز لهُ (وان كان يجوز لغيرهِ) ان يتشبّث بأذيال الصحيح (ان سمّيت ما مرَّ بك صحيحاً) ويترك مطارف الأصحّ المشهور المتبوع

في مصر . وفي مخطوطٍ « بمينسينا » وهو الاصح عندي . لان ذلك الهيكل كان يسمّيهِ اليونان : « هيكل مِين Μήν » وهو الاله القمر عند يونان حرّان وفريجيــة في ذلك العهد . و « سين » هو اسمهُ باللغة الكلدانية القديمة فكأنَّ المسعوديّ سمع باسم ذلك الهيكل باليونانية مفسّرًا بردفهِ بالكلدانيَّة او بالكلدانية مفسّرًا باليونانية فظنَّهُ اسمًا مركّبًا ثمَّ صحّفهُ الكتّاب لعجمة الكلمة) وهو هيكل آزر ابي ابرهيم الخليل عم » اه

ومن الآثار الوثنيَّة الكلدانية او الاشوريَّة عند الصابئة الحاليين اسماء مركَّبة من كلمتين أُولاهما اسم او فعل وثانيهما اسم الجلالة : « إِيل » . واوَّل من احدث هذا البناء الكلدانيون الصابئون وعنهم اخذها الاسرائيليُّون . وقد بيَّنتْ صحَّة هــذا الرأي مكتشفات هذه الايام . ومن تلك الاسماء الكلدانيَّة القديمــة : « سين إِيلو (اي الإِله المعروف باسم سين (القمر) هو إِلهي . ومحصَّلهُ : إِلهي هو سين) وبَعلْ إِيلو (اي بعــل إِلهي) وأَرْبَع إِيلو (وهو اسم أَربيل الحاليَّة . واربيــل منحوتة من تلك ومعناها : مدينة اربعة الآلهة (١ وشُمولا إِيلو (اي أَلا أُحبُّ إِيلو هنا) وأَبِل إِيلو (اي انت ابن ايلو) وأَبو إِيلو (اي ابوك هو إِيلو) ومَنُّو إِيلو (المنحوتة من : « مَنُّو كِمْ إِيلو » اي مَن مِثل إِيلو فنقل العبرانيون هذا اللفظ والمعنى فقالوا « ميكائيل » المركبة من : « مي كَ إِيلو » اي : « مَن مثل الله » وبِطُلْ إِيلو (اي انا بطلّ إِيلو) ويُوسف إِيلو (واصلها : أَبِل يوسف ايلو اي : ابن زادهُ إِيلو) والصابئــة الحاليون نقلوا هذا التركيب الى اسماء روحانيّيهم الذين في السماء لما في اسم إِيل او إِيلو من العظمة والجلالة والربوبية فقالوا مثلًا : هيويل (وهو قلب وتصحيف سَللَّ اي قوَّة ومعناهُ : الروحانيّ القويّ او قوَّة الله او إِيل القويّ) ومركَازيل (اي إِيل او الروحاني المغتاظ) وأَزازيل اي الروحاني العزيز او القوي) وتَقفيل (اي الروحاني القدير) ويُوئيل (اي الروحاني المُريد) الى غير ذلك ممَّا يطول ذكرهُ ويصعب حصرهُ

١) سأَل سائلٌ الضيــاء يومًا (١ : ٢٢٧) ان يفيدهُ : « عن الصحيح من قولهم جاءَ الثلاثة الرجال وجاءَ الثلاثة رجال » فاجاب : « الصحيح المثال الاول واما الثاني فمع انَّهُ من التراكيب المهجورة فصحتهُ ان تنصب الرجال (كذا) فتقول : جاء الثلاثة رجالاً وكذا المئة رجلًا والالف رجلًا لانهُ مع تعريف اسم العــدد تمتنع الاضافة فلا يبقى الَّا النصب على التمييز » (كذا) غير اننا قرأْنا في شرح درَّه الغوّاص للآلوسي المترجم بكشف الطرَّة . عن الغرَّة . ما نصُّهُ (ص ٩٨) : « ويدخلون ال على العدد المفرد ومعدودهِ مع اضافتهِ اليهِ » (كما فعل الضياء مرارًا عديدة) فيقولون:

Neh. IX,7 ومعناهُ: انت الرب الاله الذي اخرجتهُ (اي أبرام) من نار الكلدانيين. امَّا ترجمة الآباء اليسوعيين فعرَّبت الآية عن اصلها العبراني فقالت: «من أُور الكلدانيين». وسبب هذا الفرق في الاستخراج ان اسم النار واسم مدينة الكلدانية اي أُور هُما واحد بالعبريَّة

والظاهر من التنزيل الجليل ان ابراهيم الخليل هدى الى الله قوماً من الصابئة الى الدين القويم. وممَّا يثبت كلامنا هذا آية التوراة القائلة: فاخذ أبرام... النفوس التي امتلكها في حرّان وخرجوا ليمضوا الى ارض كنعان (سفر الخلق ١٢: ٥) (١

وممَّا يؤيد قولنا هذا اولًا: الرواية التاريخيَّة نفسها. ثانياً: اللغات الساميَّة جميعهنَّ. ثالثاً: شرح لغويّي العرب للفعل الذي اشتقوهُ من الحنفيَّة اي تحنّف فانهم قالوا في تفسيرهِ على ما نقلهُ صاحب التاج. عَمِل عَمَل الحنيفيَّة. نقلهُ الجوهري: يعني شريعة ابرهيم عم... لانهُ تحنَّف عن الاديان (الوثنيــة والمجوسيَّة والصابئيَّة) ومال الى الحق... او تحنَّف اختتن (كما فعل ذلك ابرهيم فكان أول من اختتن وختن) او

١) ولا بد من سائل يسألنا هنا: هل عبد ابونا ابرهيم الاصنام والكواكب في صغرهِ؟. قلنا: الامر مشكوك فيهِ والقول بانهُ عبدها ثم عدل عنها لا لوم فيهِ ولا تثريب. بل الادلَّة متضافرة على انهُ كان صابئاً ثم حَنِفَ. وفي قولهِ تعالى لابرام: «اخرج من بيت ابيك» اشارة الى ما في بيت أبيهِ من عبادة الاصنام. ولا بدَّ من أن الاب أجبر ابنهُ غير مرة على اقامة شعائر تلك العبادة ليعوّدهُ عليها منذ نعومة اظفاره. ومثل هذه الاشارة ايضاً ما جاء في سفر يشوع ٢٤: ٢ وفي سفر نحميا ٩: ٧ وفي سفر اشعيا ٤٣: ٢٧ وممَّا يثبت هذا الراي تلقيب العرب لابراهيم الخليل بالحنيف والحنيف كلمةٌ شائعة في اللغات السامية مشتقة من فعل חנף العبرانية ومعناهُ: لوَّث ودنَّس الشيء. ومنهُ: وثَّنهُ. لان الوثنية دنسٌ في المعتقد ومثلهُ في الآرامية ܚܢܦܐ اي وثني. وكذلك كان يجب ان يكون معنى الحنيف او الحنيفي في العربية بمعنى الوثني. لكن كيف نُقل المعنى الاصلي الى العرفي اي الموحّد او من كان على دين ابرهيم. قلنا: هذا حاصل من ان اهل ابرهيم كانوا من عبدة الاصنام ولمَّا هدى الله خليلهُ الى دين الحق فاهتدى بقي لقبهُ حنيفاً كما كان قبلًا غير انهُ انتقل مؤداهُ من مجرَّد معنى الوثني الى معنى «الوثنيّ المهتدي» للسبب المذكور. ولمَّا انتقل معنى هذا اللفظ بانتقال معتقد ابراهيم خصَّ العرب حينئذ لفظة الوثنيّ بمن بقي على عبادة الاصنام. هذا ما وقع في العربية لكثرة ما فيها من الالفاظ ولتمكُّن العرب من تعيين معانيها في ذلك الحين لعدم سهولة تقييد معاني الفاظ اللغة بالكتابة ولحداثة انفصال هذه اللغة عن امّها. واما في سائر اللغات الساميَّة فقد بقي معنى الحنيف على اَصلهِ اي بمعنى النجس والوثني والكافر. وكذلك في اللغة الحبشيَّة

الوثنيَّة والمجوسيَّة . جميع البلدان . وعموم سلائل الانسان . وبقيت محافظة على ذاك المعتقد او الايمان . برهةً مديدةً من الزمان . لا بل وبقي منها من حافظ عليهِ حتى الآن . امَّا الصابئة التي بقيت منحصرة في ما نسمّيهِ اليوم ببلاد العرب وجنوبي تركيَّة آسيَّة ووسطها . فانها لا زالت متوغّلةً في عقائدها . مجدّدةً آراءها على الدوام . على اثر ما ينبغ على طول الايام . من المذاهب الدينيَّة . والتعاليم الفلسفية . وكما انهُ ليس بيدها كتاب مُنزل تعتمد عليهِ . او سند تستند اليهِ . وان لا مناص لها من مخالطة الأقوام التي تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم . اندفعت وراء تلك الآراء كانَّ وراءها السيل الجحاف . وهكذا «فَرارة تسفَّهت قَرارة» حتى آل بها الامر الى ما آل . امَّا الاجيال الصابئيَّة التي شطَّ مزارها . واعتزلت الأُمم الغريبة الجنس فانها بقيت متحذّرة حذَر القرلَّى من البِدع والمبتدعات . ناظرةً اليها نظرها الى شرٍّ عظيم وضرٍ جسيم حتى ثبتت في وثنيَّتها او مجوسيَّتها الى يومنا هذا

ولمَّا رأى الله عزَّ شانهُ ما وصل اليهِ ابن آدم من التيه والضلال . ولم يسلم من الغواية جيل من الاجيال . أراد ان يصطفي من بين الأُمم . امَّة يقيها من التُهَم . لتبقى محافظةً على عبادة الله الصمد . الواحد الأحد . وهو من عندهِ يعدُّها بعونهِ . ويرعاها بعينهِ . وندبَ لان يكون رئيسها الهمام . وامامها المقدام . ذاك الرجل العظيم المعروف يومئذٍ باسم أبرام . فقال لهُ : « اخرج من ارضك (اي أُور الكلدانيين) وعشيرتك وبيت ابيك الى الارض التي أُريكها . وانا اجعلك أمةً كبيرةً واباركك واعظّم اسمك . . . فخرج (ومن معهُ) من أُور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان فجاءوا حرَّان وأقاموا هناك . . . . وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة حين خرج من حرَّان . (سفر الخلق ١٢ : ١—٥ و ١١ : ٣١) . ومنذ اصطفى الله أبرام اخذت الصابئة بالترعزع

والمأثور عن الخليل انهُ وقعت لهُ مجادلات كثيرة بينهُ وبين ابناء جلدتهِ من الصابئة الكلدان حتى ان هؤلاء زجُّوهُ مرَّة في النار فجعلها الله عليهِ بَردًا وسلامًا . (وهذا الرأي هو رأي العرب باسرهم من نصارى ومسلمين . وهو رأي اليهود ايضًا ورأي القديس هيرونيموس في تفسيرهِ لسفر الخلق (Trad. Heb. in Gen.) لا بل ونسخة التوراة اللاتينيَّة المعروفة بالفلكاتا اي العامّية تُشير الى ذلك من طرفٍ خفيّ فانها تقول ما نصُّهُ :

Tu...Domine...qui...eduxisti eum (Abram) de igne Chaldæorum.-

وبقيت الامم منقسمة الى تلك الاقسام العظمى في الدين حتى جاء عصر فلاسفة اليونان فامتدَّت مذاهبهم بامتداد سطوة ملوكهم فادخل الصابئة ايضاً شيئًا كثيرًا منها . ومن اخصّ الاسباب التي حملتهم على التهافت عليها تهافُتَ الفَراش على السراج ان تلك المذاهب هي من نتائج الوثنيَّة او الصابئية الاولى موسَعة ومَزيد فيها . فلهذا كان دخولها اليهم اسرع من النار في يبيس العرفج . فاخذ شيوخ الصابئة آراءً مختلفة من مذاهب اولئك الفلاسفة من افلاطونيين وارسطوطاليين وروَاقيّين وابيقوريين وحلوليين على اختلاف اصلهم من يونانيين ومصريين وسوريّين فنشأَت حينئذٍ فرق عظيمة في الصابئيَّة امتازت كل فرقةٍ عن اختها بكميَّة مقتَبَسها من تلك الآراء او بما قِلّتهُ منها او رذلتهُ

(ستأْتي البقيَّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

احوال لبنان في القرن الرابع عشر قبل المسيح

وفقاً لما ورد في مراسلات تلّ العمارنة

كثيرًا ما اشرنا في سياق كلامنا عن آثار لبنان الى مراسلات تل العمارنة . فأَحببنا ان نستطرد الى وصفها لما ينجم عن معرفتها من الفوائد الجمَّة المعربة عن أحوال لبنان قبل تاريخ الميلاد باربعة عشر قرنًا . فان هذا لعمري عهد قديم ما كنّا لنرجو قبل عشرين سنةً ان نقف على شيء من اخبارهِ . فأَتى هذا الاكتشاف في حين لم تهجس فيهِ الضمائر ولم يخطر على بال . امَّا الفوائد التي تُستخلَص من المكاتبات فقد أَلحقناها بآثار بلاد جُبيل لكثرة ورود اسم هذه الناحية فيها فنقول :

ان تل العمارنة مزرعة صغيرة مجاورة لوادٍ موقعهُ جنوبي مدينة المنيا في الصعيد على مسافة ٨٠ كيلومترًا منها عند ضفَّة النيل الشرقية . والوادي المذكور تحيط بهِ الصخور وهو يُدعى باسم المزرعة المنوَّه عنها . وفي هذا الوادي بُقعة واسعة تمتد مباشرةً من قرية « شيخ قنديل » وكان على وجهها أَطلال واخربة قديمة . اما الصخور المجاورة فكانت

اعتزل عبادة الاصنام (كما اعتزلها الخليل) وتعبّد (كما تعبد ابو المؤمنين) اه. رابعاً: قول عرب الجاهليّة هذا المقال. اورد صاحب التاج في مادة الحنيف ما نصّهُ: قال ابو عبيدة: وكان عبدة الاوثان في الجاهليّة يقولون نحن حُنفاء على دين ابراهيم فلمَّا جاء الاسلام سمَّوا المسلم حنيفاً. وقال الاخفش: وكان في الجاهليَّة يُقال: من اختتن وحجّ البيت قيل لهُ حنيف لان العرب لم تتمسك في الجاهليَّة بشيء من دين ابرهيم غير الختان وحجّ البيت. وقال الزجاجيُّ: الحنيف في الجاهلية من كان يحجّ البيت ويغتسل من الجنابة ويختتن فلمَّا جاء الاسلام كان الحنيف المسلم لعدولهِ عن الشرك» اه

وقد اوردنا كل ذلك عن ابرهيم الخليل ليتبيَّن للعاقل ان الصابئة لم يدخلوا شيئاً في دينهم على عهدهِ بل اهتدت طائفة منهم على أيديهِ. واخذت وطائد معتقدهم بالاهتزاز. وقد اورد العرب تفصيل ما دار بينهُ وبين مناظريه في كلام طويل لا محلّ لذكره هنا. وان شئت ان تقف على شيء منهُ فاطلبهُ في كتاب المِلَل والنحَل للشهرستانيّ

ولمَّا جاء موسى الكليم. وسنَّ السُّنن على سَنن قويم. ورسم رسوم الذبائح والقرابين. وعيَّن المحلّل والمحرّم اكلُهُ من الحيوانات والطيور والاسماك بكلامٍ مُبين. وانتشر دين اليهود في المعمور. وأُصلحت ذاتُ البين بين الآمر والمأمور. فقويت شوكتهم. وامتدَّت سطوتهم. أَدخل الصابئة شيئاً كثيرًا من الشعائر الدينية. والرسوم الموسويّة. امَّا ليُعَمُّوا على الأَغرار بقاءهم على عبادة الكواكب والاوثان. واما تظاهرًا باليهودية ليُترَكوا وشأنهم على ما هم عليهِ من الطغيان. وسوف ترى في محلّهِ السنن التي اقتبسوها من الموسويّة. ما لا يبقي ريباً في الحقيقة الراهنة التاريخية. الَّا انهم لم يقبلوا قيدًا من تلك القيود. وهو الختان المعتبر علامةً مميّزة لليهود. وعندهم من يُختتن. يتهوَّد فيُلعن. فلهذا لا يكرهون الختان. بل يكرهون اعظم الكراهية كل دين من الاديان. أُدخلت فيهِ هذه السُّنَّة. ولا يخالطون المعذور الَّا بكلّ انتباه وفطنة. واذا كلَّموهُ يغتسلون بعد ذلك. لانهم يعتبرون مخاطبتهُ جَنابةً بل من اعظم المهالك

وانَّما لم نعيّن لاطوار الصابئة طور اقتباسهم السنن الموسويّة لانَّ هذه القُرُبات داخلة في اقامة الشعائر ولا تمسّ المعتقد بشيء. وانّنا قد قسمنا تلك الاقسام الكبرى من جهة المعتقد لا من جهة المناسك اذ لو أَردنا ان نلتفت الى إدخال الشعائر لاتّسع علينا الخرق وامتنع الرَّتق

هذا لا ننفي وجود لسان غير اللسان الاشوري اخذ مذ ذاك الحين يتزج بلغة بابل نريد بذلك اللغة الكنعانية التي يظهر منها بعض الآثار في رسائل تل العمارنة. وهذه اللغة الكنعانيةِ هي التي تغلّبت بعدئذٍ في انحاء الشام وطمست (بفرعيها العبرانية والفينيقية) آثارَ لغة اشور. وهذا يطابق ما نعرفهُ من احوال بلادنا فان اهلهُ كانوا قبل عهد المسيح بثلاثة آلاف سنة قبائل ساميَّة من البابليين ثمَّ لم يزل يهاجر الى سوريَّة جيلٌ من الناس نُسبوا الى الكنعانيّين حتى غلب هذا العنصرُ الكنعاني العنصرَ البابليّ وقام مقامهُ (١

وعليهِ انَّ اول فائدة تُستفاد من مكاتبات تلّ العمارنة انَّما هي شيوع اللغة البابليَّة في لبنان مع ابتداء انتشار الفينيقيَّة. وترى التراكيب الفينيقية في رسائل اهل الساحل لاسيما جبيل وبيروت اكثر منها في غيرها. فيؤخذ من ذلك انَّ سوريَّة كانت وقتئذٍ كمضمار يتجارى فيهِ شعبان كبيران: البابلي وهو المتولي على الارض المالك عليها تحت سيطرة فراعنة مصر. والكنعانيّ الذي ينمو ويزداد يوماً فيوماً الى انَّ ثبتت دعائمهُ وامتدَّت اطنابهُ واستولى على السيادة بدلاً من خصمهِ المدحور وغلّب لغتهُ على لغتهِ

ومن بعد هذه المقدَّمة يترتَّب علينا ان نبحث عن مضمون مكاتبات تلّ العمارنة فنقول انَّ هذه المراسلات تُقسم الى قسمين الاول: يشتمل على الرسائل التي بعث بها الى فراعنة مصر أقيالُ آسيَّة وملوكها غير الخاضعين لدولة المصريين كالحثيين وملوك العراق وبابل واشور. امَّا القسم الثاني فانَّهُ يتضمَّن رسالاتٍ انفذها الى ملوك مصر او وزرائها ولاةٌ وامراء عديدون من سوريَّة وفلسطين. وكانت بلادنا في ذلك العهد تحت حكم مصر فيستشفُّ من مطاوئ كلام الكتبة التذلُّل والتواضع كما يكتب العمَّال الى سادتهم والعبيد الى اولياء امرهم

وفي مقدَّمة هذه الرسائل اسم الكاتب على هذه الطريقة: « عبدك فلان » او « فلان عبدك من مدينة كذا » او ايضاً « فلان كلب الملك ». ولا ترى احداً من هؤلاء الكتبة يلقّب نفسهُ بملك او امير بل يكتفي باسم « خزانو » وهو الحاكم او الوالي. وقد ورد في رسالة حاكم جبيل « ريب ادَّى » او « ريب ادّي » قولهُ للفرعون: « لاي سبب

---

١) راجع كتاب المعلم ڤنكلر H. Winckler : *Die Völker Vorderasiens*

قد نُقرت فيها مدافن تزينها النقوش والكتابات الهيروغليفية استنتج منهـا العلماء انَّ ثمّت ازهرت مدينـة « حوت اتن » او « حوت ناتن (١ » كرسي ملك فرعون مصر المدعوّ امينوفيس الرابع وكان هذا الملك بنى تلك المدينة نحو سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد وبقيت مدَّةً الى ان خربت بعد وفاتهِ

ولمَّا كانت بعض شهور سنة ١٨٨٨ بينا كان قومٌ من الفلاحين يحفرون بجوار هذه الاخربة اذ عثروا على صناديق خشب مملوءة من قطع الآجرّ كلها مكتوبة على وجهيها باسطر متلاصقة ناعمة. فسُرَّ الفـلَّاحون بهذا الاكتشاف واملوا من بيعهِ ربحًا طائلًا. وحملهم طمعهم الى ان كسروا اكبر هذه الالواح فجعـلوها قطعًا ليزيد بذلك عددها وربحهم معًا. ولعلَّ جهلهم كان أودى بهذه الكنوز الدفينة لولا انَّ الخبر بلغ مسامع أُولي الامر فبادروا حالًا الى تلافي الضرر وضبطوا ما وجدوهُ من الآجرّ ومنعوا كسرهُ وتشتيت قطعهِ. وقد نال المتحف البريطاني النصيب الاوفر من هذه الكتابات فانَّ منها هنالك ٨٠ آجرَّة كبرى حسنة. امَّا المتحف المصري فاصاب منها نيِّفًا وستين قطعة. وفي دار عاديات برلين منها ١٨٠ قطعة دون القطع السابقة كبرًا وكذلك تمكَّن بعض الخواص فحصلوا على قطع صغرى ابتاعوها لنفوسهم

وما عتم العلماء ان عرفوا ان الكتابات المرقومة على الآجرّ هي الكتابات المسماريَّة البابليَّة وانها تشتمل على سجلَّات الدولة في ايَّام امينوفيس الرابع وابيهِ امينوفيس الثالث فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع لدى المستشرقين

وان سأل سائل كيف دخلت اللغة البابليـة في سجلَّات ملوك مصر ؟ أجبنا انَّ الامر لا يخلو من بعض الشبهة. وقد ذهب قومٌ من العلماء الى انَّ اللغة البابلية كانت في ذلك العهد اللغة الرسمية بين الدول الشرقية كما ترى اللغة الفرنسية في ايَّامنا. وذهب غيرهم كالاب ديلاتر اليسوعي الشهير (٢ الى ان اهل الولايات الشاميَّة في زمن مكاتبات تلّ العمارنة كانوا يتكلَّمون باللغة البابلية وهو عندنا الرأي الارجح. على اننا بقولنـا

---

١) لم يتَّفق العلماء على كتابة الاعـلام الواردة في رسائل تلّ العمارنة فاتَّبعنا ما رأيناهُ اقرب الى الصواب

٢) راجع كتابهُ في بلاد كنعان على عهد الدولة المصريَّة Le pays de Channan, province de l'ancien empire égyptien, p. 26-30

وشكَّة وشتورة ومكسة في البقـاع (١. بيد انَّ العلماء الاثبات لم يوافقوهُ على رأيهِ حتى الآن

ومن الاعلام المذكورة اسم مدينة امّيا ذهب الاب ديلاتر اليسوعي الى ان موقعها وراء لبنان او في جهتهِ الشماليَّة. وقد زعم كُنْدر ان امّيـا هذه هي اميون الحاليَّة في معاملة الكورة. فان صحّ قولهُ تكون اميون أقدم بلدة نعرفها في داخل لبنان. والرسالة التي ورد فيها هذا الاسم كاتبها احد العمَّال المصريين يطلب من صاحب امّيـا ان يسلم اليهِ عددًا من العبيد مع ابنة الشيخ ويرسل لهُ فضَّةً وعجلات وخيلاً ثمَّ يختم قولهُ بما نصُّهُ : « اعلم ان الملك على احسن حال كالشمس في السماء وان جيشهُ وعجلاتهِ على ما يرام من الصلاح »

وقد جاء ايضـاً مرارًا في هذه الرسائل اسم بلدة تدعى « نخاسه » يظنّ العلاَّمة نيبور (٢ انها كانت في شمالي شرقي لبنان اما الاب ديلاتر (٣ فيجعلها قريبة من حمص. ففي اقوال العلماء كما ترى تبايُن ظاهر

ولكن ان كانت افادات رسائل تلّ العمارنة قليلةً عن احوال لبنان الداخلية فانَّها كثيرة التفاصيل عن المدن الساحلية خصوصاً جُبيل. ولواليها « ريب ادَّى » وحدهُ نحو خمسين رسالة في مجموع رسائل تل العمارنة

واول ما يستلفت انظار مطالع هذه الرسالات ان مدن ساحل الشام كانت فائزة بنصيب من العمارة والتقدُّم فكانت التجارة البحريَّة فيها على قدَمٍ. وكثيرًا ما ورد ذكر سفن جبيل وبيروت وصيداء التي كانت تمخر عباب البحر المتوسط وتنقل محصولات البلاد الى اماكن شتَّى. وما هو اعجب من هذا ان المدن المذكورة كانت قد اتخذت لها بوارج حربيَّة. والدليل على ذلك ما ورد في رسائل « ريب ادى » الى فرعون قال : « ان اهل ارواد عنـدك الان فاضبط سفنهم التي هي في مصر ». وقال في رسـالة اخرى عن سفن بيروت وصيداء : « أليست هاتان المدينتان تحت ولايتك فولِّ عليهما

(١) راجع كتابهُ The Tell Amarna Tablet. 2 de ed. London 1894

(٢) راجع C. Niebuhr: *Die Amarna – Zeit*, p. 26

(٣) راجع كتابهُ السابق ذكرهُ ص ٤٧

جعلَني الملك خزانو » فاستدلّ المستشرقون من هذا الكلام ومن غيرهِ انَّ رتبة « الخزانو » كان ملك مصر يقلدها بنفسهِ الولاة فيخلفهم فيهـا اولادهم من بعدهم. ويستدلّ من هذه المكاتبات انَّ النساء كنَّ ينَلْنَ رتبة الخزانو كالرجال وهو امرٌ غريب لم نجـد لهُ شبيهاً في تاريخ الشام سوى ما ورد عن زينب في تاريخ تدمر (١

وتحتوي الفاتحة ما عدا اسم الكاتب ذكر الفرعون والقابهُ على هذا المنوال: « الى الملك سيدي والهي ونوري وشمس السماء فلان. . . عبدك وتراب قدميـك وسائس خيلك. اني اخرّ على اقدام سيدي سبع دفعـات وانطرح سبعًا على صدري وظهري » وفي بعض الرسائل يبالغ الكاتب في التذلّل والخنوع الى ان يجعل نفسهُ «كلبًا اهلًا بان يطأهُ سيدهُ تحت اقدامهِ » ثمَّ يلي هذه المقدَّمة فحوى الكتاب

امَّا رسائل الملوك فمقدَّماتها تُشعر بمرتبة اصحابهـا مثال ذلك ما كتبهُ « دوسرتا ملك ميتاَني » اي بلاد ما بين النهرَين وكانت اختهُ زوجةً لِأَمينوفيس الثالث وابنتـهُ لابنهِ امينوفيس الرابع :

« الى الملك العظيم ملك بلاد مصر اخي وصهري (وفي الاشورية ختني) الذي يحبني وانا احبّهُ كتبت هذا لأُفيدك. انا دوسرتَّا الملك العظيم صهرك الذي يحبُّك ملك ميتاَني اخوك اني على احسن حال. واقرأُ عليك السلام وعلى آل بيتك وعلى اختك وحريمك وعلى اولادي وعلى عجَلاتك وخيلك ووزرائك وبلادك وكلّ مالك. سلامٌ للجميع يكون اطيب سلام

وفي مكاتبات تلّ العمارنة اعلام مُدن كثيرة نكتفي بذكر ما لهُ بعض العلاقة مع اخبار لبنان وهي: عكَّا (كما تُكتب اليوم) وصورّي (صور) وصيدونا (صيداء) وبيروتا او بيرونا (بيروت) وجبلة (جبيل) وسمورًا او سمورّي (وهي بلدة تُرى اخربتها على مسافـة كيلومترين من مصبّ نهر الكبير شمالًا) وارواد (جزيرة ارواد). ومن المدن الداخليَّة المذكورة في هـذه الرسائل. دِمَسقا او دِمَسقي (٢ (دمشق) وقطنا في جوار دمشق (ولعلَّها قرية قطنة)

ولا ترى في مكاتبات تلّ العمارنة ذكرًا لجبل لبنان لاسيما جهاتهِ الداخلية الّا نادرًا. وقد زعم الكولونل الانكليزي كُنْدر (Conder) انّهُ وجد فيهـا اسماء البترون وجونية

١) وقد اخبر المسيو دوسّو في رحلة حديثـة الى جبال النصيريَّة انهُ وجد امرأةً كانت متولّية رُتبة المختار في ضيعتها

٢) راجع مقالتنا في اسماء دمشق (المشرق ٣ : ٦٥٨)

الساحليَّة. وما لا مراء فيهِ ان الفينيقيين كانوا يعرفون من ذلك العهد جزائر الارخبيل وسواحل اسيَّة الصغرة وكانت قفولهم البرّيَّة تتردَّد اليها للمتاجرة

فممَّا تقدَّم يلوح للقراء ان فينيقية كانت بلغت في القرن الرابع عشر قبل المسيح مقامًا عاليًا من حيث تجارتها الواسعة وثروتها الوافرة. وكانت المعادن الثمينة كالذهب والفضَّة تُصاغ في جبيل فتجديها ارباحًا كثيرة يدلُّ على ذلك كتاب حرَّرهُ واليها ريب ادَّى السابق ذكرهُ. وكذلك كانت الزراعة والفلاحة في حال زاهٍ رائعٍ. وكان الزيت والخمر من جملة ما يقدمهُ الفينيقيون لملوك مصر لوفاء الجزية. ولعلَّ الخمر اللبناني اشتهر من ذاك الحين قبل ما يذكرهُ هوشع النبيّ في سفر نبوَّتهِ. وقد ذكرت ايضًا رسائلنا « الاشجار الكبيرة » التي وهبها ازيرون احد امراء فينيقية ولمَّا كان هذا يملك على قسم من شمالي لبنان فعلى ظنّنا ان الاشجار الكبيرة المذكورة انما المراد بها شجر الارز. وهذا يصحُّ ايضًا عن جبال بيروت وجبيل التي منها قُطعت اخشاب هيكل اورشليم في زمن حيرام وسليمان

وممَّا يدل على عمران بلادنا في ذلك العهد ذكر العجَلات الحربيَّة. لانَّ وجود العجلات ينبئ بوجود طرق موثورة وفي توثير الطرق ما لا يخفى من الفضل لانَّ ذلك لا يخلو من الصعوبة في جبال كجبال لبنان (١

وقد جاء في رسالة لاحد ولاة بيروت اسمهُ امّونيرا ما تعريبهُ: « لمَّا ورد امر سيدي وشمسي عليَّ انا عبدهُ وتراب قدميهِ. قائلًا » : «اذهب الى مساعدة انصار سيدك الملك» للحال اطعتُ امرهُ وهاءنذا لاحقٌ باصحاب سيدي الملك مع « خيلي وعجلاتي وكل ما لي ». ولهذا الكاتب رسالة اخرى يذكر فيها عجلاتهِ الحربيَّة وما بينهُ وبين ريب ادّى من الصلات الوديَّة (٢

هذا ولا تكاد رسائل ريب ادّى العديدة تخلو من ذكر الحرب التي اصلاها عليهِ « عبد الشرى وابنهُ ازيرون صاحبا اموّري الشديدان » . ويؤخذ من سياق

---

١) راجع ما كتبناهُ في هذا الصدد في اثناء كلامنا عن السكك الرومانية في لبنان

٢) الَّا ان هذه العلائق الوديَّة لم تدم زمنًا طويلًا كما سترى وقد مرَّ ان سفن بيروت استولت على سفن جبيل

رجلًا يمكنهُ ان يجهّز سفناً لبلاد اموري (١)». وزاد في رسالة ثالثة ان سفن صيداء وبيروت بلغت ساحل بلاد اموري وقبضت على احدى مراكبها ثم اردف هذا الخبر بقوله: «وهذه السفن قادمة الآن لتستولي على بعض سُفني»

ولا عجب من هذا الخصام الواقع بين مدن مجاورة فان رسائل تل العمارنة تنبئنا بان امر بلادنا كان وقتئذٍ فوضى لا تجمع اهلها كلمة. وفي ما يأتي ادلّة على ذلك

امّا تجارة الفينيقيين البرّية فكانت تبلغ الى تخوم مملكة اشُور وكانت قوافلهم تعرف حقّ المعرفة كل الشعوب التي تملك على الاقطار المتوسطة بين بلادهم وبلاد بابل. وقد ورد ذكر هذه الممالك في رسائل تل العمارنة. وكان البابليُّون والميتاّنيون يزاولون صناعة المعادن وخصوصاً صيغة الجواهر الكريمة ثمّ يبيعونها للفينيقيين والفينيقيُّون ينقلونها الى الامصار البعيدة. وكان تجار فينيقية يعاملون ايضاً الحثيين في آسيَّة الصغرى ويرحلون الى عيلام اي بلاد فارس. ولا غرو فانّهُ يستدلّ من الكتابات الاشوريّة التي سبقت عهد رسائل تلّ العمارنة ان العيلاميين غزوا بلاد فينيقية فتكون الصلات بين الأُمّتين نشأَت مذ ذاك الحين

امّا الجهات الجنوبيَّة فكان الفينيقيُّون اعلم بها من غيرها فكانوا يُبحرون بلا انقطاع الى القطر المصري تارةً ليدفعوا الجزية للفرعون واخرى لمصالحهم الخاصَّة فيبيعون سلعهم ويستبدلونها بذهب مصر الشهير الذي ورد عنهُ في رسائل تلّ العمارنة «انّهُ كتراب الارض كثرةً». والمظنون ان المصريين كانوا جلبوا هذا الذهب من بلاد النوبة التي غزوها

ثمّ ان تاريخ الازمنة التابعة يشهد على ان سليمان الحكيم وفراعنة مصر في عهده كانوا يستخدمون الفينيقيين لتاجراتهم وعندنا ان الامر كان كذلك في القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل المسيح. وان الفينيقيين لم يجهلوا جنوبيّ جزيرة الهند

وامّا اسفار الفينيقيين الى شمالي غربي البحر المتوسط فلا ذكر لها في مكاتبات تلّ العمارنة. وانّما ورد فيها اسم بلاد «ألآسيا» والمرجّح انها توافق بلاد كرمانيا الحاليّة او احد الاقطار الواقعة في شمالي سوريّة. ومن اوصافها انّها كانت من البلاد

١) ذكر هذه البلاد وارد في ما يأتي والآراء متضاربة في تعيينها

المذكور هو ازيرون وكان مالكاً على البلاد الواقعة شماليّ دمشق وعلى قسم من وادي العاصي اي البلاد المتوسطة بين بعلبك وبحيرة حمص فطمع في املاك جارهِ صاحب جُبيل واخذ منهُ ما اخذ في بقعة طرابلس وجبل عكّار ولبنان

ثمَّ تفاقم الامر حتّى بلغ مسامع ملك مصر. وفي رسائل تلّ العمارنة ما يُشعر بغضب الملك على ريب ادّى لسوء تدبيرهِ وعلى ازيرون لتعدّيهِ حدود ولايتهِ . الَّا ان ازيرون المذكور كتب الى الفرعون ليزكّيَ نفسهُ ويلقي تبعة الامر على صاحب جُبيل. وكتابهُ غريبٌ في بابه احببنا ان نثبتهُ هنا:

« الى الملك العظيم سيدي وإلهي وشمسي من ازيرون عبدهِ اني اقبّل الارض امامك سبع مرّات...اعلم سيدي اني انا عبدك متعفر في التراب امامك ملكي ومولاي. ثم اني اتجاسر واقول لعزّتك لا تُعر سمعك الى الاعداء الذين رموني عندك بالزور والبهتان فاني عبدك الخاضع الى الابد »

لكنَّ الفرعون لم يرضَ بقول ازيرون واستدعاهُ الى مجلسهِ ليدافع امام الملك عن نفسهِ. والظاهر انهُ سُجن في مصر ومات في حبسهِ

امَّا ريب ادّى فلا نعلم عن وفاتهِ شيئًا. وغاية ما يستفاد عنهُ من رسائل تلّ العمارنة انَّهُ عمر زمنًا طويلًا وانَّهُ تولّى على جُبيل في ايام امينوفيس الثالث وابنه امينوفيس الرابع . وفي رسائلهِ دلائل على انهُ كان يطلب خير رعيتهِ وانهُ كان متعبدًا لعشتروت « بعلة جبيل (١ » يذكر اسمها في مقدَّمة اكثر رسائلهِ. ويلوح ايضًا من كتاباتهِ هذه انَّ اسرتهُ كانت مالكة على جُبيل وضواحيها منذ قديم الزمن لأنَّهُ يشكو الى فرعون مصر امرهُ ويقابل حالهُ السيئة بحسن حال اجداده فيقول : « ان الملك كان سابقًا يُرسل الى اجدادي دراهم وغير ذلك ممَّا كانوا يحتاجون اليهِ وكان يسيّر لهم جنودًا امَّا انا فارسلت الى سيدي الملك ساعيًا ليساعدني ببعثة من الجند فلم يرسل اليَّ احدًا »

فممَّا سبق يتَّضح لقرَّائنا ما تتضمَّنهُ مكاتبات تل العمارنة من اخبار لبنان وسواحل الشام. لكنَّ اهميَّتها الكبرى مبنيَّة على قدمها لأنَّها كُتبت قبل موسى الكليم وقبل سفر التوراة وفيها عدَّة تفاصيل تثبت صحَّة اقوال الكتاب. ومنها ايضًا يتبيَّن ما في درس اللغتين المصريَّة والبابليَّة من الجدوى للعلوم التاريخيَّة. وفي ما

(١ راجع مقالتنا عن الديانة الفينيقية في لبنان

كلامهِ انَّ سلطتهُ كانت تمتدّ على ساحل جبيل الى طرابلس او مصبّ نهر الكبير شمالًا والى نهر الكلب جنوبًا مع ما يجاور هذا الساحل من لبنان. امّا والي بيروت أُمونيرا فكان نهر الكلب يحدُّ ولايتهُ شمالًا

ومن تصفَّح رسائل ريب ادّى ادرك انّهُ كان قليل البخت لم تسعدهُ الايام. ومن المبكيات المضحكات ما كتبهُ اليهِ احد عمّال مصر بسبب قطيع من الحمير كان الفرعون عهد اليهِ بحراستهِ بقرب مصبّ نهر الكبير في بلدة سميرة:

« .. عمَّ الطاعون بلدة سمرّي فامات الرجال واهلك الحمير .. ويلًا لك من كان بناظر الحمير ان انت لم تهتمّ بها .. تقول ان الحمير وحرّاسها قد أُصيبوا بالطاعون وان مواشي سيدي الملك قد هلكت فاذن يُقتضى عليك ان تطلب غيرها للملك .. »

فهذه الرسالة تفيدنا ان فراعنة مصر كانوا اتخذوا لهم وسطاء من جلدتهم يناظرون ولاة المدن وامراء البلاد ويوقفون الملك على احوالهم وكان هؤلاء المناظرون يبلّغون مرؤوسيهم اوامر الفرعون. وربمّا لاموهم عن اعمالهم كما رأيت او دافعوا عنهم في وقت الحاجة او اصلحوا ما حدث من الخصام بين اصحاب مدينة وجارتها

ودونك كتابًا آخر من ريب ادّى لبعض المناظرين المصريين اسمهُ امانيًّا يعرض لهُ فيهِ تشكياتهِ من اخصامهِ:

الى امانيًّا ابي الصغير من ولدهِ ريب ادّى. اني انطرح على اقدام ابي الصغير. ثمَّ أَسأَلهُ ثانيةً: أَلا نستطيع ان تنقذني من ايدى عبد الشرى ... لا يبالي بامري احد من ولاة المدن ولعلّهم جميعًا متّفقون معهُ ولذلك قد استفحل امرهُ . امّا انت فاجبتَني : أَرسل في صحبتي ساعيًا الى بلاط الملك فان رضي الملك اعدتُهُ اليك مع الجنود ليدافعوا عن حياتك. فكان جوابي : اني لا اتأخر في ارسال الساعي ولكن ليبقَ ذلك سرًّا لا يعلم بهِ عبد الشرى لان يَنْهامون (وهو ناظرٌ آخر كان لملك مصر) قد ارتشى. فأَجبتَ : أَرسل سفينة الى يارِمُنْتا فيأْتيك منهُ فضَّة وحُلل... ويلاهُ من يخلّصني . فاذا لم تسرع الجنود الى نجاتي سأترك المدينة وانجو بنفسي »

وفي رسائل أُخرى يطلب حينًا اربعة رجال وعشرين عجلة وحينًا اربعين جنديًّا (١... وتارةً مئتين من المشاة وفئة من الخيَّالة. الَّا ان المناظر المصريّ لم يجب الى طلبة ريب ادّى ولم يُبالِ بامرهِ وعليهِ فلم يزل عدوّهُ يغزو ايالتهُ وتتقوى شوكتهُ حتّى ضبط كل النواحي المجاورة لبلاد جبيل ولم يترك لصاحبها غير مدينتهِ . والعدوّ

(١ وفي الاصل يطلب الكاتب ان يكون عشرون منهم مصريين وعشرون من بلاد « ميلوخا » وميلوخا هذه مقاطعة واقعة عند تخوم مصر والشام

الكاذبة واصل الرئة اليسرى. والوجه الداخلي بهِ ثقوب كثيرة مرتبة على خط عمودي حيث مجموعها يكوّن فرجة الطحال. فالجزء السابق للفرجة في هذا الوجه سويٌّ تقريباً ولهُ علاقة بطرف المعدة العظيم وهو اكبر من الجزء اللاحق. امَّا هذا الاخير فهو متصل بالركن الايسر من الحجاب الحاجز وبذيل البنكرياس

والحافة المقدَّمة وهي رقيقة حادّة محدّبة فلها علاقة بالحجاب الحاجز ايضاً وقليلاً بالجدران الباطني

امَّا الحافة المؤخرة فهي اقلّ تحدُّباً واكثر سمكاً من المتقدّمة وهي متصلة بالجزء الاعلى من الكلية اليسرى وبالحافظة أعلى الكلية المذكورة. وقد يشاهَد غالباً في طرَفي الطحال بعض تشققات مختلفة العمق يُستدل منها على تقسيم العضو اوليــاً الى جملة فُصيصات

ثمَّ الطرف الاعلى وهو اعظم من الآخر لهُ علاقة بالحجاب الحاجز واحياناً بطرف المعدة الايسر خصوصاً في زمن الطفوليَّة. واخيرًا الطرف الأَدنى وهو يتصل بالزاوية اليُسرى للقولون المستعرض حيث يقبل في موضعٍ لهُ هناك على شكل جراب مَصْلي رقيق

٢ بناء الطحال

الطحال مغطىً ظاهرهُ بطبقتين احداهما زلاليَّة والاخرى ليفيَّــة . وباطنهُ مركَّب من مادَّة جوهريَّة خاصةٍ بهِ يُقال لها اللبّ الطحالي تتخلَّلها اوعية دمويَّة فاعصــاب فاوعية لمفاويَّة الخ

امَّا الطبقة الزلاليَّة فممتدَّة من البريتون وهي ملتحمة كل الالتحام بالطبقة اللّيفيَّة التي تحتها حيث تحيط بالعضو احاطةً تامَّة. ثمَّ تنعطف هذه الطبقــة على نفسها وراء الفرجة فتبدو منها ثلاث ثنيَّات: احداها توافي طرف المعدة العظيم والثانية تلحق بالركن الايسر من الحجاب الحاجز والثالثة تتصل بذيل البنكرياس

وتلي الغشاء البريتوني المذكور الطبقة الليفية التي تلمّ بجميع اجزاء العضو كغلاف مستحكم (يشبه غلاف الكبد) وهي مكوَّنة من نسيج موصل تتغلَّب فيهِ أَلياف مرنة وتنشــأُ من وجهها الداخلي زوائد ليفيَّة تخــترق باطن الغدَّة وتنقسم الى اجزاء وتتفرعُ ثمَّ تكوّن خلايا مميّزة عن بعضها مفعمة باللبّ الطحالي. ثم عند فرجة الطحال حيث مجتمَع ما يصدر ويرد من الاوعية والاعصاب وغيرها تمتدّ هذه الطبقة الليفية الى

اكتشفهُ المستشرقون منها حتى الآن ضمين عن فوائد اكتشافات المستقبل ان شاء الله (١

الطحال ووظائفهُ

بقلم الشاب الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

١ تشريح الطحال

الطُّحال هو احدى الغُدد الوعائية الدمويَّة ومركزهُ الجانب الايسر من البطن بين الحجاب الحاجز وطرف المعدة العظيم. وهو مفرد قلما شوهد مضاعفاً فاذا وُجد جملة طحالات معاً كان اهمُّها واحدًا وغيرهُ ثانويًّا وما تلك الَّا فُصيصات من تبعيَّتهِ بقيت منفصلةً تأْتيها فروع من الشريان الطحاليّ. والعضو ذات شكل هلاليّ تتوكَّأُ تجويفتهُ على طرف المعدة العظيم. لونهُ احمر قاتم يشبه ثفل النبيذ وليس في تركيبهِ النوعي الَّا قليل من الصلابة كما ان منسوجاتهِ سهلة التمزيق

امَّا متوسّط طولهِ فيبلغ اثني عشر سنتيمترًا وعرضهُ ثمانية سنتيمترات وسمكهُ ثلاثة سنتيمترات. امَّا وزنهُ عادةً فمئة وخمسة وتسعون غراماً بعد الوفاة ومائتان وخمسة وعشرون غراماً في مدَّة الحياة اذ يكون مفعماً بالدم كما قدَّر ذلك الاستاذ ساپي (Sappey)

وهو معهود بكثرة التحرُّك فلذا تختلف علاقاتهُ مع الاعضاء المجاورة حسب المواضع التي يحلُّها. وتكون تلك التنقُّلات امَّا طارئة او فيسيولوجية او مرَضية. فالفيسيولوجية منها متعلّقة بتأْثيرات متعدّدة الاحوال كانقباض الحجاب الحاجز وتعاظم حجم المعدة (من الطعام) والحمل الى غير ذلك

ولهذه الغدة وجهان داخليّ وخارجي وحافتان مقدَّمة ومؤخَّرة وطرفان أَعلى وادنى: فالوجه الخارجي محدَّب املس متصل بالحجاب الحاجز وهو يفرق بينهُ وبين الاضلاع

١) ان اردت كلاماً مطوَّلاً عن مراسلات تل العارنة فراجع مقالات مسهبة كتبها الاب ديلاتر. ومن جملتها نبذة افرنسيَّة دعاها: «اكتشاف تل العارنة». ثمَّ عقَّبها بمقالة اخرى وسمها «بكتابات تلّ العارنة». وللمستشرق الشهير هالڤي (J. Halévy) مقالات في الموضوع نفسهِ في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسوية (J. A. 8e série, XVI —XX)

فهي اغماد الفريعات الشريانية الدقيقة وقد تشبه في وضعها حبّات العنقود. ثمَّ تخترقها من الوسط او من احد جوانبها وهو الغالب اوعية شعريَّة من الخارج الى الداخل حيث تكوّن اذ ذاك في قلبهِ ما هو اشبه بضفيرةٍ

وبناء هذه الجسيمات الجوهري كبناء الاجربة المتفرّقة المعهودة في المعى الدقيق او الغدد اللمفاويَّة اي على هيئة شبكة دقيقة خلاياها مشغولة بذرَّات كثيرة شبيهة بالجسيمات اللمفاويَّة يغمرها سائل ألبوميني شفَّاف

٣ وظائف الطحال

لقد طالما خاض علماء الطبّ القديم والحديث غمار الاستطلاع في لجج هذا الموضوع الخطير وبذلوا ثمين اوقاتهم في البحث والتنقيب عن حقيقة سرّهِ تارةً باجراء التجارب المتعدّدة وأُخرى باقامة المناظرات البيّنة لتعريف غاية هذا العضو الذي قال بعضهم انَّهُ غير ضروري للحياة ولا سيما في البالغ بدعوى انهُ قد أُخرج الطحال كثيرًا من الحيوانات واحيانًا من الانسان فلم يعقب ذلك ضرر واضح. وبالغ آخرون فقالوا وجودهُ عناء على الجسم فاذا استُئصل منهُ قويت فيهِ بعض العضلات وصار صاحبهُ يركض اكثر من ذي قبل ولا يتعب.. فذهبوا في ذلك مذاهب شتى ولكنَّهم اذا ايقنوا بان العناية الالهية او الطبيعة على ما يزعم فريق لم توجد في الكون شيئًا الَّا ولهُ غاية جوهريَّة وحكمة بالغة سواءٌ ادركها العقل او قصرت عن كنهها الافهام عادوا الى الاستقراء والعود احمد فواصلوا الجدّ بالعمل وقد طال بهم الوقوف امام هذا السرّ المكتوم حتى قيَّض الله منذ عهدٍ ليس ببعيد لنخبة من علماء الطبّ كشف النقاب عن بعض وظائف الطحال فكان اذ ذاك حسن المآل داعيًا لتحقيق الآمال

فقد ظهر لبعضهم عقب جملة مشاهدات ان حجم الطحال يتزايد كثيرًا في قرب نهاية العمل الهضمي وان اكبر داعٍ لتلك الزيادة هو كثرة البلاسما الالبومينية التي تحتويها مادَّة العضو الجوهريَّة كما ان البلاسما المذكورة تتناقص كميَّتها شيئًا فشيء بعد ذلك العمل الى ان تكاد لا تُذكر ولا سيما عند اشتداد الجوع. فاستدلوا من تلك النتائج على انَّهُ لا بدّ وان يكون لهذه الغدّة شأنٌ عظيم في اصلاح مواد الدم الالبومينيَّة اذ يصير لها بمثابة عامل تكويني يحفظها طيّ اوعيتهِ وخلاياه مدَّةً من الزمان ريثما يرجع يأخذها الدم منهُ تدريجًا حسب احتياج الطبيعة اليهِ

الداخل على هيئة اغماد غلافية ترافق الشرايين والاوردة فتكسوها واخيرًا تتصل بالزوائد الليفيَّة المذكورة فتشتبك معها. وتحتوي ايضاً هذه الطبقة على بعض أَلياف عضليَّة ذات شكل مخصوص وهي مع الالياف المرنة تمنح للعضو خاصيَّتين احداهما المرونة ولا مشاحَّة فيها والثانية الانقباض وقد ثبتت بعدَّة تجارب

امَّا اللبّ الطحالي فهو نوع من النسيج خاصّ بهذه الغدَّة يشغل خلاياها الباطنية وهو ذات لون احمر قاتم او اسمر محمرّ ومعظمهُ مكوَّن من كُرَيَّات مختلفة الاجناس بعضها جسيمات مُحبَّبة تحاكي في تركيبها الذرَّات اللمفاويَّة وبعضها جسيمات دمويَّة حمراء باقية على وضعها الاصليّ او طرأَ عليها شيء من التغيير وبعضها ذات حجم يُذكر محتوية على مادَّة ملوَّنة كمادة الدم او جسيمات مستديرة تشبه كرَيَّات الدم الحمراء. ثم يوجد اخيرًا سائل احمر يملأُ ما بقي من فراغ الخلايا وهو مكوَّن من فضلات الدم التي رشَحتهُ الاوعية ويقال لهُ السائل الطحالي

والاوعية الدمويَّة هنا تختلف نوعاً في وضعها عن اوعية الدورة الدمويَة العامَّة:

فالشريان الطحالي عندما ينفذ الى العضو من وجههِ المقعَّر اي من فرجتهِ كما سبقت الاشارة الى ذلك ينقسم الى فروع متعدّدة في باطن اللبّ الطحاليّ بدون ان يحصل تغمّم كثير بين فريعاتهِ ثم عند غاية مسيرها تنتهي جميع تلك الفروع الى الاوعية الشعريَّة فتتواصل اطرافها بجُذَيرات الاوردة كما يُشاهد ذلك النظام في سائر اجزاء الجسم او تنتهي في خلايا في عمق اللبّ الطحاليّ حيث تأْخذ الاوردة منشأَها. غير ان كلّ فرع يبدو من ذلك الشريان الاصليّ يكون مستقلاً بوريد خاصّ لهُ ويتوزَّع على قسمٍ معيَّن بدون اشتباك مع بقية فروع الاوعية المجاورة حتى انَّهُ يمكن ان ينضح كل فرع شريانيّ بمادّة ملوَّنة مختلفة ولا يرى في كل بقعة الَّا مجرَّد اللون الذي اعطي لها بدون امتزاج مع الالوان الاخرى

هذا ويُرى بالعين المجرَّدة في بعض طحالات بقعٌ دقيقة مستديرة الشكل او اهليليجيَّة ذات لون سنجابي مائل الى البياض يختلف قطرها بين نصف وربع المليمتر يقال لها جُسيمات مليبجيوس (Malpighi) باسم العالم الذي اكتشفها سنة ١٦٦٦ وهي متفرّقة تبعد الواحدة عن الاخرى بثلاثة او اربعة مليمترات تقريباً. ذلك ما حدا بالاستاذ سابي ان يقدّر عددها بين سبعة وثمانية آلاف في الطحال الواحد. امَّا مراكزها

تكوين جراثيم الكريات الدمويَّة بيضاء كانت ام حمراء · واستدلوا على ذلك بعدَّة مشاهدات نقتصر على بعضها لضيق المقام عن استيفائها · فيصبح اذ ذاك بهذه الوظيفة اشبه بالغدد اللمفاوية التي جل مزاياها القيام بكليات هذا العمل · كما وانه من المحتمل ايضاً ان بقية الغدد الوعائيَّة تحوي هذه الخاصية عينها وان يكن بدرجات متباينة تختلف باختلاف انواعها

واعلم انه قد تحقَّق ان الدم الساري بالوريد الطحالي يتضمن مقداراً وافراً من الكريات البيضاء · وبيان ذلك ان نسبة وجود عدد الكريات البيضاء الى عدد الكريات الحمراء في الدم الشرياني هي كنسبة واحد الى مايتين وخمسة وعشرين · ففي الدم الوريدي الطحالي تهبط هذه النسبة فتكون كنسبة الواحد الى ستين ولا تعليل لذلك الَّا تقدير تكوينها في العضو او ملاشاة الكريَّات الحمراء فيهِ · وهذا الاستثناء الاخير بعيد عن الاحتمال · ثم ان الطحال والجسم الدرقي او بعض الغدد اللمفاوية يتعاظم حجمه في المرض المعروف باللوكوسيتيميا الذي يتضاعف فيه كثيراً عدد تلك الكريات البيضاء

وقد روى الاستاذ كوليكر (Kölliker) انه وجد ضمن اللب الطحالي بعض حُبيبات صفراء تشبه الكريات الدمويَّة في لونها وتركيبها وهي صائرة بعد في دور النمو فاستنتج من وجودها على انها ربما كانت مصدراً لتوليد كريات دموية حمراء

فمن كل ذلك يتَّضح جليًّا انَّهُ يوجد مشابهة عظيمة بين وظائف الغدد اللمفاويَّة المحضة ووظائف الغدد الوعائية الدمويَّة بمعنى ان هذه الاخيرة بواسطة الموادّ الغذائية التي تكون قد امتصَّتها الاوعية الدمويَّة من مواردها تقوم بعملها المؤثر في الاصول الالبومينية اذ تكوّن ضمن خلاياها جراثيم الكريَّات الدمويَّة الحديثة فتدخل في اوردتها وهي تبثُّها في مصادر الدورة العامَّة · كما ان الغدد اللمفاوية تقوم بهذا العمل نفسهِ في المواد الغذائية التي يتناولها المجموع الماصّ العام

وقال الاستاذ هيدون (Hédon) ان الطحال مثل بقية الغدد اللمفاويَّة لهُ خاصية جوهريَّة مأثورة ألا وهي تنقية الدم الذي يمرّ باوعيتهِ من جميع الدقائق اللازبة والاجسام الغريبة التي تتخلَّل الدورة العامَّة احياناً على سبيل العرض فيكون حينئذٍ بمثابة مرشح يحجر تلك الجراثيم حتى يحلّلها الى ان تكون صالحة فيرسلها · وعليهِ فتضخُّم

غير انَّـهُ لمَّا كانت المادَّة الدهنيَّة العاملة في بلاسما الطحال موجودة فيهِ بمقـدارٍ قليل جدًّا استنتج البـعض من نطس الاطبَّاء بانَّـهُ ليس لهـذا العضو شأنٌ يستحقّ الذكر في تحضير المواد اللازمة لتأدية العمل التنفسي نظرًا لما بينهمـا من بُعد الصلات

وقال البعض الاخر ان للطحال من جملة وظائفهِ الرئيسيَّة خاصيَّـة فيسيولوجيَّة مؤدَّاها ان تنحل فيهِ الكريَّات الدمويَّة بعد ان تكون قد اتمت عملها المغـذّي في الجسم وبدأ انحلال الدثار فيها. والباعث على هذا التقرير انَّـهُ يُشاهد في المادَّة اللبيَّة الطحالية الملوَّنـة عدد كثير من تلك الكريَّات عينها موجودة على درجات مختلفة من الانحلال. وكذا يشاهد في نفس الاوردة الطحاليَّة تناقص في الكريَّات الحمراء لما جرى من الانحلال على البعض الآخر وهكذا على التوالي. وقد اجمع المدققون انَّ لهذا العضو دون ما ذكر شأن عظيم في الدورة الباطنية البابيَّة اي ان العلاقة بين هذه وبين الدورة الطحالية شديدة الارتباط

ولقد سبق القول انَّ من خصائص الطحال التمدُّد والانقباض بحيث انهُ يكون صغير الحجم مدة العمل الهضميّ في المعدة ثم يكبر شيئًا فشيئًا عند نهايتهِ على شبه اسفنجة تملأ ثمَّ تفرغ. فلذا صحَّ اعتباره كحاصل وعائيّ يتحوَّل اليهِ دم المجموع البابيّ وخصوصًا اوعية المعـدة والكبد ثمّ يخرج من اوردتهِ الى اوردة الدورة العامَّة. غير انَّهُ يُقال ان التوازن المذكور بين الدورتين البابية والطحالية هو مجرّد عمل ميكانيكي ليس الَّا من قبيل الامور الثانويَّة في وظائف الطحال الذي يتضمَّن كما بيَّنَّا ابنية اخرى غير الاوعية الدمويَّة

ومما يزيد حجم هذه الغدَّة عدا العمل الهضمي اجهاد القوى كالركض والانفعال والتمرينات العضلية المطولة وبالاجمال كلما من شأنهِ استنهاض الدورة في الاوعيـة الباطنيَّة بنوع خاص. اما اذا قُطع العصب الطحالي فيرى حينئذٍ ان حجمهُ يتضاعف بدرجة خارقـة العادة. وبعكس الامر اذا حدث مطلق تهييج في العصب المذكور او بواسطة احد الاعصاب الحاسة انقبض العضو كثيرًا. كما ان استعمال بعض العقـاقير كالكينا والاستريكنين ذات مفعول يُذكَر في تقليل حجمه

وادرك اخرون بعد طول التجربة والاختبـار ان الطحال لا شك عامل قوي في

فلحل هذا المشكل اجوبة مختلفة منها ان يقال ان الاسفار المقدَّسة ربَّما نسبت الى الملك ما جرى على يد جنودهِ وانصارهِ وهو نوع من المجاز المرسل لا يجهلهُ احدٌ من الكتبة و يفهمهُ كلُّ القرَّاء — ويمكن ايضاً ان يقال ان فرعون لم يدخل البحر مع جنودهِ بل تأخر عنهم وليس في التوراة آية صريحةٌ تذكر غرقهُ — وان أصرَّ احد على اثبات غرق فرعون فيمكن القول انَّ المياه دفعت جثتهُ الى شاطئ بحر القلزم فوجدها اهل تلك النواحي فحنَّطوها ودفنوها مع جُثث آبائهِ في « بيان الملوك » حيث وُجدت حديثاً

فهذه كلُّها اجوبة تزيل مشكل الكتاب المقدَّس كان المقتطف يستطيع ان يلتجئ اليها لكنَّ الكفر قد ختم منذ امد مديد على قلب كتبة هذه المجلَّة فلا يدعون فرصةً الَّا انتهزوها لمناقضة الاسفار الالهيَّة وكلامهِ عزَّ وجلَّ . فليحكم القرَّاء بعد مطالعة ما كتبوهُ . قالوا انارهم الله (ص ١٨٤) :

« لبعض العلماء سخائف (كذا) تبعد عن الحقيقة بعد خرافات العجائز عنها . ولا ندري كيف يبحثون عن فرعون موسى بحثاً علمياً وهم لم يجدوا حتَّى الآن دليلًا واحداً اثرياً على انَّ بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في العصر الذي يُقال انهم كانوا ساكنين فيهِ . وهذا لا ينفي رواية التوراة ولكنَّهُ يمنع رجال العلم من البحث عن فروع قضيَّة بحثاً علمياً قبل اثبات القضية نفسها اثباتاً علمياً . فعلم الآثار المصريَّة لم يثبت حتَّى الآن انَّ بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في عهد منفتاح او قبلهُ فكيف يستطيع ان يبحث عن خروجهم من مصر في زمنهِ او زمن غيرهِ . لكن كثيرين من العلماء صاروا تجاراً يتَّجرون بعلمهم فيعرضون منهُ البضاعة التي تروج في السوق ويصوّرونها في الصورة يقبلها القرَّاء حقيقية كانت او غير حقيقيَّة . . .

« وجملة القول ان البحث عن فرعون موسى على نوعين كتابي وعلميّ فالكتابيّ يجب ان يقف فيهِ المسيحيُّون عند نصّ الكتاب . . . والعلميّ يجب الوقوف فيهِ عند حدّ الاكتشافات الاثريَّة التي كشفت حتَّى الآن ولا ذكر فيها لخروج بني اسرائيل من مصر ولا لاستعبادهم فيها ولا لنزولهم اليها . . . فخبر التوراة لا يتوقَّف ثبوتهُ وتأييدهُ على شهادة الآثار المصريَّة بل هو ثابت لذاتهِ عند المؤمنين بهِ صدَّقت لهُ شهادة الآثار او لم تصدّق » انتهى كلام المقتطف

أفرأى القارئ كيف نفث صاحب المقتطف سمَّهُ في العقول وهو يتظاهر بأنَّهُ يكرم التوراة ويحضُّ المؤمنين بالتمسُّك بها . ومن قولهِ السابق لا ينتج سوى هذه النتيجة الوخيمة وهو انَّ الثمانمائة المليون من النصارى والمسلمين واليهود الذين يعتقدون بوجود بني اسرائيل في مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها ليسوا الا عمياناً يصدّقون

العضو في بعض الامراض العفنة لَمن اقوى الادلّة على حقيقة وجود هذا العمل الفعّال

والخلاصة ممّا تـقدّم ان الطحال ليس كما ظنَّ البعض جزءًا عرضيًّا في الجسم الحي وجودهُ وعدمهُ سيّان بل انّـهُ مع بقية الغدد الوعائية الدمويّة ضروري لحفظ قوام الاجهزة ولا سيّما الدمويّة ومنها اتمام سيرها على محور النظام الذي سنّتهُ لها الطبيعة ضمانًا للصحّـة. والّا امسى مفقودهُ عرضةً لسهام الامراض فتنزل بهِ وقانا الله السوء آجلًا او عاجلًا

وحسبنا في تـقرير ذلك ما عهد بالتجربة اخيرًا وهو انّهُ بعد استئصال هذه الغدة من الحيوان الصحيح باربعة او خمسة شهور على الاكثر لاحت عليهِ علامات التـأخر وبدأت فيهِ اعراض الضعف وانحطاط القوى مسبّبة عن فقد الدم لنحو ثلاثة ارباع كرّياتهِ وما يقرب من تسعة اعشـار مادتهِ الجوهريّة المعروفة بالهيموكلوبين ثمَّ اعقب ذلك ضنًى عامّ في الجسم كلّهِ وهكذا يأخذ صاحبـهُ في السير الى موارد الحتوف تسمُّمًا او هزالًا

هذا ما سمح المقام بايرادهِ على سبيل الايجاز فيما يختصّ بتشريح الطحال وبنائهِ ووظائفهِ. وما خفي على بصيرة حضرة القارئ اللبيب ان القسم الاخير من الموضوع هو جلّ ما توخّيناهُ في مقالتنا هذه لاهميتهِ دون سواهُ. غير انّنا نستميح حضرات المنتقدين عذرًا عمَّا ندَّ بهِ اليراع في ميدان هذا البيان ففي الاغضاء فضلٌ وفوق كل ذي علمٍ عليم

المقتطف والتوراة

نبذة موجزة للاب لويس شيخو اليسوعي

من امثال العرب المصيبة قولهم: « بعلّة الورشان يأكل الصيّاد رُطَب المشان » يضربونهُ لمن يظهر شيئًا وينوي منهُ شيئًا آخر وهو ممَّا ينطبق اتمَّ الانطباق على اقوال كثيرة يوردها صاحب المقتطف ظاهرها الاكرام للتوراة ولكلام الله وهي في الحقيقة طعنٌ قادحٌ تقوّض أركان الدين وسبّة تسوم الوحي أخسف خطّة

سُئل المقتطف (في العدد ٢ من آب الماضي) كيف يزعم العلماء انَّ جُثّة فرعون وُجدت محنّطةً بعد ان اثبت الكتاب الكريم ان فرعون وكل جنودهِ غرقوا في البحر

لرعمسيس الثاني . . ومنفتاح بن رعمسيس . . . وقد قرأ الدكتور بيتري هذه الكتابة فوجد فيها انَّ منفتاح استعبد شعوباً متعدّدة ومن جملتها « اسرائيل ».ثم عاد الدكتور نفيل وهو في علم الآثار المصريَّة اشهر من نار على علم وقرأ تلك الكتابة فوجدها كما قرأها الدكتور بيتري . وهذا اوَّل شاهد وحد بين الآثار المصريَّة على انَّ بني اسرائيل استعبدوا لفرعون مصر كما ورد في التوراة . وقد ترجح بهِ ظنُّ العلماء انَّ منفتاح هو الفرعون الذي خرج بنو اسرائيل من مصر في ايامه »

فنعم ما كتبتَ وقتئذ يا مقتطف فكيف سوَّل لك الشيطان اليوم ان تنكر ما اثبتَّهُ سابقًا العلَّك كنتَ اذ ذاك مثلنا « تصدق خرافات العجائز وتتَّجر بالعلم » او بالاحرى قد اعماك اليوم كفرك لتكذّب صدق ايماننا واستنادنا فيهِ الى العلم الوضعيّ . وما اكتفيت بهذه الشهادة حتى عدتَّ في عدد آخر (المقتطف ٢٠ : ص ٤٧٦) وزدتَ ايضاحًا على ما تقدَّم فكتبت فصلًا مطوَّلاً ختمتهُ بقولك :

« فجانب من بني اسرائيل كان يسكن في ارض مصر والذين كانوا يسكنون مصر خرجوا منها في عهد هذا الملك منفتاح او مرنبتاح »

فكيف نسيت كل ذلك ولُذتَ اليوم باهداب الزور والبُهتان

٢ً ولعلَّك لا ترضى يا مقتطف بشهادة نفسك لعلمك بأنك كثيرًا ما تخدع القوم باقاويلك المتناقضة . فهلمَّ نهديك الى آثار اخرى مصريَّة تشهد معنا على نزول بني اسرائيل الى مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها . فمن ذلك ما وجدهُ العلاَّمة شاباس (Chabas) من اكبر الاثريين المصريّين وهو اسم العبرانيين وقف عليهِ في كتابتين هيروغليفيتين على صورة « ابِريو » الموافقة للفظة العبرية עברים بتخفيف العين الاصليّة مع صيغة الجمع في المصريَّة . وهذا التفسير قد صادق عليهِ العلاَّمة نافيل الذي اقررتَ بشهرتهِ وغيرهُ من العلماء . وفي الكتابتين المذكورتين اشارات واضحة الى استعباد العبرانيين واشغالهم الشاقة كما ذكرها الكتاب الكريم (١

هذا وقد اثبتنا في (المشرق ١ : ٨٨٠—٨٩٢) مقالة نفيسة للاب يوسف اوتفاج من علماء اللغة المصريَّة المبرّزين بيّن فيها آثارًا اخرى غير السابقة تشهد شهادةً قاطعة بوجود العبرانيين في مصر وتقلُّب احوالهم فيها وخروجهم منها فتصفَّحها يا مقتطف لعلك تجلو بها غياهب كفرك

(١ راجع Chabas : *Mélanges égyptologiques*, 1re série 1, 46 . ومقالتهُ المعنونة « بحث في الدولة التاسعة عشرة » ص ٩٩ — ١٠٤ — راجع ايضاً كتاب نافيل Naville : *Les Israélites en Egypte*

امرًا وهميًّا لا حقيقة لوجودهِ لمجرَّد ورود هذا الامر في اسفارهم الدينيَّة « صدَّقت لهُ شهادة الآثار او لم تصدّق ». وعليهِ فانَّ العلماء الذين يحاولون البحث عمَّا ورد في التوراة ليقابلوهُ مع الآثار هم طَلَبَةُ « سخائف تبعد عن الحقيقة بعد خرافات العجائز عنها » او بالاحرى انهم « تجار يتجرون بعلمهم فيعرضون منـــهُ البضاعة التي تروج في السوق ». امَّا المقتطف وصاحبـــاهُ « الدكتوران في الفلسفة » فانَّهم لا يعلّمون الا الحقائق الواضحة والتعاليم النيّرة فحاشاهم ان يقبلوا مثل هذه « السخائف » او يحطُّوا من مرتبة العلم فيتَّجروا بهِ. وانَّما سلعهم اعلى شأنًا وارفع مقامًا كلُّها من الذهب الابريز الذي لا يدخل فيهِ خَبَثٌ البتَّة

وان قال المقتطف مع الدهريين « انَّ العقل هو مجموع افعال الدماغ » (المشرق ١ : ١٠٠٩) فهو جُهينة الاخبار بعيدٌ عن خرافات العجائز. وان قال مع الملحدين انَّ بني اسرائيل اقتاتوا في البرّيَّة مدَّة اربعين سنة بعُصار الطرفاء لا بمنّ السماء (المشرق ١ : ١٠٧٨) فكلامهُ عين الحق. وان علَّم مع المادّيين « انَّ الضمير جرثومة تنشـــأُ بعد ولادة الطفل ثمَّ تنمو فيهِ » (المشرق ٢ : ٩٩٤) فبضاعتـــهُ من انفس البضائع لا تُعرض الَّا في سوق العلماء. وان جعل الانسان مع الدروينيين « سلالة بعض القرود » (المشرق ٣ : ٥٧٣) « فانَّ القول ما قالت خزامِ »

فهذه كلُّها نقطة من بحر خرافات المقتطف هتكنا سترها في وقتها. فلننظر الآن هل نأتي نحن من خرافـــة اذا بحثنا في الآثار المصريَّة عن وجود الاسرائيليين في مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها وهل علم هذه الآثار كما زعم المقتطف لم يثبت شيئًا من ذلك

١ً زعمتَ يا مقتطف انَّ من يسند الى العلم اقوال التوراة في امر الاسرائيليين ووجودهم في مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها يقول بخرافات العجائز. على رسلك ألا ترى انك بهذه القول تجرح نفسك من حيث لا تدري. كأَني بك نسيتُ ما كتبتهُ مرارًا في صفحاتك عن وجود بني اسرائيل في مصر راجعهُ ترَ انَّك انت ايضًا كنت تصدّق مثلنا « هذه الخرافات وتتَّجر بعلمك فتعرض منهُ البضاعة التي تروج في السوق » وهاك مصداقًا على قولنا ما كتبت في سنتك العشرين ص ٣١٢ قبل اربع سنين :

« علمنا ان الدكتور بيتري المشهور بالآثار المصريّة اكتشف بلاطة عليها كتابة هيروغليفيَّة...

جزءين عرَّبها الخوري انطون آصاف ١٨٦٧-١٨٦٨ . ص ١٢٨ و ١٧٥) = ٢ً كتاب رياضة مار اغناطيوس تعريب الاب بطرس فروماج (١٨٥٨ و ١٨٦٨ . ص ٣٢٨) = ٣ً ترجمة اخرى مضبوطة مع تفاسير وشروح للاب جانسون اليسوعي وقف عليها الاب يوحنا بلو (١٨٩٥ . ص ٣١٩) = ٤ً تأمُّلات سنويَّة في حياة المسيح على عدد ايَّام السنة للاب امابل بنفون اليسوعي (١٨٧٦ و ١٨٨٥ . ص ٥٣٢) = ٥ً تأمُّلات يومية للقديس الفونس ليكوري (١٨٥٧ اخر طبعاتهِ ١٨٨٩ . ص ٢٩٧) = ٦ً كتاب شمس الرياضات الروحية للسيد المطران غريغوريوس عطا (١٨٦٠ . ص ١٨٩) = ٧ قوت الحياة الروحية للنفس المسيحية تأمُّلات شهريَّة للاب بوهور اليسوعي يليها استعدادات لمناولة القربان الاقدس (١٨٧٠ و ١٨٧٤ . ص ٣٥٦) = ٨ً الحذيذ الثاقب في الاربع العواقب عرَّبهُ الخوري بولس سعاده (١٨٦٧ . ص ٤٠٩) = ٩ً تأمُّلات مختصرة في عواقب الانسان للاب بودران اليسوعي عرَّبهُ الخوري بولس ضوه (١٨٧٤ . ص ٣٥٢) = ١٠ً كنز الرياضة الروحية للمطران امبروسيوس عبده (١٨٧٤ . ص ٣٩٢) = ١١ً كتاب قوت النفس (تأملات شهريَّة في آلام السيّد المسيح ١٨٦٩ . ص ٢٢٦) = ١٢ً كنز الرياضة العالميَّة (ص ٨)

١١ (صلوات) طُبع منها عدد وافر باحجام وحروف مختلفة وكُرّر طبعها مراراً . واول طبعاتها سنة ١٨٥٤ = صلوات وتراتيل منتخبة للمدارس بالعربية والفرنسية (١٨٧٧ . طُبع مراراً بتحسينات مختلفة . وآخر طبعاتهِ قام بها الاب والي اليسوعي سنة ١٨٩٥ . ص ٥٢٠ و ٩٣)

١٢ (عبادات شتَّى) «للقربان الاقدس وقلب يسوع» ١ً قوت الارواح لاوبرتوس ليبون عرَّبهُ يوسف ورده (١٨٦٣ . ص٢١٧ ثم ١٨٨٥ . ص ٣٢٨) = ٢ً الزيارة اليوميَّة للقربان الاقدس ولايقونة والدة الاله للقديس الفونس ليكوري (١٨٦٤ . ص ٢٢٤ طبعتهُ الخامسة ١٨٩٠ . ص ٣٢) = ٣ً كتاب عبادة قلب يسوع للاخ فيلبُّوس رئيس عام اخوة المدارس المسيحيَّة (١٨٦٦ . ص ١٩٢) = ٤ً شهر قلب يسوع الاقدس (١٨٧١ . ص ٢٦٠ طبعتهُ السابعة ١٩٠٠ . ص ٢٧٢) = ٥ً كتاب الكنزين الانفسين في العبادة لقلبي يسوع ومريم الاقدسين للابوين بركو ومنفريدي اليسوعيين (١٨٨٧ . ص ٢٣٤) = ٦ً رتبة زيَّاح قلب يسوع (١٨٨٠ . ص ١٦) = ٧ً تكريم لقلب يسوع (ص ٣٠) = ٨ً فرض التعويض لقلب يسوع الاقدس (١٨٨٠ . ص ٣٢) = ٩ً التعبد لقلب يسوع الاقدس في المشرق للاب ل . شيخو (١٨٨٩ . ص ١٦) = ١٠ً شركة الخفر الروحاني لتكريم قلب يسوع (١٨٧٨ . ص ١٦) = ١١ً التعبُّد لطفولية يسوع المسيح للاب ل . شيخو (١٨٩٧ . ص ٢٤) = ١٢ً رسالة الصلاة = درب الصليب (١٨٥٥ . ثمَّ كُرّر طبعهُ . ص ٣٢)

«البتول العذراء مريم» كنز العبادة الغرَّاء لابن اخويَّة مريم العذراء للمرحوم درويش تيَّان (١٨٧٠ طبعتهُ الثامنة ١٨٩٣ . ص ٢٥٦) = ٢ً فرض اخويَّة الحبل بلا دنس (١٨٥٤ طبعتهُ الثامنة ١٨٩٧ . ص ٢٧٦) = ٣ً كتاب الشهر المريمي للاب موزارلي (١٨٥٨ طبعتهُ السابعة ١٨٩٤) = ٤ً اصل ثوب سيدة الكرمل (١٨٧٣ . ص ٣٦) = ٥ً خدمة سيدتنا مريم العذراء تتلى في اخويَّاتها عن انفس الموتى (١٨٦١ طبعتهُ السادسة سنة ١٩٠٠ . ص ٣٤) =

٣ً وهب يا مقتطف ان الآثار المصريَّة لم تأتنا بذكر الاسرائيليين أفتظن انَّهُ لا يمكننا ان نعتبر سفر توراة موسى النبيّ بصفة كتاب علميّ وكتاريخ صادق كبقيَّة التواريخ القديمة ؟ او تزعم ان الوحي بهِ ينزع عنهُ صفاتهِ العاميَّة أفلا تعلم انَّ الوحي لم يمنع كاتب السفر الالهيّ ان يستعين بكتابات العلماء قبلهُ ويأخذ عنهم اخبارهم الصادقة وينقل عنهم اقوالهم الثابتة . فما لك اذن تريد ان تفصل الكتاب الكريم عن العلم كأنهُ والعلم خصمان او ضدّان يتنافيان في كل حين وآن

٤ً وزد على ذلك انَّ العلماء المشاهير لم يتركوا آية من اخبار الاسرائيليين في مصر كما وردت في التوراة الَّا وبيَّنوا موافقتها التامَّة لاخلاق المصريين وعوائدهم وآثارهم المنقوشة لا تختلف عنها ذرَّةً فاجمعوا على ان كاتب هذا السفر عاين بنفسهِ كلَّ ما اخبر بهِ وهو اصدق شاهد عليها . ولذا ترى الكفرة انفسهم مع إنكارهم للمعجزات يعتبرون توراة موسى مثل كتاب جليل واثر تاريخيّ صادق

هل تُصِرّ بعد هذا يا مقتطف على غيّك او تريد ان تُلقي في زاوية الكنائس كتبنا المقدَّسة كأنها لا يقوم لها قائم بازاء العلم وقد اثبتنا مرارًا ان الدين الحقّ لا يمكن فصلهُ عن العلم وانَّ لا علم بلا دين كما لا دين بلا علم (راجع مقالتنا عن موافقة الدين والعلم في المشرق ٣:٣٠٣) . فان كنتَ صادقًا في ما كتبت مؤخرًا فزيّفْ قولنا بل وانقضْ ما سطَّرتهُ بيدك سابقًا . وان كنت كاذبًا فأقرّ بكذبك وصُن ماء وجهك أمام قرَّائك الذين طالما شككتهم باقوالك الكفريَّة وقد كُتب في الانجيل الطاهر: الويل لمن يأتي على يدهِ الشكوك فخيرٌ لهُ ان يُعلَّق في عنقهِ حجر رحى ويُلقى في البحر

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت — مطبعتنا الكاثوليكية (تابع لقائمة مطبوعاتها)

١٠ (الرياضات والتأمّلات) ١ً تأمُّلات ماري اوغسطينوس وهي مكتبةُ الروحيَّة في

٦ً طريقة مستحدثة الخطّ العربيّ في ١٢ دفتر. وُضعت سنة ١٨٧٨ بهمّة الاب يوسف روز ثمّ حُسّنت تباعًا

٢ (الكتب الصرفية والنحويّة) ١ً جدول الافعال العربية لاحد الآباء اليسوعيين (١٨٧٠. ص ٤٨ طُبع ثلاث طبعات) = ٢ً الآجرومية (١٨٥٩. طبعتها العاشرة ١٨٩٦. ص ٥٢) = ٣ً مختصر في الصرف للاب ل. شيخو (١٨٨٦. ص ٣٤) = ٤ً نزهة الطرف في مختصر الصرف لهُ (١٨٨٥. ص ٦٨ طبعتهُ الخامسة ١٩٠٠. ص ٧٠) = ٥ً بحث المطالب للسيد جرمانوس فرحات (١٨٦٥. ثمّ ١٨٨٣. ص ٣٦٣ مع حواشٍ للمعلم سعيد افندي الشرتوني. طبعتهُ السادسة ١٨٩٦) = ٦ً كتاب منارة الطلّاب في التصريف والاعراب للمعلم منصور الحمش ١٨٧١. ص ١٥٣) = ٧ً القواعد الجليّة في علم العربيّة للاب جبرائيل اده اليسوعي جزءان (ص ١٦٨ و ١٥٥. طُبع اولًا سنة ١٨٧٨. طبعتهُ الثامنة سنة ١٨٩٦) = ٨ً تمرين الطلّاب في التصريف والاعراب للمعلم رشيد افندي الشرتوني (١٨٨٦ و ١٨٨٨ اربعة اجزاء في ٤٧٠ صفحة للتلميذ و ٩٢٥ للمعلّم. طُبع ثلاث طبعات) = ٨ً مبادئ العربية لهُ (تحت الطبع) = ٩ً كتاب مطالع السعد لمطالع الجوهر الفرد في اصول الصرف والنحو للشيخ ابرهيم اليازجي (١٨٧٥. ص ٧٨)

٣ (كتب صرفيّة ونحويّة وتمرينات للاوربيين) ١ً اصول اللغة العربيّة (بالفرنسية) للاب ل. ابوجي اليسوعي (١٨٦٢. ص ٢٩٧) = ٢ً مبادئ اللغة العربية للاب ج. بلين اليسوعي (١٨٨٦. جزءان ص١٣٣ و ٩٣) = ٣ً تصريف الافعال العربيّة لاحداث الاوربيين في مدرسة الآباء اليسوعيين في الاسكندريّة (١٨٩٩. ص ٧٠) = ٤ً غراماطيق فرنسويّ ملخّص في صرف ونحو اللغة العربيّة للاب يوحنا بلو اليسوعي (١٨٩٦. ص ٢٩٩) = ٥ً اصلاح التمارين على الكتاب السابق مع جداول الافعال لهُ (١٨٩٨. ص ١٣٤) = ٦ً غراماطيق فرنسويّ مطوّل للُّغة العربيّة للاب د. قرنيه (١٨٩١—١٨٩٢. جزءان ص ٥٨٧ و ٦٥٩) = ٧ً غراماطيق لاتينيّ عربي مع منتخبات ومعجم لمدارس اوربا الكليّة الابوين ا. دوران و ل. شيخو اليسوعيين (١٨٩٦—١٨٩٧. ص ٤٨٠) = ٨ً تمرين للاوربيّين لتعليم القراءة العربية للمعلم يوسف افندي حرفوش (١٨٩٣. ص ٦٥ ثم طبع مرارًا) = ٩ً الترجمان العربي (بحرف افرنجي) لهُ (١٨٩٤. ص ٣٥٤) = ١٠ً جامع اللطائف وكنز الخرائف (لدرس عربيّة بلاد الجزائر) للمعلّم دلفين (١٨٩١. ص ٣٦٧) = ١١ً اللغة المصريّة الدارجة (بالالمانية) للدكتور كرل فولرس (١٨٩٠. ص ٢٣٣) = ١٢ً العربيّة الحديثة الجارية في الجرائد والاوراق الرسميّة (بالفرنسية والعربيّة للاديب وشنتون سيروس (١٨٩٧. ص ٢٤٠) = ١٣ً تمارين الترجمة من الفرنسيّة الى العربية للاب ه. لامنس (١٨٩٠. جزءان للتلميذ ١٣١ و١٥٤ وجزءان للمعلم ١٢٨ و ١٢٧)

٤ (القواميس) ١ً أقرب الموارد للمعلم سعيد افندي الخوري الشرتوني (١٨٩٠ — ١٨٩٣ ثلاثة اجزاء ١٥٠٤ و ٥٤٨) = ٢ً قاموس عربيّ فرنسويّ للاب فيلبوس كوش اليسوعي (١٨٦٢. ص ٤٥٨) = ٣ً ترجمان فرنسويّ عربيّ (المفردات الدرّية في اللغتين

٦ً رتبة شهر ايَّار المخصَّص لاكرام مريم البتول (١٨٧٧ ص ٣١) = ٧ً تحفة المغارب في سيدة لورد إمّ العجائب للعلّامة دانيال باربه تعريب القسّ افرام الديراني (١٨٩٤. ص ١٤٣) = ٧ً مريم العذراء وثوب قلب يسوع الاقدس (١٨٨٨. ص ٣٢)

«تعبّد لبعض القديسين» ١ً تكريم القديسين على عدد ايَّام السنة ١٨٥٧. ص ٦٨٤) في آخرهِ تأمُّلات شهريَّة لقلب يسوع للاب سان فيتالى (ص٦١) = ٢ً الشهر الملاكي للاب لويس ابوجي اليسوعي (١٨٨٢. ص ٢٦١) = ٣ً شهر مار يوسف ١٨٧٢ وكرّر طبعهُ ثلاثًا ص٣٦٠) = ٤ً تساعيّة لاكرامهِ (ص٨٠) = ٥ً اكرام لماري يوسف البتول (١٨٧٥. ص ٣٠) = ٦ً زهرة آذار لسامي الاقتدار ماري يوسف (١٨٦٦ص١٣٠) = ٧ً تساعية لاكرام مار اغناطيوس (١٨٦٨. ص ١٠٣) — لاكرام مار فرنسيس كسفاريوس (١٨٨١. ص ٨٤) — لاكرام القديس استانيسلاوس (١٨٩٣. ص ٢٤) — لاكرام القديس انطونيوس البدواني (١٨٩٠. ص ٣١) = ٨ً التحفة الدريَّة في مناقب مار لويس غونزاغا السنيَّة للاب فرنسيس كالوزي اليسوعي تعريب الخوري يوسف البستاني (١٨٧٠. ص ٢٤٠) = ٩ً تأمُّلات شهريّة لاجل اسعاف الانفس المطهريَّة عرَّبها القس افرام الديراني (١٨٩٣. ص ٢٩٦) = ١٠ً تسعويَّة لاجل اسعاف الانفس المطهريَّة تعريبهُ (١٨٩٢. ص ٨٣)

(مناشير وقوانين رهبان وجمعيَّات) قد طُبع في هذه المطبعة اكثر براءات البابا وين بيوس التاسع ولاون الثالث عشر مع مناشير للبطاركة والقصَّاد الرسوليين والاساقفة يطول تعدادها — ثم طبعت فيها ايضًا قوانين رهبانيَّات كقوانين القديس مبارك باللاتينية والعربية (١٨٩٤. ص ٣٠٦) وقوانين رهبانيَّتنا (١٨٧٧. ص ٢٣٦) وكذلك قوانين راهبات قلبي يسوع ومريم (١٨٧٥. ص ٧٧ و ١٨٨٤. ص ٦٤) وقوانين راهبات القديسة كلارا (١٨٨٥) وكتاب التحفة السنية في ايضاح النذور الرهبانية للاب بطرس كوتيل اليسوعي عرّبها الاب ل. ابوجي (١٨٧٥. ص ١٥٢) وكتاب الدعوة الرهبانية للقديس الفونس ليكوري عرَّبهُ الاخ يوسف دريان العشقوتي الراهب الحلبيّ (١٨٨٩. ص ١٦) وقوانين شركة مار منصور دي يول (١٨٦١. ص ١٠٠. ثم جُدّد طبعها موسَّعًا سنة ١٨٦٣. ص ٣٩٩ وفي آخره صلوات ص ٥٦) ثم خلاصة اعمالها سنة ١٨٦٧ و ١٨٩٨ و ١٨٩٩. الى غير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

الكتب العلميَّة المطبوعة في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

(القراءة والكتابة) ١ً كتاب مبادئ القراءة العربيَّة (١٨٥٤. ثمَّ طُبع نحو ٣٥ طبعة. ص ٣٢) = ٢ً صفحات جداريَّة لاصول القراءة والصرف ومبادئ الحساب (عددها ١٤ صفحة كبيرة) للاب ل. شيخو اليسوعي = ٣ً عشية الاحد. تابعة لمبادئ القراءة (١٨٥٥. طُبعت ٢٥ طبعة. ص ٣٢) = ٤ً ترقية القارئ جزءان عدد كلّ جزء ١٢٠ صفحة جمعُ الاب ل. شيخو (١٨٨٦ طبع خمس طبعات) = ٥ً معرض الخطوط جمعهُ الاب ل. شيخو (١٨٨٥. ص ١١٠. ثمَّ ١٨٨٧ ص ١٢٢. طُبع سبع طبعات) — ولهذا الكتاب مُلحق للمعلّم (ص ٦٣) =

باسداس ويقدم رجلًا و يؤخر اخرى ثم قال في نفسهِ : ليس عليَّ سوى ليلة اقضيها في هذا الفندق فمهما كانت تكن لا بأس منها ولعلّي لم أُصب بتصديق ما قال لي ذلك الكهل الفقير . ومن يعلم ما يكون السبب الذي من اجلهِ نهاني عن المبيت في هذا الفندق فقد يكون ذلك ناجمًا عن اكراه مجرَّد غير مسنودٍ او يكون سببهُ انهُ طلب من صاحبهِ حسنةً فضنَّ ذلك بها عليهِ . هذا واني لم يسبق لي معرفة بهِ حتى اقف عند كلامهِ وآخذ بقولهِ

وبينما هو يفتكر في امرهِ على الصورة الموصوفة اذا بكلبٍ رمى بنفسهِ من جدار الحظيرة الى الطريق واخذ ينبح جهدهُ ثم فُتح باب الفندق وظهر منهُ شبحٌ فاذا هو رجل عريض المناكب سمينها وانتهر الكلب لساعتهِ والتفت بعد ذلك الى الفتى وقال لهُ بصوت رخيم : لا تخشَ ايها الفتى فان «دارا» تنبح نباحًا قويًّا لكنَّها لا تعضُّ احدا فلو كان «ميلور» لكنت قدَّرت انيابهُ حقَّ قدرها فانهُ من الكلاب الضارية لا اتجرأُ انا على التقرُّب منهُ وهو الان مربوط الرأس بسلسلةٍ من حديد في الفناء أُبقيهِ هناك لوقوع حوادث مهمَّة . واننا نقبل عندنا المشاة والخيالة فان شئت ان تنزل في منزلنا فاهلًا بك وسهلًا فانَّ ضيفنا ليس اقلَّ حظٍ من ضيف غيرنا

ولمَّا رأى صاحب الفندق الفتى متردّدًا بين الدخول والذهاب قال لهُ : ايها الفتى بِتْ عندنا هذه الليلة فان السير فيها غير موافق لان المطر قريب الوقوع

امَّا الفتى فاستمالهُ كلام صاحب النزل هذا وعزم على قضاء ليلهِ في ذلك الفندق

ولما دخل الى اوَّل حجرة منهُ رآها ردهةً ومطبخًا معًا وفيها مصباحٌ من اقبح المصابيح شكلًا ونورًا ورأى جميع ما هنالك من الادوات وسخًا وهو لم يتعوَّد منذ الصغر الّا على النظافة والترتيب فكيف بهِ وقد رأى الخوان مدهونًا بالزيوت مطلًى بالغبار لهُ منظرٍ تشمئز منهُ النفوس وكان ثمَّت هواء وخمٌ مفسود وقد خمدت النار تحت الرماد وانطفأَت الامر الذي دلّ على ان صاحب المحل قلما يشعل النار فيهِ . فتذكر الفتى حينئذٍ ذلك الفقير ونصيحتهُ وندم ولات حين ندم . غير انهُ غضَّ من طرفهِ ووضع صرَّتهُ على احدى الخزانات هناك وانطرح على احد الفرُش وقد اعياهُ تعب الطريق

فقربت منهُ حينئذٍ امرأة صاحب الفندق وهي مثل زوجها غلاظةً وفظاظةً وعليها لباس قذر منطبق على جسمها كل الانطباق وهو من الوسخ على شاكلة غيرهِ من

الفرنسويَّة والعربيـة) للاب يوسف هوري اليسوعي (١٨٦٧ . ثمَّ ١٨٨١ . ص ٧٦٨ . ثم بمعجم صغير ١٨٨٨ و ١٨٩٣ . ص ٥١٢) = ٤ً الفرائد الدريَّة في اللغتين العربية والفرنسيَّة للاب يوحنَّا بلو اليسـوعي (١٨٨٣ . ص ١٠١٩ . ثم ١٨٨٨ . ص ١٠١٥ . ثمَّ ١٨٩٣ . ص ٩٩٠ . ثمَّ ١٨٩٦ و ١٨٩٨ و ١٩٠٠ . ص ١٠٠٠) = ٥ً قاموس فرنساوي عربي كبير لهُ (١٨٩٠ و ١٩٠٠ . جزءان . ص ١٦٠٧) = ٦ مختصر القاموس السابق لهُ (١٨٩٢ . ص ٧٨٨) = ٧ً الفرائد الدريَّة في اللغتـين الانكليزيَّة والعربية للاب يوسف حوَّاء (١٨٩٩ . ص ٩١٠)

(ستأتي البقيَّة) .

ليلة الاهوال

معرَّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناضر (تابع لما سبق)

وما قطع هذا الفتى قسماً كبيرًا من تلك المفازة الشجواء حتى كبر عليهِ الوهم ولم يرَ في تلك الطريق سوى بعض سائقي العربات والباعة وقد جنَّ عليهِ الليـل وسحب الريح اذيال الغمام على الحضيض امامـهُ واشتدَّ السواد وتلبَّد الدجى حتى كاد لا ينظر الطريق وكان لهُ من الجوع داعٍ للسرعة ليس اقل شدةً من داعي الراحة بعد التعب. وتذكر آنئذٍ بيت ابيهِ حيث كان جالساً مساء ذلك اليوم امام نار مشبوبة تغلي فوقها قدر فيها بعض البقول

غير انَّهُ لم يجعل لصروف الزمن سبيلًا الى ترويعهِ بل شدَّ عزيمتهُ وتوغَّل بالسير في تلك الظلمات الكثيفة. وبينما هو في هذه الحالة واذا بنور يرمي شعاعهُ بين الضبـاب عن بعد في تلك الصحراء فانعش منظرهُ قلب الفتى الدنف فانهُ ظنَّ بذلك انهُ وصل الى حدٍ انتهى عندهُ العذاب ولاح لهُ بعـد ذلك ان الامر لم يكن الا كبرق خلَّب او سراب لان ذلك النور سُدِل دونهُ الحجاب وأرخى وراءهُ الغيهب جلباباً فوق جلباب. غير انهُ لم يكن كلمح البصر حتى ظهر تكرارًا فتيقَّن الفتى انهُ قرب من منزلٍ يستريح فيهِ وقد رأى على غرَّةٍ خراباتٍ في تلك الارض المنقطعة فلم يشكَّ انَّهُ فنـدق البغالين الذي كان يظنّ انهُ تجاوزهُ منذ مدَّةٍ طويلة

وقد حكم ان المسافة التي عليهِ ان يقطعها بعدُ بعيدةً فتنازع قلبهُ من جهة الرخاء والراحة ومن جهة سوء ظنهِ بالفندق لما سبق وعلم عنهُ من المساوئ فاخذ يضرب اخماساً

من لصّ عرا اذا ما عسعس الليل فيسلب المال منه. فعرّج على فندق البغّالين وعمد على المبيت فيه

وقصارى الكلام ان تلك الظروف السيئة التي دفعت هذين الضيفين ان يمسيا في ذلك الفندق اعدّها صاحب الخان من اسباب الكسب بحسبما قال الشاعر: « مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد » لانه كان من النادرات ان يأوي احد من ابناء السبيل الى ذلك النزل المنفرد الذي ما كان يطرق بابَهُ الّا بعض اهل السابلة يحطّون فيهِ عصا الترحال ريثما يأكلون ويشربون وتأخذ مطاياهم قليلاً من الراحة ثمّ يترملون ويتوجهون الى حيث يقصدون

وفي تلك الاثناء تبادل صاحب الفندق وامرأته بعض الاستشارات والرموز بصورةٍ خفية امكن للفتى ان يدركها لو كان منتبهاً لكنهُ كان مستغرق الفكر في اعداد لوازم راحتهِ منهمكاً بحاله انهماكاً لم يقوَ معه على الاصغاء الى ما انعقد من المناوأة في تلك المؤامرة التي جرت بين المرأة وبعلها وهو في غفلةٍ عنهما

وبادرت بعد ذلك تلك المرأة فوضعت على طبق واسع زوجين من الصحون مسحتهما كيفما اتّفق لها ثم جاءت بارغفةٍ من الخبز وقليل من النبيذ وقطعة من لحم الخنزير وبعضاً من الاسماك

والكلب الذي استقبل الفتى بالنباح كان يدور حول تلك المائدة ويطوف شامخاً بانفه وقد اخذتهُ هزّة من الطرب وشرهت نفسه وانعقد املهُ انه يفوز بحصةٍ من تلك المآكل وقد مرّت مدة ولم يلتهم شيئاً يسكن بهِ ما اصابهُ من الجوع فانه طاف حول تلك المائدة اولاً وثانياً وثالثاً ريثما مكنتهُ الفرصة فنهض على رجليه وتطاول فالتهم رغيفاً وهرب بهِ الى زاوية خالية

اما صاحبة الفندق فقد لاحظت ذلك وقامت مسرعة وتناولت سفوداً حامياً وقد تأثرت الكلب الذي ارتكب جرماً مشهوداً وهي تزعق بهِ زعقاً وكادت تتميز من الغيظ ثم قالت: ايها الكلب اللئيم تبّاً لك فانك طالما حاولت ان تذوق طعم الخبز وانا سأذيقك طعم الحديد الحامي فلا تعود بعد ذلك الى هذه الفعلة الشنعاء

قالت: وطفقت تضرب الكلب بالسفود حتى أشبعتهُ ضرباً وهذا لم يلتوِ بل على

الأَثاث في المنزل وكان يبدو في حركاتها تراخٍ وبطوء دلّ على انّها لم تتعوّد خدمة الضيوف بعد وانّما تظاهرت باكرام الضيف وشرعت تسأَل الفتى سؤَالات شتى فقالت: هل انت آتٍ من مكانٍ بعيد ؟ وهل تريد ان تتناول طعاماً ؟ واني لا شكّ اعدُّ لك فراشاً وثيرًا. مُر ما بدا لك. امّا الفتى فاجابها بكل لطف على سؤَالها واندفع يقص عليها ما فعلهُ بذلك النهار وقد تروَّحت نفسهُ بذلك وطلعها على الاسباب التي حملتهُ ان يسافر ماشياً غير انـهُ لم يذهل ان يخفي عليها ما عندهُ من الدراهم. امّا تلك المرأَة فقد انخدعت بما رأَت في حركات الفتى وحديثهِ من الأَدب والظرف وظنَّت انـهُ من الثروة على جانب عظيم. ولمَا كانت تعوّدت ان تبذل من الاعتناء في الخدمة بقدر ما كانت تتأَمّل كسبهُ من المال نشطت للحال نشاطـاً وفرشت من الهمّة بساطـاً واخذت تعتني بطبخ الطعام

ولم يمرّ عليها برهة من الزمن حتى وضعت حزمة من الحطب فاشتعلت وبدا منها أَلسنة من اللّهب فتقرَّب الفتى من النار يصطلي عليها وقد تروَّح شيئًا فشيئًا ولم يزل كذلك حتى نسي ما مرَّ بذهنهِ من الهموم عند دخولهِ ذلك المحلّ المشئوم

وبينما هو يتآنس باهل ذلك المنزل ويتجاذب اطراف الاحاديث معهم والحديث ذو شجون فاذا بضيفٍ جديد اقبـل على المنزل وفي يدهِ كيسٌ من جلد ودخل فظهر انّـهُ رجل كهل عليهِ هيبة ووقار ولهُ شعر ابيض زادهُ كمالًا وجلالًا. ثمَّ وضع كيسَهُ على كرسيٍّ هناك وتقـدَّم فجلس قرب النار وحينئذٍ طفق صاحب المنزل وامرأَتـهُ يكثران من عبارات الترحاب والتكريم وهو غير مبالٍ بهمـا. ثمَّ قام بعد ان اصطلى على النار واخرج من جيبهِ بعض اوراق ظهر انّها مهمّة جدًّا وبدأَ يفحصها بتمعن ودقّة

وفي اثناء ذلك كان الفتى يقلِّب الطرف في هذا الرفيق الذي اتاحهُ لهُ القدر وقد علم من غير ان يحتاج الى علم الفراسة ان ذلك الرجل من علماء الحقوق والفقهاء

وكان ذلك الرجل في واقع الحال كاتب السجلات في ذلك القضاء راسخ القدم في الشريعة معروف عند الخاصّة والعامّة انهُ من اهل الاقدام والفضل ملتزم جانب الحقّ والعدل. وقد انفذه قاضي تلك الناحية الى منزل رجلٍ في بعض القرى احب ان يسجّل وصيَّتهُ فعاد من تلك القرية حاملًا صرّةً من الدراهم والدنانير استلمها حتى يحفظها في جملة الامانات عنده وقد اعاقه في سيرهِ ما تجشَّمهُ من وعر الطريق ولم يختر السُّرى خوفًا

لهُ من اوله الى آخره وكان ذلك الكاتب صاغياً اشد الاصغاء لما كان ينقله لهُ الفتى من الاحاديث وهكذا فرغا من الاكل وتقدما الى النار فجلسا حولها وحينئذٍ اخرج كاتب السجلات لفافةً من التبغ فأشعلها وقدم للفتى لفافة اخرى فاخذها هذا وشكر بلطفٍ وادب

ثم قال لهُ الكاتب: ان هذا الكهل الفقير الذي التقيتَ بهِ في الطريق لنادرة زمان أليس هذا حكمك فيه ؟ فقال الفتى : ان القليل الذي علمتهُ منه جعلني ان اتعجب منه كثيرًا فانه يقبل صدقة المحسن ولا يرى انهُ فقيرًا

فقال الكاتب: هذا واقع حاله ولا عجب فان الحسنة تأتيه عفوًا بلا طلب وان في ذلك سرًّا لا تدركهُ الّا اذا وقفت على قصته وعلمت ما نابه من النوب ولا بد ان يكون حكى لك عنها او اطلعك على شيءٍ منها

فقال: لم ادع لهُ فرصةً للمقال لاني حينئذٍ كنت مشغول البال

قال: اني اتأسف على ذلك فلو جعلت لهُ مجالًا للتكلم لكنت عجبت مما هنالك فان حياته كتابة من نسيج كلُّهُ تحف غرائب يبسطه للطالب وهو باسم الثغر منشرح الصدر فانه نديم هذه الناحية وقد اخذ بمجامع قلوب اهلها

ثم توسع الكاتب بالكلام عنه حتى يزيد الفتى بهِ علمًا وبعد ذلك قال لهُ: قد آن وقت الراحة ومن نيتي ان ابارح هذا الفندق غدًا عند طلوع الفجر غير اننا نقدر قبل الخروج منه ان نتناول الطعام معًا فوافقهُ الفتى على دعوته هذه فتوافقا واستودع كل منهما صاحبه واوى كلٌّ منهما الى حجرتهِ (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES
publiés en Europe ds 1810 à 1885
par V. Chauvin 4e fasc. Liège, pp 218.

قائمة الكتب العربية او المنوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربَّة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء الرابع)

قد مرَّ في المشرق (١ : ٩٣ و ٧١٧) تعريف الاقسام الاولى من هذا التأليف

اخذتهُ وقد حملق بالمرأة وهو يزأر زئيرًا اخافها منه فولّت الى الورآء وصاحت الى بعلها تطلب المدد

وكان ذلك امرًا من شأنه ان يضحك الثكلى فضحك من اجله كاتب السجلات اما الفتى فاخذ بناصر الكلب وانتصب يحامي عنه فقال: يا خالة ان هذا الكلب لم يعد لهُ طاقة على تحمّل الجوع وانتِ اجتزيتِ منه جزاءً كبيرًا على ذنبٍ صغيرٍ فجاء خارجًا عن القياس لا يقبل بهِ احد من الناس

فقالت: ان ما قلته لعجب ايها الفتى. اترى من الصواب ان يرمى الخبز الابيض الى الكلاب ? فالظاهر يا صاح انك اصبت ثروةً بلا عناءٍ وتعب

فقال: انني لا اعرف جنس الخبز الذي تطعمينه الكلب هذا ولكن الامر يدل على انك تعذبينه بضرب العصيّ ولا اخال ان ذلك من ذوقهِ فبالله عليكِ دعيه ياكل هذا الرغيف وانا ادفع الكِ ثمنه مهما بلغ

فقالت: قبلتُ ولم تتمالك من كظم غيظها عليه

ودخل بعد ذلك بعلها فقصت عليه ما جرى بينها والكلب والفتى فقام ورفس الكلب رفسة شديدة جعلتهُ يترك بعدها الرغيف ويتوارى فتناولهُ حينئذٍ واعادهُ فوضعهُ على الطبق. ثم نظر الى الفتى شزرًا وقال: لك الخيار ان تفعل ما بدا لك. فمدَّ الفتى يدهُ واخذ الرغيف وشرع يصفر للكلب فتقرب منه وهو على حذرٍ كانهُ خائف ان يكون في ذلك شركٌ يقع فيهِ فتجنبه وقام بعيدًا امامه. فطفق الفتى يكسر من ذلك الرغيف ويرمي امام الكلب والكلب يأكل حتى نفذت فقال الفتى: ان الجوع عضّ الكلب بنابه فأنهكه

فقال كاتب السجلات وقد آنس من الفتى رقة ولطفًا: اصبتَ ايها الفتى فان الكلب اوشكت قواهُ تخور جوعًا. ويعجبني ان تأْخذ الشبان شفقة على الذي المت بهِ المصائب واني اراك رقيق القلب كريم الطبع واني واثق انك لا تردّ دعوتي لك الى تناول الطعام معي الآن

قال فاحنى الفتى رأسهُ دلالة على قبوله تلك الدعوة مع الشكر فجلسا معًا حول مائدة الطعام وكان صاحب السجلات يلاطف الفتى ملاطفةً تشفُّ عن شدّة تعلقه بهِ

واخذ يسأله عما جرى لهُ من الحوادث فارتاح اليهِ الفتى وقصّ عليهِ جميع ما جرى

كما اقرَّ بهِ الكاتب (ص ٢١٥) لكثرة نُسخ هذا الكتاب وتصرف النُّسَّاخ بالاصل

هذه خلاصة ما يشملهُ هذا التأليف وقد ضربنا صفحاً عن فوائد أُخرى كثيرة لا يمكن تفصيلها في هذه العجالة نحرّض الادباء على مطالعتها في اصلها فان فعلوا عرفوا مقام كاتبها وسعة معارفهِ ه. ل

أسئلة وأجوبة

س كتب الينا من البلدة جناب الياس لطف الله فيعاني « انَّ اليوم الثلاثاء في ٢١ آب الساعة التاسعة افرنجيَّة صباحاً » شاهد الناس هلالًا اصغر من الهلال الاعتيادي ولهُ من العمر يومان او ثلاثة الى جهة الشرق وطرفاهُ الى الغرب وعلى مسافة متر منهُ (للنظر المجرَّد) نحو الجنوب الشرقيّ نجمة صغيرة شديدة اللمعان » فسأل الافادة عن ذلك

مطهر حوّي

ج قد وهم الكاتب بظنهِ انَّهُ رأى هلالًا غير الهلال الاعتيادي والصواب انَّ الذي رآهُ هو القمر في طورهِ الاخير. امَّا النجمة فهي سيَّارة الزهرة (كوكب الصبح) التي تُرى في هذه الايَّام بالعين المجرَّدة حتى في ضحى النهار لشدَّة نورها

س وسأل حضرة الاب الفاضل افرام الديراني بعض الافادات عن ترجمة مار عبدا الذي يُكرَّم في بلادنا

ترجمة مار عبدا

ج لهذا القديس ترجمة مطوَّلة في السنكسار الماروني في ١٦ ايَّار. بيد انَّهُ قد وقع في ترجمتهِ اغلاط كثيرة منها قول الكاتب « انَّ القديس عبدا تنصَّر على يد يهوذا الرسول الذي سامهُ اسقفاً على مدينة بابل... وانَّهُ بشر بالايمان في خراسان وبلغ الى مدينة نوا على حدود الهند » الى غير ذلك ممَّا لا سند لهُ في التاريخ

والصواب ان القديس عبدا كان من بلاد فارس (ولا تُعرف سنة ومكان مولدهِ) واشتهر باعمالهِ الجليلة في اواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس للمسيح. وكان اسقفاً على مدينة شوشن (Suze) عاصمة بلاد خوزستان ليس بعيداً من مدينة شوستر الحاليَّة. وكان الملك ازدشير يعزُّهُ مع القديس مروثا اسقف تكريت (مدينة على دجلة بين الموصل وبغداد) الّا انَّ غيرتهُ حملتهُ على ان يهدم بيتاً للنار كان المجوس يعظمونهُ فامرهُ الملك بان يعيد بناءهُ فابى القديس عبدا ولذلك حكم عليهِ ازدشير بالموت فجُلد بالسياط ثم قطع راسهُ سنة ٤١٥ للمسيح. وانتشر مذ ذاك اضطهاد عظيم على نصارى العجم دام نحو ثلاثين سنة في ايَّام ازدشير الاول وابنهِ بهرام وفي عهد ازدشير الثاني. وتفاصيل اخبار القديس عبدا وردت في تاريخ تاودوريطس (ك ٥ ف ٣٩) والمؤرخ سوزومين (ك ٢ ف ١٠) وغيرها. والكنيسة اليونانية تكرّمهُ في ٣١ ايار ل. ش

الجليل الذي يقوم وحدهُ بمقام مكتبة جمعاء . والجزء الرابع الذي نحن الآن في صددهِ عبارة عن ٢١٨ صفحة جمع فيها المؤلف كلَّ ما وقف عليهِ من اسماء المطبوعات المنوطة بكتاب ألف ليلة وليلة . وهو مع سعتهِ لا يحتوي الّا على قسمٍ من هذه المطبوعات . وفي الجزء التالي تـتمَّة هذه القائمة . فهذا دليل واضح على شهـرة هذه الحكايات وانتشارها في الاصقاع الاوربية اكثر منها في الشرق

وقد صدَّر المؤلف هذا القسم من كتابهِ (ص ١–١١) بذكر ما قالهُ الادباء في اصل الف ليلة وليلة والقصص المتضمّنة فيها . وتلك مسئلة دقيقة لم يُكشَف بعـد عنها القناع . وممَّا يفيـدنا المؤلف (ص ٩) انَّ في بعض اقطار المشرق لا سيما في مصر اقوالًا غريبة شائعة بين الجمهور بخصوص الف ليلة وليلة كزعم العامَّة مثلًا انَّ من قرأها يُصاب بموتٍ او تدهمهُ في سنتهِ داهية . وهي خرافات لم نسمع بمثلها في بلادنا

ورأي المؤلف (ص ١٠) في كتاب الف ليلة وليلة انَّـهُ من التآليف التي لا يختلف اثنان في اعتبارها ورفع شأنها . (قلنا) ان صحَّ قول الموسيو شوفين عن الاوربيـين اجمالًا فذاك امرٌ لا يوافقهُ عليهِ كثيرون من العلماء الشرقيين بل بعض الاوربيـين ايضًا كالعلَّامة دي ساسي . والشرقيّون لا يطلبون من قراءة هذه الحكايات الّا بسط النفس ومن يتصفَّح هذا الكتاب بعين الانتقاد يجد انشاء كثيرٍ من قصصهِ في الغالب ركيكًا . امَّا الراوي فربَّما وجدتـهُ خاليًا من الحذق والدراية تصرُّفهُ اشبه بتصرُّف الاحداث

وعقيب هذه المقدَّمات اورد المؤلف اسماء الطبعات المختلفة التي شاعت من كتاب الف ليلة وليلة سواء كانت في الاصل العربي او في ترجماتهِ الشرقيَّة كالتركية والفارسيَّة والهنديَّة الخ (ص ١٢ — ٢٤ ثم في الاوربيَّة (٢٤ — ١٢٠) وكنـا وددنا لو الحق المؤلف ذكر الترجمة الفرنسيَّة الجديدة للدكتور مردروس بتعريف مقام صاحبها الذي اشادت بعض الجرائد في عملهِ ولا فضل لهُ فيهِ الّا ما اودعهُ هذه الترجمة من الاوصاف والعبارات المنافية للآداب اخرجها في صورة يمجُّها الذوق السليم وهو يدَّعي انَّـهُ تابعٌ للاصل العربيّ بامانـة

ثمَّ بحث المؤلف من الصفحة ١٢١ الى ١٨٢ عن مجاميع القصص التي عارض فيها اصحابها حكايات الف ليلة وليلة وختم كتابهُ (١٨٢ — ٢١٦) بتعريف نُسخ هذا الكتاب المخطوطة مع بيان عددها واختلاف رواياتها . بيد انَّ هذا البحث ليس بمستوفٍ

المشرق

طائفة الكلدان الكاثوليك

نبذة تاريخية للقسين الفاضلين ادي صليبا ابراهينا وبطرس نصري الكلدانيين

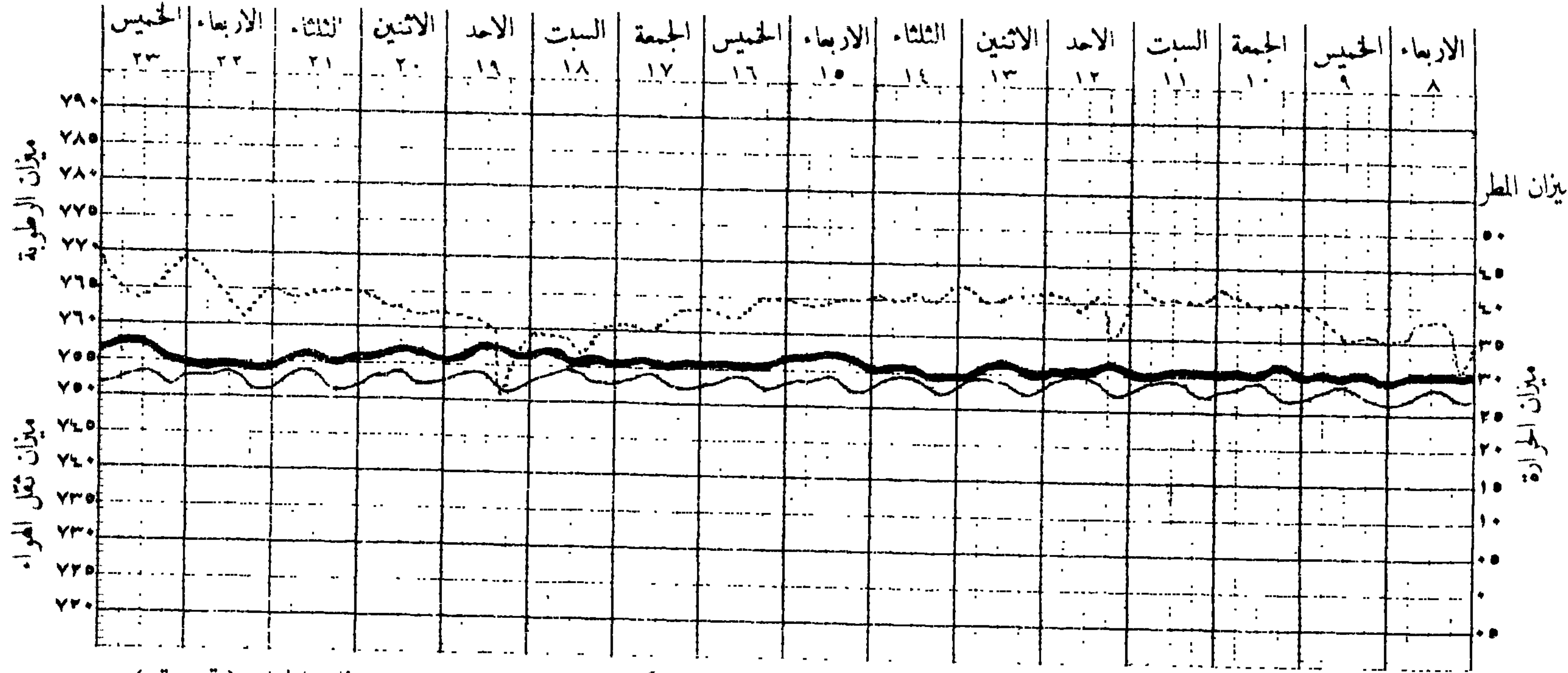
ورد علينا في وقت واحد مقالتان في طائفة الكلدان الكاثوليك احداهما من كركوك لحضرة القس ادّي ابراهينا والاخرى من الموصل لحضرة الاب الفاضل بطرس نصري ولمّا لم يمكنّا ادراج المقالتين معاً اخترنا الاولى لسعة مادتها. لكنّنا نذكر في ذيل المجلة ما نراهُ من الفوائد واختلاف الروايات في المقالة الثانية مع اداء الشكر لحضرة الكاتبين (المشرق)

في ٦ تشرين الثاني في العام المنصرم رُزئت الطائفة الكلدانيَّة بابيها الفضيل الذي كان علَم علماء الديار الشرقيَّة. وفي العلم والعمل ركناً واساساً. وفي الفهم والتقى مشكاة ونبراساً. الحبر الفهَّامة الخطير المدقّق. والبحر العلامة الاثير المحقّق. والواعظ الفصيح المصقع. والخطيب البليغ المفلق. مار عبد يشوع خيَّاط بطريرك بابل. الفاضل الجليل الوابل. فكان رزؤُها جسيماً. ومصابها اليماً. واسفها عليهِ عظيماً عميماً. لكن الله بنعمتهِ الالهيَّة المجمّلة. أسرع فاقام للطائفة الكلدانيَّة المترمّلة. راعياً ذا علم وتقىً. وفضل ونُقىً. ألا وهو السيد البجيل الفضيل. العالم الجليل الكميل. البطريرك عمانوئل. المشهور بحسن الشمائل. جعلهُ الله خير خلَف. لخير سلَف. هذا ورأينا بهذه المناسبة ان نُطرف قرّاء مجلة المشرق الغرّاء. بما صار لطائفة الكلدان الكاثوليك من الاخبار في السرّاءِ والضرّاء

١

انَّ اسم الاثوريّين والكلدان او البابليين يُطلَق دون تمييز على شعبٍ واحد في التواريخ القديمة. والداعي الى ذلك تقلُّبات هاتين المملكتين اذ كانتا غالباً تتضامّان فتصبحان مملكة واحدة. وقد اختصهم الكتاب المقدس باسم الآراميين وبهِ دعاهم

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ آب ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر المِلّمترات

سنة ٤٩. وكان اتى الى الرها ونصَّر الملك ابجر وقومهُ. ومن تلاميذهِ مار ماري (٨٢) اقتفى آثار معلّمهِ فطاف جميع هذه البلاد مبشّرًا ومشيّدًا الكنائس. ولذلك كان ماري ومعلّمهُ اديّ وتوما الرسول هم خاصّة رسل الكنيسة الكلدانيَّة ومؤسّسو رئاسة الكهنوت في كنيستها الكبرى وكرسي الجثلقة في ام بلاد الفرس يومئـذٍ اعني سلوقية وقطيسفون المعروفتين بالمدائن

وقام بعد مار ماري قدّيسون رائعون من سلالته جلسوا على منصّتهِ الجاثليقيَّة وجاهدوا الجهاد الحسن في سبيل الحقّ مقاومين الهراطقة والمشركين ومتوقّلين بشعب الله في مصاعد الشرف الشامخ والعزّ الباذخ. وقد اشتهر منهم مار ابراهام الكشكري (٩٨—١٢٠) الذي بآياتهِ وقداسة سيرتهِ أبطل الاضطهاد الثائر على ملّتهِ في عهد خسرو الملك. ومار شمعون بر صبَّاعي (٣٢٣—٣٤١) ومار شاهدوست (٣٤٥—٣٤٧) ومار بر بعشمين (٣٥٠—٣٥٨) الذين استشهدوا جميعًا في عهد شابور. ومار اسحق (٤٠٠—٤١١) ومار داد يشوع (٤٣٠—٤٦٥) وكلاهما عقد مجمعًا فيهِ رُسمت قوانين جليلة للسياسة البيعيَّة. ومار بابوي (٤٦٦—٤٨١) وهو ايضًا نال اكليل الاستشهاد

وكانت أحوال الكنيسة الكلدانية في الاغلب لا تزال مضطربة بالجور والاضطهاد والقتل. واخصّ الاضطهادات التي ثارت عليها عشرة: الاول سنة ٩٨ في عهد خسرو ملك الفرثيّين. والثاني سنة ١١٢ في عهد طريانوس. والثالث سنة ٢٥٠ في عهد داقيوس لمَّا غزا هذان الملكان بلاد الفرس. والرابع سنة ٣١٩ في عهد شابور الثاني ملك الفرس المعروف بذي الاكتاف. والخامس سنة ٣٢٨ في عهد شابور ايضًا. والسادس سنة ٣٤٠ في عهدهِ ايضًا. والسابع سنة ٣٤١ في عهدهِ ايضًا. واشتدَّ هذا الاضطهاد اكثر من كلّ ما سبق وعقب. ودام اربعين سنة ومن ثمَّ عُرف بالاضطهاد الاربعيني. الثامن سنة ٤٠٩ في عهد يزدجرد الملك. التاسع سنة ٤٢٠ في عهد يزدجرد ايضًا. العاشر سنة ٤٢٢ في عهد بهرام

ومع مكابدة كلّ هذه المحن لم تزل الكنيسة الكلدانية تنمو وتزهو وتفرع بغرسات جديدة تعتاض بها عمَّا كان يحصدهُ المجوس منها بسيف الاضطهاد. وغطّت اغصان هذه الشجرة العظيمة باسرع وقت كلّ بلاد بابل والجزيرة واثور وحدياب وباجرماي وماداي والاهواز وفارس كلها وفرثيَة. ثم امتدَّت فروعها الى ارمينية وطبرستان

هومير الشاعر وغيره من شعراء اليونان الاقدمين. ولمّا صار امر المشرق الى الاسكندر وكثر اليونان في الشرق اطلقوا عليهم اسم السريان. وليس السرياني الّا تحريف الاثوري او الاشوري (Ασσυριος)

ثمّ لمّا انتشرت الديانة النصرانيّة في العالم اهمل المتنصّرون من الآراميين اسم الكلدان. لان البعض جعلوهُ مرادفًا للمنجّمين فكانوا يشمئزّون منهُ. الى ان اخذ هؤلاء المنجّمون يتلاشون من هذه الديار فعاد الآراميون فاسترجعوا اسم الكلداني. فان ابن العبري في كتابهِ المسمَّى ܡܥܠܢܝܬܐ اي المدخل لمَّا تكلّم عن السريان الشرقيين وهم الكلدان قال: « الشرقيون (١ العجيبون اولاد الكلدان القدماء ». وامَّا اسم الآرامي فلم يُهمل كما زعم البعض بل بقي محفوظًا عندهم (٢ . بل ان الآراميين ميّزوا بين لفظتي ܐܪܡܝܐ (ارْمايا) و ܐܪܡܝܐ (ارامايا). فانَّ الاولى بسكون الراء كانت كناية عندهم عن الوثني. والثانية بزقاف الراء مرادفة للفظة ܣܘܪܝܝܐ (السرياني)

هذا وان الامّة الكلدانيّة من اقدم امم الارض. تدلّ على ذلك العاديات التي وُجدت فيها منذ امدٍ قريب. وكذلك دعاها ارميا النبي (٥ : ١٥): « امّة قويّة قديمة ». امّا اشتقاق اسم الكلدان فقد اختلف فيهِ العلماء راجع ما ورد في المشرق (٢ : ٧١٥) عن اصل هذا الاسم

واعلم ان اوّل من بشّر الكلدان بالانجيل الملوك المجوس. لا بدّ انهم عند عودتهم الى بلادهم بعد سجودهم للمسيح المولود حملوا بشارة الايمان الثمينة عوض الهدايا النفيسة التي كانوا قرّبوها لهُ تعالى. وهم سواءٌ كانوا فرسًا ام عربًا ينتمون على كلا الحالَين الى الكنيسة الكلدانية لشمولها العرب والفرس معًا (٣

ثمَّ من بعد صعود ربّنا يسوع المسيح الى السماء وقعت بلادنا هذه في حصّة مار توما الرسول الذي مرّ بها وبشّر بالانجيل فيها وسار منها الى الهند وهناك ختم مناداتهُ بسفك دمهِ. وممن تخصّص لها رسولًا خصوصيًّا مار ادّي زعيم الاثنين والسبعين (المتوفى

---

١) اعلم ان الكنيسة الكلدانية كثيرًا ما تدعى ايضًا بالكنيسة السريانية الشرقية لوقوعها شرقي الفرات (القس بطرس نصري) ٢) طالع كتاب النحلة تأليف سليمان مطران البصرة وكتاب تفسير الالفاظ العسرة الفهم التي في التوراة (ب. ن)

٣) راجع المكتبة الشرقية للسمعاني (الجزء الثالث القسم الثاني ص ٢). راجع ايضًا المشرق (٢ : ٢٥٧)

(١٢٨١—١٣١٧) وبعث سنة ١٢٨٨ بصورة ايمانهِ وبصحف الاحترام والخضوع للكرسي الروماني الى البابا بنديكتس الحادي عشر. لكن هذا الصلح لم يدم زمناً طويلاً فان الاحوال كانت تتقلّب عند جلوس بطريرك جديد وعلى هذا المنوال بقيت الملة الكلدانية متسكّعة في ظلام الهرطقة

واتحد طيمثاوس اسقف جزيرة قبرس سنة ١٤٤٥ مع الكرسي الرسولي. فقبلهُ البابا اوجانيوس الرابع مع شعبهِ في حظيرة الكنيسة الكاثوليكيّة (١. ثمّ انّهُ بعد وفاة هذا الاسقف الجليل تبع شعبهُ الطقس اللاتيني مع ان الكرسي الرسولي كان قد اذن لهم ان يبقوا على طقسهم

وممّا كان يحمل الكلدان ان ينضمّوا الى الكنيسة الكاثوليكيّة ما جاء مسطورًا في قوانين مجامعهم وفي كتبهم الطقسيّة عن رئاسة الاحبار الرومانيين على كنائس الدنيا قاطبةً. فانّهم يرتلون في الاحد الثالث من تقديس البيعة ما نصُّهُ: «تقول رومة: الكنيسة منيعة (وتدوم) الى ابد الابدين. ولن يغلب عليها الملوك والسلاطين». ومكتوب في كتاب الفقه لابن الطيب: «قوانين الثلثمائة والثمانية عشر نقلها ماروثا اسقف ميافرقين بمسئلة مار اسحق... القانون الثاني في ان الفطاركة يكونون اربعة على عدد اقطار المعمورة ورئيسهم صاحب رومية كما امر السليحون (الرسل)». ومسطور ايضاً في كتاب الفقه لايليا مطران دمشق: «الفطرك الاول فطرك رومية لهُ الكرامة والفضل على سائر الفطاركة. اذا أسامت الهوفركيا (جمعيّة الاساقفة) فطركها يصير اليهِ قبل ان يأمر وينهي في كرسيهِ حتى يسلّم ويتبرَّك منهُ». والشواهد نظير هذه عديدة

وممّا كان يساعد ايضاً على انضواء الطائفة الكلدانيّة الى الكنيسة الكاثوليكيّة دخول الرهبان الدومينيكيين والفرنسيسيين في ارض الاثوريين ودفاعهم عن الدين الشريف. دين أجدادهم الاولين

فهذا التقليد الابوي كان لا يزال ينبههم ان يتعقّبوا آثار خلفائهم القديسين فينقادوا الى الطاعة لخليفة مار بطرس زعيم الحوّاريين. وكانت هذه الحركة تزداد جيلاً فجيلاً الى ان صار البطاركة منذ اواسط الجيل السادس عشر يحنون الرؤوس على ولاء قدام

١) وبامر هذا البابا دُعي المرتدون من النسطوريّة كلدانًا وعُرفت كنيستهم بالكلدانية (القس بطرس نصري)

وتركستان وبلاد التتر والصين والهند وجزيرة العرب وغيرها حتى صار لها ثمانية وعشرون كرسيًّا مطرانيًّا . وكان لكل واحد من مطارنة هذه الكراسي الكبيرة اساقفة متعلّقون بهِ فمنهم من كان لهم اثنا عشر اسقفًا ومنهم مَن لهُ ستة اساقفة . والكرسي الاول الذي كان يجلس عليهِ البطريرك كان يشتمل على ثلاثين كنيسة اسقفيَّة

ولم تزل الكنيسة الكلدانية تزداد حياةً ونماء وتشتدُّ قوةً وسناء يسوسها البطاركة الفضلاء الخاضعون للكرسي الرسوليّ حتى قام تلامذة مدرسة الرها إيهيبا وماري وميخا وبرصوم ورفاقهم فانتشروا في البلاد الفارسيَّة وبثُّوا فيها الضلالة النسطوريَّة مُنكرين انَّ في المسيح اقنومًا واحدًا وانَّ مريم والدة الله

والذي اشتهر منهم خاصَّةً في بثّ هذه البدعة كان برصوم اسقف نصيبين . فاستعان بفيروز ملك الفرس واخذ منهُ جنودًا وطاف بهم البلاد يقتل من لم يكن يذعن لكفرهِ وبلغ عدد القتلى ٧٧٠٠ نفس . وبدسائسهِ قُتل مار بابوي الجاثليق (٤٨١) . وكان اوَّل بطريرك جاهر ببدعة نسطور بابي (٤٩٨) فمنذ ذلك الحين انفصل الكلدان من شركة الكنيسة الكاثوليكية وصاروا شيعة قائمة بذاتها

٢

الّا انَّ الله لم يهمل هذا الشعب تمامًا بعد ان شقَّ عصا الطاعة للكنيسة الكاثوليكيَّة بل وُجد بين الكلدان في كل حين وآن قوم عادوا الى حجرها خانعين خاضعين . منهم في منتهى الجيل السادس ساهدونا ويوحنَّا دي دلياثا وغيرهما ارعووا عن غيّ الاضاليل النسطوريَّة . وفي ذلك الزمان عينهِ اشتهر اسحق اسقف نينوى وكان متمسكًا بالديانة الكاثوليكيَّة . ولا شكَّ انَّ هؤلاء ردُّوا كثيرين بمثالهم وتعاليمهم الى جادَّة الحقّ . بل نرى عدَّةً من بطاركة النساطرة قد حاولوا في توالي الاعصار الانضمام الى الكنيسة البطرسيَّة المقدَّسة

فان بطريركهم بر يشوع بن المسيحي (١٢٢٦ — ١٢٥٦) رجع سنة ١٢٤٧ الى حضن الكنيسة الرومانية وارسل باسمهِ وباسم طائفتهِ كلها الى انوكنت الرابع الربّان « آرا » مع صورة ايمان أمضاها نصارى الصين ومار يشوعياب ملكون مطران نصيبين(١ ومطرانان آخران وثلاثة اساقفة . وتصالح ايضًا مع الكرسي الرسولي مار يابلاها الثالث

١) ويشوعياب مطران اورشليم (القس بطرس نصري)

الثالث وكرادلتهُ بما لا مزيد عليهِ من الحفاوة والسرور لما رأوا فيهِ من خلوص الايمان وصدق التقوى وبقي سولاقا في عاصمة الكثلكة نحو ستة اشهر يزور اماكنها المقدَّسة. وفيها عيَّد عيد القيامة. ولمَّا كان الاحد الجديد الواقع في ٢٠ نيسان سنة ١٥٥٣ امر البابا فقلَّدهُ الكرادلة درجة المطرنة. وفي ٢٨ منهُ رقَّاهُ الاب الاقدس الى الدرجة البطريركية في كنيسة مار بطرس امام جمهور لا يعدّ ولا يحصى من المؤمنين. وسمَّاهُ يوحنَّا وسلَّمهُ بيدهِ درع الرئاسة (الباليوم) المقدَّس وسلَّطهُ على كل الطائفة الكلدانية الخاضعة يومئذٍ لجاثليق النساطرة (١ وارسلهُ الى الشرق بهدايا جليلة وصلات جزيلة

وكان وصول يوحنَّا سولاقا الى آمد في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٥٥٣ في الاحد الثاني من تقديس البيعة. واستقبلهُ الشعب بما لا مزيد عليهِ من العظمة والاجلال. ونصب كرسيَّهُ فيها. وانكبَّ على حراثة كرم الرب بنشاط وغيرة مقاوماً الشرّ وملاشياً الاوهام الباطلة واسام اساقفة للابرشيَّات المختلفة. غير ان الطائفة لم تتمتع بهِ كثيراً. فان الله دعاهُ اليهِ سريعاً

وذلك ان شمعون دنحا بن ماما المقيم وقتئذٍ في القوش امتعض ايّ امتعاض لمَّا وقف على نجاح يوحنَّا سولاقا وأدرك انَّ نجمهُ آفل لا محالة بازاء هذا الجهبذ. فاستنفد وسعهُ لاهلاكهِ وشرع يبرم الدسائس عليهِ فاستنجد بحاكم العمادّية الكردي واغراهُ بالبطريرك الكاثوليكي. فاستدعى الحاكم اليهِ مار يوحنَّا بحيلة ومكر فلبَّى الى دعوتهِ غير عارف ما وراء ذلك من الدسائس الخفيَّة. فلمَّا صار اليهِ القى القبض عليهِ وكبَّلهُ بالقيود ولم يزل يتجشم امرّ العذاب مدَّة اربعة اشهر الى ان شنقهُ الحرَّاس بجبل بامر مولاهم والقوا جثَّتهُ بالنهر وأشاعوا انهُ فرّ هارباً ليلاً وهم نيام. وكان ذلك سنة ١٥٥٥

فانتخب الكلدان الكاثوليك مار عبد يشوع مطران الجزيرة بطريركاً عليهم وهو يُلقَّب بعبد يشوع الجزري لتمييزهِ من عبد يشوع مطران نصيبين. وكان مسقط رأسهِ في جزيرة بازبدي من اعمال ديار بكر. وكان متضلّعاً بآداب اللغة السريانية كما يستدل من تآليفهِ الجليلة (٢. وانطلق مار عبد يشوع الى رومة وقرَّر صورة ايمانهِ (٣ بين يدي

١) وبراءة البابا يوليوس الثالث محفوظة الى يومنا هذا في الخزانة البطريركية (القس بطرس نصري)

٢) وكان ترهَّب في دير مار آحا ويوحنَّا (ب. ن.)

٣) وترى صورة ايمانهِ منقوشة في القصر الواتيكاني في الكابلَّة الباولينيَّة (ب. ن.)

سلطان الاحبار الرومانيين. فدخلت مذ ذاك الحين الكنيسة الكلدانية في طور جديد ولم تزل تخدم الله بقلب سليم

٣

واعلم ان كرسي البطاركة كان في اول الامر في المدائن ثم انتقل الى دار السلام عاصمة الخلفاء. ولمّا لم يبقَ في بغداد من اثر للنصرانية انتقل الى ألقوش بقرب الموصل ويُظنّ انّ ذلك كان في اوائل الجيل الخامس عشر

ولمّا كانت السنة ١٤٥٠ سنّ شمعون بطريرك النساطرة (١ سُنَّة كان لها اسوأ عاقبة وذلك انهُ امر بألّا يُقام بطريرك الّا من عائلتهِ. وكان من شأن هذه السنَّة الوخيمة انها ضربت الطائفة ضربة قاسية (٢. غير ان الله ترَحَّم عليها فألهمها ان تتلافى هذا التقصير وتنتعش بحياةٍ جديدة. وذلك انَّهُ بعد وفاة شمعون الخامس لم يكن بقي من عائلتهِ الّا ابن اخ لهُ خلفهُ بحقّ الوراثة وجلس على منصَّة عمهِ سنة ١٥٥١ وسُمّي شمعون السادس وهو الذي يُعرف بابن باما

غير انَّ الطائفة امتعضت ايّ امتعاض لمّا رأت انَّ الكرسي البطريركي لم يزل يجلس عليهِ منذ جيل افراد عائلة واحدة. فبادر المقدَّمون فيها من البصرة وبغداد وكركوك وسنا وتبريز واذربيجان واورمية وديار بكر وسعرت وماردين ودارا ونصيبين والجزيرة واجتمعوا قاطبة في الموصل. ونبذوا الطاعة لشمعون بن ماما وسعوا ان ينقذوا الطائفة من هذا النير. ولمّا كان دأب الانسان في ضيقتهِ ان يذكر الله خطر ببالهم ما هو مكتوب في مجامعهم عن رئاسة الحبر الروماني وانَّهُ في اوائل النصرانيَّة كانت الجثالقة تُسام من بطريرك انطاكية الخاضع لكرسي رومة فانتخبوا الربان سولاقا (الصعود) وكان راهباً في دير ربان هرمز بقرب القوش وارسلوهُ بصحف الى رومة عند يوليوس الثالث ليرسمهُ بطريركاً عليهم ورافقهُ سبعون رجلًا من مقدميّ الملة حتى اورشليم

ودخل سولاقا مدينة رومة في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٥٥٢. وتلقَّاهُ يوليوس

١) اسمهُ شمعون الباصيدي (القس بطرس نصري)

٢) من هذه العادة تفجَّرت المشاحرات بين بني الطائفة والطمع في الانحياز الى عشيرة البطريرك التي دُعيت بالعشيرة الابويّة. ولبثت الكراسي المطرانية فارغة لان البطريرك لم يرضَ ان يسيم عليها خارجاً من عشيرتهِ خوفاً من استيلائهِ على البطريركية وسقوط حق الوراثة عنهُ (ب. ن)

لهُ درع الرئاسة على يد ليونارد ابيـل اسقف صيدون. وشمعون المذكور هو السابع من اسمهِ (١ ونصب كرسيهُ في مدينة اورمية في بلاد العجم (٢ واخذ جميع خلفائه يتلقَّبون باسم شمعون

وخلفهُ شمعون الثامن (٣ وهو ايضاً ارسل تقرير ايمانهِ الى الكرسي الرسولي (٤ سنة ١٦١٩. واقتدى بهِ خلفهُ شمعون التاسع وبعث رسالةً الى البابا اينوكنت العاشر سنة ١٦٥٢ يدعوهُ فيهـا: « ابا الآباء وراعي الرعاة وبطرس زمانهِ وموزّع الاكاليل ورئيس جميع الآباء » الى غير ذلك. وبشَّر قداستهُ انَّهُ يسوس ٤٠٠٠٠ عائلة قد انضوت كلها الى كنيسة رومة العظمى

وجلس على منصَّتهِ شمعون العاشر وارسل صورة ايمانهِ الى البابا اسكندر السابع سنة ١٦٥٨. وحذا حذوهُ خلفهُ شمعون الحادي عشر وثبتـهُ البابا اقليمس العاشر سنة ١٦٧٠. غير انَّ خلفاءهُ انفصلوا من الكنيسـة الكاثوليكيَّة وعادوا الى المزاعم النسطوريَّة. وانَّما الى هـذه السلالة عائد بطاركة النساطرة الحاليون المقيمون في قُدسانيس (او قوجانس) وهم معروفون جميعاً باسم مار شمعون

٤

لنرجعنَّ الان الى ذكر خلفاء شمعون دنخا بن ماما بطريرك النساطرة الذي قُتـل بدسائسهِ يوحنَّا سولاقا كما رأينا (٥. فانهم هم ايضاً كانوا اخذوا يعقدون وصال الاتحاد مع الكرسي الرسولي

كان قد خلَف شمعون دنخا ايليا الخامس. وكان البابا غريغوريوس الثالث عشر بعد فضّ المجمع التريدنتيني أَرسل ليونارد ابيـل اسقف صيدون الى الشرقيين يدعوهم الى الطاعة للكرسي الرسولي. فقبل دعوتهُ ايليا الخامس وارسل صورة ايمانهِ الى رومية مع

١) هو شمعون السادس (ب. ن.) ٢) جلس عشرين سنة وتوفي سنة ١٦٠٠ (ب. ن.) ٣) شمعون السابع (ب. ن.)

٤) وكان حافظاً على وديعة الايمان تسلَّمها من سلفائهُ. وساعدهُ الاب توما النوفاري رئيس المرسلين الفرنسيسيين في حلب. وانفذ على يدهِ الى رومية صورة ايمانهِ التي كتبها في قوجانس في ٢٨ تموز ١٦١٩

٥) ولذلك يدعى بالقاتول (ب. ن)

بيوس الرابع في ٢٤ تموز سنة ١٥٦٢. ولم يكن قد فُضَّ حينئذٍ المجمع التريدنتيني. فاشاروا الى مار عبد يشوع ان ينطلق فيحضر جلساتهِ. غير ان صروف الزمان لم تمكّنهُ من ذلك فارسل الى المجمع المذكور صورة ايمانهِ مع تقرير آخر ألحقهُ بها يقول فيهِ انّهُ خاضع لجميع قوانين المجمع الالهية. لا بل قيل انهُ حضر الجلسة الاخيرة منهُ في ٤ كانون الاوّل سنة ١٥٦٣

ولما رجع الى المشرق اخذ يشتغل بهمّة جديدة في استئصال الرذائل من حقل ملّتهِ وكان جلُّ غرضهِ اعادة النساطرة باسرهم الى جادّة الايمان المستقيم والفضيلة والصلاح. فكان من محلّ مركزه يصرف نظره الى رعيّتهِ الشاسعة بغيرة ونشاط (١. فسام اسمر حبيب ايليا مطرانًا على اورشليم. ثمّ ارسلهُ بامر البابا بيوس الرابع زائرًا بطريركيًّا الى ارض ملبار بصحبة مار يوسف اخي سولاقا (٢ وتوفي مار عبد يشوع بآمد سنة ١٥٦٥ (٣

وبعد وفاة هذا البطريرك الجليل خلفهُ يابالاها (عطا الله). ولم يتهيّأ لهُ نوال التثبيت والدرع المقدّس من السدّة الرسوليّة نظير سالفيهِ لاجل اخطار السفر وكانت وفاتهُ في سنة ١٥٨٠ (٤

وفي تلك الاثناء كان شمعون دنحا مطران جيلو (او جلو) وسلماس وسعرت قد تكثلك مع رعيّتهِ باسرها بسعي اليّا مطران آمد فاختارهُ الاساقفة خلفًا ليابالاها وارسل صورة ايمانهِ الى غريغوريوس الثالث عشر كما يتضح ذلك من عرض أحوال الطائفة الذي قدّمهُ اليّا المذكور الى الكردينال كارافا. فثبّتهُ البابا سنة ١٥٨٢ وارسل

١) وسعى في نشر الايمان الكاثوليكي خاصّةً في آمد وماردين والجزيرة (ب. ن.)

٢) وارسل ايضًا بصحبتهِ ايليا مطران آمد وامبروسيوس وانطونيوس الدومينيكيين الماهرَين في اللغة السريانية اللذين كان انفذهما يوليوس الثالث لمساعدة سولاقا في نشر الايمان (ب. ن.)

٣) وفي رواية القس نصري انهُ اقام كرسيَّهُ اولاً في آمد ثم نقلهُ في آخر حياتهِ الى دير مار يعقوب القريب من سعرت حيث توفي سنة ١٥٦٧ (كذا). ولنا من تآليفهِ ثلاث قصائد نفيسة مدح فيها رومية واحبارها (ب. ن.)

٤) قال القس نصري: تفطرك سنة ١٥٦٧. وكان في اول امره راهبًا في دير مار احا ويوحنّا في الجزيرة الزبديّة (هي جزيرة بني عُمر) وطنهِ. ثمّ سامهُ عليها البطريرك عبد يشوع اسقفًا. ولمّا جلس على كرسي البطاركة اقام كرسيهُ في سعرت وجلس ١٣ سنة. وفي هذه المدة لم يفتر عن السعي بهداية الضالّين الى الايمان

اضاليــل النسطرة . وفي ٨ آذار سنة ١٦١٦ أُرسلت قوانين المجمع ورسومهُ الى الاب الاقدس (١ . ثمَّ ترجمها اسحق الشدراويّ الماروني الى اللاتينية ووقف على طبعها سنة ١٦١٧ . والآباء الذين امضوا هذه القوانين هم الآتي ذكرهم : مار ايليا السادس بطريرك بابل . مار جبرائيل اسقف حصن كيفا . مار ايليــا مطران سعرت . مار يوسف مطران الجزيرة . مار ابراهام اسقف بلاد فارس . مار طيمثاوس مطران اورشليم وآمد . وتوفي مار ايليا سنة ١٦٢٧

وتولى بعدهُ ايليــا السابع . وأَرسل سنة ١٦٥٧ صورة ايمانهِ الى البابا اسكندر السابع مع رسالةٍ كان يطلب فيها ان يبقى الكلدان على طقسهم ويُبنى لهم كنيسة في رومة . وكانت وفاتهُ سنة ١٦٦٠

وهكذا في مدَّة ٤٤ سنة كان بوقت واحد بطريركان كاثوليكيَّان على الكلدان اي ايليَّا السادس والسابع في القوش . وشمعون الثامن والتاسع والعاشر في اورمية

وخلف ايليا السابعَ ايليا الثامنُ (١٦٦٠—١٧٠٠) . لكنَّهُ رجع الى الضــلالة النسطوريَّة ونبــذ طاعة الكرسي الرسولي . واثار حربًا عوانًا على الكلدان الكاثوليك كادت تكون الضربة القاضية عليهم لولا رحمة الله الذي اقام لخلاصهم رجلًا زيَّنهُ بكل الصفات الحسنة والفضائل الالهيَّة وهو مار يوسف الاول البطريرك

(ستأتي البقيَّة)

---

١) وفي مقالة القس نصري ما نصُّهُ : وكان اجتماعهم في كنيسة مار فثيون في آمد في ١ اذار سنة ١٦١٦ وبقي البحث متَّصــلًا الى ٨ نيسان فحرموا الاضاليل النسطوريَّة واثبتوا المقالات التي كتبها آدم رئيس الرهبان وانفذوا رسالة الى رئيس الاحبار يقرّون بها بحقائق الامانة المستقيمة . ثم ان ايليا السادس لم يكتفِ بذلك بل جعل آدم مطرانًا على آمد واورشليم مكافاةً لاتعابهِ وانفذهُ من جديد الى رومية ليقدّم الى السدة الرسوليــة اعمال هذا المجمع . ولبث ادم ثمَّ ست سنوات . وبعد عوده بقليــل توفي بالوباء الذي فشا في المشرق . ومن تآليف ادم المقالتان المارّ ذكرهما في الايمان . ولهُ مقالة ثالثة ردًّا على الهرطقات المخالفة للكنيسة الرومانية . ودبَّر ايليا السادس كرسيه البطريركي ستًّا وعشرين سنةً واستناح في دير الربان هرمز القريب من القوش في ٢٦ ايار سنة ١٦١٧ . قد دوّنت على صخرة قبرهِ صورة ايمانهِ المستقيم يقرّ فيها باقنوم واحد وطبيعتين وارادتين وفعلين في المسيح خلافًا لمقالة سلفائهِ

احد الرهبان. غير انَّ البابا سيكست الخامس ردّها لانهُ كان يُشمّ منها رائحة الهرطقة. وكانت وفاتهُ سنة ١٥٩١

وفيها خلفهُ ايليّا السادس. وكان طاهر السيرة والسريرة. فاراد الاتحاد مع الكنيسة المقدَّسة الرسوليَّة. فأرسل رُسُلًا الى البابا بولس الخامس ليتباحثوا في امر الصلح (سنة ١٦٠٧). واذ حال دون ذلك موانع لم يعدل هو عن قصدهِ الجليل بل ارسل ثانية الى الكرسي الرسولي الانبا آدم بصحف الاحترام والخضوع مع صورة ايمانهِ سنة ١٦١٠. وهاك لمعة ممَّا كتبهُ الى الاب الاقدس: « اقرّ ان الكنيسة الرومانيـة هي امّ جميع الكنائس. وليكن محروماً من لا يقرّ بهذا التعليم. ايها الاب ها ان صورة ايماني تبلغ الى قداستك مع الصحف. فاينْ هل يوجد حيلة في اقرارنا او غلط او تجنُّب عن امّنا الكنيسة الرومانيَّة. فاذا وجد ذلك نبّه فنفعل وعلّم فنُطيع »

وكان وصول الانبا آدم الى رومية سنة ١٦١٢. فصار لهُ مجادلات كثيرة ومباحثات طويلة مع علماء الكنيسة الرومانيَّة. ومكث لا يذعن للحق مدَّة من الزمان الى ان انار الله عقلهُ فخضع للحق ونبذ تعليم نسطور (١

وارسل البابا بولس الخامس مع الانبا آدم الى ايليا البطريرك هدايا جليلة منهـا صليب نفيس فيهِ من عود الصليب الحقيقي ومكتوب عليهِ بالكلدانيَّة واللاتينيَّـة: ايليا بطريرك بابل (٢» واشار اليهِ بعقد مجمع تتوثّق فيهِ عرى الاتّحاد

وعليهِ فانَّ ايليا السادس عقد سنة ١٦١٦ مجمعاً في مدينة آمد دعا اليـهِ اساقفتهُ ومطارنتهُ. وحضر ايضاً توما أُبشيني دي نوفار (Thomas Obcini de Novarre) رئيس الفرنسيسيين في حلب قدم من الشهباء في قلب الشتـاء. فشجب آباء المجمع

١) وكان آدم المذكور قد ألَّف كتاباً حاول ان يبين فيهُ ان الاختـلاف الواقع بين النساطرة والكنيسة الرومانيـة انما هو في اللفظ دون المعنى. ولمَّا وقف على ضلالهِ ألَّف بحثاً آخر اظهر فيهِ ضلال النساطرة وقدَّمهُ الى ائمَّة طائفتهِ

٢) وكتب البابا بولس الخامس الى البطريرك ايليَّا السادس يهنئهُ على استعداده لقبول الامانة الكاثوليكية واردف اخيراً كلامـهُ بقولهِ: « وامرنا ان نكتب ونشرح بكل تدقيق جميع المواد التي تبرهنت وتبيَّنت لولدنا العزيز آدم رئيس ديرك وان تُستخرج على وجه الصحّـة الى اللغة الكلدانية وتُرسل الى اخوتك » وكانت هـذه الموادّ رسائل مار قيرلس واعمال مجمع افسس وحكم المجمع الرابع الخلقيدوني ومنشور اوجانيوس الرابع في الاتّحاد (ب. ن)

l'étude de la céramique orientale (١ . وكثيرًا ما يُستعمل بدلًا من « عمل » فعل « صنع » او اسمهُ « صنعة » في مثل تلك الظروف . (راجع مثلًا مقالات العلامة كلرمون غنو في العاديّات الشرقيّة) . ومما يمنعنا من اختيار الوجه الاول قوانين الخط الكوفي العامّة فان حرف القاف في هذا القلم لا تكون هيئتهُ العاديّة كصورة الحرف التابع للعين بل يُضاف اليهِ غالبًا شبه العنق يربط بين دائرة الحرف والخطّ السفليّ . وكل ذلك فضلًا عن ان « العقل » لا محلّ لهُ في هذه الكتابة ولو أُردف باسم الصانع « الحكيم ابن سليمان » . ما لم نَقُل ان الناقش عمد الى التفكُّه وهذا من الغرابة بمكان (٢

ونزيد على كل ما تقدَّم ان النصّ الذي رُسم قبل تلك الكلمة لا يجيز ايضًا الافتراض بانها « عقل » . لاننا بعد امعان النظر وتدقيق التأمُّل وجدنا ان بدء الكتابة كان كما يلي : « بركة الله وحبُه » (٣ . ولا نجهل ان هذه العبارة لا توافق تمامًا ما يأتي في اغلب الاواني والامتعة العربية فانّ العبارة المصطلح عليها انما هي « بركةٌ من الله » دون زيادة ولا نقصان او اذا زيد عليها شيء فليست الزيادة « حبّ الله » بل « يُمنٌ وسعادة » او ما اشبه ذلك (قابل مثلًا CIA, n°81 وغيره) . بيد اننا لا نرى سبيلًا آخر الى تفسير افتتاح الكتابة (٤

ولا يستصعبنَّ القارئ اللبيب التسليم بوجود الاسم الكريم في كتابتنا هذه فان لكلمة « الله » صور مختلفة في الآثار العربيّة فضلًا عن كتابات الصحف . ولذا لا

---

١) قد نُشر هذا التأليف في المجموع المعروف بـ Mémoires présentés à l'Institut égyptien.- Le Caire 1900 . فنثني صميم القلب نحوَ جناب المؤلف الفاضل بما جمعهُ في تصنيفهِ النفيس من التفاصيل المفيدة العائدة الى توسيع معرفة صنائع العرب وخواصّ طرائقهم القديمة

٢) من البيّن ان « الحكيم » في هذه الكتابة لَقَبٌ على مثال ما ورد في تصنيف الدكتور فوكاه من اسماء الصنّاع الشاميين « كغَيبيّ » و « غزال » و « المعلم » و « الشاعر » و « المهندم » وغيرهم . طالع التأليف المذكور في عدّة مواضع لاسيما الصُوَر البديعة الملحقة بهِ

٣) رأينا في الدائرة التي يبتدئ بها السطر الثاني انها بقيّة حرف واو . ومثل هذا يأتي ايضًا في السطر الذي قبل الاخير

٤) قد جرّبنا جميع الاوجه التي تحتملها قراءة كلمة « حبه » وهي عديدة كما لا يخفى مثال ذلك خبَّ (قطع او لقَح) وجثَّ (قلع) وجنَّ (ستر او اظلم على) وحتَّ الشَجر (قشرهُ) وخَنَّ (قطع الجذع) الخ فلم نجد وجهًا يُجدي نفعًا . ولذا فضّلنا كلمة حبّ على سواها . واما الحرف الاخير من الكلمة عينها فلا مرية انها هاء الضمير العائد الى الاسم الكريم

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزڤال اليسوعي (تابع لما سبق ص ٥١٤ – ٥٢٢) (*

الكتابة العربية العاشرة

(عرضها ٨ سنتيمترات. طالع ما افتتحنا بهِ الكتابة التاسعة)

قد افرغنا كنانة الجهد في فكّ ما تتضمنهُ هذه الكتابة من المشاكل المختلفة. ولو لم تأتِ مساعينا بكمال المرام فالمأمول ان تفسيرنا يقع لدى قرائنا الافاضل موقع القبول. اعلم اولًا انَّ هذا الأثر ليس الّا بقيَّة من إناء خزفيّ غليظ الصنع. وثانيًا انَّ شكلهُ لم يكن اصلًا كما هو في الصورة المرسومة وان أطراف الدائرة حُطِمت حديثًا والمظنون عندنا انّ الصفحة التي طُبعت عليها الكتابة كانت اوسع ممَّا هي عليهِ وانها قسم من قعر جرَّة. وممَّا يُثبت صحَّة ظنّنا مضمون الكتابة كما سترى ولذا نقول سلفًا ان الرسم المطبوع على هذه القطعة انَّما هو علامة معمل (marque de fabrique) وضعها الصانع حسب عادة قدماء الفخَّارين من العرب وغيرهم. وعلى كل حال فالمرجو من القارئ الاديب ان يراجع مليًا صورتها الشمسيَّة وهي غاية في الاتقان قد تفنن في اخذها مصوّر مطبعتنا فاظهر جميع خواصّها لاسيما نتوّ الحروف على احسن منوال واجلاهُ

فلنبتدئ بما هو سهل القراءة وهو بلا مراء السطر الثالث وقسم من الرابع فكل من لهُ المام بالقلم المعروف بالكوفي يقرأ دون كلف ما معناهُ « لحكيم ابن سليمان » ثمَّ اذا اعتبرت ان الكلمة الاخيرة من السطر الثاني لا تقبل الّا قراءتين اي « عقل » او « عمل » (١ فلا شك انك تختار الوجه الثاني وهو تعبير شائع لدى صنَّاع الاواني الخزفيَّة والزجاجيَّة والصينيَّة للدلالة على مصدر مصنوعهم. (طالع مثلًا ما ورد في تأليف الدكتور فوكاه الصادر هذه السنة تحت العنوان التالي: *Contribution à*)

---

١) اعلم ان ما يتبع اللام في كلمة « عقل » او « عمـل » ليس الّا الالف التي تخصّ لفظة « الحكيم » المارّ ذكرها. ولا اخال احدًا يميل الي تفضيل كلمة « غفل » التي لا معنى لها في هذا الاثر

يكن مرضياً عند احد قرائنا وكان لديهِ وجهٌ آخر لفكّ المشكل فليوردهُ ولهُ الفضل

بقي علينا البحث عن معنى الكلمتين الاخيرتين في السطرين الرابع والخامس . ولا حاجة الى تكرار القول باننا لسنا نعرض قراءتنا الّا على سبيل التخمين المحتمل فاننا رغماً عن كلّ ما بذلنا من الجهد لم ندرك ما يُشتفى بهِ كاملاً . واول ما يجب ايرادهُ انَّ الدائرة المرسومة تحت منتهى السطر الرابع نحسبها تاءً مربوطة على ما قد مرَّ من قولنا انَّ الناقش لم يجد مكاناً كافياً لإلحاق هذا الحرف بباقي الكلمة . فلذا اضطُرَّ ان يحفرهُ تحت السطر وقريباً منهُ حسب العادة الجارية في مثل هذه الظروف . فاذا ثبت ذلك ولا نظنّ احدًا يستغربهُ قلنا ان السطر الاخير يجب ان يُقرأ « وصبر » فيكون مضمون انتهاء الكتابة كما يلي : « بغيرة وصبر » . ومثل هذه العبارة شيء وافر في عاديات العرب (١ . وربَّ معترض يقول انَّ في هيئة الراء في كلا السطرين لنظرًا . اجبنا



الكتابة العربية العاشرة

١) لا يفوت احدًا ما في هذه العبارة من الخلل اذ ان القياس كان يقتضي ان يكتب « عملَهُ الحكيم بن سليمان بغيرة وصبر . بيد ان ذلك ليس بمانعٍ عن قبول شرحنا لان كلمة « عمل » وهي موازية لكلمة « صنع » قد كثر الاصطلاح عليها حتى كانت تُرسم دون مفعولها . ا لم يقل احدٌ انَّ « عمل » خبر لمبتدإٍ محذوف اي « هذا عمل الحكيم الخ »

نتردَّد في الافتراض بان الالف كانت قد وُضعت فويق التاء المربوطة التي تنتهي بها لفظة « بركة » وان الهاء في الاسم نفسهِ كانت كذلك في موضع اعلى من اسفل اللام الثاني. وإن صحّ كل ذلك ولا نحسبهُ بعيدًا عن الصواب فالظاهر ان الالف والهاء في اسم « الله » اي حرفَيهِ الاول والاخير كانا متوازيَين في العلوّ وانَّ الرسم الذي يتوسَّط بين اللامين يطابق ما هو مشهور في عدَّة كتابات من علامةٍ او زينةٍ لم تأتِ عليها العلماء بالشرح الوافي (قابل مثلًا كتابتنا العربيَّة الاولى في سطرها الاول والثالث والعاشر (المشرق ٣ : ٣٣) وصورة الكتابية الثامنة

وكذلك لا تقل ان الكتابة غير كاملة مدَّعيًا انها كانت تحتوي على كلمة « مِن » فوق « بركة الله ». فان ذلك مع كونهِ محتملًا على وجه العموم لا نراهُ مناسبًا لهذه الكتابة وظواهر هيئتها. وذلك لسببين: ١ً لوجود مكان كافٍ لرسم ذاك حرف الجرّ في السطرِ الذي رُسم فيهِ باقي العبارة خلافًا لما طرأ في السطر الرابع كما سترى ٢ً لان جنس الكتابة وشكل حروفها المرتقيين الى القرن الثالث او الرابع للهجرة لا يحتملان هذا الافتراض. بل الاحرى التسليم بان المكان المتقدم لعبارة « بركة الله » كان قد رُسم عليهِ علامةٌ شبيهةٌ بالعلامات الكائنة في السطر الاخير وهي ليست بحروف عربيَّة محضة كما لا يخفى على اللبيب

فها ان سياق بحثنا ادَّى بنا الى شرح العلامات المذكورة. فنقول على وجه الاجمال انَّ مثل هذه الرسوم كثير الورود في نوع خاص من كتابات عربية طُبعت على قطع زجاجيَّة وخزفيَّة وحجريَّة. وقد برهن العلامة كازانوفا (*Inscript. arab. des poids et mesures en verre*) (١ ان معظم تلك القطع كانت تمائم وطلاسم (٢. فالرأي اذًا ان العلامات التي في اسفل كتابتنا ليست سوى رسوم طلسمية لا يُحلّ رمزها الَّا بعد مقابلة امثال عديدة من هذا الجنس. وعلى كلّ حال فما لا نشكّ فيهِ ان العلامات المومأ اليها قد وضعها الصانع تبركًا وتيمُّنًا. هذا شرحنا للقسم الاكبر من كتابتنا فان لم

١) طالع .Bullet. de l'Institut Egypt. 1861, p. 114 seq. ولسوء الحظ ليس عندنا تأليفهُ الكبير الذي استقصى فيهِ البحث عن هذه الكتابات المفيدة وقد اشهر فيهِ صورًا عديدة تساعد على مقابلة آثار مصر بما عثرنا عليهِ في البلاد السوريَّة من الماديات العربية

٢) طالع الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون (طبعة مصر ص ٤٣٦–٤٣٩)

وعليهِ فلا بدَّ من القول انّ العرب على عهد الخلفاء لم يتخذوا النظارات لارصادهم بيد انَّهم اصطنعوا لهذه الغاية آلات عديدة منها ما كان غايةً في الضخم دقيق الادوات مشتبكها. واذا اعملنا النَّظر في ما جمعهُ منها علماء العاديَّات في المتاحف وقابلنا بينها وبين الاوصاف التي دوَّنهـا منجمو العرب في تآليفهم امكنَّا ان نعرف حقيقة وضعها مع طريقة استعمالها

اعلم انَّ العرب آثروا لمراصدهم الاماكن المنكشفة فكانوا يشيدونها في الغالب على مشارف التلال ويجعلون لآلاتهم قُتَرًا تقيها من آثار الجوّ. وكانت بناياتهم الرصديَّة عادةً كما اثبتهُ عبد اللطيف البغدادي على هيئة الابراج. لكنَّنا لا نظنُّهم اتخذوا لهذه البروج قُبَبًا متحركة لتوجيه الآلات الى اربع خوافق الجوّ كما هو جارٍ في عهدنا. والمرجَّح عندنا انَّهم كانوا يرقبون الفلك في فضاء السماء. ومما ورد عن مرصد مراغة انَّ بانيهُ جعل لهُ ثقبًا كانت تنفذ فيهِ اشعة الشمس وترسم بنفسها خطوطًا مستديرة كان الفلكيون يستدلون بها على الدرجات والدقائق (١). وكان ايضًا لهذه المرصد آلة شبيهة بدائرتنا الحائطيَّة (mural) الَّا انها مجهَّزة فقط بعضادة (alidade) وهذا مما يستدعي الى الظنّ بانَّ الثقب كان في سطح دائرة نصف النهار

وكان لمراصد اخرى ارباعٌ ضخمة من الدائرة ولا شكَّ انها كانت مستندة الى ابنية ثابتة فوقها قبب تسترها من عوادي الزمان ولهذه القبب اثقاب قلَّ ما يكون في سطح نصف دائرة النهار

وقد وصف المقريزي في كتاب الخطط (١: ١٢٥) المرصد الذي اقامهُ الافضل ابو القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش بدر الجماليّ. وكان الذي تولى بناءهُ وهندامهُ احد افاضل العلماء يدعى ابا سعيد بن قرقة. وطلب لهذا المرصد مقامًا يصلح الرصد فيهِ فلم يجد احسن من سطح الجرف في موقع المسجد المعروف بمسجد الفيلة الكبير في مصر فحفروا فيهِ نقرًا في الجبل وعملوا فيهِ قالب الحلقة الكبيرة ومظهرها عشرة اذرع ودورها ٣٠ ذراعًا. ولمَّا تمَّ سبكها رُفعت الى سطح مسجد الفيلة. قال المقريزي (١: ١٢٦):

« وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب وبنى في وسط الحلقة مسطبة حجارة منقية (وبروى متقنة) لرجل البركار وهو قائم مثل عروس الطاحون وفيهِ ساعد مثل ناف الطاحون

١) راجع مقالة سيديلو في آلات العرب الرصديَّة Académie des Inscriptions et Belles - Lettres : Mémoires de divers savants I, 202

انَّ المشكل بدا لنا ايضاً لاول وهلة الَّا انَّهُ لم يمنعنا من التمسُّك برأينـا. فان شكل الراء المذكور واردٌ حقيقةً في كتابات عديدة لاسيما عند نهاية الكلمات مثال ذلك شكل الخط المرسوم في كتابتنا العربيَّة الاولى (المشرق ٣: ٣٣) تجد فيهِ تلك الهيئة ليس فقط للراء بل ايضاً للنون. ولا يقاومنا ما في نفس هذه الكتابة التـاسعة من شكل حرف الراء في لفظة« بركة » لان كلتا الهيئتين شائعة خصوصاً في بلاد سوريَّة في مطاوي القرن الثالث والرابع للهجرة. ولو لم يسلِم القارئ الفـاضل بصحة هذا الرأي فليجرّب هو نفسهُ وجهاً آخر وليتكرّم علينا بالخبر

وحاصل الكلام اننا نقرأُ الكتابة كما يلي:

١ً بركةُ الله ٢ً وحبّه: عمل ا ٣ً لحكيم ابن ٤ً سليمان. بغيرة ٥ً وصبر

وكنَّا نودُّ لو يتسنَّى لنا استيعاب فوائد هذه الكتابة الفريدة في بابها ولاسيما البحث عمَّا يختصّ بزمن رسمها ومذهب صانعها ووطنهِ. غير انَّ في ما مرَّ من التفاصيل كفاية بل فضول نرجو من مشتركينا الافاضل غضّ النظر عمَّا اعتراهم بهِ من الملل والسأَمة

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

٢ مراصد العرب والاتهم الرصديَّة

أَلمعنا في مقالتنا السابقة (المشرق ٣: ٦٧٣) الى المراصد التي اقامها العرب في انحاء بلادهم. لكن الفائدة من معرفة وجودها لا تتمّ الَّا بمعرفـة شؤون هذه المراصد والآلات التي كان يستخدمها علماء الفلك منهم ليجروا عمليَّاتهم الرصديَّة الدقيقة

(المراصد) واوَّل ما ينبغي ذكرهُ هنا ان مراصـد العرب كانت تختلف عن مراصدنا الحاليَّة اختلافاً تامَّا لانَّ هذه لا تقوم الَّا بالنظارات من الزجاج وكانت تلك خاليةً منها. نعم انَّ العدسيَّات المتخذة لتقوية النظر ومعالجة العيون العليلة (lentilles à bésicles) من المخترعات القديمة. لكن تجهيز هذه العدسيَّات للنظارات الفلكيَّة والجمع بينها على طريقة مركزيَّة (système centré) من الاكتشافات القريبـة الى عهدنا ولعلّ وجودها لا يرتقي الى ما فوق القرن السابع عشر

هذا ولا يسعنا ان نصف هنا بالتفصيل كلّ الآلات الفلكيّة التي استعملها العرب في مراصدهم فان ذلك يقتضي كتباً مطوّلة ويؤدي بنا الى الاسهاب المملّ وانما نجتزئ بذكر بعضها

١ ذوات الحَلَق والكُرات الحلقيّة · ذوات الحلَق (armilles) عبارة عن دوائر تختلف كبراً وعدداً · وقد ذكر ابو حسن علي المراكشي من كتبة القرن الثالث عشر آلة منها تشتمل على خمس مناطق او دوائر وهي منطقة البروج ودائرة الاقطاب (le co-lure) ودائرة العرض الكبرى ودائرة نصف النهار ودائرة العرض الصغرى · وكان لهذه الدائرة الصغرى عضاد يمرُّ في قطرها تُرصد بهِ الكواكب

وكان العرب يتخذون آلة ذات الحلَق تارةً لقياس ميل منطقة فلك البروج وهي ذات الحلَق الانقلابي (armille solsticiale) واخرى لمعرفة تَساوي الليل والنهار ومبادرة الاعتدالين وهي ذات الحلق الاعتداليّ (armille équinoxiale)

٢ الكُرة المجسَّمة والاسطرلاب المجسَّم والشاملة · كانوا يتخذون هذه الآلات على شكل كرة او نصف كرة فيرسمون على سطحها منطقة البروج وخط الاعتدال والكواكب الثابتة والساعات والمدارات (les parallèles) او المقنطرات مع السموت · وكانت تُحاط هذه الكرة تارةً بدوائر كدائرة الافق ودائرة نصف النهار مع انابيب نحاسية تصلح للرصد وتارةً بكرة اخرى فارغة مقطَّعة متحركة كانوا يدعونها شبكة ويجعلون لها صفيحة ويجهزونها بمقياس (gnomon) متجه الى شعاع معلوم

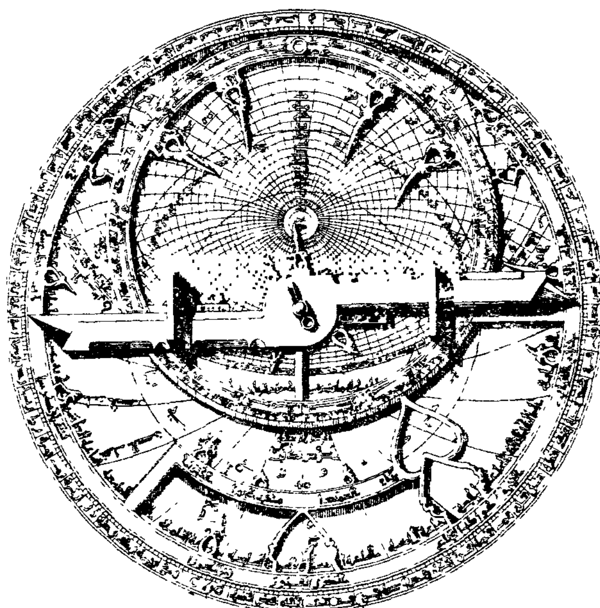
٣ ربع الدائرة · كانت هذه الآلة رُبعاً من النحاس لها شظيّتان او شعبتان (pinnules) موافقتان للشعاع الاعلى ثم خيط (fil à plomb) يُعقد في مركز الدائرة · وعلى وجهَي الربع خطوط وكتابات · فترى على الوجه الشمالي الدرجة ٩٠° من قوس الارتفاع ثمّ سطر الظلال وسطر المَيل ثمّ ساعات الوقت والساعات المتساوية (١ ثمّ العصر وسَمت القبلة الخ · وعلى وجه اليمين المعروف بالدستور كانوا يرسمون جيوب الاقواس والكواكب الثابتة وفقاً لميلها وصعودها المستقيم الخ

١) كان القدماء يفرقون بين الساعات الوقت وساعات المتساوية فساعات الوقت كانت منقسمة الى اثني عشر قسماً متساوياً لكنَّ طولها كان يختلف مع اختلاف الفصول · اما الساعات المتساوية فكانت مقسومة الى ٢٤ قسماً من طلوع الشمس الى طلوعها على بناء ان الوقت يساوي ٢٥°

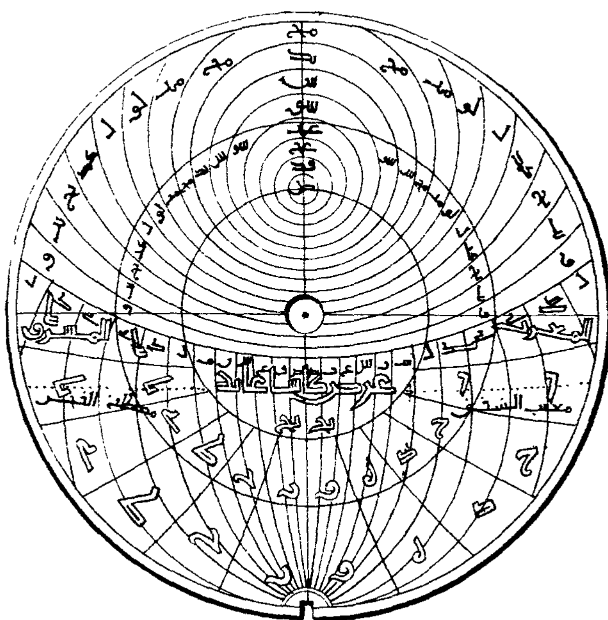
وقد لُبّس بالحديد والجميع سنديان جيّد وطرف الساعد مهيّأ لعدّة فنون تارةً لتصحيح وجه الحلقة وتارةً لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والحزوز واقام في التصحيح فيها واخذ زوائدها بالمبارد مدةً طويلة . . . فارادوا قيامها على سطح مسجد الفيلة فلم يتهيّأ لهم فانهم وجدوا المشرق لاول بروز الشمس مسدودًا فاتّفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشيّ المجاور للانطاكي المعروف ايضًا بالرصد . . . فأُحضرت الصواري الطوال العظام والسرياقات والمنجانات (كذا) من الاسكندرية وغيرها وجُمعت الاسطوليّة ورجال السودان وبعض اصحاب الركاب والجند حتّى أدلوهُ وحملوهُ على العجل الى مسجد الرصد الجيوشي . وثاني يوم حضروا باجمعهم حتى رفعوهُ الى السطح وكملوهُ واقاموا الحلقة وجعلوا تحت اكتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من اسفلهما واعلاهما حتّى لا يرتمي ثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وباعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير لتدور عليهِ العضادة وعملت من نحاس فما تمارست ولا دارت . فعملوها من خشب ساج وقطبها واطرافها من نحاس صحائف ليخفّ الدوران ثمّ رصدوا بها الشمس بعد كلفة . وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعُمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليمسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدّة ما كانوا يجرّرونها (ويروى: يُجرون بها) بالشواقيل وعضادة الخشب . وتردّد اليهِ الافضل مع كبر سنّهِ . . . فرصدوا قدامهُ . وفي خلال ذلك قُتل الافضل سنة ٥١٥ ﻫ (١١٢٢م) وقيل للافضل عن ابن قرقة انهُ اسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها. فقال لهُ الافضل: لو اختصرتَ منها كان اهون . فقال: وحقّ نعمتك لو امكنني ان اعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الاهرام والاخرى على (مسجد) التنّور فعلتُ . فكلّما كبرت الآلة صحّ التحرير وبين هذا في العالم العلوي »

ثم ذكر المقريزي ما كان من امر هذا المرصد ونقل آلاتهِ بعد وفاة الافضل الى باب النصر بامر الوزير المأمون المعروف بالبطائحي وكيف حال قتلهُ دون انجاز العمل سنة ٥١٩ ﻫ (١١٢٦ م) . وكانوا اتصلوا الى رصد الشمس ولو كمل لامكنهم رصد الكواكب وهذا الرصد هو المعروف بالرصد المأموني . قال المقريزي: « وكانت العامّة والغوغاء يقولون: ارادوا ان يخاطبوا زحل وأرادوا ان يعلموا الغيب . وقال آخرون منهم: عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلمّا قبض الخليفة على المامون بطل العمل وكُسر وهرب المستخدمون »

(آلات الرصد) هذا ما يختص بالمراصد امّا الآلات الرصديّة فيمكن حصرها في نوعين فمنها ما يصلح لقياس الزوايا والارتفاع والسموت بواسطة العضادات ومنها ما كانت مقاييسهُ ظلال الاميال تقع على حافر (cadran) فتقاس الزوايا المطلوبة امّا بحساب الثلثات واما بالازياج . وفي بعض الاحيان كان العرب يتخذون لهم آلات تجمع بين هذين النوعين



صورة اسطرلاب مصون في متحف مجريط (عن لوبون)



صفيحة الاسطرلاب

هذا وكان القدماء يدعون ايضاً « دستورًا » آلة خصوصيَّة كثيرة الاستعمال مناسبة لربع الدائرة. قال شهاب الدين احمد الطنبغا في كتاب ارشاد السائل الى اصول المسائل في شرحهِ على كتاب العمل بربع الدستور لابي عبد الرحمان الماردينى: يصف طريقة قياس الارتفاع:

« ان اردتَ معرفة قياس ارتفاع الشمس خذ ربع الدستور واجعلهُ بحيث يكون طرفهُ الذي لا شطبة لهُ متَّجهاً نحو الشمس ثمّ أدِرهُ الى أن تصير الشعبة السُفلى في ظلّ الشعبة العليا بدون ان يدخل الخيط في الربع او يخرج منهُ ولا يكون سطح الربع مظلّلًا او منارًا وليجعل في طرف الخيط ثقلٌ لئلّا تحركهُ الريح فيكون قسم القوس الذي يفصلهُ الخيط من الطرف الخالي من الشطبة هو دليل الارتفاع »

فمن قرأ هذه الاسطر ظنَّ ولا مراء انَّ الكاتب الفاضل وصف آلتنا الحديثة المدعوَّة اكليمتر (éclimètre). ثمَّ انَّ هذا المؤلف اردف قولهُ بذكر نحو ٣٠ عمليَّة فلكيَّة او تريغونومتريَّة كقياس الجيوب والسهام الخ

٤ الاسطرلاب المسطَّح. هذه الآلة كانت شائعة بين العرب. وهي عبارة عن تسطيح دوائر الكرة على صفيحة بحيث تتهيَّأ معرفة الصعودات المستقيمة والاميال والارتفاعات وطلوع الشمس وغروبها وساعات النهار الخ

وهذا دليل واضح على انّ العرب كانوا يعرفون معرفة حسنة ما يختصّ بعلم التسطيح (projections). وقد بلغ البعض في تجهيز هذه الآلات مقاماً رفيعاً حتى انهم نُسبوا الى الاسطرلاب فيقال: فلان الاسطرلابي. امَّا وصف الاسطرلاب فكما سيأتي:

للاسطرلاب ثلاثة اقسام مختلفة: وجه الاسطرلاب وظهرهُ ثمَّ صفيحتهُ ثمَّ عنكبوتهُ

فوجه الاسطرلاب يقسم الى ٣٦٠ عشرةً عشرة والى ٢٤ ساعة. وهذه التقاسيم مرسومة على « كفَّة » الاسطرلاب او حجرتهِ (limbe). ولهذه الكفَّة تقعير فيهِ توضع صفائح الآلة يدعى « امّ الاسطرلاب »

ويحتوي ظهر الاسطرلاب على دوائر عديدة ذات مركز واحد تُرقم عليها: ١ً الارتفاعات من عشرة الى عشرة او من خمسة الى خمسة الى ٩٠ لكل صفيحة. ٢ً درجات منطقة البروج من عشرة الى عشرة الى حد الثلاثين لكل منطقة. ٣ً اسماء الاثنتيّ عشرة منطقة. ٤ً ايام السنة لكل شهر. ٥ً اسماء الشهور. ويجوز ان ترسم في الداخل أقواس ساعات الزمان ومربَّع الظلّين الخ

وترى على جهتيـهِ المقنطرات من ٦ْ الى ٦ْ والسموت من ١٠ْ الى ١٠ْ مع الساعات والمدارات واسماء بروج الحَمَل والجدي والسرطان ثمَّ خط الشفق والفجر

هذا واعلم أنّنا في كلامنا السابق وصفنا الاسطرلاب الكامل. لكن العرب تفنَّنوا في اصطناعهِ ولهم انواع كثيرة ذكرها ابو الحسن علي المراكشي منها الاسطرلاب الطبلي والآسي والسرطاني والصدفي والشقائقي والبرجداني والزورقي والبساطي والثوري والجاموسي والسلحفي. دُعي الاسطرلاب بهذه الاسماء على حسب اختلاف صورهِ

(ستأتي البقيَّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت — مطبعتنا الكاثوليكية (تابع لقائمة مطبوعاتها العلميَّة)

٥ (كتب الانشاء والبلاغة والمراسلات) ١ً درجات الانشاء للمعلم نجيب افندي حبيقة (١٨٩٩. جزءان للتلميذ ص ١٦٩ و ١٨٦ وجزءان للمعلم ص٢٤٣ و ٢٧٥) = ٢ً روض الجنان في المعاني والبيان للخوري ارسانيوس الفاخوري (١٨٦٧. ص ٥٩٩) = ٣ً علم الادب للاب لويس شيخو في اربعة اجزاء الجزء الاول في علم الانشاء والعروض (١٨٨٦. ص ٢٣٢. ثم ١٨٩٧ و ١٨٩٩ ص ٤٤٨). الجزء الثاني في الخطابة قسمهُ الاخير للاب جبرائيل اده اليسوعي (١٨٨٨. ص ٢٢٦). الجزء الثالث والرابع مقالات علم الادب (١٨٨٧—١٨٨٩. ص ٢٧٥ و ٤٢٩) = ٤ً نهج المراسلة للعلم رشيد افندي الشرتوني (١٨٨٧. ص ١٤٤ طبعة ثالثة ١٨٩٧. ص ١٥٠) = ٥ً الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب للمعلم سعيد افندي الشرتوني (١٨٨٤. ص ٢٤٠. ثم مع شروح سنة ١٨٨٩ و ١٨٩٣. ص ٢٥١) = ٦ً كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان للشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٨٩٠. ص ٥٤٥)

٦ (الكتب اللغويَّة) ١ً فقه اللغة للامام ابي منصور الثعالبي عني بطبعهِ الاب ل. شيخو اليسوعي (١٨٨٥. ص ٤٥٩) = ٢ً كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمان الهمذاني عني بنشره وتصحيحهِ الاب المذكور (١٨٨٥. ص ٢٣٩. طبعتهُ السابعة ١٨٩٩) = ٣ً كتاب تهذيب الالفاظ لابن السكّيت مع شروح للشيخ الامام ابي زكريّا يحيى التبريزي عُني بطبعهِ الاب المذكور (١٨٩٦ — ١٨٩٨. ص ٩١٠) = ٤ً مختصر الكتاب المذكور (١٨٩٦. ص ٤٥٠) = ٥ً كتاب نوادر ابي زيد عُني بنشرهِ المعلم سعيد افندي الشرتوني (١٨٩٤. ص ٣٠٢) = ٦ً فرائد اللغة في الفروق للاب ه. لامنس اليسوعي (١٨٨٩. ص ٥٢٨) = ٧ً الالفاظ الفرنسيَّة المشتقة

والقسم الثاني يتركّب من صفيحة او صفائح مسطّحة تُخطُّ عليها المقنطرات من ٦° الى ٦° مباشرةً من الافق الى سَمت الرأس واوّل هـذه المقنطرات هو الافق المستقيم او المائل الذي يفصل نصف الكرة الاعلى عن نصفها الاسفل اعني انَّ كلَّ ما هو واقع فوق او تحت هذه الدائرة يكون فوق او تحت أُفق المكان الذي لهُ يؤخذ الاسطرلاب. ويكون مركز المقنطرة سَمت الرأس

ثمَّ تُرقَم السموت والقطران اللذان يتقاطعان على زاوية قائمة في مركز الصفيحة وهما يمثلان خطّ نصف النهـار والافق المستقيم. ثمَّ تُرقَم دائرتا الانقلاب الصيفي والشتوي والدائرة الاعتداليَّة وخطّ الشفق والفجر. ثمَّ يكتب في الاخير اسم المكان وعرضـهُ. وان افترضنا ان ارتفاع القطْب هو ٤٨° على الصفيحة الاولى يمكن رسم السطور ذاتها على ثاني وجه الصفيحة لارتفاع ٤٦° وهلمَّ جرًّا لبقيَّة الصفائح

امَّا القسم الثالث اي عنكبوت الاسطرلاب فهو يشتمل على ابراج المنطقة الاثني عشر مع درجات كلّ منها من خمسة الى خمسة او من عشرة الى عشرة ثمَّ على الكواكب الثابتة في اماكن معيَّنة لها. والابراج والكواكب الواقعـة بين الدائرة الاعتدالية ومركز الاسطرلاب هي شماليَّة واما الواقع منها خارجاً قرب مدار برج الجدي فهي جنوبيَّة »

ومن الادوات الداخلة في الاسطرلاب « العضادة » وشعْبتاها . وأَحد طرفي هذه العضادة يمرُّ بمركز الاسطرلاب على خط مستقيم يدعى خط الترتيب. ثمَّ الحَلقة او العلاقة ثمَّ العروة والحبس وهو مسمار يجمع بين الحلقة العليـا والاسطرلاب بواسطة صفيحة مستديرة تُثبت على الاسطرلاب بلولب (برغي)

ويُجعل ثقب في وسط الاسطرلاب يدعى محناً وهو ينفـذ في العنكبوت وجميع الصفائح. ويكون هذا الثقب مستديراً تحيط بهِ دائرة تُدعى فلساً ويُدخل في هذا الثقب محور او قطب مثقوب الطرف ويزاد على ذلك مسمار يدعونهُ فرساً

وقد رسمنا(ص٨٣٧)صورة اسطرلاب يحفظ في خزانة الاسكوريال في مجريط وأَلحقناهُ بصورة احد وجهي صفيحة من صفائح الاسطرلاب مصونة في متحف مدرستنا الكليَّة صوَّرناها على كبرها واحد هذين الوجهين يدلُّ على انَّها صُنعت لبلدٍ عرضهُ ٤٤° درجة وغاية طول نهاره ١٥ ساعة و ٢١ دقيقة وهو عرض المدينة. امَّا الوجه الآخر فهو لبلد عرضهُ ٢١° ومعظم ساعات نهارهِ ١٣ ساعة و ١٨ دقيقة وهو عرض مكة

٩ (الكتب التاريخية) **١ً** مختصر التاريخ المقدس استخرجه عن اللاتينية ميخائيل مسابكي (**١٨٥٨** ثم **١٨٦٢** . ص ١٣٥ . طبعتهُ الحادية عشرة **١٨٩٦** ص ١٦٠) — وقد طُبع هذا الكتاب بالعربية والفرنسويَّة **١٨٧٤** . طبعتهُ الخامسة **١٨٨٤** . ص ٢٨٥) = **٢ً** اخبار العهد العتيق للكاهن دي رُوَيومون عرَّبهُ الاب بطرس فروماج (**١٨٧٠** و **١٨٧٣** ص ٥٠٩) = **٣ً** اخبار العهد الجديد لهُ . عرَّبهُ المعلم جرجس زوين (**١٨٧٣**.ص ٢٥٠ وفي آخره جدول التاريخ المقدس في تسعة فصول ص ٣٠) = **٤ً** خلاصة تاريخ الكنيسة للمعلم لومند الافرنسي عرَّبهُ الخوري يوسف البستاني (**١٨٧٤** و **١٨٨١** جزءان . ص ٣١٩ و ٣٢٤) = **٥ً** تاريخ مختصر الدول لابي الفرج ابن العبريّ . وقف على طبعهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي (**١٨٩٠** . ص ٥٩١ . وفي آخره موافقة السنين الهجريَّة للسنين المسيحيَّة ص ٣١) = **٦ً** نبذة في ترجمة وتآليف ابن العبري للاب ل . شيخو (**١٨٩٨** . ص ٧٢) = **٧ً** كتاب كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم للاب فيكتور دي كوبيه اليسوعي عرَّبهُ المعلم خليل افندي البدويّ (**١٨٩٠** . جزءان ص ٣٠٦) = **٨ً** كتاب تاريخ لبنان للاب بطرس مرتين اليسوعي عرَّبهُ المعلم رشيد افندي الشرتوني (**١٨٩٠**–**١٨٩٥** اربعة اجزاء مجموع صفحاتها ٨٢٤) = **٩ً** و **١٠ً** تاريخ الموارنة وسلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي (مرَّ وصفهما) = **١١ً** نبذة من اخبار زينب (الزباء) ملكة تدمر للاب سبستيان رنزڤال (**١٨٩٨** . ص ٨٠) = **١٢ً** تاريخ عائلة الشمَّاس يوسف عطَّارسيريكيان (**١٨٨٨** . ص ١٨) = **١٣ً** تحفة الاخوان في نظم تاريخ بني عثمان ارجوزة لاحمد افندي اللبابيدي (**١٩٠٠**.ص ٣٢) = **١٤** تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (**١٨٩٨**–**١٩٠١** . ص ٤١٠) عني بطبعهِ وتعليق حواشيهِ الاب ل . شيخو اليسوعي = **١٥ً** مختصر تاريخ مصر لاحد الاباء اليسوعيين بالفرنسية (**١٨٨٧** . ص ١٠٤) = **١٦ً** سياحة حديثة في بلاد الصعيد السفلى للاب ميخائيل جوليان اليسوعي (**١٨٨٤** . ص ٧٢) = **١٧ً** نبذة تاريخية في شجرة العذراء بقرب المطاريَّة لهُ بالفرنسية (ص ٢٤) = **١٨ً** نبذة افرنسية في خان الفرنج في صيداء (**١٨٩٠** . ص ٣١ مع خارطة) = **١٩ً** بعلبك . تاريخها ووصفها (بالفرنسويَّة) مع رسوم وصور للاب ميخائيل جوليان اليسوعي (**١٨٩٥**.ص ٨٧) = **٢٠ً** تاريخ بعلبك (بالفرنسوية) مع تصاوير فوتوغرافيَّة لميخائيل افندي الوف (**١٨٩٦**. ص ١٦٨) = **٢١ً** الرحلة السورية في اميركة المتوسّطة والجنوبية للاب هنري لامنس اليسوعي عرَّبها المعلم رشيد افندي الشرتوني (**١٨٩٤** . ص ٢٤٨)

١٠ (الكتب الفلسفية) **١ً** التوفيق بين العلم وسفر التكوين للاب فيكتور دي كوبيه (**١٨٩١** . ص ١٨٠) = **٢ً** المعين الرائق في خلاصة الحقائق جمعهُ المطران غريغوريوس عطا رئيس اساقفة حمص مع بعض اجوبة للبطريرك مكسيموس مظلوم (**١٨٨٩**.ص ٢١٣) = **٣ً** خلاصة المبادئ الفلسفية للاب لاون قنسان بالفرنسيَّة (**١٨٨٥** . ص ٢٢٨) = **٤ً** مقالات في الحقوق والواجبات . لهُ (**١٨٨١**.ص ٥٤) = **٥ً** ردود العلماء على مذهب دروين في الارتقاء ملخَّص عن تأليف الكردينال كاميل مازلّا اليسوعي (**١٨٨٦**.ص ٥٥) = **٦ً** كتاب في اصل الانسان والكائنات دحضاً لمذهب التحوُّل . للاب جرجس فرج صفير الماروني (**١٨٩٠** . ص ٢٣٩) = **٧**

من العربية (بالفرنسويَّة) لهُ (١٨٩٠ . ص ٣٦٦) = ٨ً كتاب الدارات للاصمعي عُني بنشرهِ الدكتور اوغست هفنر (١٨٩٨ . ص ١٢) = ٩ً كتاب النبات والشجر للاصمعي . عُني بنشره الدكتور المذكور (١٨٩٨ . ص ٤٨) = ١٠ خطبة في درس العربية للاب ل . شيخو اليسوعي (١٨٩٨ . ص ٨) = ١١ً مقالة في اهمّيَّـة جمع خواصّ الكلام الدارج للدكتور م . هرتمن (١٨٩٨ . ص ١٢)

٧ (كتب الادب والجاميع والامثال) ١ً مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٧٢ و ١٨٨٠ . ص٤٣٦) = ٢ً مقامات بديع الزمان مع شروح وتفاسير للشيخ الفاضل محمد عبده (١٨٨٩ . ص٣٤٨) = ٣ً المقامة القنزيرية والقافية الحاسيَّة للمعلم منصور الهمتى (١٨٧٢ . ص ٤٠) = ٤ً نخب الملح للابوين يوحنا بلو واوغسطينوس روده (١٨٧٠—١٨٧٤ . مجموع صفحاتهِ ٧٤٠ . طبعت اقسامهُ الاولى مرارًا) = ٥ً مجاني الادب في حدائق العرب للاب ل . شيخو اليسوعي (ستَّة اجزاء مجموع صفحاتهِ ١٩٣٦ . ١٨٨٢—١٨٨٣ . كُرِّر طبع كل اجزائهِ مرارًا عديدة مع اصلاحها) = ٦ً شرح مجاني الادب لهُ (١٨٨٦—١٨٨٨ . ثلاثة اجزاء مجموع صفحاتها ١٥٢١) = ٧ً مرقاة الجاني لهُ (١٨٨٤ . جزءان . ص ١١٣ و ١٠٠ . كُرّر طبع الاول ١٨ مرة والثاني ٨ مرَّات) = ٨ً رنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني للاب انطون صالحاني (١٨٨٨ جزءان . ص٣٠٩ و ٤١٨) = ٩ً فرائد اللال في مجمع الامثال للشيخ العلّامة ابراهيم الاحدب (١٣١٦هـ . ١٨٩٥ . جزءان بحرفين اسود واحمر . ص ٣٨١ و ٤١٩ مع فهارس. ص ١٠٦) = ١٠ً قصص وامثال للاب بوناونتورا جيرودو اليسوعي . تعريب ميخائيل مساكي (١٨٦٧ . ثم جُدّد طبعهُ ١٨٨٣ . ص ١٥٦) — وطُبع مع اصلهِ الفرنسوي بجزئين سنة (١٨٨٠) = ١١ً مائة مثل من امثال العالم أزوب جمعها واستخرجها حضرة الاب افرام الدبراني (١٨٩٦ . ص١٩٦)

٨ (الدواوين الشعريَّة) ١ً ديوان المطران جرمانوس فرحات ١٨٦٦ . ص ٢٨٨ ثمَّ ١٨٩٤ مع تعاليق لمصحّحهِ المعلم سعيـد افندي الشرتوني ص ٥١٧ = ٢ً ديوان الاب الفاضل الخوري نيقولاوس الصائغ (١٨٥٩ . ص ٢٨٠ . طبعتهُ السادسة ١٨٩٠ . ص ٣٢٠) = ٣ً انيس الجلساء في ديوان الخنساء عُني بنشره الاب ل . شيخو (١٨٨٨ . ص ٣٤٨) = ٤ً انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء لهُ (١٨٩٥—١٨٩٦ . ص ٤١٦) = ٥ً مختصر ديوان الخنساء لهُ (١٨٩٥ . ص ١٥١) = ٦ً ترجمة الديوان السابق الى اللغة الافرنسية للاب دي كوبيه اليسوعي (١٨٨٩ . ص٢٢٦) = ٧ً الترجمة الفرنسيَّة وحدها مع مقدمة تاريخية في شواعر العرب لهُ (١٨٨٩ . ص ٣٢٨) = ٨ً شعر الاخطل . عُني بنشره وشرحهِ الاب انطون صالحاني (١٨٩١—١٨٩٢ اربعة اقسام . ص ٤٠٠) = ٩ً الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهيـة عُني بنشره الاب ل . شيخو (١٨٨٦ . ص ٢٩٢ . ثم ١٨٨٨ . ص ٤٠٣) = ١٠ً مختصر ديوان ابي العتاهية لهُ (١٨٨٦ ص ٣٠٧ . طبعتهُ الثالثـة ١٨٩٢) = ١١ً كتاب شعراء النصرانية جمعهُ الاب ل . شيخو . الجزء الاول شعراء الجاهلية (١٨٩٠—١٨٩١ ستة اجزاء . ص ٩٢٣) = ١٢ً رياض الادب في مراثي شواعر العرب . لهُ (١٨٩٦ . ص ١٢٠) = ١٣ً ديوان الخرنق اخت طرفـة . لهُ (١٨٩٩ . ص ٢٤) = ١٤ً ديوان عزتلو حنا بك الاسعد بن ابي صعب (١٨٩٧ . ص ٤٧٥)

عرَّبها ميخائيل مساكي (١٨٦٩ . طبعتهُ السادسة ١٨٩٤ . ص١٥٨) – وقد طبع هذا الكتاب مرارًا مع الاصل الفرنسوي . وبالفرنسويَّة وحدها = ٤ً وردة المغرب للقانوني شميت عرَّبها المعلم جرجس زوين (١٨٧٢و ١٨٧٩ و ١٨٨٤ . ص٢٧٧) = ٥ً فريدة المغرب تعريبهُ (١٨٨٤ . ص١١٨) = ٦ً رواية عاصٍ وشجعان . عرَّبها يوسف افندي اليان سركيس (١٨٧٤ . ص ٢٢٠ و ١٨٨٤ . ص ٢٣٩) = ٧ً الرحلة الجويَّة في المركبة الهوائية لجول فرن : من تعريبهِ (١٨٧٠ و ١٨٨٤ . ص٢١٥) = ٨ً نخبة الاخبار ونزهة الافكار للسيد دي ساغور . تعريب الخوري يوسف البستاني (١٨٨٠ . ص ٢٨١) = ٩ً الحديث المأنوس في هداية النفوس للاب فرنكو اليسوعي . من تعريبهِ (١٨٧٨ – ١٨٧٩ . جزءان ص ٦٠٢ و ٤٢٨) = ١٠ً غرائب الوقائع لغودفريد الضائع مع اكليل زهرة الحمل . من تعريبهِ (١٨٧٨ . ص٢٥٣) = ١١ً رواية عطاء الله المهذب اباهُ او ثمرة الدين في الاباء والبنين (١٨٨٣ . ص ١٩٣) = ١٢ً رواية احسان الانسان , عرَّبها القس ميخائيل دلّال السرياني (١٨٨٠ . ص ١٧٣) = ١٣ً قرَّة العين في خريدة لبنان ورواية الشقيقتين للاب هنري لامنس اليسوعي (١٨٩٨ . ص ١١٢) = ١٤ً السفر العجب الى بلاد الذهب للاب اميل ريغو اليسوعي . تعريب المعلم رشيد افندي الشرتوني (١٩٠٠ . ص٢٢٦) = ١٥ً طرائف دينيَّة وادبية وتاريخية (١٨٧٨ . ص ٢١١) = ١٦ً المثل الاريبي في استشهاد الفتى المسيحي او رواية كيرلُّوس الشهيد بقلم الخوري ميخائيل الوف (١٨٨٦ . ص٣٦) = ١٧ً السعادة في الشهادة للمعلم ميخائيل عفريل (١٨٩٢ . ص ٩٣) = ١٨ً الايمان في لبنان . رواية بالشعر الافرنسي للتلميذ الاديب مكار جرج وهو غبطة بطريرك الاقباط حالاً (١٨٨٧ و ١٨٨٩ . ص ٥٨) . وهذه الرواية اعادت طبعها شركة مار لويس في باريس ونسبتها الى غير صاحبها = ١٩ً وديعة الايمان في ضواحي لبنان تعريب الرواية السابقة بقلم المعلم يوسف ابي سليمان المتيني (١٨٩٩ ص ٧٣) = ٢٠ً رواية الملك سليمان الحكيم . جمعها وطبعها القس افرام الديراني (١٨٩٦ . ص ١٥) ٢١ً رواية الملك هرقل بالشعر الفرنسويّ للاب م . شوپين اليسوعي (١٨٨٥ . ص ١٣٠)

١٣ (اللغات) « اللغة التركيَّة » ١ً مبادئ اللغة التركيَّة (اوفومق كتابي در) (١٨٥٨ . ص ٢١) = ٢ً غراماطيق اللغة التركيَّة بالفرنسية (١٨٥٩ . ص ١٠٩) = ٣ً كتاب المحادثات (تكلم رساله سى) بالتركيَّة والفرنسويَّة (١٨٧٦ . ص٢١٦)

« اللغة السريانية » ١ً مبادئ تعليم القراءة السريانية (١٨٨١ . ص ٣٦) – طبعة اخرى رتَّبها المعلم منصور الحكيم = ٢ً كتب طقسيَّة للسريان والموارنة (راجع ص٧١٤) = ٣ً غراماطيق سرياني لاتيني للاب هنري جسمندي اليسوعي مع منتخبات ومعجم صغير (١٨٩٠ . ص ١٨٠) ولهُ طبعة اخرى مصحَّحة مطوَّلة (١٩٠٠ . ص ٣٠٠) = ٤ً الكتاب في نحو اللغة الآرامية السريانية الكلدانية وصرفها وشعرها للقس جرجس الرزيّ الراهب الحلبي (١٨٥٧ . ص ٥٤٠) = ٥ً اللباب . قاموس اللغة السريانية للقس جبرائيل قرداحي الحلبي اللبناني (١٨٨٧– ١٨٩١ . جزءان ص ٦٣٠ و ٧٠١) = ٦ً معجم سرياني لاتيني للاب يوسف برون اليسوعي (١٨٩٥ . ص ٧٨٣) = ٧ً منتخبات من « فردوس عدن » لعبد يشوع الصوباويّ مع شرحها باللاتينية للاب هنري جسمندي اليسوعي (١٨٨٨ . ص ١٢٥) = ٨ً ديوان عبد يشوع الصوباوي

مقالة ابن العبري في النفس. في آخر ترجمة حياتهِ المذكورة سابقاً من الصفحة **٤٤** الى **٧٠** (راجع الكتب التاريخية)

١١ (الكتب الطبّية) **١**ً نائب الطبيب للدكتورين سنس وشاكر افندي الخوري **١٨٨١–١٨٨٢**. جزءان. ص ١٤٤ و٤٧) = **٢**ً مقالة في الموت المسبَّب عن الحرارة وفي النزع للدكتور جول روڤيه (**١٨٨٤**. ص ٧٧) = **٣**ً صحّة الاحداث بالفرنسيَّة لهُ (**١٨٨٩**. ص ٦٤٠) = **٤**ً الخلاصة الطبّيَّة للدكتور دي برون تعريب خير الله فرج صفير (**١٨٨٨**. ص٤٧٢) = **٥**ً مقالة فرنسيَّة وتركيَّة في الهواء الاصفر عُني بطبعهـا مكتبنا الطبي بالافرنسية (**١٨٩٠**. ص ٣٠) = **٦**ً الشفاء الاكيد من الهواء الاصفر للاب يوحنّا فيورفيتس اليسوعي (**١٨٨٣**. ص١٨)

١٢ً (كتب الحساب والجغرافيـة) **١**ً كتاب هديَّة الاحباب في عام الحساب للمعلّم ميخائيـل آصاف (**١٨٧٣** و **١٨٧٦**. ص ١٧٢) = **٢**ً مرقاة الطلّاب في مبادئ الحساب لهُ (**١٨٧١** طبعتهُ الرابعة **١٨٧٩**. ص ٨٨) = **٣**ً مسائل مقتطفـة في علم الحساب للاب اوغسطين تردي (**١٨٧٤**. ص ٧٠) = **٤**ً حلية الطلّاب في علم الحساب لهُ (**١٨٩٥**. ص ٢٧٢) = **٥**ً ملحق في حلّ مسائل حلية الطلّاب لهُ (ص ٥٠) = **٦**ً مختصر في علم الحساب لهُ (**١٨٩٥**. ص ٤٨) = **٧**ً مختصر في علم الجغرافية للمبتدئين (**١٨٦٤**. ص ١٤١ بقطع صغير) = **٨**ً مختصر الجغرافيـة للاب لويس ابوجي اليسوعي مع خمس خارطات وتصاوير (**١٨٨٦**. ص ١١٨. طبعة اخرى منقَّحة **١٨٩٨**. ص١١٢) = **٩**ً اكتشاف مسألة جديدة في الجغرافيـا الرياضية لمحمد بن مصطفى رحيم الطرابلسي (**١٨٩٨**. ص ٣٢)

١٣ً (كتب علميَّة وصناعيَّة ومجلّات) **١**ً نظامنامه الاراضي بالتركية والعربي للقانوني الشهير رفعتلو نقولا افندي نقاش (**١٨٧٣**. ص٢٦٨) = **٢**ً الروضة البديعة في علم الطبيعـة لكوزين ديبريو عرَّبهُ جرجس افندي باز (**١٨٨١**. ص ٤٠٢) = **٣**ً الاكتشافات الحديثة في صيداء مقالة افرنسية للاب ميخائيل جوليان (**١٨٨٧**. ص٣١) = **٤**ً تعريفة مرفأ بيروت وعلاقاتهـا بالعربية والفرنسية (**١٨٩٠**. ص ٣٠) = **٥**ً نبذة في صناعة الحرير. من جانب ادارة الديون العمومية العثمانية في بيروت (**١٨٩١**. ص١٢) = **٦**ً تقرير رسمي عن السكّة الحديدية العثمانية في سوريَّة (خط عكا وحيفا وحوران والشام) بالتركية والعربية والانكليزية (**١٨٩٢**. ص ٥٨) = **٧**ً التجارة بقلم عبد الله افندي رزق الله شارّ (**١٨٩٩**. ص ٤٨) = **٨**ً الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقية. للدكتور ميخائيل مشاقة وقف على طبعهـا وذيَّلها بحواشٍ الاب لويس رنزڤال اليسوعي (**١٨٩٩**. ص ٨٠) = **٩**ً المجمع الفاتيكاني جريدة اسبوعيَّة لسنة **١٨٧٠** = **١٠**ً البشير جريدة اسبوعية كاثوليكيَّة دينية اخبارية (**١٨٧١–١٩٠٠**) = **١١**ً الكنيسة الكاثوليكية. رسالة تاريخية تعليمية (**١٨٨٨–١٨٩٠**) = **١٢**ً المشرق مجلَّة كاثوليكية تحتوي مباحث علميَّة وادبيَّة وفنّيَّة (**١٨٩٨– ١٩٠٠**)

١٤ً (كتب الروايات) **١**ً كتاب الف ليلة وليلة هذَّبهُ وصحَّحهُ الاب انطون صالحاني اليسوعي (**١٨٨٨– ١٨٩٠** خمسة مجلدات مجموع صفحاتها ٢٢٨١) = **٢**ً طرائف وفكاهات في اربع حكايات وقف على طبعها الاب ذاتهُ (**١٨٩٠**. ص١٠٦) = **٣**ً مائة حكاية للقانوني شميت

الصين والمسألة الصينية

نظرٌ تاريخيّ للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ٧٤٣)

٣ خلاصة تاريخ المملكة الصينية

قد روى مؤرّخو الصينيين عن اصول بلادهم ومبادئ دولهم امورًا غريبة لا يقبلها عقل سليم وينبذها اليوم علماء الصين لما يرون فيها من الخرافات الصبيانيَّة بل الاكاذيب الواضحة على انَّها لا تخلو من بعض الاخبار الصادقة المؤيّدة للرواية الموسويَّة كذكر الخليقة والعشرة الآباء الاوَّلين وطول اعمار البشر في القرون الاولى والطوفان العامّ وغير ذلك ممَّا يدلُّ على وحدة الجنس البشري واستنادهم الى حقائق الوحي في بدء الخليقة كما دوَّنهُ كليم الله في سفر التوراة

واذا تخطَّينا هذه الازمنة المجهولة وجدنا نحو ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح ملكين يعتدُّهما اهل الصين في مقدَّمة ائمتهم الكبار وارباب تمدنهم الاوَّل وهما « فوهي » و « شين نونغ » واشهرهما فوهي سنَّ الشرائع للصينيين وجعل لهم تاريخًا مركَّبًا من دَوْر ستين سنة. وممَّا يُنسَب اليهِ تحصين المدن واكتشاف الاسلحة الخشبية والكتابة الصينيَّة وهو واضع فنّ الموسيقى. ويعزون الى شين نونغ فلاحة الارض وارشاد الناس الى زرعها. وهو على زعم الصينيين اوَّل من تعاطى التجارة والطبّ وعلَّمهما قومهُ

وتاريخ الصين الصحيح الذي لا شبهة فيهِ يبتدئ سنة ٢٦٩٨ قبل المسيح كما بيَّن ذلك الاب اميو (Amiot) اليسوعي في كتاب ذي فوائد جليلة أَلَّفهُ سنة ١٧٦٩ وضمَّنهُ اوثق اخبار دول الصين فصار حجَّةً عند كلّ العلماء. وكان ملك الصين وقتئذٍ « هوانغ تي » تولَّى على بلاد الصين ومصَّر امصارها ومهَّد طرقها وضبط حساب تاريخها وبناهُ على مدار السنة الشمسيَّة ثمَّ فتح المدارس لتهذيب الاحداث. واقام « للاله العظيم » هيكلًا اخذ الصينيُّون منذ ذاك العهد القديم يقرّبون فيهِ القرابين والذبائح وامرأَتهُ « لوي تسو » علَّمت الصينيين صناعة الحرير وتربية دود القزّ وبقي سرّ هذه الصناعة مصونًا في الصين الى اوائل النصرانيَّة. وكان ملك « هوانغ تي » مئة سنة مدَّ فيها تخوم مملكتهِ الى البحر شرقًا والى نهر كيانغ جنوبًا والى بلاد التتر شمالًا

(فردوس عدن) ضبطهُ وعلَّق حواشيهُ القس جبرائيل القرداحي (١٨٨٩.ص ١٣٩) = ٩ً اشعار القديس غريغوريوس اللاهوتي وقف على طبعها الابوان بوليغ وجسمندي اليسوعيّان (١٨٩٥ – ١٨٩٦ جزءان ص ١٨٧ و ٦٤)

«اللغة الفرنسويَّة» ١ً كتاب التهجئة بالفرنسويَّة والعربية (١٨٥٦.ص ٤٢ طبعتهُ السابعة ١٨٨٥ . ص ٣٤) = ٢ً اصول القراءة الافرنسية للمعلم يوسف افندي حرفوش (١٨٨٦ . ص ٦٤ . طبعتهُ السادسة ١٨٩٦) = ٣ً صفحات جداريَّة فرنسية لهُ (١٨٨٦. ص ٢١) = ٤ً كتاب التهجئة الفرنسويَّة لاخوة المدارس المسيحية . تعريب القس افرام الديراني (١٨٩٧ . ص ٢٠٠) = ٥ً تصريف الافعال الفرنسويَّة (١٨٨٩ . ص ١٠٢ ثم كُرّر طبعهُ مرارًا) = ٦ً مبادئ الفراماطيق الفرنسوي بالعربية لاحد الاباء اليسوعيين (١٨٥٨.طبعتهُ الحادية عشرة ١٨٩٤.ص ١٤٥) = ٧ً مبادئ الفراماطيق الفرنساوي والعربي للقس افرام الديراني (١٨٩٦. ص ٢٤٧ مع ملحق) = ٨ً مخاطبات باللغتين الفرنساوية والعربية (١٨٥٨.ص ٤٠ . طبعتهُ الثامنة عشرة ١٨٩٠ . ص ٤٨) = ٩ً مرشد المتعلم وترجمان المتكلم بالعربية والفرنساويَّة للمعلم جرجس نوفل الدمشقي (١٨٦٨ . ص ٥٢٧) = ١٠ً المفردات الوفية في اللغة الفرنسويَّة لهُ (١٨٦٤.ص ٢٨٤) = ١١ً كتاب تعليم وتمرين في الفرنسوي مع التفسير في العربي لهُ (١٨٦٦ . ص ٢٢٩) = ١٢ً لسان المترجم وترجمان المتكلم بالفرنساوي والعربي للاب يوسف روز اليسوعي جزءان ١٨٧١.طبعتهُ الرابعة ١٨٨٤.ص ١٨٩ و ٢٢٨) = ١٣ً الدليل الى اتقان التكلُّم في الفرنسويَّة والعربية للمعلم يوسف افندي حرفوش (١٨٩٢.ص ٢٧١.طُبع مرارًا) = ١٤ً كتاب الترجمة من العربية الى الفرنسية لهُ جزءان (١٨٨٦–١٨٨٨.ص ١٦٥ و ١٢٧) . ولهذا الكتاب جزءان آخران للمعلم (ص ٢٧٠ و ٣٠٤) = ١٥ً مقتطفات افرنسيَّة لافادة المبتدئين . للاب بطرس دَله اليسوعي ثلاثة اقسام (مجموعها ٨٩ صفحة) = ١٦ً مقتطفات اخرى مطوَّلة لهُ = ١٧ً قواعد البيان والخطابة والشعر بالفرنسويَّة لهُ (ثلاثة اقسام (١٨٨٢ – ١٨٨٣) مجموع صفحاتها ٥٠٦ طُبع ثلاث طبعات) = ١٨ً مقتطفات من اجود المؤلفين الفرنسويّين لطلبة مدرسة عين طورا (١٩٠٠.ص ٤٨٠) = ١٩ً اصول جديد الف باء بالتركيّ لتعليم الفرنسويَّة تأليف عبد اللطيف رحيم (١٨٩٨ . ص ٦٨)

«كتب ايطالية» مبادئ القراءة الايطالية لابناء اللغة العربيَّة للمعلم عبُّود افندي ابي راشد (١٨٩٦ . ص ١١٢)

هذا مجمل ما صدر من مطبعتنا الكاثوليكيَّة في اثناء الخمسين السنة المنصرمة . وقد ضربنا صفحًا عن مطبوعات عديدة كاوراق ودفاتر وفذالك ومقالات وخطب ومناشير لا يسعنا تعدادها . وفي ما سبق دليل لامع على ما ادَّتهُ هذه المطبعة من الخدم الجليلة للوطن ولجميع اصناف العلوم . زادها الله ترقيًا وهدى اصحابها الى كل خير

(ستأتي البقيَّة)

السابع عشر والثامن عشر. وقسم كبير من الصينيين يجرون الى يومنا هذا على موجب رسوم كُنفوشيوس لا يحيدون عنها ذرّة

وكان لكنفوشيوس المذكور معاصر يتعاطى الفلسفة مثلهُ يُدعى «لاو تسو» سافر الى الهند ودرس دينها ثمَّ الَّف كتابًا يدعى «تاو تكين» فتتلمذ لهُ جمٌ غفير من اهل الصين وتبعوا مبادئهُ يُعرفون الى يومنا بالتاويين

ومن مآثر دولة «تشين» وهي دولتهم الرابعة بناء السور العظيم الذي مرَّ ذكرهُ بناهُ «تشين» منشئ هـذه الدولة فسخَّر بشغلهِ ٥٠٠٠٠٠ فاعل وجعلهُ حاجزًا بين مملكتهِ وبلاد التتار خوفًا من غزواتهم امَّا بقيَّة جهات مملكتهِ فكان وطَّد فيها سلطتهُ بحيث لم يتجاسر احد مناواتها

ثمَّ خلفتها دولة «هان» وهي الخامسة من دولهم (١٩٧ ق م الى ٢٢٠ ب م). وكانت هذه الدولة ذات سطوة وبأس وفي عهدها بلغ خبر الصينيين الى الرومان وجرى بينهم علاقات ودّيّة

ثمَّ اصاب الصين بعد هذه الدولة حروب وبلايا ادّت الى انقسام البلاد الى قسمين شمالي فجنوبي استولى عليها دول مختلفة الى ان قامت الدولة الثانية عشرة دولة «سُوي» فجمع ملكها الاول «ڤان تي» كلمة الصينيين بعد تفرُّقهم ووسَّع نطاق العـلوم والآداب واكرم العلماء الَّا انَّ اولادهُ اساؤُوا التدبير بعدهُ فصار الامر الى دولة اخرى تُدعى دولة «تانغ» (٦٢٨–٩٠٩) نالت من الفخر ما لم تنلهُ دولة اخرى قبلها. فجنَّد ملوكها الجنود وفتحوا الفتوحات الكبرى ودوَّخوا البلاد المجاورة لهم كشبه جزيرة كورية واليابان والتركستان وبلاد المغول ومندشورية وتونكين وكمبوج والهند الصينيَّة وسيام وجزيرتي رفورموزة. ومذ ذاكَ الحين دُعيت الصين «مملكة الوسط» لوقوعها بين هذه الممالك كالقمر في وسط هالتهِ. فبلغت الصين قصوى العزّ والتمدُّن

الَّا ان التتار والمغول بعد زوال هذه الدولة حملوا على الصـين حملات متوالية لما رأوهُ من الفتن والاضطرابات في انحاء تلك المملكة ولم يزالوا في محاربتها حتى استولوا عليها في اواسط القرن الثالث عشر وكان في مقدَّمتهم قوبلاي خان حفيد جنكز خان فزحف على الصين برجلهِ وخيلهِ وقهر ملوكها وانشأ الدولة العشرين وهي دولة «يوان» المنغوليَّة سنة ١٢٥٠. وهو باني مدينة بكين عاصمة الصين ولم يقم بعد هذه الدولة الّا

وخلف هوانغ تي تسعة ملوك اختـــارهم الصينيُّون من بين امرائهم (٢٦٧٩ الى ٢٢٠٥) اشتهر منهم « شاوهاو » بن هوانغ تي اصلح انهــار الصين فصارت السُّفن التجاريَّة تسير في كل انحاء البلاد والبس اصحاب الرتب والعلماء ثيابًا رسميَّة عليها شعار الملك كما تراها اليوم. واشتهر بعدهُ ابن عمّــهِ « تشوهيو » قيل انَّهُ اعاد الدين الى رونقــهِ الاوَّل واشتغل بتعدين المعادن وجعل بدء السنة الصينية في اوَّل هلال الربيع ولهُ فتوحات عظيمة. ومن هذه الدولة « ياو » ملكها السادس صاحب كتاب « كِنغ » اوَّل كتب الصينيين الدينيَّة أَلفهُ نحو سنة ٢٣٥٠ قبل المسيح. وهذا التأليف قد نـقلهُ الاب غوبيل (Gaubil) اليسوعي الشهير الى الفرنسويَّة فطُبع بعد وفاتهِ سنة ١٧٧٠ مع الاصل الصينيّ في باريس

ثم صار الملك في بلاد الصين وراثةً بعد ان كان اختياريًّا واسم الدولة الاولى التي ضبطت زمام الامر المطلق دولة « هيا » أَنشأَها الملك « يو » سنة ٢٢٠٥. ولهذا الملك كتابة تُعَدُّ من اقدم كتابات المعمور حفرها على احد صخور جبل « هنغ خان » وقد نقلها الاب أَميو اليسوعي واشهرها بين العلماء الاوربيين ومنها يؤْخذ انَّ الملك « يو » قدَّم ذبيحةً لله فوق هذا الجبل شكرًا لهُ عزَّ وجلّ على زوال المياه التي طمت في بلاد الصين واخربت قسماً كبيرًا من عمائرها

وقامت بعد السلالة الاولى « هيا » دولتـــان كبيرتان دولة « تشنغ » و « تشيو » فملكت الاولى من سنة ١٧٦٦ الى ١١٢٢ ق. م وملوكها ٣٠ ملكًا. اولهم تشيو حارب اخر ملوك الدولة الأُولى وتوَّلى الامر مكانهُ. ثمَّ اتَّسعت الدولة الصينيَّة في ايَّام خلفائه حتى بلغت تخومهــا الى آسية الوسطى. لكنَّ الفساد انتشر في اواخر هذه الدولة. وعظم الخطب بظلم ملكها حتى قام « ڤو ڤانغ » من امراء المملكة فاستبدَّ بالامر وانشأَ الدولة الثالثة المعروفة بدولة « تشيو » وهي من اعظم دول الصين واطولهــا ملكًا وازهرها بالآداب والفنون ضبطت عنان السلطة ٨٧٤ سنةً (١١٢٢ = ٢٤٦ ق م). في عهدها كُتب سفر « تيولي » الذي يعتدُّهُ الصينيُّون كقانون سياسة ملوكهم. وفي عهدها ايضًا ظهر « كنغ فو تسو » المعروف ايضًا باسم كنفو شيوس امام فلاسفة الصين (٥٥١ — ٤٨٣ ق. م) ومنقح كتبها الدينيَّة وواضع دستور نظامها وآدابها. ولهُ كتب عديدة فلسفيَّة وسياسية وادبيَّة عُنيَ بنشرها وترجمتها الى اللغات الاوربيَّة اليسوعيون في القرن

والشيعة الثانية اي التاويَّة هي شيعة الفيلسوف « لاوتسو » معاصر كنفوشيوس كما مرَّ. واصحابها يدَّعون حرّية الافكار. يقولون بوجود إلهٍ ازلي كامل الصفات ويزعمون انَّ الكائنات مظاهر اللاهوت والانسان بتقمُّصٍ متتابع يتطهَّر ويدخل في الذات العلويَّة فيصير قسماً منها. الَّا انَّ الفيلسوف اذا هذَّ في تأمُّل العلويَّات يمكنهُ منذ هذه الحياة ان ينال هذا الشرف العظيم ويحصل على التألُّه. ولهذه الشيعة اعمال سحريَّة عديدة يقوم بها جمٌّ غفير من كهنتهم وهم يتاجرون بالطلاسم والاحراز التي يصطنعونها ويبيعونها للبسطاء

امَّا البوذيَّة او ديانة « فو » وهي الشيعة الثالثة فاصلها من الهند ترتقي الى « ساكيا موني » وهو بوذا احد فلاسفة الهند ثمَّ تجاوزت الى بلاد الصين في اوائل تاريخ الميلاد وانتشرت ايَّ انتشار. لاصحابها من الاصنام عدد لا يحصي وهم يدَّعون انَّ الاله تجسَّد مرارًا وان الطبيعة في تحوُّل دائم ترتقي من حالة الى أُخرى حتى تستحيل يوماً الى الكل العظيم وما هذا الكلّ سوى الله الذي هو مجموع الكائنات ولا فرق بينهُ وبين الطبيعة المادّية الَّا في بعض الاعراض وهذه الاعراض تتوارى بالتنقل والاستحالة

فهذه الشيع الثلاث هي اليوم منتشرة بين الصينيين وقد حطَّت بمرتبتهم وبلغت بهم الى فساد الآداب وسوء الاخلاق حتى لم يعد من كان سليم الذوق يعتبرها ولذلك ترى عقلاء الصينيين ينبذونها ولا يصدّقون تعاليمها

ويوجد في الصين ما خلا هذه الاديان ٢٠٠٠٠٠٠٠ من المسلمين وفئة قليلة من اليهود وكان دخول الاولين في القرن التاسع ثم كثر عددهم في القرن الثالث عشر. امَّا اليهود فعهدهم قديم في الصين قيل انهم دخلوا تلك البلاد قبل تاريخ المسيح

ولمَّا ظهرت الديانة النصرانيَّة صادفت في الصين واهواء ملوكها مقاومةً عظيمة منعتها من الانتشار الواجب. على ان دُعاة النصرانية لم يزالوا يخاطرون بنفوسهم لدفع هذه الموانع منذ بدء النصرانيَّة

وفي التقاليد الشرقيَّة ان القديس توما احد الرُسل الاثني عشر بشَّر الصينيين بايمان المسيح بعد ان اذاع تعاليمهُ الخلاصيَّة في اصقاع الهند. وفي تواريخ الصينيين وآثارهم ما يؤيد هذا التقليد. وقد جمع الاب آدم شال (Adam Schall) اليسوعي الشهير هذه التقاليد واحتجَّ بها على قدم النصرانية عند اهل الصين. وفي سنَة ١٦٥٠ كتب على

دولتان وهما دولة « مِنغ » (١٢٦٨—١٦٤٤) ثمَّ الدولة الحاليّة « تاي تشنغ » وكلاهما تتاريَّة الاصل كالدولة السابقة . وقد اشتهر بين ملوك دولة تاي تشنغ الملك « كانغ هي » فاحرز لهُ مجدًا باذخًا باعمالهِ الجليلة وملك ستين سنة . وتولى الامر بعدهُ سبعة ملوك الى يومنا وهم ينغ تشين (١٧٢٢—١٧٣٥) كيان لنغ (١٧٩٦) كيا كِنغ (١٨٢٠) تاو كوانغ (١٨٥٠) هيان فونغ (١٨٦٢) يونغ تشي (١٨٧٥) كوانغ سو وهو السلطان الحالي تبنَّتهُ سنة ١٨٧٥ سلطانة الصين « تشي » وهو ابن « تشن » اخي زوجها وعمرهُ اليوم ثلاثون سنة . لكنَّ السلطانة بعد بلوغهِ سنَّ الرشد لم تزل تطاب لنفسها ادارة شؤون المملكة وضبط مقاليد الامر الى ان وقع بينها وبين ربيبها ما وقع من الخلاف وهو يريد تنقيح قواعد السياسة الصينيَّة بينما السلطانة لم تُرد هذه الاصلاحات خوفًا من نفوذ الاجانب واختارت لها (١٨٩٨) بدلًا من ربيبها اميرًا يُدعى « هكثاي » تبنَّتهُ فحصل من هذا الاختلاف حزبان متضادَّان فانتشر الفساد وتفاقم الصدع ونشرت الشيع السرّيَّة لاسيما البوكسر (اي شيعة المتلاكمين) لواء الفتن تعضدهم خفيةً السلطانة « تشي » على مقاتلة الاجانب حتى اضطرَّت الدول الى ردّ كيدهم واتفقت على احتلال بلادهم وغايتهم ان يوطّدوا فيها اركان السلم ويدافعوا عن اهل جلدتهم ويتلافوا ما اصابهم من الضرر

٤ اديان الصين وتاريخ النصرانية فيها

الدين الغالب على سكَّان الصين هو الشرك وعبادة الاصنام . الّا انّ لهذه الديانة ثلاث شيع مختلفة اعني شيعة كنفوشيوس وشيعة التاويَّة وشيعة البوديَّة وليس بين هذه الاديان مناقضةً بحيث يمكن الصينيّ ان يكون في وقت واحد منتظمًا في سلكها جميعها معدودًا منها كلها وسلطان الصين امام هذه الاديان الثلاثة يتمم فرائضها بكلّ تدقيق

وما يفرزها عن بعضها انَّ اشياع كنفوشيوس يبالغون في تعظيم الموتى ويقدّمون لاجدادهم التقادم ومراسيم التعبد . ويؤدون للطبيعة اكرامًا خصوصيًّا ولا يبالون بالوحي وتعاليمهِ السامية وقد ادخل اتباع هذه الشيعة في ديانتهم كثيرًا من خرافات الصابئة وتكريم الكواكب والسيَّارات . وهم يعظّمون كنفوشيوس بمثابة إله وقد اقاموا لهُ معابد يتعبدون لهُ فيها . وهذه الشيعة هي المتغلّبة على اماثل القوم والادباء في الصين

(٨٧٨ م) ان فيها « قُتل من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس سوى من قُتل من اهل الصين مئة وعشرون الفًا »

ولمَّا دخل « مارقو پاولو » الرحَّالة الشهير بلاد الصين في اواسط القرن الثالث عشر وجد فيها عددًا غفيرًا من اشياع نسطور ذكر شيئًا من امرهم . والمرجَّح انهم اختلطوا في القرن الرابع عشر مع المسلمين واليهود فباد ذكرهم

لكنَّ الله كان ألهم في ذلك الزمان للاحبار الرومانيين ان يرسلوا فئة من الرهبان الفرنسيسين والدومينيكيين الى تلك الممالك المتسكّعة في ظلمة الشرك وكان ذلك بهمَّة البابا وين الجليلين نيقولا الرابع واقليميس الخامس فدخلوا الممالك الصينيَّة وقدَّموا للوكها هدايا امام الاحبار ونالوا الرخصة بنشر الديانة الكاثوليكيَّة . فما لبثت تعاليمهم ان نالت جزاءها وردُّوا كثيرين من الصينيين وطهَّروهم بمياه المعمودية . وبلغ من امرهم ان اقاموا لهم مطرانًا في عاصمة الملك واساقفة عديدين في انحاء مختلفة . وقد اشتهر منهم حنَّا دي مونتي كورڤينو رئيس اساقفة بكين في اوائل القرن الرابع عشر

ثم ثارت في اواخر القرن الخامس عشر محن عديدة على المرسلين فنفاهم سلاطين الصين وقفلوا البلاد في وجههم . ودام ذلك الى اواخر القرن السادس عشر حيث مكَّن الله الرهبان اليسوعيين من الدخول الى المملكة الصينيَّة . وكان اوّل من وطئ منهم ارضها الابوان ميخائيل روجار ومتَى ريشِّي (Ricci) في سنة ١٥٨١ وقد نالهما في سبيل غايتهما من الملمَّات ما يكلّ عن وصفهِ القلم لكنَّ النوائب لم تضعضعهما والشدائد لم تهدّ عزمهما

ثم ترك ريشِّي رفيقهُ لنشر الدين بين الشعب وطلب الوسائل الى مواجهة الملك تشين سُنغ (١٥٧٣—١٦١٩) الى ان بلغ مرامهُ بعد اللتيَّا واللتي . فما عرفهُ الملك ووقف على سعة علومهِ وذكاء عقلهِ حتى وكل اليهِ دار الفنون ورأَّسهُ على مرصد الفلك في پكين فرأى من علومهِ عجائب . ثمَّ أَخذ كبار الدولة يقتربون منهُ فوجدوا فضيلتهُ اعظم من علمهِ واعاروهُ اذنًا صاغية . فانار منهم بنور الايمان ربواتٍ بينهم كثيرٌ من اشراف الدولة وثلاثة امراء من اقارب الملك وكهنة اصنام . ولمَّا مات سنة ١٦١٠ صار لجنازتهِ بامر الملك حفلة لم يُعهد لها مثال . وقد ابتنى هذا الاب وحدهُ ثلاثين كنيسة

وجه الكنيسة التي بناها في بكين مختصر عقيـدة الايمان صدَّرها بهذه الكلمات « ان الدين النصراني انتشر اوَّلًا في مملكة الصين بواسطـة الرسول القديس توما ». وللاب كرخر (Kirscher) اليسوعي المتفنن كتاب وسمهُ باسم (China illustrata) عدَّد فيهِ الشواهد عن رسالة القديس توما في الصين وقد صادق على قولهِ كثيرون من العلماء الكاثوليك والبروتستانت

وما لا يقع تحت ريب ان قدماء الكتَّاب الكنسيين ذكروا الصينيـين (Seres) في جملة من اذعنوا الى تعليم الايمان. من جملتهم أرنوب من كتبة القرن الثـالث (في كتابهِ الثاني الفصـل الخامس). وكذلك شهد القديس يوحنَّا فم الذهب في ميمرهِ السادس على شرح رسالة القديس بولس الاولى الى اهل قورنثيـة) على « ان الشعوب التي ما وراء الهند عند الاوقيانوس تنصَّرت »

ولمَّا كان القرن السابع ارسل جاثليق النساطرة قوماً من اهل بدعتهِ الى الصـين لينشروا هناكِ النصرانية فدخلوا تلك البـلاد في ايام دولة « تانغ » المارّ ذكرها وكان ورودهم الى الصين برًّا من بلاد المغول. فبشَّروا بالايمـان وشيَّدوا الكنائس وكان لهم مطران يسوسهم ويدبّرهم ولا يزال الى يومنا هذا مطارنـة من النساطرة يُدعون بمطارنة الصين (راجع المشرق ٢ : ١٠٤)

وقد وجد في مدينة « سي نغا نفو » سنة ١٦٢٥ صفيحة كبيرة كان في اعلاها صورة صليب حسن النقش وتحتها كتابة مطوَّلة ذُكر فيها « انَّ سنة ٦٣٥ (للمسيح) ورد بلاد الصين كاهن سرياني يدعى اولپون وبشَّر بالدين المسيحي ونشر عقائدهُ المقدَّسة وبنى كنيسة وانَّ هذه الديانة شاعت بعد قليل وامتدَّت مع ما اصابها من الاضطهادات وانَّها لم تزل معظَّمة الى سنة ٧٨١ » (وهو عهد الكتابة المذكورة). وكان على جانبي الصفيحة كتابة بالخط الاسطرنجيلي تحتوي على اسماء رؤساء كهنة وكهنة وشمامسة ظنَّ بعض العلماء انَّها اسماء دعاة الدين النصراني. ورجَّح غيرهم ان هذه الحجـارة أُقيمت فوق مدفن وانَّ الاسماء المرقومة تدلّ على الموتى المدفونين هنالك

وبقيت النصرانيَّة في الصين قرونًا عديدة تتقلَّب احوالها بين السرَّاء والضرَّاء. ومن الشواهد المنبئة بكثرة النصارى في الصـين ما ورد في كتاب سلسلة التواريخ لسليمان التاجر في القرن التـاسع قال (ص ١٦٣) يذكر حروبًا جرت في الصين سنة ٢٦٤ هـ

البحر وبلغوا اقاصي الاوقيانوس بلغ بهم مسيرهم شواطئ الصين من جهة الغرب والشرق معًا. وكان اوَّل من حاول متاجرة اهلها البورتغيين دخلوا جزيرة ماكاو سنة ١٥١٤. وتبادلوا مع الصينيين بمحصولات بلادهم. الَّا ان هذه التجارة بقيت محصورة في مدينة كانتون

فلمَّا كان القرن السابع عشر والثامن عشر زاحم الروس البورتغيين في نفوذهم. ثمَّ نالت فرنسة بعض الامتيازات وأُبرمت في عصرنا معاهدات تجاريَّة بين الصين والدول الاوربيَّة وتكاثرت المواصلات الى ان انتشبت سنة ١٨٣٩ الحرب بين الصين وانكلترة بسبب متاجرة الافيون(١ فكانت الدولةُ على الصينيين. ومذ ذاك الحين فُتحت للتجارة الاوربيَّة خمس مدن صينية وعُقدت عدَّة معاهدات أُلجئَ الصينيُّون الى امضائها ولكنَّهم ما لبثوا ان اخترقوا حرمتها فنتج عن ذلك حروبٌ متوالية اشهرها حرب سنة ١٨٦٠ حين فتح الفرنسويُّون والانكليز مدينة بكين وظهر للعيان ضعف تلك المملكة المعدودة سابقًا من اقوى الدول. ثم قام كثيرون من اصحاب الفتن وتعصَّبوا على ذوي الامر واتَّخذوا بغضهم للاجانب كوسيلة لبلوغ مآربهم الخاصَّة فعجز الولاة عن تشتيت شملهم او تغاضوا في تقليم اظفارهم وكان الخصام في تلك الاثناء يتفاقم بين الملك واهل دولتهِ

ولا شكَّ ان مثل هذه المشاغب كانت تستدعي اتفاق الدول للمدافعة عن حقوقها المنتهكة والسعي في حماية رعاياها التي اصبحت على قاب قوسين من هلاكها. وغاية ما نتمنَّاهُ نحن ان تعود مياه السلام الى مجاريها ويقوى الملك الشرعي « كوانغ سو » على ضبط زمام الامر ويحقّق رغمًا عن اخصامهِ نواياهُ الحسنة باصلاح شؤُون الدولة. ولنا في رسالتهِ التي وجَّهها السنة الماضية الى ابينا الحبر الاعظم ضمينٌ عمَّا ستناله النصرانيَّة في عهدهِ من التقدّم والشرف. ولا بدعَ انَّ انتشار الدين الحقّ في الصين لمن اقوى الوسائل لحفظ اركان السلطة وكبح الفساد ونشر لواء الفضيلة كما ظهر ذلك في الصينيين الذين اصطبغوا في هذه السنين الاخيرة بصبغة العماد فانهم كانوا اشدَّ انصار الدولة الشرعية واخضعهم لاوامرها وابغضهم لاعدائها

١) ارادت الحكومة الصينية ان تمنع الانكليز من نقل الافيون الى تخومها لما ينجم عن شربهِ من المضرَّة وحجرت على سلع المتاجرين فاشهرت انكلترة على الصين حربًا مشؤمة

وتوارد اليسوعيون منذ ذاك الوقت الى « مملكة ابن السماء » وبشَّروا بالايمان في كل اقطار الدولة لم يأخذهم في اعمالهم الجليلة سأمٌ ولم يصرفهم عن نيَّاتهم الشريفة محنةٌ ولا نصب حتى انَّ عدد المتنصِّرين كان يبلغ مليونًا من النفوس سنة إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة ببراءة البابا اقليميس الرابع عشر (١٧٧٣) . وقد اشتهر بين هؤلاء الرهبان نحو خمسين شخصًا لا يجهل اسماءهم من لهُ إلمام بامور الصين وأثنى عليهم كل من كان منصفًا خاليًا من الاغراض حتى اعداء اليسوعيين . نخصُّ منهم بالذكر الاب آدم شالَ خلف الاب ريشِّي في رتبتهِ عند الملك والاب فردينند ڤربست (Verbiest) الذي اختصهُ « كانغ هي » بخدمتهِ وعمَّد عمَّ الملك ونيِّفًا وخمسين الفًا من اهل الصين . والاب پارنين (Parennin) واميو ومغالنس وغوبيل وتآليفهم العجيبة تشهد الى اليوم على مزيد فضلهم وقد طُبع منها جانب واكثرها لم يُنشر بالطبع لما يقتضي طبعها من النفقات الطائلة

ثم عاد اليسوعيُّون ثانيةً الى الصين في هذا العصر واجتهدوا مع مرسلين آخرين من جميع الرهبانيَّات في فلاحة كرم الربّ وقد كلَّل الله مساعيهم باكليل النجاح . فانَّ عدد من نصَّرهم اليسوعيُّون وحدهم منذ ٢٠ سنة يربي على مئتي الف نسمة . ومن اعمالهم الشريفة انشاء مطبعة صينيَّة تامَّة الادوات في شان غاي نشروا فيها كتبًا عديدة علميَّة ودينيَّة . ولهم ايضًا مرصد فلكي يماثل اعظم مراصد العواصم الاوربيَّة . وهم مع ذلك لا يطلبون جزاء آخر لاتعابهم غير مجد الله وهداية النفوس الى سراط الحقّ وقد قُتل منهم في الثورة الاخيرة اربعة مرسلين ذهبوا شهداء ايمانهم

٥ المسألة الصينية

بقي علينا ان نذكر هنا بوجيز الكلام ما يفهم السياسيُّون بالمسألة الصينيَّة التي تشغل الآن افكار الدول الاوربية فنقول :

ان مملكة الصين بقدم عهدها واتساع تخومها وترقّي صنائعها وزكاء ارضها قد زهت بمعزل عن الدول الاجنبيَّة فلم يرَ اهلها خيرًا خارجًا عن حدودها فأعمى العُجب ابصارهم وحسبوا كل من لم يحذُ حذوهم او يذعن لسننهم كهَمَج لا يستحقّ الاعتبار ولذلك قد تغلَّب عليهم البغض لكل عنصر غير الصيني

على ان الاجانب منذ قرون قديمة لم يزالوا يطرقون باب الصين وكثيرًا ما تجاوزوا حدودها وتاجروا مع اهلها لاسيما اهل الهند واليابان والعرب . ولمَّا فتح الاوربيون جزائر

النعاس على جفنيهِ ويتحكم الغمض عليهما لرأى ما جعل نفسهُ تتقزّز من الاقذار والاوساخ

فما دخل تلك الحجرة حتّى استلقى على فراشهِ فيها كالصريع غير انَّهُ مرّ بخاطرهِ انَّهُ لم يصلِّ بعد صلاة العشيّ وتذكر وصيَّة امهِ بهذا الشأن كما حتمت عليهِ ان يقرأ كلّ يوم صحيفة من كتاب الاقتداء الذي يحملهُ فقال: « اللهمّ ان التعب قد انهك قواي حتى امسيت لا اقدر على الحركة غير ان فروضي تدعوني الى النهوض الى الصلاة والشكر على ما اوليتني من النعم في هذا النهار وانا لا اريد ان اكون عقوقًا ناكر الجميل. هذا واني مضطرّ الى استمداد عنايتك اللهمّ حتى تحرسني في هذا الليل الذي يطوي رداء الظلمة على عبدك هذا الضعيف »

فثابت اليهِ همتهُ وتشدَّدت عزيمتهُ فنهض من فراشهِ وركع على الارض وصلى صلاة الفرض كما كان يصليها في بيت ابيهِ

ثمَّ مال بهِ الكسل والتراخي الى نبذ كتاب الاقتداء وكاد يرمي بهِ الى الارض وينام الَّا ان الله تعالى الذي يرعاهُ بعين عنايتهِ لم يهملهُ بل جعل فيهِ نشاطًا وهمةً غلب بهما الميل الذي لوى بهِ الى تأخير القراءة وتأجيلها الى يوم ثانٍ ولم يدرِ ان ذلك كان من عناية الله بهِ إشفاقًا عليهِ من ان تمتدّ اليهِ يد الغدر فيذهب فريسة الشرّ. فقال: « لا بدَّ لي من اتمام واجباتي مهما كان من ضعف حالي وقد شرطتُ على نفسي ألَّا انام حتى اتلو صحيفة من كتاب الاقتداء والشرط املك عليك ام لك »

قال هذا ثمَّ جمع ما بقي فيهِ من القوى حتَّى تمكن من تبليل عينيهِ بقليل من الماء واصلح ذبالة السراج حتى تبيَّنت لهُ الحروف وقد رفع العلامة التي فيهِ ووضعها على رفّ فوق رأسهِ وشرع يقرأ في كتاب الاقتداء

ولا يخفى ان كتاب الاقتداء بالمسيح كتاب فريد في بابهِ عجيب في خطابهِ وجوابهِ يجد فيهِ القارئ تعزية وسلوى ودواء عند وقوع البلوى فانَّ واضعهُ اودع فيهِ من الحكم القدسيَّة والتأسّيات النفسيَّة ما يقف عندهُ كل كاتب في باب العجز والقصور فانهُ يفعل في النفوس ما يحقّ ان يقال بعدَهُ: لا عطر بعد عروس. ترى فيهِ دواءً لدائك وفرجًا في بلائك فانهُ يجيب السائل على سؤالهِ ويكشف لهُ النقاب عن جميع احوالهِ فيملأ قلبهُ سرورًا وافراحًا وبهجة وارتياحًا وهو الهاتف المنبئ بالخير والحرز الواقي من الضير. ولنا

ليلة الاهوال

معرَّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناصر (تابع لما سبق)

وتتبَّع الفتى بعد ذلك خطوات صاحب الفندق الذي جاء يقودهُ الى الحجرة التي اعدَّها لمنامهِ وكان حاملًا تحت ابطهِ كيس اوراقهِ الذي لم يظلّ في جانبهِ مدَّة تلك المسامرة

وانبرت المرأة ايضًا فحملت مصباحًا ومشت ومشى الفتى وراءها حتى انتهت الى آخر الممشى فوصلت الى حجرة في طرف البناء لها سلَّم من الخشب الناخر. فلمَّا وقف هناك الفتى داخلهُ العجب لما رأى ان صاحب الفندق قد فصلهُ عن رفيقهِ وقد ساءهُ ان يرى الباب بلا قفل ولا موصد فخاف غير انَّهُ كتم خوفهُ ولم يُبدِ سوى حركة تدل على انهُ غير راضٍ من المبيت في ذلك المحل

فقالت لهُ المرأة «أساءك ان ترى بابك لا يُغلق غلقًا محكمًا» واخذت حينئذٍ

تعطيهِ من طرف اللسان حلاوةً وتروغُ منهُ كما يروغ الثعلب

الى ان قالت: «نم بامانٍ ايها الفتى ولا تخشَ امرًا مكروهًا فهيهات ان يدخل اللصوص هذه الديار ثمَّ أنعمْ فوق ذلك بكلبَيْنا «دارا» و«ملور» حارسين متيقظين يطوفان حول الدار فيحميان الذمار»

قال: «حسبنا الله ايتها المرأة واسعد الله مساءك». ولم يرَ من المناسب ان يعلمها انهُ يخاف من هجوم اللصوص اقلَّ ممَّا يخاف لو تفقدهُ اصحاب الفندق ليلًا غير ان ذلك مرَّ في مخيَّلتهِ كالوهم ولم يقم عندهُ ما يؤيدهُ فانصرف فكرهُ الى معدَّات راحتهِ وغلب عليهِ النعاس

وكانت الحجرة واسعة الارجاء خالية من الاثاث لا ترى فيها سوى بعض قطع من الزرابي مدلَّاة على الجوانب التي لم تكن مطلاةً بالكلس وقد شعر الفتى بهواء رطب ينفح من شقوق الزجاج المكسور الذي سُدَّ بالواح تكسَّرت على تكرار الهبوب وعلم انهُ كان افضل لهُ ان ينام على التبن في الاهراء او يلقي ظهرهُ على حجر في الحظيرة بين المواشي من ان يقضي ليلتهُ في تلك الغرفة على سوء حالها ولو لم يثقل

القتلة المارقين هب لي يا الله قوَّة ونفِّس كربي ومهِّد لي طرق الخلاص من هذه التهلكة التي تورَّطتُ فيها »

ثمَّ القى بنفسهِ على الفراش وقال: « يا الله ان هذا العقاب الذي عوقبتُ بهِ لحقٌّ وعدل فلتكن مشيئتك »

قال هذا واخذ يستعدّ للموت مستسلماً بين يدي الرحمان. فشعر ان عقلهُ ثاب اليهِ وزال عنـهُ الخوف وتأَيَّد بمددٍ من السماء بهِ اعتدلت بصيرتهُ فاخذ يفكر بالحيلة التي ينبغي ان يحتال بها ليتخلَّص من اشراك المنون التي وقع فيها فقال في نفسهِ:

على المرء ان يسعى بما فيهِ نفعهُ وليس عليهِ ان تتم المقاصدُ

واخذ يقدح زناد الفكر ليرى الوسائل التي بها يقوى على المدافعة حينما يهجم عليهِ اولئك القتلة او يجد مهرباً او مناصاً ينجو بنفسهِ منهُ

واوَّل ما خطر على بالهِ ان يطرق باب ذلك الكاتب صديقهِ ويخبرهُ عن الخطر العظيم الذي ادركهُ وهو في غفلة عنهُ ثم رأَى ان المسافة بينهُ وبين الكاتب بعيدة وانهُ لا خبرة لهُ في الطريق التي تؤَدّي اليهِ في ذلك الممشى الطويل وانَّهُ اذا ما نزل سلَّم الخشب لا بدّ من حركةٍ او صوت ينتبه لهُ الغافلون ورأَى ان ناداهُ فعلى الدنيا السلام

فلمَّا ضاق ذرعهُ وقلَّت حيلتهُ عمد الى الهرب وطفق يفكر في كيفيَّتهِ وزمانهِ لعلَّهُ يجد باباً للخلاص وحكم ان صاحب الفندق وزوجتهُ لم يناما تلك الليلة الهائلة وانهما يتنبَّهان عند وقوع صوت من الاصوات او حركةٍ من الحركات وانهُ لا يبعد ان يكونا منتظرَين الى نصف الليل حتى يقدما على ارتكاب الجناية فيفتكان بهِ فتكاً ذريعاً

فجعل الفتى يقوّي العزم المتذبذب ويتثبت ريثما يجمع عقلهُ فيحتال لنفسهِ حيلةً يتخلَّص بها وقد رأَى نفسهُ انهُ على شفا جرفٍ هارٍ. وبينما هو على هذه الحالة من اليأس والقنوط خطر لهُ ان يحتال حيلة سمعها من ابيهِ عن احد السابلة فعمد الى احد منافذ الحجرة ففتحها فاشرف منها على ما هنالك فتراءى لهُ الفضاء وكان قريباً من الحظيرة والزريبة وكان المنفذ عالياً غير انَّهُ ظنَّ انَّهُ يقدر ان ينسلّ فيتملَّص ولم يكن عليهِ الَّا ان يثب وثبةً لم يرَها تستحيل عليهِ

فعاد الى الحجرة ووضع المصباح. وهمَّ بسحب تلك الجثَّة من مكانها. فلمَّا اخرجها من حفرتها وضعها على الفراش بشجاعة ما عهدها في نفسهِ الَّا ذلك الحين وقد

في هذا الفتى برهانٌ على ما تقدَّم فانَّهُ ما شرع يقرأُ فيـهِ حتى انقشعت غيوم الهموم التي تكاثفت على ذهنهِ ولم يشعر بانحطاطهِ ووهنهِ لاسيا اذ قرأَ هذه العبارة وهي :

« كن سليم الضمـير وثق بالله والله يحرسك من الاذى فان الانسان اذا ما حرسهُ الله وشملهُ بعنايتهِ اصبح في امن من صروف الحدثان » على حدّ ما قال الشاعر :

واذا العناية لاحظتك عيونهـا   نَم فالمخاوف كلهنَّ امانُ

فلمَّا قرأَ الفتى هذا انتعشت نفسهُ وسرَّ من تغلّبهِ على كسلهِ حتى تمكَّن من قراءَة فرضهِ قبل ان يكحل عينيهِ بالوسن ويستسلم لداعي النوم ساكن الفؤَاد

ثمَّ مدَّ يدهُ الى العلامة حتى يضعها في الكتاب واذا بريح هبَّت فاطارتها في سماء الحجرة ثمَّ رمتها في احدى زواياها بعيـدًا والفتى لم يدرِ بالمكان الذي وقعت فيهِ فقام يفتش عنها . ولمَّا لم يهتدِ اليها ظنَّ انّ الريح نسفتها فدخلت تحت الفراش فهمَّ ان يرى ما هنالك فوضع السراج على الارض وانكبَّ على صدرهِ ومدَّ يدهُ تحت الفراش فاذا بالحضيض حفرةٌ فزحف اليها ليرى ما هنالك فوجد ترابًا مبثوثًا على جرمٍ لم يعرف حقيقتهُ فازال التراب عنهُ قليلًا وما لبث ان صاح : « يا للداهية الدهياء » . فان اناملهُ كانت قد وقعت على شبه جسم بارد فقرَّب السراج واذ بالجسم هو جثة رجل مذبوحٍ حديثًا لم يزل دمهُ طريًّا عبيطًا

فلبث الشاب كأَن صاعقةً انقضَّت على امّ رأْسهِ فاقشعرّ بدنه وارتعدت فرائصـهُ وقفَّ شعر رأْسهِ وسال على جبينهِ عرق بارد وكادت انفاسهُ تخمد من شدَّة ما استولى عليهِ من الخوف والدهشة

وحاول ان يصرخ ويستغيث فخانتهُ قوَّتهُ اذ يبس لسانهُ في حلقهِ ولم يشك انهُ هالك لا محالة وقد سمع طنين الموت في اذنيهِ

فلبث برهة من الزمن كانهُ غائب عن الوجود ولمَّا مضت عنهُ هذه الأَزمة الشديدة وانحلَّت عقدة لسانهِ قام على حيلهِ لكنَّهُ شعر بان قواهُ تضعضعت وسقط على الحضيض فوجَّه عينيهِ الى السماء وصلى ولسانهُ يتلجلج فقال : « اللهمَّ أَفي هذا المكان حلّ اجلي وحانت منيّتي أَفيهِ اموت ميتة هذا المسكين الذي يخبط بدمهِ امامي . اللهمَّ اشمل بعنايتك ورحمتك عبدكِ هـذا الذي ركب شططًا مشومًا ساقهُ الى الوقوع في يدي

القتلة المارقين هب لي يا الله قوّة ونفّس كربي ومهّد لي طرق الخلاص من هذه التهلكة التي تورَّطتُ فيها »

ثمَّ القى بنفسهِ على الفراش وقال: « يا الله ان هذا العقاب الذي عوقبتُ بهِ لحقٌّ وعدل فلتكن مشيئتك »

قال هذا واخذ يستعدّ للموت مستسلماً بين يدي الرحمان. فشعر ان عقلهُ ثاب اليهِ وزال عنـهُ الخوف وتأيَّد بمددٍ من السماء بهِ اعتدلت بصيرتهُ فاخذ يفكر بالحيلة التي ينبغي ان يحتال بها ليتخلَّص من اشراك المنون التي وقع فيها فقال في نفسهِ:

على المرء ان يسعى بما فيهِ نفعهُ   وليس عليهِ ان تتم المقـاصدُ

واخذ يقدح زناد الفكر ليرى الوسائل التي بها يقوى على المدافعـة حينما يهجم عليهِ اولئك القتلة او يجد مهرباً او مناصاً ينجو بنفسهِ منهُ

واوَّل ما خطر على بالهِ ان يطرق باب ذلك الكاتب صديقهِ ويخـبرهُ عن الخطر العظيم الذي ادركهُ وهو في غفلة عنهُ ثم رأى ان المسافة بينهُ وبين الكاتب بعيدة وانهُ لا خبرة لهُ في الطريق التي تؤدّي اليهِ في ذلك الممشى الطويل وانَّهُ اذا ما نزل سلَّم الخشب لا بدّ من حركةٍ او صوت ينتبه لهُ الغافلون ورأى ان ناداهُ فعلى الدنيا السلام

فلمَّا ضاق ذرعهُ وقلَّت حيلتهُ عمد الى الهرب وطفق يفكر في كيفيَّتهِ وزمانهِ لعلَّهُ يجد باباً للخلاص وحكم ان صاحب الفندق وزوجتهُ لم يناما تلك الليلة الهائلة وانهما يتنبَّهان عند وقوع صوت من الاصوات او حركةٍ من الحركات وانهُ لا يبعد ان يكونا منتظرَين الى نصف الليل حتي يقدما على ارتكاب الجناية فيفتكان بهِ فتكاً ذريعاً

فجعل الفتى يقوّي العزم المتذبذب ويتثبت ريثما يجمع عقلهُ فيحتال لنفسهِ حيـلةً يتخلَّص بها وقد رأى نفسهُ انهُ على شفا جرفٍ هارٍ. وبينما هو على هذه الحالة من اليأس والقنوط خطر لهُ ان يحتال حيلة سمعها من ابيهِ عن احد السابلة فعمد الى احد منافـذ الحجرة ففتحها فاشرف منها على ما هنالك فتراءى لهُ الفضاء وكان قريباً من الحظيرة والزريبة وكان المنفذ عالياً غير انَّهُ ظنَّ انَّهُ يقدر ان ينسلّ فيتملَّص ولم يكن عليهِ الَّا ان يثب وثبةً لم يرَها تستحيل عليهِ

فعاد الى الحجرة ووضع المصباح. وهمَّ بسحب تلك الجثَّـة من مكانها. فلمَّا اخرجها من حفرتها وضعها على الفراش بشجاعة ما عهدها في نفسهِ الَّا ذلك الحين وقد

في هذا الفتى برهانٌ على ما تقدَّم فانَّهُ ما شرع يقرأُ فيـــهِ حتى انقشعت غيوم الهموم التي تكاثفت على ذهنهِ ولم يشعر بانحطاطهِ ووهنهِ لاسيما اذ قرأَ هذه العبارة وهي:

«كن سليم الضمـــير وثق بالله والله يحرسك من الاذى فان الانسان اذا ما حرسهُ الله وشملهُ بعنايتهِ اصبح في امن من صروف الحدثان» على حدّ ما قال الشاعر:

واذا العناية لاحظتك عيونهـــا   نم فالمخاوف كلهنَّ امانُ

فلمَّا قرأَ الفتى هذا انتعشت نفسهُ وسرَّ من تغلّبهِ على كسلهِ حتى تمكَّن من قراءة فرضهِ قبل ان يكحل عينيهِ بالوسن ويستسلم لداعي النوم ساكن الفؤَاد

ثمَّ مدَّ يدهُ الى العلامة حتى يضعها في الكتاب واذا بريح هبَّت فاطارتها في سماء الحجرة ثمَّ رمتها في احدى زواياها بعيـــدًا والفتى لم يدرِ بالمكان الذي وقعت فيهِ فقام يفتش عنها. ولمَّا لم يهتدِ اليها ظنَّ انّ الريح نسفتها فدخلت تحت الفراش فهمَّ ان يرى ما هنالك فوضع السراج على الارض وانكبَّ على صدرهِ ومدَّ يدهُ تحت الفراش فاذا بالحضيض حفرةٌ فزحف اليها ليرى ما هنالك فوجد ترابًا مبثوثًا على جرمٍ لم يعرف حقيقتهُ فازال التراب عنهُ قليلًا وما لبث ان صاح: «يا للداهية الدهياء». فان اناملهُ كانت قد وقعت على شبه جسم بارد فقرَّب السراج واذ بالجسم هو جثة رجل مذبوحٍ حديثًا لم يزل دمهُ طريًّا عبيطًا

فلبث الشاب كأَن صاعقةً انقضَّت على امّ رأْسهِ فاقشعرّ بدنه وارتعدت فرائصـــهُ ووقفَّ شعر رأْسهِ وسال على جبينهِ عرق بارد وكادت انفاسهُ تخمد من شدَّة ما استولى عليهِ من الخوف والدهشة

وحاول ان يصرخ ويستغيث فخانتهُ قوَّتهُ اذ يبس لسانهُ في حلقهِ ولم يشك انهُ هالك لا محالة وقد سمع طنين الموت في اذنيهِ

فلبث برهة من الزمن كانهُ غائب عن الوجود ولمَّا مضت عنهُ هذه الأَزمة الشديدة وانحلَّت عقدة لسانهِ قام على حيلهِ لكنَّهُ شعر بان قواهُ تضعضعت وسقط على الحضيض فوجَّه عينيهِ الى السماء وصلى ولسانهُ يتلجلج فقال: «اللهمَّ أَفي هذا المكان حلّ اجلي وحانت منيَّتي أَفيهِ اموت ميتة هذا المسكين الذي يخبط بدمهِ امامي. اللهمَّ اشمل بعنايتك ورحمتك عبدك هـــذا الذي ركب شططًا مشومًا ساقهُ الى الوقوع في يدي

٣٣٠ ق م) ففي خلال هذين القرنين جرت عدَّة حوادث جليلة وامور خطيرة ذُكر بعضها في سفري عزرا ونحميا . ولكن لمعرفة هذا الزمان مشاكل عويصة ومباحث غامضة لا تزال تشغل العلماء وهم يطلبون لها حلاً صوابيًّا . فالدكتور نيكل يبحث عن هذه المسائل كلّها ويذكر اقوال العلماء السابقين فيها ويبدي رأيهُ في اصوبها ويؤيد قولهُ بشواهد من المؤرخين الاقدمين والاكتشافات الحديثة والآثار الكتابية وغير ذلك من البراهين العقلية التي من شأنها ان تزيل الشبهات . وتجعل هذا الكتاب مع صغر حجمهِ فريدًا في بابهِ كثير الفوائد لكل من يُعنى بدرس الكتاب ومباحثهِ المهمَّة

الخلاصة الماسونية

لايليا افندي الحاج

هو كتاب اثنى عليهِ صاحب الهلال في عددهِ الاخير (ع ٢٠ : ٧٠٤) ولام مؤلفَهُ على تردُّدهِ في منشإِ الماسونيَّة « لان منشأَ الماسونية اصبح معروفًا عند اهل البحث » واحال الى كتابهِ في تاريخ الماسونيَّة . (قلنا) انّنا لم نطَّلع حتى الآن على تأْليف ايليا افندي الحاج فاذا وقفنا عليهِ افدنا قرَّاءنا عمَّا يتضمَّنهُ من الترَّهات . ولكن ما يمكنَّا اثباتهُ هو ان ما كتبهُ صاحب الهلال في تاريخ الماسونيَّة هو كذبٌ محضٌ وابعد عن الحقيقة من خرافات العجائز وللجريدة البشير في هذا الكتاب انتقاد حسن لم يردّ عليهِ جنابهُ حتى الآن وان طلب منَّا مزيد بيان زدناهُ ل . ش

شَذَرَاتٌ

لغز تاريخيّ — خُتم الجزء الرابع من يتيمة الدهر للثعالبي المطبوع في المطبعة الحنفيَّة في دمشق الشام (ص ٣٣٢) بهذا اللغز التاريخيّ :

« كان الفراغ من طبعهِ الميمون وترصيف جوهرهِ المصون في اواسط العقد الثاني من العقد التاسع من العقد الثالث من العقد الاول من العقد الرابع من العقد الثاني من هجرة المصطفى عليهِ من ربّهِ الصلاة والسلام . . »

فنعرض حل « هذه العقد » على القراء الكرام قبل ان نبدي فيها رأْينا

برج بابل — كان بعض الكفرة في العصر الماضي يسخرون بما ورد في الكتاب الكريم عن برج بابل . وقد جاءت الاكتشافات البابليَّة الحديثة مؤيدةً

حمل ذلك على ما سبق لله تعالى من العناية في عبيدهِ وعلّق عليهِ سرًّا سماويًّا

ثمَّ نظر اليها فرأها جثة شاب من احسن الشبان فتك صاحبا الفندق بهِ من عهد قريب جدًّا فان الدم الخارج من حنجرتهِ بالذبح لم يزل رطبًا وحكم ايضًا انهما عارضاهُ في نومهِ فذبحاهُ ذبح الشاة ورمياهُ تحت الفراش متربّصين حلول فرصة فينتهزانها و يرفعان تلك الجثة من المكان الذي هي فيهِ

فسبل الفتى حينئذٍ الغطاء عليها وهي ملقاة على فراشـهِ والبسها قبعتهُ حتى اصبح الميت اشبه بالحي النائم وترك حوائجهُ امام الفراش واطفأ مصباحهُ وانسلَّ ينسحب الى موضع الجثة التي اخرجها وانقلب فيهِ متزويًا

ومن المعلوم ان الفتى امتنع عنهُ النوم وتعذَّر عليهِ وانهُ لبث جامدًا ناصتًا صاغيًا كل الاصغاء يراقب اخفّ الحركات في ذلك الليل الهائل وقد مرَّ عليهِ وهو على هذه الحالة ساعتان من الزمن واذا بالساعة دقّت فكان نصف الليل

وحينئذٍ لمح من خلال الباب شعاعًا من النور وسمع بعدهُ صرير الباب وصوت خطوات ارجل تدنو اليهِ وكان الداني حاملًا في يدٍ سراجًا ضعيف النور وفي الاخرى آلةٍ جارحة اشبه بالساطور (ستأتي البقية)



مطبوعات شرقية جديدة

DIE WIEDERHERSTELLUNG DES IÜD. GEMEINWESENS

NACH DEM BABYLONISCHEN EXIL.

Von D^r J. Nikel, Freiburg, 1900, SS. VII-227

رجوع اليهود من جلاء بابل للدكتور حنَّا نيكل

سبق لنا في المشرق (٣ : ٣٣١) ذكر الجمعيَّة العلميَّة الكاثوليكية التي أُنشئت منذ عشر سنوات في المانيا للبحث في العلوم الكتابيَّة وشرح الاسفار الالهيَّة وما ابرزتهُ الى يومنا من المآثر الناطقة بفضل اصحابها . والكتاب الذي كُلّفنا اليوم بوصفهِ هو اثر جديد من اعمال هذه الجمعيَّة بحث فيهِ الدكتور نيكل احد اساتذة كليَّة برسلو عن تاريخ اليهود في آخر جلاء بابل وعودهم الى اوطانهم واحوالهم منذ ايَّام كورش الملك (سنة ٥٥٨ ق م) الى ايَّام داريوس الثالث كودومانس الذي غلبهُ الاسكندر (سنة

قليلًا من الفحم العادي ويجيزونهُ في قطعة من الكتّان. ثمّ يصبّون ملعقةً من هذا الذرور في قدح من العرق فاذا شربهُ المريض برئ. واذا كانت العلة شديدة يشرب منهُ قدحًا ثانيًا وثالثًا ويحتم على الممرّضين ان يفركوا جسم العليل لاسيما الساقين والرجلَين ويضعوا عليهما قناني ماء محمى

منع البَرَد عن المزارع والكروم — لا يجهل احد انَّ البَرَد اذا وقع على المزارع او الكروم اتلفها. فتلافيًا لاضرارهِ بحث كثيرون عن الوسائط الفعَّالة في منع وقوعهِ. واحسن طريقة وجدها بعض الكرامين في ايطالية وفرنسة ان تُطلَق المدافع على السحاب المنذر بوقوع البرد. فنجحت هذه الوسيلة مع ما تقتضيهِ من الكلَف الباهظة. واحد علماء الفرنسيس اخترع في هذه السنة نوعًا من القنابل تُلقى في الهواء فتنفجر على علوّ معلوم وتبدّد السحب المتكاثفة وقد عرض اكتشافهُ على الجمعيَّة العلميَّة في باريس فاستحسنتهُ

الدين والعلم والتمدُّن — قرأنا في الهلال الاخير (٢١ص٦٧٦) فصلًا بيّن فيهِ صاحبهُ « انَّ الدين هو اصل كلّ تهذيب وصلاح ولا يستغنى بهِ بوجهٍ من الوجوه . . » وان من طعنوا على الدين « اخطأوا خطأً فادحًا ونظروا في الامر نظرًا قصيرًا لانَّ فضل الدين على التمدُّن لا ينكرهُ عاقل متبصّر » فسُررنا بهذه الاقوال وامثالها ورأينا فيها عياضًا وتكفيرًا عمَّا كتبهُ سابقًا منشئ الهلال عن تضادّ الدين والعلم (راجع المشرق ٤ : ٣٠٣)

القضاء والقدر — هذا هو اسم فصل مطوَّل كتبهُ الهلال مؤخرًا (ص ٢٤٧) خلَط فيهِ بين الخطأ والصواب ولهُ فيهِ من الاقوال ما لو صدق لقوَّض اركان الهيئة الاجتماعيَّة كقولهِ مثلًا (ص٦٥٣) ان « من ورث من والديهِ الطمع او الشره او الكذب (؟) مع ضعف الارادة فشبَّ لصًّا او مقامرًا او سكّيرًا او قاتلًا فانَّ حالهُ تكون مقدَّرة منذ ولادتهِ ولا ذنب لهُ في هذه » وسنردّ على هذه المبادئ الفاسدة قريبًا ان شاء الله

عمود السواري في الاسكندريَّة — وهو العمود الكبير المعروف بعمود بمبيوس كتب فيهِ الاستاذ يوسف بوتّي (Botti) مقالةً قرأها في مؤتمر العاديَّات النصرانيَّة في رومية اثبت فيها انَّ العمود المذكور كان داخلًا في معبد سيرابيس

للرواية الموسوية. فمن جملة هذه الاكتشافات كتابة لنبوكدنصَّر بالقلم الاشوري كتبها على الآجرّ في القرن السادس قبل المسيح ورد فيها « انهُ رمَّم هذا البرج المبنى قبل عهده باثنين واربعين مولدًا (اي نحو ١٥٠٠ سنة) ». وموقع هذا الصرح على مسافة ٩١ كيلومترًا من المدائن جنوبيّ بابل ترى بقاياهُ الى يومنا. وقد وجد حديثًا العلامة دي مالي (de Mély) في كتاب مخطوط باليونانيَّة نشرهُ بالطبع في العام الماضي انَّ الرحالة اليوناني « هَرپوكراسيون » زار هذا البناء سنة ٣٥٥ بعد المسيح فوجدهُ عامرًا وكهنة الكلدان يقدّمون فيهِ التقادم لاصنامهم. وقد قاس هذا البناء فوجد طول ركنهِ الاسفل ١٨٦ مترًا في مثلها عرضًا وعلوهُ ٨٤ قدمًا. وكان فوق هذا الركن المتسع برج مربَّع علوُّهُ ٦٧ مترًا وهو ذو سبع طبقات وطبقتهُ السابعة معبد صغير امَّا طول الطبقة السفلى فكان ٤٥ مترًا في مثلها عرضًا. وكان يُصعد الى المعبد بـ ٣٦٥ درجة ٣٠٠ منها من الفضة و ٦٥ من الذهب. وانَّما اتخذوا هذا العدد اشارةً الى عدد ايَّام السنة. والطبقات السبع دلالة على ايَّام الاسبوع (١

جائزة علميَّة كان مجمع العلوم في باريس عرض على المستشرقين بحثًا في « جغرافية سوريَّة وما بين النهرين استنادًا الى تآليف قدماء السريان » فنال الجائزة وقدرها ١٠٠٠٠ فرنك الخوري حنَّا شابو الذي اثنينا مرارًا في المشرق على همَّتهِ في نشر الآثر الشرقيّة. فنهنئ حضرتهُ ونتمنى الوقوف على كتابهِ قريبًا منشورًا بالطبع

تأثير التبغ في القلب اثنت الجرائد العلميَّة في اوربَّة على الدكتور عيد صاحب « طبيب العائلة » وتلميذ مدرسة العائلة المقدَّسة لاكتشافهِ ما جهلهُ الاطباء قبلهُ وهو انَّ للتبغ اثرًا سيئًا في القلب فانَّ الدكتور المذكور اثبت انَّ النيكوتين وهي مادَّة التبغ السَّامة اذا بلغت هذا العضو الحيوي ألحقت بهِ اذًى اليًا او جرحًا بليغًا واستدلَّ على ذلك بفحص بعض المرضى المفرطين بشرب التبغ وتشخيص مرضهم

دواء جديد لشفاء الهيضة (الهواء الاصفر) ذكر بعض اطبَّاء الانكليز في الهند الشرقيَّة انَّ اهل تلك البلاد لمَّا فشت بينهم الهيضة في الاعوام الماضية كانوا يشفون اكثر المصابين بدواء بسيط قريب المنال وذلك انهم يدقُّون في هاون دقًّا ناعمًا

(١ راجع Académie des Inscript. et Belles-Lettres, *Mai* 1900 p. 307

المسيح. ٣ً لم يُحتم على اليهود بان يعدّدوا مآثمهم ويفصّلوها كما ينتج من كلام المسيح وانّما كانوا يكتفون باقرار عام عن خطاياهم خانعين لله مقرّين جهارًا بانهم خطأة قارعين صدورهم ندامةً. ٤ً وكان يجوز في العهد القديم ان ينوب الكاهن في هذا الاعتراف عن الشعب بخلاف السرّ الحالي (راجع الاحبار ١٦: ٢١ و ٢٦: ٤٠ والعدد ٥: ٧ الخ)

س وسألنا من دمشق ا.م. من ادباء الفيحاء ما هي الكراسيّ التي كانت خاضعة لرئيس اساقفة حوران

الكراسي الخاضعة لرئيس اساقفة الحوران

ج كان مركز رئيس اساقفة حوران مدينة بُصرى وتحت امرهِ ٢٤ كرسيًّا. ١ً اسقف مدينة ادرعا وراء نهر الاردن. ٢ً واسقف مدينــة مادبا. ٣ً واسقف جرجش المعروف بجيرازا (Gérasa) وهي مذكورة في الانجيل. ٤ً واسقف فيليبوبوليس وهي مدينة ابتناها القيصر الروماني فيلبُّس العربي وكان اصلهُ من حوران. ٥ً واسقف عمان المعروفــة بالكتاب المقدَّس باسم רבת עמון (ربَّت عمون). ٦ً واسقف نوى (Nové). ٧ً واسقف زرابينية دعيت كذلك باسم بانيها وتُعرف ايضًا باسم ازرع. ٨ً واسقف ازبون (Esébon) مقابلة لاريحا تبعد عن الاردن نحو عشرين ميلًا. ٩ً واسقف نيابوليس اي المدينة الجديدة وراء الاردن يعرفها العرب في يومنــا بالسويداء. ١٠ً واسقف ديونيسيا دعيت كذلك باسم ديونيسيوس وهو باخوس من آلهة الاقدمين يدعوهــا العرب في يومنا «الصنمين» لوجود صنمين على بابها يوم فتحها العرب. ١١ً واسقف ارا او ارابيوليس تدعى اليوم حلموش. ١٢ً واسقف قسطنطينية والعرب يدعونها الشبهة دعيت بالقسطنطينية باسم بانيها قسطنس كلورس. ١٣ً واسقف القنوات وهي قنت القديمة (Canatha). ١٤ً واسقف مكسيميانوبوليس وراء نهر الاردن من الجانب القبلي ابتناهــا الامبراطور مكسيميانوس والعرب يسمّونها مدينة النخل. ١٥ً واسقف خريسوبوليس اي مدينة الذهب لان بقربها كان معدن ذهب. ١٦ً واسقف عينوا في الاراضي التي كان يسكنها ايوب الصديق. ١٧ً واسقف نعلا. المعروفة اليوم بالدور وكان اليهود يدعونها علالة. ١٨ً واسقف افثيمية قيل انها دعيت كذلك باسم القديس افثيميوس الكبير. ١٩ً واسقف قورى وهي الكرك. ٢٠ً واسقف دامو بوليس وهي قلعة ابتناها دامون احد امراء العرب يدعونها دير ابن خليق. ٢١ً واسقف افارا من الحوران ٢٢ً مدينة يوبوبوليس اي مدينة أيوب في حدود اراضي ادر التي كان يسكنها ايوب البار. ٢٣ً و ٢٤ً اسقف القبائل.وهو كان يتنقّل في الحوران مع العرب المتنصّرين ويسكن الخيام. ثم كثر عدد المؤمنين منهم فجُعل لهم اسقفان ل. ش

اصلاح غلط جاء في الصفحة ٧٥١ س١٨ «لا يتجاوز ١٤٠٠ متر» والصواب: «يتجاوز ١٤٠٠ متر» بحذف حرف النفي = ٧٧٠ س١٨ «ويعيد» والصواب: «ونسألهُ تعالى ان يعيد»

(Serapeum) الشهير وانَّ ثاودوسيوس الصغير في القرن الخامس خصَّصهُ بالدين النصراني وجعلهُ تذكارًا للشهداء (راجع مجلة بسَّاريون ٤ : ٤٧)

الكلام الجوهري والاستحالة — وجد الروسي العلامة الشهير تُلْستُوي (Tolstoy) كتابًا قديمًا يتضمَّن باللغة الروسيَّة الليتورجيا اليونانيَّة ومما ورد في هذا الكتاب سجود المؤمنين لجسد الرب بعد الكلام الجوهري وقبل الدعاء الى الروح القدس (ἐπίκλησις) وهذا السجود دليل واضح على انَّ الكنيسة الروسيَّة كانت توافق الكنيسة الكاثوليكيَّة باعتقادها بخصوص استحالة الخبز والخمر الى جسد ودم المسيح بقوَّة الكلام الجوهري لا بقوَّة الدعاء الى الروح القدس كما زعم بعض المنفصلين

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

س سألنا بعض الادباء في بيروت: ١ً هل كان آدم اوفر حكمةً من حوَّاء قبل سقوطهما وايَّة آية تثبت ذلك من الكتاب المقدَّس. ٢ً هل كان موجود سرّ الاعتراف في العهد القديم وكيف كان يصير

حكمة آدم وحواء قبل سقوطهما

ج من العقائد المقرَّرة انَّ الله خلق آدم وحوَّاء في حالة البرارة والنعمة مع كمال النفس والجسد. يؤخذ ذلك من آيات عديدة وردت في الاسفار المقدَّسة. امَّا فضل آدم على حواء من حيث الحكمة فليس عليهِ شاهد صريح وان كان اقرب الى الصواب لان الله جعل الانسان رأس المرأة ومدبّرها (افسس ٥ : ٢٣) حتَّى قبل سقوط الابوَين الاولين وهذه الرئاسة تستدعي حكمةً اوفر في آدم منها في حوَّاء

سرّ الاعتراف قبل المسيح

ج انَّ اعتراف الخاطئ الى كاهن شرعي لينال منهُ باسم الله الحلّ عن ذنوبهِ لَسرٌّ من الاسرار السبعة التي رسمها السيد المسيح في العهد الجديد. اما العهد القديم فانَّهُ قد فُرض فيهِ على اليهود الاقرار بالخطايا ليس فقط في باطن القلب لكن ايضًا علنًا. والآيات الواردة في ذلك اكثر من ان تُحصى. لكنَّ بين هذا الاقرار القديم والاعتراف الحالي فروقًا منها: ١ً انَّ الاقرار بالخطايا قبل المسيح لم يكن سرًّا حاويًا للنعمة كسرّ التوبة بعدهُ. ٢ً انَّ هذا الاقرار لم يكن للكهنة بخلاف سرّ الاعتراف بعد

المشرق

الطائر الخفّاق على اطلال العراق

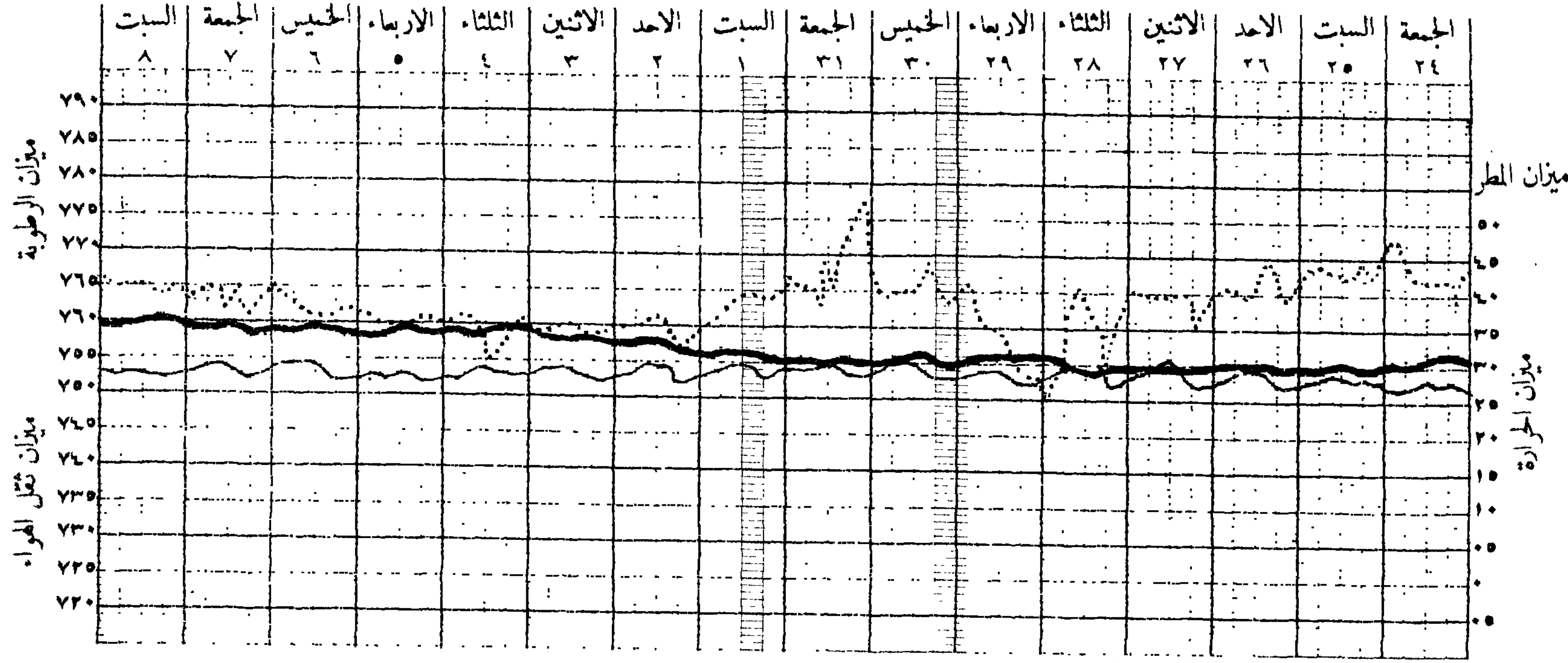
لحضرة الابِ العالم اللغويّ المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

ان العراق هو من الاصقاع التي كثرت فيها الآثار القديمة. والابنيــة الجسيمة الفخيمة. والاطلال الدارسة. والأنقــاض الناطقة بالهياكل الطامسة. الى غير ذلك من الدفائن والنفائس. ما يزري بالخرائد والعرائس. ومن العجب العُجاب. اننا نرى الأَعراب. يمتطون متن العُباب. او رِحال الرِكاب. مُعانين الاتعــاب والاوصاب. ليقفوا على ما في بلادنا من العاديَّات والانصاب. او يكتبوا عنها ما يُفيدون بهِ اولي الالباب. ولا نرى من ابناء الناطقين بالإعراب. من كتب شيئًا في هذا الباب. ما يقصع اللُهاب. او يدفع بعض العذاب. بل رأينا من الكتَّاب. من تصدَّى لتعريب شيءٍ من مؤلفات الأَجناب. غير انهم اتوا في ما نقلوهُ من التصحيف المُعاب. ما جاوز أَطوار الصواب. فضــاعت القائدة من الكتاب. لا بل أَتوا من الضرر ما لا يقع تحت حساب. لانهم وضعوا دعائم قد أَكلتها قوادح الوهم والاختلال. لصَرحٍ لا يقوم الّا على قوائم حشوُها الصدقُ في النقل والمقال. فلهذا احببنا ان نورد شيئًا من هذا القبيل. من تعريب او تحصيل. يكون بمنزلة تَعِلَّة للجائع العليل. او جُرعة للناهل الغليل. ريثما يتصدَّى لهذا الامر الجليل. من يُمهد لهُ سواء السبيل. فيزيل الكروب. عن القلوب. ولا يبقي حاجةً في نفس يعقوب

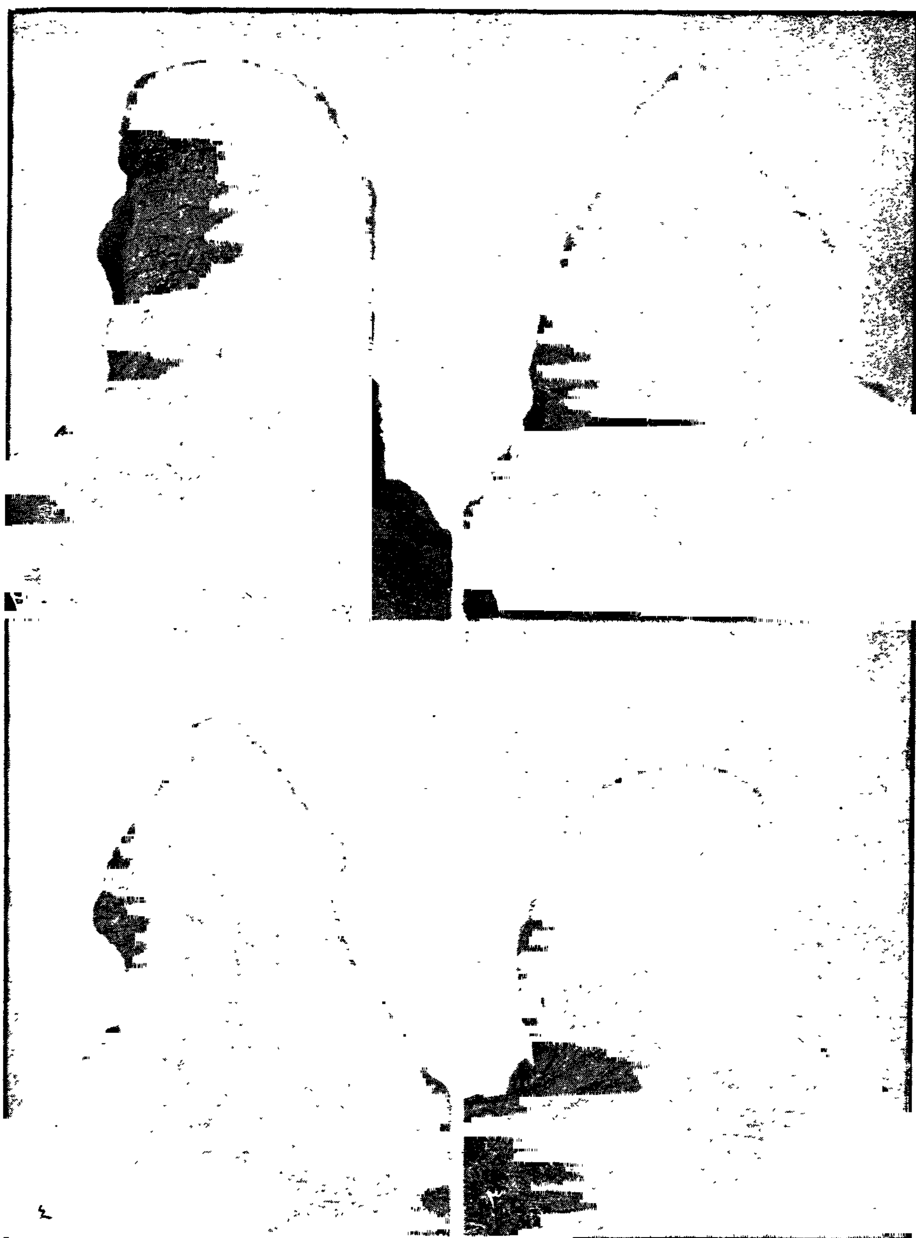
١ عَقَرْقُوفُ (ʿAgar-Gouf *ou* ʿAkar-Kouf)

من الأَخربة المشهورة في نواحي بغداد عقرقوف بعين في الاوَّل وقاف قبل الراء ثمَّ قاف ثانية قبل الواو وفاء في الآخر. واوَّل كتاب عربي « حديث » عثرت فيهِ على ذكر عقرقوف هو كتاب دائرة المعارف للبستاني ذكر فيهِ صاحبهُ اسم هذا التــلّ مصحَّفًا

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٤ آب الى ٨ ايلول ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



عقرقوف في منتصف القرن الماضي

١ الجهة الشرقية ٢ الجهة الشمالية ٣ الجهة الغربية ٤ الجهة الجنوبية

بالوجه الآتي: « اكركوف » وهو لفظ اخذهُ عن كتب الافرنج لم يعرفهُ لا العرب الاقدمون ولا العرب الحاليون. وليس هذا الكتاب بيدي اليوم لأُراجع ما قالهُ صاحبهُ في هذه المادة. وقد رأيت ذلك قبل ١٧ سنة (١ ولا اظنّ انني متوهم بقولي هذا. امَّا الكتاب الثاني الذي وقع بيدي ورأيتُ فيهِ ذكر الهيكل فهو كتاب تاريخ بابل وأشور تأليف جميل افندي المدوَّر وقد وقف عليهِ وصحَّحهُ الشيخ ابرهيم اليازجي. وكنتُ سابقاً قد طالعتهُ تباعاً في المقتطف. امَّا اليوم فقد طُبع حديثاً سنة ١٨٩٢ بمطبعة الفوائد وقد ذكر (ص ٦١) اسم عقرقوف كما ذكرهُ صاحب الدائرة. وهذا كلامهُ بنصِّهِ الحرفيّ:

« والى شرقي بغداد (كذا. والاصح الى شمال غربي بغداد) على اربعة اَميال منها وستة اميال من نهر الفرات على ميمنة الترعة السقلاويَّة (كذا. والمشهور عندنا الصقلاويَّة بصاد في الاول وهو المعروف عند مؤرخي العرب بنهر عيسى) اخربة قديمة العهد مبنيَّة بالآجرّ (كذا. وليس هناك آجرَّة واحدة وانما الاخربة مبنيَّة باللَبِن والفرق بين الاثنين ان الآجرّ مشويِ بالنار واللَبِنَ غير مشوي. وبناؤهُ من اللَبِن أدهش من بنائهِ بالآجرّ) على شكل هرَم (هذا راي غير المحققين وليس في ذلك البناء ما يُذكّر هيئة الهرم) يُسمّيها الناس ببرج نمرود وبعضهم ببرج بابل (كذا. وهو الكلام الذي يقولهُ بعض الافرنج وليس في ذلك ظلُّ صحَّة. وانما يسميهِ الناس عقَرقوف من عهد الخلفاء الى يومنا هذا) وهي غير البرجين المقدم ذكرهما. وكان اسمها الاول اكركوف (كذا) على ما اثبتهُ نيبوهر السائح الدنمركي (قلنا ولو راجع نيبوهر لرأى انهُ قد كتب الاسم باحرف عربية كما كتبناهُ نحن). وآجرُّها (كذا. وقد رأيت خطأ هذا القول) مربَّع يبلغ ثُخن الواحدة منهُ ثلاث اصابع وطولها ثلاث عشرة اصبعاً في عرض مثلها. وهي مرصوصة بالسياع (كذا. وليس هناك شيء من السياع) وبين كلّ سبعة سيفان (لم نسمع ان سافاً يجمع على سيفان. فان الكاتب توهَّم فيها وزن ساق وطاق اللذين يجمعان على سيقان وطيقان فجمعها جمعهما. وهو غير مسموع في هذا الحرف. والمشهور سافات وآسُف. راجع التاج) من الآجرّ (؟) عَرَق من الخيزران (كذا. وليس هناك شظيةٌ من الخيزران. فلعلَّهُ ترجم jonc. فاذا كان كذلك فانَّ لهذه اللفظة الفرنسية معنيَين الاول الخيزران والثاني الاسَل وهو الموجود في هذا البناء) او الأَباء ليمسك البناء ان يتصدع (يريد ان يقول: « عن ان يتصدَّع ») على ممرّ الازمان. وفي اعالي هذه الاخربة ثقوب كثيرة تمتدّ امتداداً افقياً وبعضها تذهب عمودياً... الخ » اه

ولعلّ اسم هذا البناء ورد في كتب أُخرى عربيَّة غير انني لم اتوفَّق الى العثور عليها. امَّا العرب الاقدمون فقد ذكروا هذا البناء ولم يصفوهُ وصفاً مدقَّقاً. قال صاحب

١) راجعنا هذا الفصل في دائرة المعارف (٤: ١١٧) فاذا اوَّلهُ لا يختلف عمَّا ورد في تاريخ بابل واشور. والباقي مأخوذ عن الرحَّالة چسني. وما لم نجدهُ في غير الدائرة قولهُ: « قال آخرون انها (يريد عقرقوف) موقع مدينة ستَّالي القديمة التي ذكرها زينوفون اليونانيّ » (المشرق)

مراصد الاطلاع: عقرقوف وهو « عقر » أُضيف الى « قُوف » فصار مركّبًا قال: « وهي قرية من نواحي دُجيل وليس كذلك. بل من نواحي نهر عيسى (الصقلاويّة) بينها وبين بغداد اربعة فراسخ الى جانبها تلٌّ عظيمٌ عالٍ يُرى من خمسة فراسخ واكثر. وفي وسطهِ بناء باللَّبِن والقصب كأنَّهُ قد كان أعلى ممَّا هو فاستهدم بالمطر فصار ما تهدَّم منهُ حولهُ تلًّا عاليًا ». اه بحرفه. وقال صاحب فتوح البلدان: « وقال بعضهم حين لقوا خُرْزاد:

وآلَ منَّا الفارسيُّ الحُذَرَهْ حين لقيناهُ دُوينَ المنظرهْ (١

بكُلِّ قبَّاءَ لحوقٍ مضمَرَهْ بجَثلها يُحزم جمعُ الكَفَرَهْ

يُعني بالمنظرة تلّ عقرقوف » اه

وبيدي شواهد اخرى على ذكر عَقَرقوف غير انهـا كلها لا تزيدنا عِلمًا بخصوص وصف التلّ. ولهذا احببنا ان نورد هنا ما جاء من وصفهِ كتب الافرنج وما هي آراؤهم فيهِ. هذا وقد أَصبحت هذه المؤَلفات في يومنـا هذا اعزّ من الغراب الاعصم. فنقول: اول من ذكر عقرقوف سيزار فيديريكو (César Fédérigo) سنة ١٥٦٣ ثم ذكرها رَوْوُلف (Rauwolff) وغيرهما من المسافرين باسم « برج نمرود » ولم يصفـهُ وصفًا شافيًا الّا نيابُهر (Niebuhr) السائح المشهور قال: Aguerkuf عقرقوف (كذا كتبها بالافرنجيّة واردفها بالكتابة العربيّـة) هو على بعد فرسخين ونصف فرسخ من غربي بغداد وهو برج يُشبه كل الشبه برج الحلّـة الذي تكلَّمت عنهُ (ص ٢٣٦) لكنَّهُ ليس مبنيًا بالآجرّ بل باللَّبِن وبعد كل ستة آسُف او ثمانية طبقةٌ من الأَسَـل ثخنها قيراطان. وفي هذا البناء او في هذا التلّ المسوَّر خُروق صغيرة كانت تمتدّ امتدادًا افقيًا على كلّ الحائط « على ما يظهر لي ». امَّا الآن فقد سُدَّ أغلبها. وسمك البناء يبلغ ٧٠ قدمًا. والجهة الشماليّة تكاد تكون عموديّة. وكان لها ما يُشبه ان يكون بابًا ولكنَّهُ عالٍ جدًّا لا يُبلغ اليهِ بدون مرقاة. اما الجوانب الاخرى فقد احرقت الشمس مادَّتها وزعزعت قواها وذرَّت الرياح شيئًا كثيرًا منها. ويُرى ان الأَسل قد مسك البناء عن التداعي في مواطن شتَّى ولهذا فانَّك تراهُ قد برز عنهُ في تلك المواضع وهو دليل على انهُ أبقى من اللَّبِن. وقد ظنَّت جماعة من السيَّاح انهُ برج بابل القديم. وليس من الحقيقة بشيءٍ لان

---

١) قُلتُ: الحُذَرة بضم الاول وفتح الثاني الكثير الحذر وهو من المستدركات على اصحاب المعاجم. وفي نسخة الحَذُرة وهو غلط. المنظرة هناك المكان العالي يعد الربيئة بَصَرهُ منهُ لاستطلاع طلع العدوّ القادم. مثلهُ المِرْبأ والمَرْبأة والمُرتَبأ والمَرقَبة



ويظنّ إيف الذي زار هذا البناء في نحو زمان نيابُهر (١٣ حزيران ١٧٥٨) انهُ برجٌ اقامهُ الكلدان الاقدمون لرصد الكواكب. ويذهب الى ان هذا البرج كان في باديء الامر مربّعًا. والاديب دوادج (Doidge) هو اوّل من رسم رسمهُ. ثم ان إيفًا لا يذكر شيئًا من التفاصيل عن هذه الاخربة بل يقول ان قُطّان تلك النواحي يعتبرونهُ صرح نمرود او صرح بابل

امّا بوشان (١ فلم يرهُ سنة ١٧٨٤ الّا روئية من يمرّ بهِ مرًّا. وقد سمع انهُ يُسمّى كَرْكوف (Gargouf). وزار هذه الأنقاض اوليڤيه بعد بضع سنين وكتب ما معرّبهُ:

«على اربعة فراسخ من غربي بغداد بناء قديم يعرفهُ النصارى باسم برج نمرود او برج بابل (كذا) ويسميهِ العرب عَيَرْكوف (هكذا مكتوبة A-Yargouf) وهو أُطمٌ مبنيٌّ بالطاباق وقد كُشِط صَفحان منهُ لتُعرَف الغاية التي أُقيم لها او ان يُبحث فيهِ عما أُودِعهُ من الكنوز على ما يتخيّلهُ الاعراب في الابنية القديمة... والمادّة الطينيّة المبني منها هذا الأُطم ليس آجرًا بل لَبِنًا وسطح اللبنة منهُ المربّع يبلغ ١٣ قيراطًا وثخنها يبلغ قيراطين ونصف قيراطٍ وقد صُفّت على صفحاتها شيئًا فوق شيء وزُمّلت بالطين الذي لُبّن منهُ اللَّبِن وتبلغ مداميكها ثمانية او عشرة وهي عبارة عن طبقة ثخنها قدمان او قدمان ونصف قدم. وقد وُضع تحت هذا اللَبِن اربعة او خمسة قراريط من حثالة الجصّ ثم طبقة ثخنها من قيراطين الى ثلاثة مُتَّخذة من نَضد القصب المتقاطع ثم تبتدئ مداميك اللبن فوق نضد القصب وحُثالة الجصّ موضوعة دائمًا فوق اللَبن. وكل ذلك يتتابع على هذه الوتيرة الى قمّة البرج. وممّا استوقف ابصارنا واسترعى افكارنا ان أَدْماص اللَّبِن ليست متساوية فمنها ما يكاد يكون ثخنهُ قدمين ومنها ما يقارب ثلاث اقدام وقد خُرقت خروقًا مربّعة على مسافاتٍ متقاربة بعضها من بعض تُشبه ان تكون خُروقًا للأساقيل او السلالم ولعلّها ايضًا خُرقت لتسهيل تجفيف ذلك الصرح المُمرَّد اذ يُرى روئية جليّة ان تلك الخروق تتوغّل في الداخل وان نَضَد القصب البارز اليوم عن اللَّبن يُرى عن بُعدٍ وهو محفوظ احسن الحفظ وقد صبر على كوارث الزمان اكثر ممّا لو كان من الخشب البالغ النهاية من الصلابة والصلادة الّا انّهُ قد تصوّح في المواطن المعرَّض للهواء واذا تمكّن الرجل من استخراج شيء منهُ كما فعلنا هذا الفعل في حيطان

(١ راجع Beauchamps., Journal des Savants, *Mai* 1785, p. 859

برج بابل كان بجوار الفُرات وعقرقوف لا يبعد كثيرًا عن دجلة. هذا ويصعب اليوم تعيين الغاية التي أُقيم لها هذا البناء. فلعلّهُ كان مُصطاف احد خلفاء بغداد الاوّلين او احد ملوك الفرس الذين كانوا يقيمون في المدائن وذلك لاستنشاق الهواء البارد في اعلاهُ. وفي جوار عقرقوف تلول أخرى كثيرة يُرى فيها آثار بيوت اي قطع من الطاباق ممّا يدلّ على انها بقايا منازل قد أُقيمت في البساتين او بقايا مدينة صغيرة كانت هناك او موضع بغداد القديم». اه تعريبًا

وعلى رأي الكولونل َجِسْني ان أَخربة أَكَّد وهي المدينة الثالثة من مُدُن نمرود لا تبعد كثيرًا عن عَقرقوف وكانت هذه لتلك بمنزلة قلعة او حصنٍ حصين لها. وقد ذكر جِسني التفاصيل الآتية وهي تتفق كل الاتفاق مع التفاصيل التي اوردها نيابُهر قال: «انّ لطاباق عقرقوف ١١ قيراطًا ورُبعًا مربَّعًا في اربعة قراريط ثخنًا وقد نُضِدت تنضيدًا منتظمًا وهي مرصوصة بصلصال رديء او قُلْ بطين (ولا تقــل بسياع) ومن مميّزات هذا البناء إدخال أَطْنــان من القصب من الجهة الواحدة الى الجهة الاخرى وذلك على فُسَحٍ متقاربة من اسفل البرج الى اعلاهُ. والمألوف فيهِ ان تكون كل طبقة من القصب بعد سبعة مداميــك او آسُفٍ من اللَّبن (اي ما يساوي فسحة قياسها قدمان و ١١ قيراطًا) وهذا القصب مركَّب من ثلاثة أَنضاد موضوعة وضعًا يجعلها تتقاطع تقاطعًا متعاكس الوِجهة. والاعلى منها يوازي النضد الاسفل وقد تتقاطع من النضد الاوسط تقاطعًا مُحدِثًا بينهما زاوية قائمة. ولا مراء في ان هذه البِنية كانت في الاصــل هرمًا (كذا) اما اليوم فلا شكل لها من الاشكال المنتظمة وعند اسفلها نَبيثَةٌ كثيرة تمتدّ الى بعد ١٥٧ قدمًا شمالًا وجنوبًا. وعــلوّ البرج ١٢٨ قدمًا. وعلى الجانب الشرقي ونحو منتصف البناء فَتحةٌ يبين انها كانت مدخل مدفن. وفي مواطن شتّى من هذا الصرح وبالاخصّ في قمّتهِ ثقوب مربَّعة شبيهة بالثقوب التي تُرى في الابنيــة العربية لتماسُك الاخشاب» (١

امّا إيف فانهُ ذكر طول هذا الصَرح ١٢٦ قدمًا و٣٠٠ قدم عند حضيضهِ حاسبًا بذلك النبيثة. وكِرپورتر (Ker-Porter) وأَنسوُرْت (Ainsworth) ذكرا ان سمكهُ ١٢٥ قدمًا

---

١) راجع Chesney : *Expedit. to the Euphrat.* 1850. Vol. II, p. 606

امّا العرب فلوقوع بلادهم في جوار الصين والهند وفارس واختلاطهم باهلها لاسيما بعد فتحهم لقسم كبير منها لا شبهة في كونهم عرفوا قبل الفرنج وجود البارود وخواصّ تركيبه الانفجاريّة كما انّهم اخذوا عنهم البندقيّات لرمي القذائف. امّا اسم البندقيّة فقد اشتقوهُ من « البُندق » والبُندق عندهم ما يُرمى بهِ سواء كان من الطين او غيرهِ لشبهه بثمر البندق. وكانوا يدعون ايضًا هذه المرامي « جُلاهقًا ». والبندق والجلاهق لفظتان فارسيَّتان يراد بهما الكرة الصغيرة. ومثلهما الجِلّوز واستعمالهُ في الثمرة اكثر

في انتشار صناعة الاسلحة وما امتاز بهِ في صنعها الشرقيّون

ان صناعة الاسلحة قد انتشرت في اكثر الاصقاع المشرقيَّة كدمشق الشام والعجم والارنؤوط والجزائر ومصر فامتاز اهل دمشق بصنع الحديد المجهر فنالوا بهِ ما لم ينَلْهُ سواهم من بُعد الشهرة وانتشار الصيت. وقد برعوا بزخرفة اخشاب البنادق ونقشها وتنزيلها وتوشية طواقمها الفولاذية والحديديّة بالاسلاك المعدنيَّة المختلفة بطريقتي الحفر والتنزيل والتسنين والرصّ. هذا ولم يكتفوا بذلك بل كثيرًا ما كانوا يقلّدون صنائع جميع البلدان واتقن مصنوعات الثغور الشرقيَّة وهذه السجيَّة لم تزل فيهم لعهدنا هذا وذلك لعظم حذاقتهم في الفنون الصناعية وحرصهم على كسب المال. غير انَّ هذه الصناعة لم تبقَ عندهم حيَّة ولم ترزق العمر الطويل كما رُزِقت في بلاد العجم الذين لا يزالون يحكمون صُنعها لهذا العهد وهم في اتقانها يضاهون اهل دمشق بل يفوقونهم بجودة العمل في بعض من فنون هذه الصناعة وذلك بعمل الزِناد الفارسيَّة المشهورة بهم والنقوش البديعة والزخارف الانيقة المعروفة بالقلم الفارسي الذي يأخذ بالابصار ويفتن البصائر لما يحويهِ من الفنون الهندسيَّة والتماثيل البديعة والآطار والآرمات (الأَشعرة والطُّرر) والرسوم الجميلة المختلفة

امَّا من جهة صُنع المجهر فان العجم بلغوا مبلغًا ساميًا لم يلحق فيهِ الدمشقيُّون غبارهم. الَّا انَّ العجم اكثروا من صنع اشكالهِ الرخيصة لازدحام القوم عليها . امَّا الارنؤوط فطبقتهم دون طبقة العجم والدمشقيين فانَّهم لم يبلغوا شأو هؤلاء مع كثرة ما اصطنعوا من المجهر وحذقهم في تخريجهِ. وممَّا اشتهر بهِ الارنؤوط اجهزة (طقومة) الاسلحة يصنعونها من المعادن لاسيما الفضَّة ويلبسونها بالميناء الارنؤوطيَّة المشهورة ويتأنَّقون في زخرفتها ولهم نقوش بديعة ورسوم دقيقة تروق الابصار منها النقش

قُطَيْسِيفُون يتحقق انهما من نَبتٍ واحد يكثر على ضفاف الرّافدَين وفي مستنقعات البلادَين وهو نوع من جنس الثَّيل والعرب يدعونهُ في كتبهم السِّجل (وباللاتينيّة uniola bipennata Linn,) وهو يختلف بعض الاختلاف عن الغَيْقة (وباللاتينيَّة poa cynosuroïdes, de Retzius)

ومما يدفع الانسان الى ان يظنّ ان هذا الأُطم لم يكن في سابق الزمن ارفع مما هو عليهِ الآن انهُ ينتهي بفراش ثخين من الطين ُيظنّ انهُ كان بمنزلة سطح لهُ. وربَّما كان هذا السطح نتيجة فعل الارياح والامطار عليهِ فهشَّمت رأسهُ وألقتهُ على الارض فتساوى معها بما ان صفحاتهِ التي لم تلمسها ايدي البشر وصلت اليها أنياب الدهر فاكلت بعضها. ولولا وجود القصباء فيها لاسترطها كلَّ الاسترط لكن حالت دون متمنَّاهُ فكانت لهُ بمنزلة الشجا او الغصَّة » (ستأتي البقيَّة)

الاسلحة النارية في الشرق

للاديب يوسف افندي غنام ثابت

انسنا في القرَّاء ارتياحاً الى مطالعة ما كتبناهُ في المشرق (٣: ٥٧٧ و ٧٠٠) عن السيوف الشرقيَّة وجوهرها فجاء استحسانهم منشطاً لنا على مواصلة البحث عن صناعة بلادنا القديمة علّنا نُحيي بذلك مآثر اجدادنا ونعش بين مواطنينا روح الصناعة بعد خمودهِ. وقد رأينا اليوم ان نبسط الكلام في الاسلحة الناريَّة نخصُّ منها بالذكر البنادق القديمة الشرقيَّة وما امتازت بهِ في الاعصار السابقة من الخواص الفريدة والمحاسن البديعة. وقد استندنا في ما روينا الى ما افادنا اخونا سليمان المتضلع بصناعة الاسلحة وفنونها القديمة والحديثة

ليس من غرضنا ان نخوض هنا في مسألة تاريخ البندقيَّات واصل وضعها فانَّ دون ذلك عقباتٍ صعبة المرتقى. وغاية ما يمكن قولهُ انَّ البندقيَّة من لواحق البارود فلمَّا كان اكتشاف البارود قد سبق اليهِ الهنود والصينيون والعجم قبل الاوربيين بزمن مديد فلا غرو انهم وضعوا ايضاً البندقيَّات او ما يشبهها لقذف الموادّ المنفجرة. وعلى هذا المنوال يصحُّ القول بانَّ البندقيَّة سلاحٌ شرقي الاصل

اذا اطلقوا الديك على المقلب قدحت الصوَّانة نارًا وانطلقت البندقيَّة . وهــذا الاختراع مع ما فيهِ من الفضل على بندقيَّة الفتيل من حيث السرعة وتسديد الضرب لم يخلُ من المشقَّة والعناء

وقد تفنن ارباب الاسلحة في زخرفة هذه البندقيَّة وصنعوا منهــا اشكالًا عديدة تختلف عيارًا فمنها صغيرة ومنها كبيرة ومنها متوسّطة في الكبر بل وضعوا منها غدّارات (فرودة) وطبنجات وقربينات (١ وظربطانات (٢ وشرخات وبنادق خزنة (٣

فهذه هي البندقيَّات التي اصطنعها الشرقيون وشاعت بينهم الى ان اخترع الاوربيون بنادق الكبسول ففازت طريقتهم بالقــدح المعلَّى . وسوف نعود ان شاءَ الله الى ذكرها في مقالة اخرى

حديد البندقية الشرقيَّة

قد امتازت البندقيَّات الشرقيــة على ما سواها بجودة حديدها . والحديد الشرقي يكون صلبًا قاسيًا قريبًا من الفولاذ لا يتسلَّط عليهِ الصدأ مثــل الحديد الفرنجي الذي يصدأ سريعًا فتتلف البنْدقيَّة لزوال ميزانية ثقب انبوبتها . وقد بيَّنَّا في مقالتنا عن سرّ صناعة الجوهر (ص ٧٠١) ان لحديدنا من ذات معدنهِ خواصّ تميّزهُ وذلك فضــلًا عن طريقة عجنهِ وتركيبهِ

وممَّا يؤيد قولنا في فضل الحديد الشرقي عدَّة اختبارات اجريناها في البنادق الشرقية والبنادق الفرنجيّة فكنَّا نأخذ بندقيَّتين متساويتين في الجودة والعيــار احداهما شرقيَّة واخرى افرنجيَّة فنصوّبهما الى نَصْب واحد فكانت البندقيّة الشرقيــة تصيب الهدف بخلاف الفرنجية التي كانت تطيش عنهُ او لم تبلغهُ . وقد كرَّرنا هذا الامتحان في بنْدقيَّات الخردق والرصاص (الششخانات). فكانت نتيجة اختباراتنا كلها تثبت فضل البندقيات الشرقيَّة

---

١) القربينة كالفرد الَّا انها امتن منهُ واكبر وخشبها كخشب البندقيَّة لها فوهة واسعة وخزنة متينة لتقوى على كثرة البارود والرصاص المعروف بالغزلاني وتستعمل في مهاجمة العدوّ . واذا حشوها بارودًا فقط واطلقتها سُمع لهُ دويّ عظيم واذلك يستعملونها في حفلات العرس والاعياد والافراح

٢) الظربطانة كالبندقيات في صورتها الَّا انَّ ادواتها اضخم منها فهي عبارة عن مدفع صغير ولذلك كانوا يتخذونها للطلقات الكبيرة

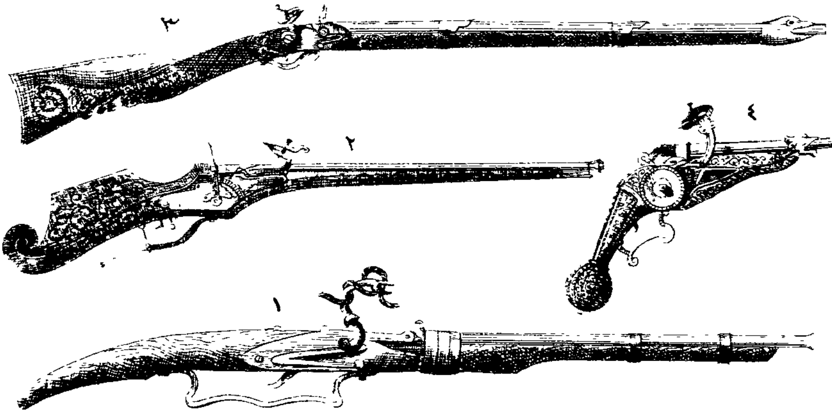
٣) هاتان البندقيتان كمدفعين صغيرين وهما تحملان على سيبة عند الرمي

المعروف « بضرب البنت » دعوهُ بذلك لانهم يصوّرون على السلاح صورة فتاةٍ جميلةٍ . وهو نقش غاية في الحسن

امَّا اهـل الجزائر والمصريُّون فانَّهم اخذوا عمن سبق ذكرهم ولم يُعرف لهم في ذلك اثرٌ خاصّ بهم

في البندقية الشرقية وانواعها

لم تكُ البندقيَّات الشرقيَّة القديمة تختلف عن بعضها اختلافًا يُذكر في طريقة حَشوها واستعمالها عند الرمي وتجهيزها لاطلاق النار وكان صاحبهـا بعد ان يحشوها من فيها كبندقيَّات الكبسول يجعل في جرن الزند (القدَّاحة) قليلًا من البـارود ثمَّ يقلب عليـهِ المقلب (الغطاء) لئلا يتلفهُ الهواء او يبتلّ بالمطر في الشتاء ثمَّ يشعل فتيلًا من القطن لُتَّ بالشمع العسلي . وكان هذا الفتيل يُجعل بزند البندقيَّة. ثمَّ يأخذ البندقيَّة بين يديهِ ويُعدّها للرمي ثمَّ يفتح الجرن ويدني الفتيل منهُ فيلتهب البـارود وهكذا تنطلق البندقيَّة بعد اللتيا واللتي وربَّما ذهب التعب باطلًا فوجب تكرارهُ لعدم صدقهِ . وهذه اوَّل بندقيَّة شاعت في المشرق وهي المعروفة بابي فتيل (arquebuse à mèche)



١ بندقية ابي فتيـل ٢ بندقية بصوَّانة ارنؤوطية ٣ بندقية بصوَّانة شامية
٤ طبنجة بصوَّانة ارنؤوطية

ولمَّا رأى الشرقيون انَّ هذه البندقيَّة لا تفي بالغرض لم يزالوا يجهدون فكرتهم حتى اخترعوا الصوَّانة (arquebuse à pierre) واخذوها بدلًا من الفتيل وزادوا على زناد البندقيَّة قوسًا وملقطًا (ديكًا) أَلقطوهُ الصوَّانة وجعـلوا المقلب من الفولاذ حتى

والمجهر كالضبان على اشكال عديدة. ولكلّ شكل اسمٌ معلوم يُعرف بهِ فدونك اشهر اصنافهِ مع تعريفها:

(جوهر الخارة) هو من اشرف انواع المجهر وابدعهــا منظرًا يتألف من عدَّة خانات في كل خانة عُقــد عديدة تشتمل على خطوط واسلاك كثيرة. وهذا النوع قد تفنن فيهِ ارباب الصناعة بالزيادة عن غيرهِ فتارةً ترى خاناتهِ كبيرةً وعقدهُ مستطيلة وتارة فيهِ الاسلاك الدقيقة. ومنهُ ما يظهر فيــهِ شبه ورق العريش وهلمَّ جرًّا. وكان البعض يصنعون البندقيَّات من انواع أُخرى من الجوهر ثمَّ يصنعون خزنتهــا وفوهتها من جوهر الخارة

(مجهر صرما) لا يختلف عن جوهر الخارة الَّا باشكال خاناتهِ يدخلون بعضها في بعض وهو بعد الخارة قيمةً وقدرًا

(مجهر قندلان) هو ذو عُقد مستطيلة بيضية الشكل فيهِ خطوط لطيفة واسلاك دقيقة وهذا النوع شائع في مصر وهو جميل المنظر

(مجهر عبُّودي) هو اشبه بقطع متلاحمة ذات خطوط يركب بعضها على بعض لم يصنعهُ غير اهل دمشق

(مجهر اسلامبولي) ويعرف ايضًا بمجهر لفّ وهو كاسلاك مستديرة متلاحمــة ببعضها وليس لهُ كبير اعتبار. واهل الشام يشتغلونهُ وربَّما جعــلوا خزانات بندقيَّاتهِ وفوهاتها من جنس آخر اعلى قيمةً كالخارة والصرما

ويوجد ضروب اخرى من المجهر كالمجهر المدعو زين الدين ابا حزَّين. واشتهرت بندقيَّات الفلنتا وابي ريشة وأُمّ عيون (١ باصابة المرمى. وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

واعلم ان مَهرة الصنَّاع يمكنهم ان يصطنعوا كلَّ اصناف المجهر وترى بعضهم يجمعون في البندقيَّــة الواحدة من خمسة اشكال الى اثني عشر شكلًا. وممَّا يُذكر فيُشكر انَّ المعلم بشاره ابراهيم الجلخ صنع في دير القمر بندقية للامير بشير الشهابي الكبير زيَّنها باثني عشر شكلًا من الجوهر ساعدهُ في لَحمِها مراد الحدَّاد وكان قينًا مشهورًا باشغال الحديد يقصدهُ الناس من كلّ الجهات لشهرتهِ. وكان لهذه البندقيَّة زندٌ فاخر صنعهُ ابو عبسي زراقط من حذَّاق المعلمين. فلما رأَى الامير هذه البندقيَّة سُرَّ بها واجاز صاحبها

١) دعيت ام عيون لانهم كانوا يصنعون فوهتها كرأس افعى ويصنعون العينين من الياقوت او غيره

الجهر الشرقيّ وفضلهُ وانواعهُ

وان سأل سائل عن سبب فضل بندقياتنا على ما سواها. أجبنا ان ذلك يتأتى من الجهر وسرّ اصطناعهِ الذي تفرّد بهِ الشرقيون

والجهر كما سبق القول (راجع المشرق ٣: ٥٨٠) هو الجوهر الحديديّ في الاسلحة الناريّة وهو كالجوهر الفولاذيّ المعروف بالضبان الذي وصفناهُ في مقالتنا عن السيوف الشّرقية. ووجه اختلافهما انَّ الجوهر الضبان هو مختصّ بنصال الاسلحة البيضاء كالسيوف وما شاكلها امّا الجهر فهو مختصّ بحديد الاسلحة الناريّة ولكليهما تموّجات تظهر فيهما عند التخضير (ص ٥٨٠)

وللمجهر كما للضبان خواصّ عجيبة كالمتانة والصلابة وصبر اسلحتهِ على الزمان لا يُصدئها طول العهد. فعندنا بندقيّات مجهريّة من نحو ٢٠٠ سنة فترى حديدها صافيًا لم يقوَ عليهِ الصدأ بخلاف بعض البندقيّات الفرنجية التي ابتعناها من زمن قريب فان الصدأ قد تولّى عليها واتلفها

وممن عُني في الشّرق باصطناع الجهر ونالوا فيهِ ذكرًا طيّبًا اهل دمشق الشام والعجم والجزائر وبلاد الارنؤوط ومصر. والذين برَّزوا في صُنعهِ وبلغوا اسمى طبقة في تحسينهِ هم الدمشقيون والعجم. وعن اهل دمشق اخذ الفرنج الجهر ولقّبوهُ بداماس(damas) اشارةَ الى اصلهِ (Damas). وقد اقرّوا بفضلهِ مرارًا. ويجدر بنا في هذا المقام ان ندوّن شهادة احد فضلاء الفرنسيس ممن لهم الباع الطولى في تجهيز السلاح وهو المسيو ماريوس برجار (M. Berger) صاحب معمل سلاحيّ كبير في سَنت اتيان قال في مقدّمة كُتيّب جمع فيهِ شهادات الذين اختبروا اسلحتهُ ومدحوها وهاك تعريب كلامهِ:

« انَّ معملنا اقدم معمل سبق الى اصطناع « جوهر داماس » وذلك انهُ عندما انتشبت الحرب بين الفرنسويين واهل الجزائر (١٨٣٢-١٨٤٧) رأت الحكومة الفرنسويّة انَّ سلاح الجزائريين امضى من سلاحنا وكانت بنادقهم تصيب المرمى وتفتك بعساكرنا فتكًا ذريعًا. فاستدعى اركان الحرب جدي وعهدوا اليهِ فحص هذه الاسلحة واكتشاف سرّها فسار الى الجزائر وجمع عددًا وافرًا من الاسلحة التي كانت عساكرنا غنمتها من العدوّ فحلَّل حديدها وعرف تركيبهُ وجعل من ثمَّ يصطنع حديد الاسلحة من « الداماس » مثل اهل الجزائر. فكان مذ ذاك الوقت لمعملنا التقدم على بقيّة المعامل الفرنسويّة في اصطناعهِ « الداماس »

الخزانة. الى غير ذلك من الاشكال التي اهملها المحدثون لكثرة ما يستغرق شغلها من الوقت

(الثقب والششخانة) وقد جعل الشرقيون اثقاب بندقياتهم وششخاناتها (١ (canon rayé) على انواع عديدة وعيارات (calibres) مختلفة فبندقيات الرصاص تكون في الغالب رفيعة العيار (٢ او متوسّطتهُ. ومنها ما يكون واسع الفوهة على طول خمسة قراريط بحيث تجري الرصاصة اوّلًا بسهولة ثم تزيد قوّتها بالضغط. ومنها ما اتخذوا لها في الداخل حربةً يجعلونها في القرق بطول ٥ سنتيمترات فتدخل الحربة بالرصاصة عند دكّها فيزيد ضغط البارود. وكلُّ هذه البندقيات ذات ششخانة بابغة يُبرم بعضها ثلثي برمة وبعضها برمة كاملة الى ثلاث برمات

واماً الثقب في بنْدقيّات الصيد فيكون اما متساويًا واماً واسعًا عند الخزانة بتدريج من ٥ الى ٨ سنتيمترات. ومنهُ ما يكون واسع الفوهة لينبثّ الخردق ولا ينطلق الى البعيد. وقد صنعوا ششخانة للخردق ليجري مستقيماً وهي خطوط مستقيمة كششخانة الفرنج المسمّاة بشُكرفلد (choke-rifled) فممّا سبق يظهر جاليًا انَّ الاقدمين لم يفتهم شيء من امر حسن الثقب والششخانة كما توهّم المحدثون

(النظّارة) صفيحة ناتئة تجعل في خزنة البنْدقية فيها ثقوب علوُّها من ٣ الى ٩ سنتيمترات ليضبط الرامي نظرهُ باحدى اثقُبها الى « القمحة » فالطريدة. وكان القدماء يصنعون النظّارة على اشكال شتى. الّا ان مركز هذه النظارة كان قريباً من قرق البنْدقية اي في آخر الحديد وكذا كان يصنعهُ الفرنج قديمًا. اما النظّارات الحديثة فقد قدّموها نحو عشرة سنتيمترات فوضعت على الانبوبة وجعلت « بسحّاب » ومشمَّرة لمعرفة المسافة. وهي تطبق وتنصب عنْد الحاجة

(اخشاب البنْدقيات) كان الاقدمون يراعون في اخشاب البندقيات الزخرفة والنقوش اكثر منهم الاحكام الهندسيَّة فكانوا يصرفون همّهم بتزيينها بكلّ اصناف الحلي وكانوا يجعلون الخشب الى حدّ فوّهة البنْدقيَّة ويلفّونهُ باساور فضيَّة محكمة الصنع ومحلاَّة بالنقوش الانيقة وكثيرًا ما كانوا يطلون الاساور بالذهب. وكان بعضهم

١) الششخانة لفظة فارسيَّة معناها ستّ خانات لانَّ خطوطها كانت سابقًا ستّة .

٢) والعامّة يدعون العيار درهمًا ٣) القُرق البرغي الذي في خزنة الانبوبة

بجائزة سنيَّة وقدَّمهُ عندهُ . وقد كان في خزينة الامير المذكور اسلحة كثيرة غالية الثمن مرصَّعة بالحجارة الكريمة وموشَّاة بالذهب الابريز والفضَّة الخالصة وكان في خدمتهِ كثير من صنَّاع العجم والارنؤوط وحلب والشام استدعاهم من بلادهم وعنهم اخذ كثيرون من اهل دير القمر عدَّة صنائع وفنون اشتهروا فيها الى ايامنا هذه

في اظهار اشكال الجهر

لإظهار اشكال الجهر طريقة واحدة وهي ان تأخذ انبوبة (حديدة) البندقية وتجلوها بالرمل حتى يزول صدأها تاماً . ثمَّ تفركها بعصارة ليمون حامض وتغسلها اخيرًا غسلًا جيّدًا بالماء . وبعد ذلك تسدُّ بسدادة من الخشب فوهة الانبوبة وقنّتها سدًّا محكماً وتأخذ اقّة من مسحوق الكبريت العموديّ ونصف اقّة من الملح العادي وتمزجهما معًا بقليل من الماء فتطلي بهذا المزيج الانبوبة وتبقي عليها الطلاء ثلاثة ايَّام متوالية وفي كلّ يوم تُرَشّ بالماء ثلاث مرَّات بالنهار . وفي منتهى اليوم الثالث انزع هذا الطلاء وافركها بالرمل والماء بقطعة من شعر حتى تنظف جيدًا . ثمَّ خذ شيئاً من رماد النصبة بعد نخلهِ وافرك بهِ الانبوبة ثمّ اغسلها ونشّفها وصبّ عليها الزيت حالًا فترى لون الحديد جميلًا كالفضّة . وترى الجوهر قد ظهر بخطوطهِ وعقدهِ وخاناتهِ البديعة ومحاسنهِ الفاخرة

في انبوبة البندقية وملحقاتها

اعلم ان اختيار الحديد الذكر وحسن تركيبهِ وتحليتهُ بالجهر لا تفيد شيئًا إلّم تُحكَم انبوبة البنْدقيَّة ويسدَّد ثقبها ويجعل لها نظارة . وكلُّ ذلك قد اهتمّ بهِ الشرقيون ليجعلوا بنْدقيَّتهم بعيدة المرمى لا تخطئ هدفًا

(الانبوبة) انبوبة البنْدقية يدعونها ايضًا بالحديدة وهي تختلف طولًا عند الشرقيين فمنها ما يكون طولهُ ٧٥ سنتيمترًا فقط والبعض يزيدون في طولها الى مترٍ . وقد تفنن الاقدمون في هيئاتها (مدَّاتها) . فترى منها ما يكون متسعًا (مخزَّنًا) عند الخزَّانة ومخصَّرًا في الوسط ثم تُوسَّع الفوهة بتدريج فتُختم على شكل اجَّاصة او رأس افعى . ومنها ما تكون مثمَّنة عند الخزَّانة او مزيَّنة بنَقش ناتئ كالزنّار او يحفرون على مؤخرهِ شبه ريشة بديعة الى وسط الانبوبة ويختمونها بصورة نخلةٍ او وردة عند الفوهة والبعض يجعلون الانبوبة مثمَّنة في كلّ طولها او يتخذونها على شكل المدافع الحديثة ذات الطرز الجيد اي تُوسَّع (تخزَّن) قليلًا عند الفوهة ثمَّ تخصَّر فتتَّسع بتدريج الى

الّا ان ايليا الثامن المارّ الذكر غضب ايّ غضب لمّا بلغهُ خبر نجاح يوسف. فارسل يستدعيهِ كانَّ لهُ كلامًا يسرّ بهِ اليهِ. فلم يجب يوسف الى سؤْلهِ لعلمهِ ما وراء ذلك من الدسائس الخفيَّة. فبعث اليهِ مار ايليا واحدًا من علماء طائفتهِ بغية ان يستميلهُ الى النسطوريَّة. لكن الرسول عاد بصفقة خاسر

فقام حينئذٍ ايليــا نفسهُ وذهب الى آمد يصحبهُ خمسون رجلًا من خاصَّتهِ سعيًا بهــلاك المطران يوسف. فاستقبلهُ ذووهُ بعزّ واكرام وقوي على خصمهِ وضبط منهُ الكنيسة. ثم نالت مار يوسف محن وبلايا شديدة واوجاع قاسية يطول شرحها وهو لم يزل متمسكًا بالديانة المستقيمــة. فحُبس مرَّتين في سجن اللصوص وفَعَلة الاثم وجُلد وأُذيق الوان العذاب لكنَّ الله لمَّا رأى صبره مدَّ اليهِ يدهُ القديرة فانقــذهُ من يد اعدائهِ. فان الحكَّام عرفوا اخيرًا برارتهُ فاخذوا بناصرهِ. وحكموا ان يبقى هو مطرانًا على آمد وماردين ويُطرد البطريرك ايليا الى الموصل. فرجع هذا الى محلهِ مُفعمًا خزيًا وخجلًا

وبعد ان رجع مار يوسف الى كنيستهِ اصابتهُ اوجاع مختلفة اوشكت ان تذيقهُ كاس المنون. لولا انَّ الله عافاهُ ومَدَّ في اجلهِ لخير شعبهِ. وما كاد ينتقــه تمامًا من مرضهِ حتى قام عليهِ اخصامــهُ النساطرة. فكبِّل بالقيود وأُلقي في سجن مظلم. فقاسى عذاباتٍ شديدة وأُصيب بداء الزُحار. وفي تلك الاثناء وصل الى آمد المطران داود الذي كان النساطرة قد ارسلوهُ الى ايليا البطريرك ليجعلهُ مطرانًا عليهم. فعزل مار يوسف وضبط هو عنان تدبير الكنيسة

فقام مار يوسف ورحل الى رومة ليستريح من اتعابهِ (سنة ١٦٧٥). وبقي ثمة سنة وخمسة اشهر. لكنَّ اهل رومة لم يساعدوهُ لانهم ظنُّوا فيهِ انهُ مثل غيرهِ ممن قالوا نعمل ولم يفعلوا. فرجع حزينًا كئيبًا لكنَّهُ وضع رجاءهُ على الربّ وعلى شفاعة العذراء القديرة فالتقى في طريقهِ بالمطران فرنسيس پيكه الفرنساوي (١. فساعدهُ واجزل عليهِ العطايا

(١) اسمــهُ فرنسيس پيكه (Fr. Picquet) لا بيخو (Bikho) كما ورد في مجلة الشرق المسيحي (l'Orient chrétien, I, 85). ولد في ليون من اعمال فرنسا ثم صار قنصلًا لدولتهِ سنة ١٦٥٢ في حلب وقام بهذه الرتبة احسن قيام الى سنة ١٦٦٠ حين هجر العالم وخصَّص نفسهُ بخدمة الله في الدعوة الاكليريكيَّة. فارسلهُ الكرسي الرسولي بصفة قاصد رسولي الى بلاد العجم بعد ان سيم اسقف على سيزاربل (Césarople) سنة ١٦٨١ وبقي مدَّة في اصفهان. كانت وفاتهُ نحو سنة

يحفرون الخشب ويجعلون لهُ اشكالًا ورسومًا بديعة تمثّل صور الصيد وهيئاتهِ . وربّما كانوا يتزلون في الخشب الاسلاك المعدنيَّة الثمينة كالفضَّة وغيرها فيُرى لهُ منظر بديع بما فيهِ من النقوش المختلفة الآخذة بابصار الناظرين . وقد رأينا من ذلك تحفًا تعدُّها اذا تأمَّلتها آيةً من آيات الجمال

فهذا جلُّ ما رأينا اثباتهُ عن البندقية الشرقية من المحاسن في هذه المجلة الغرَّاء اجابةً لطلب اربابها الافاضل الحريصين على نشر العلوم وصنوف العرفان في اقطارنا السوريَّة واحياء مفاخر بلادنا الشرقيَّة وحفظ آثارها وتخليد مجدها وفخارها . فأملنا ان تصادف من عموم القرَّاء قبولًا لاسيما وهي اوَّل مقالةٍ كُتبت بالعربية في هذا الباب لعهدنا هذا . فاننا تحرَّينا فيها مزيد البحث والعناية في تدوين مآثر اجدادنا قبل ان تعبث بها يد البلى والاضمحلال . وموعدنا في ما سيأتي ان نوافيهم ان شاء الله تعالى بوصف اسلحة الصيد الاوربيَّة وما هي عليهِ من الاحكام الهندسيَّة ليقفوا على افكار الاوربيين وتقدّمهم ويدركوا جدهم واجتهادهم الذي حَسُنت بهِ حالهم وعمرت بلادهم فحسَّن المولى احوالنا بالصنائع والفنون التي تفتقر اليها بلادنا انَّهُ المحسن الكبير السامع الدعاء

طائفة الكلدان الكاثوليك

نبذة تاريخية للقسين الفاضلين ادي صليبا ابراهينا وبطرس نصري الكلدانيين (تتمة لما سبق)

٥

ولد يوسف المذكور في آمد (١ . وانكبَّ منذ نعومة اظفارهِ على الدرس . ولمَّا كان مزيَّنًا بجميع الفضائل اختير وارتسم مطرانًا على الطائفة النسطوريَّة . لكنَّهُ ما عتم ان انضمَّ الى الكنيسة البطرسيَّة (سنة ١٦٧٠) . فاخذ بكلامهِ وافعالهِ يقلع الزوان الذي وجدهُ في حقل شعبهِ . فمنذ ذلك الحين انفتح وجههِ ميدان وعر كان اشبه بسبيل جهاد مؤدٍّ الى الاستشهاد . غير انَّ اشدّ المحن والاضطهادات لم تكن لتردَّهُ عن مساعيهِ الجليلة بل جرى ثابت الجنان متسعًا بقوَّة الرحمان . وكان جلّ غرضهِ اعادة طائفتهِ باسرها الى جادَّة الدين المستقيم

١) راجع ترجمتهُ المطبوعة في باريس سنة ١٨٩٥ J. - B. Chabot : *Les origines du patriarcat chaldéen*

تنزَّل عن الكرسي البطريركي خلَفهُ على كرسيّهِ . وثبَّتهُ البابا اينوكنت الثاني عشر سنة ١٦٩٥ (١ . ودبَّر الكرسي الى سنة ١٧١٣ (٢

وكان يوسف الثاني من اوسع بطاركة الكلدان علماً وغيرةً . فصرف همتهُ الى خير طائفتهِ بتأليف الكتب . ومن انفس تآليفهِ كتابهُ الموسوم بالمرآة الجليَّة فيهِ دحض وفنَّد اضاليل النساطرة واليعاقبة والارمن والروم واثبت عقيدة الكنيسة الكاثوليكية (٣ . ولهُ تآليف اخرى كثيرة لا يسعنا هنا ذكرها (٤

وجلس بعدهُ على الكرسي البطريركي يوسف الثالث . كان مسقط رأسهِ كركوك وكان مطراناً على ماردين . واثبتهُ البابا اقليميس الحادي عشر وارسل لهُ الباليوم في شهر شباط سنة ١٧١٤ . واحسن القيام باعباء مهمَّتهِ . ولمَّا توفي ايليا مروكي التاسع بطريرك النساطرة في القوش سنة ١٧٢٣ (٥ انتهز مار يوسف الثالث الفرصة وحصل على براءة توليهِ على الكلدان القاطنين في الموصل . فجاء الى هذه المدينة نحو سنة ١٧٣٠ ليقوم باعباء رئاستهِ . لكنَّ مساعيهُ ذهبت ادراج الرياح . لانَّ بطريرك النساطرة الجديد ايليا العاشر اثار عليهِ اضطهادات مهولة وحبسهُ مدَّة حتى تمكَّن بعد الجهد الجهيد من النجاة من السجن فهرب راجعاً الى آمد (٦

وفي ايامهِ زاد عدد الكلدان الكاثوليك في الموصل وذلك بهمَّة الرهبان الكبوشيين الذين كانوا نصبوا فيها رسالة نحو سنة ١٧٢٥ . وفي ايامهِ ايضاً اتى المرسلون

من الحكومة المحلية سوى الكلدانية فصار جاثليقاً على جميع الطوائف الشرقية في نواحي آمد وماردين من سريان وارمن وروم وكانوا يقضون فروض عباداتهم عند الكلدان الذين قاسوا لاجل ايمانهم في ذلك الزمان بلايا ومشقَّات لا توصف ١) في حزيران ١٦٩٦ ونال الدرع المقدَّسة (ب . ن)

٢) توفي سنة ١٧١٤ (؟) وفي عهدهِ نما زرع الايمان الكاثوليكي واهتدى اهل القرى المجاورة . واقام اساقفة لابرشيَّاتهِ منهم المطران باسيليوس الذي جعلهُ نائبهُ (ب . ن .)

٣) وفي آخر هذا التأليف ملخَّص ترجمة حياتهِ (ب . ن .) ٤) منها الصلوات القانونية التي رتَّبها للاعياد والتذكارات التي دخلت جديداً في فرض الكلدان (ب . ن .)

٥) توفي في ٤ كانون الاول سنة ١٧٢٢ (ب . ن .)

٦) قال القس بطرس نصري : « مار يوسف الثالث هو المعروف ايضاً بماروكي وكان من آمد وقيل من كركوك . سامهُ سلفهُ مطراناً على ماردين باسم طيموثاوس ولمَّا صار بطركاً شرَّفهُ البابا بلقب بطريرك بابل ليتولَّى ادارة المهتدين في بلاد بابل واثور ونواحيها ايضاً وكان سلفاؤهُ يُدعون باسم بطريرك الكلدان فقط . وعليهِ فسعى تحصيل براءة سلطانية نالها سنة ١٧٢٣ . مكَّنتهُ من التصرُّف

فلمَّا بلغ آمد نصرهُ الله على اعدائهِ . ففرَّ المطران داود النسطوري هاربًا الى مولاهُ ايليا البطريرك . وفي تلك الغضون حصل على البراءة الشاهانيَّة من جلالة محمد الرابع سنة ١٦٧٧ . فتقوَّى واشتدَّ ازرهُ وثبَّتهُ اينوكنت الحادي عشر بطريركًا على الكلدان الكاثوليك بسعي المطران فرنسيس بيكي المذكور وارسل لهُ درع الرئاسة . فبذل سعيهُ في تثبيت شعبهِ في الايمان المستقيم وردَّ الضالّين الى حظيرة الراعي الصالح . وكان متعبدًا لمريم البتول لا يزال يحث المؤمنين على طلب شفاعتها . وهو الذي علَّمهم عبادة الورديَّة المقدَّسة (١

وكان كثير من الكلدان يقدمون عليهِ من الموصل وبغداد ليستشيروهُ ويستنيروا بتعاليمهِ الخلاصيَّة . وهذا ممَّا يدلّ على ان الكلدان الكاثوليك كانوا كثيرين حينئذٍ في هذه الاقطار

ولمَّا كانت اواخر سنة ١٦٩٤ تسلَّطت عليهِ الاوجاع واخذ بصر عينيهِ يضعف يومًا فيومًا . فتنازل عن الحقوق البطريركيَّة وذهب قاصدًا رومية (٢ ومات ثمَّة ميتة الابرار سنة ١٧٠٧ (٣

وقام بعدهُ بتدبير الكنيسة الكلدانية يوسف الثاني سنة ١٦٩٤ وكان من تلاميذهِ الفضلاء الغيورين . وُلد يوسف في قرية تلكيف بقرب الموصل سنة ١٦٦٧ من والدين كاثوليكيَّين . وكان ذا قريحة تلوح عليهِ امائر الفهم والذكاء . ولمَّا طرق مسامعهُ ما خُصَّ بهِ يوسف الاول من الفضل انطلق اليهِ وتتلمذ لهُ سنة ١٦٨٩ . ثم رأى مار يوسف نجاحهُ في العلم والفضيلة فرسمهُ كاهنًا ثمَّ رقَّاهُ الى الدرجة الاسقفيَّة (٤ . ولمَّا

١٦٩٩ . ولهُ مآثر جليلة مشكورة ساعد بها الكنائس الكاثوليكية في المشرق لاسيما الموارنة والسريان والكلدان (المشرق)

١) قال القس بطرس نصري : واقام مار يوسف الاول اساقفة على ماردين وسعرت ونواحيهما وشاع صيتهُ الى جهات الموصل وبغداد وقصدهُ اشخاص كثيرون من الافاضل ليستشيروهُ ويقتبسوا من كنز فضائلهِ واشهرهم صليبا الشمَّاس التلكيفي الذي خلفهُ باسم يوسف الثاني

٢) ورواية القس بطرس نصري : « انهُ لمَّا أُصيب بالرمد قصد رومية سنة ١٦٩٤ فشفي باعجوبة بشفاعة العذراء مريم ثم استقال من منصبهِ سنة ١٦٩٥ »

٣) ودفن في مصلَّى مدرسة مجمع انتشار الايمان (ب . ن .)

٤) قال القس بطرس نصري : سامهُ اوَّلًا كاهنًا وسمَّاهُ يوسف باسمهِ ثمَّ رقَّاهُ الى درجة الاسقفية وجعلهُ نائبًا لهُ في آمد (ديار بكر) ولم يكن يومئذٍ في آمد طائفة كاثوليكية معروفة رسميًا

الكاثوليكية المزروع في آثور اخذ ينبت بنوع عجيب الى ان صار دوحة كبيرة

٦

وفي تلك الاثناء كان ايليّا العاشر صاحب الكرسي البطريركي النسطوري مقيمًا في القوش. فلمّا رأى ان عدد الكلدان الكاثوليك لا يزال في ازدياد في الموصل وقراها وانّ جميع الكلدان الذين في بغداد وكركوك كانوا قد اعتنقوا الكثلكة عوّل على نبذ الشيعة النسطوريّة فاذعن الى الحقّ واحبّهُ واتحد مع الكرسي الرسولي (١ ودبّر الكلدان

(او يوحنّان) هرمز نائبًا على البطريركية الآمديّة استنادًا على كونهِ مدبّرًا للبطريركية البابلية الشاملة منذ قديم الزمان كل الجهات التي كان يسكن فيها الكلدان. الّا انهُ كثرت بعد ذلك الشكايات على يوحنا هرمز فارتاب المجمع المقدس في اهليّتهِ للبطريركية وامر ان يُسام اوغسطين هندي ابن اخي يوسف الرابع وتلميذ مجمع انتشار الايمان مطرانًا على آمد ومدبّرًا لبطريركيتها فشقّ ذلك على يوحنّا هرمز واساء التدبير حتى ابطلهُ الكرسي الرسولي واقام اوغسطين هندي نائبًا رسوليًا على البطريركية البابلية ايضًا. فاشتدّ النزاع بين اوغسطين هندي ويوحنّا هرمز. وكان اوغسطين هندي ينكل بخصمهِ ويزيد في الشكايات عليهِ ليتسنّى لهُ الارتقاء الى السدّة البطريركية وهو يتوق اليها بل شرع يسمي نفسهُ في عنواناتهِ الرسميّة بطريركًا بلقب يوسف الخامس. فشعر الكرسي الرسولي بسوء غايات اوغسطين وارتاب في صحّة شكاياتهِ ولذلك ارسل السيد اسكندر بطرس كوبري مطران بغداد اللاتيني كقاصد رسولي الى الموصل لبتّ المشكل. فلمّا اطّلع على سلامة سريرة مار يوحنّا هرمز حلّهُ من التبطيل واعادهُ الى رتبتهِ الاولى والغى نيابة اوغسطين هندي على البطريركيّتين الآمديّة والبابلية. فصار يُعتبر بمثابة مطران على آمد فقط الى وفاتهِ سنة ١٨٢٧. الّا انّ الاختلاف لم ينحسم بذلك بل انقسم الشعب الى حزبين كاثوليكيين يوحنّاني ويوسفيّ. ومن اقوى الوسائط التي كان اخصام يوحنّا هرمز اتخذوها لتوقيف نجاحهِ لمّا رأوا ميل السيد كوبري الى حمايتهِ أنّهم قدّموا لاوغسطين هندي خمسة من الرهبان ساهم اساقفة ليقوى بذلك حزبهُ. وكان من جماعتهم يوسف اودو الذي أُقيم اسقفًا على نينوى. ولم تهدأ هذه النزاعات الى ان سعى السيد كوبري المشار اليهِ بترقية يوحنّا هرمز الى المنصب البطريركي وتسليم ابرشيّة العماديّة الى يوسف اودو»

١) قال القس بطرس نصري في ترجمة اليّا العاشر وايليّا الحادي عشر: «لمّا تبوّأ اليّا العاشر الكرسي البطريركي النسطوريّ كانت الهداية الى الكثلكة على قدم النجاح. وكان ناطور الكرسي يشوعياب ابن اخي ايليا العاشر وهو الذي خلف عمّهُ باسم ايليا الحادي عشر سنة ١٧٧٨. فيشوعياب المذكور رحل الى بغداد ليقدّم باسمهِ واسم عمّهِ صورة ايمانهِ الكاثوليكي الى السيد عمانوئيل مطران بغداد اللاتيني ويطلب منهُ الحلّة. فاقتبلهُ السيد المذكور بفرح وبشّر السدّة الرسولية بهذا الخبر الّا ان هذا الاتحاد لم يبقَ ثابتًا اقلّهُ نظرًا الى سلامة النيّة. وعليهِ فاذ رأى الكاثوليكيّون تقلّب رأي ايليّا العاشر وناطور كرسيهِ ايشوعياب اختاروا مار يوحنّا هرمز مطران الموصل واحد ابناء العائلة

الدومينيكيُّون الى الموصل (سنة ١٧٥٠) وانشأوا فيها رسالةً ثم فتحوا رسالة اخرى في العماديَّة. وكان دخولهم الى الموصل بهمَّة القس خدر الموصلي. فانَّ هذا الرجل الفاضل لمَّا رأى ان الكبوشيين أُمروا بمبارحة رسالة الموصل لم يزل يسعى لدى الكرسي الرسولي حتى عيَّن البابا الرهبان الدومينيكيين لهذه الرسالة بدلًا منهم (١

ثمَّ انَّ يوسف الثالث ذهب نحو سنة ١٧٤٠ الى رومية ليزور الاعتاب الرسولية. وكانت وفاتهُ في آمد في ١١ كانون الثاني سنة ١٧٥٧

وقام بعدهُ باعباء الرئاسة يوسف الرابع (٢. وثبَّتهُ البابا اقليميس الرابع عشر سنة ١٧٦٠ برسالة خصوصيَّة ودبَّر الطائفة الى سنة ١٧٨١

وخلَفهُ يوسف الخامس وكان صالحًا فاضلًا تقيًّا. وتوفي سنة ١٨٢٦ قبل ان ينال التثبيت من الكرسي الرسولي (٣. وكان في تلك الاثناء بذار التقرُّب الى الكنيسة

في بلاد الموصل التي كان اكثر النصارى فيها من النساطرة توفّي سنة **١٧٥٧** »

١) قال القسّ بطرس نصري: « واهتدى جمّ غفير من بلاد بابل والموصل بسعي رسالة الكبوشيين التي تأسَّست في الموصل سنة **١٦٣٦** ورسالة الكرمليين التي تأسَّست في البصرة وبغداد سنة **١٦٢٣**. ومن اشهر هؤلاء المهتدين القس دانيال بن ادم الالقوشي الذي هرب الى آمد خوفًا من اضطهاد ايليَّا التاسع وخلفهُ ابنـهُ حنًا حكيم الذي اشتهر في الطبّ والنفوذ لدى الحكّام والحاماة عن الكثلكة. ومنهم القس خدر ابن المقدسي هرمز الموصلي الذي استنار بقراءة كتاب المرآة الجلية لمار يوسف الثاني وشرع يعلّم مبادئ الدين الكاثوليكي لتلاميذ مدرستهِ وهرب الى رومية خوفًا من اغتيال ايليا العاشر وألَّف ثمَّت معجمـهُ العربي السرياني وقصائد عربية وسريانية في مدح العـذراء والكنيسة الرومانية. وهو الذي سعى لدى البابا بنديكتس الرابع عشر بتأسيس الرسالة الدومينيكية في الموصل سنة **١٧٥٠** وقد اتى هؤلاء المرسلون باثمار شهيَّة في هذه النواحي الاشوريَّة وكان الرهبان اولاً من الاقليم الايطالي ثمَّ صاروا تحت ادارة الاقليم الفرنسي في عصرنا نحو سنة **١٨٥٩**

٢) قال القسّ بطرس نصري: « وكان اسمهُ لعازر الهنـدي واصلهُ من امد وكان درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان وسامهُ سلفهُ مطرانًا (**١٧٥٧**) وجعلهُ نائبهُ بعد وفاة طيموثاوس. وفي سنة **١٧٦٣** سار الى القسطنطينية فنال فرمانًا من الباب العالي لترميم بيعة مار فثيون المتداعية الى الخراب ثمَّ عرَّج الى رومية واقام فيهـا ست سنوات وسعى في طبع القداس المنسوب الى الرسل وفصول العهد الجديد من الاناجيل والرسائل التي يتلوها السريان الشرقيون ايام الآحاد والاعياد. ولمَّا عاد مار يوسف الى امد ابتُلي بهموم وضيقات شتَّى وحصل لهُ نزاع طويل مع مار عمانوئيل مطران بغداد اللاتيني بسبب تداخلهِ في ادارة الكلدان الروحية. فاستقال من منصبهِ وقصد روميـة ثانية سنة **١٧٩٠** وكانت وفاتهُ فيها

٣) قال القس بطرس نصري: لمَّا استقال مار يوسف الرابع اقام الكرسي الرسولي مار يوحنَّا

وفي ايَّامهِ نجحت الطائفة كثيرًا وازداد عدد الكاثوليك في جميع الجهات. وهو الذي رجّع الى حضن الكنيسة الكاثوليكية جميع سكَّان شقلاوه وعينكاوه وارموطا وكويسنجاق (سنة ١٧٧٩). واهل منكيش وارادن في صبنا بقرب العمادية. وكابد من جرَّاء ذلك مشقات كثيرة وحُبس في العمادَّية ثلاثة اشهر ونصفًا

المارّ ذكرهُ. الَّا انَّ هذا السيد لم يشاهد اثمار مساعيهِ. فانهُ قضى نحبهُ بالطاعون في بغداد سنة ١٨٢٩. فرأى المجمع المقدس وجوب توقيف اعلان ذلك الامر خوفًا من انشاء قلاقل في وسط الطائفة مع عدم وجود نائب يُعتمد عليهِ بعد موت قاصده. وكان لهذا السيد كاتب اسرار يدعى القس لورنس تريوش (Trioche) وكان من مرسيلية. فهذا اذ عرف باحتياج المجمع المقدس الى رجل يقوم مقام السيد كوبري ليجري اوامرهُ قصد الارتقاء الى الدرجة التي كان حاصلًا عليها مولاهُ. فوجد ترويجًا لمقاصدهِ في القس نقولاوس زيو والقس كيوركيس دي نطالي الفارسيَّين تلميذي مجمع انتشار الايمان وسيلة الى بلوغ غايتهِ وسعى لدى مار يوحنَّان هرمزد بترقيتهما الى الدرجة الاسقفية. ولم يزل هذان يطنبان في مدح القس لورنس حتَّى اقتنع المجمع المقدس باهليَّتهِ. فصدر الحكم من لدن البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٤ شباط سنة ١٨٣٧ باقامة تريوش مطرانًا لاتينيًّا على بغداد وقاصدًا رسوليًّا على هذه النواحي المشرقية. وأُسيم في ١٥ اب من تلك السنة بوضع يدي صديقهِ المطران بطرس دي نطالي بموجب الطقس الكلداني. الَّا انَّ المجمع المقدس شرع بعد ذلك يتردَّد في خلوص الاجراءات التي اتى بها قاصدهُ تريوش. فانفذ شخصين من الرهبانية اليسوعية سنة ١٨٣٧ نفسها وهما الابوان منصور ريلّو وبولس ريكادونّا ليتجسَّسا حال الامور خفيةً. فلمَّا اطَّلع المجمع المشار اليهِ على حقيقة الحال استدعى السيد تريوش الى رومية ليُؤدّي حسابًا عن قصادتهِ الوجيزة واقام مقامهُ السيد فيلارديل قاصدًا وقتيًا على بلاد ما بين النهرين. واصدر قرارهُ الذي ايَّدهُ غريغوريوس السادس عشر الحبر الروماني في ١٦ ايلول سنة ١٨٤٨ في شان اقامة مار نقولاوس زيو معاونًا لمار يوحنَّان هرمزد مع حق الخلافة العتيدة في البطريركية. ووافق هذا القرار ان مار يوحنان البطريرك توفي في ١٢ اب من سنة ١٨٣٨ نفسها في بغداد. وبموت هذا البطريرك اندثرت النسطوريَّة في بلاد بابل واثور وانقرضت السلالة الابويَّة

وفي تلك الاثناء كان قد اهتدى جمٌّ وافر من نساطرة الابرشية العماديَّة المعدودة من الاقليم البهتاني بسعي القس كيوركيس يوقانا الالقوشي ولاسيما مار يوحنان هرمزد ورسالة الاباء الدومينيكيين التي كان يديرها الاب ايبولاو صولدين. ولمَّا تولى امرها مار يوسف اودو جاهد كثيرًا في هداية الضالين وكمَّل ما كان قد باشر بهِ المرسلون سلفاؤهُ. واخص المراكز التي اهتدت على يدهِ هي القرى الواقعة في ناحية المزرديَّة والشمكان ثمَّ القرى الكثيرة التابعة لقضاء العمادية ثم ناحيتا زاخو ودهوك والقرى الملحقة بقضاء العقر والزيبار وقرى دهوك المجاورة لدير مار هرمزد وكانت هذه المراكز كلها داخلة في ابرشية واحدة وهي العادية التي قُسمت بعد ذلك الى ثلث ابرشيات وهي العمادية وزاخو والعقر

الذين في الموصل ونواحيها الى سنة ١٧٧٨ التي فيها فشا الطاعون في هذه البلاد وفتك في اهلها فتكاً ذريعاً. ومات فيهِ ايليّا البطريرك ايضاً (١. قيل انَّهُ مات من رعيَّتهِ نحو ثمانمائة نفس في قرية القوش وحدها

ومن بعد وفاتهِ تنازع البطريركيَّة يشوعياب ويوحنّا هرمز. وكان كلاهما من اولاد اخوتهِ. امَّا المطران يشوعياب وكان الاكبر فكان قد اعتنق الديانة الكاثوليكيَّة في بغداد سنة ١٧٤٩ على يد المطران عمانوئيل القاصد الرسولي. الَّا انَّ كثيرين كانوا يرتابون في صدق ايمانهِ مع ما يظهرهُ من علائم الاتحاد مع الكرسي الرسولي لانهُ يُنقَل عنهُ انَّهُ كان تارةً يعتصم بالكنيسة الرومانيَّة وأُخرى يعود الى الضلال النسطوري. وامَّا يوحنّا هرمز فكان نبذ النسطوريَّة منذ حداثة سنهِ. وكان مطراناً على الموصل. ولم يثبّتهُ الكرسي الرسولي بطريركاً على الطائفة الَّا من بعد وفاة يشوعياب ويوسف الخامس فارسل لهُ بيوس الثامن درع الرئاسة سنة ١٨٣٠ (٢. وتوفي في بغداد في ١٦ آب سنة ١٨٣٨

الابويَّة البطريركية رئيساً عليهم. فجحد هذا النسطوريَّة واقتبل الحلَّة منها في ٢٠ نيسان سنة ١٧٧٨ ثاني يوم موت ايليَّا العاشر عمهِ. فصار هو وايليا الحادي عشر اللذان كانا من عمومة واحدة يتنازعان الرئاسة فحصل من ذلك حزبان قويَّان كلاهما كاثوليكي الاول حزب المحافظين دعوا بذلك لتمسكهم بالرسوم والعوائد الطقسية القديمة التي لا تنافي اصول الايمان وكان زعيمهُ آل بيت الصائغ والثاني حزب المتأصلين الذين كانوا يبتغون ادخال عوائد طقسية جديدة متَّخذة من اللاتين والموارنة وابطال الرسوم القديمة. وكان زعيمهُ آل بيت الحلبي. ومن هنا نجمت اكثر الاستحداثات التي أُدخلت في طقسنا الكلداني ثمَّ نُقّي منها بعد ذلك واعيد الى رونقهِ القديم. ولا جرم انَّ هذه الاستحداثات اوقفت يومئذٍ اتحاد النساطرة مع الكنيسة الكاثوليكية التي امرت على الدوام ولا تزال تأمر بالحفظ على الطقوس البيعيَّة الابويَّة الشريفة الآثار

هذا وان مار يوحنّا هرمز كان قد توفَّق الى الحصول على البراءة السلطانية وتثبيت الكرسي الرسولي الذي نصبهُ مطراناً على الموصل ونائباً على البطريركية البابلية وكان ذلك نحو سنة ١٧٨٢ بسعي الاب رافائيل رئيس الرسالة الدومينيكية في الموصل الذي عرف خلوص معتقد مار يوحنا هرمز واختبر سريرتهُ وهمَّتهُ في نجاح الكثلكة. فلما رأى ذلك ايليّا الحادي عشر نزع رسمياً الى النسطوريَّة وسعى لدى الحكَّام وولاة العماديَّة الاكراد خصوصاً بمار يوحنّا. وزادت الفتن والمشاحنات اذ ذلك في بلاد اشور الى ان توفّي ايليا البطريرك سنة ١٧٩٣

١) تولى ايليا العاشر كرسي البطاركة ٥٦ سنة (ب.ن)

٢) وبعد تلك الخطوب التي جرت بين الطائفة الكلدانية صدر امر بيوس الثامن الحبر الاعظم في ٥ تموز ١٨٣٠ بتقرير البطريركية البابلية في شخص مار يوحنّان بسعي السيد كوبري

انتقل الى الموصل.ولم يدبّر الكرسي سوى اربع سنين (١. فانّهُ تنازل عن حقوق البطريركية سنة ١٨٤٥. وذهب فقضى الأيّام الاخيرة من حياتهِ في خسراوه وطنهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥

وفي ٣٨ تموز سنة ١٨٤٧ وقع الاختيار القانونيّ على اسقف العماديّة يوسف اودو وثبّتهُ الكرسي الرسولي في ١١ ايلول سنه ١٨٤٨. وهو من تلاميذ الاب جبرائيل كما سبق القول. وكان فاضلًا تقيًا يحيي الليالي بالصلاة والعبادة قد حنّكتهُ الايام فصبر على بلايا الدهر. وحُبس في زمان اسقفيّتهِ وعُذّب مرارًا عديدة. وفي السنين الاخيرة من عمرهِ صار انشقاق في الطائفة من جرّاء المسألة الملباريّة. فخلع البعض نير الطاعة وانضمّ اليهم بعض المطارنة والكهنة والرهبان. فاستفحل الامر وانتشر الشغب اكثر ما يكون في الابرشيّة البطريركية

ومن مساعيهِ المشكورة انهُ عقد مجمعًا لطائفتهِ فيهِ رُسمت بعض القوانين. وبهمّتهِ بنى الاب اليشاع احد خلفاء الاب جبرائيل في لحف الجبل المبني عليهِ دير الربّان هرمزد ديرًا آخر سماهُ دير السيدة (سنة ١٨٥٨) وهو الان مشحون بالرهبان الفاضلين

ومن اعمالهِ الخطيرة انهُ بمساعدة الشماس رافائيل بطرس مازجي الآمدي الكلداني انشأ مدرسة اكليريكيّة في الموصل واهتمّ بنجاحها. وارسل بعض التلامذة الى مدرسة البروبغندة ومدرسة الاباء اليسوعيين في غزير ليتخرّجوا بالعلوم الدينيّة والدنيويّة اشتهر

---

١) وكان السيد فيلارديل المشار اليهِ قد اتى الموصل فرأى مار نقولاوس ان يُجري باطلاع هذا الزائر الرسولي بعض التدابير اللازمة لترتيب الابرشيات والرهبانية الهرمزدية والصلوات الفرضية والاصوام وغير ذلك من العوائد الطقسية ثم قصد القسطنطينية ونال فرمانًا بلقب بطريرك كلداني. لان كل البطاركة السابقين لهُ حتّى المتكثلكين منذ عهد مار يوسف الاول كانوا يُعرفون بلقب فطاركة النساطرة تبعًا للقاعدة التي كانت معروفة في قيود دار السعادة الرسميّة. ولمّا عاد الى الموصل بنى دارًا بطريركية ورمّم جانبًا من دير مار كيوركيس المعروف ببعويرا
وفي ايّامهِ نُهب دير مار هرمزد بكلّ ما كان فيهِ وأُسر الرهبان وحُبسوا فمات كثيرون منهم في اشدّ العذابات نخصُّ منهم القس حنا رئيسهم. وامتدت هذه النائبة الى القوش وكان ذلك سنة ١٨٤١. وفي السنة التابعة المّت بالنساطرة داهية دهياء لمّا دخل العدوّ بلاد التياريّة ونهب وسبى واعمل فيهم السيف ففرّ مار شمعون بطريرك النساطرة الى الموصل فاخذ بناصرهِ المستر رسّام (ب. ن.)

وفي ايامهِ عمَّر الاب جبرائيل دمبو دير ربَّان هرمز بقرب القوش. وكان مسقط رأسهِ ماردين وهو من تجَّارها المعتبرين المشهورين. وكان على جانب عظيم من التقوى وصلاح السيرة. فاتى القوش سنة ١٨٠٨ بغيــة ان يسكن دير الربَّان هرمز فيتفرَّغ فيهِ للعيشة النسكية. واصابتهُ محن وبلايا كثيرة قبل ان يسكنهُ. لكنَّهُ انتصر اخيرًا على اعدائهِ بثقتهِ بالله فتمكَّن من السكنى فيهِ. وفي مدَّة يسيرة صار ابًا لاولاد كثيرين كانوا يعيشون معهُ عيشة النسَّاك متتبعــين قوانين القديس انطونيوس الكبير. وجبرهُ اولادهُ على ان يتقلد الدرجة الكهنوتيَّة. فترقى اليها سنة ١٨١١ وقد جازاهُ الله على اعمالهِ اذ انَّهُ في حياتهِ شاهد بعضًا من اولادهِ مرتقين الى الدرجة الاسقفية مثل يوسف اودو اسقف العماديَّة الذي جلس فيما بعد على المنصَّة البطريركية ولورنسيوس شوعا مطران كركوك وغيرهما»

ثمَّ انَّ الاب جبرائيل رحل الى رومية لزيارة نائب المسيح فطلب من الاب الاقدس تثبيت رهبانيَّتهِ فثبَّتها البابا غريغوريوس السادس عشر بسلطانهِ. ولمَّا قفل الاب جبرائيل راجعًا الى الشرق اثابهُ الله باكليل الاستشهاد سنة ١٨٣٢ على يد عساكر محمَّــد باشا الراوندزي الكرديّ الذي كان رفع لواء العصيان على الدولة العليَّة وأخرب ضيعًا كثيرة ونهب دير الربَّان هرمزد (١

٧

ولمَّا مات يوحنَّا هرمز بطلت بموتهِ تلك السنَّة الوخيمة التي كان شمعون بطريرك النساطرة قد سنَّها كما مرَّ القول منــذ سنة ١٤٥٠ ان لا يقوم بطريرك الَّا من عائلتهِ وقام بتدبير الكنيسة الكلدانية بعد يوحنَّا هرمز نيقولاوس زيَّا. وكان مطرانًا على سلماس في بلاد فارس وهو من تلاميذ مدرسة انتشار الايمان المقدَّس. وثبَّتهُ البــابا غريغوريوس السادس عشر سنــة ١٨٤٠ (٢. وجلس في اول الامر في خسراوه. ثمَّ

١) وفي هذه الاثناء اصاب الرهبانية الهرمزدية نوائب كثيرة منها ان موسى باشا الاكراد هجم على دير مار هرمزد سنة ١٨٣١ وطرد الرهبان من الدير واستولى على امتعتهِ كلها. وفي السنة التابعــة عاد الاكراد ثانيةً فســار رسول بك الببويّ امير راوندوز بعسكرهِ الجرَّار الى جبال العادية وفتحها وفتك بها ثم زحف الى القوش ونهبها وسباها وقتل منها خلقًا كثيرًا بحــدّ السيف لاعترافهم بالايمان. وكان منهم القس جبرائيل رئيس الدير وخسر الدير في هذه المعمعــة اموالًا وافرة

٢) في ٢٧ نيسان ١٨٣٩ (ب. ن.)



منهم في خدمة كنيستهم اساقفة وكهنة غيورون. ومن جملتهم غبطة السيد عمانوئيل يوسف توما بطريركنا الجديد (١

ولمَّا توفي يوسف اودو سنة ١٨٧٨ اجتمع الاساقفة في دير السيدة تحت رئاسة الطيّب الذكر القاصد الرسولي السيد لويس ليون رئيس اساقفة دمياط وانتخبوا في ٢٦ تموز سنة ١٨٧٨ بطرس عبو اليونان مطران الجزيرة ودُعي ايليا الثاني عشر. وكان غاية في اللطف والوداعة. ولمَّا كان الشقاق لم يزل ضاربًا اطنابهُ في الموصل ونواحيها. توفَّق بحسن تدبيرهِ فاهمد نارهُ تمامًا والقى السلام التام في طائفتهِ سنة ١٨٨٩

وبهمَّتهِ فُتحت المدرسة الاكليريكيَّة البطريركية بعد ان أُغلقت بسبب الشقاق ووسَّع ابنيتها القديمة. ومن هذه المدرسة خرج ولا يزال يخرج كهنة افاضل اشتهر منهم في خدمة الكنيسة اسقفان. واوَّل من ترأَّس عليها بعد فتحها غبطة البطريرك الحالي السيد عمانوئيل (٢. وتوفي البطريرك ايليا عبو اليونان في الموصل في ٢٧ حزيران سنة ١٨٩٤

---

١) قال القس بطرس نصري: « وادَّعى مار يوسف ببلاد ملبار بما انها كانت تحت حوزة البطريركية البابلية منذ قديم الزمان وانفذ اليها المطران توما روكس الَّا انهُ استدعاهُ بعد ذلك مطاوعةً لامر الكرسي الرسولي. وكان الكرسي الرسولي قد ابرم لخير الطائفة الكلدانية وتهذيبها بعض القوانين المتضمنة في البراءة التي بدؤها Cum ecclesiastica disciplina. فاظهر مار يوسف نفسهُ مستعدًّا لامتثال اوامره. الَّا انهُ بعد خروجهِ من المجمع الواتيكاني سنة **١٨٧٠** ومشاهدتهِ الشقاق والفتن والقلاقل التي نشأَت بين الطائفة الارمنية بسبب المنشور البابوي الذي اوَّلهُ Reversurus وكان الحبر الاعظم رسم فيهِ قوانين شتَّى تهذيبية للطائفة المشار اليها كما رسم للكلدان تردَّد في قبول تلك القوانين واسام خلافًا لها اربعة اساقفة وانفذ الى ملبار السيد ايليا ملُّوس. وبعد نزاعات ومعالجات طويلة اذعن مار يوسف قبل موتهِ الى مراسيم السدَّة الرسولية واظهر ادلَّة صادقة بتمسكهِ بعروة التعلُّق برئيس الاحبار. وقضى نحبهُ في **١٤** آذار سنة **١٨٧٨** بعد ان دبَّر كرسيهُ تسعًا وعشرين سنة ونصفًا ودُفن في دير السيدة بقرب القوش

٢) وزاد القس بطرس نصري على هذه الافادات ما يلي: وُلد البطرك ايليا عبو اليونان في الموصل سنة **١٨٣٩** ورقي الى درجة الكهنوت سنة **١٨٦٤** ثمَّ الى اسقفية الجزيرة في **٢١** ايَّار سنة **١٨٧٥**. ونال التثبيت من لدن السدَّة الرسولية والبراءة السلطانية في السنة التابعة. ولم يزل يسعى في جمع قلوب المشاقين المنفصلين في عهد مار يوسف اودو حتى تمَّ الصلح في بدء حزيران سنة **١٨٨٩**. وفي ايَّام مار ايليا طبع طقس الصلوات الفرضية الملقَّب بالحوذرا او الدائرة بسعي الاب بدجان اللعازاري الخوسراوي الكلداني الاصل. ومن مآثرهِ انهُ رمَّم كنيسة مار ابراهام المادي

وفي تلك السنة عينهـا اجتمع الاساقفة في دير السيدة تحت رئاسة السيد ألتماير القاصد الرسولي ومطران بغداد. فانتخبوا السيد عبد يشوع خيَّاط رئيس اساقفة آمد في ٢٨ تشرين الثاني. وثبَّتهُ الكرسي الرسولي في ٢٨ آذار سنة ١٨٩٥. وكان نابغـة في العلوم غيورًا على الدين بارعًا في فنّ الخطابة والكتابة مقتدرًا على اقناع العقول واستمالة القلوب. وانشأ عدَّة كتب غايةً في البلاغة وقوَّة الحجَّة. توفي رحمـهُ الله واجزل ثوابهُ في ٦ تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ (١. وقد سدَّ الله برحمتـهِ الغير المتناهية هذه الثلمة في الطائفة الكلدانيَّة بانتخـاب غبطة السيد عمانوئيل يوسف توما بطريركًا عليها في ٩ تموز سنة ١٩٠٠

القريبة من قرية باطنايا اللاحقة بالموصل. وسعى باهتداء النساطرة المتَّفقين جنسًا ولغة ووطنًا مع الكلدان. واقنع رئيسهم مار شمعون ولكن حال الامر دون المرام. ثم رحل سنة ١٨٨٩ الى دار السعادة والى مركز الكثلكة لتدبير بعض شؤون طائفتهِ. وفي عودهِ وضع الحجر الاول لكنيسة الكلدان في القاهرة سنة ١٨٩١. ورتَّب الدار البطريركية في الموصل ونظمها وبنى فيها الديوان الكبير الذي فيه الطغراء التي انعمت عليهِ بها الحضرة الشاهانية سنة ١٨٧٨. واجرى بعض الاصلاحات في دار بيعة حلب الكلدانية الواقعة في محلَّة العزيزية. واسام اساقفة كثيرين للابرشيات المترمّلة. وبعد ان دبّر كرسيهُ ست عشرة سنةً توفي في نصف ليلة الاربعـاء الواقع في ٢٧ حزيران سنة ١٨٩٤ على اثر حمَّى تيفوديَّة ودُفن في كنيسة القديسة مسكنتة الكاتدرائية بالموصل

١) قال القس بطرس نصري في ترجمتهِ: انهُ ولد في الموصل سنة ١٨٢٨ ودرس العـلوم الفلسفية واللاهوتية في رومية وحاز فيها قصب السبق على اقرانهِ وصار كاهنًا بوضع ايدي مار يوسف اودو في ٢٣ ايلول سنة ١٨٦٠. ثمَّ أُقيم نائبًا عنهُ في الموصل. ونشر كتبًا لخير بني طائفتهِ في مطبعة الشماس رافائيل التي نصبها في الموصل. وفي زمان المجمع الواتيكاني الَّف كتابًا في اللاتينيَّة بيّن فيهِ مقر آثار البيعة السريانية المشرقية وصلواتها وآبائها العقيدة التي اثبتها المجمع الواتيكاني بشان عصمة الحبر الروماني. ثم عيّن مدبّرًا لكرسي آمد وأُيّد عليهِ في ٢٦ تموز سنة ١٨٧٨. وفي ١٨ تشرين الاول سنة ١٨٩٤ أُختير بطريركًا في دير السيدة الواقع بقرب القوش. ونال البراءة السلطانية والتثبيت الرسولي في السنة التابعة. وامتاز بتواضعهِ وعلمهِ وحلمهِ ووجاهتهِ لدى ارباب الحكومة. وقصد سنة ١٨٩٧ بغداد وكرَّس بيعة بني طائفتـهِ الجديدة وعاونهم بمبلغ معتبر. وكان يمكنهُ ان يأتي بخـير اعظم لبني طائفتـهِ لو امدَّ الله في اجـلهِ. لأنَّهُ في السنـة الاخيرة من حيـاتهِ باشر باشتراء محالّ كثيرة ليجعلها بيعًا ومصلَّيات في المدن المعتـبرة المنتشرة فيها بنو طائفتهِ. الَّا ان المنيَّة لم تدعهُ ان يتمّم مقاصدهُ. فانَّهُ بعـد ان قضى من عمرهِ احدى وسبعين سنة توفي في بغداد سنة ١٨٩٩ يوم الاثنـين الواقع في ٦ تشرين الثاني. فاقام الكرسي الرسولي نائبًا رسوليًا في ابّان فراغ الكرسي البطريركي مار يوسف ايليا خياط الجزيل الاحترام



غبطة السيد الجليل يوسف عمانوئيل الثاني

بطريرك بابل على الكلدان الكلي الطوبى

في اصل اللغة القبطية وتاريخها

نبذة للاب الكسيس مالون اليسوعي

اعلم حفظك الله ان اللغة القبطيَّة هي اللغة الكنسيَّة التي يستعملها الاقباط في طقوس بيعتهم ومناسكهم الدينيَّة وقد كانت هذه اللغة الشريفة في سالف الاعصار لسانًا يتداولهُ جمهور الشعب حتى شاعت في مصر اللغة اليونانيَّة زمنًا طويلًا وعقبتها العربية بعد ذلك فأَجهزت على اللغة القبطيَّة ودحرت ما سلم من بقاياها ضمن كنائس الاقباط بل قُل انَّ العربية تعقَّبت آثار القبطيَّة في نفس الكنائس فقامت مقامها في اكثر الصلوات التي نُقلت من القبطيَّة الى العربية ليتمكَّن السامعون من فهم معانيها والتقاط دررها النفيسة اللهم الَّا بعض القطع بقيت في اللغة الاصلية ينشدها الكهنة والشمامسة ولا يدرك معانيها الَّا القليلون

١ في اصل اللغة القبطية

اللغة القبطية بنت اللغة المصريَّة القديمة التي كان يلهج بها في غابر الزمان سكَّان منف وثيبة وبقيَّة انحاء مصر بل لا نكابر الحقَّ اذا قلنا انَّ كلتيهما لغةٌ واحدة وانَّما طرأَت على لهجة قدماء المصريين طوارئ الحدثان ولعبت في تراكيبها ايدي الزمان فكان من امرها ما كان وخلفتها اللغة القبطية كفرع نما من دوحتها فصار من بعدها باسق الاغصان ولنا في ذلك مثال نراهُ في لغة اليونان التي قام بدلًا منها لغة حديثة مشتقَّة من لغة الروم الاقدمين فصار لها اليوم التقدُّم بعد ان أُهملت الاولى في زوايا النسيان

وقولنا هذا اصبح اليوم امرًا راهنًا لدى كل علماء العاديَّات المصريَّة الذين يجدون بين اللغتين بعد المقابلة شبهًا واضحًا لا يمكن انكارهُ بعد ان كشف العلَّامة شمپوليون سرَّ الكتابة الهيروغليفيَّة وحلَّ غامض رموزها . بل كانت عقول العلماء قد تنبَّهت لهذا الامر الخطير قبل هذا العهد.واستدلُّوا عليهِ بادلَّة لامعة ارشدتهم الى الحكم الصواب.منها ما ثبت لهم انَّ تلك اللغة القبطيَّة التي بطل اليوم استعمالها كانت ولا شك زاهرةً زاهية في قديم الزمان ينطق بها اجداد الاقباط المحدثين الذين حفظوا الى يومنا آثارها ولولا ان اسلافهم قبل الاسلام استعملوا هذه اللغة لما توارثوها عنهم . هذا ومن

ولد غبطتهُ في القوش سنة ١٨٥٢ ودُعي اسمهُ يوسف. وفي السنة السابعة عشرة من عمرهِ سار مع مار يوسف اودو السعيد الذكر اذ كان قاصدًا رومية لحضور المجمع الواتيكاني فوضعهُ في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير سنة ١٨٦٩ وبقي هناك مدة عشر سنوات. ثمَّ عاد الى الموصل فرسمهُ مار ايليا عبو اليونان السعيد الذكر كاهنًا ثم سامهُ خوريًا واتخذهُ كاتبًا لاسرارهِ واستصحبهُ في الاسفار التي باشرها سنة ١٨٨٩ الى اوربة فزارا رومية والاستانة. ولمَّا عاد الخوري يوسف الى الموصل أُسيم مطرانًا في ٢٤ تموز سنة ١٨٩٢ وسُمي مار عمانوئيل

وكان انتخابهُ الى السدة البطريركية في اليوم التاسع من شهر تموز سنة ١٩٠٠ وجرت رسامتهُ في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٠

والكلدان الكاثوليك الخاضعون لبطاركة بابل ينيفون اليوم على ثمانين الفًا لهم كرسيَّان للبطريرك واحد في الموصل والآخر في بغداد. وللبطريرك ثماني نيابات في البصرة وحلب ودمشق واورفة واطنه وبيروت ومصر وطهران. وثلاثة رؤساء اساقفة كراسيهم في دياربكر وكركوك واورمية (في بلاد العجم) وستَّة اساقفة يقطنون في الجزيرة وسعرت وماردين وزاخو والعمادية وعقرا. واسقفان يسكنان في سلماس وسنا في بلاد العجم

وممَّا يقوي آمال الكلدان ان يحصلوا على الرونق القديم الذي كان عليهِ اجدادهم في سالف الازمان انهم يجدون في اخوانهم النساطرة تقرُّبًا الى الاتحاد معهم. ففي هذه السنين اخذوا يوجّهون انظارهم الى كنيسة رومة مركز الايمان الحقيقيّ. ودخل منهم في حظيرتها سنة ١٨٩٨ نحو خمسين الفًا. وان الذين يسعون بلا ملل وراء هذه الغاية الحميدة حضرة الآباء الدومينيكيين في مار يعقوب وسعرت ووان. وحضرة الآباء اللعازريين في اورمية وخسراوه في بلاد الفرس. وكثير من رهباننا الفاضلين الغيورين في دزاكاور وباز وجولامرك. فنطلب الى إله آبائنا ان يحقّق سريعًا آمالنا فيكلّل اتعاب هؤلاء المرسلين بالظفر والانتصار والمجد والفخار فيزيل عنَّا الانفصال المشؤوم ويرجّع اخوتنا المنفصلين الى الأُمّ الحنون الرؤوم. فيعيد طائفتنا الى بهائها القديم المعلوم. وهو رؤوف كريم رحوم. لا يردّ طلبة القلب المكسور المكلوم



الاعداد		صورتها في القبطيَّة	لفظها	لفظها في المصريَّة القديمة
واحد	1	ⲟⲩⲁⲓ	واي ouai	وا uâ
اثنان	2	ⲥⲛⲁⲩ	سْناو snaou	سان sen
ثلاثة	3	ϣⲟⲙⲧ	شُمْتْ chomt	شِمِتْ chemet
اربعة	4	ϥⲧⲟⲟⲩ	فْتُوُو ftoou	فْتُو ftu
خمسة	5	ϯⲟⲩ	تِيُو tiou	تُوَا tua
ستَّة	6	ⲥⲟⲟⲩ	سُوُو soou	ساس sas
سبعة	7	ϣⲁϣϥ	شَشْف chachf	سِشِف sechef
ثمانية	8	ϣⲙⲏⲛ	شِمِنْ chemen	شِمِنُو chemenu
تسعة	9	ⲯⲓⲧ	پْسِتْ psit	پْسِتْ psṭ
عشرة	10	ⲙⲉⲧ	مِتْ met	مِثْ met'
عشرون	20	ϫⲱⲧ	دْجُوت djot	طِتْ t'et
ثلاثون	30	ⲙⲁⲡ	ماپْ map	ماب mâb
مئة	100	ϣⲉ	شِي ché	سْوا sua
الف	1000	ϣⲟ	شو cho	شا cha

و بوسعنا ان نعدّد الامثال لبيان ما قلناه نحو « سِن » اخ (فهو بالقبطية ⲥⲟⲛ سون) « رين » نحن (ⲣⲁⲛ ران) « ناب » كلّ (ⲛⲓⲃⲉⲛ نيڤن) « را » شمس (ⲣⲏ ري).
وفي ما ذكرنا كفاية ليعرف القارئ انَّ القبطية هي اللغة المصريَّة لا تختلف عنها الَّا بصورة حروف الهجاء مع بعض اعراض خفيفة طرأَت على لفظها لكثرة التداول بها

وزد على ما قدَّمنـــا انَّ اسم « القبط » ذاتهُ مشتقّ من اللغة المصريَّة و يراد بهِ « المصري » فانَّ اصلهُ « ها كا فتاح » اي معبد الاله فتاح وكان هـــذا الاسم يطلق عند القدماء على مدينة منف لاختصاصهـــا بالاله فتاح. فلمَّا ملك اليونان القطر المصري دعوا سكَّانهُ المصريين باسم عاصمتهم السابقة ونسبوهم اليهـــا فاشتقوا الاسم اليوناني (Αἰγύπτιοι) من « ها كا فتاح » بقلب الفاء اللينة « π باء » لوقوعها قبـــل حرف « τ ت » الشديد وفقاً لقوانين اللغة اليونانية. ثمَّ صار الامر الى العرب فدعوا المصريين قبطاً وقد نقلوا هذا الاسم عن اليونانية بحذف اوَّلهِ

المقرَّر الثابت انَّ الاقباط من نسل قدماء المصريين الذين غلبهم الاسكندر وملك عليهم البطالسة ثمَّ الرومان ثمَّ العرب. فمن البديه اذن ان لغتهم هي نفس لغة اجدادهم الاوَّلين

وزد على هذا البرهان حجّة اخرى وهي التآليف القبطية العديدة التي وقف عليها العلماء في اديرة الصعيد. فوجود هذه المصنَّفات التي يرتقي عهد بعضها الى قرون النصرانية الاولى ينبئ بشيوع اللغة القبطية في مصر بين العامَّة امَّا في زمن تصنيف هذه الكتب او قلَّ ما يكون قبل ذلك العهد بزمن قليل لانَّ كثرة الكتَّاب شاهد صادق على ادراك القرَّاء لما يكتبونهُ ولولا انَّ الشعب يفهم اللغة القبطية لما وضع الكتبة التآليف فيها

وممَّا حمل العلماء على الحكم باشتقاق اللغة القبطية من المصريَّة انَّ احد جهابذة العلماء المستشرق الشهير جَبلونسكي عثر في اثناء مطالعاتهِ تآليف قدماء اليونان على عدَّة الفاظ مصريَّة دوَّنها المؤلفون على لفظها الاصلي فخطر على بالهِ ان يقابلها بما يطابق معناها من الالفاظ القبطية المعروفة الى اليوم فوجد انَّ بينهما من المناسبة ما لم يمكن وقوعهُ الَّا بين لغتين متشابهتين شبه التمرة بالتمرة

ومذ ذاك الحين اخذ العلماء اللغةَ القبطية كوسيلة يأملون الحصول بها على ادراك الخطّ الهيروغليفي واسرارهِ الدفينة. والحقّ يقال انَّ العلامة شمپوليون لم يتمكَّن من قراءة الكتابة المصريَّة الاولى الَّا بالاستعانة باللغة القبطيَّة وذلك انَّهُ لمَّا حاول شرح مضمون الكتابة الشهيرة المنقوشة على حجر رشيد ذات الخطَّين اليوناني والمصري عمد الى احد علماء اللغة القبطية فطلب منهُ ان يترجم لهُ بالقبطية ما كان مرقوماً باليونانيَّة. ثمَّ توصَّل الى ان وقف على حروف اسمي بطلميوس وقلاوفطرا. ثم استعان بما اكتشفهُ من الحروف على المقابلة بين الالفاظ القبطيَّة المترجمة والرسوم المنقوشة على الحجر ولم يزل يكدّ ويسعى بثباتٍ عجيب وذكاء غريب حتى بلغ من تمييز حروف الهجاء وانفكَّت رموز ذلك القلم الذي لقَّبهُ العرب بالقلم المجهول. ومذ ذاك الوقت لاح كضوء النهار ما بين اللغة القبطية ولغة قدماء المصريين من الشبه بل من التواطؤ والوحدة. وقد اجمع العلماء على انَّ اغلب الالفاظ القديمة بقيت في لغة الاقباط المحدثين على لفظها السابق وقد طرأ على بعضها من التغيير الطفيف ما لا يصعب جبرُ صدعهِ وشفاء سقمهِ. وهذا مثال نثبتهُ هنا وهو يتضمَّن اسماء الاعداد :

السابقة واستعملوها في المكاتبات اليومية لاسيا في امور الدين ومقامات القضاء وكانوا يكتبونها على البردي او البابير (papyrus)

والثالثة هي الكتابة الديموتية اي العاديّة وهي العامّة الشائعة بين الجمهور

فلمّا افتتح الاسكندر القطر المصري وشيّد مدينة الاسكندريّة وصار الامر من بعدهِ الى البطالسة اليونان اخذ العلم ينمو ويزهر في ارض الفراعنة لاسيما مصر السفلى حيث قام جمٌّ غفير من ارباب العلوم وائمّة الآداب حتى انتشرت فيها اللغة اليونانية انتشارًا عجيبًا. امّا اهل مصر العليا والوسطى فانهم لم يزالوا محافظين على لغة اجدادهم يودعون كنوزها بطون الصحف او يرسمونها على المباني. وبقيت هذه الحال على عهد الرومان دون تغيير يُذكر

وفي تلك الاثناء سطعت انوار الدين المسيحي على العالم باجمعهِ ودخل القديس مرقس تلميذ بطرس هامة الرسل الاقطار المصريّة فبشّر فيها بايمان المسيح وردّ كثيرين عن طريق الشرك والوثنية فما مضى على النصرانية مئة سنة حتى دان بها قومٌ لا يضمّهُ احصاء واتسع نطاقها الى ان بلغت اقصى بلاد الصعيد فنبذ الاقباط اضاليل اجدادهم وسجدوا للاله الحقّ. ولمّا كانت لغة رُسلهم ومبشريهم هي اليونانية في الغالب اتخذ المتنصرون من الاقباط الحروف اليونانية فاستبدلوا ضروب خطوطهم الثلاثة بهذه الكتابة ودوّنوا بها لغتهم القديمة مع حرصهم على اصولها

واخصّ الاسباب التي حملت المصريين بعد تنصُّرهم على نفي الكتابة القديمة ما كانوا يعهدونهُ في كتاباتهم من الاشارات الدينية والرموز الوثنية الخفية فاستنكفوا بعد رجوعهم الى الحقّ من استعمال كتابةٍ كانوا يستشفُّون من ورائها خرافات الوثنية. كيف لا وكثير من صور هذه الكتابة القديمة كانت تمثِل معبودات المصريين وكل آيات دينهم الباطل

ووجد النصارى لنبذ كتابتهم السابقة داعيًا آخر حدا بهم الى اتخاذ الحروف اليونانية وذلك انّ الكتابة العامّة المستعملة بينهم كانت كثيرة الالتباس عديدة العلامات فلمّا رأوا ما في الكتابة اليونانية من المسهِّلات وقرب المأخذ عمدوا الى حروفها واهملوا كتابتهم فما لبث مواطنوهم ان فقهوا هذه الكتابة وتعلّمها صغارهم اللهمَّ الّا من بقي منهم في الوثنية. ولعلَّ المتوثنين ايضًا وافقوا النصارى على ذلك رغبةً منهم الى تقريب

ولكن لا يتوهَّمنَّ القارئ انَّ الاقباط نقلوا الينا لغة آبائهم بتمامها . لاسيما ان للُّغة القبطية ثلاثة فروع تجد في الواحد منها الفاظاً لا تجدهُ في الآخر

واوَّل هذه الفروع المذكورة الفرع المنفي (dialecte memphitique) دُعيت بذلك لانها شاعت في منف وجهات مصر السُّفلى . وهي تُعرف ايضاً باللغة البحيريَّة نسبةً الى اقليم البحيرة . وفي هذه اللغة عدَّة الفاظ دخيلة اصلها من اليونانية تغلَّبت عليها لكثرة المعاملات التي دارت بين الاقباط والروم في هذه الناحية

واللغة الثانية هي اللغة الصعيديَّة (d. sahidique) وكانت اسواقها نافقة في جهات الصعيد لاسيا في مدينة ثيبة (الاقصر) . والالفاظ اليونانيَّة فيها نادرة

امَّا اللغة الثالثة وهي البشموريَّة (d. bashmourique) فكان المتكلّمون بها اهل الفيوم والمجاورون لبحيرة منزلة . وقد اندثرت رسومها نحو الجيل العاشر وآثارها اليوم قليلة

ففي هذه اللغات الثلاث قد بلغتنا اللغة المصريَّة القديمة . وليست المخطوطات التي وقف عليها العلماء في عصرنا سوى امثلةٍ تصوّر لنا لهجة قدماء المصريين على حسب ما كانت دارجةً في جهات مصر المختلفة الَّا انها كُتبت بحروفٍ حديثة غير الحروف الهيروغليفيَّة

على أنَّنا لا نريد ان يستنتج القارئ مما سبق لنا قولهُ انَّ اللغةُ القبطية وفروعها الثلاثة تشتمل على كلّ الالفاظ القديمة . فانَّ هذا مستحيل لاسيَّما أنَّنا نعلم ان الاقباط بعد نبذهم عبادة الاوثان وتديّنهم بالنصرانية اهملوا كثيرًا من المفردات المتعلّقة بدينهم القديم وآلهتهم الباطلة . وانَّما قولنا هذا على الاجمال

٢ في اصل الكتابة القبطية

لم يعرف الاقباط غير لغتهم المصريَّة الى عهد الاسكندر ذي القرنين . وكانوا استنبطوا لها علامات خاصَّة لتدوينها بالكتابة . غير انَّ هذه العلامات لم تكن مستعملة بينهم على نسق واحد وقد شاعت عندهم ثلاثة ضروبٍ من الكتابة

فالاولى هي الكتابة الهيروغليفية كانوا يتخذونها للآثار الفخيمة والابنية العمومية وما شاكل ذلك وهي عبارة عن رسوم وتصاوير اصطلاحية تمثّل بافرادها وجمعها معاني كاتبها

والكتابة الثانية هي التي تُعرف بالهيراتية (اي المقدَّسة) اشتقُّوها من الكتابة

في بدء النصرانية اي اواخر القرن الاوَّل او غرَّة الجيل الثاني للمسيح لانَّ المخطوطات السابقة لهذا العهد كلها بالحرف المصري القديم

هذا وفي ما ذكرناهُ عن اصل الكتابة القبطية كفاية فبقي علينا ان نبحث عن تاريخ اللغة القبطية وتآليفها

٣ تاريخ اللغة القبطية

لا ريب في انَّ اوَّل كتاب سُطِر في اللغة القبطية هو الكتاب الكريم. وقد تمَّ هذا العمل الخطير في الجيل الثالث للميلاد على يد نسَّاك الصعيد فنقلوا كلَّ الاسفار المقدَّسة الى لغتهم القبطيَّة بل الى فروعها الثلاثة المذكورة سابقًا لتعمَّ فائدتها جميع الكنائس المصريَّة. ثمَّ صرفوا همَّهم في توفير نسخهِ كما تشهد على ذلك مكتشفات العلماء في جميع انحاء القطر المصري لاسيما في اديرة الصعيد. وعدد هذه المخطوطات المتفرّقة يكفي للحصول على ترجمة كل اقسام التوراة من العهدين القديم والحديث في القبطية هذا فضلًا عمَّا بقي من النسخ العديدة المدفونة في زوايا النسيان. وقد طُبعت التوراة القبطية مرارًا في رومية والمانيا ومصر ومن يتصفَّحها يجدها افضل مثال للُغة القبطية كما انَّها اكمل وأدقّ مؤلَّفاتهم الادبية

وقد اضاف قدماء الرهبان الى هذا الكنز الثمين تآليف أُخرى قليلة وضعوها في لغتهم الاصلية وهي عبارة عن اعمال بعض الشهداء وتراجم اولياء الله وتواريخ لكنَّهم قد ادخلوا في هذه المصنَّفات من الاقاصيص العجيبة ما يشهد لهم بالولوع في الروايات المستغربة والاحاديث الخرافية

وممَّا ينطق بفضل هؤلاء العباد انهم نقلوا الى القبطية شيئًا كثيرًا من تآليف الآباء اليونان ليستقوا من مناهلها الصافية

هذا وقد وقف حديثًا العلامة الانكليزي بودج على مخطوط يرتقي تصنيفهُ او ترجمتهُ الى القرن السابع وهو يتضمَّن ثلاث عظات ثنائيــة في مدح رئيس الملائكة القديس ميخائيل فالاولى لثاودوسيوس مطران الاسكندريَّة والثانية لساويروس الانطاكي والثالثة لأُوستاتيوس وهو من احسن ما كُتب في اللغة القبطية ومن خواصّ انشائهِ الطلاوة والوضوح كما في اللغة اليونانية فتولى مسيو بودج نشرهُ مع ترجمتهِ بالانكليزيَّة والحبشية والعربية

لغتهم من الاجانب ومن المحتمل ايضاً انَّ ولاتهم الرومانيين حملوهم على هذا الامر
وزد على ذلك ان اكثر الاسفار الالهية كانت مكتوبة باليونانية او مترجمة اليها فلم يرَ الاقباط بدًّا من قراءتها. ولمَّا ارادوا نقلها الى لغتهم القبطية وجدوا الفاظاً عديدة لم يعرفوا لها مرادفًا وكانوا لو كتبوها بالحرف القديم اضطرُّوا الى وضع علامات جديدة فآثروا حفظ هذه الالفاظ بحروفها في اللغة التي وردت اليهم بها

على ان الاقباط لمَّا اخذوا الحروف اليونانية لم يجدوا فيها ستة اصوات او لهجات كانت في لغتهم الاصلية فتحتَّم عليهم انّ يحفظوا من كتابتهم العامّية ستَّة حروف نرسمها هنا مع اصواتها الموافقة لها

صورة الحروف	اسماؤها	اصواتها
ϣ	chai شاي	ch ش
ϥ	phai فاي	ph ف
ϧ ϧ	khai خاي	kh خ
ϩ	hori هوري	h ه
ϫ	djendji جنجي	dj ج
ϭ	tchima تشيما	tch . . .

امَّا الحرف ϛ (صو) فهو صورة العدد ٦. والحرف ϯ مجموع حرفين يونانيين τ،ι ويُلفظ «تِي»

هذه خلاصة اقوال العلماء المتضلّعين في اللغة المصريَّة كواليس بودج (W. Budge) ورڤيليو (Révillout) وپيرون (Perron) و بروغش (Brugsch) الّا انَّ بعض الاقباط لا يوافقونهم في صادق قولهم وزعموا انَّ الحروف القبطيَّة وضعها احد علماء منف ممن لم يكن لهم سابق معرفة بلغة اليونان وهو مزعم لا سند لهُ بل تدحضهُ لاوَّل وهلة المقابلة بين حروف اللغتين. فلعمري انَّهُ لمن المستحيل ان يتفق رجلان او شعبان على عدد نيّف وعشرين حرفًا مع ذكر اسمائها وترتيبها وصورها دون تواطؤ ما لم يقل القائل انَّ ذلك صار بوحيٍ من الله ولا حاجة الى المعجزات اذا كانت الاسباب الطبيعيَّة كافيةً لشرح الامور

امَّا الزمن الذي جرى فيهِ تبديل الحروف القبطيَّة باليونانية فالمرجَّح انَّ ذلك كان

والفائدة الثانية من درس القبطيَّة انَّها كما سبق مفتاحٌ لا غنًى عنهُ لمن اراد مطالعة الكتابات الهيروغليفية القديمة وما اشتقَّ منها من الخطوط الهيراتية والعاميَّة · وأَحرِ بابناء الشرق أَلَّا يدعوا الاوربيين وحدهم يجمعون هذه الكنوز الثمينة من بلادهم دون ان يأخذوا منها نصيبهم . قال العلامة پيرون في مقدّمة معجمهِ القبطي اللاتيني: « انَّ قصدنا بوضع هذا المعجم الواسع ليس فقط تسهيل درس القبطية بل ايضًا ارشاد الدارسين الى مطالعة دفائن آداب المصريين الاقدمين فان معرفة اللغة القبطية اقرب وسيلة الى هذه الغاية الشريفة . ولولا خوف الاطالة لأَيدنا قولنا هذا بالبراهين المقنعة وبيَّـنَّا جهل من ينكرهُ . واقوى دليل على ذلك انَّ معنى الالفاظ الهيروغليفيَّة يبقى مبهمًا ملتبسًا الى ان يُزيل شبهتهُ اللفظ القبطي لان الكتابة الهيروغليفية لا ترسم في الغـالب غير الحروف الصحيحة (كالعربية اذا جُرّدت من حروف العلة والحركات) فيمكن ان تُقرأ الكلمة الواحدة على طرق مختلفة مثال ذلك حرفا ⲛϫ (نج) اذا وجدتهما بالحروف الهيروغليفية لا يمكنك ان تقضي بمعناهما الصحيح الَّا ان تراجع في المعجم القبطي تركيبهما مع حروف العلة ومعانيهما المختلفة فتجد ⲛⲁϫ (ناج) و ⲛⲉϫ (نَيْج) و ⲛⲏϫ (نِيج) و ⲛⲟϫ (نَوْج) و ⲛⲱϫ (نُوج) فتختار ما يوافق القرينة

هذه نبذة وجيزة كتبناها لافادة الشرقيـين وغاية ما نتمنَّاهُ ان تبعث فيهم لاسيما الاقباط نشاطًا جديدًا لدرس لغة شريفة انكبنا نحن ايضًا على درسها حبا بخيرهم

القضاء والقدر

نظرٌ فلسفي للاب لويس شيخو اليسوعي

صدق الهلال (ع ٢٠ : ٦٤٧) اذ كتب في مقدَّمة مقالتهِ عن القضـاء والقدر انَّ « لعلماء الكلام وغيرهم ابحاثًا طويلة ومناظرات عنيفة في تعريف القضاء والقدر وهم لا يزالون في مثل ذلك الى اليوم » ويا ليت كاتب هذه الاسطر مع علمهِ بحرج المقـام تحاشى ركض جوادهِ في ميدان لم يثبت فيهِ قدم الفطاحل من قبلهِ . وكنَّا وددنا نحن ايضًا ان نحايد هذه المسئلة وفيها مظنَّة عثار لو لم يحوجنا الى ذلك صاحب الهلال وهو قد دسَّ في كلامهِ مبادئ تفتح للشرّ والفساد بابًا رحبًا ولعلَّهُ لم يفعـل ذلك عمدًا الَّا انَّ

هـذا ونضرب صفحاً عن ذكر كتب الطقس القبطي فانَّ معظمها يتألف من نصوص الكتاب المقدَّس امَّا الباقي فهو مجموع صلوات شتى كتبت في ازمنة مختلفة لا يمكن ضبطها بتاريخ قطعيّ

ولعلَّ سائلًا يسأل وكيف اندثرت آثار تلك اللغة القديمة التي تألَّقت انوارها في غابر الازمان فجوابنا قول بعض شعراء العصر:

هي اللغات ترى في سيرها غيرًا تبدو فتذكو لحينٍ ثمَّ تنكسفُ
كالنبت يبدو ضئيلًا ثمَّ يعقبهُ زهرٌ وطيبُ ثمارٍ ثمَّ ينقصفُ

وكذاك اللغة القبطية فقد اصابها ما اصاب الالسنة القديمة كالعبريَّة والاشوريَّة واللاتينية التي نمت وزهت حينًا ثمَّ عشي ضوءها وانطفأ سراجها. ولمَّا ظهر العرب تحت قيادة عمرو بن العاص فضربوا خيامهم في الفسطاط ثمَّ مدُّوا سيطرتهم على كلّ ارض مصر وجدوا ان اللغة القبطية قد اصابتها اليونانية بجرح بليغ فسلَّطوا عليها لغتهم العربية وهي في عزّتها وتمام نشوئها فلم تلبث ان تذفَّ على الجريح وتجهز عليهِ حتى مات

وذلك انَّ قبائل العرب لم تزل تتوارد زرافات الى مصر بعد الفتح فاضطُرَّ الاقباط الى درس اللغة العربية امَّا جبرًا لمطاوعة الولاة وامَّا طوعًا واختيارًا لرغبتهم في معاملة العرب ومتاجرتهم او طمعًا في مشاركتهم باعمال الدواوين والمراتب العليا. ولعلَّ كثيرين منهم اسرعوا الى تعلُّم العربيَّة بغضًا للدولة البوزنطيَّة المالكة عليهم سابقًا بصلف وتجبُّر فما مرَّت ردهةٌ من الدهر حتى شاعت اللغة العربية بين عامَّة المصريين ولم يبقَ لها من اثر في المدن العامرة والقرى الكبيرة. فدُفنت رسومها في بعض الاديرة والقرى البعيدة حيث صبرت على نوائب الزمان بقايا اللغة القبطية الى عهد قريب من عهدنا. والدليل على ذلك ان كثيرين من اهل الصعيد يفهمون حتى اليوم اللغة القبطية وكتبها الطقسية. ونعرف في القاهرة عائلة قبطيَّة لا يتكلَّم لفيف اصحابها بينهم الَّا باللغة القبطيَّة ويستعملون العربية مع سواهم

ولا بُدَّ لنا قبل ختام هذه المقالة الوجيزة ان نستلفت القراء الى منافع درس اللغة القبطية

فالفائدة الاولى تاريخية فانهُ لجديرٌ بابناء الوطن ان يطَّلعوا على ما يكتشفهُ علماء العاديَات من آثار بلادهم وهي تنبئهم باحوال اجدادهم السابقة

﴿ المبدأ الثاني ﴾ انَّ الله ازلي كما انَّهُ هو العلة الاولى . فاذا قضى بامرٍ وقدَّرهُ فذلك القضاء والتقدير يكون بلا شكّ منذ الازل ولا يمكن ان يحدث فيهِ تغيير البتة

﴿ المبدأ الثالث ﴾ انَّ الله مع كونهِ العلة الاولى للكائنات والقاضي باعمالها فهو ليس بالعلة الوحيدة بل اتَّخذ في المخلوقات عللًا ثانيـة عديدة لها آثار عجيبة تبرزها تحت قيادة الله وتدبيرهِ السامي . قال الشيخ محمد البكري الصديقيّ :

لا تنظرنَّ لغير الله في سببٍ فالله يفعـلُ والاسبابُ آلاتُ
للهِ في الخَلْق ألطاف لقد خفيتْ تحارُ فيهـا العقول الجوهريَّاتُ

﴿ المبدأ الرابع ﴾ ولمَّا كانت المخلوقات منها ناطقة حرَّة بالارادة ومنها غير ناطقة فلا بُدَّ انَّ يدبّر كلّ مخلوق حسب طبيعتهِ

﴿ المبدأ الخامس ﴾ المخلوقات غير الناطقة لا تدرك الغاية ولا ما يبلّغها الى الغاية لخلوّها من العقـل ومن ثمَّ فقد اقتضى الامر ان يرشدها الخالق الى افعالها سواءٌ كان ذلك بخواصّها الطبيعيَّة اذا كانت من الجماد والنبات او بمشاعرهـا الخمسة وقوَّتها الوهمية اذا كانت من العجماوات والبهائم

﴿ المبدأ السادس ﴾ امَّا المخلوقات الناطقة التي زيَّنهـا الله بقوَّتي العقل والارادة فانَّـهُ عزَّ وجلَّ مع كونهِ يحرّكها اجمالًا الى طلب السعادة ويساعدها في ابراز كلّ افعالها لا يدفعها اضطرارًا الى العمل او الحَيْدة عنهُ ولا يقسرها على اصطناع امرٍ دون غيرهِ وانما الارادة بناءً على القوَّة الممنوحة للانسان منهُ تعالى تحرّك ذاتهـا من تلقاء نفسهـا ويمكنها ان تنزع الى الشيء او ترعوي عنهُ وتطلب امرًا من الامور او تختار غيرهُ على حدٍّ سواء

﴿ المبدأ السابع ﴾ اذا نزع الانسان بحرّيتهِ الى ما فيهِ رضى خالقهِ استحقَّ بفعلهِ ثوابًا يجازيهِ الله عنهُ . واذا عدل عن طريقة الصلاح الى ما فيهِ سخط الخالق استوجب العقاب على ما اجترحت يداهُ من الشرّ

﴿ المبدأ الثامن ﴾ هـذا وانَّ الله مع حرّيَّة الانسان التامَّة في اختيار الامور عالم حقَّ العلم بما سيصنعهُ العبـد وليس في سابق علمهِ تعالى ما يضطرُّ العبد على الفعـل كما انَّ علمي السابق بما سيأتيهِ بعض اصدقائي لا يعيق حرّيَّة هذا

القراء لا يحكمون على النيَّات بل على ظاهر منطوق الكلام

هذا وليس مرادنا هنا ان نتعقَّب آثار الهلال في كل ما كتبهُ ونفرز بين صحيح قولهِ وسقمهِ فانَّ ذلك يقتضي مجلدًا بل مجلدات ضخمة لما المع اليهِ جناب الكاتب من المباحث العديدة في مطاوئ مقالتهِ وأنّما نكتفي بتدوين اصدق ما جاء في كتب الفلاسفة عن القضاء والقدر وتطبيق ذلك على منطوق العقل ثم نتخطَّى منهُ الى بيان ما شطَّ فيهِ الهلال

تعريف القضاء والقدر والعناية والتدبير

القضاء اسم مصدر لقولك قضى الامر اذا حكم فيهِ وفصل. وهو في عرف اهل الكلام الحكم الفَصل الذي حكم بهِ الله عزَّ وجلّ منذ الابد في كلّ مخلوقاتهِ وجميع اعمالها على مقتضى طبائعها. واليهِ يرجع تعريف الجرجاني حيث قال انَّ « القضاء عبارة عن الحكم الكلّي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليهِ من الاحوال الجارية في الازل الى الابد »

امَّا القدر فهو ترتيب الله للعلَل الثانية وسَوقهُ ايَّاها الى المعلولات المقصودة منهُ تبارك وتعالى فيحصل من ذلك ان في القدر امرَين احدهما ترتيب العلل الثانية من حيث وجودهِ في الله ويقال لهُ العناية وهو بهذا الاعتبار ازلي كالذات الالهية. والامر الآخر هو سَوق هذا الترتيب الازلي وتنفيذهُ في المخلوقات بحيث تُوجَّه جميعها في اوقاتها الى الغاية القصوى وهو من هذا القبيل زماني ويدعى تدبيرًا

تقرير المبادئ الفلسفية في هذه المادَّة (١

المبدأ الاول — لمَّا كان الله عزَّ وجلّ هو العلة الاولى لكلّ المخلوقات فمن المستحيل ان يحدث شيء في العالم بغير قضاء التدبير الالهي. قال الغزالي: ليس من شيء في العالم قليل او كثير صغير او كبير زيادة او نُقصان راحة او نصب صحَّة او وصب الَّا بحكمتهِ تعالى وتدبيرهِ ومشيئتهِ.. ما شاء كان وما لا يشاء لا يكون ولا يردُّ مشيئتهُ شيء.. وجاء في سفر استير (١٣ : ٩) : « ايها الرب القادر على كل شيء كلُّ شيء في طاعتك وليس من يقاوم مشيئتك »

١) راجع الخلاصة اللاهوتية لمار توما. ترجمة السيد المفضال المطران بولس عوَّاد (١: ٢٩٢ و ٢: ٥٨٥ و ٣: ١٢١) وفي هذه الفصول يبحث شمس المدارس عن عناية الله وتدبيرهِ وعن القضاء والقدر

أَفيُقال ان الموت كان مقدَّرًا للثاني دون الاول أَو ليس الكل ينسبون الى تهامل الثاني سبب موتهِ. او خذ رجلين تاجرين يركن احدهما الى الدعة والراحة فيفتقر ويتضوَّر جوعًا ويسعى الآخر بطلب رزقهِ فيحصل على الغنى أَفيستطيع الاوَّل ان يقول انَّهُ قُدّر لهُ الغنى والثاني قُدّر لهُ الفقر. او ليس الاحرى ان ينسب الغنى لجدّ الاوَّل والفقر لغفلة الثاني. وقس على هذين المثلين

وما يشهد بصحَّتهِ العقل يؤيدهُ اتفاقُ كلّ الشعوب التي وضعت سننًا لعقاب الآثم فان كان الله هو قدَّر هذه الاعمال فحمل عليها اصحابها دون ارادتهم أَفليست هذه السنن جائرة ظالمة

بل كيف يستطيع الله ان ينهى عن امور قدَّرها منذ الازل ولا مناص للانسان من اجتراحها. وان عاقب الانسان بذنوب اتاها اضطرارًا أَليس الله ظالمًا بل هو أَولى بالعقاب من العبد. وكلُّ هذه النتائج السيِّئة لا يقولها غير الملحدين الكفرة صان الله العالم من شرّهم. ومصداقًا على قولنا نأْتي هنا بكلمة حسنة وردت في كتاب المخلاة لبهاء الدين العاملي (ص ٧) قالها علي بن ابي طالب وكان سُئل عن القضاء والقدر فاجاب: ان كانت المعصية حتمًا كانت العقوبة ظلمًا

خطأ الهلال

فبعد هذه المقدَّمات لا يصعب علينا ان نبيّن ما وهم بهِ صاحب الهلال. ورأَينا في مقالتهِ اجمالًا انها مشحونة بالمزاعم المتضاربة والاقوال المتباينة التي تدلُّ صريحًا على انهُ اطلق عنان قلمهِ في مادَّة لم يدرك معاضلها

واوَّل ما نأْخذهُ على كاتب هذه المقالة انهُ استعمل في مدارج كلامهِ لفظتي القضاء والقدر بمعاني مختلفة فتارةً يأْخذها بمعنى حكم الله في خلقهِ وتارةً بمعنى علم الخالق باعمال المخلوقات وحينًا يريد بهما الحوادث الطبيعيَّة التي ليس للانسان فيها امر او تأْثير وطورًا يفهم بهما اعمال البشر الصادرة باختيارهم وآونةً يقصد اعمالهم الاختياريَّة في السبب وغير الاختياريَّة في النتائج. فكيف لا يزيغ عن الصواب من يخبط هذا الخبط ولا يميّز بين امور تختلف عن بعضها اختلاف المشارق عن المغارب

ونأْخذ ثانيًا على صاحب الهلال انَّهُ نكر على الله سبحانهُ وتعالى القضاء والعناية في امور كثيرة. وهو لعمري قولٌ لا يأْتي بهِ غير الملحدين. من ذلك انهُ نفى (ص٦٥٤

الصديق. وهَبْ انَّ ارادة العبد اختارت عكس ما اختارتهُ لكان الله سبق وعلم ذلك علماً لا ريب فيهِ لاسيما انَّهُ تعالى يعرف الانسان فوق معرفة الانسان لنفسهِ ولا يجهل شيئاً من طباعهِ واميالهِ والاحوال التي سيتقلَّب فيها

النتائج المتفرّعة من المبادئ السابقة

هذه المبادئ الثمانية تحتوي خلاصة ما يمكن اثباتهُ عن قضاء الله وتقديرهِ للامور دون مسّ حرّيّة الانسان فمن ركن اليها نجا من ضلالين عظيمين: ضلال الزنادقة الذين ينكرون على الله سبحانهُ وتعالى السلطان المطلق في الكون والعناية التامَّة بكل المخلوقات وتدبيرها كما يشاء. وضلال الجبريَّة الذين ينفون الفعل عن البشر ويضيفونهُ الى الخالق دون المخلوق فيكون الله على زعمهم الباطل هو عامل الخير والشرّ بواسطة العبد. تعالى الله عمَّا يقولهُ الكافرون

وما قلناهُ عن قضاء الله وحرّيّة الانسان لا تناقض فيهِ لأنَّهُ عزَّ اسمهُ لم يقضِ بوجود كلّ الكائنات واعمالها حتى قضى ايضاً بحرّيّة الانسان فيميل دون اضطرار الى الخير او الشرّ. وذلك بكلّ حكمة لانَّ اللهَ اراد ان يخلق في الكون طبيعةً تسعى في خدمتهِ طوعاً لا قسراً لينال بذلك مجداً لم يَنَلْهُ من الطبيعة لو اضطرَّها الى العمل خيرًا كان او شرًّا

والعقل السليم يفتي بتوافق هذين الامرَين فانَّهُ يبيّن صريحًا انَّ احكام الله لازبة لا مردَّ لها وانَّ الانسان مع ذلك سيّد عملهِ يتصرَّف فيهِ كيف شاء وانَّ القدر لا يحوجهُ على اتيان خير او شرّ ولذلك ترى الانسان اذا عمل الصلاح فرح بصنع يديهِ وان ترع الى الطلاح لا يلوم الّا نفسهُ

وهذا الامر لا يصحُّ فقط في اختيار الانسان للخير او الشرّ لكن في امور اخرى كثيرة يمكنهُ ان يتصرَّف فيها تصرُّف الرجل الحكيم الفطن او تصرُّف الجاهل فاذا آثر الجهل على الحكمة ونتج عن فعلهِ نتائج سيّئة فلا ينسب ذلك الى القدر الّا ظلماً. قال الشاعر:

وعاجزِ الرأي مضياعٍ لفرصتهِ حتَّى اذا فات امرٌ عاتب القَدرا

وهذه امثلة نضربها لك من شأنها ان تكشف جليًّا عن الحقيقة. دونك مريضين مصابين بالطاعون يرضى الواحد ان يطعَّم بلقاح يرسين فيشفى والآخر يأبى اللقاح فيموت

« لا ذنب لهُ فيهِ » لانهُ اكتسب ذلك بالوراثة من والديهِ او لتأثير الاقليم في اعصابهِ ودماغهِ. أفيرضى صاحب الهلال بمثل هذا العذر ان ضربهُ (لا سمح الله) رجل بمديةٍ في صدرهِ ؟ ولو اتُخذ حكماً فهل يا تُرى يُطلق سبيل من يذكّي نفسهُ بهذه الحجج ؟

هذا ولا ننكر انَّ للوراثة والمزاج والاقليم والتربية بعضَ التأثير في الاعمال ولكن هيهات ان يكون ذلك كافياً لدفع التبعات ما لم يكن صاحبها فقد الشعور واختلَّ عقلهُ. امَّا في غير هذه الحال فلا

ثمَّ انَّ للوراثة والمزاج والاقليم والتربية ما يبطل فعلها السيّئ وقد جعل الله دواء لهذه الادواء فانَّ في نعمة الله وحبهِ تعالى وفي اقامة الصلاة والخوف من العقاب الزمنيّ والابدي والرجاء في الثواب والرجوع الى حكم العقل وصرف النظر الى الهمم العالية ما يغلب هذه الاميال ولو افترضنا ان الانسان اكتسبها بالوراثة والمزاج والاقليم. والدليل على ذلك انَّنا نرى اولاداً صالحين وُلدوا من آباء اشرار وبُعكس. ومن امثال العامَّة « الوردة خلَّفت شوكة والشوكة خلَّفت وردة » وكذلك نرى في اقليم واحد رجالًا مختلفي الطباع منهم اصحاب فضل وغيرهم سفلة اوباش. وكذا قل عن المزاج والتربية

ولو تروَّى كاتب هذه الاقوال قبل تسطيرها لرأى انهـا تنفي ما كتبهُ قبل ذلك حيث قال:

« واعمال الارادة ابعد سائر الحوادث الانسانية عن حكم التقدير. لانهُ كيف اذا سرق احدهم مالاً من آخر ان يكون عملهُ مقدَّرًا منذ الازل او اذا قتل احدٌ احدًا او ارتكب جريمة اخرى من اي نوع او انغمس في الرذائل كالمسكر او القمار او الفحشاء او انقطع الى الفضائل. . . »

فهذا القول ينقض توًّا ما قالهُ صاحب الهلال سابقًا عن الوراثة والاقليم كأَن الوراثة والاقليم ينزعان عن الانسان حرّيتهُ

وفي مقالة الهلال عن القضاء والقدر مغامز اخرى لا يسعنا اليوم تفنيـدها اضيق المكان. وفي ما كتبنا شاهد صريح على تفريط كاتب هذه النبذة. ارشدنا الله وايَّاهُ الى القول الحقّ

و ٦٥٥) كون التربية والتهذيب واعمال العقل واقعة تحت قضاء الله وتقديرهِ . وهو قول شطط يردُّهُ المبدأ الاول الذي قدّمناهُ حيث قلنا انهُ لا شيء في العالم عن حكم الله وقضائهِ . فما معنى قول صاحب الهلال بعد ذلك (ص٦٥٤) : « بانها (اي التربية) ليست عاملًا خارجيًّا . . بل هي من اعمال العقل وتكاد تكون اختياريَّة . . وانَّها ليست من العوامل الازليَّة التي يصحّ ان يقال عن نتائجها ازليَّة بل هي مقاومة لتلك العوامل » ثم شرح ما يريد بالتربية فقال (ص٦٥٥) : « ونريد بالتربية كلّ الوسائل المؤدية الى اصلاح شؤون الهيأة الاجتماعيَّة . . . اهمّها التعليم بانواعهِ كالتعليم الطبيعيّ والدينيّ والادبيّ والسياسي . . . ووضع الشرائع . . والتدريب على الصنائع . . . وغيرها »

فان اراد كاتب الهلال من هذا القول السابق انَّ الانسان بناءً على ما آتاهُ الله من الحرّيّة يمكنهُ ان يتصرَّف بكثير من اعمالهِ وانهُ ليس مجبورًا عليها فهذا امرٌ يسلّم فيهِ كل اصحاب الاديان والعقلاء . ولكن كيف يخرج ذلك عن قضاء الله وحكمهِ . فان لم يقضِ الله بكلّ ذلك ويدبّرهُ بعنايتهِ الصمدانيَّة لما استطاع الانسان ان يأتي بعمل من هذه الاعمال

ونلوم ثالثًا صاحب الهلال على ما هو افظع ممَّا تقدَّم وهو انهُ انكر المسؤوليَّة على الانسان في امور كثيرة مع انَّ تبعاتها تلزمهُ لا محالة فقال سامحهُ الله في ما يرثهُ الولد من والديهِ (ص٦٥٣) انّ الولد « منذ ولادتهِ قد قُدّر لهُ ان يكون كما تقتضيهِ الخصال التي ورثها من والديهِ . . . وهو منذ وُلد من ذينك الوالدين مقدَّر لهُ ان يكون كذلك وعبثًا يحاول تغيير خلقه »

ثمَّ زاد في الطين بلّة حيث كتب : « ومثل ذلك يقال في من ورث من والديهِ الطمع او الشره او الكذب مع ضعف الارادة فشبَّ لصًّا او مقامرًا او سكّيرًا او قاتلًا فانَّ حالهُ تكون مقدَّرة منذ ولادتهِ ولا ذنب لهُ في هذه ولا فضل لهُ في تلك (يريد الذكاء والنشاط وعلوّ الهمَّة) »

وكذلك نسب (ص٦٥٤) الى الاقليم امورًا كثيرة زعم انَّ ليس تبعةٌ للانسان فيها لانَّ الانسان صنيعة الاقليم

فيا لله من هذه الاقوال الفاسدة التي تفتح بابًا لكلّ المظالم وتبطل كل السنن الالهية والشرائع البشريَّة فترى ايّ قاتل لا يمكنهُ ان يدَّعي بانهُ كان مدفوعًا الى القتل

على هربهِ وانهزامهِ فارتعب المسكين وظنَّ انَّ الكلاب ستفترسهُ حيًّا لا محالة وتوهَّم ان ملاك الموت لاقاهُ حينئذٍ وانقضت انفاسهُ المعدودة وتصرَّمت حبالهُ المشدودة. وقال: « هذا هو القدر المحتوم قد حلّ الاجل وخاب الامل » واغمض جفنَيهِ ملبيًا دعوة رسول الموت

لكنَّهُ لم يلبث ان استولت عليهِ الحيرة والعجب عندما رأى ان النباح انقطع انقطاعًا تامًّا وتلاهُ سكون وسكوت قويت بهما الوحشة في ذلك الليل الدامس. وما زادهُ اندهالًا انَّهُ رأى الكلب الذي هجم عليهِ ليرديهُ انقلب يتحبَّب اليهِ بلحس يديهِ وما كان ذلك الكلب غير « دارا » فانها عرفت محاميها فانتهزت هذه الفرصة حتى تفيهُ حقَّهُ من الشكر على معروفهِ لما سبق منهُ من الحنان لها والشفقة عليها مساء امس لمَّا فعلت ما فعلت من خطف الرغيف الذي لم يزل طعمهُ تحت اضراسها. امَّا الفتى فسكن جأشهُ قليلًا واخذ يخطو وهو لا يدري الجهة التي يسير فيها حتى اهتدى الى باب الدار الذي كان يطوف فيهِ

فتملَّص منهُ الى الزريبة وعمد الى بابها المؤدي الى الخارج ثمَّ حاول ان يفتحهُ واذا بصاحب الفندق منتصبًا امامهُ وفي يدهِ مصباح. فانَّهُ ما سمع نباح الكلب حتى خامرهُ وداخلهُ الخوف فاقبل مهرولًا الى الزريبة بينما كان الفتى مشغولًا يطلب من الله ان يهديه الى الموصدة فيفتح باب الفرج امامهُ. فلمَّا رأى اللصّ الفتى وهو كالمجنون من الانكماش والتلاشي ولونهُ اصفر كالشمع وهو ساند ظهرهُ الى الحائط ملصوق بهِ وفرائصهُ ترتعد من شدَّة ما المَّ بهِ من الرعب كانهُ في هذه الحالة شبحٌ او طيف خارج من القبور عرفهُ انهُ هو الفتى الذي ضربهُ بخنجرهِ قبيل ذلك ببرهةٍ وجيزة ارتدَّ الى الوراء عفوًا وقد انفتح فوهُ واندلع لسانهُ من الهلع وترك المصباح فسقط من يدهِ ورجع يركض الى الردهة الكبرى معتقدًا انَّ الفتى نُشر بعد الموت وعاد بعد الفوت. والفتى مع ذلك عامل على فتح الباب وقد تجدَّدت فيهِ القوى ولم يبرح يعالجهُ حتى نجح وفاز بمطلوبهِ

فلمَّا خلا لهُ الجوّ لبث برهةً متردِّدًا بين اختيار الهرب او الاختفاء فقال في نفسهِ: « ان صاحب الفندق يتعقَّبني اينما ذهبت فيدركني فالرأي عندي ان اختفي في احدى الزوايا والحُفَر عوضًا عن ان اخبط في هذا المهمه القفر خبْط عشواء »

قال هذا ورمى بنفسهِ على كداديس متراكمة بعضها فوق بعض على مقربةٍ من

ليلة الاهوال

معرّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناصر (تابع لما سبق)

وضرب النائم صاحب الفندق ثلاث ضربات ارتجّ التختُ منها فوقعت على جثة باردةٍ وهو يظنّ انَّهُ يضرب حيًّا

فعلم اوانئذٍ الفتى الخطر العظيم الذي كان متعرّضًا لهُ وسمع في تلك الاثناء قائلًا يقول: «أَاجهزت عليهِ» وكان القائل امرأة صاحب الفندق نفسها وكانت واقفة في الباب تنظر بعلها الذي اجابها وقال: «نعم اجهزتُ عليهِ» ثمَّ نكص مفتخرًا بأَنهُ اتقن الطعن من برهة فصار ضربهُ صائبًا محكمًا

ثمَّ اردف: «ان هذا الفتى قضى ولم يبدِ حراكًا كأَنهُ نعجة وديعة. امَّا السابق فكان قادرًا وقاومني مقاومة شديدة واتعبني امرهُ. غير انهُ ما لنا وهذا الحديث ولنمشِ على مهل بغير صوت فان امر الضيف الثاني يهمُّنا ايضًا فاذا ما اجهزتُ عليهِ اعود ويعود معي الخادم فنرفع فريسة اليوم وفريسة البارحة التي لا بدَّ ان تكون ضجرت في محلّها».

قال وضرب برجلهِ الى جهة الفراش فمسَّ ساعد الفتى الذي اوشك ان يُقضى عليهِ من شدَّة الخوف ولبث وقد خمدت انفاسهُ كأَنهُ قطعة من جماد لانهُ لو حانت من اللص التفاتة الى ما تحت الفراش او لو سنح لهُ ان يرى فريستهُ لكان قضى على الفتى لا محالة لكنَّ الله وقى اليتيم الذي صلَّى اليهِ فاستجاب صلاتهُ

ثمّ انَّ المرأة دعت حينئذٍ بعلها وقالت لهُ: «لا تُضع الوقت بالمحال فانهُ يهمني ان استحوز على كيس الدراهم والدنانير ومن الفطنة والحكمة ان نتمَّ الامر الآن مرة واحدة ولا نعود اليهِ غير مرَّة» قالت هذا وتقدَّمت الى الامام فتبعها بعلها وصارا يمشيان هَمسًا على رؤوس الاصابع حتى لا يحسّ بهما كاتب السجلات وهما طمعان في طلّ دمهِ والاستيلاء على ما يحملهُ من المال غنيمة باردة

امَّا الفتى فخرج من الوكنة التي كان مختبيًا فيها ونهض على الاقدام مذعورًا والقى بنفسهِ الى المنفذ المحكي عنهُ ومنهُ وثب الى فناء الدار وثبة واحدة وهو خافق القلب ضائع اللبّ كأَنهُ مختلّ الشعور فوقع على مزبلة هناك

غير ان الكلاب أَوجست فيما سمعت من صوت سقوطهِ فطفقت تنبح نباحًا دلّ

غير انهُ لم يقطع مسافة بعيدة حتى صرخ صرخة عظيمة وسقط في خندق حُفر في طريقهِ سقطة ميتٍ فما رأى نفسهُ بعد ذلك الَّا مطروحاً على المهيع العام وقد دنا الكلب اليهِ هو واصحابهُ وكاد يفترسهُ واذا بضربةٍ حلَّت على امّ رأس ملّور فانطرح على الحضيض يخبط حتى خمدت انفاسهُ (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

CHRONIQUE DE MICHEL LE SYRIEN
éditée pour la 1re fois et traduite en français
par J. B. Chabot I, (fasc. 1) pp. 202. 1899 *Paris*
ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢ̈ܐ ܕܡܝܟܐܝܠ ܦܛܪܝܪܟܐ

هو التاريخ النفيس بل الدرَّة المكنونة التي عرَّف بها العلماء المستشرقين غبطةُ السيد العلامة الجليل اغناطيوس افرام الرحماني بطريرك السريان الكاثوليك منذ عشر سنوات. ولمَّا سرنا الى بلاد ما بين النهرين سنة ١٨٩٦ مررنا في مدينة الرها في غاية ايلول فوجدنا هنالك في بيعة اليعاقبة النسخة الوحيدة التي تُعرف لهذا الكتاب الفريد وهو تاريخ بطريرك اليعاقبة ميخائيل المعروف بالكبير الذي تولَّى رئاسة طائفتهِ من سنة ١١٦٦ الى ١١٩٩ فكنَّا نتمنَّى مذ ذاك الحين لو يُنشر قريباً هذا الاثر الخطير بالطبع ليستمدَّ العلماء من فوائدهِ الجمَّة. وها ءنذا قد متَّعنا الله اليوم بما كنَّا راغبين اليهِ فاطَّلعنا على الجزء الاول من هذا التأليف الاثير. امَّا الواقف على طبعهِ فهو العلامة الهمام والخوري الفرنسويّ المستشرق الاب حنَّا شابو الذي تكرَّر عليهِ الثناء في مجلَّتنا لكثرة الخدم التي يؤديها للعلوم الشرقيَّة. والجزء المذكور يتضمَّن متن الكتاب وفيهِ اخبار العالم من اوَّل الخليقة الى تاريخ الاسكندر ذي القرنين. وفي هامش الكتاب وذيلهِ فوائد كثيرة وجداول تاريخيَّة زيَّن بها المؤلف عملهُ. ولمَّا كان طبع هذا الكتاب بالحروف المنفردة يُضيع شيئاً من خواصهِ آثر ناشر الكتاب ان يطبعهُ مرسوماً بالفوتغرافيَّة كما هو في الاصل فزاد ذلك في محاسنهِ. ومما يستوجب الشكر انَّهُ شفعهُ بترجمة افرنسية غاية في الضبط مع ملاحظات شتى تُنبئ بسعة علمهِ. ومع ما يحتويه هذا الجزء من الفوائد فهو دون الاجزاء التابعة جدوى. فعسانا نحظى عمَّا قليل بهذه الاقسام المشتملة على كثير من اخبار النصارى في الشرق منذ القرون الاولى للميلاد الى زمن المؤلف وهو

تلك الخرابات ظنًّا منهُ انَّهُ لا يخطر على بال احد اختفاؤهُ في محلّ مجاور لمحلّ الفاجعة ألا وهو ذلك الفندق المشؤوم

وما كان من صاحب الفندق انهُ ذهب فقصَّ رؤياهُ على امرأتهِ فهمَّها الامر واخذت تقدح زناد الفكر للوصول الى ما تتلافى بهِ الخَطْب فتخلص من وقوع مكروهٍ تخافهُ خوفًا عظيًا. ولذلك صعدت عجلى فدخلت حجرة الفتى ولم يَفُتها بعد النظر انَّ الفتى ولَّى الادبار راكبًا مطيَّة الظلمة في ذلك الليل الداجي ولم يخفَ عليها ما احتالهُ لنفسهِ حتى تمكَّن من الفرار وخلَّى الدار تنعي من بناها

ففار فائرها وهاج هائجها وصاحت ببعلها ان يتعقَّبهُ في الحال والَّا حبطت المساعي وخابت الآمال واتسع الخرق على الراقع اذ تدري بهما الحكومة

امَّا بعلها فرأى ان الدائرة تدور عليهِ وقد تضرَّم واحتدم لما ابداهُ الفتى من الخديعة واقسم ان « والله لألقينَّ القبض عليهِ حيًّا كان او ميتًا »

ثمَّ لاح لهُ انَّ الفتى قطع مسافة بعيدة مولِّيًا الادبار عن تلك الديار ولم يعلم ان بينهما قاب قوسين او ادنى وقد شرع يحضُّ الكلبين على تأثُّر اعقابهِ حتى يدرك منهُ الوطر والَّا اوسعهما ضربًا . امَّا «دارا» فعصت امرهُ ولم تلبِّ طلبهُ وقد سمعها الفتى وهي تُعلي اصوات الشكوى تحت ضربات العصي الَّا انَّ صاحب الفندق تركها وصاح يدعو « ملّور » وقال « لم اذخرهُ الَّا لمثل هذه الشدَّة » وانتهر الخادم وامرهُ ان يحلَّ ملّور من وثاقهِ ويدفعهُ وراء الفتى الهارب

فلمَّا سمع الفتى باسم « ملّور » دبّ الرعب في بدنهِ اذ ذكر الكلب الضاري الذي حدَّثهُ عنهُ صاحبا الفندق في اثناء تلك المسامرة وقالا عنهُ انهما لا يفكَّان عقالهُ الَّا لملمَّات الامور والشدائد فندم على ترجيحهِ الاختباء على الادبار وقام يعدو عدوًا عنيفًا وهو لا يلوي على شيء حتى اعياهُ امرهُ وخارت قواهُ وشعر بالم في خاصرتهِ لم يقوَ معهُ على التقدُّم فوقف واسند ظهرهُ الى شجرة هناك وقد استولى على قلبهِ الحزن الشديد وكادت تزهق نفسهُ من التعب

ثمَّ رأى وهو في هذه الحالة ضوء مصباح يتقرَّب اليهِ . فعلم الفتى ان الكلب لحقهُ على الاثر وانهُ كيفما اتجهُ هالك لا مناص لهُ من الموت الاحمر

فاظهر من الضعف قوّة وجدَّ في الهرب مرةً ثانية

ان اعمال البعثة العلمية الالمانية في بعلبك جارية مجرى النجاح وهي تنتظر ورود آلات ضخمة لمواصلة الحفر . اما ما اكتشفتهُ مذ مباشرة الشغل حتَّى اليوم فهو حوض ماء مربَّع الشكل قرب الهيكل الكبير يبلغ طولهُ ٩٠ مترًا في ٨٠ مترًا عرضًا . وعلى مقربة من الحوض وجدوا تمثال اسدٍ بديع الصنع في داخلهِ ثقب كالانبوب فرجَّحوا بذلك انَّ المياه كانت تندفع من فيهِ الى الحوض. وممَّا توفَّقوا ايضًا الى اكتشافهِ بعض كتاباتٍ عربية بالحرف الكوفي يرتقي عهدها الى القرون المتوسّطة ومنها ايضًا نقوش وكتابات لاتينية ويونانية نطلع القرَّاء على مضمونها اذا ما تسنَّى لنا الوقوف عليها

❋ حلّ اللغز التاريخي الوارد في العدد السابق ❋ لم يأتنا من قرَّائنا حلّ هذا اللغز فنعرض عليهم ما سنح لنا فاذا وجدوا حلًّا افضل منهُ ذكرناهُ . (نقول) ان لفظة العقد تدلُّ في العربية على العشرات وفي اللغز المذكور (في الصفحة ٧٥٩) نظنّ انها تدلّ على الايام والشهور والسنين وعشرات السنين ومئات السنين والوف السنين . فقولهُ انَّ طَبْع الكتاب نجز « في اواسط العقد الثاني من العقد التاسع » اراد بهِ « اليوم الخامس عشر من شهر شوَّال » . وقولهُ انَّهُ طُبع « في اواسط . . العقد الثالث من العقد الاوَّل من العقد الرابع من العقد الثاني من الهجرة » اراد بهِ سنة ١٢٠٢ هـ لانَّ نصف العقد الثاني هو الواحد يدلُّ على الالوف . ونصف العقد الرابع هو عدد اثنين يدلّ على المئات . ونصف الواحد صفر مع نقل العدد الى العقد الباقي اي الثلاثة فتصبح اربعة نصفها اثنان . فيكون معنى اللغز انَّ طبع الكتاب تمَّ في ١٥ شوَّال سنة ١٢٠٢ . ولكن في هذا التاريخ غلط لان الكتاب قد طبع في سنة ١٣٠٢ من الهجرة في المطبعة الحُفْنيَّة في دمشق لا سنة ١٢٠٢ وعلى ظنّنا ان صاحب اللغز كتب « العقد الرابع » وهو يريد « العقد السادس » والله اعلم ل . ش

أسئلة واجوبة

س سأل من حمص جناب الاديب رزق الله نعمة الله عبُّود ما نعلمهُ من اخبار مخائيل لطفي المذكور في المشرق (٢ : ٦٩٢) واخبار هلال بن ابي هلال الحمصي (المشرق ٢ : ١١٠٨)

مخائيل لطفي الحمصي وهلال بن ابي هلال الحمصي

ج لا نعلم من اخبار مخائيل لطفي غير ما كتبهُ في آخر تاريخ الجزَّار قال : « قد علَّقهُ بيدهِ الفانية احقر الورى مخائيل لطفي الحمصي وقد تمَّت نهايتهُ في اليوم الخامس والعشرون (كذا) من شهر ايَّار من شهور سنة ١٨٢٨ للتجسُّد الالهي في مقام القسطنطينية المحروسة . . . » وجاء في مقدَّمة الكتاب لهُ : « وقد رمتُ بهذا المختصر الذي انتخبتهُ من تواريخنا المجمَّعة من عدَّة تواريخ صادقة المحتوية (كذا) على جميع الحوادث الماضية من ابتداء ظهور الاسلام الى تاريخ الان »

امَّا هلال بن ابي هلال فهو احد الاطباء الذين نقلوا كتب اليونان الى العربية . قال في حقهِ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٤) : « كان صحيح النقل ولم يكن عندهُ فصاحة ولا بلاغة في اللفظ » اشتهر في ايَّام المأمون وخدم بين يدي احمد بن موسى الفلكيّ الشهير . ومن نقلهِ كتاب المخروطات لابلنيوس من برغا ل . ش

قد نُقل عن تواريخ قديمة اخذت قسماً منها يد الضياع

الإعراب عن قواعد لغة الاعراب

الجزء الاول في الصرف لرشيد افندي عطيّه اللبناني · ص ٢٢٠ · بعبدا ١٩٠٠

قال مؤلف هذا الكتاب في مقدَّمته (ص ٢):

« انَّ بعض الاصدقاء من الاساتذة سألوهُ تأليف كتاب يقرّب للطالب اصول اللغة من صرفها ونحوها وبيانها وعروضها يغنيهِ عن مطوَّلات هذه الفنون . . . بحيث يكون جامعاً مانعاً خالياً من الاسهاب المملّ والتقصير المخلّ . . . فلم يعد في وسعهِ الّا الامتثال واجابة السؤال فحسر عن ساعد الجد وجمع من الكتب العربية ما استعان بهِ على تأليف هذا الكتاب النفيس . . . بحيث جاء والحمد لله كتاباً مفيداً لكلّ من اراد الجولان في حلبة هذا الميدان كاشفاً النقاب عن هذا اللسان متضمنّاً كلَّ ما يلزم المبتدئ غير مقصّر عن افادة المنتهي . . . »

هذا ما وصف بهِ صاحب الكتاب تأليفهُ فلا يبقى لنا سوى ان نصادق على قولهِ وصاحب البيت ادرى بما فيهِ . ولولا علمنا بان المؤلف يتعض من الانتقاد على ما جادت بهِ قريحتهُ (راجع المشرق ٢ : ٥٧١ و ٦٢٠) لتجاسرنا وعرضنا عليهِ بعض الملاحظات لكنَّنا رأينا السكوت احمد (١

ل.ش

شَذَرَاتٌ

* بعثة علماء الالمان في بعلبكّ * اجتمعنا بجناب الفاضل ميخائيل افندي الوف فافادنا

(١) انَّ بعض ادباء بلادنا اذا عرضوا تآليفهم على الجرائد والمجلات لا ينتظرون منها الّا تقريظاً . وكبار العلماء الاوربيين يسلكون في ذلك خلاف هذه الطريقة لمعرفتهم انَّ الانتقاد الصحيح يفيدهم علماً ويساعدهم على تحسين العمل . ومصداقاً لما قلنا نذكر في هذا المقام بعض عبارات كتاب ورد علينا من احد مشاهير علماء ايطالية كنا بيّنَّا في المشرق خطأً فرط منهُ قال :

Je ne saurais trop vous remercier des bonnes paroles que vous avez eues pour moi dans le Machriq á plusieurs reprises ; mais sur tout je désire vous remercier de votre observation.. (ثمّ ذكر انتقادنا) Si dans l'avenir vous trouvez des erreurs dans mes publications, je vous prie de ne me les taire pas : je désire seulement apprendre.

لله درُّهُ من قول عالم يعرف قدر الانتقاد ولا يطلب من تآليفهِ مدحاً باطلًا . هذا ونشكر لكاتب هذه الاسطر ما حرَّرهُ في رسالتهِ بخصوص اعتبارهِ لمجلة المشرق حقّق الله ظنَّهُ فيها

المشرق

التذكار المئويّ

لوفاة السعيد الذكر السيد اغناطيوس ميخائيل جروه

اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك (١

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

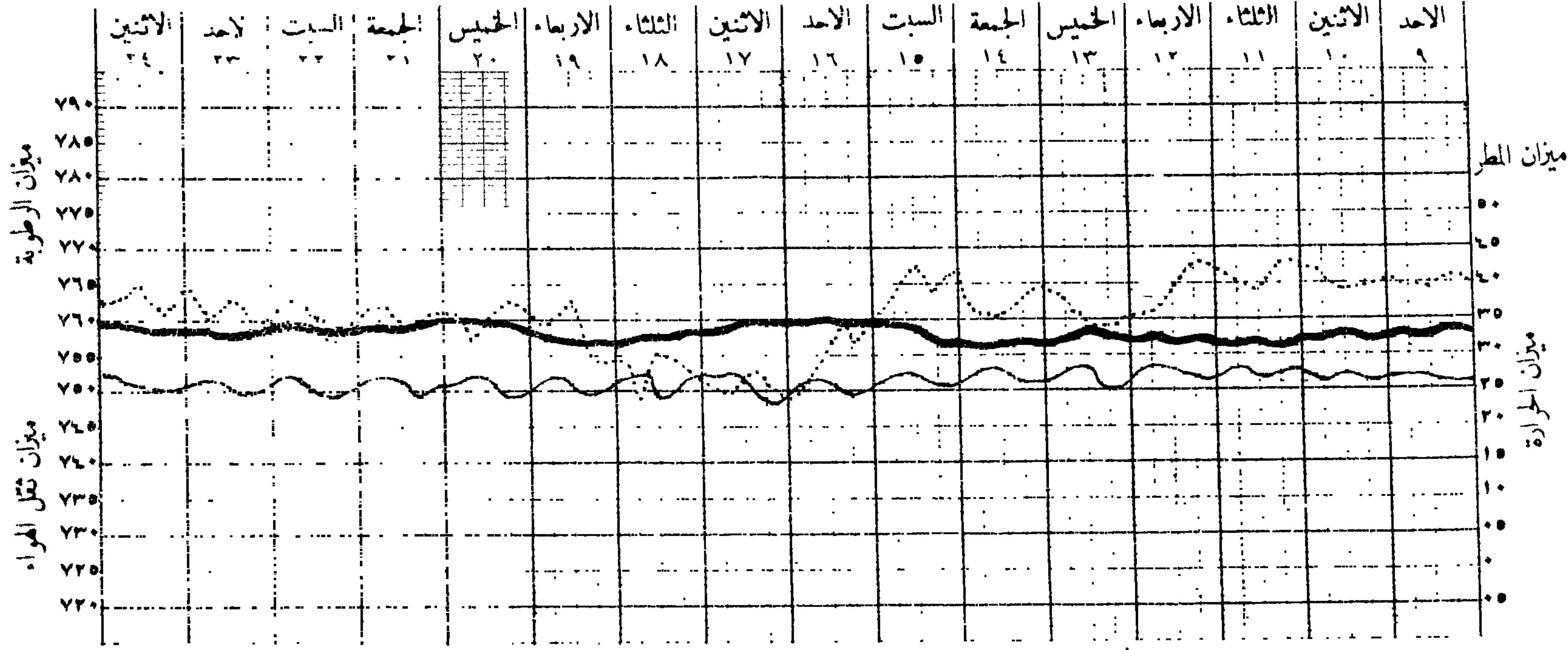
في ١٦ ايلول من السنة ١٨٠٠ استأثرت رحمة رب الانام. باحد جنود المسيح الشهام. الذين دافعوا عن الحق بقلب اشدَّ من الرئبال. وثبات طالما سخر من النوائب والاهوال. ألا وهو بطلٌ اذاقهُ اعداؤهُ ضروب الشجون. وهو يريهم الصبر كيف يكون. الى ان حلَّ الله رباقهُ. وارخى خناقهُ. فجعلهُ كخليلهِ ابراهيم. ابًا لنسل عظيم. نريد الطيب الذكر والحميد الأَثر. اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك السيد ميخائيل جروه. الذي بلغ من الكمال الذروة

فلم يرضَ ابناء ملَّتهِ الافاضل. ان يمرّ هذا التذكار القرنيّ دون ان يُقام لصاحبهِ عيد حافل. فلمَّا كان الاحد الواقع في ١٦ ايلول الماضي. جرت في كنائس الطائفة السريانية. حفلات شائقة دُعي اليها وجوهُ الملل الكاثوليكية. فأُقيمت رتبة القداس لراحة نفس ذلك الحبر الهمام. الذي ادخل رعيَّتهُ في حظيرة الأَمن والسلام. وفي ختام الذبيحة النقيَّة. تُليت صلوات الجناز باصوات شجيَّة. وفي بعض الاماكن تسنَّم المنابر مصاقيع الخطباء. فأَثنوا على المحتفَل بذكرهِ اطيب الثناء. وعدّدوا مناقبهُ الغرَّاء. التي اكسبتهُ مجدًا لا تغتالهُ ايدي البلاء.

وبهذه النسبة احببنا نحن ايضًا ان ندوّن في صفحات المشرق خلاصة اعمال هذا

١) اننا نعتبر هنا سلسلة بطاركة السريان الكاثوليك منذ انفصالها عن السلسلة اليعقوبيَّة

قائمة للآثار الجوّية من ٩ الى ٢٤ ايلول ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

من الارمن والروم (١ واليعاقبة لا يقلون عن عشرة آلاف نسمة. وقد اشتهر منهم بالغيرة في هداية الضالين الاباء اليسوعيون ايرونيم كويرو (Queyrot) واميو (Amieu) وحبيب شيزو (Chézaud) وغيليوم غوده (Godet) وميخائيل نو (Nau) ورينه كليسون (Clisson) وانطون ناخي الماروني القبرسي وبطرس فروماج الذائع الشهرة وجبرائيل ديسورغ (Désorgues) وفرنسيس كوسه (Causset) واسطفان كوينو (Cuénot) ولكلّ هؤلاء الآباء رسالات وتآليف تشهد لهم بسموّ الفضل وسعة المعارف

وقد وجد المرسلون في قلوب اليعاقبة الحلبيين خصوصًا ارضًا جيدة أَلقوا فيها بذر الايمان فجاءت بثمار حسنة ابهجت كنيسة الله. فمن ذلك انهم افرغوا جهدهم في اواسط القرن السابع عشر في هداية اندراوس اخيجيان الى نور الحق. ولمَّا توفي قسطنطين مطران حلب على اليعاقبة اقنعوا الشعب بان يختاروهُ لهم راعيًا ثم ارسلوهُ الى لبنان الى غبطة البطريرك الماروني يوحنَّا الصفراوي الذي سقَّفهُ على حلب باذن الكرسي الرسوليّ. ولم يلبث الحبر الاعظم اقليميس التاسع ان يرسل لهُ درع الرئاسة وجعلهُ بطريركًا على المرتدّين الى الكثلكة (١٦٦٧) فدعي اغناطيوس اندراوس. وخلفهُ في رتبتهِ بعد وفاتهِ (١٦٧٨) بطرس غريغوريوس اغناطيوس. الَّا ان يعاقبة دياربكر وماردين اثاروا عليهِ الاضطهادات الشديدة وسلبوهُ كنيستهُ في حلب وأَلقوهُ في السجن وفيهِ توّفي (سنة ١٧٠١) لما نالهُ من المحن والبلايا. وبقي الكرسي البطريركي بعدهُ فارغًا اثنتين وثمانين سنة

على انَّ الحزب السريانيّ الكاثوليكيّ لم يتزعزع في ايمانهِ من جرَّاء هذه الشدائد بل ازداد ثباتًا شأن الشجرة التي تعصف بها الريح فتتأصَّل جذورها في اعماق الارض. وكان مع ذلك عدد الذين نبذوا البدعة اليعقوبية لا يزال في نموّ دائم الى ان اقام الله ميخائيل جروه فجعلهُ في يدهِ القديرة كآلة لخلاص اهل جلدتهِ

١) كنَّا ذكرنا في المشرق (٢: ٦٦١ و ٧١٩) انَّ العلَّامة الشهير عبد الله زاخر ممَّن ارتدُّوا في شبابهِ عن الهرطقة الى الايمان الكاثوليكي على يد المرسلين. وقد قرأْنا في كتاب تاريخ انطون بن الشيخ ابي خطَّار (ص ٧٣) ان الخوري الماروني الشهير بطرس التولاوي البتروني ممَّن سعوا في جذب عبد الله زاخر الى الايمان الكاثوليكي. هذا كلامهُ بالحرف قال: « وصار للخوري بطرس التولاوي جملة تلاميذ فمن الملكية اثنين (كذا) وهما عبد الله زاخر المشهور بالطبع والخوري نيقولا الصائغ. وهذين (كذا) قد ردَّهما من الهرطقة والكفر الى القرار بالكنيسة الرومانية »

البطريرك الجليل ليرى الشرقيون لاسيما السريان ما قاساهُ اجدادهم في سبيل الايمان. فيزيد اعتبارهم لدينٍ كلّ ما سواهُ فانٍ. فيحافظوا عليهِ محافظة الضنين. على الكنز الثمين

١

وُلد ميخائيل جروة سنة ١٧٣٦ للميلاد في مدينة حلب وكان والداهُ من شيعة السريان اليعاقبة الّا انهما كانا يسيران في مذهبهما ببساطة القلب فلم يعاندا الحقّ. ونشأ ابنهما ميخائيل مقتديًا بآدابهما لا يشك في صحّة دينهِ. الّا ان الله بعنايتهِ الصمدانيَّة ارشدهُ مذ ذاك الوقت الى معرفة كثيرين من مواطنيهِ الذين كانوا جحدوا اضاليلهم ليدينوا بالايمان الكاثوليكي

والحقّ يُقال انَّ الشهباء كانت اضحت في اوائل القرن الثامن عشر مركزًا مهمًا لحركة ارتداد الطوائف المنفصلة والفضل الاعظم في ذلك عائد الى المرسلين اللاتينيين الذين قدموا تلك المدينة بامر الاحبار الرومانيين نخصّ منهم بالذكر الآباء اليسوعيين

وكان اوَّل دخول الرهبانيَّة اليسوعية في حلب سنة ١٦٢٥ في عهد البابا اوربانوس الثامن اتاها بايعاز الكرسي الرسولي الابوان الفرنسيَّان حنَّا ستيلّا (Stella) وغسيار مَنيليار (Maniglier). فما كادت قدمهما تستقرّ في الشهباء حتى ثارت عليهما ثوائر الشحناء ورشقتهما سهام الحسد الى ان منحهما الله الفوز التامّ بمن ناواهما. وكان منزلهما في خان الفرنج يخدمان النفوس خدمةً نصوحًا كما ذكر ذلك القنصل الفرنسيّ دَرڤيو (Le Chevalier d'Arvieux) في كتاب اعمالهِ وحوادث حياتهِ وألحقهُ بالثناء الجميل

وممَّا سعى بهِ اليسوعيون مذ ذاك الحين انَّهم جمعوا كلمة الكاثوليك وانشأُوا اخويَّات تقويَّة انعشوا فيها روح الدين وكان اعضاء هذه الجمعيات من جميع الطوائف فزاد بذلك ائتلاف القلوب ونما التحابُّ مع نموّ التقوى والاعمال الخيريَّة

وكانت هذه الاخويَّات لا تزال في ازدياد متواصل حتى اضطرّ المرشدون ان يقسموها الى ستَّة اقسام كانوا يديرونها في كنائس البلدة واضافوا اليها ارشاد الاحداث وتلقين الجهَّال التعليم المسيحي

على انَّ المرسلين لم يكتفوا بتهذيب الطوائف الكاثوليكيَّة بل صرفوا نظرهم الى الاخوة المنفصلين ليجتذبوهم الى سراط الحقّ فوفَّق الله مساعيهم ورجَّعوا عددًا غفيرًا

« واذ نظرتُ بعد كلّ عملي هذا اني لم اقدر ان اظهر ذاتي كاثوليكيًّا بالتمام لشدّة خوفي من الهراطقة ذهبت الى مدينة ديار بكر التي تبعد عن حلب خمسة عشر يومًا حيث كان البطريرك اليعقوبي كوركيس الثاني الرهاوي مقيمًا. فبقيت عندهُ سنة كاملة لاجتذب قلبهُ نحوي وانا اتباحث مع اليعاقبة هناك واتودّد اليهم وارشدهم وابذر زرع الايمان الكاثوليكي خفيةً. غير اني ما قدرتُ على جذب قلب البطرك بل صيّرني اسقفًا على حلب جبرًا وقهرًا (١ وامرني ان ارجع الى بلدي واردّ جميع عوائد الاراطقة كما كانت قبلًا. فلمّا نظرتُ اني ملتزم بالرجوع اضمرت في قلبي بكل شجاعة مسيحية انني لا افعل من مطلوبات البطرك شيئًا بعد وصولي الى حلب مهما جرى لي بل ازيد عمّا كنتُ عليهِ قبلًا لاني صرتُ الآن اسقفًا ورئيسًا. غير انّهُ بعد رجوعي الى حلب بايّام قليلة مات هذا البطرك مصرًّا على عنادهِ وقام آخر غيرهُ شرّ منهُ وهو الموصلي كوركيس (جرجس) الثالث فصار يضطهدني بالاوفر فسبّب لي اتعابًا شاقّة وغرّمني اموالاً وافرة. فحينئذٍ اتّفقت مع المتقدّمين في كنيستي وذهبتُ الى دير الزعفران الذي يبعد عن حلب مقدار عشرين يومًا وتواجهتُ هناك مع هذا البطرك وقصدي اخذ خاطرهِ وجذب قلبهِ بالمال لانّهُ كان شديد الطمع اليهِ لاقدر ان أُجاهر انا وكنيستي بالايمان الكاثوليكي فما امكنني ذلك. بل امرني بعد اخذ المال ان اجلس في الدير عندهُ فبقيت مقيّدًا تحت حكمهِ اربع سنوات كاملة اقدّس مع شماسي في مكان منفرد. غير انهُ في اثناء ذلك جرى المتقدّمون في حلب حسب الاتفاق وبكل دراية مقدّسة مع مساعدة الاباء المرسلين فنادوا بالايمان الكاثوليكي في كنيستي واظهروا ذواتهم جهارًا وارسلوا مَن يخبرني بما صنعوا

« فلمّا بلغ البطريرك الاراتيكي خبر هذا العمل المقدّس نسبهُ اليّ في الحال وزاد في اضطهادي لوجودي بين يديهِ. غير انّ القوّة الالهيّة اعانتني في تلك الايّام حتّى صبرتُ على كلّ ما جرى عليّ ولمّا وجدتُ فرصةً مناسبة هربت الى حلب »

وكان الحبر الاعظم في تلك الاثناء قد بلغهُ خبر ارتداد الاسقف جروه وملّتهِ الى حجر الكنيسة الرومانية فارسل احد قصّادهِ ليجتمع بهِ ويفحص عن صحّة ايمانهِ. فكان اوّل ما فكّر فيهِ ميخائيل ديونيسيوس ان يستدعي القاصد الرسولي الى بيت ابيهِ ليتلو بين يديهِ وبحضور عدد وافر من الاكليروس دستور الايمان المستقيم. فلمّا تلاها نال الحلّ عن الارطقة وحرّر كتبًا الى المجمع المقدّس يوضح فيها خضوعهُ التامّ لرئيس الاحبار وخليفة هامة الرسل وارسلها الى رومية مع صورة ايمانهِ ممضاة باسمهِ وختمهِ

فسرّ ابو المؤمنين بمطالعة هذه الرسالة وايّد صاحبها بسلطانهِ ومنحهُ نعمًا ومواهب خصوصية اعربت عن انعطافهِ السامي. لكن ابليس عدوّ كل خير لم يدع ابن الكنيسة زمنًا طويلًا دون ان يثير عليهِ فتنًا جديدة كادت تذيقهُ العلقم. فانّ البطرك اليعقوبي لمّا بلغهُ انّ اسقف حلب خرج عن طاعتهِ قدم مسرعًا الى حلب وصحبتهُ مطارين ورهبان

---

١) ودُعي حينئذٍ ميخائيل ديونيسيوس

٢

قلنا ان ميخائيل في صباه عرف الدين الكاثوليكيّ واجتمع باصحابهِ في وطنهِ. لكنَّ الله سمح بان يبقى الى مدَّةٍ في ضلالهِ ليحصل من ذلك خير اعظم لطائفتهِ. وقد اخبرنا هو بنفسهِ كيف تمَّ امر ارتدادهِ في كرَّاسةٍ مخطوطة تُصان الى اليوم في مكتبة دير سيدة النجاة في الشرفة اطلعنا عليها حضرة رئيسها المفضال الخورفسقوفوس بولس هبرا ومَّما افادنا في ترجمة حياتهِ المذكورة انَّهُ رُقي الى درجة الكهنوت في سنة ١٧٥٧. الى ان قال:

« وبعد ارتسامي قسيساً باشهر قليلة اقامني البطريرك اليعقوبي كيوركيس (جرجس) الثاني رئيساً على كنيسة حلب لانني كنتُ وقتئذٍ اراتيكيًا محامياً عن ارطقة ديوسقوروس ومحباً خصوصياً للبطريرك المذكور. غير انَّ إلهنا الرحوم المحبّ ان يُقبل الجميع الى طريق الخلاص انار عقلي وصيَّرني ان افهم واذعن للحقّ فابتدأت حينئذٍ اسعى في ان يقبل الحقّ معي جميع شعبي وبني جنسي... وقد تعبتُ جدًّا وغرمت اموالاً جزيلة وحصلت لي اضطهادات صعبة جدًّا ثماني سنوات حتَّى رفعتُ من كنيستي العوائد الاراتيكيَّة وادخلتُ بدلاً منها عوائد الكنيسة الكاثوليكية »

وكان القس ميخائيل في تلك الاثنا مرتابًا في امرهِ يضمر في نفسهِ الكثلكة وهو مع ذلك لا يذعن لها تمامًا وانَّما يجترئ باتخاذ بعض العبادات الكاثوليكية والاقتداء بالمرسلين اللاتين. وقد اخبرنا عنهُ الاب فرنسيس كوسّه (Causset) اليسوعي انهُ انشأ بين ابناء ملَّتهِ شركة الورديَّة والاخويَّات والارشادات وكان يقرأ لهم فصولًا من الكتب الكاثوليكية كمدخل العبادة للقديس فرنسيس سالس والكمال المسيحيّ لرودريكس وتأملات الجسري. فجعل كثيرون يتقاطرون الى استماعهِ وهو مع ذلك لا يزال تحت طاعة البطريرك اليعقوبي ساكتًا عن تعليم بدعتهِ

فخاف اليسوعيون ان تكون طريقة القسّ ميخائيل جروه احبولةً لصيد السذَّج فيعود بهم الى الضلال. ولدينا رسائل وجَّهها اليهِ الاب فرنسيس كوسّه (١ المذكور سنة ١٧٦٠ يشرح لهُ فيها الايمان الاورثذكسي ويبيّن ضلال اليعاقبة ويحضُّهُ على نبذ شيعتهِ تمامًا لئلا يصير حجر عثرةٍ لذوي نحلتهِ. فما بلغت هذه الرسائل القس ميخائيل حتى جزم على الرجوع التام الى حظيرة المسيح. ثمَّ اردف القس ميخائيل:

١) مات هذا الاب سنة ١٧٦١ شهيد محبتهِ في خدمة المطعونين

فنما هذا الخبر في حلب وصدَّقهُ الكاثوليك وكتبوا لمطرانهم ان يعود مطمئنًا الى كنيستهِ. فانثنى ميخائيل عائدًا الى كرسيهِ على طريق رشيد ثمّ دمياط ثمَّ يافا وتبرَّك بزيارة قبر المسيح في القدس الشريف وواصل سيرهُ الى اللاذقيــة فحلب

وكان اليعاقبة راصدين لخصمهم حتى اذا استقرَّت قدمهُ في رَبع وطنــهِ اشهروا للحال براءَة الحكم في نفيهِ. فلمَّا وصل تحاملوا عليهِ باجمعهم وضبطوا كنيستهُ واخرجوهُ من حلب مهانًا مشبعًا باصناف الآلام. قال في ترجمة حياتهِ:

« ووضعونا عنــد الجلّاد في البرّية مدّة ١٣ يومًا الارضُ فراشنا والسماء غطاؤنا والجنازير (الزناجير) في رقابنا والقيود في ارجلنا ليلًا ونهارًا مع اتصال التهديدات والتخويفات بالقتل والنفي وطلب اموال تفوق القوَّة حتَّى قطعنا الرجاء من الحياة »

وما سكنت هذه الثورة الّا بنعمة خاصَّة من الله فمدَّ الربُّ يد المساعدة الى عبدهِ وخلَّصهُ من مخالب اليعاقبة اعدائهِ وذلك بعد ان تكفَّل بدفع اربعين كيسًا من المال اعني عشرين الف غرش وكان هذا المبلغ في تلك الأيام عبارة عن ثروة واسعة لا يحصل عليها الّا كبار الاغنياء. فمن ثمَّ قاسى المطران ميخائيل شدائد عديدة ليجمع هــذا المال الطائل واعداؤهُ لا يزالون يتأثرونهُ الى ان دفع لهم آخر فلس. قال السيد ميخائيل في ترجمة حالهِ:

« غير انَّ الهنا العادل انتقم لنا وشيكًا من هذا البطرك الظالم حيث انهُ بعد مدَّة قليلة دهاهُ مرضٌ عضال انفصلت بهِ نفسهُ عن جسدهِ ومات بهذه الحالة التعيسة مصرًّا على عنادهِ »

٣

كانت وفاة البطرك اليعقوبيّ جرجس الثالث الموصلي في اوائل سنة ١٧٨١. وبهِ انقطعت سلسلة بطاركة اليعاقبة الشرعيَّة وابتــدأت سلسلة كاثوليكيَّة اعادت لكنيسة السريان رونقها القديم وهاك بيان الخبر كما رواهُ المطران ميخائيل جروه قال:

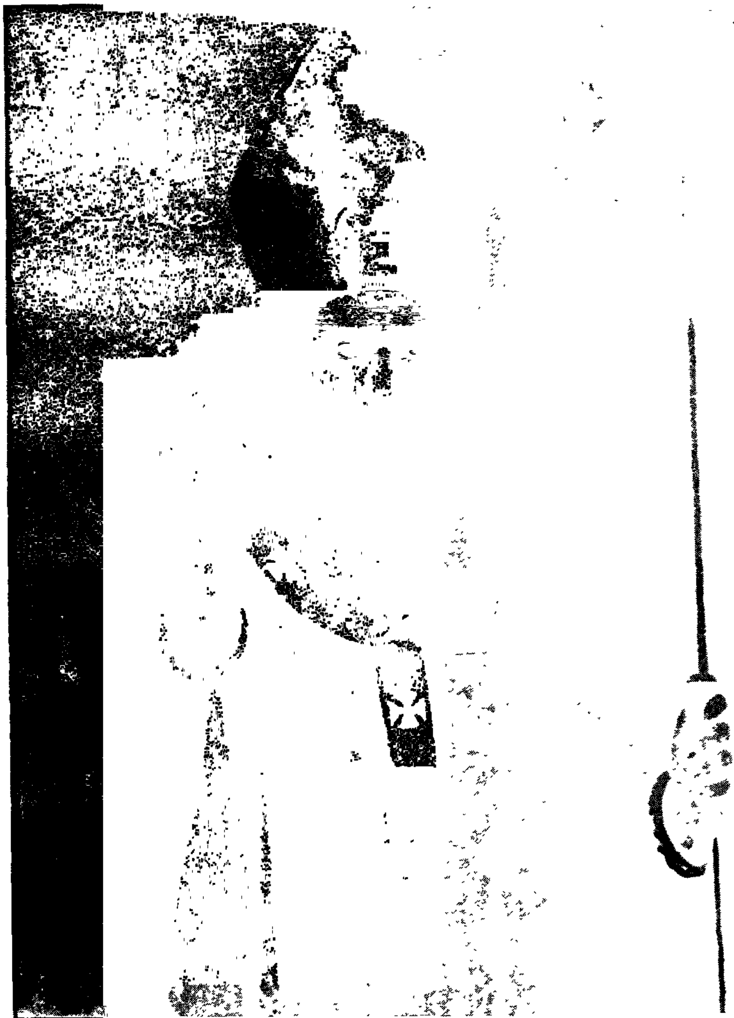
« وبعد وفاة البطرك حالاً اتَّفق جميع اليعاقبــة وسريان بلاد ما بين النهرين مع مطارينهم والرهبــان والكهنة وارسلوا اليَّ معروضات مختومةً وممضاة من جميعهم مع احد السعاة فاعلموني بموت بطركهم ودعوني لأقوم عليهم بطركًا عوضًا عنهُ وكانوا في كتابهم يستحلفونني في ان اسرع بالحضور اليهم بغير تأخير. فبعــد وقوفي على كتبهم وطلبهم ارسلتُ اليهم جوابي بعدم امكاني من قبول دعوتهم لاني انا بنعمة الله كاثوليكي وهم يعاقبة. . فلمَّا وصلهم جوابي عادوا فكتبوا لي رسائل جديدة ضعف الاولى امضوها وختموها باسماء جمّ غفير من جماعتهم. وكان مضمون هذه الكتابات انهم جميعًا بقلب واحد ورأي واحد يرتضون بايماني ورأي الكاثوليك وانهم قد رفعوا (من كتبهم

واستعان بالقوّة الجبريَّة فضبط الكنيسة وكبَّل اسقفها بالقيود وحبسهُ مــدَّة واذاقهُ مرَّ النكال. لكنَّ الله افرج عن المظلوم بعد قليل فاخرجهُ الحكّام من حبسهِ مكرَّماً واعادوه الى كنيستهِ وقمعوا طغيان مضطهدهِ الذي اضطرَّ الى ان ينفتل راجعاً الى دير الزعفران وقلبهُ يتلظَّى غيظاً على طريدتهِ المتملّصة من بين يديهِ. فاخذ من ثمَّ يرسل مناشيرهُ الى كلّ الجهات يُعلن بها حرم اسقف حلب غير انَّ سهامهُ ذهبت طائشة

وكان حزب ميخائيــل ديونيسيوس جروه يتقوَّى يوماً فيوماً وكثير من الحلبيين يجحدون الضــلال اليعقوبيّ الى ان سوَّل الشيطان لبعض هراطقة الارمن ان يعضدوا اليعاقبة ويسعوا بهم ظلماً عنــد ذوي الامر ويتخذوا الرشوة كشِصّ لترويج غاياتهم. فاجتمعوا في يوم من آحاد السنة زرافاتٍ وباغتوا الكاثوليــك في ساعة القداس الكبير فضربوا قوماً منهم واقتادوا غيرهم الى السجن وبدَّدوا شمل الرعيَّة جمعاء. امَّا راعيهم فنالهُ من المحن اضعاف ما نال اصحــابهُ فانَّ اعداءهُ اوسعوهُ ضرباً وكبَّلوهُ بالاغلال وابرزوا عليهِ حكماً ليُقتــل شنقاً. وكاد الامر يتمُّ فعلًا لولا انَّ الله ألهم بعض اهل الخير وذوي النخوة فتشفَّعوا بهِ وافتدوهُ بالمال وبيَّنوا برارتهُ حتى انقذوهُ من يد اعدائهِ. وكان من جملة من توسَّطوا في امرهِ روسّيل ممثّل الدولة الفرنسويَّة والترجمان موسى انطون

فلمَّا رأى الهراطقة ان مساعيهم ذهبت ادراج الرياح كتبوا الى بطرك الارمن في الاستانـة العليَّة يستعينون بهِ ليصدر لهم امرًا في نفي خصمهم الألدّ ميخائيل جروه مع كهنتهِ واعيان كنيستهِ ووعدوهُ بالمال الوافر ان مكَّنهم من الكاثوليك اعدائهم. فطمع البطرك بالمال الموعود ولم يدَّخر وسيلة لتحقيق آمال اصحابهِ الى ان أفــازهم بالمرغوب. فارسل من يبشّر يعاقبة حلب بصــدور الحكم. فسُرَّ هؤلاء ومنَّوا النفس بالظفر القريب

امَّا المطران ميخائيل فانَّهُ لم يرَ طريقة للنجاة من هذه المحنة الجديدة الَّا ان يفرَّ من ايدي اعدائهِ فقام ليلًا وهرب الى اللاذقيَّة ثمَّ البحر الى قبرس ومنها الى الاسكندريَّة وبقي هناك مختفياً مدَّة سبعة اشهر. فكتم اليعاقبــة براءة الحكم واشاعوا انَّ مساعيهم قد حبطت وانَّ الامر في نفي ميخائيل جروه لم يصدر قطعاً. وكان ذلك مكيدة منهم نصبوها ليرقعوا في اشراكهم عدوَّهم الازرق



السعيد الذكر اغناطيوس ميخائيل جروه

اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك (١٧٨٣ — ١٨٠٠)

الكنائسية) اسماء السبعة المحرومين ولفظة « يا مَن صُلبتَ لاجلنا » وانهم يفعلون مهما امرتُهم بشرط ان اصير عليهم بطريركاً . وهكذا صارت التحارير ثلاث مرَّات بكلّ لجاجة مدَّة ثلاثة اشهر . فلمَّا نظرتُ ثباتهم على رأيهم سرت اليهم بمشورة مَن لهم المشورة واخذتُ معي كهنة وشمامسة من حلب وتكلَّفتُ في ذلك كلفاً زائدة . وكان دخولنا ماردين في ١٥ تشرين الثاني ١٧٨١ بعد سفر ١٢ يوماً . فاستقبلَنا اليعاقبةُ بكل اكرام وجعلوا يتواردون الينا كباراً وصغاراً ويرتشدون بالايمان المقدس ويقبلون الحلّ من الارطقة »

ثمَّ بقي المطران جروه ايَّاماً يتجسَّس احوال الجماعة ليرى صدق طويَّتهم وهو لا يدخل كنائسهم . والقوم في تلك الاثناء يأتونهُ افواجاً افواجاً ويتوسَّلون اليهِ بان يذهب الى كنائسهم ويكرّسها ويقرّب فيها الذبيحة الالهيَّة . واقبل اليهِ ايضاً الاساقفة وخضعوا لهُ بعد ان نبذوا الاضاليل اليعقوبية . وتأخر منهم اثنان كانا سابقاً في خدمة البطريرك المتوفَّى وتشرَّبا بغضهُ للكثلكة فاخذا يستميلان اليهما الشعب ويغويانه بكلامهما الباطل ويزرعان زوان الفساد . فظنّ المطران ميخائيل انهما طامعان في البطريركيَّة فسمح لهما فيها بشرط ان يتَّحدا بالكنيسة الرومانية ويتلوا صورة الايمان المفروضة من البابا اوربانوس فأبيا وثبتا في غيّهما وهما مع ذلك ساعيان في ضبط الكنائس لئلا يدخلها المطران الكاثوليكيّ وقدم ايضاً مطران القدس بعد مدَّة واتفق معهما فكان ثالثة الاثافي

امَّا الحزب الكاثوليكي فلمَّا رأى شراسة هؤلاء تخوَّف من استفحال الامر فاستولى على احدى الكنائس وصار المطران جروه واتباعهُ يقيمون فيها الرتب الطقسيَّة . ثمَّ استمالوا اليهم الحكَّام وارسلوا جميعاً الى والي بغداد لوقوع ماردين تحت حكمهِ وطلبوا اليهِ ان يرخّص لهم بانتخاب مطران حلب بطريركاً على دير الزعفران ريثما ينال من الباب العالي فرماناً مؤذناً بذلك . قال السيد ميخائيل في ترجمة نفسهِ :

« فحضر من والي بغداد امر للحاكم ان يلبسني كركاً (فروة) ويقيمني بطريركاً على دير الزعفران وعلى السريان كافةً وكتب انَّهُ ارسل الى الباب العالي ايحضر الفرمان . فللحال فعل حاكم ماردين كما أُمر . وبعد ان اخذوني باحتفال عظيم ولبَّسوني الحلَّة البطريركيَّة قادوني من هناك الى الكنيسة الكبيرة الوف امامي والوف ورائي . وحينئذٍ حضر جميع المطارين وادَّوا لي الخضوع واربعة منهم تلوا صورة الايمان التي لاوربانوس البابا . وبعد ايَّام قليلة في ابتداء كانون الثاني من سنة ١٧٨٣ اخذني هؤلاء الاربعة الى دير الزعفران وهناك رسموني بطريركاً (١ عليهم بحضور اساقفة الارمن والكلدان

(١) وزاد مذ ذلك الوقت على اسمهِ اسم اغناطيوس فعُرف باغناطيوس ميخائيل . واما اسماء المطارنة الذين جعلوهُ بطريركاً فهي ابراهيم ونعمة وموسى وجرجس بشاره

الكاثوليكيين والمرسل اللاتيني في ماردين ٠ وحضر هذا الاحتفال الوف الوف من الشعب . ثمَّ بعد يومين رجعنا الى البلد ٠ ٠ ٠ وارسلتُ كهنة كاثوليكيين لبقيَّة الكنائس »

وبينما كانت تلك الرتب الجليلة تُقام في دير الزعفران كان الاسقفان العاصيان المارّ ذكرهما يدسّان الدسائس للبطرك الجديد فانهما سلبا كلّ مال البطرك المتوَّفى وهربا مع الرهبان من اتباعهما الى جبل العصاة اعني طور عابدين حيث يقيم جمهور كبير من اهل بدعتهم ذوي اطباع فظَّة واخلاق شرسة فاحتميا عندهم وتآمرا معهم على قتل البطريرك وكان قصدهم ان يدخلوا المدينة ليلًا ويغتالوا البطرك في دارهِ لانَّ بيوت ماردين راكبة على بعضها بغير حائط ولا حجاز يسهل الولوج فيها . فعلم البطرك واحتار في امرهِ وممَّا زاد على خوفهِ ما رآهُ في تلك الاثناء من اكراد الجبال الذين عصوا الدولة العليَّة وفتحوا ماردين عنوةً وكان اليعاقبة يواطئونهم في سوء اعمالهم . فلم يجد البطرك الكاثوليكي بدًّا من ان يتوارى من وجه اعدائهِ وكان يختفي في كلّ ليلة في بيت احد انصارهِ ويعهد بحراسة الكنيسة الى بعض الناس الامناء امَّا النهار فكان يقضيهِ في الصلاة في البيعة

وبقي الامر كذلك الى يوم خميس العهد فاجتمع من الهراطقة قوم كبير ودخلوا الكنيسة الكبرى وقصدهم ان يقتلوا البطريرك فاخذوا يصرخون ويتهدَّدون رجل الله ويلومونهُ على عدم اجازتهِ للكهنة اليعاقبة ان يصلوا في كنيستهِ . فاحاط الكاثوليك بالبطريرك ودافعوا عنهُ وردُّوا اعداءهُ خاسرين . ثمَّ عاد هؤلاء الاشقياء مرارًا كثيرة يفكّرون في انجاز مقصدهم الشرير فلم ينجحوا الى ان ارسلت الدولة السنيَّة حاكمًا يطرد الاكراد من ماردين فتمكَّن منهم وقطع دابرهم وخاف اليعاقبة من سطوة الدولة فعادوا الى جبالهم واخبروا مواطنيهم انهم لم يحصلوا على فرصة مناسبة لتتميم مرادهم

ثمَّ ارسل البطرك ميخائيل اغناطيوس كتابًا مطوَّلًا الى امام الاحبار بيوس السادس يخبرهُ بكيفيَّة انتخابهِ وما نالهُ بسبب ايمانهِ من المحن والبلايا وهو يطلب من الحبر الاعظم ان يثبتهُ في منصبهِ الجديد . فاجاب الاب الاقدس الى ملتمسهِ في منشور اصدرهُ في ١٤ ايلول من سنة ١٧٨٣ ومنحهُ السلطة التامَّة على طائفة السريان وقلَّدهُ درع البطاركة على يد اسقف بغداد اللاتيني حنَّا ميرودو دو بُرج (Miroudot du Bourg) وابطل انتخاب كلّ دخيل سواهُ

انهُ في الموصل فارسل الى والي بغداد شكايات كاذبة عليهِ يدَّعي زورًا انهُ من اعداء الدولة. فلم يصدّق والي بغداد هـذه الوشايات لكنَّهُ كتب الى والي الموصل يستقدم البطريرك الى بغداد فاركبهُ نهر دجلة على الطَّوف (الكلك) وارسلهُ الى مدينة السلام. فلمَّا بلغها فحص الوالي عن امرهِ وتبيَّن برارتهُ وتحقَّق كذب اخصامهِ ثمَّ وعدهُ بان يسعى لدى الباب العالي فينال لهُ فرمانًا الَّا انَّ رغائبهُ لم تتم بالفعل لبعد المسافة بين بغـداد والاستانـة العليّة ولقلة ذات يد السيد ميخائيل جروه

وكان البطريرك الدخيـل في غضون ذلك لم يألُ جهدًا في قلع بذور الكثلكة وهلاك زعيمهم يعينهم على بلوغ غايتهم البطريرك الارمنيّ الاراتيكيّ . فنـال اوامر جديدة تثبت لهُ الحقوق على خصمهِ وتقضي بنفيهِ من بلاد ما بين النهرين. فارسل والقى القبض على المطارين والكهنة وائمَّة الكاثوليك في ماردين وشدَّد عليهم لينكّب بهم عن معتقدهم فرذلوا قولهُ كلهم بلسان واحد وآثروا كل البلايا على مطاوعتهِ

وعلم البطريرك ميخائيل جروه في بغداد انَّ مصائب جديدة تنتظرهُ إلَّم يهرب من وجه اعدائهِ اليعاقبة. فجمع في بغداد اعيـان الكاثوليك سرًّا وطلب منهم المشورة فاشاروا اليهِ ان يفرّ هاربًا الى سواحل الشام لقلة اليعاقبة في تلك الجهات ويقصـد من ثمَّ بلاد كسروان وقرضوهُ مبلغًا من المال لينفقهُ في لوازم سفرهِ. واخبر عن نفسهِ قال:

« والتزمتُ بالخروج من بغداد بالليل خفية متردّيًا بلباس احد العرب ماشيًا بلا ركب ومعي رفيقان. ولمَّا وصلنا الى مكان بعيد خارجًا من المدينة ركبنا الجمال التي لم اعرف قط ركوبها صحبة ثلاثة انفار من العرب استكرينا إبلهم بمائة من الذهب وكنَّا مع ذلك خالين من الحوائج الضرورية في طريق القفر الخالي من الماء بل الممتلئ خوفًا ورعبًا من الوحوش الضارية واصحاب الغزوات. وهنا أصمتُ عن ايراد ما قاسيتهُ في هذا الطريق الخيف. وعلى كلّ ذلك كان الدم يجري من كل جسدي كالينابيع لاجل سرعة الذهاب وطول السير وكان العرب من اصحابنا اخذونا على طريق بعيد جدًّا من خوفهم من قاطعي الطرق ومن قبـائل اعدائهم. ولذلك كنا نسير في الطرق غير المسلوكة ونضطرّ في بعض الاحيان ان ننزل في بعض اودية تلك البرّيَّة لئلَّا ينظرنا الغزاة ويقتلونا. ولم نزل نواصل السير بسرعة غريبة حتَّى قطعنا مسافة ستين يومًا بخمسة عشر يومًا فوصلنـا الى تدمر. وحينئذٍ سمعوا عن احوال الشام ما ملأهم خوفًا فامتنعوا ان يذهبوا معنـا واخذوا جمالهم وتركونا بين ايدي عرب تلك الناحية. فاصابنا رعبٌ شديد وقطعنا الرجاء من الحياة كليًّا ثمَّ سلَّمنا امرنا الى ارادة الله والتجأنا الى مريم البتول سيدة النجاة لتخلّصنا من هذه الشدَّة كما نجّتنا وحفظتنا في كلّ مسيرنا. فألهمت احد هؤلاء العرب وحنَّنت قلبهُ عليَّ فاركبني جملهُ و بذل نفسهُ في خلاصي

وذلك انّ اليعاقبة لمّا رأوا انّ طائفتهم اوشكت على الاضمحلال بانتخاب البطرك جروه شرعيًّا اجتمعوا تحت امرة احد المطرانين العاصيين المدعو متى واختاروا لهُ اربعة من الرهبان اساقفة يتمّ بهم العدد اللازم ليختاروهُ بطريركًا . فاجابوا الى ملتمسهِ ونصبوهُ بطريركًا دخيلًا

وكان متى المذكور رجلًا جسورًا كثير الحيـــل . فاشهر على خصمهِ حربًا عوانًا لم تخمد لظاها الّا بعد سنتين قاسى في مدّتها البطريرك الشرعي ضروب النكبات وابتُلي بأصناف البوائق

واوّل ما فعلهُ متى الدخيـــل انهُ منع بدسائس البطريرك الارمني في القسطنطينيّة صدور الفرمان الذي طلبهُ والي بغداد مع غيرهِ من الذوات لمخائيل جروه فقويت شوكة المضـــادّين وزادوا ظلمًا وتعصُّبًا واغتصبوا كنيستَي دياربكر وماردين من ايدي الكاثوليك وترعوا عنهم ايضًا كنائس القرى المرتدّة الى الايمان . وبلغت بهم الوقاحة الى ان سعوا بقتل خوري كاثوليكي يدعى يعقوب كان رقّاهُ البطريرك الشرعي الى درجة الكهنوت فمات وهو يصرخ « اموت على دين المسيح كاثوليكيًا »

ثمّ دخل البطريرك الدخيل دير الزعفران ولم يزل يقوم ويقعـــد الى ان قبض على خصمهِ وطلب منهُ الطاعة فابى فالقاهُ في حبس مظلم بقي فيهِ اربعين يومًا ثمّ اخرجهُ واتى بهِ الى دير الزعفران وهو ينوي ان يتخلّص منهُ ويقتلهُ خفيـــةً . فلم يسمح الله باجتراح هذا الاثم القطيع وبلغ حاكم ماردين عبدي باشا ما فعل متى الدخيل فانقذ اغناطيوس جروه من يديهِ وعاقبهُ على سوء معاملتهِ لهُ . ثمّ عاد الدخيل الى اعمالهِ الفظّة بعـــد خمسة اشهر وانتهز لذلك فرصة تغيير الحاكم . ولم يجد البطريرك القديس مفرًّا من هـــذه الاضطهادات الّا الهرب فاتصل بقوم من العرب والاكراد وسافر معهم الى الموصل على طريق البرّيّة والتجأ بوالي الموصل . وبقي تحت حماهُ مدّةً وهو يرشد الكاثوليك الذين ارتدوا الى الايمان على يدهِ وكان بعث اليهم سابقًا من حلب كاهنًا يرشدهم . فثبتهم في ايمانهم مدّة شهرين قضاهما في الموصل

غير انّ خبر هرب البطريرك الكاثوليكي شاع بعد زمان فعرف خصمهُ الدخيـــل

---

١) راجع ملحق البولاريوم (Append. ad Bullarium II, 273)

النجاة (١ وكان ذلك في منتهى سنة ١٧٨٣ وتزلت معهُ حاشيتهُ فصار هذا الدير مركز امين بل حصن حصين يلتجئ اليهِ كلّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيَّة من السريان كما كان دير المخلص في الكريم ودير السيدة في بزمّار المجاورين لدير الشرفة مقاماً لبطريرك الارمن الكاثوليك ومن جحد الضلال من ملّتهِ

الّا انَّ البلايا والضيقات تتبعت غبطة السيد الجليل ميخائيل اغناطيوس جروه حتى في مسكنهِ هذا الامين. وذلك انَّ فقره كان مدقعاً لا يكاد يلقى اللازم للقيام بمعاشهِ ومعاش ذويه وكان ينتظر حسنات من اهل رعيّتهِ في حلب لكنَّها تأخرت زمناً طويلاً لقلة الامان في الطرق بين حلب ولبنان وحدوث الطاعون وصعوبة المخابرات بعد وَضع الحجر الصحي. ثمَّ اخذ غرماؤهُ يطالبونهُ بديونهِ مع قلة ذات يدهِ يلحّون عليهِ ويتهدَّدون وكلاءهُ في حلب وماردين وبغداد بالحبس والاهانات. فكانت هذه المراسلات تزيد قلبهُ ألماً وهو لا يرى مناصاً من هذه البلوى الّا الصبر الجميل والدعاء الى الله بان يفتح لهُ باب الفرج

ووردت عليهِ ايضاً في ابَّان محنهِ المذكورة كتابات عديدة حرَّرها اليهِ ابناء كنيستهِ المتمذهبون بمذهبهِ يعلمونهُ بما نالهم من النوائب والرزايا بسبب ايمانهم وكان البطريرك متى اليعقوبي الدخيل لا يزال يضايق عليهم ويغرّمهم اموالاً فوق طاقتهم حتى انَّ كثيرين منهم صاروا في حالة يُرثى لها. وكلّ هذه الاخبار كانت في قلب هذا الاب الحنون كسهام صائبة تمزّقهُ تمزيقاً وتحلّ قواهُ لاسيما انهُ كان فقير الحال لا يمكنهُ ان يمدَّ اليهم يد المساعدة. فصارت لذلك حياتهُ في عينهِ امرّ من الموت لكنهُ انتسى بأيوب البار والقى مقاليد امرهِ على الله متَّضعاً خانعاً وقد كتب في ختام ترجمة حياتهِ بعد ذكرِ كلّ هذه الملمَّات والمصائب ما حرفهُ :

« فليكن اسم الرب مباركاً وممجَّداً لانهُ خيراً صنع معي اذ ذلَّلني لكيما اتعلَّم حقوقهُ. نعم انَّهُ قصد تأديبي بآدابهِ المقدَّسة لكنهُ للموت لم يسلّمني. . . فانا اشكر افضال إلهي على هذه الحال وعلى كلّ حال واطلب ممَّن يطَّلع على اسطرنا هذه ان يصلي لاجلنا ويلتمس لنا من الرب الرحوم نعمة الصبر ولاسيما الخلاص »

وكان تاريخ كتابة هذه الترجمة في سنة ١٧٨٥. وعاش البطريرك الجليل بعد ذلك

١) ثم ابتاعهُ بعد مدَّةٍ بمبلغ لا يتجاوز ٢٥٠٠ غرش كما ورد ذلك في صكّ محطوط يُحفظ في دير الشرفة

فذهب معي من تدمر الى القريتين ثمّ سرنا راكبين الحمير مع اناس مسلحين بالتفنك (البندقيات) فوصلنا ليلة احد الشعانين الى قرية بعيدة عن دمشق اربع الساعات تدعى العذراء جميع سكانها من المسلمين ورجع الاعرابي الى تدمر بجملهِ. فبقينا هناك يومين ولم ندخل المدينة لوجود الهراطقة من الروم واليعاقبة فيها. ثمّ تحنن علينا ناس من اصحاب الخير واركبونا حميرهم واخذونا من خارج دمشق بالليل الى قرية تبعد عنها نصف ساعة لاننا لم نجد طريقاً آخر الى جبل كسروان وبقينا هناك في بيت احد افاضل المسلمين يومين حتّى سهّل لنا الله الرحوم الصعود الى كسروان. وكان وصولنا الى اوّل قرية منهُ في يوم السبت العظيم ليلة احد القيامة. ونزلنا في احد الاديرة الخربة(١ بجانب القرية ونحن في حالة التلف كمعدومي الحياة خالين من الكسوة والمعاش. وصرنا نقبل القوت الضروري عن حسنات المؤمنين الذين في تلك القرية. وامّا مطاريني ورهباني والشمامسة خدّامي الذين كانوا باقين في ماردين فصحّ لهم بعد اتعاب وافرة ان يهربوا بعضهم الى حلب وبعضهم الى مصر وبعضهم الى اماكن اخرى كما بلغنا ذلك عنهم اخيراً»

غير انَّ البطريرك ميخائيل جروه لم يحصل هناك على الراحة التي كان ينتظرها. فانَّ امور الشام كانت وقتئذٍ في اسوإ الاحوال وكانت الحرب قائمة سوقها بين الامير يوسف الشهابي والجزّار صاحب صيداء واستولى الخوف على جميع اهل تلك البلاد لما يعرفونهُ من شراسة الجزّار الذي كان دخل بيروت واخذ يتهدّد لبنان. فصار البطاركة والمطارين والرهبان انفسهم خائفين على ارواحهم لا يأمنون عليها في الجبل

ثمَّ حضر بعد اربعة اشهر الى الدير الذي احتلّهُ البطريرك ميخائيل خمسون راهبة كنَّ هربنَ من ديرهنَّ فالتجأنَ الى هذا الدير ولم يعد مكان لغيرهنَّ فدخل البطريرك الى بيت شباب ونزل عند بعض الفلّاحين المحسنين فسكن عندهُ نحو اربعة اشهر اخرى يقتات من حسنات المؤمنين

٤

وفي تلك الاثناء زادت حالة البطريرك سوءًا بمجيءِ احد اساقفتهِ واحد شمامستهِ فضاق عليهم المعاش لاسيما انَّ تلك السنة كان فيها غلاء عظيم دام الى اواخر سنة ١٧٨٥ لكنَّ الله شفق بعبادهِ وعُقد الصلح بين والي صيداء والامير يوسف. فقام البطريرك جروه مع حاشيتهِ وتوغّل في كسروان فوجد فوق قرية درعون ديرًا يُدعى الشرفة لحسن موقعهِ وكان هذا الدير قد ابتناهُ سنة ١٧٥٧ الخوري يوسف الطرابلسي الدويهي فاتّفق البطريرك مع أصحابهِ واستأجرهُ منهم واتّخذهُ لهُ مقرًا وجعل كنيستهُ على اسم سيدة

١) هو دير ما انطونيوس النبع في قرية بيت شباب

الحلبي الجزيل الاحترام وبرفقتهِ عدّة اشخاص من اصحابهِ فبعد السلام ركبنا العربيات وذهبنا الى المحلّ الذي ابتناهُ الاب المشار اليهِ فاقتبلنا بكلّ حفاوة وبهجة واكرام

امَّا مدينة ليڤرنو فهي على سِيف البحر المتوسّط قديمة العهد وقد لجأَ اليها مدَّةً الامير فخر الدين المعني كما روى العلامة الدويهي في تاريخهِ وقد سكنها ايضاً مدَّة المرحوم يوسف بك كرم وكثيرون يتذكرونهُ الى اليوم ويذكرون اعمالهِ التقويَّة فانهُ كان يلازم الكنيسة بالصلوات والعبادة وكان كل يوم يتقدَّم من مائدة الخلاص. وللاب يوحنا انطين كرَّاسيَّة أَلَّفها وطبعها بالتليانيَّة هنا على نفقتهِ ذكر فيها اعمالهُ الحميدة وترجمة حياتهِ ولولا ضيق الوقت لكنَّا ذكرنا بعض قطع منها

وقد اتى هذه المدينة الاباتي يوحنا انطين المذكور منذ نحو احدى وعشرين سنة ولم يكن للطائفة المارونيَّة من محلّ ولا كنيسة خاصَّة الَّا مذبح في احدى الكنائس مرتب عليهِ كل يوم قدَّاس من المرحوم نقولا فرنجي منذ اكثر من قرن. وكان قبلهُ القس جراسيموس بشاره (انونسياتا) الراهب الحلبي سنة ١٧٣٢ ثمّ خلفهُ القس انطون يونان الراهب الحلبي سنة ١٧٦٩ ثمَّ الاب توما دياب الراهب الحلبي سنة ١٨٠٧. ثمَّ الطيب الذكر المطران نقولا مراد سنة ١٨٢٩. ثم الاب يوسف حبيشي سنة ١٨٣٧. ثمَّ الخوري عبد الله مسابكي سنة ١٨٥٢. وقد رقد بالرب سنة ١٨٨٠. وكانوا يقدّسون على هذا المذبح ولكنهم كل هذه المدة لم يعتنوا بتأسيس محلّ خاص للطائفة

امَّا الاباتي يوحنَّا فانهُ لم يألُ جهدًا منذ سنة ١٨٨٠ من الاهتمام في انشاء محلّ حتى وفَّقهُ الله الى شراء معبد قديم على الجانب الشرقي من البلد في ضمن السور وقطعة ارض بجانبهِ فيها قلايتان صغيرتان واخذ من ذاك الحين يهتمّ بهذا المحل الى ان تيسَّر لهُ ان يهدم كل القديم خلا المعبد ويبني مكانهُ محلًا في غاية اللياقة ورمَّم المعبد وزخرفهُ ثمَّ اثَّثهُ والبيت الجديد باحسن الرياش وبنى قبَّة جميلة فوق الكنيسة وعلق عليها اربعة اجراس مختلفة الوزن ذات اصوات رخيمة للغاية. فصار بهمة هذا الاب الغيور النشيط بيت ومعبد للرهبانية وقد مكَّنهُ الله ايضاً من الحصول على قرار قانوني عُرف بهِ هذا المعبد بصفة كنيسة رعائيَّة للطائفة المارونيَّة بحيث يستطيع الماروني من سكَّان ليڤرنو او الذين يدخلونها باي نوع كان ان يقضوا واجباتهم الروحيَّة فيها. وقد عرفتها الحكومة المحليَّة بهذه الصفة واقرّتها وعيَّنت لها راتباً بنسبة كنائس الرعية هنا.

خمس عشرة سنة انقطع فيها الى الاعمال الروحيَّة والمساعي المبرورة الآئلة الى خير ملّتهِ وقد اسعفهُ الكرسي الرسولي في مشروعاتهِ الخطيرة غاية جهدهِ حتَّى تمكَّن من اصلاح شؤون رعيَّتهِ وتلافي الاضرار اللاحقة بها من قبل اعدائها وجازاهُ الله بان رأى الايمان الكاثوليكيّ عمّ كلّ السريان في حلب وانمحت فيها آثار البدعة اليعقوبيَّة

ومن اقوى الوسائل التي ارشدتهُ اليها غيرتهُ الرسوليَّة لخير طائفتهِ انهُ جمع في دير الشرفة بعضًا من شبَّان طائفتهِ ازدانوا بالتقى والذكاء فسعى بتخريجهم بالآداب الكنسيَّة والعلوم الالهية ليرسلهم الى خرافهِ التي بقيت بلا رعاة. فصار بذلك ابًا لكهنة صالحين ورُسل غيورين أتوا مذ ذاك العهد الى ايامنا باثمار يانعة ازدانت بها حديقة الكنيسة. وعليهِ فقد احسنت مدرسة الشرفة اذ تقدَّمت كلّ الطائفة في اكرام منشئها والمحسن اليها لمَّا اقامت ذكرًا لهُ هذه الحفلة البهيجة التي صدَّرنا مقالتنا بوصفها

وكانت وفاة المثلَّث الرحمات البطريرك اغناطيوس الاول في ١٦ ايلول من سنة ١٨٠٠ رقد بالرب بالهدوّ والسلام مردّدًا قول الرسول(٢ تيموتاوس ٤ : ٧و٨) : « جاهدتُ الجهاد الجميل وأتممتُ شوطي وحفظت الايمان وانَّما يبقى اكليل العدل الذي يجزيني بهِ الربّ الديان العادل ». اسكنهُ الله فسيح جنَّاتهِ ونفعنا ببركة صلواتهِ آمين (١

الموارنة في ليڤرنو

من رسالة للقس الملفان بولس الفسطاويّ اللبناني

«... خرجنا من رومية في ٢٠ اب الماضي مع الوفد الماروني الذي تشرَّف بمواجهة امام الاحبار وقصدنا مدينة ليڤرنو لزيارة الموارنة القاطنين فيها فبلغنا اليها الساعة ٢ بعد نصف النهار فوجدنا على المحطَّة حضرة الآباتي(٢ الجليل يوحنَّا انطين الدرعوني الراهب

١) وقد بارك الله عائلة البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة وهي لا تزال الى اليوم معروفة في حلب ومصر والبندقية بشدَّة تقواها وقد نالت من كرم الحبر الاعظم لقب مركيز جزاء مساعيها المشكورة في سبيل الدين وخير الملَّة. ومنها كان البطريرك اغناطيوس الرابع بطرس جروه ابن اخي صاحب الترجمة الذي جلس على كرسي البطريركية من سنة ١٨٢٠ الى ١٨٥١ ولهُ اعمال جليلة تدلُّ على سموّ فضلهِ. ومن افرادها والدة دولتلو سليم باشا ملحمه في الاستانة وسعادة الوجيه الفاضل المركيز ميخائيل دي جروه نزيل البندقية وابن اخي البطريرك بطرس جروه

٢) الآباتي عند الغربيين كالخورفسقوفوس عند الشرقيين

هذه العيال المنقرضة بوجه الارث وهي من اعين اشراف ايطالية) . ومن المركيز ريشار اخي الفونس المشار اليهِ ولم يزل عزبًا على اهبة الزواج . ومن السيدات كالستا ولويزا وهيلانة والدة الفونس وريشار وقد ضمهم جميعًا الحب المسيحي الحقيقي حتى انبعثت رائحة القداسة من هذا البيت وهذه العائلة مع الشرف والغناء المقرون بعمل الخير وهم الان في مصيفهم خارج ليڤرنو في ضيعة لهم يقال لها الكابرو

فركبنا العربات اليهم وبعد ان جزنا نحو الساعتين في بعض املاكهم الغنيَّة بكلّ صنف بلغنا الى دارهم العامرة وهي على هضبة وحولها الاشجار الملتفَّة الخضراء النضرة من كل جنس فرَّحبوا بنا وسرُّوا بقدومنا ولاقونا الى خارج الدار بكل حفاوة واكرام فصدَّق الخُبْر الخَبَر وزيادة . وبعد ان استرحنا وعُرضت المرطّبات اخذنا نتجاذب اطراف حديثٍ الطف من النسيم ذكَّرنا قول الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات :

« فكانني حلب برقَّة طبعها »

اخذنا نخبرهم عن أحوال غبطة السيد البطريرك الذين يذكرون زياراتهِ العديدة لهم بكل افتخار وثناء وعن المطارنة واعيان الطائفة وأحوالها من كل معنًى وهم كلهم اذان صاغية كأَننا نتحفهم بالبِدَر او نقدّم لهم افخر الهدايا وكانوا يستعيدون كل حديث طيب يسمعونهُ من اخبار سياحتنا واعمال وفادتنا وما لاقينا من الكلام في المراكز العالية ومن الانعطاف لدى قداسة سيدنا الحبر الاعظم فكانوا ابهج الناس بذلك

ثم ازف وقت الغداء فدُعينا الى مائدة انيقة جمعت كل اجناس الرفاه وألوان الطعام والمشروب والحلويات الطيّبة من كل فاكهة زوجين فضلًا عن الاحاديث الرقيقة والحفاوات اللطيفة التي لا ننساها طول الحياة. وبعد النهاية خرجنا الى باحة القصر وجلسنا في جنَّة اريضة نتجاذب أطراف الحديث العائلي الى ان دنت الساعة الخامسة فاستأذنَّا وعدنا الى ليڤرنو صحبة الاباتي انطين وكلنا ألسنة تمدح وقلوب تدعو لهذه العائلة الكريمة بالعزّ والاقبال واسباب التوفيق

هذا وفي اليوم الثاني اي في ٢٢ الجاري جاء للسلام علينا في محلّ الاباتي يوحنَّا بعض مقدَّمي العساكر وجمهور كهنة البلد الذين اعتذرنا لهم عن الزيارة بضيق الوقت . وقد زارنا ايضًا جناب الهمام المسيو يوسف ارلين قنصل فرنسة هنا وهو الطف الناس وقد

والذي ساعد الاباتي الموما اليهِ على نجاح بهذه الاعمال خاصَّة هو حسن سلوكهِ وحصولهِ على وظيفة خوري المستشفى العسكري هنا منــذ عشرين سنة وهو محبوب ومعتبر لدى الحكومة لانَّهُ ادَّى خدمات جليلة لهذا المستشفى بغيرةٍ مسيحيَّة وهمَّة لا تعرف الملل ولم يتأخَّر عن وظيفتهِ حتَّى ولا في ايَّام الوباء والضيقــات ايَّة كانت وقد ارادت الحكومة ان تنعم عليهِ بوسام فلم يقبل احتشاماً لانَّهُ لا يناسب حالتهُ الكهنوتية

وهنا في ليڤرنو يوجد عائلة مارونيَّة كريمة الاصل شريفــة غنيَّة بالمال والاملاك وخاصَّةً بالمبادئ الدينيَّة الصحيحة التي اشتهروا بها لدى الخاص والعام ألا وهي أسرة كوَّبا الحلبيَّة المارونيَّة الشهيرة المعروفة هنا بالمركيز دي غنطوس كوَّبا فهذه قد بلَّغتها اسباب الاتجار من حلب الى الهند فالى مدينة ليڤرنو مقاماً عاليًا بثروة كبيرة حافظت عليها بل زادتها واوسعتها كثيرًا حتى صارت تُعدّ من اكبر اغنياء ايطالية واوجه اشرافها وقد اتصلت بواسطة الزواج باشراف ايطالية العظماء ولم تزل مع ذلك محافظة على جنسيَّتها المارونيَّة والعثمانيَّة تمام المحافظة ولها التفات كبير الى الطائفة المارونيَّة وقد امدَّتهــا في ظروف شتَّى بمساعدات واحسانات كثيرة عن كرم وتقوى حتى ان كبيرها الحالي سعادة المركيز نصري دي غنطوس كوَّبا قد ساعد مدرستنا المارونية برومة بمبلغ عشرة آلاف فرنك على يد غبطة السيد المفضــال بطريركنا الحالي الكلي الطوبى اذ كان في اوربَّة يسعى بتأسيس هذه المدرسة كما يعلم الجميع

وقد قام من هــذه العائلة الكريمة مطران على مدينة ليڤرنو نفسها على الطقس اللاتيني وقد انجح هذا الكرسيَّ من مالهِ الخاصّ انجاحاً بليغًا يذكرهُ الكلّ بالثنــاء فمن ذلك المدرسة الاكليريكية الرعائيَّة التي انشأها وجهزها وكذلك تأسَّست بايَّامهِ خمس كنائس تُعدّ من اجمل كنائس المدينة غير انَّهُ ما مكث على هذا الكرسي الاسقفي الَّا سبع سنوات فقط وقد توفي برائحة القداسة في سنة ١٨٤٠

وهذا البيت الشريف مؤلف الان من الشيخ الجليل القدر المتصف بالعقل والدراية والفطنة والصدق والتقوى المركيز نصري المشار اليهِ وزوجتهُ الست البارونيَّة يوسفيّة دي سيركاردي ولم يرزق بنين. ثمَّ من ولدي اخيهِ المرحوم يوسف وهما المركيز الفونس الذي حاز على ألقابٍ شريفــة من لدن قداسة الحبر الاعظم ايضًا وزوجتهُ السيدة ارناستا بنت الدوك دي جيروڤي ودي ماتَّاي ودي كانونيشي (وقد انحصرت في هذا البيت كل

والمعارف فلم يجداهُ فرجعا الى اورشليم يطلبانهِ . وبعد ثلاثة ايَّام (١ وجداهُ في الهيكل جالساً فيما بين المعلمين يسمعهم ويسألهم (٢ . وكان جميع الذين يسمعونهُ مدهوشين من فهمهِ واجوبتهِ . فلمَّا نظراهُ بُهتا فقالت لهُ امهُ : يا ابني لِمَ صنعت بنا هكذا . ها انَّ اباك وانا كنَّا نطلبك متوجعين . فقال لهما لماذا تطلبانني أَلم تعلما انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي . فلم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما (٣ . ثمَّ نزل معهما وأَتى الناصرة وكان خاضعاً لهما . وكانت امهُ تحفظ ذلك الكلام كلهُ في قلبها. وكان يسوع يتقدَّم في الحكمة والسنّ والنعمة عند الله والناس » (لوقا ٢ : ٤١-٥٢)

— ما معنى قولك « وكان يسوع يتقدَّم في الحكمة والسنّ والنعمة عند الله والناس »

— منذ حُبل بيسوع وُجد فيهِ ملء الحكمة والقداسة والعلم والنعمة . فقولنا « يتقدَّم » يُراد بهِ التقدُّم الخارجيّ لا غير اي انَّ حكمتهُ ونعمتهُ الساميَّتين كانتا تظهران للناس تدريجًا على حسب تقدمهِ في السنّ . فانَّهُ لذكرهِ السجود اراد ان يكون حدثًا لا في الظاهر فقط بل في الحقيقة ايضاً بحيث انَّ من ينظر اليهِ لا يرى فيهِ ما يميّزهُ عن سائر الاطفال والاحداث الَّا بكونهِ خاليًا من خفَّة الصبي وطيشهِ ذا حشمة وادب ورصانة وحكمةٍ تناسب سنهُ

— هل كان يبكي وهو طفل ؟

---

١) اي بعد ثلاثة ايّام لسفرهما من اورشليم في اليوم الاول وصلا الى محطَّة البيرة وفي الثاني عادا منها الى اورشليم وفي الثالث وجداهُ في الهيكل

٢) كان في جملة البنايات الملحقة بالهيكل بعض ردهات يجلس في صدرها الكتبة ويلتئم فيها كثيرون من الشعب لاستماع شرح الناموس والاستفهام عمَّا يعتاص عليهم ادراكهُ . فكان الكتبة تارةً يشرحون وطورًا يجيبون عمَّا يُسأَلون عنهُ من الحضور . فقولهُ « جالساً بين المعلمين » لا يراد بهِ انهُ كان في صفّهم فذلك لا يحتملهُ المقام بتَّةً وانما كان بازائهم في صفّ الطلَبة من العوام يسمع شروح العلماء ويلقي عليهم بعض الاسئلة

٣) ربما استغرب المطالع قول الانجيلي هذا كما استغربهُ فريق من المفسرين متعجبين من كون مريم ويوسف لم يفهما كلام يسوع . وليس في ذلك شيء مستغرب فان حكمة الله لم ترَ ان تكاشف منذ ذاك الوقت يوسف ومريم بكل ما سيعملهُ يسوع لخلاص الناس واتمام مهمتهِ الالهيَّة . فقد كانا يعلمان انهُ اتى لخلاص البشر ولكنهما لم يكونا يعلمان بالتفصيل جميع ما اعتزم على صنعهِ لهذه الغاية . ومع ذلك لم يفتهما معنى كلامهِ تمامًا لانهما كانا يعلمان سرّ تجسدهِ وانهُ يريد ان يقوم بخلاص الناس الذي هو ارادة ابيهِ الازلي . ولكن الذي اشكل عليهما هنا هو العلاقة التي بين اتمام مهمتهِ وتخلُّفهِ عنهما فهل كان ذلك منهُ لانهُ نوى ان يظهر نفسهُ للناس ام لسببٍ آخر . وما هو هذا السبب.فذلك لم يستطيعا ادراكهُ . ولهذا قيل انهما لم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما

عرض علينا رفده فيما نحتاج اليهِ فشكرنا لهُ ودعونا. ونحن هنا لم نزُر سوى جنـابهِ في دار القنصلاتو وحضرة الخوري يوسف شلهوب خوري طائفة الروم الملكيين في هذه المدينة. ثم ركبنا القطار الساعة ٩ مساءً الى بيزة ثمَّ جنوة ثمَّ طورين ثمَّ مودان ميمّمين باريس...»

شرح اسرار طفولية المسيح وصباهُ

للسيد الجليل المفضال جرمانوس معقّد مطران اللاذقية

هذه نبذة ثانية نقتطفها من كتاب « رحلة الفيلسوف الروماني البـاحث عن سيرة المسيح » الذي مرَّ ذكرهُ في المشرق (٣: ٦٨٥). وما يتضمَّنهُ هذا الفصل اسرار حياة الفـادي في جمرة الثلاثين سنةً السابقة لكرازتهِ قد وصفها سيادة المؤلف على طريقة المباحثـة بين الفيلسوف الروماني الذي دعاهُ مرقس وبطرس هامة الرسل

قال الفيلسوف: قد انصرفت من لدنك مساء امس والقلب يفيض حبورًا ممَّا رويتهُ لي. فارغب اليك الآن ايها الاستاذ النزه الخُلُق ان تروي لي اخبار طفوليَّة المسيح مبيّنًا لي الامور التي كانت تميّزهُ عن سائر الاطفال والاحداث

قال بطرس: قد اخبرتك بكلّ ما هنالك. فرويت لك أنبـاء ميلادهِ وظهور الملائكة للرعاة وختانهِ وتقديمـهِ للهيكل ومجيء المجوس وسجودهم لهُ وهربهِ الى مصر ورجوعهِ الى الناصرة فلم يبقَ الّا خبرٌ واحد بهيج ارويه لك الآن بسرور فسمعك اليَّ

« وكان ابواهُ يذهبان الى اورشليم كلّ سنةٍ في عيـد الفصح (١. فلمَّا بلغ اثنتي عشرة سنة صعد الى اورشليم كعادة العيد (٢. ولمَّا تمَّت الايام (٣ عند رجوعهما بقي الصبي يسوع في اورشليم وابواهُ لا يعلمان. واذ كانا يظنَّان انهُ مع الرفقة سافرا مسيرة يوم وكانا يطلبانهِ عنـد الاقارب

١) كلّ اسرائيلي كان ملتزمًا بان يأتي اورشليم ثلاث مرار في السنة اي في عيـد الفصح والعنصرة والمظالّ. ما عدا السقاء والشيوخ والاولاد والنساء. امَّا النساء فكان كثير منهنَّ يأتينَ اليها في عيد الفصح حبًّا للعبادة فالانجيلي اقتصر هنا على ذكر الفصح لانَّ كلامهُ فيهِ

٢) بموجب التقليد القديم عند اليهود ان الغلام ينتقـل في هذه السن من الفتوة الى الشبيبة فيصبح « ابن التوراة » كما كانوا يقولون اي ملتزمًا بجميع وصايا الناموس التي منهـا زيارة بيت المقدس. ولذلك لمَّا بلغ يسوع هذه السن جاء اورشليم قضاءً لتلك السنَّة (طالع خروج ٢٣ و ٣٤ وتث ١٦) وقد كان مأذونًا لمن يريد ان يقضي منها ثلاثةً فقط في اورشليم ولا يفترض ان يوسف ومريم اكتفيا بها بل قضيا ايام العيد تامة

٣) اي ايام الفصح وهي ثمانية

— كلّا بل كان قادرًا عليهِ ولكنَّهُ لم يستخدم قدرتهُ هذه. لانَّ جودهُ ورسالتهُ لم تطلبا ذلك

— هل كان يتكلّم وهو طفلٌ رضيع ؟

— كلاَّ وذلك للسبب عينهِ اي لانَّ رسالتهُ الالهيــة لم تستوجب تكلمهُ. والذي شارك اخوتهُ في كل شيء ما عدا الخطيئة (١ قد شاركهم ايضاً وهو طفل بعدم التكلّم وعدم المشي

— هل كان يلعب كسائر الاولاد ؟

— ما سمعت احدًا رآهُ لاعبًا قطّ فلا اظنّ انَّهُ شارك الصبية في هذا الامر

— هل كان ذا طلعةٍ جميلة ؟

— كان اجمــل من جميع بني البشر (٢. لانَّهُ اعظم اعمال الروح القدس « وقد وجب ان يكون فيهِ كل جمال يمكن وجودهُ في الانسان » (٣

— ما احسن هذا الشرح ايهــا الاستاذ المنطيق. فاسألك ان تكشف لي عمّا غُمَّ عليَّ من خبر تخلُّفهِ عن ابويه

— اذكرهُ لي

— كيف يصحّ ان يبقى يسوع الصبي في اورشليم وهمــا لا يعلمان مع شدَّة عنايتهما بهِ ؟

— من تدبَّر احوال القوافل عند خروجها من المدينــة وعرف كيف ان المسافرين يسيرون رسلةً رسلةً بعضهم في اثر بعض فهؤلاء يتقدَّمون واولئــك يتأخرون وكيف ان الفتيان يسيرون عادةً في مقدَّم القافلة بما فيهم من النشاط. هان عليهِ التوفيق بين الامرين فقد سارت قافلة الناصرة وسار معها يوسف ومريم. ولمَّا لم يرَيا يسوع بالقرب منهما عند مسيرهما لم يخالجهما ريبٌ في انَّهُ تقدَّمهما سائرًا مع الرفقة من الاهل او المعارف او مع الفتيان الذين يسيرون سراعًا الى الامام (٤. ولهــذا لم يأْخذهما في شأْنهِ بلبال غير انهما

١) عب ٤: ١٥ ٢) المزمور ٤٤ ٣) قالهُ شمس المدارس ٤) والرأي في ذلك عند بعض المفسّرين ان مريم العذراء عليها السلام كانت تسير مع النساء كما هي عادة الشرقيين والقديس يوسف كان سائرًا مع الرجال. وكان كلٌّ منهما يظنّ ان الطفل يسوع سائرًا مع الآخر لانَّهُ كان يجوز للاحداث ان يسيروا مع النساء او مع الرجال على حدٍّ سوى (المشرق)

— أجل ولكن ليس كسائر الاطفال الذين يكونون مهتاجين بالغضب او الحسد فيعربدون في حضون امهاتهم ويضربونهنَّ باذرعهم. بل كان يبكي لألمٍ في جسدهِ او حزنٍ في نفسهِ مع تنزههِ عن الانفعالات النفسانية الموجودة فينا جميعاً. كما بكى من شدَّة الوجع عند ختانتهِ. وكما بكى وهو رجل على اورشليم وعند قبر لعازر كما سأبيّنهُ لك في حينهِ. ولم يكن يبكي اضطراراً نظيرنا. بل كان يبكي بمطلق اختيارهِ ورضاهُ. واذ انهُ كان يشعر كسائر الاطفال بالبرد والحرّ والجوع والتعب فكان مثلهم يُظهر تألمهُ بالبكاء والصراخ

— أكان ينام ايضاً مثلهم ؟

— نعم ولكن لم يكن مضطرًّا الى النوم مثلنا بل كان النعاس يأتيهِ برضاهُ (١. لانهُ شاء ان يشاركنا في خاصيَّاتنا العمومية فمن كان يراهُ نائماً في مهدهِ لا يرى في نومهِ ما يميّزهُ عن رقاد سائر الاطفال. على انّ نومهُ لم يكن يمنع استعمال قواهُ العقليَّة بل كانت تستمرّ كما في اليقظة تماماً بخلاف نومنا الذي يمتنع معهُ استعمال القوى العقلية ولذلك كان يسوع في نومهِ يواصل صلاتهُ للآب الازلي وتكريمهُ اياهُ كما في يقظتهِ على حسب ما كُتب عنهُ: انا نائم وقلبي مستيقظ (٢. وما قلتهُ لك عن نومهِ يُقال عن شعورهِ بالجوع ايضاً اي انهُ كان يشعر بهِ بارادتهِ ورضاهُ ليس غير (٣

— هل كان عاجزًا عن المشي كسائر الاطفال ؟

١) يعلمنا السفر الكريم (عبر ٤: ١٥) «انّ المسيح جُرّب في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئة» وانهُ (عبر ٢: ١٦) «اتخذ نسل ابراهيم فمن ثمّ كان ينبغي ان يكون شبيهاً باخوتهِ في كلّ شيء» فينتج من ذلك انَّ المسيح اخذ الطبيعة البشريَّة بما فيها من النقائص الجنسية كالجوع والعطش والنوم والوجع والموت فكان يشعر بكل ذلك من تلقاء طبيعتهِ الشبيهة بطبيعتنا. امَّا النقائص الشخصية التي تطرأ على افراد الجنس البشري كالامراض وغيرها فلم يقبلها ابن الله في طبيعتهِ البشريَّة وكذلك النقائص العمومية التي هي ثمرة الخطيئة كالشهوة والجهل لانَّ ذلك لا يليق بطبيعة متحدة جوهريًا باقنوم ابن الله. وزد على ما تقدَّم انَّ النقائص الجنسية نفسها لم تحلّ بالمسيح اضطرارًا كما تصيب بقيَّة البشر بل اتخذها طوعاً كطبيب شفوق ليشفي فينا عواقبها السيئة. وكان بوُسع السيد المسيح ان يكفّ عنهُ مفاعيلها بقدرتهِ السامية او يدبّرها فيهِ كيف يشاء وكانت مع ذلك طبيعتهُ الالهية متنزّهة عن هذه الشوائب الطبيعية لم ينلها شيء من نقصها واذاها (المشرق)

٢) نشيد ف ٥ ٣) قل عن الجوع ما قلناهُ عن النوم اعني انَّ رأي اللاهوتيين المرجَّح انَّ المسيح شعر بهِ طبيعياً ولو اراد لمنعهُ عن نفسهِ بقدرتهِ الالهيَّة (المشرق)

— بقي ان اسأَلك ايها الشيخ الشاهد اللبّ عن امر قد اكبرتهُ في خطاب مريم ليسوع وهو قولها لهُ « يا ابني لِمَ صنعت بنا هكذا . . . » فاني اراهُ مؤذنًا بتوبيخ وهو ممَّا لا يسمح بهِ حال الامّ والابن معًا . ثمّ اما يُقال مثل ذلك عن جوابهِ لها

— معاذ الله ان يكون كلامها ذاك توبيخًا . فهو كلام أمّ فائقة المدارك والحبّ الوالدي نطقت بهِ بدالَّة وتواضع وحبٍّ بالغ مستفهمة عن سبب تخلّفهِ ومبديةً ما قاستهُ من اللهف والعناء في السؤال عنهُ والاهتداء اليهِ . فضلًا عن انها لم تخاطبهُ بذلك امام الناس بل بمعزل عنهم يدلُّنا على ذلك ما عُرفت بهِ من الفطنة والرزانة

امَّا جواب يسوع لها فليس فيه ادنى تونيب بل فيهِ بيان الواقع واظهار السبب لتخلُّفهِ عنهما بكلام رصين نبّه بهِ افكارهما الى صفتهِ الخصوصية التي هي كونهُ المخلّص والتي لاجلها يجب ان لا يخضع لاحدٍ الَّا لابيهِ الازليّ وان يفترق عنهما احيانًا ويفعل ما لا يعلمان

— أَلم تقف على غير هذا الحادث ؟

— كلَّا فانَّهُ تبارك اسمهُ لم يشاء ان يكون في حياتهِ الخفيَّة خوارق

— ما المراد بحياتهِ الخفيَّة ؟

— الثلاثون سنة التي مرَّت منذ ميلادهِ

— كيف قضاها ؟

— اولًا بمزاولة اعمال الصلاح ولاسيما الصلاة والطاعة التامَّة لمريم ويوسف في كل ما يطلبان اليهِ عملهُ بحيث كانت طاعتهُ لهما محور اعمالهِ الخارجيَّة ورغباتهِ القلبيَّة وذلك بالحقيقة من اعجب افعال تواضعهِ السامي ومذهلات حياتهِ المقدَّسة وهو ولا شكّ دليل على سموّ منزلة فضيلة الطاعة للآباء وذوي السلطات . ثانيًا بالشغل اليدويّ فانَّ اهل الناصرة لمَّا سمعوا عند شروعهِ في الكرازة بعض تعاليمهِ السمويَّة قالوا : « أليس هذا هو النجار ابن مريم (١) » وهو دليل على اعتكافهِ على النجارة . فكان يزاولها مع يوسف بجدّ وعناء ليكسب قوت يومهِ بتلك الصناعة الشاقَّة التي كانت تورثهُ عرق الجبين وكلال اليدين . وقد كرَّم وقدَّس بعملهِ هذا الصنائع والحِرَف التي يستنكف منها جميع الامم ميلًا الى التجارة ورغبةً في المراتب والغنى الجالب البوار . فبالصلاة والشغل

١) مرقس ٦ : ٣

لمَّا بلغا المحطة (١ التي تبيت فيها القافلة عادةً وفيها يفتقد الاهل بعضهم بعضاً فيلتئمون معًا للطعام والمبيت جعلا يطلبانهِ ويفتشان عنهُ بين الاقارب والمعارف لاعتقادهما انهُ كان سائرًا معهم

— قد اتَّضح ما كان غامضاً. ولكن قد أُشكل عليَّ ايضًا قول مريم « ها ان اباك وانا كنَّا نطلبك متوجّعَين » فانَّهُ يدلّ على خوفهما عليهِ ان يضلّ او يقع في محذور. وكيف يتفق خوفهما هذا مع معرفتهما انهُ إله. ثم ما هي غاية تخلّفهِ عنهما ومن كان يقوتهُ في الثلاثة الايام وماذا كان يعمل فيها وما كان مدار مباحثتهِ للعلماء ؟

— انَّهما كانا يعرفان انَّهُ إلهٌ قد تجسَّد لاجل خلاص البشر وذلك لا ريب فيهِ وكفى بقول الملاك لامّهِ « وابن العلي يدعى » ثبتًا لذلك ولكنَّهما لم يكونا عارفَين بكل ما سيفعلهُ لخلاصهم. فالسبب في توجّعهما اذًا ما جال في خاطرهما من انهُ قد عزم على مفارقتهما والبقاء في اورشليم للاخذ فيما يقصد اليهِ او ما يماثل ذلك من الخواطر والتصوُّرات

امَّا الغاية التي قصدها يسوع من تخلّفهِ هذا فهي ان يبثّ شيئًا من اشعَّة حكمتهِ السامية في فرصة انتقالهِ من الصِبى الى الشبيبة توطئةً لما سيفعلهُ من ذي قبل. وممَّا يتبادر الى الذهن ان محور اسئلتهِ للعلماء كان نبوَّات الانبياء عن المسيح وتحديدهم زمن مجيئهِ يستدعي بذلك انتباههم الى حلول اجل ظهورهِ تمهيدًا لقبولهم اياهُ عندما يُظهر نفسهُ لهم معلّمًا وربًّا بالآيات والخوارق العظيمة. وربَّما انهُ خاطبهم في غير ذلك ايضًا من الشؤون الدينية

وامر حصولهِ على القوت ليس بالعسير. فلا غروَ انّ الذين كانوا يسمعونهُ مدهوشين من فهمهِ واجوبتهِ كانوا يتسابقون الى دعوتهِ للاكل معهم (٢. وقد كان عملهُ في الايام الثلاثة مقصورًا على الصلاة ومباحثتهِ العلماء

---

١) هي بلدة بئيروت القديمة المذكورة في (سفر الملوك ٢ ف ٤) وتدعى الآن البيرة. في هذه البلدة افتقدوا يسوع كما هو معروف بالتقليد. وقد بنى فيها المسيحيون الاولون كنيسةً تذكارا لذلك ثم جدَّد الصليبيون بناءها ولم تزل رسومها بادية الى الان

٢) ولعلَّ الربّ كان يقتات مدَّة هذه الايام الثلاثة بصدقات المحسنين او بما كان يوزّعهُ سدَنة الهيكل على اهل الحاجات (المشرق)

وكأني بهِ يهتف قائلًا: اما عنـدك الكتب الضخمة والمؤلفات المطوَّلة التي حسرت القناع عن غامض اسرار علم العروض وهي لم تُبق للسلف حظًّا في اكتشاف شيء منها

لستُ اعزَّك الله ممَّن ينكر فضل الاقدمين لاسيما الخليل امام العروضيين وواضع اصول فنّ النظم. واعرف انهم عدَّدوا اوزان الشعر وذكروا ما يطرأ عليهـا من التغيير ووسموها باسماء اصطلحوا عليهـا يربي عددها على المائة والعشرين. ومع كل ذلك لا اراني جائرًا في حقّهم ان قلت انهم اطالوا ولم يستوفوا. بسطوا القول في عـلم العروض عدَّدوا البحور بيَّنوا الاعاريض والضروب اسهبوا في مـا يُستحسن او يُستهجن من الزحافات والعلل. أجل ولكن لم يوقفوا الطالب عـلى اساس ذلك النظم وكنههِ لم يكشفوا القناع عن سبب استقباحهم بعض التغييرات واستحسانهم غيرها. فيبقى الدارس اشبه بضرير يُهدى بيدهِ الى حيث قصد ولم يعرف كيف بلغ المقصد ولم يتبيَّن الطَّريق او كدارس الرياضيَّات ينجز العمليَّات كما أُقنها دون ان يدرك اسبابهـا. وان اعترض علينا احد بقولهِ انَّ هذه المسائل لا تهمّ معرفتها عموم الطلبة اجبنا ان الطلبة ربَّما اكتفوا من العلم بالظاهر والعلم الصحيح قائم بمعرفة حقائق الامور

وهذا ما حدانا الى ان نبحث هنا عن الوزن في الشعر العربي او بالحريّ عن الايقاع (rythme) فنعرفهُ باوضح ما استطعنا من الكلام. وتيسيرًا لادراك المطلوب رأينـا ان نصدّر مقالنا ببعض الامثلة قبل ذكر الحدّ المنطقي

١

بينا انت منكبّ على المطالعـة في حجرتك اذ تسمع قومًا يمرُّون في الزقاق ويقرعون بنعـالهم رصيف الحجارة دون انتظام. أفترى يحصل في نفسك من جرَّاء مشيتهم وصوت أقدامهم بعض التأثير ؟ كلاَّ . وان حصـل فليس ذلك الَّا الانزعاج والاضطراب لاسيما ان اشتدَّ خفق نعالهم واختلط

ثمّ تهدأ هذه الاصوات المنكرة ويعقبها بعد قليل فرقة من الجنـد يسيرون سيرًا منتظمًا فتَحيك هذه المشية في صدرك ولعلّها تضرم في قلبـك نار الحماسة وتبعث في نفسك شعائر النخوة والحميَّة

فما سبب هذا الاختلاف ؟ انّى هذه التأثيرات المتباينـة ؟ لانتظام الخطوات في الحالة الثانية ولعدمهِ في الاولى. — نعم الجواب ولكن بمَ يقوم هذا الانتظام ؟ ما الذي

والطاعة لابويهِ قد قضى سني حياتهِ الخفيَّة · فلم يكن الناس يعرفون من امرهِ شيئاً الَّا كونهُ ابن النجار لانَّ صناعتهُ التي لا تعطي لصاحبها منزلةً وشهرةً قد حجبت منزلتهُ السامية عن اعين ناظريه ولاسيما لانَّ اسرتهُ لم يكن لها وجاهة او مقام رفيع او ثروة طائلة · وبحياتهِ الخفيَّة قد علّمنا تبارك اسمهُ كيف يجب ان نقضي حياتنا في هذه الدنيا اي بالصلاة والشغل والطاعة للرؤساء فبهذه الفضائل الثلاث تقوم سعادتنا وراحتنا · فبالشغل وعمل اليد ينجو من شرور كثيرة تصدر عن البطالة والاضطجاع على مقاعد الرغد والرفاه ونحفظ صحَّة اجسادنا وصفاء عقولنا · وبالصلاة نستنزل نِعَم الله ومعونتهُ على قهر اهوائنا وبها نقوم بواجب تسبيحهِ تعالى وشكرهِ وتكريمهِ ورفع قلوبنا اليهِ · وبالطاعة نعترف بسلطانهِ المطلق علينا بخضوعنا للآباء والرؤساء ممثّليهِ على الارض ونقدّم لهُ ارادتنا التي هي افضل شيء لدينا ذبيحةً تسمو جميع الذبائح

غير انَّ يوسف لم يَعش مع يسوع مدَّة الثلاثين سنة بل فارق الدنيا قبل نهايتها · فبقي يسوع وحدهُ في دكّان النجارة يقوم من تعب يديه بأَوَد والدتهِ المكرَّمة · ويُشاهد الى الآن في تلك الناحية بعض الادوات التي صنعتها يداهُ المقدَّستان كالمحراث والنير (١

فليتعزَّ اذن ايها الفيلسوف الشريف الملكة الصنَّاعُ والمحترفون فان المسيح الرب هو زعيمهم وزميلهم · وكفاهم فخرًا انهم لخطَّتهِ تابعون وبهِ مقتدون

الايقاع في الشعر العربي*

للاب خليل اده اليسوعي

ربَّ قارئ يأخذ منهُ العجب مأخذهُ اذا سألتهُ عن حقيقة الوزن في الشعر العربي ·

١) هذا قول القديس يوستينس الفيلسوف في محاورتهِ تريفن . فقد كان باقياً الى ايامهِ شيء ما صنعتهُ يدا المخلص كالمحراث والنير . وكان مولد هذا القديس في نابلس سنة ١٠٣ للمسيح وقضى شهيدًا نحو سنة ١٦٨

* راجع الفصل الخامس في الايقاع ونسب ادوارهِ من الرسالة الشرفيَّة في النسب التأليفية لصفيّ الدين عبد المؤمن البغدادي . نقلها الى الافرنسيَّة البارون كارا دي ڤو (Cara de Vaux) في المجلة الاسيويَّة (J. A. 1891²) – راجع ايضاً رسالة الفارابي في علم الادوار نشر معظمها وترجمها الى اللاتينيَّة العلَّامة كوسغارتن (Kosegarten) في مقدَّمة ترجمة الاغاني – وكذلك راجع الرسالة الرابعة في علم الموسيقى من كتاب اخوان الصفا طبعة الهند (٢ : ٧٤)

التناسب (١ وذلك ليس من قبل الغناء لانَّ في انشاد البيت لا يُعتدَّ بحِدَّة الصوت او ثقلهِ ولكن من قبيل الوزن. لان للنغمة مدَّة او زماناً « تشغلهُ » (٢ اي تدوم فيهِ. وهذا الزمن يختلف فيكون تارةً قصير المدَّة وتارةً طويلها وفي كل ذلك درجات شتَّى. وانَّما يكون الغناء موزوناً اذا كانت ازمنة النغم محدودة في أدوار متساوية كما في الشعر. ولبيان هذا الوزن « ينقر » اهل الطرب على آلة في وقت الغناء كي يوفي المغني الانغام حقَّها من الطول او القصر. وهذه هي فائدة النقَّارات في الغناء والفرنج يدلون على الوزن باشارة اليد او العصا او بآلة يدعونها قياس الغناء (métronome)

فهذه الامثال من شأنها ان تبيّن جليًا انَّ الايقاع مرجعهُ الى الوزن وانَّ للوزن ثلاثة اصول: (الاول) المدَّة. وهي بذاتها غير محدودة تحتاج الى ما يعيّنها من اشارة او قرع آلة. والاصل (الثاني) هو القرع المذكور فيكون في المشي والرقص وضرب الارض بالرجل. وفي دقّ الطبول والنقر باليد. وفي الكلام قرع اللسان في الفم عند النطق بالحرف وفي الغناء اوَّل النغمة. ويصحُّ في كلّ هذه الاحوال ان يدعى نقرةً على شبه ايقاع الغناء

وقد عرَّف الفارابي النَّقرات حيث قال: « النَّقَرات احدّ القرعات التي تخيَّل غير منقسمة » وقال ايضًا: « بدايات النغم (او صوتٍ آخر) التي تقع على أطراف الازمنة المسمَّاةُ إناءات (وقفات) وتحدُّها في المسامع (هي) النقرات » فيظهر من ثمَّ انَّ النقرة « تُخيَّل غير منقسمة » لا زمن لها فهي في الزمن كالنقطة في المكان عند اصحاب الهندسة. امَّا الاصل (الثالث) فهو تَساوي الازمنة في الادوار اي انك اذا اتفقت على عددٍ من النَّقرات وعيَّنت الازمنة التي تتخلَّلها فعليك ان تُعيد هذا المجموع كما هو بلا تشويش في ترتيب الازمنة ولا زيادة ولا نقصان في مدَّاتها. واذا قسمت الزمن الى اجزاء محدودة ولم تخيّل للسامع ادوارًا كما قلنا فيكون النَّقر موزونًا نوعًا لكنَّهُ ليس

١) قال الحمويّ: اذا شرعت في التأليف (تأليف الشعر) تغنَّ بالشعر فانَّ الغناء مضمارهُ الذي يجري فيهِ (مقالات علم الادب ١ : ٢١٧ , ٢١٨)

٢) ما نوردهُ من الالفاظ والفقرات بين معكَّفين اخذناهُ من كتاب صفيّ الدين السابق ذكرهُ

٣) راجع Kosegarten, p. 130

يجعل مشية الجندي منتظمة بخلاف مشية غيرهِ من المُشاة ؟ الفرق بين كلا السائرَين انَّ الجندي يخطو خطواتهِ في مدَّات متساوية اي انَّ الزمن الفاصل بين رَفع الرجل ووَضعها على قارعة الطريق لا يختلف حتى انك لو اردت ان تتَّخذهُ قياساً لمعرفة مدَّة المشي لفعلت. امَّا الماشي الآخر فسيَّان عندهُ أتكون خطواتهُ متساوية الزمن او لا فيقرّبها مرَّة ويبعدها أُخرى يُسرع طورًا وطورًا يُبطئ. ولهذا نقول انَّ مشية الجندي موزونة او انها ذات « ايقاع ». وكذلك الرَّقص فانَّهُ لا يتميَّز عن المشي الَّا بنظام الخطوات على اختلافها وثبات مقادير ازمنتها

هذا مثل آخر. ادفع لوليدٍ طبلًا وارقبهُ كيف يقرعهُ واصغِ الى الاصوات التي يخرجها منهُ بيدهِ النحيفة. أيلذُّك هذا الدقّ لا وعمرك. وان علا الدويّ وكان المكان ضيقاً اضطرَّك الى سدّ الآذان بل الى القرار. فانزع الآن من يدي الغرّ طبلهُ وادفعهُ الى ضارب حاذق. فما قولك في تأثير ضربهِ في نفسك. فكأني بالطرب يسكرها بنشوتهِ ولعلَّهُ يستهزُّك فتقوم وترقص. فما الداعي لهذين الانفعالين ؟ أيكون السبب كثرة قرع الطبل او شدَّة صوتهِ او حدَّتهُ ؟ هيهات. وانَّما السبب هو انَّ الطفل لا يراعي الازمنة. فتكون ضرباتهُ سريعة او بطيئة دون نظام ولا موازنة . امَّا الدقَّاق الماهر فهذا النظام هو قصارى بغيتهِ يضرب في ازمنة معلومة ضربات محدودة لا يقع فيها ادنى خلل حتى يصبح ضربهُ نقصاً ويصير لهُ اسوأ تأثير في نفسك ان كنت سليم الذوق. وعليهِ فنقول انَّ ضَرْب الدقاق موزون او انَّهُ ذو ايقاع

وايضاً ما الفرق حفظك الله بين الكلام المنثور والمنظوم ؟ تقول انّ الكلام المنظوم يأتي مطابقًا لتفاعيل محدودة فيكون موزونًا بعكس الثاني الذي لا ضابط لترتيب حركاتهِ وسكناتهِ. احسنتَ ولكن انَّى لهذه مطابقة التفاعيل ان تجعل الكلام موزونًا ؟ كيف وجدت ان تكرار لفظة « مفاعيلن » ثناء او ثلاث او رباع يشعر بوزن ؟ ألا ترى ان مرجع ذلك الى الزمن ايضاً كما في الامثلة السابقة. وايّ زمن ؟ زمن لفظ الحروف المتحركة وزمن السكوت على الحروف الساكنة. فان كانت هذه الازمنة متشابهة متناسبة كان الكلام موزونًا ذا ايقاع والَّا فلا

وهاك مثلًا ثالثًا نأخذهُ عن فنّ الغناء. لا يخفاك ما بين الشعر والغناء من

اعلم انَّ الايقاع يختلف باختلاف عدد الازمنة او النَّقرات او باختلاف مقادير هذه الازمنة او بكلا الامرين معاً

والايقاع على ضربين موصَّل ومفصَّل ولكليهما تقاسيم قال صفيّ الدين (راجع نسخة باريس الوجه الثاني من الصفيحة ٥٠) : « كل جماعة نقرات ان كان بينها ازمنة متساوية فانهُ يسمَّى الايقاع الموصَّل . وان كانت متفاضلة فانهُ يسمَّى الايقاع المفصَّل » فمثال الموصل النَّقرات ا ب ح د . . . في الشكل الثاني فانَّ بينها ازمنة متساوية

س ا ب ح د ي

الشكل الثاني

ومثل ذلك ايضاً مشية العسكر وقطر الميزاب . وللموصَّل انواع بحسب الزمن ا ب الفاصل بين نقراته فان كان الزمن يساوي واحداً اي اذا كان هو الوحدة المتخذة عياراً لقياس الازمنة قيل للموصَّل « سريع الهزج » وان كان الزمن الفاصل ضعف الاوّل قيل لهُ « خفيف الهزج » . وان كان ثلاثة اضعاف او اربعة سُمّي « خفيف ثقيل الهزج » او « ثقيل الهزج » وقلّما يزيد الزمن الفاصل نقرتين من اي ايقاع كان على اربعة أهزاج سريعة والّا « لا تميزهُ القوَّة الذائقة السمعيَّة » (١

امَّا الزمن المتخذ عياراً اي الوحدة (unité) وهو ما سمَّيناهُ « سريع الهزج » فقد عرفوهُ بانهُ المدَّة الفاصلة بين حرفَي السبب الثقيل « تَنَ » اذا لُفظ لفظاً متوسّطاً اي بلا زيادة في السرعة او البطء او ايضاً هو مدَّة لفظ حرف متحرّك لفظاً متوسّطاً تَ نَ . . . الخ (٢ يُسمى ايضاً هذا الزمن الزمن الاول (٣ وعليهِ يكون قياس الخفيف تَنْ وخفيف الثقيل تَنَنْ والثقيل تَنَنَنْ (فَعِلُنْ) ويُقال لهُ الفاصلة الصغرى لانَّ الفاصلة الكبرى هي فَعِلَتُنْ ٥ ازمنة وهي كما قلنا قليلة الاستعمال (٤ وهاك جدول في انواع الموصَّل

١) رسالة اخوان الصفا ٩٦ ٢) راجع J. A. *l. c.* 345 et 346 ورسالة الفارابي (ap. Kosegarten) ١٢٨،١٢٩ – واخوان الصفا ٩٥ . ٩٦

٣) *tempus primum* des anciens ٤) الفارابي *op. cet.* p. 128

بايقاع لخلوه من هذه الاطوار التي عليها فقط يتوقّف الايقاع

ودونك شكلًا نرسمهُ لك يبيّن معنى قولنا بجلاء . ترى في الشكل الاول خطاً متواصلًا اشرنا بهِ الى المدّة ورسمنا في الخط المذكور نقطاً هندسيَّة لا تنقسم . فكما انَّ نقطتين تحدَّان الطول كذلك نقرتان تحدَّان الزمن . وجعلنا الابعاد بين النُّقط بنسبة الازمنة بين النَّقرات اي انَّ زمنين متساويين يشاكلهما خطَّان متساويان طولًا :

س ا ب ح د ه و ر ط ك ل ي

الشكل الاول

فلنفترض ان المدَّة س ي تنقسم الى ازمنة ا ب , ب ح , ح د . . . قياساتها محدودة بنسبة ٢ و١ و٣ . . . الخ وان هذه الازمنة دائمًا متفاضلة فليس هناك ايقاع

امَّا اذ افترضنا عددًا معيَّنًا من النَّقرات ٤ مثلًا ا ب ح د تتخلَّلها ثلاثة ازمنة موزونة بنسبة ٢ و ١ و ٣ ثمَّ اعدنا هذه النَّقرات وازمنتها بترتيبها ومقاديرها مرَّة او اكثر بحيث تكون النَّقرة الرابعة من الجملة الاولى عين النقرة الاولى من الجملة الثانية والنَّقرة الاخيرة من الجملة الثانية عين النَّقرة الاولى من الجملة الثالثة وهلمَّ جرًّا حصل في نظام النَّقرات ادوار متساوية « ا ب ح د » ثمَّ « د ه و ر » ثمَّ « ر ط ك ل »

فاذا ادرك القارئ ما سبق لا يصعب عليهِ ان يفهم التعريف الذي اتى بهِ صفي الدين البغداديّ حيث قال (١ : « الايقاع (٢ هو جماعة نقرات يتخلَّلها ازمنة محدودة المقادير على نسب واوضاع مخصوصة بادوار متسوايات يدرك تساوي تلك الادوار ميزان الطبع السليم »

ولا بأس ان نزيدك من هذا القبيل فنذكر لك شيئًا من اجناس الايقاع وانواعهِ

١) راجع المجلة الاسيويَّة (J. A. 1891² p. 344)

٢) قد أُطلقت لفظة الايقاع اوَّلاً على وزن الغناء واعلانهِ بالنَّقر . وقد خرَّجتها بمعنى ما يدعوهُ اليونان ῥυθμός (rythme) فاستعملتها في الشعر والرقص ودقّ الطبول

جملتهُ « ا ب ح د » فيها اربع نقرات وثلاثة ازمنة ويتنوّع كالسابق ولكل هذه الانواع اسماء واصول في تركيبها لا افادة من ذكرها . وهذه الجمل هي كالاجزاء في بيت الشعر منها تتألف ادوار الايقاع وهي كثيرة اورد المؤلفون بعضاً منها . وفي هذا القدر كفاية

وكأني بالقارئ يوقفني عند هذا الحدّ فيقول : انَّ ما وصفتهُ يصحّ عن تركيب الايقاع في الغناء ولكن يا ترى أتؤدي معرفة ايقاع الغناء الى معرفة وزن الشعر وايقاعهِ ؟ جوابنا على هذا السؤال انَّ بين كلا الوزنين شبهاً عظيماً . قال صاحب الرسالة الرابعة من كتاب اخوان الصفا (ص ٩٣) : « قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض » اه . وقد صرف كل اهتمامهِ في ايضاح هذه المماثلة . قال ايضاً الفارابي (ص ١٦٣) « ان الاشعار ليس فيها موصّل اصلاً » . فبنَفْيهِ الايقاع الموصّل اثبت للشعر ايقاعاً مفصّلاً وأدخل وزن الشعر في حكم ايقاع الغناء . ولكن اذا كان ايقاع الشعر مفصّلاً فترى اي نوع هو من المفصلات ؟ او هل يمكن وجود ايقاعات مشتركة بين الغناء والشعر . هذا سؤال لم ارَ جواباً عليهِ عند العروضيين وان كان لاحد قرائنا معرفة بهِ واطلعنا عليهِ كنّا لهُ من الشاكرين . ولا يظنَّنَّ ان في وسعي قطع المسألة انما مرادي الكلام عن بحر واحد ظهر لي ايقاعهُ . ولكن قبل بسط الكلام في هذا الشان يقتضي عليَّ تمهيد الطريق بوضع تفصيلات أُخرى لا بدَّ من ايرادها (ستأتي البقية)

سياحة حديثة في جبّة بشرّاي

للاب لويس رنزڤال اليسوعي

راقتني في المشرق (٢ : ٧٦٥) رحلة حضرة الاب لامنس الى بلاد البترون فمنَّيت النفس بزيارتها او بدخول المقاطعات المجاورة لها . فما مرَّ عليَّ خمسة اشهر حتى اتاح لي السعد المغبوط ان اسير مع رفقة من معلّمي كليّتنا الى شمالي لبنان طالبين جبّة بشرّاي لترويح النفس مدَّة العطلة السنويَّة بعد اتعاب التدريس . وقد لقينا في هذه السياحة من ضروب المسرَّات ما شرح صدورنا وطيَّب قلوبنا فلم نشأ ان يضيع ذكر هذه الملاذّ دون ان ينال قرَّاء المشرق منها حظَّهم الطيِّب ويطَّلعوا على ما تحتويه تلك المقاطعة من المحاسن الغرَّاء

سريع الهزج ———.—.—.—.—.—.—.————— تَن تَن تَن الخ
ا ب ح د ه و ز ط

خفيف الهزج ———.——.——.——.——.————— تنْ تنْ تنْ الخ
اَ بَ حَ دَ هَ وَ

خفيف ثقيل الهزج ———.———.———.————— تَنَنْ تَنَنْ تَنَنْ الخ كالوتد المجموع في العروض
اَ بَ حَ دَ

ثقيل الهزج ———.————.————.————— تَنَنَنْ تَنَنَنْ الخ كالفاصلة الصغرى
اً بً حً دً

(الشكل الثالث)

هذا في الموصَّل. امَّا في المفصَّل فمثالهُ النَّقرات ا ب ح د . . . كما وردت في الشكل الاوَّل فانَّها يتخلَّلها ازمنة متفاضلة ومجمل النقرات «ا ب ح» او «د ه و» الخ يُسمَّى جملة. والجملة مؤلفة امَّا من نقرتين او من ثلاث او من اربع ولك في ازمنتها المساواة وعدمها بشرط ان يكون الزمن الفاصل بين جملتين اكبر من اي زمن كان من ازمنة الجملة. في المثل المذكور «ح د» هو الزمن الفاصل بين جملتين يساوي ٣ وهو اطول من زمني الجملة ٢ و ١. وهذه اقسام المفصَّل:

المفصَّل الاول ———.——.———.——.———.——
ا ب اَ بَ اً بً

جملتهُ «ا ب» فيها نقرتان وزمن واحد وفيهِ اربعة انواع بمقتضى الزمن «ا ب» «اَ بَ» الخ الذي يساوي ١ او ٢ او ٣ او ٤

المفصل الثاني ———.—.——.——.———.——.——.——
ا ب ح اَ بَ حَ اً

جملتــهُ «ا ب ح» فيها زمنان . وان كان الزمنان متساويين كان المفصَّــل هذا «متساويًا» والَّا فهو «متفاضل». ويختلف ايضًا باختلاف الزمنين

المفصَّل الثالث ———.—.—.—.———.—.—.—.———
ا ب ح د اَ بَ حَ دَ

وعلى مسافة ساعة من كفرحي من جهة جنوبها الغربي في عبر الوادي قرية كفيفان لم يسمح لنا الوقت بزيارتها . وفيها قبر احد افاضل الرهبان اشتهر في عهدنا بفضلهِ ومات برائحة القداسة فمجّدهُ الله بعد وفاتهِ بكرامات عديدة يرويها عنهُ القوم الذين يتبرَّكون بزيارتهِ

وكان خروجنا من مدرسة مار يوحنّا مارون بُعيد الظهر بعد ان شكرنا لاصحابها فضلهم . ثمَّ اخذنا نترقى الجبل وكانت بازائنا عقبات الجرد نلمح من وقتٍ الى آخر رأس جبل « ظهر القضيب » المؤتزر بالسحب المُشرف على وادي الارز وغاباتهِ الوارفة . امّا في الجهة الغربيَّة فكان نظرنا يطلّ على قرية حلتا وطن غبطة السيد الجليل مار الياس حويّك بطريرك الموارنة ثمَّ على سهل طرابلس وبقاعها المخصبة التي تسقيها مياه نهر قاديشا ومجارٍ اخرى تنحدر من اعطاف لبنان

وفي عصر النهار بلغنا دير مار يعقوب للرهبان الموارنة حيث متَّعنا الله بمشهد نحتسبهُ من اجمل مشاهد لبنان فانَّ قرية دوما لاحت لنا كغادة متوسّدة على منحنى جبل في لحفهِ وادٍ تجري فيهِ مياه نهر الجوز النميرة . وهذا الوادي ينبسط على مدى البصر فيهِ من اصناف البقول والاشجار الباسقة والاثمار اليانعة ما يجعلهُ اشبه بحديقة غنّاء . تكتنفها الجبال على هيئة نصف دائرة تشغل قرية دوما وسطها كأنَّها ملكة تسرح ابصارها في خميلة من الزمرّد بُسطت تحت اقدامها

بيد انَّ هذا المنظر مع ما فيهِ من البهجة والنَّضرة لم يكن ليصرف نظرنا عمّا في طريقنا من الوعورة والمسالك الحرجة لم نقطعها الّا بعد شقّ النفس . وقد ذكر حضرة الاب لامنس (المشرق ٢ : ٨٦٩) هذه الجهات وما صادف فيها من حفاوة سكّانها لاسيما وجيه قومهِ جناب الخواجا الياس الحاج واسرتهُ الفاضلة واولادهُ الادباء . الّا انَّ ما شاهدناهُ بالعيان أنسانا ما سمعناهُ بالآذان . فجازى الله خيرًا هذه العائلة الشريفة التي وقفت نفسها لخدمة كلّ المساعي المشكورة ناشرةً في تلك الانحاء لواء الفضل والفضيلة

هذا واني اضرب صفحًا عمّا قاسيناهُ في طريقنا من دوما الى تنُّورين التحتاء فتنُّورين الفوقاء . وذلك انَّ مؤانسة الاصحاب في مدرسة مار يوحنّا مارون وفي دوما كانت اوجبت تأخُّر مسيرنا الى المساء فادركَنا الليلُ ومدَّ علينا رواقهُ الحالك ونحن

١

باشرنا رحلتنا غلس الاثنين الموافق لليوم الثالث والعشرين من تموز راكبين العربات على ساحل البحر وِجهتُنا البترون فبلغناها عند المساء والشمس على وشك المغيب فكان لمنظرها احسن وقع في قلوبنا اذ رأينا البلدة منبسطة امامنا في سهل فسيح تزينها يمينًا اشجار التوت والزيتون في تربة خصبة واقعة في لحف لبنان المعتمّ بثلوجهِ الغرّاء وشمالًا تبلّل اسوارها القديمة مياهُ البحر تنعكس على ثبجهِ اشعَّة الشمس الذهبيَّة قبل تواريها عن وجه الافق. ووراءها جبل الشقعة مربَّع الشكل مستطيلهُ يشبه حصنًا حصينًا تستند اليهِ المدينة كأنَّها تلوذ بجاهُ. فارتاحت ابصارنا الى هذه المناظر ايَّ ارتياح بينما كانت هبوات النسيم تلطِّف وقدات الجوّ وتُنعش ما فتر من النشاط

وقضينا تلك الليلة في ضيافة راهبات قلبي يسوع ومريم وبتنا في مدارس ديرهنَّ المشرف على البحر المجاور لكنيسة القرية الكبرى. ثمَّ قمنا باكرًا فحضرنا القداس واستأنفنا السير في ريّق النهار وكان بعضنا مشاةً والبعض الآخر يمتطون الخيل

فتوغّلنا في الجبال وغايتنا ان نبلغ قبل الهجيرة قرية دوما. وكان طريقنا على مدرسة مار يوحنَّا مارون في كفرحي فلم نرضَ ان نتجاوزهُ دون ان نسلّم على رئيسهِ المفضال حضرة الاب بطرس ارسانيوس كور وعلى الاب الفاضل بولس طعمه احد معلمي المدرسة. فرحَّبا بنا وأسرانا بلطفهما وأبيا ان نواصل مسيرنا دون ان نتناول في المدرسة اكلة الغداء فلم نرَ بدًّا من تلبية دعوتهما فاختبرنا ما جُبلا عليهِ من رقّة الطباع وما يكنُّهُ قلبهما من معرفة الجميل لآباء رهبانيَّتنا وهما من افضل تلامذتها الاقدمين

ومدرسة مار يوحنَّا مارون كانت سابقًا ديرًا عامرًا. ثمَّ قلَّ عدد رهبانهِ فجعلهُ السيد الجليل جرمانوس ثابت مطران جبيل والبترون سنة ١٨١١ مدرسة لتعليم الاحداث وخصَّص لها اوقافًا كافية لمعاش ستة تلامذة ومعلّميهم ثمّ توفَّر بعد ذلك عدد طلبتها حتى اصبحت اليوم من احسن مدارس لبنان من حيث تُقى طلبتها ونجاحهم في العلوم وقد خرج منها عدَّة رجال ادَّوا لطائفتهم خدمًا جليلة

والتقليد الطائفي يروي انَّ في هذا الدير كان يقيم ابو الأمَّة المارونيَّة وانَّهُ فيهِ دُفن الَّا انَّ قبرهُ لم يوجد حتى الآن مع ما بذل السيد الجليل المثلَّث الرحمة المطران يوسف فريفر من الهمّة في البحث عنهُ

ودير قنّوبين من اقدم اديرة لبنان جعل فيهِ بطاركة الموارنة كرسيهم سنة ١٤٤٠ بعد انتقالهم من دير سيدة ميفوق وسكنوهُ الى عهد الطيّب الذكر البطريرك يوسف الخازن سنة ١٨٤٨ فانهُ جعل سكناهُ في بكركي شتاءً وفي الديمان صيفاً

ثمّ غادرنا الديمان موآزرين ببركة غبطة البطريرك نحو الساعة الثالثة بعد الظهر وتوجّهنا الى حصرون شرقاً. وكنّا في اول مسيرنا نجاري وادي «القديسين» الى ان عطف بنا الطريق فلاحت لنا على الفور مشاهد فتّانة سحرت عقولنا وحاكت في قلوبنا فشملنا الطرب اذ نظرنا من علٍ غابة الارز الشهيرة وجبل المكمل ومنبع نهر قاديشا مع الوادي العميق الذي تنحدر اليهِ مياههُ المزبدة. امّا الارز فكان يظهر في اقصى وادي قاديشا على عدّة روابٍ تلوح للعين كأنّها سهلٌ سويّ. ويكتنف هذا السهل على شكل مستدير الجبل المرتفع المعروف بظهر القضيب كان يظهر لنا كمحراب هيكل عظيم مذبحهُ غابة الارز وربّما تتصاعد من اعماق هذا الوادي أبخرة تتكاثف كالسحب تخالها بخور هذا المعبد الجليل تُقدِمهُ الطبيعة تسبحةً لخالقها المنّان. وكانت اشعة الشمس تزيد هذا المنظر جمالًا فتكسوهُ بالوان بهيّة كخضرة البقاع النّضرة وبياض الثلوج وحمرة الصلصال ورمدة الصخور المصهورة. وكان «ظهر القضيب» وهو أعلى قمّة المكمل (١ ينطح الثريّا برأسهِ ويجاري العنان بارتفاعهِ

ومع كل هذه المناظر البديعة كنّا نرى على جانبنا واديًا غاية في العمق منحصراً بين جبلين متقابلين يخرّ في اعماقهِ نهر قاديشا بصخب عظيم. امّا نبعهُ فتُحيت غابة الارز يتبجّس هناك من الارض ويندفع بقوّة شديدة الى اسفل دركات الوادي فيتلوّى ويتعوّج على هيئة رائعة تأخذ بالابصار

وممّا كان يكتشفهُ نظرنا على شمالنا في جهة الجبل القائمة بوجهنا عدد لا يُحصى من الكهوف والمغاور كانت في سالف الاعصار محابس يأوي اليها الرهبان والنسّاك عاشوا فيها عيشة اولياء الله فدُعي الوادي بهم «وادي المقدس» او «وادي القديسين»

ذلك الى منظر قريتين كبيرتين كنّا نسرّح العيون في محاسنهما البهيّة وهما يتوازيان على جانبي الوادي احداهما على شمالنا وهي بشرّاي والأخرى حصرون على يميننا.

---

١) ظهر القضيب اعلى قمم المكمل يبلغ علوّهُ ٣٠٦٠ مترًا ويأتي بعدهُ جبل الشيخ وعلوّهُ ٢٨٠٠ متر ثمّ جبل سنين ٢٦٠٠ متر

نهبط بطون هذه الوديان ونتسنم مشارفها ونعثر باحجارها المتدهورة ونتشبَّث باعشابها الى ان بلغنا تنُّورين الفوقاء الساعة العاشرة من الليل شاكرين الله على سلامتنا في هذه المهاوي العميقة التي لا يقطعها المسافر نهارًا الَّا بكل حذر فما قولك عمَّن يطوفونها في ظلمات الليل

وما لبثنا ان نسينا اتعاب السفر بما لقيناهُ من الرُّحب والسعة في دار حضرة الخوري مراد فبتنا عندهُ تلك الليلة ضيوفًا مكرَّمين واعاد لنا النوم الهنيء قوًى جديدة لمواصلة رحلتنا

ولمَّا تنفَّس الصباح امكننا ان نشاهد موقع القرية ومحاسنها الرائعة فوجدناها كبقعة نضرة فيحاء تحدق بها جبال رعناء تسيل من اعاليها مياهٌ اصفى من الدمعة تراها تترقرق في جوانبها وتنساب كأنَّها لسان النَّضناض

وكانت طريقنا في ضحى ذلك اليوم في جبال الجرد توقَّلنا فيها قاصدين الديمان. وكان نُصب اعيننا قلَّتان مرتفعتان غُرست في اعلاها شُجيرات من الارز أصبحنَ اليوم بعد نصف قرن كغاباتٍ وارفة الظلّ فتمنَّينا لو يهتمّ اصحاب الامر بتوفير هذه الغروس او غيرها ليعود لبنان الى بهائهِ القديم يوم كانت تظلِّل رباهُ اصناف الاشجار

ثمَّ انتهينا الى سهل عظيم جيد التربة زكيّ الزرع يمتدّ في شمالي شرقيّ لبنان في سفح قنَّة عالية تبلغ ٢٠٠٠ متر. فقطعنا ذلك السهل الفسيح ووصلنا وقت الظهر الى الديمان مصيف صاحب الغبطة السيد الجليل مار الياس بطرس الحويك بطريرك الموارنة الكلي الطوبى. فكان دخولنا على غبطتهِ اسرّ من يوم العيد فتلطَّف علينا ببركته الرسوليَّة وتلطَّف بان دعانا الى مائدتهِ الفاخرة وقرَّبنا الى شخصهِ الخطير واسمعنا كلامًا غاية في الرقة والانس. ولقينا في حاشيتهِ الكريمة مثل هذا اللطف والايناس

وغبطة السيد البطريرك يسعى في الوقت الحاضر ببناء دار رحبة فخيمة تكون اهلًا بمقام زعيم الطائفة المارونيَّة والذوات الذين يقصدونهُ في فصل الصيف. وقد عهد غبطتهُ هندسة هذا القصر الى الاخ اللعازري لاونرد. اما موقعها فيكون من عن يمين الدار الحاليَّة. متَّع الله بها صاحبها الجليل سنين عديدة يقضيها في الرغد والهناء

ومن الديمان كان نظرنا يكشف على دير السيدة في قنُّوبين الذي يبعد عن الديمان نحو ساعتين على منحدر الجبل فوق ضفَّة نهر قاديشا الموازية

لحضرات الآباء الكرمليين. والدير المذكور قائم على صخر عظيم وهو يدعى لذلك دير الشير ومن حواليهِ الاشجار الممتدَّة الاغصان المتكاثفة الظلال. وليس في هذا الدير سوى راهب واحدٍ وكل اليهِ رؤساؤهُ حراسة الدير والقيام بلوازمهِ وزراعة اراضيهِ المجاورة. وللدير معبد صغير جميل المنظر نُقر كلُّهُ في الصخر يقدّم فيهِ الذبيحة احد كهنة بشرّاي الموارنة. وفي هذا الدير قبر رجل شهير من اعيان الفرنسيين تألّه فيهِ وانقطع الى عبادة الله اسمهُ دي شَسْتول (Mr de Chasteuil) جاء من جنوبي فرنسة سنة ١٦٣١ فعاش في لبنان عيشة النسّاك وقضى حياتهُ بكلّ اعمال التقى والصلاح. وكان اكثر سكناهُ في مغارة قريبة من دير مار يعقوب في اهدن ثمَّ انتقل الى دير مار سركيس فيها ايضاً وبقي هناك حتى ارتقى صديقهُ السيد جرجس عميرة الى السدَّة البطريركيَّة فانتقل الى هذا الدير وسكنهُ الى ان رقد بالرب سنة ١٦٤٤ فذاع صيت قداستهِ في كل انحاء بلاد الشام (ستأتي البقية)

ليلة الاهوال

معرّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناضر (تتمَّة)

وحينئذٍ سمع الفتى قائلًا يقول في جانبهِ: ان هذا الكلب آل على نفسهِ ألّا يعضّ احدًا منذ الآن

فصرخ الفتى: بحقّ الانسانية والمروءة أجرْني ايها الرجل ممَّا دهاني

— لبَّيك يا غلام لا تخشَ امرًا فانَّ عكَّازي هذا الذي اودى بالكلب يكسر اقحاف من اضمروا لك سوءًا

فنظر الفتى الى الرجل فاذا هو ذاك الكهل الفقير ذو الساق الخشبي الذي اكرم عليهِ ببعض الدريهمات في صباح امسهِ. فتقدَّم اليهِ ولاذ بحقوهِ فسكَّن الكهل جاشهُ وقال لهُ: تجلَّد ايها الغلام وكن ثبت الجنان جريء الصدر

وفي تلك الساعة اقبل صاحب الفندق وخادمهُ غسبار ليُجهزا على الفتى وهما يحسبان ان الكلب كاد يفترسهُ. فما اشدّ ما كان اندهالهما اذ شاهدا الكلب مقتولًا ورجلًا آخر غريبًا يكتنف الفتى ففكَّرا في الرجوع على الاعقاب غير ان غسبار احدق النظر

ولكلتيهما البيوت المسقَّفة بالآجرّ الاحمر يتراكب بعضها فوق بعض كالدرجات المنتظمة وفي خلالها الاشجار الباسقة كالحور والشربين والعرعر

ومجمل القول اننا أرتعنا الابصار في جميع المحاسن التي زيَّنت بها يد الرحمان هذه الاقطار وشكرناهُ عزَّ وجلَّ على ما خصَّها بهِ دون غيرها من الامصار

وما يحسن هنا ذكرهُ انَّ حكومة الجبل ساعيةٌ في فتح الطريق لتسيير العجلات. وكنَّا مرارًا نلتقي بالفعلة الذين يشتغلون في هذا المشروع المفيد. ولنا الامل الوطيد انَّ السيَّاح يتمكَّنون عمَّا قليل من السفر في هذه الانحاء بلا عناء ولا نصب. فان العجلات ستقلُّهم من البترون الى الديمان فبشرّاي ومنها الى اهدن فطرابلس

وكان وصولنا الى حصرون نحو الساعة الخامسة مساء فاجتزنا في وسطها ولم نحتلَّها أَلَا قليلًا لنأخذ عند عينها نصيبًا من الراحة. وحصرون هذه حسنة الموقع تعلو وادي قاديشا كأنَّها وكر النَّسر في ارتفاعها وإشرافها على الهوَّة يفصلها عن الجبل المقابل لها مسافة قريبة بحيث يخال للناظر ان جسرًا صغيرًا يمكنهُ الجمع بينهما

وحصرون من احسن قرى لبنان في سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة بيوتها حسنة البناء وفيها المياه الغزيرة تسقيها من كل جانب فتجعلها كجنَّة رائعة. وقد اشتهر منها قوم شرَّفوا الأمَّة المارونيَّة وجعلوا لها اسمًا طيّبًا في الخافقين نخصُّ بالذكر المطران يوسف السمعاني العلامة الذائع الشهرة صاحب المكتبة الشرقيَّة وابن اخيهِ يوسف لويس السمعانيّ مؤلف كتاب مجموع الطقوس وابن اختهِ المطران اسطفان عوّاد ناشر اعمال شهداء الكلدان وغيرهم من المشاهير نطلب الى المشرق ان يتحفنا قريبًا بتراجمهم السارّة واعمالهم الخطيرة

ويلحق بحصرون قرية أُخرى تدعى بَزعون لاصقة بها شربنا من مياهها العذبة ثمّ سرنا مسرعين الى حيث نوينا المبيت فنزلنا على منحدر الجبل ومررنا قريبًا من دير كبير يخصّ الرهبانيَّة المارونيَّة الحلبيَّة يدعى مار اليشاع بُني فوق صخر مطلّ على وادي قاديشا في وسط غابة من الصنوبر. وهذا الدير حديث البناء شيَّدهُ اصحابهُ بدلًا من دير آخر قديم لا تزال جدرانهُ ماثلة

وبلغنا بعد ساعة من خروجنا من حصرون نهر قاديشا فقطعناهُ على الجسر الذي ابتنتهُ الحكومة اللبنانيَّة للعجلات. ثمَّ سرنا قليلًا حتى ادركنا دير مار سركيس

وفي اثناء ذلك مرَّ الفارس بهما فنظرا اليهِ فاذا هو راهب عائد من احدى القرى البعيدة كأنَّهُ دُعي اليها لعيادة مريض فيها

فقال لهُ الكهل: يا سيدي لا تتجاوز هذا الحدّ من جَرْيك فانَّ اللصوص راصدة لك في هذا الخان تهجم عليك فتعطبك. ان هذا المكان لَعُشٌ من اعشاش الشيطان

فوقف الراهب واعارهما اذنًا صاغية فقصّا عليهِ جميع ما جرى لهما من اوَّلهِ الى الآخر

ثمَّ قال لهُ الفتى: اسرع واطلب لنا الشرَط والدرك فان في الفندق رجلًا غريبًا كاملًا فاضلًا اذا ما تداركتْهُ عنايةٌ مخصوصة فتك بهِ هؤلاء القتلة فتكًا ذريعًا

فقال الراهب: ومن هو ذلك الرجل الغريب؟

قال: انما هو كاتب سجلات في احدى القصبات المجاورة

— أَصحيح انهُ كاتب سجلات؟ فهو اذن صديقي داود فبدارِ بدارِ الى انقاذهِ

فقال الفقير: مهلًا مهلًا فان لي رأيًا آخر. ان هذا الفتى قد احسن بقولهِ انَّهُ لا بُدَّ من استقدام الضابطة والدرك

فالاولى بك ايها الراهب ان تركض جوادك وتنقلب عائدًا الى القصبة وهناك تُطلع الحاكم على ما جرى

— فاجابهُ الراهب: اني ذاهب للحال

ثمَّ ضرب الجواد بسَوطهِ فكرَّ هذا حتى غاب عن العيان ولبث بعدهُ الفتى وقد استولى عليهِ اليأس وقال: كيف تركتُ ذلك الصديق في ايدي هؤلاء اللصوص وأَما كان الاولى بي ان ادعوهُ فيهرب معي. واذا كان بطش بهِ هؤلاء القتلة أَلا اكون مؤاخذًا بدمهِ يوم الحساب

فتحرَّك قلب الكهل الفقير لما رآهُ في الفتى من الحزن الشديد والاسف الصادق على تركهِ صاحبهُ تحت ضرب السيف فقال: «لا تحزن يا اخي فاني واثق ان الله تعالى شملك وايَّاهُ بعنايتهِ فخلَّصك قبلهُ كي تسعى بنجاتهِ فاشكر الله على انهُ جمع بيننا في يوم امس وربط قلوبنا برباط الحب المتين وهذا يدل على انهُ لا بُدَّ للمرء من اصحاب في كل محلٍّ يستعين بهم عند وقوع البلوى ويبث لهم الشكوى

وانني وأَيمُ الله خفتُ عليك من هؤلاء اللصوص. فقمت في هذه الليلة وغايتي ان اصل الى احدى القرى التي تبعد بعض المراحل من مدينة ليون حتى احضر احتفال

فرأى ان ذلك الرجل الغريب لم يكن الّا شيخاً ابيضّت لمّتهُ وضعفت همّتهُ. ثمَّ تقرَّب اليهِ وصاح بصاحب الفندق : لا تخفْ إنْ هذا الّا الصعلوك يعقوب انني عرفتهُ حقّ المعرفة فالويل لهُ فانّهُ هالك لا محالة وهذا جزاء كل من يتدخّل بما لا يعنيهِ من الامور

قال هذا وجرّد كلّ منهما سيفهُ وهجما على يعقوب

بيد انَّ يعقوب لم يكن نسي لعب السيف الذي تعوَّدهُ في حومة القتال فانهُ حمى نفسهُ بعكّازهِ وردَّ عنهُ بحذاقة غريبة ضربات هذين العدوَّين الجريئَين وذبَّ عن الفتى المستجير الذي كانت خارت قواهُ لا يستطيع حراكاً وصاح بهما صيحة عظيمة وقال تبًّا لكما ايُّها اللصان الخبيثان فانَّ حياتي بحياتكما ولا اموت حتى اذيقكما كأْس الردى

ثمَّ انبرى يضرب ذات اليمين وذات الشمال وكان عدوَّاهُ يقتحمان اليهِ احدهما من الوراء والآخر من الامام وهو لا يقوى على ان يدور على نفسهِ لانَّ ساقهُ الخشبيَّة كانت تمنعهُ عن ذلك فضايقاهُ وكاد يسقط عياءً

وبينما كان يكافح هذا الكفاح اذا بفارس يزمّ جوادهُ ترآى بعيداً وهو يجدّ السير نحو محلّ العراك

فصاح يعقوب ايها اللئيمان: ها انَّ الدرك مقبل لقطع دابركما فاين الهرب واين المفرّ

فانحلّت عزائم اللصين عند ما سمعا ان الدرك يتعقّبهما فولّيا الادبار واركنا الى الفرار

فقال الكهل للفتى وقد دنا منهُ: أبشر فانك نجوت من الخطر العظيم الذي كان محدقاً بك واشكر الله على انك تلاقيت بي امس العازب. فانني اعلم بامر هؤلاء اللصوص وسوء احوالهم وقد خفتُ ان تكون بتَّ في فندقهم فشفقتُ عليك. فأخبرني الان كيف اتفق لك ان دخلت هذا الكمين ووقعت في ايدي هؤلاء الاشرار المارقين. وما لي اراك لا تنبس ببنت شفة كانَّ لا قوَّة لك الّا في ساقيك تعمل بهما على الهرب في هذه السهول المتسعة

ففتح الفتى عينيهِ وهو على آخر رمق كأنهُ لم يصدّق بنجاتهِ فقال لهُ يعقوب: عدْ الى رُشدك وأَفرخ عن روعك فاني لم اعهدك جباناً ضعيف القلب فتُرى ما كنتَ فعلت لو كنت اسيرا في مراكش كما كنتُ انا ؟

الموت يرود حولهُ . فخطر لهُ خاطر أجراهُ للحال وهو انهُ نهض واخرج الذبيح من الصندوق ووضعهُ على الفراش الذي كان عازمًا ان ينام عليهِ ثمَّ القى نفسهُ في ذلك الصندوق وردّ عليهِ غطاءهُ ولبث ينتظر القدر المحتوم . ولمَّا قارب نصف الليل دخل صاحب ذلك النزل الحجرة وضرب الميت فزادهُ موتًا وقد كان في غنًى عن ان يضرب ثانيةً وصاحبنا في الصندوق يذوق سكرات المنيَّة لخوفهِ . ولمَّا كان الصباح حضر رجلان وحملا الصندوق وذهبا بهِ فاحسّ ذلك الصديق انهُ على ظهر راحلة غير انهُ خفي عليهِ المحلّ الذي ينتهيان اليهِ في مسيرهما وما يكون من امرهِ بعدهُ وقد سمع احدهما يقول للآخر : « لا بأس ان نرميهُ في هذا الجبّ العميق » فقلقت نفسهُ من ذلك واضطرب فؤادهُ ولم يتمالك من كظم غيظهِ فضرب الغطاء فسقط ووثب على الارض وهو يصرخ فخالهُ حاملاهُ من أرواح الموتى او من الجان فاركنا الى الفرار لا يلويان على شيء وهما يطلبان من الله ان يتوب عليهما فانهُ التوَّاب الرحيم

ولمَّا اتمَّ يعقوب قصَّتهُ التفت الى الفتى فرآهُ مشغول الفكر فسألهُ عمَّا يفتكر فاجابهُ انهُ فريسة الهواجس وانهُ خائف ان يلحق برفيقهِ داود اذًى واطرق حينًا ثمَّ قال : ارى الراهب طال امرهُ وتأخر عن ميعاده

وبينما كان الكهل يسكن جأش الفتى ويخفف عنهُ اثقال الهمّ والكدر واذا بالراهب تراءى عن بعد وحولهُ عشرون او ثلاثون قرويًا حاملين سلاحًا وفي وسطهم حاكم البلد فانَّ الراهب ما صاح بهم : « الوحى يا اهل الوحى » الَّا لبَّوهُ على الاثر . فلمَّا اجتمعوا بالكهل والفتى اقبلوا جميعًا الى فندق البغَّالين وسبق اليه متقدّمة من القرويين دخلوهُ وطافوا فيهِ وهم على حذر من حدوث مكيدة . فرأوا ابواب الفندق مفتوحة فطافوهُ وبالغوا في التفتيش عن صاحبيهِ فلم يقفوا لهما على اثرٍ وقد وجدوا الكلبة دارا تئن ممَّا اصابها من ضرب العصي وقد كُسر احد ساقيها فلم تقوَ على الحركة . فاختلفت الظنون بهما فقال بعضهم : هربا . وقال آخر : اختبأا وطفق كل واحد منهم يفتش عنهما في ناحية فوجدوا جميع الحُجَر مفتوحة ما خلا واحدة منها وهي التي بات فيها كاتب السجلات فدخل عليهِ القوم وهو مستغرق في النوم

فايقظوهُ فاستيقظ مذعورًا وظنّ باديْ ذي بدءٍ ان جماعة من اللصوص هجموا عليهِ ليقتلوهُ فقام على حيلهِ وصاح بهم : من انتم وماذا تطلبون

عيد يجري فيها غدًا فتناولتُ عصاي وتوكلت على المولى الرحمن وقمت اكدح في هـذا الليـل المدلهمّ. لانك تعلم اني لا اخشى امرًا وان لي قلبًا اشدّ من الصخر الاصمّ. ولم اتمالك ان حانت مني التفاتة نحو هذه الخربات اذ توهّمتُ انك تبيت فيها وخفت ان يلحق بك سوءٌ وقد واصلت سيري حتى اصل وقت قيام الصلاة واجتماع الناس لانني أُصيب حينئذٍ خيرًا من احسان المؤمنين كما اعتدتّ من زمن. ولي هناك اصحاب يتحفونني بهدايا نفيسة. وبينما كنت على هذه الحالة من السير واذا بمصباح يتقدم نحوي كأن يد شيطان تحملهُ فلم اهتم بالامر ولم احتفل لهُ ولم يرَ عليّ الّا القليل حتى نظرتُك امامي متهورًا وقد اوشك الكلب ان يمزّقك بانيابهِ ولكن ضربة واحدة بعكّازي هذه جعلتهُ يعضّ التراب ولا يعود يُرعب ابناء السبيل

— حفظك الله ايها الرجل وجازاك خيرًا فانك انت الذي انقذتني من شر الهلاك ولو علمتْ امي بهذا الامر لكانت بذلت في سبيل شكرك النفس والنفيس

— قصّ ذلك عليها. ولكن اخبرني الآن كيف تأَتّى لك ان تتملّص من هـذا الفندق المشئوم في هذه الليلة الهائلة فاني احب ان ازيد ما في جعبتي من الاخبار

فقام الفتى وقصّ عليهِ جميع ما جرى لهُ منذ دخولهِ الى الفندق الى ساعة نجاتهِ. فتعجب الرجل غاية العجب لما ابداهُ الفتى من رباطة الجأش وعلوّ الهمّة

ثمّ التفت اليهِ وقال لهُ: انك لجدير بكلّ مدح وثناء ايهـا الفتى فان ما اقدمتَ عليهِ تحجم عنهُ الابطال ولو اصابني ما اصابك لتضعضعت عزائمي وها اني اراك ترتجف من البرد وما عندي سوى لبدي فالتحفْ بهِ يحمِك من البرد قليلًا

قال ونزع لبدهُ والبسهُ ايّاهُ فقام الفتى يعتذر لديهِ ويشكر جميلهُ وما كان من الكهل في تلك الاثناء الّا ان عمد الى قرعة ملأى شرابًا فأَتى بها وقدمها للفتى وطلب اليهِ ان يشرب منها فشرب وشرب الكهل بعدهُ فانتعشا واخذ هـذا يقصّ على الفتى قصةً اشبه بقصتهِ فقال:

ان احد اصحابي من الجنود كان متجوّلًا في بلاد اسبانيـة فاضطرّ يومًا في اثناء سياحتهِ ان يقضيَ ليلةً من الليـالي في منزل كمنزل البغّالين وادخلهُ صاحب المحلّ الى حجرة لم يكن فيهـا من الاثاث سوى صندوق كبير. فحدثتهُ نفسهُ ان يفتح الصندوق ليرى ما فيهِ ففعل فوجد فيهِ رجلًا مذبوحًا فعنـدها عرف ما ينتظرهُ من الويلات وان

مطبوعات شرقية جديدة

الخلاصة الماسونية

البنذة الاولى . معرَّبة بقلم اليّا الحاج (ص٣٢)

وعدنا والوعد املك ان نفكِّه القرَّاء بتعريف هذا الكتيِّب اذا ما وقفنا عليهِ . وها هوذا اليوم في يدنا طالعناهُ فوجدناهُ كما سبق اليهِ ظنُّنا اعني انهُ مجموع احاديث ملفَّقة وخرافات عجائزيَّة تعجَّبنا كيف لم يخجل من طبعها اصحابها ولكن قد اصبحت اليوم مصر بلاد العجائب ترينا مطابعها من فنونها غرائب . ومصداقاً على قولنا نعرض هنا نُتَفًا من هذه الكرَّاسة يزعم صاحبها انها « تاريخ الماسونيَّة » هذا اوَّلها :

« ان الباحث في كنه تاريخ هذه العشيرة يصعب عليهِ معرفة مبدإها في ايّ زمن ومكان وقد تعدَّدت اقوال الكتاب الماسون . . . قال بعضهم انَّ مبدأ الماسونية منذ القدم يوم كوَّن المهندس الاعظم السموات والارض وخلق آدم وهو ابو الماسون واعياً في صدرهِ العلوم والفنون بارعاً في علم الهندسة »

فيرى القرَّاء ان لدى الماسون من الكتب القديمة ما سبق عهد موسى الكليم لانَّ هذا النبيَّ نسي في التوراة ان يخبرنا عن هندسة آدم وعن كونهِ ابًا للماسون

ثمَّ افادنا جناب المؤلف (ص ٣) :

« انَّ هذه الصناعة اي الهندسة انتقلت الى مصر بواسطة مصرائيم احد انجال حام وكان ذلك بعد تبلبل الالسنة عند بناء برج بابل بستّ سنوات (للهِ درُّهُ من مؤرخٍ محقّق وحاسبٍ مدقّق) . . . واستغرب المصريون الاقدمون هذه الصناعة . . . وكان مثلهُ بينهم كمثل كولمبوس بين هنود اميركا . . . »

فكيف لا يفتخر المصريُّون بجمعيَّة الماسون بعد ان ورثوا هذا العزّ الباذخ والشرف الشامخ من فضل الماسونيَّة . ثم قال :

« وقال احد الكتَّاب انَّ الماسون قوم من البيثاكوراسيين (كذا) تألفوا جمعيَّة وصلت الى ما هي عليهِ الآن من العظمة »

واغرب من ذلك قولهُ وقد جعل اليسوعيين والماسون (اي النار والماء) اخوةً :

« وقال آخر : انَّ الماسون جماعة من اليسوعيين الانكليز في بريطانيا »

عشنا بين اليسوعيين في انكلترة اربع سنين دون ان نطَّلع على كلَّ هذه الحقائق

فقال الراهب: نحن لسنا الّا اصحابًا جئنا لانقاذك من خطر عظيم كدتَ تقع فيهِ

— وما هو ذلك الخطر العظيم الذي كدتُ ان اقع فيهِ يا ترى ؟ لعمركم ايها الناس اصدقوني الخبر . . تكلّموا

فنهض حينئذٍ حاكم البلد وقادهُ الى الحجرة التي كانت جُهِزت لمبيت الفتى فما رأى الجثة حتى رجع الى الوراء محوقلًا وقد عرف المذبوح فانهُ كان واحدًا من الباعة وكان هو رآهُ منذ يومين

فشرع حينئذٍ كاتب السجلات باجراء التحقيق عن الواقعة امام تلك الجماعة وكان يعقوب حاضرًا ايضًا فرفع تقريرًا مستوفي الشروط في هذا الشأن وقد اثرت فيهِ هذه الليلة الهائلة تأثيرًا لم يبرح من ذهنهِ طول حياتهِ وعلم العلم اليقين ان الله في خلقهِ آياتٍ وانهُ لولا عنايتهِ الالهيَّة لما خلص من مخالب الموت الذي اوشك ان يبطش بهِ

ثمَّ بعثوا بعض الرجال الى جهات مختلفة يتعقبون آثار الجاني وشركائهِ حتى اذا ادركوهم احضروهم الى دار الحكومة حتى ينالوا هناك جزاء ما جنَت ايديهم

امَّا الفتى فانهُ نال حظوةً في عيني كاتب السجلات فقرب هذا اليهِ وقال لهُ: ايها الفتى ان وظيفتي تقتضي ان يكون عندي فتًى مساعد مثلك وقد اختبرتك البارح فنظرت فيك سمات الفهم والذكاء وآنست منك ظرفًا وادبًا فان شئتَ تشغل هذا المحل عندي اكفل لك النجاح والترقي

فرفع الفتى اكفَّهُ نحو السماء وقد اخذتهُ هزَّة الطرب والسرور فقال: انني لا اقدر ان اجيبك عن هذا الّا بعد مشورة والدتي ولست اظنُّها تأبى ذلك

فقال: امهلك ثمانية ايَّامٍ فيها تذهب وتقابل امك وبعدها تأتي اليَّ وانا امتعك بكلّ ما عندي من المال

قال واعطاهُ بعض الدنانير لقضاء حاجتهِ فرجع الفتى الى بيت امّهِ فلمَّا رآها قصَّ عليها حوادثهُ وقلبها يتنازعهُ عاملا الخوف والفرح ثمَّ انكبَّ كلاهما على الارض يشكران الله تعالى ثمَّ قامت الأُم وضمَّت ابنها الى صدرها وهي تذرف الدموع وقالت لهُ :

« ايَّاك ايَّاك يا بنيَّ ان تهمل منذ الآن صلاة العشي يومًا من حياتك » (تمت)



العثمانية لا تسند احكامها الّا على متون الشريعة والقانون وكل واحدةٍ منها بجدّ ذاتهـا مستقلة في فهم النصّ الشرعي والقانوني الذي تحكم بموجبهِ. وبنـاءً عليهِ فنحن نبدي من الشكر لصاحب هذا الكتاب ونتمنى لهُ رواجاً بمقدار ما لهُ من لازم الفائدة الخاصَّة والعامَّة. طُبع في بعبدا ١٩٠٠. ص ٣٨٤ طانيوس ابو ناضر

شَذَرَاتٌ

ملاحظة على لفظة صفراغون قرأتُ في العدد السادس عشر من مشرقكم الاغرّ (٢ : ٧٣٢) كلاماً لحضرة الاب الفاضل الاخ انستاس الكرملي عن طائر يسمى صفراغونًا وقد اطال الكلام في بيان اوصافـهِ واسمائهِ وتفنيد آراء غيرهِ وترَّجح عندهُ ان الصفراغون المذكور لفظٌ يوناني يسمَّى بالعربيَّة عصفور الشوك الخ... وفي اثنا مطالعتي كلامهُ ظهر لي ان لفظة صفراغون كلدانيَّة مركَّبة من كلمتين مجزومتين ܨܦܪܓܘܢ اي طائر ذو ألوان او ملوَّن. ولاثبات قولي دليلان: الاول شيوع نظير هذا التركيب في اللغـة الكلدانيَّة شيوعًا عظيماً فمن ذلك كلمة ܨܦܪܡܒܝܬܐ زرزور. ܨܦܪܓܡܠܐ نعامة ܨܦܪܕܡܠܬܐ بلبل ܨܦܪܩܝܬܐ زرافة الخ. والثاني تسمية اهالي قرى الموصل واطرافها من الكلدان لهذا الطائر في لغتهم الدارجة ܨܦܪܐ ܡܪ ܓܘܢܐ (١ اي عصفور ذو ألوان او ملوَّن وهو بجثة العصفور المعروف. ويرد هـذا الطائر الى تلك النواحي بكثرة عظيمة قبل اوان الحصاد بقليل لالتقـاط الحبوب من السنابل وهو يضرّ بالزروع كثيراً ولذلك يخرج الاهالي لطردهِ وزجرهِ بطرق مختلفـة. ويوجد على ظهر هذا الطائر وذنبهِ ألوان مشرقة لمَّاعة بديعة الاشكال. وحسب زعمهم انهُ يأتيهم من جبال آثور اي (كردستان) الشامخة الممتدَّة في تلك الاقطار. وقيـل ايضاً انهُ يعشِش في سهول اراضيهم وبقاعها بين تلك الاشواك والادغال الملتفة الموجودة هناك بكثرة وعند اشتداد الحرّ يرحل الى حيث اتى والله اعلم (القس ج. قرياقوزه)

سيَّارات جديدة اكتشف في ٢٠ من الشهر الماضي الفلكيّ

---

١) ان لفظة ܡܪ المعترضة تعني بالعربية صاحب او ذو وهي كثيرة الاستعمال في لغتهم فمن ذلك قولهم ܡܪ ܒܝܬܐ صاحب البيت ܡܪ ܓܘܢܐ ܐܘܟܡܐ صاحب اللون الاسود او اسود اللون وهلمَّ جرًّا

التاريخيَّة الساطعة . غير انَّنا لا نعلم كيف توافق ما كتبهُ المؤلف بعد ذلك حيث قال (ص ٥) :

« وكان اليسوعيون بعد ظهورهم الى عالم الوجود يميلون الى ابناء الحرّية لمهارتهم في الصنائع بغية بناء كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم غاية في الابداع وجلّ مقصدهم ان يلاشوا الماسون عن وجه الارض كما كان يفعل الملك فرعون ببني اسرائيل ايَّام كانوا يعملوا (كذا) بالاجرّ »

نشير على المقتطف الماسوني ان يقرأ هذه النبذة ولا يعود ينكر انَّ العلم يقرّر بوجود بني اسرائيل في مصر واستعبادهم فيها (المشرق ٣ : ٨٠٠) ما لم يُرد ان ينبذ أقوال اخوتهِ الماسونيين الذين برعوا مثل اليَّا الحاج في علم التاريخ

وهو قد زاد في اصل الماسون اقاويل أُخرى تدلّ كلها على رفيع مقام هذه الشيعة وشرف اصلها لم ينسَ الَّا قولًا واحدًا هو عندنا الرأي الصائب انَّ منشئ الماسون هو الشيطان الرجيم صاحب المبادئ التي يتفاخر بها الماسون اعني تقويض كل دين وسلطة

هذه نبذة وجيزة تنبئك ايها القارئ بترَّهات الماسونيين وكتبتهم وتعرّفك بمحاسن هذا الكُتيّب الجديد . وليس لجرجي افندي زيدان صاحب تاريخ الماسونية ان ينتقد على هذه الخلاصة فان كليهما سيَّان . . . في الكذب والبهتان ل . ش

الآثار العدلية

لجناب المحامي اسكندر افندي عبُّود وكيل دعاوي

طُبع في المطبعة العثمانيَّة في بعبدا سنة ١٩٠٠

اهدى جناب المحامي الكاتب اسكندر افندي عبُّود الدمشقيّ مولدًا والبيروتي سكنًا لإدارة مجلة المشرق كتابهُ المسمَّى الآثار العدليــة الذي لدى مطالعتهِ يُفهم منهُ ان صاحبهُ نقل مجمــلًا الى هذا الكتاب بعض فقراتٍ من الارادات السلطانيَّة والتحريرات العليَّة والموادّ القانونيَّة ومن قرارات محكمة التمييز ممَّا هو وارد جميعهُ مفصلًا في جريدة المحاكم التي تطبع في الاستانة العليَّة قسمَها الرسمي وان اقصى الفــائدة من هذا الكتاب هي الاخبار عن صدور ارادة سنيَّة بكذا وتحريرات عليَّة بكذا وقرارات من محكمة التمييز بما هو كذا وانهُ يرشد مطالعهُ الى الوقوف على تلك الاصول التي ألمع اليها صاحبهُ فيهِ ليُعتَمد عليها لا عليهِ . ويختصّ ذلك بالمنتهي الضليع في علم الحقوق لان غيرهُ لا يرتشد الى تلك الاصول ممَّا ورد في هذا الكتاب ومن المعــلوم ان المحاكم

بحصر الكلام. لان من انكر ذلك على الطغمة اليسوعيَّة نفى بالوقت نفسهِ كون الفرنسيسين والدومينيكيين هم حقيقةً من الرهبان». ٣ً وقد صرح المجمع التريدنتيني (في الجاسة ٢٥ الفصل ١٠) ان طغمة يسوع رهبانيَّة حقيقةً. ٤ً ثمَّ للاحبار الرومانيين براءات عديدة قرَّروا فيها هذا الامر ولم يُبقوا شبهةً بل ادخلوا الرهبانيَّة اليسوعيَّة في حكم الرهبانيَّات المتسوّلة (ordines mendicantes) كفانا شهادة البابا القديس بيوس الخامس من الرهبانيَّة الدومينيكيَّة فانَّهُ أعلن في براءتهِ التي بدوُّها *Dum indefessæ* انَّ طغمة يسوع وجميع اعضائها يُعدُّون في جملة الرهبان المتسوّلين « Personas (Societatis Jesu) omnes et singulas vere et non ficte mendicantes fuisse, esse et fore pronuntiamus » وكذلك اثبت غريغوريوس الثالث عشر في براءتهِ التي اوَّلها « *Ascendente Domins* » انَّ الرهبنة اليسوعيَّة هي رهبانية متسوّلة « vera Religio mendicans ». امَّا ما كتبهُ الطيب الذكر السيد اقليميس يوسف داود فكتبهُ قبل اسقفيَّتهِ اذ لم يكن يعرف الرهبانيَّة اليسوعية فوهم في ما كتب. ولنا الأمل ان ما قالهُ في هذا الصدد يُصلح في طبعة ثانية

س وسألنا حضرة الخوري الفاضل فرنسيس الشمالي: ١ً هل يُقتضى على المشترك في شركة الورديَّة المقدَّسة وثوب الكرمل وثوب الحبل بلا دنس وثوب الآلام ان يدوّن اسمهُ فيها وفي اي مكان يتمّ ذلك وهل يقتضى تبريك هذه الاثواب عند تجديدها. ٢ً هل يكتسب الغفران الكامل من صلى الصلاة المعيَّنة مد المناولة التي بدوُّها « ها انا اجثو امام حضرتك » كما هي معرَّبة في كتاب الصلوات المطبوع في مطبعتكم

شركات الورديَّة والاثواب المقدسة — صلاة « ها انا اجثو »

ج نجيب على (الاول) انهُ سبق لنا كلام في المشرق على ثوب سيدة الكرمل (٣: ٦٣٥) وكذلك عن ثوب الحبل بلا دنس (٢: ٥٧٥) فليُراجع. امَّا الاشتراك بالورديَّة فيصير في ايّ كنيسة كانت أُنشئت فيها هذه الشركة قانونيًّا ولا بُدَّ من تدوين اسم المشترك في سجلّ هناك. وهذا التدوين لا يُفرض على المشترك بثوب الآلام الذي يشرك بهِ الاباء اللعازريون او من رخَّصوا لهُ بذلك. واعلم ان من اشترك باحد الاثواب المذكورة يمكنهُ ان يجدّدهُ بلا تبريك الكاهن واذا حصل نقص في الاشتراكات السابقة لسنة ١٨٨٤ فقد تلافى البابا لاون الثالث عشر هذا الخلل ببراءة خصوصيَّة وكذلك اصلح سنة ١٨٩٤ ماوقع من الخطأ في اشتراكات ثوب سيدة الكرمل. ونجيب على (الثاني) بالايجاب ل. ش

وُولف (Wolf) في مرصد كونغستال قرب هيدلبرغ ثلاث سيَّارات جديدة اتخذ احداها كقياس لمعرفة بعد الشمس عن الارض

مُكاتب المعلومات قرأنا في العدد ٢٣١ من المعلومات رسالةً بامضاء محمود زكي ذكر فيها كتابنا الموسوم بشعراء النصرانيَّة ولامنا على اننا عددنا بين شعراء النصرانيَّة « السموأل ولبيد » فاستدللنا بهذا القول انهُ لم يقرإِ الكتاب لان لبيد والسموأل لا ذكر لهما في جملة شعراء الجاهليَّة النصارى . امَّا نصرانيَّة امرئ القيس والنابغة والاعشى وزهير فلا نشكّ فيهما راجع المشرق (١ : ٥٢٥) . وللمكاتب ايضاً كلامٌ مرَّ في مجموعنا مجاني الادب . وكفانا لدحضهِ ما قلناهُ في المشرق (٣ : ٤٤)

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

سؤَال من ادارة المشرق لجريدة المنار زعم المنار في عددهِ الاخير ان حضرة الارشمندريتي حدّاد بيَّن بما لا مردَّ عليهِ من آيات الكتاب ونصوص الآباء ان الروح القدس منبثق من الآب « وحدهُ » . فنطلب الى صاحب جريدة المنار او الى حضرة الارشمندريتي ان يذكرا لنا هذه الآيات والنصوص الوارد فيها انَّ الروح القدس منبثق من الآب « وحدهُ » فنكون لعلمهما من الشاكرين

س كُتب لنا من احدى مدارس لبنان انَّهُ جرى فيها مباحثة عن الطغمة اليسوعية أهي رهبانية بحصر المعنى او اخوية فنكر البعض كونها رهبانيـة مستندين الى ما ورد في مختصر تاريخ الكنيسة للخوري يوسف داود (ص ٢٤٨) والى ترجمتهِ لمختصر تواريخ الكنيسة للمعلم لومون (ص٥٢٩) فاستفتى الكاتب مجلة المشرق

الرهبانية اليسوعية

ج لا شكّ في ان الطغمة اليسوعيَّة رهبانيَّة بحصر المعنى كرهبانيَّات الفرنسيسين والدومينيكيين والاوغسطينيين لا تختلف في ذلك عنها شيئاً . ولنا على ذلك ادلَّة عديدة ١ً انهُ لا ينقصها شيء من جوهر الحياة الرهبانيَّة القائمة بالنذور الثلاثة الدائمة اي الفقر والعفَّة والطاعة . وهذه النذور ليست هي فقط بسيطة وذلك يكفي لحقيقة الحياة الرهبانية بل هي ايضاً علنيَّة يبرزهـا اليسوعيون بازاء الكنيسة على مقتضى قانون اثبتهُ الكرسي الرسولي مرارًا . ٢ً اجماع اللاهوتيين على هذا الرأي . قال العلامة سُوارس (Suarez) : « لا اظنُّ ان رجلًا كاثوليكيًا انكر قط كون طغمة يسوع هي رهبانيَّـة

المشرق

اغتذاء النبات

اصل المادَّة النباتيـــة *

لجناب الكاتب المُجيد سليم افندي اصفر

يتركَّب المُلك الآليّ في الطبيعة من العناصر التي يتألف منهـا الملك المعدنيّ فاذا حلّلت النبات والجماد وجدت لهما اجساماً بسيطة متشابهة اعني عناصر معدنيَّة او شبيهة بالمعدنيَّة (métalloïdes)· ومن بحث عن اسرار الطبيعة يرى فيها نظاماً عجيباً او بالحري دوراً متناسقاً يشهد بحكمة الخالق وتدبيرهِ الجميل فان الحياة تستعير موادّها التي بها قوامُها من المعادن ثمّ لا تلبث ان تردَّ لها العارية· والمعدن هو اصل هذه الحركة الطبيعيَّة فانَّ قوى النبات تعمل فيهِ فتستخلص منهُ ما تحتاج اليهِ وتدخلهُ في تركيب جوهرها الحي حتى اذا نالت حاجتهـا اعادتهُ الى عالم الجماد فيتمّ بذلك هذا التبادل العجيب بين المملكتين الطبيعيَّتين دون ان يُفقـد في عالم الكون شيء من العناصر الكيمويَّة التي خلقها الله في البدء

هذا ولا ننكر ان اصناف النبات التي يبلغ عددها ٢٠٠٠٠٠ نوع على ما يرويهِ ارباب الطبيعة لمختلفةٌ جدًا في تراكيبها وهيئاتها وخواصّها · فترى منها ما ينمو ويزكو فيصير اشجارًا كبرى باسقة الاغصان ممتدّة الافنان عديدة الاشكال ومنها ما هو غاية في الصغر والدقّة لا تكاد العـين تميّزهُ مع تعدُّد اجناسهِ· فبعضها لا غنًى عنهُ لغذاء

* هذه الكتب التي استندنا اليها في مقالتنا: E. Gain : *Chimie agricole* — A. Muntz et A. Ch. Girard : *les Engrais*, t. I — Schloesing : *Chimie agricole* — Emile Garnier : *une révolution agricole.*

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٥ ايلول الى ٨ تشرين الاول ١٩٠٠

انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (••••••) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

الصليبيَّة الهيئة (crucifères) والبقول والانبتة الوردَّية الشكل (rosacées) او الخيزرانيَّة (joncées) واليَتوعات (euphorbiacées) وهلمَّ جرًّا . وكذلك ترى البوطاسا تكثر في نبات البرّ . فان رمادهُ يحتوي من ٢٠ قسماً الى ٥٠ في المئة منها . بخلاف الصودا التي تكثر في نبات البحر (١ وكثيرًا ما يدخل في النبات اكسيد الحديد فاذا تعذَّر فيهِ نتج من ذلك مرضٌ للنبات يدعونهُ كلوروز (chlorose)

وهذا جدول صنَّفهُ النباتيّ بوسِنغو (Boussingault) يبيّن لك كميَّة المعادن التي تدخل في تركيب مئة جزء من رماد بعض الانبتة

جدول لمعرفة كمِيَّة المعادن الداخلة في رماد النبات

اسماء النبات	كمية الرماد في المئة	م. الحامض الكربونيك	م. الحامض الكبريتيك	م. الحامض الفسفوريك	م. الكلور	م. الكلس	م. المغنيسيا	م. الصودا	م. البوطاسا	م. السيليس
البطاطا	٤	١٣,٤	٧,١	١١,٢	٢,٧	١,٨	٥,٤	اثر منهُ	٥١,٥	٥,٦
الشمندر	٦,٢	١٦,١	١,٦	٦	٥.٢	٧	٤,٤	٦	٣٩	٨
اللفت	٧,٦	١٤	١٠,٩	٦,١	٢,٩	١٠,٩	٤,٢	٤,١	٣٣,٧	٦,٤
القمح	٢,٤	١١	١	٤٧	اثر منهُ	٢,٩	١٥,٩	اثر منهُ	٣٩,٥	١,٢
تبن القمح	٧	»	١	٣.١	٠,٦	٨,٥	٥	٠,٢	٩,٢	٦٧,٦
الشوفان	٤	١,٧	١	١٤.٩	٠,٥	٣,٧	٧,٧	٠	١٢,٩	٥٣,٢
الحمص	٣,١	٠,٥	٤,٧	٣٠,١	١,١	١٠,١	١١,٩	٢,٥	٣٥,٢	١,٥
اللوبيا	٣,٥	٣,٢	١,٢	٢٦,٨	٠,١	٥,٨	١١,٥	»	٤٩,١	١
الفول	٣	١	١,٦	٣٤,٢	٠.٧	٥,١	٤٥,٢	»	٤٥,٢	٠,٥

١) اعلم انَّ اهل الشام الذين يسكنون شرقي دمشق يجمعون كميَّة وافرة من نبات الصودا (Salicorne) فيبيعونها في دمشق لعمَلة الصابون . وفي بعض الامكنة يجمعون اكداساً من هذا النبات يجعلون تحتها حفرةً في الرمل فاذا تمَّ احتراقها جمعوا من الحفرة مادة يدعونها « قلي الحجر » تتركَّب من كربونات الصودا

البهيمة والانسان وبعضها يُستخرج منهُ ضروب الزيوت والسموم الناقعة. لكن لهذه النباتات المتباينة الاشكال المتنافية الخواصّ جامعاً يجمعها ألا وهو تركيبها الكيموي فاذا تبيّنتهُ وجدت انّ هذه الاختلافات انّما هي في الظاهر فقط. اما عناصر الأنبتة التي يتألف منها الارز الفخيم او الاقحوان الوسيم. البُرّ الغاذي او الشوكران القاتل. الخوخ الطيّب او اللفّاح المُنيم فهي هي في كلها كسدى نسيج واحد او كجبلة عجين فَرْد. وان سأل سائل انّى لها هذا الاختلاف العظيم والفرق الجسيم؟ أجبنا انّما ذلك يتأتى لها من اصل هذه العناصر التي تدخل فيها او من طبائعها ونظام دقائقها واختلاف نسب بعضها الى بعض بالكم والكيف

ولكن يا تُرى ما هي هذه العناصر الاوليَّة التي لا بدَّ من الرجوع اليها عند بيان عمل النبات وخواصّهِ العجيبة. هذا سؤال نجيب عليهِ في ما يأتي

عناصر النبات الضرورية

اعرضْ نباتاً على النار ليحترق فترى للحال الابخرة تتصاعد منهُ على هيئة الغاز او الدخان. فاذا بحثت عن هذه الابخرة وجدتَ فيها خلطاً من الكربون والهيدروجين والاكسيجين والازوت. فهذه العناصر الاربعة تدخل في النبات بنسبة ٩٠ في المئة وهي تُدعى العناصر الآليَّة وتكون في النبات على تراكيب لا تُحصى. وما يبقى منها بعد احتراقها انما هو راسب مُجسَّم يدعى رماداً وهو قسم النبات غير الآلي. واذا حللت هذا الراسب وجدت فيهِ اركاناً عشرة معدنيَّة امتصَّها النبات من التربة وهي: البوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم والمغنيسيوم والحديد والمنغنيسا والفسفور والكبريت والسيليسيوم والكلور. وهذه المعادن مع قلتها لا يستغني عنها النبات لحياكة انسجتهِ العجيبة

فترى ممَّا تقدَّم انَّ الانبتة لا تحتوي على اكثر من اربعة عشر عنصراً او جسماً بسيطاً. واعلم انّ هذه الاركان لا ينفصل بعضها عن بعض بتةً فمنها لُحمة كل نبات لا يقوم الّا بها ولا يحتاج الى غيرها. امّا كميَّتها في كل فصيلة من فصائل النبات فهي كثيرة الاختلاف. وربَّما حصل هذا الاختلاف من تركيب التربة التي فيها ينبت النبات. مثال ذلك انَّ المادَّة الصوَّانية تغلب على تبن الحبوب. فرماد القمح يتضمن منها ٧٠ في المئة. امَّا الحامض الفسفوري فكثرتهُ في جذور الشجر وتلقاهُ ايضاً في الحبوب على هيئة الفُسفات. فمنهُ فيها من ٤ اقسام الى ٨ في المئة اللهمَّ الّا بعض انواعها كالانبتة

المعادن في رماد الحشيش منهـا في رماد الشجر . واقسام الشجر نفسها تختلف في كمّيّة المعادن فان كمّيّة المعادن في اقسامها الخشبية اكثر منها في قشرها

مصدر العناصر النباتية

لا يخفى ان للنبات حياتين جوّيّة وارضية فترى رأسهُ واغصانهُ وساقهُ ممتـدة في الجوّ امَّا جذورهُ فتغوص في التربة وتنبسط تحت الارض . وذلك لينال النبات من الجوّ والتربة معًا ما يحتاج اليهِ لقوام حياتهِ وتركيب أَنسجتهِ . وهذه العناصر التي لا يستغني عنها النبات يجدها في الهواء والماء والتربة فهذه الثلاثة الاركان تقرّب اليهِ مادَّة حياتهِ اي عناصرهُ الآلية والمعدنية

مصدر العناصر الآلية في النبات

قلنا انَّ العناصر الآلية الداخلة في جوهر النبات اربعة الاكسيجين والهيدروجين والكربون والازوت . وهاك مصدرها :

١ (مصدر الاكسيجين في النبات) يستمدُّ النبات ما يلزمهُ من الاكسيجين من الهواء . والنبـات كما الحيوان لا يعيش دون الاكسيجين الصّرف غير الداخل في تركيب الاجسام فاذا حُرِمهُ يبس ومات . نقول ذلك اجمالًا لانَّ بعض الانبتة كخميرة البيرة يمكنها ان تعيش زمنًا طويلًا دون الاكسيجين الصرف . فيصيبها اذ ذاك في موادّها السكَّريّة تغيير يُدعى اختمارًا . والنبات يستخرج ايضًا قسمًا من الاكسيجين من الحامض الكربوني او من الماء المركَّب من الاكسيجين والهيدروجين بنسبـة ٨/٩ . واكثر ما يحتاج النبات الى الاكسيجين في وقت ذرّ الحبوب وطلوعهـا . ولذلك ترى الترَب التي لا ينفذ فيها الهواء تهلك حبوبها وتفسد

٢ (الهيدروجين في النبات) النبات يمتصّ الهيدروجين من الماء ولا يتخذهُ من حالتهِ الغازيّة الصرفـة . ويمكنهُ ايضًا ان يستخلصهُ من الامونياك لانَّ ثلث الامونياك بثقلهِ يتركَّب من الهيدروجين

٣ (كربون النبات) مصدرهُ الاول من الهواء وذلك انَّ ورق الشجر اذا اصابتهُ اشعة الشمس امتصَّ الحامض الكربوني المنبث في الهواء . ومصدرهُ الثاني من التربة لانَّ الارض تحتوي عدَّة موائع وغازات يدخل فيها الكربون فاذا امتصَّ النبـات من التربة بجذورهِ المحلولات الملحيَّة اكتسب ايضًا شيئًا من الحامض الكربونيك الممتزج بها .

وقد يوجد في بعض الاحيان عناصر أُخرى عرضية تدخل في تركيب النبات كالبُروم واليود والنحاس الخ · وهذا جدول ثانٍ يحتوي مجمل العناصر الداخلة في النبات

١ العناصر الاوليَّة الاصليَّة

- العناصر الغازيَّة
  - الازوت
  - الهيدورجين
  - الاوكسيجين
  - الكربون
  - الازوت والهيدورجين: يتركب منهما الامونياك
  - الهيدورجين والاوكسيجين: الماء
  - الاوكسيجين والكربون: الحامض الكربوني
  - الامونياك والماء والحامض الكربوني: الحامض النطريّ
    - الاجسام الدهنية
    - الاجسام المشتركة
    - الحوامض النباتيَّة
- العناصر الجامدة
  - البوطاسا
  - الصوديوم
  - الكلسيوم
  - المغنيسيوم
  - الحديد
  - المغنيسيا
  - الفسفور
  - الكبريت
  - السيليسيوم
  - الكلور (١
  - البوطاسا والصوديوم والكلسيوم والمغنيسيوم والحديد والمغنيسيا: تتركَّب مع الاكسيجين والحوامض
  - الفسفور والكبريت والسيليسيوم والكلور: تتركَّب مع الاكسيجين والاجسام الركنيَّة في حالة حموضتها
  - ارمدة النباتات

٢ العناصر الثانويَّة العرضية

البروم . الصودا . الالومينيوم . النحاس . الرصاص . الزنك . النيكل . الكوبلت . الباريوم . السترونسيوم . الليثيوم . الهروبيديوم . القيسيوم · الفضَّة

واعلم ان الموادَّ المعدنية ليست منقسمة في النبات اقساماً متساوية · فانك اذا وزنتَ رماد الحبوب وجدت المعادن فيها بنسبة ٢ الى ٥ في المئة امَّا رماد التبن فانَّ نسبة معادنهِ تبلغ ٤ الى ٧ في المئة وفي جذور الشجر ٤ الى ٨ في المئة · والقياس في ذلك انَّ الموادّ المعدنيَّة تزيد في النبات بقدر ما يزيد تبخير اجزائها ولذلك ترى كمية اوفر من

١) يُعَدّ الكلور في جملة الاجسام الجامدة لأَنَّ هذه الاجسام تدخل في غذاء النبات بواسطة مركَّبات الكلور

لحظوا في اصول البقول ما ينجم فيها من البثور واشباه النفّاخات ففحصوها فحصاً مدقّقاً فوجدوها اجساماً آليّة تفعل في النبات فعل الخميرة في العجين فتنقل اليهِ ازوت الجوّ وتثبّتهُ فيهِ. وهذا القول مجمل يحتمل بعض الشذوذ فان الترمس مثلاً يخرج عن هذه القاعدة كما بيّن ذلك حديثاً الاستاذان فرنك (Franck) وستوكلاسا (Stoklassa) من معلّمي كليّة براغ (١

هذا وان النبات يجد في التربة ثلاثة مخازن تحتوي على الازوت يستخلصهُ منها: الاول هي نفايات الاجسام الآلية سواء كانت نباتية او حيوانيّة. والثاني هي اصناف ملح النوشادر المعروفة بالاملاح الامونيكية. والثالث هي المركّبات النطرونية (nitrates) الناتجة عن تحولات الازوت الآلي. لكنّ هذه المركّبات لا تفيد النبات الّا بعد تحوّلها الى احدى الحالتين الاوليين اي بعد ان يدخلا في حيز المعدنيّات

مصدر العناصر الاولية

مستودع الاجسام المعدنيّة انّما هي التربة والباري عزّ وجلّ قد بثّ هذه المعادن في الارض على مقتضى سُنن حكمتهِ فنالت بعض البلاد منها كميّة اوفر وبعضها اقلّ. امّا النبات فانّهُ يجتذب اليهِ هذه المعادن بواسطة جذورهِ اذا وجدها مهيّأة لقوام حياتهِ. فانهُ يستخلص من التربة الفسفور والكبريت والسيليسيوم بامتصاصهِ الحوامض الفسفوريّ والكبريتي والسيليسي. ويمتصّ البوطاسا والصودا من مركّباتهما مع الاكسيجين او الكلور. امّا الحديد والزنك والمغنيسا فمن المركّبات الاوكسيديّة

وغاية شغل الفلاحة ان تهيّئ للنبات حاجتهُ من هذه المعادن لانّ بعض التُرَب مفتقرة اليها او اذا وُجدت فيها لا يستطيع النبات ان يُحيلها الى جوهرهِ. فعلى ارباب الفلاحة ان يسدوا هذا الخلل بما يلقونهُ في الارض من السماد

العناصر الاربعة عشر ومفعولها

اذا عمدتَّ الى اناء من الخزف لا تنفذ فيهِ الموائع وملأتهُ من الزجاج المدقوق او من الرمل المحمى باجيج النار (اي من السيليس الخالص) ثمّ زرعت في هذه التربة بعد سقيها بماء مقطّر عشرين حبّة من القمح ثقلها المتوسّط غرامٌ أترى تنال من زريعتك غلّةً؟

١) راجع مقالة حسنة للعالم الكيماوي دهيرين (Dehérain) في مجلة العلوم العمومية (عدد كانون الثاني ١٨٩٩)

لكن هذا القسم لا ينفع النبــات الّا عند بلوغهِ الورق فتعمل فيهِ اشعة الشمس بقوَّة المادَّة الملوِّنة المعروفة بالكلوروفيل (chlorophylle)

فمن ثمَّ ترى انَّنا بامتزاج الماء بالهواء نحصل على اصناف من المركَّبات الآليَّــة التي تختلف في تركيبها وهيئاتهــا اختلافًا كليًا. فمن هذا الامتزاج يتولَّد السكَّر في الاثمار والشمندر. والنشأ في القمح والقلقاس. والمادَّةُ الدبغيَّة في العفص. والراتينجُ في الصنوبر الى غير ذلك من المفاعيل العجيبة التي تظهر لنا في النبات

ولا يظن الزارع انَّ النبات اذا اجتذب هذه العناصر اي الكربون والهيدروجين والاكسيجين يُفقِر التربة بذلك. كلاَّ لان الخالق قد وفَّر هذه الاركان في الطبيعة لينال منها النبات ملء حاجتهِ. وفي الجوّ خزانة غنيَّة بهذه الاجسام فيهــا ما يكفي لغذاء النبات مدَّة مئين بل الوف من السنين دون ان نتكلَّف لذلك همًّا ما. ومن اراد تسميد ارضهِ فليفعل ولا يصرف همَّهُ الى هذه العناصر الثلاثة

٤ (الازوت في النبات) هو رابع العناصر الآلية التي يحتاج اليهــا النبات. والازوت في الطبيعة أوفر من غيرهِ من العناصر. وكميَّتهُ في الجوّ تبلغ اربعــة اخماسهِ. ولكنَّ النبــات لا يمكنهُ ان ينتفع بهِ توًّا إلَّم يستخرجهُ من الموادّ الازوتية الموجودة في التربة

كان النباتيون يعتبرون ازوت الجوّ قبل سنين قلائل كعنصر لا نفع منهُ للنبات. وقد كذَّبت اختبارات العلماء الحديثة هذا الظنَّ وبيَّنت جليًا انَّ للازوت الجوّيّ عملًا متَّصلًا. وذلك انهُ يدخل في تركيب انسجة كثير من انواع الميكروب التي تشغل التربة وتسكن في اصول البقول. ولولا هذه الميكروبات لما تمكَّنت البقول من النموّ في الاراضي الخالية من الازوت. وربَّما غنيت الاراضي بهذا العنصر بعد افتقارها لوجود هذه الميكروبات النافعة وقد اصلح ارباب الفلاحة بهذه الواسطة اراضي بائرة لم تأتِ من ذي قبل بغلَّة تُذكر (١

وان سألنا القارئ كيف استطاع العلماء ان يكتشفوا هذه الاسرار المكنونة؟ أجبنا ان الاساتذة المشاهير برتلو (Berthelot) وهِلريغل (Hellriegel) وويلفَرْث (Wilfarth)

١) راجع تأليف العلَّامة غان (Gain) في الكيميا الفلاحة ص ٢١ و ٢٢

فيبقى اربعة عناصر يُقتضى على الزارع ان يهيّئها للنبات واحدٌ منها هو عنصر آليّ وهو الازوت والثلاثة الأُخرى معدنيَّة وهي الحامض الفسفوري والبوطاسا والكلس فاذا اهملها الفلاح ضعفت تربتهُ وبارت ارضهُ بعد حين وتلفت

عزاء لجنّاز العلماء

من تأليف مار اليّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي الحليم

سعى بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في المشرق (٣ : ٢١٧) ابن الحديثي وتراجمهُ البليغة . ولم نذكر هناك تأليفًا لهُ آخر وهو كتاب الجنازات ضمَّنهُ عدَّة خطب بديعة محلّاة بالسجع المطبوع تُقال على الاموات على اختلاف طبقاتهم من جثالقة وكهنة وعلماء ومؤمنين . وهذا المجموع استنسخناه في الموصل عن نسخة هدانا اليها حضرة الاب الفاضل بطرس نصري الكلداني الموصلي فاخترنا منها هذه الخطبة بنسبة وقوع تذكار الموتى في ثاني يوم من تشرين الثاني . ثمَّ اطّلعنا على نسخة ثانية من هذه الخطبة محفوظة في كتاب قديم اعارنا ايّاهُ جناب الوجيه الفاضل بشاره افندي يارد . فقابلنا بين النسختين مبالغةً في الضبط وآلفنا بينهما تتمَّة للفائدة ل . ش

الحمد لله الفاخرة نعمتهُ . الغامرة رحمتهُ . الغامضة حكمتهُ . الفائضة عنايتهُ . الظاهرة شفقتهُ . الباهرة عظمتهُ . القادرة عزَّتهُ . القاهرة سطوتهُ . والشكر لله القديم الذي تأَخرت عن قدميَّتهِ قدميَّةُ القدماء . العظيم الذي خضعت لعظمتهِ عظمة العظماء . الحكيم الذي حارت في حكمتهِ حكمة الحكماء . العالم الذي عجز عن علمهِ علم العلماء . نحمدهُ معترفين بجميل نعمائهِ . ومعتصمين بجزيل آلائهِ . شاكرين لسرّ نعمهِ . صابرين على ضرّ نقمهِ . ونثني عليهِ حتى تبطل عنّا حركات اللسان . يومَ تصيدُنا حبائل الاكفان

يا معشر البشر . فجّروا ينابيع العبرات فقد آن لها ان تتفجّر . وشمّروا ذيول الخطيئات فقد أزِف لها ان تتشمَّر . الى مَ سيوف الشهوات تحطم رأس افكاركم . وحتى مَ حتوف الزّلات تهدم أرماس اعماركم . أغمدوا صوارم الخطيئات في أغمدة عمل الحسنات . واعمدوا الى رفع عزائم الجهالات عن أعمدة الميل الى الشهوات . أمطروا صفحات الخدود بامطار العبرات . وكرّروا لحات العقول في وادي الحسرات . وانظروا (١

١) ويروى : وتبصَّروا

بلا مراء لكنَّ هذه الغلة تزرةٌ لا يُعبأُ بها. فان ساق السنبل يكون اشبه بمسلّة يبلغ طولهُ ٢٥ سنتيمترًا. وكذاك طول السنبل لا يتجاوز سنتيمترًا واحدًا وتكون الحبوب فيهِ قليلة ضئيلة جدًا. ومع كل ذلك تكون الغلّة اوفر من الزرع فتبلغ خمسة غرامات او ستّة. فهذا دليل على انَّ النبات ينال من الهواء والماء غذاء فيأتي بثمرةٍ ما

ثمَّ أَضِف الى التربة شيئًا من الفحم تجد انَّ الغلة لا تزيد على الغلة السابقة ولكن ان فحصت القمح ترى فيهِ من ٤٥ قسماً الى ٥٠ في المئة من الكربون اي الفحم. فكيف يا تُرى دخل الفحم في جوهرهِ مع انَّ الكربون اذا خُلط بتربةٍ ليس لهُ عمل فيها. أفليس ذلك دليلًا على ان السنبل امتصَّ الحامض الكربوني من الجوّ بعد تحول الكربون المجاور لهُ الى هذا الحامض

اجعل الآن في تربة الاناء المعادن العشرة التي ذكرناها المتضمّنة في رماد النبات بعد احتراقهِ. وزِن الغلة تجد انَّها زادت فصارت ٨ غرامات. ومع هذه الزيادة لا تزال الغلّة ضعيفة تزرة. والنتيجة من هذا الاختبار انَّ النبات يمكنهُ ان يعيش وينمو اذا زُرع في تربة تحتوي على ١٣ عنصرًا بدلًا من ١٤ ولكن ليس نموهُ تامًّا موفورًا

امَّا اذا زدتَّ عوضاً عن المعادن العشرة السابقة العنصر الآلي الرابع وهو الازوت فللحال يزكو الزرع وينتعش فيرتفع ساقهُ وتمتدّ اوراقهُ وتخضرُّ أَلوانهُ وتزيد غلتهُ فتصير تسعة غرامات. فيظهر من ثمَّ صريحًا ان للازوت فعلًا طيِّبًا في الحياة النباتيَّة

اختم الآن هذه الاختبارات بان تجمع بين الازوت والمعادن العشرة في تربة الاناء فترى انّ القمح ينمو هنالك نموّهُ في اجود التُرَب واكثرها غلة. فيكون طول ساق السنبل اكثر من متر وطول السنبلة من خمسة سنتيمترات الى ستّة. وكلُّها ملأَى بالحبوب فتأتي الغلة بثلاثين غرامًا على الاقلّ ولعلّها تتجاوز الخمسين

وخلاصة هذه الاختبارات كلها انَّهُ لا بُدَّ لكلّ أَفراد النَّبات من ١٤ عنصرًا لتمام نشأَتهِ واستغلالهِ. ولكن كثيرًا من هذه العناصر يجدها النبات دون مساعدة الانسان فيحصل على الثلاثة العناصر الآليّة اي الكربون والهيدروجين والاكسيجين من الجوّ. وكذلك لا حاجة للفلاح (ما لم تكن ارضهُ رمليَّة محروقة بالتكليس) ان يهيئ للتربة الصودا والمنغنيسا والكلور والسيليس والحديد والكبريت لانَّ كل تربة طبيعيَّة تحتوي منها ما يكفي للنبات

لساعةٍ ما امرَّ الحسرات في جوارها. وما اضرَّ الزفرات في نارها. وما أَحرَّ العبرات في قرارها. وما أَحلى مذاق اثمارها. وما اشهى أَوراق اشجارها. وما اقرَّ الابصار بشريف ازهارها وانوارها. وما أَسرَّ الافكار بلطيف اسرارها. لمثل هذه الساعة فليزرع الزارعون. ولمثل هذه الوَقفة فليبذر الجامعون

نبهوا الافكار من رقدة الخطيئة. قبل ان ترقد الابصار الرقدة الابديَّة. تجمَّلوا (١ فهذا سبيلكم. وتحمَّلوا (٢ فقد دنا رحيلكم. كأَنكم برؤُوس أَقدامكم وقد لحقت اعقابَ السالفين. وطروس ايَّامكم وقد التصقت في صحائف الاولين. وكانكم بلحظات الاطراف وقد جمدت. وجمرات الاطراف(٣ وقد بردت. وحركات الاعطاف وقد خمدت. وبالوجوه البهيَّة وقد قتمت. وبالنواظر المضيئة وقد عتمت. وبالاعناق المستقيمة وقد مالت. وبالمحاسن الجميلة وقد استحالت. كانكم بصارم الموت وقد أَبرق. وببرق المنون وقد تأَلق. وبقرب الساعة وقد اقلق. وبجمع الاحباب وقد تفرَّق

وان عتقت عندكم الرزايا. او نسيتم حلول المنايا. فانظروا الى هذه الحادثة المفجعة. وتفكَّروا في هذه المصيبة المقمعة. واعتبروا بما حلَّ عندكم من الرزيَّة. الجديدة الزريَّة. وابصروا من شيَّد ورفع. وبدّد وجمع. وتاه في الدنيا تيه المخلدين. واجتهد فيها اجتهاد المؤبدين. وحرص في تحصيل الدرهم والدينار. وعمَّر ما دثر من المنازل والديار. وماثل في السماء. رتبة الجوزاء. كيف صالت عليهِ عساكر القضاء. فأَصبح بعد العزَّة عزيز العزاء. وعهدي بعد ذلك العزِّ المنيف. والمحلّ الشريف. وهو يتقلَّب بطنًا وظهرًا. ويتحسَّر سرًّا وجهرًا. وينظر الى المال والاموال شزرًا. يبسط يدهُ اليمنى. ويجمع رجلهُ اليسرى. فلا يقلع حِرَّةً (٤ الَّا وفي اثرها أُخرى. حتى اذا أَبرق يمانيَّ الحدق (٥. وأَحدق (٦ رديني الفرق (٧. واشتدَّت منايا مصائبهِ. وامتدَّت حنايا حواجبهِ. وانسدَّت أَبواب مطالبهِ. وانهدَّت اسباب مطالبهِ. وانقطع رجاء اقاربهِ. وارتفع حجاب حبائبهِ. لا يكاد يُردّد الطَّرْف بين الالحاظ والاغماض. الَّا وقد اختلط السواد بالبياض. وظلَّ يتجرَّع أَمرَّ الكاسات من امرّ الحياض

---

١) اي اصبروا ٢) ويروى: وتكمَّلوا ٣) الأَطراف الاولى من الطَّرْف والثانية من الطَّرَف ٤) ويروى: حسرة ٥) ويروى: اشائم القلق ٦) ويروى: احرق ٧) ويروى: العرق

دارًا وُجودها عدمان. وَجودها (١ حرمان. صحّتها سقمٌ. وفرحتهـا غمٌّ. نورها ظلام. ونارها قتام. شهدها مرّ. وقندها (٢ صبر. بَردها جمر. ورِفدها فقر. حقُّها ضلال. وصدقها محال. فيا لها من دار قد سلبت عساكرُ لذّاتها افكار الخلائق. ودنيا قد حجبت سائرُ شهواتها أنوار الحدائق. حتى غرقت في لجة الآثام أفهام البريّة. ومزّقت في مُهج الانام سهام الخطيّة. قد اضحى المحال مخدوعًا بها كأنّهُ صدقٌ. ووافى الضلال المطيع لها كأنّهُ حقّ. ألا رادم في هـذه الورطة لنار الشهوات والارادات. ألا مقدمٌ على الغبطة في دار الخيرات والساعات. ألا مقدمٌ من الهبطة الى المسرات والكرامات

ما للابصار ناظرة وكأنكم لا تبصرون. ما للاسماع سامعة وكأنكم لا تسمعون. ما للاطفال يُسلبون وكأنكم راقدون. ما للشبّان ينهبون (٣ وانتم لا تفطنون. ما للشيوخ يذهبون وكأنكم تخلدون. وكبول الموت(٤ وراء ظهركم وانتم لا تلتفتون. وسيوف القضـاء تفصم آثاركم وانتم راقدون ولا تستيقظون. كأن الموت قد سافر عن دياركم. هيهات وعساكرهُ واقفة في مواضع آثاركم. اين علاماتُ الإشعار بالغيوب يا ذوي الآذان. ام اين تقليمُ اظفار الذنوب يا اولي الاذهان. اين حسرات الندم. على عثرات القَدَم. اين المسامع المائلة الى الوعظات. ام اين المدامع السائلة على الخطيئات. اين تقـاطُر غزارة عبرات الأجفان. لاطفاء حرارة جمرات النيران. الى مَ هذا التماطل والحقّ قد وجب. والى متى هذا التماهل والموت قد قرب. ألعلّكم تؤملون الفرار من الخطب المُلمّ. والقـلوب منحوتة من الصخر الاصمّ. حيث يقول المطيع للدار الفاجرة: واحيرتاه. والمضيع للدار الآخرة(٥: واحسرتاه. والمبيع بالدنيا للآخرة: واقهرتاه. حيث لا تُسمع حجّة المقتدرين. ولا ينفع مال المدّخرين. ولا يمنع (٦ مفرّ الهاربين. فيا فرحة الزارعين يوم حصاد الغلات. ويا بهجة الطائعين حيث ادّخار الحسنات. ويا حسرة الفـاسقين اذا خرق (٧ سنانُ الفضائح. ويا حيرة السارقين اذا نطق لسان الجوارح. ويا مسرّة المتّقين اذا صدق برهان العمل الصالح. يوم يعلم الابرار حقّ مقامهم في دار النعيم. ويفهم الاشرار صدق دوامهم في نار الجحيم. فيا لها وقفةً ما أقلق أحكام صيارها. وما افرقَ اضطرام جمر نارها. آهًا

١) ويروى: وموجودها ٢) يريد سكّر القند ٣) اي يسرعون الى القبر. النهب الركض. او يُنهبون اي تُنهب اعمارهم ٤) اي قيوده جمع كبْل ولعلّها تصحيف خيول
٥) ويروى: الفاخرة ٦) ويروى: ينجع ٧) ويروى: احدق

حكم الله تعالى ثقةً منّا بوعدهِ . ولنعوض الاكتساب . بالاحتساب . ولنقابل القضاء . بحسن التسليم والرضى . مع علمنا انّ الله نيَّح روحهُ فرحل عن محلّ الشقاء . واستقرّ في دار البقاء . فاصل الدارَ الحسّيَّة . وواصل الدار العقليَّة . وظعن عن منزل الحسرات . وقطن في محلّ الخيرات . فارق النقطة الكثيفة الترابية . وقارب الدائرة اللطيفة السماويَّة . انتقل عن رَبع الندامة . ودخل في حمى الكرامة (١ . وكأَني بهِ وقد وجد الراحة الشريفة . واللذَّة الطاهرة اللطيفة . في المنازل التي لا عين نظرت بهجاتها لبعدها من الكثائف الارضيَّة . ولا اذن سمعت لحن نغماتها في التسبيحات الالهيَّة . فسبحان منشئ البريَّة . وواهب هذه العطيَّة السنية . والموهبة الحسنة الزكيَّة . وذلك لما قدَّمهُ من الاعمال الفاضلة الرضيَّة . فغفر لهُ ما سلف من خطاياه . واسكنهُ فردوس النعيم مع ابرارهِ واصفياه . واوقفهُ يوم الدينونة عن يمينهِ مع قديسيهِ ونجبائه

وتحقَّقوا ايها الاخوة ان الموت محتوم على الصادر والوارد يلحق بكل مولودٍ ووالد. وحكم الله لا يُدافع . وقدرهُ البارَ لا يُمانَع . واعلموا انَّنا جميعنا فانون . والى ما صار اليهِ هـذا الاخ « فلان » صائرون . والى الحساب والمجازاة ماضون . فلا مالٌ ينفع . ولا ولد يشفع . ولا شفاعة تُقبل عند حلول الموت وتلك الساعة الهائلة . وعدل الله استبان لنا في مساواة كاسهِ المرّ . بين الشريف والدني . والضعيف والقوي . والحليم والأمي . فجعلنا

١) وقد جاء في النسخة البيروتية ما نصّهُ . « فلا نحزننَّ عليهِ كمن لا رجاء لهُ . ولا نبكينَّ عليهِ كمن لا يقين بهِ . فذلك يليق بالوثنيين . والقوم التائهين . الذين لا يقرّون بالقيامة والحساب . ولا يرجون بالآخرة نعيماً ولا عقاب . بل نتيقَّن حقَّ اليقين . ونؤمن ايمان المصدقين . انَّ نُقْلتنا اذا ما عملنا وصايا ربّنا وسلكنا طاعة سيدنا هي من الارض الى السماء ومن الظلمة الى النور ومن الزوال الى الذي لا يزول ومن الحزن الى الفرح ومن الشقاء الى النعيم والبقاء الذي لم تنظرهُ عين ولم تسمع بهِ اذن ولا خطر على قلب بشر . وذلك امتثالاً لمراسيم ربّنا وثقة بمواعيد خالقنا : ان الذين يعملون بوصاياهُ يرثون الخيرات التي اعدَّها لهم في دار النعيم والذين يعصونهُ يخلدون في الظلمة الابديَّة والنار السرمدية . بل ينبغي لنا اذا بكينا ان يكون ذلك على ما فرط منّا من الجرائم لانَّ الندب والعويل . والبكاء الطويل لا ينفع المتوفّى البتَّة لان سيّدنا لذكره السجود لمَّا حضر عند قبر العازر واقامهُ انَّما دمع لا غير تعليماً لنا ألّا نندب طويلًا ونكثر عويلًا على موتانا كمن لا رجاء لهم والمتوفى ليس ينفعهُ بعد الممات غير القداسات والصلوات والتذكارات الدائمة . . . »

وهذا الختام لا أثر لهُ في النسخة الموصلية ولعلَّهُ زيد على النسخة البيروتية بيد احد نُسَّاخ الروم الملكيين . لان فيهِ ما يُشعر بأَصلهِ الملكي وقد ضربنا عن رواية قسم منهُ صفحاً لقلَّة فائدتهِ

فيا لهُ من حبيب لا يلوي على أحبابهِ. وترب اشغلتهُ المصيبة عن أترابهِ. طريحًا كئيبًا حسبُهُ ما بهِ. فواهًا للادغ لا تُرقى (١الدغتهُ. وراحل لا تُرجى عودتهُ. وراقدٍ لا تُرى يقظتهُ. قد أيقن بسفرهِ الى الابد. واذعن بمفارقة الاخ والولد. فهذه غاية الخلق فاين رأيُ الآملين. وهذه آية الحقّ فما قول العالمين. وقد انذر في انجيلهِ الصادق كلّ العالمين. وأعلن قائلًا للسامعين: سيظهر برهان الآخرة يقينًا وتُبصر الدنيا محالًا. وتعبر الخراف يمينًا وتُقهر الجدى شمالًا. فتكسب طول المدى نكالًا ووبالًا. يوم يميّز الملك بين الصنفين قائلًا للابرار: ادخلوا الدار الالهيّة المعدّة لكم قبل وجود الزمان. موعزًا نحو الاشرار أن: احملوا الى الدار الابديّة المعدّة لجنود الشيطان. فسبيل العاقل. اللبيب الفاضل. ألّا يغترّ بهذه الدنيا الزائلة. بل يفتكر بالموت وحلول فجعانهِ الهائلة. فهو الغريم الذي لا يُبقي. والمستقرض الذي لا يوفي. والسارق الذي لا يستحي. فكأسهُ مرّ. ومنظرهُ فزع لا يبرّ. وهيبتهُ شديدة. وساعتهُ رهيبة. وامرتهُ اكيدة فويل لمن لا يستعدّ لنفسهِ قبل النظر اليهِ. ويستيقظ قبل قدومهِ عليهِ

فغفر الله لمن سارع الى معالجة دائهِ. من قبل ان يعزّ وجود دوائهِ. وقبل ان يبرد العرق. ويشتدّ القلق. ويميل العنق. وسامح الله لمن اسبل ذيول الحسرات. وأسدل هطول العبرات. على ما صنع من الجهالات. لا على مفارقة الضيف الراحل عنّا. والعضو المنفصل منّا. الاخ الحقيق. والصديق الشفيق. « فلان » اخيكم وحبيبكم (وان كان الذي توفّي كاهنًا تقول عنهُ هكذا:) ومقدّس قرابينكم والرافع يديهِ الى الله سبحانهُ سائلًا غفران خطاياكم. (وان كان عاميًّا تقول:) ومن كان يلوذ بكم. فهو الآن ملقىً امامكم. صامت اللسان عن مناجاتكم. مودّع لكبيركم وصغيركم. وداع من لا يؤمل الاجتماع بكم. وعزيز عليهِ مفارقتكم. يسأل قدسكم ويتضرّع امام محبّتكم. ان تغفروا لهُ ما سلف منهُ لكم. وتجعلوهُ في حلّ من كل قلوبكم وخالص نيّاتكم. وتذكروهُ بالرحمة والمغفرة عقيب صلواتكم. فقد كان في حياتهِ يطلب من الله سبحانهُ من اجلكم وهو الآن يغتنم طلباتكم وصالح ادعيتكم

واعلموا انّ هذه الرزيّة تجلّ عن التعزية. ويقلّ دونها بلوغ التسلية. فلنصبرنّ على

---

١) اي لا تشفى برقية السحر

العدوان. فما انتهينا الى داخلهِ حتى اخذنا الدهش ولعبت بنا نشوة الحيرة عند مرأى هذه الآكام المظلَّلة بافياء مخلَّدة لم تخترقها منذ اجيال عديدة اشعَّةُ الشمس. والتربة التي فيها تغوص جذور هذه الاشجار البهيَّة انما هي كلسيَّة لكنَّ النَّظر لا يكاد يطَّلع عليها لما يعلوها من نفاية الاوراق والاغصان الساقطة هناك منذ غابر الاجيال. والاشجار التي لقيناها في مدخل الحديقة أقرب عهدًا من غيرها لكنَّها ابهى منظرًا واجمل صورة يخال لناظرها انَّها سواري سفن تتخايل عجبًا في الهواء وتمدُّ اغصانها الوارفة كأنها الشُرُع تدفعها الريح في عباب البحر

ثمَّ مشينا في وسط هذه الخميلة النَّضرة فوجدناها مَبْردةً للبدن بعد ما شعرنا من حرارة الشمس في سيرنا الحثيث. وكنَّا ننتقل من ربوة الى ربوة ونفحص صفًّا بعد صفّ ونجد لكلّ شجرة خواصَّ جديدة. ونحن مع ذلك نستنشق ريَّا الارز العطرة وهي اطيب من رائحة الصنوبر والشوح الجبلي الذي يُعجب بهِ أهل اوربَّا. وقد شبَّه العلامة شُلتز (Schultz) نسيم الارز بنَفْحة البلسم المكّي

وكانت بعض سطور الارز تلوح لنا كعواميد رواقٍ جميل او بهوٍ بديع فوقهُ سقف من الاغصان المحتبكة ببعضها جدلتها يد الطبيعة على هيئة فخيمة يعجز عن تقليدها ابرع المهندسين

ولم نزل نطوف في جهات الارز حتى بلغنا بُقعةً منفردةً موقعها في مُنهبط من الارض على شكل دائرة فهناك ليس بعيدًا عن المعبد الذي شيَّدهُ السعيد الذكر غبطة السيد بولس مسعد ترى أقدم اشجار هذه الغابة عهدًا. فعددها اثنتا عشرة شجرة خمس منها على مقربة من المعبد والسبع الأُخر على اكمة مجاورة. وبين الخمس الاولى ترى ملك هذه الغيضة وسلطانها. وهي ارزة غاية في الكبر موقعها في منحدر من الارض لا ينزلهُ السيَّاح لحرج مكانهِ. ومن يعتبر هذه الارزة عن بُعد خمسين قدمًا لا يستعظمها امَّا اذا اقترب منها وجدها آية من آيات الخليقة فكأني بها في وسط اخواتها جبَّار يتبختر بين اقرانهِ وهو اشدُّ منهم صولة واعظم جسمًا. ودائرةُ جذع هذه الارزة نحو ١٥ مترًا. وقد بلغت بها قوَّة حياتها الى ان فرَّعت جذورُها فرعين كبيرين علا ساقهما وتكاثفت اغصانهما فهي بينهما كالسيد الاروع الحلاحل يتباهى بولدَيهِ الكهلين ويسند اليهما رأسهُ المُنحسر تحت افنانهما الغضة. ولا غرو ان كبار السيَّاح أعدُّوا هذه

الله وايّاكم . ممّن اعدّ تطبُّب علّتهِ . قبل تلهُّب غلّتهِ . واستعدّ للقاء رمسهِ . قبل شقاء نفسهِ . وتأهَّب للشمول بالرحمة . قبل النزول في الظلمة . واستوجب الخلود في النعمة . قبل حلول النقمة بشفاعة السيدة الطاهرة البتول والدة الرحمة . وام الحياة . ذات الطوبى والشفاعات . ومجمع الملائكة والانبياء والرسل الابرار . وجميع القديسين والقديسات الاحرار . امين

سياحة حديثة في جبّة بشرّاي

للاب لويس رنزفال اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

٢

لله ليلة قضيناها في قلالي دير مار سركيس ما كان اهنأها عقبها صباحٌ استبشرنا من بلجتهِ الخير وبسط النفس . فقمنا عند ابتسام فجر الخميس وسرنا بنشاط الى وادي الارز . فكانت طريقنا في بادئ الامر عسرة صعبةً المرتقى حتى بلغنا بعد قليل نهجاً سويًّا سلكناهُ فافضى بنا بعد ساعة من الزمن الى الهضاب التي تنتصب فوقها غابة الارز. فمشينا مدَّة دون ان نراها بالعيان ونحن على نجوة تعلو الوادي الذي عند منتصفهِ يتبجّس نهر قاديشا ويفور بِدويّ عظيم فوقفنا هنيهةً لنُمتّع النَّظر بالمشاهد التي كانت محدقةً بنا : المكمل وراءنا ومن عن شمالنا . وبازائنا نَفنَف مستوٍ كأنهُ الجدار تضاهي قمّتهُ قمة ظهر القضيب علوًّا . وعند اقدامنا نبعٌ فوَّار يُسمع لهُ شبه هزيم الرعد ويسيل مزبدًا الى مهواة الأَودية المتَّصلة بعباب البحر . فذكَّرتنا هذه المناظر وصفًا انيقًا للشاعر الفرنسي لامارتين أَطنب فيهِ على هذه الانحاء فأَوغل

ثمّ ما لبثنا ان بلغنا الى غياض الارز وهي لا تظهر كلها معًا لان موقعها كما سبق القول على عدَّة نجوات تختلف في ارتفاعها ولكن ما لاح لنا منها لاول وهلة أعجبنا . فراقنا منها لونها الشديد الخضرة وجذوعها المرتفعة وافنانها الممتدَّة على شكل طبقات متفاوتة مخروطة الرأس واثمارها الصنوبريَّة . وفي مقدمتها ارزة كاملة الصورة بهجة المنظر جامعة لمحاسن أَخواتها تخيَّرتها جريدة الارز الغرَّاء فاتخذتها كشعار تزين بهِ كل اعدادها

وقد جُعل لحرج (حرش) الارز سُور يُحدق بهِ من كل جهاتهِ فيصونهُ من الماعز وايدي



اكبر شجرة في غابة أرز لبنان

الارزة من بقايا القرون السالفة التي شاهدت عهد سليمان فصبرت مذ ذاك على ملمّات الحدثان ونوائب الزمان

امّا السبع الشجرات التي تنتصب فوق الربوة المحاذية فهي احسن موقعاً والى ظلّها يأوي السيّاح ويضربون تحتها خيامهم. وعلى صفحات جذورها اسماؤهم وتاريخ حجّهم اليها. وممّن قرأنا اسماءهم من المشاهير الشاعر دي لامارتين والكاتب البليغ دي جِرامْب (de Géramb) والعلامة بُرَوا (Bruat) وهلمّ جرًّا

ومن علوّ هذه الربوة يمتدّ البصر الى مجموع شجر الارز النابت في هذه البقعة وعددها بين كبرى وصغرى لا يربي على ٣٧٠ وكانت الارزات الكبرى قبل عهدنا بثلثمائة سنة ضعف ما هي عليهِ الآن. فان احد السيّاح عدَّها سنة ١٥٦٥ فوجدها ٢٥ ارزة وهي لم تزل تقلّ شيئاً فشيئاً مذ ذاك العهد لعدم اكتراث اهل تلك المقاطعة لها سابقًا الى ان تصدّت حكومة لبنان لهذا الخلل في ايّامنا وتداركتهُ ببناء السور لئلا يصيبها ما اصاب اخواتها من التلف

وقد سبق القول انّ التربة الاصلية يعلوها طبقة من نفاية الشجر وورقه المتساقط وهذه الطبقة تختلف بين ٥٠ الى ٧٠ سنتيمترًا عمقًا ينبت فيها صغار الارز الّا انها اذا بلغت طول الاصبع او الاصبعين تشقّقت وهلكت وهو امر مقرّر حتى ان احدث ارزة تُرى في هذا المكان ترتقي الى ما فوق المئتي سنة

امّا سبب ذلك فتضاربت الاقوال في بيانهِ. فمن قائل انّ ظلّ الاشجار الكبرى يحجب عنها الشمس فلا تقوى على النموّ وتتلف وهو رأي لا يخلو من الصواب. ومن قائل انّ بزرها رديءٌ لأنّهُ ينشأ من شجر قديم العهد ضعيف البنية. وهو تعليل لا نرى فيهِ شيئًا من الصحّة لانّ هذا البزر نفسهُ غُرس في غير امكنة فطلع ونما

وعندنا ان لعدم نموّ ارزٍ جديد في المكان تعليلين الاوّل انّ بزر الأرز اذا وقع من الشجر بقي في الطبقة العليا بين نفاية النبات فلا يبلغ الى تربة الارض ليمدَّ فيها اصولهُ وينال منها ما يحتاج اليهِ من العناصر المغذية التي لا يجدها في هذه الطبقة الفوقيّة. ولذلك يضعف ويموت

والتعليل الثاني انَّ كثيرًا من السيّاح يقدمون الى غابة الارز فيطأُون هذه الاغراس

الصغيرة فتتلف. والنباتيون يعلمون انّ أغراس الارز لا تنمو الّا بعد الاهتمام الكبير فكيف لا تهلك اذا داستها الاقدام

هذا وقد قرأنا في كتب بعض السيّاح الاجانب ما يزري بحقّ الارز ويسومهُ خسفًا. من ذلك ما كتبهُ أحد جوّالة الانكليز ان خمائل بعض اشراف انكلترة لاوفى حسنًا واتمّ جمالًا من غابة الارز وقال غيرهُ: انّ اقدم شجرة في الارز لا تضاهي شجرة من اشجار الباوُباب (baobab) او البانيان (banian) التي تزين الغياض الافريقيّة او الهنديّة »

(نقول) انّ هذا الكلام يُشعر بهوى كاتبهِ ولو تروّى لما سطّر ما سطّر. لعمري انّ الذين يقدمون الى الارز لا يقصدون فقط منظر شجر ضخم او غابة جبليّة لانّ غايتهم اسمى من ذلك فانّ الأرز اثر تاريخي ينبئ بمفاخر لبنان القديمة ويروي للخلَف مجد سلفائهم. هذا فضلًا عمّا سبق وصفهُ من انّ موقع هذه الغابة بين جبال شاهقة تحدق بها المناظر البهجة

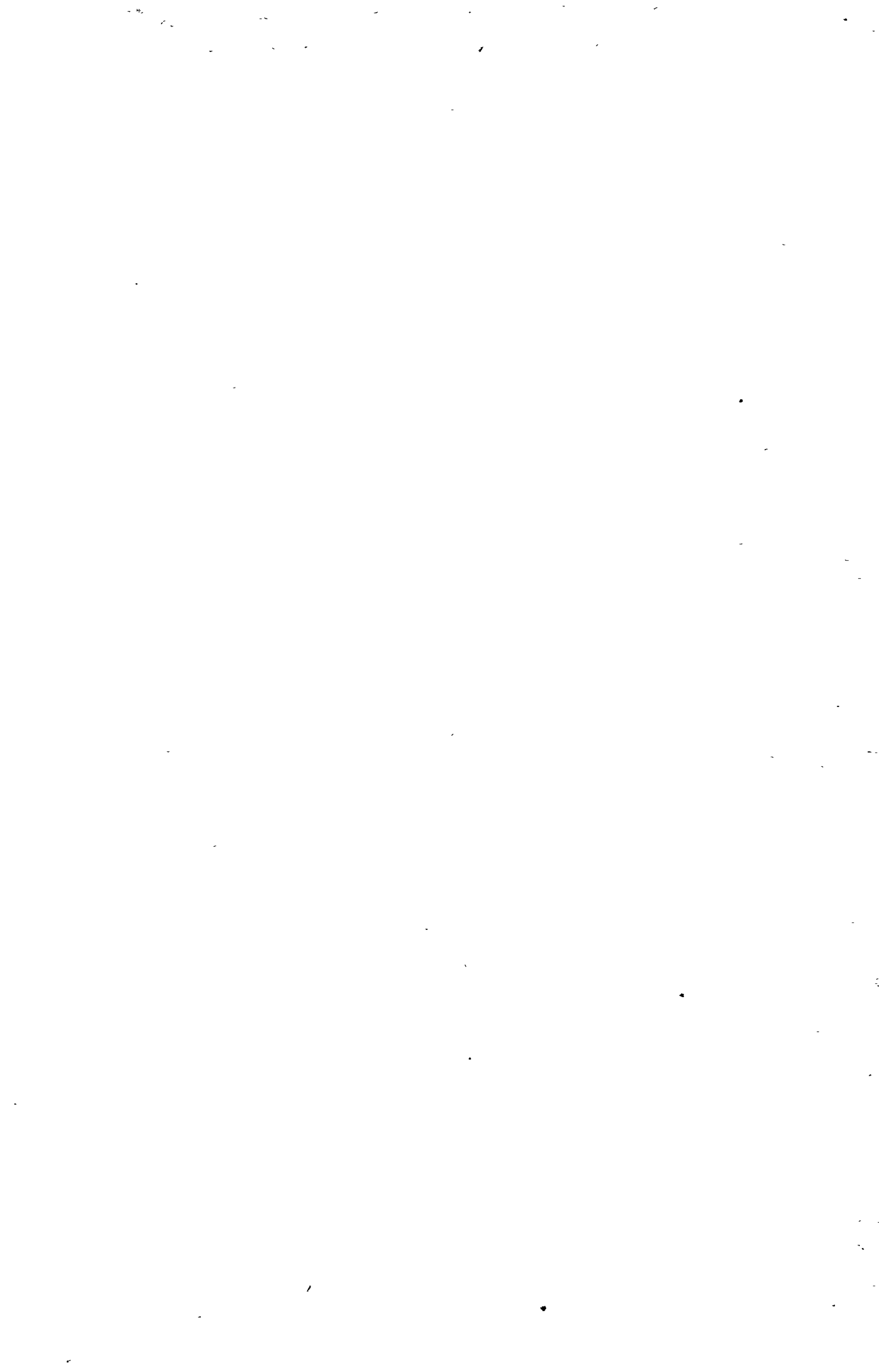
وعلاوة على ذلك انّ للمسيحي سببًا آخر من شأنهِ ان يحملهُ الى زيارة الأرز وهو ذكر هذا الشجر في الاسفار المنزلة فان الله عزّ اسمهُ اطنب في مدحهِ واثنى على لبنان بسببهِ ونسبهُ الى نفسهِ حيث قال في المزامير (٧٩ : ١١) عن الكرمة الرمزيّة التي هي اسرائيل: « غطّى ظلّها الجبال واغصانُها أرزَ الله ». وشبّه بهِ اولياءهُ الصالحين (مز ٩١ : ١٣) ورمز عن الحكمة المقدسة (٢٤ : ٢٧). ومن الخواص التي استرسل الكتاب في وصفها بقاء الارز وصبرهُ على الايام دون فساد وهو الخشب الذي فضّلهُ سليمان لابتناء هيكل الرب

وقد شُغفت ايضًا كنيسة الله بأرز لبنان فاوردت مرارًا ذكرهُ في صلواتها الطقسيّة. امّا الشرقيون فاستحسنوا ان يشبّهوا بهِ البتول العذراء ويلتمسون حمايتها بتسميتها « ارزة لبنان » (١

أفليست هذه الاسباب كافية للشرقيين عمومًا ولاهل الشام خصوصًا بان يتوقّلوا مشارف لبنان ويزوروا هذه الغابة المقدّسة ويتشرفوا بمشاهدها

---

١) هذا وان النباتيين وعلماء الطبيعة يجدون هنا اصنافًا من النبات او من صغير الحيوان لا يجدونها الّا نادرًا في امكنة أخرى. فمن ذلك انّنا وجدنا كثيرًا من نوع الفراش المعروف باسم Argyne (Pandora وهو فراش جميل الغابة يطلبهُ علماء الطبيعة بكل رغبة ولا يقفون عليهِ لندرتهِ



وفي اهدن بعض آثار تستحق الذكر ما لم يتسنَّ لنا ان تزورها . وهذه البلدة تفوق على كلّ قرى لبنان بحسن موقعها وطيب هوائها وكثرة مناظرها . فان في جوارها مكانًا يشرف على كل الانحاء المجاورة ويمتد منهُ البصر الى طرابلس وجون عكَّار فيكشف على مرأًى فتَّان. فتعجَّبنا كيف لا يتقاطر الى اهدن اهل السواحل في ايَّام القيظ لينالوا فيها حظًّا موفورًا من الهناء

وكانت زيارتنا الاولى عند وصولنا الى اهدن لكنيسة القرية وهي بناية كبيرة متسعة الجوانب كثيرة الانوار في وسطها صفَّان من الدعائم يقسمان البيعة ثلاثة اقسام وسقفها مرتفع فوقهُ سطح رحب . وصحن الكنيسة مفروش بالرخام الابيض . وهيكلها محكم الصنعة بديع الترصيع . ولو نُقشت جدرانها ببعض التصاوير لأَصبحت طُرفةً من غرائب لبنان

وفي مَوْفِه (سكرستيًا) الكنيسة رجل شهير يعتبرهُ اهل لبنان كبطلهم الصنّديد وفخر وطنهم ألا وهو الطيّب الذكر يوسف بك كرم الذي نُقلت جثتهُ بعد وفاتهِ في ايطالية الى مسقط رأسهِ . لكنَّ العجب اخذ منَّا مأخذهُ اذ رأينا بقاياهُ المكرَّمة في زاوية لا شيء يدلّ على شرف صاحبها فانَّ الجسم مودعٌ في تابوت تعلوهُ الغبرة . واذا نُزع غطاء التابوت تجد لوحًا من الزجاج المشوَّه بالغبار تحتهُ جسم هذا الرجل الجليل القدر . وهو محنَّط يظهر منهُ وجههُ ورأسهُ ترى جلدهما متقلِّصًا ضاربًا الى السمرة شأن الاجسام المحنَّطة . والبك لابس ثياب شيوخ الجبل الفاخرة . ويدهُ اليسرى مكشوفة فيها بعض اللدونة لما يُذَرُّ عليها من الذَّرور . ومع كل ذلك قد ينبعث من الجثَّة من حين الى آخر رائحة تدلُّ على انَّ الفساد لاحق بها . وسبب ذلك انَّ الهواء ينْفذ الى داخلها من جوانب لوح الزجاج . وكان الأَولى ان يُثبَّت الزجاج ويُسدَّ سدًّا محكمًا بالغراء والملاط . وعلى كل حال لا بُدَّ ان تُحفَّ هذه الجنازة ببعض الكرامة والأُبهة ليعرف الزوَّار قدر هذا الرجل الشريف (١

وعند خروجنا من الكنيسة رأينا الفعلة يشتغلون ببناء قبَّة جميلة للجرس تناسب الكنيسة حسنًا وجمالًا . وبقرب الكنيسة دير حضرات الآباء اللعازريين الذي كان يسكن فيهِ آباء رهبانيَّتنا في القرن الماضي . فاحببنا زيارة هذا الدير وسلَّمنا على حضرة

١) ولعلَّ الجثَّة وُضعت هناك موقَّتًا ريثما تُنقل الى كنيسة مار بطرس بعد انتهاء بنائها فتُجعل بمقامٍ اهلٍ بها

٣

قد اطلنا في وصف الارز فحان لنا ان نعود الى رحلتنا. بعد ان صرفنا بضع ساعات نرتشف في هــذه البقعة كأس الهناء قمنا فتسرَّحنا من هذا المكان آسفين على فرقتهِ وذهبنا الى بشرَّاي حيث كان حضرة الاب اغناطيوس جعجع احد اساتذة كليَّتنــا الافاضل في انتظارنا. فتحفَّى بنا وبالغ في اكرامنا ولم يُبالِ بطارئةٍ عرضت لهُ في صباح ذلك النهار فاذاقتهُ ألمًا شديدًا

وبعد الغداء جُلنا في بشرَّاي وتبيَّنَّا ما نالتهُ تلك البلدة من سخاء يد الخالق. وهي قرية كثيرة الخصب غزيرة الميــاه وبيوتها مشرقة مؤنقة منتظمة بعضها فوق بعض تشقُّها جداول الماء الصافي. وفيها الكنائس الواسعة الحسنة. واهلهــا مشهورون بالتقى والصلاح. وفي لهجتهم ولسانهم مسحةٌ من السريانية وبها كانوا يتكلَّمون قبل مئة سنة هم واهل حصرون والقرى المجاورة

ولمَّا كانت الساعة الثانية بعد الظهر خرجنا من بشرَّاي قاصدين اهدن وهي من أعلى قرى لبنان لانَّ علوها يبلغ ١٤٤٥ مترًا. فارتقينا في الجبل حتى وصلنا بعد نصف الساعة الى مشارفهِ فوقع نظرنا على القرية التي نقصدها وما مرَّت علينا ساعة حتى انتهينا اليها. وممَّا كان يستلفت ابصارنا في اثناء الطريق رؤية اهل تلك البــلاد لاسيما شبَّانهم فان سحنتهم تختلف عن سحنة غيرهم فترى بشرتهم ناعمــة بيضاء وقامتهم طويلة وبنيتهم شديدة لهم اعضاء تجمع بين الصلابة والمرونة وفي وجههم ما يدلّ على مضاء العزيمة. وكنتُ اسمع كثيرين من رفقتي يهتفون اذا رأوهم: «ما احسن هيئــة هؤلاء القوم ألا ترونهم من سلالة اوربيَّة قديمة وردت هذه البلاد فتوطَّنتها وتناسلت فيها الى عهدنا». وكان يزيدنا عجبًا منهم لبسُهم الانيق فان قلنسوتهم لبَّادة بيضــاء ورداءهم عباء ذو لون احمر قانئ مخطَّط بالوان ونقوش شتى يبتاعونها من معامل طرابلس ويتسرولون بالسراويل الضيقة يجعلون سوقها في مَسامٍ (طماقات) متينة تنتهي بانعال محدَّدة الرؤوس كثيرة المسامير وهذه الثياب يلبسها أحداثهم فتزيدهم حسنًا

وتركنا على يميننا ديرًا عامرًا لم يتسنَّ لنــا ان نزورهُ وهو دير مار سركيس وفي ارضهِ تنبع عين غزيرة المياه طيّبتها تجري منها الى اهدن وعندها يجتمع اهل الضيعة في ايام الفراغ لترويح النَّفس

وفي هذا الدير المطبعة التي ورد وصفها في المشرق (٣ : ٢٥١) فلا حاجة الى ذكرها لاسيما ان قصر وقتنا حال دون زيارتها وتفقُّد خزانة كتب الدير

ولمَّا تمَّ طوافنا في كل انحاء هــذا المقام المقدَّس دعانا الرئيس الى مأدبة شائقة توفَّرت فيها اسباب الهناء وتعدَّدت شارات اللطف والايناس من قِبَل من شرَّفونا بدعوتهم

وفي صباح اليوم الثــاني الموافق للجمعة الواقع في ٢٧ تموز اقرأنا الوداع سكَّانَ قزحيا الافاضل وشكرنا لطفهم ثمَّ أهرعنا مسرعين لنبيت في مساء ذلك النهــار في البترون . وبين قزحيًا والبترون ثماني ساعات للسائر الُمجِــدّ . امَّا الطريق فكانت تختلف علينا فنهبط نوبةً الى قعر الوديان ونتوقل نوبةً الى قُنن الجبال

ومن القرى التي اجتزناها سرعل وطن حضرة رئيس الرهبــان الموارنة البلديين . وهي مشرفة على وادي قاديشا وهناك عقبة يُضرب في وعورتهــا المثل وكان الحرّ في ذلك اليوم لافحًا فاشتدَّت علينا حمَارَّتهُ وابتُلينا بلهواتهِ خصوصًا لمَّا قطعنا ارضًا كلها من الحوَّارى البيضاء كانت تنعكس منْها الى وجوهنا اشعَّةُ الشمس

ولمَّا كان الظهر حططنـــا عصا الترحال في ضيعة حقيرة على ربوة صهرتها الشمس تُدعى دير بعشتار فانتظرنا فيها ريثما تمرّ علينا الهاجرة وتتلطَّف الحرارة قليلًا

ولمَّا ازف وقت الرحيل انحدرنا الى منْبط وادي نهر الجوز من جهتهِ الشمالية في سكَّة كلسيَّــة التربة غاية في الوعورة . وفي اسفل هذا الوادي قلعة حصينة من بناء الصليبيين في القرون المتوسّطة تعرف بقلعة المسَيْلحة ورد ذكرها في المشرق (٣ : ٤٥٣) وهي عند مضيق بقرب الطريق التي تسير بين البترون وطرابلس ليس بعيــدًا عن البحر . ثم سرنا مدَّةً بين مزارع وبسائط يغلب عليهــا اشجار التوت والتين فوصلنا نحو الساعة السادسة مساءً الى البترون وركنَّا هناك الى الراحة بعد ان نالنا من العناء والنَّصب في طريقنا ما نال

وفي الغد رجعنا الى نهر الكلب راكبين العجلات كما فعلنا عند ذهابنا واتممنا هذه الرحلة بالسلامة شاكرين المولى على ما اسبغ علينا فيها من النِّعم

الاب شنيارا المرسل الغيور الذي كان قدم اهدن ليقيم رياضة روحيَّة لكهنة هذه الجهات

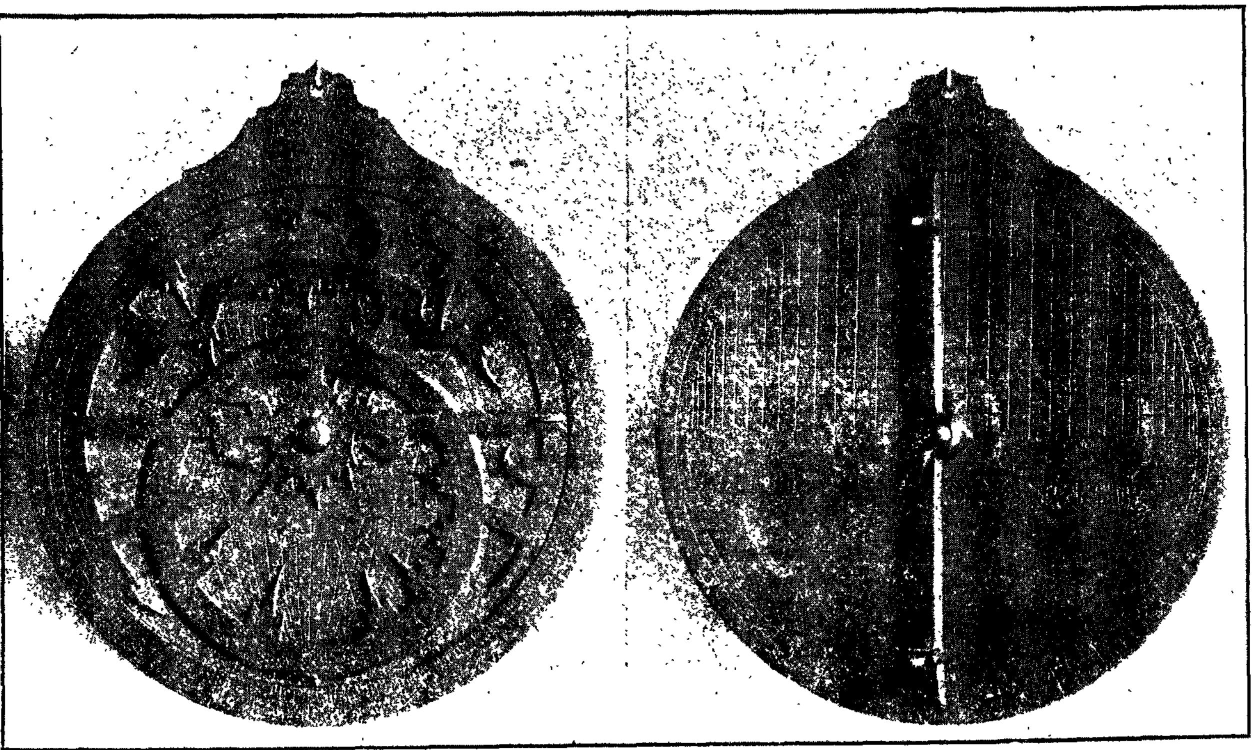
ثمَّ تحفَّزنا للرحيل لندرك دير قزحيا قبل الغروب. وآثرنا الطريق المطروقة المارَّة بكفر زغوب على طريق عين طورين لان هذه مع قصرها كثيرة الوعورة لا تسلكها الخيل فوصلنا بعد ساعة الى رأس الوادي الذي في مهبطهِ دير قزحيا. فظهر لنا من ذلك المشرف منظرٌ عجيب يروق الابصار بمحاسنهِ الطبيعيَّة فكنَّا نرى الغابات المتكاثفة والاشجار الفنواء ومحابس السيَّاح تزين اعاليها الصابان وفي الاسفل ابنية الدير ولواحقهُ العديدة

فما كدنا ان نتجاوز عتبة الباب حتى اقبل الينا رئيس المقاطعة مع رئيس الدير فرحَّبوا بنا ترحاب الاخوان باخوانهم ثمَّ اسرعنا الى زيارة الدير قبل ان يُرخي علينا الليل رواقهُ. ومن محاسن هذا المسكن الشهير كنيستهُ وهي متَّسعة المساحة جميلة المنظر مبنيَّة في كهف صخر كبير كأنَّهُ رواق فوقها

وخزانة هذه الكنيسة غنيَّة بآنية التقديس والآثار التقويَّة. منها عكَّاز من الخشب الثمين المرصَّع بالاصداف البديعة. قيل لنا انَّها هديَّة اهداها القديس لويس التاسع الى الموارنة لمَّا قدم بلاد الشام ويا حبَّذا لو امكن الرهبان ان يؤيدوا هذا التقليد بشهادة كتابيَّة فتصبح هذه العصا الرعائية اثرًا مأثورًا بل ذخيرة غاية في القدر

ومنها ايضاً شعاع غريب الصنعة جامع لضروب المحاسن اهدتهُ الامبراطورة اوجيني عقيلة نابوليون الثالث. وكذلك بدلتان من ابدع شغل المعامل الاوربيَّة احداهما تلطَّف بتقدمتها لهذا الدير السعيد الذكر البابا غريغوريوس السادس عشر

ثم زرنا بعد ذلك المغارة التي أُفردت في هذا الدير لمعالجة المرضى المصابين باختلال الشعور. وموقعها على شمال مدخل الدير. فوجدنا فيها شابًا مسَّهُ الجنون يسعى الرهبان بشفائهِ وهم ابرأوا قبلهُ ثلاثة اخوتهِ وكانوا مصابين بدائهِ فعادوا الى بيتهم بتمام الصحَّة. وفي هذه السنة قد اتاهم عدد غفير من المجانين من كل الطوائف والملل حتى من اهل البدو والمتاولة. وقد أكَّد لنا الناظر القائم على نظارتهم ان كثيرين منهم نالوا الشفاء. والرهبان يعزون ذلك الى شفاعة القديس انطونيوس الكبير ولديهم على ما افادونا عصاة ابي الرهبان يؤدبون بها المجانين في اوقات معلومة وهؤلاء المساكين مقيَّدون بسلاسل مشدودة بجرز من الحديد لا يمكن قطعها. واذا خفَّ عنهم الجنون وضعوهم في قلاليَ مخصوصة وعالجوهم بضروب العلاجات المفيدة



صورة صَفْحتي اسطرلاب قديم ارسلهُ الكنت دي پرتوي من بيروت الى مرصد باريس

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

الاسطرلاب وآلات العرب الرصدية

انَّ وصفنا السابق للاسطرلاب شاهدٌ لامع على حذق العرب في تجهيز آلاتهم الرصدية. وقد اخذنا العجب لمَّا فحصنا حديثاً بعض هذه الآثار المصونة في متحفي باريس والاستانة فوجدنا ان الصنَّاع الشرقيين اجادوا كلّ الاجادة في عمل ضروب الاسطرلابات وتخطيط اقسامها ورقم اسفارها وتدوين اشاراتها بالحروف الكوفية الأنيقة. مثال ذلك اسطرلاب رسمنا هنا صفحتيهِ ارسلهُ من بيروت الكنْت دي پرتوي الى مرصد باريس تاريخ صُنعهِ سنة ٧٢٥ للهجرة (١

الَّا انَّ الاسطرلاب مع ما فيهِ من الاتقان لم يكن كامل الضبط تامّ الاهبَّة وذلك لانَّ العلماء لم يكتشفوا في عهدهم الآلات القياسية الشائعة اليوم كالآلات التي تُعرف بها التقاسيم الدقيقة وتدوينها (verniers) خصوصاً على الآلات الصغيرة الحجم كالاسطرلاب

فلسدّ هذا الخلل سعى فلكيُّو العرب بوضع آلات أُخر ضخمة ثابتة كانوا يجعلونها في امكنة معلومة وهذه الادوات الرصديَّة لكبر حجمها كانت تحتوي على التقاسيم الدرجات والدقائق. وقد رُقمت على بعضها الثواني ايضاً. فمن ذلك ان ابن يونس الفلكي لمَّا وصف مرصد نيسابور ذكر لهُ آلة كبيرة من ذوات الحلَق وكذلك اشار الى ربع دائرة قاس بهِ صاحب ذلك المرصد انحراف منطقة البروج كان يبلغ سهمهُ سبعة امتار. وروى ايضاً ابن يونس انَّ ابا محمد الخجندي كان يرصد في زمانهِ بآلة سدسٍ اخترعهُ ودعاهُ الفخري باسم الامير فخر الدولة من بني بويه المالك في عهدهِ. وكان سهم ذلك السدس عشرين متراً رقم فيهِ الدقائق والثواني وكان يستعملهُ في مرصد مراغة

(١) على وجه الاسطرلاب في دائرتهِ قد رُسمت الدرجات خمساً خمساً وفي وسطهِ منطقة البروج مع اسمائها ثمَّ عدَّة اسماء للكواكب والنجوم كالقائد والعيُّوق ومرزم ورجل الجوزاء والكفّ الجذماء وقاعدة الباطية وفلك الاسد واصل ذنب قيطس وعين الثور. وفيها ايضاً خطوط المقنطرات والساعات واطول ساعات نهار هذا الاسطرلاب ١٣° ٥٠' وعرضهُ ٢٩° وهو عرض مصر. امَّا الظهر فهو يحتوي على خطوط الجيوب واسم الصانع كما يلي « صنعهُ عليّ بن ابراهيم بن محمَّد بن ابراهيم سنة ستّ وعشرين وسبعمئة »

ويُخبر عن اولوغ بك الفلكي الشهير انهُ اصطنع لهُ ربعاً في سمرقند كان ارتفاعهُ بعلوّ ايّا صوفيّا في الاستانة اي نحو ستين مترا

امَّا كيفيَّة تركيب هذه الآلات العظيمة فدونك ما أطلعنا عليهِ الكتَّاب القدماء نوردهُ هنا ليتمّ بهِ وَصفنا السابق لدائرة السمت الكبرى التي كانت في القاهرة

جاء في كتاب صنَّفهُ المؤيّد الوردي (راجع الصفيحة ٤١ من نسخة باريس) وصف فيهِ ربع الدائرة (او اللبنة) فقال ما تعريبهُ:

« ان اردت ابتناء ربع دائرة او لبنة اجعل لك جدارا علوهُ ست اذرع ونصف ذراع تكون وجهتُهُ موازيةً لخط نصف النهار ثمَّ اجعل على وجهِ الشرقي ربع دائرة مع قاعدتيها بحيث تكون زاوية الجدار الجنوبية مركزًا لها وثبّتها بواسطة دعائم . ثمَّ اثقب في هذا ربع الدائرة ثقباً وأدخل فيهِ ربعاً آخر من النحاس وارسم على كفَّتهِ ثلاث اقواس مركزيَّة لترسم فيها الدرجات من خمس الى خمسٍ مع التقاسيم الدالَّة على الدقائق . ولا بدَّ ان تكون احدى القاعدتين على خط عموديّ والاخرى مساوية للافق ويكون طرف ربع الدائرة في دائرة نصف النهار . ثمَّ اجعل في المركز انبوبة من النحاس ذات شعبتين . فاذا تمَّ ذلك وجدتَّ انَّ الخط الذي يمرّ في ربع الدائرة وفي درجة الارتفاع يمرّ ايضاً في مركز الشمس »

وللمؤلف المذكور وصفُ ربعٍ آخر يسميهِ الآلة ذات الاسطوانتين لأنَّهم كانوا يتخذون دعامتين علوّهما ستّ اذرع يجعلون فوقهما عارضة فيها محور تدور حولهُ قاعدة طولها خمس اذرع وربع ذراع يدعونها سهماً لانَّ طرفها بدورانهِ كان يرسم دائرةً تامَّة . وكانوا يجعلون نقطة مركز الآلة على بعد خمس اذرع من طرفها المذكور

وهاك اخيرًا وصف السدس الذي اتخذهُ في مرغانة ابو محمد الخجندي نقلًا عن ابي الحسن :

« بين هذه الآلة وبين غيرها من الآلات التي يُرصَد بها لَميل تفاوتٌ كثير . وذلك ان سائر الالات التي يُرصد بها المَيل نهاية ما يُدرَك بهِ الدرجُ والدقائق فقط وهذه يدرك بها الدرج والدقائق والثواني . وهذه صفة عملها نستخرج خط نصف النهار كما تقدم ونبني على جنبَيهِ حائطين متوازيين لخطّ نصف النهار وبُعد ما بينهما سبعة اذرع ونعمل فيما بينهما من جهة الجنوب طاقاً محكم الصنعة ونهيئ في اعلاهُ ثقباً مقدار قطره سدس ذراع وارتفاعها عن الارض عشرون ذراعاً ونركّب على قطرها حديدة مبنية . ثمَّ نحفر في الارض على استقامة مسقط حجر مركز الثقبة عشرين ذراعاً ونعمد الى ألواح متينة ونعمل منها بينهما مربّعاً صلباً ممتدًّا غير مائل طولهُ اربعون ذراعاً ونركب في احد طرَفيهِ زرفيناً ونعلق من الحديدة المعترضة على الثقب فيبقى السهم مقام نصف قطر الدائرة . ثمَّ يُدار في الحفرة المحفورة حتَّى يحصل قوس قدرها سدس دائرة ونركّب فيها ألواح ويُملس ويُسوّى ويُصحّح ويُلبس صفائح صالحة للقسمة . ونقسم هذه القوس بستين قسماً

فائدة اوضحها في خمسين فصلاً وهذا لعمري دليل ساطع على عظم شأن هذه الآلات الظلّية

واعلم ان بعض هذه الادوات كانت ابنية ثابتة لا يمكن نقلها وكان بعضها يُنقل من موضع الى آخر. ومنها ما كان يُجهَّز لعرض بلدٍ معلوم وغيرها تُصطنَع لايّ عرض كان يتخذونها لاسفارهم برًّا وبحرًا ويستعينون بها لتعيين القبلة ومعرفة اوقات الصلاة والمناسك الدينية

وكانت هذه المقاييس والآلات الرصدية الكبرى تستلزم رسم خط نصف النهار. والعرب يُجرون هذا التخطيط على انواع شتى اشهرها طريقة الدائرة الهنديّة. فكانوا يعمدون الى سطح من الارض متساوٍ فيخطّون عليه دائرة يركزون في وسطها مقياساً رأسهُ ارفع من وسطهِ يكون طولهُ كربع الدائرة ولا بُدّ ان يكون هذا المقياس عموديًا متساويًا. ثمّ يلحظون ظلّهُ عند دخولهِ في وسط الدائرة وعند خروجهِ منها ويقسمون القوس بخطّ يقطع زاوية هاتين النقطتين الى قسمين من الشمال الى المركز فذاك الخط هو خطّ نصف النهار. ثمّ يخطّون خطًا آخر من نقطة دخول الظلّ الى نقطة خروجهِ فذاك هو خط الشرق والغرب. وهكذا كانوا يدلّون على الجهات الاربع (١. وهذه الطريقة يتخذها العلماء الى يومنا هذا لمعرفة خط نصف النهار اذا لم يمكنهم او لم يشاءوا ان يلتجئوا الى نجم القطب الشمالي

هذا ثمّ لقياس الزمان في العلوم الفلكية شأن كبير فترى باي طريقة كان العرب يدلون على الزمان وتقاسيمهِ ؟

اعلم انهُ لامرٌ ثابت اكيد ان العرب اتخذوا لقياس الزمان آلات عديدة يدعونها بنكامات منها مائية ومنها رمليّة ومنها ما كان يتحرّك بالاثقال. وممّا افادنا التاريخ عن الخليفة هارون الرشيد انّهُ ارسل الى كرلوس الكبير ملك فرنسة ساعة يدلُّ فيها اثنا عشر فارساً على تقاسيم النهار الاثني عشر بان يخرج واحدٌ منهم في كل ساعة ويرمي على صنجٍ كرةً يُسمَع لوقوعها دويّ عظيم. ولابن جبير في رحلتهِ وصف ساعةٍ وجدها في دمشق على باب جيرون (٢ ويدعوها الميقاتة قال :

---

١) راجع Mémoire de l'Acad. des Inscript. et Belles-Lettres I, 98

٢) راجع مجاني الادب (٤:٢٢٨)

وكل قسم من هذه الاقسام درجة ونقسم الدرجات التي نظن انها نهاية المَيل بستين قسماً . فمعلوم ان كلّ قسم من هذه الاقسام دقيقة ونقسم كل دقيقة بعشرة اقسام ليكون كل قسم من هذه الاقسام للعشرة محتوياً على ست ثواني . فاذا بلغت الشمس فلك نصف النهـار القت شعاعها من تلك الثقبة على حوالي خط نصف النهار . ولان امتداد شعاع الشمس من الشمس على هيئة مخروط يكون ما القت من الشعاع على الارض اعظم مقداراً من مقدار الثقبة فلذلك ينبغي ان تهيأ آلة اخرى لتحقيق ذلك . وهذه الآلة هي دائرة مساوية لمقدار الشعاع الواقع على الارض ويعمل فيها قطران متقاطعان على زوايا قائمة . فاذا قربت الشمس من خط نصف النهار اطبقت هذه الدائرة على شعاعها الواقعة على الارض وحركت بحركة الشمس رويداً رويداً حتّى يقع مركزها على خطّ نصف النهار فيتحقق بذلك موضع وسط الشعاع من فلك نصف النهار ويعرف من ذلك ارتفاع الشمس في نصف النهار فان من الموضع الذي وافاه مركز هذه الدائرة الى مسقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع والله اعلم »

فترى من هذه الاوصاف ان العرب كانوا يستعملون آلات تشبه الآلات الحائطيّة (mural) التي يتخذها الفلكيون في عهدنا

وكان للعرب ما عدا هذه هذه الآلات المجهَّزة بالعضادة عددٌ كبير من ذوات الظلّ

واشهر هذه الآلات الالواح او الساعات الشمسية المعروفة بالمزاول (cadrans solaires) التي لا تزال شائعة الى يومنا هذا لمعرفة الزمن الحقيقي . ومبدأها الذي يستَنَد اليه فيها ان يُتخذ قائم او جُزء من الحديد يجوز ان يُضاف اليه طارة مثقوبة . ولا بأس ان يُجعل القـائم المذكور على سطحٍ افقي او موازٍ لخط الاستواء او على سطح عموديّ او منحرف . وانّما يشترط ان يكون في سطح نصف دائرة النهار على سواء خط القطبَين. فالقائم المذكور يرمي بظلّهِ على اللوح وتُعرف في كل وقت ساعة الزمن الحقيقي . وتقسيم الآلة امر سهل

وقد اصطنع ارباب النجوم من العرب مزاول عديدة على هيئـات شتى . فانّهم لم يكتفوا بان يجعلوها على سطوح افقيَّة وتعديليَّة وعموديَّة وانحرافية بل اتخذوا مساحات أُخر كما ترى في مزاولهم التي دعوها حسب هيئاتهـا « الحافر » و « والحلزون » و« الاسطوانة »و« المخروط »و« نصف الكرة »و« ساق الجرادة »و« الميزان الفزاريَّة » وكانت على هيئـة متوازي السطوح . وكان اصطناع هذه المزاول يقتضي حذقاً كبيراً لما كانوا يرسمون عليها من النُقوش والتعريفات المفيدة . ولذلك وضع العرب تآليف عديدة في وصف هذه المقاييس وفوائدها . وقد اشتهر بين هذه المصنَّفات كتاب ابي الحسن علي المراكشي ذكر فيهِ اصناف المزاول ومنافعها . وقد عدد للميزان الفزاريَّة وحدها خمسين

آراء الادباء

في باء المضارعة العاميَّة

نظرٌ للاب هنري لامنس اليسوعي

طلبنا من قرائنا الكرام ان يبدوا رأيهم في الباء التي يُدخلها العامَّة على المضارعة فاجابنا كثيرون باجوبة من شأنها ان تظهر للعلماء الاجانب ان الشرقيين يحسنون الخوض في مضمار المباحث اللغويَّة ويجارون الغربيين في فكّ المعضلات

وما كنَّا نحن لنعود الى هذه المسئلة فنبتّ فيها حكمًا فصلًا لولا كتاب حديث جليل الفائدة وضعهُ في هذا الصدد احد كبار المستشرقين الالمانيين الدكتور جرج كمپفماير (١. والحق يقال ان مصنّف هذا الكتاب لم يألُ جهدًا في التنقيب عن باء المضارعة وعن المباحث اللغويَّة المنوطة بها. واليهِ استندنا في الملاحظات الآتية التي ندوّنها لفائدة الجمهور فنقول:

لا يمكن الوقوف على اصل باء المضارعة عند العامَّة الَّا اذا عرفنا اولًا موقعها الجغرافي اعني البلاد التي شاعت فيها هذه الباء العاميَّة ولم تزل. فانَّ حلَّ المشكل متوقف على هذه المعرفة

دخول الباء على المضارع في لهجة العامَّة لواسع النطاق جدًّا فترى استعمالها شائعًا في كل انحاء الشام شمالًا وجنوبًا ثمَّ في مصر السفلى وفي الصعيد. وكذلك يستعملها اهل السودان المصريّ وقبائل بورنو العربيَّة واهل اليمن. امَّا بقيَّة جزيرة العرب فالامر لا يزال مبهمًا لم يتحققهُ العلماء (٢ والارجح انَّ اهل ما بين النهرين يجهلون استعمال هذه الباء العاميَّة

فممَّا سبق يظهر ان استعمال هذه الباء منتشر في بلاد واسعة. بل ينتج عن سعة امتدادها انَّ اصلها يرتقي الى شعب او قبائل كانت في غابر الزمان تسكن في مكان

---

١) واسم الكتاب في اصلهِ الالماني Die arabische Verbalpartikel b (m), *Marburg*, 1900, SS. 54

٢) راجع الافادات التي جمعها في هذا المعنى الدكتور كمپفماير في كتابه ص ٣٠ و ٣١

« وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامهُ شبه غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيهِ طيقان من صُفر وقد فتحت ابوابًا صفارًا على عدد ساعات النهار ودُبّرت تدابير هندسيَّة. فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدّان اعناقهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيَّلهُ الاوهام سحرًا. فعند وقوعهما يُسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق بابُ تلك الساعة بلوحٍ صُفرٍ. فلا يزال كذلك حتَّى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها. ثم تعود الى حالاتها الأُول ولها بالليل تدبير آخر. وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرَّمة في كلّ دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور بهِ الماء على ترتيب مقدار الساعة. فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوءُ المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محمرَّة ثمّ ينتقل الى الاخرى حتَّى تنقضي ساعات الليل. وقد وُكّل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تسمَّى الميقاتة »

فهذه الساعات كما ترى كانت تدل على حذق اصحابها ويستدلون بها على اقسام الزمان. ولكن لا اظن انها كانت تقوم وقتئذٍ مقام ساعاتنا الفلكية الَّا انَّ ابا الحسن عليًّا المراكشي وصف في تأليفهِ آلة جيبيَّة وهي ربع من الدائرة كانوا يعرفون بها الزمن الحقيقي ليلًا ونهارًا برصد ارتفاع الشمس او احد الكواكب التي ثبت لهم معرفة مَيلهِ وصعودهِ المستقيم واصطناع تلك الآلة مبنيّ على مسألة يُبحث عنها في علم الانساب

ولا حاجة الى القول ان المزاول كلها كانت تدلّ على الزمن الحقيقيّ في النهار بظلّ قائمها

هذه لُمحة موجزة اختصرناها عن آلات العرب الرصديَّة وهي كافية ليستدلّ بها القرّاء ما كان لمصطنعيها من علوّ الهمة ودقَّة الفكر. فيبقى علينا ان نختم مقالتنا بفصل آخر نبيّن فيهِ ان شاء الله النتائج العلمية التي نالوها بهذه الادوات العجيبة (١

(ستأتي البقية)

---

١) انَّ العلّامة سيديلو (Sédillot) استحقَّ ثناء المستشرقين بما نشرهُ من التآليف في بيان فضل العرب في علم النجوم. الَّا انَّهُ قد اخطأ في امور كثيرة فلا بدَّ للقارئ اللبيب من ان يعمل عامل الفكر والتمييز قبل ان يسلّم بصحَّة اقوالهِ

مشكلهِ دون ان يقنعنا بالتمام (١ . لا سيّما ان جهل اهل العراق وما بين النهرين يجهلون استعمال هذه الباء فلم تبقَ في لسانهم أثرًا

وقد سعى كثير من العلما ان يعلّلوا باء المضارعة باشتقاقها من « عمَّال » وهو رأي الاستاذ الفاضل الدكتور فُلِرس (Vollers) في احدى المجلاَّت . WZKM) 1892, p 171) قال انَّ « عمَّال » اختُصرت اولًا بقولهم « عمّ » ثمَّ بجرف الميم. ثمَّ قلبت الميم باء . وهذا القول لا ينافي قواعد علم الاشتقاق الَّا انهُ بعيدٌ لا نظنُّهُ يطابق لواقع الحال . والارجح انَّ « الباء و« عمَّال » لفظتان جاريتان على لسان القوم دون علاقة بينهما

وقال غيرهُ وهو رأي الفاضلين الاب خليل ادّه وكنشليار دولة ايطاليا الجليلة يوسف كرولّا (راجع المشرق ٣ : ٣٧٧) انَّ هذه الباء ليست مشتقَّة من « عمَّال » لكن هي حرف الباء اللاحق بهذه الكلمة في قولهم « عمَّال باكتب » بدلًا من « انا عامل بالكتابة » وعلى هذا الرأي أُهملت « عمَّال » فبقيت الباء . ولنا على هذا القول اعتراضٌ وهو انَّ باء الجرّ لا تعمل في الفعل بل في الاسم فقط . فليست هي اذن باء الجرّ (٢ . كما انها ليست باء التوكيد كما ارتأى الاديب جرجي افندي عطيَّة (المشرق

١) وقد عاد الاب انستاس الى رأيهِ هذا في كتاب ارسلهُ الينا قال فيهِ : « انَّ الظرف الذي نقلت منهُ الباء هو لفظة « آن » فقالوا في مثل « الآن اكتب والآن اروح » . « آن اَكتب وآن اَروح » ثمَّ « نَ كتُب ونَ رُوح » ولكي يُميّز هذه اللفظة من جميع المتكلمين ابدلوا النون بالميم لمقاربتهما في اللفظ وقالوا : « مَ كتُب » وقد قيل انَّ الدماشقة يقولون ذلك الى يومنا هذا غير انهم يسكنون الاول كما هو مألوف عادتهم فيقولون « مْكتُب » . ثمَّ ابدل البعض الميم بالباء فقالوا في ذلك « بَكتَب وبروح » وابدال الميم بالباء كثير في العربيَّة لمقاربة مخرجيهما . . . »

٢) قال حضرة الاب انستاس في كتابٍ تاريخهُ منتصف آب : « طالعتُ في المشرق (٣ : ٣٧٧) الرأي القائل : « ان الباء متعلقة بمحذوف كثيرًا ما يظهر وهو « عمَّال » فيقولون : « عمَّال باكتب » اي انا عامل بالكتابة . فنقول : ان نقل لفظة « عامل » الى « عمَّال » من الممكن . لكن ان كان هذا هو متعلّق المحذوف فمن الواجب ان يُقال مثلًا عوضًا « باكتب » « بالكتابة » وان قلت مثلًا ليست اللفظة المقدَّرة او المحذوفة هي « عامل » او « عمَّال » بل هي فعل بمعناها : اي : « أَعمل بأَن اكتب » قلنا : لقد ذهب المقصود من المعنى لان لفظة الكتابة مثلًا من ذاتها تدل على هذا العمل فاي حاجة بعدئذٍ في تكثير الالفاظ على ما لا طائل تحتها . وبالاخص

واحد مجتمعة الكلمة ثمَّ انشقَّت عصاهم فتبدَّدوا في انحاء شتَّى فنقلوا خواصَّ لغتهم الى حيث بلغ ملكهم

ورأيُ الدكتور كمپفماير انَّ هذه القبائل هي القبائل اليمنيَّة فانَّ التاريخ يفيدنا انها امتدَّت في اكثر البلاد التي شاع فيها استعمال هذه الباء العاميَّة (١

ولكن إن صحَّ أنَّ اصل هذه الباء من اليمن أَتُرى يبيّن ذلك اشتقاقها ومعناها . كلَّا وانَّما هذا دليل يمكن الاستدلال بهِ على القول الصواب وينكّب عن الآراء الضعيفة السَّنَد . وهاك مثلًا يظهر لك صحَّة قولنا : ان بعضاً من كاتبينا زعموا انَّ الباء العاميَّة منحوتة عن « بدّي » ولكن هذه اللفظة دارجة في لغة اهل الشام فقط (٢ فكيف شاع اذن استعمال باء المضارعة في بلاد لا يعرف اهلُها كلمة « بدّي » . فيتحتَّم البحث عن اصلٍ آخر لهذه الباء

ولكن هلمَّ نفحص آراء مُكاتبينا الافاضل في اصل هذه الباء ثمَّ نضيف اليها ما يلوح للمستشرقين الاوربيين من هذا القبيل لعلَّنا نتوفق بذلك الى جادَّة الصواب

والرأي الاوَّل الذي ارتآهُ البعض في اصل الباء العاميَّة انها كحرف جرّ قُدّم على الفعل . وهو رأي سپيتا بك (Spitta - bey) في كتاب لهُ عن لغة مصر العاميَّة طُبع في ليبسيك (ص٢٠٣) يوافقهُ رأي من زعم انَّ الباء هنا « للقسم توكيداً » وكلاهما رأي ضعيف يردُّهُ الانتقاد لما فيهِ من التكلُّف الظاهر (راجع ما كتبهُ الاب انستاس الكرملي في المشرق ٣ : ٤١٥) . لاسيَّما انَّ مثل هذه الحروف لا تدخل عادةً على الفعل

الرأي الثاني ذكرهُ الاب انستاس على طريقة الحدس (المشرق ٣ : ٤١٧) هو انَّ الباء كانت متصلة بلفظةٍ بمعنى « وقت او آن » كما يقول اهل بغداد « قَيكْتُب » او « قَتيَكْتُب » بمعنى « بهذا الوقت يكتب » . ولكن ما هو هذا الاسم او الظرف الذي بقي منهُ حرف الباء او أُبدل احد حروفهِ بالباء ذلك امرٌ صعبٌ حاول حضرتهُ فكَّ

١) راجع كتاب الدكتور كمپفماير ص ٣٢ ومجلَّة المشرق ٢ : ٦٨٧ و ٦٨٩

٢) راجع كتاب المعلم الفاضل يوسف حرفوش المعنون (Drogman arabe, p.46) . وفي هذه النسبة يحسن بنا ان نذكر ما اثنى بهِ على مؤلف هذا الكتاب العلماء الاوربيُّون . فان الدكتور كمبفماير يدعوهُ : « رجلًا محقّقاً مدقّقاً واقفاً على اسرار اللغة العاميَّة »

ولكن لم يتَّفق العلماء على تعيين هذا الفعل. فمنهم من يقول انهُ فعل « بدأ » وهو رأي حضرة الخوري الياس زيادة (١ (م ٣ : ٤٧٧). ومنهم من يريد انهُ فعل « بات » وقد دافع عن هذا الرأي حضرة اللغوي الفاضل الاب جبرائيل رزق (م ٣ : ٥٥٨) وايّد قولهُ بامثال تقرّب الامر وتجعلهُ جديرًا بالاعتبار. ومنهم من يفضل فعل « ابي يبي » بمعنى اراد. وهو فعلٌ كنَّا نجهل وجودهُ

لكنَّ السياح الاوربيين لسانٌ واحد في تقرير وجود هذا الفعل في انحاء كثيرة. فان العلّامة سوسين (Socin) اثبت استعمالهُ في بلاد نجد. والمسيو وتشتَين (Wetzstein) تحقَّق وجودهُ في دمشق. وهو مستعمل في حضرموت واليمن كما روى الكنت دي لندبرغ (٢ والدكتور شتومه (Stumme) دلّ عليهِ في تأليفهِ عن لغة العامَّة في تونس وطرابلس الغرب. وقد وجدهُ في المغرب الدكتور كمفماير (ص ٨) واثبت ذلك بادلة حسنة. امَّا اعتراض المعلم نعيم افندي صوايا لهذا الرأي (م ٣ : ٤١٧) فقد اجاب عليهِ حضرة الاب انستاس بما يلي :

طالعتُ ما كتبهُ حضرة المعلم الفاضل نعيم افندي صوايا وما اورده نقلًا عن المقتطف. فرأيتُ فيهِ ما يمكن ان يُقوّم ذاك الرأي بالوجه الآتي : ان الفعل الذي هو بمعنى اراد في قول عرب العَنَزة : « انا أَبِي اروح » هو من بَأَى يَبأَى على موجب الصرفيين (لانهُ من مهموز العين) وبأى يبئي على انهُ مبدلٌ من بغى يبغي وهذا عن بغى يبغي بالغين. ثمَّ حذفوا اخيرًا الهمزة طلبًا للخفَّة فقالوا : « بَى يَبِي » واذا تمهّد ذلك يسهل عليك معنى قول العَنَزيّين : « انا ابي اروح معك. وهذا الّي تبيهِ. وامس كُنَّا نبي لكلا . . . وبى نسافر غدوةً »

اما حذف الهمزة في الكلام العامي والفصيح فلا حاجة الى التصريح بهِ لكثرتهِ . . . فحسبك ان تأخذ القاموس مثلًا بيدك وتنظر باب الهمزة ثمَّ تقابلها ببابَي الواو والياء فترى العجب من ذلك

على انهُ يمكن ان يؤيد مذهب الكونت بالوجه الآتي : ان اصل « أَبَى يَبِي » أَبَى يَأْبِي الذي هو

---

١) راجع تأليفهُ Arabica III 102

٢) كتب لنا حضرة الاب انستاس في هذا الرأي ما حرفهُ : واما الرأي القائل : « ان الباء مقطوعة من فعل « بدأ » فيكون معنى « با كتب » ابدأ أكتب فهو دون الرأي الاول يريد رأي من يقول انَّ الباء متعلّقة بمحذوف كقولهم « عمَّال با كتب . لان العمل في المذهب الاول يُقيِّد المعنى بقيد الحالية وهو المقصود من ادخال الباء على الفعل. امَّا « البدء » فيدل على الشروع لا غير. والحال انك ان قلت « با كتب » فليس مرادك الشروع بالكتابة بل انك في حالة الكتابة

٤١٨:٣) على مثال قولهم « بحسبك درهم » اي حسبُك لانَّ بين الجملتين بونًا عظيمًا . وذلك انَّ « حسب » اسم فعلٍ ليس لهُ خواصّ الفعل من الاقتران باحد الازمنة . والباء في دخولها على المضارع تخصُّهُ بالزمان

ولا نظنُّ انَّ احد العلماء يوافق جناب الكاتب المذكور بقولهِ « انهُ يمكن ان نعتبر هذه الباء مزيدةً على انَّ المصدريَّة . . فيكون على ذلك الاصل في « بيقول » « بان يقول » . ولا بقولهِ « انَّ هذه الباء مقتطعة من « بذا » حرف جرّ واسم اشارة » . لانَّ كلّ ذلك تخمين لا يظهر سندهُ

وتزيد على هذه الاراء رأيًا جديدًا عرضهُ علينا حضرة القس الفاضل جرجس منش الحلبيّ في مقالةٍ حسنة لم يسمح لنا ضيق المكان باثباتها (١ وهو انَّ الباء مقلوبة عن حروف المضارعة « أَنيْتُ » . لكنَّنا لا نفهم كيف أُبدلت هذه الباء من حروف المضارعة وهي تدخل عليها فيقولون « بأَقتل » او بحذف الهزة « بَقْتُل » ثمَّ يقولون : « بْتُقْتَل بْيُقْتَل بنُقْتَل » مع ثبوت حروف المضارعة

ومن الآراء المنبوذة رأي الدكتور ڤرْمُنْد (Wahrmund) الذي زعم انَّ هذه الباء اصلها من الفارسيَّة (٢ . الَّا انَّ الدكتور كمبفماير (ص ١٧) ابطل زعمهُ هذا وبيَّن لهُ انَّ هذه الباء من خواصّ العربيَّة الدارجة بين العامَّة لا علاقة لها مع الفارسيَّة . والدليل على ذلك انَّ القبائل المجاورة لبلاد العجم في العراق وما بين النهرين لا تعرف هذه الباء

امَّا الرأي الاخير الذي يرجحهُ كثيرون من العلماء فهو انَّ هذه الباء منحوتة عن الفعل

لمَّا نعرف ان العامة تحبُّ ان تعبر عن افكارها بعبارات مختصرة . ومن ذلك وقوع الاختزال في جميع الفاظها

١) وقد بيَّن حضرتهُ انَّ هذه الباء استُعملت في مواطن عديدة كالطلب والنفي والوعد والوعيد والريب والتوقُّع والتأكيد والشرط وضرب على كل ذلك امثالًا . ثمَّ رجَّع هذه الباء الى تعاليل ثلاثة على حسب مواطن وقوع الباء فتكون على رأيهِ امَّا منحوتة من « بدّي » بدلًا من « بودّي » . وامَّا باء التعدية « عمَّال باكل » اي « عمَّال بما آكل » وقد مرَّ ذكر هذين الرأيين . والرأي الثالث هو الذي نشير اليهِ

٢) راجع كتابهُ في اللغة العربيَّة العاميَّة (Manuel pratique de l'arabe moderne, p. 2 ed. 1880, n. 89)

الشهامة في حب الوطن

طرفةٌ معرَّبة بقلم المعلم الفاضل يوسف ابي سليمان

في آخر الحرب العبوس التي استعرت نارها ما بين الفرنسيس والألمان سنة ١٨٧٠ لمَّا كبا زندُ الفرنسويين وولَّى أمرهم اقبلت فرقةٌ عظيمـةٌ شعواء من العساكر الفرنساوية الى قرية من مقاطعـة لورّان (Lorraine) وكانت قد انحازت عن العدوّ وهي تسعى جهدها في الانضمام الى معظم الجيش الذي تنحَّت عنهُ وانفصلت . الَّا انَّ كثرة الآجام والغابات في تلك الاراضي قد حالت دون مرامهم وسدَّت في وجوههم المسالك والمذاهب فارتعدت لذلك فرائصهم فضلًا عمَّا كان يعتريهم من الخوف والذعر لعدم معرفتهم بقوّات الالمان ومواقعهم . فايقنوا من ذلك بوقوع الواقعة ونزول النازلة

وما وطئت طليعتهم ارض القرية المرقومة حتى اوقف القائد كامب الفرنسي عسكرهُ خارج البلدة واستدعى من هنـاك أُولي الامر فوجد أَنَّ السُّكان وعمَّال الحكومة قد أخلوها مرتحلين عنها فلم يبقَ فيها سوى راعي النفوس (الخوري) يقوم بخدمة العجزة الذين لا قدرةَ لهم على الفرار ولا طاقة لهم بمشقاتهِ الشاقة

فما عتم إذن أَن اقبل الكاهن وكان اسمهُ بونتاك (Pontac) على القائد فرآهُ يحدّقُ الى خارطةٍ صغيرةٍ بيدهِ ليتبيَّن تلك الاراضي ويعرف ما فيها من المخارم والمخارج . غيرَ ان صغر الخارطة وما فيها من النقص في رسم الامكنة قد جعل القائد مرتبكًا لا يرى لهُ في امرهِ وجهاً يسلكهُ ولا نهجًا يهتدي اليهِ

فلمَّا حضر الكاهن نظرَ اليهِ القائد نظرةَ يائسٍ خائب الامل لما التمحهُ في هيئتهِ من السذاجة فظنَّهُ غير اهل للقيام بما كانت تنتدبهُ اليهِ مخاطر الحرب وطوارئها

وكان الكاهن ينيفُ على السبعين من عمرهِ وكانَ قصير القامة بادنًا شديد البنية أَغلبَ أَوقصَ . ذا وجه منتفخ ويدين وارمتين . ورجلين منعولتين بمداسٍ خشنٍ . يتوكَّأُ على عصاهُ كأنـهُ كلما قام ركع . فقـال للقائد : لا تؤاخذني أنا مصابٌ بداء النقرس واني كما تراني من أحقر الناس واذلهم

واماَّ القائد الذي كان من النباهة والفطنة بمكان فحدَّق الى الكاهن ولم يلبث ان توسم فيهِ حذقًا وذكاء . فانَّهُ كان ذا عينينِ . صغيرتين براقتين . أَوطفَ . بفمٍ يفترُّ

مقلوب آب يَؤوب الذي يقول فيهِ الأزدُيون آب يئيب بمعنى قصـد يقصد كما قال الفصحاء من العرب في « آن يئين » ترقيق حان يحين : « انى يأْني » (ومنهُ اشتقاق الإِنْو والإِني والاناء بمعنى الوقت) . وهذا الرأي (رأي القلب) وان لم يصرِّح بهِ اصحاب المعاجم فان اللغويين اجهروا بهِ فنهم ابو عُبيد في كتاب الغريب المصنَّف في باب المقلوب . ومنهم ايضاً صاحب المزهر (١ : ٢٣٢ في السطر الاول) . ثمَّ خُفِّفت همزة يأْبي بحـذفها فصارت يَبي كما رأيت فُويق هذا . وكما ان القصد والارادة متقاربا المعنى لم يعسر نقل معنى الاول الى معنى الثاني

اما قول المعلم الفاضل صوايا افنـدي : « ولا اظنُّهُ مصيباً لاسيما وقد سمعت هذه الباء مع مضارع ابى » فلا يعني شيئاً . لانهم لمَّا اخرجوا معنى القصد الى الارادة ومعنى الارادة الى مجرَّد معنى الحالية اصبح ذلك اللفظ بمنزلة الاداة تستعمل للحالية لا غير بدون اعتبار الاصل . وعليهِ فقد جاز بعد ذلك استعمالها مع كل فِعل وان كان معناهُ الارادة . واما عدم اجتماعها مع بُدّي فهو لاجتناب لفظ الباء المتكرّرة التي تثقل على اللسان

فمن هذه النبذة ترى انَّ حضرة اللغوي المحقّق الاب انستاس ينحاز الى رأي العلماء الاوربيين . وكان في مقالة سابقـة (م ٣ : ٤١٦) آثر على « أبي » فعلاً آخر هو « بأى يبئي » بمعنى اراد ترقيق « بغى » وهو رأي ارتآهُ قبلهُ العلاَّمة وتشتين(Wetzstein)

امَّا نحن فمع تفضيلنا قول العلماء . بان الباء العاميَّة مقطوعة عن « ابي يبي » لا نحبُّ ان نجزم بهذا الامر حكماً

وخلاصة القول انَّ الباء العاميَّة كما سبق كانت شائعة في الاقطار التي توطَّنتها القبائل اليمنيَّة . ولعلَّ هذه القبائل نقلتها الى العربيَّـة من لغة سابقة كانت تتكلَّمُ بها في جنوبي جزيرة العرب . وما يزيد على رجحان هذا الرأي اننا نجد هذه الباء في اللغة الحميريَّة كحرف يناسب باء العاميَّة العربيَّة ويقدَّم على المضارع : ذلك قول الدكتور كمپفماير في كتابهِ (ص ٣٨) يؤيدهُ بملاحظـات شتَّى لغويَّة يسندها الى لغتي حمير والحبشة ولا يسعنا ان نخوض في البحث عنها . وانما نرجح القول انَّ حلَّ مشكل اصل الباء لا يتم الَّا بدرس لغة جنوبي بلاد العرب . فكل هذه الفوائد تجعل كتاب الدكتور كمپفماير ذا شأْن وخطر فنشير الى قرَّائنا الذين يعرفون اللغـة الالمانيَّة ان يطالعوا هذا التصنيف لعلَّهم بمراجعتهِ يجدون ما يرشدهم وايَّانا الى الصواب . ونثني في ختام هذه النبذة على همَّـة مكاتبينا الذين ساعدونا في البحث عن احد مشاكل لغتنا العاميَّة ونتمنَّى من فضلهم ان يطرقوا باباً آخر مثلهُ ولهم منَّا سلفاً الشكر العميم

« على اني اعدكم الوعد الصادق ان طلائع العدوّ لا تطلع علينا حتى تسمعوا دقَّ الجرس في كنيستي دقًّا متواترًا . وحينئذٍ ينصرف العشرون او الثلاثون جنديًّا الذين تبقيهم في الضيعة من غير ان يطلقوا بنادقهم طلقًا واحدًا . ولا يكون انصرافهم في معظم الطريق بل في مضيقٍ أدلُّهم عليهِ لئلا يهتدي العدوّ الى موقعكم . امَّا انتم فعليكم ايضًا ان تعدلوا عن الطريق العظمى وتسيروا بميلةٍ الى الشمال من حيث ترون الفندق المعروف بفندق « الفرس الاشهب » وهكذا تأمنون من شرّ الطغاة ويفرق بين القومين النهر الذي لا مخاضة ولا معبر لهُ بتةً . وتحجبكم عنه الابصار تلالٌ وآكامٌ فلا يراكم احدٌ سحابةَ يومكم حتى تبلغوا معسكر الجيش الذي تقصدونهُ

« وها انا ادلك على بعض بيوت القرية فتجد فيها ما يضمن لك قوت عسكرك وسائر لوازمهِ . فانا أُقيد كل ما تأخذونهُ وتُعطيني أَنت بهِ وصولًا موقعًا بامضائك. ولكن ارجو منك في ذلك تمام النظام ورعايةَ الحرمة لمقتنى الغير . فجميع السكان يساعدون على مصروف الجيش كلٌّ بحسب استطاعته . فإنهُ لَفَرْضٌ واجب علينا أَن نقوم بمعاش من يناضلون عنَّا ويحمونا من غارات العدوّ . هذا وهل يليق بنا أَن نضنَّ على اصحابنا الآن بما سيحرمناه العدوّ غدًا نهبًا وسلبًا ؟ »

ثمَّ انَّهُ وقف غير طويل ثمَّ قال وهو يستَعِطُ السعوط الطيب :

« هلمَّ الان مولاي مُر لي باربعة انفارٍ من الصناديد الاشداء فيكون اثنان منهم في قبَّة الجرس كرقيبين يرقبان الآفاق ويتتبعانها . واكونُ انا والاثنان الآخران في مدخل القرية قرب المعبد العتيق فنكون نحن ثلاثتنا طلائعَ الجيش نوافيكم بالاخبار عن حركات العدوّ . هلمَّ اختر لي جنديين يكون لهما جلَدٌ وصبرٌ على برد الليل ودفع سِنَة الكرى . أَعطني جنديين بطلين منجَّذين حنكتهما التجارب . فإنهُ لا علم لي ولا دراية بما سيكون من امرنا هذه الليلة »

قال القائد : بحياتي ايها السيد لا اعدُّكَ الّا بطلًا

فقهقه الكاهن قهقهةً عظيمةً فاستعان بعلبة السعوط فقال وهو يستعط من سعوطهِ الطيّب :

« ان في مصفّ دُعاة الدين ابطالًا لا عددَ لهم كما انَّ في الثُكن أَبطالًا معدودين

اقتران الظرافة والدهاء. وهيئةٍ قرويّةٍ تدلّ على كرم النفس وسلامة القلب. وذلك ما جعل القائد يرى فيه رجلًا ذكيًّا عبقريًّا حرًّا

وكان القائدُ في عنفوان شبابهِ غيرَ ان الحرب اتعبتهُ واضنكتهُ. فقعدَ على صفّةٍ وامامهُ دكّةٌ صغيرةٌ على قارعة الطريق الكبرى فأجلس الكاهن الى جنبهِ والخارطة الصغيرة على مرأى منهما. ثمَّ إن القائد قال وهو يتبسم استخفافًا بصاحبهِ: ها إني عازمٌ على عقد مشورةٍ بيني وبينك فير كلٌّ منا في الحرب رأيهُ

فمدَّ الكاهن يدهُ الى جيبهِ واخذَ علبة السعوط ففتحها على مهلٍ ثمَّ نشقَ نشقةً عظيمةً فقال جذلًا مسرورًا:

« بودّي ايُّها القائدُ لو أَنني أُذكرك بأَنَّ التاريخ يُرينا في كل عهدٍ ان كنيسة المسيح أَنارت مشورات حكام الارض بآرائها الصائبة ونصائحها الصادقة وانها هدَتْ القوّاد والعساكر الى صراطٍ مستقيم. . . لكننا نحن في موقفٍ حرج. فهات ما عندك في الامر: ما غرضك مولاي؟ من اين انت آتٍ؟ والى اين انت ذاهب؟ أَقائمٌ أَنتَ للحربِ ام قاعدٌ عنها؟ »

فاجابهُ القائد على كل هذه الاسئلة وقد ركن اليه واطمأنَّ. فاخذَ الكاهن آنئذٍ قلم رصاص ورسم على الخارطة خطوطًا فقالَ للقائد:

« انَّ بينكم وبين العدوّ مرحلةً بل مرحلةً ونصف مرحلةٍ فلا يدرككم قبل صباح غدٍ. وعسكرك لغبٌ جائعٌ فان رأى القائد أَن يدعهُ يريح يومهُ هذا فليفعل. والحذر الحذر من الاستراحة داخل القرية فانها تحدقُ بها التلالُ والآكام ووراء الاكمةِ ما وراءها. ولكن على خمسة اميالٍ من القرية هضبة مستديرةٌ يكتنفها النهر حتى يكاد يجعلها شبهَ جزيرةٍ وهي كثيرة الآكام ملتفّة الاشجار. فهناك تكونون في مأمنٍ من كلّ غائلة

ثمَّ انَّ العدوَّ إن تبع اثركم لا يسلك الطريق اللاحب الذي هو اطول من المقرب (القادومية) لأَنهُ لا بدَّ لهُ حينئذٍ من أَن يعبر الجسر كما رأَيتَ. والبروسيان لا يجسرون على قطع الجسر مخافةَ ان يسقط بهم لو عبروهُ. وعليهِ فأَراهم سيتحازون عن الطريق المطروقة ويجتازون في هذه الغابة التي ترى (واشار الى حرجةٍ قريبة من هناك) فلا يبلغون هذا المكان حتى صباح غدٍ

المركبات. إنما ذلك الطريق اللاحب كان ليلتئذٍ فارغًا من المارّة يتمكن البصر الجيدُ من روئيتهِ حتى أقصاه

غير أنهُ لم يكُ يلوحُ للجنديين غير اشجارٍ لا حركةَ لها وادغـالٍ يتلاعب فيها نسيم الصبح فيُسمع لها حفيفٌ خفيفٌ لطيفٌ

وما زالا يحدّقـانِ الى ذلك الموضع وهما لا يريان ما يرى الى ان كلمهما الكاهن همسًا :

— ألا تنظران جيش العَدوّ ؟ صعِدا فيهم البصر وصوّبا. . . ألا انهم ماشون وراء جذول السنديان متسترين . . . لقد وقفوا ليسمعوا . . .

الرامي الاول : — لستُ ارى شيئًا

الرامي الثاني : — ولا انا ارى شيئًا

الكاهن : — انهم يتجمعون واوشكوا ان ينقضُّوا علينا

— ها إنّ قائدَهم يكلّمهم همسًا

— لقد آن أنْ الدقّ . . فها انا داقٌ بناقوسي هذا تنبيهًا لقومنا . . امّا انتما ايهـا العزيزان فانسلَّا من هنا وتواريا عن ابصارهم بحفظ الله

الراميان سويةً : — بابي أنتَ وأُمي ! ماذا يحــلُّ بك لو تركناك عرضةً للهلاك ؟ لا لا إنّا والله لنمكثنّ ولنمنعنَّك مما نمنعُ منهُ انفسنا حتى تفنى ارواحنا !

الكاهن : — ولداي ! ما انا الّا هرمٌ قريبٌ من شفـا الرمس راجٍ من الله في وجهي هذا خيرًا . . . وامّا انتما فعليكما بالرضوخ لامر القائد الذي يأمركما بالانصراف اليهِ عند قرع هذه الجريسة . فاطيعاهُ ولا تخالفا لهُ امرًا وها أنا لكما مبـاركٌ فاذهبا بسلام

قال فقرع جريستهُ قرعًا سريعًا عنيفًا ولم يكن كارتداد الطرف حتى اجابهُ قرع الجرس الكبير بالمثل

وللحال أُطلقت البنادق وسقطت القنابل وعلت الصيحات وأُصليت نارٌ حاميةٌ سدّ دخانُ بارودها الفضاء حتى خُيل ان نارًا جهنميَّة تلتهم ذلك الحرج التهامًا

فسجدَ كاهن الله على الحضيض ثمّ رسم اشارة الصليب فصلى لربّهِ هذه الصلاة : « ابانا الذي في السماوات . . . » فاصابتهُ رصاصة فسقط

وشتّان ما بين هؤلاء واولئك . . . ولكن ما لنا وهذا الحديث . افتعجب ايها القائد من حبّنا للوطن او ليس حبُّ الوطن من الايمان »

فمدَّ لهُ القائد يدَ المصافحة مشعرًا باكرامهِ وجعل يرمقهُ بعين الاعتبار . فتبسم الكاهن تبسُّمَ رجل طيّب السريرة سليم الطويَّة ثمَّ قال :

« متى اصدرتَ اوامركَ ونال كل جندي نصيبهُ من الاكل والراحة أذهبُ بك الى منزلي فنجدُ هناكَ عُجَّةً طيّبةً وفرُّوجًا مقليًا وخمرًا رحيقًا فنجتمع على الطعام تأكيدًا للمودّة والانس »

قال ثمَّ انطلق يتوكَّأُ على عصًا من خيزران قد ورثها عن سالفهِ تذكرةً ثمينةً

ثمَّ ارخى الليل سدولهُ فطال وقرس بردُهُ قرسًا . وكنت ترى تحت صُفَّةٍ او سقيفةٍ من عيدان الشجر تقوم على اربعة اعمدة لا جدران لها ثلاثة يتلطَّون على العدو خلفَ حزمٍ من قضبان الزَّرجون وكلّهم آذانٌ واعيةٌ صاغيةٌ الى اقل حركة وهم يضربون بابصارهم نحو كل جهةٍ . فكانوا ينتظرون العدوَّ في هجعات الليل والعسكر نيامٌ . وكان اثنان من الكمناء في غلواء الشباب من اشدّ الرُماةِ بأسًا واسرعهم إطلاقًا واضبطهم رميًا يستند كلٌّ منهما الى بندقيتهِ . اما الثالث فكان اشيبَ مجلّلًا متجلببًا بجلباب اسود وبيدهِ ناقوس المذبح وكان يرقب العدوّ عن بُعد ليدقَّ جرسهُ اذا ما شاهد البروسيان مقبلين وتلك علامة لذينك الرَّاصدين في القبَّة ليدقَّا الجرس الكبير دقًّا عنيفًا متواترًا إيقاظًا لسائر العسكر

وكان في السقيفة سكوتٌ عظيم لا يسمع فيهِ سوى رِكز الكاهن الشيخ الذي كان يصلي الى الله صلاةً خاشعة حارَّة . ففي الهجعة الثالثة من الليل قال احد الراميَين : لا ارى هؤلاء الاجلاف يأتون الينا هذه الليلة . فحريٌّ بنا ان نفرَّ من هنا او نؤوب الى قومنا

ولم تمضِ بضع دقائق حتى وضع الكاهن شمالهُ على كتف الجندي واشار لهُ بيمينهِ الى موضع في اقصى الغابة لا يراهُ الّا الذي منحهُ الله بَصر زرقاء اليمامة . فانهُ على مسافةٍ قريبةٍ من تلك السقيفة كانت خميلةٌ واسعةٌ تحيطُ بجهاتها الاربع اشجار باسقةٌ وتعرف عند اهل تلك البلدة بغابة العين . يذهبون اليها في مخرفٍ يصلح لمرور

مدّة اسمها « جريدتي حوادث » . وكانت حديقة الاخبار في اول الامر عربية محضة . ثم صدرت في العربيّة والفرنسية معاً سنة ١٨٧٠ . وهي لا تزال على ذلك الى يومنا(١ . اما ادواتها فقد استُجلبت من فرنسة وانكلترة . وقد اخذ صاحبها شيئاً من حروف مطبعتنا

وقد صدر من هذه المطبعة بعض التآليف نورد هنا اسماءها حسب تاريخ نشرها :
١ً اقوانين التجاريّة (١٨٥٩ : ص ٦٦) = ٢ً قانون الجزاء الهمايوني = ٣ً الدستور (جزءان) ثم جُدّد طبعهُ في المطبعة الادبية = ٤ً ديوان المتنبّي ضبطهُ وعلّق حواشيهُ المعلم بطرس البستاني (١٨٦٠ – ١٨٦٧ . ص ٣٧٢) = ٥ً رواية مداموزيل ملاابيار تعريب سليم افندي بسترس (١٨٦٠ . ص ٨٤) = ٦ً وَيْ اذن لستُ افرنجي . رواية لخليل افندي الخوري (١٨٦٠ ص ١٦٣) = ٧ً ديوان الشيخ عُمر بن الفارض (١٨٦٠ . ص ١٠٦) = ٨ً النزهة الشهية في الرحلة السليمية (١٨٦٢ . ص ١٣٢) = ٩ً العصر الجديد من نظم خليل افندي الخوري (١٨٦٢ . ص ٢٦٠) = ١٠ً النشائد الفؤادية في ترجمة ومدح فؤاد باشا (١٨٦٣ . ص ٧٤) = ١١ً سيرة رافع الهلاليّ (١٨٦٤ . ص ٦٠) = ١٢ً تكملة العبر لصبحي باشا عرَّبهُ خليل افندي الخوري جزءان (ص ١٨٣ و ١٠٦) = ١٣ً مقامة الامام النوري ١٢٨٠ (١٨٦٣) ص ١٤ = ١٤ً تذكار الصداقة (١٢٨٦ﻫ – ١٨٦٩ م . ص ٩٣) = ١٥ً السمير الامين من نظم خليل افندي الخوري (١٨٦٨ . ص ١١٨) = ١٦ً لائحة تتضمَّن ما ارتكبهُ البروسيون في فرنسة من الفظاعات (١٨٧١ . ص ٩٥) = ١٧ً مواقع الافلاك في وقائع تليماك . تعريب رفاعة بك بدوي رافع (١٨٦٧ . ص ٧٩٣) = ١٨ً خرابات سوريّة لاسكندر بك ابيكاريوس (١٨٦٧) = ١٩ً رواية عائدة ذات خمسة فصول لسليم خليل افندي نقّاش (١٨٧٥ . ص ٦٠) = ٢٠ً آثار الادهار قسمان تاريخي وجغرافيّ لسليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاده (١٨٧٥ . ص ٧٨٥) لم يكمل طبعهُ = ٢١ً قصّة المركيز دي مونتنج . الى غير ذلك ممَّا لم نتحقَّقهُ

٥ (المطبعة العمومية) منشئ هذه المطبعة هو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون المارونيّ (٢ خدم وهو في ريعان الشباب في مطبعة سعادة خليل افندي الخوري بصفة مرتب حروف ومصحّح مطبوعات مدّة سنتين . ثمَّ استدعاهُ فؤَاد باشا

---

١) وقد اخذنا كثيرًا من هذه الفوائد عن سعادتلو خليل افندي الخوري بنفسهِ . فنشكرهُ على لطفهِ وبهذه النسبة نهنئهُ على سلامتهِ ونتمنّى لهُ عمرًا طويلًا رغمًا عمّا كتبهُ حضرة اللوذعي الاديب والشاعر اللبيب محمَّد حسني افندي العامريّ في كتاب نزهة الالباب في تاريخ مصر وشعراء العصر (ص ٢١٦) حيث قال : « فقيد الادب المرحوم خليل افندي الخوري مدير بولايتكه سوريًا المتوفّى في اواخر سنة ١٨٩٤ » . فللهِ درّهُ من عالم لوذعيّ يعرف مشاهير زمانهِ ويدقّق عن سنيّ وفاتهم

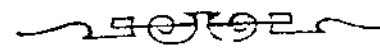
٢) كان يوسف الخوري حاكماً على ساحل لبنان من قبل الامير بشير المالطي المشهور

اما السريَّة الفرنساويَّة ففرّت في المضيق الذي اشار اليهِ الكاهن في الامس فبلغت معسكر اللواء عند العشاء ولم تخسر وقتئذٍ من رجالها رجلًا واحدًا

ولمَّا ان ضمَّ القائد فرقتهُ الى سائر العساكر اخبر اميرَ اللواء بكلّ ما جرى لهُ مع الكاهن فقال الامير آسفًا: « يا لهُ من كاهن بطل لقد ذهب شهيد الوفاء لله والحبّ للوطن »

على انّ الكاهن لم يكن قد أُصيب بغير جرح خفيف لا يُخشى فيهِ من خطر. فنقلهُ الأَلمان على عجلة الى معسكرهم ثمَّ احضروهُ مجلسًا حربيًا فحكموا عليهِ بالاعدام جزاء خيانتهِ للعساكر الالمانيـة. غير انهم عدلوا عن قتلهِ حرمةً لجلال السن والكبر فقضوا بحبسهِ مؤبدًا

فلمَّا قِيد الى المانية اتفق انهُ التقى بالقائد الذي كان يزعم ان الكاهن الغيور قد مات قتيل الشهامة والمروءة. فدنا منهُ فقال ضاحكًا: كيف وجدت عجّتي ؟ فعرفهُ القائد واجاب على فورٍ وعيناه مغرورقتان بالدموع: « سيدي ما انت الَّا بطل ». ثمَّ وثب كلٌّ منهما على عُنق صاحبهِ فتعانقا طويلًا »



تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

٤ (المطبعة السوريَّة) هي المطبعة الرابعــة التي أُنشئت في بيروت كان تاريخ إنشائها سنة ١٨٥٧ بهمَّة صاحب السعادة والشاعر المجيد خليل افندي الخوري مدير المطبوعات سابقًا. وكانت الغاية الاولى من انشائها إصدار جريدة لولاية سوريَّة وكان هذا المشروع يقتضي في تلك الأيَّام عزيمةً كبرى ونفقات طائلة غير انّ هذه الاعتبارات ما كانت لتثبِّط جناب منشئها عن العمل. فقام بهذا المشروع واصدر جريدتهُ الاسبوعيَّة المعروفة بحديقة الاخبار جعلتها الحكومة السنيَّة جريدتهــا الرسميَّة. وهي اول جريدة عربية ظهرت في بلاد الشام بل وفي غيرها من البلاد العثمانيَّة الَّا جريدة تركيَّة صدرت

اعمالها سيادة الحبر المفضال المطران يوسف الدبس وصار اسمها « المطبعة العموميَّة الكاثوليكية »

اما يوسف الشلفون فانهُ استرحم من جديد نظارة المعارف فرخّصت لهُ سنة ١٨٧٤ بفتح المطبعة الكلّية وإنشاء جريدة التقدم التي ظهرت مدَّة ثلاث عشرة سنة وكتب فيها بعض الكتبة البارعين لولا انَّهم تعرَّضوا مرارًا لامور الدين التي كانوا يجهلونها . وبقيت المطبعة الكلّيَّة على هذه الحال الى ان استأْجرتها عمدة اخويَّة القديس جاورجيوس للروم الاورثذكس مع بقاء الامتياز والنظارة والمسئولية على صاحب الجريدة . ثمَّ توفي المرحوم يوسف الشلفون سنة ١٨٩٥ فصار امتياز المطبعة والجريدة الى ابنهِ

وهذه اسماء الكتب التي صدرت من المطبعتين العمومية والكليَّة ونضيف الى الاولى ما صدر في المطبعة العمومية الكاثوليكية وفي مطبعة المصباح لانهما كلها مطبعة واحدة :

١ المطبعة العموميَّة (١٨٦٢ ـ ١٨٧٧)

١ (الكتب الدينيَّة) ١ً زياح الشهر المريميّ لانطون الشلفون (١٨٦٣ص ١٠٠) = ٢ً قوانين اخويَّة العذراء البريئة من الدنس (١٨٦٥ . ص ٢١٤) = ٣ً صلوات خشوعيَّة لنظم الحياة الروحيَّة للخوري جرجس عيسى الراهب الباسيليّ (١٨٧٢ . ص ٢١٨) = ٤ً مرشد المستفحصين للخوري لويس توني (١٨٧٢ . ص ٥٢٧) = ٥ً مختصر التعليم المسيحيّ لاحد الآباء العازاريين (١٨٧٥ . ص ١٥٠) = ٦ً قداسة الكاهن للخوري يوسف العلم (١٨٧٥ . ص ٣٧٢) = ٧ً مناجاة يسوع لقلب الكاهن للاب برتلماوس مونتي . عرَّبهُ الخوري يوسف العلم (١٨٧٦ . ص ٤٠٨) = ٨ً تحفة الارشاد لسكينة نفوس العباد للقسّ يوسف الشبابي (١٨٧٦ . ص ٣٢٤) = ٩ً اجتناء الاثمار في تكريس شهر ايار للاب اسطفانوس برسالي عرَّبهُ القس يوسف الشبابي (١٨٧٦ . ص ٣٤٩) = ١٠ً الحقائق الاديَّة في تهذيب الحياة الروحيَّة للقديس منصور دي بول تعريبهُ لهُ (١٨٧٦ . ص ١٩٣)

٢ (كتب المواعظ والتفاسير) ١ً العنوان العجيب في رؤيا الحبيب تأليف القس يوسف الحلبي (١٨٧٠ . ص ٦٣٤) = ٢ً تيسير الوسائل في تفسير الرسائل للخوري يوسف العلم (١٨٧٣ . ص ٩٣٠) = ٣ً مواعظ سيادة المطران يوسف الدبس (١٨٧٣ . ص ١٤٣) = ٤ً مجموع آخر من مواعظهِ (١٨٧٤و١٨٧٥ . ص ٤٩٣) = ٥ً تحفة الجيل في تفسير الاناجيل للخوري يوسف الياس الدبس (١٨٧٧ ص ١٠٣٤)

٣ (الكتب الفلسفيَّة واللاهوتيَّة) ١ً الادلَّة الجليَّة في سلطان الكنيسة الكاثوليكيَّة للخواجا لويس كتفاكو (١٨٦٤ . ص ٢٥٨) = ٢ً البرهان السديد في حقيقة التثليث في التوحيد . لهُ

معتمد الدولة العليّة على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ لترتيب ونظارة المحرَّرات الرسميَّة التي كانت تُطبع في التركيَّة والفرنسية وتُوسل الى سفراء الدول ومعتمديها في بيروت والاستانة العليَّة. فاشتغل يوسف الشلفون بهذه القرارات الى اوائل سنة ١٨٦١ حتى تمَّ نظام جبل لبنان وتقرَّرت السكينة

وفي تلك السنة استأذن المذكور الدولة العليَّة بفتح مطبعة على حسابه الخاص فنال الرخصة المطلوبة وانشأ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العمومية سنة ١٨٦١ وجعل ينشر المطبوعات المفيدة والكتب الادبيَّة والروايات والمنشورات التجاريَّة واوراق الحكومة الرسميَّة مدَّة سنتين. فسمع بهِ المرحوم داود باشا اول متصرّف جبل لبنان فاستقدمهُ ليساعدهُ على فتح مطبعة في مركز المتصرفية. فاجاب الى دعوتهِ وسلَّم اشغال مطبعتهِ في بيروت الى من يثق بامانتهم وانعكف على تنظيم المطبعة اللبنانيَّة فرتَّب ادواتها ودبَّر كل احوالها الى ان صارت تامَّة الاهبة قادرة على نشر التآليف المفيدة فعاد الى بيروت واخذ يهتم بتوسيع نطاق مطبعتهِ

ثمَّ استرخص من نظارة المعارف بنشر الجرائد فنشر منها اربعًا: الاولى جريدة الزهرة وكانت اخباريَّة انشأها في غرَّة سنة ١٨٧٠ وراجت سوقها نحو سنتين فأُلغيت لبعض الاسباب. الثانية النَّحلة انشأها القس لويس صابونجي وطبعها اولًا في المطبعة المخلصية ثم نقلها الى المطبعة العمومية مشتركًا مع يوسف افندي الشلفون بعد جريدة الزهرة باشهر قليلة نُشرت فيها بعض الفصول الادبيَّة والعلمية الحسنة ثمَّ أُبطلت مع الزهرة. الثالثة جريدة النجاح كانت اخباريَّة سياسية اصدرها ايضًا يوسف الشلفون سنة ١٨٧٠ وكانت تظهر في كل اسبوع مرَّة واحدة ثمَّ مرَّتين الى ان صارت يومية وهي اول جريدة يوميــة ظهرت في بلاد الشام (وليست جريدة الاحوال كما ظنَّ صاحب امتيازها) ودامت الى سنة ١٨٧٤. والرابعة جريدة التقدُّم وسيأتي ذكرها

وكان المرحوم يوسف الشلفون عقد سنة ١٨٧١ شركة مع رزق الله افندي خضرا لنشر الكتب الدينية والمؤلفات الادبية على شرط ان يقتسما نفقات المطبعة وربحها فبقيا على ذلك مدَّة حتى باع يوسف الشلفون من شريكهِ امتياز جريدتهِ ومطبعتهِ العمومية ومذ ذاك الوقت صارت المطبعة العمومية بيد رزق الله افندي خضرا يشاركهُ في

٧ (الكتب الفقهيَّة) ١ً رسالة الاعداد الرضيَّة في المسائل الفرضيَّة للبطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٦٣ . ص ٤٤) وطُبع ايضاً في هذه المطبعة شيء من القوانين التجاريَّة والشرعيَّة

٨ (كتب روايات ونوادر شتَّى) ١ً رواية الشاب الجاهل السكير للخواجا طنوس افندي الحرّ (١٨٦٣ . ص ٤٣) = ٢ً نزهة الجلّاس في نوادر ابي نوّاس (١٨٦٤ . ص ٦٤) = ٣ً رواية الذميم والذميمة للخوري انطونيوس قندلفت (١٨٦٤ . ص ٦٤) = ٤ً رواية بول وفيرجيني تعريب سليم صعب (١٨٦٤ . ص ٩٠) = ٥ً كتاب روضة العزبان (١٨٦٤ . ص ٤٥) = ٦ً الرواية الادبية بالخدعة الدروجيَّة للسيد سليم افندي ابن عبد الغني رمضان (١٨٦٦ . ص ٣٢) = ٧ً رواية حفظ الوداد ليوسف الشلفون (١٨٦٦ . ص ٨٩) = ٨ً رواية الامير مونتيكريستو (١٨٦٦ . ص ٣٢١) = ٩ً رواية تحفة الرشديَّة في العلوم العربيَّة للشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٨٦٧ . ص ٧٩) = ١٠ً ارزة لبنان . مجموع روايات البخيل والمغفَّل والحسود لمارون نقاش (١٨٦٩ . ص ٤٩٦) = ١١ً الصدفة الغريبة في قصَّة الاخوين العجيبة تعريب جبرائيل عبد الله الخوري (١٨٧١ . ص ٨١) = ١٢ً رواية جنفياف تعريب مخائيل جهشان

وفي العدد القادم نثبت مطبوعات المطبعة العمومية الكاثوليكيَّة والمطبعة الكليَّة

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

OPUSCULES MARONITES (2e partie);
ET VIE DE SÉVÈRE PATRIARCHE D'ANTIOCHE
par F. Nau du Clergé de Paris, pp. 1900

آثار مارونية (القسم الثاني)

سبق لنا وصف هذه الآثار في المشرق (٢ : ٧١٦) . امَّا هذا القسم الثاني فيتضمَّن تتمَّة الترجمة الفرنسية للمقالات التي نشر السنة الماضية اصلَها السرياني حضرة الاب نو الكاهن الفرنسي . وهي عبارةٌ عن قطعة تاريخية لاحد قدماء الكتبة الموارنة ورد فيها شيء من اخبار الخليفة معاوية (راجع المشرق ٢ : ٢٦٥) يليها قطعة اخرى جداليَّة بين احد اليعاقبة والملكيين في شأن الزيادة التي يُلحقها السريان بالتريزاغيون اعني : « يا من صُلِبَ عنَّا » . ثمَّ يتبعها نبذة ثالثة تحتوي ترجمة ساويروس اليعقوبيّ بطريرك انطاكية الدخيل لزكريَّا الكاتب معاصرِهِ في القرن السَّادس للمسيح . وهذه الترجمة الاخيرة تفيدنا اموراً كثيرة عن احوال بيروت في ذلك العصر حين دخلها ساويروس وزكريَّا صاحب

(١٨٦٩ . ص ٢٥٥) = ٣ً اثبات لاهوت يسوع المسيح للخوري بطرس الخوري (١٨٦٩) = ٤ً التحفة الغرَّاء في دوام بتوليَّة العذراء للمطران بولس مسعد (١٨٦٩ . ص ٦٣) = ٥ً التذكرة الرفيعة في الديانة الفائقة الطبيعة للاب مارين دي بواليف اليسوعي . عرَّبها المعلم اسكندر زيادة (١٨٧٣ . ص ٧٣) = ٦ً الرسوم الفلسفيَّة للاب دموفكي اليسوعيّ عرَّبهُ الخوري يوسف الدبس (١٨٧٧ . ص ١٤٥)

٤ (الكتب الجدليَّة) ١ً رسالة الى سيادة رؤساء الطوائف الشرقيَّة غير المتحدين مع الكنيسة الرومانيَّة لاحد ابناء الكنيسة الشرقيَّة (الخوري يوسف الدبس ١٨٦٩ . ص ٢١٥) = ٢ً بعض كلمات في صدد جواب ميخائيل مشاقة على منشور البابا بيوس التاسع للشيخ نصر الدين بك الغضنفري (١٨٧٠ . ص ٩٤) = ٣ً روح الردود في تفنيد زعم الخوري يوسف داود (١٨٧١ . ص ٣٥٣) = ٤ً كشف الستار وابلاء العذار مجاوبة على الخوري يوسف داود لبولس زين (١٨٧٢ . ص ٣٤) ٥ً برهانات قاطعة ملزمة كل بروتستاني ان يصير كاثوليكيًّا وكل كاثوليكي ان يستمرّ على مذهبهِ للسيد لاقال عرَّبهُ الخوري بولس الياس الدبس (١٨٧٣ . ص ٦٥)

٥ (الكتب المدرسيَّة والادبيَّة والشعريَّة) ١ً مراثي المرحومة كاتبة بسترس (١٨٦٣ ص ٣٦) ٢ً ترجمان المكاتبات للمعلم يوسف الشلفون (١٨٦٣ . ص ٥٢ . ثمَّ كُرِّر طبعهُ مع تحسينهِ سنة ١٨٦٥ و ١٨٦٩) = ٣ً كتاب مستقطف المستظرف جمع جرجس شاهين الابليّ (١٨٦٤ . ص ٦٤) = ٤ً كتاب تسلية الخواطر في لطائف النوادر جمع المعلم يوسف الشلفون (١٨٦٤ . ص ٦٠) = ٥ً كتاب نفحة الريحان للشيخ ناصيف البازجي (١٨٦٤ . ص ١٣٨) = ٦ً نبذة في تهذيب الاخلاق للشيخ ابي زكريَّا بن عديّ (١٨٦٦ . ص ٤٤) = ٧ً ديوان السلطان خليل (١٨٦٦ . ص ٣٤) = ٨ً قصيدة الطغرائي مع شرحها (ص ٣٦) = ٩ً منظومات الشيخ امين الجندي وقد كُرِّر طبعهُ = ١٠ ديوان الشيخ قاسم الكستي المدعو مرآة الغريبة (١٨٦٩ . ص ٧٥) ١١ً مغني المتعلم عن المعلم للخوري يوسف الدبس (١٨٦٩ . ص ١٣٨) — وعليهِ ملحقان للتمرين (١٨٧٠ . ص ٨٣) . وقد كُرِّر طبعهُ (سنة ١٨٩١ . ص ١٨٧) = ١٢ً روضة الازهار في نظم الاشعار للقس انطونيوس الافغالي الراهب اللبناني (١٨٧٠ . ص ٤٩) = ١٣ً مشهد الاحوال لفرنسيس فتح الله مرَّاش (١٨٧٠ . ص ١٣٠) = ١٤ً مراثي السيد المطران طوبيا عون (١٨٧١ . ص ٧٣) = ١٥ً الذهب الابريز في مدح السلطان عبد العزيز لشاكر شقير اللبناني (١٨٧٢ . ص ٦٤) = ١٦ً الميزان الذهبيّ في الشعر العربيّ للخوري ارسانيوس الفاخوري (١٨٧٣ . ص ٨٠) = ١٧ً السلطة للسبعة (١٨٧٢ . ص ٧٣)

٦ (الكتب التاريخيَّة والعلميَّة) ١ً نبذة من تاريخ يوسيفوس اليهودي (١٨٦٦ . ص ٩٠) ٢ً راشد سوريَّا للخوري انطون بولاد (١٨٦٨ . ص ٢٣٦) = ٣ً سفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس (١٨٦٨ . ص ٤٢٣) = ٤ً تحفة الزمان في تاريخ الرومان للشهير دوروي (١٨٧٢)

لا تُبقي بعدها شكًّا في العقول. فنشكر للدكتور همّتهُ الناهضة ونتمنى ان يزيدنا بعلمهِ نفعًا ل. ش

شذرات

ردّ من الشوير — اتانا من دير مار يوحنا الصابغ في الشوير ردٌّ على ما كتبناهُ في مطبعة هذا الدير ونشئها (المشرق ٣ : ٧٢٨) فلم نجد فيهِ ما يستحق الذكر وعدلنا عن ادراجهِ لئلّا نضيع الوقت في تفنيد ما يظهر لنا اوضح من النهار . ولا بأس ان ينشرهُ كاتبهُ في الضياء كما تهدّدنا بذلك فاننا لسنا ممّن يخافون التهديد

سؤالنا للمنار — كنّا سألنا المنار اين وجد في نصوص الكتاب الكريم والآباء ما اثبتهُ عن انبثاق الروح القدس من الاب « وحدهُ » فكأنّهُ لم يفهم السؤال فاتانا بآيات تدلّ على انبثاق الروح القدس من الآب وهو امرٌ مسلّم . امّا لفظة « وحدهُ » فلم نجدها في هذه النصوص فان كان من الصادقين فليؤيّد قولهُ بشواهد اخرى يُحسن انتقاءها هذه المرّة فتدلُّ على ما زعم

حلّ اللغز التاريخي الوارد في العدد ١٨ ص ٨٥٩ — عرضنا في العدد ١٩ من المشرق (ص ٩١١) حلَّ اللغز التاريخي الوارد في آخر كتاب يتيمة الدهر المطبوع في دمشق ونحن مع ذلك في ريبٍ من حلّنا . ثم راجعنا كتاب « تسهيل المجاز الى فنّ المعمّى والالغاز » فوجدنا ضالّتنا . لأنّ فيهِ فصلًا مطوّلًا في هذه الالغاز التاريخيّة التي نُسب اختراعُها الى العلّامة ابن كمال من ادباء القرن العاشر للهجرة . والفصل المذكور (ص٤٧—٥٥) يحتوي طرائق عديدة لهذه الالغاز التاريخيّة لا يسعنا ان نثبتها هنا . ولعلّ مصنف هذا الكتاب هو الذي عرض هذا اللغز في آخر طبعة يتيمة الدهر . فلفظة العقد تدل في هذا اللغز كما روينا على ثلاث عشرات الشهر ثمّ على الشهور الاثني عشر ثمّ على السنين وعشرات السنين ومئات السنين والوف السنين . ولكن لا حاجة الى قسم هذه العقود الى انصاف كما ذكرنا . فقولهُ اذن انّ الكتاب نجز طبعهُ « في اواسط العقد الثاني من العقد التاسع » يريد بهِ اليوم ١٥ من شهر شوّال . وقولهُ « من العقد الثالث من العقد الاوّل » اي العام الثالث من العشر السنوات الاولى . وقولهُ اخيرًا « من العقد

ترجمته ليدرسا فيها الفقه. فيعلمنا الكاتب انَّ بيروت كانت وقتئذٍ زاهرة بالآداب يأتيها الدارسون من انحاء المعمور ليأخذوا عن مشاهير علمائها. وكان لها عدَّة ابنية فخيمة كالقصور والمراسح والملاعب يجري فيها سباق العجلات والألعاب التشخيصيَّة. وكانت لغة القوم الفصيحة هي اليونانية واللغة الدارجة بين الجمهور السريانية. وكان للمدينة والٍ وتحت امرتهِ فرقةٌ من الجند. امَّا النصرانيَّة فكان لها نفوذ عظيم في ذلك العهد فانَّ زكَّريا الكاتب يذكر لها اسقفًا اسمهُ يوحنا ذا علم وتقى شديد اليد على اهل البدع والسَّحَرة. ويثني المؤلف على فضل اهل بيروت يصفهم بالوداعة وخوف الله وحبّ الصلاة والصوم. وكان عدد الكنائس وافرًا من جملتها «كنيسة القيامة» و «كنيسة السيدة ام الله» و «كنيسة القديس يهوذا» اخي يعقوب البارّ الذي يُروى عنهُ انهُ استشهد في بيروت و «كنيسة الشهيدين» (ܥܕܬܐ ܕܣܗܕܐ) لعلَّهُ يريد القديسين سرجيوس وباخوس وكان ذكرهما شائعًا في الشرق

وممَّا يُستفاد ايضًا من هذه الترجمة انَّ كثيرين من عَبَدة الاوثان كانوا لا يزالون في بيروت يقدّمون للاصنام الضحايا الرجسة و يتعاطون الاعمال السحريَّة لترويج غايات ذميمة حتى اضطرَّ اسقف بيروت الى ان يلتجئ الى الحكومة المحلية لمعاقبة هؤلاء الاشرار

هذه بعض الافادات استخلصناها من هذا الكتاب مردّدين آيات الشكر على ناشرهِ الفاضل

Le monnayage alexandrin d'Arados

par le Dr J. Rouvier, Paris, pp. 32, 1900.

نقود الاسكندر في ارواد

قد بلغ الدكتور روڤيه في علم المسكوكات والنقود الشرقيَّة مقامًا رفيعًا لا يزال يقرّرهُ ويُعليهِ بمقالاتٍ متواصلة كلها فوائد. واليوم اهدانا جنابهُ نسخة من مقالة نشرها في «مجلة المسكوكات» بحث فيها عن نقود الاسكندر الكبير التي ضُربت في جزيرة ارواد من سنة ٣٣٢ الى سنة ١٩٨ قبل المسيح. ولم يكتفِ الدكتور روڤيه بان يصف هذه الآثار بل تعرَّض لآراء واهنة كان يستند اليها العلماء قبلهُ ففنَّدها ببيّنات

تونس لم يبقَ منها غير اخربتها الجليلة٠ — ثمَّ ان القديس اوغسطينوس قبل نبذهِ شيعة المانويين اولد ابنًا فقط دعاهُ اديودات ثمَّ تعفَّف وبلغ من القداسة مقامًا عظيمًا

س هل للّغة العربية اعصار مختلفة من جهة الانشاء والبيان كاللغة الفرنسية وما هي تقاسيم هذه الاعصار واشهر أُدبائها

اعصار اللغة العربية

ج ليس للُّغة العربية عصرٌ معلوم بلغت فيها اللغة اوج كمالها عند اليونان واللاتين والفرنسويين٠ واذا قابلنا بين كتابات القرن الاول للهجرة والقرن الخامس والسادس لا نكاد نرى في الانشاء اختلافًا يُذكر٠ وما يمكن قولهُ اجمالًا ان اللغة كانت في الجاهليَّة واوائل الاسلام اشدّ ضبطًا وافصح لسانًا واسلم ذوقًا منها في الاعصار التالية٠ لاسيما الشعر فان الشعر الجاهليّ ابلغ من شعر الشعراء بعد الجاهلية كما يقرُّ في ذلك جهابذة اللغة٠ وهذا السؤَال يقتضي بحثًا مطوَّلًا نعود اليهِ ان شاء الله

س سألنا ل٠ل٠ احد أُدباء طرابلس ما معنى قول الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين (٧ : ٣) عن ملكيصادق انَّهُ ليس لهُ ابٌ ولا امٌ ولا نسب »

نسب ملكيصادق

ج يريد الرسول ان الكتاب المقدَّس الذي اورد في سفر التكوين نسل الاباء الاوَّلين لم يذكر شيئًا عن نسب ملكيصادق مع سموّ مرتبتهِ فصار هذا الكاهن رمزًا خصوصيًّا للسيد المسيح لانَّ كهنوتهُ ابدي لا علاقة لهُ مع اللحم والدم (راجع شرح هذه الآية في آخر الكتاب المقدس المطبوع في مطبعتنا)

س سألنا جناب الاديب اسكندر اسطفان مزرعاني من البترون كيف امكن الحمامة التي اطلقها نوح (تكوين ٨ : ١١) ان تأتي بغصن زيتون اخضر مع ان الطوفان كان ذهب بكل شيء وان قيل انهُ لم يذهب بالاشجار فكيف بقي الشجر اخضر في هذه المدَّة

حمامة نوح وغصن الزيتون

ج ليست الزيتونة كبقيَّة الاشجار فان ارباب الطبيعة من الاقدمين والمحدثين معًا اثبتوا بالتجربة انَّها تعيش في الماء وتبقى اغصانها فيهِ زمنًا طويلًا خضراء نضرةً ل٠ش

❊ اصلاح بعض اغلاط طبعية ❊ جاء في الصفحة ٨٠٣ س ٥ « منفتاخ » والصواب « منفتاح » = ص ٨٤٨ س ١٩ « مناقضةً » والصواب « مناقضةٌ » = ص ٨٥٩ س ٣٠ « المطبعة الحنفية » والصواب « الحُفنية » = ص ٩٠٤ س ٣ « لا شيء في العالم عن حكم الله » والصواب « يخرج عن حكم الله » = ص ٩٣٣ س ٣٥ « انَّ الطفل يسوع سائرًا » والصواب « سائرٌ » = ص ٩٥٦ س ٨ و ١٢ « الماسونين » والصواب « الماسونيين » = ص ٩٥٩ س ١٠ «*Domins*» والصواب «*Domino*»

الرابع من العقد الثاني » اراد بهِ المئة الرابعة من الالف الثاني للهجرة فيكون التاريخ سنة ١٣٠٢ . وقد سرَّنا انَّ مجلَّة المحبَّة احسنت حلَّ هذا اللغز

ملاحظاتنا على فصل اسرار طفولية المسيح وصباهُ سُئلنا هل الملاحظات المضافة في ذيل المشرق الى فصل اسرار طفوليَّة يسوع وصباهُ (ص ٩٣٢ و ٩٣٣) تمسّ شيئاً من الايمان او الآداب . فجوابنا انما هذه آراء ارتآها اللاهوتيون لا تمسّ الايمان والآداب بتَّةً وقد اثبتناها فقط تتمَّة للفائدة ليس الَّا ومن لهُ إلمام في اللاهوت لا يجهل ان للعلماء في ما سوى مذاهب الايمان والآداب آراء عديدة يعرضونها على سبيل المباحثة او الترجيح فلكلٍ ان يرتأي ما يراهُ اقرب الى الصواب وفقاً لقول القديس اوغسطينوس : الوحدة في عقائد الايمان . الحرّية في الامور غير الثابتة . والمحبة في كل شيء . (in fide unitas, in dubiis libertas. in omnibus caritas) . فمعاذ الله اذن ان نبخس ذرَّةً الكتاب الجليل الفوائد الذي اخذنا عنهُ هذا الفصل ل . ش

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب ر . عبُّود من حمص ان نذكر لهُ تاريخ انتشار النصرانية في حمص واشهر اساقفتها وكنائسها القديمة . ٢ً ان ندلهُ على موقع دير القديس سمعان (مندرا) الذي يذكر المؤرخون انهُ كان بجوار حمص

آثار النصرانية في حمص ودير مار سمعان

ج نجيب على الاول انَّ لنا مقالة في ما طلبهُ السائل ننشرها ان شاء الله بعد ختام مقالتنا في آثار لبنان . وعلى الثاني اننا نطلب من حضرة الكاتب ان يذكر لنا المؤرخين الذين اشار اليهم فنجيب على سؤالهِ ه . ل

س سألنا احد المشتركين : هل ان القديس اوغسطينوس من قديسي الشرق او الغرب واين موقع مدينتي ايبونا وقرطجنَّة الوارد ذكرها في ترجمتهِ وهل كان هذا القديس مزوَّجاً

افادات عن القديس اوغسطينوس

ج القديس اوغسطينوس معدود من قديسي الغرب وان كانت الكنيسة الشرقيَّة تعتبرهُ كاحد اولياء الله المبرّزين كما اثبت ذلك البشير والمنار معاً . وقد اشتهر في افريقية وصار اسقفاً على مدينة ايپونا وتدعى اليوم بونة من بلاد الجزائر . امَّا قرطجنَّة فمن بلاد

المشرق

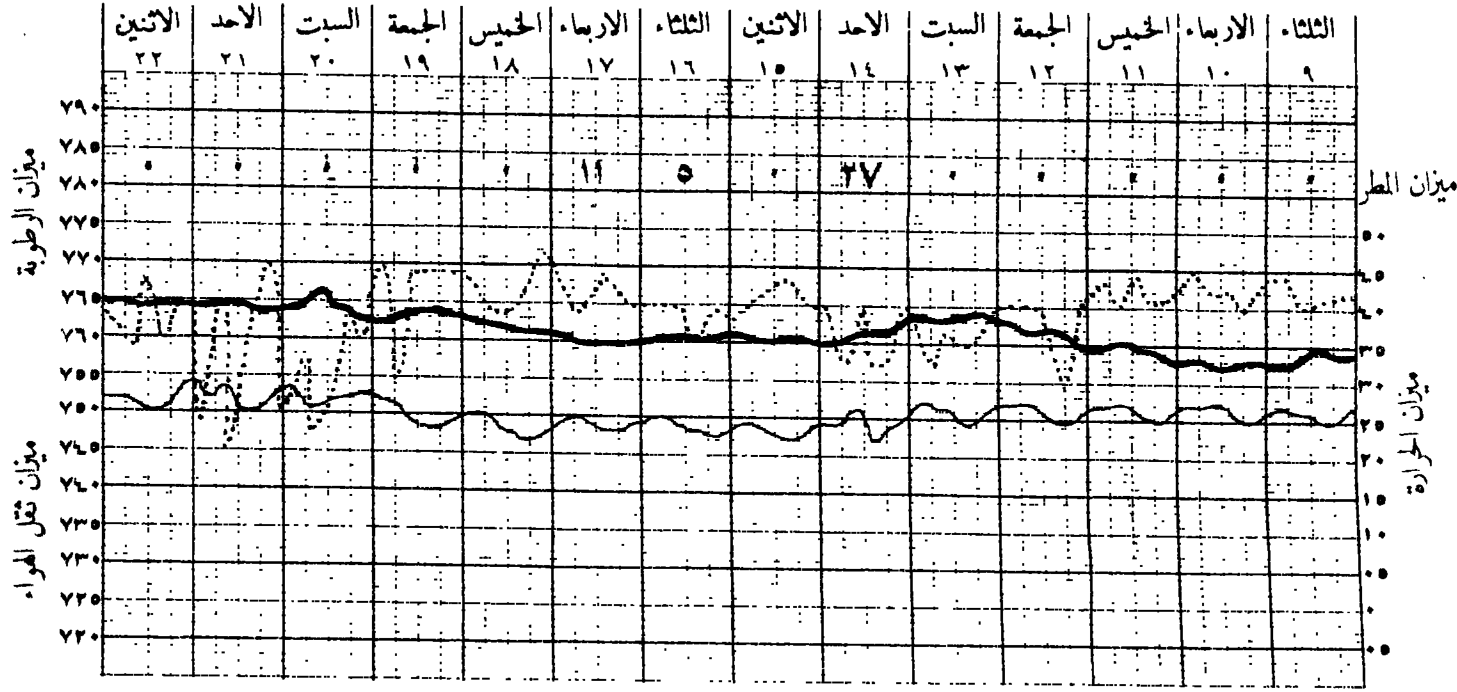
المخيّلة وتواصل الافكار

بقلم الاب لويس رنزڤال اليسوعي

قد ورد في المشرق مقالة لطيفة تحت عنوان « الاحلام » بحث فيها صاحبها الاديب عن الاحلام وكيفيَّتها وخواصها. وبينا نحن نقتبس من فوائدها ونجتني من اثمارها اذ خالجت فؤادنا رغبةٌ شديدة في بسط الكلام عن احلام اخرى يراها الانسان لا في وقت منامهِ بل في حال يقظتهِ ألا وهي سلسلة تمثُّلات ورُؤًى مُخيّلتهِ المتنوعة. نعم لهذه القوة فينا افعال وامور عجيبة طالما شغلت عقول من تفرَّدوا للبحث عن حقائق الاشياء حتى اوجبت لها عند العامَّة تسميةً غايةً في الغرابة وهي حمقاء الدار (la folle du logis)

والحق يُقال ان المخيّلة اذا اطلقنا لها العنان قصدًا او سهوًا تتصرَّف تصرُّف فاقد اللب مختلّ الشعور فكم من مرةٍ اخذت تشرد بنا تارةً ترينا بهجة جنَّةٍ خضراء تسقيها المياه العذبة المترقرقة واخرى تصعد بنا الى قنَّة جبل شامخ يدنف على ما لا حدَّ لهُ من عباب البحر او رمال الفلوات او رياضٍ غنَّاء. حينًا تنصب امام اعيننا من حُرمنا رؤياهُ من قريبٍ ونسيب ثم تمثِّل لنا ما نظرناهُ او سمعناهُ في غابر العصر الى غير ذلك من تواصل التصورات التي تتعاقب في افكارنا كانها سلسلة متواصلة. وعليهِ فان الغرض من هذه الخلاصة هو البحث عمَّا اذا كانت تلك الصوَر الخياليَّة مرتبطة ببعضها ارتباطًا حقيقيًّا يمكن استخلاص قوانينها ووضع سننها او اذا كان تعقُّبها امرًا صدفيًّا لا ينخرط في سلك المواضيع العلميَّة. فرأينا تتمةً للفائدة ان نقسم هذه

قائمة للآثار الجوّيّة من ٩ الى ٢٢ تشرين الاول ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

مُحيًّا(١). على ان صورةً واحدة هكذا مسترجعة في ذهننا لا تكاد تبقى وشأنها بل من عادتها ان تجرَّ في اذيالها حاشية من التصورات والافكار بحيث يصير من هذا التوالي كسلسلة او سلك من الافكار (train, processus). فلو أعملنا ذاكرتنا فيما يتناوبنا يوميًّا من الاحوال الداخليَّة لوجدنا ان لذلك التواصل النصيب الاوفر من اوقاتنا لا أورد من بابهِ الَّا مثلًا واحدًا يقوم لنا مقام امثلة عديدة تشاكلهُ

اعترضتْ يومًا لنسيب اللبناني وهو يتمشَّى في ساحة نيويرك امرأة يلوح على محيَّاها بعض المشابهة بامّهِ التي تركها في اصقاع جبل لبنان فاذا بصورة الام منتصبةً في ذهن الابن الذي يبعد عنها أُلوفًا من الفراسخ. وما ادراك بصورة الام في قلب ابنها ؟ ألا تنظر نسيبًا ضائعًا في لجج الافكار غارقًا في بحر الاوهام فيا ترى ما اصابهُ وما طرأَ عليهِ من صروف الدهر ؟ — قد أَصابهُ ما يصيب كل انسان يهجر وطنهُ ومسقط رأسهِ لانهُ بعد رؤيتهِ لأُمهِ شاهد ولا مشاهدة العيان اختهُ الحبيبة ثمَّ البيت الذي ترعرع فيهِ ثمَّ قريتهُ ثمَّ شجر التوت المُحدق بالدار الابويَّة ثمَّ نفسهُ متردِّدًا بين ارزاقهِ ثم نازلًا الى بيروت كي يركب البحر ثم السفينة التي اقلَّتهُ الى اميركة مع ظروف سفرهِ العجيب الى غير ذلك. فقل لي ناشدتك الله لماذا رؤية تلك المرأة الغريبة قد أَحيت في ذهن نسيب صورة أُمهِ ؟ ثم كيف ان صورة الام أَثارت في داخلهِ مجرًى من الافكار يتبجَّس ويتدفَّق تدفُّق المياه المنحدرة من اعالي الجبال

اسمعك تجيبني: انَّ الامر لسهلٌ جدًّا. امَّا رسم الوالدة فللمشابهة وامَّا سائر التصورات فلاتصالها ببعضها —. سقيًا لك ايها اللبيب قد أصبت المرمى غير انك لم تفز بعد بالقدح المعلَّى لانَّ كلامك في حاجة ماسَّة الى ايضاح ونشرطيّ. ورُبَّ سائل يسأَلك فما الداعي في المشابهة والملاصقة لإثارة انفعالٍ ما في مخيّلتنا ؟ — قلتَ: لنسبة وُجدت بين المتشابهَين والمتصلين وهي كافية لتعليل هذه الظواهر الضميريَّة — على رسلك يا صاح وها اني أُبين لك ان تلك النسبة التي أُذتَ بها لا تُغني عنك شيئًا في فضّ المشكل لانها امَّا ان تكون خارجيَّة محضة اعني بهِ لم يسبق اليها عقلنا ليزكنها وحينئذٍ لا عمل لها في قوانا الإدراكية فما تجديني مثلًا نسبة هذا البناء القائم امام عيني الى بانيهِ في امر

(١) كما يقولون بالفرنسويَّة (impression revécue) فيجعلونها فعلًا من اصل وضعهِ لازمًا من باب المتعدي المجهول

العجالة الى بابين نستقصي في اولهما مبدأ هذا الارتباط وعلّتهُ وفي الثاني نكشف القناع عن احكامهِ ونواميسهِ المستورة

ولا بُدَّ قبل الخوض في هذه المسألة الوعرة من بعض التنبيهات:

١ً انـنـا جريًا لدأب ارباب علم النفس (البسيكولوجيا) من معاصرينا نضمّ تحت عنوان المخيلة وتصوراتها كلَّ ما يختص فينا بإحياء الماضي من ذكر الاشياء الخارجية مع اغراضها الامر الذي يتمّ بقوة الذاكرة الخيالية(mémoire imaginative) وإنعاش احوالنا الباطنية وهواجس ضميرنا (états de conscience) الى غير ذلك من الموادّ التي يدفعها معهُ سيلُ حياتنا العرِم. على انهُ ليس من قصدنا هنـا بسط الكلام عن ماهية هذه القوى وخواصّها وانما نقتصر كما سبقت الاشارة على توالي التصوّرات الدائرة في مخيَّلتنا ليس الّا

٢ً لمَّا لم يتمّ لنا فكر دون صورة مادّية فنزّلنا احيانًا لفظة فكر في هذه المقالة منزلة الصورة الخياليَّة التي تسبق وجوبًا افعال عقلنـا وعليهِ فسيَّان عندنا توالي الافكار وتوالي التصورات

٣ً واخيرًا بما ان اعمال المخيـلة تنتمي الى المركَّب البشري فلا عجب اذا كان شرحنا لاصولها وقواعدها شرحًا فيزيولوجيًّا مبنيًّا على حوادث وتأثيرات حيوانية لا عقليَّة في حصر الكلام فيظهر من ذلك انَّا لسنا من الذين يأبون الانتفاع بتقـدُّم العصر والفوز بغنائمهِ في ساحة العلوم ما لم يكن هذا التقدُّم موهومًا يُخفي تحت جلباب المعارف الشريفة أطمار الكفر والبهتان. فتبًّا لتلك الصحف والمجلات التي بتستُّرها وراء متارس العلوم الموهومة تودع صفحاتها مقالاتٍ معرَّبة دون تروٍّ ولا ادنى انتقاد فانهـا بمزجها الغث والسمين والصحيح مع الفاسد تنفث في نفوس قرائها سمَّ كل ضلال

١ في مبدإ تواصل الافكار وعلّتهِ

قد سبق القول ان مخيّلتنـا بمنزلة مستودع واسع الارجاء فسيح الجوانب نذَّخر ضمنهُ صور الاشياء التي اثَّرت فينا سلفًا حتى اذا سنحت الفرصـة ينهض بعضها من تلك السِنَة وتبرز متسربلةً بثوب الحياة متَّشحة بحلاها. هذا ما يسمّيهِ المحدثون إحياء او انتعاش التـأثيرات (réviviscence des impressions) او تأثيرًا مُنعَشًا او

« في آنٍ واحدٍ ضمن نفسهِ » نتج من ذلك انهُ فيما بعد يرى في مخيلته رسم الحرف كلما يسمع التلفظ بهِ او بالعكس

على ان تربية الحيوانات الغير الناطقة ليست على غير هذا النمط لأنَّا نرى الحوذيَّ اذا قرن مرارًا صراخهُ بضرباتٍ من سوطهِ لا يلبث ان يكتفي بالصياح لإنعاش الدابة دون الالتجاء الى الضرب لان الخيل تشعر بوجع القرع كلما يطرق مسامعها صوتُ السائس لاجتماع ذينك التأثيرين في مخيلتها سابقًا

وللعلماء البسيكولوجيا حوادث تواصلية شتَّى يوردونها في مصنَّفاتهم ويقسمونها الى قسمين : الى متجانسة (associations homogènes) ومتباينة (assoc. hétérogènes) بيد ان مرجع جميعها الى الاتصال الباطني فالمتجانسة هي التي تنتمي الى حسٍ واحد كالبصر مثلًا فان مجرّد صورة رأس صديقي يحيي فيَّ صورة جسمهِ والغرفة التي أَلِفنا الانضمام فيها وكل ما اعتدتُ ان اشاهده مع مشاهدتي شخصهُ العزيز. واماَّ المتباينة فهي التي تُعزى الى حواسَّ مختلفة مثال ذلك الجرس اذا وقعت عليهِ عيني رنّ صداهُ في أُذني. ومنهُ ايضًا ان رؤية الليمون الحامض تولد في فمي طعمةَ حامضة الى غير ذلك من الحوادث التي تطرأ علينا يوميًا دون ان نعيرها عين الانتباه

ولمعترض أَن يوقفنا عند هذا الحد بقولهِ: « هب ان الاتصال الضميري هو اصل كثير من تواصلات افكارنا لكني ارى داعيًا آخر لمثل هذه الحوادث أَلا وهي المشابهة ومع انك رفضتها سلفًا كانها غير صالحة لشيءٍ ها انا ابين لك باجلى برهان انها العلّة الوحيدة لتوالي التصورات بعض الاحيان دون الاتصال. فقل لي ناشدتك الله اين الالتصاق في مخيلة نسيب المحكي عنهُ بين صورة تلك المرأَة التي اعترضت لهُ في ساحة نيو يورك وصورة امهِ اذ انَّهُ لم يعاينها قط في حينٍ واحدٍ وبالتالي لم تلتقِ صورتهما في مخيلتهِ أَليست المشابهة وحدها التي صرفت افكار نسيب من المرأَة المجهولة الى ذكر امهِ ؟ »

لا ننكر ان هذا الاعتراض من اللطافة ودقة النظر بمكانٍ فضلًا عن انَّهُ مبني على الاختبار اليومي لكنا لسنا لنسلّم لخصمنا نقطةً تنافي ما اثبتنا سابقًا اي انَّ كل حادث توالي افكار يُعلَّل تعليلًا كافيًا بحادث التصاق في الضمير بل يُسند اليهِ وجوبًا. فالجدال الذي نحن فيهِ الان يكون قد حُسم تمامًا اذا بيَّنَّا ان التوالي بالتشابه يمكن ارجاعه الى هذا الارتباط الضميري فنقول ان الاشياء المتشابهة هي التي تتفق في بعض خواصها

تصوّري صورة هذا الاخير ان لم أُشاهدهُ قطّ. واماً ان تكون تلك النسبة قد سبقت اليها معرفتنا على ان هذا ايضاً ليس ليُرضينا لان تلك المعرفة لا تتمّ الّا في عقلنا (حيث ان الحس لا يدرك الّا الخصوصيات) والعقل انما يقف على النسب بعد استحضار حدّي النسبة. والحال في المثل المتّخذ آنفًا ماذا أحضر في ذهن نسيب صورة او فكر الحدّ الثاني عند حضور الحدّ الاول اعني بهِ كيف تمثّل لهُ في غربتهِ بمجرّد صورة امّهِ رسم دارهِ والقرية المنسوب اليها الى غير ذلك

وقائل يقول انما أُنجز ذلك بقوة ذاكرتي التي من شأنها ان تُمثّل لي الاشياء في الفرصة الملائمة — فأُردف قائلًا: وما هي يا ترى الفرصة الموافقة ومن يُطلعني على الاوقات المناسبة لذكر هذا الشيء دون ذاك الآخر؟

ان مثل هذا الجواب يؤجّل حلّ المعضل بدلًا من ان يفضهُ بتاتًا فضلًا عن انهُ يميّز بين الذاكرة الخيالية والمخيلة تمييزًا كليًا مع كون الاولى نوعًا من جنس الثانية

فإذا ثبت ممّا تقدّم ان تواصل الافكار فينا ليس امرًا ماديًا صرفًا اعني بهِ مستقلًا من كل معرفة ولا فعلًا عقليًا محضًا فلعلّهُ اذًا صنفٌ من التأثيرات «البسيكو فيزيولوجية» التي بانتمائها الى المركّب البشري تتوسط بين عالم الروحانيات والجسدانيات ولا نكير اذ ذاك انّ رصد ومراقبة ما يجري فينا اعتياديًا من هذا الوجه من اقوى الذرائع لقطع الصعوبة التي نحن في صددها فلنتبع اذًا علماء البسيكولوجيا من الانكليز والفرنسويين الذين بحثوا عن مسألة توالي الافكار اشد بحث فهم جميعهم صوت واحد ويدٌ واحدة لوضع هذه القاعدة التمهيديّة الموسومة بقاعدة الاتصال والالتصاق الضميري (contiguité dans la conscience) وهذا منطوقها: لا يحدث توالٍ في افكارنا الّا يسبقهُ «في ضميرنا» تواصل بين تماثيل مخيلتنا (١

وممّا ياتي مؤيدًا لذلك تهذيب الاحداث وتلقينهم مبادئ القراءة فان الصبي لا يقف تمامًا على معرفة حرفٍ من حروف الهجاء ما لم يرَ رسم الحرف على الورق او اللوح ويسمع «في الحين ذاته» صوت الحرف يتلفّظ بهِ الاستاذ وبما ان هاتين الصورتين وُجدتا

(١) راجع رابيار (Rabier : *leçons de philosophie*, I, 183 *et seq.*) والمراد بذلك انّهُ لولا التقاء صورة الام مثلًا مع صورة البيت والاخت الخ في مخيلة نسيب فلما يكون مرّةً لمّا تيسر لهُ ان يفتكر باختهِ ثمّ بدارهِ لمجرّد تذكرهِ بأمهِ

والحال كما انّ العادة تنمو وتزداد بتواتر العادة الناشئة منهُ كذلك قوّتنا لجمع التصورات وإلحاقها ببعضها تكبر فينا وتتمكّن مِنّا اي تمكن بتكرار الافعال المناسبة. ولذا ترى من يراجع امثولةً او قطعةً من الشعر عدة مراتٍ يحفظها في ذهنـــهِ باعظم سهولة وادقّ أمانةٍ لان الذاكرة من النفس كاليد من الجسد. وكم نشاهد من الموسيقيين البارعين يكثرون من ايقاع لحنٍ واحدٍ على آلة من آلات الطرب لمجـرَّد رغبتهم في تمرين يدهم حتى تنتقل بكل سرعة من محلّ الى اخر دون ان يأبهوا بها وكما يقولون «حتى تأخذ العادة»

٢ً وعلاوةً على ذلك كما انّنا نرى فعــلًا واحدًا اللهمَّ اذا كان شديد التأثير من شــأنهِ ان يولّد عادة فكذلك ربّما يكون المشهد الواحد كافيًا ليسبّب صنفًا من تواصل الافكار فيصبح في نفسنـــا بمنزلة عادةٍ. فما ادراك بما يثيرهُ من اللوعات موت عزيزٍ في قلب صديقهِ او من وفاة وحيدٍ في كبد والدتهِ اليست مثل هذه الرؤية تستقرّ في ذهن المصابين منتصبةً امام أعينهم كلّما تقرّبوا من فراشٍ يتقلب عليــهِ مريض او حضروا جنازة فقيد

٣ً ان العادة كما سبق القول تُعيد الافعال بنوعٍ انهـــا تحفظ الترتيب والنظام الاوَّلين بحيث يستمر دائمًا مصدر العمل واحدًا لا يتغيَّر. ولذا نرى انهُ من المستحيل علينا إعادة سرد حروف الهجاء عكسًا كما نسردها طردًا وكذلك يمتنع على الموسيقي مهما اشتهر في مزاولة فنهِ ان يراجع نغمات لحنٍ من الالحان بقلب ترتيبها تمامًا

٢ً في احكام تواصل الافكار ونواميسهِ

قد ثبت ان انضمام الافكار اساسهُ الاقصى في الضمير وعلّتهُ الدنيا العادةُ. فبقي علينا ان نبيّن ماهيَّة تلك العادة وكيفيَّة عملها فيما نحنُ بصددهِ. فنقول اولًا إن العوائد المنوَّه بها في المسألة الحاضرة ليست هي عوائد روحيَّة محضة ممَّا تكون علاقتهُ مع الارادة لا مع الجســد كما انّنا بالارادة نكتسب الفضائل كالقناعة والتواضع الخ. والدليل الواضح على ذلك اننا نشهد تأثرات التوالي في الحيوانات التي ليس فيهـــا شيءٌ من العقل فكما ان التصور هو فعل من افعال المركب الانساني كذلك العوائد المحكي عنها هي عوائد فيزيولوجية لا قيام لها بمعزلٍ عن تأثيرات المادة. فاقتضى بنا اذًا ان نطلب حل

وليس من الضروري ان تضاهي بعضها بعضاً في جميع صفاتها. فهب اذاً ان تكون الحروف ا ب ت ث عبارةً عن صفات احد المتشابهين والحروف ا م ت ل عبارةً عن صفات الآخر فيظهر جلياً ان نفس الألف والتاء اللتين كانتا تتَّصلان بالباء والثاء في الحد الاول قد صارتا متَّصلتين بالميم واللام في الحد الثاني ومن ثمَّ لا عجب ان رؤية العلامتين ا و ت في الحد الثاني تسبب في ذاكرتي احياً العلامتين ب و ث المجاورة لهما في الحد الاول وبالتالي الحد الاول باجمعهِ. وبعبارة اخرى كاني بالمماثلَين قد التقيا في ضميري بواسطة صفاتهما المشتركة فجاز اذ ذاك القول بانَّ كل حادث تتوالى بسببهِ صور خيالية يفرض اتصالًا بين تصورات باطنية

على انَّنا لسنا نتخذ هذا الاتصال الداخلي أساساً ومبدأً وحيداً لظواهر المخيلة بل انما نعتبرهُ كممّهدٍ بعيدٍ لها لكنهُ ضروري لوجود تلك الحوادث لانهُ يأتي بشرحٍ مستوفٍ لهذه المسألة الحاضرة. والدليل على ذلك ان لو افترضنا عدم وجود اثرٍ من آثار اتصالٍ قد سبق في المخيلة لقصر هذا الاتصال المطموس كل القصور عن تعليل اتصالٍ سواه. والنتيجة وجوب استطلاع مزيّةٍ من شأنها ان تبقي فينا آثار الحوادث البسيكولوجية السالفة فتكون هي الرابطة بين الاتصالات الضميرية الاصلية والفرعية اي بين المنعِش والمنعَش. فماذا عسى ان تكون تلك الخصلة الفريدة الحافظة ضمننا قسماً من حياتنا الغابرة أليست هي العادة ؟ نعم للعادة فينا افعال جليلة تعمّ مُعظم اعمالنا اليوميَّة مما حمل اهل النُّهى على وضع هذه القضية بعد المراقبة الدقيقة وهي: « ان العادة هي في الحقيقة علّة توالي تصوراتنا »

بيد ان هذا الحكم في حاجةٍ الى اوفى شرحٍ ونحن لا نضنُّ بهِ على قرَّائنا الكرام ليكونوا على اتمّ بصيرة من الامر فنقول: ١ً مما لا يشوبه ريب ولا بد ان يشعر بهِ من دأْبهُ التروّي والتفكُّر في تقلباتهِ الداخلية انَّنا بعد اتمامنا لفعلٍ من افعالنا الشخصية يبقى فينا ميل وسهولة لتكراره. والحق يقال اننا اذا شاهدنا عدّة اشياء في آنٍ واحد او في اونةٍ متواصلة تواصلًا غير منقطعٍ يحدث عادةً انَّ مُثول واحدٍ منها امام عيننا او مخيلتنا يدعونا ويميل بنا الى ان نضمهما من جديد في تصُّور واحد وبموجب الترتيب الذي رُتبت بهِ في ذهننا لاول مرة. ومما يدعم ذلك على نوعٍ يُزيل كل شبهة ان قواعد اقتباس عادةٍ من العوائد تنطبق اي انطباق على ما نراه من ظواهر توالي الافكار

(sillon) في تلافيف الدماغ بين المركزين أ وبَ . وهناك الآن مجرًى مفتوحاً بين هذين المركزين . فما المانع اذ ذاك من تنقُّل الحركة الدماغية من أ الى بَ اذا انتعش المركز أَ لسبب انتعاش الصورة ا في المخيلة ؟ لا مانع البتة بل يحدث اجتذاب عظيمٌ للسيل العصبي (l'influx nerveux) ليمرَّ بتلك الطريقة المطروقة كما تنحدر المياه وتنصب في مجاري الانهار لا تلوي على الشواطئ وكما يسرع السيل الكهربائي في نفوذه للاجرام الناقلة بدلًا من غير الناقلة . وهذا مبنيٌّ على قاعدة طبيعية قريبة المتناول يدعونها قاعدة اقلّ المقاومة (la loi de la moindre résistance, le principe du moindre effort) اعني بهِ ان التأثيرات المادية تتبع الخطة التي فيها كانت الموانع اقل منها في غيرها

هذا ايضاحنا لحوادث توالي الصور وهو كما يظهر للعيان شرح طبيعيٌّ وفيزيولوجي محض والفضل فيه كلُّهُ لعلماء البسيكولوجيا المعاصرين وخصوصاً للدكتور جامس (James) الاميركي الذي اتّبعهُ موسيو رابيه (Mr Rabier) وعن هذا الاخير اخذنا خلاصة عجالتنا

ومما يجدر التنبيه اليهِ ان هذا التعليم ليس الّا مذهباً ذهب اليهِ اغلب من أَمعن النظر في ظواهر المخيلة على انهُ مذهبٌ تُغلَّبُ ارجحيتهُ على سواهُ لتمام انطباقهِ على كل ما يتسنّى لنا شعورهُ واختبارهُ في دائرة حياتنا الشخصية . فما اوفقهُ مثلًا لكلّ ما اثبتنا عن العوائد واكتسابها وشدتها لاننا اذا سلّمنا بوجود تلك المجاري والاخاديد بين المراكز العصبية التابعة للمراكز الخيالية لهان علينا امر الميل المستقرّ فينا الى إعادة فعلٍ تصوري بعد مباشرتهِ مرةً ثمَّ يتضح جليًّا كيف ان تصورًا واحدًا بشرط ان تشتدَّ وطأتهُ في مخيلتنا من شأنهِ ان يكسبنا عادةً اذ ان التأثير مساوٍ للشدَّة . ومن المحتمل ان تكون درجة التأثير كافية لفتح تلَمٍ في المادّة الدماغية اذا كانت قوّة التصوُّر مفرطة كما مرَّ في المثلين المذكورين آنفًا وهما موت حبيبٍ او ولدٍ الى غير ذلك

ويتبيّن لنا اخيرًا لايّ علةٍ العادة تُعيد سرد افعالنا واحوالنا الضميرية دون تغيير في ترتيبها لانَّ السيل العصبي الجاري في مجرًى معلومٍ لا يستطيع ان يقلب خطّته ويسرع بخلاف منحدرهِ او يعرّج على غير مواقفهِ

ان هذه الاعتبارات وغيرها التي لا يسمح لنا بسطها ضيق المكان آئلة كلها الى توطيد

المسألة النهائي في تكيُّفات الهيولى الجسميَّة فينا او بعبارة اخرى ان ما نسمّيهِ عوائد هي في حصر الكلام تقلُّبات وحالات جسديَّة ينتج منها بواسطة الاعصاب سِلْكُ تأثيراتٍ يرنّ صداها في النفس ذاتها وبالتالي في العقل

وهاك الآن الشرح الفيزيولوجي لكيفيَّة عمل عوائدنا التواصلية . من المعلوم لكل من لهُ ادنى المام باحوال المركب البشري ان للجهاز العصبي نصيباً في جميع ما نباشرهُ من الاعمال حتى الاعمال الروحيَّة المحضة اذ انهـا في حالتنا الحاضرة لا تقوم الَّا بمساعدة الجسد فكم بالاحرى اذًا افعال التصور والتخيُّـل المشتركة بين الانسان والحيوان كما سلف بيانهُ والحال باﺯاء كل حادثٍ خيالي تكيُّفٌ في الدماغ وتقلُّبٌ في الجهـاز العصبي الذي ليس هو سوى تشعُّب المادة الدماغية في اعضاء الجسم . ومؤدّى قولي اني مثلًا كلَّما اعملتُ مخيلتي في شيءٍ طرأ على دماغي انفعال مادّي على شبه ضغطٍ او تقلّص او غير ذلك من التأثيرات المحسوسة التي مع خفتها المفرطة لا بد ان تنكشف يومًا لانوار الامتحانات العلمية وخصوصاً لاشعة رنتجن

فترجع الان الى ما بين الحالة المنعِشة والمنْعَشة (état suggestif, état suggéré) من العلاقات المادّية ليظهر لنا جليًّا حظّ الجهاز العصبي فيهما . وتسهيلًا للفهم فلنفرض انَّ الحالة المنعِشة « اي التصوّر المسبّب لسياق تصوراتٍ اخرى » هي صورة امّ نسيب الموما اليها والحالة المنعَشة صورة دار الشابّ وجميع لواحقها . وعليـهِ اذا اشرنا الى صورة الوالدة في مخيلة ابنها بالعلامة « ا » يكون التكيف الدماغي او الحركة العصبيَّة المحاذية « اً » . كذلك فلنسمِّ « ب » هيئـة الدار التي طالما تبعت في ذهن الابن صورةَ امهِ تكون حينئذٍ الحركة العصبيَّة المناسبة « بً » . فلنبـيّن الان كيف تتعاقب الحركتان العصبيتّان وبالتالي الصورتان المقابلتـان لهما في حين تـلاحق التصورات . فلبيـان ذلك لا بُدّ من تسليم امرٍ وهو ان الحركة العصبيَّـة انتشرت من طريق اً الى بً (trains of motion, tracts of conduction) وهذا لكثرة اتباعها تلك الخطة سلفًا . فكم وكم من مرة صورة الدار وكل ما تحويهِ تَبعت او بالاحرى صحبت في دماغ نسيب صورة امهِ ايام تمتُّعـهِ برؤيتها . ومن غريب الامور الذي يُجمع عليـهِ معظم الفيزيولوجيُّون مع انهُ لم يثبت حتى الآن بالاكتشاف ان مرور تلك الحركة العصبيَّة من نقطة اً الى بً لا تتمّ دون ان يبقى لها اثر مادّي كشبه تَلَم او اخدود

اشبه ببيوت القرى لا تختلف عنها الّا بسعتها. فانّها على هيئة مكعَّب مستطيل مبنيَّة بالحجارة والملاط لها على جوانبها ابواب ونوافذ. وفوقها سطحٌ ترى على احدى حافاتهِ قبَّةَ للجرس لا تظهر بينهُ وبين الكنيسة علاقة هندسيَّة. وقد استُبدل السطح منذ عهدٍ قريب بسقفٍ مغطّى بالآجرّ الاحمر فزادت بذلك الكنائس بُعدًا عن هيئة المعابد الدينيَّة. وان سألتَ هل لهذه الابنية طرزٌ هندسيٌ أجبنا أنّنا نجهل ذلك ولعلَّ بُناتها انفسهم لم يدروا ايَّ طريقةٍ هندسيَّة جروا عليها في هذه العمارات

لكنَّ الامر لم يكن كذلك في سالف الاعصار. ولو بحثنا لوجدنا لاهل لبنان في القرون الغابرة طريقةً هندسيَّة في بناء كنائسهم كنَّا نودّ لو يحييها المهندسون المحدثون في المعابد التي يشرعون بتشييدها او يستجدُّون بناءها

فتُرى اين نجد امثلةً لهذه الابنية العتيقة ؟ أفي جنوبيّ لبنان او مقاطعة المتن ؟ كلَّا لأنَّ الموارنة لم يدخلوا هذه الاصقاع منذ زمن مديد. وتزيد على ذلك انَّ دخولهم في نفس كسروان ليس بقديم كما بيَّنا الامر سابقًا في المشرق في نبذتنا عن فراغريفون (٥٦:١) ثمَّ في ردّنا على مقالة « لاحد العلماء » أُدرجت في الروضة. وعندنا انَّ الموارنة لم يتوطَّنوا كسروان قبل القرن السادس عشر وهو قولٌ يمكن تأييدهُ بأدلَّة عديدة لعلَّنا نذكرها في مطاوي مباحثنا هذه عن آثار لبنان. وحسبنا اليوم ان نقول انَّهُ لا يوجد بين اديرة كسروان العديدة ديرٌ واحد يسبق عهدهُ القرن السابع عشر(١ وكذلك لم نطَّلع في تواريخ الموارنة على ذكر رجلٍ من مشاهيرهم اصلهُ من كسروان قبل القرن السادس عشر. واذا جاء ذكر الموارنة في تآليف الصليبيين فلا نراهم يذكرونهم الَّا في البلاد الواقعة بين طرابلس وجبيل امَّا جنوبي نهر ابراهيم فلا نرى لهم فيهِ اثرًا. وكذا قُلْ عن اديرتهم القديمة وكنائسهم فانَّها كلَّها في شمالي نهر ابراهيم كما انَّ اصل قدماء بطاركتهم واساقفتهم من البلاد نفسها

فيتَّضح من هذه الحقيقة امران الاوَّل انَّ لآثار كسروان اليونانيَّة الرومانيَّة شأنًا اعظم من آثارهِ المارونيَّة. والثاني انَّ من يطلب امثلةً تطلعهُ على هندسة الموارنة القديمة لكنائسهم الأجدر بهِ ان يطلبها خارجًا عن كسروان

١) راجع كتاب الخوري منصور طنُّوس الحوري في المقاطعة الكسروانية ص ٢٨. وتاريخ الموارنة للدويهي ص ٢٠٢

اعتقادنا بصحة وصواب رأي المعاصرين في افعال المخيلة ولولا اعجابنا بهِ واستحساننا الكامل لجميع اصولهِ ونتائجهِ لاتفاقها التامّ مع المبادئ الفلسفية والطبيعية لما كنّا لنُثبتهُ في هذه المجلة · على انهُ اذا ذهب احد الادباء غير هذا المذهب وارتأى غير رأينا فليُتحفنا باختراعهِ وما تجود بهِ قريحتهُ او اذا وجد مغمزًا في التعليم الآنف الذكر فليُبدِ بملاحظاتهِ ونحن ان شاء الله نبادر الى اجابتهِ وازالة شبهتهِ والله الموفق الى الصواب والسلام

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٢٠ كنائس لبنان القديمة

نخال قرّاءنا قد اشتاقوا الى مطالعة وصف الكنائس القديمة في لبنان بعد ما كرَّرنا ذكرها في فصولنا السابقة · وليس مرادنا ان نستوفي الكلام في هذا البحث لأنّنا لسوء الحظّ لم نتمكّن من زيارة كلّ كنائس لبنان القديمة · ثمَّ ان كثيرًا من هذه البيع قد خربت في مدَّة هذه العشرين سنةً اذ ذهب عنها رونقها القديم وذلك لغيرةٍ محمودة في اهل لبنان حملتهم على تجديد بناء كنائسهم او ترميمها لولا انَّهم حرمونا من بعض الآثار الجليلة الناطقة عن احوال سلفائهم الافاضل وعليهِ فقد اسرعنا الى كتابة هذه المقالة قبل ان تمتدَّ يدُ الخراب الى الكنائس الاخرى العهيدة · وغايتنا من هذه النبذة ان نبيّن للقرّاء اجمالًا ما اتّصفت بهِ هذه البنايات المقدَّسة وما هي خواصُّها التي تفرَّدت بها في لبنان

لا مشاحَّة في انَّ لبنان يتفاخر على غيرهِ من الاصقاع بوفرة كنائسه · فانّك لا تكاد تدخل قريةً منهُ بل مزرعةً من مزارعهِ دون ان تلقى لها كنيستها ولعلَّك تجد في القرية الواحدة اللهمَّ اذا كانت متوسّطة في الكبر كنيستين واكثر

واغلب هذه الكنائس لا يرتقي عهدها الى ما فوق المئتي سنة تراها في هندستها

كنائسهم يوم اخذوا يتقرّبون في مناسكهم وطقوسهم من الكنيسة اللاتينيــة (١ ويقتدون بها في شؤون كثيرة. كما لحظ ذلك مرارًا مؤرخو الموارنة انفسهم (٢

هذا وقد اسفنا على انَّ البُناة الذين سعوا في ترميم بعض الكنائس القديمة هدموا الحنايا السابقة او غيّروا صورتها ما امكن. فترى مثلًا الحنــايا الثلاث التي كانت في كنيسة مار دانيال في حدث الجبَّة قد باد أثرها تامًا

ومن خواص البيع المارونيَّة القديمة قببُها . وممَّا استحسنَّاهُ من هذا القبيل قبَّــة كنيسة مار اليــاس بين عبدلِه وتولا وهي تشبه قبَّــة كنيسة جُبَيل. بيدَ انَّ هذه الكنيسة مهملةٌ يتنازع ملكها اهل القريتين

ولكثيرٍ من الكنائس دهليز او رواق مقبَّب الشكل كما ترى في كنيسة كفرحيَ وفي كنيستي بجديدات اعني مار نيقولا ومار تادروس وفي كنائس مار يوحنا المعمدان في اده (جبيل) ورشكيدا ومسرح

هذه السمات الثلاث اي الحنيَّة والقبَّة والرواق هي التي تعمُّ كنائس الموارنــة قديمًا اللهمَّ الَّا الدهليز فانَّنا لم نجدهُ في قسم منها

*

هلمَّ نعتــبر الآن ما اختصَّت بهِ بعض هذه الكنائس دون غيرهــا . فمن ذلك ان بعضها كان ذا ثلاثة اسواق كبيعة جبيل وان اعترض علينا احد بانَّ هذه الكنيسة من بناء الصليبيين فلا علاقة لها مع كنائس الموارنة أحلْناهُ الى مثل كنائس أُخرى بُنيت في وسط المقاطعات المارونيَّة كبيعة معاد ورشكيدا ومار جرجس في اهدن

فكنيسة معاد من اجمل كنائس لبنان بناءً وهندســةً لولا انَّ مُرمّميها لم يعرفوا قدر الآثار القديمة فانهم لم يحسنوا إصلاحها وطمسوا كثيرًا من محاسنهــا وأزالوا حنيَّتها ومحقوا نقوشها البديعة وكان لهذه الكنيسة ثلاثــة اسواق غير انَّها اقصر من كنيسة جبيل ودونهــا في العلوّ . ولعَمَدها رؤوس اكِلَّةٍ من الطرزين الهندسيَّــين الاقدَمين اي الطرز اليوني (ionien) والدوري (dorique). اصلهما من بقايا هيكلٍ

---

١) ومنذ ذاك العهــد ايضاً ترك الموارنة بعض العادات الجارية عند اليونان وباقي الطوائف الشرقية. ولعلَّهم تخيَّلوا انَّ بناء الحنايا من الابنية المخصوصة بالروم

٢) راجع مقدَّمة كتاب الدويهي المعنون بمنارة الاقداس (ص ٧)

وفي واقع الحال اذا اجتزنا نهر ابراهيم وتوغّلنا في بلاد جبيل وجدنا عددًا وافرًا من هذه الكنائس. وهذا العدد يزيد على قدر مسيرنا الى الشمال. ولا غرو لأنّ هذه الاصقاع هي مهد الأُمة المارونيّة وموطنها الاوّل درجت منهُ فامتدّت في انحاء لبنان فجهات سوريّة فأقطار المشرق حتى بلغ ابناؤها في عهدنا الغرب ودخلوا العالم الجديد. فان وُجد شيءٌ من آثار ابنيتها الدينيّة القديمة فهي عند مركزها الاوّل وفي محلّ عزّها

*

قد اجمع علماء العاديّات انّ لهندسة الكنائس المسيحيّة منذ بدء النصرانيّة خواصَّ مشتركة تشمل كلّ البلاد إن غربيّة وإن شرقيّة مع ما يُرى فيها من الاختلافات الطارئة عليها بسبب تقلّب الاحوال ودواعي الظّروف. ومن هذه الخواصّ تقسيم الكنائس المسيحيّة سالفًا الى ثلاثة اقسام الحنيّة او المحراب (abside) ثم السوق (nef) ثم الرواق او الدهليز (portique). وبيع الموارنة القديمة لا تشذّ في ذلك عن غيرها من معابد المسيحيين العهيدة

فاذا اعتبرنا اوّلًا هيئة الحنيّة وجدناها شبيهةً بالحنايا اليونانيّة اي انّها مجوّفة في الداخل ناتئة في الخارج على شكلٍ مستدير كما ترى في كنائس اهدن وكفرحي ومار نهرا وسيّدة سمر جبيل ومار ضومط في تولا ومار الياس (كنيسة واقعة بين تولا وعبدلّه) ومسرح وبجديدات وادّه (في بلاد البترون) وادّه (في بلاد جبيل) وفي جوار ادّه هذه عدّة معابد وبيع بُنيت على هذا المثال

هذا ولم ننظُم داعل في سلك القرى المذكورة مع انّ كنيستها المتهدّمة ذات حنيّة ظاهرة الى عهدنا. لأننا نظنّ انّ هذه الكنيسة كانت في الاصل هيكلًا للاصنام ثمّ حوّلها الاهلون الى معبدٍ مسيحيّ على اسم القديس تادروس الشهيد. وبين رَدْمها جدران ماثلة حسنة البناء فيها آثار خطوط كوفية مطموسة. وترى مثل هذه الخطوط في حلتا في كنيسة السيدة القديمة. وكنيسة داعل المذكورة يزورها المتاولة ويكرمونها ولهم عند اطلالها سنديانة كبرى لا يمسّها احد

ولو أردنا ان نسرد اسماء كلّ الكنائس القديمة المارونيّة التي جُعل لها حنيّة مستديرة لطال بنا الكلام. ولعلّ المشكاة التي يجعلها الموارنة وراء المذبح الكبير مثال صغير لهذه الحنايا القديمة اتّخذوها كذكرٍ لها. ولا ريب انّ الموارنة اهملوا بناء الحنايا في

غاية في الحسن تقوم على ذاتها ووراءها المُوفه (السكرستيّا) فُتح لهُ نافذةٌ جنوبيّة .
وكان لهذه الكنيسة اربع قناطر رفيعة اثنتان للجانب الايمن واثنتان للأَيسر يتعلّق
طرف الواحدة بجانب الحنيّة وطرف الاخرى بالحائط الغربيّ »

فهذه التفاصيل تنبئنا بأَنَّ كنيسة حدتون لم تُشبه غيرها من الكنائس السابق
ذكرها وهي كلّها مقبّبة ذات بابٍ واحد ليس الّا . اما العواميد التي كانت في داخلها
فنُرجح انّها نُقلت اليها من بناية قديمة كهيكل وثنيّ او غير ذلك

وكان حضرة الاب نعمة الله سأَلنا في كتاباتهِ مرارًا ان ندلّهُ على اسم اي قدّيس
شيّدت هذه الكنيسة لأَنهُ تحفّى في السؤَال عن الامر لدى العامّة وبحث عن تقليد
الشيوخ فلم يفز بالمرام

قلنا انّنا نحن ايضاً بحثنا عن هذا في ما تيسّر لنا من التآليف فلم نحظَ بالمقصود.
ولعلَّ ذلك يمكن استخلاصهُ من كتابة يونانيّة دلّنا عليها اهل حدتون . وهذه الكتابة
كانت مكتوبة على طوق من النحاس كانت تُناط بهِ ثُريّا او ما شاكلها . ومضمون
الكتابة ما تعريبهُ : « في عهد حنّا كاهن مار الياس » يريد كنيسة مار الياس . فيترجّح
من هذا ان الكنيسة المذكورة كانت على اسم القديس اليّا النبيّ لأَنَّ لحدتون كنيسة
أُخرى قديمة مخصَّصة بالعذراء الطاهرة وهي باقية الى اليوم

*

هذا وان سياق كلامنا عن رشكيدا ومعاد وحدتون قد بلغ بنا الى ان نبسط المقال
عن النقوش التي كانت الكنائس المارونية مزيّنةً بها . ولا مراء انَّ تصاوير كنيسة معاد
كانت بديعةً جدًّا كما ينبئ على ذلك ما بقي منها على جدرانها وقد ذهب اكثرها
بترميم محراب الكنيسة . وممّا افادني شيوخ القرية انّهم لو ازالوا الردم الذي هناك لوجدوا
امثالًا تصويريّة حسنة من جملتها صورة مار يوحنّا مارون . وفي تاريخ الموارنة للدويهي ما
يؤيّد زعمهم قال (في حاشية الصفحة ٣٦٨) : « وفي حنايهما (يريد كنيستي معاد
وبجديدات) مكتوب « ان الله صباؤوت » ومصوّر على حيطانهما مار مارون ومار
قبريان بالتيجان على رؤُوسهما والدروع على اكتافهما » . فيا ليت اصحاب الامر يتولّون
هذا العمل وينتزعون التصاوير من تحت الردم ولنا الأَمل انهم يلقون مع التصاوير
كتابات قديمة بالخط الاسطرنجيليّ تفيدهم علماً عن اخبار قديسي الكنيسة المارونية .

قديم مع آثار أُخرى راجع ما كتبناهُ عن معاد في المشرق (٣ : ٥٤٤) . وفي الكنيسة المذكورة قبور ترتقي الى متوسَّط القرون . وبازاء معاد قرية تدعى صغار لها كنيسة ذات سوقين في اعلاها حنيّتان

امَّا كنيسة رشكيدا فتستحقُّ ذكرًا خصوصيًا لقلّة شهرتها . والحقُّ يقال ان الدهش اخذ منَّا مأخذهُ لمَّا صادفنا هذا المعبد الجميل في مزرعةٍ حقيرة مجهولة يسكنها المتاولة على مسافة عشر دقائق من عبرين

فلكنيسة رشكيدا رواقٌ واسع كانت سعتهُ في سالف العهد اعظم منها اليوم . والمكان باسم القديس جاورجيوس الشهيد لهُ ثلاثة اسواق مثل كنيسة معاد والسوق الاوسط ينتهي بحنيَّة وراءها قبَّة كبيرة او بالاحرى ثلاث حنايا يندهش لمرآها الناظر . فطلبنا لهذه الصورة الهندسية الغريبة شرحًا يكشف لنا سرَّها المكنون فغلب ظنَّنا انَّ الكنيسة كانت سابقًا اكبر منها اليوم فرمَّمها البُناة واقتصروا منها على هذا القسم الباقي . ولإثبات هذا الظنّ ادلَّة تتبادر الى ذهن زائرها ولولا خوف الاطالة لعرضناها هنا . ونكتفي اليوم بأنَّا عرَّفنا القرَّاء بوجود هذه التحفة الهندسيَّة وسنلمح اليها في مطاوي الكلام غير مرَّةٍ (١

ومن الكنائس القديمة الجديرة بالاعتبار كنيسة حدتون كان بقي منها بعض الاخربة قبل سنين قليلة . فلمَّا بُنيت البيعة الجديدة تضعضعت تلك البقايا دون ان يمكنَّا آنئذٍ زيارتها . ولرينان في وصفها فقرةٌ موجزة اثبتها في بعثتهِ الفينيقيَّة (ص ٢٥٥) فزاد بمطالعتها أسفُنا على فقد هذا الأثر البهيج . وكان في هذه الكنيسة عمودان تزينهما الكتابات القديمة التي رسمها رينان رسمًا لا يكاد يُستخلص منهُ معنًى . وكلُّ هذه الآثار من عَمد وجدران قد طُمست وقت البناية الجديدة

وقد تفضَّل حضرة الخوري نعمة الله نصَّار فارسل الينا كتابًا ضمَّنهُ عدَّة افادات عن هذه الكنيسة الجميلة فقال في وصفها « انَّها كانت ذات ثلاثة أسواق وفيها سبعة ابواب ثلاثة لجهة الغرب ضمن دهليز مُتقن وبابٌ لجهة الجنوب ولهُ ايضًا دهليز خاصّ وبابٌ للشمال ضمنَ دهليز طبيعي منقور في الصخر وبابان على جانبي الحنيَّة وهي كانت

١) زعم رينان في بعثة فينيقية انَّ في جدار هذه الكنيسة كتابةً قديمةً استدلَّ عليها . وعندنا انَّ لا وجود لهذا الأثر لأنَّ الاهلين يجهلونهُ مطلقًا

شيء. وما يزيدنا اسفاً على فقدها انَّ نقوش بعضها كانت موَّرخة كبيعة مار نهرا في اده من بلاد البترون فانَّ تاريخها كان يرتقي الى سنة ١٥٧٥ لليونان اي ١٢٦٣ للمسيح (راجع الدويهي ص ١١٢)

وان سأَل سائل من اي طرز كانت النقوش والتصاوير التي سبق ذكرها اجبنا انَّها كانت كلها من الشكل البوزنطي فانَّ من يقابل بينهما وبين النقوش البوزنطيَّة من حيث طريقة التصوير والالوان وهيئات الاشخاص لا يرى بين الطرزين اختلافاً يُذكر فيحكم بلا شكّ ان مصوّري هذه التصاوير اخذوا الفنّ عن البوزنطيين كما تلمح الى ذلك الكتابة اليونانيَّة التي في كنيسة كفر شليمان. امَّا اصل هوُلاء المصوّرين فنظنُّ انَّهم كانوا من الشام كفى دليلًا على ذلك الخطوط السريانيَّة المحدقة بالصور

وقد بقيت عادة الموارنة على نقش كنائسهم في لبنان زمناً طويلًا. اخبر الدويهي (ص ١٨١) في تاريخ سنة ١٥٨٧ ان الخوري انطون من بيت الجميّل بنى كنيسة مار عبدا في قرية بكفيَّا وصوَّرها على يد الشدياق الياس الحصروني وانفق عليها الف قبرسيّ ما عدا أكلاف اهل بكفيَّا وغيرهم من المحسنين». ولا بدع انَّ هذه التصاوير كانت محكمة الصنع لعظم المبلغ الذي صرفهُ باني الكنيسة

كذلك زيّن الحبر الجليل اسطفان الدويهي كنيسة قنُّوبين بالتصاوير والنقوش. بقيت منها الى اليوم صورة العذراء امّ الله ترى عند اقدامها بطاركة الموارنة جاثين امامها. بيد انَّ هذا التصوير ليس بمتقن على انَّهُ يلوح من خلالهِ انَّ صاحبهُ يحاول تقليد المصوّرين الفرنج

ويلحق بهذا الباب نقوش أُخرى كانوا الموارنة يحبُّون ان يزينوا بها كنائسهم وهي الفسيفساء. فهذه العادة وان كانت شائعة في بلاد كثيرة كانت في بلاد الشام أشيع واعمّ حسْبُنا ذكر الفسيفساء المكتشفة حديثاً في مادبا في متصرّفيَّة الكرك وقطر الموآبيين القديم قد نُقش فيها رسم بلاد فلسطين

وكذلك كان صحن كنائس كثيرة الموارنة مجمَّلًا بالفسيفساء. وقد وقفت على صحَّة هذا الامر بنفسي في كنيسة القديس جاورجيوس في مسرح فانَّ آثار هذه النقوش باقيَّة حتى الآن. وكان ايضاً لكنيسة كور التي هدمت منذ قريب ترصيع من الفسيفساء. افادنا الامر حضرة الابوين الفاضلين الخوري بطرس ارسانيوس رئيس

امَّا تصاوير كنيسة رشكيدا فقد باد اكثرها الَّا ما يراهُ الناظر في جهة المحراب وهي رؤوس متقنة التصوير تدلُّ على ما كان ثمَّت من النقوش الجميلة

ومن الكنائس المزخرفة بالتصاوير كنيستان على اسم مار جرجس في اهدن وعبدلِّه وكنيسة مار تادروس في بجديدات قد صبرت على عوارض الزمان ولو اراد السكَّان لأَمكنهم ان يجدّدوها بعد ازالة الملاط الذي يحجب قسمًا منها مع صيانتها عن الرطوبة. وممَّا يُرى في جدران مار تادروس صور الكروبيم يحملون بين ايديهم تسبحة التقديس (Trisagion) مكتوبة بحروف اسطرنجيليَّة ولبقيَّة تصاوير هذه الكنيسة كتابات سريانيَّة تُعرِّف موضوعها واسماء الاشخاص المصوَّرين فيها. فلا يخلو البحث عنها من الفائدة

وكنت ارغب كثيرًا في زيارة كنيسة مار سركيس المجاورة لشبطين لأنّي ما كنتُ قرأتُ في بعثة فينيقيَّة لرينان (ص٢٥١) انَّ هذه البيعة مجمَّلة بتصاوير بديعة ظنَّ انها ترتقي الى القرن السابع او الثامن تمثِّل على زعمهِ السيد المسيح ورسلهُ الابرار وأردف انَّ وراء الهيكل قد بقي منها صور رؤوس جميلة. فزرتُ الكنيسة الَّا اني لم اجد لهذه التصاوير اثرًا البتَّة

وفي كفر شليمان معبد صغير غريب الشكل نُقر في الصخر يدعى سيدة نايا (١ وقد تبيّن لنا من فحصها انها كانت سابقًا مدفنًا ثمَّ جُعلت معبدًا (٢. استدللنا على ذلك بصغر المعبد وهيئتهِ وارتفاعهِ فوق الحضيض بعدَّة اذرع. وترى في سقف هذا المعبد فوق مذبحهِ وعلى جناحي الهيكل نقوش وتصاوير اسودَّ قسم منها بسناج السُرُج وهبوة البخور الذي يوقد امام صورة العذراء هنالك. وفي الزاوية القريبة من الباب صليب في تربيعهِ كتابة يونانيَّة مؤدَّاها: « قد انتصر يسوع المسيح ». وعلى شمال الصليب صورة رامٍ بالقوس. وعلى يمينه وحش غريب لعلَّهم ارادوا بهِ الشيطان الرجيم فيكون المصوّر اشار بذلك الى انتصار المسيح على قوَّات الجحيم بصليبهِ

وقد ذكر الدويهي في تاريخهِ كنائس أُخر تزينها التصاوير القديمة لم يبقَ اليوم منها

---

١) لعلَّ هذه اللفظة يونانيَّة الاصل « νέα » اي جديدة فيكون المعنى « السيدة الجديدة »

٢) وبقرب السراية المبنيَّة حديثًا في قرية اميون كنيسة مثل كنيسة كفر شليمان على اسم القديسة مارينا كانت ايضًا مدفنًا ثمَّ حوّلت الى معبد

هذا واول ما يتحتَّم البحث عنهُ هنا طريقة العرب لقياس الازمنة في شعرهم. ولمَّا كانت هذه الازمنة كما بيَّنَّا هي ازمنة الحركات والسَّكَنات اي ازمنة مقاطع الحروف يمكن تحويل المسأَلة الى هذه : كيف تقاس المقاطع في الشعر العربيّ. امَّا المقطع (syllabe) فهو كما جاء عند الاصوليين على نوعين : حرفٌ مع حركة نحو: « بَ نَ » ندعوهُ « المقطع المتحرّك » او حرفان ثانيها ساكن وندعوهُ « المقطع الساكن » نحو: « بَلْ ما ». وذلك وفقًا لايقاع الغناء وفيهِ ايضًا النقرات المتحرّكة والساكنة (١

واعلم انَّ لقياس المقاطع طريقتين: فإمَّا ان تعتبرها متساوية. واما غير متساوية. فان كانت المقاطع متساوية رجع قياسُ مقاطعها الى عَدّها ليس الَّا. فتتساوى جملتان زمنًا اذا تساوى عدد مقاطعهما. والنظم في هذه الطريقة يدعى مقطعيًّا (versifica-tion syllabique). ومن هذا الجنس النظم الفرنسويّ

مثال ذلك البحر المعروف عندهم بالاسكندريّ (vers alexandrin) فهو عبارة عن ١٢ مقطعًا متساويًا تنقسم الى شطرين

C'é|tait | pen|dant | l'hor|reur | | d'u|ne | pro|fon|de | nuit

فلا فرق بين هذه المقاطع من حيث ازمنتها

امَّا المقاطع غير المتساوية فلا يُلتفت فيها الى العدد بل الى القياس ويُدعى النظم المبنيّ عليها قياسيًّا (versification métrique) مثالهُ النظم عند قدماء اللاتين واليونان فان اخذت مثلًا البحر الذي يدعونهُ مسدَّس الاجزاء (hexamètre) تجد انَّ مقاطعهُ قسمان سريعة (◡) وقياسها زمن واحد. وبطيئة (—) وقياسها زمنان ثم انَّ كل بيت من البحر المذكور يتألَّف من ستَّة اجزاء متساوية وكل جزء من ثلاثة مقاطع بطيء فسريعين (— ◡ ◡) يدعونهُ اصبعًا (dactyle). فيكون البيت على هذا الشكل :

— ◡ ◡ | — ◡ ◡ | — ◡ ◡ | — ◡ ◡ | — ◡ ◡ | — ◡ (◡)

ويسقط مقطعهُ الاخير. ويجوز في كلّ الاجزاء الَّا الخامس بَدْل المقطعين السريعين

---

١) قال الفارابيّ (طبعة كسغارتن ص ١٥٠): « والنَّقْرة التي تعقبها وقفة تسمّيها العرب « النقرة الساكنة » والتي لا تعقبها وقفة ولكن يعقبها حركة الى نغمةٍ أُخرى يسمُّونها « النَّقرة المتحرّكة »

مدرسة مار يوحنا مارون والخوري بولس طعمه ومولد كليهما في هذه القرية

امَّا كنيسة حدتون فقد افادنا عن فسيفسائها حضرة الاب نعمة الله ما يلي قال: وكانت الكنيسة مبلَّطة بصغار الحجارة المنقوشة وكان اجمل هذه النقوش في السكرستيا ملوَّنة بالوان عديدة كالاحمر والاخضر والازرق والاصفر والسمانجونيّ الخ والحجرُ فيها لا يكبر قطعًا عن السنتيمتر المكعَّب. ويستدلُّ على حُسن رسومها واحكام صنعها من ذات تركيب الحصى. امَّا ارض الكنيسة فكانت مبلَّطة بهذه الفسيفساء الَّا انها اقلّ اتقانًا. منها ايضًا دهليز الخارج فانَّ حجرهُ يكبر سنتيمترين»

هذا بعض ما تسنَّى لنا جمعهُ عن فسيفساء الكنائس في لبنان ولا شكَّ ان بيعًا أُخرى قديمة كانت مزيَّنة بها فمن افادنا عن ذلك شكرنا لهُ فضلهُ سلفًا (ستأتي البقية)

الايقاع في الشعر العربي

للاب خليل ادّه اليسوعي (تابع لما سبق)

٢

قد مرَّ بك في المقالة السابقة (٩٣٦) تعريف الايقاع عمومًا وما لهُ من حسن الوقع في النفوس وكيف تقوم بهِ حقيقة النظم وقلنا ايضًا ان علم العروض لا يطلعنا على ايقاعات الابحر ولا يذكر قطّ قياسات الازمنة وطُرُق تنسيقها انَّما يكتفي باظهار الترتيب الذي يجب حفظهُ بين الاحرف الساكنة والمتحركة حتى يتألف منها كلام يلذّ سمعهُ. فكأنهُ بسط لنا مادَّة الايقاع وطوى صورتهُ. وقد رأينا ان الطريق الى كشف هذا السرّ ان نقابل بين الشعر والغناء لعلَّنا نجد اتفاقًا بينهما في تأليف ايقاعهما ولذا ذكرنا بعض اصول الايقاع الغنائيّ فبقي علينا ان نرى مطابقتهُ للشعر ان امكن

ولقد كان الامر تسهَّل علينا جدًّا لو فطن العروضيُّون بعد كلامهم عن اصول الايقاع التي هي كالاجزاء تتركَّب منها الأَدوار واوضحوا لنا تلك الاجزاء وشرحوا الأَدوار بالتفصيل ليُعرف من اي اصول يتألف كلُّ دور منها (١). ثمَّ ما يزيد الصعوبة اختلاف المُسمَّى مع مطابقة الاسماء. ليس للرمل مثلًا صورة واحدة وقياس واحد عند المؤلفين

١) لم يذهل الفارابي عن هذا الامر لكن النسخة التي ترجمها كُسْغارتن ناقصة. ثمَّ في كلام المؤلف ابهامٌ

للمقاطع الساكنة قياسٌ واحد وكذلك هل للمقاطع المتحركة قياس واحد وما هي النسبة بين القياسين

أُجيب ان تساوي الازمنة في المقاطع الساكنة كما في المقاطع المتحركة ونسبة الاولى الى الثانية يظهر مما سبق ايرادهُ عن الايقاع الغنائي(١ لانهم لمَّا اقاموا مقطع « تَ » مقام الزمن الاوَّل سريع الهزج ومقطع « تَنْ » مقام الزمن الثاني خفيف الهزج اعتبروا في الواقع مقطع « تَنْ » كضعف « تَ »

ولكن أتصحّ هذه القاعدة في الشعر كما في الغناء ؟ أُجيب انَّها تصحُّ في بعض البحور كالكامل مثلًا والوافر فانَّ عددتَ التفاعيل الاصليَّة فيهما او الجوازات المأنوسة وجدتَ عددَ الازمنة متساويًا على حدّ سوًى . فالكامل مثلًا تفاعيلهُ الاصليَّة « مُتَفاعِلُنْ » ستّ مرَّات . فيها خمسة مقاطع ثلاثة منها سريعة « مُ تَ عِ » تساوي ثلاثة ازمنة ومقطعان بطيئان يساويان اربعة ازمنة والمجموع ٧ ازمنة . فان بدلنا « مُتَفاعِلُنْ » بما يجوز فيها اي « مُسْتَفْعِلُنْ » لم تختلف الازمنة باسقاط النَّقرة الثانية . وبقي ايقاع الشعر محكمًا لانَّ بقاء عدد الازمنة من الشروط اللازبة للايقاع الموزون . فلا بأس اذن من اقامة « مُسْتَفْعِلُنْ » بدلًا عن « مُتَفاعِلُنْ » وعدد ازمنة كليهما سبعة . وكذلك في الوافر يصحُّ اقامة : « مَفَاعِيلُنْ » عوضًا عن « مُفَاعَلَتُنْ » لتساوي عدد ازمنتهما مع اختلاف عدد المقاطع

وان اعترض علينا احد انَّ « مُتَفَاعِلُنْ ومُفَاعَلَتُنْ » يدخل عليهما زحافات أُخر فتصيران مثلًا « مَفَاعِلُنْ ومُفْتَعِلُنْ » فيختلف عدد الازمنة في البيت بدخولها . اجبنا انَّ هذه الزحافات غير مأنوسة نحسبها ضربًا من الشذوذ او بالاحرى من الخلل

ولكن إنْ صحَّ هذا القول في الغالب عن بعض البحور ليس الامر كذلك في غيرها فانَّنا نرى البسيط مثلًا المركَّب من « مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ » مرَّات يبلغ عدد ازمنتهِ ٤٨ زمنًا . لكنَّهُ يجوز في تفاعيلهِ « مَفَاعِلُنْ » بدلًا من « مُسْتَفْعِلُنْ » . و « فَعِلُنْ » بدلًا من « فَاعِلُنْ » بسقوط زمنٍ من كلّ جزء . فتختلف الازمنة ويتلاشى الايقاع وهذا خَلَلٌ فادح . فما قولنا ؟ اتكون القاعدة فاسدة مطلقًا ؟ كلَّا وقد رأيناها صحيحة على

---

١) راجع ما قيل سابقًا (ص ٩٦١) عن سريع الهزج وخفيفهِ

بمقطع واحد بطيء فيصبح الجزء الاصليّ مؤلفًا من بطيئين (— — spondée). وسبب جواز ذلك انّ عدد ازمنة الجزئين (ᵕᵕ—) و (— —) مع اختلاف عدد مقاطعهما يبقى ثابتًا لا يتغيّر فهو في الاول ١ + ١ + ٢ = ٤ وفي الثاني ٢ + ٢ = ٤

واعلم انّهُ يجوز اتّفاق عدد المقاطع واقيستها فيتولّد جنسٌ ثالث من النظم يجمع بين الطريقتين وهو اجدر بان يُلحق بالنظم القياسيّ

٣

فاذا ثبتت لديك هذه المقدّمات عن النظم المقطعيّ وعن النظم القياسيّ سألنا عن الشعر العربيّ أيدخل في النوع الاول او حقّهُ ان يُنظَم في النوع الثاني ؟

لا شكّ انّ الشعر العربي ليس هو مقطعيًا فقط مثال ذلك هذان البيتان لابن الفارض :

يا ساكني نجدٍ أما من رحمةٍ لأسير إلفٍ لا يريد سراحا
فاذا ذكرتكمُ اميلُ كأنني من طيب ذكركمْ سُقيت الراحا

فان مقاطع البيت الاوّل تبلغ خمسة وعشرين عدًا . اما البيت الثاني فعددُ مقاطعهِ سبعة وعشرون. وكذلك يختلف عدد المقاطع بين الشطرين الاوّلين والآخرين. نعم انّ هذا الاختلاف بين عدد المقاطع لا يقع في كل البحور ولذلك قلنا انّ الشعر العربيّ ليس هو مقطعيًا « فقط » ولكن هذا يكفي لبيان قولنا انّ المقاطع فيهِ لا تُعدُّ فقط بل تقاس ايضًا . ثمّ وجود التفاعيل في النظم العربيّ يدلُّ على ذلك صريحًا . وزد عليهِ ما نقلناهُ سابقًا عن الفارابيّ (ص ٩٤٣) انّ الشعر العربيّ « ليس فيهِ ايقاع موصّل اصلًا »

فان كان للمقاطع في الشعر قياس تُرى ما هي الوسيلة الى معرفتهِ ؟

اعلم ان في تنويع المقاطع وتقسيمها الى متحركة وساكنة دليلًا على انّ ازمنتها تختلف وان ازمنة المقاطع الساكنة اطول من المتحركة لأنّ الساكنة (كلَا وبلْ) تتركب في الحقيقة من مقطعين اولها متحرّك ظاهرُ الحركة محسوسها والثاني خفيّ الحركة مُطبقها كالحرف المختلس عند الفرنج (syllabe muette). والحقّ يقال انّ الحرف الثاني لو لم يكن متحركًا بعض الحركة لاستحال النطق بهِ

وكأني بك تقول أُسلّم لك بانّ المقاطع الساكنة اطول من المتحركة ولكن هل

(١٨٨١ . ص ٦٩) = ٥ ذخيرة الالباب في بيان الكتاب للعلّامة جَنْسان عرَّبهُ الخوري نعمة الله كرم (١٨٨٤ . ص ٨٣٠) = ٦ عنوان البيان وبستان الاذهان للخوري كرلوس مرتينوس . الجزء الاول عرَّبهُ الخوري بولس زغبي والقس بطرس التولاوي (١٨٨٤ . ص ٢٥٤) = ٧ قسطاس الاحكام تعريب الخوري نعمة الله كرم (١٨٩٠ . ص ٢٧٢) = ٨ كتاب التعليم المسيحي الروماني تعريب الخوري يوسف ضاهر البستاني (١٨٩١ . ص ٧٤٣)

٢ (الكتب الطقسيَّة) ١ المزامير (طُبع مرارًا) = ٢ فصول من رسائل القديس بولس الرسول بالكرشوني (١٨٨٦ . ص ٣٦٦) = ٣ كتاب الجنازات والمياح والطلبات البيعيَّة (١٨٨٤ . ص ٢٥٢) = ٤ عجالة من كتاب الخطب البيعيَّة بحسب طقس الكنيسة المارونية (١٨٨٢ . ص ٢٢٠) = ٤ نبذة تاريخيَّة في الفروض البيعية لسيد المطران يوسف الدبس (١٨٩٠ . ص ٨٧) = ٥ كتاب القداس الالهي بالسريانية (١٨٨٨ . ص ٢٤٠) = ٦ الناقور اليومي من كتاب القدَّاس الالهي (١٨٨٨ . ص ٥٧) = ٧ الشحيم الكبير (١٨٩٠ . ص ٥١٠) = ٨ كتاب رتب توزيع بعض الاسرار الالهية واحتفالات كنسيَّة (١٨٩١ . ص ٢٦١) = ٩ خطبة في اثبات وجود جسد ودم المخلّص في الاوخارستيّا للسيد يوسف الدبس (١٨٩٣ . ص ٦٣) = ١٠ تقسيم الميراث لهُ

٣ (الكُتُب المدرسية والادبية والعلمية) ١ مربّي الصغار ومرقّي الكبار (١٨٧٩ . ص ٤٧) ٢ كتاب العقد البديع في فنّ البديع للخوري بولس عوَّاد (١٨٨١ . ص ١٨٠) = ٣ خطاب في التاريخ العام لبوسويت عرَّبهُ شاكر افندي عون وعبدالله افندي البستاني ١٨٨٢ . ص ٣٤٤) = ٤ نبذتان من اثمار الدائرة العلمية المارونيَّة ١٨٨٢ . ص ١١٨) = ٥ مبادئ القراءة الفرنساويَّة لعزتلو غطَّاس افندي (١٨٨٤ . ص ١٠٨) = ٦ ريحانة الانس في تهنئة سيادة المطران يوسف الدبس ١٨٨٧ . ص ٢٩٨) = ٧ كتاب صحَّة العين للدكتور شاكر الخوري (١٨٩٠ . ص ٢٣٧) ٨ كتاب تاريخ سوريًّا للحبر الجليل المطران يوسف الدبس اربعة اجزاء نحو ٢٣٠٠ صفحة (١٨٩٥—١٩٠٠) = ٩ عرفان الجميل لصاحب اليوبيل (١٨٩٧ . ص ٤٨٧ و 74)

٣ مطبعة المصباح (وهي المطبعة السابقة بعينها)

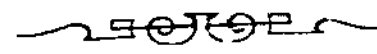
١ جريدة المصباح (١٨٨٠ — ١٨٩٩) = ٢ المنظومات الدريَّة في مدح الحضرة العليَّة (١٨٨٦ . ص ١٧) = ٣ المنظومات في التهنئات (١٨٨٥ . ص ١٢) = ٤ مطبوعات قانونية وفقهيَّة عديدة لعزتلو نقولا افندي النقَّاش

٤ المطبعة الكليَّة (راجع ما قيل فيها ص ١٠٠١)

١ ترجمان المكاتبات (تجديد طبعهِ سنة ١٨٧٣ . ص ٩٨) = ٢ انيس الجليس نظم يوسف افندي الشلفون (١٨٧٤ . ص ١٢٨) = ٣ طبيب العائلة للدكتور مورو (١٨٧٤ . ص ٩٦) = ٤ السَّهم الصَّائب في تخطئة غنية الطالب للمعلّم سعيد افندي الشرتوني (١٨٧٤ . ص ٨٦) = ٥ رواية ميّ لسليم خليل نقَّاش (١٨٧٥ . ص ١٠٢) = ٦ الروضة الزهيَّة في الاعمال المتجريَّة المعلم سليم غالية (١٨٧٥ . ص ١١٢) = ٧ شرح القانون التجاري العثماني تأليف تيوفيل بيات عرَّبهُ الشيخ اسكندر دحداح (١٨٧٦ . ص ٩٥٦) = ٨ السراج الوهَّاج وهو منهاج لصيغة سنَّة

الغالب في الوافر والكامل(١٠ هل نقول انَّ العرب لم يبالوا بمثل هذا الخلل ؟ لا لعمري فاننا لا نسلم بما يسلب الشعر العربيّ رونقهُ مع ما نعرفهُ من سلامة ذوق الاقدمين

ثمَّ كيف يقبل العقل انَّ العرب اجازوا في شعرهم ما لم يجيزوهُ قطّ في اوزان الغناء. قال صاحب الرسالة الشرقية في اوَّل مقالتهِ الخامسة عن الايقاع: «اذا ازدادت نقرات احدى الجملتين على الاخرى ولو بنقرة (او زمن) فانَّهُ يخيل في النفس خروجًا عن اعتدال الوزن فلا تقبلهُ النفس فكيف بثماني نقرات او ازمنة (٢)». فبقي قول آخر وهو ان القاعدة مع صحَّتها ليست بكاملة وانَّ بين المقاطع المتحركة والساكنة نسبًا غير التي ذكرناها. فيُقتضى علينا البحث عنها (التتمَّة للقادم)



تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

٢ المطبعة العموميَّة الكاثوليكية

هذه هي قائمة الكتب التي طُبعت في المطبعة العمومية مُنذ لُقِبت بالكاثوليكيّة:

١ (الكُتب الدينيَّة عمومًا) ١ مختصر المقالات اللّاهوتية للاب يوحنّا بيرُّوني اليسوعي. ثلاثة اجزاء (١٨٧٧—١٨٨١. ص ٥١٢ و ٥٨٤ و ٦٠٦) = ٢ مختصر اللاهوت الادبي للاب يوحنّا غوري اليسوعي جزءان (١٨٧٩—١٨٨٢. ص ١٠٧٤ و ١٠٦٢) = ٣ العقائد المسيحيَّة لتعليم اولاد المكاتب الابتدائية (١٨٨١. ص ٤٧) = ٤ ترجمة القديس مارون الراهب اب الطائفة المارونيَّة

---

١) قد حاول بعض العلماء من المستشرقين مثل غويار (Guyard) وهرتمن (M. Hartmann) حلّ هذا المشكل وسنورد ان شاء الله رأيهم في مقالة اخرى

٢) اطلب المجلة الاسيويَّة (J. A. 1891, II, p. 292). قال ايضًا صاحب الرسالة الشرقية: «وبين الشعر والايقاع (ايقاع الغناء) تناسب من وجهٍ فانَّ كثيرًا ممَّن لهُ ذهن وقَّاد وسرعة هجوم على ادراك الحقائق ينشد البيت منصوفًا (؟) بل مكسورًا ولا يُحسن بهِ وذلك امَّا بحسب اعتياد او بحسب نقص في الطبيعة او لسبب آخر. كذلك الايقاع فانَّا نجد كثيرًا ممَّن لهُ ذهن وقّاد وفهم ثاقب ورياضة وافرة في اصناف علوم شتَّى تتحرَّك اعضاؤهُ عند سماع الايقاع على هيئة غير موزونة». فيظهر من ثمَّ ان البعض يحسنون انشاد البيت فيوفُّون المواقع حقَّها من الازمنة بخلاف غيرهم ممَّن يسيئُون الإنشاد بعدم مراعاتها

وفوق احد بابيهِ رخامة كُتب عليها « المطبعة المخلصيَّة سنة ١٨٦٥ » وكان ذلك في ايَّام رئيسها العام الجليل الاب حنا كحيل. وكان رئيساً على مربط بيروت الاب الفاضل اسطفان صوصه. ولا يزال قسم من ادواتها القديمة موجوداً الى اليوم وقد ابتاع منها القسم الآخر الاديب خليل افندي البدوي صاحب جريدة الاحوال. امَّا الكتب التي طُبعت في هذه المطبعة فنقسمها الى قسمين دينيّ وعلميّ على ترتيبها التاريخي :

١ (الكتب الدينية) ١ً متن المزامير = ٢ً الاكطوبخس = ٣ً كتاب يشتمل على صلوات مقتطفة من السواعية وغيرها (١٨٦٨. ص ٣٨٨) = ٤ً الدرّ المنثور في تفسير الزبور للاب ارنودي (P. Arnoudie) اليسوعي ثلاثة اجزاء (١٨٦٨–١٨٦٩. ص٥٦٤ و ٦٦٤و ٣٧٨)

٢ (الكتب العلميَّة) ١ً طوق الحمامة في مبادئ النحو للشيخ ناصيف اليازجيّ الشهير (١٨٦٥. ص ٣٠) = ٢ً مبادئ علم القراءة العربيَّة (١٨٦٦) = ٣ً فاكهة الندماء في مراسلات الادباء للشيخ ناصيف (١٨٦٦. ص ١١١) = ٤ً الطراز المعلم ارجوزة في المعاني والبيان لهُ (١٨٦٧. ص ٣٥) = ٥ً حديقة الورد وهو ديوان الستّ وردة ابنة الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٧. ص ٤٦) = ٦ً الجمانة في شرح الخزانة وهو مطول في الصرف للشيخ ناصيف طُبع اولًا عند الاميركان ثم في المطبعة المخلصيَّة (١٨٦٧. ص ١٤٠) = ٧ً الجوهر الفرد في موجز الصرف لهُ (١٨٦٧. ص ١١) = ٨ً ملخَّص في الطبّ القديم للشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٦٨. ص ٢٤) = ٩ً نشائد من نظم الشيخ ناصيف (١٨٦٨. ص ١٢) = ١٠ً المدرسة الاسقفية لطائفة الروم الكاثوليك في زحلة (١٨٦٩. ص ١٠) = ١١ً مراثي الدكتور يوسف افندي الحاج (١٨٦٩. ص ٣٦) = ١٢ً النفحة الحزاميَّة من نظم معلميّ وتلامذة المدرسة البطريركية (١٨٦٩. ص ١٧ و ١٨٧٠. ص ٤١) ١٣ً لمحة الطرف في اصول الصرف للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٧٠. ص ١٧) = ١٤ً الاجوبة الجليَّة في الاصول الصرفيَّة لمحمَّد بك تلحوق (١٨٧٠. ص ١٢٩) ثمَّ طُبع في مطابع أُخر = ١٥ً الجدول الصافي في علم العروض والقوافي للقس جرجس مناسا القسطاوي (١٨٧٠. ص ١٠٤) = ١٦ً وفي هذه المطبعة ظهرت اوَّلًا مجلَّة النحلة في ١١ ايَّار سنة ١٨٧٠ (راجع ص ١٠٠٠)

الشهامة في حب القريب

تعريب المعلم الفاضل يوسف ابي سليمان مدرس العربيَّة في كلّيَّة القديس يوسف

اخبرنا من شهد الحوادث المشؤومة التي جرت في فرنسة سنة ١٨٧٠ قال : إنّا لفي اواخر تشرين الاول واذا بشرطيّ على فرس يجري بهِ جريًا حثيثاً قد اتى قريةً من اعمال فرنسة وذهب توًّا الى بيت الشيخ فلم يرَ غيرَ ربَّةِ المنزل حولها ولداها.

الزواج للخوري انطون قندلفت (١٨٦٧. ص١٠٦) = ٩ً قاموس الحساب لسليم افندي الرجيل (١٨٧٨. ص ٢٤٨) = ١٠ً نظام الاجراء لسليم افندي باز (١٨٧٩. ص ٢٧٠) = ١١ً نظام الاجراء لبتراكي افندي العوراء (١٨٨٠. ص١٦) = ١٢ً كنز المكاتبات في الانشاء والمراسلات لداود افندي برتران (١٨٨٢. ص ٥٤)

٦ (المطبعة الشرقيَّة) هذه المطبعة سبقت المطبعة العموميَّة الَّا انها لم تُعرف بالمطبعة الشرقيَّة الَّا بعدها. وإنشاؤُها يرتقي الى سنة ١٨٥٨ كان صاحبها ابراهيم افندي النجار درس الطبّ في مدرسة مصر ثمَّ في الاستانة العليَّة فعيَّنتهُ الحكومة السنيَّة حكيماً اوَّل للمستشفى العسكريّ في بيروت. فتجوَّل سنة ١٨٤٩ في اوربَّة وطبع سنة ١٨٥٠ في مرسيليا كتابهُ «هديَّة الاحباب وهداية الطُلَّاب» في العلوم الطبيعيَّة ثمَّ رجع الى الشام ومعهُ مطبعةٌ اشتراها في فرنسة مع ادواتها وامَّهاتها فاشتغل بها في بيروت. واكثر ما طُبع فيها الاوراق الرسميَّة والنظامات البلديَّة والفذالك التجاريَّة وكُتب قليلة اشهرُها كتاب لصاحب المطبعة ابراهيم افندي في تاريخ سلاطين بني عثمان طبعهُ سنة ١٨٥٨

وفي سنة ١٨٦٣ توفيّ صاحب هذه المطبعة واوصى بطبعتهِ الى السيد الجليل طوبيّا عون مطران بيروت واخذ قسماً من حروفها اخو المتوفّى حنا النجَّار. وممَّا نشرهُ فيها المطران طوبيّا كتاب الانجيل الشريف ترجمة المثلّث الرحمات المطران جرمانوس فرحات طُبع سنة ١٨٦٥ (ص ٢٩٦). ولعلَّهُ طُبع فيها غير ذلك ممَّا لم نقف على ذكرهِ

امَّا حنَّا النجار فانهُ اشترى مطبعة وجعلها عند ساحة البرج فعُرفت بالمطبعة الشرقيَّة واشتغل بالحروف التي اتى بها اخوه وكانت اكثر اشغالهِ مع شركة طريق دمشق. وقد طُبع في هذه المطبعة بعض كتب نسرد هنا اسماءها على حسب تاريخها:

١ً رفيقة التاجر وشقيقة الدفاتر لحبيب افندي سعد (١٨٦٤. ص ٤٨) = ٢ً كتاب تسلية العيلة اقتطفهُ امين فرح الفبغوب (١٨٦٤. ص ٤٠) = ٣ً اصول القراءة العربيَّة والتهذيبات الادبيَّة للقس لويس الصابونجي بحرف نضر مشكل (١٨٦٦. ص ١٥٠) = ٤ً كتاب رحلة باريس لفرنسيس فتح الله مرَّاش (١٨٦٧. ص ٧٣) = ٥ً القوانين التجاريَّة (١٨٦٧. ص ٧٩) = ٦ً المرآة السنيَّة في القواعد العثمانيَّة لمحمَّد فؤَاد باشا. عرَّبهُ القس لويس الصابونجي (١٨٦٧. ص ٢٩٦) = ٧ً هداية الشبان الى عبادة القربان (١٨٧١. ص ١٦٨)

٧ (المطبعة المخلصيَّة) هي مطبعة بيروت السابعة أُنشئت بهمَّة الرهبانيَّة المخلصيَّة كان موقعها في المقام (الانطوش) الذي يسكنهُ الآن آباء هذه الرهبانيَّة.

ولمَّا توارى الجيش عن العيان فتح ربُّ البيت الباب وخرج هو وحليلتهُ وابنتهُ وحملوا الجندي بين ايديهم ونقلوهُ من هناك الى الجادَّة العظمى وألقوهُ تحت سنديانة طويلة الأَغصان كثيفة الافنان وكرُّوا راجعين أَسرع من البرق فدخلوا المنزل واغلقوا الباب واوصدوهُ

وكان احد الضباط قد عادَ الى القرية ليُطلع شيخ المحلّ على أَمر العليل. فاتَّفق أَنهُ لقي في طريقهِ خادم الرعيَّة « الخوري » راجعًا من سفرة لقرية قريبة ولا علم لهُ بشيءٍ مما حدث. فاخبرهُ الضابط بسوء الحال وشؤم المصير والحَّ عليهِ ان يُعلم الشيخ بامر المريض المدنف

ثمَّ ان الكاهن انطلق في اثر الضابط ليطلبا الجندي المصاب حتى اتيا جميعًا ذلك الموضع فلم يجدا لصاحبهما اثرًا. فتولاهم الاندهاش واخذ منهم الذهول مأخذهُ. ولم يكن كطرفة عين حتى فتح صاحب المنزل نافذةً تشرف عليهما فاطلَّ منها رأسهُ وأَومأَ اليهما أَن « ضالَّتكما تحتَ الشجرة الكبرى بجانب الطريق » وخفَّ فاطبقَ النافذة. وحينئذٍ انصرف الضابط مودّعًا

أَمَّا الكاهن فنحا نحو الشجرة وهو يحدق حواليهِ فلا يرى شيئًا ويُصغي فلا يسمع ركزًا كانهُ ماشٍ بين قبور داثرة او منازل دارسة

فبلغ الشجرة المشار اليها فوجدَ الجندي المجدور في حالةٍ تفتَّتت لها كبدهُ شفقةً وحنانًا. ثمَّ جعلَ يضربُ ببصرهِ يمينًا ويسارًا لعلَّ طائر بصرهِ يقع على رجلٍ يعاونهُ على نقل هذا المسكين الى بيتهِ. فما كان يلوح لهُ غيرُ تمايل الأَغصان ولا يطرق أُذنيه سوى حفيف النسيم وتغريد الاطيار كأَن الضيعة قد اصبحت قاعًا صفصفًا لا يأويها الّا البوم والغربان

ثمَّ إِنهُ انحنى نحو ذلك الجندي المنحوس الطالع وجسَّ نبضهُ وقلبه فأَلفاهُ حيًّا يدُقُّ قلبهُ دقًّا خفيفًا. فأَنهضهُ من الارض واخذهُ بين ذراعيه وضمَّهُ الى صدرهِ ثمَّ حملهُ وسارَ بهِ حثيثًا حتى اتى منزلهُ وهو لا يكادُ يعي من شدّة ما لحقهُ من التعب. فأَضجع المحتضَرَ على فراشهِ الخاصّ وصلّى الى الله صلاةً قصيرةً حارَّةً يلتمس نجاتهُ

وما نشبَ ان دخلت عليه العجوز قيمة المنزل وهي تتحوَّى كالأَفعى فصاحت: مولاي لقد اضطربت الرعيَّة.. ولولا اعتبار الناس لك وإجلالهم لشخصك لهاجوا وماجوا

فعلق يجول في البلدة وهو لا يصادف سوى الشيوخ والنساء والاولاد. فعلم انَّ الرجالَ قد خرجوا يتجسَّسون اخبار الاعداء فإن هؤلاء كانوا منتشرين في تلك النواحي ينهبون كل ما وقعَ تحتَ ايديهم ويسلبون. ولم يطلِ الوقوفَ حتى قال:

« ايُها الناس ألا إني اتيت من قبلِ قائدي ببلاغٍ رسمي لشيخ المحلّ ومن حيث انهُ قد خرج مع بقيَّة الرجال فهاكم البلاغ: انَّهُ في هذا النهار ستجتازُ في قريتكم فرقةٌ عظيمة من العساكر فاياكم ان تخالطوها في شيء لأنهُ قد فشا فيها داء الجدريَ فاذا مرَّت بكم ستضرب المضارب في محلّ منفرد تجعل فيهِ مستشفيات لكل من أُصيب بهذا الداء المشؤوم. فمن شاء ان ينجو من شرّ هذا الضيف الثقيل فليفعل بموجب هذا البلاغ ومن آثر الموت فليخالفهُ والسلام ». ثمَّ سار في حال سبيله

فما اتمَّ كلامهُ حتى شملَ الناس الذعرُ والخوف فثارَ ثائر البعض وطفقوا يلعنون الجنود ويسبُّون العساكر. وكنت ترى السُّكان باسرهم يتجمّعون جماعاتٍ جماعات ويتداولون في مسئلة الوباء الموبق. ثمَّ ما لبثوا ان هرعوا الى بيوتهم وفي قلب كلٍ خوف ووجلٌ

وما دخلوا البيوت حتى رأوا عن بُعد فرقة الجند قادمين البلدة فاشتدَّ قلق السكَّان وعلت الصيحات: يا للداهية الدهياء ! جاء المجدورون ! جاء المجدورون !

وللحال اغلقوا الابواب فصارَ سكوت ولا سكوتَ المقابر في ليلةٍ قمراء. فوصل العسكر رويدًا رويدًا والكلُّ رؤوسٌ منكَّسةٌ وعيونٌ دامعةٌ وقلوبٌ هامعةٌ يجرُّون ارجلهم جرًّا لشدَّة التعب وثقل الوباء. وكانوا في غاية الترتيب والنظام فلم يقرعوا بابًا قطّ ولا انحاز احدٌ منهم عن صفّهِ بل كانوا يلتفتون الى حواليهم حينًا بعد حين والأسف ملءُ القلب ملءُ الصدر لما غشيهم من القنوط وخيبة الأمل. فناهيك بهِ من مشهدٍ يفتِّتُ الاكبادَ ويمزّق القلوب !

وما زالوا سائرين سيرًا بطيئًا حتى قطعوا المنازل وجاوزوها. الَّا انهُ لمَّا انتهى ساقة العسكر الى آخر بيتٍ سقط على الحضيض بين ايديهم جنديٌ قد ضعفت قواهُ وانتقص عَدوهُ فلم يعد يستطيع أن يخطوَ خطوةً واحدةً. فاخذ المنكودَ الحظّ رفاقُهُ ووضعوه على عتبة ذلك البيت وانصرفوا. فاخذَ هو يقرعُ الباب عبثًا ولا يقوى على النطق بحلوةٍ ولا مرّة لشدَّة ما اصابه من الأَلم المؤلم

بجميع العلاجات الواقية التي كان يعرفها اذ ان للكهنة عادة بعض إلمام في علم الطبّ وربّما كانوا من الأساة المشهورين المعتقَد بهم ثمّ حانت من الكاهن التفاتةٌ فرأى مُذكِّرةً (دفترًا صغيرًا) قد سقطت من جيب الجندي. فتناولها وقرأ عليها ما نصُّهُ:

« يوحنا الحرّاث من اعمال فرنسا ولد في ١٣ حزيران سنة ١٨٤٩ »

فادنى فاهُ حينئذٍ من أُذن الجندي وقال: « حبيبي يوحنا .. يوحنا حبيبي .. اجبني .. »

فتنهّد المحتضَرُ تنهُّدًا خفيفًا مشعرًا بانهُ لم يزل في قيد الحياة... فسجد الكاهن على ركبتيه واخذ يصلي والدموع تتناثر من مآقيه

وفيما هو يصلي فتح يوحنا عينيه وردّدَ طرفهُ في اطراف المقصورة وتنفس الصُّعَداء قائلًا: أمَّاه

فقال الكاهن: ليس لكَ من أمٍّ هَهُنا .. لكنَّ اباك يسوع المسيح لا يهملك ويقوم عندك مقام أمّ انت قصيٌّ عنها

وبينما كان الكاهن يصلّي والعليل شاخصٌ الى صليبٍ أمامه إذ فُتح البابُ ودخل الطبيب. ففحص المريض فحصًا مدقّقًا ثمَّ قال للكاهن همسًا: « إنَّ مرضهُ عضالٌ معدٍ. ولا بدَّ لهُ من مُمرّضٍ يقوم بخدمتهِ غيرَ ان معشر مواطنيك يسعون في إخراجهِ من بين المنازل وان اخرجوهُ خرجت روحهُ قبل ان يبلغوا بهِ آخر الضيعة

الكاهن: — وان بقيَ هنا هل من رجاءٍ في شفائهِ؟

الطبيب همسًا: — لا يُنجيه من مخالب المنيَّة الّا المعجزة

ثمَّ انصرف الطبيب وبقيَ الكاهن ساهرًا على ذلك المنكود الحظّ اربعين ليلةً واربعين يومًا من غير ان يضطجعَ في فراشٍ بل كان جالسًا قبالهُ على كرسيٍّ ليلَ نهارٍ الى ان زالَ عنهُ الخطر وابلَّ من مرضهِ ونقه بمعجزةٍ الهيّة

والاغرب من ذلك أنَّهُ لم يُصَب في كل القرية الّا ابنةٌ لذلك الرجل الذي لم يشفق على من طُرح على عتبة بابهِ من ابناء جلدته وهو يموت في سبيل الدفاع عن وطنهِ فاشتدَّت عليها وطأة الداء حتى افقدتها حُسنها وجمالها وصيرتها من اقبح الناس صورةً. فكأنَّ الله قد سمح بذلك وأبى الّا حياتها عبرةً لمن يعتبرون وموعظةً لمن يتعظون

ولمَّا ان شفي الجنديُّ تمامَ الشفاء تقدم من الكاهن مخلصهِ وخرَّ جاثيًا على قدميه

واحدثوا من القلاقل والبلابل ضروبًا والوانًا . فإنهم حانقون حنقًا لزعمهم أنَّك جئت الى دارك بجنديّ لا يلبث ان يسري دفين دائه الى سائر الناس فيفتك بالسكان فتكًا ذريعًا فويلًا لنا ! ألا تسمع الصيحات ؟ ألا تعبأ بالتهديدات ؟ إن القوم يكتنفون البيت . فيهلكوننا لا محالة !

فقال لها الكاهن بهدوٍّ وسكينة : « سكّني روعك وان خفتِ على حياتكِ فاتركيني هنا وحدي وسيري الى احد الجيران واقيمي عندهُ بضعة ايّام لنرى ما يكون من امر هذا التعيس . ولا توافيني غيرَ مرتين في النهار كل مرةٍ تأْتيني بالطعام الى الرواق الاسفل لا غير . ولا يدخل عليَّ من احدٍ سوى الطبيب . ولستُ أخشى من خطر العدوى لانَّ الدار منفردة تحدق بها الحديقة فتجعل هواءها نقيًّا طيبًا . فكوني انتِ مطمئنَّةً . وقد كتبتُ الى خادم القرية المجاورة ليقوم مقامي في خدمة الرعيَّة ريثما يفرجنا الله . فارسلي لهُ هذه الرسالة وابعثي هذه الرقعة الى الطبيب النطاسي ب . د . . . سيري رافقتك السلامة . . » فخرجت العجوز من عندهِ تقضي ما امرها بهِ وهي تدندنُ وتثرثر

ثمَّ ان كاهن الله انطلق حتى اتى دارَ الشيخ حيث اجتمع ابناء رعيتهِ زرافاتٍ زرافات . فلما اقبلَ عليهم ودنا منهم بُهتوا وتقهقروا مذعورين مرعوبين . فحينئذٍ رفع يمينهُ واشار الى ثلاث كلمات مرقومة في وجه الدار فجهر صوتهُ فيهم قائلًا : أفلا ترون ما سُطِرَ على باب دار شيخكم ؟ الحرّيّة ! المساواة ! الإخاء ! أوَ لستُ بمجرٍ في مساعدة القريب ؟ أفما هذا الجندي التعيس بمساوٍ لي في الجنسيَّة ؟ أوَ لسنا احرارًا بان نخلّصهُ من أظافر المنيَّة رعايةً لحقّ الاخاء ؟ فاين علامات إشعاركم بحرمة الاخاء يا ذوي الالباب ؟ ومتى عهدتُ قلوبَ اخوتي الفرنسيس منحوتةً من الصخر الأصم ؟ امَّا أنا فلست بناسٍ انَّ الراعي الصالح يبذلُ نفسهُ بدلَ نعجةٍ واحدة تضلُّ من قطيعهِ

فقال بعض الحضور بهزء : لكن هذا الجنديّ ليس من ابناء رعيتك

فاجاب الكاهن : وقد لعبت برأسهِ حميًّا الشهامة والحماسة : « اليوم رعيّتي فرنسا التعيسة بأسرها . . . ان ابناء رعيّتي هم كل هؤلاء الجنود الذين يموتون في حومة الوغى مدافعةً عن حياتكم يا أشباهَ الرجال . واعلموا أنّي انا لا أدَع هذا المسكين يموت في قارعة الطريق بل افديهِ بحياتي »

ثمَّ انهُ انطلق الى منزلهِ ففرش فرشه وسوَّاهُ جيّدًا وأرقد المريض فيهِ وشرع يعالجهُ

تفنَّن فيها الاوربيُّون واكثروا من انواعها واشكالها لينال منهــا الخاصَّة والعامَّة والصغار والكبار ما يليق بهم بخلاف صَنَعــة بلادنا الذين لم يصنعوا الّا البندقيَّات الكبيرة الضخمة الثمينة ولم يسعوا وراء الوسائل ليمكِنوا الجميع من اقتنائها

في اصل صناعة اسلحة الصيد عند الاوربيين وترقيها

قد رجَّحنا في مقالتنا السابقة (ص ٨٧٠) ان اصل الاسلحة الناريَّة من الشرق. وعندنا انَّ الاوربيين اخذوا قديمًا من الشرقيين البندقيَّة ذات الصوانة (ص٨٧٢) واتبعوا فيها طريقتنا مدَّةً مديدة ولم يحكموا صنعها بادئ بدء كما احكمناها نحن قبلهم ولعلّهم اكتفوا باقرب الطرق واسهلها حرصاً على الزمن الثمين وتوفيرًا لمورد الثروة. لكنَّهم ما عتموا ان اهتدوا الى طرائق جديدة وتفنَّنوا في صنعها واخرجوا منها انواعاً تدهش العقول وتضاهي ابهى الاسلحة الشرقيَّة التي يتفاخر بها الامراء وتصان في خزائن الملوك. وقد استدركوا علينا في هذه البندقيَّات وصنعوها ذات طاقين (جفت)

ولمَّا لم يجدوا سبيلًا الى اتقان هذه البندقيَّة القديمة وسئموا من كثرة ادواتها التي تستغرق الاوقات على غير طائل لاسيَّما أنها كثيرًا ما تكبو فيهــا الزناد ولا توفي بالمراد جهدوا ذهنهم واسهروا جفنهم ليجدوا طريقةً تحسن مغبَّتها وتقلُّ مشقَّتُها فتكون لهم الطريقة المثلى. فارشدهم الله الى اختراع بندقيَّـــة الكبسول وناهيك عمَّا اختصَّ بهِ هذا السلاح من المزايا دون البندقيَّات الشرقيَّة كسهولة الاستعمال وسرعة العمــل. وقد تأنقوا فيها غاية جهدهم حتى انهم لم يبقوا ضربًا من ضروب التحسين الّا واودعوهُ ايَّاهُ

ثمَّ مهَّد لهم اختراعُهم الكبسول سبيــلًا الى وضع اللفائف (cartouches) فكثُرت في تجهيزها الطرائق الحسَّنة فوضع «فوشه» بندقيَّتهُ الشهيرة. ثمَّ وجدوا افضل من ذلك واصطنعوا البندقيَّة المركزيَّة (fusil central) حتى قامت مقامها البندقيَّة الخالية من الزَّند والديك (hammerless)[1]. ولم يزل كل صاحب معمل يُجهد فكرتهُ

---

[1] للزند (platine) قطع مختلفة منها: الطبلة (corps de platine) والطاحون (noix) والقوس الكبير (grand ressort) والغطاء (bride) والتيتك (gâchette à pivot) والقوس الصغير (petit ressort de gâchette) والديك (chien) والترمسة (vis de chien)

وطفق يقبّل يديه ويبلها بدموع الشكر وعرفان الاحسان ثمَّ قال: « ابتِ الجليل ألتمس منك ان تفسح لي في العود الى أمي لاراها لحظـةً قبل ان انضمَّ الى الفرقة التي انفصلت عنها »

فتأثر الكاهن الغيور غايةَ التأثير وبارك حبيبه يوحنا وسلَّم اليه رُقعةَ عطلةٍ كان قد استمدَّها لهُ ودفع اليهِ رسالةً من امهِ ولم تكُ عرَفت بمرض ابنها ومُصابهِ أصلًا

فخرج صاحبنا يوحنا من عند راعيه وحاميه وكُلُّه لسانٌ ينطق بثناء الجميل وجميل الثناء على من ردَّ عليهِ حياته او كادَ

وبعد ايَّام قلائل خلتْ صادفَ الطبيب الكاهن فقال لهُ: أوَ كُنت تدري سيدي بانك تعرض نفسك للهلاك المؤكد بضيافتك لرجلٍ أصابه داءٌ دفينٌ عضال ؟

الكاهن: — كنت اعلم ذلك حقَّ علم ولكنني ما كنت لأنسى أنَّ الراعي الصالح ينبغي لهُ أن يبذل نفسهُ دون رعيتهِ

أسلحة الصيد

بقلم يوسف افندي غنام ثابت

وعدنا في مقالتنا عن الاسلحة الناريَّة (المشرق ٣: ٨٧٣) ان نُفرد فصلًا للكلام عن اسلحة الصيد فنقول. انَّ هذه الصناعة مع ما حازتهُ في الاصقاع الشرقيَّة من الترقي لم تبلغ في بلادنا ما بلغتهُ اليوم في المعامل الاوربيَّة

ولمَّا كانت غايتنا ان نُعطي كلًّا حظَّهُ من الثناء احببنا ان نبيّن هنا فضل الاوربيين من هذا القبيل بعد ان اثبتنا سابقًا فضل الشرقيين في الاسلحة الجوهرة والاسلحة الناريَّة القديمة. وغرضنا في هذا الوصف ان نوقف اهل بلادنا على أعمال الغربيين وجدّهم وعنايتهم في ترقية الصنائع والفنون. لعلَّهم يقتدون بهم وينشطون الى خدمة وطنهم

وما يصحُّ قولهُ اجمالًا انَّ اسلحة الصيد الاوربيَّة قد فاقت شهرة على الاسلحة الشرقية وذلك بما اتَّصفت بهِ بندقياتهم من الرشاقة والخفَّة وسهولة الاستعمال وتعدُّد الطلقات وحُسن الاحكام الهندسيَّة فتفضل بكل ذلك اسلحتنا الشرقيَّة لاسيَّما وقد

(le Phénix) وبندقيــة نمرود (le Nemrod) إشارةً الى قول الكتاب الكريم ان نمرود كان جبَّار صيــدٍ امام الرب (تك ١٠ : ٨) ففي هذه المعامل الثلاثة كما ترى ثمانية انواع من الاختراعات الجديدة لاسلحة الصيــد ولو عددنا الاشكال التي ينطوي عليها كل نوع منها لبلغنا خمسين شكلًا ونيفًا وهي تُبــاع باثمان مختلفة. وقس على معامل سنت اتيان ما أُنشئ من المصانع السلاحيَّــة في مدن كثيرة من فرنسة وانكلترَّة والمانية وخصوصاً بلجكة الشهيرة بتسهيــل طرق التجارة ومهاودة الاسعار

البندقيَّة المثاليَّة

ولئلَّا يبقى كلامنا عن اسلحة الصيد وصفاً اجماليًّا لا يقتبس القــارئ من فوائده الَّا النَّزْر القليل احببنا أن نصف لهُ هنا بندقيَّة جديدة حازت قصبات السبق على سائر اخواتها وقد اختبرنا بنفسنا ما اطرأها بهِ ارباب الخبرة من المديح. فوجدناها حقيقــةً تفوق الاختراعات الفرنسويَّة السابقة والبندقيَّة الانكليزيَّة همرلس الموصوفة بالجودة والفضــل ألا وهي البندقيَّة المثاليــة (fusil idéal) التي اخترعها «معمل الاسلحة الفرنسويّ في سنت اتيان Manufacture Française d'Armes de S^t-Étienne (Loire)» وهاك وصفها كما وجدناهُ في قائمة هذا المعمل الاخيرة :

كان اوَّل ظهور هذه البندقيَّة سنة ١٨٨٠ اخترعها احد مديري «معمل الاسلحة الفرنسويَّة» فنال بها امتيازًا لئلَّا يأخذ غيرهُ طريقتهُ فيجتني ثمرة اتعابهِ. على انَّ كثيرين من ارباب المعامل السلاحيَّة حاولوا تقليد هذه البندقيَّة بتحسين بندقيَّة الانكليز المذكورة سابقًا «انسون وديلي» لكنَّ مساعيهم لم تأتِ بالنجاح المأمول

وممَّا تمتاز بهِ البندقيَّة المثاليَّة على غيرها بساطة ادواتها وقلَّة قطعها وهي تتــألَّف من هذه الأقسام (راجع الشكل في الصفحة ١٠٤٢)

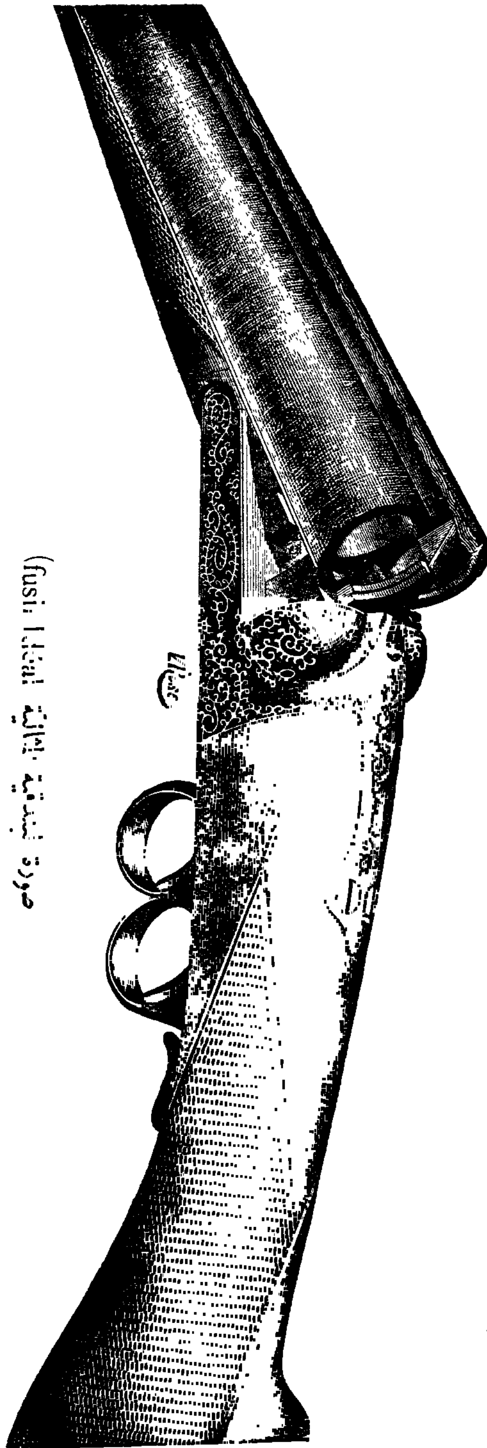
١ً «القاعدة» (bascule. A) او الصدر وهو قطعة واحدة غاية في المتانة

٢ً «الْخَلّ» (levier. C) وهو حسن الإطباق البندقيَّة سَهل الفتح يركَّب في الصدر وفي خشب البندقيَّة معاً

٣ً «الابرة» (percuteur. D) القائمة مقام الديك وهي مع بساطتهــا شديدة التركيب من الفولاذ المذوَّب. ومحوركها

٤ً «القوس» او القوام المستطيل (ressort à boudin. E) وهذا القوس هو نفسُ القوس المتَّخذ لبندقيَّة لُوبِل الحربيَّة

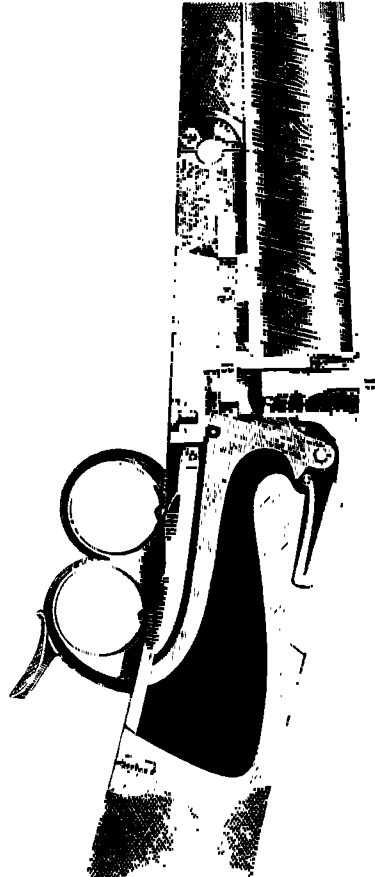
٥ً «الستار» (le pontet. B) وهو مصنوع بدقَّة عجيبــة بحيث تفنَّن فيهِ مصطنعهُ ليتلافى كل خطر يطرأ على الصائد لا سيَّما جرح اليد كما يحدث في البندقيَّات العاديَّة. والقطعة K تابعة للستار



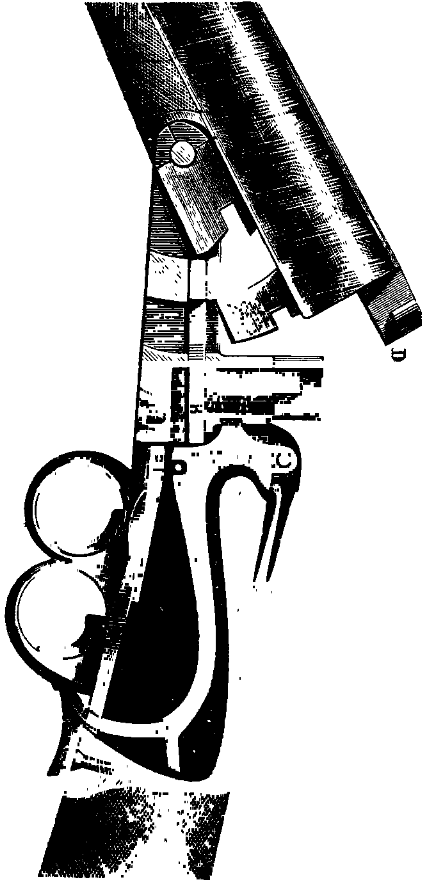
صورة بندقية المثالية (fusil idéal

ليكتشف شيئًا جديدًا فـاسفرت افكارهم عن نتائج حسنة واصبحت اختراعاتهم لا يضُمها حصر ولا يفي بها احصاء. وان اجتزينا بما في مدينة « سَنْت اتيان » وحدها من مشاهير السلاحيين لطال بنـا الكلام ونكتفي بذكر ثلاثة من اكبر مصانعها التي طارت شهرتهـا عند الخاصّ والعام: الاول معمل المسيو برون لاتريج (Brun-Latrige) فيها اربعـة انواع من بندقيّات الصيد الحديثـة الاختراع دعاها بأَسماء تناسبها وهي: البندقيَّـة البديعة (l'ingénieux) والبندقيَّة العجيبة (le prodigieux) وبندقيَّة برون باسم صاحبها (fusil Brun) والندقيَّة الوطنيَّة (le national). والثاني معمل المسيو « ڤرنه كارون اخوان» (Verney-Carron f^res) اشتهر فيها صنفان من البندقيَّات المعروفة بهمرلس (hammerless) احدهما لصاحب المعمـل والآخر لانسون ديلي (H. Anson et Deeley). والثالث معمل مسيو ماريوس برجار لهُ اختراعان البندقيَّة الفريدة دعاها باسم عنقاء مغرب

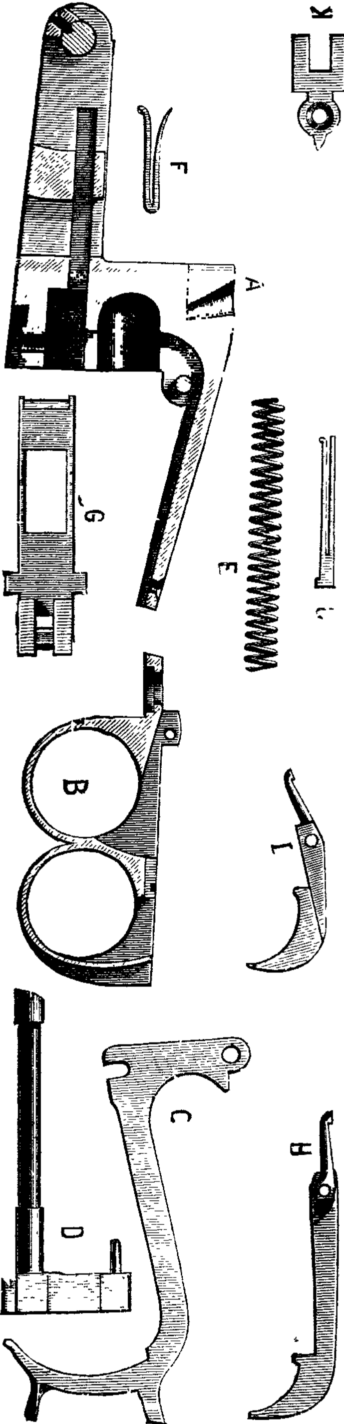
هذه قطع البندقيَّة المثاليَّة فهي لا ينقصها شيء من خواصّ الاسلحة التامَّة الاهبة البديعة التركيب مع خفَّتها وقلَّة اسعارها . ولذلك شاعت هذه البندقيَّة في كل انحاء اوربَّا واميركا . ولمَّا اطَّلع عليها اخي سليمان ثابت وتبيَّن خواصَّها الفريدة بعد تجوُّلهِ في معامل اميركة وفرنسة وانكلترة احبَّ ان يُتحف بلادنا بهذه الطرفة وتخابر مع اصحابها ليجعلوهُ وكيلهم في بيعها في سوريَّة . ولثقتهِ بحسنها قد ضمن لمن يبتاعها ان يصلحها على نفقتهِ اذا خربت . وقد زاد فيها اصحابها سكرًا قويًّا لمن يحبُّون الدكَّات الكبرى لا يُفتح مهما كانت الدكَّة كبيرة



تشريح البندقيَّة المثاليَّة مسكَّرةً



مفتوحةً



الأدوات التي تتركب منها البندقية الحالية

٦ً « الزنابر » (les détentes. H I) هي لطيفة جدًّا ومتينةٌ للغاية تنوب بتركيبها عن قطع عديدة . ومن صفاتها انها لا تظهر الّا عند ما تُصلى البارودة . فلا يمكن انفجار البارودة لسهو الصائد او لقلّة حذاقتهِ

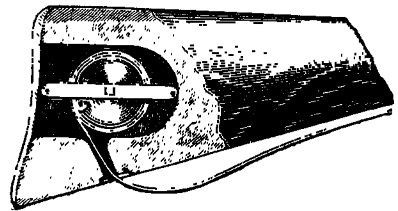
٧ً « دليلا الدك » (indicateurs de chargement) هما ابرتان خفيّتان لا تظهران الّا بوضع اللُّفافة وتنبهان الصائد على دكّ بندقيّتهِ

٨ً « الخشب » (crosse) وهو على طريقة ممتازة تفضل الطريقة الانكليزيّة بحسنها وثباتها

٩ً « السكر » (verrou) مصنوع من الفولاذ الجيد يدخل في الحديد سنتيمترًا وهو يقوى على اكبر الدكّات على اختلاف جنس البارود وقوتهِ . ويُصنع لبعض اشكال من هذه البندقية اربعة سكورة . واما السكر الذي تحت الحديد (devant de bois) فهو نوعان : نوع منهُ ثابت ملتصق بالخشبة . ونوع آخر يسوغ فكّهُ . وكلاهما محكم الصنع

١٠ً (J F) قوسان صغيران تابعا السكر

١١ً « القشاط » (bretelle automatique) يُجعل ضمن علبةٍ ويلتفّ بواسطة قوام (زنبرك) لئلّا يعيق حركات الصيّاد (وهاك صورتهُ) :



١٢ً « مُجري البندقيّة » (bande du canon.) . من صفاتهِ انّهُ يصوّب عين الصيّاد الى المرمى فلا يكاد يُخطئ الرميّة

١٣ً « سكر الزنابر » (verrou de sureté) . قد زيد هذا السكر على البندقيّة المثالية مع استغنائها عنهُ زيادةً لوقاية الصيّاد من كل خطر بعد دكّ البندقيّة

شهيد الدين في بلاد الصين

نبذة تاريخيّة للاب لويس شيخو اليسوعي

بينما كانت أنباء الشرق الاقصى تتوارد علينا فتثير في قلوبنا اللوعات على فقد أُلوفٍ من المرسلين الغيورين والنصارى الوطنيين الذين ذهبوا ضحايا همجيَّة البوكسير او فرائس ظلم المعتدين أَلهم الله كنيستهُ البطرسية امّ الكنائس ومعلّمتها ان تعزّي قلوب المؤمنين وتقدم لمن بقي من اولادها الصينيين بعد نكباتهم المتوالية امثالًا يأْتسون بهم واولياء يلوذون بحماهم لينالوا بشفاعاتهم المشفعة قوَّةً تمكّنهم من الصبر على كلّ المحن والبلايا حفظًا لدينهم القويم

وهؤلاء الأَماثل الأجلّاء عبارةٌ عن جوقة شريفة من انصار الدين اهراقوا دماءهم في سبيل الايمان في اقطار الصين والتنكين والقصنصين فنالوا اكليل الاستشهاد الذي طالما تاقت اليهِ نفوسهم وطلبوا الى الله ان يتوّج بهم هامتهم

وعددهم يبلغ ٧٧ بطلًا منهم ثلاثة اساقفة وعشرة كهنة من المرسلين الاوربيين من رهبانيَّات واخويات مختلفة و٢٩ كاهنًا وطنيًّا ثم ٥٣ من المسيحيين المتنصرين حُكم على اغلبهم بالموت في النصف الاوَّل من القرن الجاري في اماكن وازمنة مختلفة وكلُّهم آثروا اصناف العذابات المرَّة والموت الزؤَام على الكفران بدينهم فاضحى دمهم من بعدهم كزرعٍ خصيب استغلّت منهُ كنيسة الله بالفرح اكداسًا نامية واثمارًا طيّبة. ولذلك قد جمعتهم اليوم في اكرامها وأدرجت أسماءهم في سلك الطوباويين وسمحت للمؤمنين بان يقدّموا لهم مراسيم التعبُّد التي تليق بأَولياء الله

ولما كان هؤلاء الشهام أَوفر من ان نستطيع بَسْط اعمالهم الجليلة في صفحات هذه المجلّة اخترنا منهم احدهم نعرض شيئًا من ترجمة حياتهِ فيستدلُّ القرَّاء منها على فضل الباقين. والشهيد المذكور هو احد ابناء القديس منصور دي پول آثرناهُ على غيرهِ لانَّ حضرات الاباء اللعازريين في البلدة يقيمون لذكرهِ في اواخر هذا الشهر عيدًا بهيجًا دُعيت اليهِ جميع الطوائف الكاثوليكيَّة فجعلنا هذه النبذة كمقدَّمة للعيد تُعرّف القرَّاء بصاحبهِ وتحملهم على اداء فروض التجلة لشخصهِ مع طلب شفاعتهِ

وما يحسن بنا ذكرهُ هنا انَّ أخي اطَّلع يوماً على فقرة في جريدة « الصيَّاد الفرنسويّ » فحواها انَّ قوماً من مَهرة الصيَّادين طلبوا من مصطنع البندقية المثاليَّة ان يصنع لهم بندقيَّة من جنسها الا انَّهــا مفردة الطلق . فكان جوابهُ انَّ هذا ليس بممكن . فاخذ اخي سليمان يمعن في الامر ولم يكفَّ عن مزاولتهِ حتى انجلى لهُ تماماً فصنع بندقيَّــةً من الطرز المطلوب من نحو ثلاث سنوات وعرضهــا على بعض العارفين فاستجادوها واثنوا على براعة صاحبها . غير انَّهُ لسوء الحظّ لا يمكنهُ بيع هذه البندقيَّة بثمن يوازي شغلهــا ولعدم وجود معمل في بلادنا يصطنعها بطريقــة سهلة . ولعلَّ خبرها كان بقي مدفونًا لولا سنحت لنا هذه الفرصة لنشر اخبارها . وهاك صورتها



البندقيَّة المثاليَّة المفردة الطلق (لسليمان ع. ثابت)

ومن يفحص هذه البندقيَّة يجد صنعها في غاية البراعة والاحكام الهندسيَّة التي تقتضيها اسلحة الصيد فانَّ حركاتها سهلة رشيقة وادواتها قليلة كالبندقيَّــة المثالية مع متانتها ولطف تركيبها ولا شكَّ انَّها لو شاعت في بلادنا فازت بالسهم المعلَّى

هذا ما امكن تدوينهُ اختصارًا عن اسلحة الصيد . وخلاصة القول انَّ اسلحة الصيد الفرنسويَّة عموماً هي اجود الاسلحة وارشقها واضمنها لحياة الصيَّادين . وقد امتــازت بينهما البندقيَّة المثاليــة . على ان اهل الشرق لو ارادوا وتوفَّرت لديهم الوسائل لا يحجمون عن مُباراتها . ونطلب الى الله ان يبعث لنا رجالًا من المثرين اصحاب الهمَّة يفتحون للوطن ابواب النجاح وينهجون للصَّنعة سُبل الفنون التي تُحرز البلاد فخرًا وتولي اهلها ثروة حقَّق الله تعالى الآمال انهُ الكريم المتعال



الجديد ما لبث ان عرف فضل الطوباوي كلِه فانتدبهُ الى مهنةٍ تُعَدُّ في كل الرهبانيَّات من اشرف المراتب وأَحرجها فانهُ وكل اليهِ تثقيف الشبَّان الطالبين الترهُّب في اخويَّة الرسالة. فباشر الاب كلِه هذا العمل بما امكنهُ من الغيرة وجعل يهتمُّ بهذه الأَنصاب الغضَّة يقوّمها ويُعنى بشؤونها لتنمو وتأْتي يوماً باثمار الفضيلة وتبتهج باعمالها كنيسة الله

وبينما كان الطوباويّ كلِه يخدم اخويَّتهُ بهذه الخدم الجليلة اذ استعرت في فرنسة تلك الثورة العظمى التي كادت تبيد الرهبانيَّات وتُميت روح الدين فنُهب دير القديس لعازر في باريس وتشتَّت شملُ رهبانهِ واضطرّ رئيسهم الاب كلِه الى مفارقة اولادهِ الاحباب

لكنَّ عناية الله التي تقدّر الحوادث وتدبرها كما تشاء جعلت هذه الثورة وسيلةً لخلاص نفوس عديدة. فان القديس لمَّا رأَى ما دهم بلده من الرزايا استرخص رؤساءهُ بان يذهب الى الشرق الاقصى ويبشر الوثنيين بايمان المسيح ولم يزل يكرّر طلبهُ حتى فاز بالمرغوب وأَبحر الى الصين في اوائل شهر نيسان من سنة ١٧٩١ فبلغ جزيرة ماكاو مدخل المملكة الصينيَّة في اواخر تلك السنة مع شمَّاسين من اخويَّتهِ اسمهما بِسْنه (Pesnè) ولاميو (Lamiot)

*

قد سبق لنا في مقالتنا عن الصين والمسئلة الصينية (المشرق ٣: ٨٥١ و٨٥٢) ما نالهُ المرسلون الكاثوليكيُّون في تلك البلاد القاصية من النجاح في فلاحة كرم الرب وذكرنا خصوصاً تقدُّم النصرانيَّة على يد الرهبان اليسوعيين الذين نالوا بعلومهم وفضائلهم ما نالوا من الاكرام ورفيع المقام لدى ملوك الصين وتمكَّنوا بذلك من إعلاء منار الدين ونشر لواء الفضيلة بين الوفٍ وربوات من عبدة الاصنام

فلمَّا كانت سنة ١٧٧٣ أُصيبت الرسالات الكاثوليكية بجرحٍ أَليم في اقطار المعمور عموماً وفي مملكة الصين خصوصاً بالغاء الرهبانيَّة اليسوعية وكادت هذه الضربة تكون لازبةً لولا انَّ الله الذي يستطيع ان يقيم من الحجارة اولادًا لابرهيم (متى ٣: ٩) لم يهمل كنيستهُ في تلك المحنة العظيمة ولقيت الكنيسة بسلالة القديس منصور دي پول رُسُلًا شهاماً وعملة ذوي خبرة وثبات حفظوا ميراث الرب وزادوهُ ربحًا كما نرى ذلك رأيَ العيان في هذه البلاد وكلنا شهود على مساعيهم الخيريَّة واعمالهم المبرورة

☆

يُدعى الشهيد المذكور فرنسيس راجيس كلِهْ وهو فرنسيُّ الاصل والمنشأ. وُلد في غرانوبل من ايالة دوفيناي في ١٩ آب سنة ١٧٤٩. وفي غد مولدهِ صُبغ بمياه المعموديَّة. وكان ابواهُ على جانب عظيم من التقوى متعبدَين لوليّ الله فرنسيس راجيس اليسوعي الذي كان شرَّف وطنهما بقداستهِ ومعجزاتهِ الباهرة في القرن السابع عشر فودّا لو يسير ابنهما على مثالهِ فدعواهُ باسمهِ تيمُّناً وسهرا على سنيهِ الأُولى بما امكنهما من الاحتياط وارضعتهُ اُمهُ مع الحليب افاويق التُّقى والفضيلة فنشأ الولد على الصلاح وخوف الله

ولمَّا بلغ اشدَّهُ انصبَّ في بلده على الدروس الاوليَّة والثانويَّة فبرَّز فيها وكان في اثناء دروسه قدوةً لأترابهِ وفرحاً لاساتذتهِ يشيرون اليهِ بالبنان لفريد خصائلهِ. وثبت على حسن سلوكهِ الى ان انهى دروسهُ الادبيَّة والبيانيَّة. وكان يستطيع لو اراد ان ينال المراتب السنيَّة والمناصب الشريفة لكنَّهُ شعر بان الله يدعوهُ الى خدمتهِ فلم يصمّ الآذان لدعوتهِ تعالى وتأسَّى بامثال بعض اخوتهِ واخواتهِ واقاربهِ الادنَين الذين كانوا هجروا العالم ليهتمُّوا بخلاص نفوسهم في الرهبانية

وكانت اذ ذاك اخويَّة الرسالة التي انشأها القديس منصور دي بول تُعطّر فرنسة بعرف فضائلها واعمالها العجيبة الآئلة الى خير النفوس فأَحسَّ الشابّ بصوت الله يدعوهُ الى هذه الاخويَّة فطلب الانتماء اليها في ٦ اذار من سنة ١٧٦٩ فأُجيب ملتمسهُ ونُظم في عداد مبتدئيها وعمرهُ ٢١ سنةً

ثمَّ ما مرَّ عليهِ خمس سنوات قضاها في امتحانات الطالبين وممارسة الفضائل الرهبانية وتتمَّة الدروس الفلسفية واللاهوتية حتى رُقي الى درجة الكهنوت وعهد اليهِ رؤساؤهُ تدريس اللاهوت الادبيّ في مدينة أنسي فقام بهذه المهمَّة احسن قيام مدَّة ١٥ سنة متوالية واستلفت اليهِ انظار رؤسائهِ واحرز لهُ شهرةً كبيرة في بلاد سابوديا لسعة علمهِ وسموّ فضائلهِ وكان تلامذتهُ يدعونهُ المكتبة الحيَّة لما يرون فيهِ من المعارف الجمَّة والمدارك العالية

ولمَّا كانت سنة ١٧٨٨ وقع عليهِ اختيار الرهبان اخوتهِ لينوب عنهم في الجمعيَّة التي عُقدت في باريس لانتخاب رئيس عامّ جديد يسوس اخويَّة الرسالة وراهبات المحبَّة. فاستقر الجمع عن ترقية «كِيلا دي لاغرد» الى هذا المنصب الخطير. الّا انَّ الرئيس



الطوباوي فرنسيس راجيس كلِه

اللعازري

واماً الذين خلفوا اليسوعيين في رسالة الصين من الاخويَة اللعازريَة فكانوا ثلاثة اعني الابوين رو (Raux) وغِسْلان (Ghislain) والاخ پاريس (Pàris) قدموا بكين سنة ١٧٨٤ واجتمعوا بمن بقي من اليسوعيين الاقدمين وتسلموا ادارة رسالتهم واتخذوا طريقتهم في التبشير. فكان بعضهم يشتغلون بالعلوم الرياضية والفلكية في بلاط الملك فينالون بمعارفهم عندهُ حظوى ويتزلَّفون الى الوزراء والاعيان وينتهجون بذلك لاخوتهم سبيلاً لنشر الدين في بقيَّة انحاء المملكة. فجعل الملكُ الاب رو ناظرًا على المكتب الفلكيّ وتقدَّم الى الاخ پاريس بان يصطنع لهُ ساعةً جميلة ففعل

وفي تلك الاثناء بلغ الاب كلِهْ جزيرة ماكاو مع رفيقيهِ فانكبَّ على درس اللغة الصينية مدَّة سنة كاملة بغيرة لا تعرف مللًا فلمَّا تلقَّن منها ما تيسَّر لهُ آثر لنفسهِ في بلاد الصين رسالةً توفرت فيها انواع الاتعاب وضروب المحن فتوغل في معاملة كيانغ سي في جنوبي الصين بين معاملتي تشي كيانغ وهونان (راجع خارطة الصين في المشرق ٣: ٧٤٣) واخذ يجمع المؤمنين المتفرقين ويرشدهم و يزوّدهم بالاسرار المقدَّسة رغمًا عمَّا كان يعترضهُ من العوائق في تتمَّة هذه الاعمال الخيريَّة

وبينما هو منعكفٌ على اعمال الرسالة لا يألو جهدهُ في هداية النفوس اذ أُصيب اثنان من المرسلين اخوتهِ بالمرض في معاملة «هو كوانغ» وكان عدد النصارى فيها وافرًا وهم في حاجة ماسَّة الى مرسلين غيورين ففصلهُ روساؤهُ عن رسالة كيانغ سي وارسلوهُ الى هو كوانغ

وكانت هو كوانغ المذكورة أكبر ايالات الصين تشمل المعاملتين الحاليتين «هونان» و«هوپي» (راجع الخارطة) مساحتها تُربي على ٣٠٠٠٠ ميل مربَّع ويبلغ عدد النصارى فيها نحو عشرة آلاف نسمة وهم ساكنون في انحاء شتى بينها مسافات شاسعة لا يقطعها الفارس الَّا بعد ايَّام طويلة واسفار شاقة

فلمَّا بلغ الطوباوي كلِهْ معاملة هو كوانغ وجد المرسلَين الوحيدين اللذين يبذران فيها بذر الايمان قد انهكت قواهما الاتعاب واضنكتهما الاسقام. فما استقرَّت قدَمُ رجل الله في هذه الرسالة الجديدة حتى تحفَّز للعمل وشمَّر عن ساعد الجِدّ فاخذ يتجوَّل تلك الجهات الواسعة ليجمع شتات المؤمنين بعد ما نالهم من حَيف الزمان وظلم الحكَّام وكان لا يدخر في انجاز عمله وسعاً ولا يصرفهُ عن غايتهِ عائق مهما

يكون . فانَّ الشدائد قويت عليهِ واكتنفتهُ من كل جانب حتى ساغ لهُ ان يردّد قول الاناء المصطفى (٢ كور ١١: ٢٦) «كنتُ في الاسفار مرَّات كثيرة وفي اخطار السُّيول وفي اخطار اللصوص واخطار الامم وفي التعب والكدّ والاسهار الكثيرة والجوع والعطش والاصوام الكثيرة والبرد والعُري». وقد عاش هذه العيشة سبعاً وعشرين سنة حاملًا على عاتقيهِ في اكثرها اعباء الرئاسة وهو يتقدم اخوانهُ في كلّ ما يؤول الى مجد الله ونشر ملكهِ على الارض بين شعوبٍ جالسة في ظلال الموت ومتسكعة في ظلمات الجهل والشرك

وقد اكرمهُ الله بمواهب جليلة واظهر على يديهِ المعجزات الباهرة كشفاء المرضى وطرد الارواح النجسة من المعترين بها وإرواء الاراضي اليابسة بعد ابتهالهِ الى الله فجيدت ببركة صلاتهِ بامطار غزيرة. وغير ذلك من الكرامات التي اعلت مقامهُ في اعين الصينيين واورثتهم رغبةً في اتباع الدين الحق

وكان القديس مع فضلهِ السامي يعيش بين تلامذتهِ واخوانهِ عيشةً ساذجة يعتبر نفسهُ كأدناهم وكخادم لجميعهم يتفانى في سبيل صوالحهم لا ينسى احدًا الّا ذاتهُ وهو مع ذلك باسم الثغر سهل المعاشرة يسبي بلطفهِ قلوب من يقتربون من شخصهِ الكريم

وكان مع اشغالهِ الجمّة يحيي الليالي في الصلاة ويقضي امام القربان الاقدس ساعات متوالية يدعو الى الله لاجل قطيعهِ ويستمدُّ نعمهُ لخلاص عبدة الاوثان. وربمّا كان يسكب وقتئذٍ العبرات السخينة ولا ينفكُّ عن التنهُّد والزفرات حتى يجيبهُ الربّ الى طلبتهِ ويعزّي قلبهُ بارتداد الخطأة الى التوبة والمشركين الى الايمان

*

ومن النعم التي كان رجل الله يلتمسها من مراحمهِ تعالى موهبة الاستشهاد. فان قلبهُ المضطرم حبًّا نحو فاديهِ لم يكن ليرضى بهذه الاتعاب والاوجاع التي كان يعانيها كل يوم في خدمة النفوس فضلًا عن امراض عديدة ابتلاهُ الله بها وانّما كان يرغب ان يسفك دمهُ لوجه خالقهِ ويثبّت بموتهِ الايمان الذي أعلن بهِ في تلك الاصقاع. فلم يزل يكرّر دعاءهُ الى الله حتى اشعرهُ بنيل رغائبهِ

ومذ ذاك الحين اخذ يعدُّ المؤمنين ويقوّيهم ويتنبّأ لهم بحلول الاضطهادات الوشيكة ودنوّ اجلهِ. وجاهر بذلك يومًا اذ كان يصلّي بعد نهاية القداس فرأى عصفورين دخلا



ويخفّف اوجاعهم بكلامٍ احلى من الشهد. ويطلب الى الحكّام ان يختصّوهُ دونهم بالضرب والقتل ويسرّحوا عنهم

وامتثل الطوباويّ مدَّة اسرهِ مرارًا امام الولاة الصينيين واعترف بايمانهِ جهارًا وأذهلهم بصبرهِ الجميل وفضائلهِ السامية حتى انَّ بعضهم لم يتمالكوا عن الثناء على شهامتهِ وعن اكرامهِ. ولعلَّهم كانوا اطلقوا سبيلهُ لولا خوفهم من فَقْدهم رتبهم وعزلهم عن مناصبهم فحكموا عليهِ بالموت شنقًا وصادق الملك على حكمهم

وكانت وفاة القديس في ١٨ شباط من سنة ١٨٢٠ قُتل في مدينة « اوتشانغفو » عاصمة معاملة « هو كوانغ ». ولمَّا قادهُ الشرط الى محلّ العذاب خرَّ برهةً وجثا راكعًا يستحرُّ بالصلاة عند الصليب الذي كان هُيِّئ ليُشنق عليهِ ثمَّ قام ببسالةٍ وتقدَّم الى الجلَّادين بان يربطوهُ ففعلوا. قال كاتب ترجمة حياتهِ: « وجعلوا حبلًا ضخمًا في عنقهِ وشدّوهُ بعنفٍ ثلاث مرَّاتٍ وبذلك اذاقوهُ مرارة الموت ثلاثًا. وفي المرَّة الثالثة اسلم الروح رافعًا عينيهِ نحو السماء بهدوّ وسكينة. وهكذا تطايرت نفسهُ الطاهرة الى الاخدار السماويَّة فتكلَّل باكليل المجد. وبعد وفاتهِ اشرق وجههُ كالشمس واخذت الانوار تنبعث من جثتهِ على حين كان الظلام المدلهمّ منتشرًا على مدينة بكين والمدن المجاورة لها ». وظهر غضب الله على قاتليهِ بعد زمن قليل فان امبراطور الصين صُعق في السنة ذاتها وحُكم على الوالي القاضي بقتلهِ بان يُنشر جسمهُ لخيانةٍ بدت منهُ وأُصيب القابضون عليهِ بميتةٍ سيئة نسبها الكلُّ الى عقاب الله لهم

امَّا المؤمنون فانَّهم تمكَّنوا من نقل جسم الشهيد خفيةً واودعوهُ اللحد باكرام واخذوا مذ ذاك الحين يزورون قبرهُ ويتبرَّكون بذخائرهِ. وكان غير المؤمنين انفسهم يحجّون الى ضريحهِ ويطلبون شفاعتهُ وقد نالوا على يدهِ نعمًا عديدة فحص عنها الكرسي الرسوليّ فحصًا مدقّقًا. فكانت نتيجة هذا الفحص القانوني ان البابا غريغوريوس السادس عشر اشهرهُ مكرَّمًا سنة ١٨٤٣ ونظمهُ اليوم الحبر الجليل لاون الثالث عشر المالك سعيدًا في سلك الطوباويين نفعنا الله بصلاتهِ وصلوات اخوتهِ الشهداء المكلَّلين معهُ

الكنيسة وجعلا يغرّدان ويحومان حولهُ فأَمسكهما ووضعهما في قفص وقال للحضور علانيةً: على مثال هذين العصفورين عمَّا قليل سيقبض عليَّ اعداء الدين ويودعوني السجن من اجل السيد المسيح

وفي اثناء ذلك أثار الوثنيُّون سنة ١٨١٨ على نصارى الصين اضطهادًا شديدًا وتهموهم بتُهم باطلة ونسبوا اليهم ما كانوا براء منهُ. فحرقوا الكنائس ومثَّلوا ببعض المؤمنين وهمُّوا بان يقبضوا على المرسلين لينفوهم من البلاد او يحكموا عليهم بالموت

فبعث حاكم معاملة «هو كوانغ» شرذمةً من الجند ليقبضوا على المرسلين ويلقوهم في السجن. لكنَّهم لم يجدوا في منزل الاباء اللعازاريين الّا كاهنًا صينيًا يدعى شان من اخويَّتهم فاقتادوهُ الى الحبس. امَّا الاب كلِه فمع شوقهِ الى الاستشهاد لم يشاء ان يرمي بنفسه في الخطر قبل ان تأْتي ساعتهُ فتمكَّن من النجاة واختبأَ حينًا في المغاور والجبال حتى بلغ مقاطعة «هونان» حيث ظنَّ نفسهُ في مأمن من المغتصبين فاخذ يزور النصارى ويشدد عزائمهم فعلم بهِ احد المارقين من الايمان كان حرمهُ الاب كلِه لسوء سلوكهِ فاغتنم الجاحد هذه الفرصة لينتقم منهُ واسلمهُ في اوائل سنة ١٨١٩ الى ايدي اعدائهِ كيهوذا الدافع

فدخل الشهيد مذ ذاك اليوم في طريق الآلام والعذابات كابدها بما لا مزيد عليهِ من الشهامة رغمًا عن طعنهِ في السن وضعف جسمه واسقامهِ المتنوّعة. وقد دامت هذه الاوجاع سنةً كاملةً بنيف لم يسمع احدٌ من فيهِ طول هذه المدة كلمةً واحدةً تنبئ بضجرٍ او جزع او بغضٍ لمضطهديهِ

ولو اردنا وصف ما احتملهُ رجل الله من اصناف الشدائد وقت آلامهِ لطال بنا الكلام واستنكف القلم من ذكر هذه الفظائع وحسبنا ان نقول انهُ سكن سبعة عشر حبسًا وقطع المسافات البعيدة وهو مكبَّل بالقيود ولُكم مرارًا على وجههِ ورأسهِ بالنعال واضطرَّ ان يجثو على ركبتيهِ ساعات مستطيلة فوق سلاسل حديديَّة الى ان غُمي عليهِ من فرط الوجع

على انَّ هذه الآلام ما كانت لتُضعف نفسهُ الأَبيَّة بل كنتَ تراهُ متهلّلًا في وسط العذابات كأَنهُ يتنعَّم باشهى اللذَّات. ولهُ من حبسهِ رسائل تطفح بعواطف الحبّ لله والتواضع العجيب. وكان ينسى مصابهُ ليعزّي اخوتهُ المرسلين والنصارى المحبوسين معهُ

المشروع فبقي نحو نصف هذا الديوان مخطوطاً بلا طبع فوكل الدكتور هومّل مدرّس اللغات الشرقيَّة في مونيخ الى احد تلامذتهِ الدكتور ي. هِلّ (J. Hell) تريل كلّيتنا في السنة الماضية بان يستنسخ في الاستانة هذا القسم الباقي وينشرهُ فلبّى المذكور دعوة استاذهِ لكنَّهُ حرصاً على اصل الكتاب من شوائب النسخ او المسخ آثر رسمهُ بالفوتوغرافيَّة. فنشرهُ على هذه الصورة والحقهُ بفهرسين مفيدين يتضمَّن الاوّل قوافي الديوان باجمعهِ والثاني اسماء الاعلام الواردة فيهِ. فنحن نهنّئ تلميذ كلّيتنا السابق بباكورة اعمالهِ ونتمنى لهُ رواجاً وحظوى لدى العلماء (١

مبادئ العربيَّة للمدارس الابتدائيَّة

للمعلّم الشهير رشيد افندي الشرتوني

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة (١٩٠٠. ص ١٣٧)

هذا الكتاب مع صغر حجمهِ يستوفي شروط الكتب المدرسيَّة. فانَّ مؤلفهُ الشهير ضمَّنهُ خلاصة الصرف والنحو في صفحات قليلة. ومما استحسنَّاهُ فيهِ وضوح عبارتهِ وسهولة طريقتهِ فضلاً عن التمارين اللاحقة بكلّ فصلٍ من فصولهِ لترويض الطلبة وتثقيف عقولهم جازى الله صاحبهُ خيرًا ونفع بلادنا بمعارفهِ الواسعة ل. ش

شَذَرات

الزُّقورة مرّ لنا في المشرق (٣: ٤٧٨) ملاحظة في اصل هذه الكلمة التي نقلها الفرنج الى لغتهم بلفظها (ziggourat) ورجَّحنا انَّ اصلها من السريانيَّة « ܙܩܘܪܐ » بمعنى الحرز. وقد اطَّلعنا الآن على نبذة في هذا الشأن وردت في بعض المجلاَّت الاوربيَّة رُوي فيها انَّ اصل هذه الكلمة من الاشوريَّة مشتقَّة من « زقر»

الزّقورة او برج السيّارات

١) وقد طُبع ايضاً ديوان الفرزدق في مصر في المطبعة الوهبيَّة سنة ١٢٩٣–١٨٧٦ في «مجموع خمسة دواوين من شعراء العرب». الَّا انَّ هذه الطبعة كثيرة الخلل لا تحتوي الَّا ثلثاً من شعر الفرزدق

مطبوعات شرقية جديدة

Materialien zu einer Geschichte der Sprachen u. Litteraturen des vordren Orients
herausgegeben von M. Hartmann, Heft I, Heidelberg, 1900

KURDISCHE STUDIEN, VON H. MAKAS SS, 54

ابحاث في اللغة الكرديّة

عشق الدكتور مرتين هرتمان كنشليار الدولة الالمانيّة في بيروت سابقًا لغاتنا الشرقية لا سيما ما رآهُ حيًّا منها فصرف قصارى همَّتهِ في كشف اسرارها. ولذلك قد انشأ جنابهُ مجلّةً جديدة دعا مشاهير اللغويين الاوربيين الى ان ينشروا فيها مقالات مطوَّلة في اللغات العامّيَّة الدارجة في الممالك المحروسة وما جاورها من البلاد. ومضمون هذا العدد الاوَّل بحثٌ واسع في اللغة الكرديَّة كتبهُ الاستاذ ماكاس. والكرديَّة كما لا يخفى فرعٌ من الفارسيَّة شاعت بين قبائل عديدة متفرّقة فطرأت عليها طوارئ الفساد وتشعَّبت شعبًا مختلفة. وفي التأليف الذي نحن بصددهِ نظرٌ في كرديَّة ولاية ديار بكر وكرديَّة جوار وكرديَّة اليزيديَّة. وللموَّلف في كلّ ذلك ملاحظات مفيدة تدلُّ على علم صاحبها باحوال الشرق. وقد استعار في مطاوي بحثهِ عن كرديَّة اليزيديَّة ما كتبهُ حضرة الاب انستاس الكرملي في مجلة المشرق في هذا الشأن (٢ : ٣١٢ الخ) واثنى على ناسج بردة هذه الطُرفة المستطرفة

DIVAN DES FARAZDAK
Zweite halfte, von Dr J. Hell, *München*, 1900, ss. 27, - LXX.

ديوان الفرزدق (القسم الثاني)

لا يجهل احدٌ مقام الفرزدق بين شعراء الخلافة الامويَّة. قال يونس بن حبيب النحويّ: «لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث العربيَّة». على انَّ ديوان هذا الشاعر المفلق بقي زمنًا طويلًا ملقىً في زوايا النسيان حتى قام بعض افاضل المستشرقين الفرنسويين المعلم بوشه (R. Boucher) فباشر طبعهُ سنة ١٨٧٠ نقلًا عن النسخة الوحيدة المصونة في خزانة مخطوطات ايَا صوفيًا في دار السلام. فنشر منهُ بالطبع ٢٣٠ قصيدة او فقرةً عقَّبها بترجمة افرنسيَّة وحواشي مفيدة بيد انَّ الموت حال دون اتمام هذا

اوَّل جريدة يوميَّة في سوريَة بارادة سنيَّة ✤ قلنا في العدد السابق من المشرق انَّ النجاح اوَّل جريدة يوميَّـة ظهرت في سوريَة انشأها يوسف افندي الشالفون قبل الاحوال بزمن مديد. فافادنا صاحب الاحوال انهُ لم يدّعِ انَّ جريدتهُ اوَّل جريدة يوميَّة على الاطلاق بل انهُ مقيدها «بالارادة السنيَّة». وهو امر صحيح نسلّم به لانَّ الجرائد سابقًا كانت تُنشر دون «ارادة سنيَّة»

أسئلة وأجوبة

استفتانا حضرة القس ج. منش الحلبي عن كاثوليكية اسحق اسقف نينوى فكتب ما نصُّهُ:

« اعلم ان هذا اسحق كان اسقفًا على نينوى «الموصل» واليها يُنسب. واشتهر في القرن السادس وكانت وفاتهُ (سنة ٥٨٠) وقضى آخر حياته في الانبار من بلاد العراق كما يظهر من كتاب العفَّة لابن طيبوثا الذي نشرهُ من عهد قريب الاب العلاَّمة شابو الفرنسوي لا في برية الاسقيط كما وهم الطيب الذكر المطران يوسف داود. ومن استقرى اقوال العلماء فيه علم ان بينهم خلافًا في عقيـدته. فالمونسنيور يوسف السمعاني عدّه في جملة الآباء الكاثوليكيين «المكتبة الشرقية مج ١» وتابعهُ في هـذا صاحب مقالة الكلدان الكاثوليك (المشرق ٣ : ٨٢٠) والمطران يوسف داود الآنف الذكر اعتبرهُ يعقوبيًا في غير محل من مؤلفاته راجع خاصـة مختصر تواريخ الكنيسة (ص ٣٩٣). ويستشفّ من كتاب العفة المذكور انهُ كان نسطوريًا. فلعـل المشرق الاغرّ يفيدنا ويكشف عن الحقيقة الغمَّة » (المشرق) جوابنا في عدد قادم

س سئلنا عن اوراق عديدة تُطبع في بيروت وتوزَّع في لبنـان وهي تحتوي على صلوات يُنسب بعضها الى السيد المسيح او والدتهِ عليهما السلام و بعضها الى القديس قبريانوس او القديسة بريجتّا وغير ذلك من الصلوات التي يُنسب اليها مفاعيل عجيبة ومواهب غريبة

صلوات عجيبة المفاعيل

ج نجيب اجمالًا انَّهُ لا يجوز للمسيحيين ان يتلوا هذه الصلوات او يحملوهـا او يعتقدوا بها على ايّ نوع كان الَّا اذا وجدوها ممضاةً باسم المطران كما هو مفروض من الكنيسة. وقد بلغنا انَّ قومًا يطبعون في بيروت هذه الاوراق لارباح خسيسة فيخدعون بها السُذَّج في قرى لبنان والمدن الداخليَّة. وهي بئس التجارة لانَّ اكثر هذه الصلوات لا صحَّة لها والأَولى بان تُدعى خرافات عجائزيَة ل. ش

اي علا وارتفع . والزُقورة عندهم البرج كما ترى صورتها يريدون بهِ هيكلًا كان الكلدان يشيدونهُ لاكرام السيَّارات السبع . ودعوه زقورة اي برجًا لذهابهِ صُعُدًا في الهواء . ولا يبعد انَّ لفعلَي « ازجد » بالسريانيَّة و « زَجَرَ » بالعربيَّة علاقةً مع الاصل الاشوريّ

❊ تركيب البراكين ❊ قرأ الكيمويّ الشهير ا . غوتيار (A . Gautier) مقالة مطوَّلة امام المجمع العلميّ في باريس بيَّن فيهِ تركيب البراكين فأرتأى انَّها ناتجةٌ عن التهاب الصخور المصهورة في باطن الارض لدى اتّصالها بنفاية المعادن (gangue) وبعض الحوامض. فاتَّخذ لذلك قطعة من الحجر المحبَّب (granit) فدقَّهُ دقًّا ناعمًا حتى صار شبه الذرور ثم سكب عليهِ قليلًا من الحامض الفسفوريّ الممزوج بكميَّة وافرة من الماء فللحال انبعث من هذا الخليط غاز الحامض الكربونيك ثم الازوت وبعض الكربونات . وهذه الغازات هي نفس الغازات التي يجدها العلماء في البراكين المشتعلة الى يومنا كالفسوف والاتنا

ثم كرَّر هذه التجربة على طريقة اخرى بانهُ وضع شيئًا من الغرانيت في انبوبة أقفلها باحكام وعرضها على النار الى ان بلغت درجة حرارتها نحو ٣٠٠ من ميزان السنتيغراد دون ان يمزج بها شيئًا فتصاعدت منها الابخرة السابق ذكرها وان كانت اقل منها وفرةً

فارتأى انَّ الصخور المصهورة التي تكوَّنت في بدء العالم من اخلاط المعادن دخل في تركيبها شيء كثير من هذه الموادّ البركانيَّة فاذا التهبت ثانيةً تطايرت منها الابخرة البركانيَّة المعروفة . وقد نسب الى هذا السبب عينهِ تولُّد العيون الكبريتية في بعض البلاد

❊ التيليفونوغراف ❊ اخبر التيمس انَّ الاستاذ كُمبرغ (Kumberg) وجد طريقةً جديدةً لنقل الصوت دون سلك بحيث اذا وصل الى مكان معلوم ينطبع في القابل (récepteur) عند غيبة صاحبهِ فاذا عاد واداره سمع الصوت كلَّما اراد

❊ آلة جديدة لتركيب حروف الطبع ❊ وجد الكاهن الكاثوليكي بُورغ (Burg) آلةً جديدة لتركيب حروف الطبع تمكّن من صفّ ٦٠٠٠٠ حرف في الساعة ويمكن استخدامها على طرق عديدة امَّا بنقل الحروف الى المصَفّ (ستكَ) وامَّا بطبع ورق خصوصيّ تُؤثّر فيهِ الحروف بحيث يمكن حفظ الكتاب كما يُحفظ التنجيس

المشرق

نابولي وپمپاي

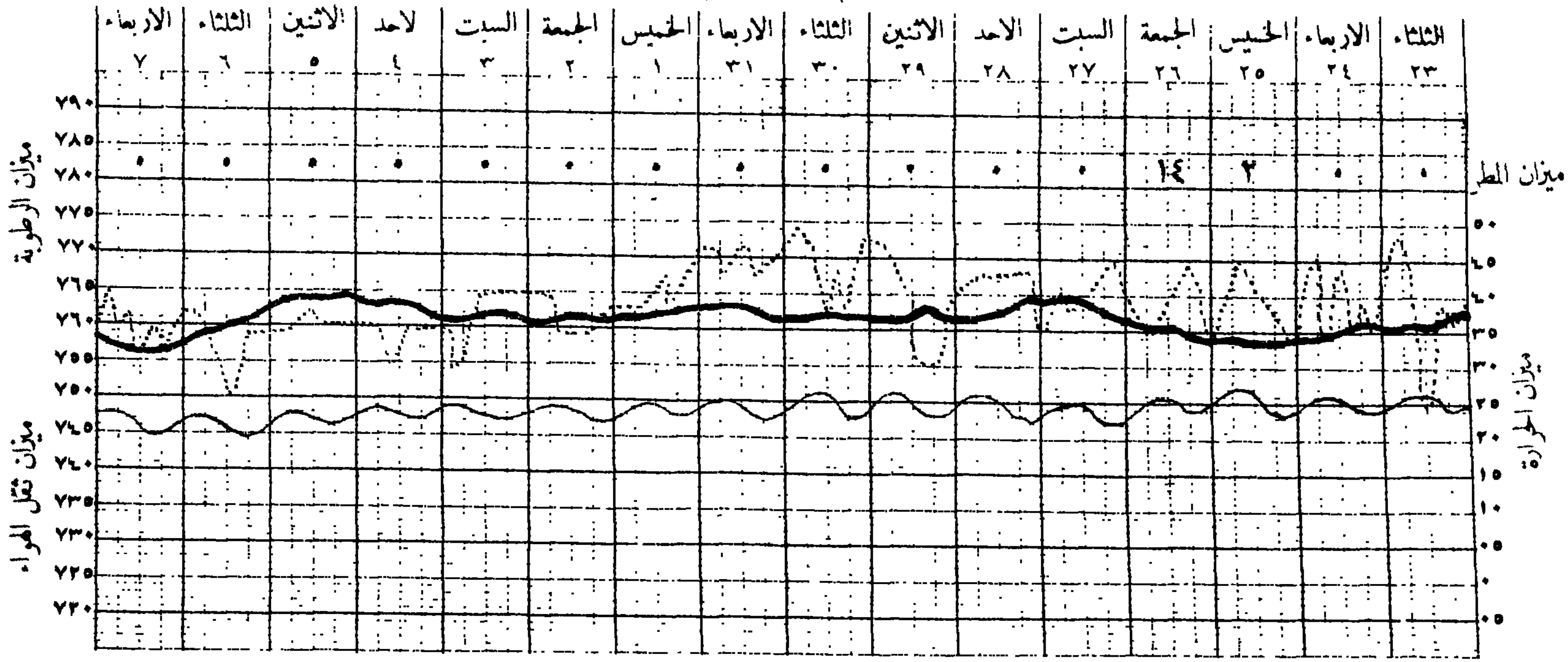
عجالة كتبها في اثناء السفر الاب م. كولنجت اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في مكتبنا الطبي

١

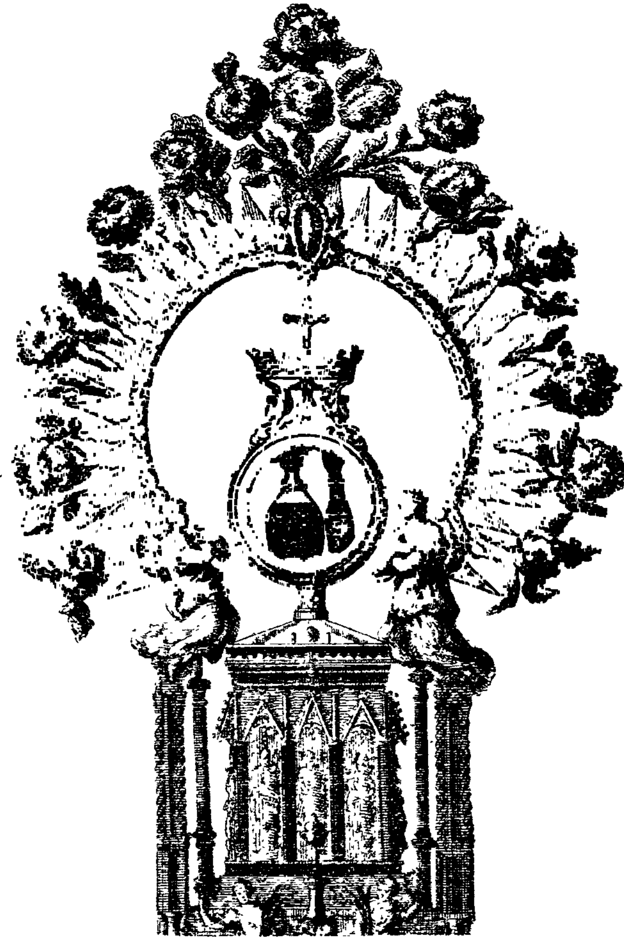
لنابولي من البحر مرأًى فتّان. تترنّح لهُ الاعطاف ويهتزّ الجنان. وكم قرأنا ذلك في أَسفار المتجوّلين. وسمعناهُ من افواه المخبرين: على انّ السمع دون العيان. وشاهد النظر أدلُّ على الحقائق من رائد الآذان

كان دخولنا في جون نابولي في صباح ٢٤ ايلول من السنــة الجارية فما اجتازت سفينتنا المعبر الواقع بين جزيرتي اسكيا وكَپري (التي اصطفاها طيبــاريوس قيصر لسكناهُ وملذّاته) حتى بهرت ابصارنا مناظرُ المدينــة بمحاسنها الغرّاء. وبقدر ما كنّا نقترب منها كانت تزيد مشاهدها رونقًا وحسنًا فترى بيوتها الفخيمة وقصورها المنيفــة منتظمة على شكل الدرج ومستندة الى الهضاب البهيجة المنظر وفي خلال هذه المحاسن الرائقة قلاعٌ اثريّة ضاربة الى السُمرة تنذر بالاهوال. وممّا يزيد هذه المدينة بهاء ورونقًا امتداد مبانيها وأرصافها على مسافــة بعيدة وللبلدة سوادٌ وارباضٌ تراها منتشرةً على جانبيها كانها تمثّل هلالًا يدخل قرناهُ في عباب البحر. ومن هذه الارباض ما توارد ذكرهُ وشاع اسمهُ كسورنت (Sorrente) وكستلّامار (Castellamare di Stabia) وليتره (Lettere) وبرج الرومي (Torre del Greco) وپرتيشي (Portici) ورزينا (Resina) يعلوها بركان الوسوف فاتحًا فوقها فوهتهُ الناريّة. واذا مِلت بطرْفك الى الشمال رأيتَ جبــل پوسيليپ وما يكتنفهُ من المصايف الرومانيّة القديمة وتبادر الى فكرك انّ هناك ضريح ڤيرجيلوس الشاعر اللاتينيّ الشهير. ومجمــل القول انّ النظر لا

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٣ تشرين الاول الى ٧ تشرين الثاني ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (▬▬) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات



الصَّوْنة التي يُحْفظ فيها دم القديس يَنُوار الشهيد

بديع الشكل غالي الثمن. وكان المؤمنون المعاصرون لهُ جمعوا في حين قَطْع رأسهِ كميَّةً وافرة من دمهِ الزكيّ جعلوهُ في قنينتين وختموهما بإحكام ووضعوهما في صَوْنة (شعاع) بديعة العمل (انظر صورتها). فاذا وقع عيد القديس أُخرجت القنينتان من صونتهما المقفلة باربعة اقفال (١ ثمَّ تقرَّبان من جمجمة القديس الشهيد وتُعرضان على

١) ولكلّ قفل مفتاح يُصان في محلّ منفرد وعند اشخاص معلومين لئلّا يتمكَّن احد من فتح الصونة . فالمفتاح الاوَّل عند اسقف المدينة والثاني عند حاكمها والثالث عند مجلس البلدية والرابع عند الكاهن قيّم الكنيسة

يقع على هذه المناظر البهيَّة حتى يحيا في القلب ذكر فطاحل الاقدمين وما سمعناهُ في شبابنا او قرأناهُ عنهم من الاعمال الخطيرة

وبينما كانت هذه الخواطر تهجس في ضمائرنا اذ بلغت السفينة ميناء نابولي والقت ثمَّ مراسيها فاحدق بنا على الفور عدد لا يُحصى من الزوارق وتسوَّر البحَّارون سطحَ الباخرة بجلَب عظيم. وكانت في اثناء ذلك تشنف آذاننا اصواتُ آلات الطرب اتت بها جوقةٌ من المغنين ليرتزق بها اصحابها وكانت نغماتهم الرخيمة تزيد هذه المعازف حسناً فاطربوا مسامعنا بالحانهم الوطنيَّة وقددهم الشجيَّة لم ينقطعوا عنها حتى نفحهم الركاب ببعض الدريهمات. والحقّ يقال انَّ لاهل نابولي النفوس البهجة والخواطر الطيبة وهم ارباب الفنون الجميلة لولا انَّ الفقر المدقع ضاربٌ اطنابهُ في مرابعهم فلا تكاد تمرُّ في ساحة او شارعٍ الَّا يتعقَّب آثارك قومٌ من الصعاليك يطلبون منك حسنةً

واذا استثنيتَ بعض ازقّة نابولي الحرجة ومعابرها القذرة الشبيهة بما نعهدهُ في مدننا الشرقيَّة القديمة تجد فيها ما تزدان بهِ حواضر المدن كالساحات الفسيحة والشوارع الرحبة والآثار البديعة والقصور الشاهقة والمتنزَّهات الرائقة نخصُّ منها بالذكر النزهة التي تحاذي البحر وتنتهي الى سفح جبل پوسيليپ فانها جامعة لشتات المحاسن يزدحمُ فيها الاهلون لترويح النفس. ولنابولي ايضاً قصرها الملكيّ الشهير والمتاحف الفاخرة والكنائس الجميلة

الَّا انَّنا نضربُ الصفح عن وصف كل هذه الآثار لأنَّ مثلها شائع في غيرها من امَّهات المدن. وانَّما نجتزئ بذكر كنيستها الكاتدرائيَّة الكبرى المشيَّدة لذكر القديس يَنُوار او ينايرِ (Janvier) والقديس المذكور كان اسقفاً على بَنوَنتي (Bénévent) في عهد ديوقليسيان الملك الروماني واستشهد بعد العذابات والتنكيل فنُقل جسمهُ الطاهر بعد وفاتهِ الى نابولي ولاكرامهِ بُنيت هذه الكنيسة العظمى

وقد اسعدنا الحظّ بان نحضر عيدهُ الحافل لرسوّ سفينتنا في نابولي في ١٩ ايلول وهو اليوم الموافق لهذا العيد الجليل. ومن العجائب الغريبة التي تجري في هذا النهار معجزةٌ باهرة يتقاطر لنظرها الجماهير المجمهرة من الاجانب فضلاً عن اهل المدينة يعدُّها كلُّ من شهدها كدليل لامع على صحَّة الدين الكاثوليكيّ

وذلك انَّ هامة الشهيد المذكور بعد ان قطعها المغتصبون بالسيف أُودعت في تمثال

المعجزات كأنَّهُ تعالى لا يستطيع بقدرتهِ السامية ان يدبّر مخلوقاتهِ كما يشاء ويجري على يد اوليائهِ الخوارق اذا ما دعاهُ الى عملها داعٍ اهلٍ لجلالهِ عزَّ وجلَّ . فبئس الكفر وساء الكفرة الذين بلغ بهم حمقهم الى ان ينكروا ادلَّة الحواسّ نفسها وشواهد ملايين من البشر على اختلاف رتبهم وجنسيَّاتهم وذلك مدَّة عشرة اجيال بلا انقطاع

٢

هلمَّ بنا الان نتجوَّل في ظهراني نابولي ونزور بقايا مدينةٍ شهيرة غمرتها حمم بركان الوسوف فجعلها كقبر مرصوص بقي على تلك الحال مئين من السنين . ألا وهي مدينة بُمباي التي عند لحف البركان المذكور على مسافة ٢٤ كيلو مترًا من نابولي . ولهذه المدينة ذكرٌ في التاريخ نحو ستَّة اجيال قبل المسيح سكنها اوَّلًا الأُسك (Osques) ثم السمنيُّون حتى جعلها الرومان قبل خرابها بمئة وثمانين سنة مستعمرةً دعوها « كرنيليا ڤنيريا بمباي » نسبةً الى رئيس الجمهوريَّة الرومانيَّة كرنيليوس سيلَّا والإلهة ڤانوس اي الزهرة ثمَّ القائد بمبيوس . وكان عدد سكَّانها نحو عشرين الفًا ويتبادر اليها في اوان الصيف اعيانُ الرومانيين . وكان لشيشرون الخطيب الروماني فيها مصيف ذكرهُ في رسائلهِ

ولمَّا كان عصر بعض ايَّام سنة ٧٩م في فصل الشتاء(١) واذا بسحابةٍ غمَّاء تصاعدت الى عنان السماء من فوهة البركان فانتشرت على البحر والسهول المجاورة . وقد وصف بلينيوس الصغير في رسالتين ارسلها الى تاقيت المؤرخ هذه الفاجعة التي شهدها بالعيان

ففي الرسالة الاولى ذكر موت عمهِ بلينيوس الكبير المعروف بالطبيعيّ وكان اميرًا على الاسطول الرومانيّ . الَّا انهُ في ساعة الحادث المشؤوم كان في مدينة ميسان (Misène) عند اهلهِ فما شعر بانفجار البركان حتى اقلع منها لرغبتهِ في مشاهدة هذه الظواهر العجيبة الى محلّ الفاجعة فخنقهُ رماد البركان عند بلدة ستابيا (Stabia)

ووصف بلينيوس الصغير في رسالتهِ الثانية تفاصيل هذا المصاب الجلَل وهربهُ مع امّهِ لينجوا بنفسهما قال: « وكان البحر يتلاطم بالامواج كأنَّهُ ينقلب ظهرًا لبطنٍ . . . وانتشر في الجوّ عارض من السحاب المكفهرّ تنبعث من خلالهِ اقواس ناريَّة

غاية في الغرابة كأنَّ صاحبهُ تمكَّن من تحليل مضمون القنينتين وكأنَّ الاثير الكبريتي يسيل ويجمد من تلقاءِ ذاتهِ دون ان يمسَّهُ احد

١) المرجح ان ذلك حدث في اواخر تشرين الثاني . وفي رواية الكاتب بلينيوس بعض التباس

مرأى الشعب الذي يشرع في الصلاة فلا يمرُّ على ذلك برهــة قليلة حتى يتحوَّل الدم الجامد المودع فيهما الى دمٍ سيَّالٍ يترقرق كالموائع يخال للناظر انهُ سال في تلك الساعة من عُنق الشهيد

وكان الشعب منذ غلس ذلك النهار قد بادر الى الكنيسة فضاقت بهِ مع رحبها. فبقي هنــاك ساعات طويلةً يصلّي الى الله وهو ينتظر حدوث المعجزة بفروغ الصبر. فلمَّا آنت الساعة لم يُجب الله املهُ فماع الدم واخذ المؤمنون يمرُّون بازاء القنينتين ليتبرَّكوا باستلامهما. وهذه الاعجوبة تحدث مدّة ثمانية ايَّام متواليــة لا يصعب على احد ان يتحقَّق صحَّتها (١. وقد تبينتُ الامر بنفسي مرَّتين وعاينتُ القنينتين بتأنٍّ فوجدتُهما مختومتين ختمًا محكمًا والدمُ فيهمــا مائع قانئ. وترى الزوّار يوافون زرافاتٍ مدَّة هذه الثمانية الايَّام لاكرام هذه الذخيرة ويباركون الله في اوليائهِ القديسين

وان سألنا احد من اي زمن تقرَّرت هذه العجيبة وهل التاريخ يذكرها في الاجيال الغابرة. أجبنا انَّ الامر راهن دوَّنهُ المؤرخون منذ نحو الف سنة فانَّ كتبة القرن العاشر يذكرون ذلك وهم يروونهُ كشيء قديم

امَّا الكنيسة الحاليَّة فترتقي الى القرن الثالث عشر وهي من الأبنية الفاخرة العجيبة والفسيحة الارجاء تزينها العواميد العديدة من حجر الصوَّان المحبَّب. وفي جانبها معابد واسعة كل منها بمثابة كنيسة كبرى. ومما يلحق بهذه الكنيسة عددٌ وافر من ذخائر القديسين واواني التقديس والامتعة الثمينة

ولاهل نابولي تعبُّــد عظيم لشفيع مدينتهم القديس يَنُوار يجلُّونهُ ويكرمونهُ غاية الاكرام امَّا القديس فانهُ لا يضنُّ عليهم بنعمهِ الغزيرة وكثيرًا ما نجَّاهم من البــلايا والمحن وخصوصًا من حُمم الوسوف حين اوشك هذا البركان ان يجعل مدينتهم خرابًا يبابًا

ولا نجهل انَّ بعض الكفرة قد استخفُّوا بعبادة اهل نابولي ونسبوها الى حرارة دمهم او موقع بلدتهم. كما انَّهم سخروا من اعجوبة دم القديس يَنُوار وتقوَّلوا في شرح ذلك الاقاويل الكاذبة (٢ التي هي اغرب من الاعجوبة نفسهــا وكلُّ ذلك لينفوا وجود

١) وهي تحدث في عيدين آخرين يرد فيهما ذكر القديس ونقل ذخائره

٢) كما ورد في كتاب بعض الملحدين زعم انَّ القنانيّ لا تتضمَّن دمًا بل اثيرًا كبريتيًّا (éther sulfurique) مصبوغًا بغمرة ومشبعًا بمزيج من السپرماستي (sperma ceti). وهو قولٌ

المياه. ومن مسافة الى أخرى دكك ليعبر المشاة من جانبٍ الى آخر دون ان تبتلَّ ارجلهم بالمياه. وقد بقي في بعض الشوارع اثر دواليب العربات في بلاط الارض



ساحة بمباي الكبرى

ولبمباي ساحتان عظيمتان الاولى الساحة الكبرى او الفورم (forum) تكسيرها ١٥٠ مترًا طولًا في ٣٠ عرضًا وفيها كان يجتمع القوم لكلّ امورهم العموميَّة ولإقامة فروضهم الدينيَّة. وكان على اطرافهِ الاربعة صفَّان من العَمَد على شكل رواقٍ تحيط بهِ الابنية الفخيمة فترى في صدر الربَّع هيكل المشتري او الكابيتوليوم وعلى الطرفين

اشبه بالبروق . . . فلمّا ابتعدنا شعرنا بالرمـاد يهبط فوقنا . . . ثمَّ التفتُّ لأرى ما الامر واذا بدخان يتهدَّدنا من ورائنا كأنَّهُ سيل جحاف فقلتُ لوالدتي: « هلمّي بنا نخرج من الطريق المسلوكة ». فما حدنا عنها قليلًا حتى رأينا نفسنا في ليل دامسٍ كأنّنا في حجرةٍ لا نافذة لها. وما كنّا نسمع في طريقنا الّا عويل النساء وصراخ الاطفال وجلبة الرجال . . . »

ودامت هذه الحال السيّئة مع انفجار الحمم المصهورة مدَّة ثلاثة ايَّام هلك فيها اكثر من الفَيْ نسمة. ولمّا صفا الجوّ وجدوا الرماد على شكل سطحٍ سويّ حول البركان وكانت ذرّاتهُ بلغت الى بلاد بعيدة حتى مصر والشام. امّا المدن الساحليـة المجاورة لهُ فكانت مسجّاةً بكفن اغبر من الرماد لا يُسمع لاهلها ركزٌ بعد هنـائهم وتنعُّمهم بالملذّات

ثم تباعد الاحياء من هذه الامكنة المشؤومة لخوفهم من انفجـار جديد يحدث فيلحقهم بالموتى. وبقي الرماد زمنًا طويلًا دون ان يجسر احدٌ على الحفر والبحث حتى باد ذكر هذه المدن العامرة وصارت نَسيًا منسيًّا

ولمّا كانت اواخر القرن الماضي وقف بعض الاهلين صدفةً على آثارٍ قديمة فاخذوا يحفرون حفرًا غير منتظم الى ان تولّى منذ بضع سنـين الفارس فيورلّي (Fiorelli) إدارة الحفر فباشر الامر على طريقة هندسيَّة فاخرج مُعظم مدينة پمپاي من قبرهـا واعادها الى الوجود

واوّل ما يشعر بهِ الداخل اذا ما تجاوز حمى المدينـة الذي تبلغ دائرتهُ ستَّـة كيلومترات شواعر الذُعر والهلع. فكنّا نسير في شوارع هذه البـلدة حائرين وعلى جانبينا بيوتها القديمة لا صافر فيها ولا نافخ نار وهي مع ذلك سالمةٌ لولا انَّ سقوفها قد هبطت لتراكم الرماد فوقها. امّا باطن هذه المساكن فهو على حالتـهِ كما كان يوم نعب فوقها غراب الموت. فترى النقوش العجيبة واثاث البيت لا ينقص الدار سوى ساكنها

ولو اردنا وصف كلّ اخربة پمپاي لما كفانا مجلّـد ضخمٌ لكثرة آثارها فدونك بالاجمال ما لحظناهُ مدَّة زيارتنا

١ (شوارعها وساحاتها) شوارع پمپاي قويمة متساوية لكنّها ضيّقـة مبلّطة بحجارة بركانيَّة. ولكل زقاق رصيفان على جانبيهِ للسابلة وفي وسطهما ممرّ تسيل فيهِ

واقدم هياكل بمباي هو هيكل هرقول بُني في القرن السادس قبل المسيح وموقعهُ في الساحة المثلَّثة السابق ذكرها

٣ (معاهدها العموميَّة) موقع اكثرها قرب ساحة الفورم. منها « البلاط الملكيّ» او مجلس الحكومة وهو عبارة عن بناية مربَّعة مستطيلة وفي داخلها عمدٌ وهي واسعة جميلة المنظر لوجهتها مدخل اثير ذو خمسة ابواب. وكان يُدخل الى هذا المجلس من جهة الفورم وفي مقدَّمتهِ رواقٌ حسن. ولا يزال مقام الحاكم منتصباً في صدر هذا المعهد

وبازاء المحكمة بهوٌ جميل يُدخل منهُ الى بلاط الكاهنة أُوماخيا. وهناك احواضٌ عديدة مع تمثال الكاهنة المذكورة . والمظنون انَّ القصَّارين كانوا يقصرون ثياب الرومانيين في هذا المكان وانَّهم اقاموا تمثال اوماخيا شكرًا لها على رواج امورهم

ومنها السوق العمومية في شمالي الفورم وهي بناية مسقَّفة ذات اثني عشر عمودًا كان الباعة يجلسون تحتها لبيع سلعهم وفي وسط هذه السوق حوضٌ

وكان لبمباي ايضاً مجلسٌ بلديٌّ موقعهُ بازاء هيكل المشتري وكذلك معهد فسيح لانتخاب المأمورين

وكلُّ هذه الابنية كانت محدقة بالساحة الكبرى. امَّا المباني العموميّة التي وُجدت بعيدًا عنها فمرسحان كبيران وملعبٌ على شكل نصف دائرة كانت تجري فيهِ أَلعاب مستقبحة كمقاتلة الوحوش الضارية والمسابقة والملاكمة. وكان للرومان قومٌ يتعاطون هذه الحرف وقد وُجدت في بمباي ثكنتهم مع الاسلحة التي كانوا يتحاربون بها

ومنها ايضاً حمَّامات عديدة انيقة البناء اكتُشفت في بمباي تنطق بلسان حالها عن عيشة الرومان المترفّهة فانَّهم كانوا يقضون الساعات الطوال في الاستحمام ولحمَّاماتهم نظام خصوصيّ كما يظهر في حمَّام ستابيا (Stabia) الذي زرناهُ. فلمَّا تجاوزنا بابهُ الخارجي وجدنا ساحةً كبيرةً مزيَّنة بالعواميد كانوا يدعونها بالِسْتَرا اي الميدان يروّضون فيهِ اجسامهم او يلعبون بالكريّ ولا يزال منها كُرتان حجريّتان. وعلى احد اطراف هذا الميدان بركة كبيرة للسباحة مع لواحقها . وكان يجوز للعامَّة ان يدخلوا هذا الميدان لترويح النفس والفرجة فترى المقاعد التي كانوا يجلسون عليها

ومن هذه الساحة كان يدخل المستحمُّون داخل الحمَّام وفيهِ موضعٌ خاصٌّ لنزع

عيناً وشمالًا هيكلَي ابلُّون وعُطارد ثمَّ مقاماً لاشغال التجّار ومصارفهم وُجدت فيها موائد الصَّرَّافين مع قطع من الفضَّة والشَّبه (البرونز) . وفي وسط الساحة قواعد كان فوقها تماثيل علماء او فرسان ثمَّ منابر للخطابة وكان ايضاً على جانبي هيكل المشتري قوسان انتصاريّان اجلالًا لنيرون وكليغولا الامبراطورين الرومانيين

امَّا الساحة الثانية فموقعها بقرب المرسح لها مدخلٌ جميل باعمدة عديدة من الطرز الأيوني . وشكلها مثلَّث وهي متَّسعة الباحة

٢ (هياكلها) لپمپاي ثمانية هياكل اشرفها هيكل المشتري السابق ذكرهُ يُصعد اليهِ بالدرج الفخيم من جانبيهِ وفي اعلى الدرج رواقٌ عظيم لهُ اربعة صفوف من الاعمدة ولكلّ صفّ ستَّة سوارٍ من الطرز القورنثيّ . وللهيكل بابٌ كبيرٌ اذا اجتازهُ الداخل وجد ردهةً واسعة تزينها اعمدةٌ من الطرز الايوني في صحنها مذبح كان فوقهُ تماثيل للمشتري ولكيريس (Cérès) والزهرة شفيعة البلدة

واذا اعتبرتَ الهياكل الأُخرى وجدت هندستها على صورة هيكل المشتري لا تختلف عنهُ الَّا قليلًا . وممَّا يمتاز بهِ هيكل ابلُّون المجاور لساحة الفورم انَّ قسماً منهُ يرتقي الى عهد السمنيّين والقسم الآخر بناهُ الرومان وقد مُزجت فيهِ الطروز الهندسيَّة الثلاثة اي الدوريّ والايونيّ والقورنثيّ ولهُ سور يحيط بهِ طولهُ خمسون مترًا وهو مزيَّن بتماثيل آلهة الرومان كالزهرة وديانا وابلُّون الرامي وغيرهم . ومن غرائب هذا الهيكل مِزْولة (ساعةٌ شمسيَّة) نُقشت خطوطها فوق صفيحة جُعلت على عمود صغير ولها تاريخ رُقم على احد جوانبها يؤخذ منهُ ان المزولة أُقيمت بامر القائدين لوقيوس لاپوريوس ومرقوس إرِنّيوس

وفي هيكل عطارد المبنيّ ايضاً على ساحة الفورم مذبحٌ باقٍ على هيئتهِ القديمة قد نُقشت على جوانبهِ الاربعة نقوش عجيبة تمثِّل هيئة التكهين وتقدمة الذبائح عند الرومان فترى الكاهن الذي يصبُّ الخمر وبجانبهِ الثور المقدَّم للذبيحة وآلات التقريب الى غير ذلك من المناسك الدينيَّة

ومن مميّزات هيكل السَّعْد كثرة نُقوشهِ وتصاويرهِ البديعة

وكان لإلهة المصريين إيزيس هيكل في پمپاي تختلف هندستهُ عن بقيّة الهياكل وقد وُجد فيهِ مذبح فوقهُ عظام الذبيحة مع رماد المحرقة

فيتضوَّر الماً فيحنّ الزائر لوجعهِ كما انهُ يذوق مع كلّ هؤلاء المنكودي الحظّ اهوال الموت

واجمل دارٍ تراها في بمپاي لم يكد يتغيَّر فيها شيء من حالتها القديمة دار اخوين من عائلة رومانيَّة شريفة تعرف باسم ڤتيوس (Vettius) . وانّما جُدّد سقفها الذي هبط منها وزُرعت جنينتها القديمة وجُعلت فيها النباتات والزهور التي رُسمت صورتها في رواق البيت . فيخال الناظر انها عامرةٌ بالسكَّان يقطنها الى اليوم احد ذوي الثروة

ولهذه الدار دهليز مع حجرة للبواب . ثمَّ باحة الدار في وسطها مُستمطَر (impluvium) وعلى يمين الداخل فسحةٌ اخرى مع مُستمطَر ثانٍ يُدخل منها الى المطبخ وادوات المطبخ الى اليوم في مكانها ويلحق بالمطبخ غُرف أُخر لخدمة الدار

وبجوار مدخل الدار محلٌّ كان القدماء يدعونهُ لاراريوم (lararium) يكرمون فيهِ آلهة البيوت المعروفين باللار او البينات (Pénates) . فتراهُ في الدار التي نحن في صددها غايةً في الجمال . وقد بُني حول باحة الدار حُجَر عديدة منها للاكل ومنها للنوم وكلُّها منقوشة بنقوش رائعة . واذ تجاوزت ساحة الدار بلغت رواقاً مربعاً مستطيل الشكل كثير النقوش في وسطهِ جنينةٌ على شكلهِ تزهو فيها الزهور وتزينها الفوَّارات والواح الرخام والدُّمى

ومن الرواق المذكور يدخل الداخل الى عدَّة حجر والى ردهة الاستقبال الكبرى فيها من التصاوير ما يفتن العقل بحسنهِ . وهي تمثِّل اطوار الحياة الرومانيَّة وضروب الحرف والصنائع كالطبّ والخطابة والحدادة الخ . على انَّ كثيراً من هذه التصاوير يغلب عليها المجون والخلاعة تنبئ بانحطاط الآداب بين اهلها وقد ونَّب احد شعراء اللاتين معاصريه على رسم مثل هذه الصور في بيوتهم امام نسائهم واولادهم

٥ (الحوانيت) موقعها على جانب الشوارع لكنَّها في الغالب ضيقة اللهمَّ الّا المخابز فانَّها واسعة بقربها الرحيّ للطحن مع الافران لخبز العجين . ومن الحرف التي وجدت آثارها في بمپاي الصيدليَّات والمطاعم وحوانيت لباعة الزيت والخمارين ومن يدخل هذه الحوانيت يجد حتى الان آنية الباعة ودنان الخمارين . وفي ساعة حلول المصاب كان بعض الجند يعاقرون الخمرة في الحان فرموا بنوافيرهم وفرُّوا هاربين . وكان كثيرون من هؤلاء الباعة مشقوا امام حوانيتهم بالفسيفساء خطَّ سلامٍ على اله الربح بلغتهم العاميَّة « salve lucru »

الثياب ثمَّ حُجَر مختلفة للاستحمام تدريجًا فكانوا اولًا يغتسلون بالماء البارد ثم يجتازون الى محلٍ ثانٍ فيهِ الماء الفاتر حتى ينتهوا اخيرًا الى الماء الحارّ. وفي كلّ هذه الامكنة مُغتسلات منقورة في الحجر تجري اليها المياه بالأنابيب. وكانت المواقد والمراجل توضع فوق المغتسلات فيجري منها الهواء الحارّ وراء الجدران وتحت البلاط فيسخّن الحمَّام على قَدْر مقصود المستحمِّين. وكلُّ هذه الحجر محفوظة الى اليوم لأنَّها كانت مقبَّبة متينة البنيان وباطنها مزيَّن بتصاوير ناتئة وبنقوش جميلة تمثِّل الحيوانات والزهور وآلهة الرومان الخ

٤ (بيوت خاصَّتها) من يدخل بيوت الخاصَّة في پمپاي يرَ احوال الرومان في عيشتهم الاهلية رأيَ العيان. لا يفوتهُ شيءٌ من هندسة كلّ دار وتقسيم حُجَرها وتنظيم اثاثها وزينتها. فانَّ كثيرا منها مرصَّع بالفسيفساء والنقوش والكتابات اللاتينيَّة فمن ذلك انَّك ترى امام باب احد هذه البيوت صورة كاب مربوط وتحتهُ هذه الكتابة «إحذر الكلب». وفي غيرها تصاوير عجيبة الاشكال دقيقة العمل نضرة الالوان لا يظنُّ من يراها انَّهُ قد مرَّ عليها نيِّف و ١٩ جيلًا. وفي اغلب هذه الدور حدائق بهيَّة المنظر فيها الاحواض والتماثيل لا ينقصها الَّا الزهور والمياه

امَّا متاع هذه البيوت فانَّهُ يجاري افخر ما يصنعهُ الصَّنَعَة في ايَّامنا كالاقداح والصحون والاطباق الفضيَّة المنقوشة وحليّ النساء ومصاغاتهنَّ وسجلَّات الكتابة والمصابيح الذهبيَّة والصناديق المملوءة من الحجارة الكريمة. امَّا الخزائن والاخشاب فقد تكلَّست بما اصابها من الموادّ البركانيَّة فبقيت صورها العجيبة في الرَّماد المتجمّد حتى أَمكن الحصول على اشكالها بصُنع قوالب تمثلها كما كانت

وعلى هذه الطريقة ايضاً تمكَّن المسيو فيورلّي من حفظ جثث موتى پمپاي بصبّ قوالب من الجصّ في الرماد المتلبِّد. فترى هيئات هؤلاء المساكين كما كانوا في ساعة النزاع تلوح على وجوههم إمارات الفزع ودلائل الوجع وعلامات اليأس والقنوط. فمنهم من يطلب الفرار وهو حامل كنوزهُ الثمينة. ومنهم من يتَّقي باليدين حجارة سقفهِ المتداعي. هنا فتاةٌ لاطية في زاوية الدار. وهناك والدتها منطرحة على الحضيض كأنَّها تطلب لها مفرًّا في اعماق الارض. هذا يكشر عن انيابهِ وذاك فاتحٌ فاهُ يصرخ بالويلات. وقد لحظنا في جملة جثث الموتى كلبًا يحاول قطع الطوق الذي يربط عنقهُ بعتبة الباب

ولما ان ضاقت بهِ الوسائط على الاقامة في ابرشيتهِ لكثرة ما ضايقهُ فيها من لا يدينون بتعاليمهِ الكاثوليكية وغيرهم . . الجأتهُ الحال الى ان فرّ الى ديار بكر وهناك بشر بالتعليم الكاثوليكي وانقطع الى المواعظ وارشد كثيرين الى الآداب والصلاح . لكنَّ اقامتهُ فيها لم تطل لضعفٍ طرأ على جسمهِ فعاد الى دير القديس يوحنا الشوير في مركز الرئاسة العامّة . ومنهُ استعفى عن ادارة الابرشية التي كان يرعاها فعُفي

واذ انحل من ارتباطهِ بالابرشية المذكورة سافر الى رومة العظمى يصحبهُ الاب . . . قندلفت احد ابناء الرهبانية الباسيلية المذكورة . فلمَّا ان بلغها وَفَدَ على الحبر الاعظم البابا بناديكتوس الثالث عشر فقبلهُ وقبَّلهُ ببشاشةٍ لما كان بلغهُ عن غيرتهِ الرسولية وتقواهُ . ثمَّ عيَّن لهُ مكانًا يسكنهُ مع كاهنهِ واجرى لهُ راتبًا سنويًّا

واذ كان هذا الاسقف مارًّا يومًا في احد الشوارع الضيقة واذا بعربة قد جمحت خيلها فصدمت الاسقف صدمةً القتهُ على الارض لا حراك بهِ . فاسرع الناس فنقلوهُ الى دير القديس اسطفانوس اول الشهداء وكان يسكنهُ وقتئذٍ رهبان من طائفة القبط الكاثوليك وهو مشيَّد وراء كنيسة القديس بطرس على بعد بعض خطواتٍ

فاذ بلغ خبر هذا الحادث سمع الحبر الروماني البابا اكليمنضوس الثاني عشر الذي خلف في ١٢ تموز سنة ١٧٣٠ البابا بناديكتوس الثالث عشر قام الى دير اول الشهداء اسطفانوس لعيادة الاسقف المذكور وزارهُ ايضًا كثيرون من نخبة الاكليريكيين ونفرٌ من الكرادلة وغيرهم

ولمَّا ان اشتدّت عليهِ وطأة المرض نُقل الى مستشفى « الروح القدس » حيث ما لبث الَّا قليلًا حتى فاض بروحهِ الطاهرة في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١ وبعد ان مضى على موتهِ ساعات طوال لحظ الجمهور ان هيئة وجههِ لم يغيرها الموت وان جبهتهُ ما زال يكللها العرق فبأمرٍ خاص أُبقي على فراشهِ ثمان واربعين ساعة أُخرى ثمَّ عمدَ اطباء الحبر الاعظم على فصدهِ في يدهِ فخرج منها للوقت دمٌ بلون دمِ الاحياء من البشر

ومن الامور المستغربة ايضًا ان جسمهُ لم يفسد ولم تنبعث منه رائحة كريهة كما انهُ لم ييبس كعادة اجساد الاموات وكانت تلوح على محياه علامة الفرح والهشاشة . وممَّا يُخبر ان عدَّة مرضى برئوا بدنوّهم منهُ ولمسهم جسمهُ وان انسانًا بهِ عاهة مزمنة شفي بغتةً مذ نقل اثرًا منهُ

ومما يستحقُّ الذكر ايضاً في پمپاي مقابرها وما تحتويه من المدافن الانيقة المزيَّنة باصناف الزين غير انَّنا قد اطلنا الكلام ولا يسعنا ذكر كل هذه الآثار العجيبة. لاسيَّما ان المدينة كلَّها اضحت مقبرةً لا يجد فيها الزائر الَّا ذكر الموتى فيعمل في قلبهِ هذا المنظر عملًا لا تمحيهِ السنون الطوال

ولمَّا انتهينا من زيارتنا سرنا الى غربيّ المدينة فدخلنا كنيسة كبيرة شادها رجال اتقياء من اهل نابولي ذكرًا للبتول وجعلوها كحرز لبلدتهم ودعوها «سيدة پمپاي». وقد اضحت اليوم مزارًا يحجّ اليهِ الناس من ايطاليا وفرنسة وبلاد أُخرى نازحة. وما جعل هذا المكان مقصدًا للزُّوَّار انَّ البتول الطاهرة قد اظهرت فيهِ قوّاتٍ ومعجزات لا تُحصى. فشاء الله ان تملك في هذه المدينة العذراء البريئة من الدنس بدلًا من الزهرة إلٰهة العهارة والفجور ونحن نلتمس من مراحم هذه البتول ان تحرس سكَّان تلك الاصقاع من حُمم الوسوف ولهيبهِ وتنجّينا واَيَّاهم بشفاعتها عليها السلام من نيران الجحيم وابالستهِ

ناوفيطوس مطران صيدنايا

نبذة بقلم الارشمندريت الكسيوس كاتب

قد اشتهر السيد ناوفيطوس مطران صيدنايا في اوائل الجيل الثامن عشر وكان من الروم الملكيين ينتمي الى الرهبانية الباسيلية من مجمع دير القديس يوحنا الصابغ الذي قرب الشوير في لبنان وهذا الاسقف كان في جملة الرعاة الذين ساموا في دمشق الطيّب الذكر كيرلس طاناس الشهير بطريركًا انطاكيًّا(١ في ٢٥ ايلول سنة ١٧٢٤ وهو الذي انشأَ دير النبي الياس حذاء رشميا «لبنان» وكان من الدين والآداب بمكانٍ عظيم واسع الفهم كثير المعارف

١) قرأنا في كتاب التواريخ المليَّة في شرح احوال البطريركيَّة الانطاكية القس يوحنا العجيمي (نسخة مكتبتنا الشرقية ص ٣٢٥) ما حرفهُ: «ولمَّا مات البطريرك اثناسيوس انتخب الدمشقيُّون ساروفيم طاناس (وهو كيرلُّس السادس) بامر والي دمشق عثمان باشا ابي طوق الذي كان محبًّا لخالهِ وآثروهُ عليهم بطريركًا. ورسمهُ ناوفيطوس مطران صيدنايا الذي تنيَّح في رومة بعرف القداسة. والمطران باسيليوس بن فينان اسقف بانياس الذي تنيح في دير المخلص بعرف القداسة. وافثيميوس مطران الفرزل. وذلك في مدينة دمشق في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ م» (المشرق)

Damascum melchita cath. ætatis suæ ann. 60 circiter sacramentaliter confessus R. P. Georgio Beniamino S. J., sacra communione refectus et sacra unctione roboratus in communione Sanctæ Romanæ Ecclesiæ Matris animam Deo reddidit, hora 19 in Archixenodochio Sancti Spiritus. ejus corpus translatum fuit die sequenti in ecclesia de Prop. Fide, in qua sepulturam sibi elegit, ubi associatum fuit a duobus parochis, videlicet sancti Petri in Vaticano in cujus dictione habitabat et Sancti Spiritus in Lassia usque ad januam hujus venerabilis collegii, hora prima noctis et die sequenti fuit expositum in hac ecclesia et quia ejus cadaver *mirabiliter* desudavit per spatium trium dierum et nullus fetor emanavit, existimatum fuit a medicis esse præternaturale, tumulatum fuit in sepultura majori hora 1 noctis cum dimidio præsentibus R.R.D.D. Joseph Asemani, Scandar Andrea, Petro Narsilo et R° Francisco Georgio Tramontano piorum operum rectore.

(المشرق) وهاك تعريب هذه القطعة ليقف قرّاؤنا على فحواها:

« من سجلّ موتى كنيسة مدرسة انتشار الايمان ص ٩٨ » . في ٢٤ شباط من سنة ١٧٣١ الساعة ١٩ (السابعة بعد الظهر) اسلم السيد ناوفيطوس نصري الحلبيّ (١ روحهُ للرب . وكان المذكور من طائفة الروم الملكيين ومطرانًا على صيدنايا المجاورة لدمشق توفي في وحدة الايمان مع امّنا الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة في الرباط المنسوب الى الروح القدس ولهُ من العمر نحو ستين سنة بعد ان استمع اعترافهُ حضرة الاب جرجس بنيامين اليسوعي (الماروني) وتزوَّد بسرّي القربان الاقدس والمسحة الاخيرة . ثمَّ نُقل جسدهُ في اليوم التالي الى كنيسة مدرسة انتشار الايمان التي اختارها لقبرهِ وقد شيّع جنازتهُ في الساعة الاولى من الليل كاهنان راعيان هما قيم كنيسة مار بطرس في الواتيكان لأنَّ المرحوم كان في حيز رعيّتهِ وقيم كنيسة الروح القدس في حارة لاسيا رافقهُ كلاهما الى مدخل هذه المدرسة الشريفة . وفي غد ذلك اليوم عُرض جسمهُ المكرَّم في هذه الكنيسة ولمَّا كان عرق عجيب يتقطَّر من جثتهِ مدَّة ثلاثة ايَّام دون ان ينبعث منهُ رائحة كريهة قضى الاطباء بانَّ ذلك من الحوادث غير الطبيعية . ثمَّ قبر في المقبرة الكبرى بعد مضي ساعة ونصف من الليل وقد حضر هذه الحفلة السادة الاجلَّاء يوسف السمعاني واندراوس اسكندر وفرنسيس جرجس وبطرس ترسيليوس وفرنسيس جرجس الترامنتاني متولّي ادارة الاعمال الخيريَّة

١) انَّ اللفظة اللاتينية hierapolitanus نسبة الى Hierapolis وهي مدينة من مدن سوريَّة ظنّها البعض حلب والكاتب اللاتينيّ حملها على هذا الظنّ . امَّا كون ناوفيطس حلبيًا فلا يشك فيهِ وقد قرأنا في التواريخ المليَّة للقس يوحنا العجيمي (ص ٣٧٨) ما حرفهُ : « وقد ارتسم على ابرشيَّة صيدنايا في حيلنا هذا المطران كايخنضس من تلاميذ السعيد الذكر افثيميوس مطران صور وصيدا

وقد اقيم لهُ مأتم حافل بحضور الكردينال بيترا وغيرهِ كثيرين ودُفن في كنيسة مدرسة مجمع انتشار الايمان المقدس تحت المائدة الكبرى

وفي جملة من شهد بصحة ما تقدم وشاهدهُ عيانًا من الشرقيين نخصّ الطيب الذكر اندراوس اسكندر الماروني الذي كان مترجم الكتابات الشرقية لدى الكرسي الرسولي وكذلك المؤرخ الماروني الشهير المونسنيور يوسف السمعاني رئيس مكتبة الفاتيكان. فانَّ هذا في فاتحة كتاب الفرائض المثبتة من الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر والمطبوعة في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٧٥٨ باجازة الرؤساء يقول مخاطبًا الرهبان القانونيين الباسيليين من مجمع دير القديس يوحنا الصابغ :

« وانتم بقيتم وحدكم مثل الخراف بين الذئاب ومثل الورد بين الشوك.... فمدَّت هذه الكرمة المباركة (يريد هذه الرهبانية) ليس قضبانها ... فقط ... بل وايضًا في فضائل (؟) الرؤساء والمرؤوسين وخاصةً بوجود رؤساء الكهنة الخمسة الذين ارتقوا من هذه الرهبانية الى درجة المطرنية وهم : (١) المطران مكسيموس رئيس اساقفة حلب حالًا الشهير باحتمال الشدائد من اجل الايمان الارثودوكسي. (٢) والمطران اثناسيوس. (٣) والمطران باسيليوس المؤتمنَين على رعاية الخراف الناطقة بكرسي بيروت وبعلبك اللذان اكملا بالعمل ما قيل للرعاة على فم هامة الرسل (١ بطرس ٥ : ٢) : ارعوا رعية الله التي فيكم متعاهدين بها لا عن اضطرار .. (٤) والمطران جراسيموس مطران حلب سابقًا . الذي امتُحن ايمانهُ افضل ثمنًا جدًّا من الذهب المجرَّب بالنار (١ بطرس ١ : ٧) اذ كابد النفي من اجل الرب واقتبل تمام ايمانهِ خلاص النفس. (٥) والمطران ناوفيطوس مطران صيدنايا الذي توفي في مدينة رومة العظمى حيث صار مشهدًا للعالم والملائكة والناس بالآيات التي ظهرت منهُ بعد انتقالهِ ». انتهى قول السمعاني

ونحن في تنقيبنا واستطلاعنا اخبار حياة هذا السيد الطيب الذكر عثرنا في مكتبة مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومة العظمى على الفقرة الاتية : وها هي بحسب حرفها اللاتيني :

Dal libro dei morti della Chiesa di Propag. Fede (p. 98.)
Die 24 Februarii 1731

Neophitus Nasri, hierapolitanus archiepiscopus de Saïdanaïa apud

ولكثير من كنائس لبنان في داخلها صهاريج (١ونوافذ ضيقة مستطيلة في جدرانها بقرب مدخلها كما في تولا وادّه (البترون). وترى في صغار في دار الخواجا انطون جرجس التي كانت كنيسة قديمة صهريجًا في داخلها ومرامي في جدرانها ويستدلُّ بهذه الآثار الهندسية على انَّ الاهلين كانوا في سالف الاعصار يتحصَّنون في الكنائس فتصير لهم الكنيسة شبه قلعةٍ لكثافة جدرانها ومتانة بنيانها فيشربون من مائها ويرمون القذائف من نوافذها

وفي هذه الكنائس أثر آخر يرتقي الى القرون المتوسطة وهو انَّهم كانوا يجعلون في جدرانها قطعًا من العواميد ظنًّا منهم ان البنيان يزيد بها شدَّة. ونرى مثل هذه العادة جارية عند العرب في ابنيتهم القديمة لنا شواهد على ذلك في بعض انحاء قلعة جبيل. وتغلَّبت عليهم هذه العادة حتى انَّهم كانوا اذا لم يجدوا عمودًا يدخلونهُ في بنائهم ينحتون دائرةً ناتئة في حجر كبير يمثلون بذلك صورة رأس عمود. كما ترى في قلعة حاب وفي الباب الشرقي في دمشق الخ (٢. وقد جرى مهندسو الكنائس المارونيَّة على هذه العادة فان لكنيسة مار ضومط في تولا ولمار جرجس في عبدلّه ولكنيسة السيدة في سمر جبيل ولكنيسة رشكيدا مثل هذه العواميد المتداخلة في بنيانها

*

ليست قبَّة الجرس في الكنائس الشرقيَّة كما تُرى في الغرب. فانَّ الغربيين جعلوا هذه القبَّة كقسم معتبر من ابنيتهم الدينيَّة فتراها مُدمجة بالبنيان متَّصلةً بها اتصالًا غير منفصم بخلاف الشرقيين فانَّ قبَّة الجرس عندهم من العوارض ليس بينها وبين كنائسهم رباط هندسيّ ولو خلت هذه الكنائس منها لبقيت هندستها الاصلية بحسنها وهندامها. والبيع المارونية القديمة لا تشذُّ عن هذه القاعدة العموميَّة. فانَّ من يحدّق بنظرهِ اليها يرَ لوقتهِ انَّ قبَّة الجرس من الملحقات التي زيدت على هذه الكنائس بعد بنائها.

١) وفي اماكن عديدة نرى الصهاريج خارج الكنيسة عند الدهليز مثلًا. ويُحتمل انَّها تكون حُفرت ليُغتَسل بمائها قبل مباشرة الاسرار. قال الدويهي في منارة الاقداس (ص٥٧): «مذ انتشرت النصرانيَّة اخذ ابناء الايمان يبنون الكنائس ويُجرون امامها منابع الماء او يحفرون الآبار ليستحمّ بها الداخلون. . . فقد رُسم على الكهنة في بدء النافور وآخرهِ ان يغسلوا أناملهم طلبًا للطهارة وتوقيرًا للاسرار» ٢) راجع بعثة فينيقية لرينان ص ١٥٩ و٥٤٧ الَّا ان هذا الكاتب قد اساء بنسبتهِ ذلك الى الصليبيين

ونحن نرغب اشدّ الرغبة ان تتثبت رسمياً من السدة الرسولية المقدسة برارة هذا الصالح الذكر. وفي هذا السبيل صادفنا تنشيطاً لدى من فاتحناهم برغبتنا هذه واستطاعنا رايهم ثم رفعنا لدى نيافة رئيس المجمع المقدس عرضاً نلتمس بهِ الفحص عن وجود جسم الصالح الذكر المطران ناوفيطوس وتحقيق ما جرى على يدهِ من الامور غير العادية ومن الخوارق غير الطبيعية

فنضرع الى ذوي الغيرة والشعائر الوطنية والحميَّة المسيحيَّة من اية طائفة ومن اية بلدةٍ كانوا ان يوافونا بما عندهم من المعلوميات عن الصالح السيد ناوفيطوس المذكور

ونوجه رجاء خاصاً للحلبيين ابناء وطنهِ وللابرشية التي رعاها والامكنة التي مرَّ بها ان يبحثوا في ما عندهم من التقليدات عنهُ وفي كتبهم الخطية التي يكثر وجودها عند بعض العيال لعلهم يقفون على اثرٍ ام حادث ذي مكانة يوقفنا على ما نحن طالبون الان وما غايتنا مما تقدَّم الَّا تكرمة عبيد الله وتكرمة البلاد الشرقيَّة التي فيها ولد وربي ناوفيطوس الصالح. ومن جاد علينا بشيء ام اراد مكاتبتنا في هذا الموضوع فليحرر لنا الى محل نيابتنا العامة في رومة العظمى (5. Piazza della navicella : Roma)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

كنائس الموارنة القديمة في لبنان (لاحق بما سبق)

وممَّا قد اذهلنا في قرى عديدة من لبنان انَّا وجدنا في جانب كنائسها كنيسةً أخرى لاصقة بها او قريبة منها بحيث تضحي الكنيستان كبناية واحدة . مثال ذلك كنيسة مار يوحنَّا وكنيسة مار تادروس في ادّه (جبيل). ومثلهما كنيستا شامات وتولا الخ

ومن قبلهِ كان اسقفاً على هذه الابرشية ناوافيطس السعيد الذكر « الحلبي الاصل » الذي توفيّ في رومية برائحة القداسة فقولهُ « حلبي الاصل » لا يبقي في الامر مراءً (المشرق)

ولنا في كتاب منارة الاقداس للحبر المفضال والكاتب البارع البطريرك اسطفان الدويهي دليل يرشدنا الى المقصود قال (راجع المنارة ١ :١٠٣) : « قسم الآباء القديسون الهياكل الكبيرة الى ثلاثة اقسام اي قدس الاقداس وبيت القدس والدار وفقًا لعدد الاقانيم الثلاثة كما يتبيَّن ذلك من كنائسنا القديمة مثل كنيسة القديس ماما في اهدن التي بُنيت في سنة ٧٤٩ وكنيسة القديس سابا في بشرّاي سنة ١١١٢ وكنيسة القديس دوميط في تولا من بلاد البترون وكنيسة القديس شربيل في قرية معاد من بلاد جبيل وغيرها ». فلهذه الافادات شأن خطير لاسيَّما انَّ المؤلف ذكر تاريخ بعض هذه المعابد. ويا حبَّذا لو زاد في تعداد الكنائس القديمة التي لم يكُ بعدُ استولى عليها الخراب في عهد الدويهي

ولنقدمنَّ على تفاصيل كل قسم من اقسام الكنيسة. فالحنيَّة كما سبق القول كانت محمَّلة بانواع النقوش والتصاوير التي افادنا الدويهي موضوعها (ص ١٠٤) قال: « وكان الآباء الاطهار يصوّرون الله الصباووت في حنايا الكنائس جالسًا على عرش العظمة. ويمثلون وجوه الحيوانات الاربعة حول العرش مع الملائكة وقوفًا يقدّمون لهُ البخور والمصابيح المتلألئة حولهُ وذلك لكي يرفع الكاهن نظرهُ اليهِ جلَّ جلالهُ عند ما يقدّم الطلبات في سرّ القدَّاس الالهيّ »

وكان للموارنة في كنائسهم القديمة تنظيمات أُخرى احببنا ذكرها لتتمَّة الفائدة منها توجيه الحنيَّة الى الشرق. وزاد الدويهي في المنارة (١: ١٠٧): « وان يكون فوق الحنيَّة طاقة الى جهة الشرق لأنَّ الله ابو النور». لكنَّ بعض الكنائس التي زرناها خلوٌ منها. ثمَّ أردف البطريرك المذكور: « وان يكون تحت الطاقة داخل الحنيَّة كرسيٌّ عالٍ في كنائس الاساقفة اشارةً الى عرش عظمتهِ... ويُنصب الكرسيّ في مكانٍ مرتفع لاجل تعليم حقائق الايمان... ويُجعل درج تحت كرسيّ الاسقف وتُقام حولهُ مجالس ومساطب متفاوتة لاجل جلوس الخوارنة والبرادطة (١ والقسوس... ومثلما اوجب الآباء ان تُبنى المذابح من الحجر للدلالة على استمرار الذبيحة ودوامها اوجبوا ان تُبنَى الكراسيّ في الحنيَّة من الحجر ايضًا (٢ »

١) جمع البردوط وهو زائر الكنائس . راجع المشرق (٢: ٦٤٩)

٢) راجع منارة الاقداس (١: ١٠٩–١١٤)

وادراك علّة ذلك سهلٌ وهو انَّ الاجراس المعدنيَّة حديثة العهد بين الموارنة لم يألفوا قرعها الّا بعد مجيء الفرنج الى بلاد الشام (١. قال العلامة الدويهيّ في تاريخ طائفته (ص ١٠٣). «وفي سنة ١١١٢ اخذ الموارنة في الجبل يدقّون النواقيس من النحاس بدل الخشب للصلاة»

ومن خواصّ لبنان كثرة كهوفهِ واغوارهِ التي تُرى في اكنافهِ. وقد اتّخذ اهل لبنان الاوّلون هذه المغاور كمساكن لهم احتلّوها فعاشوا فيها في قديم الزمن (٢ ثمَّ ابتنى اللبنانيون لهم القرى وشادوا البيوت فبقيت هذه الكهوف خاليةً خاوية حتى انتشرت في هذه البلاد انوار النصرانيَّة فلجأ اليها قوم من النسَّاك انقطعوا فيها الى العبادة والتألُّه وعاشوا ثمَّت عيشةً اشبه بعيشة الملائكة وجعلوا بتمادي الايَّام غِيرانَهم كنائس كان يقضي فيها السكَّان المجاورون لهم فرائضهم الدينيَّة. فمن ذلك الكهوف الواقعة في وادي قزحيا وفي سيدة القطّين التي تعرف اليوم باسم سيدة البزاز. وهي لا تبعد عن قرية صغار في وادٍ مُقفر فانَّ هناك ديرًا صغيرًا ذا طبقات متعدّدة ملتصقة كلُّها في الجبل وللدير سورٌ حصين فيهِ منافذ ضيقة كان النسَّاك القدماء يرصدون منها حركات العدوّ فيطردونهُ اذا ما فاجأهم. ولمعبد هذا الدير حنيَّتان عاديَّتان. وكان العبَّاد اذا جعلوا سكناهم في هذه الاغوار يتَّخذون اكبرها لمناسكهم فيجعلونها بيعًا كسيدة قنُّوبين وسيدة القطّين وقزحيَّا الخ

وممَّا يلحق بهذه الكنائس معبد كفر شليمان المنقور في الصخر وقد مرَّ ذكرهُ. ومثلهُ معبد مار سركيس للاباء الكرمليين في بشرَّاي. وكذا كنيسة مار بطرس في العاقورة فانها كلّها منحوتة في الصخر(٣ ولعلّها كانت مدفنًا للموتى في الأيَّام الغابرة (٤

*

وقد حان لنا الآن بعد ما ذكرناهُ اجمالًا عن كنائس لبنان القديمة من حيث هندستها العموميَّة وهيئتها الخارجة ان نبحث عن داخلها فنقف على صورتهِ واحوالهِ.

١) راجع المشرق (١ : ٥٨) ٢) راجع مقالة الاب زمُوفن في الطور الحجريّ في فينيقية (المشرق ١ : ٩٧)

٣) راجع الدويهي (ص ٢١٩) ٤) راجع بعثة فينيقية (ص ٣٠١)

بعض المذابح كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرسيّ اهدن ليغسل بهـا الكهنة والرؤساء ايديهم في خدمة الاسرار » (ص ١٤٥)

وكان امام المذبح دربزين وهو بمثابة الايقونستاس في كنائس الروم وكان لهُ مثلهُ ثلاثة ابواب بيد انَّهُ كان يختلف عنهُ بامورٍ. قال الدويهي إمام المؤرخين الموارنة: « اوجب آباؤنا الاطهـار ان تكون ابواب الدربزين مفتوحة وجدرانهُ غير مسطومة بل مصنوعة بثقوب على مثال شبكة حتى يتمكَّن الجميع من مشاهدة الاسرار. ولكنَّهم امروا الشمامسة ان يسبلوا الاستار في اوقات معلومة اجلالًا للاسرار (ص١٣٥)»

فكان اذًا الايقونستاس عند الموارنة اشبه بمشبَّك ليس بناء مصمتًا كما في كنائس الروم. ولعلَّهُ كان « كالشعريَّة» التي تفصل بين الرجال والنساء في كثير من كنائس لبنان الَّا انَّهُ كان متقن الصُنع. وقد شهدنا في كنيسة السيدة في حدتون قطعـةً من هذا الدربزين القديم. ولا علم لنا أبقي منهُ في بعض الكنائس ام لا. امَّا في عهد الدويهي فكانت هذه الدرابزين شائعة كما اثبت ذلك في منارة الاقداس (ص ١٢٨)

(ستأتي البقيَّة)

مطالب في بحث المطالب

للقس الفاضل جرجس منش الحلبي المارونيّ

يعلم الجميع انهُ لم يبلغ كتاب من كتب المتأخرين في علم العربيَّة ما بلغ اليـهِ هذا الكتاب « بحث المطالب » من ترامي الذكر وبُعد الشهرة وكثرة تداول الايدي لهُ واشتغال الناس بهِ على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وإجماعهم على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سواه من الكتب الموضوعة في فنَّيْ الصرف والنحو وتسابقهم الى طبعه ونشره مصدَّرًا باطراء مؤلّفهِ الشهير الى غير ذلك مما حملنـا على ان نفرد لهُ هذه المطالب التابعة في الكلام عليهِ مؤلَّفًا ومخطوطًا ومطبوعًا ومختصرًا فنقول وبالله الاستعانة على الابانة

مطلب اوَّل في الكتاب مؤلَّفًا

رحمة الله ورضوانه على نفس مؤلِفهِ العالم العلاَّمة المدقق والامام الفهَّامـة المحقق السيد جرمانوس فرحات الحلبي الماروني الشهير فانهُ لما رأى « اقبـال المستفيدين من

ومن الكنائس التي ترى فيها كلّ هذه الشروط مستوفاةً كنيسة مار جرجس في اهدن فانّها كانت كنيسةً اسقفيةً (١. هذا وانّ نَصْب كرسي الاسقف في الحنيّة عادةٌ تفرَّدت بها البيعة السريانية دون البيعتين اللاتينية (٢ واليونانية كما اشار الى ذلك العلامة الدويهي

وفي قدس الاقداس ما عدا كراسي الاسقف والكهنة بيتُ القربان او تابوت الاسرار كما دعاهُ العلاَّمة الدويهي وهذا نصّ كلامهِ (ص ١٠١) : «ويحوي تابوت الاسرار اربعة امور اي جسد الربّ والميرون المقدَّس وزيت العماد وماء الدنح»

وهذه افادات أُخر عن المذبح المنصوب بازاء الاسقف ننقلها عنهُ ايضاً (ص١١٣) : «آمر الآباء المتقدّمون كما يتبيَّن في كنيسة مار سابا بمدينة بشرّاي وفي كنيسة السيّدة بمدينة حلب وغيرها أَنْ يُنصب فوق المذبح في الهياكل الكبيرة قبَّة جميلة المنظر على اربعة اعمدة بأَربع ستائر وفوق الزوايا الاربع اربعة تماثيل تشخص الملائكة او الحيوانات الاربعة التي مرّ الكلام عليها ويُجعل فوق القبَّة تفَّاحة وفوق التفَّاحة صليب»

ولا بُدَّ ان يكون المذبح من الحجر مربَّع الشكل «لانَّهُ مائدة ويمتدُّ في الطول بين الجنوب والشمال اكثر من امتدادهِ في العرض بين الشرق والغرب لاجل وضع كتاب القدَّاس وحُقَّة البخور والنوافير وغيرها»

ويُحتَم بان يُجعل امام المذبح درجة او اكثر لكي يرتفع عن الحضيض (الدويهي ١ : ١١٤ و ١٤٤) وينبغي أَلَّا يكون «لاصقًا بالحائط قائمًا بمعزل عنهُ» (٣ على عكس ما نراهُ اليوم في كثيرٍ من الكنائس المارونيَّة. ومن المحتوم ايضاً «ان يجعل المذبح مجوَّفًا لاجل رفع الفضلات المقدَّسة (ص ١٤٤) وتُفتح كوَّة من جهة الشرق لاجل وضع الذخائر ورفعها عند الاقتضاء. وقد تُنصب اخيرًا مطهرة من جهة الجنوب بجانب

١) المنارة (١ : ٣٩٨)

٢) اما في الاجيال الاولى فكانت الكنيسة اللاتينية توافق السريانية في نصبها كرسي الاسقف في صدر الحنيَّة (راجع مارتيني قاموس العاديَّات المسيحية ص ١٣٧)

٣) وجاء في كتاب التكريسات الذي يُعنى الآن بنشرهِ الفاضل الاديب رشيد افندي الشرتوني (ص ١٩) : «يجب دائمًا ان يكون المذبح الكبير قائمًا بذاتهِ وحولهُ تصير الزياحات والرتب المرسومة من الآباء ولاجل ذلك امروا باقامة الحنيَّة حولهُ من جهة الشرق حتَّى لا يضايقهُ الحائط بتقدُّمهِ»

١٧١٠ ان بلغ بحث المطالب الى احد طلبة المسلمين فنقلهُ وغيَّر اسم مؤلّفِهِ وشواهدهُ وبعض تركيبه واهداه الى احد اصحابهِ من علماء القسطنطينيَّة فلمَّا تصفحهُ هذا العالم وجده عقد درٍّ محكم التنضيد فاعجبهُ غاية الاعجاب. ثمَّ قدم بعد حين الى طرابلس الشام لامرٍ يعلمهُ الله تعالى فأطلعهُ احد النصارى على البحث واعلمهُ بان مؤلِّفَهُ راهب يسمَّى جبريل فرحات ويقيم في دير ماري اليشع النبي قرب قرية بشرّاي فانذهل ذلك العالم وعلق يترقب جبريل الى ان عثر عليهِ فسأَلهُ: هل انت جبريل فرحات. فقال: اجل. فباحثهُ العالم طويلًا في العلوم ثم سألهُ: هل انت مؤلف البحث كما قال لي احد جماعتكم. فقال: بلى. فطلب العالم عندئذٍ نسخة منهُ فاستأْتى لهُ بواحدةٍ من خطّ يدهِ المباركة فاثنى عليهِ ثناء طيّباً

واعلم ان المعلم بطرس البستاني ليس هو اول من ندّد بهذا الكتاب(١ فقد سبقهُ الى ذلك احد الملكيين الذين عاشوا في اوائل هذا القرن. قال « ان اسقفهُ دعاه الى التنديد ففعل مكرهاً . . . دون ان يذكر اسمهُ تواضعاً . . . ». اما تنديده فعلى اغلاط النسخة التي وقعت لديه ليس غير ونظنّ انها مكتوبة في اواسط القرن الماضي(٢. هذا ما عرفناهُ عن الكتاب مخطوطاً فبسطناهُ تلخيصاً

مطلب ثالث في الكتاب مطبوعاً

ان هذا الكتاب الجليل الفائدة كما تداولتهُ ايدي الناسخين نحوًا من قرن ونصف قرن هكذا تداولتهُ ايدي الشارحين والطابعين مرارًا فأَطرأوهُ ومؤلِّفهُ معاً. قال المعلم بطرس البستاني في مقدمته عليهِ انهُ « اسهل ما أُلِّفَ من كتب الصرف والنحو مأخذاً واقربها تناولًا واعظمها نفعاً لكونهِ من احسنها ترتيباً ». وقال في مؤلِّفِهِ ما حرفه: « وانا اعترف بفضله علماً وعملًا واشهد لهُ أنهُ منقطع النظير بين الملّة المسيحيَّة في علم العربيَّة »

١) ليست في الغالب اصلاحات المعلم بطرس البستاني تنديدًا وهو القائل في مقدَّمته: « واقول اني لم اتعقَّب عثارهُ على سبيل التنديد كأنَّهُ قد اخطأ واصبتُ بل تنبيهاً للمطالع ان يتبصَّر في احد القولين فيقضي لاحدهما ولعلَّهُ يقضي عليَّ فاستفيد لانَّهُ لا يستحيل ان اكون قد ركبتُ شططاً . . . واقرُّ باني قاصر عن البلوغ الى بعض طبقاتهِ . . فان كنتُ اصبت ففي الزوايا خبايا وان كنت قد اخطأتُ فلمثلي الخطأ » (المشرق)

٢) وهذا دليل على انَّ النسخ التي نُقلت بعد زمن المؤلف بقليل تشوَّهت بالاغلاط (المشرق)

المسيحيين منصباً نحو معرفة القواعد العربيَّة . . . لكن يدهم تقصر عن الوصول الى غايتها لاسباب . . » جذبتهُ « عند ذلك يد الغيرة الاخوية جذب حنين الطبيعة الابوية الى احالة الحال المعجم وازالة الامر المبهم (١ » فألَّف في سنة ١٧٠٥ كتاباً سمّاه « بحث المطالب » فجاء ضخماً جامعاً قواعد الصرف والنحو وشواردهما واتبعهُ في سنة ١٧٠٦ بكتاب حواشٍ عليه التحفني منهُ بعض الاصحاب بكرّاسين يحتويان على حواشٍ على القسم الاول من كتاب النحو ولا اعلم عنهما غير انهما من مخطوطات اوائل هذا العصر التاسع عشر

بيد ان المؤلف رحمهُ الله تعالى لمَّا رأى صعوبة نسخ ذلك الكتاب الكبير وتعذُّر تحصيل ما فيهِ من المطالب المسهبة اختصرهُ في اواخر عام ١٧٠٧ تسهيلًا لروَّام علم العربيَّة وسمّى ايضاً هذا المختصر « بحث المطالب » وهو هو المتعارف بين الجمهور والمتداول من ايدي الناسخين والطابعين الى هذه الايام . امَّا البحث الكبير فاغتالتهُ ايدي الضياع على ما اظنّ لعدم تداولهِ وهذا هو الباعث الاول الذي حملني على تسطير هذه النبذة لعلّ الباحثين يعثرون عليهِ فيتحفون بهِ عالم العلم والادب . هذا ما امكن تحصيله عن الكتاب مؤلَّفاً اوردتهُ مأخوذاً عن نسخة من المختصر يقول كاتبها انها « مختصرة من بحث كبير للمؤلف (٢ » وعن فهرست مؤلفات المؤلف والاثنتان « اي النسخة والفهرست » مخطوطتان في طوالع هذا القرن (٣

مطلب ثانٍ في الكتاب مخطوطاً

قال صاحب « جامع الروايات في اخبار جبريل فرحات » (٤ ما محصّلهُ : كان في عام

١) فقرة من مقدمة المؤلف رحمة الله عليهِ

٢) هذه النسخة لرفيقي في المدرسة الخوري الجليل بطرس وهبه من شحتول في كسروان

٣) قد بحثنا في قائمة المخطوطات المصونة في امّهات مدن اوربَّا لعلنا نجد سنداً لهذه الرواية فلم نقف على شيء سوى انَّ النسخة التي في خزانة باريس تدعو كتاب الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات « بحث المطالب وحثّ الطالب » . وهو اسم يختلف عن الاسم الدارج في اغلب النسخ المطبوعة « بحث المطالب في العربيَّة » اللهمَّ الَّا ما ورد في مقدَّمة المعلم بطرس البستاني الذي وافق النسخة الباريسيَّة في تسمية الكتاب . على انَّ اختلاف الاسم لا يدلُّ على اختلاف المضمون . ونعلم حقَّ العلم انَّ النسخة الباريسية كاخواتها الشائعة عندنا (المشرق)

٤) لا اعلم عن هذا الكتاب ومؤلّفهِ شيئاً لانني لم احصل منهُ الَّا على جزء يسير

الطبعتين السالفتين دون تغيير شيء منهُ. ثمَّ طبعتهُ في سنة ١٨٨٣ مصحّحًا بقلم المعلم الفاضل سعيد افندي الشرتوني واعادت طبعهُ ستّ مرَّات متتالية (المشرق ٣: ٨٠٧) وهنا مقام نثني فيهِ على المصحح اللغوي لاعتدال لهجتهِ في اصلاح اغلاط الناسخين وتعقُّبهِ عثار من اراد ان يحطَّهُ عن منصَّة الامامة. ثمَّ طبعتهُ في هذه الايام المطبعة اللبنانية عن نسخة بخطّ المؤلِف وذلك باهتمام جناب البارع خليل افندي باخوس (١ صاحب امتياز جريدة الروضة. والطبعة المذكورة تحت مناظرة الاب الفاضل الخوري نعمة الله باخوس الذي علّق على كتابي الصرف بعض حواشيهما. وجناب الاستاذ العلّامة عبد الله افندي البستاني الذي زاد على مطالب كتاب النحو فوائد (٢. فنهدي طابعي الكتاب وشارحيه شكرًا وثناءً ينتشر طيبهما على آخر الدهر

١) سرَّنا كون جناب خليل افندي باخوس عثر على نسخة بخطّ المؤلف. ولكن كنَّا نحبُّ ان يُبيّن ذلك بادلَّةٍ قاطعة لانَّ ما جاء في مقدّمة هذه الطبعة الجديدة لا يقنعنا البتَّة وهذا قولهُ بالحرف: «امَّا نسبة هذه النسخة الى خطّ يد المؤلف نفسهِ رحمهُ الله فهي قائمة بحجّة دامغة تصدع بالحقّ وتثبت الدعوى بانّها رقم بنانهِ الطاهرة هي خلوُّها عمَّا كان المتقدون يرونهُ من المغامز في غيرها من النسخ الخطّيَّة». قلنا انَّ هذا ليس «بحجّة دامغة» لانهُ امكن احد اسلافهِ ان يصلح هذه الاغلاط. ثمَّ انَّنا قابلنا بين الطبعة الجديدة وبين نسخ خطيَّة قديمة هي في مكتبتنا الشرقيَّة وعند غيرنا من الادباء يشهد على احداها بعض الاساقفة انَّها منسوخة عن النسخة الاصلية فزاد ارتيابنا في قول الكاتب لانَّنا وجدنا في هذه النسخ الخطيَّة عدَّة فوائد لا اغلاطًا لم نجدها في الطبعة الجديدة. كباب افعال المغالبة مثل جاودتُهُ فجُدتهُ اي غلبتهُ في الجود وكتفسير معاني حروف الهجاء وغير ذلك فكيف نقضي بصحّة هذه وفساد تلك؟ ولعلَّ بعض هذه النسخ مع ما طرأ عليها من اغلاط النسَّاخ هي الاصلية دون النسخة التي أُخذت عنها الطبعة الجديدة. وزد على ذلك انَّ المؤلف عاش دهرًا طويلًا من بعد تأليفهِ فامكنهُ ان يكتب منهُ نسخًا عديدة زاد في بعضها ونقّص وحسَّن ونقّح فلم لا تكون هذه النسخ المختلفة جميعها لهُ الَّا ان بعضها دون بعض في الحسن والاصلاح

وعلى كل حال انَّنا نتمنَّى ان يُبطل مُجدّدو طبع هذا الكتاب الجليل حججنا بادلَّة اقوى من الدليل السابق مثلًا بان يعرفونا تاريخ الكتاب او يقابلوا بين خطّ نسختهم وخطوط اخرى كُتبت بيد الحبر العلَّامة جرمانوس فرحات وفي مكتبتنا الشرقيَّة كتاب بخطّ يدهِ الطاهرة يمكننا الاستدلال بهِ على اصل النسخة المرقومة. ويا حبَّذا لو اتحفنا اصحاب هذه الطبعة بصفحة من الاصل الخطيّ مأخوذة بالفوتوغراف كما هو دأب العلماء المحقّقين (المشرق)

٢) ونأخذ على هذه الطبعة الجديدة بعض المآخذ: (اولها) اختلاف اصحابها في طريقة الطبع فانَّ الجزء الاول طُبع فيهِ المتن بحرف كبير والشرح في ذيلهِ بحرف اصغر بخلاف الجزء الثاني فانَّ حرفهُ كلّهُ صغير والشروح ممزوجة بالمتن فلا يكاد المطالع يميّز بين نصّ المؤلف وحواشي

وقال المعلم سعيد افنـدي الشرتوني في الكتاب انهُ « باكورة التصانيف النصرانيَّة » وانهُ « يحتوي لباب كتب المتقدمين وينطوي على خلاصة تآليف المتأخرين ». وقال في مؤلِّفهِ انهُ « مرجع المحفل الصرفي وخطيب المنبر النحوي » الى غير ذلك من النعوت والاوصاف التي اطرأ بها الطابعون الكتاب ومؤلِّفهُ الشهير. وهاك تعـدّد طبعاته المختلفة منذ ابرازه الى عالم المطبوعات

فطبعة مالطة الامركيَّة هي اول مطبعة طبعت هـذا الكتاب في سنة ١٨٣٦ وصدّرتهُ بنقوش هيروغليفية (المشرق ٣ : ٥٠٤) وختمتهُ باعراب امثلتهِ دون ان تُحدث فيهِ شيئاً بل تركتهُ كما وصل اليها من ايدي النسَّاخ(١. ثمَّ ان مطبعة الحكومة اللبنانية طبعتهُ على مثال الطبعة السابقة الذكر(٢. ثمَّ ان المطبعة الامركية البيروتية طبعتهُ ايضاً في سنة ١٨٤٥ بعد ان اضاف اليهِ المعلم بطرس البستاني (المشرق ٣ : ٥٠٦) حواشي وتعاليق ضافية الذيول سوَّلت لهُ ان ينسب الكتاب لنفسه(٣ فسمَّاه « مصباح الطالب في بحث المطالب ». غير انهُ افرط بتنديده بالكتاب ومؤلِّفهِ رحمهُ الله تعالى. فمن هذا تنديدهُ بجدّ الحال (ص ٢٩٣ من طبعتـه) اذ قال: « أُنبَهمَ غير مأنوس » مع ان زيادة النون في « أُنبَهمَ » من النسَّاخ بلا شكّ. ومن ذلك تنديده بتعريف الموصول (ص ١٤٣) اذ قال: « والصحيح جزءا بالنصب » مع ان اسقاط الالف من جزء هو من الناسخين ايضاً. الى غير ذلك من الاغلاط النسخية التي لا يتصور عاقل انها تقع لرجل علَّامة كبير كالمؤلِّف شهد لهُ المندّد « بانهُ منقطع النظير... في علم العربيَّة » فلو راعى ما احدثه النسَّاخ في الكتب المخطوطة من حذف وزيادة لَما تعرَّض لأَمثال تلك الاغلاط السخيفة. فقل تبارك من استأثر بالكمال وحدهُ

ثم طبعتهُ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين الفضلاء في سنة ١٨٦٥ على مثال

١) بل اضاف متـولي طبعهِ في مالطة (ونظنُّهُ فارس الشدياق) نحو خمسين ملاحظةً على الاصل في ذيل الكتاب (المشرق)

٢) تمَّت هذه الطبعة سنة ١٨٧٦. وقيل في ختامها « تمَّ طبع هذا المؤَلَّف على النسخة المطوَّلة بقلم المؤلف خلا الخاتمة في الاعراب ». ومن قابل هذه الطبعة بطبعة المعلّم بطرس البستاني لا يخامرهُ ريب في ان صاحبها جرى على طبعة المعلم بطرس في اكثر المواضع. ومن ثمَّ فقولهُ على النسخـة المطوَّلة بقلم المؤلف دعوى بلا دليل (المشرق)

٣) في هذا القول غلوّ لأَن المعلّم بطرس البستاني بوضع هذا الاسم لم ينوِ نسبة الكتاب الى نفسهِ (المشرق)

نهاية

بعد تسطير ما تقدَّم خطر على البال ما اكَّدهُ لي بعض الاصحاب من وهمٍ عمَّ وساد على عقول الكثيرين وهو انَّ البحث الكبير مزقة الاستاذ الكبير الشيخ سليمان الحلبي الشهير لمَّا عرضهُ عليهِ تلميذهُ المؤلّف حسدًا منهُ وبغضًا. فعاد اذ ذاك الى تأليف كتابه المختصر المتعارف اليوم بين ايدي الجمهور ولكن هذا القول منقوض من وجوهٍ اخصُّها اولًا ما بسطنـاهُ في المطلب الاول ملخصًا عن اصدق الرواة الذين يركن اليهم كما رأيت. ثانيًا ان المؤلف ألَّف الكتاب في لبنان في حين انهُ لم يكن محتاجًا الى ان يعرضهُ على استاذه المذكور. وهب انهُ عرضهُ عليهِ فلا يتأتى لعقل عاقل ان يتصور ان مؤلِّفهُ المشار اليهِ لا يبقي عندهُ نسخة منهُ. ثالثـًا لو طالعت نتف كتاب جامع الروايات الآنف الذكر لقضيت عجبًا ممَّا كان يبديه الاستاذ المذكور من الاعجاب البالغ من تلميـذه المؤلّف حتى انهُ كان يبكي فرحًا كلما قرأ شيئًا من مؤلّفاته. ولا يتصورَّ انَّ من كانت هذه صفتهُ يقدم على ذلك الفعل الشنيع. والذي يظهر لي ان هذا الخبر محرّف عمَّا رويناه في المطلب الثاني كما يظهر بادنى تأَمّلٍ

فهذا ما كان من امر هذا الكتاب النادر المثال مؤلَّفًا ومخطوطًا ومطبوعًا ومختصرًا فعلى مؤلِّفهِ الشهير رحمة الله ورضوانهُ ما تلا الطالب منهُ حرفًا او حروفًا

الايقاع في الشعر العربي

للاب خليل ادّه اليسوعي (تابع لما سبق)

٤

من جملة الايقاعات التي اوردها صفي الدين البغدادي في رسالتهِ الشرَفيَّـة دورٌ غنائي يسمَّى الرمل هذه احدى صورهِ:

فَـعِـلَاتنْ فَـعِـلَاتُنْ ثمَّ يُعاد (١

١٠١٠٢٠٢ ١٠١٠٢٠٢

---

١) كنَّا اشرنا في اوَّل مقالتنا الى الزمن بخطٍّ مستقيم والى النقرات بنقط ولكنَّا حبًّا بالاختصار اهملنا هذه الخطوط وكنَّينا عن الازمنة ومقاديرها بالاعداد. وكذلك كان يجب ايضًا في آخر كل دور رسم اوَّل نقرة من الدور التالي لأنَّ تحديد كلّ زمن يقتضي نقرتين. فضربنا عن رسمها صفحًا واعتبرناها مقدَّرةً

مطلب رابع في الكتاب مختصرًا

لقد صادف هذا الكتاب — كما رأيت — حظًّا واقبالًا في اطواره السابق الايماء اليها ولم يعدم ذلك في هذا طورهِ الرابع. فانصرفت همم بعض العلماء الى تلخيصه واختصاره مع انهُ مختصر كما علمت. وذلك بلا ريب دليل على «قرب موعده وعذوبة مورده» كما قال الاستاذ اللغوي سعيد افندي الشرتوني. فاختصرهُ بادئ ذي بدء البطريرك مكسيموس مظلوم اذ كان بعدُ مطرانًا ودعاه «الاصول الصرفية والقواعد النحويَّة» وطبعهُ في رومية العظمى سنة ١٨٣٠ لافادة تلاميذ مدرسة عين تراز الملكية الاكليركية (١ ثمَّ لخصتهُ مطبعة مالطة الامركية تحت عنوان «الاجوبة الجلية في الاصول النحويَّة» وطبعتهُ في سنة ١٨٤١ (المشرق ٣: ٥٠٤) ثمَّ اختصرهُ المعلم بطرس البستاني تحت عنوان «مفتاح المصباح» وطبعهُ في المطبعة الامركية البيروتية سنة ١٨٦٢ (المشرق ٣: ٥٠٦) وجعلهُ كمصباح يهتدي بهِ الطالب الى بحث المطالب (٢

الشارح. (ثانيها) انَّ هذه الطبعة دون الطبعات السابقة من حيث اتقان الطبع وجودة الورق لا سيما الجزء الثاني. (ثالثها) انَّ متولي طبعها مع كثرة ما استفادوا من طبعتي المعلمين الفاضلين بطرس البستاني والشيخ سعيد افندي الشرتوني اهملوا ان يذكروا اسمها كانهم لم يعلموا بوجودهما. (رابعها) انَّ في هذه الطبعة اغلاطًا طبعية عديدة لم ينبَّه اليها في آخر الكتاب. كما ترى في الجزء الاول بين الصفحتين ١٠٢ و١٠٣ في الحواشي وكقولهِ مرَّتين (ص ١١١): «ضفضع» بدلًا من «ضفدع». وفي الجزء الثاني (ص ١١٣: «تكون الشمالا» والصواب «تكون التالا» وفيهِ (ص ١٠٨): «ولا وزٌّ ممَّا قضى الله واقيًا» والصواب «وزرٌ» وفيهِ (ص ١١٠): «الى حمامنا» والصواب «حمامتنا». وكذلك كنَّا احببنا لو اشار الشارح في القسم الاول الى ما بيَّنهُ حضرة الفاضل اللغويّ الاب حنَّا خليل مرتا في المشرق (٢: ٩٧٧) بخصوص أَفْعال جمع فَعْل فلا يقول (ص ٢٦١) «انَّ هذا الجمع غير مقيس في مذهب الجمهور» وقد اثبت حضرتهُ قياس هذا الجمع بثلاثمائة وثلاثين مثلًا. (خامسها) انَّ الشارح لم يحاشِ بعض امثالٍ غزليَّة في كتابٍ يتداولهُ صغار المدارس (المشرق)

١) راجعنا كتاب «الاصول الصرفية والقواعد النحويَّة» للسعيد الذكر مكسيموس مظلوم فرأيناهُ كتابًا مستقلًّا بذاتهِ لا تلخيصًا من بحث المطالب وانَّما استفاد فقط مؤلفهُ الجليل من البحث كما اشار الى ذلك في مقدَّمتهِ (المشرق)

٢) لم يُشعر المعلّم بطرس البستاني في مفتاح المصباح انَّهُ اختصر كتاب بحث المطالب ولكليهما طريقة مختلفة قائمة بذاتها (المشرق)

واحداً طويلًا يساوي زمنين. الَّا انهُ يمكن وجود حالة ثالثة للنَّقرة الثانية وزمنها تتوسط بين الحالتين الاولين وذلك بان تثبت تلك النَّقرة الثانية مع تثقيل الزمن الذي قبلها وتخفيف الزمن الذي بعدها فيصير الأوَّل مساويًا زمنًا ونصفًا والثاني نصف زمنٍ

فـا عِـلاتُنْ
٢٠٢٠١/٢٠١١/٢٠

وبهذه الصفة تتساوى ازمنة فَعِلاتُن وفَعْلاتن وفَاعلاتن. وعليهِ فتكون المقاطع المتحركة على قسمين قياس الاول زمنٌ تامٌّ وقياس الثاني نصف زمن. وكذلك المقاطع الساكنة نوعان نوعٌ قياسهُ زمنان ونوعٌ قياسهُ زمن ونصف زمن

	زمن				زمن	
تَ =	١	سريع		تنْ =	١١/٢	بطيء
	١/٢	اسرع			٢	أبطأ

وهذه الاقيسة كافية لبيان تساوي الازمنة ليس فقط في اجزاء الرمل لكن في اجزاء بقيَّة الابحر اللهمَّ ما كان منها مأنوس الاستعمال

ولا حاجة الى تنبيه الادباء انَّ رأينا هذا (١ لا يخلُّ بحقوق اللفظ لانَّ المقاطع المتحركة اسرع من الساكنة. ولا بدع لانَّ تساويهما بالطول عيبٌ (٢. امَّا كون المتحركة سريعة فأسرع والساكنة بطيئة فأبطأ فهو امرٌ طبيعيّ بل عكسهُ اصعب لأنك لو حاولت لفظ المقاطع المتحركة كلها بزمن واحد لما استطعت ذلك الَّا بالاحتراز والتأني

ولنا في اقوال المؤلفين الاقدمين ما يؤيد قولنا هذا عن وجود زمن متوسط بين

---

١) وهذا الراي قد سبق اليهِ من اعمل النظر في نظم اللاتين واليونان. فانَّهم لمَّا بحثوا عن البحر المعروف عندهم باسم (iambique) الذي تأتي اجزاؤهُ مزدوجة (٢٠١٠٢٠١٠ مثل مَفَاعِلُن عندنا) وجدوا ان المقطع الاول يجوز ابدالهُ بمقطع بطيء. فرأوا ان هذا التغيير يُخلّ بالوزن ما لم يُقَل انَّ نصف المقطع الثاني نُزع عنهُ ليضاف الى الاول فصار ٢٠/١١/٢٠١ ١/٢٠١٠١ (كمُسْتَفْعِلُن. عندنا) وهو عين قولنا في الشعر العربي (راجع Croiset : *poésie lyrique des Grecs*, 32)

٢) وهذا كثيرٌ في الانشاد فان المنشدين مراعاةً للوزن يجعلون المتحرك كالساكن فيلفظون ما جاء على «مفاعلن» كانهُ على «مستفعلن»

فتكون جملة هذه الازمنة ١٢ زمنًا. ثمَّ في الشعر ايضًا بحرٌ يقال لهُ الرمل يأتي مجزوءُهُ على هذه الصورة عينها: « فَعِلَاتُنْ فَعِلَاتُنْ » بعد دخول الزحافات المأنوسة عليهِ فلا أرى بدًّا من القول ان لدور الرمل في الغناء ولبحر الرمل في الشعر ايقاعًا واحدًا. ولنا في شهادة الصبَّان (١ ما يؤيد هذه النتيجة فانَّهُ قال في كلامهِ عن اصل تسمية بحر الرمل انهُ دُعي بذلك « لانَّ الرمل هو نوع من الغناء يخرج على هذا الوزن » يريد وزن الرمل الشعريّ

فاذا ثبت ان للرمل في الشعر والغناء وزنًا واحدًا يمكننا ان نعرف ازمنة المقاطع في الرمل الشعري اعني انَّها تتوالى على هذه الصورة:

فَـعِـلَاتُنْ فَـعِـلَاتُنْ

٢٠٢٠١٠١٠ ٢٠٢٠١٠١٠

فترى انَّ ازمنة كلّ جزء ستَّة

لكن الكل يعلمون ان « فَاعِلَاتُن وفَعْلَاتُنْ(٢» تقومان مقام « فَعِلاتُنْ » فيجب اذن وفقًا لما قدَّمنا عن ضرورة تساوي الازمنة في الاجزاء ان يكون قياس كلّ من « فَاعِلَاتُنْ وفَعْلَاتُنْ » ستة ازمنة ايضًا. ولكن كيف نقسم هذه الازمنة الستة بين مقاطع كل جزء

امَّا فَعْلاتُنْ فوجه تقسيمهِ ظاهر:

فَعْـلَاتُنْ

٢٠٢٠٢٠ = ٦ ازمنة

اما فَاعِلاتُن فانَّهُ على حسب القياس السابق يساوي سبعة ازمنة فتكون زيادة زمنٍ في الجزء خالًا لاسيما اذا تكرَّر في البيت كما مرَّ. وعليهِ فطلبنا قياسًا آخر لحلّ المشكل فنقول: اذا تأَملنا كيف تحوَّلت:

فَـعِـلَاتُنْ ٢٠٢٠١٠١٠

الى: فَعْـلَاتُنْ ٢٠٢ ٢٠ ٠

رأينا ان النقرة الثانية من الاصل سقطت واختلط زمنها بالزمن الاول فصارا زمنًا

١) راجع شرح الصبَّان على منظومتهِ في العروض ص٥٥

٢) ولم اذكر « فاعلاتُ » مع كون ازمنتهِ ستَّة ايضًا وذلك لانَّ تجزئتهُ (١٠٢٠١٠٢٠) مختلفة تغيّر رنَّة الايقاع ولذلك أُهمل استعمالهُ

عن « فَعِلاتُنْ » اعني انَّ فَعِلُنْ تُبدل بفَاعِلُنْ وفِعْلُنْ كما تُبدل فَعِلاتُنْ بفَاعِلاتُنْ وفَعْلاتُنْ لتساوي الازمنة في الحالتين (١

ثانيًا انَّ التفاعيل التي يدعوها العروضيُّون اجزاء اصليَّة لا يصحُّ فيها هذا الاسم الَّا نظريًا من باب الاصطلاح. واماَّ كونها اصليَّة من اصل وضعها فذلك لا يمكن القطعُ بهِ جزمًا. ولقد تبيَّن لك من قولنا في بحر الرمل انَّ اصلهُ في وضع الشعراء « فَعِلاتُنْ » لا « فَاعِلاتُنْ ». وليس هذا مناقضًا لقول الخليل واضع فنّ العروض لانَّ هذا الامام كانت غايتهُ في اتخاذ هذه الاجزاء ان ينهج طريقًا سهلة لتعليم صناعة النظم وتسهيلًا لحفظها وتقريبًا لموردها فجعل هذه التفاعيل اصولًا واعتبر التغييرات الواقعة فيها كزحافاتٍ منها مأنوسة ومنها غير مأنوسة. لكنَّهُ لم يفصل بكون هذه التفاعيل هي الاوزان « الأُولى » التي وضعها الشعراء قبلهُ وفرَّعوا منها بالزحافات بقيَّة الاجزاء. وممن ارتأَوا هذا الرأي قبلنا العلاَّمة دي ساسي المستشرق الشهير في كتاب العروض الذي جعلهُ في آخر غرامطيقهِ. ولذلك لم نتَّخذ دوائر العروض اساسًا لبحثنا عن حقيقة الايقاع

٥

بقي علينا لتتمَّة كلامنا عن الايقاع ان نضيف اليهِ شيئًا ممَّا يدعوهُ الفرنج « الزمن القويّ » (ictus, temps fort) ووجهُ تسميتهِ بذلك يترتَّب على ما مرَّ بك من أنَّ الايقاع جملة ازمنة متناسبة محدودة بالنقر تتعاقب باداورٍ متساوية فلا بُدَّ للسامع انَّ يميّز هذه الادوار بسهولةٍ ولذلك اعتادوا ان ينقروا نقرةً اشدّ في اوائل الادوار فسمَّوا زمن هذه النقرة الاولى « الزمن القويّ (٢»

والزمن القويُّ لا يختصُّ بايقاع الغناء فقط بل يكون في ايقاع الشعر ايضًا فانَّ المنشد يشدّد المقطع الذي يقع عليهِ هذا الزمن القويّ وهذا التشديد يدعوهُ الفرنج (accent métrique) توافقهُ عندنا لفظة « النبرة » (٣. ففي الوزن اللاتيني واليوناني

---

١) ويصح عن فعلن ما سيأتي عن النبرة وموضعها من فعلاتن لأنَّ « الرمل كالخبب » كما قال ذلك ابن السكيت في تهذيب الالفاظ (ص ٢٩٠)

٢) وارتأى بعضهم ان الزمن القويّ عند الاقدمين كان في آخر كل دور

٣) النبرة في استعمال القرَّاء والمغنين رفع الصوت على احد مقاطع الكلمة. ولمَّا كان

الزمن الاول =١ سريع الهزج والزمن الثاني =٢ خفيف الهزج . قال الفارابي بعد ذكرهِ الايقاعات الموصولة التي يلي نقراتها وقفاتٌ (١ :

« اما الموصولات التي لا تعقب نقراتها وقفات فهي صنفان احدهما هو الذي يعقب نقراتها اسرع نقلة بين نقرتين (وهو الزمن الاول) والثاني هو الذي يعقب نقراتها حركات « ابطأ من اسرع نقلة تمكن بينهما » (يريد ابطأ من الزمن الاول) « واسرع من نقلة تتعدد منها وقفة بعد نقرة » (اي اسرع من الزمن الثاني) . وهذا الثاني « متوسط » في زمان اخفِّ الموصولات (وهو الزمن الاول) وبين السادس من ذوات الوقفات (٢ (يريد الزمن الثاني) »

فيظهر صريحًا من هذا القول انَّهُ يوجد وزن قياسهُ متوسط بين ١ و ٢ اي ١ ١/٢ . فان كان الامر كذلك في ايقاع الغناء فما المانع من قبول زمن متوسّط في ايقاع الشعر تقاس بهِ المقاطع وان كانت ساكنة

واماَّ الزمن الاسرع فلا حاجة الى ايضاح امكانهِ فهو ظاهر كما مرَّ بك وعلى هذا المبدإِ بنى العرب قولهم عن الرَّوْم والاشمام والاختلاس

(فائدتان) يظهر مماَّ سبق : اوَّلًا ان الطريقة لمعرفة الادوار الشعريَّة يمكن الوقوف عليها بمعرفة ما جاء من اشباهها في الادوار الغنائية . فترى مثلًا انَّ الدور الثقيل الاوَّل عند صفيّ الدين البغداديّ يتألَّف من ١٦ زمنًا

مَفَاعِلُنْ فَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ

٢٠١٠٢٠١٠ ٢٠١٠١٠ ٢٠١٠١٠٢٠

فاذا قابلناهُ بمجزوء البسيط مع ما يجوز فيهِ من الزحافات وجدنا بين الايقاعين تشابهًا لا نظنُّهُ وقع على سبيل الاتفاق ليس الَّا

وكذلك اورد صفي الدين دورًا آخر مركبًا من ١٦ زمنًا يدعوهُ خفيف الثقيل هذه تفاعيلهُ

فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

٢٠١٠١٠ ٢٠١٠١٠ ٢٠١٠١٠ ٢٠١٠١٠

وهو كما ترى نفس الخبب من بحر المتداركِ . ثمَّ يصحُّ هنا في « فَعِلُنْ » ما قلناهُ

---

١) راجع الصفحة ١٤٩ من طبعة كُسغارتن

٢) اطلب ايضًا ما يقولهُ الفارابيّ في هذا المعنى (ص ١٢٩) وفي باب التمخير (ص ١٧٥) وراجع ايضًا رسالة اخوان الصفا في الموسيقى (ص ٩٠)

اذا واصلت النَّقر لا تلبث الادوار ان تتوالى كما هي بتمامها فلا يتغيَّر اذن الايقاع (١.
ورأي الفارابيّ ان لا يبتدئ الناقر من اوَّل الدور كيْ يخيل للسامع تعلّقًا بما سبق
(راجع قولهُ في طبعة كسغارتن ص ١٦١). وعليهِ فلا يسعنا القول ايّ نقرة هي اوَّل
الدور من مجرَّد وقوفنا على قياسات الازمنة وتنظيمها. ولكن اذا ما قابلنا الشكل
الثالث مع الاوَّل لعلّنا نهتدي الى الصواب فانَّ النقر فيهما يبتدئ بالزمن عينهِ ولكن
يختلف الثالث عن الاوَّل بسقوط النقرة الثالثة والخامسة والسابعة والثامنة من الشكل
الاول. ثمَّ اذا تأمَّلنا الشكل الاوَّل او الثاني رأينا انَّ الدور يتألَّف من دورَين
متساويين اعني انك تجد بعد اربع نقرات او اربعة ازمنة متوالية ايَّة كانت اربعة
ازمنة اخرى هي عين الاولى الخ. ولذلك قالوا في استعمال التفاعيل « مُفتَعِلُنْ مُفتَعِلَنْ »
او فَعِلَاتُن مرَّتين. وعليهِ يمكننا القول وفقًا لما ذكرناهُ عن النقرة القويَّة والنبرة التي توافقها
في لفظ التفعيل انَّ في كلّ اربع نقرات نقرةً قويَّة او في كل جزء مثل مُفتَعِلُنْ نبرةً
ولا يتغيَّر مطلقًا محلّ ذلك « الزمن القويّ » او تلك النبرة في الجزء اعني انهُ اذا وقع
على مقطع « مُفْ » من مُفتَعِلُنْ في اوَّل جملة يقع عليها دائمًا في بقيَّة الاجزاء لأنَّ كلّ
هذه الجمل متساوية فيكون بين النبرة والنبرة بُعد ٦ ازمنة

فينتج من كلامنا انَّ في كل دور من الرمل نبرَتين بُعدهما عن بعضهما ٦ ازمنة.
فان كان الامر كذلك وجب وجودُ هاتين النقرتين في الضرب بمقتضى الشكل الثالث

١) ومن ثمَّ ترى انَّهُ من الممكن وقوع اختلاف في الابحر دون اختلاف الايقاع. وهذا ما ارادهُ العروضيُّون بوضعهم دوائر فنّ العروض فانَّ لكلّ دائرة ايقاعًا واحدًا يشمل عدَّة ابحر على حسب عدد النقرات. قال القديس اغوسطينوس في تأليفهِ عن الموسيقى (ك ٣): « كل بحرٍ ايقاع وليس كلُّ ايقاع بحرًا » لانَّ الايقاع هو توالي ادوارٍ لا يُحدُّ عددُها وامَّا البحر فانَّهُ يتضمَّن عددًا معلومًا من هذه الادوار ولذلك سمَّاهُ القدماء μέτρον وترجمهُ القديس المذكور بلفظة mensura او mensio اي قياس. وعليهِ فيتَّضح لك انَّ الرَّمل مثلًا ومجزوَّهُ ايقاعٌ واحد لانهما لا يختلفان الَّا بعدد الاجزاء وكذلك لا تختلف الايقاعات الآتية لتساوي ازمنتها:

فَعِلَاتُنْ فَعِلَاتُنْ فَعِلَاتُنْ... الخ
— مَفَاعِيلُ مَفَاعِيلُ مَفَاعِيلُ... الخ
—— مُسْتَفْعِلُ مُسْتَفْعِلُ مُسْتَفْعِلُ... الخ
——— مُفْتَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ... الخ

القديم الذي ذكرناه المسدّس (hexamètre) تكون مواقع هـذه النبرات على اوائل الاجزاء

فما قولنا في الشعر العربيّ هل لجمله ايضاً ازمنة قويّة ؟ هل لمقاطع تفاعيله نَبرات ؟ أقرّ بكلّ سذاجة اني لم أرَ لهذا الامر ذكرًا في المؤلّفات التي اخذتُ عنها (١. ألعلّ العرب لم يحتاجوا الى هذه النقرة القويّة للتمييز بين ادوار ايقاعاتهم لأنّها تنتهي بفواصل اطول من الازمنة الواقعة بين نقرات الجملة فيسهُل على السامع ادراك اوائلها ؟ لكني لا ارى هذا كافياً لنفي الامر مع كونه طبيعياً نختبره كلّ يوم في الغناء والزّمر والدّق على الطبل والرقص. او ليس الاحرى ان يقال انهم سكتوا عنـهُ لكثرة شيوعهِ بينهم (٢

فهيّا بنا اذن نسعى وراء المطلوب. ولا تقل انّ هذه النبرات تقع في اوائل الادوار وانت لا تعلم اي النَّقرات هي الأُولى. فانّ الرمل مثلًا ورد عند صفيّ الدين على صور مختلفة من حيث التجزئة كما ترى

١ً مُفتَعِلاتُن فَعِلُنْ (او مُفتَعِلُنْ مُفتَعِلُنْ) ٣٠١٠١٠٢٠٣٠١٠١٠٢٠ الخ
٢ً — فَعِلاتُن فَعِلاتُنْ ٣٠٢٠٣٠١٠١٠٢٠٣٠١٠١٠ الخ
٣ً وباسقاط بعض النقرات ٠٢٠ ٢ ٠ ٤ ٠ ٤ الخ

فترى من الشكل الاوّل والثـاني انّ بدء النَّقر يختلف ولا بأس من ذلك لأنّك

تشديد الصوت في اللفظ يؤدي الى ارتفاعهِ في الغالب اصطلحنا على هذه اللفظة ولو وجدنا لفظة اخرى عند الاقدمين لاستعملناها الّا انّنا لم نقف في تآليفهم على ذكر هذا الباب البتّة

١) النقرات عند المحدثين على نوعين « تَكْ » و« دُمْ » لكنّ النقرة القويّة تقع على كلّ منهما على حدّ سوى. ثمّ ان بعض ايقاعات المغنّين يتوالى فيهـا ضرب التّك دون ابطاء وهذا لا يصحّ في النقرات القويّة اذ لا بد لها من ازمنة او نقرات خفيفة تتخللها

٢) ورد في الاغاني (طبعة مصر ٢ : ١٢٥) عن مالك بن ابي سمح قال « اني سألتُ يوماً ابن سُرَيج عن قول الناس فلان يصيب وفلان يُخطئ وفلان يُحسن وفلان يسيء فقـال : المصيب المحسن من المغنّين هو الذي يُشبع الالحان ويملأ الانفاس ويعدّل الاوزان ويفخّم الالفـاظ ويعرّف الصواب ويقيم الاعراب ويستوفي النغم الطوال ويحسن مقاطيع النغم القصار ويصيب اجناس الايقاع ويختلس مواقع النبرات ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات. فعرضتُ ما قال على معبد فقال : لو جاء في الغناء قرآن ما جاء الّا هكذا ». قلنا فيظهر من هذه الرواية ان كلمة « نبرة » مرجعها الى الايقاع. فلم لا يكون اذن معناها ما أردنا أنفاً ؟

الشهامة في حب القريب

تعريب المعلم الفاضل يوسف ابي سليمان مدرّس العربية في كليّة القديس يوسف

(تتمّة لما سبق)

على انَّ الراعي الصالح المذكور لم يبذل نفسهُ دون خرافهِ في هذهِ المرَّة فقط. فما مرَّ عليهِ عشرة ايَّام مذ أَبَلَّ الجنديُّ المجدور وعاد الى وطنهِ سالمًا شاكرًا للكاهن مخلّصهِ حتى اصاب القرية داءٌ اثقل من الجدريّ. فانَّ العدوّ كان يقترب من القرية بخيلهِ ورجلهِ لا يبقي ولا يذر

فتصدَّت لهُ في طريقهِ شرذمة من الفرنسيس والتحم القتال بين الفريقين فعلا الصراخ ودوت المدافع كالرعد القاصف وتساقطت القنابل على الارض كالبرد وحجب دخانُ البارود الحالك عينَ الشمس

ففي تلك الاثناء كان اهل القرية يذوقون الموت وينتظرون من دقيقة الى اخرى قدوم العدوّ لا يعرفون ما سينالهم بورودهِ من الويلات. ولم يكن الكاهن الغيور السابق ذكرهُ ليهملهم في ساعة المحنة بعد ان ضحَّى نفسهُ لاجل جندي غريب. فجمع الرعية في الكنيسة واخذ يقوّيها ويُوطّد آمالها

وما عتَّم ان عزفت أَلحان الحرب ولا عزيفَ الجنّ واذا باشباح كانها من قوم العمالقة لاحت منحدرةً في تلك الاودية لا عدَّ لها ولا عديد وهي لا تلوي على شيء حتى ادركهم الليل

فامر حينئذٍ المشير ان يأخذ الجند نصيبًا من الراحة تلك الليلة قبل مواصلة السير الى الامام فأقام لذلك الحرس من الجهات الاربع فكانوا يطوفون حول الجيوش متيقّظين كلهم آذان تسمع وعيون تبصر لئلا يبغتهم باغت او يكمن لهم كمين

على انَّ العسس مع ما كانوا عليهِ من التحفُّظ لم يتمكَّنوا في جوف الليل من نظر بطلين في عنفوان الشباب كانهما أسدان برزا من مكمن واحدٍ فاخذا يجولان ويفرَّان من وهدةٍ الى وهدة ومن دغل الى دغل ومن عوسجةٍ الى عوسجةٍ حتى دنَوا من ذلك المعسكر فأطلقا عليهم النار اربعًا وكرَّا على اعقابهما كالبرق وهما يزأران ولا زئير السباع

لأنّـهُ من جهةٍ لا يختلف عن الاوّل الّا بسقوط بعض النقرات ومن جهـة اخرى لا تسقط فيـهِ النبرتان لعظم شأنهما وهما كمحور الضرب في الايقاع. والحال ليس بين النُقر الباقية في الشكل الثالث الّا النقرتان الثانية والرابعة اللتان بينهما ستّة ازمنة اذًا همـا النقرتان القويّتان يناسبهما في التفاعيل التاء في «مُفْتَعِلُنْ» والفاء في «فَعِلَاتُن» فالنبرة تكون اذن على هذين الحرفين. وان انشدت بيتًا يتركب من فَعِلَاتُنْ كما في الرمل فينبغي نَبر الصوت على اوّل كلّ جزء منهُ(١ مع مراعاة ازمنة المقاطع كما قلنا. مثال ذلك :

رُبَّ | ركبٍ | قدْ أَناخوا | حوْلنا. | | يَشربون اْا | خمْرَ بالما | ءِ الزلال. |

وقد اشرنا الى النبرة بعلامة (ʼ) فوق المقطع الذي «زمنـهُ قويّ». امَّا النقطة في آخر الشطر فهي عبارة عن سكوت يساوي زمنين. ولزمن السكوت اعتبـارٌ في الايقاع كما لا يخفى(٢

هذا وكان بودّنا ان نؤيد قولنا عن حقيقـة وزن الرَّمل وخصوصًا من حيث النبرة بشواهد من الالحان العربيَّة القديمة الشائعة حتى الآن في المشرق فلا شـكَّ ان قسمًا عظيمًا منها يتداولهُ ارباب الصناعة بل جمهور الشعب(٣. وانّنا لا نيأس من بلوغ اربنا اذا ما اتمّ حضرة الاب كولنجت الدروس التي باشرهـا عن فنّ الموسيقى بين العرب. وما يضمن لنا نجاح مسعاهُ طول باعهِ في العلوم الموسيقيَّة مع معرفتـهِ لعادات الشرقيين وآدابهم. ارشدنا الله وايّاهُ الى كلّ قول صواب



١) من شأن النبرة ان تمدَّ الصوت غالبًا. ولعل ذلك هو الداعي لابدال فَعِلَاتُن بفَاعِلَاتُن

٢) اذا قابلنا هذا الايقاع بالاوزان الشائعة في الغناء الفرنجيّ وجدنا انَّهُ هو الوزن المسمَّى عندهم بالمثلَّث (mesure à 3 temps). لانَّ سريع الهزج عندهم بمثابة ما يدعونهُ (croche)

٣) انَّ معرفة الحداء القديم تؤدّي بنا الى معرفة ايقـاع الرجز. ورد في كتاب الاغاني (طبعة مصر ٢ : ١٦٢) «. . . ما تقولون في «الرجز يعني الحـداء». قالوا: لا بأس بهِ عندنا. قال: فما الفرق بينهُ وبين الغناء. . . الخ». وجاء مثل ذلك في مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ٨ : ٩٢) في جملة قول عبد الله بن خرداذبه للخليفة المعتمد

فانطلق الكاهن الغيور على وجههِ حتى اتى دار الشيخ حيث كان المساكين محبوسين في الطبقة السفلى. فدخل عليهم فوجدهم في حالة يبكي لها الصخر ويذوب الجلمود. فانهم كانوا مشدودين وثاقاً من ايديهم وارجلهم بحبل واحد وكان اثنان منهم مغمياً عليهما والثالث مُصاباً بحمّى نافض تُرعدهُ كالورقة في مهبّ الريح والرابع والخامس صابرَين على نكبات الدهر واماَّ السادس فكان يظهر جَلودًا طاق المحيَّا ثابت الجنان كأَنهُ لا يبالي بما سينزل بهِ وكان يناهز الاربعين من عمرهِ لهُ خمسة صبيان ايتامُ الامّ هو عضدهم الاوحد. فشرع الكاهن يُظاهرهم على الرزيَّة ويضافرهم على البليَّة ويعزيهم باسرار الديانة المسيحيَّة ويحثهم على الصبر ويذكرهم باجر الصابرين

فاظهر هذا السادس في اول الامر غاية الصبر والجلد باصغائهِ الى اقوال كاهن الله الوقور. لكنَّهُ ما لبث ان قنط وأَخذ منهُ اليأْس مأخذهُ فهبَّ يجدّف ويقذف من الشتائم افظعها ويلعن الطبيعة برمَّتها. ثم انتقل من اليأْس الى الحزن والتفجُّع فبكى صبيتهُ طويلًا. ثم عاد الى القنوط فطفق يلعن ويقول: «سرْ ايها الكاهن وائتني ببنيَّ الخمسة لاموت واياهم بجريرة غيرنا فان يموتوا فرائس الظلم والنار خير من ان يموتوا فرائس الجوع والعار»

فلمَّا يئس كاهن الله من تضميد جراحهِ وتسكين روعهِ ووضع السلام في قلبهِ. خرج من السجن ومشى حتى اتى موقف الكتيبة فاستأْذن اميرها بالكلام فاذن لهُ. فقال وهو رابط الجأْش يلتهب قلبهُ التهاباً بنار الغيرة والحميَّة:

« ايها الضابط لقد ساق اليك القدر ستة رجالٍ من ابناء رعيَّتي فاسرتَهم وحبستهم وعن قليل تميتهم ولا ذنب عليهم. انما تنكّل بهم بجريرة غيرهم لان الجانين فعلوا ما فعلوا ولاذوا بالفرار. وانما تُنزل بهم هذا العقاب الصارم تأْديباً لغيرهم واذ ذاك فلا فرق عندك ان قتلت زيدًا وعفوت عن عمرو او اهلكت هذا وصفحت عن ذاك. وانا ارى انَّهُ مهما كان الرجل منَّا وجيهاً مقدَّماً في قومهِ مشمولًا عندهم بالكرامة كانت العقوبة أزجر وانفع. والان ايها الضابط لقد اتيتك ملتمساً منك ان تعفو عن رجلٍ بموتهِ يموت صبيتهُ الخمسة وتقبلني بدلهُ في عدد الضحايا. نعم اننا كلينا بريئان غير انّ في قتلي عبرة اردع وانجع »

فاجابهُ: لا بأس من ذلك فحياتك بحياتهِ

فرميا منهم ثلاثة أصابهم الرصاص في صدورهم فاصماهم امَّا الطلق الرابع فانَّهُ أصاب ضابطاً في امّ رأسهِ فأطار لهُ قبعتـهُ وفلق فلقةً من هامتهِ فخرَّ وهو يصيح : دونكم بنـادق الصيد ذوات الطلقين . وللحال أطلق العدوّ على هذين البطلين نيِّفاً وعشرين طلقاً فدوى الرصاص في آذانهما وسقط حواليهما ولم يمسَّهما من ذلك شبـهُ اذًى

ولمَّا كان الصباح انطلقت كتيبة في طلب الجانيَين متوجهةً الى القرية فصـادفوا عند مدخلها ستة رجال من اهل المحلّ فقبضوا عليهم وساروا بهم الى شيخ الضيعـة فعظَّم ضابطهم الامر وقال: « انت هنا صاحب الامر والنَّهي . إذن انا آتٍ اليك من قبل مولاي لاعلمك انَّهُ قد أُطلقت النار على جنود جلالتهِ اربع طلقات . فاخترْ امَّا ان تدفع الينا أصحاب الجريرة فنقتلهم بمن قُتل من اصحابنـا وامَّا ان نقتل ستة رجال صاروا في حوزتنا وقبضتنا ليكون ذلك عبرةً زاجرةً . ونُفسح لك في الجواب الى ظهر غدٍ . واعلم ان ضيعتك قد اصبحت تحت الحكم الحربيّ » . ثم تحولوا من هنالك يبحثون عن موضع يجعلونهُ مقتلًا

فاضطرب الاهلون وارتعدوا واخذت النساء تصيح وتنادي بالويل والثبور وطفق الرجال يلتمسون المخرج ممَّا وقعوا فيهِ فلم يجدوا لهم مفرًّا من وجه العدوّ الذي كان قد دار بالقرية من اربع جهاتها . فتجمعوا في دار الشيخ وقضوا ما بين الصيحات والزفرات انَّهُ لا بُدَّ من تسليم الذين اوقعهم القدر بين ايدي الاعداء لانَّ الجانيـين لم يكونا من قريتهم ولم يكُ لاحدٍ معرفة بهما

هذا ولمَّا يئسوا وحبطت منهم المساعي قضوا ذلك النهار ينوحون ويولولون ويتقلَّبون على جمر الغضا متوقعين شرّ المُنقلب

على ان الشيخ والكاهن وبعض أَوجه الضيعة ذهبوا الى امير الكتيبـة وتوسَّلوا اليهِ ان يعفوا عنهم مبيّنين لهُ ان الاهالي براء لا يعرفون الغدر فلم يسمع لهم مقـالًا . ثم اقبلت النساء ناٸحاتٍ باكيات وانطرحنَ على قدميهِ متوسلات فردّهنَّ خائبات وأَبى الَّا الانتقام واعتذر انهُ مأمور يقوم بامر مشير الفيالق الملكيَّة

غير انهُ قال للكاهن: « قـد سمحتُ لك ان تدخل على الاسرى واطلقت لك الحرّية في استعمال كل ما تراهُ مناسباً من امور دينك واسرارهِ »

ديوان

حماسة البحتري

نخبة نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

من جملة الكتب الادبية التي اضحت في عهدنا اعزّ من بيض الانوق ديوان حماسة ابي عُبادة الوليد بن عُبيد الشهير بالبحتري. وهو مجموعٌ جليل لم يكد الشرقيون يعرفون اسمهُ لولا ما ورد في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان حيث قال في ترجمة البحتري: «وللبحتري ايضاً كتاب حماسة على مثال حماسة ابي تمام». لكنَّ الله لم يسمح بفقد هذه اليتيمة الفريدة فان خزانة كتب ليدن في هولندة تحتوي بين مخطوطاتها الشرقيَّة نسخةً منها قديمة اسعدنا الحظ بمطالعتها ونَقلها بيدنا الحقيرة في منتصف عام ١٨٩٤ (١

والكتاب المذكور بقطع صغير عدد صفحاتهِ ٤٠٠ يدخل في كل صفحة ١٥ سطرًا وليس لهذا الديوان مقدَّمة وانَّما ورد في صدرهِ ما نصُّهُ:

« كتاب الحماسة تأليف ابي عبادة الوليد بن عُبيد البُحتري عفا الله عنهُ. اختارهُ من اشعار العرب للفتح بن خاقان (٢ مُعارضةً لكتاب الحماسة الذي صنَّفهُ ابو تمام حبيب بن اوس الطائي رحمها الله وعفا عنهما. رواية ابي العباس احمد بن محمَّد المعروف بابن ابي خالد (٣ عن ابيهِ عن البُحتَري (كذا بفتح التاء والصواب ضمُّها) رحمهُ الله برسم الخزانة السعيديَّة العلويَّة الأَجليَّة الفخريَّة عمدها الله ببقاء الامَد »

وهذا الديوان محرَّر بخط حسن لم يُذكر اسم كاتبهِ. ولعلَّهُ من مخطوطات القرن الرابع او الخامس للهجرة كُتب برسم خزانة بعض الامراء نظنُّهُ فخر الدولة ابن بويه.

١) ونتهز هذه الفرصة لاداء فروض الشكر للعلَّامة المستشرق الشهير دي غوي (de Goeje) ناظر خزانة كتب ليدن الذي اكرم مثوانا وساعدنا في اتمام شغلنا

٢) هو وزير الخليفة المتوكّل الذي قُتل معهُ سنة ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م

٣) احمد بن ابي خالد الاحول كان من ادباء القرن الثالث للهجرة مختصاً بخدمة المأمون. ولهُ مع المأمون اخبار ذكرها ابو الفرج الاصفهانيّ في كتاب الاغاني (٩: ٦١ و ١٤: ٢٧, ٢٨ و ١٨: ٤٠)

ومن ثمَّ قادهُ اربعة انفار الى السجن ففكّوا ذلك الرجل ابا الخمسة الصغار وقيَّدوا الكاهن مكانهُ فقضوا في سجنهم بقية ذلك النهار والليل الذي وليَهُ

امَّا ما قاساهُ هؤلاء المنحوسو الطالع من الاوجاع وما تجرَّعوهُ من المرارات سحابة الليل فحدّث عنهُ ولا حرج. غير انَّهُ ما ادبرت النجوم وطلع الفجر حتى كان ذلك الشهم قد احيا في قلوب ابنائهِ روح الشجاعة وصيَّرهم شهداء لا يرجون غير اكليل الشهادة تتوّج بهِ مفارقهم يدُ ابن الله الفادي

وعند الظهر اخرجوهم وشيَّعوهم نحو الموضع الذي اعدّوهُ لاعدامهم. ففتح رئيس الشهداء كتاب فرضهِ وجعل يتلو فرض الموتى وهو في مقدَّمة اصحابهِ والسكَّان سُجَّد منقسمون الى صفَّين ينظرون الى ابيهم نظرة الوداع ويذرفون الدموع السخينة

وما كادوا يبلغون بهم المقتل حتى اتفق ان مرَّ قائد الفيلق الذي انفصلت منهُ تلك الكتيبة فلمَّا رأى الكاهن مسوقًا الى القتل عجب وحار في امرهِ فامرهم بالوقوف يسيرًا فوقفوا

ثمَّ اختلى بالضابط واستفهمهُ فاخبرهُ بكلّ ما جرى بينهُ وبين الكاهن والشيخ والرعيَّة فاستعظم القائد الامر واستفظع الفعل فامر بتأجيل مقتلهم وارسل فاعلم المشير الاكبر الذي كان عاقلًا رزينًا فامر هذا باحضار الكاهن اليهِ

فلمَّا حضر قصَّ عليهِ القصة باوجز عبارة فسمعها وهو يعجب من غيرة الكاهن وجراءتهِ وبسالتهِ. ثم قال لهُ: » ليس علينا ايها السيد من حرج في قتلك ولست انا قادرًا على استثنائك من غيرك لكنَّني لا اريد موتك. فسِرْ وقل لابناء رعيَّتك انني قد برَّأت ساحتهم وعفوت بسببك عن المحكوم عليهم جميعًا ولا تعودوا الى مثل هذا من الآن فصاعدًا «. فاثنى على المشير وقفل راجعًا الى قومهِ يبشر رفاقهُ بالعفو عنهم

فلمَّا توارى عن العيان قال المشير لاصحابهِ: « لو كان عند سائر الفرنسيس ما عند هذا الكاهن من الشجاعة والشهامة لكنَّا غادرنا هذه الديار بصفقة الخائبين »

٤ وقالَ عبدُ ٱللهِ بنُ رَواحةَ ٱلانصاريُّ (رجز):

يَا نَفْسِ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي ... اِنْ تَسْلَمِي ٱلْيَوْمَ فَلَنْ تَفُوتِي
اَوْ تُبْتَلَيْ فَطَالَ مَا عُوفِيتِ ... هٰذِهْ حِيَاضُ ٱلْمَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ (٢٠)

٥ وقالَ ايضاً (رجز):

اَقْسَمْتُ يَا نَفْسِ لَتُذْلَنَّهْ ... كَارِهَةً أَوْ لَتُطَاوِعَنَّهْ
مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ ٱلْجَنَّهْ ... قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ

٦ وقالَ مَعْقِلُ بنُ جَوْشَنٍ ٱلاَسَدِيُّ (طويل):

اَقُولُ لِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... رُوَيْدَكِ أَلَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ
رُوَيْدَكِ حَتَّى تَعْلَمِي عَمَّ تَنْجَلِي ... عَمَايَةُ هٰذَا ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَأَلِّقِ

٧ وقالَ عَمْرو بنُ مَعْدي كَرب الزُّبَيديُّ (وافر):

وَحُسْنُ كَرِيمَةٍ فِي صَفْحَتَيْهِ ... نَوَافِذُ بِٱلْأَسِنَّةِ وَٱلسِّهَامِ
وَوَقْعُ ٱلْمَشْرَفِيِّ بِحَاجِبَيْهِ ... وَوُجْهَتِهِ وَمَا تَحْتَ ٱلْحِزَامِ
أُقَدِّمُهُ وَيَحْمِيهِ عَبُوسٌ ... عَلَى أَكْتَادِهِ كُرْهُ ٱللِّمَامِ

٨ وقالَ عَنْتَرةُ بنُ شدَّاد (كامل):

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي ٱلْحُتُوفَ كَأَنَّنِي ... اَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ ٱلْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ ٱلْمَنْهَلِ
فَٱقْنَيْ حَيَاءَكِ لَا أَبَا لَكِ وَٱعْلَمِي ... اَنِّي ٱمْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

٩ قالَ ايضاً (٢١) (كامل):

وَعَرَفْتُ أَنَّ مَنِيَّتِي إِنْ تَأْتِنِي ... لَا يُنْجِنِي مِنْهَا ٱلْفِرَارُ ٱلْأَسْرَعُ
فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذٰلِكَ حُرَّةً ... نَفْسِي إِذَا نَفْسُ ٱلْجَبَانِ تَطَلَّعُ

١٠ وقالَ مَالِكُ بنُ عوفٍ (كامل):

وَمُقَدَّمٍ تَجِبُ ٱلْقُلُوبُ لِضِيقِهِ ... اَقْدَمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِي أَعْلَمُ

والابيات مضبوطة ببعض الشكل الّا ان في هذا الشكل اغلاطاً ظاهرة

وليست طريقة البحتري في ديوان حماسته كطريقة ابي تمّام فانّهُ قسم هذا الكتاب الى ابواب شتى يبلُغ عددها ١٧٤ باباً ضمّنهــا اجود ما وقف عليهِ من طُرَف الشعر القديم لاسيا الشعر الجاهليّ . ومن نظر في هذه الحماسة وجدها اغنى واوسع من حماسة ابي تمّام وتعجّب كيف شاعت هذه وأُهملت تلك . وقد اورد البحتري في مجموعهِ مقاطيع مستظرفة لنيّف وخمسمائة شاعر لم نكد نعرف من امر كثير منهم شيئاً

فدونك البــابين الاولين من الكتاب نثبتهما ليعرف القراء فضل المؤلف وقد ضبطناهما بالشكل الكامل (١) :

الباب الاول

فيما قيل في حمل النفس على المكروه

١ قالَ عَمْرو بن ٱلإِطْنابة ٱلخَزْرَجيُّ (١٩) * (وافر) :

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى إِبَائِي ... وَأَخْذِي ٱلْحَمْدَ بِٱلثَّمَنِ ٱلرَّبِيحِ

وَإِعْطَائِي عَلَى ٱلْمَعْسُورِ مَالِي ... وَضَرْبِي هَامَةَ ٱلْبَطَلِ ٱلْمُشِيحِ

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ ... مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وَأَدْفَعُ عَنْ مَكَارِمَ صَالِحَاتٍ ... وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيحِ

٢ وقالَ عَمْرو بن مَعْدي كَرِب ٱلزُّبَيْديُّ (طويل) :

وَقَفْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةٌ ... أُقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

وَجَاشَتْ إِلَيَّ ٱلنَّفْسُ اوَّلَ مرَّةٍ ... فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَٱسْتَقَرَّتِ

٣ وقالَ شُرَيْح بن قِرْواشٍ ٱلعَبْسيُّ (طويل) :

أَقُولُ لِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... أَقِلِّي ٱلْعِتَابَ إِنَّنِي غَيْرُ مُدْبِرِ

وَهَلْ غَمَرَاتُ ٱلْمَوْتِ إِلَّا نِزَالُكَ ٱلْـ ... ـكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ ٱلْكَمِيِّ ٱلْمُقَطَّرِ

١) لهذه الابيات روايات عديدة لم نذكرها ها حبّاً بالاختصار وربّما اثبتناها في طبعةٍ منفردة

* هذه الاعداد تدلُّ على صفحات النسخة الاصليَّة . والوجوه السابقــة لعدد ١٩ تحتوي فهرس الابواب

وَمَا ٱلْقَتْلُ مَا شَاوَرْتَ فِيهِ وَلَا ٱلَّذِي تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ فَاعِلُهْ

١٨ وقالَ حارِثةُ بنُ بدرٍ ٱلتَّميميُّ (طويل): (٢٣)

لَا تَلْتَمِسْ أَمْرَ ٱلشَّدِيدَةِ بِأَمْرِئٍ إِذَا رَامَ حَزْمًا عَوَّقَتْهُ عَوَاذِلُهْ

وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً مِنَ ٱلرَّوْعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ ٱلرَّوْعِ بَاطِلُهْ

وَمَا ٱلْفَتْكُ إِلَّا لِٱمْرِئٍ رَابِطِ ٱلْحَشَا إِذَا حَالَ لَمْ تُرْعَدْ إِلَيْهِ خَصَائِلُهْ

١٩ وقالَ ٱلحارثُ بنُ ظالمٍ ٱلمُرّيُّ (طويل):

عَلَوْتُ بِذِي ٱلْحَيَّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ وَهَلْ يَرْكَبُ ٱلْمَكْرُوهَ إِلَّا ٱلْأَكَارِمُ

فَتَكْتُ بِهِ لَمَّا فَتَكْتُ بِخَالِدٍ وَكَانَ سِلَاحِي تَحْتَوِيهِ ٱلْجَمَاجِمُ

٢٠ وقالَ عبّاسُ بنُ مِرداسٍ ٱلسُّلَميُّ (طويل):

مَا يُؤْمَنُ ٱلْمَرْءُ ٱلَّذِي بَاتَ طَاعِمًا وَبَاتَ عَلَى ظَهْرِ ٱلْفِرَاشِ ٱلْمُمَهَّدِ

جِنَايَةَ مِثْلِ ٱلسِّيدِ يُصْبِحُ طَاوِيًا وَيَأْوِي إِلَى جُرْثُومَةٍ لَمْ تُوَسَّدِ

٢١ وقالَ مسعودُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلأسديُّ (كامل):

سَائِلْ بَنِي يَرْبُوعَ إِنْ لَاقَيْتَهُمْ عَنْ ضَيْفِهِمْ يُخْبِرْكَ عَنْهُ خَابِرُ

نَامُوا وَبِتُّ أُعِيدُ سَيْفِي فِيهِمُ إِنِّي بِقَتْلِهِمُ ذُؤَابًا ثَائِرُ

قَالُوا غَدَرْتَ فَقُلْتُ أَنَّى وَرُبَّمَا نَالَ ٱلْعُلَى وَشَفَى ٱلْغَلِيلَ ٱلْغَادِرُ

مطبوعات شرقية جديدة

Contributions towards arabic Philology
by Dr Paul Bronnle.

The Kitab al Maksur wa'l Mamdud by Ibn Wallad

كتاب المقصور والممدود لابن الولّاد (طبع ليدن ١٩٠٠ الجزء الاول ص١٦٧)

باشر الدكتور بولس برونله بنشر مجموع لغوي ذي عشرة اقسام يتضمّن من نفائس تآليف العرب ما كنّا نخاف ان تكون اغتالتهُ يد الضياع ككتاب الازمنة لقطرب وكتاب الاضداد لهُ وكتاب خلق الانسان للزجّاج وكتاب العشرات لابن خالويه

وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ مُدَجَّجًا ... مِثْلَ ٱلدَّرِيئَةِ وَٱلْحُرُوبُ تَضَرَّمُ

١١ وقالَ قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءَةِ ٱلمَازِنِيُّ (وافر) :

أَقُولُ لَهَا إِذَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ ... مِنَ ٱلْأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَا تُرَاعِي

فَإِنَّكِ لَوْ طَلَبْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ ... عَلَى ٱلْأَجَلِ ٱلَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي

١٢ وقالَ ٱلفَرَزْدَقُ وقد لقيَهُ في طريقِهِ اسدٌ (كامل) :

لَمَّا سَمِعْتُ لَهُ هَمَاهِمَ أَجْهَشَتْ ... نَفْسِي إِلَيَّ وَقُلْتُ أَيْنَ فِرَارِي

فَرَبَطْتُ نُفْرَتَهَا وَقُلْتُ لَهَا ٱصْبِرِي ... وَشَدَدْتُ فِي ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ إِزَارِي

١٣ وقالَ ٱلعَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ ٱلسُّلَمِيُّ (الكامل) :

اَلْقَائِلُونَ إِذَا لَقُوا أَقْرَانَهُمْ ... إِنَّ ٱلْمَنَايَا قَصْدُ مَنْ لَمْ يُقْتَلِ

فَيُعَانِقُوا ٱلْأَبْطَالَ فِي خَمْسِ ٱلْوَغَا ... تَحْتَ ٱلْأَسِنَّةِ وَٱلْقَتَامِ ٱلْأَطْحَلِ

الباب الثاني

فيما قيلَ في الفتك (٢٢)

١٤ قالَ مَنْظُورُ بنُ رَبِيعٍ ٱلعَامِرِي (طويل) :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي إِذَا رُمْتُ فَتْكَةً ... بِحَرْبِيَ لَمْ أَنْظُرْ بِهِ أَنْ يُبَادِيَا

وَأُقْدِمُ إِقْدَامَ ٱلسِّنَانِ وَيَتَّقِي ... بِيَ ٱلْأَشْوَسُ ٱلصِّنْدِيدُ إِنْ كَانَ عَادِيَا

١٥ وقالَ ايضًا (طويل) :

وَكُنْ رَجُلًا ذَا مِرَّةٍ وَحَصَافَةٍ ... يُلَاقِي ٱلْعِدَى مِنْهُ بِغِلْظَةِ جَانِبِ

وَلَمْ تَرَ مِثْلَ ٱلْفَتْكِ أَنْهَى لِمُجْرِمٍ ... وَلَاسِيَّمَا بِٱلْمَاضِيَاتِ ٱلْمَضَارِبِ

١٦ وقالَ المرَّار بن سعيد الأسديّ (طويل) :

هَمَمْتُ بِأَمْرٍ أَنْ يَكُونَ صَرِيمَةً ... زَمَاعًا وَأَنْ لَا يُدْرِكَ ٱلْمَهْلَ زَاجِرُ

وَمَا ٱلْفَتْكُ بِٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي أَنْتَ نَاظِرٌ ... بِهِ عَاجِزَ ٱلْأَصْحَابِ مِمَّنْ تُؤَامِرُ

وَمَا ٱلْفَتْكُ إِلَّا بِٱلَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ ... إِمَارٌ وَلَمْ تُجْمِعْ عَلَيْـهِ ٱلْمَشَاوِرُ

١٧ وقالَ ضَابِئُ بنُ ٱلحرثِ ٱلبُرْجُمِيُّ (طويل) :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ... فَعَلْتُ فَكَانَ ٱلْمُعْوِلَاتِ حَلَائِلُهْ

كتاب اخويَّة الميتة الصالحة

للاب بيرون اليسوعي

عرَّبهُ الاب الفاضل الخوري نقولا صفير. طُبع في مطبعة الارز ١٩٠٠. ص٢٢٧

يحتوي هذا الكتاب المفيد كلّ التعليمات اللازمة لمعرفة اخويَّة الميتة الصالحة واصلها وقوانينها والنعم الجليلة المتعلّقة بهذه الشركة التي أَتت باثمار يانعة من الفضائل المسيحية في كل المعمور مذ انشأها سنة ١٦١٧ الرئيس العام على الرهبانيَّة اليسوعية الاب كرافًا. ولا شك انَّ تعريب هذا الكتاب يعين المؤمنين على ممارسة الاعمال التقويَّة التي تعدُّهم احسن اعداد للاقاة ربّهم في ساعة الوفاة ل. ش

NOTICE SUR LE LIBAN

par Washington - Serruys, Beyrouth, 1900, pp. 45

تعريف لبنان للاديب وشنغتون سرُّوس (مقالة افرنسيّة)

تتضمَّن هذه الكراسة مع قلة اوراقها فوائد جمة عن لبنان واحوالهِ المختلفة لا تكاد تلقاها مجموعةً في مثلها. وانما ساءنا ما وجدناهُ فيها من الاعلامات غير الصحيحة كنسبة المؤلف (ص٧) جسر نهر الكلب القديم الى الرومان وهو يريد العرب. — وكقولهِ (ص٧) ان معظم البرد الذي شعر بهِ اهل برمَّانا بلغ ٤ درجات «فوق الصفر» وهو يريد تحت الصفر. — وكقولهِ (ص ٢٧) ان الطرق التي فُتحت في عهد ولاية دولتلو نعوم باشا تبلغ ٥١٠ كيلومترات بعد ان قال انَّ مجمل طول الطرق اللبنانية ٥٥٠ كيلومترًا دون ان يستثني الطريق الشامية (٤٥ كـ) المارة بلبنان. — ونسي ذكر غابة الارز التي بين نيحا والحدث. — ونرى مبالغة في اعداد كثيرة كعدد الرهبان في لبنان (ص ٢٣) وعدد المدارس (ص ٢٠) الى غير ذلك من الاغلاط التي لنا الامل ان تُصلح في طبعة ثانية مع الاغلاط الطبعية العديدة التي تشوّه هذا المجموع ه. ل

شَذَرَات

عاديَّات تونس — اكتشف مدير الفنون والعاديَّات في تونس المسيو غوكلر (P. Gauckler) قريبًا من تونس في تلةٍ مجاورة للبرج الجديد اثرًا جزيل الاعتبار من آثار قرطجنة القديمة وهو دار الغناء (Odéon) الذي ابتناهُ ڤيجليوس

وكتاب المنضّد لابن الهنائي وكتاب التنبيهـات على اغاليط الرواة وغير ذلك. واليوم قد اطرفنا جناب الدكتور بالجزء الاول من هذه الطرائف اللغويّة وهو يحتوي كتاب المقصور والممدود لابي العبّاس احمـد بن محمد المعروف بابن الولاد المتوفى سنة ٣٣٢ (٩٤٣م). جمع فيهِ مؤلفهُ الالفاظ المختومة بالف مقصورة او ممدودة ما كان منها مقيساً او غير مقيس وابتدأ بما كان متفرقًا منثورًا ممّا لا قياس لهُ ثمَّ أتبعهُ بما كان مضبوطاً تحت قياس. وجعل الالفاظ على ترتيب حروف المعجم ليقرب وجود الحرف على طالبهِ ويسهل استخراجهُ من موضعهِ وقد اتى المؤلف لكل لفظة بعـدَّة شواهد من الشعر القديم. ومن خواصّ هذه الطبعة انها نُقلت عن اربع نسخ قديمة كُتب واحدةً منها وهي نسخة المتحف البريطاني الحسنُ بن عبد الله الطرابلسي بعد وفاة المؤلف بقليل سنة ٣٦٥ فقابل الدكتور برنله بينها واثبت في ذيل الكتاب ما فيها من الاختلافات. ومنها ايضًا ضبطُها بالشكل كلَّ ما دعت اليهِ الحاجة. والدكتور المرقوم سيلحق هذا الجزء بقسمٍ ثانٍ يودعهُ ما وجدهُ من التفاسير والشروح على هـذا الكتاب ويختمهُ بفهارس جزيلة الفـائدة . فنسأَل الله ان يجازي ناشر هذا الكتاب ويُلهم ادباء الشرق ان يتأثروا آثارهُ في إحياء ما كان دفيناً من كنوز آداب الاقدمين مع حسن القيام بطبعها وضبطها

G. Gabrieli : 1° *Fonti semitiche di una leggenda Salomonica*, 1900. pp. 74 — 2° *Il culto degli Antenati e l'avversione agli Stranieri nell' antica letteratura storica e nella vita sacra della Cina, Napoli*. 1900, pp. 34

هما مقالتان مفيدتان للدكتور يوسف غبرئيلي مدار الاولى على قصَّة بلقيس وسليمان والهدهد التي شاعت عند العرب والحبش والاقباط فبحث المؤلف عن اصلها وذكر ما ورد عنها في تآليف هؤلاء الشعوب ثمَّ بيَّن ما فيها من الصحّة والخرافات. ومدار الثانية عن الصينيين وما طُبعوا عليهِ من المحافظة على سُنن اجدادهم مع البغض لكلّ عنصر غريب واثبت ذلك بنصوص من كتب الصـين الدينية وتخلّص منها الى ذكر الحوادث المفجعة التي فشت هذه السنة في تلك المملكة الكبرى

في المكتبة الشرقية . امّا كاثوليكيّتـــهُ فأمرٌ لا نجزمُ بهِ وانّما نرجحهُ فقط . وفي مطاوي ترجمتهِ في كتاب العفّة ما يشير الى ذلك والله اعلم

س سُئلنا عن المؤمن الذي يحضر قداساً يشترك فيهِ بالتقديس كهنة اربعة هل يمكنهُ ان يفي اربعة قدّاسات مفروضة عليهِ باستماع هذا القدّاس

استماع قدّاس يشترك فيهِ كهنة كثيرون

ج انَّ المؤمن لا يفي بما فُرض عليهِ لانَّ الذبيحة واحدة مع تعدُّد المشتركين فيها . غير انّهُ يمكنهُ ان ينال اجرًا اعظم اذا شرك نيّتهُ بنيّات الكهنة المقرّبين

س وسأل حضرة الخوري نعمة الله نصّار والاخ مبـارك البسكنتاوي : ١ً لاي سبب دُعيت البتول العـذراء في الفرض السرياني في اللحن الثاني من صلاة مساء الاربعاء سِتر سليمان (ܦܪܣܐ ܕܫܠܝܡܘܢ) وارض داود العطشى (ܐܪܥܐ ܕܕܘܝܕ ܨܗܝܐ) وجرّة اليشـاع الجديدة (ܩܘܠܩܐ ܚܕܬܐ ܕܐܠܝܫܥ) . ٢ً لماذا يقدَّم في مزامير داود سحر السبت على سحر الجمعة

لماذا دُعيت العذراء ستر سليمان الخ

ج جوابنا على (الاول) انَّ العذراء دُعيت ستر سليمان لانّهـا حجبت جلال اللاهوت لمّا تأنس في احشائهـا ابن الله كما كان يحجب ستر هيكل سليمان قدس الاقداس عن الانظار . ودُعيت ارض داود العطشى تلميحاً الى ما جاء في المزامير (٦١ : ٣) يريد ان نفس العذراء كانت عطشى الى مجيء المسيح كما كانت نفس داود عطشى الى بيت الرب . ودُعيت جرّة اليشاع اشارةً الى الاناء الذي توفر زيتهُ على يد اليشاع (٤ ملوك ١—٧) فالزيت رمز الى المسيح الذي اغنى العـالم مذ تجسّد في بطن البتول الطاهرة . وجوابنا على (الثاني) نؤجلهُ لمرّة اخرى ل . ش

س وسأل الاديب رزق الله عبود من حمص . ماذا تعرفون عن ولاية فينيقية لبنان

ج انشأ هذه الولاية الملك الروماني ديوقلسيان وجعل حاضرتها مدينة حمص وكان يدخل في حكمها بلاد تدمر ودمشق . وكانت تخومها في الشمال سوريّة الثانيـة المعروفة بسوريّة الطيّبة (Syria salutaris) وكانت قاعدتها افامية المدعوّة اليوم قلعة المضيق . وفي الشمال الشرقيّ سوريّة الفراتيّة التي قاعدتها منبج . وفي الجنوب فلسطين الاولى وقاعدتها قيصريّة مع بلاد عربيّة وقاعدتها بُصرى . وفي الغرب فينيقية الساحليّة وقاعدتها صور ه . ل

س وسأل احد المعلمين الافاضل قرّاء المشرق ما هي الالفاظ الموافقة لكلمات الفرنج الآتي ذكرها في اصطلاح التجّار

Manifester des marchandises — Ouvrir un crédit à qqu. — Lettre de crédit — A forfait — Spéculer. spéculation — Reserver bon accueil à une traite — Un protêt ; protester une lettre de change — Poids brut *ou* net ; bénéfice brut *ou* net ; sucre brut — Lettre chargée, recommandée, affranchie — Traite ; lettre de change ; remise ; mandat ; billet ; effet — Assurer des marchandises ; prime d'assurance — Agio, agiotage.

ساترنينوس القنصل الروماني في القرن الثاني للمسيح وورد ذكره في اعمال معلّم الكنيسة ترتليان الشهير . ومما يزيد هذا الاكتشاف خطرًا انّ البناء المرقوم كان مركزًا لابنية أُخر عديدة يُؤمل وجودها عمّا قليل

عاديّات رومية العظمى — اكتشف الاستاذ بوني (Boni) متولي حفر عاديّات رومة: ١ً البالوعة الكبرى التي امر ببنائها ملك رومة تركوينس الاقدم في القرن السادس قبل المسيح . وقد وُجد فيها آثار خزفيّة وكتابات يونانيّة وإترُسكيّة . ٢ً منبر الخطابة (rostres) الذي شُيّد في ايام يوليوس قيصر . ٣ً كنيسة قديمة ملكيّة (basilique) على جبل پالاتين تحت اساس الكنيسة الحاليّة المعروفة بسيدة النجاة (Ste Marie Libératrice) يرتقي عهدها الى القرن الثالث للميلاد

ترقّي التلغراف بلا اسلاك — لا يزال التلغراف بلا اسلاك في ترقٍ دائم . ومن الخدم الجليلة التي ادّاها في فصل الشتاء الماضي ان سفينة روسيّة مدرّعة كاد يتلفها في الجليد خليج فِنلند المحدق بها من كل جهاتها لولا تلغراف بلا اسلاك انبأ بمصابها اهل مدينة كوتكا (Kotka) وهي بعيدة عنها بنحو ٥٠ كيلومترًا فارسلوا للحال سفينة اخرى مجهَّزة بآلة لكسر الجليد فخلّصتها بعد ٨٤ يومًا وفي هذه المدّة دار بين السفينتين ٤٤٠ تلغرافًا كان يحتوي بعضها على مئة كلمة ونيِّف

تنبيه — نبّهت مجلة الضياء خاطرنا الى اصلاح غلطةٍ وردت في الالفاظ الكتابية (ص ٢٤٦) حيث جاء « ما تعا فى ذلك » وصوابهُ « ما تعاجم في ذلك » وهي غلطة وقفنا عليها بمقابلة نسختنا الاصليّة مع نسختيَ لندرة وليدن سنة ١٨٩٣ وأُهمل اصلاحها سهوًا في الطبعات السابقة

أسئلة وأجوبة

جوابنا على سؤال حضرة القس جرجس منش (راجع ص ١٠٥٥)

انّ كتاب العفّة الذي اكتُشف حديثًا يبيّن شيئين اولًا انّ اسحاق اسقف نينوى لم يكن في القرن السادس بل في اواخر القرن السابع . ثانيًا انّهُ لم يكن متشيّعًا بشيعة اليعاقبة كما روى ذلك زورًا صاحب الكتاب الذي نقل عنهُ السمعاني

المشرق

اشرف النبوّات المريمية

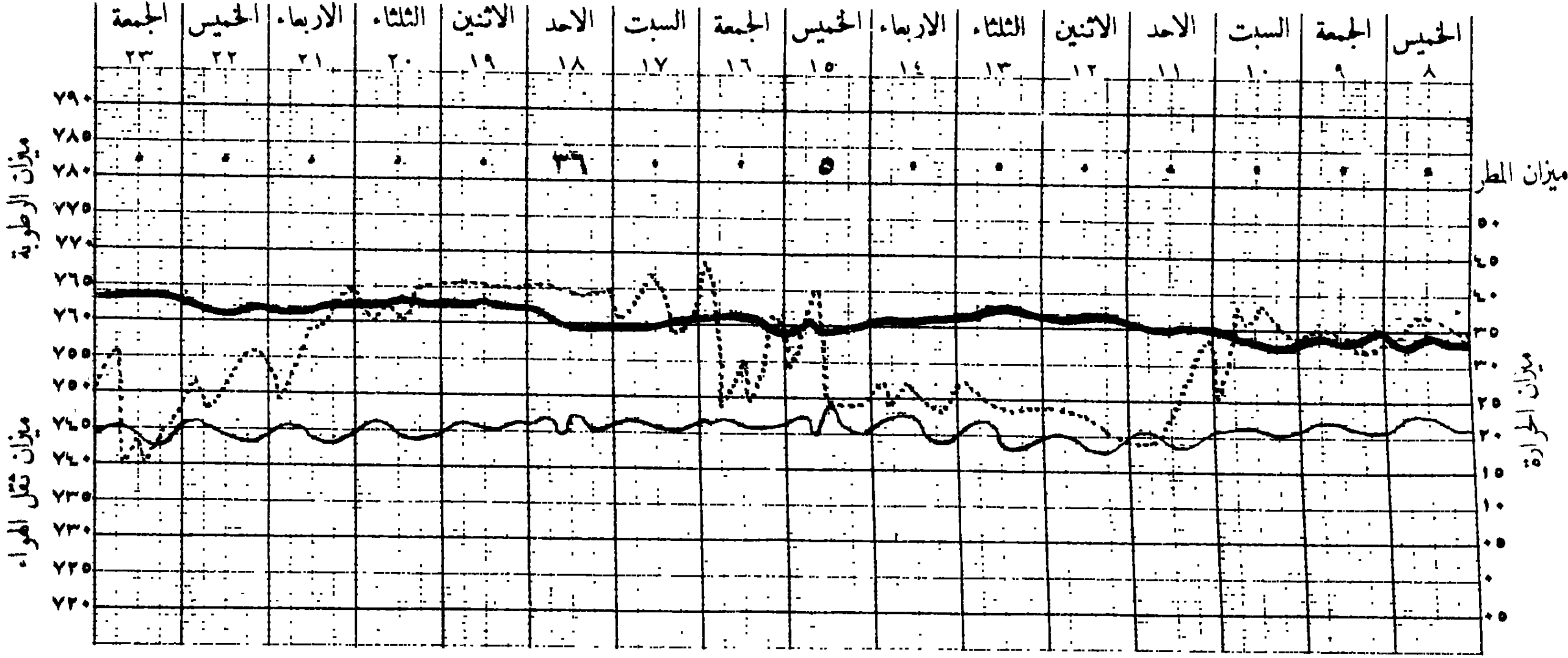
بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

توطئة

ان افخر نبوَّة جاءت في العهد القديم عن امّ المسيح العذراء مريم عليها السلام هي آية اشعيا حيث يقول (٧ : ١٤): «ان العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمهُ عمانوئيل». وكون هذه العذراء هي مريم ام المسيح قد اوضحهُ الانجيلي متى بصريح العبارة في انجيلهِ حيث قال (١ : ٢٢): «هذا كلهُ كان ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمهُ عمَّانوئيل»

الّا انَّ اليهود والبرهانيّين لم يكونوا ليَدَعوا بلا اعتراضٍ هذه النبوَّة النفيسة التي تثبت حقيقة الديانة المسيحيَّة بقــدر ما تشرّف المسيح وامَّهُ فقالوا ان الانجيلي متَّى قد وهم في اطلاقــهِ نبوة اشعيا هذه على امّ المسيح: (اولًا) لأَنَّ الكلام ليس عن عذراء اذ ان لفظة עַלְמָה (عَلْمَه) التي استعملها اشعيا لا يلزم فهمها عن عذراء. و(ثانيًا) لانهُ وان تُرجمت لفظة «علمه» بالعذراء لا تنطبق مع ذلك على امّ المسيح. والدليل أَنَّ النبي يعد الملك آحاز بعلامة تكفل لهُ بالخلاص من تهديد ملك سورية وملك افرائيم وهذه العلامة هي ان امرأَة تحبل وتلد ابنًا ويدعى اسمه عمانوئيل فلا بدّ اذًا من ان تحدث هذه العلامة امَّا حالًا او اقلّه في وقت قريب ليكون كلام النبي صادقًا ويطمئنَّ آحاز. والحال ان حَبَل مريم بالمسيح وولادتها اياه لم يحدثا الّا بعد ٧٥٠ سنة. اذن ليس من شأنهِ ان يسكّن روع آحاز الذي تكون حينئذٍ قد بليت عظامه وبالتَّالي ليس الكلام عن مريم امّ المسيح

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ تشرين الثاني ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

معنى الخضوع لان الصبي يكون في صغره محجورًا خاضعًا لأبويه حتى يصل الى عمر الزواج فيستقلّ ٠ وكذا القول في اللغة الكلدانية كما يظهر من نصّ الترجوم على فصل اشعيا هذا فانَّهُ لم يكتفِ بان يدعو ام عمانوئيل ܥܠܝܡܬܐ بل دعا الصبي ايضًا ܥܠܝܡܐ. وقس على ذلك اللغـة السريانية ٠ وفي جميع هذه اللغات لا تطلق لفظة « علمه » على الصبي المزوج ولا على البنت المزوجة بل على البنت البكر

(البرهان الثاني) من استعمال الكتاب المقدس — ٠ وهبْ انَّ اصل الكلمة واشتقاقها لا يدلَّان على البتول العذراء الَّا ان الكتاب المقدس يعيّن معنـاها بنوع قطعيّ فان الاستعمال كثيرًا ما يعطي للكلمة معاني بعيدة عن اصلها والحال اننا نرى في الكتاب المقدس لفظة « علمه » تطلق على الدوام على بنت شابة عذراء ٠ فانها وردت ستّ مرّات في الكتاب المقدس: مرّتين في سفـر التكوين (٢٤: ١٦, ٤٣) وفي المرتين الكلام على رفقة البنت التي خطبها اليعازر لاسحق ابن سيده ابراهيم ولا شك ان هذه كانت عذراء بلا لوم ٠ ثم في سفر الخروج (٢: ٨) حيث الكلام على اخت موسى التي كانت عذراء ثم في المزمور ٦٧ (ع٢٦) حيث الكلام على بنات كنَّ يضربن بالدف بقرب تابوت العهد ولا شك ان البنات المستخدمات في الاحتفال الديني كنَّ عذارى ٠ ثم في نشيد الانشاد (١: ٢) حيث الكلام عن البنات العاشقـات العريس السرّي اللواتي من الضرورة ان يكنَّ عذارى نقيَّات مستأهلات محبة العريس الالهي ثم في السفر عينـه (٦: ٧–٨) حيث يُجعل تمييز بين الملكات والسرّيات والبنات ٠ اما الملكات والسريات فلا جرم انهنَّ مقيَّدات بالزيجة واماَّ البنات فبعكسهنَّ كما هو واضح ٠ ثم في سفر الامثال (٣٠: ١٩) حيث الكلام عن فتاة عذراء او اقلَّه محسوبة كذلك فان ملخص المثل المذكور هو هذا : « انهُ لامر صعب ان يُعرف طريق النسر في السماء وطريق الحيَّة اذا مشت على الصخرة وطريق السفينة في البحر حيث لا تترك اثرًا لمرورها وطريق الرجل مع الفتاة » يريد الفتاة التي يأتيها الرجل بحيث لا يُعرف بعد هل بقيت عذراء ام خسرت بتوليتها لان المرأة الفاسقـة نفسها اذا فوجئت في فعلها الذميم تخفي ذنبها فكم بالحري الفتاة

غير ان اليهود يرفضون هذا الشرح زاعمين ان لفظة « علمه » هنا لا تُطلق على العذراء لكن على بنت مفترعة او على امرأة زانية ولكن من لا يرى ان ذلك مردود

قبل الجواب على هذا الاعتراض لا نرى بُدًّا من تعريف الظروف التي جاءَت فيها هذه النبوة. يخبرنا الكتاب المقدَّس في المكان عينهِ ان راصين ملك آرام وفقحيًا ملك اسرائيل صعدا الى اورشليم لمحاربتها فلمَّا وصل الخبر الى آحاز ملك يهوذا واهل بيتهِ وشعبهِ رجف قلبهُ واضطربت قلوب امتهِ كما يهتزُّ شجر الغاب امام الريح. فبأمرهِ تعالى جاءَ اشعيا النبي ليسكّن جأش آحاز متنبئًا لهُ بعدم نجاح ذينك الملكين. ولمَّا لم يقنع آحاز أوعز النبي الى الملك الغير المؤمن ان يطلب آيةً تكون لهُ بمثابة عربون على ان الله يريد بالحقيقة ان يخلصهُ من ايدي اعدائه. فامتنع احاز من ذلك بحجة انهُ لا يريد ان يجرّب الرب. فما كان من النبي الَّا انهُ التفت الى آل داود وهم اعيان بيت الملك فقرَّعهم على قلَّة ايمانهم الى ان اكَّد لهم ان الرب نفسهُ رغمًا عن امتناع الملك وقلة ثقتهم يعطيهم هذه الآية وهي ان « العَلْمه » تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمهُ عمانوئيل. سمنًا وعسلًا يأكل الى ان يرفض الشرّ ويختار الخير لانهُ قبلما يعرف الصبي ان يرفض الشرّ ويختار الخير تخلو الارض التي انت تخاف من ملكَيْها. فنحن نقول ان لفظة « عَلمه » في هذه الآية هي كناية عن العذراء التي صارت امًّا للمسيح من دون ان يمسّ ذلك بتوليتها ونثبت قولنا بستَّة براهين ثمَّ نعود الى القسم الثاني من الاعتراض فنردّ عليهِ

١ اثبات دلالة آية اشعيا على العذراء مريم

(البرهان الاوَّل) يؤخذ من اشتقاق الكلمة (עלמה عَلْمه) التي تُطلق على البنت غير المزوّجة ولا تقال ابدًا عن المتزوجة في اللغة العبرانيَّة فيكون اذًا كلام النبي عن عذراء. وعليك ان تعتبر ان لفظة علمه في النص العبراني لهذه الآية محلَّاة بأَل التعريف اذًا الكلام عن عذراء معهودة مشهورة مختارة من الله لتكون امًّا لعمانوئيل فهي العذراء على سبيل الغلبة والتخصيص العذراء الفريدة بين جميع العذارى. وعلمه هي مؤنث « عَلَم » الذي معناه صبي وفي سفر صموئيل الاول (١٧ : ٥٦) : تُطلق على الصبي داود عند ما خرج لمحاربة الفلسطينيين. وفيهِ ايضًا (٢٠ : ٢٢) تطلق على خادم يوناثان الذي تارةً يدعى عَلَمْ وأُخرى نَعَرْ وبهذا المعنى ايضًا تُستعمل في اللغات القريبة الى العبرانية. ففي اللغة الفونيقية التي قيل انها فرع من العبرانية معنى لفظة « علمه » هو عذراء بلا مراء. وفي العربية لفظة غلام تطلق على الصبي منذ طفوليته بل منذ ولادتهِ حتى الشبوبية ومن ذلك نُقلت الى معنى آخر فأُطلقت على الخادم ايضًا كما انهُ في جميع اللغات لها

او من اعلى السماء اعني من كلّ ما تشتمل عليـــهِ الطبيعة فلمّا رفض آحاز ان يطلبها عزم الرب ان يعطيها هو بنفسهِ فلا بدَّ اذن ان تكون موازنةٌ بين قدرتهِ تعالى وكلامهِ هذا المحتفل الطنّان. فاين تكون الاعجوبة اذا قلنا ان عذراء تحبل وتلد كعادة سائر النساء اعني بفقدها بتوليتها. انّما الاعجوبة في اتحاد البتوليّة مع الحبل والولادة. قال فم الذهب: ان لم تبقَ عذراء فليست هذه اعجوبة اذ لا بدّ ان تفوق الآية النظامَ الاعتيادي وتعلو على الترتيب الطبيعي وتكون امرًا جديدًا غــير منتظر بحيث يتعجّب منهُ كل من يراه فلو كان الكلام عن امرأة تلد بمقتضى شريعة الطبيعة فما بالهُ يدعو اعجوبة ما نراهُ كل يوم يحدث اعتياديًّا « انتهى ». والنتيجــة ان الكلام لا يصحّ الّا عن عذراء حامل ووالدة ابنًا وهي مستمرَّة عذراء

(البرهان الرابع) من كون ابن هذه « العَلْمه » هو عمانوئيل — ان ملخَّص برهاننا هو: ان الابن الذي تلده هذه « العلمه » هو عمانوئيل. والحال ان عمانوئيل هو المسيح والمسيح في الكتاب المقدَّس يُذكر لهُ امّ ولا يُذكر لهُ اب الّا الله. اذن « العَلْمه » امّ عمانوئيل هي عذراء رغمًا عن الولادة. وبالحقيقة اذا فحصنا من هو عمانوئيل هــذا في قصد النبي اشعيا نرى انهُ هو عين ذاك الذي يذكرهُ في الفصلين الثامن (ع ١٠) والتاسع (ع ٦) حيث ينزلهُ منزلة ملك بلاد يهوذا وانّهُ من اجلهِ يخلص هذا الملك من هجمات الاثوريّين وأنهُ يأتي من ذرّيّة داود القريبــة للاندثار ويكون ممتلئًا من روح الله ويسوس شعبه بالعدل وفي ايّامهِ يملك السلام التامّ ويفنى الشرّ من جبل صهيون والشعوب الوثنيَّة ترجع الى الله اجواقًا اجواقًا ويأتون ويمتزجون مع اليهــود لكي يخضعوا لملك السلام هذا. فبموجب اقرار الربّانيين انفسهم هذه المناقب هي خاصّة بالمسيح الموعود بهِ وحدهُ فلا شكّ اذًا ان عمانوئيل في قصد اشعيا النبي هو المسيح

والحال ان المسيح في الكتاب المقدَّس لا يُعرف لهُ اب بشري وانّما ابوهُ هو الله كما يظهر من المزمور ١٠٩ (ع٣) والنبي ميخا (٢:٢—٣) الذي يجعل خروجه من القديم منذ ايّام الازل ويذكر امه اذ يقول: لذلك يسلّمهم الى الزمان الذي فيهِ الوالدة تلد. لكنّهُ لا يذكر اباه. وإرميا (٢١:٢٢) يعلن ولادته العجيبة من امرأة قائلًا: الرب خلق امرًا جديدًا في الارض انثى ستحيط برجل. ولا يذكر شيئًا عن ابيهِ. وكل ذلك خلاف عادة الكتاب المقدَّس الذي يذكر الاب مع الامّ او الاب دون الامّ. اذن « العلمه » امّ

بنصّ الآية نفسهِ فانّ قوله التالي: « وطريق المرأة الفاسقة » ينبئ بمقابلة ومن المحال ان يُقابَل الشيء بنفسهِ فلا بد اذًا من القول ان لفظة « علمه » هنا ايضًا هي لمعنى العذراء كما عرّبها الآباء اليسوعيون في ترجمتهم وبالتالي ان هذه اللفظة لا يستعملها الكتاب المقدس الّا لمعنى البنت البكر . وبكل حقّ قدر هيرونيموس ان يقول في تفسيره هذه الآية ما نصّهُ : بقدر ما اذكر لا اظنّني رأيتُ قطعًا لفظة « علمه » لمعنى المرأة المزوجة بل دائمًا لمعنى البكر اللهمّ اذا كانت في سنّ الشبوبية فان البكر يمكنها ان تكون ايضًا طاعنةً في السنّ امّا البكر التي نحن في صددها اي علمه فهي فتاة خرجت الى سنّ الشبوبية بحيث اضحتِ في عمر قابل الزواج (انتهى)

فترى ان النبي قد اختار لفظة تُعتبر غايةً في الدلالة على العذراء الفتيَّة لان لفظة نَعَرَه (נערה) تُطلق ايضًا على البنت ولكن تارةً على المزوجة كما في سفر راعوث (٢ : ٥و٤ : ١٢) وطورًا على غير المزوجة كما في سفر الملوك الاول (١ : ٢) وفي سفر استير (٢ : ٢٢) وكذلك لفظة بَتُولَه (בתולה) تطلق ايضًا على العذراء الّا انهُ ليس فيها معنى الصبى فقد تُستعمل ايضًا لعذراء طاعنة في السن

(البرهان الثالث) من سياق الكلام — ان المتن العبراني الاصلي لهذه الآية يقول: هوذا العلمه حامل ووالدةٌ ابنًا . فهذا النصّ لا يحتمل الّا هذا المعنى : اي هوذا العذراء بما انّها عذراء ومع كونها عذراء ومع بقائها عذراء هي في الوقت عينه حامل ووالدة ابنًا . فهذا هو معنى الآية الطبيعي . كأنَّ النبي يبصر امام عينيهِ ويشير بيدهِ وهو يقول: « انظروا هذه هي العلامة هذه هي الاعجوبة اعني عذراء حاملًا ووالدة ابنًا . فان النصّ الاصلي لا يستعمل افعالًا لكن اسماء الفاعل « حامل ووالدة » . فلو قال : هوذا العذراء تحبل وتلد لأمكن ان يُفهم بان التي هي الآن عذراء ستحبل يومًا وتلد وبذلك تزول بتوليتها ولكن استعمالهُ اسم الفاعل يضطرنا ان نفهم بان العذراء تحبل وتلد وهي مستمرّة عذراء اعني في المعنى المجتمع لا في المعنى المفترق . وفي الكتاب المقدس تُطلق اسماء الفاعل هذه على نساء حاملات في الحاضر (طالع التكوين ١٦ : ١١و٢٨ : ٤٢) وسفر القضاة (١٣ : ٥ — ٧)

ثم كل يرى ان الرب في هذه الآية يريد ان يعطي بيت داود علامةً اعني اعجوبةً من ابهر العجائب ويدلنا على ذلك كونهُ تعالى خيّر آحاز في ان يطلبها من عمق الارض

ولو اردنا ان نورد شواهد الاباء في ذلك لضاق بنا المكان فنقتصر على ايراد بعضها من الآباء الاقدمين. قال يوستينوس في احتجاجهِ الاول عن النصارى: « اسمعوا كيف يتنبأُ اشعيا بصريح الكلام عن ان المسيح مزمع ان يولد من عذراء قال: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا » الخ. وقال ترتليانوس في كتابهِ ضد اليهود (وهو يردّ على اعتراضهم بانَّ الطبيعة لا تحتمل ان العذراء تلد) ما نصهُ: « مع ذلك يجب علينا ان نصدّق هذه القضيّة استنادًا الى كلام النبي فانهُ في هذا الامر غير المصدَّق قد سبق واعدّ الايمان قائلًا انهُ سيكون اعجوبة فلو لم يكن امرًا مخالفًا للمألوف لما اضحى اعجوبةً ». وعلى هذا النسق تكلم اوريجانيس وابيفانيوس وغيرهما. وقال مار افرام في شرحهِ هذه الآية ما ترجمتهُ: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويُدعى اسمهُ عمانوئيل: ان هذا ممَّا يناقض الطبيعة لانها كيف تحبل ما دامت بتولًا وان حبلت فكيف تكون بتولًا ايصحُّ هذا ومن يصدّقهُ. لكن النبيّ اردف انَّ الرب نفسهُ يعطيكم آيةً. ومن حيث ان معطيها هو الله فلا تسأل عن الكيفية لانهُ ليس عند الله امر عسير »

٢ تفنيد آراء المخالفين

وقولنا السابق يظهر بنوع اجلى من تفنيد آراء المخالفين. كل رأي مخالف لرأينا في شرح هذه الآية لا يوافق مقتضى الحال ويظهر بطلانهُ كالشمس في رائعة النهار

ان بعضًا من اليهود القدماء فهموا بلفظة « علمه » امرأة آحاز الملك وبعمانوئيل حزقيا بن آحاز غير ان الاباء قد فنَّدوا هذا الراي. قال هيرونيموس: ان هذا القول لا يصح لان آحاز بن يواثام ملَكَ على يهوذا واورشليم ست عشرة سنة وخلفهُ ابنهُ حزقيا وكان عمرهُ حينئذٍ خمسًا وعشرين سنة اذن في السنة الاولى لُملك آحاز كان لحزقيا من العمر تسع سنين. فكيف يكون هو عمانوئيل الموعودة ولادتهُ في مدَّة مُلك آحاز ان كان قد وُلد قبل ان يملك ابوهُ بتسع سنين. وهكذا يسقط هذا الرأي السخيف

كذلك من المحال ان تكون « العلمه » امرأة النبي اشعيا ولو اراد ذلك لكان دعاها اشعيا نبيَّةً لا « علمه » ولكان تكلَّم عن حبل اعتيادي كما يصنع في الفصل الثامن (ع ٢—٣) حيث يقول: « فدنوتُ من النبيَّة فحبلت وولدت ابنًا فقال لي الرب ادعُ اسمهُ عجّل الغنيمة وأسرع النهب ». ومن الجهة الاخرى امرأة اشعيا ام شآريشوب

عمانوئيل ستلده من دون مشاركة رجل وتبقى عذراء في نفس الولادة . فلا عجب ان يقول النبي بانها هي وحدها بمعزل عن الاب ستضع الاسم لمولودها وتدعو اسمه عمانوئيل

(البرهان الخامس) من تقليد اليهود — ان ايراد متَّى الانجيلي آية اشعيا هذه تعرفنا ان اليهود في الجيل الاول للمسيح كانوا يفهمون بلفظة « علمه » البنت البكر فلو لم يعرفوا فيها نبوة على الحبل بالمسيح العجيب لَما قنعوا منهُ بان مريم ولدت المسيح وهي عذراء — ثمَّ ان ترجوم يوناثان بن عوزييل يشرح لفظة « علمه » بلفظة اخرى تعادلها معنًى وهي ܒܬܘܠܬܐ اي عذراء . والترجمة السريانية للعهد القديم التي على راي بعض المنتقدين عملها بعض من اليهود بنحو جيل واحد قبل المسيح تستعمل في هذه الآية لفظة ܒܬܘܠܬܐ اي عذراء عوض « علمه » العبرانية . والترجمة السبعينيّة ايضًا التي ترجمها علماء اليهود بنحو ثلاثة قرون قبل المسيح تشرح لفظة « علمه » بلفظة παρθένος اي عذراء

نعم ان اليهود كاكويلا وسوماخوس وثيودوسيون بعد المسيح فسَّروا « عَلْمه » في ترجماتهم اليونانية بلفظة νεᾶνις اي صبيَّة لا بلفظة παρθένος اي عذراء خلاف ما ذهبت اليه الترجمة السبعينيَّة ولكن يمكننا ان نقول مع الآباء انَّهم في ذلك لم يخلوا من تغرُّض وانَّما قصدوا ان يضعفوا قوَّة البرهان الذي يوردهُ المسيحيون ضدَّهم في هذا الصدد . ولا حاجة ان نقول بان اليهود يتبعون اليوم ترجمة هؤلاء الثلاثة المستحدثين لكنهم بذلك يناقضون تقاليدهم القديمة

(البرهان السادس) من تقليد المسيحيين — ان آباء الكنيسة متَّفقون برأي واحد على تفسير لفظة « علمه » بالعذراء امّ المسيح وليس ذلك استنادًا على انجيل متى فقط بل على الترجمة السبعينية التي كانوا يستعملونها والَّا لَما قدروا ان يجادلوا اليهود ويفحموهم . وممَّا وُجد في احد الديماميس الرومانيــة صورةٌ تثبت هذا التقليد عند المسيحيين فترى في حُجرة من مقبرة بريسقلَّا التي يرتقي تأْريخها على قول العلماء الى عهد الرسل صورة مريم العذراء عليها السلام جالسةً وبحضنها الطفل يسوع وبجانبها شخص واقف بيده الواحدة كتاب ملفوف وباليد الاخرى يشير الى نجم فوق رأس العذراء والطفل فالشخص المذكور في رأي الخبيرين بفنّ العاديّات المسيحية هو النبي اشعيا فتكون هذه الصورة في النصف الاول من الجيل الثاني او قبل ذلك العهد تفسيرًا للآية التي نحن بصددها

قادر ان يصنع اعجوبة اعظم اعني ولادة المسيح من عذراء من دون زرع رجل

وليس هذا غريبًا عن استعمال الكتاب المقدس فاننا نقرأ فيهِ انهُ تعالى لكي يؤيد مواعيدهُ في الزمان الحاضر ويزيدها تأكيدًا قد اعطى مرارًا عديدة علامات لا تحدث الّا في المستقبل. من ذلك ما جاء في سفر الخروج (٣ : ١٢) حيث يقول لموسى: «اني اكون معك وهذه تكون لك علامة اني انا ارسلتك. اذا اخرجتَ الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل». وفي سفر صموئيل (٢ : ٣٤) حيث يقول لعالي الكاهن: «وهذه آية لك تأتي على ابنيك حفني وفنحاس في يوم واحد يموتان كلاهما». وقال صموئيل لشاول (١٠ : ١): «وهذه علامة لك ان الله مسحك رئيسًا اذا ما انطلقت اليوم من عندي فانك تجد رجلين». وفي سفر الملوك الرابع (١٩ : ٢٩): «هكذا يقول الرب بفم اشعيا الى حزقيا الملك عن سنحاريب: وهذه هي علامة لك تأكلون هذه السنة زريعًا وفي السنة الثانية خِلفةً وفي السنة الثالثة فازرعوا واحصدوا واغرسوا الكروم وكلوا ثمارها». فمن يقول ان هذه العلامات ليس لها قوة في الحاضر لانها تكمل في المستقبل. فان المريض يتقوّى رجاؤهُ ويثق بالعافية اذا سمع الطبيب يقول لهُ: انّ يقيني بشفائك التامّ من مرضك هو عظيمٌ بهذا المقدار حتى اني بعد ثلاثة اسابيع اريد ان اخرج معك الى التنزّه

وان قيل انّ آحاز لم يفهم معنى اشعيا عندما قرّر هذه الآية امامهُ فعلينا ان نلاحظ بان كلام النبي ليس موجَّهًا الى آحاز وحدهُ لكن الى بيت داود كلّهِ وهذه العلامة من شأنها ان توطد رجاء بيت داود بما انها عن المسيح وتؤكد لهم قرب الانتصار على اعدائهم. وهي في الوقت عينهِ تشير الى ما سيصير اليهِ ملك يهوذا وبيت داود في ايّام المسيح المزمع ان يولد من هذه العائلة فيقول انّ عمانوئيل سيعيش فقيرًا في ارض اسرائيل خارجًا عن وطنهِ ارض يهوذا لانهُ قبل ميلادهِ ومباشرتهِ بعمل الفضائل يكون الخراب استولى على تلك الارض وباد ذلك الملك بحيث تكون عيشتهُ كعيشة الرعاة الفقراء المتعودين اكل السمن والعسل البرّي. فالى هذه الدرجة من الفقر ستصير عائلة داود الشريفة عندما يأتي زمان عمّانوئيل

ولكن يقول قائل ان المسيح لم يُدعَ قط باسم عمانوئيل. نجيب: من عادة الكتاب المقدس عندما يقول عن شخص انهُ يدعى بهذا او بذاك الاسم ليس المعنى دائمًا ان ذاك

(٣:٧) لا يمكن ان تدعى علمـه. وباطلًا يفترض البعض ان اشعيا اخذ امرأةً اخرى ودعاها «علمه» لانهُ على رأيهم لم يكن بعد قد دنا منها وهذا اختراع لا اصل لهُ

ثمَّ لا يمكن ان يكون عمانوئيل ابن اشعيا اذ لا يصحّ فيهِ ما يقال عن عمانوئيل في الفصل الثامن (ع ٨) حيث تجعل ارض يهوذا مُلك عمانوئيل. ولا ما يقال في العدد ١٠ حيث ورد ان جميع الشعوب تُخذَل من اجل عمانوئيل. غير ان البعض من الكاثوليك ذهبوا الى ان علمه هي امرأة اشعيا بالمعنى الحرفي لكنَّها رمز عن العذراء ام المسيح. ولكن هذا التفسير الذي تفوَّه بهِ البعض منـذ زمان هيرونيموس هو باطل من اجل الاسباب السابقة فضلًا عن انهُ لا يوجد نسبة بين الرمز والمرموز وكيف الحبل والولادة الاعتيادية يكونان رمزًا مشخَّصًا حبلًا وولادةً بتوليَّة. قال البعض ان كلام اشعيا لا يخصّص امرأةً او ابنة لكن قصدهُ ان يعني بان زمان الخلاص هو غايةٌ في القرب حتى اذا حبلت الآن بنتٌ من البنات تقدر اذا ما حان زمن ولادتها ان تدعو اسم ابنها عمانوئيل من اجل معونة الله الحاضرة. ولكن هذا ايضًا باطل لان النبيّ لا يتكلَّم باقتراض او بشرط بل بالايجاب والتأكيد وقصدهُ هو ان يُعيّن شخصًا حقيقيًّا لا وهميًّا فكأنهُ يراهُ بعيونهِ ويشير اليهِ بيدهِ كما يستبين من قولهِ «هوذا». ولا يمكن ان تكون «علمه» رمزًا عن اورشليم او عن صهيون او عن بيت داود كما ذهب البعض لان هذا كلهُ لا ينطبق مع الفصلين الثامن (ع ١٠) والتاسع (ع ٦) بل يُراد بها شخص حي عربون الحماية والخلاص ليهوذا وملكه وقتما تقرَّرت هذه الاية وفي المستقبل ستكون ام عمانوئيل

نأتي الان الى القسم الثاني من الاعتراض فنقول: ان الإنباء بامر مستقبل من نبي معلوم موءَيد من الله كما كان اشعيا لهُ موقع عظيم عند الذين يكونون قبلًا قد اختبروا صدقهُ وعلى الخصوص اذا كانت النبوَّة عن المسيح فهي الاجدر بان تنعش الثقـة والطمانينة في قلوب آل يهوذا لاسيا بيت داود. فالعلاقة التي نحن في صددها وان كانت مستقبلة الَّا انها تعلن واضحًا عنايتهُ تعالى في شعبهِ فكأن النبي يقول: كما انهُ هو امر اكيد ومحتوم عند الله بان يرسل المسيح مولودًا من بيت داود فكذلك انهُ لامرٌ مقرَّر لا ريب فيهِ انهُ تعالى يريد ان يخلص هذا البيت من هوءلاء الاعداء. فان كان الله قادرًا ان يجعل المسيـح ان يولد من عذراء باعجوبة كهذه فبأولى حجَّة هو قادر ان يخلص يهوذا من هذا الخطر واذا اقتضى لذلك عجائب فهو مستعدّ ان يعملها كيف لا وهو

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

كنائس لبنان القديمة (تتمَّة)

بقي علينا ان نذكر القسم الثالث من الكنائس المارونيَّة اعني دار الكنيسة او صحنها. فكانت هذه الدار خاليةً في دائرها من الكراسي التي ترى في الكنائس اليونانيَّة. وقد بيّن الدويهي سبب ذلك قال (راجع منارة الاقداس ١: ١٢١): «اباؤنا اصحاب الكرسي الانطاكي اهملوا نصب الكراسي واوجبوا على نفوسهم ان يصلُّوا وهم قيام كقول الرب: اذا قمتم للصلاة قولوا ابانا الذي في السماوات... وقد اخبرتنا التواريخ عن تلاميذ ابينا المكرَّم القديس مارون انَّهم قضوا كل حياتهم منتصبين على اقدامهم ليلًا ونهارًا (١ وانقسموا جوقين امام الباب الملوكي... امَّا الكهنة والشمامسة فيستندون الى العكَّازات لمساعدة الجسد الضعيف ما خلا الرؤساء فانَّهم يجلسون على الكرسي للدرجة التي ارتفعوا اليها» وكان المؤمنون خصوصًا الضعفاء منهم يتَّخذون ايضًا العكَّازات كما روى ذلك الدويهي في محلّ آخر من كتاب المنارة (١: ٦٠، ٦١)

وكانت الدار المذكورة تشتمل على «القراءات والمنابر واجران المعموديَّة واجران الماء المبارك والمراني وبيض النعام والنواقيس وما شاكل ذلك». امَّا ترتيب كل هذه الاشياء فكان على هذا النمط»: تُقام اوَّلًا قرَّاءتان امام الدربزين من هنا وهناك لاجل تلاوة الصلاة الجامعة التي تصير ليلًا ونهارًا وعليهما تُتلى الكتب المقدَّسة وميامر

(١) ورد في التاريخ انّ صنفًا من النسَّاك فرضوا على نفوسهم تقشُّفًا ان يعيشوا طول حياتهم قيامًا فدُعوا لذلك الرهبان المنتصبين (Stationnaires) راجع معجم اللاهوت الكاثوليكيّ (١: ١١٤٠). اشهرهم تلامذة مار مارون. (راجع تاودوريطوس: تاريخ الرهبان .PP. GG. T (LXXXII, 1419, 1431) ومن هؤلاء النسَّاك من جعل لهُ عمودًا فصعد عليهِ كالقديس سمعان العمودي وغيرهِ

الشخص يسمى حقيقةً بذاك الاسم بل يكون او يظهر منهُ ما يعنيهِ ذاك الاسم. فهكذا اشعيا (٩: ٧) يقول عن الصبي الذي وُلد لنـا: يدعى اسمهُ عجيباً مشيرًا إلهًا قادرًا ابا الابدية فهل يمكن ان تكون هذه كلها اسماء صبي واحد لا لعمري بل انما المعنى انهُ يكون كذلك اي عجيبًا مشيرًا. وفي لوقا قال الملاك لمريم عن اليشباع (١: ٣٦): «هذا هو الشهر السادس لتلك التي تدعى عاقرًا». ومن المعلوم ان اليشباع لم يكنْ اسمها عاقرًا بل كانت عاقرًا. وهكذا ارميا (٢٣: ٥-٦): «ها ايام تأتي يقول الرب واقيم لداود فرعَ برّ فيملك ملك... في ايامهِ يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل مطمئنًا وهذا هو اسمهُ الذي بهِ يدعونهُ الرب برّنا». والحال ان اسرائيل لم يدعَ قط «الرب برّنا». وفيهِ (٤٦: ١٧): «ادعوا فرعون ملك مصر: الميقات جلب الهلاك». وامثال ذلك كثيرة في الاسفار المقدسة فهذا كلّهُ يثبت ان الاسم في الكتب الالهية كثيرًا ما يشير الى ما سوف يفعل الشخص المسمّى بهِ او الى ما سوف يظهر منهُ

فعلى هـذا النسق يدعى المسيح عمانوئيل ليس فقط لانهُ يأتينا بمعونة الله او لانهُ يعدنا بهـذه المعونة في شخصهِ كأنهُ عربون لها بل لانهُ هو حقًّا الله معنا اذ يشير الى سرّ التجسد بنوع لا مثيل لهُ اعني الى اتحاد اللاهوت بالطبيعة البشريّة في المسيح. فمعنى «عمانوئيل» انَّ الله اتخذ الطبيعة البشريّة اي انَّهُ صار انسانًا وخلاصة القول انَّ الكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا اذ ان صورة الله وصورة العبد اتحدتا في ابن واحد واقنوم واحد. قال يعقوب السروجي في ميمر لهُ على الكثيسة ما ترجمتهُ: «ان لفظة عمانوئيل تعطيني معنيين اي انهُ إله وانسان حقًّا. فقوله «عمَّان» (ܥܡܢ) يدل على الطبيعة التي منَّا وقولهُ (إيل) يوضح عن اللاهوت الذي فيهِ بلا انقسام. فعمانوئيل هي عبارة عن إله انسان لا كأنَّهُ ممتزج لكن بما انهُ كامل بالجهتين »

واذا كان الامر كذلك فبكل صواب قد اورد الانجيلي متى هذه الآية مقرّرًا انها كملت في يسوع الناصري وامهِ العذراء مريم



يستولي عليها الخراب. وهذا ما حملنا على كتابة هذا الفصل في كنائس لبنان القديمة (١

وان سأل السائل في اي عهد شاعت في لبنان هذه الطريقة الهندسيَّة القديمة. أجبنا انَّ الامر لا يخلو من الغموض والشبهة. وما يمكننا قولهُ انَّ اكثر هذه البيع شُيّدت قبل القرن الثالث عشر. وكان بناء بعضها في ايَّام الصليبيين على مثال كنيسة جُبيل. وهذا رأينا في كنيسة مار شربل في معاد وغيرها ايضاً من الكنائس كما رواه المؤرخ المدقق الدويهي حيث قال: (ص١٠٣) « وفي سنة ١١١٢ شرع بعض اهل البرّ يبنون كنائس... وكان للخوري باسيل البشرّاني ثلاث بنات تقلا وصالومي ومريم نذرن العفَّة وانفقنَ جميع ما يمكن على بناء الكنائس. امَّا تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار جرجس ومار دومط. وفي بشنين من ارض الزواية كنيستين احداهما على اسم القديس لابا الرسول والثانية على اسم القديس سركيس الشهيد ثمَّ رقدت بالرب سنة ١١١٣. امَّا اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في قرية بشرّاي. وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في قرية الحدث »

ويرتقي بعض الكنائس اللبنانيَّة الى عهد أسبق فمنها ما بُني القرن التاسع او الثامن ايضاً كبيعة كفر شايان التي نعدُّها من اقدم كنائس لبنان. ومثلها كنيسة مار ماما في اهدن (راجع قول الدويهي فيها في المشرق ص ١٠٧٥). وليس قولنا هذا الَّا اجماليًّا. ولو اطَّلع احد المهندسين الخبيرين على هذه الابنية امكنهُ ان يزيدنا ايضاحاً في تعيين زمن بنائها

☆

هذا ونتتهز هنا الفرصة لتكرار ما اثبتناهُ في السنة الاولى من المشرق (ص ٢٦١) في مقالة حُرّرت تحت عنوان: « هيَّا بنا على درس تاريخنا ». فكان من جملة البنود التي اقترحناها على جمعيَّة طلبنا انشاءها في كلّ طائفة (ص ٢٨٣) « ان تعتني بخطّ الصور القديمة في الكنائس... وتهتمّ بحفظ هذه الكنائس نفسها »

فلم نرَ حتى الآن تشكيل لجنةٍ تقوم بهذا المشروع ولعلَّهُ لم يفتكر احدٌ في تأليف

١) وهنا نكرّر طلبنا الى قرَّائنا بان يفيدونا علماً عن الكنائس التي لم نذكرها في هذه المقالة ولا بأس ان يستدركوا علينا في ما يرونهُ مخلًّا لنصلحهُ

الآباء وسنكسارات الشهداء. (ثانيًا) امّا المنابر التي تُنصب في الدار فبعضهم يقيمونها في اسفل البيعة وآخرون في وسطها والبعض في شمالي الدربزين لتقرأ عليهما الرسائل والاناجيل والوعظ وزياح الميرون والشهداء وامثالها... (ثالثًا) يوضع في الدار جرن المعموديّة. وكان يُنصب من قديم بخارج الكنيسة او في دهليزها لكي لا يدخل البيعة الّا من كان ابن النور. الّا انّهم ادخلوهُ الى الخزانة لانهُ هناك يُحفظ تابوت الرازات (اي الاسرار) كما ترى ذلك في هيكل مار سابا بمدينة بشرّاي (١. ويُعلّق فوق الجرن تمثال حمامة دلالة على استقرار الروح القدس. ويُتّخذ الجرن من الحجر. (رابعًا) توضع في الدار اجران لاجل الماء الذي نباركهُ في الغطاس وفي تقديس البيعة وغيرهما. (خامسًا) تعلق في الدار المرائي المدوَّرة وبيض النعام». وهنا للدويهي بعض تفاسير رمزيّة تُحيل القرّاء الى مطالعتها في كتابهِ. ثم قال: «(سادسًا) توضع النواقيس في الدار تنبيهًا للمؤمنين للاجتماع للصلاة»

يظهر ممّا سلف ان الشعب لم يجلس في الكنيسة على الكراسي وانّهُ كان يحضر الاسرار منتصبًا. لكن ذلك لم يصدّ المؤمنين عن الركوع. وللبطريرك العلامة الدويهي فصلٌ مطول (ص ٦١) يبحث فيهِ عن انواع السجود والركوع. على ان الجثوّ على الركب كان معتبرًا كضرب من التعبد والاماتة وانما الانتصاب هو هيئة المصلّين الرسمية في الرتب الطقسية

وقصارى القول ان الكنائس المارونية كانت تتفق مع الكنائس اليونانية (او بالاحرى مع اليونانية واللاتينية معًا) في الخواص العمومية ولها مع ذلك فوارز تفصلها عمّا سواها بحيث يحكم صاحب الخبرة اذا رأى ما سبق لنا وصفهُ من طرائق بناء البيع وانواع هندستها الخارجة وتنظيم اقسامها ونقوشها. أن للموارنة في سالف الزمان هندسةً كنسيّة خاصة بهم. وكنّا وددنا لو لم يَحِدْ بناةُ الكنائس الحديثة لا سيّما منذ مائتي سنة عن تقليد آبائهم القديم. وغاية ما نتمنّاهُ أن تُحفظ الآثار الباقية منها لئلّا

---

١) وجاء في كتب التكريسات (ص ٢٣) انهُ يُفتح حينئذٍ باب خارجيّ «حتّى تدخل النساء وتخرج بالسترة»

الامر طالبين اليهم ان يصونوا هذه الآثار ولا يدعوا يدًا اثيمة تصيبها باذًى . واذا مسَّت الحاجة الى ذلك فليصلحوا منها ما خرب مع مراعاة هندستهـا القديمة . فان هذه كانت وصيَّة المثلَّث الرحمـات البطريرك بولس مسعد الذي كان حريصاً على حفظ تلك المآثر الناطقة بمفاخر ملَّتهِ في غابر الازمان . على انَّنا نقرُّ بكل سذاجة انَّ معظم خوفنا من البُناة المحدثين الذين يتخيَّلون ان هذه الابنية لا طائل تحتها فيخربونها لاتخاذ موادّها او لتجديدها كما يزعمون وهذه الطامَّة الكبرى . فيا حبذا لو امكننا بما سطرناهُ في هذه المقالة عن كنائس لبنان ان نكفَّ يد الدمار عن بقايا الزمن القديم فان اصبنا المرام لا نتأسف على الاتعاب التي تجشَّمناها لهذه الغاية الشريفة

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

٣ الفوائد التي نالها العرب بعلومهم الفلكيَّة

انَّ الاوصاف السابقة لآلات العرب الرصديَّة بيَّنت للقرَّاء ما لعلمائهم من الفضل في العلوم الفلكيّة . وكأَنّي بسائلٍ يوقفني عنـد هذا الحدّ ليسأَل وما هي النتائج التي توصَّل اليها العرب بهذه الدروس التي انقطعوا اليهـا والى اي غاية بلغت سعة علومهم وهل تمـكَّنوا من اكتشاف شيء جديد كان يجهلهُ اسلافهم

جوابنـا على هذا المطلوب لا يمكنهُ ان يكون تامًّا مستوفيًا ريثما يكتشف العلماء كل ما كتبهُ العرب من هذا القبيل وان قابلنا بين الكتب التي تُصان الآن في الخزائن الكتبيَّة وما ذكرهُ المؤرخون من تآليف العرب وجدنا انَّ العدد المعروف لا يبلغ نصف المفقود . مع انَّ الكتب التي تتضمنهـا المكاتب العموميَّة لا سيَّما باريس ولنـدرة وليدن والاسكوريال والقاهرة هي تصانيف واسعة في علم الفلك يلحق بهـا في الغالب ازياج وجداول حسابية غاية في الدقَّـة . مثال ذلك تآليف ابي الوفاء والبيروني والبتَّاني والفرغاني ونصر الدين الطوسيّ وغيرهم

وعلاوةً على ذلك لاتخلو هذه التآليف المعروفة نفسها من مشاكل عديدة فانَّ منها

هذه الشركات الطائفيّة لتبرز الى حيز الوجود قسماً من هـذه المقترحات. امّا العلماء الاوربيون فانّهم تلقّوا فكرنا في تنظيم مثـل هذه الجمعيّات بما لا مزيد عليهِ من الرعاية والالتفات وحدا الامر باحد كبار المستشرقين الالمانيين وهو الدكتور ج. كمفماير الذي ذكرناهُ غير مرّة في مجلّتنا الى ان كتب فصلًا في « نشرة الآداب الشرقيّة » (١ يستلفت فيهِ الانظار الى مقالتنا بل زاد على ذلك انهُ نقل الى الالمانيّة هذه النبـذة وألحقها بملاحظات نورد منهـا شيئًا ليرى اهل بلادنا ما يبني الاوربيّون من الآمال على تأليف جمعيّة كهذه. قال الدكتور ما تعريبهُ :

« لا حاجة ان نبيّن لقرائنا ما ينجم من الفوائد الجمة من تشكيل جمعيّة تاريخية في سوريّة كما وصفها الاب لامنس. بل يأخذنا العجب من عدم انشائها حتى الان لاسيما انّ بلاد الشام من الاقطار التي توفرت فيهـا الآثار التاريخية الدفينة التي يتوق الى كشفها العلماء. فنحن نوافق كاتب هذه المقالة في ما اقترحهُ من انشاء مكتبة مركزيّة في سوريّة لدرس تاريخ البلد وهذه المكتبة لا بُدَّ ان تجعل فيها كل الكتب الادبيـة واللغويّة والجغرافية التي تشتمل على احوال بلاد الشام وان يُلحق بها متحف للاثار الى غير ذلك من التنظيمات التي عدَّدها صاحب مقالة المشرق. ولا نشكّ في ان الذين يبحثون عن شؤون البلاد الشامية يتهللون فرحًا اذا ما تحققت اماني حضرة الكاتب

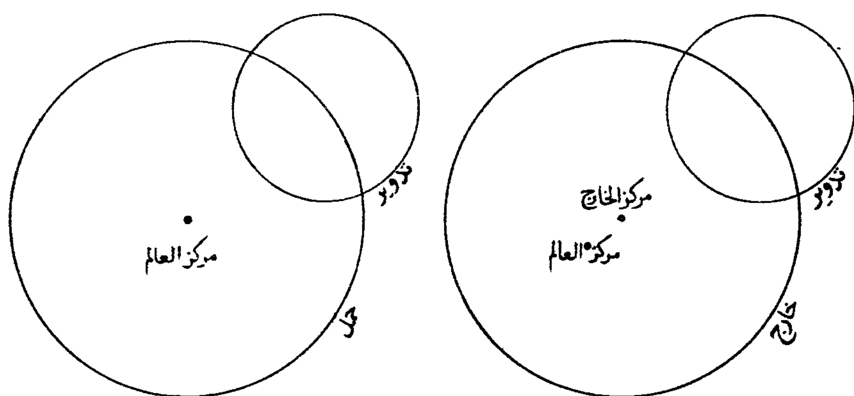
« ونحن الاوربيون نبني آمالًا طيّبة على تنظيم جمعيّـة تاريخية يكون اعضاؤها شرقيين. لان ابناء الوطن يمكنهم ان ينالوا بزمن قليل ما لم ينلهُ الغرباء بعد الجهد الجهيد واذا تشكّلت هذه الجمعية الوطنية بادرت الجمعيّات الاوربية الى مكاتبتها فتقوى بذلك على اتمام مشروعات علمية ذات شأن خطير »

هـذه شهادة اثبتناها ليرى القراء ما للعلماء الاجانب من الكلف بامور الشرق. ويا ليتنا لا نتأخر عن تلبية دعوتهم فلا نخيب آمالهم فينا

وفي ختامنا هذه المقالة التي خصّصناها بذكر الكنائس القديمة في لبنان كنّا وددنا لو أمكننا ان نوصي هذه الجمعيات التي نطلب انشاءها منذ سنتين بالمحافظة على هذه المعابد القديمة قبل ان يستولي عليها الخراب. وعلى كلّ حال اننا نوجه دعوتنا الى ذوي

---

١) راجع (Orientalis tische Litteratur-zeitumg)



الشكل الاول

فمن ثمّ ترى كيف امكن العرب بهذه الافتراضات ان يشرحوا الاختلافات التي وجدوها في حركات الكواكب والافلاك. وذلك انّهم كانوا يجمعون بين هذه الدوائر ويجعلون لها سرعات وسهاماً معلومةً فتوصلّوا بذلك الى ان عرفوا الاختلافات الطارئة على حركات الافلاك قبل حدوثها. ولكن هلمّ بنا نفصّل بعض هذه الخواصّ الفلكيّة

١ (الشمس). قد بحث العرب بحثاً مدققاً عن دائرة الشمس ومواقعها من منطقة البروج وعيّنوا ذلك بغاية الاعتناء ومن اعمالهم التي بلغتنا جداول واسعة ضمّنوها عرض الشمس وميلها وانحراف فلك البروج بالنسبة الى خطّ الاستواء والجداول المذكورة لا تكاد تختلف عمّا وجدهُ المحدثون بآلاتهم الجديدة. وممّا ادركهُ علمهم انّ هذا الانحراف ينقص بالتدريج. والدليل على ذلك انّ الازياج التي اصطنعها العرب في القرن التاسع للميلاد تجعل هذا الانحراف ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة امّا زيج اولغ بيك فانّهُ جعلَهُ ٢٣° و٣٠'. لكنّني لا اظنّ انّهم عرفوا الاختلاف القرنيّ او عيّنوا قدرهُ البالغ ٤٨". ومن معلوماتهم ايضاً انّهم اثبتوا حركة الحضيض (périgée) ومبادرة الاعتدالين (la précession des équinoxes) كما انّهم قاسوا نسبة قطبي فلك الشمس ودوام السنة الشمسيّة. امّا عظم جرم الشمس وبعدها فقد وهم فيهما العرب وهماً عظيماً

٢ (القمر) لا يخفى ما للقمر من الاعتبار في البلاد الشرقيّة. فانّ التاريخ الهجريّ

ما يجمع بين الغثّ والسمين ويخلط ما قرَّرهُ العلم الصادق بخرافات التنجيم فلا بُدَّ اذن من إفراز وتمييز لسَبْر غور هذه المؤلفات بعيار الانتقاد

ثمَّ تجد في مطالعة تلك التصانيف القديمة صعوبة أُخرى ألا وهي إدراك معانيها الصحيحة لانَّ للاقدمين اصطلاحاتٍ خاصة تشتبه على من ليس هو متخرجًا في آداب الاقدمين متضلّعًا بتعابيرهم ومدلولاتهم

على انَّنا لا نأبى ان نفيد قرَّاءنا شيئًا ممَّا تحقَّق لدينا بمطالعة بعض هذه الكتب الفلكيَّة التي نشرها كبار المستشرقين الاوربيين مع نقلها الى اللغات الاوربيَّة وتذييلها بحواشٍ مفيدة نخصّ بالذكر كتاب المجسطي لابي الوفاء البوزجاني الذي بحث فيهِ سديليو (Am. Sédillot) ثم كارا دي ڤو (C. de Vaux) وكتاب الآثار الباقية للبيروني المنشور والمترجم بهمَّة الدكتور ساخو (E. Sachau) وتقويم البلدان لابي الفداء مع ترجمته الى الافرنسيَّة للعلامة رينو (Reinaud) والمختصر في علم الهيئة للجغميني طبعة الدكتور ر. هوخيم (R. Hocheim) والزيج الحاكمي لابن يونس (Notices et Extraits VII) وجامع المبادئ والغايات لابي الحسن المرَّاكشي نقلهُ الى الفرنسية سديليو والزيج الصابئ الذي جدَّد طبعهُ الدكتور نَلّينو (راجع المشرق ٣:٧١٧) وغير مطبوعات جليلة لا حاجة الى تعدادها

فمن هذه المصنَّفات يمكننا ان نتبيَّن ما بلغ اليهِ العرب من علم الافلاك وهاك ملخَّصهُ: كان علماء العرب يعتبرون الارض كمركز العالم على رأي قدماء اليونان. ويظنُّون انَّ الافلاك جمعاء تدور حول هذا المركز الثابت بحركات غاية في النظام. لكنَّهم ما لبثوا ان لحظوا انَّ في هذه الحركات المنتظمة بعض اختلافات كقصر الايام وطولها لاختلاف ساعات شروق الشمس وغروبها وكتخلُّف القمر او تسابقهِ على الاوقات المحسوبة وكانحرافات السيَّارت في دورانها الى غير ذلك من الاختلافات التي استلفتت انظار العرب ودلَّت الفلكيين منهم على انَّ هذه الاجرام العلويَّة لا تدور دورًا بسيطًا حول الارض لكنَّ لها تدويرًا (épicycle) خاصًّا ولهذا التدوير مركز آخر يدور حول دائرة ثانية دعوها حملًا (déférent). والحمل المذكور يكون تارةً ذا مركز واحد مع مركز العالم او يكون خارجًا عنهُ. فان كان خارجًا جاز لمركزهِ ان يدور حول مركز العالم

(راجع الشكل الاول في الصفحة التالية)

بعدها كبعد مركز الخارج. وهذا الاختلاف كان بطلميوس القلوذي يدعوهُ انعطافًا (πρόσνευσις)

لكنَّ هذا الاختلاف كما ذكرهُ بطلميوس ووصفهُ العرب ليس هو الّا اصلاحًا للمعادلتين الاوليين ولا يشبهُ المعادلة الثالثة التي اكتشفها تيخو براهي الفلكي الدنمركيّ في القرن السادس عشر فدعاها « تقلّبًا » وهو اكتشاف مهمٌّ نالَ بهِ تيخو براهي شرفًا عظيمًا

ولمّا كانت سنة ١٨٣٦ اعلن الشهير سديليو في المجمع العلميّ البـاريسيّ انَّ أبا الوفاء البوزجاني سبق تيخو براهي الى هذا الاكتشاف بستَّة قرون وذلك في كتاب شرح المجسطي في الباب العاشر من مقالتـهِ عن القمر فزعم سديليو انَّ أبا الوفاء زاد على ما كتبهُ بطلميوس واكتشف معادلة التقلّب

فكان لهذا الخبر وقعٌ عظيم في قلوب السامعين وابتـدأ من ثمَّ جدال عنيف في شرح مقالة ابي الوفاء وبقي الامر مُبهمًا الى سنة ١٨٩٢ حيث اثبت العلّامة دي ڤو (C. de Vaux) ببراهين ساطعة اوضحها في المجلّة الاسيويَّة ان سديليو لم يُحسن شرح نصّ ابي الوفاء وانَّ تيخو براهي اوَّل مكتشف « التقلُّب »

وان سمح لي القرَّاء صادقتُ على ما كتبهُ دي ڤو فقلتُ انَّ سديليو في محاماتهِ عن ابي الوفاء لم يحسن فهم اللفظتين اللتين أتى بهما ذلك الكاتب الشريف وهما « تسديس » و « تثليث » فزعم ان معناهما ثُمن درجات الدائرة (octants) وهو شرح مخالف لمعنى الالفاظ. وعليهِ فان قول ابي الوفاء « والاختلاف الثالث يكون معظمهُ في التثليث والتسديس » ليس معناهُ كما زعم سديليو انَّ هذا الاختلاف يكون في ثُمن درجات الدائرة. ولو كان سديليو وجد في نسخ ابي الوفاء الخطيَّـة الاعداد الدالّة على التثليث والتسديس لما كان الامر اشتبه عليـهِ الّا انَّ هذه الاعداد لم تُرقم في نسخ المجسطي لابي الوفاء. وقد اسعدنا الحظ على وجودها في احدى الكتب الخطيَّة المصانة في مكتبتنا الشرقيَّة. وهو كتاب توضيح تذكرة نصير الدين الطوسي للنيسابوري. فان مؤلف هذا التوضيح يتبع شرح المجسطي لابي الوفاء ويستشهد بهِ مرارًا. وقد اضاف الى لفظة تثليث العدد ٥٥° والى لفظـة التسديس العدد ١١٠° فيظهر من ثمَّ جليًا انَّ سديليو وَهَمَ في شرح هاتين اللفظتين لان العددين المذكورين لا يدلّان على ثُمن الدائرة

الذي عليهِ تجري الدول الاسلامية في سنتها واعيادها واصوامها انَّما هو قمريّ فاقتضى الامر ان يبحث ارباب الفلك عند العرب عن هذا الجرم العلويّ وإهلالهِ ووجوههِ وحركاتهِ. بيد انَّ حركات القمر عديدة مضطربة فهل وقف العرب على اسرارها. ذلك مبحث تباحث فيهِ مدَّةً اصحاب المجمع العلميّ في باريس. فمنهم من اثبت ومنهم من انكر. وما لا مراء فيهِ انَّهم استدلُّوا على بعض حركاتهِ وانَّما نقطة الجدال بينهم كانت على اكتشافٍ يُنسب الى الفلكيّ تيخو براهي فادَّعى سديليو انّ العرب سبقوا الى معرفة هذه الحركة. وهذه خلاصة الجدال بينهم:

انَّ لحركات القمر اختلافاتٍ جمَّة يطرأ بعضُها على طولهِ وبعضُها على عرضهِ وكلامنا هنا عن اختلافات الطول. فاذا افترضنا ان للقمر دورانًا متساويًا وحسبنا على مقتضى هذه الحركة وقت اقترانهِ واستقبالهِ وجدنا ان نتيجة الحساب لا توافق الرصد وهذا اختلافٌ اول يدعونهُ «معادلة المركز» (équation du centre). ثمَّ اذا اصلحنا الحساب بمراعاة هذا الاختلاف وجدنا اختلافًا ثانيًا الَّا انهُ في التربيعات وهو يُدعى «معادلة الاعتساف» (évection). وبعد استدراك الخلل تجد اختلافًا ثالثًا بين التربيع والاقتران يُعرف بالتقلُّب او بالمحاذاة (variation). ويبقى اخيرًا اختلاف وهو المعادلة السنويَّة

وكان اليونان عرفوا قسمًا من هذه الاختلافات. وكذلك العرب بعدهم. فدونك شرحهم في ذلك (اطلب الشكل الثاني ص ١١٢٤):

ان فرضنا ان للقمر حركةً على تدويرٍ يرسم مركزُهُ حملًا ذا مركزٍ مختلف عن مركز الارض فمركز هذا التدوير يجتاز مرَّتين في كل دورة شهريَّة قانونيَّة في ذروة الحمل عند وقوع الاستقبال والمقارنة المتوسطين ومرَّتين في الحضيض في وقت التربيعات المتوسطة. فتتعيّن بهذه الحركات اشعَّة التدوير والحمل والمسافة بين مركز الحمل والارض. فعلى هذه الطريقة فسَّر العرب الاختلافات التي تظهر عند الاستقبال والمقارنة وفي وقت التربيعات

امَّا الاختلاف الذي يجري بين التربيع والمقارنة فلا بدَّ لشرحهِ من القول بانحرافِ خطّ الذروة والحضيض عن التدوير المذكور. فان هذا الخطّ بدلًا من ان يمرّ مطلقًا بمركز الخارج يُجعل طرفهُ في نقطة يدعونها محاذاةً موقعُها في الجانب الاخر من الارض مسافة

من الوسط الى الانجلاء من الساعات المعتدلة ١٠,١ وكان الوسط على ساعات معتدلة ٠,٤٣ وكان الذي بين ما خرج به حساب حبش بجداول الاجتماع المعدل الزمان اما في الوسط من الساعات المستوية ٠,٣١ وفي الانجلاء ٤٤ تقدَّم الحساب في الزمان (كذا) الوقت المرصود

وكان الرصد البغدادي الثاني وهو كسوف قمري حدث في ١٥ محرم ٣١٣ (١١ نيسان ٩٢٥) قال ابو الحسن :

ان القمر انكسف كله ثمَّ ذكر ازمنته الخمسة ثمَّ قال : رصدت هذا الكسوف وكان ابتداؤه وارتفاع الرامح مشرقاً ١١ وآخر الانجلاء وارتفاع النسر الواقع ٢٤ . ثمَّ قال : يكون الابتداء على هذا الرصد والذي مضى من الليل من الساعات الازمانية ٠,٥٥ تأخر الرصد عن حساب الممتحن بزيج حبش ٠,٢٣ من ساعة زمانية وآخر الانجلاء بالرصد على ٣٦,٤ ساعة زمانية تأخر الرصد عن الحساب ٠,٧ من ساعة زمانية

امَّا الرصدان المصريَّان فكان اوَّلهما كسوفاً شمسياً في ٢٩ شوَّال سنة ٣٦٧ (٨ حزيران ٩٧٨) رصدهُ ابن يونس قال :

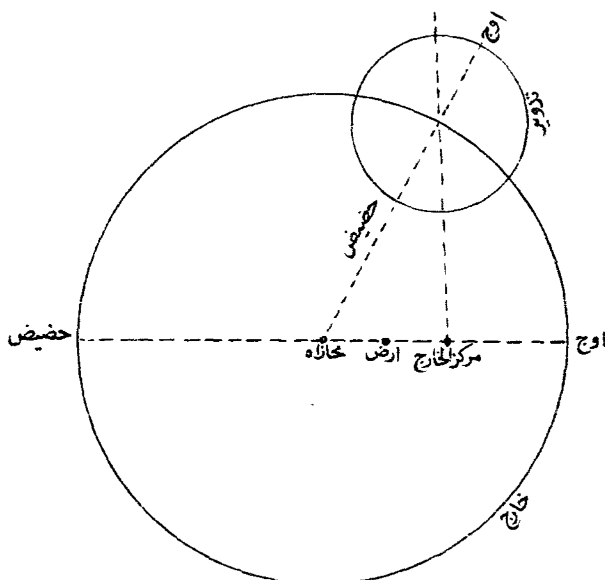
كان اكثر ما انكسف من قطر الشمس خمس اصابع ونصفاً على حسب التحزي (؟) يكون من بسيط دائرتها اربع اصابع وعشر دقائق وكان ارتفاع الشمس حين تبيَّن من كسوفها شيء يدركهُ العيان ٥٦ بالتقريب وكان تمام انجلائها حين كان ارتفاعها ٢٦ او نحوها وكانت الشمس والقمر معاً في هذا الكسوف في قريب من بُعدهما الابعد وبالله التوفيق

والرصد الثاني خسوف قمريّ رصدهُ ايضاً ابن يونس في شوَّال سنة ٣٦٩ (٣ ايَّار ٩٨٠) . قال :

اجتمع لرصد هذا الكسوف جماعة من اهل العلم فادركوا اثر الكسوف وارتفاع القمر ٤٧ وثلثان وانجلى والباقي من الليل نحو ثلاثة اخماس ساعة معتدلة وكان اجتماعنا لرصده في مسجد ابن نصر بالقرافة

فقد لحظ القارئ انَّ الراصد البغداديّ وجد اختلافاً بين الحساب والرصد لانَّ الحساب لم يكن تامّ الضبط . قال ابن يونس بعد ذكرهِ هذه الارصاد : « قد ذكرت كسوفات عدَّة حسبها العلماء ورصدوها فخبَّروا عنها بمخالفة العيان للحساب بالزيادة والنقصان في الزمان تارةً والموافقة تارةً وهذا يدلُّ على فساد الاصول التي منها تُحسب الكسوفات » . ولم يُفِدْنا ابن يونس عن ارصادهِ الخاصة اكانت صحيحةً او مختلَّةً .

وعلى كل حال انَّ للعرب فضلاً عظيماً في مباشرة هذه الارصاد وتعيينها وان وقع بعض الخلل في حساباتهم لوعورة هذه المباحث . وشتَّان بين ابحاثهم هذه العلميَّة وجهل بعض



الشكل الثـاني

الّا انّ ما قلنـاهُ لا يبخس بقدر ابي الوفاء وفلكيي العرب . ولو لم يكن لهم من الفضل في تعريف حركات القمر سوى وصف وجوهه باتقان لكفى

٣ (الخسوفات والكسوفات) لدينا جداول عديدة تحتوي ارصـاد العرب للكسوفات والخسوفات وتبيّن طريقتهم لتعيين اوقاتها : امثال ذلك اربعة ارصاد ذكرها ابن يونس في الزيج الحاكميّ رصدان في بغداد ورصدان في مصر

واوّل رصد كان في بغداد هو كسوف شمسي احسبهُ ابو حسن علي بن اماجور التركي على زيج حبش العربيّ في شهر شعبان سنة ٣١١ ه (١١ تشرين الثاني ٩٢٣) قال ابو الحسن ما حرفهُ (Notices et Extraits VII, p. 131) :

رصدناه جماعة وتبينّاه تبيّناً حسناً وكان حزر الجميع لوسط الكسوف وارتفاع الشمس مشرقاً ٨ْ وانجلاؤها على ساعتين وخُمس زمانيّة والارتفاع ٢٠ ورصدنا ايّاه كان خلال الطارمة (؟) في مواضع عدّة وكان حزر ابي الحسن لوسط الكسوف في منزله وارتفاع الشمس ٨ْ وكذلك حزرتهُ انا في منزلي قبل مجيئه وكان مقدار الكسوف من قطر الشمس النصف والربع يكون وسط الكسوف الذي حزرناه وارتفاع الشمس ٨ْ والماضي من الساعات الزمانيّة ٠,٥٠ʹ والذي دار من الفلك ١٠ْ ,٤٠ʹ والذي بين وسط الكسوف والانجلاء على هذا الرصد من الساعات الزمانية ٢٢,١ʹ فاما المستوية فلأن الذي دار من الفلك وقت الانجلاء ٣٨ْ,٩ʹ يكون ساعات معتدلة ٥٣,١ʹ ويكون

بلد آخر فيستدلون على طول هذا البلد بلحظهم فرق الساعات. امَّا مبدأ الطول فكان العرب جعلوهُ في الدرجة ٩٠ من قبَّة ارعين. فجعلهُ بعضهم في الجزائر الخالدات وبعضهم عند ساحل القارة الافريقيَّة في شرقي هذه الجزائر على بعد بعض درجات منها. ولذلك ترى بعض اختلاف في تعيين درجات الطول في كتبهم

ثمَّ لا يخفى انَّ قياس الارض يستدعي قياس قوس دائرة نصف النهار. فالعرب لم يستنكفوا عن هذا العمل الجليل وجرى ذلك في عهد المأمون كما روى ابن يونس في كتاب الزيج الحاكمي (ص ٩٤):

وذلك ان المأمون كان وكل بهذا الامر الخطير الى سند بن علي وخالد بن عبد الملك فقاسا درجةً من الارض بين افامية وتدمر فوجدا قياسها ٥٧ ميلًا. وكذلك فعل علي بن عيسى وعلي بن البحتريّ فكان قياسهما كقياس سند وخالد

واخبر حبش في كتاب الرصود الدمشقيَّة انَّ المأمون امر هؤلاء المذكورين بقياس دائرة من دوائر الارض فتقدَّموا في بريَّة سنجار ريثما بلغ ارتفاع دائرة نصف النهار المرصود في يوم واحد درجةً واحدة ثمَّ رصدوا المسافة بين المكانين فكانت ٥٦ ميلًا وربع ميل بحساب كلّ ميل ٤٠٠٠ ذراع من الذراع السوداء

على ان هذه الاقيسة مع دقَّتها لا تخلو من بعض الابهام لاختلاف طول الميل في الزمن القديم فلا يمكننا ان نختبر صحَّتها

وكان حقّ هذه الاقيسة ان تُنقل في رسوم هيئة الارض لتعريف مواقع البلاد كما يفعل العلماء في ايَّامنا برسم الخارطات. والعرب باشروا ذلك لكنَّهم لم يتوصلوا الى اتقان هذا الفنّ ولعلَّهم لم يحكموهُ لجهلهم فنّ التصوير. وقد أَلحقنا بمقالتنا هذه صورة خارطة قديمة وجدناها في احد كتب مكتبتنا الشرقيَّة فرسمناها بالوانها الاصليَّة ليرى القرَّاء الى اي غاية بلغ العرب من هذا القبيل

وفي الختام لا يسعنا الَّا ان نثني على همَّة العرب الذين فاقوا بعلومهم الفلكية كثيرين من الامم الشرقيَّة فتقفَّوا آثار علماء اليونان وزادوا على معارفهم رونقًا. ولو حصلوا في ايَّامهم على الآلات التي اكتشفها المحدثون لأتوا بالعجائب

اهل زماننا الذين نراهم حتى الآن يعتقدون بالتنين المفترس للقمر ويظنون انهم بضوضائهم يكفون أذاهُ

٤ (السيَّارات والكواكب) لم يكن القدماء يعرفون من السيَّارات الَّا السبع الشهيرة التي تبصرها العين وكانوا يعجبون من حركاتها غير المنتظمة. وللعرب في تآليفهم الفلكيَّة فصل او فصول يبحثون فيها عن السيَّارات وهم يشرحون حركاتها بتداوير او احمال وقد رصدوا ايضاً اقترانها بدقَّة وحسبوها كما اثبت ذلك ابنُ يونس في كتابهِ الزيج الحاكمي

امَّا الكواكب فقد رسم العرب أعراضها واطوالها وصعوداتها المستقيمة فعيَّنوا بضع مئات منها. وكثير من اسمائها العربية لا تزال مستعملة في اصطلاح الفلكيين الاوربيين وجداولهم كالدبران (Aldébaran) ويد او إبط الجوزاء (Bételgeuse) والنسر الطائر (Althair) وكذلك عدَّة الفاظ فلكيَّة كالسُّموت (azimut) وسمت الرأس (zénith) والنظير (nadir) والعضادة (alidade)

٥ (الارض) انَّ لمساحة الارض وتعريف مواقع البلاد والمدن علاقةً مع العلوم الفلكيَّة. والعرب لم يهملوا درس كُرَتنا الارضيَّة لاسيَّما بعد ان فتحوا الفتوحات الكبرى ومدُّوا سلطتهم على قسم كبيرٍ من المعمور. وقد اشتهر من جملتهم رحَّالون كثيرون طافوا البلاد وجابوا الامصار ودوَّنوا أَسفارهم في أَسفار رحلاتهم التي بلغنا منها عدد كبير فمنهم من توغَّلوا في صحارى افريقية ومنهم من ركبوا البحار فزاروا الجزائر المجهولة كمدغسكار وجزائر الهند وبلغوا حدود الشرق الاقصى كابي زيد وسليمان التاجر والمسعوديّ وابن حوقل وابن سعيد المغربيّ وابن جُبير وابن بطوطة والادريسيّ. وفي اوصافهم للبلدان تراهم يدلُّون على اعراضها واطوالها بدقة لا يكادون يغلطون في تعريف درجاتها اللهمَّ الَّا بدقائق قليلة

وكانت طريقتهم لمعرفة عرض البلدان كطريقتنا اعني انَّهم كانوا يرصدون علوّ القطب فوق الافق فيدلُّهم ذلك على عرض البلدٍ لانَّ هذا العلوّ والعرض سيَّان. امَّا طول البلاد فلم يمكنهم ان يعينوهُ كما نفعل اليوم بمقياس الزمان (Chronomètre) لكنَّهم التجأُوا الى طرائق أُخرى مكَّنتهم من هذه الغاية فكانوا يرقبون في بلدٍ بعض الظواهر الجويَّة كاقتران الكواكب او خسوف القمر ثمَّ يلحظون زمن ظهور هذه الحوادث في



صورة بسيطة المعمور كما تخيّلها العرب (عن نسخة خطّيّة قديمة)

IMP. CATHOLIQUE BEYROUTH

ملحق

في الكتب الفلكيَّة المصانة في مكتبتنا الشرقية

لا تخلو مكتبتنا الشرقية من بعض الآثار الفلكيَّة وهي عبارة عن ثلاثة عشر كتاباً نورد اسماءها هنا لفائدة القرَّاء

١ شرح الجغميني في الهيئة . الجغميني هو محمود بن محمَّد بن عمر الجغميني الخوارزمي المتوفي سنة ٦١٨ ﻫ (١٢٢١ م) . لهُ كتاب يدعى « الملخَّص في الهيئة » طُبع في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, XLVII) ونقل الى اللغة الالمانية . يتألَّف من مقدَّمة ومقالتين في الاجرام العلويَّة والبسائط السفلية . وقد عني بشرحهِ كثيرون من المؤلفين . وشرحنا هذا هو لصلاح الدين موسى بن محمود المعروف بقاضي زاده الرومي فرغ من تأليفهِ سنة ٨١٥ ﻫ (١٤١٢ م) وضعهُ للسلطان الوغ بيك ابن شاه رخ ابن الامير تيمور كوركان . ونسختنا غير مؤرخة يرتقي عهدها الى القرن السابع عشر . عدد صفحاتها ١٩٤ ذات ١٥ سطراً بخطّ نسخيّ حسن اوَّلها « الحمد لله الذي اودع سرَّهُ المكتوم » . وفيها اشكال فلكيَّة محكمة . ومن هذا الكتاب نسخ عديدة في خزائن كتب اوربَّة

٢ نسخة اخرى من الشرح ذاتهِ اقدم عهداً الَّا بعض صفحات منها . ومقدَّمتها تختلف عن النسخة السابقة أوَّلها « الحمد لله الذي جعل الشمس ضياءً » . وخطّ هذه النسخة من النستعلق على هوامشها تفاسير عديدة . وبعض اشكالها بلون أحمر عدد صفحاتها ١٧٩ سطورها بين ١٤ و١٧

٣ رسالة في معرفة استخراج اوقات الصلوة وشيء من التواريخ والاعمال الفلكيَّة . مؤلفها الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن حسن الحطَّاب الرُّعَيني المالكي . تشتمل على مقدَّمة في فضل علم الهيئة ويليها عشرة ابواب ولكل باب فصول . ففي الباب الاوَّل تُعرَّف الحروف التي اصطلح عليها الفلكيون ثمَّ الدرجات والدقائق والساعة الزمنيَّة والساعة المستوية الخ . وفي البابين الثاني والثالث وصفُ الاربعة التواريخ المعروفة اي العربيّ والقبطيّ والروميّ والفارسيّ مع تعريف السنة البسيطة والكبيسة وجداول المقابلة بين التواريخ المذكورة . وفي الابواب التالية (٤ و٥ و٦) يبيّن الرُّعَيني ما يختصّ بدوران الشمس والقمر وفصول السنة التي يجعل بدءها في ١٢ اذار و١١ تمّوز و١٣ ايلول و١٢ كانون الاوَّل . ثمَّ يجعل انحناء دائرة البروج ٢٣° و٣٥' . ويدل على طريقة تعيين الاعراض والاطوال لكل مدينة مع جداول لأشهر هذه المدن ثمَّ يبيّن ارتفاع الشمس وميلها ومعرفة المطالع الفلكيَّة والمطالع البلديَّة ومطالع الوقت ومطالع الكواكب والماضي والباقي من الليل ومعرفة الاوتاد الاربعة . وبقيَّة الكتاب لمعرفة الاوقات لاسيَّما اوقات الصلوات امَّا بالظلال وامَّا بانعكاس الشمس او كوكب معلوم في سطح ماء ثمَّ ينتهي بطريقة الاستدلال على القبلة وذكر اعياد المسلمين والنصارى . تاريخ هذه النسخة سنة ٩٣١ ﻫ (١٥٢٥ م) وهي مكتوبة بخطّ نسخي مشرق عدد صفحاتها ٩٠ لكل صفحة ٢١ سطراً . ولا نعرف لهذا الكتاب نسخة ثانية

٤ مجموع ثلاث رسائل: ١ً كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع. للشيخ بدر الدين ابي القاسم محمّد بن محمد الشهير بسبط المارديني المتوفى سنة ٩٣٤ ﻫ (١٥٢٧م) – اختصرهُ من رسالة اخرى مطوّلة اسمها «اظهار السرّ المودوع في العمل بالربع المقطوع» رتّبها على مقدّمة وخمسة عشر باباً. يبحث المؤلف فيها عن ميل الشمس والساعات المستوية والساعات الزمنيّة وعن معرفة الظلّ من الارتفاع والدائر بين الظهر والعصر ومدّة الفجر واعراض البلاد ومعرفة القبلة والمطالع الفلكية الخ. صفحاتها ١٧ ذات ١٧ سطراً من الخطّ النسخي يرتقي عهدها الى نحو ١٥٠ سنة. ٢ً ويلي الرسالة السابقة رسالة ثانية للمؤلف نفسهِ تدعى «رسالة في العمل بالربع المجيَّب» فيها مقدّمة وعشرون فصلًا مدارها على مواضيع الرسالة السابقة – صفحاتها ٧ وسطورها بين ١٩ و٢٣. ٣ً وفي آخر الكراس نسخة ثانية من الرسالة ذاتها بخطّ احدث ص ٨ سطر ٢١

٥ نسخة ثالثة من الرسالة في العمل بالربع سبط المارديني. كُتبت سنة ١١٥٥ﻫ (١٧٤٢م) وفي آخرها ملحق مأخوذٌ من زيج ابن يوسف (لعلّهُ يريد ابن يونس) صفحاتها ١٦ س ١٩

٦ مجموع رسالتين: ١ً رسالة مختصرة في العمل بالربع. وهي الرسالة المذكورة سابقاً المعروفة بكفاية القنوع (راجع العدد ٤) صفحاتها ٢٦ لكل صفحة ١٥ سطراً كُتبت سنة ١٢٥٠ ﻫ (١٨٣٤م) – ٢ً رسالة ابي الحسن كوشيار بن لبان الحلبي (والصواب الجيلي) في اصول صناعة الاحكام تجمع بين علم النجوم والتنجيم. وهذه الرسالة غير زيج كوشيار الذي جاء وصفهُ في قائمة كتب ليدن (٣: ٨٤). صفحاتها ٢١٥ من الخطّ العادي وأسطر الصفحة بين ١٢ و ١٦

٧ الرسالة الفتحية في الرسالة الجيبيَّة. هي نسخة رابعة من رسالة السبط المارديني السابق ذكرها (في العدد ٤ و ٥) – يليها شرح مطوَّل عليها لعبد الرحمن بن عبد الله بن الحاج احمد التاجوريّ في آخرها قصيدة الامام الشافعيّ في معرفة الاوقات – صفحات هذه النسخة ٦٦ س ٢١ كُتبت بخطّ نسخيّ حسن سنة ٩٨٨ ﻫ (١٥٨٠ م) في القاهرة. لم نجد ذكراً لهذا الشرح في قائمة المكاتب الاوربيّة. منها نسخة في المكتبة الخديويَّة (٥: ٢٥٣)

٨ كتاب قديم ناقص اوَّلهُ ولا يعرف مؤلفهُ يبتدئ في وسط الباب ٤٨ وينتهي في الباب ٦٠ كُتب سنة ٨٢١ ﻫ (١٤١٨م) بخطّ نسخيّ متقن وهو مزيَّن باشكال عديدة حسنة من جملة مباحثهِ فصول في الظلال والساعات الشمسيّة. وفي الباب الأخير بحث عن معرفة سعة الانهار وعمق الآبار. صفحاتهُ ١٠٧ وسطورهُ ٢٣

٩ مجموع كبير فيهِ عدّة كتب فلكيَّة. في صدرهِ صورة الارض بألوان (كما رسمناها في المشرق) مع صور دوائر الفلك المحيط والكواكب وصورة فلك البروج وكسوف الشمس. ١ً الدرّ النظيم في علم التقويم على اصول رَصْد الغ بيك السمرقندي. لمحمَّد بن عبد الرحمان المفيفيّ الشافعيّ. صفحاتهُ ١٦٠ لكل صفحة ١٩ سطراً بخطّ عاديّ حسن واطار احمر. كتبهُ مؤلفهُ سنة ١٢١٥ ﻫ (١٧٠٠م) يحتوي على تقاويم عديدة ذات مداخل وفيهِ مقدّمة وستّ مقالات مضمونها مبادئ التواريخ العربية والقبطيَّة والرومية والفارسية. ثمّ تقاويم الشمس والقمر واستقبالها واقترانها ثمّ رؤية الاهلّة وشروطها وحدودها ثمّ الخسوفات والكسوفات ثمّ اختلاف طول الليل والنهار على اختلاف الاعراض والساعات الزمنيّة والساعات المستوية الخ. ثمّ الخاتمة وفيها كلام على بعض

وجدني يقتلني » فزعم صاحب الهلال انَّ هذا دليل على « انَّ الارض كانت مأهولة قبل آدم ». وكذلك ذهب الى ان قائين تزوَّج بامراة لم تكن من نسل آدم بل من اناس قبلهُ. ثمَّ ختم الهلال قولهُ بما نصُّهُ:

« واكثر علماء اللاهوت ينكرون ذلك ويؤولون اقوال التوراة والمسألة لا تزال موضوع ابحاثهم »

فقبل جوابنا على الهلال فليأذن لنا بان نسألهُ عن اسماء هؤلاء العلماء الذين ارتأوا هذا الرأي لأنَّهُ اعتاد سامحهُ الله ان ينسب الى العلماء ما يتبرَّأ منهُ العلم الصحيح. وهذا دأب كثير من المجلاَّت المصريَّة التي تتعرض للدين ومباحثهِ الراهنة متسترة وراء قترة العلم لتوهم القرَّاء انَّ العلم الصادق يُنطق لسانها وهي تبعد من العلم مناط الثريا

وكذلك اشار الهلال الى بعض اللاهوتيين الذين ذهبوا الى هذا القول ونسي ان يذكر اسماءهم. ولا نشك انَّ هؤلاء اللاهوتيين هم من صنف علماء الهلال اعني كفرة ملحدين

هلمَّ الآن نبحث عن الادلَّة التي بنى الهلال عليها زعمهُ وهي على نوعين بعضها عقليَّة وبعضها نقلية

امَّا العقلية فهي على زعم صاحب الهلال « مقابلة عمر الخليقة بحال التمدُّن القديم وسنَّة الارتقاء الطبيعية في التمدُّن » يريد جنابهُ انَّ العقل لا يقبل كون الانسان الاوَّل اي آدم خُلق في تاريخ قريب العهد كما روى الكتاب الكريم لانَّ هذا الوقت ليس بكافٍ لشرح نموّ بعض الامم وترقي الانسان من حالة البداوة الى حالة التمدُّن

غير انَّ جنابهُ اسند برهانهُ الى وهم باطل وهو يتخيَّل ان الذين يعتقدون بالكتب المنزلة اتَّخذوا لهم تاريخًا لا يجوز لهم ان يتعدَّوهُ في شيء. وهو زعم فاسد زيَّفناهُ في جوابنا على المعلومات (المشرق ٣ : ٤١١) وقلنا هناك انَّ الكنيسة لم تقرّر حسابًا لعمر الدنيا ولتكوين آدم وانَّ لعلماء الكنيسة الكاثوليكيَّة حسابات عديدة في ذلك تختلف بينها اختلافًا يبلغ أُلوفًا من السنين. وكلُّها تستند الى التوراة ولا بأس ان يلتجئ العلماء الى حساب دون آخر اذا رأوا ان العلم الراهن والاكتشافات الصحيحة تقتضي زمنًا اطول لشرح تواريخ بعض الامم. ومن ثمَّ لا حاجة الى القول بانَّ آدم ليس ابا البشر

الكواكب. وهذا الكتاب لم نجد لهُ ثانياً في خزانات الكتب الشرقيَّة — ٢ً شرح منظومة علي بن ابي الرجال الكاتب القيرواني في احكام الافلاك. صفحاتها ٢٥٧. خطُّها كالسابق. مضمونها التجامة مماً لا طائل تحتهُ — ٣ً كتاب نهاية الادراك في اسرار علم الافلاك لمحمَّد بن ابي بكر الفارسيّ. ص ٩٥. في التنجيم — ٤ً كتاب احكام النجوم لسهل بن بشر الاسرائيلي. في التنجيم خطُّهُ قبيح. ص ١٣٢ — ٥ً فوائد شتَّى وارجوزة في التنجيم. ص ٣٠

١٠ توضيح التذكرة. وهو شرح جزيل الافادة على كتاب التذكرة في علم الهيئة لنصير الدين الطوسي المتوفَّى سنة ٦٧٢ ه (١٢٧٣ م). امَّا الشارح فهو نظام الدين ابن محمَّد النيسابوري المعروف بالاعرج صنَّف شرحهُ سنة ٧١١ ه (١٣١١م). وفي المكتبة الوطنيَّة في باريس نسخة منهُ حسنة (Catalog. Paris, N° 1510). ونسختنا هذه جيدة سقط منها اوراق قليلة في اوَّلها. صفحاتها ٤٧٨ وسطورها بين ١٥ و٢٢. مكتوبة بخطّ جليّ غير متقن. فيها اشكال عديدة حمراء وسوداء. وهذا الكتاب تصنيف جليل اودعهُ موْلفهُ كل المباحث التي تتعلَّق بالعلوم الفلكيَّة المعروفة في زمانهِ

١١ مسائل عمر بن فرحات الطبري. خلط فيها الموْلف بعض مسائل فلكيَّة ثابتة مع ابحاث عديدة في التجامة. صفحاتهُ ١١٤ س ٢٣. خطهُ في اكثرهِ حسن كُتب قبل ٢٠٠ سنة

١٢ جداول لمعرفة تواريخ السنة الهجريَّة والقبطيَّة والرومية. ص ٢٠ منذ نحو ٢٠٠ سنة

١٣ جداول اخرى ناعمة الكتابة جميلتها مع شروح تركيَّة. عهد النسخة نحو ١٥٠ سنة ص١٢

آدم ابو البشر

نبذة ملخَّصة للاب لويس شيخو اليسوعي (ردًّا على الهلال)

كنَّا اشرنا الى مجلَّة الهلال المرَّة بعد المرَّة بألَّا تتعرَّض للمسائل الدينيَّة او الكتابيَّة لقصر نظر صاحبها في هذه الابحاث فكأنَّ مشورتنا لم تحظَ قبولًا لديهِ او جذبتهُ النفس الامَّارة الى مسّ الثمرة المحرَّمة فلم يكبح هواها وكلُّ ممنوع متبوع

وممَّا اطرف بهِ هذه المرَّة قرَّاءهُ انَّ معتقد المسيحيين والمسلمين واليهود في آدم ابي البشر ليس بثبتٍ فقال لا محق الله هلالهُ (في عددهِ ٢ من السنة التاسعة ص ٤٩ و٥٠):

« يذهب بعض العلماء الى أنَّ آدم ليس هو اوَّل انسان خُلق على وجه الارض وبعبارة أُخرى انهُ ليس جدّ البشر بوجه الاطلاق بل هو جدّ بعض الطوائف ومنهم اليهود. ويستدلُّون على ذلك بادلَّة بعضها تاريخي وبعضها عمرانيّ وليس فيها نصٌّ صريح واعاً يسترشدون اليهِ ببعض القرائن مثل مقابلة عمر الخليقة بحال التمدُّن القديم وسنَّة الارتقاء الطبيعيَّة في التمدُّن ونحو ذلك »

ثمَّ اورد قصَّة قائين وقولهُ للرب: «طردتني عن وجه الارض . . . فيكون كل من

وكان يهتمُّ في آخر حياتهِ بطبع كتابٍ آخر ضمَّنهُ نيفًا ومئة قصيدة من اقوال عرب بغداد وسوق الشيوخ وماردين مع شرحها وصورة لفظهـا الّا ان الموت عاجلهُ فلم يسمح لهُ بانجاز عملهِ. فقام بهذا المشروع بعدهُ احد كبار العلماء الالمانيين الدكتور ه. ستُمّه فاحسن. وقد راجعنا هـذا الكتاب واذا هو حافل بالملاحظات اللغويَّة التي تعرّف لهجـة اهل البدو في العراق واواسط جزيرة العرب مع نُبَـذ جليلة من عوائدهم واحوالهم فجاءَت هذه الحلقة الادبيَّة اثرًا جميلًا اورثهُ المرحوم بعدهُ محبّي اللغات العاميَّة

Ararat und Masis

Studien z. armenischen Altertumskunde u. Litteratur.
v. Friederich Murad, Heidelberg, 1901 *SS.* 101

اراراط وماسيس

ورد في الكتاب الكريم (تك ٨: ٤) انَّ تابوت نوح استقرَّ على جبال اراراط. الّا انَّ المفسّرين اختلفوا في المدلول عليهِ بجبال اراراط فمنهم من زعم انها جبال ارمينية وانَّها هي جبال ماسيس ومنهم من ارتأى انها جبال كردستان التي من جملتها جبـل الجودي. وهو الرأي الشائع بين العرب وغيرهم ولا يخـلو من السَّند. فاراد الاديب فردريك مراد ان يبحث في ذلك فجمع كل الشواهد القديمـة التي وجدها في آباء الكنيسة والمؤرخين وقابل بينها وبين التقاليد المحليَّة لاسيَّما الارمنيَّة فجاءَ كتابهُ تأليفًا شاملًا لكل ما ورد في هذه المسألة. ويزيدهُ شأنًا ما اودعهُ المؤلف من الابحـاث في اصول تواريخ الارمن واحوالهم القديمـة وكَتَبتهم وآدابهم فنثني على همَّة الكاتب ونتمنَّى لكتابهِ رواجًا

ديوان ابي فراس الحمداني

حلَّ بعض الفاظهِ وشرح معنى بعض ابياتهِ نخله افندي قلفاط
طبع في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٩٠٠ صَ ١٦٠

هذه الطبعة الجديدة من ديوان ابي فراس الحمداني تفضل الطبعة السابقة التي نُشرت اوَّلًا في المطبعة السليميَّة سنة ١٨٧٣ سواء كان من جهـة اصلاح المتن او حسن الطبـع لاسيَّما وقد زيد عليهما تذييلات وشروح مفيـدة. ولكن يسوءُنا انَّ متولي تجديد طبع هذا الديوان لم يستند الى نسخة خطيَّة قديمة ولم يطَّلع على ما نشرهُ الاوربيُّون خصوصًا الدكتور دفوراك (R. Dvorak) من قصائد ابي الفراس فكان

هذا من جهة البراهين العقليّة . امّا الادلّة النقلية فهي اوهن من نسيج العنكبوت لأنَّ صاحب الهلال بناها على الكتاب الكريم. وليس في الاسفار الالهيّة قضيّة اوضح من كون آدم أَبا البشر يعرفها صغار المدارس فضلًا عن العلماء يكفي لبيان ذلك مطالعة الفصلين الاوَّلين من التوراة ما لم يدَّعِ كاتب الهلال انَّ الكتاب المقدَّس يناقض نفسهُ ويثبت في الفصل الاوَّل من التكوين ما ينكرهُ في الفصل الرابع وحاشا الله عزَّ وجلّ أَن يأْتي بالاقاويل المتضاربة وهو ربُّ الحقّ جلَّ اسمهُ

وليس في الشاهدين الذين اوردهما صاحب الهلال ادنى حجَّة تؤيّد زعمهُ لانَّ قول قائين للرب «كل من يراني يقتلني» لا يدلُّ على كون الارض كانت اذ ذاك مأهولةً بل يبين خوف قائين من الذين سيقومون عمَّا قليل من نسل آدم وحوَّاء فيعرفون سوء معاملتهِ لاخيهِ هابيل ولا يدعون دمهُ مهدورًا

وكذلك زيجة قائين لا تدلُّ على انَّ امرأتهُ كانت من نسل غير نسل آدم وحوَّاء وقد اثبت الكتاب الكريم انَّ الابوين الاوَّلين خلّفا اولادًا وبنات فتكون امرأة قائين احدى هذه البنات

افعند صاحب الهلال ادلّة اخرى فليأتِ بها لنفحصها. ولكونهِ يدَّعي العلم بابحاث اللاهوتيين فلا بأْس ان يعمل نظرهُ الثاقب في كتبهم لعلّهُ يكتشف ما هو ابين دليلًا واقوى حجةً . فنسعى بتفنيدهِ ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

Diwan aus Centralarabien
gesammelt, ubersetzt u. erlautert von A. Socin,
herusgegeben v. H. Stumme, I u. II, Berlin 1900

ديوان العرب في اواسط جزيرة العرب

فُجعت الدروس العربيَّة قبل بضعة اشهر بوفاة احد مشاهير المستشرقين الالمانيين الذين وقفوا حياتهم على خدمة الآداب الشرقيّة وهو الدكتور البرت سوتسين معلم العربيّة في كليَّة ليبسيك. وللفقيد عدَّة مآثر لغويَّة تنطق بفضلهِ حتَّى صار حجَّةً يرجع اليهِ العلماء في المشاكل اللغويّة. وكان المذكور كلفًا بلغات الشرق العاميَّة تجشَّم لاجتناء فرائدها الاسفار الطويلة فجمع منها شيئًا وافرًا نشر قسمًا منهُ في المجلّات الاوربيَّة.

حماسة البحتري لانهم رأوا بعض الابيات مختلفة عمَّا كانوا سمعوهُ سابقاً فظنُّوا اننَّا حرَّفنا اقوال الاقدمين. فتعجبنا لعيبهم وفهمنا انَّهم ليسوا بخبيرين بالشعر القديم الذي بلغنا بروايات عديدة يثبتها العلماء كما يجدونها رجاء ان يتوصَّلوا بالمقابلة الى اصلها الصحيح وكان الاحرى بهؤلاء المنتقدين ان يستدلُّوا بذلك على امانتنا في النقل. ولم نورد الروايات الشائعة اختصاراً كما اشرنا الى ذلك في ذيل مقالتنا وسندوّنها ان شاء الله عند طبع الكتاب بتمامهِ

أسئلة وأجوبة

س سبب تقديم سحر السبت على الجمعة في المزامير (جواب سؤال سابق ص ١١٠٣)

ان الكنيسة الشرقيَّة قسمت مزامير داود الى سبعة اقسام بحيث يُتلى قسم منها في سحر كل يوم من ايَّام الاسبـــوع وذلك على ترتيب المزامير كما هي في التوراة الَّا مزامير سحر الجمعة وسحر السبت فغيّرت فيها الترتيب وجعلت المزامير ١٠٩ الى ١١٨ لسحر السبت والمزامير الاخيرة (١١٩ — ١٥٠) لسحر الجمعة وذلك لانَّ معاني المزامير الاولى يغلب عليها الفرح وتوافق السبت بخـلاف المزامير التي بعدها (١١٩ — ١٥٠) فانَّ معانيها الحزن وفيها نبوَّات لآلام المسيح فهي اوفق ليوم الجمعة ل. ش

س سألنا بعض وجوه البلدة ان نفيدهم عن الرتبة المعروفة بمحامي القديس بطرس

رُتبة محامي القديس بطرس

ج هي احدى الرُّتب الشرَفية التي تمنحها لجنةٌ مركزها في رومية دون ان يُذكر في صكّ تقليدها اسم الحبر الاعظم. والدليل على ذلك انَّنا لم نجد هذه الرتبة في عداد الرتب الرسمية التي يمنحها الكرسيّ الرسولي بنفسهِ. وكذلك سألنا القصادة الرسوليَّة في سوريَّة عن هذه الرتبة لنعرف هل يتولَّى تقليدها الحبر الاعظم فقيل لنا انها ليست من الرتب الرومانيَّة الرسميَّة ه. ل

اصلاح بعض اغلاط طبعيَّـة ص ٩٩٤ س ٦ « فيرَ » والصواب « فيرى » = ٩٩٧ س ١٢ « أنُ الدقّ » والصواب « آنُ الدقّ » = ١٠٣٠ س ٥ « بفقرة » والصواب « بنقرة » — س ٦ ليصلح السطر هكذا: فلا تقبلهُ النفس (٢). فكيف بثماني نقرات = ١٠٣٥ س ١٠ « فتولَّاهم » والصواب « تولّاها » = ١٠٣٦ س ٣٦ « ففرش فرشه » والصواب « فراشه » = ١٠٤٥ س ١١ « يتوَّج بهم » والصواب « يتوّج بهِ » = ١٠٩٠ س ٨ « ربَّ رَكْبٍ » والصواب « رُبَّ رَكبٍ »



استفاد بذلك وأفاد الادباء بالمقابلة واختيار الروايات وبعض الزيادات المهمّة

Bulletin de l'association des anciens élèves de la Fac. cath. de Médecine

لائحة جمعيَّة التلامذة الاقدمين في مكتبنا الطبيّ

تتضمَّن هذه اللائحة كثيرًا من الافادات بخصوص مكتبنا الطبيّ كتاريخ انشائهِ ولجنة اساتذتهِ وقائمة تلامذتهِ الاقدمين مع ذكر اعمال المؤتمر الطبيّ الذي عُقد في المكتب المذكور في اواخر حزيران ل. ش

تقويم البشير لسنة ١٩٠١

لا حاجة الى وصف هذا التقويم والكلُّ يعرفونهُ من طبعاتهِ السابقة منذ نيف وعشرين سنة هذا فضلًا عن كثرة موادّهِ ووفرة فوائدهِ

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ رحلة الى بلاد النصيريين بالفرنسيَّة للاب لامنس Au pays des Nosaïris, par le P. H. Lammens, 1900, pp. 73

٢ تاريخ النصيريين ودياناتهم للعلَّامة دوسُّو Histoire et Religion des Nosaïris par R. Dussaud, 1900

٣ المسامرة في اضرار المهاجرة. طبعت في المطبعة العثمانية في بعبدا ١٩٠٠ ص ١٦

٤ قصائد عديدة للادباء موسى افندي صفير ويوسف افندي الفاخوري ويوسف افندي غنَّام ثابت

شَذَرَات

﴿ مؤتمر جديد ﴾ عُقد في رومية اوَّل مؤتمر للبحث عن المدافع الواقية من البرَد (راجع المشرق ٣: ٨٦١)

﴿ المصل الشافي من البرص ﴾ قد اختبر مكتب باستور في مستشفى هانوي عاصمة التنكين مصلًا استخرجهُ من الماعز لمعالجة البرص فجرَّبهُ في بعض المصابين بهذا الداء فتحسَّنت حالتهم بحيث يُرجى شفاؤهم قريبًا

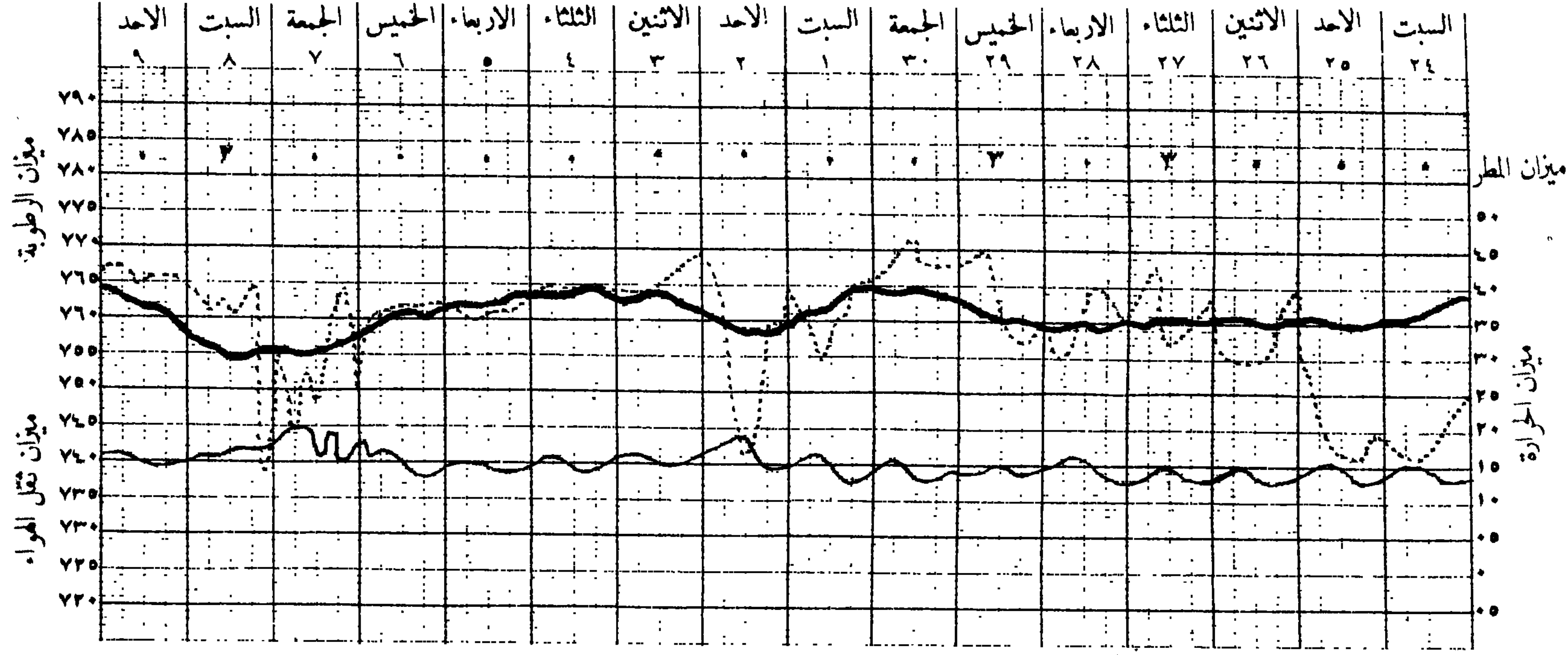
﴿ وصفة بسيطة لتخفيف أَلَم الحرق ﴾ اذا أُصيب احد بحرق عليهِ ان يسوّد العضو المحروق بالحبر فانَّ الموادّ العفصيَّة والحديديَّة الداخلة في تركيب الحبر تخفّف أَلم الحرق الى ان يزول

☼ روايات الشعر القديم ☼ اخذ العجب بعض القرَّاء عند مطالعتهم البابين الاوَّلين من كتاب

فهرس اوّل

لموادّ السنة الثالثة من مجلة المشرق ١٩٠٠

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٤ تشرين الثاني الى ٩ كانون الاول ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

فهرس ثانٍ

اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

مطبوعات اوربيّة

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الثالثة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيَّة والسريانيَّة والتركيَّة

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم



P. 1152

